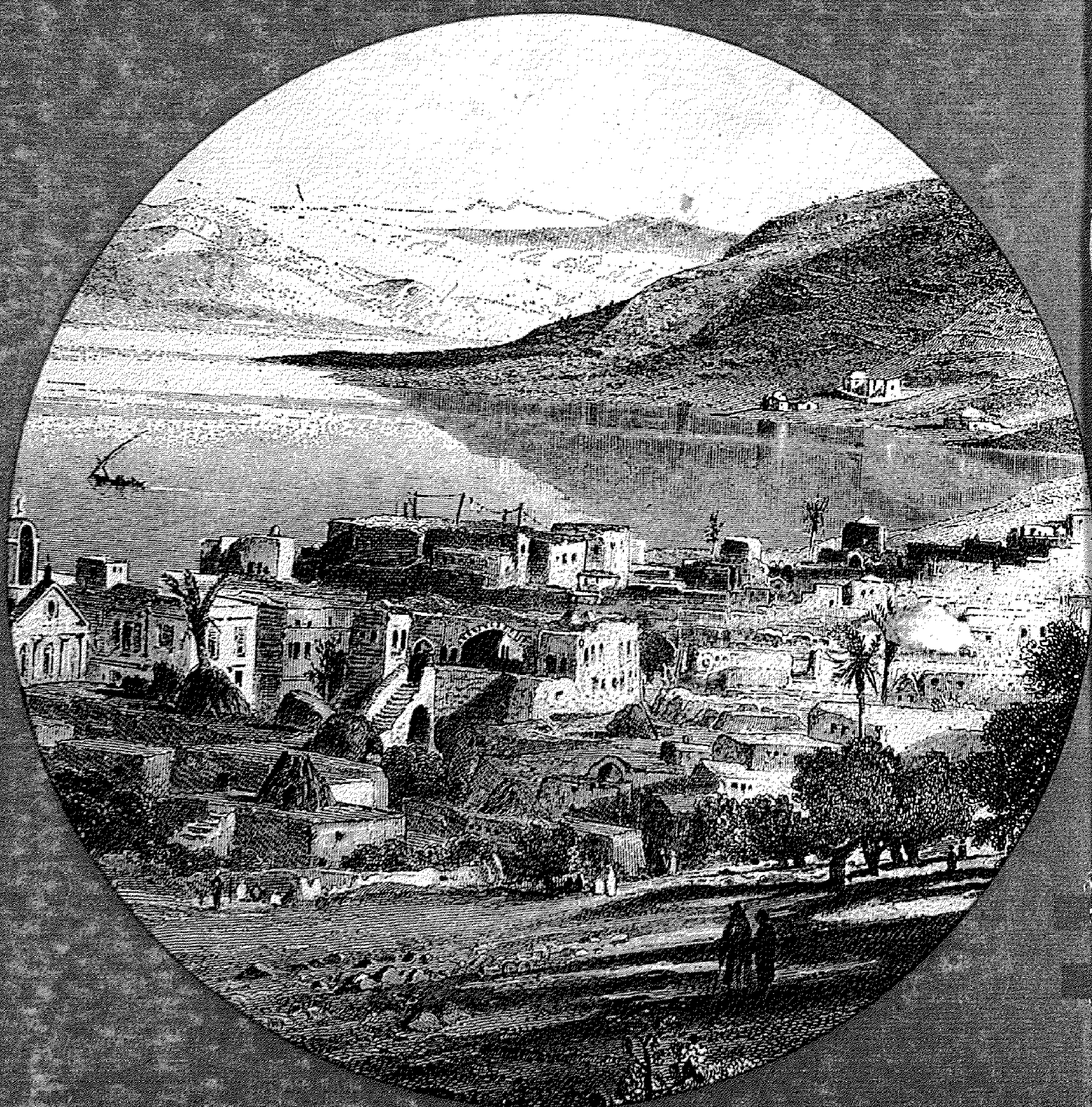
شؤون فلسطينية

٨

نيسان (ابريل) ١٩٧٢



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٨ نيسان (ابريل) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ـ لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : طبريا ، القرن التاسع عشر .

المحتويات

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

ان تحول شؤون فلسطينية الى مجلة شهرية فرض عليها ، وعنى من جملة ما عناه ، المزيد من العناية باحداث الساعة ، مراقبة وتسجيلا ودرسا وتحليلا . دون ان يعني هذا التحول (أو التطور) أي ابتعاد عن العلمية (وما تفرضه العلمية ، وما تعنيه ، من دقة في النظر وتجرد في الاحكام وتعمق في التحليل) ولا أي تخل جذري عن اهتمامات شؤون فلسطينية السابقة بالبحث الهادىء والمتأني في الثورة الفلسطينية وفي الشعب العربي الفلسطيني وفي الصهيونية واسرائيل والامبريالية .

من هنا قد يجد القارىء في هذا العدد (وفي الاعداد المقبلة) تناولا متكررا لاحداث سياسية قريبة مهمة . فاننا سنعالج بعض المواضيع معالجات متعددة ، ان في عدد واحد أو في اعداد متتالية . وذلك راجع الى أهمية هذه الاحداث وضرورة تناولها بالبحث اكثر من مرة . ولكن المهم والضروري هو ان تكون المعالجات للموضوع الواحد مختلفة ، بحيث تطل كل معالجة على الموضوع من زاوية تختلف عن الزاوية التي أطلت منها المعالجة ، او المعالجات ، الاخرى .

لذلك سيجد القارىء ، وعلى سبيل المثال ، عودة متكررة في هذا العدد الى اربعة مواضيع سياسية كان لها وزنها في احداث القضية الفلسطينية في الاشهر الاربعة او الخمسة الماضية : موضوع مقتل وصفي التل ، ونحن نتناوله في هذا العدد للمرة الثالثة (وهذه المرة نحصر أنفسنا بسيرته العملية السياسية) . وموضوع الانتخابات البلدية التي تجريها سلطات العدو في الارض المحتلة ، نتناولها في ثلاثة مقالات في عدد واحد : نبذة عنها ، ومقالة عن المغزى السياسي الاسرائيلي من ورائها ، ومراجعة لكتاب عربي ظهر لمتعاون مع الاحتلال في القدس لعب دورا خطيرا في الدعوة للتعاون مع الاحتلال بشكل الاقبال على الانتخابات والقبول بمشروع الدولة الفلسطينية . وهناك ايضا المؤتمر الصهيوني . اننا نغطيه في هذا العدد للمرة الثانية ، بعد ان غطيناه بدراسة سريعة في العدد الماضي . واخيرا ذكرى الكرامة ، فبعد ان وضعنا دراسة عن جانب منها في العدد الماضي نعود اليها في هذا العدد في مقالين : دراسة في الذكرى ، وشهادات اربعة من ابطالها .

ان شؤون فلسطينية ، ما دامت قد اخذت على عاتقها مهمة الاسهام في تسجيل الاحداث السياسية الرئيسية للقضية الفلسطينية وتطوراتها ، ودرسها بقدر واسع من الموضوعية ، مدعوة دوما ان تكون في الساحة ، قريبة من الاحداث ، ومصغية لجميع الاصوات ومتتبعة لجميع الحركات ، لتقوم بالتسجيل على اكمل وجه ، بالرغم مما في هذه المهمة من صعوبات واحراجات ، تزيد منها ما تصبو اليه المجلة من الا تكون ناطقة باسم جماعة بقدر ما هي المنبر الحر للفكر الثوري الفلسطيني بأكمله والمجال

الرحب لاقلام المثقفين الثوريين الفلسطينيين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم ومنطلقاتهم.

لقد اعلن ملك الاردن ، أواسط آذار (مارس) ، مشروعه الخطر بانشاء دولة فلسطينية مشبوهة ضمن ما اسماه بالملكة العربية المتحدة . وطبيعي جدا ان تعنى « شؤون فلسطينية » ، في اعدادها القادمة ، بدراسة هذا المشروع والرد عليه وتبيان مساوئه . ولكنها ، في الوقت نفسه ، رات ضرورة اعلان رايها به ، ولو بشكل سريع ، في هذا العدد الذي كانت طباعته قد قاربت الانتهاء عند اعلان المشروع . وشعورا بخطورة المشروع الملكي ، مـن جهة ، وبكون المجلة تعبـيرا عن رأي فكر الثورة الفلسطينية والمثقف الثوري الفلسطيني ، ارتأينا الا يتولى رئيس التحرير ، ولا هيئة التحرير ، كتابـة افتتاحية العدد برفض المشروع ، بل ان نوكل ذلك ، عمليا ، الى أكبر عدد من المثقفين الفلسطينيين الثوريين المتواجدين في بيروت . ولهذا الغرض دعت شؤون فلسطينية ومركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية عددا كبيرا من هؤلاء المثقفين ومن مسؤولي الثورة الفلسطينية لبحث الموضوع واصدار بيان سياسي يمثل الفكر الفلسطيني . وقد حضر الاجتماع الذي عقد مساء السابع عشر من مارس ما يزيد على الخمسين مثقفا ومسؤولا يمثلون ما يزيد على عشرين هيئة فلسطينية ، من اتحادات نقابية ، ومراكز بحوث وتخطيط ، وفصائل الثورة الفلسطينية ومؤسساتها ، ومكاتب منظمة التحرير الفلسطينية واداراتها .

وقد صدر عن المجتمعين ، بعد دراسة جماعية للمشروع دامت عدة ساعات ، البيان التالي الذي يشرفنا ان نعتبره افتتاحية شؤون فلسطينية في عددها الثامن :

واجهت القضية الفلسـطينية في اكثر من مرة وفي اكثر من مرحلة مشاريع ومؤامرات عديدة للتصفية . ومنذ حرب حزيران بالذات تكاثرت هذه المشاريع بصورة ملفتة للنظر . وازاء كل مشروع منها كان شعبنا يقف بصمود معلنا رفضه ، ومتمسكا بكامل حقوقه ، ومناضلا لفرض واقع وطني يحفظ القضية من الضياع . وفي ظل حركة المقاومـة الفلسطينية بالذات استطاع نضال شعبنا ونضال فصائله المسلحة ان يقضي على العديد من هذه المشاريع المشبوهة ، مؤكدا الرأي الفلسطيني الذي لا يقبل المساومة ، في كافة الاوساط العربية والدولية .

وحاليا ، وبعد مشروع الملك حسين ، تواجه قضيتنا ، ويواجه شعبنا مشروعا جديدا من سلسلة المشاريع الكثيرة المشبوهة . ولكنه بالاضافة الى ذلك اخطر هذه المشاريع .

فمشروع الملك حسين يمثل اولا رضوخا كاملا لشروط الاستسلام الاسرائيلية . يعترف نهائيا وبالكامل بالكيان الاسرائيلي ، ويؤدي عمليا الى الغاء حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه ، وفوق كامل ترابه الوطني .

ويستهدف المشروع ثانيا دفع طغمة من العملاء ، المتعاونين مع الاحتلال الاسرائيلي ، والمتواطئين مع نظام الحكم العميل في عمان ، الى الدخول باسم الشعب الفلسطيني كطرف في عملية التسوية السياسية ، ليقوموا بالتوقيع على كافة شروط الاستسلام التي قبلها النظام الاردني في مفاوضاته السرية مع سلطة الاحتلال . فالنظام الاردني يبيع القدس ، ويريد من الشعب الفلسطيني ان يوقع على عملية البيع . والنظام الاردني يتنازل عن منطقة المثلث ، ويريد من الشعب الفلسطيني ان يعلن موافقته على هذا التنازل . وهو ايضا يوافق على المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، ويسعى الى دفع واشراك ممثلين « فلسطينيين » في هذه المفاوضات ليتنصل في النهاية من كل تبعات الاستسلام والتفريط بحقوق شعب فلسطين ، ضامنا في نفس الوقت ان يبقى نفوذه واستغلاله وارهابه لشعبنا في الضفتين قائما ومتصلا .

ومن خلال مثل هذه العملية ، يستهدف المشروع ثالثا ، ان يشق الموقف الفلسطيني الى فريقين . فريق يقبل خطة الملك ، وفريق يرفضها . فريق يقبل الاشتراك في التسوية السياسية ، وفريق يناضل لاحباطها . ويأمل من خلال عملية الانقسام هذه ، ان يصبح هو الطرف الاقوى والقادر على تحرير مشروعه المشبوه . ولانه يعرف سلفا ان حركة المقاومة الفلسطينية ، بكل ما تمثله من شرعية النضال ، ستكون اول وابرز من يرفض فان مراهنته على شق الصف الفلسطيني تتلخص في النهاية ، في محاولة عزل حركة المقاومة عن جماهيرها ، وابعادها عن ميدان تمثيل الشعب، وتمثيل القضية، هذا التمثيل الذي انتزعته بقوة السلاح ، وبشرعية النضال الثوري ضد الاحتلال ، والذي هو في النهاية أقوى انواع التمثيل التي تفرضها مسيرة الشعوب المناضلة .

ومن خلال ذلك كله يهدف المشروع رابعا ، وفي كل بند من بنوده الى تحويل الصراع القائم ، من صراع ضد الصهيونية والاحتلال ، الى صراع بين الفلسطينيين انفسهم . ومن صراع تشارك فيه الجماهير العربية في كافة اقطارها ، الى صراع محصور بمطالب وهمية للحصول على « قطر فلسطيني » يقدم منحة من سلطة الاحتلال الاسرائيلي .

ان هذه الاخطار التي ينطوي عليها المشروع ، تشكل تصفية كاملة للقضية الفلسطينية، ثمنها الوحيد تكريس السيطرة الهاشمية الرجعية على شعبنا في ضفتي الاردن . وهو ما يريده الملك حسين ، وما يسعى اليه ، أكثر من اي شيء آخر ، وفي سبيله يتنازل عن الكثير ، ثم يريد ان يحمل شعبنا مسؤوليات هذا التنازل .

ولذلك فان الموقف الوطني والبديهي الذي لا بد منه هو الرفض الكامل لهذا المشروع المشبوه ، وادانته وتعريته على كافة المستويات ، والنضال لاحباطه بكل الوسائل التي تفرضها شرعية الثورة المسلحة .

ومن المهم هنا ان نسجل ، ان النظام الاردني العميل دبر المجازر الدموية المتلاحقة ضد حركة المقاومة الفلسطينية ، تحت شعار وحدة الضفتين ، ومن خلال الاتهام الدائم للمقاومة بأنها تعمل لتفتيت وحدة الشعب ، وانشاء « دولة فلسطينية » وما ان انتهى النظام العميل من تدبير مجازره ، حتى قام هو بنفسه بطرح مشروع الدولة الفلسطينية ، مما يؤكد ان ثمن الموافقة الاسرائيلية — الامريكية على هذا المشروع ، كان ولا يزال ، ضرب حركة المقاومة وتصفيتها ، باعتبار انها الشرارة الثورية التي يمكن ان تلهب المنطقة العربية ، خالقة فيتنام ثانية تهدد وجود اسرائيل من جهة ، وتهدد مصالح الامبريالية وواجهاتها الرجعية من جهة اخرى ، ولذلك فان هذا المشروع لا يمثل في اعتقادنا ضربا لنضال الشعب الفلسطيني وحقوقه فقط ، بل هو في نفس الوقت ، مقدمة لهجمة رجعية ضد كل القوى الوطنية العربية ونضالاتها المتواصلة .

ومن هنا ، فان الرد على هذا المشروع ليس مهمة فلسطينية فقط ، بل هو اولا وبالاساس مهمة الجماهير العربية ، ومهمة فصائلها الوطنية ، وهو رد ليس له غير طريق واحد يتمثل في تكثيف النضال الثوري وتوسيع رقعته ، لتصبح المنطقة العربية بكاملها ساحة صدام مع الصهيونية والامبريالية .

ومن هنا ايضا مسؤولية كل حكم عربي في ان يحدد موقفه من المشروع ، آخذا بعين الاعتبار انه يحدد موقفه من القضية الفلسطينية بالاصل . ذلك ان نغمة انتظار راي منظمة التحرير الفلسطينية اولا ، نغمة مرفوضة ، وتعني الشيء الكثير في هذه المرحلة ، خاصة وان بعض هذه الانظمة لا زال يتحصن بالصمت ، حتى بعد ان اعلنت منظمة التحرير باسم الشعب الفلسطيني رفضها وشجبها للمشروع .

واذا كان الملك حسين ، الذي خلق من خلال مجازره حالة من الفرقة الاقليمية المرفوضة

داخل الضفتين ، ويريد من خلال مشروعه ان يستفيد من هذا الواقع لخلق دولة فلسطينية مشبوهة يضمن سيطرته عليها ، فان الرد المطلوب من جماهير شعبنا ومن حركة المقاومة الفلسطينية هو رد على مستويين :

المستوى الاول : التمسك بكافة القضايا المبدئية لحقوق الشعب الفلسطيني . حقه في النضال من أجل التحرير الشامل . حقه في تقرير مصيره بنفسه وفوق كامل ترابه الوطني . وحقه في حمل السلاح والقتال ضد العدو الصهيوني ، منطلقا في ذلك من داخل الاراضي المحتلة ، ومن داخل كل ارض عربية يتواجد فوقها .

والمستوى الثاني : المواجهة المباشرة لمشروع الملك حسين ، وللاوضاع القائمة في الضفتين ، والتصدي لها ببرنامج عمل نضالي وطني ، بديلا للمشاريع المشبوهة . ويتمثل هذا البديل في دفع وتعميق نضال جماهيرنا باتجاه المحافظة على وحدة الضفتين في ظل حكم وطني ديمقراطي ، وتجديد هذه الوحدة على الاسس التالية : المساواة بين الشعبين في كامل الحقوق السياسية والمعيشية انطلاقا من المفهوم الوطني الديمقراطي الذي يحفظ للشعب الفلسطيني **حقوقه الوطنية التاريخية** في تحرير وطنه . كما تضمن للشعب الفلسطيني **حقوقه الوطنية الراهنة**، والتي تتمثل في حقه بحمل السلاحواستمرار كفاحه ضد العدو الصهيوني ، والانطلاق لانجاز هذه المهمة من اراضي الضفتين . وحقه في رفض كل تسوية سياسية تمس حقوقه التاريخية . كما تضمن لشعبنا في الضفة الشرقية حقوقه الوطنية الراهنة المتمثلة بالحكم الوطني الديمقراطي القادر على تحرير الاكثرية من حكم الاقلية العميلة التي تستغل قوته وجهده وتحكمه بالحديد والنار لمصلحة الامبريالية ، معرضة الاردن ، من خلال مد جسور العلاقات مع الكيان الاسرائيلي ، الى استعمار صهيوني من نوع جديد . كما تضمن لشعبنا في الضفة الشرقية ايضا حقوقه المتمثلة في حرية العمل السياسي والنضالي ، والتقدم الاقتصادي ، ورفع الاستغلال الذي يرزح تحته الفلاح الاردني والمواطن العادي . وحقه الوطني في الاسهام الجدي بمواجهة الخطر الاسرائيلي الذي يهدد وجوده بشكل مباشر .

وفي الاتجاه نحو هذا الهدف النضالي ، فان جبهة تحرير وطنية فلسطينية — اردنية موحدة ، تكون فصائل حركة المقاومة جزءا لا يتجزأ منها تشكل الاداة التي يجب ان تدعم ، في النضال ضد الوجود والاحتلال الصهيوني من جهة ومن اجل انجاز البرنامج الوطني الديمقراطي في الاردن من جهة اخرى، لانشاء نظام وطني يجدد وحدة الضفتين، وتنتفي من داخله كل النزعات الاقليمية التي كرستها الرجعية ، وتستغل وجودها الان لتفرض على شعبنا تنازلات تمس قضيته في الصميم .

وهذا الرد النضالي الوطني ، لن ينزلق الى مستوى تقديم المشاريع «القانونية» المضادة، لان للثورة اصلا منطقا يتناقض مع هذا المنطق ، الذي هو من خصائص العقلية الرجعية التي لا تجد امامها في اللحظات الصعبة الا ان تقدم تنازلاتها في قالب من المشاريع « القانونية » التي لها في ظل الاحتلال نتيجة واحدة : مخاطبة الاحتلال والاعتراف به . أما الشعب المناضل ، واما فصائله المسلحة ، فقد قامت اصلا من اجل ان ترفض ذلك ، وهي في نضالها هذا المتجه نحو التحرير ، لا بد ان تركز في المرحلة الراهنة على النضال من اجل اقامةالحكم الوطني الديمقراطي في الاردن ، كخطوة على طريق التحرير ، بكل ما يقتضيه ذلك على الصعيد العملي من اجراءات ، وخاصة بتدعيم كل الاجراءات المتخذة ، او التي يمكن ان تتخذ حاليا لتمتين الوحدة الوطنية الفلسطينية ، على الصعيد العام من جهة ، وعلى صعيد العلاقات بين فصائل حركة المقاومة من جهة اخرى .

انتخابات المجالس البلدية في الضفة الغربية المحتلة

الدكتور سعيد حمود

لمقاربة موضوع الانتخابات البلدية التي قررت سلطات الاحتلال الاسرائيلي اجراءها في عدة مدن وقرى في الضفة الغربية المحتلة هناك اسلوبان : الاول ، اخباري ـ تحليلي ، يستعرض التطورات التي سبقت اعلان قرار اجراء الانتخابات البلدية ، ثم الاوامر التي صدرت ، ويتابع ردات الفعل ومواقف القوى المختلفة ، ليأتي الى تحديد الاهداف والغايات . والثاني ، سياسي شامل ، يعتمد الجانب الاخباري في سياق تحليل شامل للسياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ولاوضاع شعبنا الرازح تحت الاحتلال ، متناولا حالة المقاومة الفلسطينية الراهنة وطبيعة القوى المختلفة وحقيقة مواقفها . وقد اعتمدت الكتابات والتعليقات التي توجهت لمعالجة موضوع الانتخابات البلدية ، في غالبها ، الاسلوب الاول . وبدت الآراء التي تضمنتها الكتابات والتعليقات وكأنها منساقة بفعل أمر مفاجيء ، أحدثته الخطوة الاسرائيلية ، وكأن ما قبلها وما بعدها كان سيظل طبيعيا ، لو لم تكن هذه الخطوة . غالبا ما تأتي تعليقاتنا وتحليلاتنا على هذا الشكل المبهور المتفاجيء ، لاهثة وراء الاحداث .

نعتمد في معالجتنا لموضوع الانتخابات البلدية الاسلوب الثاني ، بشكل اساسي ، متوخين تحقيق الامور التالية : ا ـ الاطلال على حقيقة اوضاع شعبنا في الداخل من زاوية ما تعكسه هذه على موقفه من الانتخابات البلدية . ب ـ تحليل لمواقف الاطراف جميعها والغايات المباشرة وغير المباشرة التي تتطلع اليها ، والاساليب والاطر التي تعتمدها للتعبير عن تلك المواقف . جـ ـ تحديد الموقف السليم ، الذي يمكن ان يكون مقياسا ، على ضوء أهداف شعبنا في التحرير والعودة والخلاص من حالات التشتت والضياع التي يعانيها ، للتحرك في وجه المؤامرات ومحاولات التصفية الموجهة ضد الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة وبشكل مكثف .

قصة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية

١ ـ **تطور الموقف الاسرائيلي** : بتاريخ ١٩٧١/١١/٢٦ صدر امر عن سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي باجراء الانتخابات البلدية في كل من جنين وطولكرم وقلقيلية واريحا . وبتاريخ ٧١/١٢/١٩ صدر أمر مماثل باجراء الانتخابات البلدية في نابلس وطوباس ويعبد وسلفيت وعنبتا وعرابه ، وتحدد موعد الانتخابات للمدن العشر في ٢٨/ ١٩٧٢/٣ ، كما تحدد في وقت لاحق يوم ١٩٧٢/٥/٢ لاجراء الانتخابات في اربع عشرة مدينة وقرية اخرى هي : رام الله ، البيرة ، بيت نوبا ، بير زيت ، بني زيد ، سلواد ، دير دبوان ، بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور ، الخليل ، حلحول ، دورا و يطه .

جرت سلسلة من التمهيدات قبل الوصول الى التحديد المذكور ، يهمنا ذكرها بتدرجها لتبيان تطور الموقف الاسرائيلي ، مركزين على اهمها كمؤشرات ، وحتى نتمكن من الالمام بكافة جوانب الموقف الاسرائيلي منذ بدايته :

أ ـ تظاهرت السلطات العسكرية في المرحلة الاولى بمعارضة النشاط السياسي في الضفة الغربية ـ عبر عن ذلك شلومو هليل وزير الشرطة الاسرائيلي في مقابلة اجرتها معه هآرتس بتاريخ ١٩٧١/٨/٩ .

ب ـ حاولت السلطة الاسرائيلية الايحاء بأن النشاط السياسي انما هو مطلب شعبي ملح (فقد ترجمت مقابلة هليل ونشرت في صحيفة « القدس » مع مقال يرد على الوزير ويؤكد على ضرورة النشاط السياسي الذي لا يسيء للامـــن) . وبتاريخ ٧١/١٠/٢٠ نشرت « دافار » تحت عنوان « عرائض في الضفة الغربية من اجل الانتخابات المحلية » ما يلي : « بدأ العاملون الاجتماعيون في عدة مدن من الضفة الغربية بحمل السكان على التوقيع على العرائض التي سترسل ، كما يبدو ، الى الحاكم العسكري ، وتتضمن طلبا للموافقة على اجراء انتخابات البلديات والمجالس المحلية ، ومنذ عدة اسابيع نلاحظ في بعض مدن الضفة الغربية غليانا حول طلب السكان اجراء انتخابات جديدة للسلطة المحلية . وسلك الحاكم العسكري اسلوبا بعدم التدخل واعلن لكل من توجه اليه، بأنه فقط اذا تقدم معظم السكان في هذا المكان او ذاك بطلب لاجراء انتخابات جديدة فان الحكم العسكري يدرس الطلب بحد ذاته . . . » وتمضي « دافار » قائلة « من جهة اخرى فان دوائر الحكم العسكري غير مهتمة باجراء انتخابات بموجب القانون الاسرائيلي لئلا يفسر الشيء على انه توجد نية ضم » . « ثم تقرر اخيرا ان تجري الانتخابات وفق القانون الاردني » . (دافار ١٩٧١/١١/٨).

جـ ـ بعد ذلك مبـــاشرة كانت الخطـــوة في التسلســـل التمهيدي هي ابراز نية الحكم الاسرائيلي بعدم التدخل في موضوع الانتخابات : « فيما يتعلق بالانتخابات البلدية فـــان هذا الموضوع يعود لرغبة المواطنين » (ديان في جريدة « القدس » ١٩٧١/١١/١١) .

د ـ في غضون تلك الفترة اوردت « عال همشمار » اشارة ذات مدلول جدير بالتأمل ، اذ ذكرت بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٠ : « نريد أن نأمل بأن يستعمل اجراء الانتخابات البلدية كمرحلة اولى في عملية السماح بالنشاط السياسي في الضفة وفي نطاق التحديدات الملزمة لوجود الحكم العسكري ومهمة هـــذا النشاط هي اعـــداد الشعب الفلسطيني ليقـــوم بمساهمة كعامل موفق ومعجل لاحلال السلام في منطقتنا » .

هـ ـ (ثم صدرت الاوامر المذكورة محددة الموقف الاسرائيلي مباشرة وبشكـــل رسمي مقرونة بتأكيد من العقيد فاردي قائد منطقة الضفة الغربية « بأن قرار سلطات الحكـــم العسكري باجراء الانتخابات انما هو قرار نهائي ») .

و ـ كشفت السلطـــات العسكرية عن المـــزيد من اوراقهـــا حين صعـــد المسؤولون الاسرائيليون الحملة بالتهديدات (اطلقت في اواخر العام الماضي ومطلع العام الحالي) ضد المناطق التي تقاطع الانتخابات بأن الحكم العسكري سوف يعين ضباطا لاستلام زمام الامور في المناطق المذكورة خـــلال خمسة عشر يومـــا بعد اجراء الانتخابـــات ، وضد الاشخاص الذين يعملون او يساهمون في حملات تهدف لاحباط الانتخابات بالاعتقـــالات وباجراءات مختلفة (وبالفعل جرى اعتقال مجموعـــة من الشبان في نابلس بتهمة توزيع المناشير المحرضة ضد الانتخابات) .

تجدر الملاحظة الى انه الى جانب المؤشرات المذكورة قـــد عمدت السلطات الى تجزئة الانتخابات اي عدم اجرائها دفعة واحدة في جميع المناطق وذلك تفاديا لاي رد فعل جماعي وموحد وتثبيتا لانطباع بأن القضية كلها انما لا تشكل خطورة او اهمية تذكر .

نكتفي بهذا القدر عن تطور الموقف الاسرائيلي لنعود ، بعد استعراض تطورات المواقف الاخرى ، الى تحليل الاهداف الاسرائيلية القريبة والبعيدة الكامنة وراء اجراء الانتخابات البلدية وماذا تمثل هذه الخطوة بالذات في المخطط الاسرائيلي .

٢ ــ **تطور الموقف الاردني** : من أجل فهم عميق لحقيقة الموقف الاردني وتطوراته لا بد من تسجيل بعض الملاحظات الرئيسية :

ــ ترتكز سياسة الحكم الهاشمي على التشبث الاستراتيجي بالضفة الغربية ، وبرغم وجود تيارات وقوى داخل العائلة الهاشمية تحاول تسيير الامور باتجاه التقوقع داخل الضفة الشرقية والحفاظ على اطار المملكة الهاشمية بحجمها الحالي ، الا ان التيار السائد والذي ما زال الملك يتزعمه هو خط التمسك بالضفة الغربية كجزء من المملكة الهاشمية (رازح تحت الاحتلال) .

ــ ان مسيرة الحل السلمي وبالذات السياسة الاميركية في المنطقة ما زالت تتيح المجال لهذا التيار القائل بالمحافظة على التمسك بالضفة الغربية ، ان يأخذ مداه ويتابع الانشداد في الاتجاهات الحالية لسياسة الحكم الهاشمي .

ــ ولعل الامر المركزي الوحيد الذي يمكن ان يحدث اهتزازا جديا بالتشبث الاستراتيجي في الضفة الغربية ، من وجهة نظر الملك والقوى التي يتزعمها ، هو بلوغ التطورات في المنطقة ، حدا يهدد الوجود الهاشمي جملة وتفصيلا (مثل تحقيق اهداف السياسة الاميركية في المرحلة الراهنة في اتجاه اخراج النفوذ السوفييتي من مصر ومن المنطقة كلها وفي اتجاه المزيد من تركيع انظمة الحكم العربي أمام النفوذ الاميركي خاصة في مصر ثم في سوريا) ــ مع ضرورة اعتبار محاولة الحكم الهاشمي (عند هذا الحد من التطورات) البحث عن قوى اخرى في المعسكر الامبريالي يلتجىء لها ويرتمي في أحضانها (بريطانيا مثلا) ــ على ضوء هذه الاعتبارات التي اوجزناها يمكننا متابعة تطور الموقف الاردني من قضية الانتخابات البلدية :

أ ــ بعد صدور الاوامر الاسرائيلية باجراء الانتخابات وبشكل مباشر اتخذت عمان موقفا معارضا منها ، اتسم الموقف في المرحلة الاولى بالشدة والرفض . وكان واضحا ان اعتبارات هذا الموقف انما ترتكز على ما يلي : اولا ، ان اجراء الانتخابات البلدية يعني ابعاد رجالات الحكم الهاشمي المتربعين في المجالس البلدية منذ العام ١٩٦٤ (حين جرت الانتخابات اخر مرة في ظل الحكم الهاشمي ــ كانت ولاية اعضاء المجالس البلدية قد انتهت بعد الاحتلال ولم تجر اية انتخابات نظرا لظروف الاحتلال) . ثانيا ، التحرك السريع الذي بادر به روحي الخطيب ونديم الزرو (من رؤساء البلديات المبعدين في عمان) والذي هدف الى اتخاذ موقف صريح وواضح ضد الانتخابات البلدية ، ثالثا ، شعور الحكم في عمان ان هذا الاجراء انما يهدف الى سحب الارض من تحت قدميه في الضفة الغربية ، وبالتالي جعل الوجود الهاشمي هناك اكثر هزالة مما هو عليه الان .

ب ــ على أثر اعلان المعارضة والرفض بدأت السلطة الحاكمة في عمان حملة اعلامية واسعة ضد الانتخابات ــ الاذاعة والصحف ثم بيان من اتحاد نقابات العمال (جريدة الدستور ٧١/١٢/٢٦) يندد بالانتخابات ويعتبرها مؤامرة واضحة على المملكة الهاشمية، وتصعد الموقف بتهديد وزير الداخلية لشؤون البلديات الاردني من يشارك في الانتخابات. (نص البيان في جريدة الدستور ١٩٧١/١٢/١٢) .

ج ــ فجأة وبعد حوالي شهر ونصف من التحرك الاردني العنيف ضد الانتخابات ، أخذت اجهزة الاعلام الاردنية بالتراجع عن معارضتها ، ثم سكتت .

د ــ انقلب الموقف الاردني في الفترة الاخيرة باتجاه ابتدات تنكشف فيه تحركات ترمي الى تأييد الانتخابات وحتى المشاركة فيها . ما الذي أدى الى هذا الانقلاب في الموقف الاردني؟ لعل الاعتبارات التالية تجيب على هذا التساؤل :

ــ رفعت الى الملك في أوائل هذا العام مذكرة من مستشار القصر لشؤون الضفة الغربية

(فيصل كنعان) احتوت العناصر التالية : اولا ، لن تكون للانتخابـــات البلدية اية آثار سياسية . ثانيا ، مهما اشتدت حملة الحكم في الاردن ضد الانتخابات فانه لن يستطيع ايقافها أو حتى عرقلتها ، اذ أن معارضة الحكم الاردني لها سوف تزيد عدد الراغبين في المشاركة فيها . ثالثا ، سوف تخف الصلة مـــع الضفة الغربية اذا استمر الحكـــم في معارضته . رابعا ، وكذلك فانه في حالة الرفض ، فسوف تعين سلطات الاحتلال ضباطا اسرائيليين يمارسون مهمات رؤساء البلدية ويوقعون المعاملات التي كان الحكم الاردني يعتمدها (لان رؤساء البلديات كانوا موظفين عنده) . وفي هذه الحالة تنشـــأ معضلة باعتماد التواقيع او عدم اعتمادها .

ـــ جرت اتصالات مباشرة بين الحكم الاردني والحكومة الاسرائيلية (كان عنوانها انور نسيبه ، الذي اوضحت الصحف منذ فترة قريبة حقيقة الدور الذي قام به بين الحكومتين، وحول اجتماعاته بجولدا مائير وكبار المسؤولين الاسرائيليين والاردنيين) . وتشير كافة الدلائل الى ان صفقة ما قد تمت بين الحكم الهاشمي واسرائيل ، ومن المرجح ان الصفقة شملت قضايا اوسع من موضوع الانتخابات البلدية .

حول تطور الموقف الاردني كتب ايلي ايال في معاريف (١٩٧٢/٢/١١) « . . ان الملـــك حسين يخشى من أن يقوم بالمنع ثم يقوم سكان الضفة رغما عن كـــل هذا بالتصويت . وفي حالة كهذه سوف تنهار كل دعامته بشأن الاسرة الواحدة ، المتحدة ، والمتضامنة على ضفتي النهر ، اذن ، فمن الاحسن له أن يوافق صامتا عن أن يواجـــه الرفض الواضح من الفلسطينيين في الضفة » . وكذلك كتب عمير شبيرا في « عال همشمار » (٧٢/٢/١١) مفسرا موقف الاردن على أساس عدم رغبة حكومة الاردن في اتخاذ موقف مشابه لموقف منظمات المقاومة والتماثل معها في هذه الامور ، بالاضافة الى عدم مقدرة الخزانة الملكية على تمويل عناصر المعارضة عن طريق اقناع السكـــان بعدم الاشتراك في الانتخابـــات من ناحية ، وضمان انتخاب عناصر موالية للاردن من ناحية اخرى .

٣ ـــ **تطور الموقف الفلسطيني في الداخل** : تحكمت في موقف القوى الفلسطينية في الضفة الغربية منذ بدء الاعلان عن الانتخابات جملة عوامل ، ربما يكون التركيز على أبرزهـــا مساعدا على فهم حقيقة تطور الموقف هناك . وكذلك فان تحديد القوى والعناصر التي تقف وراء تشكلهـــا يساهم في عملية توضيح المواقف . يمكننـــا تقسيم القوى في الضفة الغربية على اساس الفئات التالية :

ـــ مجموعة رؤساء البلديات الذين جاء بهم الحكم الهاشمي في انتخابات العام ١٩٦٤ على أساس قانون الانتخابات الاردني الصادر في العام ١٩٥٥ ـــ الـــذي يحق بموجبه الانتخاب فقط للرجال الذين يتجاوز عمرهم ٢١ سنة والذين يدفعون ضرائب بلدية لا تقل عن مئة ليرة اسرائيلية سنويا وعلى ان يكونوا من اصحاب الاملاك ـــ (عـــدد رؤساء البلديات الذين تم انتخابهم على اساس القانون المذكور كان ٢٣ رئيس بلدية في الضفة الغربية ، تم منذ الحرب استبدال اربعة منهم : استقال رئيسا بلديتي نابلس وسلوان ، وشغل نائباهما المنصب ، كما ابعد رئيس بلدية رام الله (نديم الزرو) الى الضفة الشرقية وحل نائبه محله . وتوفي رئيس بلدية يعبد واستلم نائبه مكانه ولم تعين سلطات الحكم الاسرائيلي أي رئيس بلدية جديد) ، يضاف الى هـــذه المجموعة غالب اعضاء مجالس البلدية والعائلات المرتبطة بهم (اذ ان عقلية الارتباط العائلي ما زالت تسود بين ابناء شعبنا في الداخل) ، وهذه المجموعة مرتبطة تقليديا وبشكل عـــام بالحكم الهاشمي في عمان ، لان مصالحها ظلت مؤمنة على اساس هذا الارتباط بعد ان سمحت السلطـــات الاسرائيلية المحتلة باستمرار هذه المصالح دون ارباك أو تعقيد .

ـــ مجموعة موظفي الادارة الاردنية ، وهذه المجموعة استفادت في ظل الاحتلال بحصولها

على راتبين — من الادارة الاردنية والادارة الاسرائيلية — وهي بحكم هذا الواقع لا تجد في داخلها مانعا في استمرار الاوضاع القائمة ولا يستبعد ابدا وجود فئة كبيرة من ضمنها تميل الى تأييد السياسة الهاشمية .

— مجموعة العمال والفلاحين الذين يعملون داخل اسرائيل في قطاعي البناء والزراعة وعائلاتهم ، وهي مجموعة غير قليلة العدد ، ويمكننا القول انها مرتاحة لاوضاعها الجديدة ، غير انها بدون شك تعيش قلقا معينا لعدم استقرار الاوضاع ولما يثيره عملها في داخل اسرائيل من مواقف وتساؤلات على مختلف الاصعدة .

— مجموعة المثقفين والمتعلمين (طلاب ومهندسون واطباء وصيادلة ومعلمون الخ . .) وهي مجموعة واسعة ايضا ، وهي تعاني اكثر من اية فئة غيرها فكريا ، بشكل خاص ، من ظروف الاحتلال ومن تعثر المقاومة ومعضلاتها . وهي في غالبها ، ترفض واقع الاحتلال كما ترفض عودة الحكم الهاشمي بكل مظاهره التعسفية والخانقة لمحاولات التغيير والثورة .

— وتأتي جموع شعبنا (العائلات الفقيرة وسكان المخيمات والمسحوقون المحرومون من اية امتيازات الخ . .) وهي اوسع فئة عددا وامتدادا ، وقد عانت في ظل الحكم الهاشمي وتعاني تحت مظلة الاحتلال الاسرائيلي الرهيبة وهي التي تلتف بعواطفها وعطائها حول المقاومة وتتطلع الى الانتصار والخلاص . وبرغم ان حالة اليأس والقنوط تخيم الان على جماهيرنا الا ان درجة الاستعداد والتأهب للتفاعل مع أول بادرة ثورية هادفة للتغيير الجدي ، متوفرة في صفوفها الى حد كبير .

نتابع تطور الموقف الفلسطيني في الداخل مع بعض التركيز على العوامل التي تحكمت في هذا الموقف قبل وبعد ان اعلنت السلطات الاسرائيلية عن نيتها باجراء الانتخابات :

أ — وجدت مجموعة « الوجهاء » ورؤساء البلديات ومن حولهم نفسها في موقف مشابه لوضع الحكم الهاشمي ، لذلك كانت ردة فعلها الاولى هي معارضة الانتخابات ، خشية على مواقعها وامتيازاتها وبادرت بالتعبير عن ارادتها في مقاطعة الانتخابات ، وعلقت « عال همشمار » على هذا الموقف معبرة عن راي سلطات الحكم الاسرائيلية ، بتاريخ ١٩٧٢/٢/٣ قائلة : « . . . كان رد الحكم ، انهم اذا كانوا لا يريدون ترشيح انفسهم ، فباستطاعتهم ان يفعلوا ذلك . ولكنهم يجب الا يشوشوا على الانتخابات . وعندما تم التوضيح لهم ان السلطة مصرة على اجراء الانتخابات ، بدأ الجليد يذوب ، في اللقاءات المتكررة وخارجها . . »

ب — ومنذ البداية برز بعض التمايز في اطار هذا الموقف ، وربما كان حمدي كنعان (رئيس بلدية نابلس السابق) خير من يعبر عن هذا التمايز . نورد هنا بعض المقتطفات من حديثه الى صحيفة الانباء (الناطقة بلسان وزارة الدفاع الاسرائيلية) بتاريخ ١٩٧٢/٢/١١ : « عندما ناديت بالانتخابات انما فعلت ذلك عن قناعة بأن مصلحة الشعب تقتضي تغيير الهيئات المالية وقد تأيد هذا النداء بصوت شعبي قوي صدر بمقالات نشرت على صفحات الجرائد العربية وانه لبديهي ان ليس للهيئات الحالية اي مبرر لاستمرارها بعد مضي ٩ سنوات على انتخابها وكان لا بد من اعطاء الجيل الجديد حقه في المشاركة في الحياة العامة واقتراحي باجراء الانتخابات لا يعني بأي حال بانني قصدت ترشيح نفسي » . وردا على سؤال اخر يجيب : « اني لا ارى — جازما — اي خطوة سياسية في اجراء الانتخابات البلدية لانه لا حق للبلديات في بحث امور سياسية او الاقدام عليها وعندما قلت ان الاحتلال فرض على البلديات واجبات غير الخدمات المدنية فان هذه حقيقة يلمسها كل فرد منا ومنها المحافظة على مصلحة الجمهور تجاه الحكم العسكري من أي امر يهم الجمهور جماعة أو افرادا وليس من هذه الامور — قطعا — الحلول

السياسية » . وفي مكان آخر يقول : « . . . وكـل امر يجب ان نعمله حسب ارباحـه وخسائره فاذا ما حللنا مضار الانتخابات وحسناتها لرجحت الحسنات على السيئات بكل تأكيد وعندما يصفها البعض بأنها مؤامرة لتصفية القضية الفلسطينية فانه يتجاهل كثيرا من الامور الواقعية التي حققها الاحتلال ومنها الدمج الاقتصادي وضم القدس والتنقل بين الضفتين وانشاء المستوطنات وتحقيق التعايش بين الشعبين وغير ذلك . ان أي واحدة من هذه الحقائق اخطر بكثير من الانتخابات ولكن بما انها حصلت نتيجة براعة المحتل ولم يكن لنا حيلة في دفعها سكتنا عنها واصبحت شيئا عاديـا ومن وجهة نظري فانني لا أرى في الانتخابات ما يؤثر من قريب أو بعيد على القضية الفلسطينية واني لا ارى فيها الا عملية ترميم لاوضاعنا الداخلية فلم يبق بيدنا من المؤسسات الاهلية الرسمية غير البلديات التي تحمل مسؤوليات اضافية فرضتها ظروف الاحتلال ولذا فان من مصلحة الشعب أن تكون هذه المجالس على مستوى المسؤولية » .

جـ ـ اما بالنسبة للمناطـق المختلفة فقد تبين تدريجيـا ان من يقف وراء دعوة اجـراء الانتخابات مجموعة معروفة بمواقفها السابقة والداعية الى التعايش بشكـل مشبوه وتحريضي : حلمي العبوشي في منطقة جنين ، عزيز شحاده في منطقة رام الله ، محمد ناصرية (وهو صحافي) في منطقة اريحا ، ايوب مسلم في منطقة بيت لحم .

د ـ تولت جريدة « الانباء » التي تصدر في القدس والتي تعبر عن راي وزارة الدفاع الاسرائيلية ـ مجندة مجموعة من المحررين المشبوهين ، تولت عملية التغطية الكاملـة لاخبار الحملات الانتخابية ـ وكانت تقاريرها وتعليقاتها منصبة كلها طيلة شهر كـانون الثاني وشباط على الدعوة للانتخابات وعلى ابراز « نزاهة » الترتيبات الاسرائيلية لها . نورد فيما يلي بعض المقتطفات من هذه الجريدة : تحت عنـوان « رسالة الى مرشح » وبتاريـخ ١٩٧٢/١/١٨ كتب فؤاد جبر : « . . . أن مسؤولية المرشح في هـذا الوقت بالذات ليست كما كانت عليه في السابق ، سواء في العهد الاردني ، او خلال السنوات التي تلت حرب ١٩٦٧ . فلم تعد المشاريع الداخلية فقط ـ فتح وتعبيد الطرق وجبايـة رسوم المياه ـ المهام الملقاة على عاتق المجالس البلدية ، بل ان هناك أمورا أهم من هذا بكثير مثل الادارة المحلية ، وتحمل مسؤولية القيادة بكاملها ، وتمثيل المواطنين في جميع المجالات . . . » . تقرير من مراسل « الانباء » محمد عميره في ٧٢/١/٢٠ : « . . . وعلم ان عدد الناخبين في جنين هو ١٤٥٧ ناخبا وفي يعبد ٥٤٩ ناخبا وستقوم اللجان باعـلان الاسماء أمام المحلات العامة بغية مراجعتها والطعن فيها خلال المدة القانونية . . وقد بلغ عدد الناخبين في نابلس حوالي ١٣٨٠٠ ناخب (في تقدير لدافار ٧٢/٢/١٨ ، حوالي ٦٥٠٠ ناخب في نابلس) . ويفيد مراسلنا في « قلقيلية » انه انتهت يوم ٧٢/١/١٩ عملية تسجيل الناخبين وقد بلغ عدد الاشخـاص الـذين يحق لهم الاقتراع حـوالي ٢٠٠٠ ناخب . . . . »

وكذلك تعليقات عديدة لمحمد ابو شلباية بتاريـخ ١٩٧٢/١/٢٨ ، وليوسف عبد المجيد بتاريخ ٧٢/١/٣١ ، ولاحمد برهم ٧٢/١/٢٧ . ولعبد الحميد ابو النور في ٧٢/١/١٤ ، ولفؤاد جبر بتاريخ ٧٢/١/١١ . ولعديدين غيرهم .

هـ ـ ويفيد تقرير ورد مؤخرا (١٩٧٢/٢/٢٦) بأن بعض الاسماء بدات بالظهور كمرشحين محتملين ، منهـا فعلا الشيخ احمـد الحنبلي ، وهو معروف بتعاونه مع السلطـات الاسرائيلية ، والحاج رحمن طوقان ، وروحي الشخشير .

و ـ وتبقى المجموعات الرئيسية من الجماهير التي ربما تفرض عليها عملية الذهاب للانتخابات وهي حائرة في أمرها ، عاجزة عن فعل أي شيء برغم ادراكها لخطورة مـا يجري .

٤ ــ **موقف المقاومة الفلسطينية** : لم تكن أمام حركة المقاومة الفلسطينية ، فيما يتعلق بقضية الانتخابات البلدية ، أية خيارات او بدائل لموقفها . ان الموقف المتاح الوحيد والذي ينسجم مع منطلقات واستراتيجية المقاومة ، هو مقاومة الانتخابات والعمل على ارباكها واحباطها ، اذ انه ، مع الادراك العميق للمعضلات التي يتعرض لها شعبنا في الداخل وللمشاكل الحياتية اليومية التي تعترض وتيرة حياته المدنية ، وكذلك مع الفهم الواعي لحقيقة ما تمثله المجالس البلدية ، من انها انما لا تتعدى مهمات الحراسة والكناسة والمياه والكهرباء وغيرها من هذا القبيل ، في طيات أي اجراء مثل الانتخابات البلدية ، يصدر عن عدو مدرك لخطواته ومداها ، تكمن نوايا انتزاع الشرعية وحق التمثيل من أجل غايات واهداف ابعد مدى مما تدل عليه ظواهر الامور . بالنسبة لحركة المقاومة فان المقولة « بأنه لا شرعية في ظل الاحتلال الا للمقاومة » تظل هي الرائدة وهي الدليل للعمل وللتحرك . ولا نريد في هذا المجال أن نخوض في تفاصيل الخطوات التي اتخذتها المقاومة لمجابهة الانتخابات البلدية ، وانما نكتفي بالاشارة الى ان حركة المقاومة قد تأخرت في التحرك ، وتأخرت كثيرا . وصحيح ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وقفت مطولا في اجتماعاتها الاخيرة (شباط ١٩٧٢) أمام الموضوع ، واصدرت بيانا يشجب الانتخابات ويبين المخاطر الكامنة وراءها ، الا انه من الواضح ان هناك سيلا من الاجراءات كان من المفترض اتخاذها منذ وقت طويل (في صدر الانتخابات وفي صدر غيرها من الامور) .

اضواء على معنى الانتخابات والاهداف الكامنة وراءها

تمثل الانتخابات البلدية الامور التالية ، باختصار : أ ــ ان الانتخابات بحد ذاتها لا تشكل الخطر الاكبر على القضية الفلسطينية ، انها خطوة « تجريبية » أولى نحو اجراءات اشد خطورة . ب ــ انها لا تعبر عن راي شعبنا في الداخل ، ولا حتى تمثل قيمة الاستفتاء على اساس العينة (يبلغ العدد التقريبي للذين يحق لهم الانتخابات حوالي ١٧،٠٠٠ نسمة فقط في بحر تعداد سكان واسع يبلغ حوالي ٦٤٠٠٠٠ نسمة) . جـ ــ حتى لو نجح العدو الاسرائيلي في اجراء الانتخابات ، فانه لن ينتزع حق التمثيل ، ويظل تحرك المقاومة بعد هذه الخطوة واردا وعلى درجة كبيرة من الاهمية .

أما اهم الاهداف الاسرائيلية الكامنة وراء اجراء الانتخابات فهي : أ ــ ابراز مجموعات ووجوه جديدة على رأس البلديات في الضفة الغربية ، تكون بحكم واقعها وبحكم السنين الطويلة « وتقادم الامر الواقع » ، طيعة في التعاون معه في اتجاه مخططاته ومآربه في المناطق المحتلة . ب ــ الارتكاز على الكيفية التي تكون الانتخابات قد تمت في ظلها ، للظهور أمام العالم ، في وجه ديموقراطي يحكم في مناطق مستقرة ومؤيدة لاحتلاله . جـ ــ بعد مرور فترة من الزمن ، وبعد سلسلة متدرجة من الخطوات والاجراءات في اتجاه « تمتين » وضع الذين يكونوا قد برزوا ، تحضير الاجواء من اجل اعطاء هؤلاء حق التفاوض والتباحث باسم الشعب الفلسطيني . د ــ الابقاء على هذه الورقة في يده لتخدم خطواته في صدد العلاقة مع الاردن أو أية دولة عربية ، في ضمن احكام أية تسوية سياسية يمكن أن تسود المنطقة .

بمناسبة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : اسرائيل ولعبة "البنج بونج"

الدكتور منذر عنبتاوي

خلال شهر نيسان ١٩٧١ وجهت دعوة مفاجأة من حكومة الصين الشعبية الى لاعبي كرة طاولة (بنج بونج) اميركيين كانوا في اليابان يشاركون في بطولة اللعبة العالمية لزيارة الصين . وحيث ان تلك كانت اول مرة يدعى فيها امريكيون لزيارة الصين منذ نجاح الثورة الاشتراكية فيها عام ١٩٤٩ فقد اعتبرت تلك بادرة مشجعة لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة شغلت بها طويلا اوساط العالم السياسية والعلمية والصحافية . وقد أطلق على هذه البادرة تعبير دبلوماسية « البنج بونج » أو الدبلوماسية الشعبية وهي تعني محاولة التقرب من الشعوب أو من أفرادها بقصد احداث انطباعات او تأثيرات أو ضغوط عامة في اتجاه سياسي معين او بهدف التدليل على حسن النية والرغبة في خلق الاتصالات او احيائها بين دولتين لا تربطهما رسميا اية علاقة . وما تلى ذلك وليس بالضرورة نتيجة كلية له ، على صعيد العلاقات الصينية الاميركية هو من الامور التي لا تحتاج الى شرح أو بيان كما أنه ليس بذي صلة بالموضوع .

والجديد في دبلوماسية البنج بونج أو الدبلوماسية الشعبية بالمعنى السابق هو اسمها فقط . أما بالنسبة للمضمون فهو ليس بهذه الجدة . وقد سبق ان تميزت به مداخل اسرائيل الاعلامية في جميع أنحاء العالم وبشكل خاص في الدول التي رفضت حكوماتها اقامة العلاقات الدبلوماسية معها او مؤازرتها في سياساتها ومواقفها ازاء القضية الفلسطينية . بل انها اعتمدت هذه الدبلوماسية اذا صح التعبير ازاء الشعوب العربية وهو أمر كان ولا يزال يبدو واضحا في اعلامها الاذاعي . كما ان الكثيرين من ابناء البلاد العربية مروا بتجارب مثيرة خارج الوطن العربي وحتى قبل حرب حزيران ٦٧ بزمن طويل مع محاولات اسرائيلية للتقرب اليهم لاغراض متعددة منها كسر ثلج العزلة الذي يفصل اسرائيل والاسرائيليين عن المجتمع العربي . وقد كان هم اسرائيل الاكبر منذ قيامها ان تحصل من هذا المجتمع ليس على وثيقة اعتراف او توقيع على معاهدة صلح ولكن على قبول أو اقرار واقعي من هذا المجتمع بالوجود الاسرائيلي وتعايش فعلي معه . وكان المفتاح الى ذلك ولا يزال هو التوصل الى تكوين الحالة الفعلية والنفسية لدى الانسان العربي اللازمة لمثل ذلك القبول او الاقرار « بأنها هنا لتبقى » وبالتالي التعايش الفعلي معها .

وقد كانت اسرائيل ، ولا تزال ، تدرك ان العقدة الاساسية التي تحتاج الى حل هي الشعب الفلسطيني والذي كانت غالبيته العظمى حتى حزيران ١٩٦٧ تقيم خارج المناطق التي انشئت عليها . وطوال الفترة السابقة على تلك الحرب كانت اسرائيل تأمل في ان يجري حل هذه العقدة من خلال مشاريع الاستيطان او من خلال استمرار العزلة التي فرضتها معظم الدول العربية المضيفة ، عن قصد او عن غير قصد ، على تحركات

الفلسطينيين وانتقالهم من قطر الى آخر من اقطار الملجأ . وكانت العقدة الفلسطينية تبدو بالمنظار الاسرائيلي عشية حرب ١٩٦٧ اكثر تعقيدا من أي وقت مضى بفضل بروز المقاومة الفلسطينية من جديد . الا ان تلك الحرب قد أدت ، ضمن ما أدت اليه ، الى خضوع مليون آخر من أبناء فلسطين لحكم اسرائيل . وبالرغم من أن ذلك قد أثـــار مخاوف الكثيرين من الاسرائيليين الا أنه أثار في نفس الوقت اهتماما خاصا لدى المؤسسة الحاكمة والعاملين في صمت للتخطيط لها . فلقد تصور هؤلاء أن بامكان اسرائيل الان أن تحل العقدة الفلسطينية بنفسها بعد وقوعها فريسة بين أنيابها .

ولعل مما يؤسف له ان تحصر اجهزة الاعلام العربية الحكومية وغير الحكومية اهتمامها بما يجري في المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧ باجراءات اسرائيل القمعية والتعسفية وانتهاكاتها المتكررة لحقوق الانسان والمواثيق الدولية في معاملتها لرجال المقاومة والمواطنين الذين تشك في تعاونهم معهم وكذلك في غاراتها الانتقامية على اراضي الدول العربية المحيطة غافلة عن البحث عن الوجه الآخر الليبرالي المظهر لسياسة الاحتلال الاسرائيلي ازاء سكان المناطق المحتلة ، خاصة في الضفة الغربية ، والتطبيقات العملية لهذه السياسة والاهداف البعيدة التي تتوخاها منها .

ولقد رأينا ، بمناسبة ما أعلنته الحكومة الاسرائيلية عن عزمها على اجراء انتخابـات بلدية في الضفة الغربية المحتلة ضرورة بحث الاهداف التي تتوخاها اسرائيل من هـذه البادرة بغض النظر عن مشروعية أو عدم مشروعية هذا الاجراء من الناحية القانونية . فالاعتبارات القانونية غير واردة في أذهان حكام اسرائيل او حتى في اذهان رجال السياسة الذين يتولون بالنيابة عن دولهم مسئولية الحفاظ على الامن والسلم الدوليين في مجلس الامن الدولي . وخلافا لما ذكرته الحكومة الاسرائيلية عند اعلانها عن هذه الانتخابات من أن الغاية منها هي تنفيذ أحكام قانون البلديات الاردني فان هذا الاجراء يجب أن ينظر اليه كجزء من سلسلة من الاجراءات نفذتها اسرائيل منذ نهاية حرب حزيران ١٩٦٧ ضمن ما يمكن تسميته مجازا بالدبلوماسية الشعبية الاسرائيلية ازاء سكان الضفة الغربيـة . وقبل ان نتعرف على الاهداف القريبة والبعيدة والنهائية التي تعمل هذه «الدبلوماسية» في خدمتها نورد فيما يلي نماذج عن بعض مظاهرها منذ نهاية حرب ١٩٦٧ : ١) ابقاء الجسور مفتوحة بين الضفتين وتسهيل خروج السكان ودخولهم منها ضمن قيود معينة جرى التخفيف منها مؤخرا بحيث أصبح في مقدرة ساكن الضفة الغربية أن يحصل ابتداء من ٧٢/١/٢٥ على وثيقة سفر صالحة لمدة سنة . ٢) اجازة دخول الاراضي المحتلـة سابقا (قبل ١٩٦٧) بأذون خاصة في باديء الامر ودون أذون وعلى مدار السنة ابتداء من ١٩٧١/٧/١ . ٣) السماح لابناء المناطق المحتلة المقيمين في الخارج بزيارة اقاربهم أو اصدقائهم داخلها خلال الصيف منـذ الاحتلال وحتى ١٩٧٢/١/٢٥ ، وللفلسطينيين عموما المقيمين في البلاد العربية بزيارة الضفة الغربية طوال العام اعتبارا من التاريخ المذكور . ٤) السماح للعمال العرب بالعمل في مجالات متعددة داخـل اسرائيل . ٥) السماح لابناء الضفة الغربية بتصريف منتجاتهم الزراعية والصناعية في الضفة الشرقية او عبرها . ٦) ادارة البلاد ، فيما عدا الشئون المتصلة مباشرة بالأمن ، مـن خلال الموظفين العرب الاعضاء اساسا في جهاز الدولة الاردنية والسماح لهـؤلاء باستمرار قبض رواتبهم الاردنية رغم منحها لهم رواتب مساوية لها . (اوقفت الحكومة الاردنية مؤخرا صرف الرواتب لمن يتأكد لها أنه يقبض راتبه من السلطات الاسرائيليـة) . ٧) الابقاء على المجالس البلدية التي كانت قائمة عند وقوع الاحتلال والسماح لها بممارسة اختصاصاتها والسماح للمرشحين للانتخابات التي أعلنت عنهـا بالقيـام بالحملات الانتخابية عن طريق الاجتماعات العامة وغيرها ابتداء من ١٩٧٢/٢/٨ . ٨) الافراج عن معظم الفدائيين الذين اخترقوا خط وقف النار مع الاردن عقب احداث تموز ١٩٧١ في

الاردن ، بعد الاعلان عن تقديم « التماسات » من بعض وجهاء الضفة الغربية ورجال الدين فيها للسلطات الاسرائيلية للافراج عنهم .

من الواضح ان أهم الاهداف القريبة لمعظم هذه الاجراءات الليبرالية المظهر هو ازالة عوامل المقاومة لدى السكان الخاضعين للاحتلال . فقد ورد في كتيب صادر عن منسق العمليات الحكومية في المناطق المدارة في وزارة الدفاع الاسرائيلية الجنرال جازيت صادر في يونيو ١٩٧٠ ان اسرائيل حاولت منذ بداية الحكم العسكري لهذه المناطق ان تتبع سياسة اعادة الحياة الى طبيعتها في هذه المناطق كما كانت عشية الخامس من حزيران ١٩٦٧ . كما ورد فيه ان تلك السياسة تتمثل في مبادىء ثلاثة هي عدم الوجود ، وعدم التدخل ، والجسور المفتوحة ، ويقول الجنرال جازيت في شرحه لهـذه المبادىء ما يلي:

عدم الوجود : ان السلطات الاسرائيلة ادركت أن أي وجود لها كالمباني العسكرية والعلم الاسرائيلي ودوريات الحراسة وغيرها يمكن أن يؤدي الى صدام بين السكان وهـذه السلطات . ولذلك « قررت الاختفاء من الاقليم ما أمكن » .

عدم التدخل : وضعت اسرائيل النشاط الاقتصادي والاداري بأيد عربية وتقف السلطات بعيدا بحيث يقتصر نشاطها على تقرير الموازنة للعمليات المختلفة . وفيما عدا القطاعات التي يكون لها تأثير على الاسرائيليين كالصحة والاعمال الاقتصادية التي قد تضر بالاقتصاد الاسرائيلي فان الحكم الاسرائيلي « لا يتدخل ولا يحاول ان يفرض اي شيء على السكان ضد ارادتهم » . ويضيف الجنرال جازيت الى ذلك ان هدف الحكم العسكري من حيث المبدأ يمكن أن يلخص « في ضمان أن تتم ولادة العربي في المستشفى وحصوله على شهادة البلاد ونموه وحصوله على التعليم والزواج وتربية أطفاله والى ان يصل سن الشيخوخة دون مساعدة اي موظف حكومي اسرائيلي وحتى دون أن يقع نظـره على واحد من هؤلاء » .

الجسور المفتوحة : وهي « اوضح مظاهر سياسة اعادة الحياة الى مجراها الطبيعي ». وقد تكون هناك مخاطر قليلة نسبيا من جراء تجدد الاتصال بين عرب المناطـق المدارة والعرب في الدول المحيطة ، الا « أن المكاسب من وراء فتح الجسور تفوق الخسائر » . وابتداء ، فان اسرائيل كانت خلال العشرين سنة السابقة « راغبة في الابقـاء علـى « الحدود » البرية مفتوحة مع البلاد العربية » . ويتبع ذلك اذن ان اسرائيل « لن تكون البادئة باغلاقها » . واولى الخطوات التي اتبعت في هذا الشأن كانت تجديد النشاطات التجارية . فالمحصولات الزراعية اتجهت الى اسواقها الطبيعية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية . كما سمح باستيراد البضائع التي تنبع مصادرها الطبيعية من الضفة الشرقية . الخطوة الثانية تمثلت في السماح للسكان باختراق خطوط الهدنة فيما عدا اولئك الذين يمنعون لاسباب امنية . والخطوة الثالثة تمثلت في السماح بالزيارة مـن الخارج بناء على اذن مسبق بذلك .

هذا ما قاله الجنرال جازيت شارحا المبادىء التي تقوم عليها سياسة ادارة الاحتـلال في اعادة الامور الى ما كانت عليه عشية حرب ١٩٦٧ . ومع انه ليس في نيتنا ان نقوم هنا بعملية تقييم لمدى نجاح سياسة الحكم الاسرائيلي في المناطق المحتلة الا اننا نود ان نشير هنا الى ان اهم ما يمكن ان يساعد على نجاح اسرائيل في سياسة عدم الوجود مثلا هو التنظيم الخاص لقواتها المسلحة الذي يمنحها القدرة على الحركة السريعة والانتقال ضمن اقليم فلسطين محدود المساحة وعبر طرقها الجيدة خلال وقت قصير جدا الى اي مكان قد تدعو حاجات الامن الى وجودها فيه .

تلك هي اذن الاهداف القريبة لهذه السياسة الليبرالية المظهر ، تبقى اهدافها البعيدة . ومن أجل ايضاحها احيل القارىء على كتيب آخر صادر في لندن هذه المرة عن الجمعية

الانجليزية الاسرائيلية في يناير ١٩٧١ وهو بعنوان : اسرائيل والفلسطينيون . ويشتمل الكتاب على دراستين هامتين . واهميتهما تنبع اولا من اهمية المعلومات الواردة فيهما وثانيا من المركز الذي شغله كل من كاتبيهما قريبا من مواقع الحكم العسكري الاسرائيلي وثالثا لان احداهما تبدو مكملة في مضمونها وأبعادها للاخرى . والدراستان هما في الاساس محاضرتان القيتا امام الجمعية المذكورة في لندن خلال عام ١٩٧٠ . اولى الدراستين بعنوان « تجربة في التعايش » . ومؤلفها اقتصادي اسرائيلي يدعى دان بافلي عمل بعد حرب حزيران مباشرة كمستشار اقتصادي اول للحكم العسكري في المناطق المحتلة بعد أن خدم كضابط ركن خلال تلك الحرب . وقد أشار بافلي في دراسته الى مجموعة من الابحاث والدراسات بشأن المناطق المحتلة وسكانها سبق تقديمها الى الحكومة الاسرائيلية . اما الدراسة الثانية فهي بعنوان « مواقف سياسية في الضفة الغربية » . ومؤلفها هو دافيد فارحي المحاضر في كلية الدراسات الشرقية بالجامعة العبرية ومستشار الجنرال دايان للشئون العربية .

وقد رأيت أن اقدم أولا ، دون تعليق ما أمكن ، مقتطفات من هاتين الدراستين ومما ورد في اولاهما من اشارات الى دراسات اخرى لسببين : اولهما لانهما تعكسان التفكير الصهيوني الاسرائيلي لاشخاص في مستوى عال من المسئولية في المؤسسة الحاكمة في الفترة التي تلت الانتصار الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ . وثانيهما لانهما تعكسان ما يمكن اعتباره خطة متكاملة بدليل الترابط الوثيق بين الافكار الواردة فيهما وفيما أشير اليه من دراسات في احداهما من ناحية وبين تلك الافكار والاجراءات التي سارت اسرائيل ولا تزال تسير عليها في ادارتها للمناطق المحتلة . وسأحاول ان ابين سلامة هذا الاستنتاج في الجزء الاخير من هذه المقالة .

يقول بافلي في دراسته « تجربة في التعايش » ان من بين الدراسات العديدة التي قدمت الى الحكومة الاسرائيلية فور انتهاء الحرب والتي استعملتها الحكومة منذ ذلك الوقت تلك التي وضعها الكولونيل احتياط يوفال نيئمان استاذ الفيزياء « اللامع » في جامعة تل ابيب والتي تضمنت مشروع خطة اولية للتسوية السياسية يشمل فيما يشمله انشاء كيان فلسطيني . ومع ان بافلي لم يضف الى ذلك شيئا بشأن هذه الدراسة « التي استعملتها الحكومة الاسرائيلية » او بشأن « الخطة الاولية للتسوية السياسية » الا ان كل ما كشفه من امور بعد ذلك توحي بأن دراسة نئيمان كانت القاعدة التي تم فوقها بناء خطة متكاملة لفرض « السلام الاسرائيلي » على الشعب الفلسطيني . ففي ٦٧/٦/١٢ قدم باروخ يكوتيلي من بنك لئومي والذي عمل بتكليف من موشه دايان كمسئول عن التنسيق الاقتصادي للضفة الغربية دراسة اكثر تفصيلا من سابقتها مستعينا في وضعها بالمدعو عزرا دانين الذي « يتمتع بصداقات حميمة » في الحكومة الاسرائيلية . وقد شملت هذه الدراسة كما يقول بافلي النواحي السياسية والمقترحات العملية المتصلة باقتصاد الضفة الغربية وموضوع العمالة فيها وكذلك خطة لتوطين اللاجئين* وقال انه في الوقت الذي نقلت فيه هذه المقترحات والمخططات الى الجهات المختصة عكف الخبراء والموظفون الكبار في الادارة العسكرية على العمل لمواجهة المشاكل الملحة العاجلة وأهمها الوصول بالحكم العسكري الى مستوى يضمن للسكان في الاراضي المحتلة « مستوى من المعيشة يعادل على الاقل ذلك المستوى الذي بلغوه في ظل الحكم الاردني » . ومن أجل ذلك قررت الحكومة الاسرائيلية ان تخلق العمل للعمال الفلسطينيين ... مع ادراكها أن البطالة اذا كانت شديدة فانها تصبح « سببا في متاعب ومشاكل اقتصادية وأمنية ».

---

* ذكرت صحيفة الجيروزاليم بوست الصادرة في ١٩٦٧/٦/٢٢ ان اسرائيل ، بانتظار عقد اتفاق سلام مع الدول العربية ، في صدد انشاء هيئة خاصة تدعى مصلحة اعادة توطين واسكان اللاجئين .

والجديد ظاهريا في هذه الدراسة الثانية كما هو واضح هو موضوع توطين اللاجئين الذي يبدو وكأنه متلازم مع انشاء الكيان الفلسطيني طبقا للخطة الاولية التي اعدها البرفسور نئيمان . كما يبدو ان التوطين كما يفكر فيه المخططون الاسرائيليون هو اولا نقل اللاجئين من قطاع غزة الى الضفة الغربية ثم « توطينهم » (بمعنى ترويضهم) مع سكان الضفة الغربية ، بما فيها من لاجئين ، على القبول بواقع اسرائيل والتعايش معه وان مدخلهم الى ذلك هو رفع مستوى معيشتهم من ناحية والتلويح لهم باستعدادها لاحترام قدر « معقول » من آمالهم الوطنية . ويقول بافلي ان « استمرار التعايش بين الفلسطينيين واسرائيل ، على افتراض استمرار حرية التجارة والانتقال بغض النظر عن التسوية السياسية النهائية ، يتطلب زيادة سريعة في الدخل الفلسطيني وان ذلك كان هدف مذكرة ثالثة قدمت الى رئاسة الوزارة الاسرائيلية في تموز ١٩٦٩ » . وهذه المذكرة الثالثة ذات اهمية خاصة لاكثر من سبب . فهي تنطلق من نفس المنطلقات التي تميزت بها المذكرتان السابقتان وتضيف اليهما من التفصيلات او التعديلات بقدر ما يجعلهما متممة لهما من حيث التخطيط واقرب الى التحقيق من حيث التنفيذ . وقد تضمنت هذه المذكرة برنامجا أعدته « جماعة ريحوفوت » التي اسسها عاموس دي شاليت الذي كان قبل وفاته مؤخرا أحد ابرز علماء معهد وايزمن بالتعاون مع باروخ يكوتيلي السابق الاشارة اليه . (وتضم هذه الجماعة مجموعة من علماء المعهد بالاضافة الى بعض اساتذة جامعتي القدس وتل ابيب وعددا من كبار موظفي الحكومة) .

لعل أبرز ما في هذا البرنامج الذي قيل بأنه « يستهدف تطوير المناطق المحتلة اقتصاديا ويؤدي الى خلق عوامل السلام والعلاقات الطبيعية بين اسرائيل وجاراتها » ، انه يتوقع ان تتضمن نتائجه « المساعدة على حل مشكلة اللاجئين » . وان عامل الوقت في تنفيذه « هو في غاية الاهمية » . كما يلفت النظر ان من اهداف البرنامج قصيرة الامد « زيادة حركة العمل خاصة من قطاع غزة الى الضفة الغربية » . وان من شأن نجاحه ان يجعل من الضفة الغربية بمثابة « هونج كونج الشرق الاوسط » وتطوير مينائي أسدود وغزة « بحيث ينافسان مرفأ بيروت لاغراض الترانسيت من والى الاردن » . كما يشير الى ضرورة البحث عن « الوسائل الكفيلة لخلق سياسة فتح الجسور مع لبنان على غرار ما هو قائم مع الاردن » .

والسؤال بعد ذلك يدور حول البرنامج العملي الذي يمكن ان يحول الضفة الغربية الى مستعمرة اسرائيلية على غرار « هونج كونج » أو الى محمية اسرائيلية على أحسن تقدير ، وكيف يمكن ان يتم ذلك برضاء وتقدير سكان هونج كونج الفلسطينيين وموافقة الدول (الصينية الشعبية) العربية الضمنية . والجواب يبدأ ، كما أدركته سرائيل دوما، بالفلسطينيين ولكنها اليوم ترى مدخلا آخر للتعامل معهم . فقد وضعت جماعة ريحوفوت برنامجا مفصلا من شأنه ، اذا تحقق ، ليس فقط ان يرفع مستوى معيشة ابناء الضفة الغربية بل ويقلل من الفارق الكبير بين مستوى المعيشة لديهم ومثيله الاسرائيلي وذلك بغرض التوحيد بين الاقتصاد الاسرائيلي واقتصاد الضفة الغربية او بمعنى آخر اخضاع اقتصاد الضفة الغربية كلية لمتطلبات الاقتصاد الاسرائيلي. ويتحدث البرنامج ، بالقدر الذي نشره بافلي في دراسته ، عن مشاريع متعددة صناعية واقتصادية وزراعية وسياحية بالاضافة الى مشاريع متعددة تتصل بقطاع الخدمات العامة من طبية وغيرها ، ترك جماعة ريحوفوت ضرورة تنفيذها وان تطلب الامر بمعونات مالية اجنبية . ويقول بافلي بأن هناك دلائل على ان برنامج جماعة ريحوفوت قد ترك أثره في نفس جولدا مائير . فقد عهدت عند تشكيل حكومتها في كانون الثاني ١٩٦٩ الى الوزير شمعون بيريز « مسئولية الاهتمام بالفلسطينيين » . ويتعاون بيريز في ذلك مع جماعة

ريحوفوت علما بأن احد اعضائها ايحود افرييل يعمل في نفس الوقت مستشارا رسميا له وكذلك مع باروخ يكوتيلي الذي لعب دورا هاما كما لاحظنا في اعداد معظم الدراسات التي قدمت للحكومة الاسرائيلية بشأن معالجة العقدة الفلسطينية في الاراضي المحتلة . وسواء صح ما يقوله بافلي من أن جماعة ريحوفوت رأت ان لا تقترح اية حلول سياسية كيلا تحرج الحكومة فقد تولى هو أيضاح بقية الخطوات في الطريق الى الحل الاسرائيلي. ويبدأ بالقول بأن « كل انسان يعلم انه من المستحيل اكـراه الفلسطينيين علـى حب اسرائيل » . ويؤكد أن معاهدة الصلح لا تضمن ، بحد ذاتها ، الامن في الشرق الاوسط. « ان المشكلة الاساسية تدور حول خلق حالة ذهنية من شأنها ان تزيد امكـانية الثقة المتبادلة وارادة التعايش » . . . وان السنوات الثلاث الاخيرة « شهدت بداية بعـض التعايش الا ان الامر يحتاج الى مزيد من المبادرة الاسرائيلية نحو حل موضوعين هما في الاساس يكملان بعضهما بعضا : اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين وانشـاء الكيان الفلسطيني » .

ويرى بافلي ، خلافا لرأي البعض في اسرائيل ، ان حل مشكلة اللاجئين بصفة منفصلة وقبل التوصل الى تسوية كاملة « له حسناته النفسية والاقتصادية والسياسية » كما يقول بان برنامج التوطين يجب ان يضمن الاستفادة من التعويضات في «اقتصاد منتج». أي أن القسم الاكبر منها يجب ان يعطى في شكل بضائع ومعدات صناعية وان يتم ذلك من خلال « مؤسسة استثمار » تكون اسرائيل « قادرة على توجيه سياستها » وتحصل على جزء كبير من تمويلها من « قروض رخيصة أو هبات تقدم من الاقطار الغربية » . وان « من المعتقد ان جزءا من هذه الاموال متوافر حاليا بالفعل » . ويرى بافلي أن نظام المؤسسة يجب ان يتضمن ، ضمن أشياء اخرى ، تقديم تعويض كامل لعرب القـدس الشرقية (التي ضمتها اسرائيل رسميا بعد حزيران ١٩٦٧) عن ممتلكاتهم في «اسرائيل» وبطريقة مماثلة « لغيرهم من المواطنين الاسرائيليين » . وان التعويض يجب أن يقدم في مكان الاقامة الحالي للاجئين لانه اذا حصر باللاجئين الخاضعين لاسرائيل فان ذلك سوف يؤدي الى « زيادة الضغط من غيرهم من اللاجئين للعودة من أجل الاستفادة من هـذا التعويض » كما يجب ان يقدم « تعويض نقدي كامل للاجئين الذين يختارون الهجرة من الشرق الاوسط » . ويختم بافلي حديثه عن التوطين بقوله ان « التحسين التدريجي لمستوى المعيشة واستمرار التجارة الحرة عبر الحدود من شأنها في المدى الطويل ان تجعل من الممكن تطوير سوق مشتركة شرق أوسطية تشترك فيها كل من الاردن والضفة الغربية واسرائيل وربما لبنان » .

الى جانب التوطين يرى بافلي ، كما يرى واضعو الدراسات السابق ذكرها ، ضرورة قيام اسرائيل بالعمل على خلق الكيان الفلسطيني . وتمهيدا لشرح الخطوات الـلازم اتباعها لتحقيق هذا الغرض يعرض مثالا غريبا يعتقد ان بالامكان الاستعانة به في تمثل الكيان الفلسطيني العتيد . والمثال على أي حال قريب من « هونج كونج » جغرافيا وسياسيا .

يقول بافلي « انه لا يوجد في التاريخ المعاصر علاقات شبيهة بتلك القائمة بين اسرائيل والعرب في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة . الا أنه من الممكن الاستفادة من السابقة التي وضعها الاميركيون في علاقاتهم مع اليابان بعد احتلالها في العام ١٩٤٥ . فقـد ساعدت الحكومة العسكرية الاميركية اليابانيين في اعادة تنظيم نظامهم الاقتصادي ومؤسساتهم المدنية لخلق حكومة ديمقراطية مستقلة . ولم يوقع الاميركيون معاهدة صلح مع الحكومة اليابانية الا في العام ١٩٥٤ أي بعد تسع سنوات من الاحتلال وبعد اجراء انتخابات حرة . وحتى اليوم فان الاميركيين لا يزالون يحتفظون بقوات عسكرية دفاعية في اليابان . كما ان لديهم فيها قواعد عسكرية وبحرية . وبالرغم من هذا الوجود

الاميركي فان احدا لا يشك في المعافاة اليابانية الكاملة او في وفرة ما لديهم واستقلالهم عن الاميركيين في كافة الامور بما في ذلك السياسة الخارجية والمجالات الاقتصادية وغيرها » . واذا كان من المؤكد ان كثيرين يشكون في مدى استقلال النظام الياباني القائم عن الاميركيين بمن فيهم قطاع كبير من الشعب الياباني نفسه فان هذا ليس موضوع البحث . المهم هو النموذج الياباني الذي يجب ان تلوح به اسرائيل تمهيدا لانشاء الكيان الفلسطيني كما يحاول ان يصوره بافلي في تلك الحلة الزاهية .

والكيان الفلسطيني هذا كيف يتم انشاؤه ؟ يقول بافلي ان الطريقة الى ذلك تكون من خلال تشجيع الفلسطينيين على تسلم مسئولية ادارة شئونهم بهدف الوصول الى : ١ — انشاء حكومة مدنية مستقلة ذاتيا . ٢ — انشاء اتحاد اقتصادي يضم اسرائيل والكيان الفلسطيني .

يقول بافلي ان تطوير الحكم المدني يجب ان يتم تدريجيا مع الاخذ بعين الاعتبار التوقيت الصحيح لكل خطوة . وهذا يشمل سلسلة من المواضيع . فالقوانين الاردنية السائدة في الضفة الغربية « يجب ان تعدل وتصبح عصرية بحيث يمكن اجراء انتخابات ديمقراطية حقيقية » . وكخطوة أولى يجب اجراء الانتخابات لرؤساء البلديات ومجالسها ... وان المراحل الديمقراطية التالية يجب ان تتم « بالتعاون والتشاور مع الوجهاء والذوات العرب الذين تتوافر فيهم الشجاعة والاهتمام الكافي للمشاركة في مواجهة التحديات حتى عند احتمال اتهامهم بالخيانة » . وان مثل هذه الحكومة المدنية يجب ان تكون « في النهاية » مسئولة عن كافة الامور الداخلية « بما في ذلك المشاكل البلدية والاشراف على الشرطة المحلية واصدار تصاريح الخروج » ... ومع زيادة قوة الحكومة المدنية « فان مسئولية الاسرائيليين المدنية سوف تتلاشى تدريجيا ». الا انه يجب ان يبين للفلسطينيين بوضوح « ان امنهم سوف يجري ضمانه لعدة سنوات (ضد من ؟) بواسطة قوات الدفاع الاسرائيلية » . وان الانتقال من مرحلة الى اخرى « سوف يعتمد على رغبة الفلسطينيين في تحمل المسئوليات التي تتطلبها تلك المراحل . ومن الواضح ان الانتخابات الاقليمية سوف تلي الانتخابات البلدية وان الحكومة الوطنية سوف تقوم فقط بعد ان يقرر الفلسطينيون انفسهم المساعدة على منع الارهاب ... وشرط موافقتهم على ان القدس سوف تبقى موحدة وان كان هناك احتمال بامكانية اقامة عاصمتهم في بعض اجزاء القدس الشرقية كبعض الاحياء الشمالية او الشرقية » .

ومسك الختام في كلام بافلي قوله ان موضوع الحدود « لا يحتاج الى حل الا بعد الوصول الى مرحلة متقدمة من انشاء الكيان الفلسطيني. الا انه يجب تسويته قبل اتفاقية السلام النهائية وبعد التأسيس الكامل لحرية الانتقال لكافة المواطنين اليهود والعرب عبر اي جانب من الحدود » . وهو يرى ، في اشارة مختصرة الى مصير سكان غزة ، بأن نفس العملية يجب ان تتم في القطاع ولكن ليس بذات السرعة لان من الواضح ان تنفيذها يعتمد على رغبتهم في التعاون وهو امر لا يتوقع ان يتحقق قبل مراقبتهم لسير العملية في الضفة الغربية . واذا نجح التقدم نحو الديمقراطية « فان جيلا جديدا من القادة السياسيين ، غير معروفين حتى الان يمكن توقع ظهورهم . ولسوف يكونون اصغر عمرا واقل ارتباطا بالتقاليد واكثر انفتاحا على طرق التفكير والعمل الحديثة والتي يمكن ان يكونوا قد اكتسبوا بعضها في اسرائيل ». وهو يقول بأن مما حال دون قيام القيادة الفلسطينية المستقلة في المناطق المحتلة خلال السنوات الثلاث الاولى من عمر الاحتلال عدم تشجيع اسرائيل للفلسطينيين على تنظيم انفسهم سياسيا وتعلق آمالهم ببعض القادة العرب مثل عبد الناصر و « فرقعات السلام » التي بدات مع بادرة وزير الخارجية الاميركية روجرز . وقد كانت القيادة الفلسطينية « المرجوة » موضوع المحاضرة التي القاها أمام الجمعية الانجليزية الاسرائيلية في لندن دافيد فارحي المحاضر في الجامعة

العبرية ومستشار موشه دايان للشئون العربية . وهو هنا يتحدث عن القيادة التي يرى انها ستنشأ في الضفة الغربية والتي اذا توصلت الى نوع من التسوية بين الفلسطينيين واسرائيل فانها سوف تكون مثلا يحتذيه سكان غزة .

وفي البحث عن القيادة الفلسطينية الجديدة يتساءل فارحي عن الجماعات المكونة للراي في الضفة الغربية . وهو يقسم هذه الجماعات الى أربعة أقسام : الجماعة الاولى تشمل أعضاء « المؤسسة الاردنية السابقة » الذين كانوا مرتبطين بشكل او بآخر بالحكومة الاردنية كرؤساء البلديات والوزراء السابقين واعضاء البرلمان والسفراء السابقين وكبار الموظفين . ويقول ان مركز هؤلاء في المجتمع كان بشكل او بآخر متصل بالحكومة الاردنية كما ان لهم مصلحة في مستقبل تلك الحكومة . الجماعة الثانية وتشمل اعضاء الاحزاب السياسية من الاخوان المسلمين في أقصى اليمين الى الشيوعيين في أقصى اليسار مرورا بالبعثيين والقوميين العرب والذين لعبوا دورا هاما في تجنيد الشباب في منظمات المقاومة . الجماعة الثالثة وتشمل المثقفين غير الملتزمين من خريجي الجامعات العربية والذين تأثروا بالعقائد القومية والراديكالية ولكنهم بعد عودتهم الى الاردن ورغم امتلائهم بالنقد للنظام فانه لم تكن لديهم الشجاعة الكافية لممارسة النقد علنا مكتفين بممارسة النقد في مجالسهم الخاصة والاستقرار في وظيفة حكومية مريحة . اما الجماعة الرابعة فهي التي تضم الاغلبية الصامتة من رؤساء البلديات الصغيرة والمخاتير ورؤساء الغرف التجارية ووجوه القرى الخ . .

ويقول فارحي ان رد فعل الجماعة الاولى بعد حرب حزيران تمثل اجمالا بالصمت « فليس لدينا ما نقوله . ان حكومتنا في عمان اذهبوا وتفاوضوا معها ». أما الجماعة الثانية التي تضم اعضاء الاحزاب فقد نشطت ، فور انتهاء الحرب ، في محاولات تنظيم حركة المقاومة المدنية للسلطات العسكرية من خلال الاضرابات والتظاهرات وتوزيع المنشورات الى ان أصبحوا يجندون الشباب في المنظمات الفدائية التي ترتبط بأحزابهم . أما بالنسبة لجماعة المثقفين غير الملتزمين فيقول فارحي بأنهم وجدوا انفسهم فجأة قادرين على ان يعبروا عن آرائهم بالشئون السياسية طالما كان الامر متعلقا بابداء الراي دون الفعل. ويقول بأن افراد هذه الجماعة ، يلتفون حول جريدة القدس التي تنشر ما يتراءى لهم من آراء وتعليقات «حيث لا رقابة على ما تنشره الا بالنسبة للامور ذات الاهمية العسكرية». وأما بالنسبة للاغلبية الصامتة فهي في نظره التي قبلت المساعدات الاسرائيلية الفنية في المجالات الزراعية والتي عملت في « اسرائيل » وصوتت في الانتخابات البلدية في مدينة القدس .

ويتساءل فارحي عن الاحداث الهامة في تطور المواقف السياسية لدى سكان الضفة الغربية . ويجيب على ذلك بقوله : المرحلة الاولى تميزت بالصدمة . لقد كانوا ينتظرون معجزة تهبط عليهم من مكان ما لحل الورطة التي وقعوا فيها . انتظروا يارنج ومجلس الامن ومؤتمرات القمة العربية وغيرها ... الى ان « استعادوا أحاسيسهم فأخذوا يتساءلون حول امكانية عودة الامور الى ما كانت عليه وعن شروط ذلك ... »

وهنا بدات المرحلة الثانية حوالي منتصف سنة ١٩٦٩ عندما تصوروا ان بامكانهم « أن يلعبوا دورا في تقرير مستقبلهم من خلال القيام بدور الرسول بين اسرائيل والدول العربية » . واضاف بأن نفرا من وجهائهم قام بزيارة القاهرة وطلبوا من الرئيس عبدالناصر ان يوافق على ان يفاوضوا اسرائيل بشأن مستقبلهم على أن يعرضوا عليه بعد ذلك نتيجة هذه المفاوضات . « الا أن عبدالناصر رفض ذلك الاقتراح بشدة وقال لهم بأنه لا يهمه مصير ٧٠٠ الف فلسطيني في الضفة الغربية وانما مصير الامة العربية » . وانه لهذا السبب لم يتردد لحظة باجلاء مليون مصري عن الضفة الغربية للقنال وان

« دوركم الجديد وواجبكم الوحيد هو العودة ومقاومة الاحتلال الاسرائيلي اكبر قدر ممكن » . ويقول فارحي بأن ذلك كان بمثابة صدمة قوية لهم عادوا بعدها ينتظرون تطور الاحداث دون أن يجرأوا على اتخاذ اي موقف يتعلق بالامور السياسية العامة .

اما المرحلة الثالثة فتميزت كما يقول فارحي باستعدادهم لاتخاذ مواقف ، كلامية وفعلية ، في أمور تبدو عادية ولكن لها في نظره أهمية سياسية بعيدة المدى . ويضرب على ذلك بعض الامثلة منها كما يقول عقد اتفاق بين شركة كهرباء القدس العربية والتي تملك بلدية القدس وبلديات المدن العربية المجاورة ٦٠ ٪ من أسهمها مع وزارة العدل الاسرائيلية بشأن موضوع تمثيل « بلدية القدس الموحدة » في مجلس ادارتها وتزويد الاحياء والمؤسسات اليهودية في شرقي القدس بالكهرباء من مولداتها ، رغم معارضة كل من الحكومة الاردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية لذلك على اعتبار ان هذا الاجراء يتضمن اعترافا ضمنيا بتدي كوليك كرئيس لبلدية القدس الموحدة . ومنها ايضا ، كما يقول ، اصرار المجلس الاسلامي في القدس على اصلاح المسجد الاقصى من آثار الحريق المعروف رغم معارضة كل من الاردن ومصر لاصلاحه قبل تحريره من الحكم الاسرائيلي . ويخلص فارحي من ذلك الى القول بأن مثل هذه المواقف المستقلة والناتجة عن العيش والعمل المشتركين تعتبر عاملا يبشر بالخير عند معالجة موضوع الحرب والسلام شديد التعقيد .

يقول بافلي في دراسته ان الحكومة الاسرائيلية احجمت خلال السنوات الثلاث الاولى التالية لحرب ١٩٦٧ عن « اتخاذ اي قرار سياسي بالنسبة لمستقبل المناطق المحتلة » محاولا في ذلك الايحاء بأنها لم تحاول الانفراد بتقرير المستقبل السياسي للمناطق المحتلة . وهناك بعض الحقيقة في هذا القول . الا انها لا ترى بالعين المجردة . وهذه الحقيقة كما نراها في ضوء كل ما سبق ان اسرائيل تريد ان تصل الى ذلك القرار بموافقة سكان الضفة الغربية ، او بمعنى اصح « القيادة الجديدة » التي تأمل في بروزها بالضفة الغربية من خلال الاوضاع الجديدة التي تعمل على خلقها فيها منذ حرب حزيران ١٩٦٧ . وهي ان كانت لم تصل الى اتخاذ « القرار السياسي » فمن المؤكد انها تتخذ منذ ذلك التاريخ الخطوات التنفيذية التي يصبح معها ، وبانتهائها ، ذلك القرار وكأنه تحصيل حاصل . وهذا هو بالضبط ما يجري تحقيقه من خلال فرض سياسة الامر الواقع التي اتبعها الصهاينة منذ ان بداوا في ترسيخ اقدامهم في فلسطين تحت ظل الحراب البريطانية . ولا عجب اذن ان يرد في ختام تقرير جماعة ريحوفوت المقدم الى رئيسة الحكومة الاسرائيلية انه بالرغم من ان لدبها مستشاريها الذين سوف يقومون بدراسة البرنامج المقترح قبل قبوله كليا او جزئيا فان « سلسلة من الخطوات العملية يمكن اتخاذها فورا دون ان تلزمها بتبني البرنامج بأكمله » . ولا عجب ايضا ان يرد في كلام بافلي تأكيد لهذا النمط من التخطيط الصهيوني التقليدي اذ يقول ان الخطوات التنفيذية لكل من التوطين وانشاء الكيان الفلسطيني « يجب ان تتم على مراحل متعددة على أن يؤخذ بالاعتبار ما امكن عدم اعتماد آية مرحلة من المراحل على الاخرى » .

ان سياسة الامر الواقع التي تتبعها اسرائيل في الضفة الغربية تشير بوضوح الى ان « القرار السياسي » الذي تأمل بالتوصل اليه مع « القادة الجدد » سيقوم يقينا ، ان تم، ضمن اطار عدم اعادة المناطق المحتلة ، جغرافيا وسياسيا واقتصاديا وبشريا ، الى الاوضاع التي كانت عليها عشية حرب ١٩٦٧ . الا ان ما يميز سياسة الامر الواقع التي تتبعها اسرائيل مع سكان المناطق المحتلة اليوم عن تلك التي اتبعتها منذ بداية عملها على ارض فلسطين وحتى حزيران ١٩٦٧ هو الاسلوب الذي جرى تطبيقها من خلاله والذي

سبق ان استعرنا من أجل وصفه تعبير دبلوماسية البنج بونج او الدبلوماسية الشعبية . ان استذكار الامثلة التي أوردناها في مطلع هذه المقالة بدءا من « فتح الجسور » وانتهاء « بالانتخابات البلدية » مقروءة في ضوء البرامج والمذكرات والدراسات المشار اليها آنفا هي مؤشرات كافية على صحة ما نقول مع الاخذ بعين الاعتبار عشرات المستعمرات شبه العسكرية التي جرت اقامتها على طول الضفة الغربية من نهر الاردن وفي اماكن اخرى عديدة من الضفة الغربية وقطاع غزة بدعوى ضرورتها لحاجات الامن .

وكما تميز المثل الصيني على دبلوماسية البنج بونج باستثمار الوضع النفسي للشعب الاميركي الناجم عن استمرار الحرب الفيتنامية والمأزق السياسي الذي كانت تعيشه الولايات المتحدة محليا ودوليا نتيجة تورطها في تلك الحرب ، فان دبلوماسية اسرائيل المماثلة تتميز باستغلال الوضع النفسي للفلسطينيين الخاضعين لاحتلالها وللمأزق السياسي الذي تعيشه الانظمة العربية المعنية محليا وعربيا ودوليا بسبب النتائج التي تمخض عنها العدوان الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ، والتي تتحمل الجزء الاكبر من مسئولياتها .

ان استغلال اسرائيل للوضع النفسي لعرب المناطق المحتلة والمأزق السياسي الذي تعيشه الحكومات العربية يتجسد مثلا في جميع الاجراءات السابق ذكرها . ونكتفي هنا بالاشارة الى ثلاثة منها :

المثل الاول : سياسة الجسور المفتوحة : لقد تركتها اسرائيل مفتوحة منذ البداية ثم تشددت في وضع القيود على الحركة عبرها بازدياد شدة المقاومة الفلسطينية . ثم اخذت في التخفيف منها بشكل بارز بعد احداث تموز ١٩٧١ في الاردن . وهكذا يرتاح نفسيا لهذا التخفيف كثيرون من اصحاب المصالح والمواطنون العاديون في المناطق المحتلة وخارجها لانهم يرون فيها خطوة نحو التخفيف من متاعبهم وآلامهم الشخصية والعائلية ووسيلة تسهل عليهم وعلى اقاربهم واصدقائهم الالتقاء والاتصال . وهم اجمالا ، وبسبب تلك الظروف الخاصة التي يعيشونها منذ حرب ١٩٦٧ ، لا يرون في تخفيف الاجراءات عبر الجسور اكثر من هذا لانها لم تغلق ابدا .

ومن ناحية اخرى ، وبسبب المأزق السياسي الذي يجد النظام الاردني نفسه فيه منذ حرب ١٩٦٧ فانه لن يكون قادرا ، ان اراد ، على التشديد من القيود المفروضة على الانتقال عبر الجسور . فاذا شدد منها تضاعفت الشكوك والاتهامات ضده لدى المواطنين غربي النهر ، وان تماشي معها خدم الاهداف الاسرائيلية ، شاء أم أبى ، أكثر فأكثر . ذلك ان سياسة فتح الجسور هي نفسها التي يرى فيها قادة اسرائيل ومفكروها خطوة كبيرة نحو السلام الاسرائيلي الذي يريدون فرضه على العرب . ويقول بافلي في ذلك : « عندما تكون الحدود مغلقة لا يكون هناك سلام » . وان سياسة الجسور المفتوحة « تحمل في طياتها ما هو أكثر من العوامل الانسانية او الاقتصادية . ذلك ان التعايش الحقيقي، وفي النهاية السلام ، يمكن فقط ان يتحقق عندما تكون شعوب الاقطار المعنية مطلقة الحرية في الانتقال وممارسة التجارة والتجول في البلاد المتجاورة . وهذا ما حققه الاسرائيليون » . ومحصلة هذا الكلام هو ما تردد كثيرا في تصريحات ومقالات صحفية اسرائيلية من انه من غير المعقول ان تغلق الجسور زمن السلم طالما انها ظلت مفتوحة زمن الحرب .

المثل الثاني : العمل العربي داخل اسرائيل : لقد وافق الكثيرون من عمال المناطق المحتلة على العمل داخل « اسرائيل » لانه لم يكن أمامهم بسبب الاوضاع التي وجدت الضفة الغربية نفسها فيها نتيجة الحرب والتي لا مجال هنا لشرحها ، سوى البقاء او الهجرة فآثروا البقاء استجابة لنداء الصمود . الا انه كانت لاسرائيل أهداف اخرى من عرض العمل عليهم وبأجور تزيد بقدر ملحوظ عما اعتادوا تقاضيه في الاعمال المماثلة داخل

الضفة الغربية . وهذه الاهداف لم تكن جميعها مستوحاة من دواعي الامن على النحو السابق بيانه . فمن يعلم ان معظم هؤلاء العمال يستدرجون من الريف الفلسطيني يدرك ان من بين الاهداف التي تخدمها هذه السياسة اقتلاع الفلاح الفلسطيني من أرضه أي اضعاف التصاقه بها وبالتالي اضعاف ولائه الموروث لها . وينتج عن ذلك اهمال الارض الزراعية لدرجة تصبح معها تستصرخ من يرعاها . وهنا تتكرر قصة الاستعمار الذي يأتي بالمهاجرين البيض لاحياء واستغلال خيرات الارض التي « تركها » اصحابها .

كما تشمل تلك الاهداف ، فيما تشمله ، رفع مستوى المعيشـــة لدى الطبقة العاملة ، وبالتالي لدى سكان الضفة الغربية ، بحيث يصبح الاحتفاظ بهذا المستوى مع الزمن ومن الناحية النفسية دافعا للابتعاد عن فكرة العودة الى وحدة الضفتين او بمعنى آخر احد الاغراءات المتصلة باقامة الكيان الفلسطيني بالضفة الغربية . ومن يدرس آثار الازدهار الاقتصادي في المانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية يدرك صلتها بالتطور الذي طرأ على التعلق الالماني التقليدي بالوحدة الالمانية . ناهيك بأثر تباين مستوى المعيشة بين الدول العربية على مدى التعلق بفكرة الوحدة في كل منها . ومن ناحية اخرى فان من الطبيعي ان يعجز الاردن ، بسبب المأزق السياسي المذكور في ايجاد حل لمشكلة البطالة في الضفة الغربية ، هذا ان اراد .

المثل الثالث : الانتخابات البلدية : ان تفويض الموظفين العرب ورؤساء البلديات في المناطق المحتلة بممارسة اعمالهم السابقة وقيام اسرائيل بتنفيذ اجراءاتها وقوانينها على المواطنين من خلال هؤلاء ادى بطبيعة الحال الى التخفيف من عوامل الاثارة والاحتكاك . الا انه أدى كذلك الى عدم احساس اصحاب المصالح بوطأة الاحتلال طالما انهم استمروا في انهاء معاملاتهم من خلال نفس الاشخاص او المؤسسات التي كانوا يتعاملون معها قبل الاحتلال . وهذا هو بالضبط هدف قاعدة « عدم الوجود » التي سارت عليها حكومة اسرائيل بعد الاحتلال . لذلك ، وعندما تهدد اسرائيل من اجل نجاح سياستها باجراء الانتخابات لرؤساء ومجالس البلديات في الضفة الغربية بأنها ستقوم بتعيين موظفين اسرائيليين على رأس كل بلدية تجري مقاطعة الانتخابات فيها ، فان من شأن ذلك ان يدفع الكثيرين هناك الى التخوف ، خطأ أم صوابا ، من نتائج هذا التهديد على سير معاملاتهم وقضاياهم البلدية . ومن شأن نشوء مثل هذا التخوف ، رغم اعتقادنا بعدم جدية التهديد الاسرائيلي لانه يتنافى مع اهداف قاعدة « عدم الوجود » ، ان يدفع بالبعض الى استغلاله من خلال ترشيح انفسهم لهذه الانتخابات اما لاسباب تتصل بالزعامة العائلية والمحلية او لقناعتهم بأن البلدية قد تكون السلم الذي يمكن ان يتسلقوه وصولا الى تحقيق الكيان الفلسطيني خاصة وان الحكم الاسرائيلي يتعامل مع البلديات بصفتها اعلى جهة عربية مسئولة في المناطق المحتلة . وهكذا تكون اسرائيل قد حققت من خلال هذه الانتخابات أملها في بروز «قيادة فلسطينية» جديدة تتطلع الى خلق الكيان الفلسطيني على الطريقة الاسرائيلية .

ويبدو ان من بين اسباب سكوت الحكومة الاردنية مؤخرا عن دعوة المواطنين في الضفة الغربية لمقاطعة هذه الانتخابات ليس فقط خشيتها من آثار فشل تجاوبهم معها ولكن خشيتها ايضا من اضطرارها الى سلوك واحد من سبيلين احلاهما مر في حالة ما اذا نفذ الاسرائيليون تهديدهم بتعيين مسئولين يهود عن البلديات . فهـــي أما ان تقبـــل التصديقات والبيانات الصادرة عن هـــؤلاء المسئولين اليهود فيما يتعلـــق بالوثائق والشهادات التي يضطر اصحاب المصالح من ابناء الضفة الغربية الحصول عليها هناك لتقديمها للجهات المختصة في عمان ، الامر الذي قد يفسر بأنه اعتراف ضمني بسلطات الاحتلال وتعاون مكشوف معها . او ان تعمد الى رفضها فيزداد تعقيدا مأزقها السياسي في مواجهة ابناء الضفة الغربية .

ومن خلال هذه الامثلة وغيرها يتضح ان اهداف اسرائيل القريبة من هذه الاجراءات ذات المظهر الليبرالي هي استغلال الوضع النفسي لسكان المناطق المحتلة والمازق السياسي الذي تعيشه الانظمة العربية المعنية منذ نهاية حرب ١٩٦٧ بحيث يصبح انموذج الحياة الجديدة امرا مرغوبا في استمراره . وحيث ان ذلك لم يتحقق الا من خلال حرية الانتقال الى اسرائيل عبر خطوط الهدنة السابقة، وهي التي يسميها الاسرائيليون بالخط الاخضر، والى العالم العربي عبر الجسور المفتوحة فان امكانية قبول التعايش مع اسرائيل تصبح قائمة كحالة ذهنية جديدة لدى ذلك القطاع الكبير من المنتفعين من تلك الاجراءات .

ولما كان الهدف الاسرائيلي البعيد من هذه الاجراءات هو حـل العقدة الفلسطينية فان السبيل الى ذلك يصبح اغراء الفلسطينيين الخاضعين لحكمها بامكانيـة السماح لهم باقامة كيانهم الفلسطيني الخاص والذي يمكنهم من خلاله « حكم انفسهم بأنفسهم » مع الاستمرار بجني ثمار تلك الاجراءات السابق شرحها . فاذا اصبح « الكيان الفلسطيني » مطلبا عاما او شبه عام أمكن اسرائيل التنازل لسكان الضفة الغربية عـن حكمها لقاء الثمن الذي انتظرته طويلا . وهو عقد صلح منفرد بينها « والقـادة الجدد » يعترفون بموجبه فيها اي يتنازلون لها باسم الشعب الفلسطيني المقيم على ارضه عن ذلك الجزء منها الذي اقامت دولتها عليه . ولن يكون موضع بحث في مثل هذه الحالة بطبيعة الحال مسألة المستعمرات الاسرائيلية التي اقامتها اسرائيل في طول الضفة الغربية وعرضها اذ تبقى عندئذ ليس فقط ضرورات امنية لاسرائيل وانما للكيان الفلسطيني العتيد . وقد لا يمضي وقت طويل قبل ان يتبين للجميع ان مثل هذا الكيان سوف يكون فيه ، ان قام ، من سمات ومعالم « البانتوستان »* الافريقية اكثر مما فيه من سمات او معالم « هونج كونج » كيلا نقول « اليابان » وان مواطنيه لن يتمتعوا بحق سياسي واحد من الحقوق التي تتمتع بها دولة مستقلة ذات سيادة . ولن يكون وضع الكيان بأحسن مـن وضع « الترانسكاي » ، أول بنتوستان افريقي في اتحاد جنوب افريقيا ، الذي يمارس الاشراف على المسائل الداخلية مع وجود موظف ابيض في كل دائرة من دوائر حكومتها يمارس من خلالها القيادة والوصاية . ومن يشك في ذلك فعليه ان يقرأ بامعان بعض افكار مخططي السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة والتي اشرنا اليها فيما سبق ومقارنتهـا مع الخطوط الرئيسية للسياسـة المطبقة في جنوب افريقيا بالنسبة للبانتوستان .

وفي الوقت الذي سوف يحمل فيه « الشعب الفلسطيني » مسئولية تصفية قضيته فان الانظمة العربية سوف تجد في هذا الصلح المنفرد الذي قام عليه الكيان مبررا كافيا لغسل اياديها رسميا ونهائيا من القضية والتوصل بالتالي الى صلح معها ضمن شروط السلام الاسرائيلي . وهي نفسها التي بينها وزير خارجية اسرائيل ابا ايبان امام الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩٦٨/١٠/٨ واهمها ، بالاضافة الى اقامة الحدود الآمنة والمعترف بها، « اقامة حدود مفتوحة على غرار ما هو قائم في اوروبا الغربية والتعاون الاقليمي بينها والدول العربية المحيطة » .

وفي غيبة الوعي العربي لكل ما تمثله اسرائيل من مخاطر على مصير الامة العربية ومع استمرار المأزق السياسي والعسكري الذي تعيشه الدول العربية المحيطـة منفردة ومجتمعة وانعدام الرغبة او القدرة لديها جميعا على انتهاج الطريق الجذري للتصدي لاسرائيل والحاق الهزيمة بها ، ومع استمرار اسرائيل في طرد العنـاصر الفلسطينية الطليعية التي تقاوم مخططاتها بشتى الوسائل المحدودة التي لديها ، تبقى الطريق امام اسرائيل «سالكة» لتحقيق خطتها في حل العقدة الفلسطينية . ولن يقولن قائل : كيف تقيم

---

* Bantustans هي الكيانات الذاتية التي اقامها نظام حكم الاقلية البيضاء في اتحاد جنوب افريقيا في ١٢٪ من مساحة البلاد لحل عقدة الاغلبية الافريقية التي تشكل ٧٠٪ من السكان .

اسرائيل كيانا فلسطينيا في ارض فلسطين وهي التي كان هدفها دوما تصفية الشعب الفلسطيني وليس فقط قضيته . ذلك ان الوسيلة الجديدة التي ابتدعتها اسرائيل بعد ١٩٦٧ هي هذا الكيان بذاته وبكل معطياته التي سبق شرحهـا . فبالاضافة الـى الانقسامات الشديدة التي تتوقع اسرائيل قيامها بين ابناء هذا الشعب ، قبيل قيام هذا الكيان وفي اعقابه ، فان « هونج كونج » او « اليابان » او بمعنى أصح « البانتوستان » الفلسطينية لن تظل فلسطينية الا للفترة اللازمة لوصول العدد الكافي مـن المهاجرين اليهود الجدد الذين سوف يتولون تباعا استلام الاعمال التي يقوم بها عرب المناطق المحتلة حاليا والذين سوف يقومون تباعا بالاقامة في بيوتهم واراضيهم بعد هجرتهم منها هجرة طوعية هذه المرة وبحثا عن لقمة العيش شرقي النهر وما هو الى الشرق منه او غـربي الساحل وما هو الى الغرب منه .

تلك هي الاهداف النهائية لاسرائيل . وهي التي تخدم مبرر وجودها : اي ان تكون دولة يهودية تتسع للملايين الخمسة عشر من اليهود الذين لا يزالون يقيمون في « المهجر » ان رغبوا جميعاً في الهجرة اليها وذلك في نطاق اقليمي يطابق ما امكن حدود الدولة الاسرائيلية الحلم التي سوف يستمر تطويرها بحيث تصبح الدولة الاقوى اقتصاديا وعسكريا من خلال تحويل البلاد العربية الى « مجال حيوي » تستخدم فيه امكاناتها وطاقاتها الانتاجية والفنية والعلمية ، الحالية منها والمستقبلة وبالتالي فرض وجودها على العرب كدولة قائمة لا تقهر ولا تزول .

ولسوف تتحقق هذه الاهداف اذا استمرت الامة العربية كلها عاجزة حتى عن الحركة او ردة الفعل ازاء كل ما تقوم به اسرائيل من جهد في تفرغ كامل ودون توقف من اجـل تحقيقها وخلافا لما يظنه الكثيرون فان اسرائيل بالرغم من هذا التهالك والتسابق العربي الرسمي للوصول الى تسوية سياسية معها عن طريق اي وسيط فانها عازفة عن عقد اية تسوية مع اية دولة عربية قبل استغلال ما تراه فرصة ذهبية لحل العقدة الفلسطينية مرة واحدة والى الابد من خلال الفلسطينيين الذين سقطوا تحت انيابها ضحية التخاذل والعجز وروح الاستسلام العربية وعبر القادة الجدد الذين تأمـل في ظهورهم بعـد استكمال الانتخابات البلدية والاقليمية في الضفة الغربية .

الا انه بالرغم من كل النكسات والهزائم التي نعيش آثارها والمازق السياسي والقومي الرهيب الذي يلف الدنيا العربية يبقى زمام المبادرة للخروج من هذا المازق في يد ابناء فلسطين . هم وحدهم وبالرغم من كل ما اصابهم ، لا يزالون قادرين على الحركة ، شرط ان تتجه هذه الحركة الى الداخل لتحول قبل كل شيء دون وقوع الكارثة .

في حياة عبدالناصر القت الامة العربية المسئولية كلها على أكتافه . وكانت اكبر من ان يتحملها فقضى . ووقفت الامة صامتة منذئذ بلا حـراك . وكذلك فعلت عندما بدا ان البديل هو حركة المقاومة الفلسطينية الى ان حدث لها ما حدث فتحول الصمت الى ما يشبه الشلل في أجزاء الجسد العربي بأكمله . ولقد حان الوقت لكي تبعث الحياة في هذا الجسد . افليس اجدى ان يترك لعوامل الطبيعة وحب البقاء وضرورات المستقبل ان تفعل فعلها فيه حتى يستقيم وينهض على قدميه ؟

المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون

هاني عبدالله

انعقد في القدس المحتلة ما بين الثامن عشر والثامن والعشرين من كانون الثاني الماضي المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون . ولقد انفرد هذا المؤتمر عن المؤتمرات السابقة التي عقدت بعد قيام اسرائيل ببعض الميزات . والميزة الرئيسية هي انتخاب المندوبين للمؤتمر بواسطة انتخابات اشتركت فيها المنظمات والاحزاب الصهيونية التي وقعت على « برنامج اورشليم » الذي اقره المؤتمر السابق ، واعتبر التوقيع عليه شرطا للاشتراك في الانتخابات . اما في اسرائيل فلقد تم توزيع حصتها من المندوبين التي بلغت ٢٠٠ مندوب بين الاحزاب الصهيونية المختلفة حسب نسبة تمثيلها في الكنيست الاسرائيلي بعد افراد عشرة مقاعد لبعض التنظيمات غير الحزبية مثل اتحاد الطلاب الاسرائيلي وغيره من التنظيمات العاملة في اسرائيل مثل الفيتصو (Wizo) وهداسا. ولقد كان لحزب العمل الاسرائيلي العدد الاكبر من المندوبين الاسرائيليين ، اذ حاز على ٨٠ مقعدا من أصل الحصة المخصصة لاسرائيل . ومن الجدير بالذكر ان المبام لم يشكل تجمعا مع حزب العمل كما هي الحالة الآن في البرلمان الاسرائيلي ، ونفس الشيء بالنسبة لكتلة « جاحال » المؤلفة من حزبي الحيروت ـــ الليبراليين ، فهما ايضا قد ظهرا منفردين في المؤتمر . الميزة الثانية ، كون المؤتمر يتطرق لاول مرة للناحية الاجتماعية في الدولة الصهيونية : نظرا للآثار السلبية التي تركتها حركة الفهود السود التي ظهرت مؤخرا مفجرة للتناقضات الاثنية التي كانت كامنة في المجتمع الصهيوني داخل اسرائيل. وهذه التناقضات برزت بشكل حاد الى السطح عقب دفعات الهجرة التي أخذت بالارتفاع نسبيا بعد حرب حزيران . فالتمييز والتسهيلات التي تقدمها أجهزة السلطة الصهيونية لصالح المهاجرين الجدد (الاشكناز) فجرت النقمة الكامنة في نفوس ابناء الطوائف الشرقية من اليهود ، وذكرتهم بماضيهم وواقعهم المر . ولهذا اقيمت لجنة لبحث قضايا ومشاكل المجتمع الاسرائيلي . ميزة ثالثة للمؤتمر انه أول مؤتمر يحتل فيه الشباب نسبة من التمثيل قاربت ثلث المندوبين (هآرتس ٢٠/١/٧٢) . ولقد رحبت أجهزة الاعلام الصهيونية والاسرائيلية على وجه الخصوص بهذا الحدث ، ورأت فيه دليلا على حيوية واستمرارية الحركة الصهيونية ، وعلى ان جيل الابناء سيبعث رسالة الآباء من جديد ولكنها حذرت من ظواهر عدم الانضباط والتمرد . كما وطالبت جيل الآباء بابداء التفهم لروح الشباب المتمردة وباستيعاب هذه الروح والاستفادة منها. وظاهرة التمرد عند الشباب غير مقتصرة على الاحزاب العمالية الصهيونية ، بل تشمل معظم الاحزاب والمنظمات الصهيونية . الى جانب هذه الميزات ، لم يخل المؤتمر من المشاكل سواء تلك التي رافقت مرحلة الاعداد للمؤتمر ، وبالذات اجراء الانتخابات أو تلك التي واجهها أثناء انعقاده ، هذا بالاضافة الى المشاكل التقليدية التي تتركز حول توزيع المناصب والصراع على النفوذ داخل المنظمة بين الاحزاب الاسرائيلية الصهيونية وبالذات حزب العمل الصهيوني وبين المنظمات الصهيونية العاملة خارج اسرائيل .

فبالنسبة للمشاكل المتعلقة بالانتخابات فقد كانت هناك عدة اتهامات من قبل بعض الاحزاب والمنظمات الصهيونية المنضمة الى المنظمة الصهيونية العالمية او غير المنضمة ، حول شرعية اسلوب الانتخابات وحول الدعاية التي كان يقوم بها بعض الاحزاب الصهيونية ، وعلى وجه الخصوص حزب العمل الصهيوني في الخارج ، حيث كان يصور عدم التصويت له بمثابة اعتراض على سياسة الحكومة الاسرائيلية ، هذه الدعاية اثارت حزب المبام ، شريك حزب العمل في التجمع العمالي الحاكم في اسرائيل . وقد بحثت سكرتارية الاتحاد العالمي لاحزاب المبام هذا الامر في اجتماعها الذي عقدته قبيل انعقاد المؤتمر الصهيوني وطلبت من ممثلي حزب المبام في التجمع العمالي — المعراخ بحث هذا الامر (عل همشمار ٧٢/١/٦). كما واثارت بعض المنظمات بعض التحفظات حول اسلوب اجراء الانتخابات ، ورفع هذا الامر الى محكمة المؤتمر التي اقرت بشرعية وقانونية الاسلوب الذي اتبع .

من القضايا الاخرى التي واجهت المؤتمر كانت قضية الفهود السود وقضية الحاخام مئير كهانا زعيم عصبة الدفاع اليهودية . فكلا التنظيمين هددا بعرقلة اعمال المؤتمر اذا لم يعطيا حق الاشتراك فيه . غير ان المؤتمر لم يستجب لكلا التنظيمين ، ففي حين عرضت الادارة الصهيونية على الفهود السود تقديم عريضة بمطالبهم ومشاكلهم الى لجنة قضايا المجتمع الاسرائيلي ، ذلك العرض الذي رفضه الفهود السود ، فانها توصلت مع الحاخام مئير كهانا على طرح قضية اشتراكه في المؤتمر على الجمعية العمومية للمؤتمر ، ووافق الطرفان على الالتزام بقرار الجمعية ، وهزم كهانا بأغلبية ساحقة . غير ان كهانا لم يقر بالهزيمة واستأنف القرار امام محكمة المؤتمر التي رفضت بدورها الاستئناف قبل النظر فيه نظرا للتصريحات التي كان قد أطلقها كهانا سابقا معبرا عن عدم ثقته بالمنظمة وبالمحكمة حيث اعتبرت هذه التصريحات اهانة واستخفافا بالمحكمة . ولقد كانت المعارضة الرئيسية للحاخام كهانا تتمثل في المنظمات الصهيونية الاميركية وفي شباب اغلب الكتل المشتركة ولا سيما المبام . بينما الجهات الوحيدة التي أيدت كهانا كانت اليمين الاسرائيلي الشوفيني المتمثل في حركة الحيروت والمركز الحر في الداخل بالاضافة الى الاحرار المستقلين وفي اتحاد الصهيونيين التصحيحيين في الخارج . ولقد حاولت زعامة كتلة المفدال — المزراحي في المؤتمر اتخاذ قرار بتأييد كهانا لكن شباب الكتلة استطاعوا اتخاذ قرار معاكس لرغبة الزعامة . ومن الجدير بالذكر ان موقف الصهيونية الرسمية او ما يسمى بالصهيونية الدبلوماسية من قضية الحاخام كهانا وعصبته لم يكن موقفا مبدأيا من الحاخام كهانا ونشاطاته التي تعلن أحيانا عن « تحفظها » منها ، ولكنه كان بسبب عدم تماشي الحاخام وعصبته مع الاصول التي اقرتها الادارة الصهيونية فيما يختص بحق الكلام والتمثيل في المؤتمر . وعندما طرحت التسوية التي توصلت اليها الادارة مع الحاخام كهانا على الجمعية العمومية للمؤتمر ابدى رئيس الادارة الصهيونية آريه بينكوس رأيه في الموضوع قائلا «هناك مؤسسات وهناك طرق ولا يحق لمن لا يتماشى مع هذه المؤسسات ولا يسير حسب الاصول المتبعة ان يطالب بحق الكلام في المؤتمر » (هآرتس ٧٢/١/٢١) . وحقيقة الموقف من كهانا وعصبة الدفاع اليهودي ليست نابعة من التحفظات التي تبديها المؤسسة الصهيونية تجاه بعض النشاطات التي تمارسها عصبة الدفاع اليهودي ، بل ترجع الى رغبة المؤسسة الصهيونية في اخضاع المنظمات الصهيونية العاملة في «المهجر» لاشرافها وجعلها في خدمة اغراضها ، ولذلك نراها أحيانا تتحفظ من بعض نشاطات بعض المنظمات الصهيونية ، لكونها لم تنسق هذه النشاطات معها . فالقضية تتركز في الصراع القديم بين المؤسسة الصهيونية الحاكمة في اسرائيل وبين باقي المنظمات الصهيونية العاملة في الخارج ، حول النفوذ في الحركة الصهيونية وحول دور هذه

الحركة ومدى خضوعها للسياسة الرسمية الاسرائيلية . ولقد كانت الغلبة دائما في هذا الصراع للمؤسسة الصهيونية في اسرائيل ، وبالذات لحركة العمل الصهيوني . أما موقف المنظمات الصهيونية الاميركية من عصبة الدفاع اليهودي فناجم بالدرجة الاولى عن عدم رضاها عن اسلوب عمل العصبة في اميركا ، الامر الذي يتعارض مع مصالحها هناك . فالاسلوب الارهابي الذي تعتمده العصبة في نشاطاتها السياسية وخصوصا فيما يتعلق بنشاطاتها من أجل حق اليهود السوفييت في الهجرة الى اسرائيل (القاء المتفجرات علي مقر البعثات السوفييتية وغير السوفييتية) لاقى معارضة من باقي المنظمات الصهيونية الاميركية . يضاف الى هذا التحريض الذي تقوم به العصبة ضد المنظمات الصهيونية في اميركا وضد قادتها بالذات متهمة اياهم بغض النظر عن ظواهر اللاسامية الاخذة في التزايد في الولايات المتحدة ثم كونهم لا يقومون بالهجرة شخصيا الى اسرائيل ، وبهذا يضربون مثلا سلبيا للاخرين (لقد قام كهانا نفسه بالهجرة مؤخرا الى اسرائيل ، حيث بدأ باقامة فرع للعصبة في اسرائيل) .

اما مشكلة الفهود السود فهي أخطر بكثير من المشكلة الاولى . والحكومة الاسرائيلية تخشى من مضاعفاتها ، ولقد حاولت السلطات الاسرائيلية احتواء هذه الحركة منذ بدايتها باستمالة واسترضاء بعض المتزعمين لها . لكن جميع محاولات السلطة لم تنجح حتى الان في ضرب هذه الحركة ، بل ان الدلائل تشير الى ازدياد قوتها . والسبب الكامن وراء عدم اعطائهم حق الكلام امام المؤتمر ناجم عن عدم رغبة السلطة الاسرائيلية في تعكير مزاج المندوبين الصهاينة والجو الاحتفالي الذي يحيط بالمؤتمر . ثم خشيتها من التأثيرات السلبية التي من الممكن ان يتركها كلام الفهود السود على قضية الهجرة الى اسرائيل التي كانت وما زالت النقطة الاولى في اهتمامات الحركة الصهيونية . ان حركة الفهود السود ظهرت كتعبير عن حالة التذمر والتململ في اوساط اليهود الشرقيين من التمييز وعدم المساواة الذي يعاني منه هؤلاء اليهود في جميع مجالات الحياة. والملاحظ ان الموقف من المهاجرين الجدد والهجرة آخذ في التصاعد ، كما ان هناك بعض الافراد بين أعضاء الحركة الذين أصبح عندهم وعي أشمل يتعدى المنطلق الطائفي لاوضاع اليهود الشرقيين . فبينما كان الموقف من الهجرة والمهاجرين في بداية الحركة يتلخص في هذا الشعار « نعم : للهجرة ، لا : للتمييز » : نرى اليوم أن الموقف أصبح اكثر جدية واكثر وعيا ، فلقد نشرت الصحف بيانا موقعا من منظمة الصباريم (مواليد البلاد) الذين يعانون من ضائقة السكن ورد فيه ما يلي : « اعلم ايها القادم الجديد بأننا لن نسمح لك بأن تسرق أنت واصحابك حقوقنا في هذه الدولة . **اعلم بانك أداة في يد السلطة** ، اعلم بأن الشباب الذين ولدوا وحاربوا في هذه الدولة مضطهدون بسببك ؛ فأنت تهضم حقوق العائلات الكثيرة الاولاد وحقوق الازواج الشباب . اعلم بأنه حين قدومك الى البلاد ووصولك مطار اللد سيستقبلك الالاف باكاليل الورود ، ولكن عند وصولك القدس سيستقبلك آلاف الصباريم بالاعلام السوداء . ايها المهاجر الجديد ان المعابر (التخشيبات) تنتظرك ، الرجاء أن تجربهم ودعنا نجرب مكانك الشيكونات (بيوت السكن) الحديثة » (معريف ١٠/١/٧٢) . والتقرير الذي قدمه مدير مؤسسة التأمين الوطني أمام لجنة قضايا المجتمع الاسرائيلي ، يبين لنا الظلم والتمييز اللاحق باليهود الشرقيين . فقد ورد في هذا التقرير ما يلي : « ان ١٠٪ من مجموع العائلات الاسرائيلية يعيشون في ظروف اقتصادية رديئة ، ولكن هذه العائلات تربي ٤٠٪ من مجموع الاولاد . بمعنى ١/٣ مجموع عدد الجيل القادم ، ان نسبة قليلة جدا من هؤلاء الاولاد ينهون المرحلة الثانوية ، او يصلون الى رتبة ضباط في الجيش الاسرائيلي . وبالمقابل فهناك ظاهرة ترك المدارس بين هؤلاء الاولاد والاتجاه نحو أعمال « الزعرنة » . هنالك فقط شاب واحد من بين ٢٠ شابا من اليهود القادمين من آسيا وافريقيا يصل الى

مرحلة التعليم العالي ، مقابل هذا فالنسبة بين اليهود الاوروبيين تصل الى واحد من كل ثلاثة . » (عل همشمار ٧٢/١/٢١) . ان رفض المؤتمر السماح للممثلين عن حركة الفهود السود بالتحدث من على منصة الخطابة وامام هذا الحشد من الصهاينة مـــن مختلف انحاء العالم وفي مناسبة احتفالية كهذه ــ ذكرى مرور ٧٥ عاما على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية ــ كان طبيعيا ومتماشيا مع منطق الصهيونية ، الذي يتيح ويرحب بالنقد الموجه للمنظمات والاحزاب الصهيونية في الداخل والخارج ، طالما ان هذا النقد هدفه المزيد من الفعالية من اجل المزيد من المهاجرين والمزيد من الاموال لدعم الكيان الصهيوني . ان التبريرات التي أعطيت بهذا الصدد غير مقنعة ، خصوصا اذا علمنا بأنه قد خصصت عشرة مقاعد من حصة اسرائيل للتنظيمات غير الحزبية، وكان بالامكان اعطاء بعض هذه المقاعد لمندوبين عن حركة الفهود السود ، ولا سيما ان الفهود السود لم يعلنوا يوما ما بأنهم غير صهيونيين كباقي المنظمات والاحزاب التـــي استثنيت ، مثل راكاح ، متسبين وغيرها . لكن السلطات الاسرائيلية كانت تخشى امرين اثنين : اولا : أن ظهور الفهود السود في المؤتمر معناه اعتراف رسمي بالمنظمة وهذا ما لا تريده السلطة الاسرائيلية . ثانيا : أن ما سيطرحه الفهود السود حـــول أوضاع الطوائف الشرقية سيفضح زيف الشعار الصهيوني بأن دولة اسرائيل هـــي دولة جميع اليهود في العالم . وحجم الرفض والاصرار عند السلطة الصهيونية تجسد بالصورة الوحشية التي قمعت بها تظاهرة الفهود السود أمام مباني الامة في القدس وكانت هذه اولى الظلال الشاحبة حول المؤتمر .

التحضيرات للمؤتمر

شملت التحضيرات للمؤتمر مرحلتين : المرحلة الاولى كانت مرحلة اجراء الاحصـــاء الصهيوني في مختلف البلدان التي تتواجد فيها الطوائف اليهودية ، ولهذا الغرض أقيمت في القدس هيئة خاصة في شباط ١٩٧٠ من اجل تنفيذ قرار اللجنة التنفيذية الصهيونية الذي اتخذ في تموز ١٩٦٩ بهذا الخصوص ، ولقد انتهت عملية الاحصاء في حزيران ١٩٧١ . وتدل النتائج النهائية للاحصاء على أن مجموع الذين تسجلوا في عضويـــة المنظمة الصهيونية العالمية ، بلغ ٨٩٨،١٤٦ عضوا من اصل ٨،٢٨٩،٤٥٠ يهوديا في تلك البلدان التي جرى فيها الاحصاء ، ولقد توزع الاعضاء على البلدان المختلفة حسب الجدول المبين ادناه : (عل همشمار ٧٢/١/١٨) .

اسم البلد	عدد اليهود	عدد الاعضاء	اسم البلد	عدد اليهود	عدد الاعضاء
١ ــ النمسا	٨،٢٠٠	١،٥٠٢	١٤ ــ الهند	١٥،٠٠٠	٠،٧٠٢
٢ ــ اوستراليا	٧٢،٠٠٠	١٢،٤٥٤	١٥ ــ هولندا	٣٠،٠٠٠	٢،٣٦٨
٣ ــ اوروغواي	٥٤،٠٠٠	٨،٤٠٠	١٦ ــ جمهوريةايرلندا	٥،٤٠٠	٠،٧٢٥
٤ ــ ايطاليا	٣٠،٠٠٠	٣،٥٠٠	١٧ ــ فنزويلا	١٢،٠٠٠	١،٨٠٠
٥ ــ اكوادور	٢،٠٠٠	٠،١٥٠	١٨ ــ زمبيا	٨،٠٠٠	٠،١٥٦
٦ ــ الارجنتين	٥٠٠،٠٠٠	١٩،٦٦٠	١٩ ــ اليونان	٦،٥٠٠	٠،٤١٥
٧ ــ الولايات المتحدة	٥،٨٨٠،٠٠٠	٦٤٥،٦١٦	٢٠ ــ المكسيك	٣٦،٠٠٠	٣،٢٥٠
٨ ــ بوليفيا	٤،٠٠٠	٠،٢٥٠	٢١ ــ اميركا الوسطى	٥،٦٥٠	٠،٩٢٧
٩ ــ البرازيل	١٥٠،٠٠٠	١١،٥٠٠	٢٢ ــ النرويج	٠،٧٥٠	٠،٢٣٤
١٠ ــ بريطانيا	٤١٠،٠٠٠	٦٩،٥٠٠	٢٣ ــ نيوزيلندا	٣،٥٠٠	٠،٣٤٧
١١ ــ المانيا	٣٠،٠٠٠	٢،٥٣٠	٢٤ ــ فنلندا	١،٤٥٠	٠،٣٢١
١٢ ــ الدانمارك	٦،٠٠٠	١،٢٣٩	٢٥ ــ براغواي	١،٢٠٠	٠،١٣٠
١٣ ــ جنوب افريقيا	١١٤،٠٠٠	٢٣،٠٠٠	٢٦ ــ بيرو	٤،٠٠٠	١،١٠٠

٢٧ — تشيلي	٣٥،٠٠٠	٣٦،٠٠٠	٣١ — روديسيا	٤،٨٠٠	١،٧٨٦
٢٨ — فرنسا	٥٣٥،٠٠٠	٤١٤،٠٦٠	٣٢ — السويد	١٥،٠٠٠	٣،٠٧٤
٢٩ — كولومبيا	١٠،٠٠٠	١،٣٥٠	٣٣ — سويسرا	٢٠،٠٠٠	٥،٠٠٠
٣٠ — كندا	٢٨٠،٠٠٠	٣٢،٠٠٠			

لم يشمل هذا الاحصاء كما هو مبين في الجدول السابق، اسرائيل والاتحاد السوفياتي، ولقد برر هذا الامر بالنسبة لاسرائيل بأنه عملية غير ضرورية ، فاليهودي الموجود في اسرائيل ، يكون قد طبق عمليا اهم الاسس في الايديولوجية الصهيونية ، أي الهجرة الى « أرض — اسرائيل ». لكن هذا الراي لم تتقبله بعض الاوساط الصهيونية في اسرائيل ، رغم موافقتها على أن الهجرة هي الواجب الاول الذي يتحتم على كل صهيوني تأديته . وحول هذه النقطة بالذات وما ترتب عليها من عدم اجراء انتخابات للمؤتمر في اسرائيل ، وبالتالي توزيع الحصة المخصصة لاسرائيل بين الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية على أساس النسب المئوية القائمة في الكنيست ، نشرت صحيفة معريف سلسلة من المقالات في ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٧٢/١/١٢ تحت عنوان « هل نحن صهيونيون » يتعرض فيها الكاتب لهذه النقطة ، ويشير الى ان هناك بعض الاحزاب والتنظيمات في اسرائيل تصرح علنا بأنها غير صهيونية ، كما ويضيف كاتب المقالات بأن النسب المئوية للاحزاب في الكنيست تشمل أصوات الناخبين العرب ، لذلك فهذه النسب غير دقيقة . وبالتالي فلا يجوز اعتمادها كأساس لتقسيم المقاعد في المؤتمر .

أما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد تعذر اجراء الاحصاء وبالتالي الانتخابات ، نظرا لعدم وجود منظمات صهيونية عاملة هناك . ولكن تقرر أن يسمح لممثلين عن اليهود السوفييت بالاشتراك في المؤتمر بصفة مراقبين أي دون حق التصويت . لقد اعتبرت السلطات الصهيونية عملية الاحصاء وما نتج عنها حدثا هاما فيتاريخ الحركة الصهيونية، ورأت فيها دليلا حيا على حيوية الحركة وعلى قدرتها على مجابهة التحديات الجديدة ، وعلى أن العقيدة الصهيونية ما زالت البديل الوحيد للانسان اليهودي في المهجر الذي يبحث عن ذاته . ولقد فسر المدير العام للوكالة اليهودية ، موشه رفلين ، هذا الدفع والانبعاث الجديدين في الحركة الصهيونية ، في حديث له لصحيفة يديعوت احرونوت نشر في ٧١/٣/١٩ بما يلي : ١) ان الايديولوجيا في وقتنا الحاضر تلعب دورا رئيسيا في حياة الشباب ، ولقد أصبح واضحا للشباب اليهودي ان العقيدة الصهيونية باستطاعتها التصدي بنجاح لظاهرة اليسار الجديد . وعلى انها تشكل عاملا محفزا للشباب المثالي . ٢) ان التطورات الاخيرة في العالم الغربي وخصوصا اميركا ، جعلت اليهود هناك ينتبهون الى الاخطار المحدقة بامكانية عيشهم حياة يهودية وبمستقبل أبنائهم . فظواهر اللاسامية والهيبيين واليسار الجديد التي تتهدد هؤلاء الشباب اليهود باخطار الانصهار والاندماج في المجتمعات الاوروبية جعلتهم يرون في الصهيونية اكثر من مجرد تعبير عن التضامن مع اسرائيل، بل عقيدة تجيب على القضايا التي يواجهها الانسان اليهودي. ٣) ثم هناك التطورات والانبعاث الاخير بين يهود الاتحاد السوفياتي. هذا الانبعاث لا يشكل ثورة صهيونية في اوساط اليهود السوفييت فحسب، بل هو عامل مستنفر ، كانت له أصداء لدى جميع اليهود وعلى وجه التخصيص ، الجيل الجديد .

ولقد رافق عملية الاحصاء ، الى جانب دفع رسوم العضوية للمنظمة ، التوقيع على « برنامج اورشليم » الذي أقره المؤتمر السابق . كما واعتبر هذا البرنامج ، البرنامج الصهيوني الانتخابي العام ، ولذلك كان التوقيع عليه شرطا أساسيا للاشتراك في الانتخابات . ولقد أدى هذا الشرط الى عدم اشتراك المنظمة العالمية للطلاب اليهود W.J.S. في تلك الانتخابات ، لانها رفضت التوقيع عليه ، واقترحت برنامجها المعروف بأسم « برنامج عراد » بديلا له .

اما المرحلة الثانية من الاعداد للمؤتمر ، فقد كانت عملية اجراء الانتخابات نفسها . ولقد أشرفت الاتحادات الصهيونية المحلية على سير الانتخابات وتنظيمها . ولقد خصص لكل تجمع صهيوني اقليمي عدد من المندوبين يتناسب مع حجمه ، وبالرغم من عدم اجراء الانتخابات للمؤتمر في اسرائيل ، فان الاحزاب الاسرائيلية الصهيونية ، شاركت في هذه الانتخابات عن طريق فروعها في الخارج . ومن الجدير بالذكر ان هذه الفروع لم تظهر جميعها بالاسماء الحالية للاحزاب الاسرائيلية . غير أن أسماء هذه الفروع غالبا ما تكون هي ذاتها الاسماء القديمة التي عرفت بها الاحزاب الصهيونية الحالية قبل قيام دولة اسرائيل . فأسماء بوعلي — تصيون ، الصهيونيين العموميين ، الصهيونيين التصحيحيين ، وحركة همزراحي ، هي الاسماء القديمة لحزب العمل الصهيوني ، الليبراليين ، الحيروت والمفدال على التوالي . غير انه الى جانب هذه الاحزاب ، خاضت الانتخابات أيضا منظمات صهيونية غير حزبية مثل منظمة نساء هداسا ومنظمة فيتصو ، وكلتاهما منظمتان نسائيتان غير حزبيتين تقومان بجمع المساعدات المالية والمساهمة في المشاريع الثقافية والاجتماعية في اسرائيل . لقد جرى التنافس في هذه الانتخابات على مستويين ، مستوى حزبي،بين الاحزاب والمنظمات الصهيونية المختلفة. أما المستوى الثاني فقد ظهر بشكل صراع بين الاجيال ، شمل معظم الاحزاب والمنظمات . وبوادر هذا الصراع أو ما سمي « بتمرد الشباب » فيما بعد برزت في المؤتمر السابق ، حيث تذمر الشباب من سيطرة الزعامة التقليدية في الحركة وبعدم افساحهم المجال للشباب للمساهمة أكثر في نشاطات الحركة الصهيونية . ولاصلاح هذا الوضع كان الشباب وراء الدعوة لاجراء انتخابات للمؤتمر الحالي ، وكانت المنظمة العالمية للطلاب اليهود من انشط التنظيمات في هذا الحقل . ولقد اعترف رئيس قسم التنظيم والاعلام في الادارة الصهيونية بهذا الضغط الذي مارسه الشباب، ولكنه ادعى بأنه لم يكن العامل الوحيد ، لان الادارة نفسها رات ضرورة تجديد واحياء التراث الديمقراطي في الصهيونية في الحقل التنظيمي . ولقد علق المدير العام للوكالة اليهودية موشه رفلين على سير الانتخابات والمشاكل التي جابهتها بقوله : « اذا كان هناك من يدعي بأن الانتخابات جرت كما نحب ان تجري فهو مخطىء ، لانه كانت هناك عراقيل ومشاكل ، ولكن يجب أن لا ننسى اولا : بأن الامر يتعلق بانتخابات تجري في الحركة لاول مرة منذ ١٩٤٦ . وثانيا : بأننا اثبتنا كوننا التنظيم الدولي الوحيد الذي تنتخب مؤسساته بشكل ديمقراطي » . (معاريف ٧٢/١/١٦) . أما بخصوص نسبة المصوتين في الانتخابات فلم تكن عالية وفي بعض الاحيان اثارت الاهتمام والاستغراب في آن واحد . ان اعلى نسبة كانت في سويسرا واوستراليا حيث بلغت ٦٥٪ ، أما في جنوب افريقيا ذات التقاليد الصهيونية العريقة فلم تتجاوز نسبة المصوتين ٥٨٪ (عل همشمار ٧٢/١/٩) . أما صحيفة معاريف فتشير في نفس العدد المذكور اعلاه الى انخفاض عدد المقترعين ، كنتيجة لعدم ادارة الانتخابات بشكل ناجح ، ففي فرنسا مثلا بلغ عدد المصوتين ١٤ الفا من أصل ٤٠ الفا ممن وقعوا على « برنامج اورشليم » . وفي الولايات المتحدة بلغ عدد المقترعين ١٥٠ الفا من أصل ما يقارب ٦٥٠ الفا ايضا .

ان اجراء الانتخابات في الحركة الصهيونيةظاهرة تستدعي الوقوف عندها بعض الوقت. وما قيل عن الضغوط التي مارسها الشباب وعن شعور الادارة بضرورة احياء التراث الديمقراطي في الحقل التنظيمي ، لم يكن في الحقيقة سوى المظهر الخارجي للهدف من وراء اجراء الانتخابات . لقد مارس الشباب الضغوط ، وحظيت ممارستهم هذه بمباركة الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية ، وبالذات حركة العمل الصهيونية ، فاذا وضعنا في الصورة النزاع القديم على السيطرة والنفوذ داخل الحركة الصهيونية الذي

رافق قيام دولة اسرائيل ، يمكن ان تتضح لنا الاهداف الحقيقية لهذه الانتخابات . فالصهيونية الاسرائيلية تسعى لاخضاع المنظمة الصهيونية العالمية اخضاعا تاما لاهدافها ، بينما كان هناك اتجاه في الحركة الصهيونية العالمية للمحافظة على نوع من الاستقلال من ناحية ، وعلى محاولة التوجيه واخذ زمام المبادرة في بعض القضايا السياسية بعكس رغبة القيادة الصهيونية في اسرائيل . وخير مثل على هذا الامر النزاع مع غولدمان وما آل اليه من استقالة غولدمان من منصب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، ثم الضربة الاخيرة التي وجهتها الصهيونية الاسرائيلية لغولدمان حين استطاعت اتخاذ قرار في الادارة الصهيونية بالغاء الدعوة التي كانت موجهة اليه لالقاء الخطاب الاحتفالي بمناسبة مرور ٧٥ عاما على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية . لقد رات القيادة الصهيونية الاسرائيلية في الانتخابات وسيلة لتعزيز نفوذها وسيطرتها على المنظمة الصهيونية العالمية ، ولذلك باركت ما سمي « بتمرد الشباب » واستغلت هذا الامر لزعزعة نفوذ القيادات الصهيونية في الخارج . وتمشيا مع هذا الهدف كثر الكلام عن ضرورة الاشراف ومراقبة عمل الاتحادات الصهيونية في الخارج بحجة مساعدتها في اعطاء صورة اوضح عما يجري في اسرائيل وعن سياسة اسرائيل .

بالنسبة لعدد المندوبين الذين يحق لهم التصويت فالاغلب ان عددهم ٥٥١ مندوبا ، غير أن ما ذكر عن عدد مندوبي كل حزب ومنظمة اشتركت في المؤتمر يعطينا رقما آخر يصل الى ٥٧٥ مندوبا موزعين كالآتي : حزب العمل الصهيوني : ١٦٣ مندوبا ، الصهيونيون العموميون : ٨٩ ، حركة همزراحي (المفدال) : ٨٣ ، الليبراليون وبضمنهم اتحاد الصهيونيين العموميين في الولايات المتحدة وجماعات اخرى صغيرة : ٧٣ ، الحيروت ـــ اتحاد الصهيونيين التصحيحيين : ٤٩ ، منظمة النساء الصهيونيات ، هداسا : ٥٤ ، منظمة نساء فيتصو : ٢٠ ، المبام : ٣١ ، الليبراليون المستقلون : ١٣ ، والمجموع ٥٧٥ مندوبا . ويظهر ان هذه الارقام تحتوي على عدد من المندوبين الذين لا يحق لهم التصويت .

الشباب والمؤتمر

تضاربت التقديرات حول نسبة تمثيل الشباب في المؤتمر ، فبينما قدرت هآرتس ٧٢/١/٢٠ عددهم بثلث المندوبين ، نرى أن صحيفة عل همشمار ٧٢/١/٢٤ تقدر نسبة الشباب من ٢٠٪ ـــ ٢٥٪ من المندوبين . وفي كلا الحالتين فان هذه الظاهرة تشكل تهديدا لمركز الزعامة الصهيونية التقليدية في المنظمة الصهيونية العالمية . وبالرغم من المساندة التي حظي بها الشباب عموما من قبل المؤسسة الصهيونية الاسرائيلية ، فقد اثاروا بتصرفاتهم غضب الزعامة الصهيونية المحلية والخارجية . ولقد علق رئيس المؤتمر ورئيس الادارة الصهيونية ، آرييه بينكوس على تصرف الشباب قائلا : « هناك قواعد ديمقراطية للتعبير عن الرأي من على هذا المنبر . ان حق الكلام يعطى بواسطة الكتلة ، ولا يحق لاي فرد ان يصعد الى المنصة اثناء المناقشة ليثبت وجوده (هآرتس ٧٢/١/٢٠) . أما وزير الداخلية ، يوسف بورغ (المفدال) فقد علق على تصرف الشباب قائلا « ان الحركة الصهيونية لن تسمح للارهاب بالسيطرة على هذا المؤتمر الجليل » (نفس المصدر) .

ولقد تركزت نشاطات الشباب حول مطلب اقامة لجنة فكرية الى جانب لجان المؤتمر القائمة . ولكنهم فشلوا في تحقيق اقامة لجنة كهذه . وكان قرار رئاسة المؤتمر بهذا الخصوص باجراء النقاش الفكري داخل لجنة التنظيم والاعلام ، التي فوضت ان تقترح امام الادارة الجديدة المنتخبة فكرة اقامة لجنة فكرية في المؤتمر القادم . ولقد رأى الشباب في اقامة لجنة كهذه وسيلة لتحديد ملامح وطابع الحركة الصهيونية بشكل عام وواجبات الفرد الصهيوني بشكل خاص . بالاضافة الى تحديد مهمة الحركة الصهيونية في

السبعينات على ضوء الواقع الجديد والمتطلبات الجديدة . ولقد اشار هايني بورنشطاين (مبام) في مقال نشر في صحيفة عل همشمار في ٧٢/١/٦ تحت عنوان « افول الحركة او بداية التحول » ذكر فيه ان مهمة المؤتمر الثامن والعشرين هي تحديد موقع ومميزات المنظمة الصهيونية في المرحلة الحالية ، واعطاء هذه المرحلة اساسا فكريا يتناسب مع الزمن الحاضر ويشكل حافزا فكريا ومطلبا عمليا للجيل الجديد . ثم اشار الى ثلاثة عوامل تتطلب تحليلا وتحديدا : ١) أخطار الاندماج والانصهار التي ما زالت قائمة بين اوساط الجيل الجديد في العالم. ٢) مدى مركزية دولة اسرائيل بالنسبة ليهود المهجر. ٣) طابع المجتمع الاسرائيلي.واعتبر هايني هذه العوامل وحدة فكرية واحدة والربط بينها يجب أن يعبر عنه تصور ايديولوجي صهيوني شامل . وركز على ضرورة دمج المطامح القومية بفهم ونظرة اجتماعية تقدمية ، ثم أضاف مقررا بأن شكل واهداف البناء الاجتماعي في اسرائيل له اثر كبير على مقدرة الحركة الصهيونية في مخاطبة الاجيال الناشئة التي تسعى للربط بين التحرر القومي والتحرر الاجتماعي والبناء الاشتراكي .

هذه الاقوال ان دلت على شيء فانما تدل على الازمة الفكرية التي تعاني منها الصهيونية الحالية من ناحية وعلى الازمة التي يعاني منها الشباب اليهودي الصهيوني الذي يصطدم يوميا بالفكر اليساري الذي يفضح حقيقة الايديولوجية الصهيونية العنصرية والرجعية . وهذا الشباب الضائع فكريا عندما يحاول ان يضفي على العقيدة الصهيونية صفة التقدمية والاشتراكية يصطدم بواقع النظام الصهيوني في فلسطين وممارساته على الصعيد الدولي ، بمعنى ارتباطاته بالامبريالية العالمية والتجند في خدمة الاهداف الاستعمارية على النطاق العالمي . وهو لا يستطيع تفسير موقف الحركة الصهيونية من حركات التغيير والثورة الاجتماعية والسياسية في بلدان امريكا اللاتينية مثلا ، حيث تعتبر الحركة الصهيونية هذه التغييرات تهديدا لمصالح الجاليات اليهودية في تلك البلدان. ثم لا يستطيع ان يجد تفسيرا لكون حركة « التحرر الصهيونية » هي الحركة الوحيدة في العالم التي تتناقض مصالحها مع مصالح باقي حركات التحرر الوطني . وهو لن يجد تفسيرا وليس باستطاعة الحركة الصهيونية ان تعطي تفسيرا لهذه الظاهرة سوى باللجوء الى الغيبيات التي تتكلم عن خصوصية الشعب اليهودي وعن خصائصه المميزة والفريدة . وعن الادعاء بأن ظاهرة اللاسامية هي طبيعة أزلية في الشعوب الاخرى .

ان هذا الضياع الفكري وشعور الغربة والارتباك الذي ساد اوساط الشباب على حد تعبير رئيس قسم الشباب والحركة الطلائعية في الادارة الصهيونية ، مردخاي بار — اون، أدى بهؤلاء الشباب الى التفتيش عن متنفس لهم ، بتبني خط متطرف من المواضيع التي طرحت على جدول اعمال المؤتمر ، وهذا حدا بهم الى تشكيل تكتل من شباب جميع الاحزاب الممثلة في المؤتمر بغض النظر عن الانتماءات الحزبية والفروق الايديولوجية في مفاهيم احزابهم . لقد خرج بعض الشباب ، وخصوصا شباب المهجر بخيبة أمل ، نتيجة لما لمسوه من تفشي روح البيروقراطية في الحركة الصهيونية والمنظمة واجهزتها بشكل خاص ، ومن تحول المؤتمر الى مجرد توزيع للمناصب والغنائم ، ولقد عبر أحد هؤلاء الشباب عن خيبة امله قائلا : « هذا هو المؤتمر الاول الذي اشترك فيه وسيكون الاخير » (عل همشمار ٧٢/١/٢٦) .

المناقشات العـامة والقرارات

كان موضوع الهجرة الى اسرائيل بشكل عام ، وهجرة يهود الاتحاد السوفييتي والبلاد العربية والاشتراكية بشكل خاص ، على رأس المواضيع التي اولاها المؤتمر اهتمامه الرئيسي ، وبقية المواضيع مثل : الاستيعاب ، الاستيطان ، قضايا المجتمع الاسرائيلي ، التعليم اليهودي والصهيوني واخطار الاندماج والانصهار ، جميعها ترتبط بشكل او بآخر

بموضوع الهجرة . وارتباط هذه الامور بالهجرة هو من الاهمية بمكان الى حد يجعلها عامل سلب او ايجاب بالنسبة للهجرة ، ولقد جاء المؤتمر الصهيوني تتويجا للحملة التي تشنها أجهزة الاعلام الاسرائيلي والمنظمات الصهيونية العالمية حول منح اليهود في الاتحاد السوفياتي حق الهجرة الى اسرائيل . لم تخرج معظم الكلمات التي القيت في المؤتمر في المناقشات العامة عن النمط المألوف في مثل هذه المناسبات ، من الدعوة الى المزيد من الدعم المادي والتأييد السياسي لاسرائيل . ومن الطلب بتكريس المزيد من الجهود من أجل التشجيع على الهجرة . كما ولم تخل بعض الكلمات من التحذير من اخطار الاندماج والانصهار ، خصوصا في بلدان « العالم الحر » كنتيجة لانعدام التثقيف اليهودي والصهيوني . ولقد أشار اورى جوردون عضو اللجنة الثلاثية لتكتل الشباب في المؤتمر الى هذا الخطر قائلا : « هناك ٨٥ ٪ من الشباب اليهودي الجامعي موجود في المهجر . ومن بين كل عشرة اولاد يهود في العالم هنالك ثلاثة يتلقون تثقيفا يهوديا صهيونيا » (معاريف ٧٢/١/١٨) .

وفي الخطاب الذي القاه آرييه بينكوس في الجلسة الافتتاحية تطرق رئيس الادارة الصهيونية الى الاوضاع التي يعيش في ظلها اليهود في المهجر وقسمها الى ثلاثة : ١) اليهود الذين يعيشون في بلاد الضيق والاضطهاد مثل يهود الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية والبلاد العربية ٢) اليهود الذين يعيشون في دول العالم الحر حيث يتمتعون بالمساواة ٣) اليهود الذين يعيشون في دول امريكا اللاتينية ، حيث تتميز تلك الدول بأزمات اجتماعية وسياسية . وعلى ضوء هذا التقسيم تختلف مهمات الحركة الصهيونية بالنسبة لمصير اليهود في المهجر . فبينما بالنسبة للقسم الاول والثالث، لا يرى بينكوس حلا سوى العمل من اجل تهجيرهم الى اسرائيل ، نراه بالنسبة ليهود العالم الحر ، يركز على مقاومة أخطار الاندماج والانصهار كخطوة اولى وعلى ضرورة بث التعليم اليهودي والصهيوني من أجل المحافظة على الذات اليهودية وبالتالي على استمرارية الشعب اليهودي . وفي تطرقه الى اليهود الذين يعيشون في اميركا اللاتينية يرى بينكوس الخطر في كون تلك البلاد تتعرض لتغييرات اجتماعية وسياسية تشكل خطرا على اليهود ومصالحهم في تلك الاقطار . ان التغييرات الجذرية الاجتماعية والسياسية التي يتخوف بينكوس من حدوثها في تلك الاقطار ، ويعتبرها خطرا على مصالح اليهود هناك ، هي في ان ماهيتها ان حدثت لا تخرج عن كونها ضرب للمصالح الامبريالية الاميركية وعملائها في المنطقة ، ومن هنا يتضح الدور الرجعي الذي تلعبه الصهيونية العالمية والمنظمات الصهيونية المحلية في مختلف الاقطار ، في خدمة الاحتكارات الاميركية والرجعية المحلية .

وفي نهاية خطابه وقف بينكوس على الاوضاع الاجتماعية في اسرائيل ، ولقد اكد بأن الحركة الصهيونية مهتمة جدا بشكل وصورة الحياة الاجتماعية في اسرائيل ، والاهتمام لا يتركز فقط على النجاحات التي حققتها الدولة في هذا المجال بل يتعدى ذلك الى المشاكل والصعاب التي لم تحل حتى الان . ثم اضاف محذرا : « اننا كحركة صهيونية يجب ان لا نسمح ببقاء وضع كهذا واذا ما استمر هذا الوضع فاننا سنهدم حلمنا وجهودنا من أجل جعل اسرائيل نموذجا يحتذى في المجال الاجتماعي ، وبهذا فان مقدرة اسرائيل على تأمين استمرار وجود الامة ستتعرض للخطر » (هآرتس ٧٢/١/١٩) .

اما وزير المالية بنحاس سابير فقد ادعى ، عندما تطرق الى الاوضاع الاجتماعية في اسرائيل بأن الوضع ليس سيئا كما يصوره البعض ، واضاف ان المظاهرات التي يقوم بها بعض الناس لن تفرض القضية على جدول الابحاث . وعندما تطرق الى الهجرة ، ذكر ، أنه منذ حرب حزيران هاجر الى اسرائيل ما يقارب ١٨٠ الف شخص . ومن الامور التي تميز هذه الهجرة في الاونة الاخيرة تزايدها من البلدان الغربية ، فبينما كانت

نسبة المهاجرين من البلاد الاوروبية في سنة ١٩٦٨ لا تتعدى ٥٢٪ فلقد وصلت الى ٨٠٪ في سنة ١٩٧١ ، ولقد ذكر ان تكاليف كل مهاجر تبلغ ٤٠ الف ليرة اسرائيلية . ولهذا طالب بالمزيد من المساعدات من الجاليات اليهودية لتأمين استيعاب هذه الهجرة الاخذة في التزايد . (هآرتس ٧٢/١/١٩) .

اما الخطاب الذي القاه وزير التربية والتعليم ونائب رئيسة الوزراء ، يجآل الون ، في الجلسة المخصصة للاحتفال بمرور ٧٥ عاما على تأسيس الحركة الصهيونية العالمية ، فقد ركز فيه الوزير الون على ست نقاط يرى فيها اهداف الحركة الصهيونية في السبعينات . وهذه النقاط هي : ١) وجود شعب اسرائيل كشعب واحد بالرغم من كونه شعبا عالميا وتعدديا . ٢) نشر الثقافة العبرية والتراث اليهودي كحاجز امام اخطار الانصهار والاندماج . ٣) تعاطف الشعب اليهودي في الشتات مع اسرائيل كدولة . ٤) الهجرة — فتح ابوابها امام كل اليهود بدون تحديد سقف للهجرة السنوية . ٥) الاستيطان — ان استيطان المناطق الحيوية لامننا هو الطريق الوحيد لبقاء تلك المناطق في أيدينا ولهذا الغرض يجب تجديد الروح الطلائعية في اوساط الشباب . ٦) المجتمع — ان الفقر هو نتيجة الهجرة الكبيرة التي وصلت اسرائيل ، حيث كانت معظمها من الطبقات الفقيرة . اما الهجرة بحد ذاتها فهي لا تضر بالمستوطنين القدامى والجدد بل انها الوسيلة لتوسيع القاعدة الاقتصادية . كما وانها تساهم في تحويل اسرائيل الى دولة رفاهية وتقدم . (عل همشمار ٧٢/١/٢٣) .

ولم يخرج بقية الخطباء في المناقشات العامة عن هذه الاطر المشتركة . ويتضح من هذه الخطب ان الاولويات والتركيز على النقاط ، يختلف من خطيب لاخر ، ولكن يمكننا القول كما ذكرنا سابقا بان التركيز كان بشكل عام على موضوع الهجرة واستيعابها . الى جانب هذه المناقشات العامة فقد كانت هناك المناقشات في اللجان المختصة ، التي وظيفتها بعد انتهاء البحث في مجال اختصاصها تقديم التوصيات للمؤتمر لاقرارها . وفي هذه اللجان تقدم التقارير عن سير اعمال هذه اللجان منذ المؤتمر السابق . ففي لجنة الاستيطان مثلا قدم رئيس قسم الاستيطان في الادارة الصهيونية ، رعنان فايتس، تقريره حول موضوع الاستيطان . ولقد تضمن التقرير ، اشارة الى ان الحركة الاستيطانية تعيد الى الاذهان عهد الاستيطان في اوائل الخمسينات . ولقد ذكر التقرير بانه منذ حرب الايام الستة اقيمت ٥١ مستوطنة ، ٣٥ منها في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ اما توزيع هذه المستوطنات فهو كالاتي : ١٤ مستوطنة في هضبة الجولان ، وهناك مستوطنتان في طريق الاقامة ، ٩ مستوطنات في غور الاردن وفي القريب ستقام العاشرة . مستوطنتان في وادي عربة واثنتان في الطريق الى شرم الشيخ . واخيرا ست مستوطنات في مدخل رفح بالاضافة الى ثلاثة في طور الاقامة . (عل همشمار ٧٢/١/٢٤) .

والامر الجدير بالملاحظة في هذا التقرير هو اشارته الى ان اربعا فقط من بين هذه المستوطنات ، استوطنت من قبل مهاجرين جدد من خارج البلاد . وهذا ما يقلق الاوساط الصهيونية ، وخاصة اوساط حركة العمل الصهيونية ، اذ ان هذا الامر يشير الى انعدام الروح الطلائعية بين المهاجرين الجدد ، الذين يختارون السكن في المدن . كما وانه هناك مخطط لاقامة ٣٠ مستوطنة جديدة في أربع السنوات القادمة، ٢٠ منها على الاقل في هضبة الجولان وغور الاردن ووادي عربة ، ومستوطنة جديدة في « جوش عتصيون » . اما الباقي فيظهر بانه سيقام في القسم المحتل من فلسطين منذ ١٩٤٨ .

ساد المؤتمر اثناء فترة انعقاده عموما وفي الجلسة الختامية المخصصة لاقرار توصيات اللجان المختلفة توتر شديد فرضه اليمين الصهيوني على جو المؤتمر منذ بدايته ، ومع ان كتلة حزب العمل الصهيوني هي اكبر الكتل في المؤتمر الا ان هذه الكتلة كانت اقرب الى

مواقف اليمين بشقيه ، الديني وغير الديني منها الى مواقف المبام مثلا لقد كان الاهتمام في جميع الكتل موجها الى قضية تركيب الادارة وحصة هذه الكتلة او تلك فيها اكثر من الاهتمام باقرار التوصيات التي رفعتها اللجان المختلفة ، والمجابهة الرئيسية في المؤتمر اثناء اقرار التوصيات كانت بين مندوبي المبام والحيروت ، اما بالنسبة لباقي الكتل فلم يكن التباين حادا ، وفي التوصيات المتعلقة بضرورة دعم اسرائيل سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، وفي الادعاء بأن الشعب الاسرائيلي ممثلا بسياسة حكومته يسعى الى السلام وفي التأكيد العام على ضرورة النضال من اجل حق اليهود اينما كانوا في الهجرة الى اسرائيل . لم تكن هناك خلافات في وجهات النظر واقرت هذه الامور بدون معارضة . غير انه بقيت بعض التوصيات التي كانت تثير بعض التحفظات سواء من اليمين او « اليسار » . فمثلا رفض المؤتمر اقتراح القرار الذي تبناه الحيروت والمفدال باعتبار كل تهويد لا يتم بموجب « الهلخا » (الشرع اليهودي) غير شرعي ، كما رفض المؤتمر اقتراح — قرار تبناه المبام باعتبار ارض اسرائيل موطنا للشعبين اليهودي والفلسطيني ، بينما اقر بأغلبية ساحقة اقتراح — قرار تبناه الحيروت باعتبار حق اليهود في ارض اسرائيل أمرا غير قابل للطعن . أما اقتراح — القرار الذي كاد أن يفجر المؤتمر وادى الى انسحاب مندوبات منظمة هداسا من الجلسة الاخيرة للمؤتمر فقد كان اقتراح — القرار الذي تبناه الحيروت والمفدال وأيده بشدة تكتل الشباب في المؤتمر . ذلك الاقتراح القاضي بأنه يتوجب على كل زعيم صهيوني في الخارج ان يتنازل عن مركزه الذي يشغله اذا لم يهاجر الى اسرائيل بعد انقضاء دورتين على فترة اشغاله لذلك المنصب ، لقد كان واضحا أن الاوساط الصهيونية الاسرائيلية هي التي وقفت وباركت اقتراح — القرار المذكور . ولكن ردة الفعل العنيفة التي صدرت عن المنظمات الصهيونية الاميركية جعلت الزعامة الصهيونية الحاكمة في اسرائيل ، اي حزب العمل الصهيوني تسرع في التفتيش لايجاد مخرج من هذا المأزق . ولقد سارع بينكوس بعقد مؤتمر صحفي في القدس في ٧٢/٢/١ بعد ان سقطت جميع التحفظات التي اثيرت حول هذا القرار ، وضح فيه بأن القرار الذي اتخذ غير قانوني وغير ملزم ، واضاف بينكوس بأن المستشار القضائي للمنظمة الصهيونية يرى بأن هذا القرار يتناقض مع دستور المنظمة ، وحتى يمكن قبوله يجب اتخاذ اجراءات دستورية تتضمن اجراء تغيير في الدستور . فمثل هذا القرار يجب ان يتخذ بأكثرية الثلثين وبحضور أكثرية المشتركين في المؤتمر ، وعمليا فقد اتخذ القرار بأكثرية ضئيلة ١٠٤ ضد ٩٢ . ثم اضاف بأنه يوجد في القرار نوع من التدخل في استقلالية الاتحاد الصهيوني وهو سيحد من حرية هذه الاتحادات في انتخاب قادتها ، كما واشار بينكوس بأنه سيطرح هذا الامر امام اللجنة التنفيذية الجديدة لكي تقرر في الامر . ثم أضاف معلقا ، من غير الممكن زيادة الهجرة بواسطة العقوبات والقوانين وذكر بأن اقوال بن غوريون في سنوات الخمسين « بأن كل من لا يهاجر لا يعتبر صهيونيا » لم تؤد الى زيادة عدد المهاجرين حتى مهاجر واحد .

وفي تقييمه للمؤتمر عدد بينكوس بعض الظواهر الايجابية مثل اشتراك مندوبين شباب ، اندماج الجمهور السفارادي في أبحاث المؤتمر ومؤسساته وانتخاب يتسحاق نافون لرئاسة اللجنة التنفيذية الصهيونية (وهو من أصل سفارادي) وتناول المؤتمر الاوضاع الاجتماعية داخل اسرائيل . أما السلبيات فهي على حد تعبير بينكوس تتمثل في التصرفات الفوضوية وعدم التسامح ، يضاف اليها الشعور الذي ساد المندوبين من خارج البلاد بأن المؤتمر يخضع لتوجيهات المندوبين الاسرائيليين ، ثم ان المندوبين المنتخبين لم يكن لديهم الوقت الكافي للوقوف على القضايا المطروحة على بساط البحث .

أما مناحيم بيجين فقد رأى في المؤتمر ومناقشاته وقراراته انتصارا لوجهة نظر الحزب

وخطه السياسي ودليل على وحدة الشعب اليهودي بالنسبة للقضايا المركزية ، غير انه انتقد ايضا بوادر عدم التسامح والقدرة على سماع الآراء المعارضة ، ولكنه اضاف هنالك بعض الخطباء المدللين الذين اعتادوا على أن يصفق الجمهور لهم ، فالتسامح مطلوب ، لكن الدلال مرفوض ، ثم عبر عن استهجانه للضجة التي اثيرت حول قرار المؤتمر المتعلق بالزام الزعماء الصهاينة في الخارج بالهجرة الى اسرائيل والا فعليهم الاستقالة من مناصبهم ، وتطرق الى ما نشر من ان المستشار القضائي للمنظمة يعتبر القرار غير شرعي فقال : « يجب التأكد فيما اذا كان من صلاحياته ان يفصل في مثل هذه الامور » (معاريف ٧٢/٢/٤) .

وهكذا نرى ان المؤتمر لم يأت بجديد غير متوقع ، وان المؤتمر فشل في ان يكون مؤتمرا عقائديا كما ارادت له بعض المنظمات والاحزاب مثل المبام ، حتى انه رفض مجرد اقامة لجنة فكرية كهذه . وعلى صعيد الوضع الدولي وقضية الشرق الاوسط فالقرارات المتعلقة بهذا الامر والخطب التي تطرقت له وتقارير اللجان المختلفة وخصوصا تقرير لجنة الاستيطان تشير بوضوح الى نوايا النظام الصهيوني في التوسع والضم .

في نفس الجلسة الختامية التي اقرت بها توصيات اللجان ، كان رئيس الادارة الصهيونية بينكوس يعمل جاهدا في تركيب الادارة الصهيونية الجديدة ، ولم تكن العملية سهلة نظرا للمطالب التي كانت تتقدم بها الكتل المختلفة لزيادة تمثيلها في الادارة . والمميز للادارة الجديدة هو كونها أوسع من السابقة وان كل الاعضاء فيها جرى انتخابهم وجميعهم يمثلون الاحزاب المشتركة في المؤتمر ، ولقد حرمت بعض الكتل الصغيرة من التمثيل في الادارة مثل : الاحرار المستقلون — والمركز الحر والقائمة الرسمية وتكونت الادارة على الشكل التالي : (عل همشمار ٧٢/١/٣٠) .

١ — آريه بينكوس — رئيس الادارة ورئيس قسم الهجرة ويتمتع بصلاحيات رئيس المنظمة (العمل — اسرائيل)
٢ — مردخاي بار اون رئيس قسم الشباب والحركة الطلائعية (العمل — اسرائيل)
٣ — شارلوت جيقبسون (الكونفدرالية الصهيونية — اميركا)
٤ — آريه دولتشين — للمحاسبة (اتحاد الصهيونيين العموميين ، الليبراليين — اسرائيل)
٥ — الحاخام ريتشارد هيرش (الاصلاحيون — اميركا)
٦ — الحاخام ارثور هرتسبرغ (المحافظون — اميركا)
٧ — رعنان فايتس — رئيس قسم الاستيطان (العمل — اسرائيل)
٨ — جاك طورتشنير (اتحاد الصهيونيين العموميين ، الليبراليين — اميركا)
٩ — رعية يجلوم — بدون حقيبة (فيتصو — اسرائيل)
١٠ — الحاخام عزرائيل ميلر (رئيس الاتحاد الصهيوني في الولايات المتحدة)
١١ — اندريه نرفوني — بدون حقيبة (السفاراديم — اسرائيل)
١٢ — كلمان سولطانيك (الكونفدرالية الصهيونية — اميركا)
١٣ — ألن بولاك (العمل — اميركا)
١٤ — حاييم فينكلشطاين — الثقافة والتربية في المهجر (العمل — اسرائيل)
١٥ — الحاخام مردخاي كريشيلوم — قسم الهجرة (المزراحي — المفدال — اسرائيل)
١٦ — يوسف كلرمان — هجرة الشباب (حيروت — اتحاد الصهيونيين التصحيحيين — اسرائيل)
١٧ — موشه كرونا — الثقافة والتربية الدينية في المهجر (المزراحي — المفدال — اسرائيل)
١٨ — موشه رفلين — المدير العام للوكالة اليهودية (عضو مراقب — اسرائيل)
١٩ — الحاخام عمانوئيل ركمان (المزراحي — اميركا)

٢٠ ـ ابراهام شنكر ـ قسم التنظيم والاعلام (المبام ـ اسرائيل)
٢١ ـ عزرا شبيرا ـ الصندوق التأسيسي (الكونفدرالية الصهيونية ـ اميركا)

كما وانتخب يتسحاق نافون رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية التي تضم ١١٠ اعضاء وتقرر ان يكون لكل عضو نائبين . ويتضح من تركيب الادارة الجديدة ، ان حصة الولايات المتحدة ارتفعت الى ثمانية في الادارة ، بالاضافة الى رئيس الاتحاد الصهيوني في الولايات المتحدة الذي يدخل الى الادارة بصفته هذه . كما وان المؤتمر لم ينتخب رئيسا للمنظمة هذه المرة ايضا ، ومن المفروض ان يقوم بينكوس بهذه المهام ، رغم انه لم ينتخب رسميا لهذا المنصب .

وقفة عند الذكرى الرابعة لمعركة الكرامة

هاني الحسن

ان الحديث عن معركة الكرامة عاد فاصبح اليوم مقيـدا . أولا لان الثورة الفلسطينية موجودة الان من جديد في مرحلة ما قبـل الكرامة وثانيا لان اطناناً من الورق استهلكت بالحديث عن حرب الشعب او الثورة الشعبية المسلحة حتى كاد يخيل لابناء الشعب ان تحرير فلسطين بات قاب قوسين أو أدنى ، وفجأة وجد ابناء الشعب العربي انفسهم بعد تجربة اربع سنوات ، أن الاسئلة التي تقرع وجدانهم ما زالت بدون اجابة . لذلك لعله من المفيد جدا أن نقف في ذكرى معركة الكرامة وقفة تحليلية امام الحدث الذي هز وجدان الامة العربية وجعلها تنبض من أعماقها مجبرة الاستعمار والرجعية الموغلة في التآمر في الاردن على التراجع المؤقت أمام الزحف الجماهيري ، لتعود في عـام ١٩٧٠ للتصدي لها وكسب الجولة عليها من جديد .

ان المطلوب اليوم في عام المحنة عام ١٩٧٢ . ليس وقفة عسكريـة لتأريخ عملية الهجوم والدفاع ، وتثبيت الخطط والمحـاور التي جرى القتـال عليها . وانمـا المطلوب وقفة لاستنباط قيمة ومعنى الحدث سياسيا والدروس المستفادة والتي اهمها معنى الجيش الشعبي .

الوضع السياسي الذي ولدت فيه معركة الكرامة

كان مقررا ان تبدأ الثورة الفلسطينية الحديثة عام ١٩٦٣ وليس عام ١٩٦٥ كما حدث . والسبب هو قناعة فتح ان اسرائيل بدأت تستعد لحرب جديدة بعدما استوعبت وهضمت ما حصلت عليه نتيجة لحرب ١٩٤٨ ولحرب ١٩٥٦ — وهذه القناعة الفتحوية كانت تعتمد على أمرين اساسيين أولهما بوادر الازمة الاقتصادية الاسرائيلية التي بدأت تشتد حدتها بشكل خاص منذ مطلع عام ١٩٦٣ ، تلك الازمة التي لا يمكن لنظـام راسمالي احتكاري كاسرائيل ان يحلها الا بطرق الاستعمار التقليدية ، أي الحرب . وثانيهما بيئة اسرائيـل النفسية والفكرية ، والتي تجعل التساؤل الى أي حد تزمع اسرائيل التوسع والتوقف سؤالا سطحيا لان اسرائيل ستتوسع ما دامت القوى العربية المعيقة والمانعة لقوتهـا العسكرية من التوسع والامتداد دون مستواها . فالقوى كالماء تتجه دائمـا نحو المنخفضات .

كان ظهور العاصفة عام ١٩٦٥ ظاهرة تحد لجميع الانظمة والمؤسسـات السياسية البارزة والتي كانت قائمة بشكل خاص،في المنطقة العربية المجاورة لفلسطين .وكان للطرح الثوري الجديد الذي طرحته فتح والذي يقود في النهاية الى رفض اعتبار خط الهدنة خطا دفاعيا ثابتا ، اي الى رفض المنطق الاستراتيجي العربي . كان لذلك الطرح ردة فعل وصلت حد مقاومة رجال الثورة الجديدة واعتقال رجالها ومطاردتهم . وكـان للنظـام الهاشمي (اسرائيل الداخلية) اليد الطولى في تطبيق قرار القيادة العربية الموحدة والقاضي بمطاردة الفدائيين . فأول شهيد للثورة الفلسطينية سقط على يد الاردن وليس على

يد الاسرائيليين . وبعد معركة السموع الشهيرة قال (ن. م.) الركن العسكري للواء حطين في اجتماع لضباط الجيش الاردني عقد في مار الياس لدراسة معركة السموع : لنتمكن من مواجهة الفدائيين فاننا سنغلق الحدود ليلة والاسرائيليون سيغلقونها ليلة .

في ظل هذا التصدي القمعي لطلائع الثورة الفلسطينية الحديثة وفي ظـل مخطط أعلامي عربي واسع يهدف الى اقناع الامة العربية بعمالة الثوار الفلسطينيين وارتباطهم بحلف السنتو بدليل عدم اختيارهم الوقت المناسب ، كان اليوم السادس من حزيران عام ١٩٦٧ يوما تهـاوت فيـه القوى العسـكرية العربيـة مثلما يتهـاوى الموز العفن . والهزيمـة العسـكرية على مسـتوى الامـة تعني دائما نهـاية شيء وبدايـة شيء آخر ، الخامـس من حزيران كان انطـلاقا من تلك الحقيقة ، نقطـة تحول وارتداد للجماهير العربية عن ولائها للانظمة العربية الوطنية ، وعن اسـاليب في التفكير وخاصة في المجال العسكري . وتحت وطأة الهزيمة ونتائجها المجسدة يوميا ، بوجود اسرائيليين عـلى قناة السويس وعلى بعـد عشرات الكيلو مترات من دمشق وعمان ، توجهت الجماهير العربية بردة فعل مجردة الى اولئـك « الثوار الفلسطينيون الفتحويون » الذين ناقضوا الاستراتيجية العربية قبل وقوع الهزيمة وليس بعدها ، والذين قالوا انهم يملكون المنهج الثوري الفعال الكفيل بخلق الظروف لتحرير فلسطين ومن ثم توحيد الامة العربيـة . الجماهير العربية توجهت الى ـ فتـح ـ ليس بسبب قناعات فكرية وانما بحثا عن ارادة الرفض المسلحة للاحتلال الجديد والتي لا تنتهي حرب الا بانتهائها ، والتي كانت تمثل صفة من الصفات الاساسية ـ لفتح ـ عند ولادتها .

ان هذه المقدمة ضرورية لفهم طبيعة المهمة التي القيت فجأة على كاهل فتح وقبل اكتمال النمو الطبيعي للعناصر التي لا بد منها للقيام بمهمة استراتيجية بهذا المستوى (الرجال، السلاح ، الخبرة) . ومن يطالع ادبيات فتح بعد حزيران مباشرة لن يجد وقفة تحليلية مكتوبة طويلة أمام أسباب الخـامس من حزيران . والسبب هو الوضـع الجماهيري الضاغط ، الذي كان يريد رصاصا ويرفض باشمئزاز أي كـلام ، وادراك قيادات فتح آنذاك للظروف الموضوعية الجديدة والتي لا يجوز ان نرى في بؤسها غير البؤس ، كمـا قال ماركس ، وانها الان أمام الامتحان الكبير في أن تكون أو لا تكون وان عليها ان تضع يدها على القوى الفاعلة المهيأة للتغير وان وضع اليد يعني ممارسة الكفاح المسلح . ولذلك فان من الخطأ الكبير ان نحدد اطار معركة الكرامة بما جرى يوم الخميس ٣/٢١/ ١٩٦٨ . لقد بدأت معركة الكرامة يوم ١٩٦٧/٢/٢٨ وهو اليوم الذي بدات فيه فتح مرحلة العمل ضد قوات الاحتلال بعد حرب حزيران وانتهت يوم ١٩٦٨/٣/٢١ .

ان الحقيقة السياسية الاساسية والقائلة ان الحرب امتداد للسياسة ولكن بوسائـل اخرى ، تقود ببساطة الى حقيقة اخرى وهي ان المعركة تنتهي عندما ينجح احد الطرفين بتحقيق الهدف السياسي له حيث يفشل الاخر . واذا ما نظرنـا الى معركة الكرامة من هذه الزاوية فيمكننا ان نضعهـا في اطارها السياسي الحقيقي . ما هو هذا الاطـار ؟ عندما صمتت الرشاشات والمدافع على السويس وعلى مشارف دمشق ونهر الاردن كان دايان يقول وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة الثقة انه كلما قرع بـاب غرفته يظن ان رسول العرب قد اتى ليوقع صك الصلح والاستسلام . فالسياسيون العرب في رايـه واقعيون . وهو كأحد تلامذة كلاوزفيتس المخلصين يعتقد بأن الارادة تنبع من القوات المسلحة . والتي دمرت وانتهت ، وبناؤها يحتاج الى ثلاث سنوات على الاقل . يضاف الى ذلك ان الضفة الغربية انتهت فيها المقاومة الشعبية لان اسرائيل الداخلية (النظام الهاشمي) ضمنت أمية الجماهير بالسلاح والحرب والمقاومة. وفي الفترة التي كان العدو فيها يرفع نظام منع التجول عن الضفة الغربية كان مسؤول عـربي كبير يقول لوفد من

حركة فتح ان لم تتحركوا وتشعلوا حرائق على الاقل فليس امامنا سوى الاستسلام .
ان هذا الجو السياسي حدد أهداف معركة الكرامة .

أهداف مرحلة معركة الكرامة

ان انطلاقة ١٩٦٧/٨/٢٨ ، والتي انتهت بمعركة الكرامـــة الشهيرة ، حققت الهدفين الاساسيين اللذين انطلقت من أجلهما وهما : ابطال المفعول السياسي للانتصار العسكري الاسرائيلي ، والحصول على القاعدة الآمنة كخطوة للحصول على القاعدة الارتكازية .
ان ابطال النتائج السياسية لانتصار عسكري ، لا يمكن تحقيقه ، الا بالخروج من الوضع الجديد الناشىء ، الى وضع اخر يبرهن ان قوى الرفض المسلحـــة ما زالت موجودة ، وانها فعالة بالرغم من عجزها عن سحق القوى العسكرية العدوة ، وان يرافق ممارسة الرفض المسلح نمو ملموس للقوى الذاتية . ان هذا هو الذي يفسر البداية السريعـــة للانطلاقة الجديدة . ففي سرعة التحرك آنذاك يكمن السعي لعدم اتاحة الفرصة للعدو لان ينظف البيت . خاصة وان المقصود تحقيق اثبات الوجـــود ، وكسب الرأي العـــام العالمي . وخلق المناخ الجماهيري ، وليس هزيمة العدو وسحقه .

لقد استطاع الثوار الفلسطينيون خلال عدة شهور ان يسترجعوا آذان العالم وعيونه ، وتحريك قطاعات لا بأس بها من الراي العام العالمي ، من خلال ممارسة أعمال الدعاية المسلحة . الا ان الموضوع الاستراتيجي الذي كانت عيون الثوار مركزة عليه هو الحصول على قاعدة آمنة على ضفتي نهر الاردن . فالثورة الفلسطينية ثورة فريدة بخصائصهـــا وظروفها . ويكاد تعقد العنصر الموضوعي عندها أن يبلغ حدا لا نظير له عند أية ثـــورة أخـــرى في العالم . فهي ثورة شعب ليست أرضه أو اقتصاده هو المطلوب استغلاله وانما انهاء وجوده كشعب . ومن هنا فان الثورة الفلسطينية ولدت ومعها مأزق القاعدة الآمنة قاعدة الانطلاق ، ناهيك عن القاعدة الارتكازية .

عندما ترجع بنا الذاكرة الى مطلع عام ١٩٦٨ وما دار يومهـــا من مناقشات وتحليلات ، تجسدت بمواقف متناقضة للجبهات الفلسطينية والدول العربية على حد سواء ، نجد أن الجميع كانوا يعتقدون ان رجال العصابات لا يواجهون ، وانما يضربون ويهربون ، الا القيادة العسكرية لفتح فقد ارتأت ضرورة المواجهة . واتخـــذت يومها ، بعد مناقشات طويلة ، القرار التاريخي الخطير ليس بسبب ضغط الاحداث فقط ، وانما انطلاقـــا من التمسك بالتحليل النظري الذي كان يتوقع بروز أشياء كثيرة من خلال المواجهة بالقوى التي كانت بالكاد موجودة . بكل أسف ما زال الوعي النظري لحرب الشعب وبالاخص المعنى العسكري لحرب العصابات ،مفقودا، رغم ما دفعهشعبنا من عذاب وتضحيات . ان مهمة حرب العصابات قد تكون مهمة تكتيكية،او مهمة استراتيجية وهذا يقرره الاطار الذي ستخاض ضمنه . هل المطلوب من حرب العصابـــات دعم عمليات جيش نظامي وطني او جيش نظامي شعبي على مستوى الحملة دعما مباشرا وعلى مسافات قريبة ؟ ام ان المطلوب دعم الجيش القوي القادر على صد العدوان والغزو عن اراضيه ، من خـــلال العمل خلف خطوط العدو لتسهيل عملية الصد ؟ في كلتا الحالتين المذكورتين تؤدي حرب العصابات مهمة تكتيكية محضة (كوماندوس) كأداة بيد الجيش النظامي سواء كـــان كلاسيكيا أم شعبيا . اما اذا كان المطلوب بناء جيش نظامي شعبي ليس موجودا بالاصل، ومطلوب خلقه وايجاده في ظل احتلال العدو للارض او في ظل حكم فاشستي رجعي يمثل العدو الطبقي ، هنا تتجاوز حرب العصابات اطار التكتيك وتدخل اطار الاستراتيجية .
في الحالة الاولى تكون مهمة رجل العصابات تحقيق هدف عسكري محض محدد ينتهي بانتهاء العملية ، بينما في الحالة الثانية يصبح لعمـــل رجل العصابـــات محتوى ثوري يستهدف كسب الجماهير وجرها للمشاركـــة والانخراط في الجيش الشعبـــي الجديد

(حزب الشعب الثوري الجديد) ، الذي هدفه خدمتها بكل أمانة واخلاص عــن طريق استخدام اداة العنف للقضاء على ادوات العنف المستخدمة ضده سواء من عدو خارجي كالاستعمار أو عدو داخلي كالعدو الطبقي .

ان نجاح حرب العصابات له مظاهر عدة ، أبرزها تحسسا هو القدرة على ممارسة حرب المواقع مع حرب العصابات ثم حرب الحركة الى جانب حرب العصابات وحرب المواقع . أن توفر تلك القدرة يعني توفر القوى اللازمة لمواجهة أداة القمع العسكري المضادة ، وذلك من خلال نموها عبر النضال .

ان خوض حرب المواقع وحرب الحركة أمر لا يمكن تحقيقه دون امتلاك القوى العسكرية الكبيرة المتوازنة (وليس المتساوية) على الاقل مع قوى العدو . وهذا الامر لا يمكن ان يتحقق الا بوجود مكان (قاعدة آمنة) يستطيع فيه رجال حرب الشعب ممارسة العمل العلني . فالعلنية شرط أساسي لامتلاك وتحريك القوى العسكرية الكبيرة اللازمة لسحق العدو وليس ازعاجه فقط .

ان الحصول على القاعدة الآمنة هو منتصف الطريق النظري (وليس الزمني) لانهــاء الحرب ، اذ انه بسبب ممارسة الثوار سلطة كاملة عليها وتحويلها بعد فترة الى المجتمع الثوري الصغير النموذجي ، فان بناء الجيش الشعبي بقواه اللازمة والخاصة فيه يقصر امد الحرب . والصعوبة في الحصول على القاعدة الآمنة تكمن في مواصفاتها الثلاث التي ليس من السهل توفيرها وخاصة المواصفة الخاصة بعنصر الامن . فالقاعدة الآمنة يجب أن تكون بتماس مع العدو بحيث يضمن ممارسة الكفاح المسلح والتعمد بالنار وتعلـم الجماهير الحرب من خلال العيش في الحرب وممارستها . كما انها يجب ان تكــون في وسط الجماهير ذات الصلة المباشرة بالثورة . والاهم من ذلك هو أن موقعها وظروفها الطوبوغرافية والجماهيرية يجب ان تضمن قدرة الحركة الثورية وجماهيرها على مقاومة عمليات التطويق والافناء التي سيشنها العدو حتما ضدها ، اي توفير عنصر الامن للقاعدة الآمنة .

انطلاق قوات العاصفة بالعمل عام ١٩٦٥ جعلها تدرك مرارة الطريق اكثر من الجبهات التي بدأت عملها المسلح متأخرة عنها ما يقارب السنوات الثلاث . ومن أوائل الدروس التي تعلمها رجال العاصفة ان الثوار الذين لا قاعدة آمنة لهــم ليسوا سوى مشردين هائمين ، وهؤلاء لا يمكن لهم ان يتقدموا بالثورة من مرحلة دنيا الى مرحلة أعلى . كما ان الاستنزاف الذي يتعرضون له خلال عملياتهم لا يمكن ان يعوض بسهولـــة وبالقدر الكافي . وان نضال المشردين الهائمين ليس سوى مغامـــرة يتم فيها الانتحـــار في ظل الاناشيد الجنائزية . فديمومة الثورة مرتبطة بالقدرة على امتلاك قاعدة آمنة كحد ادنى في البداية ومن ثم تطويرها الى قاعدة ارتكازية . وعندئذ يمكن الحديث عن التخطيط وعن امتلاك ادوات حرب التحرير الشعبية ومن ثم خوض حرب الشعب . ان جيفارا العظيم لم يستطع ان يصنع ثورة بوليفيا لانه فشـــل في اقامة قاعـــدة آمنة له . ان هذا الوعي النظري لمعنى القاعدة الآمنة كانت تعيه فتح كما كان يعيه ايضا موشي دايان الذي أمضى فترة طويلة مع القوات الامريكية في فيتنام يدرس حرب الشعب والحرب المضادة لهـــا والذي قال ما قبل معركة الكرامة بكل وضوح ما معناه : اننا لا نستطيع الوقوف موقف المتفرج من جيش من المخربين يتشكل على بعد عدة كيلو مترات قليلة من حدودنا . وهو القائل اكثر من مرة ان الخطـــأ الامريكي في فيتنام هو انهم بـــدأوا مقاومتهم للفيتناميين متأخرين . اننا لا يجوز ان نرتكب نفس الخطأ ، بل يجب سحق المخربين قبل تأقلمهـــم بالارض . ولذلك ارسل قواته بدون تردد لشن حملة تطويق وافناء كلاسيكية واختـــار لذلك يوم ٣/٢١ نفس اليـــوم الذي يزحف فيه **الاسرائيليون الى تل حـــاي شمال صفد**

يزوروا فيه قبر المحارب الصهيوني الاول ترمبلدور الذي كان اول من رفع السلاح في وجه العرب عندما قاد في ١٩١٩/٣/٢١ اول حملة للسيطرة على نهر الليطاني وسفوح جبل الشيخ وقتل شمال صفد . والحق رجال العاصفة ورجال قوات التحرير الشعبية ومن تمردوا من رجال الجيش الاردني أول هزيمة بالصهيونيين ، واثبتوا توفـر عنصر الامن والدفاع عن القاعدة الآمنة ، ومع غروب شمس يوم الخميس ١٩٦٨/٣/٢١ واشراق شمس يوم الجمعة بدأت مرحلة انماء الذات للثورة الفلسطينية وارساء قواعدها ، مرحلة الوقوف على الارض لاول مرة منذ عشرين عاما . وتسلمت قيادة الثورة لمـدة سنتين التوجيه والسيطرة على الاحداث والتطورات في الشرق الاوسط .

لماذا خسر الاسرائيليون معركة الكرامة ؟ الجواب بدون شك لان الذي واجههم هناك هو الانسان الفلسطيني ، وليس الدبابة أو الطائرة . لانهم واجهوا قطاعا من المناضلين يملكون خصائص وصفات الجيش الشعبي . وانا لنجد انه من المفيد جدا بمناسبة ذكرى معركة الكرامة التي ضحى فيها بيوم واحد ٩٢ مناضلا بحياتهم من أجل فتح الثغرات في السد الاسرائيلي العربي ، ان نقف لنلقي نظرة على خصائص الجيش الشعبي .

مدخل لفهم خصائص الجيش الشعبي

من البديهي انه لا يمكن تحقيق غاية ما بأداة تناقض تلـك الغاية . مواصفات الجيش الشعبي اذن تنبع من الهدف المنشا من أجله الجيش الشعبي . القوات المسلحة هي أداة عنف بيد الطبقة الحاكمة ، وهي بناء تحتي لتلك الطبقة ينعكس فيها كل اخلاق وسلوك وعقلية وافكار البناء الفوقي للطبقة . ان هذه الحقيقة يمكن استنباطها ببساطة من خلال ملاحظة العلاقة والترابط القائمين عبر تاريخ البشرية بين طبيعة النظـام الاقتصادي وانعكاسه على طبيعة ومهام جيش ذلك النظام . لقد مرت الانسانية عبر تاريخها الطويل بمرحلة الرق (العبودية) ومرحلة الاقطاع والراسمالية والامبريالية والاشتراكية . ومن الواضح ان جيوش عهد الرق والاقطاع ، وكذلك الجيوش الراسمالية تختلف من حيث بنيتها الطبقية ومبادىء تعبئتها وتدريبها وتسليحها . وانطلاقا من هذه الحقيقة نجد لينين في مؤلفه الشهير « سقوط بورت آرثر » يسبق الاحداث عام ١٩٠٥ ويتنبأ بأن تبدل الدور اليدوي للحرب بالدور الآلي مرتبط بتحول الراسمالية الى الامبريالية . وظهر التجسيد العملي لذلك التنبؤ في الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) والتي كانت بداية فترة الامبريالية . وحتى تتضح هذه النقطة الهامة لنلق نظرة سريعة عبر التاريخ على طبيعة الجيوش عبر التاريخ .

١ ــ جيش مجتمع العبودية (الرق) : السمة الاساسية لهذا المجتمع انقسامه الواضح الى عبيد ومالكي عبيد . ولذلك نجد الجيش وقفا على طبقة مالكي العبيد . ففي أثينـا مثلا كان السكان يقسمون الى احرار وعبيد . واما الاحرار فيقسمون الى اربع زمر على أساس مقدار ملكيتهم للارض ودخلهم من هذه الملكية . وكانت الزمرة الاولى والثانيـة تشمل كبار مالكي العبيد والارستقراطيين الزراعيين والتجـاريين ، وكان هؤلاء يؤدون خدمتهم في **الخيالة** . اما الزمرة الثالثة فكانت تتألف من المواطنين المتوسطين وكان هؤلاء يؤدون الخدمة في **المشاة الثقيلة** . اما الزمرة الرابعة فكانت تتألف من الفقـراء الذين يملكون دخلا بسيطا ، ولا يملكون ارضا على الاطلاق ولكنهم من الاحرار فكانوا يخدمون في **المشاة الخفيفة والاسطول**(١) .

ان الطبيعة الطبقية تظهر بوضوح . فالى جانب منع العبيد من الانتماء للجيش ، يتجسد توزيع طبقات الاحرار على مختلف الاسلحة حسب أهميتها . وذلك حتى يصبح الجيش

---

١ ــ **تاريخ فن الحرب** ، الجنرال ستروكوف ، ص ٤٤ .

قادراً على تنفيذ الهدف المنشأ من أجله وهو : أ ــ سيطرة طبقة مالكي العبيد على العبيد باجبارهم على العمل المجاني وسحق انتفاضاتهم كانتفاضة العبيد التي قادها سبارتاكوس عام (٧٤ ــ ٧١) ق. م. ب ــ شن حروب بقصد الحصول على مزيد من العبيد لتأمين اليد العاملة لطبقة مالكي وسائل الانتاج . وبسبب ما يفرضه تحديد الهدف من نتائج نجد أن اسلوب التربية والتدريب يتم تحت شعار اعداد المحارب الكفء والمأمون ، حامي النظام العبودي(١).

٢ ــ جيش المجتمع الاقطاعي : ان السمة التي تميز المجتمع الاقطاعي عن المجتمع العبودي ، هو بروز (الفلاح ــ القن) المالك لبعض وسائل الانتاج البسيطة ، ولـه اقتصاده الخاص القائم على عمله الفردي . ان جيش هذا المجتمع تشكل عبر التاريخ من وحدات الدروجينا والتي كان افرادها يرتبطون بالاقطاعي وينفذون اوامره من خلال توزيع قطع من الارض عليهم ، اما للاقامة عليها أو لاستثمارها دون تملكها مقابل القيام بالخدمة العسكرية ، عند توجيه الدعوة اليهم . وهؤلاء كانوا يشكلون القوة الاساسية في الخيالة الثقيلة والتي سميت مع مرور الزمن بالفرسان . وكانت هنالك مفارز ووحدات خاصة تتبع له مباشرة كحراسة دائمة . وكذلك وحدات الفقراء والفلاحين المأجورين وتشكل سلاح المشاة ولعب دورا ثانويا في المعارك .

وعندما نشأت الدولة الاقطاعية المطلقة ادخل الاقطاعيون نظام الجيوش المحترفة ذات التدريب الواحد والتربية القائمة على الشدة والقسوة وعلى الخضوع الاعمى بقصد تنفيذ مصالح الطبقة المسيطرة . ولقد استمر هذا النوع من الجيوش المحترفة في التطور لكي يلائم المجتمع الراسمالي والامبريالي . مرة اخرى نرى ان الطبيعة الطبقية المكون منها جيش المجتمع الاقطاعي تجعل من الجيش اداة صالحة ليكون سلاحا بيد الاقطاعيين لقهر الفلاحين الاقنان واسكاتهم من جهة وللقضاء على الاقطاعيين المنافسين من جهة أخرى .

ان هذه اللمحة التاريخية السريعة تجعلنا نستنبط ببساطة ان الجيش الذي هدفه خدمة الشعب بأمانة واخلاص هو جيش شعبي وان الجيش الذي هدفه خدمة طبقة مستغلة لجماهير الشعب ليس بجيش شعبي . الجيش الشعبي اذا هو القادر على خلق وحدة الذات بينه وبين الامة ، بسبب وحدة الهدف والمنشأ ، وبسبب العلاقة الجدلية بين الكل والجزء ، بينما جيش الطبقة المستغلة (بكسر الغين) بدباباته وطائراته ليس سوى اداة قمع (شرطة) ضد الطبقة المستغلة (بفتح الغين) لضمان خضوعها واستغلالها . ان نشوء وحدة الذات ، كي يصبح امرا واقعا وحقيقة ممارسة ، وليس حقيقة لفظية ، له مظاهر أساسية تتجلى في المبادىء الموجهة لبناء الجيش السياسي والعسكري والتي تقوم على الركائز الثلاث التالية .

١ ــ ان الجيش الشعبي هو أداةعنف الثورة الشعبية المسلحة ، طريق التهيئة للتدريج اللازم للانتقال بالمجتمع المستعمر والمتخلف الى المجتمع المتحرر من الاستعمار المهيأ لبدء التغلب على التخلف . ومن هنا فان الجيش الشعبي يولد عبر عملية اعادة توليد للامة ، عبر التعمد بالنار والنضال المرير للامة على كل المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية . إن تاريخ اي ثورة شعبية مسلحة ليس سوى تاريخ بناء الجيش الشعبي ، والذي هو تاريخ اختفاء المجتمع القديم ونشوء المجتمع الجديد . والتجسيد العملي لذلك الاختفاء هو اختفاء نمط الانسان الذي أوجده المجتمع القديم ، وبروز نمط انسان جديد يتلاءم والمجتمع الجديد . وهذا النمط الجديد مثاله الحي تشكيلات الكوادر الاساسية

---

١ ــ **تاريخ فن الحرب** ، الجنرال ستروكوف ، ص ٤٨ .

المنتشرة من القمة الى القاعـدة في الجيش الشعبي والتي تقوم معركـة التحرير على اكتافها .

٢ ــ انطلاقا من نتائج الركيزة الاولى فانـه يتضح ان الجيش الشعبي جيش سياسي وليس جيشا كلاسيكيا عاديا . أي أنه عليه القيام بمهمة سياسية تتجسد بالقدرة على خلق صلات ايجابية مع الشعب الذي يحارب معه ومن أجله . وهذه المهمة تفترض ان يكون الجيش مكونا تكوينا سياسيا وايديولوجيا كي يتمكن من ايقاظ الجماهير للاشتراك في الثورة . والمقاتـل في الجيش الشعبي مطلوب منه ان يقوم مباشرة بتنفيـذ الخطين السياسي والعسكري ، ونشرهما في اوساط الشعب ولذلك فانه هو العامل الرئيسي في قوة القوات المسلحة الشعبية .

وتنقسم الحروب الى قسمين حروب عادلة وحروب غير عادلة . فالحرب التي تخوضها الشعوب المستعمرة ضد المستعمرين والامبرياليين ، او ضد العـدو الطبقي هي حرب عادلة . اما المستعمرون والمستغلون فحروبهم عدوانية . والجيش الشعبي بسبب كونه جيشـا سياسيا فانه لا يستطيع ان يخوض الا حربا عادلة . اي انه يقاتل من اجل قضية عادلة . وهذه هي الركيزة التي يتفرع عنها كل شيء ، سواء الاسس التي يبنى عليهـا انجيش الشعبي ، او اسلوب خوض حرب الشعب . وفي هذه النقطة يكمن السر في قدرة حرب الشعب على الانتصار . . فالعدالة التي تخاض من اجلها الحرب تتجسد في انهـا حرب لمصلحة الجماهير ولذلك فانها تتمشى مع تطور التاريخ وتسير معه الى الامام . اما الحرب التي يشنها المستعمرون والعنصريون والصهيونيون فهي حرب مصالح قضية ظالمة ، وظلمها يكمن في انها تعمل ضد مصلحة الجماهير سواء اليهودية أو العربية او الامريكية او الفيتنامية ولا يستفيد منها سوى طبقة تجار الحرب والطبقة الراسماليـة الاحتكارية الحاكمة ولذلك فانها لا تتمشى مع التاريخ ، ولا يمكن أن تخاض تلك الحرب اعتمادا على الشعوب . الامر الذي يفرض عليها ان تستمد قوتها عن طريـق السلاح الحديث وعن طريق الحرب الخاطفة لانهاء الحرب وذلك حتى لا تثور الجماهير تحت وطأة المعاناة من حرب لا مصلحة لها فيهـا . كتب أحد المعلقين الاستعماريين الالمـان هوفنا مقدمة لكتاب عن ماوتسي تونغ يقول « الحرب التقليدية اصبحت في الوقت الحـاضر بسبب تطور السلاح الذري غير صالحة لان تكون امتدادا للسياسة ولكـن هنالك نوعا جديدا من الحرب آخذ في الظهور . ويختلف عن الحرب التقليدية ولذلك لا بد له من اسم جديد حرب الغوار . ان المحير في هذه الحرب هو ان الجهة التـي تبدو طيلة الحرب بأنها صاحبة القوة المطلقة كأنها بدون قوة وتخسر الحرب في النهاية. . » ان عسكريي المعسكر الاستعماري يعتقدون ان النصر والهزيمة مرتبطة بالتكنولوجيا والسلاح فقط . ولذلك فانهم لا يستطيعون فهم هذه الحروب الجديـدة . ويلخص الجنرال جياب ، ابن الشعب الفيتامي صاحب القضية العادلة ، تجربة الحرب الفيتنامية بقوله « لقد اثبتت حرب التحرير الفيتنامية من وجهة النظر العسكرية ان جيشا شعبيا غير جيد التسليح ولكنه يقاتل في سبيل قضية عادلة يستطيع باستراتيجية وتكتيـك مناسبين ان يجمـع الظروف المطلوبة للانتصار على جيش حديث تابع للامبريالية العدوانية » .

الجيش الشعبي هو اداة تحقيق استراتيجية حرب الشعب . وحرب الشعب ، علـى عكس الحرب التقليدية ، ادواتها التنفيذية تلد وتنمو او تتبلور خلال ممارسة الحرب . ان هذه الخاصيـة تعني انه في حرب الشعب نجـد تصاعـدا بطيئا من التكتيـك نحو الاستراتيجية . ومن نتائج هذه الخاصية الحتمية ضرورة توفر قضية عادلة مستواهـا مصيري تحملها طلائع الجيش الشعبي الاولي بحيث ترى الجماهير الغفيرة من الشعب ان افراد الجيش الشعبي يضحون بحياتهم من اجل سعادتهم وانهم يقتلون على ايدي اعداء الشعب . ان القيام بهذه المهمة (الدعاية المسلحة) في ظل الضعف وعدم توفر الادوات

اللازمة والكافية ، يتطلب معطيات نفسية ومعنويات هائلة قادرة عـلى تغطية التوازن المختل بالعوامل الموضوعية . فالصمود أمام الفشل المتكرر وتحمل مآسي المرحلة الاولى من حرب ليس هنالك من طريق لاستكشاف خصوصيتها الا خوضها والمعاناة والالم ، ورغم ذلك فان اعضاء الجيش الشعبي مطلوب منهم ان يبقوا طواعية فيه ، كـل هذا لا يمكن ان يتحقق الا بقضية اخلاقية مجسدة تقوم المعركة باسمها . ان صفة حاملي راية العدالة وراية القضاء على الفساد والاستغلال والظلم وانهـاء كـل مظاهر العبودية . والتي يرفع الجيش الشعبي رايتها هي الخاصة الاستراتيجية التي تلعب دور الصاعق المفجر لطاقات الشعب والتي تتبلور عبر النضال وتتجمع خلال مرحلة حرب العصابات لتتحول الى قوى مادية ملموسة يتحسس العدو نموهـا عبر القوات المحلية والقوات المركزة وكأنها بالنسبة له انتشار سرطاني بطيء قاتل حتما، يزداد انتشاره عبر الصراع بين التناقضين (العدالة والعدوان) . هذا الصراع هو المهمة السياسية التي على الجيش الشعبي القيام بها وممارستها بالنضال السياسي والنضال المسلح على حد سواء . هذه النقطة تقودنا الى نقطة أساسية هامة تعتبر امتدادا للامر وتعتبـر من العناصر الهامة لتوفر وحدة التراث بين الامة والجيش وهي العلاقة بين السلاح والانسان .

٣ ـ من الفروق الاساسية التي تميز الجيش الشعبي عن الجيوش التقليديـة اعتبار الانسان هو العامل الحاسم والسلاح العامل المهم فقط . بينما يخطط الاستعماريـون وممثلو الطبقة المستغلة على أساس ان السلاح هو الذي يقرر كل شيء امام الجماهير العزلاء . ان كلمة (يخطط) مقصودة . اذ ان الاستعماريين وممثلي الطبقـة المستغلة مقتنعون في اعماقهم بأهمية الاعتماد على عنصر الانسان . الا ان هذه القناعة ضدهم ، اذ ان تطبيقها يعني تساوي السيد والمسود وهو المطلوب الحيلولة دونه . بينما يتمكن مخططو حرب الشعوب ان يستفيدوا من وضع الانسان في مرتبة العامـل الحاسم . اذ ان تعبئة الجماهير والشعب من خلال حوافز فكرية وقناعات داخلية امر ممكن . ان هذه النظرة للمهم والاهم لها تجسيد في طبيعـة تركيب الجيش الشعبي وفي اسس قتاله . أي انه لا يعتمد كالجيش التقليدي على التجنيد الاجباري ، وهو يجد لكـل عمر المكان المناسب كما أنه لا يختار ضباطه اعتمادا على الطول(١) او الوجاهة او الواسطة وانما اعتمادا على مؤهلات نضالية . نقطة اخرى مميزة للجيش الشعبي بسبب هـذه النظرة وهي ان النضال في الجيش الشعبي لا يمكن ان يقوم كما في الجيش التقليدي ، على الاجبار والطاعة ، وبالتالي اعتبار الجندي غير مسؤول عن النتائج . ان المناضل في الجيش الشعبي لا يمكن ان يناضل ويضحي الا بدافع قناعاته الشخصية التي لا بـد بالتالي من توفيرها ، ومن مناقشة النتائج للعمليات العسكرية والسياسية من حين لآخر للمحافظة على قناعاته ، والا فانه سيتخلى عن الالتزام حيث لا يتوفر عنصر الاجبار . ومن هنا كان وجود المفوض السياسي كسلطة عليا أمر لا مفر منه . ان هذه الحوافز يعبر عنها ماوتسي تونغ بشكل رائع في مقالة الحكومة الائتلافية بقولـه : (السبب في قوة الجيش الشعبي يعود الى ان كل افراده يطيعون النظام عن وعي وادراك وانهم تلاقوا وقاتلوا جنبا الى جنب في سبيل مصلحة جماهير الشعب الواسعة ومصلحة كل الامة ، لا في مصلحة خاصة لافراد معدودين او زمرة ضيقة . فالهدف الوحيد لهذا الجيش هو الوقوف بثبات الى جانب الشعب وخدمته بكل أمانة واخلاص) .

عندما يكون الانسان هو العامل الحاسم فان هنالك ثلاثة امـور تخاض المعـارك على أساسها وهي روح البسالة والقتال الليلي والقتال القريب المدى (قتال المئتي متر) .

---

١ ـ في الجيوش الكلاسيكية لا يجوز ان يقل طول الضابط عن ١٦٥ سنتمترا لان ذلك يسيء الى وجاهة الضابط .

وعندما يكون السلاح هو العامل الحاسم فان هنالك ثلاثة امور تخاض المعارك على اساسها وهي ١ — الحوافز المادية ٢ — والقتال النهاري ٣ — والقتال البعيد المدى. ان الوصف الذي يقدمه فان هو عضو اللجنة المركزية لجيش التحرير الفيتنامي عن الجنود الامريكيين في معركة تل بورا يبين لنا الفرق الواضح بين الاعتماد على الانسان أو السلاح في المعارك بقوله : « الجنود الامريكيون لا يدخلون في العمليات الا بعد سد من المدفعية والطيران والمدرعات ، ولذلك فان الجندي الامريكي يشعر بأن عمله بسيط وهو تنظيف المنطقة بالاسلحة الخفيفة . هذا النهج غير قابل للتطبيق في الثورة الشعبية التي تحد بشكل هائل من فاعلية المدفعية والطيران عن طريق الاختباء في الملاجيء والانتظار ثم مواجهة المشاة بقوة ومعنويات لا تشل . اذن فيما عدا المدفعية الثقيلة التي لا يمكن استخدامها في الالتحام الحاسم . فاننا متساوون مع العدو على الصعيد المادي ويبقى العامل الحاسم قوة المعنويات وهذا يعني ان الجندي الامريكي قد هزم سلفا . في منطقة بيرام كان الجنود الامريكيون يتسارعون جميعا وفي نفس الوقت ويتقاتلون للصعود في طائرات الهيليكوبتر وشاهدنا جنودا يطلقون النار على رفاقهم كي يخلوا السبيل حتى تتمكن الطائرات العمودية من الاقلاع . ان معنويات الفرق الامريكية اسطورة ، ولكن انصافا نقول : ربما كانت ستكون مرتفعة لو كانوا يقاتلون دفاعا عن وطنهم » .

ان النقاط السابقة تجعلنا قادرين على تلخيص الفروق الاساسية بين الجيش الشعبي والجيش الكلاسيكي بما يلي :

	الجيش الشعبي	الجيش الكلاسيكي
الهدف	خدمة الغالبية العظمى من الشعب بأمانة واخلاص	خدمة الطبقة المستغلة الحاكمة
الانسان والسلاح	الانسان هو العامل الحاسم	السلاح والتكنولوجيا ، العامل الحاسم
محور العمل	أ — حل قضايا الجماهير العادلة ، القضية المصيرية ،	أ — الحفاظ على مصالح طبقة معينة
	ب — عمل سياسي وحوافز فكرية	ب — توجيه معنوي وحوافز مادية

ان هذه الفروق الاساسية بالهدف وبالنظرة للانسان والسلاح ، وبالتالي لمحور العمل تفرض اختلافا اساسيا في كيفية بناء القوات السياسي والعسكري ، في الجيش الشعبي عنه في الجيش الكلاسيكي .

بناء القوات السياسي

ان جيشا هدفه خدمة الغالبية العظمى من الشعب والذي يعتبر الانسان هو العامل الحاسم والذي يستطيع تنظيم غالبية الشعب بسبب توفر القضية العادلة ، ان جيشا كهذا لا يمكن الاستفادة من نقاط قوته المذكورة ، بدون تثقيف الجيش باهداف الثورة والجماهير ، وبدون توفير الآلية اللازمة لتأمين المشاركة الفعالة ، ولهذا فاننا نجد في الجيش الشعبي عملا سياسيا داخل القوات ، بينما نجد في الجيش الكلاسيكي ما يسمى بالتوجيه المعنوي . والفرق بين الحالتين كبير جدا . فالتوجيه المعنوي يرمي الى توفير راي عام يسهل للسلطة تغطية مخططاتها ، وذلك باستخدام كافة الوسائل والحوافز المادية والكلامية ونشر الشائعات والاكاذيب والحقائق الملائمة على حد سواء . بينما يهدف العمل السياسي الى تأمين انصياع المناضلين (ضباطا وجنودا) الواعي لارادة المجموع ، الامر الذي يتطلب جعل الجيش الشعبي ساحة المساهمة الشخصية النشيطة للمقاتل في العمل الثوري . وهذا لا يتحقق الا اذا كان المناضلون على كل المستويات، على صلة حية ودائمة ومتفاعلة بعملية التحول الثوري . وهذا يتطلب بدوره مشاركة

افراد الجيش ــ بكــل ما في كلمة مشاركــة من معنى ــ بمناقشة الخطين السياسي والعسكري ، الفكري والتنظيمي ، وبناء العلاقة الثورية وتأمين السلوك الثوري للنمط الانساني الجديد . وهذه العملية لا تحقق غرضها الا عن طريق الاقناع والتثقيف وليس من خلال اصدار الاوامر والارغام .

ان العمل السياسي ليس حربا نفسية ذات هدف آني وانما هو بناء للانسان وعملية تثقيف وممارسة يجب ان يشترك بها كل مناضل . الامر الذي ينفي عن العمل السياسي دسفة العمل الفني الصرف الذي يتطلب اختصاصا معينا . ان وضع العمل السياسي في الجيش الشعبي في اطاره الصحيح يتلخص بالنقاط التالية ، والتي تشكل قاسما مشتركا بين كل الجيوش الشعبية في عصرنا الحــاضر كالجيش الصيني والجيش الفيتنامي على وجه الخصوص .

مهام العمل السياسي : تتلخص مهام العمل السياسي بتحقيــق وحدة داخل القــوات المسلحة سواء بين الضباط او الجنود ، او بين الجنود والضباط . وتحقيق وحدة القوات المسلحة مع الشعب ، وكذلك سحق المشاعر القومية الشوفينية عن طريق بناء مشاعر التضامن الاممي ، واخيرا كيفية ضمان تفكيك قوات العدو . ان تحقيق المهــام السابقة يقوم عن طريق البناء الفكري للمقاتل وضمان استمرار تعميق الوعي النظري لكل مناضلي الجيش الشعبي ، بالخطين السياسي والعسكــري عن طريق دراسة مســائــل محددة حسب متطلبات الهدف الثوري في فترة معينة ، او عن طريق دراسة نتائج الممارسات ، في فترة معينة ، سواء الفاشلة منها او الناجحة . كما انه يجب تعظيم دراسة علم السياسة وفق برنامج دائم بواسطة المحاضرات والاحاديث على مستوى الفئة وكذلك بواسطة المدرسة السياسية . وهنا يلعب المسرح والكلمة المكتوبة والمذاعة دورا هاما في القدرة على تعميق الخطين السياسي والعسكري . ان القدرة على تحقيق الوعي الفكري اللازم لنقل مهام العمل السياسي الى حيز التطبيق ، مرتبط بتوفير الكادر (وتزايده المستمر) القادر على القيام بتلك المهمة ، بالاضافة الى هيكل تنظيمي يضمن آلية تنفيذ الديمقراطية المركزية ، أي مناقشة كل الامور السياسية والعسكريــة والاقتصادية من القمة الى القاعدة ، ومن القاعدة الى القمة . وهذا يتجسد بمستويات تنظيمية يتحدد شكلها من خلال معرفة طبيعة وشروط الانتماء للجيش الشعبي . فاذا كان كل عضو في الجيش الشعبي عضوا في الحركة الثورية ، فانه حينئذ يكون قائد القوات او الكتيبة قائدا سياسيا وعسكريا في نفس الوقت ، ويساعده مفوض سياسي ومساعد عسكري وتكون مستويات القوات هي مستوياتها التنظيمية . امــا اذا كانت العضوية للجيش الشعبي مفتوحة بحيث انه لا يشترط كون المقاتل عضوا في الحركــة الثورية او الحزب الثوري ، حينئذ يجب ان يكون هنالك مفوض سياسي وقائد عسكري ونشكل لجان حزبية حتى مستوى السرية ومن ثم خلايا حزبية ، بالاضافــة الى مجالس الجنود ومنظمات الشباب . ان تحقيق الوحدة داخل الجيش الشعبي يمكن جعله واقعا وتطويره نحو الافضل ، عن طريق ما يسميه ماوتسي تونغ (الديمقراطيــة في الميادين الثلاثة الاساسية) وهي الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاقتصادية والديمقراطية العسكرية .

الديمقراطية السياسية تعني المساواة السياسية في العلاقة بين الضباط والجنـــود انطلاقا من أن الفوارق التي اقتضت وجود ضباط وجنود ليست الفروق السياسية وانما هي ضرورات التقسيم الفني للعمل الثوري ، وان العلاقة خارج الاطار الفني هي علاقة من يوحدهم الهدف السياسي . وانطلاقا من هذه العلاقة يقدر ماو النتائج المترتبة على ذلك « فالضباط لا يضربون الجنود ، وهم يعيشون معهم في مستوى واحد ، والجنــود

يتمتعون بحرية الاجتماع ، والكلام ، والشكليات والرسميات السخيفة قد الغيت »(١). والديمقراطية الاقتصادية تعني « أن يضمن للمندوبين المنتخبين من قبل الجنود حق معاونة رؤساء السرايا (ولا يحق لهم ان يتجاوزوا اختصاصات الرؤساء) على ادارة شؤون المؤن والغذاء في سراياهم... »(٢)... « كما ان دفاتر الحسابات مفتوحة لمراقبة الجميع » (٣). اما الديمقراطية العسكرية فينبغي « ان تطبق في التدريب العسكري طريقة التدريب المتبادل بين الضباط والجنود ، وبين الجنود انفسهم . وخلال فترات القتال يجب على السرايا في الجبهة عقد اجتماعات كبيرة وصغيرة من جميع الانواع. حيث يستنهض جمهور الجنود تحت توجيه رؤساء السرايا ليتناقشوا في كيفية الهجوم والاستيلاء على مواقع العدو وكيفية اداء المهام القتالية الاخرى »(٤).

ان تطبيق الديمقراطيات في الميادين الثلاثة المذكورة في ظل قيادة مركزية هي الطريق لتحقيق وحدة سياسية قوية ولتحسين ظروف المعيشة ، ورفع المستوى في التكنيك والتكتيك العسكريين . ان كل الامور المتعلقة ببناء القوات السياسية في الجيش الشعبي تنبع من التمسك بالاولويات الاربع وهي : العنصر الانساني اولى - العمل السياسي اولى ، العمل الفكري اولى ، المشاكل الملحة اولى . (وسنتعرض لهذه الاولويات الاربع بالتفصيل في موضوع قادم) .

خصائص الجيش الشعبي العسكرية

من بديهيات العمل العسكري ان القائد يحدد بادىء الامر الهدف واسلوب قتاله ، وبعد ذلك يوزع قواته ويحدد حجمها ، والجيش الشعبي له خصائص عسكرية خاصة نابعة من أنه اداة تحقيق استراتيجية حرب الشعب ، ولما كانت هذه الاستراتيجية تبدأ بمرحلة تجنب المعارك الحاسمة وذلك بسبب الضعف المتجسد بعدم امتلاك الادوات اللازمة لخوض معارك حاسمة ، فان ولادة الجيش الشعبي بخلق نوع من القوات تمكن الضعيف من خوض الحرب والنمو في وقت واحد . هذه البداية تتطور بحيث تنمو وتتشكل القوات الثلاث الاساسية التي لا يخلو منها أي جيش شعبي وهي :

١ ـ وحدات الانصار . (اداة حرب العصابات) : هدفها الرئيسي خوض حرب استنزاف ضد العدو عن طريق قواها المبعثرة والتي لا قيادة مركزية لها . وعمل هذه القوات يكون في بداية الحرب ذا محتوى استراتيجي ، ويتحول في نهاية الحرب الى دور تكتيكي . ففي بداية الحرب تقوم بالدعاية المسلحة بهدف زيادة عدد المناضلين وانتشار مجموعات الانصار على طول البلاد وعرضها . ان هدف وحدات الانصار الاستراتيجي هو نقل الثورة من الورق الى ورشة العمل وضمان عدم القضاء على الثورة عند ولادتها وبعد ولادتها مباشرة .

٢ ـ القوات المحلية : وهي قوات تفرز من مناضلي وحدات الانصار . ونشوؤها يعني نجاح حرب العصابات في تحقيق اهدافها . ان مهمة القوات المحلية الى جانب عملية الانهاك هو تجميد قوات للعدو من أجل القدرة على تنفيذ خطة معينة . وانتشار القوات المحلية يجعل الجيش الشعبي قادرا على ضرب العدو في أي مكان يدخل فيه .

٣ ـ القوة الاستراتيجية المتحركة :ان اداة عنف العدو لايسحقها الا اداة عنف متوازنة

---

١ ـ **المقتطفات** ، ماوتسي تونغ ، ص ١٦٨ .
٢ ـ **المقتطفات** ، ماوتسي تونغ ، ص ١٦٩ .
٣ ـ **المقتطفات** ، ماوتسي تونغ ، ص ١٦٨ .
٤ ـ **المقتطفات** ، ماوتسي تونغ ، ص ١٦٩ .

معها . وهذا يتطلب قوة ممركزة القيادة مع حجم كاف لخوض حرب نظامية بهدف خوض معارك الافناء باتجاه واحد . ان الوصول الى امتلاك هذه القوات يعني اكتمال بناء هرم الجيش الشعبي ، الامر الذي يعني بالممارسة ان استراتيجيي حرب الشعب امسكوا زمام المبادرة بأيديهم واصبح بامكانهم الانتقال من مرحلة تجنب خوض المعارك الحاسمة (الدفاع) الى مرحلة خوض المعارك الحاسمة (الهجوم) .

ان العناصر الثلاثة المكونة لهرم قوات الجيش الشعبي يستنبط منها ببساطة ، ان الفرق بين الجيش التقليدي والشعبي ليس فقط بنوع العلاقات الرفاقية والاخوية السائدة داخل الجيش الشعبي وانما أيضا بالعناصر المكونة لهما . فالجيش التقليدي لا يتكون الا من قوة استراتيجية متحركة وهي القوات التي يمكن وضعها تحت السلاح .

ان بناء هرم القوات الشعبية عبر ظروف همجية استعمارية شرسة ليس بالامر السهل وهذا ما دعانا الى القول في البداية بأن تاريخ بناء الجيش الشعبي هو تاريخ الثورة نفسها . والحديث بالتفاصيل عن مراحل البناء ليس موضوع هذا البحث . ولكن حتى تتضح الصورة عن الخصائص العسكرية الاساسية للجيش الشعبي وخاصة الناتجة عن آلية تشكيله والوحدات المشكلة له فانه لمن المفيد أن نلقي الضوء على الخصائص التالية :

ا — من مبادىء حرب الجيش الكلاسيكي ان من يخوض حربا على ارضه فانه يكون قد خسر نصف المعركة . كما أن الجيش الكلاسيكي حريص على عدم اشعار المدنيين بالحرب خوفا من ردود الفعل الشعبية في حالة الحرب التي لا مصلحة لغالبية الجماهير فيها ، كما أن الجيش التقليدي مضطر من اجل الحفاظ على المصالح الاقتصادية للطبقة التي يمثلها ان يبذل جهده لحمايتها من التدمير . أما الجيش الشعبي فالمطلوب من قواته المحاربة الذوبان الكامل في الشعب الذي يجب ان يصبح محيطا ثوريا يسبح فيه الثوار كالسمك ويغرق فيه العدو .

ان هذه الخاصية في النظرة الى شمول المعركة ومداها يعتبر حجر الاساس في اساليب قتال الجيش الشعبي . ان هذا الشمول في المعركة يعني خوض الحرب على مستوى الاستراتيجية الشاملة . ولكن ليس بأسلوب القوي الذي يمارس عملية الطعن بالسكين علنا ووجها لوجه . وانما بذكاء الضعيف الذي يجبر خصمه على ابتلاع السكين وهذا ما يعبر عنه عسكريا اجبار العدو على تعدي مداه الاستراتيجي مع المحافظة على قوى الطرف الاخر لضرب العدو المنهك . فالهدف الرئيسي من الحرب هو افناء العدو ومن ثم فرض الارادة عليه ، وهذا يتوفر من خلال اتساع مساهمة الجماهير بالحرب من خلال انتمائها الفعال الى احدى القوات الثلاثة المشكلة للجيش الشعبي .

واذا توفر عنصر المساهمة الشعبية ذلك ، فان موضوع الارض يمكن حينئذ التصرف فيه بالشكل الملائم للموقف بالاحتفاظ بها او التخلي عنها مؤقتا اذا كان ذلك مفيدا . وهذا ما يعبر عنه ماوتسي بقوله : « انه كثيرا ما يكون التنازل عن الارض هو السبيل الوحيد من اجل الاحتفاظ بها . فاذا كان ما نفقده هو الارض وما نكسبه هو النصر على العدو بالاضافة الى الارض بل حتى توسيعها فاذا تلك تجارة رابحة(١) .

من المعروف عندما يعبر جيش تقليدي حدوده فان هذه القوات اذا تمركزت فقدت ارضا، واذا ما انفلشت فقدت قوتها الناجمة عن المركزة . ولذلك فان الجيش التقليدي بعبوره الحدود يبدأ بالمعاناة من تناقض قاتل عندما يواجه جيشا شعبيا عنده وحدات الانصار تعمل خلف خطوطه بقصد تحطيم معنوياته وقطع طرق مواصلاته وارباكه ، في الوقت

---

١ — **المقتطفات** ، ماوتسي تونغ .

الذي تقوم فيه الوحدات المحلية بضربه في كل مكان لاجباره على نشر قواته على مساحة واسعة لتقوم القوة الاستراتيجية المتحركة المركزة باختيار منطقة لخوض معركة استراتيجية تختار بعد الانفلاش ، فيضطر الجيش التقليدي على تجميع قواته من جديد ومركزتها لمواجهة القوة بالقوة ، وبالتالي يخسر ارضا . وهكذا يعيش الجيش الغازي تناقضا لا خلاص منه . الانفلاش . والمركزة .

الجيش الشعبي بسبب طبيعة تركيبه الثلاثية (الانصار . وحدات المناطق . الوحدات النظامية) والتي يمكن توفيرها على الارض التي يقاتل عليها مدافعا . لا يواجه مثل ذلك التناقض القاتل بل هو قادر من خلال تشغيل القوى الثلاثة بالتناوب على الخروج من المآزق . ويملك القدرة على ان يكون في كل مكان او لا يكون .

ان احتلال ارض او قاعدة جديدة من قبل جيش تقليدي غاز لا يعني كما في الحروب الاخرى ربح معركة . ومن هنا نجد ان كثيرا من الامريكيين في فيتنام يقولون بأنهم يشعرون بأنهم يقاتلون في سبيل لا شيء . فالمهم في حرب يخوضها جيش شعبي هو لقاء القوات المعادية ، واحتلال العدو لارض جديدة يعني انفلاشا وفرصة جديدة للعمل . ولقد قدم الفيتناميون نماذج رائعة في استغلال هذه الخاصية والتي تجعل الاشراف على مساحات من الارض يحتل مكانا أهم من احتلال الارض نفسها ، او الاحتفاظ بها . **وهذا ما يوفر ويبدع مبادىء جديدة في السيولة الهجومية للقوات .**

٢ ــ الجيش الشعبي بحكم طبيعة تكوينه ونشأته هو جيش قادر على القتال بالدبابة والصاروخ والطائرة اذا امتلكها . كما انه يستطيع القتال بدونها . والسبب في قدرته هذه ترجع الى طبيعة نشأته وتكوينه . فالقوات المحلية وقوات الانصار قوتان مخفيتان ولذلك فهما ليستا هدفا ظاهرا للطائرات والدبابات . كما انهما مدربتان على القتال القريب المدى والقتال الليلي وهما مهيئنان لان تناورا كخلية النحل من خلال هجومهما الخاطف ضد الدبابات والافراد والذي لا يستمر اكثر من دقائق . اما القوات المركزة المتحركة فهي ذات منشأ انصاري ومن القوات المحلية . وبالتالي يمكن حسب تبدل ميزان القوى مركزتها والقتال بها باتجاه واحد . والمناورة بها كالكبش وجعلها تستخدم كل الاسلحة الحديثة ، او حل عقدها وتوزيعها الى قوات محلية او عصابات اذا ما ظهرت صعوبات بالحفاظ عليها . هذه الميزة الرائعة لا يستطيع جيش كلاسيكي ان يمارسها بسبب اختلاف المنشأ والصلة . وهذه الخاصية هي التي تجعل حرب الشعب تتلخص بالقدرة على تحريك القوى الثلاث المشكلة للجيش الشعبي . بالتناوب . وبشكل حاذق يضمن خلق التكتيكات المضادة لتكتيك العدو .

صحيح ان القدرة على تحريك القوة الاستراتيجية المتحركة يعطي نتائج أكثر تحسسا من تحريك القوتين الاخريين ، الا انه في حال اختلال ميزان القوى لصالح العدو يصبح المطلوب هو القدرة على البقاء والاستمرار واسترجاع الانفاس ، وهنا يقدم الجيش الشعبي الحل . لحالة يتعرض لها الضعيف عشرات المرات . ومن الامثلة الواضحة على ذلك ما جرى في فيتنام عام ١٩٦٥ . فمن المعروف ان الجنرال جياب قائد الجيش الشعبي الفيتنامي قال عام ١٩٦٤ السنة القادمة سنحرر جنوب فيتنام . وهذا يعني بمفهوم حرب الشعب ان السنة القادمة ستعني الاستيلاء على المدن آخر مراحل اي حرب شعبية . وفعلا بدىء بالهجوم واحرز تقدم في الاستيلاء على بعض المدن ، وعندما القى الامريكيون بثقلهم عام ١٩٦٥ وذلك بانزال حوالي نصف مليون جندي اختل ميزان القوى لصالح النظام العميل في جنوب فيتنام . هنا اوقف الفيتناميون هجومهم على المدن ، وعادوا من جديد الى القتال بوسائل حرب العصابات والى حد ما بحرب المواقع ووسعوا الجبهة بفتح جبهة لاووس وتايلاند بقصد كسب الوقت وانهاك العدو الامريكي . وبعد

سنوات خمس تقريبا عادوا من جديد يستعدون لدخول المدن ، أي الى تحريك القــوة الاستراتيجية المركزة على نطاق واسع .

٣ ـــ من الاعمدة الاستراتيجية التي يقوم عليها الجيش الشعبي ، قضية الاعتماد الكبير في تحقيق النصر على تفكيك قوى العدو ووحدته الداخلية من خلال التسلل السياسي . واذا كانت الشعارات المجسدة للقضية العادلة التي يقاتل من اجلها، والسلوك الانساني الذي يمارسه الجيش الشعبي بالتعامل مع الاسرى والمناطق التي يدخلها ، اذا كانت تلك الامور أساسية ولا بد منها ، فان الطريق الى التسلل السياسي وتفكيك قوى العدو هو جعل شعب وقوات المعتدي يعانيان من الحرب وذلك عن طريق اطالة أمد الحرب. اذ أن السياسة العدوانية عندما تحقق انتصارات ومكاسب اقتصادية لا تنعكس نتائجها على الطبقة القائدة في معسكر العدو ، بل يمكن ان يرافقهـــا ارتفاع اوار الشوفينيـــة والعنصرية المعادية بين مختلف الفئات الاجتماعية ودولة الصهاينة نموذج حي لهـــذه الحالة التي نشعر بها بعد كل عدوان اسرائيلي ناجح علينا .

ان اسلوب بناء الجيش الشعبي يجعله قادرا على ممارسة (المناورة بالاعياء)(١) في حرب طويلة الامد ، تكون نتائجه جر العدو للاذعان والخضوع مرغما بالاعيـــاء الذي يصيبه(٢) مقتنعا وشعبه ان دباباته وطائراته عاجزين عـــن حل المشاكل . وتحت ضغط التكاليف الباهظة والتدهور الاقتصادي والمظاهرات المنادية بايقاف نزيف الضحايـــا ، تتأزم التناقضات الداخلية في المعسكر الرجعي ، الامر الذي يزعزع معنويـــات جيش العدو ، وحينئذ يصبح من السهل توجيه الضربات اليه .

٤ ـــ نابوليون كان كثيرا ما يقول « ان الفن العظيم في المعارك هو تغيير خط العمليات في اثناء القتال . وهذه هي احدى افكاري ، وهي جديدة كل الجدة(٣). ولتطبيق ذلك كان نابوليون يقوم بمصادرة البيوت والمزارع واقامة مراكز مختلفة للعمليات(٤). كل ذلك من اجل ايجاد الظروف الملائمة لتغيير خطوط المواصلات في قلب المعركة ، اذ ان هذا السلوك يجعل القائد ينجو من الحصار ولا يضطر الى القتال على جبهة مقلوبة .

ان هذه النظرية التكتيكية ذات المردود الاستراتيجي هي سر قدرة الجيش الشعبي على مواجهة قوى اكبر بكثير من قواه بالتوازي معها ، الامر الذي يبدو لكثيرين أمرا غـــير منطقي . والفرق بين نابوليون والجيش الشعبي في هذه النقطة ، ان الجيش الشعبي لا يحتاج الى مصادرة البيوت والاماكن ، اذ أن مشاركة غالبية الشعب بحرب ، واقبالهم الطوعي بدافع المصلحة الاقتصادية والوطنية على الانتماء للجيش الشعبي ، يجعلـــه ملتقى لخيرة الشباب والشيوخ وكذلك خيرة العقول والنفسيات ذات النقاء الثوري الامر الذي يجعل الجيش الشعبي مؤهلا للتحرك الجماعي وبالتالي الى امتلاك العامل الذاتي الفعال والكفوء والقادر على تحويل النظرية الى واقع حي متحرك اعتمادا على الجماهير وبمشاركتها وليس على القمع والمصادرة . وهذا الواقع الايجابي هو الذي يجعل المبدأ الذي يفتخر نابوليون باكتشافه يطبق بشكل نموذجي من قبل الجيش الشعبي .

٥ ـــ ان الجيش الشعبي عندما يدافع عن دولة يكون قادرا من خلال استراتيجية حرب الشعب علـــى ابطـــال مفعول التفـــوق التكنولوجـــي من خلال سواعد ملايين ابنـــاء الشعب القادرة على اخفاء كل شيء صناعي واقتصادي حساس تحت الارض او فـــي

---

١ ـــ **مدخل الى الاستراتيجية العسكرية** (بوفر) ، ص ١٦١ .

٢ ـــ **مدخل الى الاستراتيجية العسكرية** (بوفر) ، ص ١٦٤ .

٣ ـــ **تاريخ الفنون العسكرية** (شنايدر) ، ص ٤٢ ـــ ٤٣ .

٤ ـــ **تاريخ الفنون العسكرية** (شنايدر) ، ص ٤٢ ـــ ٤٣ .

الكهوف كما هو الحال في فيتنام اليوم . وعليه الى جانب اقتصاد الحرب الطويل المدى بناء الجسور العائمة للمرور ليلا وازالتها نهارا كابطال لمفعول القصف الجوي ، وان يهيء الجماهير للعمل تحت شعار العدو يدمر ونحن نرمم . كما انه من خلال مشاركة الشعب يمكن ان تحل النساء مكان الرجال في الزراعة والانتاج .

ويعتبر ما يقوم به شعب الصين نموذجا حيا للخصائص العسكرية المؤدية الـــى حرية القدرة على اتخاذ القرار السياسي بالرفض والتأييد . ومن الامثلة الحية انفـــاق مدينة بكين وخزانات النفط التي تبنى وفي قاعها ابواب تفتح في ساحة الخطر لينساب النفط منها عند الهجوم الجوي الى أماكن بعيدة وعبر اقنية في باطـــن الارض ولذلك فـــان استراتيجية الجيش الشعبي الصيني هي جر العدو للقتال على ارضهـــا تحت شعـــار ليس عيبا ان يأتي الامريكيون الينا وانما العيب ان يغادروها احياء . وهم قادرون على تنفيذها ويكفي ان الاستعماري ماك ارثر قائد الحرب الكورية كانت اخر وصاياه الا تخاض حرب برية في اسيا .

النظام الاردني ومعركة الكرامة

يحاول النظام الاردني من خلال احتفالاته المستمرة اقناع ضباطه وجنوده ان معركـــة الكرامة تمت بتخطيط من القصر الملكي . وكذلك حاولت بعض الصحف الكويتية المعروفة باتجاهها ان تكتب مجموعة مقالات تحت باب جنرالات الجيش الاردني يتحدثون ، وهذه المقالات تهدف الى بث فكرة ملخصها ان سرقة الفدائيين لانتصار الكرامة كان السبب الاساسي للانفصام الذي ساد العلاقات بين الطرفين وادى الى صدام ايلول . ان هذا الخط الاعلامي للنظام الاردني خط مدروس ووضعه الخبراء الامريكيون الذيـــن كانوا متواجدين في رئاسة الاركان الاردنية اثناء ايلول وكانوا هم الذين يكتبون بلاغات الحاكم العسكري وكانت مهمة معن ابو نوار وعدنان ابو عوده محصورة بالتعديلات اللغوية . وفي تقرير ورد في الشهر الماضي لجهاز أمن حركة (فتح) ، ومن مصادر تعتبرها (فتح) موثوقة . يشير الى محاضرة القاها ضابط في السفارة الامريكية على عدد من الضباط المتعصبين لاردنيتهم . وقد حاول الضابط الامريكي ان يقنع الحاضرين ان تحرير فلسطين لم يكن في يوم من الايام دخل للفلسطينيين به ، ففلسطين على حد رأيه حررهـــا عبر التاريخ ثلاثة صلاح الدين الكردي ولورنس الانكليزي والملك عبدالله الهاشمي .

أن الثورة الفلسطينية لم تنكر يوما الدور الذي قام به ضباط وصف ضباط وجنود في الفرقة الثانية يوم الكرامة . ولكن الثورة الفلسطينية تصر على القول بأن النظام الاردني مجسدا (بالقصر) كان يتصرف على أساس ان اسرائيل ستحل له مشاكله للتغلب على الوضع الجديد الناشيء عن وجود ثوار مسلحين بشكل علني في الاغوار . والدليل علـــى ذلك متعدد الجوانب . ممكن اجمالها بجانب تحليلي يعتمد على السلوك التاريخـــي للنظام الاردني ضد الفلسطينيين ، والذي يعتبر كتابا الدكتور انيس صايغ (الهاشميون والقضية الفلسطينية) و(الهاشميون والثورة العربية الكبرى) مرجعا لهذا الموضوع . وبجانب نابع عن ممارسات النظام في الفترة التي تلت الخامس من حزيران حتى أواخر عـــام ١٩٦٨ عام الكرامة ، والتي سأحاول هنا ان نذكرها من جديد للتاريخ :

١ ــ في اواخر شهر شباط طلبت قيادة الجيش الاردني من قيادة الفرقة الاولى والتي كان يقودها مشهور حديثه في ذلك الوقت ، ارسال سرية ناقلات محمولة الـــى الكرامة لاستحداث نقاط تفتيش . وان تلحق تلك السرية بقائد لواء الامـــيرة عالية (كاسب الصفوك) . وكانت الحجة ان الفدائيين بدأوا يزعجون الناس وما داموا متواجدين فلن يتمكن الفلاحون من الزراعة . وقد بذل يومها قائد الفرقة الاولى اللواء مشهور حديثه كل جهد ممكن للحيلولة دون وضع نقاط التفتيش . الا انه غلب على امره ولعب دورا كبيرا

من خلال التفاهم مع كاسب الصفوك الذي تربطه به صلة قرابة ، مـــن تدارك الموقف الناتج عن تحدي الفدائيين ورفضهم تقديم هوياتهم وتقديم الكلاشنكوف عوضا عنه . وهذا ما يثبت ان نية السيطرة على الفدائيين كانت متوفرة قبل معركة الكرامـــة وأنهم عندما فشلوا استبدلوا انفسهم بالاسرائيليين .

٢ ـــ في ٣/٢٠ أي قبل معركة الكرامة بيوم واحد أصدر مشهور حديثه امرا بالغـــاء نقاط التفتيش وكلف قائد لواء عالية بتجميع سرية الناقلات المحمولة في شرق الكرامة . مع تكليف قائد السرية بالدفاع عن شرق الكرامة (مثلث الشونة) بعدما الحقت به فصيل م/د ١٠٦ كانت تساند قوات الحجاب .

٣ ـــ قبل المعركة بأسبوع بدأت الضغوط تنهال على قائد فتح ، الاخ ابو عمار والاخوين أبو اياد وابو صبري ، أعلى المراتب المسئولة المتواجدة يومها هناك . وقد بذل عريم قائد القوات العراقية وعامر الخماش رئيس الاركان الاردنية يومها ، جهدا كبيرا في قرية الحمرا الاردنية الواقعة على الحدود السورية ، وكذلك في عمان لاقناع (فتح) بالانسحاب من خلال طرح الاخطاء العسكرية التي تحملها مواجهة الفدائيين . وكان الجواب يومها أنها معركة سياسية وليست عسكرية ، وبعدما اشتد الضغط كان جواب الاخ ابو عمار اننا نريد ان نقنع العالم ان هنالك في الامة العربية من لا ينسحب ويهرب . لنمت تحت جنازير الدبابات ونغير اتجاه التاريخ في المنطقة وحينئذ لن يعتب احد علينا . وفي احد اللقاءات لمح ضابط كبير جدا بأنه يعتقد ان هنالك طرفا امريكيا متفقا مع طرف في القصر بأن تقوم اسرائيل بتنظيف الكرامة . وأضاف بأن الجيش لن يستطيع لذلك تقديم مـــا يتوقع منه .

من البديهيات ان المعركة بالدرجة الاولى هي معركة القرار . والقرار اتخذته قيادة (فتح) ومجلسها العسكري . حتى ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وكانت يومها موحدة تركت مواقعها ولم تدخل المعركة اقتناعا منها بصحة التحليلات العسكرية الكلاسيكية ولعدم ادراكها أن الثورة الفلسطينية كانت تبحث عن القاعدة الآمنة .

٤ ـــ ان نظرة نلقيها على خارطة المعركة تعطينا فكرة عن شكل توزع ثقل المعركة . حيث يلاحظ بسهولة ما يلي :

آ ـــ ان ساحة الاحتكاك المباشر للعدو كان بها سرية دبابات اردنية + فصيل سيارات جيب عليها مدافع ١٠٦ . متمركزة عند مثلث الشونة . بينما كانت قوات الفدائيين تغطي كل الساحة .

ب ـــ ان سرية الدبابات الاردنية المتواجدة قد واجهت لواء الدبابات المتقدم . وقد وجه قائد اللواء الاسرائيلي نداء بمكبرات الصوت للدبابات الاردنية بألا تطلق النار لان العملية موجهة ضد الفدائيين . الا أن سرية الدبابات قاتلت ببسالة الا انه بعد تدخل الطيران انتهى مفعولها . بعدما الحقت بلواء الدبابات المتقدم خسائر زادت عن ٢٠ دبابة وآلية .

جـ ـــ ان قوات الفدائيين واجهت لوحدها لواء المشاة المتقدم عن طريق جسر دامية . والقوات المحمولة بالهيلوكوبتر والتي انزلت بأربعة اماكن كتيبة مظليين هدفها تطويق الفدائيين المتواجدين في السهل والمدينة (كلهم من رجال العاصفة) ، وقوات الدبابات الباقية من اللواء المتقدم عن طريق جسر اللنبي . وبعد ذلك لواء المشاة المحمول الذي كان يشكل القسم الثاني من الهجوم . صحيح ان المدفعية الاردنية لعبت دورا كبيرا في اعاقة الانسحاب وفي ارتفاع خسائر العدو ، الا انه علينا الا ننسى بأن قائد الفرقة مشهور حديثة كان قد أبلغ الضباط قبل المعركة بيومين بأن فتح المدفعية ليس بحاجة الى امر من قيادة الفرقة ، الامر الذي ترك لقيادة المواقع حرية التصرف ، وهنا تدخل حس الضباط والجنود الوطني .

د ـ كان قسم الامر في معركة الكرامة يتألف من مشهور حديثه قائد الفرقة الثانية والعقيد سعد صايل قائد هندسة الفرقة الاولى والشريف زيد قائد المدرعات . واثنان من قسم الامر لم تعد لهم اية صلة بالجيش : مشهور حديثه بالسجن وسعد صايل قائد قوات اليرموك . اما قادة الفرقة الثانية فمنهم بهجت المحيسن (قائد لواء حطين) المفروضة عليه اقامة اجبارية واما الزعيم شابسو مدير العمليات الحربية آنذاك فقد ترك الجيش .

هـ ـ ان من اسباب ارتفاع الخسائر بالدبابات الاردنية هو القرار الذي اتخذ ظهـرا بتحريك كتيبة الدبابات المتواجدة في ناعور خلف القصور الملكية . الا انه ما كادت سرايا هذه الكتيبة تتحرك وتصل الى محاور الالوية ، وخاصة السرية التي اتجهت الى لواء القادسية ، حتى فاجأها الطيران ودمر قسما منها .

عندما بدأت الكتابة لم أكن انوي كتابة هذا المقال الطويل . الا أن سيلا من المشكلات والقضايا ينهال على ذهن كل من يحاول الخوض في موضوع يتعلق بالثورة الفلسطينية . ولنختتم هذه الوقفة عند معركة الكرامة بما حدث الساعة الثامنة واربعون دقيقة مساء عندما دخل الملك حسين والشريف ناصر والشريف زيد وعديله ، الى قيادة الفرقة. وسأل الشريف ناصر ضاحكا قائد الفرقة شو عملوا الفدائية ؛ فنوا اليس كذلك . وهنا صمت الملك بينما اجاب مشهور حديثه بكل تحد ان الفدائيين قاتلوا بشجاعة وبسالة وخسروا كثيرا . وفي هذه الاثناء قرع جرس التلفون لينقل معلومات من لواء عالية تقول ان هنالك نجدات من الفدائيين تتحرك عبر وادي شعيب باتجاه الكرامة فضحك الزائرون الا الملك قام وطلب من قائد لواء عالية ان يقدم له تقريرا مفصلا عن الفدائيين . وفي اليوم الثاني كان الفدائيون الذين عبروا عن طريق وادي شعيب يحيطون بـ ٩٢ شهيدا مـن قوات العاصفة استشهدوا كالاسود في عرينهم و٢٤ شهيدا مـن قوات التحرير الشعبيـة استشهدوا كالصقور في أعالي الجبال . وبدأ المد الثوري . وفي عام ١٩٧٠ انتقم النظام ممن صنعوا معركة الكرامة سواء كانوا فدائيين ام ضباطا ام جنودا .

اننا اليوم في ذكرى معركة الكرامة الرابعة نحتفل بذكرى الكرامـة الجديدة ، معركة العرقوب . وشعبنا ما زال ينتظر حكم العدالة التاريخي على النظام الذي اجهض معركة الكرامة الاولى .

الحركة الصهيونية في اميركه وممارسة العنف

سعدات حسن

لقد قيل بأن العنف سمة من سمات المجتمع الاميركي مثلما فطيرة التفاح سمة اخرى له(١)، ولم يكتف اناس كثيرون بقبول هذا الافتراض فحسب ، بل ارادوا ايضا التحقق من صحته على الصعيد العملي . والمعروف ان تاريخ الولايات المتحدة هو عبارة عن سلسلة من اعمال العنف التي ترسخت عن طريق استخدام القوات المسلحة الاميركية(٢) وكذلك بممارسة جماعات ذات مصالح خاصة لهذه الاعمال ، وذلك في مجالات العمل والاسكان والنشاطات الوطنية والدينية والتجارية وعلى صعيد الاقليات والطلاب . ومن هذه الزاوية نرى ان الصهيونيين الاميركيين لم يشذوا عن القاعدة ، ففي مجتمع فطر على العنف كان لا بد للحركة الصهيونية من ان تساهم بقسطها من ذلك ، وخاصة وانه منذ نشأة هذه الحركة لم يتورع مؤسسوها او قادتها عن استخدام مختلف اساليب العنف لتحقيق اهدافهم الاستراتيجية والتكتيكية . وفي هذا المجال ، نرى ان ثيودور هرزل ، مؤسس الحركة الصهيونية ، استخدم الابتزاز والوشاية والاكراه والضغوط الاجتماعية والاقتصادية لارغام الطوائف اليهودية في مختلف انحاء العالم على القبول بالفكرة الصهيونية السياسية الحديثة ومساندتها(٣). وما ان تغلغلت الصهيونية في الاوساط اليهودية حتى اصيبت منظمات يهودية عدة في الولايات المتحدة بعدوى المبادىء السياسية للصهيونية وتغيرت تغيرا كبيرا وذلك بعد ان كانت مجرد منظمات دينية او ثقافية . وقد بلغ العنف المرتبط تاريخيا بالصهيونية في اميركة ذروته ونهايته المنطقية برابطة الدفاع اليهودية سيئة الذكر . والبحث الذي نحن بصدده يدور حول هذه العملية التاريخية .

نبدأ في العام ١٩٣٠ عندما أسس فلاديمير جابوتنسكي الحركة الصهيونية التصحيحية وانشق عن المنظمة الصهيونية العالمية ، بعد ان اتهم قادتها ومن بينهم حاييم وايزمن ودافيد بن جوريون وموشيه شاريت بالتزلف للبريطانيين ، كما انه هو واتباعه اعلنوا رفضهم للخط السياسي الذي كانت تتبعه الوكالة اليهودية ، وكذلك فقد كان هو واتباعه من أشد المناهضين للصهيونية الاشتراكية والهستدروت . لذلك يمكننا ان نعتبرهم يمينيين ومعادين للحركة العمالية وتوسعيين واشد عنفا من الفريق الاخر الذي انشقوا عنه . وعندما تحولت الصهيونية من موقفها العنفي على الصعيد الفلسفي الى النشاط العنفي في فلسطين خلال الاربعينات شكل اتباع جابوتنسكي منظمة ارجون زفاي ليئومي كجناح عسكري لهم . ولسنا بحاجة الى ذكر نشاطات الهاجاناه ، التي كانت بمثابة الجناح العسكري للوكالة اليهودية (الهيكل الاداري الذي تشكلت منه دولة اسرائيل الحالية) فكل هذه النشاطات معروفة ومدعمة بالوثائق . ولكن المنظمة الاكثر عنفا من الهاجاناه ، والتي كانت ظاهريا خارج سلطة الوكالة اليهودية ، هي الارجون(٤) التي كانت ، بزعامة مناحيم بيجن ، (الرئيس الاسمي الحالي لحزب حيروت الاسرائيلي) تمثل الجناح اليميني الارهابي للحركة المسلحة بكافة فصائلها ، كما انها انشقت عن

الوكالة اليهودية والهاجاناه على أساس معتقداتهـا المعادية للاشتراكية والشيوعية . وفي الحقيقة ، قامت الارجون بتلك العمليات التي لم تكن الوكالـة اليهودية ، لاسباب تتعلق بالمحافظة على « حسن سمعتها » ، تقدر أو تريد القيام بها . ورغم ان الوكـالة اليهودية كانت باستمرار تتنصل من مسؤولية الاعمال التي تقوم بها الارجون ، نرى انه لا شك بأن الارجون كانت تقوم بدور هام ومتفق عليه لتأمين اقامة الدولـة اليهودية في ١٩٤٨ وقبل ذلك (خاصة في الفترة التي تلت ١٩٤٧ عندما كان الهدف الرئيسي للحركة الصهيونية المسلحة هو طرد السكان العرب من فلسطين) .

اما في اميركة ، فقد كانت الارجون تحظى بتأييد ما يسمى بـ « اللجنة الاميركية من اجل فلسطين الحرة » بزعامة بن هخت ، أحد قادة الارجون المتحمسين . ولقـد اقتصرت نشاطات اللجنة بشكل رئيسي على جمع الاموال للأرجون ، ولكنها بالاضافة لذلك كانت تعمل للحصول على اسلحة ومعدات عسكرية للارجون . ولـم تتـورع اللجنة عـن استخدام الاكراه(٥) واحيانا العنف(٦) لتحقيق اهدافها . وهكذا نرى انه في حين ظلت النواحي العسكرية البحتة للارجون ظاهرة فلسطينية ، انتقلت فلسفتهـا واساليبهـا الاساسية الى اميركة حيث نهضت بعد سبات دام عدة سنوات اولا تحت ستار « بيتار » ومن ثم رابطة الدفاع اليهودية .

وبقيام اسرائيل في ١٩٤٨ أصبحت ارجون تعرف بأسم حزب حيروت . وقـد انشـأت فروعا لها في مدن كثيرة يوجد فيها جاليات يهودية كبيرة لمساندتها من ناحية ، ولكسب مزيد من الاعضاء الى صفوفها ، من ناحية اخرى . وقد تم كذلك انشاء كتائب الشباب اليهودية من زمر شبه عسكرية ترتدي قبعات خاصة وتتدرب على « الكاراتيه » . وكثير من هؤلاء نزحوا الى اسرائيل واقاموا فيها . أما اولئك الذين تخلفوا فهم من العنـاصر الضعيفة والخاملة ، ولكنهم حافظوا على العنف الذي تلقنـوه على أيدي جابوتنسكي وبيجن . اما عصابات البيتار فهي المسؤولة عن معظم عمليات العنف التي وقعت فـي اميركة في الفترة من ١٩٤٨ الى١٩٦٨ ، ومعظم اعضائها من الطوائف الارثوذكسية اليهودية وذات الدخل المنخفض والتي تقيم في غالبيتها في حي شرقي منهاتن الاسفل وحي بروكلين بنيويورك . والاعتداءان اللذان تعرض لهما الوفد السوري لدى الامم المتحدة في ١٩٦٦ و١٩٦٧ كانا من عمل عصابات تتألف من عشرين الى خمسة وعشرين فتى وشابا ممـن داهموا مقر البعثة السورية واقفلوا الابواب خلفهم وعبثوا بالملفات وارعبوا الموظفين العاملين في المقر . ولم يخرجوا الا عندما اعتقلتهم شرطة نيويورك لتطلق سراحهم مباشرة تقريبـا .

وبالنسبة لرابطة الدفاع اليهودية فقد تأسست في العام ١٩٦٨ ، واعلنت أن الغرض من انشائها هو حماية اليهود من المضايقات والاعتداءات الناجمة عن سلسلة الحـوادث في احد الاحياء اليهودية الفقيرة في بروكلين حيث كان يتعرض المسنون من اليهود باستمرار لعمليات من السلب والنهب . وقد خلصت الرابطة الى نتيجة مفادها ان ذلك يشكـل بداية لظهور معاداة السامية . لذلك فالرد المنطقي الوحيد على هذه الموجة المزعومة من معاداة اليهود هو في القيام بردود فعل دفاعية سرعان ما تحولت الى أعمال عنف وقائية جسدية . ولكن الرابطة لا تمثل بأي شكل من الاشكال نوعا جديدا من رد الفعل بين اليهود الاميركيين اذ ان زعيمها مئير كاهانا كان في السابق زعيم بيتار ، حركة الشبيبة التابعة لحزب حيروت (الذي كان الجناح السياسي الذي خلف الارجون في اسرائيل) . اما فلسفة بيتار السياسية فهي أن كل ما من شأنه الاساءة الى دولة أسرائيل يشكل اساءة لجميع اليهود وبالتالي فهو نوع من معاداة السامية . والطريقة الصحيحة الوحيدة للرد على معاداة السامية هي بالتهديد باستخدام القوة المسلحة . ومع أن بيتار متواجدة في الولايات المتحدة منذ سنوات عدة ، فانها كانت ساكنة نوعا ما ، كما انه لم يكن يسمع

سوى القليل عن نشاطاتها خارج الاوساط اليهودية . وفي الفترة التي سبقت ظهور رابطة الدفاع اليهودية في ١٩٦٨ ارتبط اسم بيتار بشكل رئيسي بالاعمال المعادية للعرب، كما حدث في الاعتداءين اللذين وقعا على البعثة السورية لدى الامم المتحدة في خريف ١٩٦٦ وخريف ١٩٦٧ . ويمكن مشاهدة علم بيتار في المدينة ، الا انه قد استبدل تقريبا بشعار الرابطة «لن يتكرر ذلك ابدا»(٧). وعدا عن النشاطات الاولى التي قامت بها الرابطة في الاوساط اليهودية (على شكل لجان أمن اهلية تجوب الاحياء اليهودية بسيارات مزودة باللاسلكي) تركز أول بروز لهـا على قضية الادارة الذاتية في حي « اوشن هيل براونزفيل » في بروكلين . فقد نتج عن محاولات اقامة جهاز تعليمي لا مركزي في نيويورك ان بدأت جماعات السود تطالب بمزيد من الاساتذة السود في مجمّع أوشن هيل براونزفيل . ولكن الاتحاد الفيدرالي للمعلمين الذي هو عبارة عن نقابة المعلمين في نيويورك ثار ضد هذا الاقتراح من جانب جماعات السود على اعتبار ان مطلب الادارة الذاتية تعد على حقوقه ، ونتيجة لهذا النزاع أصبحت مراكز عدد من المدرسين ، الذين في معظمهم من اليهود، في خطر. لذلك سارعت الرابطة ، التي اعتبرت ذلك نوعا من معاداة السامية(٨)، الى تقديم خدماتها « الدفاعية » الى الاتحاد الذي بدوره رد الصاع صاعين(٩). وقد أدى موضوع الادارة الذاتية للمدارس الى اضراب للمدرسين وتخلي مجلس المدينة عن خطته اللامركزية ، هذا مع العلم انه من المشكوك فيه ان يكون للرابطة تأثير على القرار النهائي ، رغم ان الرابطة حاولت في دعاوتها ان تصور ذلك وكأنه انتصار لها بفضل جهودها .

ولم تتوقف نشاطات الرابطة بالنسبة للجماعات السوداء ، على اي حال ، بانتهاء اضراب المعلمين ، بل أظهرت نشاطا متزايدا خلال السنتين الاخيرتين . ففي ايار (مايو) ١٩٦٨ ، عندما هدد جيمس فورمن ، الرئيس السابق لمؤتمر المساواة العرقية(١٠). بتعطيل الصلوات في معبد ايمانويل في مانهاتن من أجل الحصول على تعويضات مالية للسود ، كان اعضاء الرابطة وفي مقدمتهم مئير كاهانا قد سبقوه الى هناك وهم مسلحون بالهراوات والسلاسل الحديدية لتطويق المعبد . ولكن فورمن لم يجرؤ على حضور كما كان مقررا . وحدث ايضا ان كنيسا في فيلادلفيا دعا محمد كينياتا ، الناطق باسم مؤتمر التنمية الاقتصادي للسود ، ليلقي كلمة . ولكن الرابطة حذرت الكنيس وحاولت الغاء الاجتماع ، ثم رابط اعضاؤها حول مكان الاجتماع . وبعد أشهر من ذلك وجهت الرابطة رسالة مفتوحة الى جميع حاخامي المنطقة تهددهم بـ « عمل جماعي » اذا تكرر وان دعوا احد القادة الثوريين من السود ، وهددوا بأنهم سينزلون الخطيب عن المنصة بالقوة . وعندما قرر وليم كنسلر ، المحامي المعروف من خلال محاكمات السبعة في شيكاجو ، ان يتحدث في مركز « الجمعية العبرية للشبان » بفيلادلفيه ، قامت الرابطة بضغط شديد لالغاء الخطاب ، مستخدمة في ذلك المرابطة حول المكان والدعاية المعادية والتهديد وغير ذلك من أساليب الارهاب . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ طوق اعضاء الرابطة متحف مدينة نيويورك للفن على اعتبار ان البيان الصادر حول المعرض التصويري لحياة السود في نيويورك والمسمى « هارلم في فكري » يضم مقدمة معادية للسامية . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦٩ عندما اعتصم الطلبة والعمال من السود والبورتوريكيين في باحة كلية مدينة نيويورك احتجاجا على التمييز العنصري في المدرسة، حاولت الرابطة فتح المدرسة باللجوء الى المحكمة . وفي ربيع ١٩٧٠ أحاط أعضاء الرابطة ، ايضا بزعامة مئير كاهانا ، وهم مزودون بأعتدة كاملة ، بمقر قيادة فرع نيويورك التابع لحزب الفهود السود . وبينما كانت الانظار موجهة الى مدخل البناية حاول ثلاثة أو اربعة من الرابطة الولوج الى المكتب ونهب محتوياته . اما السبب الذي تذرعت به الرابطة فهو معاداة السامية المزعومة لدى الفهود ، والاهم من ذلك الموقف

المعادي للصهيونية بشدة الذي تبنوه قبل ذلك . واهمية هذا كله هي انه في حين تستمر الرابطة في التحدث ضد معاداة السامية المزعومة لدى منظمات السود العنيفة ، تحول عبء اعتداءاتهم الى اليسار الاميركي . وحتى الان عندما يتعرض السود لاعتداءات بسبب مواقفهم المزعومة المعادية للسامية ، يكون السبب الحقيقي وراء مثل هذه الاعتداءات هو موقفهم من اسرائيل الذي يتسم بتحليل يساري للموضوع . وتخشى الرابطة من ان يؤدي بروز قيادات موهوبة وديناميكية ومستقلة من السود الى نتائج عكسية على المصالح اليهودية في احياء السود . وترى الرابطة ان الموقف المتشدد من الصهيونية واسرائيل والمصالح اليهودية الذي تتخذه زعامة منظمات السود العنيفة ليس سوى مبرر للقيام بأعمال عنف ضدهم . وهذا الشعور كما تستغله الرابطة يدق ناقوس الخطر بأن زعماء السود المعادين للسامية « يخوضون معركة للسيطرة على المدن » . ومن الطبيعي ان غايتهم ليست المحافظة على مستقبل المدينة الاميركية بل المحافظة بشكل رئيسي على السيطرة او النفوذ اليهودي في المدينة .

الاعتداءات على اليساريين

منذ عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وكنتيجة للسياسة التوسعية العدوانية لاسرائيل وبسبب بروز اسرائيل كقاعدة للامبريالية الاميركية في الشرق الاوسط بدأت قطاعات معينة من اليسار الجديد في اميركة تتساءل بالنسبة لموقف الليبراليين من النزاع العربي الاسرائيلي . كما ان اتجاها اقل تعاطفا مع المحور الصهيوني — الاسرائيلي بدأ ينمو تدريجيا ولكن باستمرار وبكل ثبات . وكذلك فان حركة معاداة الحروب في اميركة اضطرت رغما عنها لاتخاذ موقف اكثر ايجابية الى جانب العرب عموما والفلسطينيين بشكل خاص . ولكن رابطة الدفاع اليهودية تدعي ان لديها الرد على الموقف المعادي لاسرائيل الذي يتخذه اليسار الجديد الذي يضم بين أعضائه العاملين عددا من الشباب اليهود . وهذا التطور والادعاء هما موضع اهتمام عميق وحيوي من قبل الدوائر الاسرائيلية — الصهيونية . وتزعم رابطة الدفاع اليهودية ان اليسار الجديد « يسيطر على عقول الشبيبة ويقضي على القانون والنظام »(١١). كما انهم يشجعون الطلبة اليهود للتسلل الى صفوف هذه المنظمات بقصد كشف ما يسمونه العناصر المتطرفة . ومن الطريف ان رابطة الدفاع اليهودية ، في محاولتها لاعادة الشبيبة اليهودية من اليسار الجديد الى حظيرة الصهيونية تحاول أن تقلد الجو الذي يشاهده المرء في مكاتب « جمعية الطلبة الديمقراطيين » او في ورش الفهود السود . ويتظاهر كثير من أعضائهم بأنهم من الطلبة الليبراليين — الراديكاليين ذوي الشعور الطويلة . وفي مثل هذا المحيط يشعر المرء وكأنه في جو من العمل الحثيث والنشاط المتزايد . وهذا ليس امرا عرضيا بل عن سابق تصميم لكي ينجح في « جذب الشبان النشيطين ، اذ انه في مثل هذه البيئة ينتعش هؤلاء الناس »(١٢). وفي هذا الوقت تقريبا بدأت الرابطة في الاعتداء على الفهود. وبالفعل فقد داهموا مكاتب صحيفة « دايلي ورلد » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الاميركي . وذلك بسبب نشرها مقالات تنتقد فيها اسرائيل (كتلك المقالات التي تظهر في الصحف السوفياتية) . وكذلك فقد كانت هناك سلسلة من المحاولات والتهديدات على مكاتب « جارديان » الصحيفة الوطنية المستقلة الراديكالية . ومنذ ذلك الوقت كان التركيز في دعاية الرابطة موجها ضد اليسار الاميركي، مع اهتمام خاص بأولئك الاميركيين اليهود الذين انضووا تحت لواء الجناح المعادي لاسرائيل .

الاعتداءات على العرب

لقد بدأت النشاطات الصهيونية ضد المنظمات العربية في ٢٩ آب (اوغسطس) ١٩٦٩ باعتداء على مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك حيث قامت مجموعة من

العناصر التابعة لرابطة الدفاع اليهودية ، كما ظهر ذلك من الشعارات التي خلفوها وراءهم ، بمداهمة المكتب وضرب استاذ امريكي صدف وان كان يقوم ببعض الابحاث ، وربطوا يديه ويدي السكرتيرة وكموا فاهيهما بالشرائط وقيدوهما الى الاريكة ، وعمدوا بعد ذلك الى سرقة بعض الملفات من المكتب ثم ولوا الادبار هاربين . وفي أيار (مايو) من السنة التالية قامت عصابة من ستة رجال بمداهمة مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وضربوا المدير بوحشية مستخدمين في ذلك العصي والمدى ، كما قاموا بالعبث بالملفات وادوات المكتب . وبعد خمسة عشرة دقيقة من هذا الاعتداء وقع اعتداء مماثل على مكتب لجنة العمل للعلاقات العربية ـ الامريكية ، المنظمة المعتدلة الموالية للعرب ، حيث تعرض رئيس المكتب ومساعده للضرب المبرح . وتلت ذلك فترة من السكون امتدت حتى السادس من تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٠ عندما وقع مكتب منظمة التحرير ضحية انفجار قنبلة موقوتة خارج الباب أدت الى تدمير المكتب تدميرا كبيرا(١٣). وخلال الاعتداءات الثلاثة التي تعرض لها مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ترك أفراد عصابة رابطة الدفاع اليهودية وراءهم منشورات تحمل شعار « لن يتكرر ذلك أبدا » . وفي الاعتداء الاول كانوا يسألون عن المدير ويهددون باستخدام العنف ضده ، وفي الاعتداء الثاني ، وبينما كانوا يشبعون المدير ضربا كانوا يرددون بأنهم سيقتلون كل من يقف ضد اسرائيل ، كما كانوا يصرخون : « دير ياسين » و« لن يتكرر ذلك أبدا » . وفي حادث القنبلة في ليل السادس من اكتوبر ١٩٧٠ ظهر بأنه كانت هناك قنبلة موقوتة داخل حقيبة صغيرة للاوراق والوثائق أمام باب المكتب ، وعلى اثر ذلك ، اتصلت احدى السيدات بوكالة يونايتدبرس انترناشيونال تبلغهم ان مكتب منظمة التحرير الفلسطينية تعرض لانفجار قنبلة . وكذلك تم العثور على رسالة مقتضبة ومبهمة تقول : « بالخطف والابتزاز تم اطلاق سراح سبعة » ، ويظهر ان في ذلك اشارة الى الفدائيين الفلسطينيين السبعة الذين افرجت عنهم بريطانيه والمانيه الغربية وسويسره مقابل الرهائن الذين احتجزهم الفدائيون اثر حوادث خطف الطائرات في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وفي اعقاب ذلك أصبحت المكالمات الهاتفية والرسائل واحيانا برقيات التهديد الموجهة الى موظفي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية من الامور العادية التي تقوم بها رابطة الدفاع اليهودية ، خاصة بعد كل عملية كبيرة يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون ضد اسرائيل .وفي بعض الايام ترد الىموظفي مكتب منظمةالتحرير الفلسطينية مئاتالمخابرات المجهولة والقصيرة الملأى بالتهديد وذلك بقصد التأثير على سير اعمالهم وخلق نوع من التوتر والرعب بين هؤلاء الموظفين . وكنا دائما نبلغ شرطة نيويورك ومكتب التحقيق الفيدرالي بهذه الحوادث ، ولكن رغم ذلك فانه لم يتم حتى الان توقيف مرتكبي هذه الجرائم . وتدعي الشرطة انهم يلاحقون الافراد الذين قاموا بهذه الجرائم مع انهم يعترفون ان فاعليها هم من العناصر التابعة لرابطة الدفاع اليهودية التي وحدها تتحمل مسؤولية هذه الاعمال . ومع ذلك لم يتم بعد تقديم افراد المنظمة وقادتها الذين خططوا ونفذوا هذه الجرائم الى المحاكمة . وهذا ما يدفع المرء الى التساؤل عن الموقف الذي يمكن أن تتخذه الشرطة او مكتب التحقيقات الفيدرالي لو أن منظمات السود أو المنظمات اليسارية هي التي قامت بمثل هذه الجرائم .

وفي اكثر من مناسبة بعثت رابطة الدفاع اليهودية ببرقيات تهديد الى جميع الوفود العربية المعتمدة لدى الامم المتحدة ، وكان يلفت نظر الامم المتحدة الى هذه التهديدات ، كما تم بحثها في بعض الاوقات امام مجلس الامن حيث يقفل النقاش فيها بعد أن يقدم المندوب الاميركي تطمينات مزعومة بأن الشرطة تتولى البحث عن الفاعلين . ومنذ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ عندما اعدمت الحكومة العراقية عددا من الاشخاص بينهم مجموعة من اليهود ، والوفد العراقي لدى الامم المتحدة يواجه بتظاهرات صاخبة بشكل

دائم . ولكن شرطة نيويورك التي كانت تراقب هذه التظاهرات لم تتحرك عندما يحاول افراد رابطة الدفاع اليهود انتهاك حرمة الممتلكات الخاصة ، رغم أن القانون الاميركي والقوانين الدولية والمعاهدات الخاصة بالسفارات في الدول الاجنبية تحظر ذلك . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ انفجرت قنبلة صغيرة أمام مقر بعثة الجمهورية العربية المتحدة في الامم المتحدة . ولكن لم يحدث سوى اضرار طفيفة . ونتيجة لهذه الاعتداءات المتكررة على المكاتب العربية والموظفين العرب قررت دائرة شرطة نيويورك بايعاز من وزارة الخارجية الاميركية وضع حراس لفترة قصيرة امام مكاتب البعثات العربية في الامم المتحدة . وقد احتج رجال الشرطة على أساس انهم لم يلتحقوا بسلك الشرطة لحماية الديبلوماسيين العرب بل لحماية المواطن الاميركي العادي في شوارع نيويورك من السرقة او الضرب الناجمين عن المعدل المرتفع للجرائم في نيويورك . وهذا ولا شك هو شكل آخر من المضايقة والارهاب الذي لا مثيل له . وفي الثامن والعشرين من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ اعتقلت الشرطة الاميركية في مطار كنيدي بنيويورك مدير مكتب تابع لرابطة الدفاع اليهودية ، وهو ضابط سابق في الجيش الاسرائيلي ، وزوجته لمحاولتهما ركوب طائرة متوجهة الى لندن وهما يحملان قنبلة واربع بنادق محشوة ، ليتمكنا هناك من اختطاف طائرة تابعة لشركة الطيران العربية المتحدة الى اسرائيل . وكانا يحملان جوازي سفر اميركيين مزورين بأسم السيد والسيدة جوردون ج. رايدر بدلا من الاسم الحقيقي افراهام هيرشكوفيتز . ورغم ان من يحمل قنبلة يحكم عليه بالسجن لمدة عشرين سنة ومن يحمل جواز سفر مزور يحكم بالسجن لمدة خمس سنوات ، فان محاولات لفلفة القضية اسفرت عن عدم تقديمهما الى المحاكمة حتى الان .

وفي كل مرة يحدث فيها اي نشاط معاد لاسرائيل تقفز الرابطة حالا الى الساحة(١٤). فعندما تحدث اية تظاهرة مؤيدة للفلسطينيين وضد اسرائيل يتنادى اعضاء الرابطة بأعداد كبيرة الى مكان التجمع للاشتباك مع المتظاهرين في اكثر الاحيان او لمنع التظاهرة من المسير(١٥). وخلال السنة والنصف الاخيرة اقتصر نشاط الرابطة على الاعتداء على اي شخص تسول له نفسه مجرد انتقاد اي عمل اسرائيلي . وتتخذ هذه الاعتداءات شكل التشهير بالاشخاص او الهيجان العاطفي الحاد .

الاعتداءات على الاتحاد السوفياتي

ومن الاهداف الاخرى التي تعرضت للعنف الصهيوني في اميركة ونالت قسطا وافرا من الدعاية بسبب المركز الدولي لهذا الهدف ، هو الاتحاد السوفياتي ، فيشخص موظفيه ومكاتبه . فخلال السنتين الاخيرتين قامت رابطة الدفاع اليهودية ، باسم اليهود السوفيات المعادين للاتحاد السوفياتي ، بسلسلة من اعمال العنف الموجهة الى سفارات الاتحاد السوفياتي ومكاتبه السياحية والتجارية وخطوط طيرانه وديبلوماسييه وموظفيه.
ففي الثلاثين من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ قام اثنان من رابطة الدفاع اليهودية بربط نفسيهما في احدى الطائرات السوفياتية بمطار كنيدي الدولي بنيويورك في حين قام آخرون بتلطيخ جدران الطائرة بشعارات بذيئة بالحبر الاحمر . وفي غضون ذلك قام اعضاء من الرابطة بالاعتداء على مكاتب تاس وانتوريست ، ودمروا الاثاث وقطعوا خطوط الهاتف ومزقوا بعض الملفات ولطخوا الجدران وهددوا الموظفين بينما كانوا يرددون النشيد الوطني الاسرائيلي . وقد اعتقل حوالي عشرين شخصا معظمهم من الاحداث وأطلق سراحهم في الحال بعد أن «وبخهم» القاضي. وكذلك فان المضايقات التي تعرضت لها النشاطات الثقافية السوفياتية في اكثر من مدينة اميركية لا تزال مستمرة منذ أن بدأ اعضاء الرابطة بالاعتداء على الاتحاد السوفياتي . وقد عرقلت حفلات فرقة البولشوي بالمكالمات الهاتفية للشرطة بأن قنبلة موقوتة على وشك الانفجار تحت المسرح، وكذلك بالمكالمات للاشخاص الذين ابتاعوا التذاكر بأن لا يذهبوا لمشاهدة الحفل لكي لا

يصابوا بأي اذى بسبب اي عمليات عنف قد تحدث وانه بسبب ذلك من الافضل لهم ان يلزموا بيوتهم . واتبع هذا التكتيك خلال الزيارة التي كان يقوم بها دافيد اويستراخ وسفياتبلو ريختر ، من فناني الكونسرتو السوفيات اليهود البارزين ، وذلك ضمن برنامج للتبادل الثقافي بين البلدين . ونرى ان رابطة الدفاع اليهودية ترمي من وراء حملاتها على هذه النشاطات الثقافية الى تحقيق الهدفين التاليين :

١ ـــ تأمل رابطة الدفاع اليهودية انه مقابل وقفها لهذه المضايقات والتظاهرات المسلحة ستوافق السلطات السوفياتية على تسهيل هجرة بعض اليهود الى اسرائيل، هذا بعد ان ادركت الرابطة ان هذه النشاطات الثقافية هي موضع فخر للاتحاد السوفياتي الذي يريدها أن تستمر خاصة بعد أن اثبتت فعاليتها وفائدتها في اميركة . ويمكن ان لا يكون هذا هو الهدف الاول في رأس مئير كاهانا ، اذ أنه يهدف في الاساس الى تثبيت شخصيته بين الزعامة الصهيونية في اميركة ، في حال نجاحه .

٢ ـــ اما الهدف الثاني والاهم فهو عامل اقتصادي . وهذا يتحقق من خلال اضطرار صول هوروك ، المنتج الاميركي الصهيوني المشهور والمسؤول عن الاشراف على الفنانين والهيئات السوفياتية التي تزور الولايات المتحدة، الى المساومة مع رابطة الدفاع اليهودية ليدفع لها مبلغا معينا من المال مقابل امتناعها عن القيام بأي نشاط معاد . وفي ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ سطا ٢٨ شخصا من اعضاء رابطة الدفاع اليهودية على مكاتب شركة امتورج التجارية السوفياتية الرسمية وعبثوا بالملفاتوكسروا قطع الاثاث، وهددوا الموظفين واشبعوهم ضربا وركلا . وقد تم اعتقال جميع هؤلاء الاشخاص ووجهت لهم تهم السطو ودخول المكاتب لارتكاب جريمة من الدرجة الثانية ، وتسبب الاذى والمضايقة للاخرين ، ولكن القاضي هايمان سولينكر اطلق سراحهم . من هنا نرى ان استراتيجية رابطة الدفاع اليهودية هي تصعيد التوتر ما بين الحكومتين السوفياتية والاميركية ، فتهجمها على كبار الرسميين الاميركيين بما في ذلك الرئيس الاميركي بأنهم لا يفعلون شيئا تجاه ما يسمى بالحالة التي يعاني منها اليهود السوفيات ، واتهامها لوزارة الخارجية الاميركية بالتواطؤ المزعوم مع الاتحاد السوفياتي كلها تهدف الى لفت انتباه اليهوديالعادي ـــ المؤهل ليصبح عضوا فيهذهالرابطة ومصدرا منمصادرتمويلها. ويدعي مئير كاهانا انه يهدف من وراء اعتداءاته على المؤسسات السوفياتية الى اثارة قضية اليهود السوفيات ، ويقول في هذا الصدد : « لن يهتم اي شخص بالمشاكل التي يعاني منها اليهود السوفيات ما لم يدرك الجميع ان هناك مشكلة ما . انني اريد المزارع الاميركي في ايوا ان يعرف عن هذه المشكلة بقدر ما يعرف عن مشكلة فيتنام ، ولن يتسنى له ذلك اذا كانت القصة على الصفحات الداخلية من الصحف »(١٦) ولا شك انهم قد نجحوا في لفت انظار وسائل الاعلام الاميركية وفي جعل قضاياهم تتصدر الصحف وذلك عن طريق مرابطاتهم المتكررة امام مقر البعثة السوفياتية لدى الامم المتحدة ومضايقاتهم للديبلوماسيين السوفيات ونسفهم لوكالة انتوريست للسفر وتظاهراتهم الصاخبة ومواجهتهم لشرطة نيويورك .

ونتيجة للتساهل في قوانين الهجرة السوفياتية وصل الى اسرائيل مئات من المهاجرين اليهود الجدد خلال النصف الاول من هذه السنة . ويظهر ان سبب ذلك هو ان السوفيات بدأوا يحسون بالوطأة السيئة لهذه الحملة الدعاوية في وقت يريدون ان يظهروا فيه وكأنهم في فترة تقارب مع الحكومة الاميركية . كما ان هذه الحملة ساعدت كاهانا في كفاحه لفرض نفسه واسلوبه في العمل في أوساط الزعامة الصهيونية في اميركه واسرائيل ، وذلك لان هدف كاهانا الحقيقي ليس حماية المسنين اليهود من عمليات السلب في الاحياء الفقيرة او لمنع معاداة السامية من الظهور ، ولكن لخدمة مآربه الشخصية في أن يصبح ذا أهمية ومن ذوي الحل والربط في الاوساط القيادية الصهيونية

ـ الاسرائيلية . وتأكيدا لذلك أبلغ اقرباءه خلال أول رحلة قام بها للأرض المحتلة في ١٩٦٣ بأنه سيصبح قريبا عضوا في مجلس الوزراء الاسرائيلي(١٧). واخفاقه في فرض الاعتراف بنفسه دفعه الى تغيير اسمه الى مايكل كينج ، وبالاشتراك مع أحد أصدقائه المقربين المدعو جوزيف شاربا الذي كان عضوا في حركة شبيبة بيتار ، أسس في ١٩٦٥ حركة شبيبة تموز لتعبئة الطلاب لتأييد حرب فيتنام وذلك بالمساندة المالية من بعض المنظمات والنقابات العمالية(١٨). وانتشار الحركات اليسارية الراديكالية في الجامعات ومعارضة الطلاب للتورط الاميركي في جنوب شرق آسيه كان مصدر ازعاج بالنسبة لمئير كاهانا وزميله الصهيوني من بيتار بسبب ازدياد عدد اليهود في الحركة المعادية للحرب ، والاهم من ذلك هو ان « الحرب في فيتنام سوف تتسبب في قتل اليهود وقتل اسرائيل . فلو كانت هناك ارادة اميركية اقوى للقتال في فيتنام لما كان هناك ٢٠ الف جندي سوفياتي في مصر الان »(١٩). وفي ١٩٦٧ أصدر بالاشتراك مع شاربا كتابا بعنوان «الدولة اليهودية في فيتنام » يؤيدان فيه اشتراك اميركه في الحرب على اساس ان انتصار فيتنام الشمالية يشكل خطرا على اسرائيل ، ويقولان : « لقد قامت حركة السلام بجهد كبير في مسخ الارادة الاميركية وجعلها عاجزة عن القتال في اي مكان »(٢٠).

ورابطة الدفاع اليهودية في معارضتها لحركة معاداة الحروب صادقة مع تفكيرها واستراتيجيتها التي ترى أن هزيمة اميركه في فيتنام سيكون لها نتائج خطيرة على بقاء اسرائيل . وقد اعلنوا ترحيبهم بموقف جولدا مئير عندما كانت المسؤول الاجنبي الوحيد الذي سارع الى الابراق الى نيكسون تأييدا لغزو كمبوديه . وتدعي رابطة الدفاع اليهودية انه ليس باستطاعة المرء ان يكون ضد الحرب في فيتنام ، وفي الوقت نفسه يطلب المساعدة لاسرائيل . وتدعو اعضاءها الى تأييد نيكسون ليس من أجل فيتنام بل من اجل اسرائيل واليهود(٢١). ويقول كاهانا : « ان العالم الثالث متحد . وفتح هي جزء من هذا العالم الثالث ، اما اسرائيل فليست كذلك . اذا ، فأية هزيمة تلحق بالغرب في فيتنام ستكون هزيمة لاسرائيل »(٢٢).

رابطة الدفاع اليهودية والمؤسسة اليهودية

مع ان رابطة الدفاع اليهودية وجهت انتقادات عنيفة للمنظمة الصهيونية في اميركه واتهمت المؤسسة اليهودية بالتقاعس طوال ٥٣ سنة وبالتزام جانب الصمت حتى عندما يتحرك الآخرون للقيام بعمل ما(٢٣)، نرى ان المؤسسة لم تتوان عن توجيه النقد للرابطة ، لاساليبها وليس لاستراتيجيتها . وهم يتخذون هذا الموقف ضد الرابطة رغما عنهم . ومع انهم يتنصلون من تحمل مسؤولية أعمالها في تصريحاتهم العلنية ، نرى انهم يعطفون عليها ويقدمون لها المساعدات المالية ويفتخرون ولو فيما بينهم بالاعمال التي تقوم بها . وهذا القبول بأعمال الرابطة في ازدياد مستمر . وفي نيسان (ابريل) ١٩٧٠ منعت الرابطة من الاشتراك في الاستعراض الذي اقيم في الشارع الخامس بنيويورك بمناسبة العيد الوطني لاسرائيل ، ولكن سمح لها في السنة التالية بالاشتراك بسرية من الشبان والشابات الذين كانوا يلوحون بقبضاتهم . وهذه المؤسسة نفسها التي تنتقد كاهانا وجماعته وتصفهم بأنهم عنصريون وفاشيون ، ويعانون من جنون العظمة ، وليسوا سوى أعضاء في لجان الامن الاهلية ، وقطاع طرق وسفاحين ، اشتركت معهم في مسيرات التأييد لاسرائيل على اساس انه لم يعد من المصلحة مقاطعتهم بعد الان . ويحاولون في نشراتهم واعلاناتهم ان يبرروا ظهور رابطة الدفاع اليهودية على انها « ظاهرة مدينية » . وفي مقالة ظهرت في مجلة « كونجرس » نصف الشهرية في ٢٢ أيار (مايو) ١٩٧٠ يقول ستانلي سي. دياموند عضو ادارة مجلس علاقات الطائفة اليهودية في فيلادلفيه : « ان رابطة الدفاع اليهودية هي ظاهرة مدينية ، وبصرف النظر عما يقوم به قادتها من الاحتجاج ضد أمور أخرى ، فانه يجب النظر الى الحركة على اعتبار انها

رد فعل مباشر لانحلال المدينة الاميركية . » صحيح ان الحيـــاة في المدينة الاميركية في انحلال ظاهر . ولكن اعتبار ظهور رابطة الدفاع اليهودية كرد فعل لذلك ليس سوى نوع من التبرير لكسب الثقة . ويمكن للمرء ان يعتبرها ظاهرة مدينية فقط لو انها ظهرت لمعالجة القضايا المدينية كالاسكان والاحياء الفقيرة والفقـــر دون الاشراف الخارجـــي ودون تراث من العنف الصهيوني الذي يرجع الى الايام الاولى لمؤسسيها عندما كانوا يقومون بتهريب الاسلحة في هوبوكين بنيو جيرسي في الاربعينات ، ويرشقون ايرنست بيفن ، وزير خارجية بريطانيه ، بالبيض . وعندما تهب رابطة الدفاع اليهودية لتقول ان اميركه تعاني من الانقسام فان « ما يهمها ليس الوحدة القومية الاميركية ولكن وحدتها هي من اجل اسرائيل والصهيونية » . كما ان انبعاث منظمات السود في اميركه وظهور القيادات العنيفة الدينامية التي تتساءل حول مجمل العلاقات العربية ـــ الاسرائيلية ووقوف اميركه الى جانب الدولة العميلة في الشرق الاوسط تماما كما تتساءل هي وحركة معاداة الحروب حول علاقات اميركه بنظام ثيو وكي في سايجون ، اصبح مصدر ازعاج لها على اعتبار أنه يشكل تحديا للهيمنة اليهودية في المدن الاميركية الكبرى . وتشاطر المؤسسة اليهودية الرابطة في الاهداف التي ترمي الى تحقيقها مع اناساليبها في المواجهة المباشرة تشكل مصدر احراج لهيبتها . ولكن أليس هذا هو الوضع نفسه الذي كان قائما بين الارجون والهاجاناه في فلسطين خلال الاربعينات ؟ ويوما ما سيضع كاهانا كتابا يكشف فيه توزيع الادوار تماما كما فعل بيجن في كتابه « الثورة ». ويمكن لقادة المؤسسة اليهودية ان يستنكروا النشاطات شبه العسكرية للرابطة ، ولكن هذا لا يمنعهم من ارسال ابنائهم للتدرب على « الكاراتيه » والرمايـــة في معسكرات الرابطة على جبال كاتسكيل ، وذلك لان الضباط المشرفين على هذه المعسكرات هم من الاسرائيليين . ويتخذ قادة المؤسسة اليهودية موقفا مشابها لموقف الرابطة من اليهود الليبراليين الذين انضووا تحت لواء حركة السلام او يظهرون لامبالاة او معاداة لاسرائيل . وما اصطلح على تسميته المنظمات الاميركية اليهودية الليبرالية التي تدعـــي الشمولية بدأت تظهر حقيقة نفسها بسبب عملية الانسلاخ هذه ، كما اصبحت اقل تسامحا وليبرالية بالنسبة الى الانشقاق عندما يكون الامر متعلقا باسرائيل ، وموقفها هذا مشابه لموقف الرابطة مع انه اكثر ذكاء ودقة .

واذا كان المرء يتذكر الاعتزاز الذي زرعته اسرائيل في نفوس يهود اميركه منذ ١٩٦٧ والتقارب الشديد معها ، ويدرك حقيقة الحالة الذهنية لهؤلاء اليهود الذين يعيشون في التجربة الاسرائيلية ويمارسون الاعتقاد انها ستكون وطنهم في المستقبل ، لكان عليه ان يتوقع ان تصبح وسائل العنف التي تتبعها رابطة الدفاع اليهودية « موضة » الغد بدلا من أن تكون مجرد « موضة » زائلة ، وان يتوقع كذلك ان تنزع المؤسسة اليهودية عن وجهها قناع الوقار المزيف وتكشف عن ميلها للفاشية والعنف . وآنذاك ستصبح مقاليد أمور يهود اميركه بيد كاهانا وزويبون وماليناوم(٢٤) وأشباههم من قادة العصابات .

---

١ ـــ هذه الجملة مقتبسة عن جملة قالها هـ. راب براون : « العنف اميركي كما ان فطيرة الكرز اميركية » .

٢ ـــ كما يقول السناتور الاميركي ديركسن : استخدمت القوات المسلحة الاميركية في اكثر من ١٥٠ مناسبة في عمليات خارجيـــة (**سجلات الكونجرس** ـــ ١١٥ ـــ رقم ١٠٣ ـــ ٢٣ حزيران ١٩٦٩) .

٣ ـــ انظر ، مثلا ، **مذكرات ثيودور هرتـــزل الكاملة** . مطبعة هرزل وتوماس يوسلوف ، نيويورك ولندن ، ١٩٦٠ .

٤ ـــ مع ان مناحيم بيجن قد اوضح بالوثائق في كتابه **الثورة** مدى التعاون المباشر بين الارجون والوكالة اليهودية ، خاصة بالنسبة لمجزرة دير ياسين .

٥ ـــ انظر ، على سبيل المثال ، رواية هيخت

عن دور العصابات الاجرامية الاميركية في جمع الاموال في كتاب : **ابن القرن** (A Child of the Century) ص ٦١٠ — ٦١٢ .

٦ — مثلا ، لدى الزيارة التي قام بها الى اميركه احد كبار الرسميين البريطانيين في ١٩٣٤، قامت اللجنة بتظاهرات صاخبة كما رشقته بالبيض ومواد أخرى .

٧ — اشارة الى الكلمات المنقوشة على نصب في مدخل معسكر اوشفيتز حول عمليات الابادة التي تعرض لها اليهود الاوروبيون خلال الحرب.

٨ — قال متحدث باسم جمعية بناي برث في ٢٣/ ١٩٦٦/١ : « بلغت معاداة السامية المجردة وغير المقنعة درجة الخطورة في مدارس مدينة نيويورك ، حيث لم تقف السلطات العامة في وجهها مما تسبب في نموها خلال السنتين الاخيرتين » .

٩ — لقد حدث قبل هذه السلسلة من الاحداث ان بثت محطة اذاعة نيويورك (W - BAI) قصيدة للي كامبل ، احد كبار المعلقين السياسيين السود ، موجهة ضد المعلمين ورئيس اتحاد المعلمين ، ألبرت شانكر . وقد اعتبرت رابطة الدفاع اليهودية القصيدة من الدعاية المعادية للسامية ، علما بأنها تعتبر الاذاعة نفسها راديكالية ، الامر الذي دفعها فيما بعد الى تقديم عريضة الى المحكمة تطالب فيها بطرد لي كامبل من جهاز التعليم بدعوى معاداة السامية . ولكن العريضة اخفقت في تحقيق الغرض الذي كتبت من أجله .

١٠ — كان مؤتمر المساواة العرقية من اولى منظمات السود التي سارعت الى اتخاذ موقف عنيف في السنوات الاولى للصراع من اجل الحقوق المدنية . وفي السنوات الاخيرة بدأت حماسة المؤتمر تتضاءل لدرجة ان عددا من زعمائه وقعوا مؤخرا بيانات في الصحف الوطنية مؤيدة لاسرائيل .

١١ — مجلة **ميد ستريم** ، نيسان ١٩٧٠ .

١٢ — **المصدر نفسه** .

١٣ — صحيفة **نيويورك تايمز** ، ٧ اكتوبر ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

١٤ — خلال استعراض نظم « تأييدا لاسرائيل » في نيويورك في نيسان ١٩٧٠ وقعت مجابهة بين عناصر تابعة لرابطة الدفاع اليهودية وتظاهرة معاكسة نظمتها لجنة العمل من اجل العلاقات العربية — الاميركية ادت الى نقل بعض مؤيدي العرب الى المستشفيات بسبب اصابتهم في الاشتباك بجروح مختلفة .

١٥ — في الخامس من حزيران ١٩٧٠ نظمت حركة الشباب المعادين للحرب والفاشية (المؤيدة لكفاح الشعب الفلسطيني) تظاهرة للتعبير عن تأييدها لحركة التحرير الوطني العربية . ولكن رابطة الدفاع اليهودية نظمت تظاهرة معادية استخدمت فيها كافة أنواع التهديد والشتائم والضرب ضد افراد حركة الشباب . وكان تركيزهم موجها الى الشباب اليهود في هذه الحركة .

١٦ — **نيويورك تايمز** ، ٢٤ يناير ١٩٧١ .

١٧ — **المصدر نفسه** .

١٨ — وهنا يجب ان نعيد الى الذاكرة ان اموالا من وكالة المخابرات المركزية الاميركية قدمت لعدد من المنظمات الاميركية مثل أصدقاء الشرق الاوسط الاميركيين والاتحاد الوطني للطلاب من خلال هذه المنظمات .

١٩ — **المصدر نفسه** .

٢٠ — **نيويورك بوست** ، ١٦ يناير ١٩٧١ .

٢١ — **ميد ستريم** ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

٢٢ — **المصدر نفسه** .

٢٣ — **نيويورك بوست** ، المصدر السابق .

٢٤ — مؤسسا رابطة الدفاع اليهودية بالاشتراك مع كاهانا .

فدوى طوقان : ثلاث خطوات الى الينبوع

فوزي كريم

(١)

فدوى طوقان شاعرة رومانسية ، في مرحلة زمنية لا قدرة لها على مجرد احتمال تكرار هذه الكلمة . ورومانسيتها غير مدرسية ، بهذا المعنى ، لانها مجردة عن أهم ما تمتاز به تلك ، وهو ارتباطها بمرحلة ذات قوسين زمنيين . من هنا نستطيع ان ننسحب دون تردد الى نقطة اجدها هامة ، وهي : المراة في فدوى طوقان ، والمراة العربية بشكل خاص . فالرومانسية ، حين تتجرد من دوافعها الزمنية العامة ، انما تستحيل الى حالة هامشية شبه مرضية، ذات سمة ذاتية فضفاضة. ولعل من الواضح ان شعرنا العربي، في شريحته النسائية المنزوية ، دون استثناء ، انما تعتبر تلك السمة من أبرز سماته . هل تعتبر الرومانسية — والاستعمال لهذه المفردة سيظل مجازيا — في هذه الحالة شركا ؟ وهل يعتبر هذا التحرك النسائي — شعريا — منزلقا عن حافة الطريق التي تشكل معالمها الواضحة قاعدة عامة ؟ لا شك اننا سنقع في خطأ فادح اذا ما فصلنا ، بنية رسم القاعدة، بين قصيدة المراة العربية وبين المراة ذاتها . فالشاعرة العربية لم تنزلق الى مجرى الرومانسية هذا ، ولم تقع فيه سهوا او خطأ . ولكنها ، شأنها شأن المراة العربية ، خاضعة ، بحكم علاقاتها المجتمعية ، والانسانية من بعد ، وبحكم علاقاتها بالرجل والعائلة ، وهي علاقات اقتصادية في الاساس ، أقول ، لكنها خاضعة لسطوة شبه قدرية ، حملتها الى هذه النزعة ذات الأنا المتضخمة، وذات الهوس الى التأمل الماورائي، والحنين الى المجهول ، الى نزعة رومانسية مجردة عن دائرتها التاريخية ، ومجردة بالتالي عن جوهرها الصحي . فرومانسية الشاعرة العربية ، والمراة العربية من ورائها، سمة من سماتها ، وهاجس سلبي من هواجسها السلبية الاخرى . وهذه دالة اجتماعية قبل كل شيء . يأخذ الشعر فيها دورا سلبيا هو الآخر . لانه يقتصر على « التعبير » عن الذات ، فحسب ، والتنفيس عن انفعالات داخلية تخلفها حساسية مفرطة ، كما لو كان صماما للامان ، يفتح في اللحظة المناسبة ، لا أداة للتغيير ، وغاية في ذاتها تتشكل باعتبارها حصيلة لتجربة انسانية واسعة .

ليست هذه الدراسة متابعة عامة لمجمل الجوانب الشعرية التي اعطتها خمس مجموعات شعرية(١) لفدوى طوقان ، وليست هي دراسة فنية ونقدية ، تريد ان تحدد مجمل

١ — لفدوى طوقان خمس مجموعات شعرية ، صدرت جميعها عن دار الآداب — بيروت : **وحدي مع الايام** ، كانون الثاني ١٩٦٠ (طبعة خامسة) ، **وجدتها** ، أيلول ١٩٦٦ (طبعة رابعة) ، **اعطنا حبا** ، ١٩٦٠ (طبعة ثالثة) ، **امام الباب المغلق** ، آب ١٩٦٧ (طبعة اولى) ، **الليل والفرسان** ، تموز ١٩٦٩ (طبعة اولى) .

الحدود الفنية لتجربة الشاعرة المعاصرة ، من حيث هي تجربة تقف على طرف موروث شعري عربي ضخم ، فأمر ذلك متروك لدراسة موسعة . ولكن هذه الدراسة تطمع ، فحسب ، بتتبع طرف هام من أطراف ذلك الهاجس الرومانسي ، وهو الطرف الذي يؤكد على « الحلم » ، وما يتصل به ، من الهجرة المتصلة عن ارض الواقع ، ومن انكار للحضور الحسي للاشياء ، الذي يشكل مصدرا أساسيا لكل حاسة صحية . بحيث يستحيل ذلك الحلم ، لا الى مواجهة لليقظة او للوجود بكل تناقضاته ، بل يستحيل الى بوابة سهلة غائمة للهرب . كما يؤكد على « ضمير الغائب » الذي يملأ فراغا رومانسيا كبيرا في شعر فدوى طوقان ، هذا الغائب يأخذ اشكالا عديدة ، يكون احيانا « الفارس » وأحيانا « الحبيب » ، وأخرى يظل « ضميرا غائبا » عليه مسحة من الغموض لا دلالة فيها ، فقط باعتباره مصدرا للتطلع وراء الافق .

ان هذا « الغائب » الذي كانت الشاعرة فدوى طوقان . تختلقه اختلاقا طيلة السنوات السابقة ، وعلى مدى المجموعات الاربع الاولى ، هو ذاته الذي يصبح بعد حزيران « الفارس العربي » او « الفدائي العربي » ، والذي أهدته مجموعتها الاخيرة « الليل والفرسان » .

(٢)

قبل ان أبدأ في تتبع فدوى طوقان شعريا ، أحب ان القي نظرة عاجلة على « صفحات من مفكرتها »(٢)، التي نشرتها للمرة الاولى كيوميات في مجلة « الجديد » التي يصدرها في العربية الحزب الشيوعي في اسرائيل ، والتي كان يرئس تحريرها الشاعر محمود درويش . عل هذه اليوميات أن تلقي ضوءا يسيرا على تجربة فدوى الشعرية ، وعلى مواقفها الداخلية ، فيوميات المفكرة تظل ، رغم تجربتها العابرة ، ذات صبغة تقريرية عاجلة ومباشرة ، تستطيع ان تقدم خلفية واضحة لمسيرتها الشعرية .

تقول في اليومية الاولى ، في معرض حديثها عن القاصة الراحلة سميرة عزام « بأنها ذكية وعميقة ، غير ان فيها شيئا من الانضباط اللاانثوي . . . انها تحلل كل شيء في عقلها ولا تترك الامور للاعماق . تدفن الاعماق ، تغلفها دون النشوة الحقيقية والحزن » . والحزن في عرف فدوى ليس نتيجة لمواجهة عقلية ، بمعنى انه ليس موقفا من الوجود عرفته الفلسفة بمنطقها التحليلي . ولكنه « النشوة الحقيقية » او مرادفها ، ذلك الحزن العفوي الذي يتوالد من منطق نفسي بحت ، والذي تقف وراءه مجموعة من العوامل الاجتماعية : العلاقات الانسانية ، العائلة ، الطفولة ، القيم . . الخ . وهو حزن دافىء دون شك ، لانه لا يرتبط بالتأمل ، ولكنه يرتبط « بالحلم » ، ولانه لا ينبع من وعي مراقبة الواقع ، والاحساس بكل تعقيداته ، بقدر ما ينبع كنتيجة عفوية نفسية لذلك الواقع باعتباره قدرا.
تقول الشاعرة في يومية اخرى متحدثة عن أيام صباها ، وكاشفة بوضوح عن هوية ذلك الحزن : « امضيت النهار كله مع — الصديق الغريب — في القدس . قاد السيارة في دروب لم اعرفها من قبل . تحدثنا كثيرا ، وصمتنا كثيرا . . . سألني عن حياتي وأيام صباي الاولى ، فحكيت له عن الكبت الرهيب الذي عشت فيه ، وكيف كانت انوثتي تئن كالحيوان الجريح في قفصه ، ولم يكن لها متنفس مهما كان لونه . كل شيء محظور في البيت ، الضحك ، الغناء ، العزف على العود ، وكان هواية محببة لي تعلمتها سرا . كنت احلم دائما بفتى احبه . ولم تكن صحبة الفتيات تسليني او تجتذبني قط ، ضحك — الصديق الغريب — حين حدثته ، كيف كان والدي رحمه الله ، يحثني وانا في هذه الحال من الضغط والكبت والضيق ، كيف كان يحثني على كتابة الشعر السياسي والوطني كما كان يفعل شقيقي الراحل ابراهيم ، فكلما برزت مناسبة سياسية او وطنية طلب مني

٢ — مجلة **الطريق** ، العدد الثاني ، شباط ١٩٧٠ ، السنة التاسعة والعشرون .

نظم قصيدة في الموضوع . وكانت أعماقي تحتج وترفض وتتمرد . . . كيف يريدون مني كتابة الشعر السياسي وانا سجينة الجدران ؟ من اين استمد مادة الشعر ؟ أمن مطالعة الصحف ؟. . . ان المطالعة ـــ على اهميتها ـــ غير كافية لانبعاث جذوة الشعر ، والشاعر لا يستطيع ان يكتب عن الحياة والعالم من حوله قبل ان يعرفها معرفة مباشرة . انني حبيسة الجدران والتقاليد ، لا أحضر مجالس الرجال ولا اسمع المناقشات الجادة ولا اشارك في معمعة الحياة . فكيف يطالبني أبي بالكتابة في موضوع لا تفقهه سني ولا له أية علاقــة أو صلة بالحركة النفسية في داخلي . كان تيار الحياة النفسية عندي مغايرا ومختلفا اختلافا تاما عن التيار الذي أراد ابي ان يحملني على الانسياق معه . واصبت بمرض بغض السياسة . وأصاب العطب حسي السياسي لسنوات طويلة » .

وكما أصيبت الشاعرة بمرض بغض السياسة بسبب عامل تربوي محض ، كذلك كان الامر وراء اصابتها بمرض الحزن .

تواصل فدوى حديثها ، وحديثها هنا له مغزى هام : « توفي والدي اثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ . وحصلت المأساة . ورحت أكتب الشعر الوطني تلقائيا ، كانت مادته كلها مستمدة من المأساة . رحت اكتب هذا اللون من الشعر دون أكراه او الزام . ومع تجمد الاوضاع وتجمد القضية الفلسطينية، بدأ يتجمد احساسي بهما، وخرجت الى الحياة أعب منها والمسها بأصابعي ، وأكتب الشعر عن الحب والحياة حتى فجعت بموت شقيقي نمر الذي كان حبيبا لي وصديقا ، فتوقفت الا عن الكتابة عن الموت ، وأصابني ذهول وهبوط نفسي واعتزلت عن الناس ، وكرهت الحياة » .

اذن ، لم تكن الشاعرة فدوى طوقان الا ردود فعل عفويــة للواقع الخارجي بحدوده الضيقة . ولقد تشكلت بحكم ردود الفعل هذه تجربة شعرية عفوية ايضا ، وموقف من العالم عفوي . وليس من الصعوبة ان يتكشف القارىء مدى المغالطــة ، والارتباك الفكري ، في حديث فدوى هذا . فهي تفصل ، بعفوية امرأة غير مسؤولة ، ولكن مطالبة، الوطن عن الشعر الوطني ، والوطن عن السياسة ، والسياسة عن الموقف الانساني من العالم والانسان . وهي تقول في يومية أخرى ببساطة : « حين اصغي الى فيروز في فلسطينياتها أرى بلادي أجمل وأحلى مما هي ، واحبها اكثر مما كنت أحبها ، واحس بفجيعة فقدها كما لم أحس من قبل ، وأتذوق طعم الانتماء الى شيء ولو كان هذا الشيء ناقصا » . تتحدث كذلك ، كمن يحمد الله على وجود فيروز .

انها باختصار كما جاء في آخر يومياتها : « انا نفسي قصيدة ملتاعة ، كئيبة ، آملة ، تتطلع الى ما وراء الافق » ، وهذا التطلع قد رافق ، تماما ، الشاعــرة منذ قصيدتها الاولى ، ومجموعتها الاولى ، حتى الان . الا اذا استثنينا بعض القصائد القليلة الاخيرة في « الليل والفرسان » ، استطاعت فيها فدوى بحدود ضيقة أن تخرج من ثوبها القديم.

(٣)

« ما يلفت النظر في محمود درويش بالاضافة الى موهبته الطاغية والتزامه الذي رد الاعتبار لقيمة الالتزام كقيمة تغني العمل الفني ولا تفسده ، سرعة تطوره التي تشبه ضربة عصا سحرية ، ندر ان حدث مثلها لدى أي شاعر معروف »(٣) . لا تبدو هذه الكلمة التي كتبها غسان كنفاني في بداية حديثه عن الشاعر محمود درويش ، متطرفة ، اذا ما قيست بتطور الشاعرة فدوى طوقان . فهي منذ بداية الخمسينات ، وعبــر خمس مجموعات شعرية كبيرة ، لم تستطع أن تحدث ما أحدثه غيرها من الشعراء ، من جيلها

---

٣ ـــ مجلة **الآداب** ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٩ ، السنة السابعة عشرة : غسان كنفاني « محمود درويش تنفزنان في عشر سنوات » .

ومن الاجيال التالية ، لا في تفزة نوعية مفاجئة ، ولا في تطور متصاعد واضح . واذا ما استثنينا ذلك الاختلاف الطبيعي الذي يخلفه تراكم السنوات بين المجموعات الشعرية ، وهو اختلاف هامشي تفرضه الظروف النفسية والموضوعية ولا يعتبر اختلافا جوهريا في صميم العمل الابداعي ، اذا ما استثنينا ذلك رأينا ان مجموعات الشاعرة فدوى لا تشكل الا مجموعة واحدة متفقة ، أفقيا ، في رؤيا رومانسية واحدة .

« كئيبة ، آملة ، تتطلع الى الافق » . هذه هي حدود رومانسيتها ، محفوفة بقوسي « الحلم » و« الغائب » المنتظر .

في أول قصيدة من مجموعتها الاولى « وحدي مع الايام » ، اشارة واضحة لهذا الموقف الذي بقي على حاله دون تغيير بعد هذه السنوات الطويلة ، تقول في « مع المروج »(٤):

هذي نتاتك يا مروج ، فهل عرفت صدى خطاها
عادت اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها

هي ، مع الوحدة ، ومع التطلع الدائم لغائب ما ، لشيء ما ، قد يكون وهما محضا . لانها ترفض ان تتلمس مصادر هذا التطلع وهذه الرؤى ، من الواقع المحسوس . ولانها ايضا تستطيب هذا الاستحواذ المطلق على جميع حواسها ، من قبل طاقة مختلقة تسميها « رؤى الخيال » وتسميها أحيانا « أجنحة خفية » تضمها في نعسة الالهام حيث :

تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الآدمية .

والشاعرة ، تحت هذه الضغوط الوهمية القاسية ، تغفل هوية تلك الرؤى وتلك الاجنحة الخفية التي تسمو بها فوق دنيا الناس ، فتسقط عليها هوية « الاشياء » الدنيوية ، فهي مثلا تصف أحلامها بأنها « بيضاء » كأحلام القمر « الفضية » . وهي تنسى أصلا، وتغفل، طبيعة « المروج » التي تتحدث اليها .

في قصيدة ثانية « خريف وشتاء » تحدق في الفضاء الذي أربد وغشاه السحاب فتجده بشبه ذلك الذي يجثم على نفسها .

ولعل « الموت » ، هو من ابرز معادلات « الوحدة » ومرادفاتها . والشاعرة تواجهه بنفس طاقة الوهم الفضفاضة . فهو غامض ولكن غموضه ليس غموضا شعريا حيا ذا سمة جدلية ككل الاشياء الملهمة ، بل غموضا ميكانيكيا رتيبا تواجهه الشاعرة بتقليدية لا حركة فيها :

آه يا موت ! ترى ما أنت ؟ قاس أم حنون ؟!
أبشوش أنت أم جهم ؟ وفي أم خؤون ؟!
يا ترى من أي آفاق ستنقض عليـــه ؟.
يا ترى ما كنه كأس سوف تزجيها اليه ؟
قل ، أبن ، ما لونها ؟ مـــا طعمها ؟ كيف تكون ؟

فهذه التساؤلات التي اعطيت مغزى ميتافيزيقيا ، قد تنتمي لمرحلة شعرية قديمة ، وغير عصرية . بالرغم من ان فدوى طوقان في قصيدة اخرى تتوسل الى الله ان يصون الوجود « من عبث الموت وطيش الفناء » (ص ٣١) ، فتقترب منه لتسميه . وتتجاوزه في قصيدة اخرى ، وهي تتوسل الى الله :

يا رب ، اما حان حين الردى   وانعتقت روحي من هيكلي

فالموت هنا انعتاق من الجسد الذي تراه الشاعرة هيكلا ، على طريقة المتصوفة . ولكن

---

٤ — وحدي مع الايـــام ، ص ١١ .   ٥ — المصدر السابق ، ص ١٩ .

الفارق ان نزعة الشاعرة هنا ليست دينية مطلقة ، وروحية غير محدودة ، كما هي لدى المتصوفة ، بل نزعتها هذه ردة فعل مرضية مضطربة وقابلة لان تكون متناقضة . فالجسد الذي يدور في توقه الدائم الى الحياة ، دون ان يخرج عن دائرة هذا التوق ، قد ينحرف فيزج في محراب لا علاقة له به ، الا من حيث هو أداة للاذلال الذاتي ، وماسوكية جارحة .

وكما تواجه الشاعرة « الموت » باعتباره قدرا ميتافيزيقيا ، كذلك تواجه الظواهر الاجتماعية ، معتمدة فحسب على هواجسها « الروحية » السجينة في جسدها الهالك . فهي تناجي قوى القضاء الغامض المبهم ، التي تجثم وراء الفضاء :

من يمطر الرزق على ذي الثراء ويمسك الرزق عن المعدم ؟

وهي بالرغم من اعترافها في القصيدة ذاتها على ان الامر يتعلق بظلم البشر في الارض . الا أنها لم تجد وجهة للمناجاة الا فيما « وراء الفضاء » . وهذه الوجهة الماورائية تتكرر في جميع قصائدها ، حتى المتأخرة منها ، والمتصلة بموضوع يعتبر دون شك من أبعد المواضيع عن الرغبة «القدرية» الغامضة ، وهو موضوع الاحتلال العدواني الاسرائيلي، في فلسطين — وسنرجيء التعليق عليه الى حين الاشارة الى مجموعتها « الليل والفرسان » .

ان التناقض النفساني الذي يخلفه توق الجسد الى الحياة ، وانكساراته الناتجة عن الكبت الاجتماعي ، يجد مداره في دائرة « الموت » . هذه الدائرة التي تشكل تطهيرا داخليا سلبيا . ونزعة الشاعرة فدوى هذه تبدو منطقية ، الى أن تبدأ مرحلة استلهامها، كحجة ، من موت أخويها « ابراهيم » و« نمر » ، فتتحول ، حينها ، الى مرحلة «الرثاء»، التقليدي الذي تطمس فيه ذلك الوجع القديم ذا السمة الميتافيزيقية الصرفة . وهذا التحول يتلف ، بوضوح ، امكانية تلك النزعة الى النمو والنضج ، بحيث تستطيع ان تصبح رؤيا فلسفية متكاملة .

لقد اصبحت الشاعرة ، بحجة عائلية ، شاعرة « رثاء » تطمح ان ترث « الخنساء » ، ذلك الارث الذي لا يملك ان يصبح عصريا ، وانتهت فيها تلك « المقدمة » التي كانت ترى فيها الموت — كما يراه الشاعر « ييتس » ليس الا انتقالة من غرفة الى اخرى » . غير ان كونه خاتمة الحياة والوجود المادي وما هو معروف ومدرك ، يفعمه بمغزى هائل .

في مجموعة « أمام الباب المغلق » ، عدد من القصائد الى شقيقها « نمر » ، نستطيع من خلالها ان نتلمس « الموت » الذي كان فيما مضى هاجسا . بالرغم من ان هذه الانعطافة قد بدأت منذ « وحدي مع الايام » وفي القصائد التي قدمتها الى شقيقها « ابراهيم » . وأصبح عاملا وسببا للندب والشكوى . علاماته : المفقود الذي ذهب دون عودة ، والقبر الماثل بصمت ، والمأتم في حضوره المستمر ، والوحشة المتبقية ، حيث لا نصير بعد ولا ظهير ، سوى ذكرى باقية لا تغني :

« آه يا قبرا له اشعاع نور
لا أرى أجمل منه في القبور !
فيك دنياي ، وفي قلبي الكسير
مأتم ما أنفك مذ بات لديك
قائما يأخذ منه بالوتين »

« واذا ينزف دمع المقل
يجهش القلب اسى ما يأتلي
نادبا عندك أغلى أمل
باكيا فيك نصيري وظهيري

ساكبا من ذوبه غير ضنين »(٦)

الموت هنا لم يعد موضوعا بذاته لدى الشاعرة ، بقدر ما أصبح عاملا للرثاء ، وهي تبقى على حالها هذه عبر سنوات طويلة ، حتى « أمام الباب المغلق » ١٩٦٧ . والذي كان طبيعيا ان تتحول فكرة الموت لديها بعد هذا الالحاح ، الى رؤيا فلسفية متكاملة . ولكن « الموت — الرثاء » بقي على حاله ، في رؤية تقليدية غير مشجعة .

« يا نمر ، يا حبيب اختك الكسيرة الجناح
يا نمر يا جرحا جديدا غار في قلبي المغشى بالجراح
أهكذا بلا وداع يا حبيبنا ويا أميرنا الجميل
لا قبلة على طراوة الخدين والجبين
لا نظرة أخيرة نحملها زادا لنا
في وحشة الفراق
يا نمر ، يا حبيبنا ويا أميرنا لو انه
فراق اعوام حملنا ثقله
لكنه فراق عمر
لكنه فراق عمر »(٧)

وتلتفت الى الموت ، بعد ندب متصل ومكرر وتقليدي لتخاطبه بنفس الروح التقليدية :

« يا موت يا مجنون يا أعمى العيون ، يا أصم
يا قاصما ظهري الضعيف لي لديك
الف ثار ، ألف ثار »

وبنفس هذه الروح العفوية والتي لا تخلو من سذاجة تخاطب القدر ، والتي كانت تسميه فيما مضى « بالذي وراء الافق » ، تقول :

« وأنت يا من قيل عنك انه هناك
حان لطيف بالعباد
حان لطيف بالعباد ؟ أين انت ؟
لا أراك
دعني أراك كي أقول انه هناك »

ان هذا السهو الذهني الغريب ، قد وضحت تباشيره الاولى في مجموعة « وحدي مع الايام » ، ولكن ناقدا لا يملك ان يتنبأ بتغيرات لها طاقة النمو والنضج . والا فمن الممكن ان تكون تلك التباشير مقدمات عابرة لا تملك ان تحول بين الشاعرة وبين الرؤية الفكرية الحقيقية .

ان نماذج هذا الرثاء التقليدي كثيرة . ولقد اكتفينا بهذه النصوص ، لان الذي تبقى مماثل لها تماما .

(٤)

نطل الان على طرف آخر من أطراف ذلك « الحلم » الذي عرفناه ، هجرة متصلة عن أرض الواقع ، والذي كان الموت ظلا من ظلاله الغائمة المبعثرة — هذا الطرف نستطيع ان نعرفه بهذا المقطع من قصيدة « أنا راحل »(٨)

« .. وسرحت أرنو في الفراغ

---

٦ — **المصدر السابق** ، ص ١٧٩ .
٧ — أمام **الباب المغلق** ، ص ٢٤ .
٨ — **وجدتها** ، ص ١٢٢ .

سرحت في اللاشيء أحلم
حلمـــا بلا لون قلم أفهمه
حلمـــا كان مبهم »

ان طرف الحلم الجديد ، هو « الفراغ » الذي تتأمل فيه ، و« اللاشيء » الذي تحلم به ، و« الحلم » المبهم الذي لا لون له . وهذه المعادلة الجديدة في ذاتها معادلة فضفاضة لانها معادلة وهمية . تنسحب وراءها خيوط طويلة تجدها عبر مجموعات فدوى جميعها . فهي حتى لو اكتشفت بعد جهد عسير ذلك « السر الضائع » ، لكنه سيظل «سرا ضائعا» لانه غير مسمى ، تقول الشاعرة في قصيدة « انا والسر الضائع »(٩)

« ما زلت والدرب بعيد طويـــل
أبحث في المجهول عبر الزمان
عن ضائع أبحث ، عن سر
ظننته أنأى من المستحيل
ما انفك يجري خلفـــه عمـــري
وهو وراء الغيب في لا مكـــان »

ويظل السر مجهولا الا من اشارة « غيبية » تكشف عن ذلك الوهم الذي بقيت الشاعرة اسيرة بين يديه ، اذ تقول :

« لم أدر الا ان في صدري
يدا من الغيب مضت كفها
تمسح عنه عتمة اليأس »

وهذه « اليد من الغيب » لها صلة بتلك القوة القدرية التي اتخذت لهـــا اسماء عديدة ، فهي بلمسة سحرية توحي للشاعرة بالخلاص حيث تعترف :

« وبغتة ، في لفتة عـــابرة
لقيته ، .. »

ولعل هذا اللقاء صدفة من صدف الروح التي تتيح لها متنفسا آنيا . ولعل هذا الوهـــم طموح للحقيقة . ولكن الشاعرة تصر بهاجس رومانسي على ان تظـــل مدفوعة بقـــوة مجهولة ، الى لقاء مجهول ، وهي بين الدفع واللقاء يلذ لها ان تصرخ : « سأظل وحدي في انطواء ، ما دام سجاني القضاء »(١٠) لانها تجتهد اجتهاد « الانا المتضخمة » بأننا :

« .. سنمشي ونحن نجهل من يدفعنا
في المدى وما سنلاقي
وسنمشي معا بعيدا ولا ندري
متى ينتهي الطريق الوثير»(١١)

في قصيدة « لا مفر »(١٢) من مجموعتها « اعطنا حبا » ، تتحدث الشاعرة عن قوة جبرية داخل الانسان تؤمن بها « وهي جزء لا ينفصل عن النفس ، ومن هنا تنبع مأساة وجودنا الانساني » كما ترى . ولكن الطريف بالامر انها في البداية ، لا تؤمن « بجبرية تأتينا من الخارج » ، ولا اعرف كيف يتاح لمفكر يطمع بالتأمل ، ان يجتهد في استخلاص مفهومين

---

٩ ــ **المصدر السابق** ، ص ٩٢ .
١٠ ــ **المصدر السابق** ، من قصيدة « الصخرة » ، ص ١١٥ .
١١ ــ **المصدر السابق** ، من قصيدة « وانتظرني » ، ص ٤٥ .
١٢ ــ **أعطنـــا حبا** ، ص ٨٧ .

« للجبرية » خارجية وداخلية ، وفي اختيار واثق لاحدهما دون ان يكون مفكرا غيبيا . وهذا هو داء الشاعرة الذي تنضح به مجمل قصائدها . ففي القصيدة التي اشرت اليها، تعتبر فدوى انها لو رجعت صغيرة ، وهي تملك تجارب عمرها وخبراته ، وما علمتها السنون الكثيرة ، فمن المحال ان تملك القدرة على استخدام تلك التجربة في اصلاح حياتها ، وفي مجانبة ذلك الضياع وذلك المصير ، لماذا ؟ لان . .

« هناك وراء الوراء ، باعماق ذاتي
هنالك يرسب شيء خفي
يظل خفيا ولا شكل لـه
يظل قويا ولا لون لـه
يوجه سيري ، يخط دروبي
ويرفع بين يدي صليبي
ويحدو خطاي الى الجلجلة »

« ان الانسان كما يقول اودن « هو المخلوق الوحيد الذي النقص في تكوينه ، والحيوان الوحيد الذي يدرك الفرق بين الاشياء ، كما هي وكما يجب ان تكون » وهناك شيء يدفعه دائما ليجد معنى لحياته التي يريد ان يعتبرها دائما هدفا يجب تحقيقه كما يعتبر نفسه الوسيلة لتحقيق غاية اسمى منه . ومن هنا نبعت آلامه ، ليس فقط لان الزمن لا بد سيقهره ، ولكن لان التعقيدات في طبيعته تعمل على افساد محاولته لمعرفة طريقه الصحيح . . . وكثير من الناس يتحدثون اليوم عن هذا الكبت والقلق كأن الاحساس به ظاهرة جديدة . حقا ما من عصر اهتم بمصيره ، او حلل وشخص وناقش نفسه كعصرنا هذا ، ولعل ذلك لاحساسه بأنه مريض روحيا فهو على الدوام يتحسس نبضاته العاطفية ويقيس حرارته ، ولكن اتساع المعرفة الذاتية الحقة والادراك الذاتي الحقيقي ، حقيقية ايضا . . . ان ظلام الجهل النفسي لا يلزم ان يكون بهذه الصورة المرعبة ، فالانسان يمكن ان يساعد على ادراك بعض مشكلاته النفسية وحلها ومع ذلك فان الصراع الداخلي لا بد ان يستمر . . . ان عقل الانسان وقلبه ، ملكة تفكيره وعواطفه ، كلاهما يسعى لتحقيق غايته ، وانحلال الحيوية في كليهما او التجاذب بينهما هو الذي يؤدي الى مرضه الروحي . وهناك اسباب عديدة تؤدي الى هذا التناحر الداخلي ولكن الاحساس السلبي بالعجز هو الحائل الرئيسي بين الانسان وتحقيق غايته . واي عاطفة ايجابية خير من هذه التعاسة المضطربة المنهكة . . . وليس الاعتزال في ذاته ترياقا ضد التعاسة ، ذلك لان الاحساس بالسلبية هو غالبا سبب الالام »(١٣).

(٥)

في قصيدة « صلاة الى العام الجديد » تستقبل الشاعرة عامها الجديد بهذه الانشودة :

« في يدينا لك اشواق جديدة
في مآقينا تسابيح ، والحان فريدة
سوف تزجيها قرابين غناء في يديك
يا مطلا أملا عذب الورود
يا غنيا بالاماني والوعود
ما الذي تحمله من اجلنـا ؟
ماذا لديك ؟ »

هذه الانشودة ، دون شك ، تجسد توقا للخلاص ، وتعقد أملا صادقا علـى عام جديد

١٣ — **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه** — اليزابيث درو — ترجمة د. محمد ابراهيم الشوش ، ص ١٧٣ — ١٧٥ .
١٤ — **اعطنـا حبا** ، ص ١٧ .

يحمل قدره القاسي معه ، ذلك القدر الذي تبعثه فينا تلك التساؤلات في نهاية المقطع . بالرغم من استعطاء الشاعرة

« أعطنا حبا ، فبالحب كنوز الخير فينا تتفجر »

ولكن هذا الآتي والذي سيكون « ضميرا غائبا » لا يتضح ، يحمل بين يديه غموضه وقسوته معا . وسيظل « فراغا » و« لا شيئا » و« حلما » لا لون له . الى أن يتجسد، بعد « حزيران » ، وفاجعته الواقعية الملموسة في « الفدائي الفلسطيني » . وليس من السهل أن يتضح هذا « الفدائي » أمامنا ، نافضا عنه كل ذلك التراث من وهمية « ضمير الغائب » الذي لا وجود له . فستبقى صورته مهزوزة ومائعة ، الا في بعض ما كتبته فدوى طوقان ، وخاصة قصيدتها « حمزة » .

صورة « ضمير الغائب » الذي كان « فراغا » و« لا شيئا » و« حلما » لا لون له . تحدثنا الشاعرة عنه بهذه الطريقة الواضحة :

« كان وهما ، نحن اعطيناه شكلا وحياه
ثم رويناه لونا وعبير
وعشقناه ، عشقنا وهمنا الغالي الغرير
...
فترة ثم تلاشى ذات ليلة»(١٥)

وقد يتضح هذا « الضمير » قليلا . ولكن الشاعرة تأبى الا ان تبقيه حلما وطيفا ، ليكون مؤهلا ان يتلاشى ، تقول في قصيدة « نسيان »(١٦)

« احقا حببتك يوما ؟ وكيف ؟
أم كنت طيفا بحلم عبر
وهب كنت طيفا تعشقته
فكيف تلاشى الهوى واندثر »

ونحن نعرف دون شك ، ان حب الطيف يملك نفس قدرة الطيف على التلاشي . وفي قصيدة « في الكون المسحور »(١٧) تتيح الشاعرة لخيالها ان يرى وهي في نزهة قمرية ، انسانا يحدثها ، فتجد في عينيه « شموسا تتحرق ، ونجوما تتألق » ولكن فجأة :

« ماذا ؟
الحلم تفلت من عيني ، هنا عادت حولي
الغرفة تقبع والجدران هنا وفراغ منظور
انهد الكون المسحور
منهارا في قلب الليل »

يبقى الطموح لدى الشاعرة فدوى طوقان طموحا خائبا . والتوق الى الحب ، لا يملك الا مقدرة على الاختلاق والوهم . وتلك الخيبة وهذا الاختلاق يتحدان ، لتشويه صورة الواقع ، او للمبالغة في الاحساس بظلماته . فهي تجيب صديقا يفاتحها بحبه ، قائلة :

« تحبني ؟
لا ، ردعا»(١٨)

ولا ترتضي منه الا بوده الكبير الذي تحتمي بظله الامين في دربها الطويل ، لان من احبها قد مات :

---

١٥ — **المصدر السابق** ، ص ٢١ .
١٦ — **المصدر السابق** ، ص ٢٦ .
١٧ — **وجدتها** ، ص ٦٣ .
١٨ — **أمام الباب المغلق** ، ص ٨٥ .

« ومات من أحبني
مات أخي الذي أحبني ولم يكن
هناك من أحبني سواه »

والشاعرة تصرح بذلك ، لا لانها لم تعرف الحب ، فلقد سمعته من كثيرين ، ولكنها بقيت عطشى ، كأنما كان الذي بلغته سراب ، وهي تأبى الا أن تجد كل ذلك وهما ، لان «الحب عند الاخرين جف وانحصر » .

وبهذا ايضا تقف مواجهة « الباب المغلق » لتحدث الملك ، بعد ان كان « أخا » و«صديقا» و« حبيبا » خاصة في قصائدها الى « ج. ه » ، مستعطية منه الرحمة ، التي تنقذها من الخوف ، والحب الذي يضيء مصباحها المطفأ في صدرها .

والملك يرمز في قصيدة « أمام الباب المغلق »(١٩) الى الاله، وهي القدرة التي طالما توجهت اليها الشاعرة . ولكنها الان لا تواجهها بالشكوى والاستجداء فحسب ، بل بالغضب ايضا ، ولكنها في النهاية لا تجد الا الخيبة أمام الباب المغلق :

« عبثا ، لارجع صدى لا صوت
عودي . لا شيء هنا غير الوحشة
والصمت وظل الموت » .

(٦)

لدى فدوى طوقان قصيدة قديمة في مجموعتها « وجدتها » تحت عنوان « نداء الارض»(٢٠) تتحدث فيها عن انسان فلسطيني « تمثل أرضا نمتــه وغذته » في طفولته وشيخوخته يواجه الغزو الاجنبي لارضه ، ولاستلابها . وفي المنفى يصر على العودة ، ولكنه يعود تحت جنح الليل ذاهل الخطو ،

« الى اين ؟ لم يدر . كان الحنين
نــداء ألح به واستبد »

ولكن رائحة الارض تدفعه اليها ، فيهوي عليها ليشم ثراها ويضمخ بها صدره ويسمع همسها « رجعت الي » فيجيبها :

« ــ رجعت اليك وهذي يدي
سأبقى هنا ، سأموت هنا ، هيئي تدري »

فتهيء له قدره ، حيث تبصره عيون العدو ، وترديه قتيلا في طلقتين .

كانت هذه القصيدة اولى هواجس « الفارس ــ الحلم » لدى الشاعرة . ولكنه ذو طابع رومانسي قابل للتلاشي . ولقد كررت هذه الصورة لدى شعراء الجيل السابق ، وفي معظم القصائد الفلسطينية الوطنية قبل حزيران . ولم تتحول تحولا ثوريا الا بعــد حزيران ، وبوجه الخصوص على يد شعراء الارض المحتلة انفسهم ولقد نالت الشاعرة نصيبا من ذلك التحول ، ولكنه نصيب يسير اذا ما قورن بنصيب زملائها الاخرين .

في « الليل والفرسان » مجموعتها الاخيرة ، وجميع قصائدها كتبت بعد حزيران ١٩٦٧، تظل معظم القصائد خاضعة لارث الشاعرة القديم . فالندب والشكوى والبكاء لها نسبة وافرة ، ولكنها الان بسمة وطنيـــة ، ولغرض وطني ، بالرغم مـــن جوهرها الرومانسي الحاد ، تقول في قصيدتها « الطاعون »(٢١)، وهو دون شك طاعون الاحتلال :

---

١٩ ــ **المصدر السابق** ، ص ٥٥ .   ٢٠ ــ **وجدتهــا** ، ص ٨ .
٢١ ــ **الليل والفرسان** ، ص ١٢ .

« يوم نشأ الطاعون في مدينتي
خرجت للعراء
مفتوحة الصدر الى السماء
أهتف من قرارة الاحزان بالرياح :
هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح .. »

وتلتقي بأجواء هذه القصيدة اجواء قصيدة « الى السيد المسيح في عيده » و« رسالة الى طفلين في الضفة الغربية » . ولكن الشاعرة تبدأ بتحولها بطيئاً حيث تقدم الى شعراء الارض المحتلة قصيدة تعاهدهم فيها على ان لا تبكي بعد هذا اليوم :

« احبائي
مسحت عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية
لالقاكم وفي عيني نور الحب والايمان
بكم ، بالارض ، بالانسان
فواخجلي لو اني جئت القاكم ، وجفني راعش مبلول
وقلبي يائس مخذول
....
وها انتم كصخر جبالنا قوة
كزهر بلادنا الحلوة
فكيف الجرح يسحقني ؟
وكيف اليأس يسحقني ؟
وكيف امامكم أبكي ؟
يمينا ، بعد هذا اليوم لن ابكي»(٢٢)

ويجيء الانسان ـ الفدائي ـ في آخر الشوط . وتكتب فدوى طوقان قصيدتها « حمزة » و « خمس اغنيات للفدائيين » ، وهما من أنضج ما كتبته الشاعرة ، لا لانهما جاءتا في آخر الشوط ، فحسب ، بل لانهما ايضا ، خضعتا لتجربة صادقة ، كانت فدوى طوقان فيها تتعامل مع قضيتها لا بذاتية ضيقة ، بل بهاجس انساني عام . فهي بدأت تعرف كيف يكون المخاض الذي يهز الارض و ...

« كيف تكون رعشة الميلاد »
« .. وكيف يولد الاقاح
من ألم الارض ، وكيف يبعث الصباح
من وردة الدماء»(٢٣)

لقد توصلت عبر تجربة الانسان ـ الفدائي، والانسان الشهيد ، كيف هي جدلية الحركة، وجدلية الحياة ، ووحدة النقيض حيث تتفجر نحو المستقبل ، فلنتابع هذه الرؤيا لولادة الاغنية :

« نأخذ اغنياتنا
من قلبك المعذب المصهور
وتحت غمرة القتام والديجور
نعجنها بالنور والبخور
والحب والنذور
ننفخ فيها قوة الصوان ، والصخور
ثم نردها لقلبك النقي ، قلبك البلور

٢٢ ـ المصدر السابق ، ص ٥١ .
٢٣ ـ المصدر السابق ، ص ٩٤ .

يا شعبنا المكافح الصبور »(٢٤)

في قصيدة « حمزه » تقدم فدوى نموذجا حيا . لانه أولا لا يخلو من خصوصية الانسان الطيب الذي يأكل خبزه من كدحه ، كجميع البسطاء الطيبين ، ولانه ايضا لا يخلو من عمومية الشمول الذي يجمع الكل في واحد ليكون رمزا موحيــا ، لا للانسان الفلسطيني الثائر ، ولخصب ثورته ، فحسب ، بل للارض الفلسطينية ولخصبها . وفدوى طوقان تقدم هذا النموذج بحاسة فنية ماهرة ، لا تسيب فيها ولا فضفضة ولا رومانسية .

« كان حمزه
واحدا من بلدتي كالاخرين
طيبا يأكل خبزه
بيد الكدح كقومي البسطاء الطيبين »

هذه البداية تبدو قصصية ، والقصيدة قصصية بالفعل ، ولكنها ذات منطق شعري غير سردي . منطق متداخل يجمع بين الاضداد ، ويوجد العناصر ليخلق طاقة الخصب . فحمزة في البداية انسان بسيط ، وهي اشارة لاثارة الانتباه ، يلاقي الشاعرة ذات يوم وهي تتخبط في تيه الهزيمة ليقول لها : « اصمدي يا ابنة عمي » لان هــذه الارض التي تحصدها نار الجريمة ، والتي تبدو اليوم حزينة وساكتة تملك قلبا لا يموت :

« هذه الارض امرأة
وفي الاخاديد وفي الارحام سر الخصب واحد
قوة السر التي تنبت نخلا وسنابل
تنبت الشعب المقاتل »

لم تعد « قوة السر » تعني لدى فدوى ما كانت تعنيه في عوالمها السابقة ، فهــي بعد أن كانت « جبرية » داخل الذات المظلمة ، « وقدرا » ماورائيا ، اصبحت اليوم جدلا يوحد بين الانسان والطبيعة ، بين الذات والعالم ، وقوة دافقة لا تتحــرك الا من أجل ميلاد جديد .

فحمزه ، الذي يغيب ويظهر ، انما يعطي ايحاء بالولادات التي لا تنتهي وبالثورة التي لا تتوقف . فبعد ان تدور الايام دون ان تلتقي الشاعرة به ، كانت تعرف أن الارض تعــد بمخاض وبميلاد جديد .

وبعد ان يحاول حاكم البلدة وجنوده نسف الدار التي يسكنها حمزه وأولاده ، يطل مــن الشرفات لينادي :

« يا فلسطين اطمئني
انا والدار واولادي قرابين خلاصك
نحن من اجلك نحيا ونموت »

وبعد أن يتلاشى كل شيء ، تعود الدورة لتبشر الشاعرة من جديد :

« أمس ابصرت ابن عمي في الطريق
يدفع الخطو على الدرب بعزم ويقين !
لم يزل حمزة مرفوع الجبين »

وهكذا ، بعد تجربة طويلة من الطواف ، تتعرف الشاعرة فدوى طوقان على الطوفان ، وبعد تحديق طويل في الموت تتعرف على « الميلاد » لتغني الارض الجديدة ، والمستقبل الجديد ، والانسان الجديد .

---

٢٤ ــ المصدر السابق ، ص ٩٦ .
٢٥ ــ المصدر السابق ، ص ٨٨ .

اسرائيل وجنوب افريقيه

تقرير اعدته "لجنة ماديسون" لجنوب افريقيه

لم يعد خافيا على احد تقريبا سجل الحزب القومي الذي تسلم زمـــام السلطة في جنوب افريقية في العام ١٩٤٨ بما هو حافل بالعداء لليهود وتعاطف مع دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية ، فجميع رؤساء الوزارات الذين ينتمون لهذا الحزب ، ابتـــداء من مالان وستريجدوم وفيرووِرد حتى فورستر ، معروفون بميولهم النازية ، والدكتور فورستر ، رئيس الوزراء الحالي ، هو نفسه الذي اعلن على رؤوس الاشهـــاد في العام ١٩٤٢ : « اننا نؤمن بالقومية المسيحية الحليفة للاشتراكية القومية . . . التي يسمونها في ايطاليه الفاشية ، وفي المانية النازية ، وفي جنوب افريقية القومية المسيحية » . (هيبل ، **جنوب افريقية : العمال في ظل التمييز العنصري**) . لذا ، فان أي مراقب موضوعـــي يقرأ هذا الكلام لا بد وان يتوقع بأن تتسم العلاقات ما بين الدولة العنصريـــة في جنوب افريقيـــة والدولة الصهيونية في اسرائيل بعداء لا هوادة فيه نظرا للتحالف الذي كان قائما بـــين جنوب افريقية والمانية النازية التي اخذت على عاتقها مهمة ابادة اليهود ، ولكن الواقع مغاير لذلك تماما . فرغم أن اسرائيـــل قد أعربت اكثر من مرة عن استنكارهـــا العلني لسياسة التمييز العنصري القانوني التي اختطتها جنوب افريقية لنفسها ، نرى ان وراء هذه التعليقات السلبية شبكة من العلاقات المرضية التي تتميز بالتعاون والصداقة مـــع نظام الاقلية البيضاء على الطرف الجنوبي للقارة الافريقية . وكما هو الحـــال بالنسبة لعلاقات الولايات المتحدة بأنظمة حكم البيض في جنوبي افريقية ، ليس هناك سوى صلة بسيطة للمحتوى الحقيقي لعلاقات اسرائيل بجنوب افريقية بما يمكن ان يتوقعه المرء على أساس من التأكيدات الايديولوجية المبهمـــة لحق تقرير المصير واللاعنصرية والعدالـــة والحقوق الديمقراطية .

ولفهم الاسس التي تقوم عليها مختلف نواحي العلاقات ما بين جنوب افريقية واسرائيل لن نكتفي فقط بوضع الخطوط العريضة لهذه العلاقات ، فهذا من الامور اليسيرة بالنسبة لاي باحث جاد ، بل سنعمد ايضا الى تقديم عرض موجز للادوار المتماثلة التي تلعبهـــا الدولتان في النظام الامبريالي العالمي ، فاندفاعهمـــا لاخضاع الـــدول الافريقية النامية لسيطرتهما لا يختلف عما يقوم به العديد من الدول الراسمالية المتقدمة . ولكن السياسات الداخلية والخارجية لكل من النظامين تعتمـــد في الاساس على الظروف التي نشأ فيهـــا الشعبان خلال العهد الكولونيالي . وسنحاول ان نثبت ان شبكة العلاقات القائمة بين جنوب أفريقية واسرائيل ناجمة في معظمها عن تجارب سابقة وراهنة متماثلة مرت بهـــا الدولتان في علاقاتهما مع الدول الراسمالية الغربية والدول النامية في القارة الافريقية . فتاريخيا تعتبر جنوب افريقية واسرائيل من الدول الاستيطانية ، اذ ان كلتيهما تكونتـــا خلال فترة توسع الراسمالية وحركة الشعوب خارج بلادها التي تميزت بها الكولونيالية الاوروبية ، وكلتاهما ايضا حققتا وجودهما القومي في ظل حكومات تمثل مصالح السكان المهاجرين وابنائهم . ونظرا لمصلحـــة البقاء التي تعمل لها حكومـــات أقلية كهذه ، أدت

المحركات الداخلية للدولتين الى الهيمنة المستمرة والقمع المتواصل لحركة السكان الاصليين من جانب نظام الاقلية القائم فيهما .
وهذه الظروف التاريخية المتماثلة التي نشأت فيها الدولتان هي التي جعلت مصالحهما الحالية متشابهة مما ادى الى ايجاد روابط ذات فوائد مشتركة للجانبين . وحقيقة نشوء الدولتين من خلال حركة التوسع الراسمالي عبر الكولونيالية ادت الى وضع اصبحت معه كل منهما تعتمد في بقائها من جهة ، على المعونات الاقتصادية التي تحصل عليها من دول صناعية متقدمة ، ومن جهة اخرى ، على التحالف مع هذه الدول في التوسع الامبريالي العالمي . وعلى اساس متطلبات حكومات الاقلية في البقاء يستطيع ان يفهم المرء سبب نمو العلاقات الاقتصادية بين جنوب افريقية واسرائيل واهتماماتهما الاستراتيجية المشتركة ومحاولتهما المتشابهة لتشجيع التنمية في الدول المعتدلة في افريقية والشرق الاوسط كوسيلة لاخماد جهود شعوب هذه الدول التي لا تزال تكافح ضد فرض الانظمة الاستيطانية والتوسعية عليها .

نمو الروابط الاقتصادية بين جنوب افريقية واسرائيل

في ٦ نوفمبر ١٩٦٢ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة ، بأغلبية ٦٧ صوتا مقابل ١٦ وامتناع ٢٣ دولة عن التصويت ، على القرار ١٧٦١ XVII الذي يدعو الدول الاعضاء الى قطع علاقاتها مع جنوب افريقية ، بما في ذلك « جميع بضائع جنوب افريقية ، والامتناع عن تصدير البضائع ، بما في ذلك جميع انواع الاسلحة والذخائر ، الى جنوب افريقية » . وقد صوت المندوب الاسرائيلي الى جانب القرار كغيره من مندوبي دول العالم الثالث . وفي السنوات اللاحقة اتخذت الجمعية العامة قرارات مماثلة للقرار (١٧٦١) .
ورغم موقف المندوب الاسرائيلي هذا ، لم ينخفض التبادل التجاري ما بين اسرائيل وجنوب افريقية في السنوات الاخيرة ، بل بدلا عن ذلك شهد نموا مطردا . وفي هذا الصدد يقول « الكتاب السنوي اليهودي الاميركي » (١٩٦٩ : ٤٥٤) ان « وفدا قويا من جنوب افريقية اشترك في مؤتمر القدس الاقتصادي الذي دعا اليه ليفي اشكول ، رئيس الوزراء ، في نيسان ١٩٦٨ ، ولدى عودة اعضاء الوفد الى بلادهم شكلوا جمعية تجارية مشتركة برئاسة موريس لوبنر ، لتنمية التبادل التجاري بين البلدين » . ويثبت « الكتاب السنوي اليهودي الاميركي » (١٩٧٠ : ٥٣٥) ان العلاقات بين البلدين آخذة في التحسن، ونراه يلاحظ « نجاح (اسبوع اسرائيل) لتشجيع التجارة في جنوب افريقية في آب ١٩٦٩ الذي عرضت فيه اربعة مخازن حكومية منتجات اسرائيل في فروعها الممتدة الى كافة انحاء البلاد . . . وقد أكد آدن تالبر ، نائب مدير وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية الذي شهد الافتتاح في جوهانسبرج بصحبة وكيل وزارة الشؤون الاقتصادية في جنوب أفريقية على المدى القائم لتشجيع التبادل التجاري » .

وتظهر الارقام التي نشرتها جمعية التجارة الاسرائيلية — الجنوب افريقية ازديادا في صادرات جنوب افريقية لاسرائيل من ٣ ملايين دولار في ١٩٦٧ الى ٧ ملايين دولار في ١٩٦٩ ، وصادرات اسرائيل الى جنوب افريقية من ٣،٦٢ مليون دولار في ١٩٦٧ الى ٩،٤١ مليون دولار في ١٩٦٩ . ولا نستطيع الاعتماد كليا على صحة هذه الارقام نظرا الى ان مصادر اخرى تعطي ارقاما متباينة نوعا ما . ويظهر الجدول الاول كمية المبالغ التي ذكرتها كل من اسرائيل وجنوب افريقية في تقارير الى صندوق النقد الدولي. وهو مقتبس عن **اتجاهات التجارة** ، آذار ١٩٧٠ .

ورغم اختلاف الارقام ، نلحظ ازديادا ملموسا في التجارة خلال السنوات الاخيرة. ووفقا لما ورد في كتاب « احصائيات التجارة الخارجية الاسرائيلية » استمر هذا الازدياد في ١٩٧٠ ، اذ بلغت الصادرات الى جنوب افريقية ١٠،٤٧ مليون دولار ، وبلغت الواردات منها ١٠،٤٢ مليون دولار .

جدول رقم ١ : التبادل التجاري بين جنوب افريقية واسرائيل
(بملايين الدولارات الاميركية)

	التجارة من اسرائيل الى جنوب افريقية في العامود (١) ومن جنوب افريقية الى اسرائيل في العامود (٢) كما ورد في التقارير الاسرائيلية :		التجارة من اسرائيل الى جنوب افريقية في العامود (٣) ومن جنوب افريقية الى اسرائيل في العامود (٤) كما ورد في تقارير جنوب افريقية :	
	(١)	(٢)	(٣)	(٤)
١٩٦٥	٢،٧٠	٤،٣٠	٢،٨٠	٣،٦٠
١٩٦٦	٢،٣٠	٤،٥٠	٢،٧٠	٣،٦٠
١٩٦٧	٤،٠٠	٣،٤٠	٣،٣٠	٣،٠٠
١٩٦٨	٥،٧٠	٥،٢٠	٥،٣٠	٤،١٠
١٩٦٩	٨،١٨	٥،٧٩	٦،٧٧	٤،٨٢

وبالنسبة لجنوب افريقية واسرائيل ، تعتبر الـــدول الغنية في اوروبة الغربية واميركة الشمالية أهم الاطراف التي تتبادلان معها التجارة . وفي النطاق الافريقي ، وعلى الرغم من سياسة اسرائيل في التودد الى دول افريقية السوداء ، تعتبـــر جنوب افريقية اكبر شريك تجاري لاسرائيل ، اذ أنها تشتري تقريبا ربع صادرات اسرائيـــل الى افريقية في حين لا تستورد من الدول الافريقية اكثر من ثلث وارداتها .

جدول رقم ٢ : تجارة اسرائيل في افريقية ، ١٩٧٠ (بملايين الدولارات الاميركية)

جنوب افريقية	١٠،٧	١٠،٢
اوغنده	٥،٦	٢،١
اثيوبيه	٤،٤	٢،٠
نيجيرية	٣،٦	٠،٠٤
كينية	٣،٦	١،٢
باقي الدول الافريقية	١٣،٧	١٤،٥٦
المجمـــــوع	٤١،٦	٣٠،١

ولكن ارقام الجدول الثاني ، وهي من كتاب « احصائيات تجارة اسرائيـــل الخارجية ، ١٩٧١ » تقلل في الحقيقة من اهمية الروابط الاقتصادية بين البلـــدين ، فمثلا ، ورد في « ساوث افريكان فايننشال مايل » (٢١ تموز ١٩٦٧) رقم حول قيمة تجارة جنوب افريقية مع اسرائيل ، ولكنه لا يشمل تجارة الماس . وفي حين تنتج مصالح اوبنهايمـــر وشركة معادن دي بيرز المتحدة حوالي ٨٠ بالمئة من الانتاج العالمي من الماس الخـــام ، تأتي اسرائيل بعد بلجيكة في تصدير الماس المصقول . (مجلة « **تايم** » ١٧ آب ١٩٧٠) . وفي حين تحصل اسرائيل على هذه الكميات من الماس غير المقطوع من مصادر مختلفة ، الا انها تشتريه من منظمة البيع المركزية التي تسيطر عليها جنوب افريقية ، وهذا مـــا يرفع نسبة الواردات . وفي ١٩٦٨ حصلت اسرائيل على ٥٢ بالمئة مما تحتاجه من منظمة البيع المركزية ، وهذا الرقم (٤٠ ــ ٦٠ بالمئة) يمثل تطور الواردات خلال عشر سنوات واما قيمة الواردات الاجمالية من الماس في ١٩٦٩ فبلغت ٢١٩ مليون دولار . (**الموجز الاحصائي الاسرائيلي** ، ١٩٧٠) . وتعتبر صناعـــة صقل المـــاس من اهم صناعـــات الصادرات في اسرائيل . وفي ١٩٦٩ بلغت صادرات الاحجـــار شبه الكريمة والكريمـــة (الماس بشكل خاص) ٤١،٨ بالمئة من مجموع صادرات اسرائيل غير الزراعية ، وحوالي

٣٥ بالمئة من صادراتها الاجمالية . (**الموجز الاحصائي الاسرائيلي** ، ١٩٧٠) . وكل سنة منذ ١٩٤٩ والماس يشكل ما بين ثلث ونصف مجموع صادرات اسرائيل الصناعية، والقسم الاكبر من هذه الصادرات يباع في اسواق اميركة واوروبة الغربية .

وهكذا فان التوسع الاخير في التجارة يأتي زيادة على الروابط القائمة بالنسبة لتجارة الماس الدولية . وفي ١٩٦٨ اعرب أميتاي بن ــ جوزيف ، مفوض اسرائيل التجاري الى جنوب افريقية ، عن آماله بالنسبة للتجارة ، وقال : « ان اسرائيل بحاجة الى الصوف والاسبست والماس الصناعي والمعادن . . . وستتمكن اسرائيل من تزويد جنوب افريقية بالمنسوجات والاقمشة والكيماويات والمواد الصيدلية » . (**انباء من جنوب افريقية** ــ ٣ تموز ١٩٦٨) .

ومؤخرا عمدت جنوب افريقية الى تخفيف القيود على الاستثمارات وسمحت للشركات الجنوب افريقية بأن تستثمر حتى ١٤ مليون دولار في اسرائيل . وقد جاء هذا القرار في اعقاب اعتماد قدره ١٤،٩ مليون دولار من مصلحة الانماء الصناعي في جنوب افريقية في تموز ١٩٧٠ لزيادة صادرات جنوب افريقية الى اسرائيل . (**الكريستشن ساينس مونتر** ــ ٥ حزيران ١٩٧١) .

ومما تقدم نستطيع ان نرى كيف ان ممارسات اسرائيل الاقتصادية لم تكن لتنسجم مع مواقفها السياسية اذا كان الامر يتعلق بجنوب افريقية . وهذا صحيح ايضا بالنسبة للولايات المتحدة . ففي ٢٧ اذار ١٩٧١ ذكرت صحيفة « انباء امستردام » ان عضو مجلس النواب الاميركي عن ولاية نيويورك ، اوجدين ريد ، لاحظ في وقت سابق من هذه السنة ان « قيام الحكومة الاميركية بتشجيع المبيعات والاستثمارات الاميركية في جنوب افريقية ينطوي على تجاهل لسياسة الحكومة بالنسبة لحرية الانسان في تلك البلاد . » وهكذا يرى العالم انه في كلتا الحالتين تهدف هذه الاعمال الى تقوية الروابط مع نظام الاقلية البيضاء في جنوب افريقية وليس الى تخفيفها .

المحافظة على العلاقات السياسية ــ العسكرية

نشرت « نيويورك تايمس » في عددها الصادر في ٣٠ ابريل ١٩٧١ مقالا كتبه سي. ل. سولز بيرجر حول الشراكة الوثيقة ولكن المخفية بين جنوب افريقية واسرائيل ، والمتشعبة في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتي لم يكشف النقاب عنها بعد لدواع ديبلوماسية . ويلاحظ ان لهذه العلاقة بالنسبة لجنوب افريقية بشكل خاص اهمية بسيكولوجية ، « فمن بين المنتقدين الاجانب لسياسة جنوب افريقية هناك العديد من الاصوات اليهودية ، خاصة في الولايات المتحدة وبريطانية . لذا ، فان جنوب افريقية تشعر ان تعاطف اسرائيل معها من شأنه تعزيز مركزها الدولي » . وفي استعراض سولز بيرجر للروابط العسكرية يكشف ان مصانع جنوب افريقية تقوم بصنع رشيش عوزي الاسرائيلي بموجب ترخيص ممنوح عن طريق بلجيكة ، ثم يقول ان بعثة من جنوب افريقية طارت الى اسرائيل خلال حرب ١٩٦٧ لدراسة التكتيك واستخدام الاسلحة الاسرائيلية ، وبعد عودة البعثة اصبحت معركة ١٩٦٧ احدى معركتين يركز عليهما في المدارس الحربية في جنوب افريقية . واضاف استنادا الى انباء غير مؤكدة انه بعد حصول الاسرائيليين على تصاميم محرك طائرة الميراج الفرنسية ارسلوا نسخا عن التعديلات التي ادخلوها على المحرك الى جنوب افريقية . ثم يخلص سولز بيرجر الى القول ان « هذه البلاد تعتبر اسرائيل أحد اصدقائها القليلين في الخارج . ولبعض الوقت كانت سياسة اسرائيل في استغلال الشعوب الافريقية السوداء موضع استنكار ، ولكن تم غض النظر عن ذلك على أساس ان موقف اسرائيل في وجه روسيه وعملائها في الطرف

الشمالي للقارة من شأنه ان يساعد على اتخاذ موقف مماثل لو اقتضت الضرورة ذلك في الطرف الجنوبي » .

لقد توثقت العلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ ، فقد سمحت حكومة فورستر للمتطوعين من جنوب افريقية بالعمل في وظائف مدنية وشبه عسكرية في اسرائيل ، وكذلك سمحت للمنظمات الصهيونية في جنوب افريقية بتحويل ما يربو على ٢٨ مليون دولار الى اسرائيل . وعلقت صحيفة « برسبكتف » — آب ١٩٦٧ — الناطقة بلسان « مؤسسة جنوب افريقية » على ذلك بقولها ان « الحرب التي وقعت مؤخرا في الشرق الاوسط اثارت اهتماما محموما وتعلقا عاطفيا في انحاء مختلفة من العالم ولكنهم قلة اولئك الذين شعروا بارتباط شخصي عميق كالذي احسته جنوب افريقية . وعلى اي حال ، لم يكن العطف على اسرائيل مقتصرا على الطائفة اليهودية . فسكان جنوب افريقية البيض أحسوا وكأن ما اصاب الاسرائيليين كان يصيبهم شخصيا ... اذ كانوا يشعرون بتشابه في وضع اسرائيل المحاطة بجيران معادين مع وضعهم في جنوب افريقية ... وفي وضع كهذا كان من الطبيعي ان ينظر اهالي جنوب افريقية الى الاسرائيليين كأبناء مصيبة واحدة ، وان يهبوا لنجدتهم ومساعدتهم على هذا الاساس » . (اقتبستها مجلة Sechaba ابريل ١٩٧٠) . ونقل سولز بيرجر عن فورستر قوله : « ان وضع اسرائيل ومشاكلها موضع تفهمنا وعطفنا ، فهم مثلنا ، عليهم ان يتعاملوا مع ارهابيين يتسللون عبر الحدود ، كما ان لهم أعداء عقدوا العزم على ابادتهم » . (**نيويورك تايمس** — ٣٠ ابريل ١٩٧١) .

ومؤسسة جنوب افريقية التي استشهدنا بها آنفا هي منظمة تمولها المصالح التجارية الكبرى في جنوب افريقية (بما في ذلك الشركات الاميركية) لتقديم أفضل صورة ممكنة عن جنوب افريقية الى العالم . وفي ١٩٦٧ اسست هذه المنظمة جمعية اسرائيلية — جنوب افريقية في محاولة لتحسين العلاقات بين البلدين . وكان من ابرز الاعضاء الاسرائيليين في اللجنة عند تأسيسها الدكتور شلومو بير ، الاقتصادي الذي كان يقيم في جنوب افريقية قبل ذلك بسنتين . وهو من الذين اشتركوا مع بن جوريون في تأسيس حزب رافي ، كما انه أحد أعضاء اللجنة المركزية لهذا الحزب . ومن الاسرائيليين الاعضاء في اللجنة الكولونيل افرايم شورر ، الذي استقال من الجيش الاسرائيلي ليصبح مدير مكتب شركة العال في جنوب افريقية . (**سيشابا** ، ابريل ١٩٧٠) . ولقد بذلت اللجنة نشاطات واسعة لتحقيق اتصالات على اعلى المستويات بين جنوب افريقية واسرائيل ، وكما تقول « سيشابا » ، ابريل ١٩٧٠ : « كان من اولى الامور التي قامت بها ترتيب عقد اجتماع بين وزير الدفاع في جنوب افريقية ، السيد ب. و. بوثا ، وشمعون بيرس ، السكرتير العام لحزب العمل الحاكم في اسرائيل والعضو البارز في لجنة الشؤون الخارجية والامن ... وفي ايلول ١٩٦٧ قام الجنرال موردخاي هود ، قائد القوات الجوية الاسرائيلية ، بزيارة لجنوب افريقية ، والقى خطابا امام نخبة من الضباط في كلية الطيران قرب بريتوريا ... وفي ديسمبر ١٩٦٧ قامت ايضا مجموعة من الموظفين الحكوميين الاسرائيليين ورجال الاعمال وخبراء الطيران ، بما في ذلك مساعد المدير العام وكبير المهندسين في الصناعات الجوية الاسرائيلية ، بجولة في جنوب افريقية . فقد زاروا مصنع اطلس للطائرات قرب جوهانسبرج واعربوا عن املهم في ان يتمكنوا من احضار الطائرة الاسرائيلية القصيرة المدى الى جنوب افريقية للقيام بسلسلة من الاستعراضات » .

وفي حزيران ١٩٦٨ قام المشرعان الاسرائيليان شمويل تامير واليعازر شوستاك ، من حزب المركز الحر الاسرائيلي اليميني المتطرف ، بزيارة الى جنوب افريقية باسم لجنة الصداقة الاسرائيلية — الجنوب افريقية التي اسساها في اسرائيل . وفي بيانهما الوداعي قالا ان « جهودهما لتعزيز التفاهم ولايجاد علاقات اوثق بين اسرائيل وجنوب افريقية »

لاقت ترحيبا عاما واثارت اهتماما حادا. (الكتاب السنوي اليهودي الاميركي — ١٩٦٩ — ص ٤٥٥) وقالت « الساوث افريكان فايننشال مايل » (٢١ تموز ١٩٦٧) ان « ابناء جنوب افريقية الذين يعيشون في اسرائيل يشكلون جماعة نافذة ، رغم صغر حجمها » . وفي ٣ يناير ١٩٦٩ قال مراسل « جوهانسبرغ ستار » في تل ابيب ان « اسرائيل ستعمل في المستقبل على ايجاد صلات اشمل واوثق مع جنوب افريقية . . . وهكذا يظهر ان الجناح الموالي لجنوب افريقية قد انتصر » .

اما بالنسبة للتعاون العسكري بين البلدين فيظهر انه يعمل باتجاهين . ففي ٢٠ يناير ١٩٧٠ قالت وكالة البرق اليهودية ان « حكومة جنوب افريقية بدأت تنظيم تصدير الدبابات الى اسرائيل مما يشكل بداية مرحلة جديدة من التعاون فيما بينهما . ويبلغ وزن الدبابة التي تصنعها جنوب افريقية ٦٥ طنا وهي « مزودة بمدفع ضخم ومصممة وفقا لنموذج الدبابة البريطانية الحديثة » . هذه اشارة واضحة لدبابة تشيفتين البريطانيـة الجديدة التي ما تزال اسرائيل تحاول شراءها من بريطانية .

وفي حين تعتمد الدولتان في الوقت الحاضر على الدول الغربية لتزويدهما بالاسلحة ، تعملان في الوقت نفسه على تنمية قدراتهما الخاصة بسرعة ليكون لهما انتاجهما الحربي المستقل . ووجود هذا الانسجام في العلاقات بين البلدين يجعلنا لا نستبعد قيام تبادل خبرات ومعدات عسكرية فيما بينهما . والاهم من ذلك (سنتطرق له في مكان آخر من هذا المقال) هو الدور العسكري الذي تلعبانه ضد الدول الافريقية المستقلة .

اما بالنسبة للعلاقات السياسية القائمة بينهما فهناك عاملان يزيدانها تعقيدا : جهود اسرائيل لكسب صداقات لها من بين الدول الافريقية المستقلة ، والدور الذي تقوم به الجالية اليهودية في جنوب افريقية نفسها . ولا يمكن فهم التناقض في علاقاتهما الوثيقة باستمرار في الوقت الذي تكشفان فيه عن عدم الوفاق في ما بينهما الا على اساس هذين العاملين المعقدين (بكسر القاف) .

وقبل ١٩٦١ لم تكن العلاقات مع افريقية السوداء ذات اهمية . وكان العام ١٩٤٨ حاسما من حيث انه شهد انتصار الحزب القومي في جنوب افريقية وقيام دولة اسرائيل. ونظرا لتراث الحزب القومي الحافل بالعداء للسامية كان من الواضح ان الحزب عدل موقفه من الجالية اليهودية في ١٩٤٨ . فكانت الصحف الافريقانية تؤيد مقاومة الصهيونية للسياسة البريطانية في فلسطين ، وكانت تربط ما بين هذه المقاومة وعزم الافريقانيين على قطع العلاقات نهائيا مع بريطانيا . (ستيفنز ، Phylon ، مجلد ٣٢ ، عدد ٢ (١٩٧١)) . ومباشرة بعد انتخابات ٢٦ ايار اعلنت حكومة الحزب القومي في جنوب افريقية اعترافها القانوني باسرائيل ، والحقت ذلك بخطوات اخرى تهدف الى كسب تأييد اليهود . واعلن الدكتور مالان عن تعهده وتعهد حكومته لتطبيق سياسة عدم التمييز ضد اي قطاع من السكان البيض ، وقال انه يتطلع الى اليوم الذي لن يتردد فيه اي حديث عن المسألة اليهودية في جنوب افريقية . وبالنسبة له لم تكن هذه مجرد تصريحات سياسية جوفاء ، اذ انه لم يسمح فقط للضباط اليهود والاحتياط بالخدمة في اسرائيل بل كان اول رئيس وزراء من دول الكومنولث البريطاني يقوم بزيارة مجاملة لاسرائيل . وعندما اعتزل الدكتور مالان الحياة السياسية في ١٩٥٤ انعمت عليه الجالية اليهودية في جنوب افريقية بشرف نقش اسمه في سجلها الذهبي اعترافا « بمساهمته في خلق تفاهم عرقي افضل في جنوب افريقية » (المصدر السابق نفسه) . ومنذ ١٩٤٨ والناطقون باسم الجالية اليهودية في جنوب افريقية يؤكدون المرة تلو المرة ليس فقط ايمانهم بالصهيونية بل ايضا ولاءهم لنظام الاقلية البيضاء في جنوب افريقية. كما ان « جويش افيرز » المجلة الشهرية الناطقة بلسان هيئة الممثلين اليهود في جنوب افريقية ، توقفت عن ابداء آرائها

بالنسبة لقضايا اللون والتمييز . وأكدت هيئة الممثلين اليهود انها هيئة غير سياسية لا تتخذ أي موقف في الصراع الحزبي ، كما انها ليست على استعداد للكشف عن آرائها بالنسبة للسياسات العرقية المختلفة في جنوب افريقية . وعندما اصبحت جنوب افريقية جمهورية مستقلة في ١٩٦١ ، أكدت الهيئة على وجه التحديد ان « أبناء الجالية اليهودية في جنوب افريقية ، كمواطنين مخلصين ، سيواصلون لعب دورهم لما فيه تقدم الدولة وازدهارها » .

وهكذا نرى ان نظام الحكم في جنوب افريقية اسدل ستارا من النسيان على ماضيه الحافل بمعاداة السامية ، وفتح ابواب الحزب القومي للاعضاء اليهود وسمح بتحويل الاموال الى اسرائيل وعين يهودا في مراكز حكومية هامة . فمثلا ، اصبح الدكتور بيرسي يوتار ، رئيس الطائفة العبرية الموحدة في جوهانسبرج ، وكيلا للنائب العام في ترانسفال في ١٩٦٠ ، ومثل النيابة العامة في محاكمات الوطنيين الافريقيين في ريفونية في اواسط الستينات ، وفي ١٩٦٨ أصبح النائب العام في ولاية اورانج الحرة . وبالمقابل ، امتنعت الجالية اليهودية الصغيرة في جنوب افريقية من توجيه أي انتقاد لسياسة التمييز العنصري . وتقول نيويورك تايمس (٥ تموز ١٩٧١) ان « السيد سارون ، من هيئة الممثلين اليهود ، الذي هو مؤرخ ايضا ، قال بأن الهيئة لا تدعو الى الحياد السياسي بل الى عدم التدخل الجماعي » ، وفي مقابلة قال بأن الحاخامين في جنوب افريقية ، على خلاف زعماء الكنيسة المسيحية هنا ، لم يدلوا بأي تصريح حول سياسة التمييز العنصري « فقط لان الموضوع لم يعترض سبيلهم » .

وعلى أية حال ، فان المحافظة على مثل هذا الموقف بحاجة الى دقة . وكانت معاداة السامية تطل برأسها في جنوب افريقية كلما كانت اسرائيل تحاول القيام بأية اتصالات مع الدول الافريقية المستقلة ، كما يحدث منذ ١٩٦١ ، او كلما توجهت الانظار الى افراد يهود من بين القلة من ابناء جنوب افريقية الذين يؤيدون حركات التحرير الافريقية او يعلنون ، على الاقل ، معارضتهم لسياسة التمييز العنصري . وعندما عرف ان عددا من اليهود كانوا من بين رفاق نيلسون مانديلا في محاكمات ريفونية في ١٩٦٣ — ١٩٦٥ لقيامهم بنشاطات ضد التمييز العنصري ، بدأ الحديث في جنوب افريقية عن « الولاء المزدوج » كما بدأ الربط بين اليهود و « الشيوعية » . وازداد التوتر حدة عندما اصدرت الحكومة الاسرائيلية بيانا ضد التمييز العنصري عند انتهاء زيارة رئيس جمهورية فولتا العليا لها في ١٩٦١ ، وفي نوفمبر ١٩٦١ أيدت اسرائيل قرار الجمعية العامة للامم المتحدة بشجب التمييز العنصري . وفي رسالة تسربت الى « صنداي برس » قال فيرووورد ، رئيس وزراء جنوب افريقية ان ما تقوم به اسرائيل مأساة ليهود جنوب افريقية ، ولكنه لاحظ في الوقت نفسه ان رد فعل الصحافة اليهودية في جنوب افريقية المؤيد لحكومة جنوب افريقية انقذ الموقف نوعا ما . ثم استطرد يكشف تناقضات الموقف الاسرائيلي : « بدأ الناس يتساءلون لماذا ، اذا كانت اسرائيل وحاخاموها يشعرون انهم مضطرون لاستنكار سياسة التطور المنفصل هنا ، لا يعتبرون ايضا ان سياسة التطور المنفصل في اسرائيل خاطئة . . . يمكن القول انهم يريدون التمييز في دول منفصلة على اسس دينية وليس عرقية ؛ ولكن اذا كان التمييز خاطئا على هذا الصعيد فهو ايضا خاطىء على الصعيد الاخر . . . لقد آمنا بدولة اسرائيل المنفصلة ولكننا بدانا الان في التساؤل عما اذا كان علينا ان نتراجع عن هذا التأييد اذا كانت سياسة التطور المنفصل في رايهم خاطئة في الاساس » . (استشهد بها هنري كاتزيف في مجلة مدستريم — ديسمبر ١٩٦٢) .

والحقت حكومة جنوب افريقية ذلك بالغاء الامتيازات الخاصة التي حصلت عليها المنظمات اليهودية فيما يتعلق بتحويل العملات الاجنبية . ولكن سرعان ما عادت العلاقات الى مجاريها من جديد ، وعندما توفي فيرووورد رثاه بروفسور ابراهامز ، كبير الحاخامين

في كيب تاون ووصفه بأنه « رجل صدق ونزاهة ... وسياسته كانت تقوم على أسس اخلاقية ، فقد كان أول شخص يعطي لسياسة التمييز العنصري اسسا اخلاقية » . (« راند دايلي مايل » — ١٢ سبتمبر ١٩٦٦) .

وكذلك فان الخطاب الذي القاه المندوب الاسرائيلي جويــل بارومي في الامم المتحدة في اوكتوبر ١٩٦٧ منتقدا فيه سياسة التمييز العنصري أثار رد فعل مماثــل ، كما حصل ايضا بالنسبة للخطاب الذي القاه السفير تكواع بالنسبة لقضية جنوب غرب افريقية . وفي هذا الصدد قال موريس بورتر ، رئيس هيئة الممثلين اليهود في جنوب افريقية : « مع انه يفهم مشاكل اسرائيل الخاصة في الامم المتحدة ، لا يسعه الا ان يأسف لاي بيان أو تصريح من شأنه الوقوف حجر عثرة في وجه اعادة الانسجام الى العلاقــات بين جنوب افريقية واسرائيل » . (الكتاب السنوي اليهودي الاميركي ، ١٩٦٩) . وكان رد فعل جنوب افريقية لطيفا واكثر تفهما ، كما يظهر — مما قاله هليجارد موللر ، وزير الخارجية امام البرلمان من ان « لجنوب افريقية علاقات ديبلوماسية مع اسرائيل ، وان امكــانية تبادل السفراء هي موضع اهتمام الحكومة باستمرار . ومع أنه ليس لجنوب افريقية اية بعثة في اسرائيل ، تحتفظ اسرائيل ببعثة في الجمهورية نظرا لمصالحها الكثيرة في جنوب افريقية » . (الكتاب السنوي اليهودي الاميركي ، ١٩٦٩) .

ورغم هذا ، من المحتمل ان تستمر سياسة اسرائيل في انتقاد التمييز العنصري ، كمحاولة لكسب اصوات الدول الافريقية في الامم المتحدة بالنسبة لقضايا الشرق الاوسط ، كما يرى ذلك عدد من الدول الافريقية . وآخر مثال على ذلك مبلغ الـ ٢٨٥٠ دولارا الذي قدمته اسرائيل لمنظمة الوحدة الافريقية لتقدمه بدورها لحركات التحرير (ولكنه سحب فيما بعد عندمــا اقترح ممثلو حركات التحرير السود تحويلــه الى منظمــات المقاومة الفلسطينية) . وكشف النقاب عن العرض الاسرائيلي قبيل انعقــاد منظمة الوحــدة الافريقية في اديس ابابا ، ولكن ذلك لم يحل دون اتخاذ المنظمة قرارا اجماعيا تعرب فيها عن « اسفها » لعدم جلاء اسرائيل عن الاراضي العربية المحتلة . اما في جنوب افريقية فلا تزال المسألة مطروحة على بساط البحث . فقبل عدة أيام من العــرض الاسرائيلي لمنظمة الوحدة الافريقية كانت جنوب افريقية قد اتخذت قرارا بتشجيع زيادة الاستثمار في اسرائيل عن طريق تخفيف القيود على الشركات الافريقية ، ولكن عندما قدم العرض قال فورستر ، رئيس الوزراء : « بكل تأكيد لا أفهم كيف ان اسرائيل ، التي تعاني هي نفسها من مشكلة ارهابيين ، تستطيع ان تبرر تقديم تبرعات لمنظمات ارهابية أخرى » . وفي اعقاب ذلك اوقفت جنوب افريقية مؤقتا تحويل الاموال الى اسرائيل ، ولكن مسؤولا يهوديا في جوهانسبرج أعرب عن ثقته بأن الحكومة سترفع الحظر عن الاموال المجمدة عندما توضح الامور لهــا . (نيويورك تايمز ، ٥ تموز ١٩٧١ ، افريكاسيــا ، ٥ تموز ١٩٧١) . واذا اخذنا الحوادث الماضية الناجمة عن التصويت في الامم المتحدة كمقياس، لرأينا انه بالكاد تتأثر العلاقات الاقتصادية والعسكرية والسياسية النامية بينهما نتيجة لاختلاف علني بسيط .

ولقــد اصبح من الواضح ان بيانات حكومة اسرائيل حــول التمييز العنصري في جنوب افريقية تختلف عن بيانات الجالية اليهودية هناك حول هذا الموضوع . ويــوجد افراد يهود هنا وهناك ممن يقفون موقفا معاديا لسياسة التمييز العنصري . وعلى اية حال ، فان المنظمات الصهيونية الرسمية الممثلة للجالية اليهودية في جنوب افريقية شديدة الولاء للصهيونية وجمعت تبرعات لاسرائيل جعلها تأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة على هذا الصعيد ، كما ان هذه الجالية أيدت سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقية تأييدا قويا . لذا فان اسرائيل ستتردد في ان تخاطر بوضع السلامة والرضى الذي تتمتع به الجالية اليهودية في جنوب افريقية ضمن نطاق نظام التمييز العنصري . وبالمقابــل

لا تتردد حكومة جنوب افريقية في تهديد الجالية اليهودية اذا ما اتخذت اسرائيل موقفا معاديا لها بأي شكل من الاشكال ولا تتردد في وقف تحويل رؤوس الاموال الى اسرائيل كوسيلة للضغط . وهكذا فان وضع الجالية اليهودية في جنوب افريقية عامل اضافي حاسم لايجاد علاقات طيبة بين جنوب افريقية واسرائيل ، هذا بالاضافة الى العلاقات الناشئة بينهما نتيجة لوضع كل منهما في اطار النظام الراسمالي والغربي .

الخلفية التاريخية للعلاقات ما بين جنوب افريقية واسرائيل : اطار الامبريالية الغربية

بعد ان استعرضنا الوضع الحالي للعلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل ، نشعر انه لفهم الاسس التي تقوم عليها هذه العلاقات لا بد أيضا من معالجة الاطار المشترك للدولتين باعتبارهما من الدول الاستيطانية الغربية غرستا في قلب العالم الافرو ـ اسيوي . وقد حدد بروفسور ريتشارد ستيفنز ، من جامعة لينكولن، الاساس التاريخي المشترك لهاتين الدولتين في محاضرة بعنوان « الدول الاستيطانية والاستجابة الغربية » القاها في ندوة فلسطين العالمية الثانية في الكويت في شهر شباط ١٩٧١ ، ونقتطع منها ما يلي : « يعتبر قانون اتحاد جنوب افريقية (لندن ، ١٩٠٩) ووعد بلفور (لندن ، ١٩١٧) من بين القرارات الغربية المختلفة التي كان لها تأثير على حياة ومصائر شعوب ما يسمى العالم الثالث ، واكثرها قوة على فضح جوهر الايمان بسمو العرقية واشملها على اظهار قدرة العالم الغربي على تحويل وترجمة امتداد قوته واضفاء الشرعية عليه تحت ستار القانون الدولي والاخلاق . ومع هذا ، فان هاتين الوثيقتين اللتين وضعتا دون اي اعتبار لحقوق وتطلعات الشعوب التي اخضعت للقوة قد بررتا على أساس من اسمى المسؤوليات والمبادىء الاخلاقية للحضارة الغربية . وهكذا ، بأسم الليبرالية البريطانية لا يفقد السكان الاصليون في فلسطين وجنوب افريقية بيوتهم واراضيهم ومعظم حقوقهم الطبيعية فحسب بل ايضا يلقون أنفسهم وقد نزعت عنهم هويتهم واخضعوا لارادة الاقوياء ، كما فرضت عليهم الضرائب والانظمة الادارية وفق خطة تقضي بتأمين بقاء المستعمرين*. وتعريف هذين الشعبين على اساس « الغيرية » : « غير البيض » من جهة و« غير اليهود » من جهة اخرى ، يكشف عن تحامل بسيكولوجي يتميز به الذين بين أيديهم زمام السلطة ، تحامل اصبح جزءا لا يتجزأ من النظام القانوني الدولي المهيمن الذي يعتبر ان الرد على احتجاجات المتذمرين يجب ان يكون على اساس القانون نفسه ... فلسطين وجنوب افريقية ـ بلدان يبعدان قرابة ٣٥٠٠ ميل عن بعضهما بعضا ولكن كلا منهما موضع اهتمام المستعمر نفسه ، وكلا ذهب ضحية ، بأسم الشعوب الغربية والمصالح الامبريالية البريطانية ، وقد وضعت تفاصيل عملية التضحية هذه على يد السياسيين انفسهم ، وفي كلتا الحالتين فان الحيف الواضح الذي ارتكبته دولة غربية او الحضارة الغربية ضد يهودي في الحالة الاولى ، وافريقاني في الحالة الثانية ، قد تم التكفير عنه على حساب الذين اعتبروا « غير متحضرين » و« بدائيين » جدا و«متخلفين» جدا لتثبيت ادعاء اخلاقي مماثل. وفي كلتا الحالتين ايضا قبلت بريطانية علنا أو ضمنا فكرة اعتبار اليهودي والافريقاني كـ « شعب مختار » ووارث لـ « أرض الميعاد »... وبالتالي يمكن ارجاع قرار بريطانية للتضحية بحقوق سكان جنوب افريقية وفلسطين الاصليين لاعتبارات امبريالية ، اذ أن ما سيطر على تفكير الحكومة البريطانية في ١٩٠٩ هو أن قناة السويس يمكن أن تتعرض للاغلاق في وجه الملاحة البريطانية في حالة نشوب حرب ، الامر الذي سيعيد لطريق رأس الرجاء الصالح اهميته التجارية والاستراتيجية

* في كلتا الحالتين ، استغرقت عملية سلب حقوق غالبية السكان الاصليين التي كانت هذه القوانين تجسدها زمنا طويلا .

السابقة ، لذا فقيام نظام حكم صديق في جنوب افريقية سيكـون فيـه كسب حيوي لبريطانية . وكذلك في اعقاب انهيار الامبراطوريـة العثمانيـة ارتؤي ان السيطـرة البريطانية على فلسطين ، بمستوطنيها الصهيونيين ، هي افضل ضمان لعدم اغلاق قناة السويس في وجه بريطانية ... وثقة بريطانية بشركائها البيض الجدد جلبت لها مكافآت سريعة ... فقد عين الجنرال سمطس (من جنوب افريقية) مسؤولا عن القـوات الامبريالية بأجمعها في شرق افريقية ومن ثم اصبح عضوا في وزارة الحربية البريطانية نفسها . ومع ان سمطس رفض منصب القيادة في فلسطين ، الا أنه كـان من أشـد المؤيدين للسيطرة البريطانية والاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وصداقته مع حـاييم وايزمن كان لها اكبر الاثر في حياته . وفي الحقيقة ، يعود الفضل لسمطس ، كما لغيره ، لقيام نظام الانتداب ، وليس أمرا بسيطا ان يكون سمطس قد لعب دورا بارزا في التصرف بفلسطين وجنوب غرب افريقية بموجب ذلك النظام . »

وهكذا فان احد العوامل التاريخية المحركة المشتركة بين جنوب افريقية واسرائيل هو ذلك الذي يعتمد على كونهما دولتين استيطانيتين . وقد اخـتلفت الظروف الخـاصة للاستيطان في الحالتين فقد تم الاستيطان في فترات متباعدة ونتيجة لدوافع مختلفة نوعا ما من جانب المهاجرين في المنطقتين . فالاستيطان الهولندي في جنوب افريقية حدث في وقت مبكر في فترة التوسع الاوروبي الخارجي ، والمستوطنون الاصليون انفسهم عانوا في وقت لاحق من السيطرة الكولونيالية لبريطانيه ، اما استيطان اليهـود الاوروبيين في فلسطين فقد حدث في وقت لاحق نسبيا ، ولم يكن بشكل كلي تعبيرا عن توسع اقتصادي اوروبي ، بل كرد فعل لاضطهاد اليهود ومحاولات الابادة التي تعرضوا لها في اوروبة الشرقية والغربية . ولاسباب خاصة ، وافقت الامبراطورية البريطانية على الاستيطان الصهيوني . وكون الدولتين لهما اصول متشابهة يساعد على فهم بعض السياسـات الداخلية والخارجية لهما . ففي كل حالة وضعت الحكومة سياسات خارجية للتعامل مع السكان الاصليين داخل الدول الافرو ـــ آسيوية المستقلة وبالتحالف مـع هذه الدول وذلك لمصلحة بقاء نظام المهاجرين وابنائهم . والامبريالية الغربية التي يعتبر مركزهـا الجديد ـــ الولايات المتحدة الاميركية ـــ دولة استيطانية تقوم بتقديم المساعدات للمحافظة على كلتا الدولتين اللتين كانتا قد تأسستا بمساعدة الامبريالية البريطانية (ولكن أيضا نتيجة للصراع معها عندما كانت مصالح المستوطنين تختلف مع مصالح الامبرياليين) .

الدولتـان الاستيطانيتـان
والسكان الاصليون في جنوب افريقية وفلسطين

الارض : ان من الامور البالغة الاهمية في كلتا المنطقتين هو ما حدث للارض ، وذلك لان استملاك المهاجرين للارض يشكل اساسا لشرعية وقوة حكومـة الاقلية في أية دولـة استيطانية . ففي جنوب افريقية ، احتفظ قانون اراضي السكان الاصليـين في ١٩١٣ بنسبة ٧،٣ بالمئة من الارض للافريقيين . وباستثناء منطقة الرأس كان محظورا عليهـم شراء أية قطعة ارض خارج نطاق المناطق المحددة . وفي ١٩٣٦ أوجد قانون شركـات واراضي السكان الاصليين تقسيما جديدا يقضي بتخصيص ١٢،٧ بالمئـة مـن الارض للافريقيين . وهذا يعني ان السكان البيض (١٩ بالمئة من مجموع السكان) يمتلكون ٨٧،٣ بالمئة من الاراضي ، وهذه الرقعة التي في حوزة البيض غنية بالثروات المعدنيـة وعليها تقوم المشاريع الصناعية والتجارية ، والمراكز المدينية . وقد حصرت ملكية الرقعة المخصصة للافريقيين في « صندوق بانتو جنوب افريقية » التي هي عبارة عن شركـة للبيض تعينها حكومة الاقلية البيضاء . (**جنوب افريقية : « التوطين » ـــ العنف الجديد ضد الافريقيين**) . ويزيد من تفاقم الوضع حملات الابعاد الحالية التي يتم بموجبها ابعاد الافريقيين الذين يعيشون (ربما لاجيال خلت) في مناطق مخصصة لـ « البيض » الى

« مناطق توطين » مهجورة . وتصف نادين جورديمر تأثير ذلك على الاهالي في مقالة نشرتها « نيويورك تايمز » في ١٥ يناير ١٩٧١ : « خلال عشر سنوات تم ابعاد ٩٠٠٠٠٠ نسمة من السود في جنوب أفريقية من بيوتهم . وعادة ما يمنحون نوعا من التعويض بدلا من البيوت التي يخلفونها وراءهم لتمسحها البولدوزر من الوجود ، ولكنهم لا يجدون بيوتا في المناطق التي ينقلون اليها: وفي افضل الحالات، يزودون بمواد للبناء على ان يبنوا بيوتهم بأنفسهم ، وفي غضون ذلك يقيمون في خيم ، تمنح لهم او يشترونها بانفسهم ، ويمكن ان يكون هناك ماء ووقود في أماكن قريبة من سكناهم ، ولكنهم غالبا ما يضطرون للسير مسافات بعيدة للحصول على هذه الضروريات . ورقعة الارض التي تمنح لهم يمكن ان تكون قريبة من مدينة للبيض حيث يجدون عملا ، ويمكن ان لا تكون كذلك — فلم تفكر الحكومة في تأمين اعمال للذين يرغمون على الرحيل بدلا من الاعمال التي فقدوها نتيجة لتغيير أماكن سكناهم . والظروف المادية للتوطين هي عمليا وبدون استثناء تجعلهم يعيشون وكأنهم في عزلة لا يستطيعون فيها تأمين اكثر من الخبز والمرحاض . وأصبح الصراع من أجل البقاء يعني البحث عن حطب لايقاد النار ودلو من الماء العذب النظيف للشرب ، وعشرين سنتا لدفع اجرة السيارة لتنقل مريضا الى العيادة ... »

وخلافا لما وافقت عليه الامم المتحدة ، تم الحاق جنوب غرب افريقية بجنوب افريقية وطبقت فيها انظمة التمييز العنصري نفسها . ومن المفترض بالافريقيين أن يرضوا بايجاد « بانتوستان » على رقعة الارض التي خصصت « لهم » ، في الوقت الذي يواصلون عملهم في مناطق البيض بشكل عابر دون أن يكون لهم أية حقوق في هذه المناطق .

وتقوم سياسة جنوب افريقية على تحقيق هدف مزدوج يقضي بطرد الافريقيين من بيوتهم وارغامهم على التواجد في سوق العمل ليستخدموا كوقود للنمو الاقتصادي في جنوب افريقية . أما سياسة اسرائيل فهي اكثر توجها نحو اكتساب الاراضي والحلول مكان السكان السابقين . وبالنسبة للاجئين قبل حرب ١٩٤٨ وبعدها طبقت قانون استملاك اراضي الغائبين (١٩٥٠) . وبموجب هذا القانون تحول اراضي وأملاك الشخص الذي يعتبر « غائبا » الى القيم على أملاك الغائبين . والغائب حسب القانون هو كل مواطن اسرائيلي ترك مكان اقامته في اي وقت بين الفترة ما بين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وبين يوم الغاء حالة الطوارىء، هذا اذا (١) أقام ذلك الشخص في مكان كان قبل الاول من سبتمبر ١٩٤٨ خارج أرض اسرائيل ، او (٢) اذا أقام في مكان داخل ارض اسرائيل ولكنها كانت في ذلك الوقت خاضعة لاحتلال قوات معادية (العرب) . وبموجب هذا القانون فان الاشخاص الذين تركوا قراهم او طردهم الاسرائيليون منها ، حتى ولو ظلوا في اماكن تخضع لسيطرة الاسرائيليين ، يمنعون من العودة الى قراهم، وعلاوة على ذلك صودرت اراضيهم بأكملها . ومع ان القانون كان مؤرخا ١٩٥٠ ، فقد كان له مفعول رجعي يعود الى ١٩٤٧ (مجموعة القوانين الاسرائيلية ، ١٩٥٠ ، مجلد ٣٧ ، ص ٨٦) .

ومن بين قوانين الطوارىء التي اصدرها وزير الدفاع في ١٩٤٩ قانون « مواد الطوارىء لاستغلال الاراضي البور » الذي منح بموجبه وزير الزراعة سلطة الاستيلاء على الاراضي البور (الجريدة الرسمية ، ٢٧ ، ١٥ اوكتوبر ١٩٤٨ (ب) ص ٣) . وقد طبق هذا القانون بالشكل التالي : كان وزير الدفاع يعلن ان منطقة ما هي « منطقة مغلقة » ، ثم يحظر الدخول اليها دون تصريح من الحاكم العسكري والا اعتبر ذلك انتهاكا لامن البلد. ولـ « أسباب تتعلق بأمن الدولة » لم يكن يمنح أصحاب هذه المناطق اذونا بالاقامة في أراضيهم التي اعتبرت اراضي « بور » . وبعد ذلك كان وزير الزراعة يبدأ في فلاحتها بتشغيل عمال فيها او بتلزيمها لطرف ثالث لفلاحتها . (صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** ، ص ٥٦) . ويقول التقرير الذي وضعته لجنة التوفيق الفلسطينية التابعة

للامم المتحدة في ١٩٥١ أن اربعة أخماس اراضي اسرائيل وثلثي اراضيها الصالحة للزراعة هي ملك للاجئين الفلسطينيين الذين منعوا من العودة الى ديارهم ، كما أن ثلث سكان اسرائيل اليهود كانوا يقيمون على اراضي الغائبين العرب .

وفي أعقاب حرب ١٩٦٧ طبقت سياسة مماثلة في مرتفعات « الجولان » والقدس والضفة الغربية للاردن . ويقول عاموس كينان ، الصحفي الاسرائيلي ، الذي خدم في الجيش الاسرائيلي انذاك ، تعليقا على أحد هذه الحوادث : « تلقينا اوامر باقامة حواجز عند مداخل القرى لمنع الاهالي العائدين من مخابئهم الى بيوتهم بعد سماعهم اذاعة اسرائيل تحثهم على العودة . وكان الامر يقضي بأن نطلق النار فوق رؤوسهم ارهابا وان نبلغهم بوجوب عدم دخول القرية . ووصلت أول جماعة من اللاجئين من جهة رام الله ، وكانوا عبارة عن مجموعة من المسنين والعجائز والامهات اللواتي كن يحملن اطفالهن ... أبلغناهم أن يتوجهوا الى بيت صورا ، ولكنهم قالوا بانهم منعوا من الدخول الى كل الاماكن التي طلب اليهم التوجه اليها وانه مضى عليهم وهم تائهون على هذه الحالة اربعة ايام ، وقد قضى منهم من قضى على الطريق ... نحن بدورنا طردناهم . راحوا نحو الجنوب تائهين كالقطعان . والضعفاء منهم كانوا يسقطون على الارض ميتين ... وفي المساء اكتشفنا اننا نحن ايضا قد خدعنا (من قبل القيادة الاسرائيلية) ، وذلك لأن بلدوزرين كانا قد بدآ في هدم البيوت في بيت صورا ، ولم يسمح لهم (للاجئين) بالدخول . ثم اكتشفنا انه ليس في قطاعنا فقط تمت تسوية الحدود لاسباب تتعلق بالامن ولكن كذلك في القطاعات الاخرى جميعها . » (مقتبسة من **المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل في حزيران ١٩٦٧**) .

وهكذا ، في كل من جنوب افريقية واسرائيل جرى سلخ السكان الاصليين عن اراضيهم كجزء من مخطط لايجاد وصيانة دولة يسيطر عليها المستوطنون وابناؤهم ، الاوروبيون البيض في الحالة الاولى ، وفي الثانية اليهود ، الذين ايضا معظمهم من الاوروبيين البيض .

المواطنية من الدرجة الثانية : تعتبر كل من جنوب افريقية واسرائيل من المجتمعات المتعددة القوميات التي تتكون من مجموعات عرقية واثنية عدة ، وسكان اصليين ، ومستوطنين اوروبيي الاصل ، وجماعات بين بين . والتناقض الاساسي بين المستوطنين والسكان الاصليين القائم في المجال السياسي يظهر ايضا في المجال الاجتماعي حيث يطبق من خلال التمييز في معاملة الجماعات المختلفة وفقا لتحديدات قانونية ثابتة .

وفي اسرائيل يتكون السكان من ثلاث فئات رئيسية : يهود من اصول اوروبية واميركية ، ويهود من اصول آسيوية وافريقية ، وعرب .

جدول رقم ٣

فئات السكان في اسرائيل ، احصاء ١٩٦٨

١ — يهود من اصول اوروبية واميركية	١،٤ مليون
٢ — يهود من اصول آسيوية وافريقية	١،١ مليون
٣ — عرب — أ — في المناطق المحتلة ما قبل ١٩٦٧	٠،٣ مليون
ب — في المناطق المحتلة حديثا	١،١ مليون

والخط الرئيسي الفاصل هو الذي يفصل ما بين العرب واليهود ، وذلك لان هوية اسرائيل القومية تعرّف كـ « دولة يهودية » ، ولاي يهودي في اي مكان آخر من العالم الحق في الحصول على الجنسية الاسرائيلية . ويعلق كريستوفر ميهيو ، عضو مجلس

العموم البريطاني على ذلك بقوله : « ان مصير اللاجئين العرب يعقد الامور ، انهم ضحية للتمييز العنصري ، واصبح من المسلم به بأنه لو كنت ... في نيويورك ، دون ان يكون لك أية روابط عائلية او شخصية في فلسطين ، ولكنك تستطيع ان تثبت انك يهودي ... عند ذاك يصبح لك الحق في أن تذهب وتقيم في اسرائيل . ولكن اذا كنت فلسطينيا عربيا ، ولدت وترعرعت هناك حيث تعيش عائلتك منذ قرون ليس لك الحق في أن تذهب وتقيم هناك لانه ليس باستطاعتك انتثبت ان لك النسب الصحيح، ولانك ولدت من الجناح الخطأ للجنس السامي . » (من خطاب في المركز الكنسي التابع للأمم المتحدة ، ١٩٧٠ ، منشور في «Link» مجلد ٣ ، رقم ٣ ، ١٩٧٠) .

أما في جنوب افريقية فيقسم السكان الى أربع فئات : البيض ، والملونين والاسيويين والافريقيين (« البانتو » حسب تعبير حكومة جنوب افريقية) .

جدول رقم ٤

فئات السكان في جنوب افريقية ، احصاء ١٩٦٨

١ ــ البيض	٣،٥ مليون
٢ ــ الملونون	١،٩ مليون
٣ ــ الاسيويون	٠،٦ مليون
٤ ــ الافريقيون	١٣،٠ مليون

والخط الفاصل هنا هو بين البيض وغير البيض . وفي كلتا الحالتين ، جنوب افريقية واسرائيل للفئة المهيمنة عقيدة للبقاء وللوجود القومي ــ ولكنها قومية تشمل داخل اطار الامة قطاعا واحدا من السكان . وتؤكد عقيدة التمييز العنصري والعقيدة الصهيونية على اهمية هوية وبقاء المجموع . وقد تساءلت صحيفة « داي ترانسفالر » الصادرة في جنوب افريقية (استشهد بها هـ. كاتزيف في **التمييز العنصري والبقاء**) : « هل هناك اي فرق حقيقي بين الطريقة التي يحاول بها شعب اسرائيل المحافظة على نفسه وسط شعوب غير يهودية وبين الطريقة التي يحاول بها الافريقانيون ان يبقوا كما هم ؟ » وكاتزيف نفسه الذي هو رئيس تحرير « السجل الصهيوني » الناطقة بلسان الصهيونيين في جنوب افريقية ، يقول (« التقرير الافريقي » مايو ١٩٧٠) انك : « لا تستطيع بكلمة واحدة ان تدعي ان لليهود حقا في السيادة والسلطة السياسية في احدى زوايا الارض (اسرائيل) ، كما يفعل صهيونيو جنوب افريقيه المغالين في صهيونيتهم ، وبالكلمة التالية توافق على المواقف الداعية الى سلب الحق المكتسب نفسه من ابناء البوير » .

اذن، نرى كيف انه باسم البقاء يضحى بحقوق غير البيض في جنوب افريقيه والفلسطينيين في اسرائيل (اولئك الذين طردوا من اسرائيل) من اجل مصالح فئة مستوطنة مهيمنة . وفيما يلي بعض القيود المفروضة على حقوق الافريقيين في جنوب افريقيه : ١. لا يحق لاي افريقي أن يقترع او ان يكون له راي في تحديد مستقبله . ٢. يحظر عليه امتلاك أرض في أي مكان ، حتى في منطقته « وطن » البانتوستان . ٣. يمكن ابعاده من اي منطقة وفي اي وقت ، لا فرق ان ولد وعاش هناك طوال حياته ، وليس له الحق في رفع دعوى امام المحاكم في هذا الشأن . ٤. لا يحق له مغادرة منطقته دون تصريح خاص . ٥. لا يحق له العمل في تلك المهن والاعمال المقتصرة كليا على البيض وفق « قانون حصر الوظائف » . ٦. لا يحق له الاضراب . ٧. لا يحق له تنظيم أي اجتماع يضم اكثر من عشرة اشخاص او الاشتراك بمثل هذا الاجتماع دون ترخيص بذلك .

وتهدف القيود في جنوب افريقيه الى ايجاد ايد عاملة رخيصة ليس هناك اية صعوبة

لتأمينها ، وكذلك لمنع اية مقاومة من جانب السكان ، اما في اسرائيل فليس لاستخدام اليد العاملة العربية الاهمية ذاتها (مع ان ذلك آخذ في التزايد) ، ولكن عمليات الطرد الشامل لم تنجح كليا اذ اصبح تحت سيطرة اسرائيل منذ ١٩٦٧ حوالي مليون ومئة الف عربي بالاضافة لما عندها في السابق . وبسبب ذلك هناك اختلاف « على كيفية اخضاع الشعب العربي الفلسطيني وعلى ما اذا يجب اتباع نهج ديموجرافي (اغلبية يهودية) او نهج اقليمي (اسرائيل الكبرى) » — لوبيل ، **فلسطين واليهود** ، ص ١٢٧ ، ولكن هناك اتفاق ، كما في جنوب افريقيه ، بالنسبة لمعاداة الفئة الدنيا . ويقول العالم الاجتماعي الاسرائيلي بيرس (في « مجلة علم الاجتماع الاميركية » ، مايو ١٩٧١) ان ٩١ بالمئة من اليهود الذين انتقاهم كعينة في ١٩٦٨ اتفقوا على انه « من الافضل لو كان عدد العرب اقل » ، و٧٦ بالمئة اتفقوا على ان « العرب لن يبلغوا ابدا مستوى التقدم الذي بلغه اليهود » ، و٨٦ بالمئة قالوا انهم لن « يؤجروا بيتا لعربي » .

والتمييز يؤثر ايضا على التعليم ، ففي جنوب افريقيه يهدف نظام تعليم البانتو الى ابقائهم خاضعين للاقلية البيضاء ، فالتعليم الابتدائي والثانوي مجاني بالنسبة للبيض ولكن ليس كذلك بالنسبة للافريقيين . وفي ١٩٦٢ بلغت نفقات التعليم ١٢ راندا (كل راند = ١٫٤٠ دولارا) لكل تلميذ افريقي ، و٦٢ راندا للملونين والهنود و١٤٧ للبيض . (« **التمييز العنصري : آثاره في التعليم والعلوم والثقافة والاعلام** » ، اليونسكو ، ١٩٦٧ ، ص ٤٢). وتوسيع قانون التعليم في الجامعات (١٩٥٨) استثنى في الواقع اختيار غير البيض للالتحاق بأي من جامعات جنوب افريقية الثماني . وبدلا عن ذلـــك ، تم انشاء كليات للجماعات الاثنية المختلفة : لجماعة اكسهوسا (فورت هير) ، الزولو (كلية نجويا) ، السوثو (تيرف لوب ، جامعة كلية الشمال) ، الملونين (كلية بيل فيل) ، والهنود (كلية سالزبري) . ولا يسمح لغير البيض ان يدرسوا الهندسة وطب الاسنان او ما يسمى عادة مهن ذوي الياقات البيضاء .

وكذلك يذكر تقرير نشرته « نيويورك تايمز » في ٢٩ يناير ١٩٧١ وجود فجوة واسعة بين العرب واليهود في مرحلة ما بعد التعليم الابتدائي في اسرائيل : « تقريبا ٦٠ بالمئة من اليهود ولكن ٢٠ بالمئة من العرب ممن تتراوح اعمارهم بين ١٤ و١٧ سنة هم طلبة نظاميون » . ويلاحظ صبري جريس ايضا في كتابه « العرب في اسرائيل » ان « مستويات التعليم في المدارس العربية منخفضة جدا بالمقارنة ليس فقط مع المدارس اليهودية في اسرائيل ، ولكن مع المستويات الحالية في جميع دول الشرق الاوسط ، ومع تلك التي كانت سائدة في فلسطين اثناء الانتداب » . وتقول « نيوزويك » (٨ فبراير ١٩٧١) ان المسؤولين يبررون عدم وجود مساواة مع العرب في اسرائيل على اساس مستواهم التعليمي المنخفض « مع ان اكثر الفروقات انتشارا موجودة في حقل التعليم بالذات » . وبسبب ضيق المجال في هذا البحث نشعر اننا لا نستطيع ان نفي موضوع عدم المساواة في اسرائيل او جنوب افريقيه حقه الكامل . ولكن من الواضح ان عدم المساواة والعدالة المنظمة للفئات الدنيا في المجتمعين (على شكل « مواطنية من الدرجة الثانية » مع ما يرافق ذلك من صعوبات للفئة الخاضعة) هي سمات لا يمكن اخفاؤها ، ويشترك فيها المجتمعان مع حليفهما الرئيسي ، الولايات المتحدة الاميركية .

ادوات القمع : تبرر جنوب افريقيه واسرائيل نظامي هيمنة المستوطنين على اساس بقاء الفئة المهيمنة ، فللمحافظة على زمام الامور في وجه تهديدات السكان الخاضعين تعمد الدولتان الى استخدام اجراءات بوليسية عدة . ففي جنوب افريقيه يشكل نظام التنقل افضل اداة للضغط المتواصل على الافريقيين ، الذين يفرض عليهم حمل دفتر التنقل في جميع الاوقات ، وذلك لان حملات التدقيق في حمل هذه الدفاتر تتم حتى اثناء الليل عندما

يكون الناس نياما . ويعتقل حوالي ١٥٠٠ شخص يوميا بموجب قانون التنقل هذا . وبالاضافة لنظام المراقبة هناك العديد من القوانين التي تسمح بالاحتجاز الوقـائي والحظر (وهو نوع من الاقامة الجبرية يسمح بموجبه للاشخاص الذين تفرض عليهم باتصالات محدودة مع العالم الخارجي) والسجن لفترات مختلفة بتهم « التخريب » أو « الشيوعية » التي تشمل تقريبا اي نوع من النشاط يهدف الى خلق الاضطراب في النظام القائم .

وفي اسرائيل تشكل قوانين الدفاع (قوانين الطوارىء) التـي وضعت في الاساس في ١٩٤٥ اثناء الانتداب البريطاني ضد السكان العرب واليهود أساس نظام السيطرة . ويقول ي. شابيرو ، الذي أصبح فيما بعد المدعي العام في اسرائيل ان « النظام الذي اقيم في فلسطين منذ صدور قوانين الدفاع لا مثيل له في اي بلد متحضر ، فلم يكن مثل هذه القوانين موجودا حتى في المانيه النازية » ــ استشهد بها صبري جريس في كتابه **العرب في اسرائيل** . وقد استخدم هذا النظام للحد من حرية الحـركة في المناطق التي تعتبر مغلقة ــ كما انه يمكن فرض الاقامة علـى أي شخص في اية منطقة ، وكذلك فرض الاقامة الجبرية عليه في منزله ، كما انه يمكن احتجاز اي شخص لفترة غير محددة . وفي المناطق المحتلة مؤخراً يشكل الاعلان رقم ٣ أساسا لانظمة مماثلة . ومن الاجراءات الاخرى ، خاصة تلك التي طبقت في اعقاب حرب ١٩٦٧ عمليات ابعاد الفلسطينيين ، كما حدث بالنسبة لرئيسي بلديتي القدس ورام الله ، و« العقاب الجماعي » ضد القرى، كما حدث في بيت نوبا ويالو اللتين دمرتا في ١٩٦٧ . ويمكن تدمير البيوت فقط بحجة ان أحد ساكنيها مشتبه بأنه من الفدائيين . وتم اخلاء بعض القرى ، مثل عمواس ، وهدمها عن بكرة أبيها لاسباب استراتيجية عسكرية أو لاسباب سياسية ، (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى كراسة المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل في حزيران ١٩٦٧) . وبالاضافة لهذه الاعمال « الانتقامية » في الداخل تقوم اسرائيل بغارات عبر الحدود ضد الاردن وسوريه ولبنان .

ولقد اصبحت مجزرة المدنيين العرب العزل في دير ياسين (ابريل ١٩٤٨) ومجزرة المدنيين السود العزل في شاربفيل بجنوب افريقيه (مارس ١٩٦٠) رمزا لحـركات المقاومة في الشرق الاوسط وافريقيه الجنوبية ، اذ انهما تمثلان بالنسبة لهذه الحركات تجارب مجابهتها لعدد يفوقها عدة وعددا وباستطاعته ابادتهما ما لم تواجهه بحركات تحرير شعبية ، والدعاية الواسعة جدا لمجزرتي دير ياسين وشاربفيل هو انهما حدثتا نتيجة لسياسة رسمية في اسرائيل وجنوب افريقيه مع انهما تأثرتا بسبب غضبة الراي العام العالمي عند وقوعهما مما دفعهما منذ ذلك الوقت الى اتباع اساليب مخفية نوعا ما لفرض السيطرة .

وافضل وثيقة حول « عنف التمييز العنصري » في جنوب افريقيه هي الكراس الذي كتبه أ. ساكس تحت هذا العنوان واصدره الصندوق الدولي للدفاع والمساعدة في لندن . ويشير هذا التقرير الى أن نصف الاعدامات « القانونية » في العالم تنفذ كل سنة في جنوب افريقيه ، وهناك حوالي مليون دعوى كل سنة بموجب القـوانين العنصرية ، كما ان الاحتجاز دون محاكمة هو المصير الذي وقع بالنسبة للكثير من الافريقيين وغيرهم من الثائرين من الفئات العرقية الاخرى . وفي ١٩٦٨ بلغ عدد الذين هم تحت الحظر ٧٤١ شخصا .

ان مثل هذا القمع هو عملية منظمة ومتصلة . ولكن جنوب افريقيه ليست كاسرائيل من حيث وجود عازل داخل حدودها ضد حرب العصابات . ومع هذا ، فلجنوب افريقيه قوات لقمع العصابات في ناميبيه (جنوب غرب افريقيه) وزمبابوي (روديسيه) كما انها

هددت أكثر من مرة باجتياح زامبيه . وفي هذا المضمار تتبع جنوب افريقيه طريقة اسرائيل في الاعمال الانتقامية ضد جيرانها الذين يساعدون حركات التحرير الفلسطينية ، وكذلك التكتيك الذي اتبعته اسرائيل في حرب ١٩٦٧ . وتأمل جنوب افريقيه من وراء ذلك الى تخويف زامبيه وجعلها تعدل موقفها وتوقف تأييد قوات العصابات .

النيوكولونيالية في افريقيه : الدول الاستيطانية والبلدان المستقلة

لقد اثار نضال السكان الاصليين في جنوب افريقيه وفلسطين عطف شعوب البلدان المستقلة التي لها صلة وثيقة بهاتين المنطقتين . فجنوب افريقيه واسرائيل تذكران الافريقيين في منطقة الصحراء الكبرى والعرب في الشرق الاوسط بالزمن الذي كانوا يرزحون فيه تحت نير الحكم الكولونيالي المباشر . وهذا يعني ان الدول « المعتدلة » وحتى « الرجعية » التي لها مصالح مشتركة مع الامبريالية الغربية تشعر انها مضطرة لتقديم ولو خدمة بسيطة لقضية التحرير . واما قضية التأييد الحقيقي للتحرير فهي مسألة اخرى ، لذا فان احد الاهداف الرئيسية للسياسة الخارجية لاسرائيل وجنوب افريقيه هي في ايجاد حوار مع الدول المعتدلة بقصد الوصول الى نوع من التسوية على حساب مصالح الشعوب التي تخضع للحكم الاستيطاني .

اتخذت « السياسة الخارجية » لجنوب افريقيه في هذا الشأن شكلا محددا خاصة في السنوات التي تلت ١٩٦٦ عندما اصبح فورستر رئيسا للوزراء ، وقد اقام فورستر سياسته على اساس « التجمع الجنوب — افريقي » — اي التحالف مع البرتجال والسيطرة غير الشرعية على ناميبيه (جنوب غرب افريقيه) وتأييد نظام ايان سميث في روديسيه . وما ان نالت سوازيلاند وليسوتو وبوتسوانا استقلالها من بريطانيه حتى سارعت جنوب افريقيه الى كسب النفوذ فيها اعتمادا على موقفها الضعيف ، مع ان بوتسوانا هي الوحيدة التي حاولت التفلت والتطلع لاقامة علاقات مع زامبيه في الشمال. وتشكل ملاوي تحت حكم الرئيس باندا اكثر مثال صارخ على الخضوع الكلي لسيطرة جنوب افريقيه ، فهناك علاقات ديبلوماسية بين البلدين ، كما ان العاصمة الجديدة لملاوي في ليلونجوي تبنى بمساعدة جنوب افريقيه ، زد على ذلك وجود مستشارين من جنوب افريقيه في دوائر الشرطة ووكالة الانباء وغيرهما من الدوائر الحكومية في ملاوي . وفي السنة الماضية توددت جنوب افريقيه الى عدد من دول المحيط الهندي التي بدأت تتجاوب مع ذلك ، فقد أقيم خط طيران مباشر بين جنوب افريقيه وجمهورية مالاجاسي التي تحدت بذلك قرار منظمة الوحدة الافريقية في هذا الشأن ، وتبادل البلدان ايضا الزيارات الرسمية في ١٩٧٠ حيث بحثت العلاقات المالية والتجارية ، وسمح للسياح من جنوب افريقيه بزيارة مالاجاسي . وفي نوفمبر ١٩٧٠ عقد اتفاق بين البلدين منحت جنوب افريقيه بموجبه قرضا الى مالاجاسي لتحسين مطارها ، وبناء فندق سياحي ، وقد بدىء بذلك بالفعل ، وهناك على بساط البحث مشروع بورتجالي — جنوب أفريقي مشترك لبناء حوض جاف للناقلات الضخمة في مالاجاسي .

وكذلك بدأت موريشوس في بحث اقامة علاقات مع جنوب افريقيه . وقد تبادل الطرفان الزيارات البرلمانية كما ان هناك بحثا في منح موريشوس مساعدات مالية . واحد الاقتراحات في هذا السبيل هو ان تقيم موريشوس « منطقة لعمليات التصدير » حيث تمر البضائع من جنوب افريقيه ويختم عليها : « صنع في موريشوس » ومن ثم يعاد تصديرها الى الدول الافريقية الاخرى . ومن هذا يتبين ان لجنوب افريقيه مخططات ليس فحسب لمساعدة الانظمة على قمع حركات التحرير ، بل ايضا لاقامة علاقات نيوكولونيالية مع دول افريقيه مما يجعلها تلعب في القارة الدور الذي لعبته الولايات المتحدة في اميركه اللاتينية .

وآخر ما سمعناه عن جهود جنوب أفريقيه للتوجه نحو الخارج هو اقتراح هوفويت ـ بويجني ، رئيس جمهورية ساحل العاج لاقامة « حوار » مع جنوب افريقيه . وقد قدم هذا الاقتراح للدول الافريقية في نوفمبر ١٩٧٠ وأيدته في ذلك الدول الواقعة تحت النفوذ الفرنسي النيوكولونيالي . وجاءت المبادرة في أعقاب زيارة قام بها فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيه ، الى فرنسه التي تعتبر أهم مصدر للسلاح الذي تحصل عليه جنوب افريقيه . ولكن منظمة الوحدة الافريقية اتخذت قرارا في اجتماع عقدته في حزيران ١٩٧١ بشجب مثل هذه المبادرات ومثل هذا الحوار الذي يستبعد ممثلي الشعوب الافريقية في جنوب افريقيه نفسها . وخلال عملية التصويت على مشروع القرار امتنعت عن التصويت سوازيلاند واربع دول من الناطقة بالفرنسية وهي داهومي وفولتا العليا والنيجر وتوغو ، أما مالاجاسي وملاوي وليسوتو وساحل العاج والغابون وموريشوس فقد صوتت ضد مشروع القرار ، وتغيبت عن الجلسة كل من أوغنده وجمهورية افريقيه الوسطى . وموقف اوغنده كان مفهوما لان اثنين من ممثلي الحكومة العسكرية كانا لتوهما قد عادا من زيارة لجنوب افريقيه .

ولقد اشتركت اسرائيل أيضا بمثل هذا الامتداد الديبلوماسي . ولكن في حين ان لبعض الدول العربية مصلحة مشتركة مع اسرائيل لـ « كبح جماح » تطرف الفدائيين الفلسطينيين (ومجزرة الاردن هي أفضل مثال صارخ على ذلك) الا انه ليس لاسرائيل علاقات كتلك القائمة بين جنوب افريقيه وليسوتو . وكانت اكثر جهود اسرائيل التي تكللت بالنجاح تلك التي تركزت في دول المرتبة الثانية وهي دول الصحراء الكبرى (مثل تشاد واثيوبيه واوغنده والكونجو) ، في محاولة لتطويق تأييد العرب لحقوق الفلسطينيين . واتسمت هذه الجهود بتقديم كميات محدودة من المساعدات لتأمين الاصوات المؤيدة في الامم المتحدة وبايجاد علاقات وثيقة واعتماد على برامج المساعدة الاميركية ، وايضا ايجاد سوق للتصدير و(في حالات معينة) الاشتراك الفعلي في تقديم الخبراء العسكريين . فقد قام أ. اياجا في بحث نشرته مجلة « بان افريكان جورنال » (الربيع والصيف ، ١٩٦٨) بوضع جداول بمواقف الدول الافريقية التي اشتركت في التصويت على القضايا المتعلقة بالشرق الاوسط خلال الدورة التي عقدتها الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩٦٧ . وفي تحليله للنتائج صنف الدول فئتين ، فكان من مؤيدي اسرائيل بوتسوانا واثيوبيه وغانه وغامبيه وساحل العاج وليسوتو وملاوي وسيراليون وتوجو وليبيريه ومالاجاسي وفولتا العليا . وتضم الفئة الثانية دول الجزائر وبورندي ومالي والمغرب وموريتانيه وليبيه وغينيه وتنزانيه وتونس والسودان والصومال والجمهورية العربية المتحدة وزامبيه . وبالنسبة للتصويت على مشروع القرار المتعلق بضم اسرائيل للقدس ، طلبت ٩٩ دولة الى اسرائيل التراجع عن مطالبها بالقدس ، ومن بين العشرين دولة التي امتنعت عن التصويت كان هناك تسع دول (بما فيها جنوب افريقيه) .

والصفات التي تتسم بها المساعدات الاسرائيلية للدول الافريقية بحثت بكل تفصيل في كراسة « داود وجوليات يتعاونان في افريقيه » التي أعدها فريق افريقيه للابحاث ، الذين اثبتوا كيف ان المساعدات الخاصة أو الحكومية التي تقدمها اسرائيل الى الدول الافريقية تأتي من مصادر اميركية . وهذا ما اتفق على ما تسميته بأسلوب « الدولة الثالثة » وهو تحويل المنظمات الاميركية لمساعداتها عن طريق المؤسسات الاسرائيلية . ومثال على هذا الاسلوب هو معهد الدراسات العمالية الافرو ـ آسيوية في اسرائيل الذي يتلقى مساعدات عن طريق البرامج الدولية لاتحاد نقابات العمال في أميركه (الذي أكتشف منذ ذلك الوقت ان له علاقات وثيقة مع وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية). والفائدة التي تحصل عليها اسرائيل من وراء اتباعها لهذا الاسلوب هو انه عن طريق استثمار

رؤوس أموال بسيطة يمكنها ايجاد علاقات تجارية هامة . ويلاحظ ل. لوفر في كتابه **اسرائيل والدول النامية** النمو المتزايد لافريقيه كسوق ومصدر للمواد الخام لاسرائيل . ويلاحظ ايضا ان اكثر الزيادات في التجارة كانت مع الدول التي لها برامج تعاون فني مع اسرائيل ، وهذا هو الشكل الذي تسير عليه الدول الراسمالية الغربية لاقامة علاقات نيوكولونيالية مع الدول النامية .

وانه لامر مثير للانتباه ان تكون قائمة الدول التي أقامت علاقات اقتصادية وعسكرية خاصة مع اسرائيل تشمل عددا من تلك الدول التي ابدت مؤخرا اهتماما باقامة حوار او اي اسلوب آخر للتفاعل مع جنوب افريقيه . وتبرز هنا دولة ساحل العاج التي أعلن رئيسها هوفويت ـ بويجني انه بالاشتراك مع رجل الاعمال الاسرائيلي موشيه ماير سينتشيء « ريفييرا فرنسية » في ابيدجان . عاصمة ساحل العاج ، كما ان الحرس الجمهوري في ساحل العاج مزود برشيشات عوزي الاسرائيلية . وفي تشاد واثيوبيه نشاط عسكري لاسرائيل في مقاومة حروب العصابات . ففي تشاد يتعاون الخبراء العسكريون الاسرائيليون والفرنسيون في عمليات ضد جبهة التحرير الوطني التشادي (انظر **افريكاسيا** ، ٢٠ تموز ١٩٧٠) . وفي اثيوبيه تتعاون اميركه واسرائيل لدعم النظام الاقطاعي الاثيوبي ضد ثوار ارتريا والقلاقل الداخلية . وتقول **واشنطن ستار** (١٦ مايو ١٩٧١) : « بالاضافة للمساعدة العسكرية الاميركية يحصل هيلاسلاسي على كميات كبيرة من المساعدات الاسرائيلية . وبشكل رسمي فان الاسرائيليين هم الذين يدربون كوماندو الشرطة في ارتريا والقوات المتحركة . ولكن يمكن لمس النفوذ الاسرائيلي على طول سلم القيادة في اثيوبيه . وفي اعقاب مقتل الجنرال يتشومي ايرجيتو ، في مكمن . فرض القانون العسكري على المنطقة بأكملها . ويقول الديبلوماسيون ان الخبراء الاسرائيليين حرضوا الفرقة الثانية على الانتقام لمقتل ايرجيتو بالقيام بسلسلة من عمليات تمشيط المشاة في جميع انحاء البلاد نتج عنها حرق وتدمير عشرات القرى وقتل مئات بل آلاف من السكان » .

ولاسرائيل دور نشط في التدريب العسكري في اوغنده والكونجو اللتين لهما سياسة هي في افضل الحالات مبهمة وغير متساوقة في علاقاتهما مع دول أنظمة الاقلية البيضاء في جنوب افريقيه وروديسيه والمستعمرات البورتجالية في موزامبيق وانجولا . وتعتبرهما حركات التحرير في الدول الافريقية الجنوبية المضطهدة (بفتح الهاء) في صفوف « العدو » لتحالفهما مع المصالح الامبريالية الغربية . وفي الكونجو (كينشاسا) يعتبر نظام موبوتو اكثر الحكومات الافريقية ارتباطا بالمصالح الاميركية . وموقفه المتقلب تجاه الاستعمار البورتجالي يتضح من خلال وجود علاقات تجارية وديبلوماسية بينه وبين البورتجال ورفضه السماح لحركة التحرير الشعبي في انجولا التي تعتبر من أنشط حركات التحرير في انجولا من العبور في اراضيه . وفي اوغنده ، تتولى اسرائيل مهمة التدريب العسكري منذ ١٩٦٦ ، والخبراء الاسرائيليون يحيطون بالجنرال عيدي أمين ، الذي تلقى تدريبه في اسرائيل ، والذي تولى السلطة في يناير ١٩٧١ عندما قلب حكومة الرئيس السابق ميلتون اوبوتي الذي كان يطالب بابعاد الخبراء العسكريين الاجانب ويتحرك نحو اليسار داخليا عن طريق تأميم الشركات الاجنبية . ولكن منذ انقلاب امين واوغنده تتحرك نحو اليمين داخليا (مثلا ، بالغاء تأميم الشركات التي اممها سلفه) ، كما انها أدارت ظهرها لحركات التحرير بدأت تتقرب من جنوب افريقيه*.

---

* كتب هذا التقرير اواسط العام ١٩٧١ ـ ولذلك لا يتضمن أي ذكر للتحولات الاساسية في سياسة اوغنده التي بدأت تظهر مؤخرا .

جنوب افريقيه واسرائيل والامبريالية الاميركية

من الامور الاساسية لفهم جنوب افريقيه واسرائيل والعلاقات القائمة بينهما معالجتنا لمثل هذا الموضوع من خلال العلاقات الوثيقة للدولتين بالتوسع الاقتصادي المتواصل للدول الغربية، وللامبريالية الاميركية على وجه التحديد. فكلتا الدولتين تقدمان نفسيهما للعالم كموقعين متقدمين لـ « الحضارة الغربية » في العالم الثالث، وتبرزان أهميتهما العسكرية في عملية « احتواء الشيوعية » وتبذلان اقصى الجهود للتأثير على الرأي العام والمسؤولين في الغرب، وتتعاونان مع توسع النفوذ النيوكولونيالي الاميركي. ومع أن للولايات المتحدة مصالح أخرى في الشرق الاوسط وافريقيه مما ينجم عنه غالبا تباعد بسيط في الراي بينها وبين اسرائيل او جنوب افريقيه، الا ان التأييد الاميركي لهاتين الدولتين كان مستمرا وذا أهمية. فبالنسبة لاسرائيـــل فان دوافع الولايات المتحدة والفوائـــد التـــي يمكـــن ان تجنيهـــا هـــي استراتيجيـــة بالدرجة الاولـــى (هـــذا بالاضافة الى وجود علاقات وثيقة بين الحكومة الاسرائيليـــة والمنظمة الصهيونيـــة الاميركية) . ولكن لتواصل التأييد الاميركي أهمية عسكرية واقتصادية لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة لاسرائيل . أما بالنسبة لجنوب افريقيه فان دوافـــع الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية والفوائد التي يمكن ان تجنيها فتختصر في الكسب الاقتصادي من وجود الثروات المعدنية واليد العاملة الرخيصة في جنوب افريقيه. ولكن هذا لا يمنع وجود علاقات عسكرية ايضا، كما يظهر من خلال قرار الحكومة البريطانية الاخير لبيع أسلحة لجنوب افريقيه، ومن خلال تزويد هذه الدولة بطائرات اميركية واسلحة فرنسية من جميع الانواع . (انظر **استراتيجية الدفاع في جنوب افريقيـــه** بقلم عبد المنتي، **والبورتجال وحلف شمال الاطلسي** بقلم لجنة انجولا في امستردام، و **افريقيه اليوم**، تموز ـــ تشرين الاول ١٩٧٠) .

وللولايات المتحدة سياسة مزدوجة في الشرق الاوسط وافريقيه : تأييد متواصل لاسرائيل ولانظمة حكم البيض في افريقيه الجنوبية، ومحاولة تشجيع الدول « المعتدلة » المستقلة التي لن تقف في وجه المصالح الاميركية داخل حدودها ولـــن تدعم حركات التحـــرير الفلسطينية وفي جنوب افريقيه . وتجد الولايات المتحدة في تأدية دورها كـــ « شرطي عالمي » أصدقاء مخلصين ونافعين في دول كاسرائيل وجنوب افريقيه، رغم تسببهما لها في بعض الاحراج احيانا . وبالمقابل تحاول كل منهما الاستفادة من التأييد الاميركي لتعزيز وضعهما الداخلي .

وهكذا نرى ان الولايات المتحدة واسرائيل وجنوب افريقيـــه تقف صفا واحدا أمـــام نضال شعبي فلسطين وجنوب افريقيه لنيل حقوقهما . وهذا ينسجم والبنية الرأسمالية الغربية العالمية ومقولاتها التي تشكل هذه الدول جزءا منها . وتتضمن الامبريالية العالمية المحافظة على علاقات الارتباط الاقتصادي للدول النامية بمراكز الرأسمالية في العالم وتوسيع هذه العلاقات . ولكن النضالات التحررية القائمة على مبادىء تقرير المصير وتسلم الشعوب لمسؤوليتها في تنمية نفسها تشكل تحديا لعمليات الهيمنة الاقتصادية للرأسمالية الغربية .

مراجعات

فؤاد حمدي بسيسو ، **تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي** (عمان ، البنك المركزي الاردني ، ١٩٧١)

ان ما يدفعني الى تقديم هذا الكتاب الى القارىء لا يقتصر على كون موضوعه ذا أهمية خاصة بل لان الكتاب نفسه يرقى الى مستوى الكتب التي تستحق الاهتمام والقراءة فهو يمحص تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي تمحيصا موضوعيا ومتسلسلا بحيث تنساب المعلومات فيه انسيابا منتظما ومنطقيا. ويقع الكتاب في ١٩٤ صفحة وفي أربعة فصول ، ويعتبر الفصل الاول من الكتاب مقدمة عامة تتناول مفهوم المقاطعة الاقتصادية عموما ومفهوم المقاطعة الاقتصادية العربية وتطورها التاريخي وجهازها وأدواتها . فقد كانت المقاطعة الاقتصادية أداة مكملة للقوة العسكرية تستخدمها الدول في حروبها. وشهد العالم في القرن العشرين لجوء الدول الى المقاطعة الاقتصادية على أشدها خلال الحرب العالمية الاولى والثانية وذلك عن طريق الحصار البحري وحظر نقل سلع معينة وبيعها الى الخارج والرقابة على الاستيراد والتصدير واتباع نظام القوائم السوداء وشراء السلع الهامة من الدول المحايدة للحيلولة دون حصول العدو عليها وضرب المشروعات الاقتصادية مباشرة . وبالرغم من أن المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل لم تلجأ الا لبعض هذه الادوات ، فقد امتد تطبيقها منذ احتلال فلسطين ، وقبل ذلك بصفة شعبية ، حتى الان . واتخذت المقاطعة العربية صورة مباشرة من حيث عدم الدخول مع اسرائيل مباشرة في تعامل تجاري او تبادل في الخدمات او السماح لحركة عناصر الانتاج فيما بين البلاد العربية وبينها ، وصورة غير مباشرة تمثلت في محاولة عرقلة العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وبين بقية انحاء العالم من حيث التجارة وتبادل الخدمات وحركة رؤوس الاموال . (يشير المؤلف اليها بالمقاطعة السلبية والمقاطعة الايجابية) .

ويعرض المؤلف في الفصل الثاني ، والذي يحتل أكثر من ثلث الكتاب ، أهم الجوانب من الاقتصاد الاسرائيلي التي يعتقد انها تتأثر اكثر من غيرها بالمقاطعة الاقتصادية العربية وهي الصناعة والتجارة الخارجية والتمويل الاجنبي . ومن اهم ما يبينه في هذا الصدد ما يلي : — ١) تولي السياسة الاقتصادية الاسرائيلية عناية كبيرة لتشجيع القطاع الصناعي وذلك من اجل غايات التصدير نظرا لضيق السوق المحلية . وقد بلغت نسبة الدخل الصناعي في الانتاج المحلي الاجمالي بسعر الكلفة ٢٥٪ عام ١٩٦٩ بينما تقدر نفس النسبة في الاردن بحوالي ١١٪ . كما استطاعت الصادرات الصناعية الاسرائيلية ان تزداد بمعدل سنوي يبلغ في المتوسط ٢١٪ خلال الفترة ١٩٥٠ — ١٩٦٦ . ٢) تلعب العلاقات التجارية الدولية أهمية كبيرة في الاقتصاد الاسرائيلي ليس فقط كمصدر للمواد الخام الضرورية والعديد من السلع الاستهلاكية والرأسمالية بل ايضا كمجال للتصدير. فقد بلغت الاهمية النسبية للتجارة الخارجية ٥٤٪ من الدخل القومي سنة ١٩٦٨ . ويقدم المؤلف جداول تفصيلية حول حجم الصادرات والمستوردات وتركيبها السلعي وتوزيعها الجغرافي. وتتركز غالبية تجارة اسرائيل الخارجية مع البلاد الاوروبية والولايات المتحدة ، الا ان الاهمية النسبية لتجارتها مع الدول الاسيوية والافريقية آخذة في التزايد . ٣) تتدفق على اسرائيل رؤوس اموال اجنبية ضخمة سواء كانت في شكل تعويضات المانية (بمتوسط ١٤٧ مليون دولار سنويا) وتحويلات وهبات أخرى (بمتوسط ١٤٨ مليون دولار سنويا) وقروض مباشرة من الولايات المتحدة وقروض اخرى عن طريق بيع السندات الاسرائيلية (بمتوسط ٨٦ مليون دولار

سنويا) واستثمارات خاصة (بمتوسط ٥٦ مليون دولار سنويا) .

ولكي يبين تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي ، يحصر المؤلف في الفصل الثالث جميع العوامل التي يجب ان تدخل في الاعتبار فيما لو ازيلت هذه المقاطعة . ويعتمد في ذلك على الارقام الفعلية لتجارة اسرائيل الخارجية وعلى تقديرات مختلفة . وتظهر اوجه استفادة اسرائيل فيما لو انتهت المقاطعة الاقتصادية العربية المباشرة وغير المباشرة فيما يلي : — ١) احتمال استيراد اسرائيل من الدول العربية ما نسبته ١٦٪ من مجموع استيرادها بأسعار أقل مما تدفعه حاليا . ٢) احتمال تصدير ١٣٪ من مجموع صادراتها الى الدول العربية . واذا اخذنا بهذه الارقام ، فان تجارة اسرائيل مع الدول العربية ستنتهي الى عجز يتجاوز المئة مليون دولار سنويا . ٣) الاستفادة من تجارة الترانزيت من والى العراق والاردن والسعودية ودول الخليج عبر اسرائيل . وكذلك فيما بين الدول العربية الواقعة في آسيا وتلك الواقعة في افريقيا . ٤) الاستفادة من عائدات خطوط النفط والتي تقدر بحوالي ٦٢٥ مليون دولار سنويا . ٥) تقديم الخدمات المختلفة الى الدول العربية من سياحية وتعليمية وطبية . ٦) اقتطاع جزء كبير من مصاريف الدفاع والتسلح والتي بلغت ٤٨٠٤ ملايين ليرة اسرائيلية سنة ١٩٧٠ وتحويله الى مشاريع التنمية الاقتصادية . ٧) استخدام الايدي العاملة العربية في المشاريع الاقتصادية المختلفة . ٨) اجتذاب رأس المال العربي او مشاركته في اقامة مشاريع مشتركة .

ويلاحظ ان جميع اوجه الاستفادة السابقة ترتبط بالمقاطعة المباشرة مع ان المؤلف ذكر عوامل اخرى تتعلق بالمقاطعة غير المباشرة ، الا انني لا اسلم بامكانية تطبيقها من ناحية وبالتالي لن يترتب عليها مجالات ملموسة من الاستفادة لو ازيلت فيما عدا زيادة الاستثمار والتعامل مع الشركات الاجنبية التي تتخلص من القيود العربية الناتجة عن وضعها في القائمة السوداء .

وينتقل المؤلف في الفصل الرابع الى تقييم المقاطعة الاقتصادية العربية عمليا من خلال العوامل التي سبق وان اثيرت . وقد توصل الى ان المقاطعة المباشرة كانت ناجحة ومطبقة فيما عدا بعض الحالات القليلة التي لجأت فيها اسرائيل الى التهريب او التحايل وراء اسماء شركات اجنبية او استيراد سلع عربية كالبترول من اطراف ثالثة. اما المقاطعة غير المباشرة فقد نالت قسطا من النجاح أقل بكثير من المقاطعة المباشرة، نظرا لعوامل تتعلق بالمقاطعة نفسها ولعوامل أخرى اسميها عوامل موضوعية تحد من مقدرة اية مقاطعة من بلوغ درجة عالية من النجاح .

ومن اهم العوامل التي تتعلق بالمقاطعة العربية لاسرائيل بالذات ما يلي : — أ) ارتباط اسرائيل بقوى اقتصادية يهودية منتشرة في معظم انحاء العالم المتقدم ارتباطا شديدا يجعل هذه القوى تعصف بكل عقلانية التفكير من حيث تقرير تجنبها لاحكام المقاطعة العربية سواء كان ذلك بالاتجار مع اسرائيل او بتمويلها او الاستثمار فيها. ب) الثغرات الموجودة في المقاطعة العربية كضعف اجهزة المقاطعة نفسها وبطئها وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد العربية والتخاذل في تطبيق قرارات المقاطعة . ج) نشاط اسرائيل في خلق الاجهزة لمقاومة المقاطعة العربية وعقد المؤتمرات وتقديم المساعدات الفنية لبعض البلاد النامية واستثارة القوى اليهودية في مختلف الدول وتبني التشريعات الملائمة والمشجعة للاستثمار الاجنبي وللتصدير . اما عن العوامل الموضوعية التي تؤثر في مدى نجاح المقاطعة العربية غير المباشرة لاسرائيل فهي : — أ) طول فترة المقاطعة مما جعل منها أسلوبا دائما لا يقتصر على فترة حرب تكون محدودة كما في التجارب الاخرى للمقاطعة ، ولا يساعدها في ذلك الاساليب الحربية للضغط الاقتصادي . ويؤدي طول الفترة هذه الى قلة الحماسة للمقاطعة وزيادة الروتين والمشاكل الادارية والمتابعة وغيرها . ب) ضعف الاهمية النسبية لتجارة اسرائيل في التجارة الدولية مما يجعل بالامكان تنشيطها مع مجموعة من الدول لا تخضع للضغط الاقتصادي العربي . وهذا يعني ان نجاح المقاطعة الاقتصادية يكون اكثر فعالية كلما قام بين دولتين كبيرتين او تحالفين كبيرين من الدول. ج) انفراد كل دولة عربية في رسم سياستها التجارية والاقتصادية بصفة عامة مما يقلل من فعالية المواجهة العربية للنشاط الاسرائيلي في الخارج نظرا لعدم تنسيق السياسات الاقتصادية العربية وتهرب بعضها من المسؤولية .

ويخلص المؤلف الى توصيات تتناول اجراءات تتعلق

بتقوية جهاز المقاطعة وتشديد الرقابة على المجالات التي تنفذ منها اسرائيل للتهرب من المقاطعة الاقتصادية العربية وبدعم نطاق الوحدة الاقتصادية العربية وتوسيعها .

ان هذا الكتاب يشتمل على حقائق وأرقام وملاحظات يحتاج اليها كل من يرغب في الاطلاع على المقاطعة الاقتصادية العربية او متابعتها وتقييمها من جديد . كما يحتوي ايضا على ملاحظات رئيسية تتعلق بالاقتصاد الاسرائيلي . وهذا يعني ان المؤلف قد اعطى موضوعه وقتا كافيا وتابعه بأناة وتفكير ورجع الى كل ما يمكن ان يمت للموضوع بصلة بالرغم من صعوبة الحصول على بعض المراجع والمؤلفات المتعلقة بالاقتصاد الاسرائيلي .

الا أن موضوع المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل لا زال في حاجة الى بحث وتمحيص اوسع وبأسلوب آخر :

١) اذ يقتصر الكتاب على تعداد لاوجه تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي دون ان يصل الى تقدير رقمي اجمالي ولو باستخدام أسس افتراضية . فمثلا ، لم يقل لنا بأن المقاطعة العربية تحرم اسرائيل من زيادة دخلها القومي بمعدل ١٪ او ٢٪ سنويا . ولا زال هذا الموضوع متاحا امام المؤلف نفسه وغيره من الباحثين ، وفي اعتقادى انه يستحق المتابعة . وفي الامكان استخدام اساليب التحليل المتبعة في تقدير الاثار الستاتيكية والديناميكية المترتبة على التكامل الاقتصادي . ذلك ان زوال المقاطعة يؤدي الى نفس هذه الاثار مع ان درجتها او مداها يكونان أقل .

٢) لم يتعرض المؤلف الى حرب حزيران ١٩٦٧ من حيث آثارها على وضع المقاطعة الاقتصادية العربية للاقتصاد الاسرائيلي . فقد اصبح وضعها مختلفا عما كان عليه قبل حرب ١٩٦٧ . اذ اصبح في امكان اسرائيل ان تستخدم العمال العرب من سكان المناطق المحتلة الذين يبلغون حوالي المليون نسمة، واتسع السوق امام المنتجات الصناعية الاسرائيلية، وزادت الموارد الاقتصادية المتاحة لها من اراضي وبترول وغير ذلك ، وتمكنت اسرائيل من الحصول على دخل سياحي جيد عن طريق الجسور المفتوحة ، بالاضافة الى استيراد سلع عربية وجعل الجسور منفذا للصادرات من المناطق المحتلة ومجالا لحركة رأس المال والتحويلات النقدية . وفي اعتقادي ان دراسة اثر حرب حزيران ١٩٦٧ على فعالية المقاطعة الاقتصادية العربية تعتبر جوهرية ليس فقط للاغراض الدراسية البحتة بل ، واهم من ذلك ، لوضع سياسة عربية تجاه فتح الجسور من حيث افضلية استمرار فتحها من عدمه ، او المبادلات المسموح بها وغير المسموحة .

٣) لم يتعرض المؤلف لدراسة اثر المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل على اقتصاديات البلاد العربية نفسها . من حيث تحمل نفقات مكاتب المقاطعة واجهزتها والخسارة من توقف التعامل مع شركات ومؤسسات قد تكون شروطها افضل او سلعها انسب من منافسيها .. الخ . وقد بين المؤلف انه لن يتناول هذه الناحية . وتعتبر هذه الدراسة ضرورية لمعرفة كلفة المقاطعة على البلاد العربية .

الدكتور تيسير عبدالجابر

Samo, Dr. Elias, J., **The June 1967 Arab-Israeli War : Miscalculation or Conspiracy?** (Wilmette, Ill. Medina University Press International, 1971).

ان هذا الكتاب مخيب للامال وذلك لسببين ، اولا، لان العنوان ملفت جدا للنظر بسبب السؤال المطروح في الجزء الثاني منه والذي من شأنه ان يدفع القارىء الى الاعتقاد بأن مزيدا من الضوء سيلقى في الكتاب على واحدة من اكثر قضايا العصر غموضا ، الا وهي حقيقة ما جرى في الشرق الاوسط في شهر نيسان (ابريل) وأيار (مايو) ١٩٦٧ قبيل معركة حزيران (يونيو) . وخيبة

الامل هذه تبرز عندما لا نرى اية مقالة في الكتاب تلقي مثل هذا الضوء رغم وجود مقالة قبل الاخيرة بقلم الدكتور سموع نفسه تعالج الموضوع بشكل مباشر . فبعد ان يعرض الكاتب وجهات النظر المؤيدة والمعارضة لنظريتي الخطأ في الحساب والتآمر (مع افاضة غير ضرورية في استخدام التعابير السياسية) يخلص الى القول : « كل ما يمكن ان يقال هو ان المكان والزمان اللذين حدثت فيهما الازمة العربية — الاسرائيلية في ١٩٦٧ كانا مؤاتيين بشكل مثالي للممثلين الثلاثة (الولايات المتحدة وروسية واسرائيل) للتآمر ضد عبد الناصر. وقد كان بالامكان حدوث ذلك ، ويمكن ان يكون قد حدث » . وهنا يشير سموع في احدى الحواشي الى كتيب لي نشر في صيف ١٩٦٧ يقدم دليلا ملموسا على **وجود** تآمر . لذا ليس من اللائق بالدكتور سموع ان يقول بعد اربع سنوات ونصف السنة انه **يمكن** ان يكون هناك تآمر . وما دام الكتاب لم يكن ليجيب على التساؤل الوارد في العنوان ، وهو لم يفعل ذلك ، ارى انه لم يكن هنا ضرورة لطرحه على الاطلاق لان في ذلك تضليلا للقارىء بالنسبة لمحتويات الكتاب . والامر المؤسف هو ان المكتبات الاميركية ملأى بما من شأنه ان يقدم الدليل على وجود تآمر ، ولكن ذلك بحاجة الى قليل من التنقيب ، ولكن يظهر بأن الكتاب العرب هناك لديهم ما يشغلهم عن هذه الرياضة الذهنية وذلك بقضاء اوقات فراغهم بالتنزه وبالمناقشات التي لا طائل من ورائها .

اما السبب الثاني لخيبة الامل فهو ان المؤلف يحاول ان يجعل كتابه يظهر بمظهر « الموضوعية » ، ومن هنا نرى انه بالاضافة لمقالات لكتاب عرب ، يختار مقالات لكتاب اميركيين واسرائيليين وروس . (وبالمناسبة فان مقالة يوست « الحرب العربية — الاسرائيلية : كيف بدأت ؟ » والتي ظهرت اصلا في مجلة « فورين أفيرز » هي من أسوأ ما كتب اذ انها تهدف الى تبييض صفحة حكومة ليندون جونسون ، لذا فانها يجب ان تطمر تحت التراب بدلا من نشرها بهذا الشكل الواسع) . ومغالطة « الموضوعية » هذه لا بد وان تثير التساؤل التالي : لما كان الصهيونيون متحيزين بشكل فاضح في كتاباتهم وغير موضوعيين على الاطلاق ، ولما كانت المؤلفات التي يضعها الكتاب العرب في لغات غير العربية قليلة، ومحدودة الانتشار ، لماذا تكتفي هذه الكتب بتخصيص الصفحات لوجهة النظر الاسرائيلية او الصهيونية ؟ هل هذا دليل جديد على مدى قوة غسل الدماغ الصهيوني للعقول في اميركة ؟

واخيرا ، أود أن اعرب عن عدم موافقتي على ما ورد في الجزء الاول من العنوان وهو « الحرب العربية — الاسرائيلية » . فالقتال في حزيران ١٩٦٧ لم يكن بين « العرب » واسرائيل ، فلم يشترك من الجانب العربي سوى دولتين ونصف الدولة (وهنا اترك لفطنة القارىء ان يحزر أية دولة كانت النصف) . ان استخدام كلمة «العرب» يقدم مادة دسمة للدعاية الصهيونية اذ انها تعزز مزاعمهم عن اسطورة « داود وجوليات » التي تصور اسرائيل الصغيرة تقف لوحدها في وجه دول عربية تفوقها اضعاف اضعاف . وفي الحقيقة لم يكن ما جرى في ١٩٦٧ « حربا » بكل معنى الكلمة وذلك لان القتال كان على نطاق ضيق ولان تلك الاشتباكات لم تكن سوى معركة في سلسلة معارك من حرب مستمرة . ان حزيران ١٩٦٧ كانت « الجولة الثانية في الحرب من اجل فلسطين » . وهنا ايضا يخدم استعمال كلمة « حرب » اللعبة الدعاوية الاسرائيلية ، فالاسرائيليون هم الذين دائما يصفون معاركهم بأنها « حروب » مميزة لانهم في ذلك لا يرفعون من معنويات جنودهم فحسب عن طريق ايهامهم بأنهم انتصروا في « حروب » وليس معارك ، ولكن ايضا لان اسرائيل تحاول عن هذه الطريق اخفاء حقيقة ما يجري ، وهو انها تخوض المعركة تلو الاخرى في سبيل هدف واحد . وعندما ينفضح امر اسرائيل على هذا الصعيد امام العالم ، سيوقن الجميع ان عليها ان تخوض المزيد من المعارك من اجل ذلك الهدف ، وهذا ما لا تريده اسرائيل ، وفي الوقت نفسه ما يتوجب على الكتاب العرب ابرازه والتأكيد عليه دوما عن طريق استخدامهم تعابير صحيحة ، واقعيا وعاطفيا .

جـ . هـ . جنسن

Vatikiotis, P. J., **Conflict in the Middle East**, (London: George Allen & Unwin Co., 1971).

غالبا ما يذكرني الكتاب بالجراح الذي لانه نظر في داخل جسدي صار يعتقد ان باستطاعته ان يخبرني ان لا شيء يدعو الى القلق في هذه الحياة . ولو ان الدكتور فاتيكيوتس ، استاذ العلوم السياسية في كلية الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن ، حصر مجال دراسته بكونه مؤرخ احداث لقدم لنا مساهمة يشكر عليها . وفي الحقيقة انه يقدم لنا معلومات مفيدة ، مشكوكا بهـا في بعض الاحيان ، عن التطورات الاخيرة ، خاصة حول بنى منظمات المقاومة وتشرذمها وقادتها ، وكذلك يقدم كتابه صورة محزنة حقا للصراعات والانشقاقات والمؤامرات والانقلابات والضعفات وظهور القبلية والعصبوية وغير ذلك من آلاف الامراض التي يرددها العرب يوميا كما تتحدث عنها صحفهم دائما . ولا جديد في كل ذلك سوى ان فاتيكيوتس جمعها في كتاب واحد . ومع هذا فان المادة مفيدة تماما وقليلون هم الذين يمكن ان يعترضوا على صحة الحقائق العميقة من نوع « تركية وايران ليستا عربيتين » . ان كتاب «الصراع في الشرق الاوسط» لا يعالج صراعا معينا بقدر ما يتطرق الى مجموعة من الخلافات والنزاعات ، بما في ذلك عدوان ١٩٦٧ . والصورة المهتزة التي يعرضها تختفي كليا عندما يورد امورا لا علاقة لها بالموضوع عن تركية وايران .

الى هنا كل شيء يسير على ما يرام ، ولكن المؤلف يقع في الفخ عندما يتمادى في مغامرته ويحاول تقليد دور الواعظ الحكيم ، فيقول ان الاسلام هومشكلة العرب ، التي هي عبارة عن اعتماد الرسول على السيف ، واغتصاب الخلافة والقيود التي فرضتها الشريعة والتي كانت مصدر الحكم العسكري والانقلابات وتجزؤ العالم العربي . فجأة يتذكر المؤلف ان تركية وايران مسلمتان . وهنا ايضا يرتكب المزيد من الاخطاء عندما يقول ان الاتراك والفرس ليسوا مسلمين بشكل صحيح . انهم بعيدون عن « عروبة الاسلام » و « الصعوبات السياسية التي يواجهها الاسلام ، ان لم نقل اخفاقه » . وهكذا بعد ان استنتج ان المشكلة بالنسبة للعرب هي في كونهم مسلمين ، قام بحركة بهلوانية فراى ان المشكلة بالنسبة لهذا الدين هي في عروبته .

من هنا نرى ان الكتاب لا يسيء الى شعور العرب والمسلمين فحسب ، فجميع علماء السياسة سيكتشفون ان محاولاته في التعصب الديني قد عفا عليها الزمن ، (لا يعتبر الاقتصاد عاملا له علاقة)، وادعاؤه بأن تركية اصبحت متمدنة ، او كما يعبر عنها هو « اوروبية » ، عندما تخلت عن الاسلام ، هو ايضا ادعاء ساذج . وهناك العديد من الحقائق التي تدحض رأيه ولكنه يعرف كيف يزوغ من وجه المشاكل التي يواجهها . فبكل لباقة احال مسألة الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية للخبراء المختصين بها لمعالجتها . وعندما قيل له ان المشاكل التي يعاني منها العرب ليست وقفا عليهم وحدهم بل ان غيرهم من الشعوب يعاني منها ــ الانقلابات العسكرية في اميركة اللاتينية اكثر منها في العالم العربي ؛ والنزاعات الدينية الدموية تحدث بشكل اكثر في ايرلنده ، وافغانستان دولة اسلامية ومع ذلك فانها من اكثر الدول استقرارا ، والحبشة تعتبر من اقدم الدول المسيحية ومع ذلك لم تصبح في مستوى الدول الاوروبية في مضمار التقدم ــ يرد بكل بساطة « انني أهتم بالوصف ... وليس بالمقارنة » .

لذا كان على فاتيكيوتس ، ضمن افقه المحدود ، ان يتبع المنهج الاسهل الذي يعتمد على المثل القائل « لم تبن رومه في يوم واحد » . والواقع لم يكن هناك اية دولة عربية مستقلة في ١٩١٦ ، كما ان عددا من هذه الدول لم ينل سيادته واستقلاله سوى منذ اشهر خلت . وهنا يرتكب المؤلف الخطأ الذي عادة ما يرتكبه غيره من المستشرقين وهو التطلع شمالا الى اوروبه بدلا من آسية وافريقية ، ومقارنة كل شيء بما يجري في لندن وباريس بدلا من نيجيرية او باكستان . وعلى طريقتهم ، مضى يشيد عرم سلبياته ، فالثورات العربية ليست ثورات والجمهوريات العربية ليست جمهوريات ، واصلاحات عبد الناصر ليست اصلاحات ، وهلم جرا . وبالاضافة الى ضمير الـ (انا) نراه مغرما باستعمال كلمة « ما يسمى » : ما يسمى اشتراكية عربية ، ما يسمى دول عربية تقدمية . وما يفوت عن بال فاتيكيوتس

وما يتعدى حدود افقه هو ان الرجل الذي صنع الدولاب اعظم من الذي صنع الطائرة . لذلك ، نراه غير قادر على معرفة ان الفلاح الامي الذي يعمل على جرار في احدى تعاونيات صعيد مصر اهم من نزول بورمان على القمر .

واخيرا لا بد ان نأسف لان ما يحرك المؤلف هو نوازعه وليس اراؤه ، ولان غياب فهم مركزي للتاريخ لديه قد ادى الى كل هذا التشويش الفكري . فالعرب تنقصهم الدستورية ، كما يقول فاتيكيوتس الديمقراطي ، والعرب فشلوا لانهم لم يقضوا على الديانات الاخرى ، مما يؤدي الى الفرقة ، كما يقول فايتكيوتس الفاشي ، وما كان العرب بحاجة له هو التطبيق الوحشي والاعمى للقوة ، كما يقول فاتيكيوتس التروتسكي ، و « العرب قاموا بتمرد وليس بثورة » لانهم غيروا الحكومات وليس النظم ، كما يقول فاتيكيوتس الماركسي . ان النظرية السياسية الوحيدة التي يمكننا التوصل اليها من خلال هذا الخليط هي ان العرب سيئون ودينهم أسوأ ، لذا فان هذا الكتاب انما يقدم ، بثلاثة جنيهات ونصف الجنيه ، مئتي صفحة من التشاؤم تحت اسم الواقعية . ايتها الواقعية ، كم من الجنيهات تسلب منا باسمك .

خالد القشطيني

1) Amos Elon, **The Israelis, Founders and Sons** (Weidenfeld and Nicolson, London 1971).
2) V. D. Serge, **Israel, a society in Transition** (Oxford University Press, London 1971).

رغم ادعاء ناشر الكتاب الاول بأن الكتاب كتب بعاطفة قوية لكنه موضوعي ، الا ان الكتاب يعج بالعاطفة العمياء التي تحرمه من ادنى درجة من الموضوعية . كما ان هذه العاطفة العمياء تؤدي الى عرض موضوع « الآباء » (الذين اقاموا الدولة اليهودية في فلسطين) و « الابناء » (الذين بنوها ويحمونها) بشكل فيه الكثير من المغالطات ومن الحقائق المشوهة ، لكن يبدو ان الكاتب يصدق معظم ما يقوله ويأخذه على انه حقائق .

منطلق الكاتب صهيوني ، وبالتالي فان كل ما يقوله عن فلسطين وعن اليهود من آباء وابناء يتأثر بوجهة النظر الصهيونية . وهو يبدأ بوصف حالة اليهود المزرية في العالم في القرن التاسع عشر ، ويركز خاصة على يهود الاتحاد السوفياتي . ويقول انه كان يوجد امام اليهود ثلاثة طرق للخلاص من معاناتهم ومن الاضطهاد الغربي لهم ، وهي : (١) الهرب للعالم الجديد ، اميركا ، وخاصة لمدينة نيويورك التي اصبحت تمثل قدسا جديدة لليهود . (٢) الهرب السياسي الذي يضع الثورة كهدف نهائي له . ولذلك قام اليهود بحمل لواء الثورة السياسية — الاجتماعية في روسيا واوروبا الشرقية . يستشهد الكاتب بأن نصف اعضاء مؤتمر الحزب الروسي الديمقراطي الاشتراكي عام ١٩٠٣ كانوا من اليهود . (٣) الهرب من خلال القومية اليهودية . يقول الكاتب ان هذا الهرب جاء كرد فعل لاضطهاد اليهود في اوروبا ولنشوء حركات قومية اخرى . ويستشهد بمنشور صهيوني وزع في اوروبا الشرقية يقول « لقد تحرر عبيد اميركا وفلاحو روسيا . وتحررت بلغاريا . وقد حان الوقت لتحرير اسرائيل » . لقد تبنى الكاتب دون تحليل او تبرير الهرب القومي اليهودي ودافع عنه . ولم يحاول ان يبرر لماذا لم يقبل اليهود بالهرب الاشتراكي الديمقراطي ، خاصة وانهم كانوا يحتلون مكان الصدارة في الحركة الاشتراكية! كما ان الكاتب تبنى المنشور الصهيوني دون ان يحاول بأي شكل مناقشة جملة « تحرير اسرائيل » اذ لم تكن هناك اسرائيل ، ولم تكن فلسطين تعتبر ارضا محتلة ، الا اذا اعتبر اصحابها العرب محتلين وغاصبين . كذلك يقول الكاتب « ان الصهيونية كانت حتمية لليهود كحتمية الاشتراكية للبشرية في تطورها » مما يحول دون مناقشته لاي حل اخر للمشكلة اليهودية .

بعد ذلك يعطي الكاتب صفحات عديدة لمحاولة اثبات ان فلسطين في القرن التاسع عشر كانت ارضا وعرة مهملة مليئة بالمستنقعات وان الملاريا كانت متفشية فيها ، ليخلص الى القول انها ارض كانت تنتظر من يجلب الحضارة اليها ، ثم يذكر ان « الحضارة » الوحيدة في فلسطين في القرن التاسع عشر كانت في مستعمرة المانية يهودية خارج يافا . لكنه يؤكد نقطة اساسية حول القادة الصهيونيين وعي ان تصورهم السياسي قد أعماهم عن وجود شعب عربي وواقع عربي في فلسطين . ويستشهد باقوال بعض الصهيونيين الذين زاروا فلسطين و « اكتشفوا » ان فيها سكانا . لقد هرع ماكس نوردو الى هرتزل قائلا « لكن هناك عربا في فلسطين ! لم أكن اعلم ذلك ! اننا نرتكب اثما » . بعد ذلك ينتقل الكاتب الى الحديث بتفصيل واسهاب كبيرين يسببان مللا كبيرا للقارىء اذا لم يكن صهيونيا ، عن « ابطال » و « بطلات » من اليهود الذين « ناضلوا لتحرير وطنهم القومي وبنائه » . فهو يتحدث من صفحة ١٩٠ الى ١٩٥ عن « بطل » يهودي يدعى (ياد موردخاي) وعن العملية التي استشهد خلالها وعن التمثال الذي اقيم له الخ .. ويفعل الشيء نفسه حين يتحدث عن « بطل مظلي » (ص ٢٣٢ — ٢٣٥) يدعى (هارزايون) .

ثم يتحدث بتفصيل كبير عن حياة بن غوريون وموشي دايان وغيرهما من الزعماء الاسرائيليين . ومن الواضح ان هدف هذه القصص هو تقريب هؤلاء الاشخاص الى نفوس القراء ، واضفاء صفة البطولة عليهم وعلى الحركة الصهيونية ككل مما يخلق عطفا واعجابا كبيرين عند القراء تجاه هؤلاء الاشخاص وبالتالي تجاه اليهود والاسرائيليين عامة. والكتاب مليء بالمغالطات : فهو يحاول ان يظهر ان اليهود لم يسيئوا للعرب ورغم هذا اعتدى عليهم

العرب . ويظهر ذلك في مكانين : ففي صفحة ١٨٥ يكتب الحوار التالي بين ضابط عربي وعجوز يهودية . قال لها الضابط : « سوف نقتلك » . فسألته : « لماذا ؟ » فاجاب : « الا تعلمين اننا نقتل كل اليهود ؟ » فقالت : « لكنك لن تقتلني » . فسألها : « لماذا لا ؟ » فأجابت : « لانني لم أؤذك بتاتا » . كما يكتب حول النقطة نفسها صفحة ٢٢٣ « ان اليهود منذ قرن وهم يصارعون العدوان العربي عليهم في فلسطين اثناء محاولتهم العودة لاستيطان بلدهم » .

ويدافع عن العدوان الاسرائيلي بقوله ص ٢٢٤ « لقد فرضت الظروف على الاسرائيليين ان يعيشوا معظم حياتهم تحت السلاح في قلعة محاصرة » . وكان الاحرى به ان يسأل لماذا اسرائيل قلعة محاصرة ويخبرنا ما هي الظروف التي فرضت عليها تلك الحصار .

واخيرا يحاول الكاتب بكل وقاحة ان يصور القومية الفلسطينية بأنها « نوع من الصهيونية العربية » من حيث محاولتها استعادة الوطن . وهو يحاول دعم نقطته بقوله ان الفلسطينيين ما زالوا يستعملون الاسماء العربية للمدن والقرى الفلسطينية !! وهو يفترض ان ذلك نوع من الخيال والمثالية ، وان اي فلسطيني يفكر باستعادة فلسطين هو صهيوني عربي !! اي يريدنا ان نساوي بين الفي سنة مضت على خروج اليهود من فلسطين ، وبين عشرين سنة مضت على طرد الشعب الفلسطيني من ارضه .

وموضوع الكتاب الثاني مرتبط بموضوع الكتاب الاول ، وهو كيف تم الوصول لبناء الدولة الصهيونية في فلسطين . ويهتم هذا الكتاب بتطور الكيان اليهودي في فلسطين من مستعمرات الى دولة ومجتمع صناعي . ويختلف الكتاب الثاني عن الاول في طريقة العرض . فالكتاب الاول عرض عاطفي يعتمد قصصا وشخصيات واساطير ويتطرق الى تفاصيل كثيرة ، بينما الكتاب الثاني علمي وموزون في عرضه وهو يركز على عرض الحقب التاريخية للحركة الصهيونية ، وهي الفكرة او الحلم ، المستعمرات ، الوطن القومي ، الدولة ، ومشاكل الدولة .

هذا الكتاب مبني ايضا على افتراضات معينة تؤثر على نظرة كاتبه الى التطور التاريخي للحركة الصهيونية . فهو يبدأ من افتراض ان فلسطين وطن لليهود ويتكلم عن العودة كأنها امر طبيعي . ويظهر ذلك من قوله صفحة ٣ « عندما يتكلم المرء عن اسرائيل ، سواء عن ماضيها او حاضرها ، فهو يتكلم عن شيئين : عن ارض معينة في الشرق الاوسط وعن شعب معين له جذور في الشرق الاوسط » . ويضيف انه اسهل على المرء فهم فكرة الارض الموعودة من فهم فكرة الشعب اليهودي . ويقول الكاتب ايضا ان اليهود حملوا السلاح ضد العرب عام ١٩٤٧ لتحقيق هدفين : الاول الحفاظ على ارواحهم ووجودهم ، والثاني خلق دولة مستقلة خاصة بهم . الهدف الاول هدف كاذب لان وجود اليهود في فلسطين لم يكن في خطر عام ١٩٤٧ ولا قبله . اما الهدف الثاني فهو الهدف الحقيقي والوحيد لمحاربة اليهود لعرب فلسطين . ويحاول الكاتب بطريقة معينة ان يصور نكبة ١٩٤٨ على انها كانت نكبة للعرب واليهود معا ، لا بل لليهود اكثر منها للعرب ، اذ يقول بكل بساطة و «براءة» لقد أدت حرب ١٩٤٨ الى وجود مشكلة لاجئين معقدة اذ اصبح هناك مليون لاجيء يهودي ونصف مليون لاجيء عربي فلسطيني . ويضيف بوقاحة ان لجوء الفلسطينيين لم يكن متوقعا ولا معدا سلفا ولا مرغوبا به ، مع ان كل مخططات الحركة الصهيونية كانت تقوم اساسا على اجلاء الفلسطينيين عن فلسطين .

اما ما تبقى من الكتاب فيخصص لعرض مشاكل دولة اسرائيل بعد قيامها . وهذه المشاكل هي مشاكل عامة معروفة منها : هل الدولة ستصبح يهودية دينية ام علمانية ، مشكلة استيعاب المهاجرين الجدد ، مشكلة تخلف اليهود الشرقيين حضاريا وتكنولوجيا عن اليهود الغربيين في المجتمع الصناعي الحالي ، ومشكلة الاقلية العربية في فلسطين .

ان قراءة الكتاب الثاني مفيدة ، اما الكتاب الاول فقراءته غير مفيدة بتاتا لانه لا يتعدى كونه دعاية عاطفية محمومة .

باسم سرحان

هلدا شعبان صايغ ، **التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل** ، دراسات فلسطينية رقم ٨٥ ، (بيروت ، مركز الابحاث التابع لـ م.ت.ف. ١٩٧١)

اسرائيل ليست بلدا رأسماليا بالمعنى الكلاسيكي ، كما انها ليست مستعمرة بالتأكيد . واسرائيل ذات طبيعة خاصة جدا ، وخصائص المجتمع الاسرائيلي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية شبه فريدة . ان اية محاولة لفهم المجتمع الاسرائيلي عن طريق التعميمات الكلاسيكية والتشبيهات الرأسمالية المألوفة تظل غير قادرة على تقديم اية نتائج صحيحة ومنطقية على واقع دولة اسرائيل وحقيقتها . لذلك ان افضل وسيلة لفهم طبيعة المجتمع الاسرائيلي هي تقديم صور واقعية وامينة عنه في ماضيه وحاضره .

ان كتاب هلدا شعبان صايغ ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ، يساعد كثيرا في تكوين ابعاد وملامح الصور الواقعية والامينة عن ماضي المجتمع الاسرائيلي وحاضره . فهو — اي الكتاب — يوضح ابعاد الشرخ الحاصل في المجتمع الاسرائيلي منذ نشأة اسرائيل وحتى الان .

تعالج الكاتبة مشكلة التفرقة العنصرية بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين التي قامت في اسرائيل منذ تأسيسها . ولكثرة ما ورد في الكتاب من وثائق — يعود تاريخ معظمها الى الخمسينات والستينات — يمكن اعتباره احد المراجع الهامة التي تدحض ادعاءات المسؤولين الاسرائيليين والعناصر الصهيونية في العالم ، من ان مشكلة التفرقة العنصرية قد خفت حدتها ، او زالت ، بفضل جهود الدولة في العمل على دمج المهاجرين وصهرهم في « المجتمع الاسرائيلي الواحد » (!) .

التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ، مشكلة حددت الكاتبة ابعادها عبر عدة جوانب : الاول ، تاريخي يعود عهده الى القرون الوسطى ، والثاني ، يتعلق بالعوامل والاسباب التي ادت الى التمييز في اسرائيل في الوقت الحاضر . اما الجانب الثالث ، فيعدد مظاهر التمييز ، والرابع مظاهر الاحتجاج عند اليهود الشرقيين ضد هذا التمييز . اما الجانب الخامس ، فقد بحثت الكاتبة من خلاله مستقبل المشكلة في اسرائيل .

● ان ما يحدث الان في المجتمع الاسرائيلي من مظاهر التفرقة والتمييز بين اليهودي الاشكنازي (الاوروبي والاميركي) ، وبين اليهودي السفاردي (اليهودي الشرقي) ، يخالف تماما ما كان يحدث قديما من مظاهر التفرقة بين الاشكنازيين والسفارديين . فقديما ، « ظل الاشكنازيون منطوين على ذاتهم يتكلمون الفرنسية والالمانية حين نظروا الى اللاتينية في اوروبا على انها لغة الكنيسة وفلسفتها فلم يعنوا بها » . وهكذا بقوا معزولين عن الادب والثقافة. بينما كان السفارديون « اكثر واوسع ثقافة » بحكم اختلاطهم مع الشعوب التي عاشوا معها ، واطلاعهم على ثقافاتها وآدابها ، مما جعل ثقافة السفارديين « مزيجا من التوراة والتلمود ومن ارسطو وابن سينا ومن الميتافيزيا والعلم » . وتمتع السفارديون — لاجيال عديدة — بتميز على الاشكنازيين بالاضافة الى التميز الثقافي والذهني ، وهو تمكنهم من ان يثبتوا انفسهم في البلدان التي هاجروا اليها ، اذ كانوا « اغنى واكثر نفوذا من الاشكنازيين » . وقد بلغ تعالي السفارديين وكبرياؤهم ابعد الحدود ، واتخذ شتى المظاهر ، وكان منها مثلا « عدم تزوج اليهودي السفاردي او اليهودية السفاردية من الاشكنازيين ، واذا حدث هذا ، فان الفتى ، او الفتاة ، ينبذه مجتمعه » .

● الا انه — منذ بداية الهجرة في اوائل هذا القرن — انقلبت الآية ، واصبح الموقع المتفوق في صالح الاشكنازيين حيث نشأت تفرقة من نوع اخر اخذت بعدا حضاريا عميقا يعود تكونها الى عدة عوامل منها : « الرواسب الذهنية للتفرقة والخلافات القديمة » . فقد كان ترفع وتعالي السفارديين لعدة قرون على الاشكنازيين سببا في تكوين هذه الرواسب وازدياد حدتها . « لقد تركت المعاملة التي مارسها السفارديون اثرها العميق في نفوس الاشكنازيين الذين عاشوا عهودهم جميعها يحاولون — افرادا وجماعات — ان يتقدموا ويقفوا في موقف يوازي كبرياء السفارديين وتعاليهم ، وخاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر في انجلترا واميركا حيث كان السفارديون يتمتعون بنفوذ مادي واجتماعي لا يستهان به » .

وهناك عامل اخر ، وهو « تأصل عادة الاختلافات بين الطوائف والجاليات اليهودية » . فقد جاء

على لسان هرتزل نفسه قبل ان يؤمن بالصهيونية ما يشير الى هذا التأصل ، فقد قال : « لن يكون للوطن القومي أي معنى .. فحتى لو رجع اليهود الى وطنهم القومي ، فسوف يكتشفون في اليوم الذي يلي رجوعهم انهم لا ينتمون لبعض ، وانهم مختلفون لانهم تأصلوا في قوميات مختلفة » .ولهذا، ان ما يحدث في اسرائيل اليوم ان اليهودي الهنغاري يشعر بأنه هنغاري ، حين كان يشعر انه يهودي وهو في هنغاريا .

ومن العوامل النفسية التي تلعب دورا في ازدياد حدة التفرقة شعور اوائل اليهود الاوروبيين — وخاصة الصهيونيين منهم — « بأسبقية اليهود الشرقيين في الاقامة في فلسطين » ، لذلك كانت ردة فعل هؤلاء الاوروبيين من اليهود « تجاه اليهود الاصليين في فلسطين ، وتجاه اليهود القدماء الذي كانوا قد استوطنوها قبلهم .. » . وهناك عامل نفساني اخر ، وهو اعتقاد الغربيين « باقتران اليهود الشرقيين الذهني بالعرب » . فهم — اي الشرقيين — يشبهون العرب « في شكلهم وطريقة حياتهم وفي كثير من تقاليدهم » . وبالرغم من ان اليهودي الشرقي يهودي قبل كل شيء ، ويجب ان لا يكون هناك ما يبعده عن « سائر اخوانه في الدين » ، فتجد ان من بين الغربيين من يقول : « من يعلم ، قد يأتي اليوم الذي ينحازون (اي الشرقيون) فيه مع العرب ، اذ ليس هناك كبير فرق بينهم وبين العرب » . ان الحديث عن العلاقة الذهنية لليهود الشرقيين مع العرب يشير الى عامل اخر للتمييز وهو تخوف المسؤولين من ان تصبح اسرائيل بلدا متوسطيا . ان في خطاب ديان أمام اسرى حرب حزيران وهم يعودون الى بلادهم خير دليل على هذا التخوف ، فقد ورد على لسانه : « نحن اوروبيون بالرغم من ان بيننا كثيرا من اليهود الذين جاءوا من البلدان العربية » . ولم يفت الكاتبة ان تورد ردا على دايان حصلت عليه من نشرة الطائفة السفاردية التي تصدر في القدس ، وقد جاء في الرد « غريب ان يعيد وزير الدفاع الذي هو نفسه من مواليد الشرق (فلسطين) وليس من اوروبا ، غريب ان يتكلم بلغة سنة ١٩٢٠ ، وليس بلغة سنة ١٩٦٨ » . هناك العديد من الدراسات وضعها صهيونيون او من يتعاطف معهم تؤكد محاولات المسؤولين القصوى «تغريب» اليهود القادمين من بلدان شرقية بحجة تمدينهم ورفع مستواهم . فالمسؤولون في اسرائيل الذين هم من الغربيين يريدون تغريب الدولة وتغريب السكان « متعمدين عدم الاعتراف بما للشرقيين من تقاليد وثقافة وحضارة » .

لا بد من الاشارة الى عامل اخير ، وهو الفروقات الدينية والاجتماعية الحاصلة في اسرائيل . يجمع المؤرخون اليهود على « ان الناحية الدينية هي اعمق واشد عند اليهود الشرقيين منها عند الغربيين من اليهود » ، ولكن هذا لا يعني ان يكون جميع الشرقيين « ارثوذكسيين » — اي متعصبين . فالاختلافات في النظرة الى الدين بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين غير المتدينين « هي من الامور التي تفرق بين الطائفتين » وتعطي الغربيين مجال اتهام الشرقيين بالتأخر والتمسك بالتقاليد القديمة والرجعية ، علما بأن « المحافظين من اليهود الغربيين اكثر تعصبا ، واسوأ حالا ، في محافظتهم على التقاليد المتأخرة ولا احد ينتقدهم ». ولعل اهم الفروقات الناتجة عن اثر البيئة هو حب التملك عند اليهود الشرقيين مما « أدى الى اختلاف في وجهة النظر عند كل من الفريقين بالنسبة الى نظام الكيبوتز » .

● تكفي الاشارة الى تصريحات المسؤولين في اسرائيل فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية لاثبات وجود هذه التفرقة على مختلف الاصعدة ووضوح مظاهرها . فقد ورد على لسان اشكول في رده على التشكي بان الوظائف تعطى للاشكنازيين الذين يعرفون لغة اليديش ولا تعطى لليهود الشرقيين ، قال : « ليست المسألة بسبب كونهم لا يعرفون اليديش ، انما هي بسبب كونهم لا يعرفون شيئا». واشكول ، هو نفسه الذي قال « ان كل المهاجرين متساوون ، انما هناك مهاجرون متساوون اكثر ». قد يعتقد ان الدولة الصهيونية تعمل صادقة على ازالة هذه الفروقات واذابتها ، الا ان وجود التمييز ضد الشرقيين الذي بدأ منذ قيام الدولة، واشتد في الخمسينات ، واستمر في الستينات ، والذي لا يزال قائما حتى الان ، ان ذلك يدحض اكاذيب المسؤولين وادعاءاتهم ، الذين يحاولون تخفيف المشكلة « وطمس الحقيقة الى حد انكار وجودها ، او القول بأنهم تغلبوا عليها كليا » . فقد تقدمت رابطة مهاجري شمالي افريقيا خلال انعقاد مؤتمرها يومي ٤ — ٥ حزيران ١٩٦٨ نداء الى الحكومة والوكالة اليهودية طالبت فيه ان

تتوقفا عن الاهتمام والتخصيصات الزائدة التي تقدم لمهاجري (البلدان الغنية) ، وطلبت قراراتها « معاملة جميع المهاجرين بالتساوي واعادة النظر في السياسة المتبعة في الاحوال الاجتماعية والمعيشية والتعليمية والتوظيفية لكثير من عائلات المهاجرين الشرقيين الجدد » . ان الصهيونية تقع في تناقض واضح ، فهي تدعي بانها تسعى لاعداد ملجأ للمضطهدين (!) من يهود العالم وجنة للمتعبين والفقراء منهم من جهة ، حين تعمد الى الانتقاء بين المهاجرين ، « فتشجع منهم في الدرجة الاولى الاغنياء وهؤلاء الذين من بلدان غربية متقدمة » من جهة اخرى . ان تخوف المسؤولين من ازدياد عدد اليهود الشرقيين فيها تخشى معه تحولها الى بلد متوسطي ، « تسعى جاهدة للحد منه بشتى الوسائل والطرق ، تريد بذلك ان تطمس هويتهم وتدمجهم الى حد الصهر في المجتمع الاوروبي » . وجدير بالذكر أن المثقفين الشرقيين يعون هذا وينقمون عليه لانهم « يعرفون ان لا أمل في التقدم في دولة اسرائيل الا اذا تطبعوا بطابع يهود الغرب او تخلوا عن تاريخهم وتقاليدهم وذهنيتهم » . فقد قال اليشر ، رئيس مجلس الطائفة السفاردية عن الذين يتكلمون عن المزج وينفذونه بشتى الطرق ، المزج ، ذلك يتمثل في « تطعيم كل اليهود بثقافة غربية اشكنازية والتجاهل كليا عن كل الثقافات الشرقية ، متبعين في ذلك ما اراده لورد ماكولي للهند : (خلق مجتمع من اناس هنود بدمهم وبلونهم ، ولكن انجليز بذوقهم وافكارهم وعاداتهم وثقافتهم) » .

● قابل — ولا يزال يقابل — مظاهر التفرقة العنصرية هذه،مظاهر احتجاج عند اليهود الشرقيين ضد هذه التفرقة . ولعل ابرز مظاهر الاحتجاج السابقة ثورة وادي الصليب — وهو حي في حيفا ذو اوضاع سكنية سيئة كان يسكنه اليهود الشرقيون — فقد دامت هذه الثورة اربعة ايام ، من ٩ — ١٣ تموز ١٩٥٩ . وكان من ضمن نتائج هذه الثورة ان استدعى الكنيست كبار اليهود المغربيين « ووعدوا بأن يعطوا حقوقهم وحقوق غيرهم من اليهود القادمين من البلدان العربية ، وشكلت لجنة للتحقيق في الاحداث ، وفي احوال اليهود الشرقيين » . ولعل من اكثر النقاط التي وردت في تقرير اللجنة طرافة والما حديث احد اليهود المغربيين بأن زوجته تؤنبه باستمرار على عدم العمل مع انه يستجدي ان يعطى حتى اسوأ الاعمال واكثرها اهانة ولا يجدها. فقد قال المغربي : « طلبت يوما ان ارى مدير مكتب اليد العاملة ، وكان ذلك منذ سنتين ، فقيل لي انه مشغول ولا يستطيع ان يراني وما زال مشغولا (!) » ، هذا بالاضافة الى احداث عديدة وقعت في فترات مختلفة في تل ابيب وغيرها من المدن والمناطق ، رفع المتظاهرون خلالها يافطات تقول : « نريد ان نعيش مثل الاشكنازيين الاوروبيين » ، « نريد بيوتا » ، « نريد ماء » ، « نريد عملا » . ولم تقتصر مظاهر الاحتجاج على التظاهر وحسب ، بل وصل الامر الى حد الهجرة من اسرائيل . فقد ورد على لسان الناطق باسم اليهود الهنود « اننا نريد العودة الى الهند لاننا لا نجد هناك اضطهادا وتفرقة في معاملتنا ، بينما نعاني هنا في اسرائيل منها الكثير » .

لعل أبرز اخبار الاحتجاجات واقربها الى الرفض والعنف ، هي تلك التي نشرت عنها الصحف الاسرائيلية والعالمية في الشهور الاولى من عام ١٩٧١ عن قيام جماعة من الشباب اليهود الشرقيين بسلسلة من التظاهرات ، وكانت اعنف حلقة منها وأبرزها تلك التي « حدثت يوم ١٩٧١/٣/٣ نظمتها حركة الفهود السود ، وكل اعضائها من أصل شرقي ينتمون الى عائلات فقيرة ». وقد جاء في احد المناشير التي وزعت سؤال عن حق التظاهر في اسرائيل فقط « من حق اليهود الروس ، اليهود الذين ينتمون الى طائفة جولدا مئير ؟ » .

● ما هو مستقبل مشكلة التفرقة العنصرية في اسرائيل ؟ الكيان الاشكنازي الحاكم ، اذا اراد دمج الشرقيين في الحكم واشراكهم في تحمل المسؤوليات تعمد الى ادخال عناصر من اليهود الشرقيين موالية له ، اي انه يختار من يراه انه في جانبه ، ولا يشجع القيادات اليهودية الشرقية الصميمة . ان مشكلة التفرقة العنصرية في اسرائيل لم تحل ، « وليس هناك كبير امل في حلها نهائيا لان الشقة في اختلاف المستويات المعيشية بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين « تزداد معمرور الزمن، ولا بد لهذا التباين في المستويات ان يزيد الحقد والكراهية بين الفريقين » .

كلمة اخيرة لا بد من قولها والتي تتعلق باشارة الكاتبة البسيطة في نهاية البحث الى اهمية التفرقة العنصرية في اسرائيل بالنسبة للعرب ، وخلاصة

بعد أن رفع العرب شعار « الدولة الديمقراطية العلمانية » والتي يعيش في ظلها اليهود والمسلمون والمسيحيون في وئام وهناء ، وباشارة الكاتبة ايضا الى الامل الى كون اليهود الشرقيين « سيصبحون في المستقبل القريب الاغلبية الساحقة مما سيضعف من نفوذ الغربيين من اليهود المتزمتين والصهيونيين المتعصبين ، مما قد يكون له بحد ذاته أثر في القضاء على الصهيونية وارجاع البلاد الى أصحابها الشرعيين » .

قبل طرح شعار الدولة الديمقراطية العلمانية ، وقبل التهليل لتلك « الاغلبية الساحقة » من اليهود الشرقيين، لا بد من سرد بعض الملاحظات، على حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية ان تأخذها بعين الاعتبار اثناء محاولة فهم المجتمع الاسرائيلي ، خاصة ، ان كل الدلائل تشير على عدم توافر تحليل وفهم متكاملين لتركيبة المجتمع الاسرائيلي لدى أي من حركة التحرر الوطني العربية او الفلسطينية .

ان معظم الناس في اسرائيل ما زالوا يصنفون أنفسهم اجتماعيا من خلال البلدان التي جاءوا منها في الاصل ، وهذا النوع من الوعي الاجتماعي يشكل عائقا كبيرا في طريق الطبقة المضطهدة ويبعدها عن القيام بأي دور فعال في المجتمع من حيث تبديله وهدمه .

— ان ثورية الطبقة المضطهدة في اسرائيل مرهونة بالدرجة الاولى بعملية انهيار المؤسسة الصهيونية وسقوطها عبر ضربات قوى الثورة والتحرر العربية ضد الدعاية الاساسية للصهيونية والمبرر الرئيسي لوجودها .

— لا تقتصر الخصائص التي تميز المجتمع الإسرائيلي على كونه مؤلفا من المهاجرين فحسب ، بل انه مجتمع مستوطنين ايضا . وتكون هذا المجتمع بواسطة عملية استعمارية لم تتوقف على امتداد الثمانين سنة الماضية ، علما بأن الطبقة المضطهدة تدخل في عداد هذا المجتمع .

— ان الصراع بين مجتمع المستوطنين والمجتمع الفلسطيني العربي لم يتوقف مما ترك اثاره البالغة في بنيان السياسة الاسرائيلية والاقتصاد الاسرائيلي وعلم الاجتماع الاسرائيلي .

— ان الاضطهاد القومي لشعب آخر وتشريده هو الاساس الاولي لقيام المجتمع الاسرائيلي المضطهد (بكسر الهاء) واستمراره بحيث يصبح الاضطهاد جزءا لا يتجزأ من حياته .

— هذا يعني بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي انه طالما بقيت الصهيونية سائدة سياسيا وايديولوجيا باعتبارها الاطار السياسي المقبول لا يمكن ان تصبح الطبقة المضطهدة (بفتح الهاء) الاسرائيلية طبقة ثورية باعتبارها مشاركة في الاضطهاد المذكور ومستفيدة منه .

— لا يمكن اعتبار الاسرائيليين جماعة تعتنق دينا معينا وحسب ، وبالتالي توقع موافقتهم السريعة للانضمام الى المسلمين والمسيحيين لتقاسم الحقوق في ظل دولة فلسطين الديموقراطية العلمانية ، لانه لا يمكن حذف حقيقة تاريخية هامة وهي ان هذه المجموعة اصبحت الى حد كبير تشكل كيانا قوميا له لغته الخاصة وحياته الاقتصادية والثقافية المميزة .

— اذن ، قيام الدولة الديمقراطية الشعبية مرهون بانهيار المؤسسة الصهيونية قبل أي شيء اخر ، وهذه مهمة حركة التحرر الوطني الرئيسية في المنطقة وذلك عبر ضربات متتالية توجه الى المؤسسات والاجهزة التي توفر الدعاية الاساسية للصهيونية ومبرر وجودها .

لا يمنع ذلك من القول ، ان هلدا شعبان صايغ تضع بين أيدي العرب — على اختلاف اهتماماتهم واتجاهاتهم السياسية — وثيقة على جانب كبير من الاهمية ، يتحتم على جميع المهتمين بقضية العرب المركزية قراءتها والرجوع اليها في تحليل مجمل الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمجتمع المهاجرين . ان عرض الصور الواقعية والامينة عن ماضي المجتمع الاسرائيلي وحاضره يساعد كثيرا في تكوين فهم متكامل لطبقة المجتمع الاسرائيلي الخاصة ، وخصائصه شبه الفريدة .

مصطفى كركوتي

Samuel Rolbant, **Der Israeliche Soldat, Profil einer Armee,**
(E. S. Mittler & Sohn, Frankfurt a. M., 1970).

يسعى رولبانت في كتابه « الجندي الاسرائيلي : صورة الجيش » الى تعريف القراء الغربيين بالجيش الاسرائيلي وذلك من خلال اسطورة النصر الساحق لعام ١٩٦٧ ، ومهيئا في نفس الوقت هذا الرأي العام الغربي لخطوات اسرائيل المستقبلية من أجل تحقيق السلام الذي تريده وتتصوره . ويهدف من خلال العرض الى تبرير حروب اسرائيل واظهار تحرر الجيش الاسرائيلي من تصرف العسكريتاريا . ومن ميزات الكاتب كونه مدير معهد ميدوا للدراسات الاجتماعية والاقتصادية واستاذ علم الاجتماع في عدة معاهد عليا . كما انه اكتسب معرفة كبيرة بوضع الجيش الاسرائيلي من خلال عمله الطويل كضابط احتياط في قسم التربية والتعليم . تكمن فائدة الكتاب للقارىء العربي باحتوائه تحليلا اجتماعيا ونفسيا للجندي والجيش الاسرائيلي ، والقائه اضواء جديدة حول البناء الهيكلي والانساني لهذا الجيش . كما انه يعرض تصورا لتحقيق السلام النهائي يتجاوز التفكير الشخصي ويعكس بالاحرى رأي الزعامة العسكرية — السياسية في اسرائيل . لن نخوض في موضوع الفصلين الاولين من الكتاب لتقليديتيهما ، اذ يتحدث الفصل الاول عن تطور القوات الحربية الاسرائيلية ويتحدث الفصل الثاني عن هيكل هذا الجيش . سنهتم بالفصول الاخرى والتي تدرس سيكولوجية الجيش (الفصل الثالث) وروح الجيش (الفصل الرابع) واخيرا العناصر الاساسية للنظرية العسكرية الاسرائيلية او منطق الحرب (الفصل الخامس) . لن نتقيد بتقسيم الفصول بل سنسعى الى ابراز ومناقشة مواضيع محددة .

بالرغم من افراد الكاتب مقطعا خاصا بالضباط الا انه يسعى دائما وخلال الكتاب الى القاء مزيد من الاضواء على نمط اختيار وتدريب وترقية الضابط، لما لهذا الضابط من اهمية قصوى في الجيش الاسرائيلي، حيث ترتكز عليه كامل استراتيجية الهجوم .وتتطلب هذه الاستراتيجية سرعة الحركة والهجوم الدائم واختراق جبهة العدو وضرب طرق تموينه وتشتيت قطعاته وخلق حالة بلبلة في صفوفه اثر الصدمة النفسية واثر قطع الاتصال بين القطاعات وبينها وبين قواعد الانطلاق . ويترتب على سياسة الهجوم هذه ايجاد ضباط يتحلون بكفاءة عالية تؤهلهم قيادة فرقهم وجنودهم وتنفيذ الخطة العسكرية بدقة متناهية مع ثقة كاملة بالنفس للتصرف حسب المفاجآت وخصوصا للمقدرة على حسم المعركة لصالح اسرائيل وفي اقرب وقت ممكن ، وما يفرضه هذا الحسم من تعرض كبير لخطر الموت نتيجة الاندفاع الهجومي العالي ، الذي يرفض التوقف امام مقاومة العدو . فلذا يختار الضابط في اسرائيل اضافة لشرط المستوى الثقافي على اساس شروط اضافية اخرى ومنها المقدرة على البروز واظهار الشجاعة على رأس جنوده والتقدم الدائم بالرغم من الصعاب . يضاف الى ذلك توفر مستوى عال من الثقة بالنفس مع توفر ذكاء تكتيكي لمواجهة والتغلب على هذه الصعاب . ويعطي الكاتب امثلة على هذا المسلك من خلال هجوم حزيران ١٩٦٧ ، حيث استطاعت قطاعات عديدة ، انقطعت عنها المساعدة المرتقبة بسبب حجم وسرعة الهجوم ، التغلب على التجمعات المصرية التلقائية دون التخفيف من سرعة التقدم . ان المبدأ الاساسي الذي يخضع اليه الضابط والجندي هو الامانة في كتابة التقارير . وكان من نتيجة التأكيد على اهمية الشجاعة التفضيل الدائم لضباط صغار العمر نسبيا لتوفر ظروف موضوعية وذاتية تؤهلهم للتضحية غير المتناهية ، ومن الجدير ذكره ان مرشح الضابط يختار من بين المجندين بعد فترة ستة اشهر من التدريب العادي ويبقى خلال تأهيله باتصال دائم مع زملائه الجنود ليقودهم بعد ذلك في نطاق الخدمة الالزامية وفي فترة الاحتياط والاستدعاء .

يقوم الضابط في العصر الحديث بثلاثة ادوار وهي : قائد جنود يمتاز بشجاعة عالية ، ومدير عسكري واخيرا اختصاصي فني . ويرى الكاتب انه مع ارتفاع مستوى التقنية في الجيش يرتفع الالحاح على مقدرة الضابط الادارية ، ووصل هذا الالحاح الى حد بدأ معه اهمال مفاهيم عسكرية قديمة . فلقد أصبحت روح القتال الشخصية لدى الضباط مسلكا محافظا تجاه وسائل واهداف المشاريع العسكرية ، لرفض هذه الروح في التطور التكتيكي والتطوير التنظيمي . وكتب المؤلف هذه الانطباعات

من خلال معايشته للتطور التنظيمي والتقني الذي شاهده الجيش الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ . حيث بات على هذا الجيش تغيير استراتيجيته بعد تحقيقه بعدا جغرافيا واصبح أمام ظروف جديدة تحتم عليه رفع تعداد الجيش العامل ومجابهة حرب الخنادق على القناة وما يرافق ذلك من ابتعاد بعض قطاعات الجيش عن داخل اسرائيل ، وكذلك الاستعداد لاجتياز القناة ووضع احتمال احتلال القاهرة ودمشق وعمان. ونتيجة لهذه الاستراتيجية الجديدة جهز الجيش بأسلحة حديثة ومعقدة تحتاج الى كفاءة تقنية عالية ــ وتتطلب مقتضيات هذه الاستراتيجية تطوير تدريب الضباط وتشجيع قسم منهم على البقاء في الجيش العامل مدة اطول .ومن ضمن هذا التشجيع تسهيل الترقي السريع .

ليس من المفروض على الضابط في الجيش الاسرائيلي ان يكون مثالا للجندي يهتدي به في جميع جوانب الحياة ، على الضابط فقط التحلي بالكفاءة اللازمة من ناحية الاستعداد والمستوى العسكري . ولكن عليه من جهة اخرى الاستحواذ على حد ادنى من معرفة التعامل مع الجنود . فيخضع الضابط لدورات خاصة يحصل من خلالها على معرفة بعلم النفس وعلم الاجتماع . وتهدف هذه الدورات الى توطيد العلاقة بين الضابط والجنود ومنع نشوء طبقية في الجيش والابقاء هكذا على الصورة الشعبية للجيش . وكان من الاهتمام البارز لدى المسؤولين الاسرائيليين، وعلى رأسهم بن غوريون، على دمج الجيش بالشعب وجعله محورا للتفاعل بين الفئات المتعددة ، قرارهم دمج العناصر المتدينة مع باقي الجنود ، ولكن مع اعطائهم امتياز اتمام واجباتهم الدينية ، واخضاع الجيش في نفس الوقت لحد ادنى من الانضباط الديني . فيقدم لكل مجند جديد نسخة من التوراة ، كما يشرف رجال الدين على اعداد الطعام في الثكنات والنوادي العسكرية ، قد يكون هدف دمج المجتمع سببا في التشديد على الطقوس الدينية داخل الجيش ولكن من المؤكد ان السبب الاساسي هو مسعى حكام اسرائيل اعطاء الصورة الدينية للدولة الصهيونية خلافا لاقتناعهم واقتناع اكثرية اليهود الغربيين ، وذلك لكسب تأييد معظم اليهود الامريكيين ، الذين يمتنع معظمهم عن تطبيق تعاليم الدين ولكن يريدون فولكلوريا من اسرائيل تحقيق ذلك . ومن جهة اخرى لتجنب الانفصام التام بين الحياة الجندية والحياة المدنية قررت القيادة السياسية في اسرائيل الحاق المجندات بوحدات الجنود ، فيقمن بأعباء الخدمات الملائمة وذلك لايجاد احتكاك يومي بين الجنسين تشبها بالوضع في الحياة المدنية ، وفي نفس الوقت توجيه عنصر الرجال لاعباء عسكرية اخرى . ولقد اكدت الخبرات ان الفتاة لا تستطيع تحمل وطء المعارك وسرعة الهجوم ولذا ارتؤي ، خصوصا بعد حرب حزيران ، عدم ارسالها الى الخطوط الامامية والاكتفاء بنشاطها في الخطوط الخلفية .

لكن مبدأ الاندماج الكامل وتكافؤ الفرص لم يطبق على اليهود الشرقيين وميزة الكتاب القاءه اضواء ولو بطريقة مواربة على وضع الشرقيين في الجيش. يعطي الكاتب احصاءات حول المستوى التعليمي للجنود الشرقيين ونوردها في آخر المراجعة على شكل جدول مقارن .

في عام١٩٦٧/١٩٦٨ كان ٧٥بالمائة من المجندين الجدد الذين لم ينهوا الدراسة الاساسية من الشرقيين. بينما كانت نسبتهم الى مجموع المنتهين من هذه المرحلة الدراسية فقط ١٣ بالمائة . مما يظهر لنا اضافة الى الجدول الملحق مستوى الانخفاض التعليمي لهؤلاء الشرقيين . ومن السهل استنتاج موقف الجيش الاسرائيلي من هؤلاء الشرقيين ، وذلك في جو الاهتمام الكبير بالكفاءة الذهنية والعملية تجاوبا مع مستلزمات الحرب الحديثة ، ويعترف الكاتب ضمنا ان القسم الاكبر ممن يرفض الجيش استدعاءه للخدمة العسكرية هم من الشرقيين وذلك لسجلهم غير النظيف ، كما أن الجيش يطرد خلال المرحلة الاولى من التدريب قسما اخر لعدم انضباطيته . ويفسر الكاتب هذا الوضع بطريقة غير مباشرة من خلال تعليقه على الوضع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الشرقي في اسرائيل ، حيث يقبع الفقر وينخفض المستوى الثقافي والمهني ، ويترك الاولاد المدرسة باكرا ، فيمارسون اعمالا هامشية تذكي لديهم روح التمرد على المجتمع ، ويقر الكاتب ان المستوى الثقافي لمعظم الجنود الشرقيين لا تؤهلهم اكثر من العمل في فرق المشاة والتي تلعب دورا ثانويا في استراتيجية الجيش الاسرائيلي ، كما نستطيع الاستنتاج ان عددا وافرا منهم ملتحق بالاعمال البسيطة في الوحدات الاخرى . ويبدي الكاتب تفاؤلا غير مناسب من أن الوفا منهم وصلوا الى

درجة عريف ، وذلك نسبة لجيش لا يقل تعداده عن ٢٧٠ ألف جندي . هنا نطرح التساؤل : ماذا يعني قول الكاتب من أن التناقض بين الجندي والضابط غير حاصل في اسرائيل لانتساب الضباط الى جميع افراد الشعب . لم نستنتج ذلك من خلال احصاءاته ولا من خلال تحليله . فحتى ان مراكز صفوف الضباط يحتلها الاشكنازيون . تتماثل في الحقيقة وظيفة الجندي الشرقي مع وظيفة الفتاة في الجيش اي تحرير الشباب المتعلم والكفؤ مهنيا (أي الاشكناز) من الاعباء البسيطة وتوجيههم نحو الاعباء الاساسية للجيش الاسرائيلي والذي هو بدوره من اعلى الجيوش تحديثا في العالم . لا نتلمس من تجربة الجيش الاسرائيلي تحسينا لوضع اليهودي الشرقي بل عكس ذلكنتلمس تفاوتا شاسعا بينه وبين الجندي الاشكنازي .

ويبدي الكاتب أسفه لفشل محاولة تعليم الشرقيين خلال المرحلة الاولى من الجندية . ويعلل ذلك ايضا بمسلك الشرقي المتمرد على المجتمع والذي يرفض على نفسه نعت المتخلف . ويعتقد المسؤولون عن التعليم (ومنهم المؤلف) أن سنوات الخدمة العسكرية ستخلق الحافز الفكري والمادي لاتمام التعليم الاساسي والحصول على مهنة . فعلا يهيىء الجيش دورات تعليم عادي وتأهيل مهني سريع بمساعدة مكاتب العمل وذلك بعد انتهاء الخدمة العسكرية . ولكننا لا نتبين تفاؤلا حقيقيا من قبل الكاتب بالرغم من توفر الجمل اللبقة حول نجاح التجربة . كما ان نسبة ٢٠ الى ٣٠ بالمائة من منتهي الخدمة العسكرية والمستفيدين من هذه الدورات لا تقول شيئا عن نسبة الشرقيين . فقد تحتوي هذه النسبة عددا كبيرا من الجنود المسرحين الاشكناز ، ممن تركوا المدرسة دون انهاء المرحلة الاساسية ، ولم يتعلموا مهنة مفيدة .

يسعى الكاتب الى اظهار موضوعية في تحليل الوضع العربي. يعترف بمقدرة الفرد العربي وتوفر اعداد كبيرة من الاختصاصيين لدى العرب لكنه يرجع الضعف العربي الى افتقار الشعب العربي للتنظيم والتعاون . ويعترف بحق العرب في فلسطين لكنه يضع هذا الحق في نفس مستوى «الحق» اليهودي مرددا القول بأن القومية اليهودية تقبل التعايش مع القومية العربية الفلسطينية الا ان الاخيرة ترفض هذا التعايش . وبالرغم من مسعاه الى اظهار عدم الكراهية تجاه العرب تجاوبا كما يدعي مع التربية الاسرائيلية ، الا انه في الحقيقة يعبر عن بعض النظريات العنصرية ، حيث يصور الرفض الجماهيري العربي لاسرائيل مرضا . واصبح العرب بنظره مشكلة لانفسهم . ولا يخفى علينا المعنى الحقيقي لهذا التشخيص . فالمرض الجماعي هذا ما هو الا مرض المرحلة الانسانية — الاجتماعية التي يعيشها العرب ، اي مرحلة تصادم البداءة مع الحضارة . يتطلب من العرب الاقتناع باسرائيل للتحرر من بدائيتهم هذه . وكما أن المستعمرين الاوروبيين استعملوا القوة لترويض السكان الاصليين ، وجب على اسرائيل استعمال لغة القوة الوحيدة التي يفهمها العرب . ولا يكتفي الكاتب بمظاهر القوة الاسرائيلية لاقناع العرب ، بل يذكرهم بقوة اسرائيل في التوراة . ويطلب من القادة العرب قراءة التوراة والتلمود لمعرفة قوة الجندي والجيش الاسرائيلي .

ويستهزىء من جهة اخرى بالدراسات العربية حول اسرائيل فطابعها بنظره بدائي . ولا ندري اي دراسات يريد . هل يريد من البحاثة العرب رفع لواء الاستيطان الصهيوني الاستعماري ؟ ام يريد منهم خلق التخاذل الشامل لدى الشعب العربي من خلال تصوير اسرائيل بدلا من التوجه الى تحليل مقومات العدو ؟ ام انه يريد منهم اتباع خطى قسم كبير من العالم المسيحي الذي يربط وجود اسرائيل وتوسعها بنصوص التوراة ؟

كما ذكرنا في البدء يحتوي الكتاب على تحليل للاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية الجديدة . وحان الوقت لالقاء الضوء عليها . لن نتحدث عن اسباب ومقومات الاستراتيجية المتبعة حتى حرب ١٩٦٧ . فلقد اضحت معروفة . ولكن سنتحدث هنا عن الاستراتيجية الجديدة . ويبدو لنا من خلال التحليل انه ليس بصدد عرض آراء خاصة بل يسعى الى تحضير الرأي العام الغربي لعدالة وسلامة الاستراتيجية الجديدة . ولما كانت هذه الاستراتيجية تعتمد كما سنرى على ربط الاعمال العسكرية بالاهداف السياسية مباشرة من خلال تسييس هذه الاعمال العسكرية ، فمن الاكيد مشاركة الكاتب من خلال شخصه والمؤسسة المشرف عليها على بلورة هذه الاهداف السياسية . يعترف رولبانت ان الاستراتيجية الاسرائيلية التقليدية لم تحقق السلام الاسرائيلي بالرغم من تحقيقها نصرا كاسحا . ولذا يتوجب على الاستراتيجية الجديدة

تحقيق هذا السلام . ولقد مهد الاحتلال الجديد لاكتساب خبرة في هذا المجال . اذ استطاعت الخطوات الاسرائيلية بمشاركة الجيش اقناع اهالي الضفة الغربية بفائدة التعاون مع اسرائيل (تناسى الكاتب ذكر غزة) . كما اكد لهم الاحتلال ان اسرائيل ليست بعدوانية كما صورها لهم الزعماء العرب . واستفادة من هذه الخبرة يجب تطوير الاهداف السياسية للعمليات العسكرية والتي من اهدافها احتلال القاهرة ودمشق وعمان . ان الهدف المباشر من الاحتلال المرتقب تعريف الفرد العربي بالفرد والجندي الاسرائيلي وبالمعاملة الاسرائيلية . وازالة عن طريق هذا الاتصال ما غرّس لديهم من اوهام (!!) حول عدوانية اسرائيل والجيش الاسرائيلي . ويتطلب مثل هذا الاحتلال دراسة جميع الوسائل القادرة من جانبها التأثير على العرب لتحقيق هذه الامنية . ولذا يجب دراسة قضية الحوار مع الزعماء والشباب ، وتهيئة الادارة الرسمية المنتجة . وكان الكاتب يتوقع (في اوائل عام ١٩٧٠) ان تقوم القوات الاسرائيلية باجتياز القناة وضرب القوات المصرية ، بسبب تضايق اسرائيل من حرب الاستنزاف التي كانت قائمة حينذاك وتكلف اسرائيل الكثير من الارواح والاموال دون الحصول على نتائج ايجابية . وتستطيع مصر مع الوقت توفير قوة نار تفوق قوة النار الاسرائيلية ، كما يدعم مصر احتياطي سكاني كبير ، يؤهلها للاستمرار الطويل . وهكذا نجد ان الغرور اوصل اسرائيل الى حد يفوق كل تصور . انها تتناسى تجربة غزة وتأخذ الضفة الغربيةجاعلة منها فلسفة . واوصل حمى البقاء والتسلط اسرائيل الى حد يجرها في حال عودة العرب الى حرب الاستنزاف الى الدخول في رحى المغامرة الكبرى . وكانت المانيا النازية قد سبقت اسرائيل الى اتباع نمط هذه المغامرة ونعرف جميعنا النتيجة . الا اذا كانت اسرائيل تأمل عون الولايات المتحدة وأماني الولايات المتحدة . يأمل الكاتب نجاح الاستراتيجية الجديدة وفي حال فشلها يرى بالاحتلال الطويل ضغطا يحقق الاستسلام العربي الشامل .

	عام ١٩٦١	عام ١٩٦٧/١٩٦٨
الجنود الحاصلون على دراسة من ١٢ سنة واكثر	٩ ٪	١٣،٥ ٪
الجنود الحاصلون على دراسة ثانوية غير منتهية	١٦ ٪	٢٢،— ٪
الجنود الحاصلون على الدراسة الاساسية(٨سنوات)	٤٠ ٪	٤٤،٥ ٪
الجنود غير المنتهين الدراسة الاساسية	٣٦ ٪	٢٠،— ٪

ملاحظة : مجموع نسب عام ١٩٦١ تفوق ١٠٠ ٪ ويرجع الخطأ الى المؤلف .

نبيل بدران

Shlomo Avinery (ed.), **Israel and the Palestinians** (St. Martin's Press, N. Y., 1971).

تام بتحرير هذا الكتاب وجمع مواده والتقديم له مطولا شلومو أفينيري رئيس قسم العلوم السياسية ورئيس مؤسسة اشكول للابحاث في الجامعة العبرية في القدس . ومع ان الموضوع العام الذي يدور حوله الكتاب هو « اسرائيل والفلسطينيون » كما يدل على ذلك العنوان الا ان الموضوع الحقيقي للكتاب هو فكرة الدولة الفلسطينية بهدف ابراز اهميتها والدعوة الذكية الى اقامتها باعتبارها المخرج المعقول الوحيد من المأزق الحالي للصراع العربي — الاسرائيلي وباعتبارها لا تمس سيادة اسرائيل من ناحية وتعطي الشعب الفلسطيني وطنا وارضا ودولة من ناحية اخرى . بطبيعة الحال تتطرق مقالات الكتاب الى مواضيع متعددة اخرى تتعلق بعلاقة الشعب الفلسطيني باسرائيل وخاصة في الضفة الغربية ، الا ان الفكرة المحورية تبقى البحث عن مخرج من المأزق عن طريق الدولة الفلسطينية (في الضفة الغربية مثلا) . في الواقع يريد هذا الكتاب ان يقول انه بمعزل عن اقامة مثل هذه الدولة لا مخرج من الصراع والحروب في المنطقة على الاطلاق . هذا لا يعني ان المقالات الواردة في الكتاب لا تختلف فيما بينها بالنسبة للحماسة التي تبديها لفكرة الدولة والتمنيات التي تبنيها عليها كذلك لا يعني انها لا تختلف بالنسبة لتحديد طبيعة الدولة ونوعية العلاقة التي ستربطها باسرائيل . الا ان الاختلافات تبقى في النهاية حول جزئيات الموضوع وتفاصيله وليس حول مبدئه وجوهره . يضم كتاب افينيري مقالات لعدد من الكتاب الاسرائيليين المعروفين مثل هاركابي وآري الياف عضو الكنيست والامين العام لحزب العمل الاسرائيلي وعطاالله منصور عضو هيئة تحرير جريدة « هاآرتس » وعزيز شحاده وهو محام من رام الله يقدمه محرر الكتاب على انه « من القيادات الفلسطينية البارزة جدا في الضفة الغربية » ، بالاضافة الى عدد من اساتذة الجامعات في اسرائيل من الذين كتبوا حول علاقة الفلسطينيين باسرائيل . وجدير بالذكر ايضا ان الكتاب يضم نص حديث اذاعي لموشي دايان دافع فيه عن نفسه في وجه النقد الذي وجهته اليه بعض الاوساط الاسرائيلية بسبب دعوته الشاعرة فدوى طوقان الى منزله . ومن نافل القول ان الكتاب معاد تماما لحركة المقاومة الفلسطينية ويشدد على قضية امن اسرائيل بالمفهوم العسكري الضيق للعبارة وهو غير محبذ لفكرة الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة .

يظهر التشديد على ضرورة اقامة الدولة الفلسطينية في مواضع عديدة من الكتاب . على سبيل المثال يذهب بعض الكتاب ، بما فيهم آفينيري نفسه ، الى اعتبار الملك حسين عقبة أساسية في وجه تحقيق الدولة الفلسطينية والى القول انه بدون التخلص منه لا يمكن لمثل هذه الدولة ان تقوم بصورة جدية . كما يقول كل من ايحود سبرينزاك (الاستاذ المساعد في قسم العلوم السياسية في الجامعة العبرية في القدس) وآفينيري بأنه كان سيكون مسرورا لو ان حركة المقاومة تمكنت من الاستيلاء على السلطة في عمان في شهر ايلول ١٩٧٠ ، اذ ان ذلك كان من شأنه ان يضع الحركة في موقع المسؤولية ويعطيها دولة تهتم بها وبكل مشاكلها ومشاغلها ، مما سيجعل فتح اقل تشبثا بمواقفها « المتطرفة » كما ان اعطاء الفلسطينيين « مكانا لهم تحت الشمس » سيهدىء كثيرا من شعورهم الساخط بأنهم اصبحوا «منبوذي الشرق الاوسط» . ويذكر الكتاب بهذا الصدد انه مع ان عددا من القادة الاسرائيليين كانوا قلقين مما قد يحدث لو نجحت حركة المقاومة في اسقاط العرش الهاشمي والاستيلاء على السلطة الا انهم كانوا على استعداد ايضا للتعايش مع الوضع الجديد والتكيف معه . وتأييدا لهذا الرأي يشير الى التصريح الذي اطلقه آلون عشية معركة أيلول في الاردن حيث قال ان اسرائيل ستكون مستعدة للتفاوض حول معاهدة سلام مع الفلسطينيين في عمان اذا كانوا هم على استعداد لذلك ، تماما كما كانت ترغب في التفاوض على تسوية مع الملك حسين (مقدمة الكتاب) .

يبدو ان الكتاب يمثل وجهة نظر تيار معين في الاوساط المثقفة والسياسية الاسرائيلية وله صلات وانصار في الدوائر الحاكمة (والمخابرات بلا شك) وهو يعمل على طرح افكار ومشروعات من النوع المذكور على الرأي العام الاسرائيلي والفلسطيني والدولي بحيث تتواجد هذه الافكار الى جانب

غيرها من الاراء المطروحة حول تسوية الصراع العربي الاسرائيلي وتبقى قيد التداول باعتبارها احتياطي شبه جاهز يمكن اللجوء اليه (أو الى أجزاء منه) من قبل الدوائر الاسرائيلية الحاكمة حسب تطور ظروف الصراع المحلية والدولية ووفقا لما يستدعيه توازن القوى ونموه بين اطـراف الصراع . اي ان فكرة الدولة الفلسطينية باقية قيد التداول الجدي بالرغم عن ارتفاع وانخفاض اسهمها من حين لاخر الا انهـا تظل مشروعـا احتياطيا متوفرا للسلطات الاسرائيلية يمكنها اللجوء اليه اذا دعت الحاجة الملحة الى ذلك . ويتميز هذا الاتجاه الصهيوني المتجدد ، كما يبين ذلك الكتاب ، بمحاولة الظهور بمظهر من يراجع الموقف الصهيوني التقليدي فيالنظر الى الشعب الفلسطيني (أي « النيولوك » الصهيونية) واتباع تكتيك جديد في التعامل معه يتناسب مع المرحـلة الحالية . ويرتكز هذا التيار في نظـرته « المجددة » علـى الاسس التالية : (١) الاعتراف الصريح بوجـود الشعب الفلسطينـي والشخصية الفلسطينية . (٢) الاعتراف بوجود الوعي الوطني وحتى القومي الفلسطيني . (٣) الاعتراف بالظلـم الذي لحق بالشعب الفلسطيني من جراء قيام دولة اسرائيل . (٤) تصوير الصراع مع الصهيونية على نحو درامي او مأساوي ، اي على اساس كونه صراعا مؤسفا ومحتما بين « حقين » (اي حق كل من الشعب الفلسطيني واليهودي في فلسطين) نتج عنه وضع مأساوي شبيه بالترجيديات اليونانية . والهدف من هذا التجميل الادبي لمفهوم الصراع هو اخفاء واقع معين وهو قيام اسرائيل على عملية استعمارية استيطانية أدت الى قهر شعب آخر واضطهاده وتجريده من وطنه . (٥) الاستنتاج بأن الحـل الوحيد المعقول والممكن للصراع هو الذي يعطي الشعب الفلسطيني حقوقه القومية وعلى اسرائيل تحقيق هذا الحل عن طريق مساعدة الفلسطينيين على اقامة دولة مستقلة متحالفة مع اسرائيل (في الضفة الغربية وحدها او مضافا اليها الضفـة الشرقية) . كما يحدد شمعون شامير (استاذ الدراسات الشرق اوسطية في جامعة تل ابيب) في مقاله أهدافا اضافية لهذا التيار تتلخص في تحقيق الاعتراف العربي بأنه من المستحيل تدمير اسرائيل في المستقبل المنظور ، استخدام الفرص التي خلقتها حرب ١٩٦٧ لانهاء الصراع « وانقاذ ما يمكن انقاذه من المجتمع الفلسطيني الذي يسير في طريقه الى الانحلال » ، وتحسـين الاوضاع المعيشية للفلسطينيين مع تحقيق حد أدنى من أهدافهم القومية المعقونة (أي الدولة الفلسطينية) (ص ٢٥) .

وفي رأي الجنرال المتقاعد بيليد (وهو دكتور في التاريخ الاسلامي والادب العربي) تكمن المشكلة السياسية الاساسية بالنسبة للفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال (بما فيهم عرب ١٩٤٨) في تمكينهم من التعبير عن سيادتهم السياسية وكيفية تحقيق ذلك بدون الدخول في مشاحنات حول الحدود . كما يؤكد الجنرال ان جزءا كبيرا من نزاع الاسرائيليين مع الشعب الفلسطيني يكمن في حرمانه من كل فرصة للتعبير عن سيادته لذلك يستنتج الجنرال « ان افضل ما يخدم مصالح اسرائيل هو زوال العرش الهاشمي، باعتباره غريبا عن الفلسطينيين، واتاحة الفرصة أمام الشعب ليعبر عن سيادته الفلسطينية ، اذا كان يرغب في ذلك » (ص ١١٦). كذلك يقترح عطاالله منصور انه على اسرائيل ان تشجع خلق المصالح المحلية وتنميتها في الضفة الغربية كمقدمة لاقامة الدولة الفلسطينية (ص١٢٥).

ومن ناحية اخرى يهدف الكتاب الى الايحاء بأن المواجهة التـي تمت بين الشعب الفلسطينـي والاسرائيليين بعد الاحتلال ادت الى قيام مناقشة عامة وواسعة في اسرائيل حول الشعب الفلسطيني وقضيته ، كما يذكر آفنيري ان الرأي العـام الاسرائيلي يسير الان باتجاه انفتاح اكبـر على القضية الفلسطينية ، لذلك يشدد على ان جوهر النزاع هو في حقيقته بين الاسرائيليين والفلسطينيين ولا يمكن تسويته الا باتفاقهما . لذلك يعمد الكتاب الى ابراز اسماء عربية ليبرهن على رغبة سكان الضفة الغربية في قيام دولة فلسطينية مرتبطـة باسرائيل . اما الاسماء التي يبرزها فهي عزيز شحادة ومنصور عطاالله عن طريق ادخال مقالاتهم في الكتاب ، والشيخ الجعبري باعتباره زعيم منطقة الخليل ، وعدد من اصحاب المهن الحرة في رام‌الله (لم يرد ذكر لاسمائهم باستثناء الدكتور الفاروقي) بالاضافة الى بعض اعضاء الاسر المهمة في القدس . كذلك يأتي الكتاب على ذكر شخصية قيادية مـن القدس شغلت منصب وزير في احدى الحكومات الاردنية لانه قام بجولة محاضرات دعا فيها الى ضرورة اعتراف الفلسطينيين باسرائيل واقامـة علاقات سلمية معها وان ضمان حقوق كل مـن الشعبين الفلسطيني والاسرائيلي لا يمكن ان تتحقق

الا عن طريق تطبيق مبدأ التقسيم . كذلك ورد ذكر لوزير سابق آخر ورئيس بلدية احدى مدن الضفة الغربية لانه دعا في جامعة تل ابيب الى السلام مع اسرائيل واقامة علاقــة فيدرالية بين الدولة الفلسطينية واسرائيل . كما يذكر الكتاب ان احد وجهاء القدس ، كان مسؤولا عــن السياحة في الضفة الغربية قبل الاحتلال وكان في يوم ما ضابطا في الجيش السوري ، أعلن في مهرجان انه توصل الى قناعة بأن التسوية لا يمكن ان تكون عن طريق الدولة الثنائية او عن طريق الاتحاد الفيدرالي بين اسرائيل والدولة الفلسطينية وانما عن طريق تعايش الشعبين على اساس الجوار (أي قيام دولـــة فلسطينية في الضفة الغربية على أقل تعديل) — وقد أغفل الكتاب اسماء هؤلاء الاشخاص عمدا . كذلك يذكر الكتاب ، بهذا الصدد ، المجموعة التي تصدر صحيفة « القدس » والملتفين حولها ويعطيها قدرا كبيرا من الاهمية لانها تنشر مقالات تدعو الى تسوية « واقعية » للنزاع مـــع الاسرائيليين من خـــلال مبادرات يقوم بها الفلسطينيون في الضفة الغربية ، وهناك اشارة الى ان عدد هذا النوع من المقالات قد ازداد بصورة ملحوظة منذ الضربة التي تعرضت لها المقاومة في الاردن في أيلول ١٩٧٠ (ص ٢٦ — ٢٧) .

يضاف الى كل ذلك عدد من التأكيدات مـــن قبل الكتاب بأن الرأي العام الشعبي في الضفة الغربية قد تبدل بالنسبة للموقف من اسرائيل وهو يميل الان الى الرغبة في تحقيق السلام « بأي ثمن » (ص ٢٨ ، ١١٩ ، ١٢٢) . ونلاحظ هنا اولا ، ان المؤلفين الذين يطرحون الرأي الاخير حول موقف جماهير الضفة الغربية لا يأتون بأي برهان او بينة من اي نوع لتأييد اقوالهم باستثناء انطباعـــاتهم الشخصية ومحادثاتهم مع بعض الوجهاء العـــرب والمتعاملين مع الاحتلال ، لذلك يضطرون الى تقديم هذه الانطباعات بصورة تقريرية وكأنهـــا حقائق بديهية مما يضعف من قيمتها وقوتها في نظر اي قارىء يتمتع بشيء من الحس النقدي . ثانيا ، واضح جدا ان مجوعة الاسماء العربية التي يبرزها الكتاب في الدعوة للدولة الفلسطينية تنتمي كلها الى صف القيادات والوجاهات التقليدية والرجعية التي سقطت تاريخيا ولم يعد لها اي رصيد شعبي حقيقي ، والسبب الوحيد لاستمرارها في الهيمنة وتمكنها من اسماع صوتها على هذا المستوى يعود الى دعم سلطات الاحتلال لها في مراكزها ، تماما كما كان النظام الملكي يفرضهـــا على الشعب الفلسطيني في السابق . ان العبرة الاساسية التي نستخلصها في هذا الكتاب هو ان مشروع الدولة الفلسطينية ما زال حيا يرزق وموجودا في الاجواء ومطروحا في الاوساط الامبريالية باعتباره اجراء احتياطيا ممكن ان تتصرف على اساسه اسرائيل في حال اضطرارها الى ادخال تبديل جذري ومفاجىء على الخريطة السياسية القائمة في المنطقة حاليا ، وكل هذا يدعو القوى الثورية الفلسطينية والعربية الى ضرورة اليقظة المستمـــرة ازاء احتمال لجوء اسرائيل الى خطوات واجراءات توصل في النهاية الى الدولة الفلسطينيـــة التابعـــة والخاضعـــة لاسرائيل .

صادق جلال العظم

J. Hajjar, L'Europe et les destinées du Proche-Orient, (1815 - 1848) Bloud et Gay. 1970.

اذا قلنا ان اهم المراجع والدراسات والابحاث المتعلقة بالشرق العربي وبقضاياه ومشكلاتـه السياسية والاجتماعية والتاريخية قد نشرت في اللغات الاجنبية او قام بتأليفها مستشرقون غربيون، فاننا لا نكون قد تجاوزنا الحقيقة كثيرا . وكتاب المؤرخ العربي السوري ج. حجار « أوروبا ومصائر الشرق الادنى » هو من ضمن الدراسات التاريخية العديدة التي كتبت باللغة الاجنبية والتي تتناول بالبحث الحقبة التاريخية الاولى في تاريخ العرب المعاصر ، تلك الحقبة التي شهدت ولادة الحركة القومية العربية وبدايـة المخططات الاوروبيـة الاستعمارية لتقاسم المنطقة العربية ولزرع القواعد الامامية وتعميق التجزئة على كل المستويات . ولكن قبل ان نحاول تقييم هذا الكتاب الضخم والمدعم بالوثائق والمراجع القيمة لا بد لنا من عرض سريع لاهم الموضوعات التي يتناولها . ان هدف المؤلف الاساسي كان اعادة كتابة تاريخ الكنيسة المسيحية في الشرق الادنى . الا أن أبحاثه ودراساته قادته الى الاقتناع بأن تاريخ الكنيسة لا يمكن ان يدرس بعيدا عن التاريخ العام للمنطقة بكل ما يعنيه هذا من تاريخ اجتماعي وسياسي واقتصادي خاصة وان دور الكنيسة (المحلية والاجنبية) كان يتعدى المجال الديني والتبشيري ليتعاطى بأمور سياسية بحتة . هذا عدا عن التجاوزات الخطيرة وتحول رجال الكنيسة في الكثير مـن الاحيان الى أدوات مباشرة وغير مباشرة بيد الاستعمار الاوروبي ليحقق بواسطتها مشاريعه ومخططاته في المنطقة . من هنا كان من الضروري على المؤرخ ان يعالج ظاهرة محمد علي وفكـرة الوحدة العربيـة والقضيـة الفلسطينية . وهذا ما فعل . وهنا تكمن ، في رأينا قيمة الكتاب .

يتألف هذا الكتاب من قسمين رئيسيين :

القسم الاول وهو بعنوان « الاستقرار الاوروبي والاضطرابات الشرقية » ويمتد من عام ١٨١٥ الى عام ١٨٣٣ . وفي هذا القسم يتكلم المؤرخ عـن البعثات التبشيرية البروتستانتية و« اكتشافها » للشرق وللقدس وكيف بدأت الاماكن المقدسة في فلسطين تثير المنافسة الاوروبية المتمثلة بصراع الطوائف من بروتستانت وكاثوليك وارثوذكس .

ثم بعد وصف مطول لهذا الجو ينتقل للكلام عن تجربة محمد علي الذي أنشأ أول دولة عربية موحدة وكان أول من أدخل التحديث والاصلاحات العديدة في المجـال الاقتصادي والاجتماعـي والسياسي والتربوي الى الشرق وكيف ان تجربته الرائدة أثارت غضب أوروبا فنشأ تحالف لم يسبق له مثيل بين السلطان العثماني « المسلم » وبين أوروبا المسيحية من أجل هدف واحد : القضاء بأي شكل على محمد علي . ويشير المؤرخ الى ان اوروبا التي كانت دائما تبدي قلقها على « مصير » الاراضي المقدسة وعلى مصير المسيحيين في الشرق لم تتوان لحظة عن التحالف مع السلطان العثماني الذي كان دائما يمثل بالنسبة اليها « عـدو المسيحية رقم واحد » ضد محمد علي الذي كان اول من اتخذ اجراءات دينية متحررة واعطى الطوائف المسيحية كل حقوقها في ممارسة شعاراتها الدينية وساواها بالطوائف المحمدية . ويتكلم المؤرخ طويلا عن تجربة محمد علي ونضاله المستمـر من أجل الحريـة والاستقلال والتنمية وكيف ان اوروبا عارضته على طول الخط وأعادته الى « حجمه الطبيعي » كوال بسيط وصغير من ولاة السلطنة العثمانية المتداعية، وكيف ان الوحدة العربية اخذت تبرز بقوة وكيف ان أوروبا فطنت الى هذا « الخطر الجديد » فحاولت بكل الوسائل ابعاد كابوسه فكانت النتيجة اختيار فلسطين لتكون الحاجز الطبيعي في وجه أية وحدة عربية محتملة .

وتصل الى **القسم الثاني** من الكتاب وعنوانه : « من المطامح المصرية الى الوصاية الاوروبية » ويمتد من عام ١٨٣٣ الى عام ١٨٤٨ ويعالج فيه المؤلف قضية الوحدة العربية وارتباطها آنذاك بالاستقلال المصري ويطرح فيه السؤال التالي : هل كانت الامبراطورية العربيـة المحتملة تهـدد التوازن الاوروبي ؟ ولا يعطينا المؤلف جوابا على هذا السؤال الكبير الا أنه بشرحه وتوسعه في الكلام على عنف ردة الفعل الاوروبية يظهر لنا مدى تخوف اوروبا من أي انبعاث عربي حقيقي . وقد ظهر الجواب على هذا السؤال واضحا من خلال تحركات السياسة الاوروبية آنذاك التي تميزت بالامور التالية : اثارة الفتن الطائفية (مسيحيين —

مسلمين) خاصة في سوريا ، استغلال الخصوصيات الاقليمية لكل بلد (في لبنان وسوريا وفلسطين)، الاعتماد على الجواسيس والعملاء (القنصليات — المرسلين) ، العمل العسكري المباشر (مساعدة عسكرية بروسية وروسية للجيش العثماني — تدخل عسكري مسلح) ، التفكير بانشاء وطـن قومي لليهود في فلسطين ليكون قاعدة أمامية للاستعمار الاوروبي في المنطقة ولانشال أي تحرك عربي تحرري في المستقبل .

وبالنسبة لهذه النقطة الاخيرة بالذات ، يخصص المؤرخ حوالي مئتي صفحة (من ص ٣٢٥ الى ص ٥١٦) للكلام عن المشاريع الكثيرة التي بحثت آنذاك والمتعلقة بمصير فلسطين . وهو يشدد على مشروعين رئيسيين فشلا في ذلك الوقت وهما : مشروع بارسال اليهود الى فلسطين ومشروع تدويل القدس . والجدير بالذكر ان هذين المشروعين قد برزا بشكل واضح مباشرة بعد تصفية محمد علي وهذا ما يدفعنا الى القبول بوجود علاقة متينة وعضوية بين أحداث المنطقة ككل والقضية الفلسطينية بشكل خاص .

هذه هي الخطوط العريضة لهذا الكتاب الضخم والذي لا غنى عنه للباحث في تاريخ المنطقة العربية المعاصر ، خاصة وانه يعتمد في مراجعه على الوثائق الاوروبية (المحفوظات الديبلوماسية لكل من النمسا وبروسيا وروسيا وفرنسا وبريطانيا) وعلى أهم ما كتب حتى الان عن تاريخ المنطقة . الا ان الثغرة الوحيدة في هذا المجال (وهذا في رأينا لا يعود الى المؤلف) هو عدم وجود اية مراجع عثمانية والسبب في ذلك هو ان الحكومة التركية لم تفرج حتى الان عن الوثائق والمحفوظات المتكدسة لديها . ثم ان المؤلف يضيء لنا حقبة مجهولة من تاريخنا المعاصر ما زالت مضاعفاتها وآثارها جاثمة على الاحداث الراهنة . فهو قد أضاء لنا الحقبة التي شهدت ولادة القومية العربية (وهذا حسب تقرير القنصل النمساوي فون بروكش الذي قال بالحرف الواحد : « انني أرى الاعجاب المتزايد بمحمد علي في كل البلاد الناطقة باللغة العربية وأرى **يقظة الروح القومية العربية** » ...) وولادة أول دولة عربية موحدة . كما أشار الى التاريخ الذي بدأت فيه معركة الاستعمار ضد الوحدة العربية ونتائج هذه المعركة التي نعيشها اليوم (انشاء دولة اسرائيل — تعميق التجزئة العربية) وهو وان لم يشر بصورة مباشرة الى هذا الترابط العضوي الا ان السياق العام للكتاب : اهتمام اوروبا بالشرق — التذرع بحماية المسيحيين — تجربة محمد علي — القضية الفلسطينية — استقلال لبنان القائم على الطائفية ، كل هذا يؤكد الترابط ويظهر بشكل واضح ان الوحدة العربية هي خطر حقيقي يهدد المصالح الاستعمارية لانها السبيل الى التقدم والتنمية والاستقلال .

وفي النهاية نرى من المفيد ان نضع أمام القارىء هذا المقطع من المقدمة التي وضعها المؤلف لكتابه : « ان ليبرالية محمد علي قد فتحت الشرق الاوسط أمام السياح والحجاج الاوروبيين ، فأصبح الوضع السياسي لمدينة القدس والامتيازات التي منحتها السلطة الاسلامية للحجاج المسيحيين موضع تساؤل ، لم تعد هذه الحقوق والواجبات كافية . وهنا تفتق خيال الحكومة النمساوية عن مشروع بتدويل الاماكن المقدسة . وقد رفض هذا المشروع بالاجماع الا ان الكثير من المؤسسات الدينية والسياسية والثقافية ستتمخض عنه وتتحول الى قلاع للنفوذ الغربي . فازاء النظام الكنسي الشرقي، الارثوذكسي بشكل خاص ، المدعوم من روسيا ، تقام ابرشية انكلو — بروسية لخدمة مؤمنين لا وجود لهم في الاصل وتعاد اقامة البطريركية اللاتينية وذلك لارجاع تقليد يعود لزمن الصليبيين. والرابط بين مختلف هذه المؤسسات المتنافسة ليس رابطا عفويا ابدا . وبالاضافة الى هذه المؤسسات أخذت تولد المشاريع السياسية — الاجتماعية الطموحة التي تفتقت عنها مخيلات بعض منظمات الفرسان الصليبيين وبعض كبار رجال المال اليهود . فكان هناك مشروع بانشاء مملكة اريستقراطية صليبية في لبنان وآخر بعودة كثيفة لليهود الى فلسطين . كان هناك الكثير من المشاريع والكثير من المؤسسات والكثير من البذور للمستقبل ايضا » .

كل هذا يدفعنا الى التساؤل : هل هذا الكتاب كتاب تاريخ ام هو قصة تنبؤية ام ان التاريخ يعيد نفسه ؟ ان الاجابة على هذا تكمن في قراءة هذا الكتاب القيم والذي سد نقصا كبيرا في المكتبة التاريخية العربية .

ماجد نعمة

رد اولي على كتاب "لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة" لمحمد ابو شلباية

الدكتور عدنان العمد

هذا الكتاب هو أول كتاب سياسي يصدر في القدس العربية منذ الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ . وقد صدر الكتاب في اواخر العام الماضي (٨٦ صفحة) والمؤلف محمد ابو شلباية ربما يكون الاسم الوحيد المعروف من بين المعلقين السياسيين العرب في الجرائد العربية الصادرة تحت الاحتلال مثل جريدة القدس وهي جريدة الجهاد سابقا وقد جرى بعد الاحتلال تعديل كبير على هيئة تحريرها واتجاهها واسلوبها . وقد سبق لمحمد ابو شلباية ان قدم العديد من الاراء التي طرحها في الكتاب في عدة مقالات وتعليقات في جريدة القدس وجريدة الانباء (وهي جريدة تصدر بالعربية في المناطق المحتلة قبل عام ١٩٦٧) وقد دارت هذه المقالات والتعليقات حول موضوع « دولة فلسطينية » في المناطق المحتلة متعايشة مع دولة اسرائيل وقائمة على أساس الانتخابات المحلية او على أساس وجود تجمع فلسطيني سياسي داخل المناطق المحتلة يستطيع الى حد ما تمثيل الشعب الفلسطيني والتعبير عن مشاكله وتطلعاته نحو المستقبل ، لهذا فان الكتاب يبدو للقارىء الذي سبق واطلع على تعليقات ابو شلباية وكأنه اعادة لهذه الآراء على شكل كتاب . ومحور هذه الاراء يدور حول فكرتين اساسيتين هما : ١) ان الشعب الفلسطيني شعب مخدوع عربيا ودوليا وان جميع الاطراف تتآمر على مستقبله ومصيره وانه لغاية الان لم تتوفر له فرصة للاختيار او لتقرير المصير . ٢) بعد سلسلة الهزائم العربية والفلسطينية ليس هنالك من طريق للشعب الفلسطيني سوى تشكيل دولة في المنطقة المحتلة عام ١٩٦٧ على ان تكون هذه الدولة متعايشة ومتصالحة مع اسرائيل ومستقلة مرحليا عن الاردن وباقي الدول العربية .

حول هاتين الفكرتين يقدم ابو شلباية تشكيلة من الاراء السياسية والاجتماعية والعسكرية تتراوح بين « عقد سلام متكافىء وحر وقائم على نيل كل ذي حق حقه المشروع » (ص ٦) وبين « قيام اتحاد الجمهوريات العربية الذي سيضم الدولة الفلسطينية وجميع الدول العربية ودول الاقليات القومية في الوطن العربي كاليهود في فلسطين والاكراد في العراق والزنوج في السودان والبربر في دول المغرب العربي » (ص ٨٦) . وحول فكرة عقد السلم المتكافىء وفكرة قيام اتحاد الجمهوريات العربية يضم الكتاب خمسة فصول هي : اقامة دولتين في فلسطين ، ماعز وضان ، تسليم الضفة، المنظمات الفلسطينية ، ماذا يريد الفلسطينيون . وسوف نستعرض ونحلل هنا ما تحتويه هذه الفصول ، ليس فقط من أجل معرفة ماذا يقول الكاتب ولكن ايضا لاظهار الهوة الفكرية العميقة التي تفصل بين تفكيره ومعالجته للمشاكل المطروحة — باعتباره احد الذين يعيشون الاحتلال يوميا — وبين تفكير ومعالجة قيادة الثورة الفلسطينية لهذه المشاكل — باعتبارها القيادة التي تعيش نضال الشعب الفلسطيني يوميا وتقود هذا النضال في مناطق التشرد واللجوء منذ عام ١٩٦٧ .

وربما يساعدنا هذا الاستعراض الى تبين أسباب ودوافع هذه الهوة ، هذا اذا اعتبرنا ابو شلباية يمثل وزنا سياسيا لفئة او طبقة من الفلسطينيين الذين دفعتهم ظروف النكسة الى اليأس والانهزامية وقبول الامر الواقع حيث يبدو لهذه الفئة ان تغيير

الامر الواقع مستحيل بدون مساهمة اسرائيل في هذا التغير بالشكل الذي يضمن لها ليس فقط السيادة المطلقة على الاجزاء المحتلة عام ١٩٤٨ ولكن بضمان شكل من السيادة العسكرية والاقتصادية (الاتحاد الفيدرالي) على المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ . اذا كان ابو شلباية يمثل حقا مثل هذا الاتجاه — وهذا تخمين يحتاج الى المزيد من الاستقصاء — فان الكتاب يمكن اعتباره جزءا من الردة السلبية على الاحتلال والتي بدأت تعم أوساطا رسمية وشعبية عديدة في الوطن العربي منذ قبول بعض الحكومات العربية للحلول السلمية (قبول الهدنة ، قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، مهمة يارينج ، مشروع روجرز ، وساطة منظمة الوحدة الافريقية) .

وبغض النظر عن الحجم الجماهيري الضئيل الذي تمثله فكرة قيام دولة فلسطينية « مستقلة » تحت ظروف الاحتلال والاغتصاب الاسرائيلي اذا ما قيست بالحجم الجماهيري الذي تمثله فكرة قيام دولة فلسطينية ديموقراطية تحت ظروف الكفاح المسلح لاجل تحرير كل شبر من الارض المحتلة كشرط أساسي لقيام مثل هذه الدولة ، سنحاول بالقدر الذي تستطيع أدوات التحليل السياسي مساعدتنا في ذلك ، ايضاح ابعاد الهوة الفكرية التي تفصل بين المنطلق الثوري والمنطلق الاستسلامي في النظر الى حل مشكلة الاحتلال ، وسوف يؤدي هذا الايضاح الى تبيان مدى تأثير هذه الهوة على مسيرة التحرير الفلسطينية .

والهدف من هذا التحليل هو ليس اعطاء كتاب ابو شلباية أهمية أكثر من التي يستحقها بقدر ما هو اعتبار الكتاب نموذجا للاراء والافكار التي يمكن ان تنشأ لدى فئة من المثقفين تعيش اليوم في فلسطين تحت عوامل سياسية واجتماعية تتحكم فيها قوانين الاحتلال وتوجهها مصالح القوة المحتلة . ويدل وجود مثل هذه الافكار وعملية الاقدام على نشرها في كتاب انه بينما ترفض قيادة الثورة الفلسطينية أي تفكير في وضع الثورة موضع مساومة في سوق العروض السياسية لاقامة دولة فلسطينية تكرس الاحتلال محليا ودوليا وتقدم ثمنا لهذا الرفض آلافا من الشهداء تعلو في المناطق المحتلة — وفي بعض العواصم العربية — اصوات (لم يجر لغاية الان تقييم وزنها سياسيا) تدعو الى اضفاء الشرعية على واقع الاحتلال الاسرائيلي باعتبار الدولة الاسرائيلية شريكة لشعب فلسطين في أرضه ولا بد ان تلتقي هذه الدعوة (سواء بقصد او بغير قصد) مع ادعاءات السلطات المحتلة بديموقراطية الاحتلال وانسانية الحكم في المناطق المحتلة اذا ما قورنت بما يلاقيه الانسان الفلسطيني اينما حل . (هذا الادعاء ادعاء محبب لجميع الاجهزة الصهيونية العاملة حاليا في الداخل والخارج وقد كرره اكثر من مسؤول اسرائيلي في مناسبات عديدة وهو أكثر الادعاءات استعمالا في المناقشات والندوات التي يشترك فيها يهود او صهاينة للرد على انصار الثورة الفلسطينية في الخارج .)

وفي اعتقادنا ان اظهار خطر هذه الافكار لا يتم بمجرد استعراضها وتحليلها ومعرفة دوافعها ومصادرها اذ أن هذه العملية تتطلب دراسة وتحليل كل ما يصدر وينشر ويوزع من ادب سياسي وصحافي واعلامي داخل المناطق المحتلة (١٩٤٨ و ١٩٦٧) . ولكنه يمكن القول بثقة ان أمر مواجهة خطر هذه الافكار يتطلب بجانب المقاومة المسلحة وتقوية قواعدها والاكتتاب في تنظيماتها السياسية والعسكرية في داخل المناطق المحتلة ايجاد المؤسسات والروابط الاجتماعية والاقتصادية المتينة بين قيادة الثورة الفلسطينية وجماهيرها في المناطق المحتلة ، فاذا كانت العمليات العسكرية تحقق حاليا جزءا نسبيا من ايجاد التفاف شعبي عفوي حول هذه القيادة فان تنظيم هذا الالتفاف وترجمته الى رفض جماهيري مطلق لاي مظهر من مظاهر الاحتلال يتطلب في المرحلة الاولى التركيز على التثقيف السياسي والتوعية الاعلامية الهادفة الى ايجاد فكر ثوري سائد في المناطق المحتلة لا تستطيع عملية الاحتكاك اليومي بالسلطة المحتلة واجهزتها ان تنفذ من خلاله — مباشرة او غير مباشرة .

تحليل محتوى الكتاب حسب تسلسل فصوله

الفصل الاول : اقامة دولتين في فلسطين : ان عنوان هذا الفصل كما يتبين من الآراء المطروحة فيه يعيد الى الاذهان مشاريع التقسيم العديدة التي فبركتها سلطات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية قبل عام ١٩٤٨ والمشروع الجديد الذي يقترحه ابو شلباية في هذا الفصل ليس الا عملية تجميل لوجه قبيح أطل على الجماهير الفلسطينية في عدة مناسبات عسيرة كلما احتدمت رغبات هذه الجماهير الحقيقية مع مرحلة من مراحل تنفيذ المخطط الاستعماري الصهيوني للاستيلاء على

فلسطين (١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٧) .

في صفحة ٩ من الكتاب يتساءل الكاتب هل قضية فلسطين من التعقيد بحيث لا يقدر احد من الاقوياء وغير الاقوياء على حلها ! ويستشهد بعدة قضايا معقدة تم حلها بأقل ما يمكن من الكوارث اذا ما قيست بالكوارث التي تمخضت عنها القضية الفلسطينية ويذكر على سبيل المثال الجزائر وجنوب اليمن وكوريا وكوبا . وينسى الكاتب في هذا المجال أن قضية الجزائر كلف حلها اكثر من مليون شهيد جزائري ونتج عن حلها استقلال الجزائر واعلان سيادة الشعب الجزائري على جميع اراضيه . وان الحكومة الفرنسية سبق وان عرضت على الشعب الجزائري عدة مشاريع « سلمية » مثل الحكم الذاتي ضمن الدولة الفرنسية ومثل التمثيل البرلماني للجزائر في البرلمان الفرنسي ولكن اصرار الشعب الجزائري على النضال من أجل السيادة الحقيقية والكاملة على ارضه هو الذي أجبر فرنسا في النهاية على الانسحاب كليا من الجزائر واعتبارها دولة ذات سيادة ذاتية . وقد دخلت الجزائر الساحة الدولية كدولة امثولة في تاريخ التحرر والاستقلال وعلى اثر معركة استقلال وليس على أساس مفاوضات استقلال وقد تمت هذه المفاوضات بعد معارك شديدة بين الجيش الفرنسي وقوات جبهة التحرير الجزائرية وكانت اقرارا لانتصار الثورة الجزائرية وليس استجداء منها لمنح الاستقلال .

أما مشاكل جنوب اليمن وكوبا وكوريا فلا تقل معارك استقلالها نضالا وتضحية عن معارك استقلال الجزائر . ولا بد من التنبه هنا الى أن الكوارث التي يصاب بها شعب مستسلم لا يمكن قياسها تاريخيا بالكوارث التي تأتي نتيجة للنضال حيث ان هذه الاخيرة هي التي تصنع تاريخ الامم والدول اما كوارث الاستسلام فهي التي يتم بواسطتها سحق الامم والدول والغاء وجودها السياسي والحضاري وهذا بالذات (وهو ما يعيه ابو شلباية ولكنه ربما تحت ظروف الاحتلال لم يتحول وعيه لاكثر من الرفض اللفظي للاحتلال او المطالبة بتحويل الاحتلال الى سلم متكافىء) هو ما تقف بوجهه الان الثورة الفلسطينية .فالثورة الفلسطينية — كفكرة وممارسة — ترفض ان يتقلص وجود الشعب الفلسطيني الى دويلة تابعة لاسرائيل مع الامل او التمني بأن تضبح هذه الدويلة فيما بعد جزءا من دولة عربية موحدة لا يمكن فصل العمل من اجل قيامها عن العمل من اجل انهاء السيادات الاجنبية (ومنها اسرائيل) عن الوطن العربي .

مرة اخرى يجب التشديد هنا عند مقارنة الكوارث والحلول التي نتجت عنها لعدة قضايا قومية او سياسية في التاريخ على أن القضايا التي اتبعت الشعوب في حلها اسلوب الكفاح المسلح ضد قوى محتلة مثل الجزائر وفيتنام وكوريا — باعتبار الوجود العسكري الامريكي احتلالا — او قوى محلية عميلة مثل كوبا وفيتنام الجنوبية كانت نتيجة الحل اعادة السيادة للقوى صاحبة الحق الاصيل في النزاع ولم يحدث ان نال فيها كل ذي حق حقه فكما لا يمكن تجزيء السيادة او منحها بالتقسيط كذلك لا يمكن تجزئة الحق ومنحه بالمطالب السلمية كما يحلو للطرف القوي في النزاع ان يوحي او يوهم الطرف الضعيف في المراحل الاولى من النضال او في لحظات يكون فيها الطرف الضعيف وكل ما ينتج عنه من فكر وتصرف واقعا تحت عوامل نفسية وفيزيولوجية ضاغطة — اجهزة اعلام الثورة المضادة ومؤسستها العسكرية .

أما تصوير القضية الفلسطينية على انها نزاع بين أطراف متساوية في شرعية مطالبها (يتحدث ابو شلباية في صفحة ١٠ عن مصالح الشعبين الفلسطيني واليهودي ويقول بالحرف الواحد « تتلخص القضية الفلسطينية باختصار شديد في وجود شعبين فوق ارض فلسطين هما الشعب الفلسطيني والشعب اليهودي . ») فهو وقوع لا عذر فيه في مأزق تاريخي لا يمكن الخروج منه سوى باعتبار الحق اليهودي في فلسطين متساويا ومنافسا للحق الفلسطيني وهذا اعتبار مغلوط تاريخيا . ان مثل هذه الفرضية المغلوطة تتطلب عملية تزييف دينية وتاريخية وقد قامت الحركة الصهيونية وحكومة اسرائيل فعلا بمثل هذه العملية وليس رفض الشعب الفلسطيني للوجود الاسرائيلي في فلسطين سوى جزء من مرحلة التصدي لهذا التزييف . وقد تبرع عدة مؤرخين حياديين — من بينهم أرنولد توينبي وبرتراند رسل وماكسيم رودنسون — بايحاء من وعيهم للتاريخ ودراستهم الحيادية للوثائق والاحداث لفضح ادعاءات اسرائيل في حق اليهود التاريخي في فلسطين — وحتى قرار قبول اسرائيل في الامم المتحدة عام١٩٤٨ لم يتخذ على أساس وجود مصلحة

للشعب اليهودي في فلسطين او وجوده كجزء من سكانها الاصليين ولكنه اتخذ نتيجة تآمر سياسي لعبت فيه المصالح الاستعمارية البريطانية والامريكية والصهيونية الدور الاول . وقد بدأت مراحل هذا التآمر بمنح الحكومة البريطانية وعد بلفور للورد روتشيلد واشرافها بعد ذلك على تنظيم الهجرة اليهودية اللاشرعية الى فلسطين وانتهت المرحلة الاولى من هذا التآمر باعلان الدولة الاسرائيلية والحماية الدولية التي منحتها اياها الدول الكبرى . اذن فالقول هنا بأن « الشعبين الفلسطيني واليهودي » قد رحبا بحل التقسيم وآمنا به عند اعلان الامم المتحدة له سنة ١٩٤٧ (ص١١) ليس فقط تجنيا على حقائق التاريخ ولكن يوجد فيه تجن اكثر على نضال الشعب الفلسطيني ومقاومته للانتداب وللتقسيم وللوجود الاسرائيلي .

اذا كان من الممكن فرضا لكاتب فلسطيني ان يكون قد سها عن ما حدث في فلسطين منذ عام ١٩١٧ فانه من غير الممكن ان يسهو عن مشاعر الشعب الفلسطيني تجاه التقسيم عام ١٩٤٧ ، واذا كان الكاتب يذكر « ان حزب العمال والحزب الشيوعي الفلسطيني قد أيدا اقامة دولتين في فلسطين ، وهذا يعني ان الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني قد أيدت ذلك الحل وباركته » (ص ١٢) فانه يرتكب هنا عدة اخطاء في جملة واحدة عدد كلماتها خمس وعشرون كلمة ، فبجانب خطأ التعميم والتبسيط الساذج لامور اكثر تعقيدا واعمق جذورا فانه ينسب مجموع الحركة الوطنية الفلسطينية عام ١٩٤٧ الى جزئين لا غيرهما دون أن يقدم على ذلك دليلا ملموسا واحدا سوى اعتقاده هو بذلك .

ولاجل اسقاط منطق هذه الجملة وما بناه الكاتب من هرطقة فكرية على هذا المنطق يجب اولا التفريق بين عدة مسائل أهمها ثلاث : ١) هل كانت قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني تمثل عام ١٩٤٧ حقا (وفي مسألة قومية) الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني خاصة والمسألة تتعلق باقتطاع جزء من وطنه واقامة دولة صهيونية عليه . ٢) ألم يع الحزب الشيوعي الفلسطيني آنذاك ان التقسيم كان سيجر على العمال والفلاحين مصائب وخسائر تفوق في حجمها وشدتها المصائب الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تجرها عليهم عمليات الاستغلال للرأسمال الفلسطيني المحلي ؟ ٣) ان اتهام ابو شلباية للفئات التي عارضت التقسيم من اجل مصالحها الخاصة ونتيجة لوقوفها آنذاك على رأس الحركة الوطنية بسبب امتلاكها الثروات في فلسطين بأنها سبب جميع الكوارث والمآسي فيه تضخيم لحجم الدور الذي لعبته هذه الفئة وفيه خلط غير منطقي بين محاولته تصوير التقسيم على انه من مصلحة الطبقة العاملة واعتقاده بخيانة القيادات الفلسطينية التقليدية عام ١٩٤٨/١٩٤٧ لانها عارضت التقسيم .

ان شعار مقاومة ورفض التقسيم عام ١٩٤٧ لم يكن ملكا لفئة واحدة او طبقة فلسطينية معينة فقد صبت في هذا الشعار مجموعة الشعارات القومية والاجتماعية لكافة العناصر التي كانت تتفاعل داخل الحركة الوطنية في فلسطين . ومحاولة نسب هذا الشعار لفئة واحدة هي القيادات التقليدية عام ١٩٤٧ لتبرير قبول الحزب الشيوعي الفلسطيني للتقسيم والارتفاع بهذا القبول الى مرتبة اعتباره عملا وطنيا ومتطابقا مع مصلحة الجماهير الفلسطينية يدل على عدم ادراك الكاتب لمدى الترابط والتلاحم بين القضية الوطنية والقضية الاجتماعية لهذه الجماهير .

ان لقاء القيادات « المصلحية » والجماهير الكادحة حول شعار قومي موحد لا يعني ان الشعار بحد ذاته كان خاطئا بقدر ما يعني ان الحركة الوطنية آنذاك كانت تعكس التركيب السياسي والاجتماعي القائم في فلسطين ، وان هذا التركيب قد مكن فئة ضئيلة (بغياب المؤسسات الديموقراطية) من تصدر مراكز القيادة على اساس قومي محافظ ودفع بفئات سياسية اخرى الى منزلقات فكرية على اساس اجتماعي بحت وقد انكشفت خطورة هذين الاتجاهين اذا انفرد احدهما في حسم القضية ، مع مرور الزمن ومع انكشاف ما يعنيه تقسيم فلسطين عمليا واقامة دولة اسرائيلية على اراضيها . لهذا فان استنتاج ابو شلباية بأن الثورة العربية الكبرى او ما يسميه بالنكبة الهاشمية « قد ساهمت في وضع البلاد تحت الاستعمار الغربي ولعبت دورا كبيرا في محاربة الحل العادل للقضية الفلسطينية الداعي الى اقامة دولتين في فلسطين » (ص ١٦) هو استنتاج يضع العنوان الصحيح على ظرف الغلاف ولكنه يخطىء في الرسالة التي داخل الظرف فيوجهها الى شخص آخر . ان هذا الاستنتاج يسقط من اي حساب عقلاني لانه لا يوجد هناك

حل عادل لقضية فلسطين على اساس اقامة دولتين اذ ان اقامة الدولة الاسرائيلية عام ١٩٤٨ هي سبب القضية أصلا . اما بالنسبة للثورة العربية الكبرى فربما يكون تاريخ هذه الثورة مليئا بالاخطاء القومية والسياسية ومليئا بالتهافت السياسي والطموح الشخصي وربما كانت هذه الثورة (وهي في الاصل حركة استقلال) وما تفرعت عنها من قيادات في سوريا والاردن والعراق ولبنان قد أخطأت في تقدير اخطار الصهيونية ولكنه من غير المعقول القول بأنها كانت تحارب حلا عادلا للقضية الفلسطينية قائما على اساس ايجاد دولتين في فلسطين اذ ان هنالك بجانب عدم وجود اي حد ادنى من العدل في مثل هذا الحل ، فان عدة ادلة كافية في تاريخ القيادات السياسية العربية والفلسطينية تشير الى انها كانت اقرب في تفكيرها السياسي وارتباطاتها البريطانية والفرنسية الى مشروع الدولتين منها الى مشروع ارساء السيادة العربية على فلسطين وان الذي أفشل هذا التقارب كان نضال الشعب العربي والشعب الفلسطيني الذي وان كان كافيا لردع قيادات عام ١٩٤٧ عن قبول التقسيم الا انه لم يكن كافيا لمنع اقامة دولة اسرائيلية في فلسطين ولا زال هذا النضال قائما على اساس رفض وجود دولة صهيونية في وسطه. وبالنسبة لما يسميه الكاتب حلا عادلا للقضية الفلسطينية فانه منذ ظهرت المطامع اليهودية الصهيونية في فلسطين لم يظهر اي حل عادل للقضية الا اذا كانت مقاييس العدل تتغير وتتبدل حسب الظروف والاوضاع والاهداف التي تستعمل فيها هذه الكلمة .

يعتمد تفسير ابو شلباية لفشل مشروع اقامة دولتين بجانب الدور الذي يلبسه للقيادات الفلسطينية والعربية ، على نظرية وقوف المتطرفين من العرب واليهود في وجه الحلول المعتدلة . وملخص هذه النظرة هو ان المتطرفين من الجانبين الذين عارضوا ايجاد دولتين (حل التقسيم) هم من الجانب العربي العرب القوميون بقيادة الهيئة العربية العليا ومن الجانب اليهودي اليهود الصهيونيون بقيادة المتطرفين في الحركة الصهيونية ، ويسترسل قائلا ان معارضة هذين الطرفين هي التي افشلت مشروع التقسيم ووصلت بالقضية الفلسطينية الى ما هي عليه اليوم .

ان هذه النظرية تبدو قابلة للمناقشة اليوم فقط لان ما حدث بعد رفض التقسيم كان أسوأ بالنسبة لشعب فلسطين مما كان سيجره التقسيم في المدى القصير ولكن المعارضة الشعبية للتقسيم والتي كانت تنمو ببطء (وبدون تنظيم سياسي حزبي) في كل بيت عربي وفلسطيني وفي عقل وشخصية كل مواطن عربي وفلسطيني ، هذه المعارضة كانت مبنية على حدس بعيد الرؤيا عميق الابعاد في فهم مخططات الحركة الصهيونية لهذا فان سني اللجوء بعد عام ١٩٤٨ على الرغم من قسوتها وصعوبة الظروف التي رافقتها لم ينتج عنها رد فعل فلسطيني يطالب بالتقسيم بقدر ما نتج عنها رد فعل يطالب باعداد شعب فلسطين والشعوب العربية لخوض معركة استرداد فلسطين . وقد كرر رد الفعل هذا نفسه عام ١٩٦٧ حيث كانت جميع التوقعات الصهيونية قائمة على اساس ان نتائج الحرب ستعمل على ايجاد قيادات فلسطينية وعربية تقبل بالصلح والتعايش مع كيان صهيوني في فلسطين . ولكن الذي حدث فلسطينيا هو ظهور المقاومة الفلسطينية للاحتلال الجديد (١٩٦٧) والقديم (١٩٤٨) وعربيا التفاف الجماهير العربية التفافا شبه مطلق حول شعارات المقاومة واعادة بناء الجيوش واقامة وحدة عسكرية وسياسية وكلها شعارات أبعد ما تكون عن شعار اقامة دولتين في فلسطين احداهما صهيونية .

اما بالنسبة لاتهام الكاتب الدول العربية الدائرة في فلك السياسة البريطانية عام ١٩٤٨ — الاردن والعراق — (ص ١٨) بتشجيع الفلسطينيين على الهجرة والتهديد بقذف اليهود في البحر فان استعمال هذه الاحاجيج في هذا المضمار بالذات والقول بأن سيارات الجيش الاردني والعراقي اخذت تعمل ليلا ونهارا في نقل عشرات الالاف من اللاجئين الفلسطينيين الى شرق الاردن* فانه قول لا يحتاج فقط الى الاثبات ومعرفة جميع العوامل النفسية

* لقد اثبتت عدة دراسات محايدة من اهمها كتاب جون ديفيس « السلام المراوغ » — بالانكليزية — على ان الارهاب والدعاية الصهيونية والخوف من المستقبل هي العوامل التي لعبت الدور الاساسي في نزوح الفلسطينيين عن أراضيهم عام ١٩٤٨ ، كما ان من طبيعة الانسان انه لا يغادر ارضه لمجرد نداء او تحريض خارجي يوجه له الا اذا كان وراء هذا النداء خوف حقيقي على حياته .

والسياسية التي رافقت عملية الهجرة ولكنه يحتاج أكثر من ذلك الى تبيان المغزى الذي يقف وراء ترديد قصة لجوء وهجرة الفلسطينيين (وكأن الشعب الفلسطيني قبل باللجوء كبديل للتقسيم) خاصة وان الكاتب يستنتج من كل هذا بأن كل ما حدث تم لان القوى المتآمرة على الشعبين أفسدت الحل الصحيح للقضية (ص ٢٠) اي الحل الذي يدعو له الكاتب وهو اقامة دولتين في فلسطين .

الفصل الثاني : ماعز وضان : في هذا الفصل يقدم الكاتب صورة اخرى مشوهة للواقع السياسي والاجتماعي الذي عاشه الشعب الفلسطيني في الاعوام التي تلت عام ١٩٤٨ . والصورة مشوهة لان الكاتب على امتداد هذا الفصل يتحدث عن الفلسطينيين على انهم جماعة من المثقفين المتمدنين وعن الاردنيين على انهم جماعة من البدو الجهلة ، اي انه يتكلم من منطق التفرقة بين أردني وفلسطيني وبواسطة هذه التفرقة يحاول تفسير كل ما حدث بين الشعب والدولة او الشعب والسلطة في الاردن في العشرين سنة الماضية وقد أدى به موقفه التفريقي هذا الى اهمال دور الحركة الوطنية في الاردن اهمالا تاما . كما انه في هذا الفصل يلجأ ثانية الى التعميم والتبسيط فيصور الشعب الفلسطيني في الاردن « فريسة اللصوص المحترفين ... لصوص الدولة ولصوص وكالة الغوث ... ولصوص يرفعون شعارات التحرير وانقاذ فلسطين وتخليص اللاجئين » (ص ٣٢) . ويستنتج بعد ذلك من كل ما جرى للشعب الفلسطيني في الاردن نفس الاستنتاج الذي وصل اليه في الفصل الاول : اي اقامة دولتين في فلسطين (ص ٣٣) .

ان الاجهزة الاعلامية التي تريد ان تدفع الفلسطيني « في يأسه » الى تفضيل اسرائيل عن الاردن او التي تريد ان تدفع الاردني في يأسه الى فصل الاردن كليا عن القضية الفلسطينية هي أجهزة تتفق في الاسلوب والهدف على اعتبار اسرائيل القوة الوحيدة القادرة على حل القضية الفلسطينية وهذا بالذات ما تريده حكومة اسرائيل . (ونعني بهذه الاجهزة جميع الجهات الامريكية والاوروبية الغربية وابواقها في العالم العربي التي فهمت احداث الاردن عام ١٩٧٠ و١٩٧١ على انها صراع عمودي بين الفلسطيني ابن الساحل والاردني ابن الصحراء لكي تبني على ذلك ادعاءها بأن الفلسطينيين اقرب بتفكيرهم وطريقة معيشتهم الى الاسرائيليين اصحاب الخبرة والتجربة الاوروبية لهذا فان من الافضل لهم العودة للتفاهم مع الاسرائيليين) .

اذا اعتبرنا اللجوء الى التفرقة بين اردني وفلسطيني نوعا من السطحية في التفكير السياسي فذلك لاننا متأكدون بأن حركة التحرير الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية بطبيعتهما لا تقيمان وزنا لمسألة التفرقة ، اذ ان كلا الحركتين ترفضان الاحتلال وترفضان اقامة دولة فلسطينية بين الاردن واسرائيل وهما حركتان متفرعتان عن حركة التحرر والوحدة العربية والتفرقة الاقليمية لا مكان لهما في الفكر والممارسة السياسية لكلاهما وهما حريصتان على وحدة التراب الفلسطيني مثل حرصهما على وحدة الضفتين من الاردن .

الفصل الثالث : تسليم الضفة : في هذا الفصل يصور الكاتب ما حدث عام ١٩٦٧ استمرارا لما حدث عام ١٩٤٨ . اما دخول مصر الحرب فيعتبره توريطا لمصر في حرب مع اسرائيل (ص ٤٠) من قبل الملك حسين الذي يقول الكاتب انه أكمل ما بدأ فيه جده الملك عبدالله . والفصل بمجمله لا يخرج عن التحدث داخل حلقة التسليم والتآمر والتخاذل وليس فيه ما يستحق التعليق لانه ترديد لا مبرر له لما جاء في الفصل الثاني .

الفصل الرابع : المنظمات الفلسطينية : في هذا الفصل يلجأ الكاتب الى اسلوب اعمق تحليلا (نسبيا) للاحداث والظواهر التي رافقت حرب حزيران ١٩٦٧ . ويبدأ الفصل بالقول « ان الفرق الرئيسي بين حرب السويس ١٩٥٦ وحرب حزيران ١٩٦٧ هي ان حرب السويس وقعت بتحالف فعلي بين اسرائيل وكل من بريطانيا وفرنسا ومن وراء ظهر الولايات المتحدة الامريكية ، وحرب حزيران قامت بها اسرائيل برضى من الولايات المتحدة الامريكية مع بقاء بريطانيا وفرنسا على الهامش » (ص ٥١) . ويبني على هذا الفرق حكما سياسيا ملخصه ان الولايات المتحدة لا تريد هذه المرة فرض الانسحاب على اسرائيل من سيناء لانها تشاركها بجني ثمار الاحتلال ولان الولايات المتحدة غير راضية عن علاقة مصر بالاتحاد السوفياتي ، اما الانسحاب من الضفة الغربية والقدس العربية فانه متعلق بالمراهنة الامريكية على الملك حسين وعلى الشعب الفلسطيني او عليهما معا (ص ٥١ـ٥٢). ظهور المقاومة ـ وبالذات منظمة فتح ـ يرجعه الكاتب الى سبب غريب هو مرور فترة طويلة دون

ايجاد حل « وامتداد الأمور بشكل واسع وسريع الى الاوساط الشعبية ... وتمثل هذا الامتداد في ظهور المنظمات الفلسطينية » . واذا كان الكاتب هنا يستثني فتح استثناء متحفظا باعتبارها ظهرت قبل عام ١٩٦٧ فانه يفسر هذا الظهور « بالحياة القاسية التي عاشها الفلسطينيون » . ثم يوجه للمنظمات قائمة من الانتقادات والنصائح بأسلوب « لو .. ويا ليت ... واذا لم .. » من مستوى ما ظهر من مقالات مطبوخة بسرعة في الصحافة العربية قبل وبعد أيلول ١٩٧٠ . ثم يعدد الكاتب اسباب ضعف المقاومة فيقول انها « انتهازية الدول العربية ... مخططات التصفية ... تدخل الانظمة واستغلالها للمنظمات ... سرعة انبثاق المنظمات وضيق الوقت المتاح لها » . ثم يستنتج من هذه العجالة في تعداد الاسباب بأن المقاومة بقيت « تتأرجح بين أهداف غير واضحة ، وغير واقعية ، وجعلها بالتالي ترسو حول شعار خيالي يطالب بدولة « فلسطينية ديموقراطية للمسلمين واليهود والنصارى » ورفع شعار التحرير من النهر الى البحر ، وازالة الكيان الصهيوني ، والدولة اليهودية ، فوقعت بذلك في نفس الخطأ الذي وقعت فيه الهيئة العربية العليا (الفلسطينية) اثر اعلان قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ » (ص ٥٥) .

وفي تعرضه للدولة الديموقراطية يبدو ان الكاتب لم يوفق في فهم الشعار او فهم محتواه ، فهو يقول : « ان اقامة دولة فلسطينية واحدة للعرب واليهود يعني سيطرة الصهيونية على فلسطين كلها عسكريا واقتصاديا » (ص ٥٦) لان وراء يهود اسرائيل القوة العسكرية ويهود العالم الاغنياء والثقافة والخبرة والتصنيع ، بينما ليس وراء الفلسطينيين سوى انظمة عربية متناحرة ومجتمعات نصف عشائرية ونصف اقطاعية (ص ٥٦) . وفي طرح المعادلة بهذا الشكل خطآن كبيران . الخطأ الاول هو الاعتقاد بأن اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية يمكن ان يتم دولة تحرير الارض الفلسطينية بأكملها ودون تغيير البنية السياسية والاقتصادية في اسرائيل والدول المحيطة بها ، والخطأ الثاني هو اعتقاد ابو شلباية ان اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية كما تطرحها المنظمات الفلسطينية هو مسألة تناحر او منافسة بين مجتمعات متأخرة واخرى متقدمة وبالتالي اعتبار اسرائيل نموذجا للدولة المتقدمة . والظاهر ان ابو شلباية لم يكتف بنسف شعار الدولة الديموقراطية فقد اضاف للموضوع قوله ان « تجارب البلدان ذات القوميات المتعددة مثل قبرص والعراق والسودان قد اكدت استحالة تعايش تلك القوميات في دولة واحدة بينما يصبح تعايشها ممكنا جدا اذا اقيمت لكل قومية دولة خاصة » (ص ٥٦) .

وكما يسقط الكاتب شعار الدولة الديموقراطية يسقط كذلك شعار « التحرير من النهر الى البحر » ويتهم المقاومة بأن رفعها لهذا الشعار « يعني ببساطة انها لم تستطع تقييم وزنها المحلي والعربي والدولي » (ص ٥٧) . ان هذا الكلام معروف بالادب السياسي تحت اسم الانهزامية العقلانية او الانهزامية الواقعية . اما نبوءة الكاتب بأن هذه الشعارات ستجعل المنظمات تلاقي نفس مصير الهيئة العربية العليا فهو دليل فهم غير ذكي للتاريخ ولتطور عقليات الشعوب وتياداتها . اما البديل عن الشعارات المذكورة فهو في رأي المؤلف « العمل الدبلوماسي ... والتخلص من امراض الستالينية والطفولة ... ومظاهر سيطرة عقلية الطبقة الوسطى » (ص ٥٧) . وهذا البديل لا يفهم منه شيء سوى عدم الايمان بالمقاومة وعدم فهم المكان الذي تحتله منذ ظهورها فلسطينيا وعربيا ودوليا .
ان عملية انتقاء الاسلوب والتنظيم في العمل الفدائي عمل مسبق وان قامت به المنظمات نفسها ضمن عملية النقد الذاتي التي تلت احداث أيلول ١٩٧٠ ولكن ابو شلباية يستنتج او يريد ان يستنتج امورا اخرى من هذه الانتقادات ، امورا تتماشى ضمنا مع نوعية التفكير التي مهد لها وشرحها في الفصل الاول من الكتاب . وللدلالة على هذه النوعية من التفكير نورد المثل التالي : يقول الكاتب في صفحة ٦٤ « ان الخطأ الاكبر للمقاومة هو رفض الخطوة المصرية التي خطاها الرئيس جمال عبدالناصر عندما وافق على مقترحات وليام روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية » (ص ٦٤) . ان ابو شلباية يلوم بأسف شديد المقاومة لعدم تأييدها مشروع روجرز لان حكومة مصر وعبدالناصر وافقا على المشروع . والظاهر ان ابو شلباية لم يقرأ بتمعن الفقرة في مشروع روجرز التي تشترط انهاء العمل الفدائي كشرط اساسي لقيام حل امريكي للقضية كما انه لم يلاحظ ان هنالك اختلافا كبيرا بين منطلق القبول بالحلول الامريكية للقضية الفلسطينية ومنطلق التحرير الذي يقوم عليه فكر

المقاومة المسلحة والمنظمات الفلسطينية . وينسى الكاتب انه ذكر في صفحة ٥١ من كتابه ان الولايات المتحدة هي التي تجني هذه المرة ثمرات انتصار اسرائيل . ونحن نقول ان مشروع روجرز هو اكبر ضمانة لجعل هذه الثمار مضمونة الى الابد فيما لو نفذ وكانت المقاومة الفلسطينية والمنظمات التي تقودها ثمنا لتنفيذه .

الفصل الخامس : ماذا يريد الفلسطينيون : يوحي هذا العنوان للفصل الاخير من الكتاب ان الكاتب بعد الجهد الذي ابداه في الفصول الاربعة السابقة قد توصل الى معرفة ما يريد الفلسطينيون فهو يقول في مطلع هذا الفصل « انه يستطيع ان يدعي بأنه يتحسس بعمق مطالب الغالبية الساحقة من شعبنا الفلسطيني في المناطق المحتلة » (ص ٦٩) . وكأن التاريخ يمكن ان يقوم على اساس احاسيس فرد ما . وفي هذا الفصل المليء « بالتحسس العميق لمطالب اغلبية الشعب الفلسطيني » كما يدعي الكاتب يحاول ابو شلباية تقييم المواقف الفكرية والسياسية للشعب الفلسطيني . وينتهي هذا التقييم بدعوة المنظمات الفلسطينية الى تبني فكرة اقامة دولة فلسطينية خاصة بالشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وذلك لاعتقاده بأنه يعرف ماذا يريد الشعب الفلسطيني في هذه المنطقة .

فالشعب الفلسطيني برأي ابو شلباية يريد التالي : ١) ان يكون للفلسطينيين جناح سياسي – دبلوماسي يؤمن بالعمل الدبلوماسي (ص ٧٣–٧٤) . ٢) السير مع مصر في سياسة الحل السلمي . ٣) منح الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير على اساس التقسيم واقامة دولتين . ٤) التعويض عن اللاجئين الفلسطينيين وعلى اليهود اللاجئين الى اسرائيل من دول عربية (ونريد ان ننبه الكاتب هنا ان هذا المطلب يتردد على لسان الرسميين الاسرائيليين في كل مناسبة تناقش فيها مشكلة اللاجئين الفلسطينيين دوليا) . ٥) ان تكون القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية والقدس اليهودية عاصمة لاسرائيل على ان تظل مدينة موحدة .

ويعتقد الكاتب ان مطالب الفلسطينيين هذه يمكن ان تتحقق في حالة وضع المناطق المحتلة تحت اشراف الامم المتحدة لفترة من الزمن الى ان تقوم فيها انتخابات برلمانية قائمة على الديموقراطية البرلمانية وتعدد الاحزاب . فالشعب الفلسطيني كما يرى الكاتب قد مل الدكتاتورية والحكم الفردي وهو يريد الديموقراطية الحزبية البرلمانية . ويستغرب الكاتب في ص ٧٥ معارضة المنظمات الفلسطينية للدولة الفلسطينية المقترحة كما يستغرب الحملة الاعلامية التي تشنها المنظمات باستمرار على مشروع هذه الدولة حاليا ويقول ان بديل هذه الدولة هو احد اختيارين « الاحتلال او العودة للنظام الاردني » . ولا يتردد على بال ابو شلباية ان التحرير قد طرح نفسه كبديل اكثر قدرة على الاقناع ليس فقط منذ عام ١٩٦٧ ولكن منذ عام ١٩٢٠ مرورا بعام ١٩٣٦ و١٩٤٨ عندما رفض الشعب الفلسطيني كل الحلول التي كانت تدور حول التقسيم .

ويعتبر ابو شلبايه الدعوة ضد « الدولة الفلسطينية المتعايشة مع اسرائيل » عملا يقوم به « مندسون في اعلام المنظمات » (ص ٧٥) . ويستمر في هذا الادعاء فيقول ان « البعض الذين يهاجمون الدولة الفلسطينية قد انعزلوا عن الشعب وهم يجهلون جهلا تاما الواقع الجديد الذي أخذ يحدث في المناطق المحتلة ... في افكار الناس وفي اوضاعهم الاقتصادية والامنية ... انهم يجهلون ويتجاهلون انه كان لديموقراطية اسرائيل تأثير على عقول الناس وان عشرات الالاف من العمال اخذوا لاول مرة يتقاضون رواتب لم يكونوا يحلمون بها وكانوا جميعا ايام الحكم الهاشمي يتضورون جوعا » (ص ٧٦) .

علينا عند هذا الحد وبعد النقاط التي أبديناها حول آراء اخرى مشابهة في الكتاب ان نتصدى بشدة لهذا النوع من رؤية الامور ، اذ انه لا يمكن بأي منطق كان (وحتى لو افترضنا ان حياة الانسان تقوم على اساس مادي مطلق) وتحت اي اعتبارات موضوعية كانت او ذاتية لا يمكن بتاتا اعتبار الاحتلال يؤثر ايجابيا في عقول الناس وظروف معيشتهم، كما لا يمكن التصور ولو تحت اشد انواع المؤثرات السيكولوجية والمادية على الفرد او الجماعة ان هنالك رفاهية وديموقراطية وعدالة اجتماعية تحت اي نوع من انواع الاحتلال . فكل التقارير والتجارب التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال تشير الى ان مخطط تنفيذ الاستيلاء النهائي على المناطق المحتلة يقوم على اساس محاولة التعويض عن الحكم العسكري بخلق مظاهر رفاهية شفافة ، اما مشاريع البناء والتعمير وشق الطرق التي تقوم بها سلطات الاحتلال في القدس وغزة وغيرها فانها تقوم على اساس خدمة الاهداف

الاستراتيجية وبرامج الاستيطان والهجرة الصهيونية ولتسهيل عمليات الكشف والايقاع بحركة المقاومة المسلحة وعناصرها الفعالة .

اما مخطط الاغراء الاقتصادي والاشباع المالي لفئات التجار والمستثمرين (منح القروض والديون السهلة) فانها وان كانت تبدو ظاهريا نوعا من التسهيلات المالية لبعض المجالات الاقتصادية (مثل الاستيراد عن طريق اسرائيل او تسويق البضائع الاسرائيلية) فانها عند التمعن في دوافعهـا ونتائجها لا يمكـن تفسيرها خارج اطار برنامج دمج الحياة الاقتصادية العربية في المناطق المحتلة في المؤسسات الاسرائيلية القائمة تمهيدا للهيمنة كليا على جميع فروع الانتاج والتسويق والخدمات في تلك المناطق — وان اي تفسير متسرع لهذه الامور خارج هذا الاطار مرفوض كليا سواء كان مبنيا على نظرية « الاستعمـار الاصلاحي » او نظرية « الرفاهية قبل الحرية » . اما مسألة العمال وارتفاع دخولهم فيكفي للدلالة على رفض قبول مثل هذه المسألة لتبرير ادعـاء « ديموقراطية اسرائيل » الاشارة الى ان نسبة العمال بين المقاتلين والمنتظمين في حركة المقاومة تتعدى الـ ٥٠ ٪ ونسبتهم بين الذين يقيمون في سجون اسرائيل والمناطق المحتلة لا تقل عن ذلك . في هذا الفصل الاخير يتطرق ابو شلبايه الى النظام الاجتماعي والاقتصادي للدولـة المقترحة فيرفض الاشتراكية ويقدم فيها آراء غريبة مثل قوله انها لا تعني سوى « زيادة الفقر والبطـالة والتشرد » وطالما ان الشعب الفلسطيني في راي الكاتب ابو شلبايه يرفض الاشتراكية فان « مسؤولية كبرى تلقى على عاتق واشنطن تجاه الشعب الفلسطيني » (ص ٨٣) . وعليه فالكاتب يطالب الولايات المتحدة تقديم العون والمساعدة والحماية للدولة الفلسطينية منكرا اياها بمبادىء واشنطن ولنكولن .

وينهي الكاتب كتابه هـذا بتفاؤل مفاجىء ويطمن الدول العربية بأن الدولة الفلسطينية التي يدعو لها ستصبح في المستقبل جزءا من جمهورية عربية كبرى تضم بين دولها اسرائيل ايضا .

كلمة اخيرة لا بد منها قبل ختام هذا الرد الاولي على كتاب ابو شلبايـه « لا سلام بدون دولـة فلسطينية حرة » — كان من الاسهل علينا قبل البدء في عرض رأينا في الكتاب ومحتويات فصوله الخمسة ان نعتبره غير ذي قيمة ولا يستحق المناقشة وعليه فالافضل اهماله ولكننا ، كما بينا في مطلع البحث ، لا نعتبر الكتاب اكثر من نموذج للاطلاع على نوع من التفكير المنتشر ليس فقط لدى اشخاص في المناطق المحتلة . فهذا النوع من التفكير وان كان يعبر عن نفسه بكثير من الحذر والمداراة والهمس داخـل وخارج المناطق المحتلة الا انه يتخذ بين فترة واخرى شكل قفـزات فكرية مفاجئـة ترافق التحركات السياسية لجماعة فكرة دولة فلسطينية في الضفة الغربية او فكرة اتحاد فيدرالـي بين اسرائيل والضفة الغربية والضفة الشرقية . ولان مثل هذه المشاريع ، سواء جاء الاعلان عنها في مقالات او كتب او اتصالات سياسية ، تشكل جزءا خطيرا من حملة اجهاض حركة رفض الاحتلال في المناطق المحتلة فان التصدي لها وافراغها من اي وزن سياسي فلسطيني يتطلب اولا معرفتها بالضبط ومن ثم معرفة مصدرها والمحيط الاجتماعي والاقتصادي الذي تنتج عنه . وهذه الافكار التي وردت في الكتاب المذكور في حالة اعتبارها تمثل اتجاها فكريا ناتجا عن صدمة الهزيمة واستمرار الاحتلال يأتي خطرها ليس فقط لمجرد وجود فئـات لا زالت تستطيع التصريح والاعلام عنها ولكن في خطر تحويلها الى هدف سياسي لتجمع سياسي محلي في الضفة الغربية وقطاع غزة ومطالبة المقاومة بتبنيها (ص ٦٩) .

اما ما يقدمه الكتاب لتوضيح الهوة الفكرية التي تفصل بين فكر المقاومة وفكر بعض قطاعات المثقفين في الضفة الغربية فيمكن تلخيصه بالنقاط التالية :
اولا : لقد اعتمدت المقاومة ومنظماتها اعتمادا نسبيا على الاعلان عن العمليات العسكرية ولم تستطع لغاية الان ربط الشعب الفلسطيني في الداخل (سياسيا) بتنظيماتها القائمة وهذا يعود بالدرجة الاولى الى عدم وجـود تنظيم سياسي جماهيري للمقاومة في داخل المناطق المحتلة وبالدرجة الثانية على انعدام أدب واعلام المقاومة الشعبية في فلسطين والاردن قبل عام ١٩٦٧ أصلا واشتراك جميع الاجهزة الاعلامية العربية آنذاك في شطب موضوع المقاومة المسلحة والدفاع المدني والمناعة الفكرية ضد افكار العدو مـن برامجها والاكتفاء بالتنديد بالصهيونية واستنكار اسرائيل والتحدث عن عدو لا نعرف عنه سوى انه استولى على جزء من فلسطين عام ١٩٤٨ ، اما مقاومة هذا العدو ومواجهته سياسيا واقتصاديا وعسكريا فلم يكن لها وجود في أعلام الخلاص الذي سينزل من السماء .

ثانيا : مما لا شك فيه ان تراجع المقاومة النسبي بعد أيلول ١٩٧٠ قد اوحى للذين لم يقتنعوا بشعاراتها ولم يؤمنوا بأهدافها ان الوقت قد حان للتعبير عن بديلهم للمقاومة وساعدهم في ذلك ان الفرد او الجماعة التي تعيش تحت شروط الاحتلال (وخاصة الفرد الذي لا يملك الصلابة النضالية والعناد الثوري) تتأثر بما تراه وتسمعه وتلمسه من قبل العدو*. وينتج عن هذه الاوضاع والاعتياد عليها نوع من التفكير والتصرف الذي يبدو واقعيا بمقاييس المعيشة اليومية ولكنه عندما يقاس بمصير شعب ومستقبل اجيال قادمة يبدو فكرا انهزاميا استسلاميا وربما يكون عدم التفكير كليا افضل منه (المقاومة السلبية القائمة على اهمال وجود الاحتلال وعدم التعامل مع مؤسساته ودوائره وعدم البيع او الشراء من مؤسساته التجارية والتسويقية ورفض التحدث او الحوار معه واغلاق جميع الابواب الاجتماعية في وجهه) .

ثالثا : ان القاعدة الاساسية لتعبئة الجماهير سياسيا وراء المقاومة تبدأ بايصال فكر المقاومة لها وخلق جماعات وحلقات ومراكز لانتقال وتفاعل واتصال الاشخاص والافكار التي تدعم موقف رفض الاحتلال . واذا كان هذا يبدو شبه مستحيل في ظروف احتلال مثل الاحتلال الاسرائيلي وما يرافق هذه الظروف من تحركات محلية وعربية ودولية تحوم حول امكانيات صلح وسلم يرضي الجميع الا انه لا يبدو مستحيلا كليا مع وفرة السكان ووجود الاتصال اليومي بينهم بالاضافة الى الاذاعات ومحطات التلفزيون العربية والفلسطينية والمقابلات واللقاءات بين آلاف من الاهالي في المناطق المحتلة واقربائهم واصدقائهم من خارج هذه المناطق .

رابعا : لا بد من فتح حوار علمي وديموقراطي بين الثورة وقيادتها في الخارج والشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة وفي مناطق التجمعات الفلسطينية في

---

* يقول ابو شلباية في هذا الصدد ان هنالك شخصيات فلسطينية كانت تؤيد فكرة الدولة الفلسطينية المتعايشة عندما كانت هذه الشخصيات متواجدة في الضفة الغربية بعد الاحتلال مباشرة ولكنها أصبحت تعارض وتحارب هذه الفكرة عندما اصبحت خارج المناطق المحتلة وقريبة من المنظمات .

الخارج اذ انه ثبت بأن المجلس الوطني الفلسطيني لم يوفر الساحة اللازمة لمثل هذا الحوار . ووسائل ايجاد هذا الحوار تعتمد على الظروف والاماكن والمواضيع وهي وسائل ليست معدومة او مستحيلة فالثورة وقيادتها يجب ان تكون على لقاء مستمر مع جماهيرها . وليس من شك بأن اعلام المنظمات الفلسطينية عمل الكثير على بلورة افكار عديدة اصبحت الان جزءا من تفكير كل فلسطيني وكل عربي مؤمن بالثورة . (من هذه الافكار مثلا الايمان بالتحرير والكفاح المسلحورفض الحلول الاستسلامية ووجوب خلق اوضاع اقتصادية واجتماعية تساعد على عملية التحرير واقتران الوحدة بالتحرير) . ولكن المهم حاليا هو تحويل هذه الافكار الى مؤسسات وقرارات والى طريقة في التصرف بحيث يصبح من الممكن سد اي فجوة اعلامية يمكن لكتاب من نوع الكتاب المطروح على البحث ان ينفذ منها ويجد تجاوبا لما يدعو اليه . وهذا يتطلب وضع اهمية قصوى على الاعلام الداخلي للثورة وعدم الاعتماد فقط على الشعور الطبيعي العفوي في رفض الاحتلال وكذلك توسيع مفهوم الاعلام لكي يشمل الثقافة والتربية الثورية وزرع الثقة بالقيادات وكفاءاتها .

وفيما يخص الدولة الفلسطينية الديموقراطية (الدولة التي سيتم قيامها بعد تحرير فلسطين ويكون اليهود فيها مواطنين كالعرب ويخضعون لدستور الدولة وليس لهم دستور يميزهم عن باقي المواطنين وتمنح لهم نفس الحقوق الممنوحة للمواطن الفلسطيني) ... كبديل للاحتلال وكبديل للدولة الفلسطينية في الضفة الغربية يجب التركيز على اشتقاق معالم هذه الدولة ونظامها الاجتماعي والحلول التي ستقدمها للمسألة اليهودية من خلال النضال اليومي ومن خلال نماذج الكفاح المسلح وتصرفات القائمين به والقائمين عليه واذا كانت الصهيونية والدول الرأسمالية قد لجأت الى حل المسألة اليهودية باقامة دولة صهيونية في فلسطين فان مفهوم الشعب الفلسطيني والشعب العربي للمسألة اليهودية لا يقوم على اساس اللاسامية والخلاص من اليهود ولكنه قائم على اساس التعايش مع اليهود كجزء من امة وحضارة عربية معادية للاستعمار الغربي وللصهيونية .

خامسا : ان المواطن الفلسطيني في المناطق المحتلة يقع حاليا فريسة لحرب نفسية تتكون اسلحتها من

الاحتلال والاعتقال والارهــاب والتخويف والتهديد وتتوجه هذه الحرب الى تركيبه الفكري حيث تتنازع بنيته الفكرية عدة جهات تتكلم معه بلهجات مختلفة واساليب متعددة (اذاعة — تلفزيون — جريدة — اشاعة — تحقيق بوليس — توقيف — استجواب — الخ) تشترك جميعها في الغاء هويته الفلسطينيــة وانتزاع ما ورثه من قيم ومفاهيم تتوي تعلقه بالارض وبحقه في تقرير مصيره على هذه الارض بالــذات وتضعف ايمانه في جدوى الدفــاع عن هذا الحق بجميع ما هو قادر على استعماله من ادوات الدفاع.

وكتاب ابو شلبايه يمكن اعتباره « حــرب نفسية اهلية » اي انه يتكلم مع الفلسطيني كفلسطينــي ويضع نهاية الاحتلال كبداية لاي حل ، ولكن نهاية الحل عنده هي بداية الدولة الفلسطينية المتعايشة مع الكيان الصهيوني . ويظهر كتابه هذا في اواخر عام ١٩٧١ في الوقت الذي بدأت سلطات الاحتلال فيه تفكر « جديا » في اقامة انتخابات بلدية تحــت الاحتلال كخطوة اولى لاضفاء الشرعية على الاحتلال وايجاد مرتكز فلسطيني محلي يتماشى مع مخطط الاستيلاء والاستيطان .

بقي ان نقول بأن انفصال الجبهة الداخلية للثورة عن الجبهة الخارجية وعدم توفر قيادة وحزب وجبهة وطنية تقوم بوظائف تحريك الوحدة الوطنية باتجاه مقاومة الاحتلال كان عامــلا شبه مــلازم للكفــاح الفلسطيني ضد الصهيونية وان الثورة الفلسطينية، وان توفر لديها الفكر السياسي الواضح والهدف القريب والبعيد المدى ، الا انه لم تتوفر لها الاداة الموحدة لترجمة هــذا الفكــر الى عمــل سياسي وعسكري الا لفترة قصيرة خلال احــداث ايلــول ١٩٧٠ في الاردن وبعد هذه الاحداث عادت التكتلية في الخارج الى وضعها السابق . اما في الداخــل فقد اوجد غياب هذه الاداة الموحدة ساحة سياسية فيها مكان كاف لتحركات فلسطينية معروفــة حتى قبل ١٩٦٧ ولاراء فلسطينية معروفة ايضا حتى قبل ١٩٦٧ والكتاب الذي امامنا الان هو نموذج لهــذه الاراء .

اسرائيليات

البنك المركزي الاسرائيلي : الدكتور يوسف شبل

تلعب المصارف المركزية في البلدان النامية والبلدان المتقدمة على حد سواء دورا كبيرا في تحقيق الاهداف الاقتصادية التي ترسمها الحكومات المعنية والتي تتلخص عادة في تحقيق معدل مرتفع للنمو الاقتصادي وزيادة حجم العمالة وتحقيق الثبات الاقتصادي . ويختلف حجم الدور باختلاف النظام الاقتصادي السائد وطبيعة تركيبه ومدى تطور السوق المالي والوزن الذي يعطيه النظام الاقتصادي للسياسة النقدية كأحد ادوات السياسة الاقتصادية . على انه يمكن القول بان هنالك وظائف يؤديها البنك المركزي عادة مهما بلغ الخلاف في العوامل المشار اليها، وهذه الوظائف هي: ١ – القيام بطبع النقود والاشراف على كمية النقد المتداول . ٢ – مراقبة نشاط المصارف التجارية للتأكد من سلامة عملياتها والتزامها بحد ادنى من السيولة لايجاد توازن مقبول بين عاملي المخاطرة والربح . ٣ – مد المصارف التجارية بما تحتاجه من سيولة في اوقات الازمات والتقتير عليها عندما تبدو اثار تضحية في الاقتصاد. ٤ – التأثير على كمية وسائل الدفع عن طريق التأثير على حجم الاحتياطي المتوافر للمصارف التجارية من خلال وسائل اربع : ا – عمليات السوق المفتوحة . ب – تقييد سعر الحسم ج – تقييد نسبة الاحتياطي للمصارف التجارية اي النسبة بين الموجودات السائلة والمطلوبات . د – التأثير الكيفي على حجم التسليفات عن طريق تحديد الحد الادنى الذي يتوجب على المستهلك دفعه لامتلاك موجودات سائلة معنية . ٥ – قبول ودائع من الحكومة والمصارف التجارية وبالتالي القيام بدور المصرف لكل من الحكومة والمصارف التجارية . ونجاح البنك المركزي في تحقيق اهدافه يتوقف على توفر شروط ثلاثة : ا – وجود قانون نقد وتسليف مرن قادر على استيعاب كافة التطورات المالية ويستطيع ان يوفر للبنك المركزي مسالك العمل . ب – وجود سوق مالي متطور وشامل بحيث يستوعب المصارف التجارية والمصارف الاستثمارية ومصارف الرهونات . وهذا التطور والشمول ضروري لنجاح اي سياسة نقدية يقررها البنك المركزي . ج – توفر ادارة حكيمة للبنك المركزي تستطيع استقراء المؤشرات النقدية والمالية بحيث تتدخل في الوقت المناسب لاتخاذ الاجراء المناسب . ورغم ان التنسيق ضروري بين البنك المركزي ووزارة المالية حتى لا تتضارب السياسة النقدية مع السياسة المالية ، فقد درجت معظم بلدان العالم على اعطاء البنك المركزي نوعا من الاستقلال في العمل حتى لا يقع تحت اية مؤثرات خارجية قد تجعله غير قادر على القيام بمسؤولياته .

فترة ما قبل البنك المركزي

لم يكن للبنك المركزي الاسرائيلي وجود بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٤ رغم ان هذه الفترة كانت حافلة بالمشاكل الاقتصادية . وقد قامت وزارة المالية بدور البنك المركزي خلال هذه المدة حيث كانت قيمة على كل من السياسة المالية والنقدية في البلاد . ولم يكن غياب البنك المركزي مجرد صدفة بل هو نتيجة عوامل عديدة وسياسة مرسومة تتلخص بما يلي :

اولا : ان الجهاز المصرفي الاسرائيلي كان في فترة انتقال من عهد الانتداب البريطاني حيث تمت تصفية البنوك العربية وضعف مركز البنوك الاجنبية مثل بنك باركليس والبنك العثماني . كما ان المصارف الاسرائيلية لم تكن قد تبلورت بعد بشكلها الحالي اذ ظهرت الى الوجود « تعاونيات مالية » لا تملك خصائص المصارف التجارية تماما .

ثانيا : ان وضع الليرة الاسرائيلية لم يكن قد استقر

تماما نظرا لوجود الجنيه الاسترليني في التداول خلال فترة طويلة من الزمن اثناء وجود الانتــداب البريطاني .

ثالثا : ان طبيعة المشاكل التي واجهت الاقتصاد الاسرائيلي في تلك المرحلة كـانت وثيقة الصلــة بالسياسة المالية اكثر من ارتباطهــا بالسياســة النقدية . فامتصاص الاعداد الكبيرة من المهاجرين اليهود وبناء مرافق السكن والمواصلات والتجهيزات الانشائية الاخرى دفع الحكومــة الاسرائيلية الى ممارسة سياسة « الانفاق بعجــز » على نطــاق واسع . كما ان الحكومة كانت تحدد اسعار كثير من السلع الامر الذي جعل وجود سياسة نقدية امرا ثانويا في تلك المرحلة . وخلال الفترة ما بين عام ١٩٤٩ — ١٩٥١ لم تحاول الحكومة الاسرائيليــة تحديد حجم التسليفات التي يمنحها القطاع المصرفي، ذلك ان الحكومة نفسها كانت تستعمــل النظــام المصرفي لتمويل سياسة « الانفاق بعجــز » على نطاق واسع . فقد تركت السندات الحكومية التي بحوزة الجمهور على اساس انها موجودات سائلة وبالتالي شكلت قاعدة للتوسع في حجم التسليفات. وكانت اول محاولة لتحديد الحد الادنى للسيولــة قد جرت في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٥٠ حين قررت وزارة المالية ان تلتزم المصارف العاملة بنسبة سيولة على مجمــوع ودائعهــا في حــدود ٤٥٪(١). وفي نيسان (ابريل) ١٩٥١ قررت وزارة المالية رفع النسبة المذكورة الى ٥٠٪ في محــاولة للحد من التوسع النقدي الكبير الذي بدأت اثاره تظهر على مستوى الاسعار . وحيث ان الرقابة على حجم الاحتياطي لدى المصارف التجارية لم تكــن شديدة فقد كانت المشكلــة التي واجهــت وزارة المالية آنذاك هي في كيفية الحد من قدرة المصارف التجارية على استعمال احتياطيهــا للتوســع في التسليف وكيفية توجيه هذه التسليفات نحو المجالات الانتاجية التي تريد الحكومة تشجيعها مثل قطــاع الصناعة . ويمكن القول بأن هذه الفترة كــانت انتقالية ولم تكن هنالك حاجة ماسة لانشاء بنــك مركزي .

انشاء البنك المركزي

في الرابع والعشرين من اب (اغسطس) ١٩٥٤ أقر الكنيسـت القانون الخاص بانشاء أول بنــك مركزي في اسرائيل وفي الثالث من ايلول (سبتمبر) من نفس العام اصبح القانون موضع التنفيذ عندما تم نشره في الجريدة الرسمية . وسنحاول ان نوجز للقارىء اهم بنود هذا القانون وهو يقسم الــى ثلاثــة عشر قسمــا تحــت العناوين التاليــة :
١ — تفسير القانون . ٢ — بنك اسرائيل واعماله. ٣ — رأس مال البنك ، صندوق الاحتياط ، وتوزيع الارباح . ٤ — الحاكم ونائب الحاكم صلاحيــات ومهام كل منهما . ٥ — اللجنة الاستشارية والمجلس الاستشاري طريقــة تعيينهما واعمالهمــا . ٦ — وسائل الدفع . ٧ — اعمال القطع الاجنبــي . ٨ — الاعمال التسليفية للبنك . ٩ — تنظيم سيولة المؤسسات المصرفية . ١٠ — تنظيم التسليفــات المصرفية . ١١ — البنك كوكيل مصرفي ومالــي للحكومة . ١٢ — نشر التقارير وتدقيق البيانــات المالية . ١٣ — احكام متفرقة .

القسم الاول يحدد التعاريف الواردة في القانون في حين ان القسم الثاني (المواد ٢ — ٤) يحــدد اعمــال البنك على انه يهــدف الى مــا يلي :
١ — تثبيت قيمة العملة في اسرائيل وخارجهــا .
٢ — العمل على تحقيق مستويات مرتفعة للانتــاج والدخل والعمالة واستثمــار رؤوس الامــوال في اسرائيل .

وفي القسم الثالث (المواد ٥ — ٧) يحدد القانون كرأس مال البنك بعشرة ملايين ليرة اسرائيلية وذلك عن طريق قيام الحكومة الاسرائيلية باصدار مــا قيمته عشرة ملايين من السندات المالية وايداعها لدى البنك المركزي على ان تقوم الحكومة بتسديد هذه السندات على اقساط حسب اتفاق بين حاكم البنك المركزي والحكومة . وتنص المادة السادسة من القسم الثالث على ان يقوم البنــك بايجــاد صندوق احتياطي حيث تودع فيه الارباح المتحققة من عملياته حتى تتساوى قيمتها مع رأس مال البنك . ويحدد القسم الرابع (المواد ٨ — ١٩) من القانون صلاحيات وسلطات حاكم المصرف ونائبه كما يحدد مدة تعيين الحاكم بخمــس سنوات يمكن اعــادة انتخابه بعد انتهاء المدة . كما حرمت على المرشح ان يكون نائبا في الكنيست او ان يكون حاملا لاسهم في مصارف تجارية .

ويدعو القسم الخامس من القانون (المواد ٢٠ — ٢٦) الى انشاء لجنــة استشاريــة ومجلــس

---

١ — Economic Planning Authority, *Israel Economic Development* (Jerusalem: Govt. Press, 1968), p. 235.

استشاري تكون مهمة اللجنة فيها تقديم كـافـة الاستشارات للحاكم بينما تكون مهمة المجلس تقديم المشورة فيما يتعلق برسم وبتنفيذ السياسة النقدية. اما القسم السادس (المواد ٢٧ — ٣٥) فيحدد وسائل الدفع في الاقتصاد الاسرائيلي ومسؤولية البنك المركزي تجاه النقد المطبوع والمتداول وضرورة الاحتفاظ بغطاء مقابل هذا النقد . وتنص المادة (٢٩) على ان جميع النقد هو التزام بالدفع من قبل البنك المركزي وان على البنك المذكور ان يحتفظ بموجودات تمثل غطاء للنقد المتداول . وقد استثنت المادة المذكورة النقد الذي بحوزة البنك المركزي واعتبرته لا يشكل جزءا من موجوداته ومطلوباته .

وفي القسم السابع (المواد ٣٦ — ٤١) يتناول عمليات القطع الاجنبي التي يستطيع البنك المركزي القيام بها ويحصر التعامل مع الحكومة والوكالة اليهودية «والكيرن كيميت» ومؤسسة مصرفية واحدة خارج اسرائيل ومؤسسة مالية دولية . وتنص المادة (٣٨) على انه يمكن للبنك المركزي ان يقترض من مؤسسات دولية وحكومات اجنبية وان يكفل هذا القرض برهن بعض موجوداته بعد اخذ موافقة الحكومة واللجنة المالية في الكنيست . كما نصت المادة (٤٠) على ضرورة تشاور الحكومة مع حاكم البنك المركزي قبل اتخاذ اي قرار يتعلق بسعر القطع الاجنبي .

ويحدد القسم الثامن من القانون (المواد ٤٢ — ٤٨) عمليات التسليف التي يستطيع البنك المركزي ممارستها ومنها تقديم تسهيلات مصرفية للمصارف التجارية عن طريق خصم السندات المالية واعطاء قروض لقاء سندات واسهم . كما تنص المادة (٤٥) على انه يمكن للبنك ان يقدم تسليفات مؤقتة الى الحكومة لتمويل مشاريعها على ان لا تزيد هذه التسليفات عن ٢٠٪ من مجموع قيمة الميزانيةالعامة للدولة (لا يدخل فيها الميزانية الانمائية) . كما نصت المادة (٤٦) على انه يمكن للبنك ان يشتري ويبيع السندات الحكومية واي سندات تحمل فائدة محددة . ويستطيع البنك المركزي قبول ودائع من المصارف التجارية .

اما القسم التاسع (المواد ٤٩ — ٥٦) فيتناول تنظيم سيولة المصارف التجارية حيث يستطيع البنك المركزي ان يطلب من المصارف التجارية الاحتفاظ بنسبة معينة من السيولة مقابل الودائع التي بحوزتها او كنسبة مئوية معينة من مجموع موجوداتها . وفي حالة اخفاق أي مصرف الالتزام بنسبة السيولة فانه يتوجب عليه دفع فائدة معينة تساوي الفرق بين الموجودات السائلة المطلوبة حسب القانون والموجودات السائلة التي يحتفظ بها المصرف بالفعل .

أما القسم العاشر (المواد ٥٣ — ٥٦) فيحدد نسبة الموجودات الى رأس المال كما يعطي البنك المركزي صلاحية فرض قيود على طريقة فتح الاعتمادات المصرفية . والمادة ٥٦ تنص على انه بامكان الحاكم بعد التشاور مع اللجنة الاستشارية واخذ موافقة الحكومة على ان يحدد الحد الاعلى للفائدة التي يستطيع مصرف تجاري ان يدفعها على ودائعه وحتى نسبة العمولة التي يتقاضها المصرف من عملائه .

والقسم الحادي عشر (المادة ٥٧) تحدد دور البنك كعميل مالي للحكومة حيث يقوم بادارة قروض الدولة وان يحتفظ بودائع الحكومة وان يقوم بكافة الاعمال المصرفية التي تتطلبها الحكومة .

واخيرا فالقسم الثاني عشر (المواد ٥٨ — ٦٢) يحدد التقارير الدورية التي يتوجب على البنك نشرها عن وضعه المالي وكذلك تقريره السنوي عن وضع الاقتصاد الاسرائيلي . اما القسم الثالث عشر (المواد ٦٣ — ٨٠) فيتناول أحكام متفرقة ومنها موضوع سرية المصارف وتمثيل الحكومة الاسرائيلية لدى المؤسسات المالية الدولية وغيرها. ويشرف البنك المركزي (سنة ١٩٦٨) على عدد كبير من المصارف والمؤسسات المالية موزعة على الشكل التالي : مصارف تجارية ٢٧ . جمعيات تسليف تعاونية ١٦ . مصارف استثمار ورهونات ٢٠ . مؤسسات مالية ١٧ . والمجموع ٨٠ مؤسسة . المصدر : بنك اسرائيل — **التقرير السنوي** ص ٤٦٥ .

السندات حسب القطاع

(مليون ليرة اسرائيلية)

القطاع	**عملة محلية**	**عملة اجنبية**
الزراعة	٩،٩	—
الصناعة	١٦٥،٨	١٢٩،٢
التجارة	—	٥،٨
الخدمات العامة	—	١٢،٠

المؤسسات الوطنية	—	٤٢٢٠
الخدمات	١٤١	—
المجموع	١٧٦٤٨	١٩٠٤٠

المجموع الكلي ٣٦٦٤٨

المصدر : بنك اسرائيل — **التقرير السنوي** ص ٤٥٠

الجهاز التنفيذي للبنك المركزي

يتألف الجهاز التنفيذي للبنك المركزي الاسرائيلي على النحو التالي : أ — حاكم المصرف ويعين من قبل رئيس الدولة بموجب توصية من الحكومة لمدة خمسة اعوام . ب — تقوم الحكومة بانتخاب نائب للحاكم بعد التشاور مع الحاكم . ج — لجنة استشارية من سبعة اعضاء . د — مجلس استشاري يتألف من خمسة عشر عضوا سبعة منهم اعضاء اللجنة الاستشارية .

اما حاكم المصرف منذ انشائه حتى منتصف العام ١٩٧١ فهو « دافيد هورويتز » وهو من ابرز الاقتصاديين الاسرائيليين وله مؤلفات ومقالات عديدة في الاقتصاد الاسرائيلي ومشاكله وقد خلفه في هذا المنصب موشي ساندبرج .

واللجنة الاستشارية يرأسها « ي. شورن » ومجموع اعضائها سبعة وتقوم اللجنة المذكورة بتقديم المشورة الى حاكم المصرف في كل ما يتعلق بجوانب ومشاكل السياسة النقدية مثل اجراءات السيولة واحتياطي القطع الاجنبيواندماج المصارف والترخيص بانشاء مصارف جديدة وكذلك عمليات السوق المفتوحة وعلاقة البنك المركزي بالمؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي وغيره .

أما المجلس الاستشاري فيضم عددا من الاقتصاديين ورجال المال البارزين ، ويجتمع على الاقل مرة كل شهرين لابداء الرأي حول القضايا المطروحة .

تقييم دور البنك المركزي

بعد ان استعرضنا بايجاز نشأة البنك المركزي واهم البنود الواردة في قانون انشائه فاننا سنحاول تقييم دور البنك المركزي خلال الفترة ١٩٥٤ — ١٩٧٠ في محاولة للاجابة على السؤال التالي : هل نجح البنك المركزي في تحقيق الاهدافالاقتصادية والمالية التي انيط القيام بها ؟

للاجابة على هذا السؤال من الافضل فصل موضوع مراقبة المصارف التجارية عن موضوع فعالية السياسة النقدية التي اتبعها البنك . ففي مجال المراقبة يمكن تلخيص الوضع على الشكل التالي: أ — في تركيب النظام المصرفي ، للبنك المركزي الكلمة النهائية بالنسبة لافتتاح مصارف جديدة او افتتاح فروع جديدة لمصارف موجودة . ب — في الاطار القانوني — هنالك ثغرات عديدة بالنسبة لمراقبة رأس المال المكتتب به وعمليات شراء وبيع الاسهم وعلاقة المصارف بعضها ببعض . ج — في تحديد سعر الفائدة — ينص القانون الحالي على ان الحد الاعلى لسعر الفائدة هو ١١٪ في حين ان البنك المركزي يحدد سعر الفائدة على ودائع المصارف التجارية لديه . ويؤثر البنك المركزي تأثيرا كبيرا على حجم ارباح المصارف التجارية نظرا لارتفاع حجم الودائع التي تمتلكها المصارف المشار اليها لدى البنك المركزي .

اما بالنسبة لموضوع السياسة النقدية فقد جاء في احد الدراسات النقدية حول دور البنك المركزي ما يلي : « ارتكز نظام البنك المركزي في ممارسة السيطرة النقدية على استعمال نسب مختلفة بالنسبة لاحتياطي المصارف التجارية . ولم تكن هذه الوسيلة فعالة نظرا لان البنك المركزي لا يستطيع التحكم بحجم الاحتياطي المتوفر لدى المصارف التجارية . وحيث ان هنالك امكانية حصول المصارف التجارية على موجودات سائلة اضافية اما عن طريق تحويل القطع الاجنبي المتراكم او عن طريق ودائع نقدية ، فان فعالية الرقابة النقدية تتوقف على قدرة البنك المركزي على تخفيض حجم الاحتياطي . » وحيث ان البنك المركزي امتنع عن استعمال « عمليات السوق المفتوحة » فلم يعد بامكانه تحديد كمية الاحتياطي المتوفر لدى المصارف التجارية »(٢). ويتابع الكاتب تحليله لدور البنك المركزي فيؤكد ان التعديلات التي أدخلت على نظام المراقبة كانت في الشكل اكثر منها في جوهر الموضوع . ويخلص الكاتب الى تأكيد نقطتين : **أولا** : ان جزءا من التسليفات الموجهة الى قطاع الصناعات التصديرية وهو القطاع الذي كانت الحكومة ترغب في تشجيعه كان يتسرب الى تجارة الجملة والمفرق وقطاعات اخرى لا ترغب الحكومة في تشجيعها . **ثانيا** : ان البنك المركزي لم يستطع التحكم في جميع مصادر التسليفات بل كل ما في الامر انه كان يؤثر تأثيرا جزئيا بدليل

---

٢ — Meir Heth, *Banking Institutions in Israel* (Jerusalem: Falk Institute, 1966) p. 306.

ان كمية وسائل الدفع في الاقتصاد الاسرائيلي كانت دائما تزداد بنسبة اكبر من الزيادة في الدخل الحقيقي .

ويلاحظ ان البنك الاسرائيلي المركزي حقق نجاحا جزئيا في منع حدوث توسع نقدي . ويرجع السبب الرئيسي الى عدم لجوء البنك المذكور الى «عمليات السوق المفتوحة » على نطاق واسع بسبب ضيق السوق المالي ورغبة الحكومة في عدم حدوث منافسة بين وزارة المالية التي تطرح سندات حكومية دائما والبنك المركزي . وبذلك فقد البنك المركزي اهم اسلحته للتأثير على كمية وسائل الدفع مباشرة . والواقع ان البنك المركزي كان يلجأ الى استعمال الوسائل الكيفية اكثر من لجوئه الى استعمال « الوسائل الكمية » للتأثير على كمية وسائل الدفع وبالتالي محاولة التحكم في مستوى الاسعار . وللتدليل على ذلك نذكر ان البنك المركزي لم يستعمل « اعادة الحسم » للسندات المالية للتأثير على سعر الفائدة كما هو الحال في البلدان التي تملك اسواقا مالية متطورة ، كما انه لم يمكن المصارف التجارية التي تحتاج الى مزيد من السيولة ان تستعمل هذا الاسلوب بل اقتصرت موافقته على حسم سندات للسلع التصديرية بسعر فائدة زهيد بقصد تشجيع الصناعات التصديرية . « ولعل أهم سبب لعدم استعمال سلاح « اعادة الحسم » يعود الى ان هنالك حدا اعلى لسعر الفائدة لا يمكن تخطيه » . وحتى عام ١٩٥٧ كان سعر الفائدة القصوى حسب القانون ٩٪ ثم ارتفع الى ١١٪ في نفس العام(٣).

وانصافا للواقع نقول ان النجاح الجزئي الذي حققه البنك المركزي كان نتيجة للتضارب المستمر بين اهداف السياسة الاقتصادية . فزيادة رصيد اسرائيل من العملات الاجنبية كان يزيد من حجم الموجودات السائلة في الاقتصاد الاسرائيلي وبالتالي كان يترك اثارا تضخمية في الوقت الذي كانت تحاول فيه الحكومة منع مستوى الاسعار العام من الارتفاع . لذلك كان من اهم المشاكل الاقتصادية كيفية التوفيق بين الحفاظ على ثبات مستوى الاسعار وتحسين وضع ميزان المدفوعات .

ولعل اهم سبب لنجاح البنك المركزي الجزئي في الماضي وامكانية عدم نجاحه في المستقبل يعود الى القيود الكمية المفروضة على عملية انتقال الموارد داخل الاقتصاد الاسرائيلي . وهذه القيود موجودة في اسواق السلع والقطع الاجنبي وكذلك في اسواق عوامل الانتاج . وعندما تتقرر اسعار هذه الامور بقرارات ادارية وعن طريق المساومة الجماعية فان السياسة النقدية التي تعمل من خلال التأثير على كمية وسائل الدفع وحجم التسليفات في الاقتصاد تفقد الكثير من فعاليتها واليتها . ويبدو حتى الان ان التنسيق الضروري بين وزارة المالية والبنك المركزي حتى لا تتعارض السياسة النقدية والسياسة المالية لم يكتب له النجاح في اسرائيل.

٣ — N. Halevi & R. Klinov - Malul, *The Economic Development of Israel* (New York: Frederick A. Prager, 1968), p. 264.

مصادر البحث

١ — Economic Planning Authority, *Israel Economic Development* (Jerusalem, Govt. Press, 1968).

٢ — N. Halevi & R. Klinov - Malul, *The Economic Development of Israel* (New York: Frederick A. Prager, 1968).

٣ — M. Heth, *Banking Institutions in Israel* (Jerusalem: Maurice Falk Institute, April 1966).

٤ — Bank of Israel, *Bank of Israel Law* (Jerusalem: Govt. Press, 1954).

٥ — D. Horowitz, *For Economic of Israel* (London: Pergamon Press, 1967).

٦ — Bank of Israel, *Annual Report*.

الصحافة في اسرائيل : د . اياد القزاز

ان أول ما يميز الصحافة في الارض المحتلة عن غيرها في البلدان الاخرى هو تمركزها في مدينة واحدة وهي تل ابيب . فجميع الصحف اليومية عدا اربع منها تصدر في هذه المدينة . والصحف التي لا تصدر في تل ابيب تطبع في القدس ومعظمها تصدر باللغات الاجنبية(١). وتعود اسباب تمركز الصحف في تل ابيب الى عدة عوامل نجملها بما يلي . ١ — ان تل ابيب منذ بنائها في بداية هذا القرن كضاحية بالقرب من يافا من قبل المهاجرين اليهود الاوائل لفلسطين ، بنيت على اساس انها مدينة يهودية صرفة وقد تركزت فيها منذ البداية نشاطات اليهود المختلفة بما فيها الصحافة اليهودية ولو رجعنا الى تاريخ الصحف الاسرائيلية التي صدرت قبل انشاء الكيان المحتل ١٩٤٨ لوجدنا ا— ان ٩٩ بالمائة منها قد صدر في تل ابيب. ٢— ان تل ابيب اكبر مدينة في اسرائيل من ناحية السكان اذ يبلغ عدد نفوسها حوالي ٣٨٨،٠٠٠ نسمة اي ما يقرب من سبع سكان اسرائيل الكلي(٢). كما ان تل ابيب كانت عاصمة الكيان المحتل بعض الوقت والعاصمة كما هو الحال في معظم اقطار العالم تتمركز فيها معظم المؤسسات الحكومية وفيها تجري مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية وبذلك تنمو فيها الصحف اكثر من غيرها من المدن لقرب الصحف من مصادر الاخبار التي تتعلق بسياسة البلد الداخلية والخارجية . ٣ — صغر مساحة الارض المحتلة اذ تبلغ حتى ١٩٦٧ حوالي ٧٩٩٣ ميلا مربعا(٣) . وصغر المساحة جعل بامكان الصحف الصادرة في تل ابيب ان تصل الى اي منطقة في اسرائيل في ظرف ساعة او ساعتين بالطائرة وبمعنى آخر يستطيع القارىء في أي مكان ان يقرأ الجرائد الصادرة في تل ابيب بعد سويعات من صدورها . ومثل هذا الوضع لا يشجع على تطوير ونمو الجرائد المحلية اذ مثل هذه الجرائد لا تستطيع على منافسة الجرائد التي تصدر بالعاصمة والتي تتمتع بقدرات مالية وادارية كبيرة مما يجعلها قادرة على تحطيم الجرائد المحلية . ٤ — ان طرق المواصلات في اسرائيل على درجة عالية من التقدم اذ ان جميع المدن والقرى مرتبطة بطرق برية مبلطة صالحة لسير السيارات في جميع فصول السنة كما ان جميع المدن المهمة مرتبطة بخطوط جوية مع العاصمة هذا وكثيرا ما تستعمل الصحف الكبرى الطائرات لايصال الجرائد باسرع وقت ممكن لانحاء القطر . ٥ — يتكون المجتمع الاسرائيلي من عدة اجناس وحضارات وعناصر قومية مختلفة بل ان الكثير من الشباب الاسرائيلي لا زال مرتبطا بكثير من الروابط العائلية والقرابية مع افراد لا زالوا يعيشون في مجتمعات متعددة منتشرة في جميع اقطار العالم . ان مثل هذاالوضع يشجع القارىء الاسرائيلي على الاهتمام بالامور الدولية والاحداث الخارجية اكثر من اهتمامه بالامور المحلية . اي ان ارتباطات الاشخاص المحلية ليست باهمية الصلات التي تربطهم مع الاشخاص في الخارج وبذلك فان اخبار تلك المجتمعات على جانب كبير من الاهمية لكثير من افراد المجتمع الاسرائيلي وطبعا ان الصحف التي تصدر في تل ابيب اقدر على اشباع رغبة الفرد الاسرائيلي للتعرف على ما يحدث في المجتمعات المتعددة لاتصالاتها الخارجية وقربها من السفارات الاجنبية وغير ذلك .

وتتميز الصحافة في اسرائيل عن غيرها بكثرتها وتعددها . فسكان الارض المحتلة لا يتجاوزون ثلاثة الملايين ولكن مع هذا تصدر هناك ٢٥ صحيفة يومية ، ٥٠ مجلة اسبوعية ، ١٥٠ مجلة تصدر كل اسبوعين او شهريا و ١٠٠ مجلة فصلية وحوالي ٧٠ مجلة اخرى تصدرها الحكومة(٤). وعدد ما يطبع من الجرائد اليومية يبلغ حوالي نصف مليون نسخة وهي نسبة عالية جدا بالنسبة للسكان اذ تبلغ حوالي ٢٠ لكل مائة شخص وهي اعلى نسبة في الشرق الاوسط حيث تأتي بعدها لبنان التي تبلغ النسبة فيها عشرة لكل مائة شخص(٥). ويعود تعدد الصحف الى الاسباب التالية ١ — كثرة الاحزاب السياسية في اسرائيل . فما لا يقل عن اثني عشر حزبا سياسيا ممثلا في الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) بالاضافة الى الاحزاب الاخرى الممثلة في هذا المجلس(٦). ولمعظم هذه الاحزاب السياسية صحف ومجلات ناطقة باسمها تصدر باللغة العبرية وغيرها من اللغات الاجنبية بما فيها العربية . والواقع ان معظم الجرائد اليومية هي جرائد حزبية(٧). ٢ — تنوع العناصر التي يتكون منها

المجتمع الاسرائيلي فمعظم الشبان والشيوخ قد ترعرعوا في دول وحضارات متعددة وقد هاجروا الى اسرائيل في اوقات مختلفة . وقد ساعد هذا التنوع الحضاري واللغوي على نمو وتعدد الصحف وخاصة الاجنبية منها لكي تشبع رغبات وميول المهاجرين . ٣ — ارتفاع نسبة التعليم في اسرائيل اذ تبلغ اكثر من ثلاثة وتسعين بالمائة عند اليهود(٨)، كما ان حب المطالعة والاطلاع على درجة عالية وهذا يصح بصورة خاصة عند اليهود الاوروبيين الذين جلبوا هذه التقاليد من البلاد التي هاجروا منها . ٤ — عدم تأسيس محطة التلفزيون الى ما قبل اربع سنوات مما دفع المواطنين الى الاعتماد على الجرائد والمجلات لقضاء الوقت والتعرف عما يحدث في داخل البلاد وخارجها .

ويخصص قسم كبير من مساحة الصحف للاخبار العالمية والخارجية وبصورة خاصة الولايات المتحدة ، اوروبا وروسيا والشرق الاوسط ويظهر هذا بصورة خاصة في الجرائد التي تصدر باللغات الاجنبية وعلى العموم ان الجريدة التي تصدر بلغة اجنبية معينة تخصص مساحات اكبر لاخبار الدولة او المجتمع الذي يتكلم تلك اللغة فجريدة جروسليم بوست الانكليزية والتي تصدر بالقدس تخصص مساحات كبيرة لاخبار الولايات المتحدة وانكلترة وتنشر كثيرا من الاخبار حتى نتائج المباريات الرياضية لمختلف الالعاب مثل الباسبول وهذا الامر طبيعي اذ ان هذه الجرائد التي تصدر باللغات الاجنبية تشبع ميول الجماعات المختلفة التي هاجرت الى الارض المحتلة .

ومن أهم الاسباب التي تدفع الصحف الاسرائيلية الى تخصيص مساحات كبيرة للاخبار الخارجية هو ان اسرائيل بوضعها الحالي تعتمد كثيرا على القوى الخارجية . فبقاؤها وتطورها يعتمد الى حد كبير على المعونات التي تقدمها امريكا والدول الغربية والتي تعد بآلاف الملايين من الدولارات فما يجري مثلا في الولايات المتحدة مهم جدا لحياة وبقاء اسرائيل . فالانتخابات الامريكية والتنافس بين الحزب الجمهوري والديمقراطي قد يقرر نوعية ومقدار المعونة التي ستحصل عليها اسرائيل وكذلك نوع السياسة الخارجية التي ستتبعها امريكا تجاه اسرائيل. لذلك نجد الصحف الاسرائيلية تزخر باخبار الانتخابات الامريكية وتنشر عنها الكثير من التفاصيل الوافية ومن المرشحين وفلسفتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية وارائهم تجاه اسرائيل .

وتصدر في اسرائيل كثير من الصحف باللغات غير العبرية فمن ٢٥ صحيفة يومية ، تسع تصدر بلغات غير عبرية وهي العربية والانكليزية والفرنسية والبولونية واليديشية والهنغارية والالمانية والرومانية والبلغارية(٩). وقد صدرت جميع الجرائد غير العبرية عدا اثنتين(١٠) بعد ١٩٤٨ حيث ازداد عدد المهاجرين من مختلف اقطار العالم الذين لا يعرفون العبرية واصبحت الحاجة ماسة الى اصدار جرائد بلغات متعددة لاجل اشباع رغبات وميول وحاجات هؤلاء المهاجرين . كما ان الاحزاب السياسية عملت على اصدار جرائد بلغات متعددة من اجل ترغيب هؤلاء المهاجرين وتشجيعهم للانضمام لهذه الاحزاب .

ويبدو ان عدد الجرائد « الاجنبية » اليومية آخذ بالانحسار وخاصة في السنوات الاخيرة فقد تقلصت من ١٢ جريدة في اوائل الستينات الى تسع في أوائل السبعينات وحاليا لا يزيد عدد توزيع الجرائد الاجنبية عن ١٩ بالمائة من التوزيع الكلي لجميع الجرائد اليومية(١١) كما ان معظم محرري هذه الجرائد لا يودون التفرغ كليا لمثل هذه الجرائد ويفضلون الاشتغال الى جانب ذلك بالجرائد العبرية لكي يضمنوا مستقبلهم في عالم الصحافة(١٢). هذا ولولا المعونات المالية الكبيرة التي تحصل عليها هذه الجرائد « الاجنبية » من الاحزاب السياسية والمؤسسات الاخرى لانقرض الكثير منها اذ ان الدخل الذي تحصل عليه من التوزيع والاعلانات قليل جدا ولا يكفي بتاتا تغطية كلفة اصدار الجريدة . وتعود اسباب انحسار الجرائد غير العبرية الى ازدياد الذين يعرفون العبرية اذ تبلغ نسبة المولودين في الارض المحتلة حاليا اكثر من ٤٠ بالمائة كما ان معظم المهاجرين قد تعلموا العبرية اما في المدارس او في دورات خاصة نظمتها الحكومة الاسرائيلية لتعليم اللغة العبرية او في الجيش الذي يعتبر اكبر مؤسسة لتعليم اللغة والثقافة والقيم العبرية(١٣).

وتعتبر جريدة جروسليم بوست من خيرة الجرائد، العبرية وغير العبرية ، في اسرائيل . وتصدر هذه الجريدة بالانكليزية . وقد تأسست عام ١٩٣٢ تحت اسم فلسطين بوست ثم غيرت اسمها الى جروسليم بوست في ١٩٤٨ عند تأسيس دولة اسرائيل . وتصدر هذه الجريدة في الصباح ومحررها تد لوري

ويبلغ توزيعها ٢٤ الف نسخة في ايـام الاسبوع و٣٥ الف نسخة في يوم السبت(١٤). وتعتبر هذه الجريدة من المصادر المهمة للمراسلين الاجانب اذ يعتمدون عليها للتعرف عما يجري في اسرائيل كما انها مصدر اساسي لجميع المهتمين باسرائيل الذين لا يعرفون العبرية فجميـع المكتبات الكبـرى في الولايات المتحدة مشتركة بهذه الجريدة(١٥). وعلى العموم تتميز مقالات واخبار هذه الجريدة بالجدية .

اما الجرائد غير العبرية الاخرى فمعظمها لا تتمتع بجودة في الطباعة ولا قوة في المقالات التي تنشر فيها . كما ان معظم هذه المقالات عبارة عن ترجمات لما ينشر في الصحف العبرية والصحافة الاجنبية . ورغم ان عددا كبيرا من سكان اسرائيل يتكلمون اللغة العربية الا ان الصحافة العربية غير متطورة حتى بالمقارنة مع الصحـافة غير العبرية الاخرى التي تصدر في اسرائيل . فقبل ١٩٦٧ كان ما يقرب من نصف سكان اسرائيل على الملم ودراية كبيرة باللغة العربية ويضم هـذا العدد العرب الذين بقوا في الارض المحتلة والبالغ عددهم ٣٠٠ الف واليهود العرب الذين هاجروا من العراق ومصر واليمن وشمال افريقيا . وحتى لو فرضنا ان اليهود العرب يفضلون الجرائـد العبرية على الجرائـد العربية بعد تعلمهم للغة العبرية فان هذا لا يبرر مطلقا عدم تقدم وتطور الصحافـة العربية اذ ان معظم الصحف العربية اليومية لا يزيد عدد توزيعها عن ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ نسخة . ويبدو ان هناك اربعة أسباب مسؤولة عن هذا الوضع . ١ ــ ان معظم العرب من سكان الريف (٧٥ بالمائـة) بينمـا لا تتجاوز هذه النسبة ١٨ بالمائة عنـد اليهود(١٦) . ٢ ــ ان اجـراءات العدو ابقت مستوى العرب الثقافي والتعليمي متخلفا بالنسبة لليهود ، اذ نسبة الامية عالية بينهم وخاصة في فئة العمر ١٤ فما فوق اذ تبلغ هـذه النسبة حـوالي ٥٢ بالمائة(١٧) . ٣ ــ ان معظم المحررين في الصحف العربية هم من اليهود مما يقلل ثقة العرب بهذه الجرائد وما ينشر فيها . ٤ ــ واخيرا يفضل معظم العرب الاستماع الى محطـات الاذاعة الموجهة لهم من الاقطـار العربية المجاورة ويستغنون بها عن وسائل اعلام العدو .

وأول جريدة يومية صدرت بالعربية بعد تأسيس دولة اسرائيل هي جريدة اليوم وقد اصبحت لسان حال منظمة العمـال الاسرائيلية (الهستدروت) في عام ١٩٦٠ وبلغ توزيع هذه الجريدة حـوالي ٣٥٠٠ نسخة في ايـام الاسبوع و ٥٠٠٠ في يـوم الجمعة . وقد احتجبت عن الصدور في عام ١٩٦٨. وحاليا توجد جريدتان يوميتان الاولى الانباء وتصدر في القدس وتابعة لجريدة جروسليم بوست الانكليزية ومحررها يهودي . اما الجريدة الثانية فهي القدس ومحرروها هم من الفلسطينيين القاطنين في الضفة الغربية التي احتلتها اسرائيل بعـد حرب ١٩٦٧ والى جانب هذه الجرائد اليومية يصدر الهستدروت والاحزاب السياسية مجلات اسبوعية او شهرية او فصلية باللغة العربية . هذا بالاضافة الى صحيفة الاتحاد لسان حال الحزب الشيوعي (ركاح) .

ان اكثر الصحف انتشارا هي الجـرائد المستقلة التي تأسست معظمها بعد تأسيس دولة اسرائيل . ونظرة سريعة على جدول الجرائد اليومية ترينا على ان توزيع الصحف المستقلة يفـوق كثيرا توزيـع الصحف المرتبطة بالاحزاب السياسية . فجميـع الصحف التي يزيد توزيعها عن ٥٠ الف نسخة هي صحف مستقلة بينما لا يزيد توزيع معظم الصحـف الحزبية عن ٢٥ الف نسخة يوميا . وهناك عـدة اسباب مسؤولة عن قلة انتشار الصحف الحزبية اهمها : ١ ــ كثرة وسرعة الاندماجات والانشقاقات بين مختلف الاحزاب السياسية . وقد رافقت هذه الخاصية الحياة السياسية لليهود منذ بدايةهجرتهم الى فلسطـين الى يومنا هـذا وترجع اسبـاب الاندماجات الى كثرة الاحزاب السياسية ورغبـة بعضها في تقوية مركزها ونفوذها عن طريق اتحادها فيما بينها لكي تستطيع ان تفوز ببعـض المقاعد في البرلمان الاسرائيلي كما ان بعض الاحزاب تتشابـه في الكثير من آرائها وافكارها كما نشاهد ذلك في الاحزاب الدينية واليمينية . هذا ومما يجب التأكيد عليه ان هذه الاندماجات قد لا تستمر طويلا فبعضها يتكون قبل الانتخابات بأمد قصير وتستمر لفترة محدودة بعدها تنشطر من جديد(١٨) وتصاحب ظاهرة الاندماجات والانشقاقات بين الاحزاب ظهور واختفاء كثير من الجرائد اليومية التي تصدرها الاحـزاب المندمجة والمنقسمة . وطبعا مثل هـذا الوضع لا يشجع الفرد الاسرائيلي على الاشتراك في مثلهذه الجرائد لانه لا يستطيع ان يضمن استمرار حصوله على الجريدة لفترة من الزمن . ٢ ــ تؤكد الصحف الحزبية على المقالة والامـور الحزبية . وعـلى العموم ممكن وصف الصحافة الحزبية على انهـا

صحافة رأي لا صحافة خبر . فما يجري يوميا على النطاق الدولي والمحلي لا يؤكد كثيرا اذ كثير ما تفضل الصحف الحزبية على نشر مقالة اوخطاب لاحد افراد الحزب بدل نشر خبر عالمي او محلي. وطبعا مثل هذا الوضع لا يشجع الفرد الاسرائيلي المتعطش لمعرفة ما يحدث على النطاق الدولي والمحلي على شراء الجرائد الحزبية .

وقبل ان ننتهي من بحث موضوع الصحافة المستقلة او الحزبية علينا ان نشير الى ان الجرائد المستقلة الكبرى تعتمد في توزيعها على البيع في الاكشاك ومكتبات بيع الصحف والكتب والمجلات . بينما تعتمد الصحف الحزبية في بيعها على الاشتراكات(١٩) ومعظم المحررين في الصحف الاسرائيلية هم من اصل اوربي . وقد دلت الدراستان اللتان قام بهما استاذ الاجتماع رافائيل جيل في الخمسينات(٢٠) حول الصحفيين الاسرائيليين على ان غالبيتهم العظمى هم من اوربا . وفيما يلي جدولا تفصيليا يوضح اصل الصحفيين كما جاء ذلك في تينك الدراستين .

اصل الصحفيين

مولود في	دراسة عام ١٩٥٥ بالنسبة المئوية	دراسة عام ١٩٥٩ بالنسبة المئوية
اوربا	٨٢	٧٩
فلسطين المحتلة	١٤	١٥
آسيا	٣	٣،٥
افريقيا	٥	١
غير معروف	١	١،٥
عدد المشتركين في الدراسة	٣٧٠	٤٠٠

ورغم ان هذا الجدول يشير الى حدوث بعض التغير الطفيف عن اصول المشتغلين بالصحافة الا انه يشير بصورة لا يخامرها الشك على ان الغالبية الساحقة او ثمانين بالمائة هم من اصل اوربي او امريكي وعلى ان نسبة الاسيويين والافريقيين قليلة جدا ولا تتعدى الخمسة بالمائة علما بان نسبة المهاجرين من هاتين القارتين الى اسرائيل يشكل اكثر من ٤٠ بالمائة من مجموع السكان الكلي لاسرائيل . ورغم ان الستينات من هذا القرن قد شهدت بعض التغير في خلفيات المشتغلين في عالم الصحافة فلا زالت الاغلبية العظمى ذات خلفيات اوروبية وامريكية . ونظرة سريعة على كتاب دليل الشخصيات الاسرائيلية لعام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ تشير على ان معظم الصحفيين الذين وردت ترجمةحياتهم في هذا الكاتب هم من اصل اوربي او امريكي فمن ١٣٤ ترجمة وردت في هذا الكتاب للصحفيين الاسرائيليين ثلاثة فقط تعود الى صحفيين ولدوا في العراق وجنوب افريقيا اما الباقون فمن مواليد اميركه واوربه . هذا ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان نفس هذا الشيء يصح بالنسبة للمؤسسات السياسية والاجتماعية والعسكرية في اسرائيل . فمثلا ان الحكومة التي تشكلت في عام ١٩٦٩ عقب انتخابات الكنيست لعام ١٩٦٩ ضمت ٢٤ وزيرا بينهم وزير واحد من اصل شرقي وهو شلومو هليل المولود في العراق(٢١). كما ان قادة الجيش وكبار الضباط هم من اصل اوربي(٢٢).

والخاصية الثانية التي يؤكد عليها جيل في دراستيه هي ان معظم المشتغلين في الصحافة في اسرائيل هم من الرجال اذ لا تزيد نسبة النساء على خمسة بالمائة(٢٣). ويعزو جيل ذلك الى كون الصحافة هناك ذات طابع سياسي وان المواضيع غير السياسية لا تحتل مكانا مرموقا فيها مما ادى الى عدم رغبة اشتغال النساء فيها .

اما الخاصية الثالثة التي يشير اليها جيل فهي ان معظم الصحفيين في اسرائيل قد حصلوا على ثقافة اعلى من المرحلة الثانوية وهذا يصح بصورة خاصة على اولئك الذين جاءوا من اوروبا وامريكا. اما الخاصية الرابعة فهي ان متوسط اعمار المشتغلين بالصحافة مرتفع جدا اذا قورن بسكان اسرائيل فحوالي ٨٩ بالمائة من الصحفيين تتعدى اعمارهم الثلاثين(٢٤).

واخيرا يشير جيل الى ان عددا كبيرا من المشتغلين بالصحافة وخاصة القدامى سبق لهم ان اشتغلوا ومارسوا الصحافة في اوربا او امريكا قبل هجرتهم الى اسرائيل وقد نقل هؤلاء خبرتهم عند مجيئهم لاسرائيل .

وتعتمد الصحافة الاسرائيلية في حصولها على الاخبار الداخلية على وكالة الصحافة الاسرائيلية التي تسمى ايتم . شكل هذه الوكالة في عام ١٩٥٠ مجموعة من الصحفيين المشتغلين في الصحف اليومية ، ويدير الوكالة لجنة تمثل مختلف الصحف اليومية التي تشترك فيها . وحاليا تغطي هذه الوكالة جميع انحاء فلسطين

المحتلة اذ لها مراسلون ومخبرون في جميع ارجاء البلاد ولها مركزان كبيران في تل ابيب والقدس . وتجهز هذه الوكالة الصحف المحلية والاذاعة بالاخبار الداخلية وبعض اخبار هذه الوكالة مصدرها مركز الاعلام الحكومي كما ان هذه الوكالة تقوم بترجمة ما تحصل عليه من وكالات الانباء العالمية مثل رويتر ووكالة الانباء الفرنسية . وتطبع الوكالة نشرة اسبوعية ونشرة مالية باللغة الانكليزية(٢٥).

اما الاخبار الخارجية فتعتمد الصحف الاسرائيلية على المصادر التالية . أ ــ وكالة الانباء الاسرائيلية وتعود ملكيتها الى وكالة الانباء البرقية اليهودية التي مركزها في نيويورك ولندن . وغرض هذه الوكالة هو توزيع ما يردها من اخبار من الوكالة الام في نيويورك ولندن . ب ــ وكالات الانباء العالمية مثل رويتر ، وكالة الانباء الفرنسية وكالة اليونايتد برس ، وكالة الاسوشيتد برس .. الخ وبعض هذه الوكالات لها مراكز كبيرة يشتغل فيها عدد من الموظفين لتوزيع اخبار الوكالة على الصحف المحلية . جـ ــ واخيرا تعتمد الصحف الاسرائيلية على مراسليها بالخارج وخاصة في الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا .

وتخضع الصحف الاسرائيلية للرقابة العسكرية . وتتخذ هذه الرقابة طابعين : الطابع الاول هو ان الرقيب العسكري يحذر ويمنع الصحف من نشر بعض الاخبار التي تتعلق بأمن الدولة الخارجي والداخلي وبذلك تظهر بعض الصحف وعليها عبارة رقابة بدل الخبر او المقال المراد نشره . والطابع الثاني هو ان الرقيب العسكري يوزع على المحررين عددا من المواضيع التي يجب على اصحاب الصحف تجنب الكتابة عنها وطرقها . وفي الاعم والاغلب يفضل المحررون عدم الخوض في مثل هذه المواضيع(٢٦).

بدأت الرقابة العسكرية عملها منذ الساعات الاولى لتأسيس دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ . ودائرة الرقابة العسكريةتابعة الى الاستخبارات العسكرية، وللدائرة ثلاثة مراكز في تل ابيب والقدس وحيفا . وهي تحت اشراف ضابط برتبة عميد يعين من قبل وزارة الدفاع . وحوالي ٤٠ بالمائة من الذين يشتغلون في هذه الدائرة هم من الجيش والبقية من الاحتياط . ويتمتع جميع اعضاء الدائرة بثقافة عالية وهم متخصصون في حقول مختلفة وعلى علم ودراية بلغات اجنبية مختلفة(٢٧). وبالاضافة الى دائرة الرقابة العسكرية توجد محكمة خاصة لتميز قرارات دائرة الرقابة في حالة اعتراض اصحاب الصحف على تلك القرارات وعلى محكمة التمييز ان تصدر قراراتها في مدة لا تتجاوز الـ ٤٨ ساعة لان الاخبار تفقد قيمتها بسرعة. وتتألف محكمة التمييز من ثلاثة اشخاص يرأسها محام وعضوية ضابط ومحرر من احدى الصحف . وباستطاعة رئاسة اركان الجيش ان تنقض قرار محكمة التمييز اذا لم يكن القرار قد صدر بالاجماع ، ولم يحدث مثل هذا الامر الا مرة واحدة في خلال الـ ٢١ سنة الماضية . وفي السنوات العشر الاخيرة استمعت محكمة التمييز الى ١٠٠ قضية ربحت دائرة الرقابة العسكرية تسعين قضية بينما ربح محررو الصحف عشر قضايا(٢٨).

لقد عملت الرقابة العسكرية الاسرائيلية على تخدير أصحاب الصحف وعدم اكتراثهم بما تقوم به الرقابة من كبت لحريات النشر . فمثلا القي القبض على أحد محرري الصحف المثيرة وحوكم بصورة سرية وسجن لمدة سنة لنشره مقالا يحتوي على بعض المعلومات السياسية المتعلقة بالامن ولم تحاول الصحف الاسرائيلية اثارة هذا الموضوع رغم علمها به ولم تشر اليه الا عندما نشرت الخبر جريدة النيويورك تايمز الامريكية في عددها ١٧ شباط ١٩٦٧ . كما أن الصحف لم تحتج في حادثة مصادرة تقرير عربي عن عدوان ١٩٦٧اعيد طبعه في اسرائيل(٢٩).

وأهم ثلاث صحف اسرائيلية :

أ ــ **معاريف** (المساء) : جريدة مسائية مستقلة تأسست في عام ١٩٤٩ وتصدر بالحجم الصغير وصاحب ومحرر الجريدة هو الدكتور اسريل كارلباخ . وتعتبر من أوسع الجرائد توزيعا وانتشارا . بلغ توزيعها في البداية ٣٠ الف نسخة باليوم وقفز هذا الرقم الى ٧٥ الف نسخة في عام ١٩٦٠(٣٠) وحاليا يبلغ توزيعها ١٦٠ الف نسخة في ايام الاسبوع و٢١٠ الاف نسخة يوم الجمعة . وتضم هذه الجريدة عددا كبيرا من المحررين والموظفين الذين يشتغلون بدوام كامل في مركز الجريدة في تل ابيب او فروع الجريدة في انحاء مختلفة من فلسطين(٣١). كما أن للجريدة ١٨ مراسلا أجنبيا . ثلاثة منهم من نيويورك وباريس ولندن . ويختلف اسلوب الجريدة عن بقية الجرائد الاخرى اذ تعتمد على الاثارة فلا تتورع عن نشر بعض اخبار الجرائم تحت عناوين كبيرة ومثيرة بينما تمتنع

معظم الصحف الاخرى عن نشر مثل هذه الاخبار . وتملك الجريدة حاليا أكفأ محررين فنيين في اسرائيل وهما ابراهام كشون وهو يحرر العمود الفكاهي ودوش الكاريكاتوري الذي عمل على تطوير وتقديم الكاريكاتور في الجريدة بصورة يومية ومستمرة وقد اعتبر هذا حدثا مهما في تاريخ الصحافة الاسرائيلية . ومما يجدر ذكره ان نشر الكاريكاتور بالجريدة كان من الاسباب المهمة في شيوعها وانتشارها(٢٢).

ب ـ **هآرتس** (الارض) : جريدة صباحية مستقلة تصدر في تل ابيب . وتأتي بعد جريدة معاريف من حيث التوزيع والانتشار حيث يبلغ توزيعها حاليا ٧٧ الف نسخة في ايام الاسبوع أي حوالي نصف توزيع جريدة معاريف . ومحرر الجريدة حاليا هو جرشون شوكن وقد تأسست الجريدة عام ١٩١٩ وحاليا تصدر بـ ١٢ ـ ٢٠ صفحة وللجريدة ملحق اسبوعي يصدر في يوم الجمعة تبلغ عدد صفحاته ٦٠ ـ ٧٠ صفحة ويضم مقالات في الاقتصاد والاداب والاجتماع والسياسة وهذه المقالات على مستوى عال نسبيا من الدقة والتحليل كما يضم الملحق حقولا خاصة بالسينما والمسرح والفن والراديو والازياء .

تؤكد الجريدة على الاخبار العالمية وعادة تظهر في الصفحة الاولى والثالثة اما التعليقات فتظهر على الصفحة الثانية . وتعتمد جريدة هآرتس في اخبارها على مراسليها في الخارج وخاصة في الولايات المتحدة وكذلك وكالة الانباء اليهودية . وبالاضافة الى ذلك تعمل الجريدة على اعادة نشر بعض المقالات التي تظهر في الجرائد العالمية الكبرى مثل النيويورك تايمس الاميركية ولوموند الفرنسية(٢٣). واهم ما يميز هذه الجريدة عن بقية الجرائد الاخرى هي جديتها ومستواها الرفيع في نشر المقالات الجيدة كما أن هذه الجريدة تتميز بآرائها المستقلة وليس للجريدة موقف معين تجاه الحكومة او يعتمد موقفها على الموضوع الذي تعالجه وهي في أغلب الاحيان تنتقد الحكومة ولكن انتقادها معتدل ولذلك يقرأ الجريدة معظم رجالات الحكومة وكبار الموظفين اذ عن طريقها يتعرف هؤلاء على آراء الطبقة المثقفة ونخبة البلاد التي تعتبر هذه الجريدة لسان حالهم غير الرسمي .

ج ـ **دافار** (الكلمة) : جريدة صباحية تصدر في تل ابيب ويبلغ توزيعها حاليا ٤٠ الف نسخة تأسست في عام ١٩٢٥ ومحررها يهودا كوتهلف وهي لسان حال الهستدروت ـ منظمة العمال الاسرائيلية ـ والى حد كبير تمثل الحزب الحاكم الذي يضم الاغلبية المسيطرة على منظمة العمال. تركز هذه الجريدة على اخبار العمال ومنظماتهم اكثر من الاخبار الاخرى . ومن المحررين السابقين الذين حرروا فيها موشي شاريت (الذي أصبح رئيسا للوزراء في عام ١٩٥٣ و١٩٥٤) كما أن بن غوريون نشر فيها عددا كبيرا من المقالات في اواسط الخمسينات مما أدى الى ارتفاع توزيع الجريدة .

وجريدة دافار ليست جريدة مثيرة ففي كثير من الاحيان تدفع الاخبار الاتية المهمة جانبا من اجل نشر خطاب احد المسؤولين في حزب العمال(٢٤). وكل عدد من اعدادها يحتوي على مقالات وتحقيقات بقلم أحد المسؤولين الكبار في الحكومة . هذا ومما يساعد على نشر الجريدة حاليا هو استعمال الجريدة للكاريكاتور وصلتها القوية بالحكومة عن **طريق الحزب الحاكم**(٢٥). واخيرا تملك الجريدة مطابع حديثة(٢٦).

---

١ ـ Ralph L. Lowenstein "The Daily Press in Israel : An Appraisal after Twenty Years" *Journalism Quarterly*, Vol. 42, Summer 1969, p. 326.

٢ ـ Ministry For Foreign Affairs "*Facts About Israel, 1969*" p. 44.

٣ ـ Department of the Army Pamphlet "*U. S. Army Area Handbook for Israel*" Washington U. S. Government Printing Office, 1970, p. VII.

٤ ـ John C. Merrill "*Handbook of World Press*", p. 229.

٥ ـ رالف لوينشتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٣٢٥ .

٦ ـ اياد القزاز « الاحزاب السياسية الاسرائيلية » ، **مجلة الآداب** ، مجلد ١٨ ، العدد الثالث ، آذار ١٩٧٠ ، ص ص ٤٤ـ٤٨ .

٧ ـ Moshe Zak "The Contemporary Press of Israel" *Gazette*, Vol. VII, No. I, 1961, p. 1.

٨ — J. C. Hurewitz *"Middle East Politics! The Military Dimension"*, New York Frederick A. Prager Publishers, 1969, p. 358.

٩ — *The Middle East and North Africa 1970-71.*London, Europa Publication Limited, 1970, p. 367.

١٠ — الجريدتان اللتان صدرتا قبل ١٩٤٨ هما جروسليم بوست الانكليزية ويديعوت حاداشوت — اخبار الاخبار — Yediot Hadshot الالمانية انظر : رالف لوينشتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٣٢٩ .

١١ — *Ibid,* p. 329.

١٢ — موشيه زاك ، **المصدر السابق نفسه** .

١١ — اياد القزاز ، « الجيش الاسرائيلي ودوره في المجتمع » ، **دراسات عربية** ، السنة السادسة ، العدد ٩ ، تموز ١٩٧٠ ، ص ١١٤ .

١٤ — *"The Middle East and North Africa 1970-71"* p. 368.

١٥ — Ernest Stock "The Press of Israel, Its Growth in Freedom" *Journalism Quarterly,* Vol. 31. (Fall 1954) p. 542.

١٦ — Elias Shoufani "The Palestinians Under Israeli Occupation, *Arab Areas Occupied by Israel in June 1967,* Chicago. Association of Arab - American University Graduates, Information Papers, No. I Sept. 1970, p. 21.

١٧ — رالف لوينشتاين ، **المصدر السابق**، ص ٣٢٩ .

١٨ — اياد القزاز « الاحزاب السياسية الاسرائيلية » **مجلة الآداب** مجلد ١٨ عدد ٣ ، آذار ١٩٧٠ ص ٤٤—٤٩ .

١٩ — Department of the Army Pamphlet, *Ibid.*

٢٠ — Raphael E. Gill "Journalists in Israel: A Statistical Portrait" *Journalism Quarterly.* Vol. 36 Winter 1959, pp. 57-62, and Raphael E. Gill "Press Corps of Israel Statistical Trends 1955-1959" *Gazette,* Vol. VII (1961), pp. 283-290.

٢١ — علي الدين هلال « صراع القوى في اسرائيل » **مجلة السياسة الدولية** ، ١٩٧٠ ، ص ٦٠ .

٢٢ — اياد القزاز « الجيش الاسرائيلي ودوره في المجتمع » ، **دراسات عربية** ، السنة السادسة ، العدد ٩ ، تموز (يوليو) ١٩٧٠ ، ص ١١٣ .

٢٣ — R. E. Gill "Press Corps of Israel Statistical Trends 1955-1959" p. 284.

٢٤ — **المصدر السابق نفسه** .

٢٥ — Department of the Army Pamphlet, *Ibid.,* pp. 229-31.

٢٦ — Ralph L. Lowenstein "Military Press Censorship in Israel" *Military Review,* Vol. L., February 1970, pp. 3-9.

٢٧ — *Ibid,* p. 6.

٢٨ — *Ibid,* p. 6.

٢٩ — *Ibid,* p. 9.

٣٠ — Elchanan Kramer "The Development of the Evening Press in Israel" *Gazette,* Vol. VII (1961) p. 16.

٣١ — *The Middle East and North Africa* 1970-71, p. 368.

٣٢ — E. Kramer *"The Development of the Evening Press in Israel"* p. 15.

٣٣ — John C. Merrill *"The Elite Press"* New York, Pitman Publishing Corporation, 1969, p. 89.

٣٤ — John C. Merrile p. 232.

٣٥ — Department of the Army Pamphlet, *Ibid.,* p. 227.

٣٦ — *Ibid,* p. 227.

تعليم العلوم الانسانية في فلسطين المحتلة : الدكتور احمد طربين

ان الارتباط العضوي بين اهداف المجتمع الاسرائيلي وحاجاته وبين اهداف التعليم الاسرائيلي يظهر بوضوح تام ، نظرا لطبيعة دولة اسرائيل التي قامت على أساس اجتذاب يهود العالم من مواطنهم الاصلية وحشدهم في فلسطين على صعيد واحد . وتبرز عملية التربية والتعليم كأهم وسيلة لتحقيق اهداف رئيسية ثلاثة : ١ - بناء مجتمع يهودي موحد يتألف من الجماعات اليهودية التي تجمعت على ارض فلسطين . ٢ - بناء دولة عصرية ذات قوة مادية ومعنوية . ٣ - حماية التراث اليهودي ونشره وتعميق الشعور به بين الناشئة اليهود في اسرائيل، كيما تصبح واسطة العقد ومركز الاتصال بين يهود العالم ، ولتصبح المعبرة الاولى عن قيم الشعب اليهودي ومنجزاته .

ويعتبر الهدف الاول هو الهدف الاهم الذي لا يتحقق الهدفان الاخران بدونه . فقد أورد القانون الرسمي للتعليم الذي صدر عام ١٩٥٣ ، اهداف التعليم على النحو التالي :

« ارساء الاسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم وعلى محبة الوطن والولاء للدولة وللشعب اليهودي ، وعلى ممارسة الاعمال الزراعية والحرفية ، وعلى التهيئة لوجود رائد، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادىء الحرية والمساواة والتسامح والتعاون ومحبة الجنس البشري »(١). وفي عام ١٩٥٩ اورد البيان الوزاري تفسيرا لعبارة (قيم الثقافة اليهودية) بقوله : « ستسعى الحكومة في المدرسة الابتدائية كما في المدرسة الثانوية والدراسات العالية ، الى تعميق الوعي اليهودي بين شبان اسرائيل ، وعلى ترسيخ جذورهم في ماضي الشعب اليهودي ، وفي تراثهم التاريخي وعلى تقوية العلاقات الاخلاقية التي تربط بين هؤلاء الشبان ، وبين اليهود في العالم - هذه العلاقات التي تنمو في وعي المصير المشترك وفي الاستمرار التاريخي الذي يوحد بين يهود العالم جميعا عبر الحدود والازمنة »(٢).

ولسنا في معرض شرح التناقض الحتمي في مضمون هذا الهدف ، بين تكوين مجتمع يوحده تراث تاريخي ديني قديم ، وبين بناء دولة عصرية تعتمد لا على العقل والعلم وحدهما ، وانما على هذا التراث التاريخي الديني القديم بالذات . وهو تناقض بين المعطيات الفكرية والروحية يوجه سياسة الدولة والتعليم . وبين متطلبات العلم الحديث ومستلزمات بناء الدولة العصرية . ويظهر تارة في التصادم بين الصهاينة السياسيين من ناحية ، وبين المتشددين الارثوذكس المتدينين من ناحية اخرى ، وينعكس هذا التصادم على الصعيد التعليمي ، فيبرز الاتجاه الديني الذي تمثله الاحزاب المتدينة وعلى رأسها (المزراحي) ، والاتجاه العلماني الذي تمثله الاحزاب العمالية والاشتراكية ، ويقابلهما نظام للتعليم المدني ونظام للتعليم الديني. والصهيونية التي تستغل الدين لاجتذاب يهود العالم الى فلسطين كان لا بد ان تواجه الصدام المحتوم مع اليهود الشرقيين الذين يختلفون عن اليهود الغربيين حضاريا بحكم اتصال هؤلاء بالغرب الاوربي في حضارته وتاريخه . فاليهود الغربيون ، سواء كانوا صهاينة ام غير صهاينة ، كانوا يلتقون مع الصهيونية في ارتباطها بمصادر الحضارة الغربية التي تتجه الى العلم والعقل. ومن هنا برزت مشكلة عدم التجانس بين اليهود الغربيين (الاشكناز) وبين اليهود الشرقيين (السفارديم) ، مما حدا بالسلطات للعمل على (تغريب) اليهود الشرقيين عن طريق حفز مشاعر التعلق بالارض التي تجمع اليهود وتوحد آمالهم ، وخاصة اذا اقترن ذلك بالمبالغة في تعظيم أعمال الرواد الاوائل الذين اسهموا في تأسيس دولة اسرائيل ، وهم في كثرتهم من اليهود الغربيين الذين يروق لهم دائما ان يشبهوا منجزاتهم بمنجزات الرواد المكتشفين الامريكان في القارة الجديدة من حيث تفانيهم في حب العمل والتعاون والكشف والاقدام . على أن تنمية الروح العسكرية بين مختلف فئات المجتمع الاسرائيلي هي عامل مساعد على صهرها في بؤرة من التجارب والمشاعر المشتركة. ويتم ذلك بواسطة التدريب العسكري (الجدناع) المفروض على طلبة المدارس الثانوية . ويتم أيضا في طلائع الشبيبة المحاربة (ناحال) المرابطة في مستوطنات الحدود. هذا بالاضافة الى انخريجي المدارس الثانوية لا يسمح لهم بدخول الجامعة الا بعد قيامهم بالخدمة العسكرية التي هي بحد ذاتها وسيلة اساسية من وسائل توحيد الثقافة والمشاعر ، مضافا اليها اللغة

العبرية التي هي لغة التدريس في جميع مواضيع الدراسة، ما عدا في المدارس العربية(٣).

ومنذ مرحلة التعليم الابتدائي ، تحتل الدراسة الدينية مكانة بارزة في المناهج سواء في المدارس الدينية او المدنية . وفي حين تعالج كثير من المواضيع تحت أسماء مختلفة مثل دراسة الوطن ، والتاريخ، واللغة العبرية ، من الزاوية الدينية ، تؤكد المناهج على تنمية الوعي اليهودي لدى الاطفال بقصد تأصيل علاقة الطالب اليهودي بتراثه القديم من خلال دراسته الدينية . ويوجه الاهتمام كذلك الى التربية الاجتماعية التي تعرض للاحداث الراهنة والمشاكل والازمات التي تتحدى الكيان الاسرائيلي لبعث الحس الاجتماعي لدى الطالب ، ولتقوية روح المواطنة فيه .

وفي المرحلة الثانوية تبدأ شعب التخصص بعد الصفين الاولين (التاسع والعاشر) . واكثر الفروع انتشارا هي الانسانيات ، والرياضيات — علوم ، ثم فروع الدراسات الشرقية. والمناهج في المرحلة الثانوية تتضمن اللغة العبرية ، وهي اجبارية في جميع الصفوف والفروع ، واصبحت اجبارية في المدارس العربية منذ عام ١٩٥٢ فضلا عن أنها لغة التعليم في الجامعات . وتتضمن المناهج كذلك العلوم الاجتماعية وهي التاريخ والجغرافيا والاخلاق . وموضوعان اساسيان يجري تدريسهما في جميع الفروع هما : التاريخ العام في العصر الحديث ، وتاريخ الشعب اليهودي . وتتضمن المناهج كذلك دراسة التوراة والتلمود والقانون ، والغاية منهـا تثبيت القيم اليهودية في نفوس الناشئة كما وردت في الكتب الدينية ومضاعفة تعلق الناشئة بأرض الوطن !

تعليم العلوم الانسانية في مرحلة التعليم العام :

نبدأ بالحديث عن تعليم العلوم الانسانية في مرحلة التعليم ليس فقط لان هذه المرحلة هي الموصلة منطقيا وعمليا الى مرحلة التعليم الجامعي فقط ، وانما أيضا لان الاهداف الاسرائيلية من وراء تعليم هذه العلوم واحدة ومتكاملة في كلا المرحلتين . ففي مرحلة التعليم العام تتحقق هذه الاهداف عن طريق التدريس والتلقين للناشئة في المدارس الابتدائية والثانوية . وفي المرحلة الجامعية تتحقق هـذه الاهداف بواسطة اختيار المواضيع وتوجيهها في المحاضرات وحلقات البحث في قالب ظاهره التجرد الموضوعي والبحث العلمي ، وباطنه الـدس والتزييف والتشكيك والتهديم ، لموضوعات التاريخ والتراث العربي بوجه خاص .

يجري تعليم العلوم الانسانية والاجتماعية فـي مختلف مراحل التعليم العام وفق مناهج وزارة المعارف والثقافة التي تراعي الهدف العام للتعليم وهو خلق المواطن المحب لدولته وللشعب اليهودي. ولا حاجة الى القول بأن المواضيع التي تدرس في المدرسة العربية هي نفسها التي تدرس في المدرسة اليهودية مع تعديل في موضوع التربية الدينية . كما أن لغة التدريس في المدرسة العربية هي اللغة العربية بالاضافة الى بعض التعديل والتوجيه في موضوع التاريخ . ولذلك فحسبنا ان نقتصر الحديث على تعليم العلوم الانسانية في المدارس العربية على اساس ما تسعى اسرائيل الى تجاهله او اضعاف تأثيره من أحداث التاريخ العربي سياسيا وحضاريا في المدارس العربية ، هو نفسه مـا نغفله بطبيعة الحال في المدارس الاسرائيلية . ومن ناحية اخرى فان تركيزنا على كيفية تعلم العلوم الانسانية في المدارس العربية يكشف لنا عما يشغل بال عدونا من أحداث تاريخنا ومواطن القوة فيه فنسعى — بعكس ما يفعل عدونا — الى تقوية تأثيرها ، او نتعمق في دراسة نواحي الضعف فيه وفي حاضرنا لنعرف وجه الحق في ما يركز عليه لدمغنا بالضعف والانحلال والتفكك . ان التعديل والتوجيه اللذين ادخلتهما وزارة المعارف والثقافة على موضوع التاريخ في المدارس العربية يهدف الى ملاءمة الاغراض الاسرائيلية ، ونظرة على تفاصيل هذا التعديل في مناهج مواضيع التاريخ والاجتماعيات والتربية الاسلامية ، ومطالعة الكتب المقررة لتدريس هذه المواضيع ، تعكس الاهداف الصهيونية من تعليمها . من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

١ — يبدأ تدريس التاريخ منذ الصف الخامس الابتدائي بمعدل حصة واحدة اسبوعيا ، ويشمل موجزا للتاريخ القديم ، ويضم المواضيع التالية : تطور الحياة البشرية في الشرقين الادنى والاوسط (٥ حصص) ، العبرانيون (١٠ حصص) ، الامبراطورية الفارسية (٣ حصص) ، الجزيرة العربية (٥ حصص) ، اليونان (٧ حصص) . ويظهر من ذلك ان ثلث البرنامج المقرر للصف الخامس مخصص لدراسة تاريخ العبرانيين .ويجري

تدريس بقية المواضيع من زاوية علاقتها باليهود في فلسطين . مثلا يركز المنهاج في دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم على « انتشار المستوطنات المزدهرة اليهودية في الجزيرة ولا سيما في الجنوب كاليمن وحضرموت والحجاز وبنو قريظة ، بنو قينقاع ، خيبر ، وادي القرى ، يثرب ، ثم يهود الحميريين ويوسف ذو نواس »(٤). وفي دراسة الامبراطورية الفارسية يركز على « كورش وتصريحه لليهود بالعودة الى اسرائيل ثم بناء الهيكل الثاني». وفي دراسة تاريخ اليونان يركز على « مقاومة اليهود في اسرائيل انتشار الديانة اليونانية بينهم ، ثورتهم على اليونان ، المكابيون ، يهودا المكابي وانتصاراته »(٥). وعلى ذلك فان تعليم التاريخ في الصف الخامس يدور حول العبرانيين ، والقصد هو ترسيخ الاعتقاد بأن فلسطين بلد يهودي منذ القديم .

٢ — ويحتوي منهاج التاريخ للصف السادس (حصتان اسبوعيا) على المواضيع التالية : الرومان (٦ حصص) ، البيزنطيون (٧ حصص)، التاريخ الاسلامي (٣٦ حصة) ، مراجعات عامة (٥ حصص) . ويتضح من هذا أن التاريخ الاسلامي يشكل ٥٦ ٪ من مقرر تاريخ الصف السادس ، ولكن هذا حكم عام مضلل . ذلك ان مواد هذا التاريخ الاسلامي يجري تدريسها وعرضها وكأنها سلسلة من الغزوات والحروب المستمرة وعمليات القتل والخصومات والسلب والنهب ، داخل المجتمع العربي نفسه وضد الامم الاخرى. وتبدو فلسطين من خلال كل ذلك وكأنها بلد يهودي قاسى من الغزوات الاسلامية ، كما قاسى من قبل الغزو اليوناني والروماني . ويركز الكتاب على الخلافات والمنعنات في التاريخ الاسلامي بين علي ومعاوية ، والخلافات بين الفرق الدينية ، والصراع بين الامويين والعباسيين بشكل يرمي الى انتقاص المكاسب والانتصارات العربية عبر الاجيال ، مقابل تعظيم التاريخ اليهودي وتضخيمه. ويخصص الكتاب فصلا لما يدعوه بالجهود اليهودية في الحضارة الاسلامية مثل « التعاون بين اليهود وبين العرب في المجالات السياسية والثقافية ولا سيما في الاندلس وفي مصر الفاطمية والايوبية ، موشى ابن ميمون ، الذي عاش في عصر صلاح الدين الايوبي ، وابن جبيرول الشاعر اليهودي الاندلسي ، وفي تاريخ الرومان والبيزنطيين يركز منهاج التاريخ على الشخصية اليهودية في فلسطين، متجاهلا الشعوب الاخرى ، فتجسم ثورات اليهود ضد الرومان والبيزنطيين بشكل بارز لاعطائهم صفة الشعب الحي القادم للغزو الحضاري . »

٣ — أما في الصف السابع فلا يدرس التاريخ العربي مطلقا في حين ان سدس حصص التعليم مخصص للعلاقات القائمة بين الجاليات اليهودية في الخارج وأرض اسرائيل . ويشمل منهاج التاريخ للصف السابع (حصتان اسبوعيا) اوربا في القرون الوسطى (١٢ حصة) عصر النهضة (٨ حصص) الامبراطورية العثمانية (١٠ حصص) علاقات يهود المهجر (١٠ حصص) الثورة الامريكية (٥ حصص) الثورة الفرنسية (١٠ حصص) ثم مراجعات عامة (٥ حصص) . وقد جاء في المنهاج عن الهدف المرتقب من تدريس (علاقات يهود المهجر) ما نصه : « فهم الحقيقة التاريخية وهي استمرار العلاقة الروحية بين يهود المهجر وبين ارض اسرائيل وحركات العودة بمختلف العصور كأحد مظاهر تلك الاستمرارية في العلاقة »(٦).

٤ — ويشمل منهاج الصف الثامن على تاريخ : اوربا بعد نابليون والثورة الصناعية (٥ حصص)، الشرقان الادنى والاوسط في القرن التاسع عشر (٧ حصص) ، الحرب العالمية الاولى والثانية وما بعدها (١٢ حصة) ، دولة اسرائيل (٢٠ حصة) ، مراجعات عامة (٥ حصص) . ويتضح أن نصف منهاج التاريخ في هذا الصف مخصص لدراسة دولة اسرائيل ، فضلا عن الاشارات الكثيرة الى اليهود في اقسام المناهج الاخرى فمثلا عند دراسة النازية يجري التركيز على « اضطهاد النازية لليهود وثورات اليهود في غيتو وارسو»(٧). كما يركز المنهاج عند الحديث عن الامم المتحدة على محاكمة مجرمي الحرب النازيين(٨) في حين انه يمر سريعا بالحديث عن استقلال الشعوب العربية بعد الحرب الثانية (حصة واحدة اسبوعيا) ، وبدلا منه يركز على (ادخال النفوذ السوفييتي في مصر والشرق) »(٩). ويلاحظ ان خطة المنهاج ترمي الى تجهيل الطالب بتاريخ العرب والعروبة في القديم والحديث ، وتجاهل الحركات العظيمة للفتح العربي والحضارة العربية ، وتأريث الانقسامات والعداوات وجعلها حية في نفوس العرب (تأزم العلاقات الطائفية في سورية ولبنان ، والخصومة بين الدروز والموارنة سنة ١٩٦٠) الخ ...

ولا يختلف منهاج العلوم الانسانية والاجتماعية في المرحلة الثانوية عن سابقتها الابتدائية في هدفها العام وانما هي استمرار للاتجاه ذاتــه وتأكيد لسياسة التهويد . وينص منهاج التاريخ في المدرسة الثانوية العربية على الهدف التالي : « ان يفهم الطالب اهمية دولة اسرائيل لشعب اسرائيل فــي جميع العصور وان يتغلغل في قرارة نفسه الشعور بالمصير المشترك للشعبين العربي واليهودي في الماضي والحاضر ، وذلك لتنمية الشعور فيه بمسؤوليته الفردية في تطوير اركان الدولة وتطورها ولاثارة روح الاستعداد لخدمتها وللقيام بواجبه »...(١٠) وتنعكس ذات الاهداف التي عرضنا لها في منــاهج تعليم التاريخ في المرحلة الابتدائية ، على المرحلة الثانوية . فعندما يعالج منهاج الصف التاســع موضوع التاريخ القديم يولي اهمية خاصة لحضارة العبرانيين ، ويناقش تاريخ الشعوب القديمة مــن زاوية علاقاتها بالعبرانيين . كما يركز عند دراسة تاريخ اليونان على « حكم اليونان في اسرائيــل وثورة المكابيين وحكم البطالسة في اسرائيل..»(١١) وكذلك عند دراسة الرومان يركــز على « حكــم الامبراطورية الرومانية في يهودا ، واسس النزاع بين الرومان واليهود »(١٢). امــا منهاج الصف العاشر فيتناول تاريخ العرب في العصور الوسطى، وفي تاريخ العرب يبرز المنهاج الجوانب المعتمة فيه ، كأنما هي سمات أساسية محتومة في التاريخ العربي كله ، ويهتم بالمنازعات بين الخلفاء والامــراء ، ويوسع في ما يسميه « توثيق عرى التعاون بين اليهود وبين العرب في المجالات السياسية والثقافية ولا سيما في الاندلس وفي مصر الفاطمية والايوبية — حسداي بن شبروط ، موشى بن ميمون ، شلومو بن حبيرول »(١٣). وفي الصف الحادي عشر يركز منهاج التاريخ على « احوال اليهود في العالم من القرن السابع عشر حتى العشرين »(١٤)، اما في الصف الثاني عشر فتدور مواد المنهاج في معظمها حول قيام دولة اسرائيل ومراحل تكوينها .

يتضح من هذا العرض ان تاريخ العبرانيين يشكل القسم الاكبر من تعليم التاريخ في المدرسة الثانوية العربية ، بينما لا يشكل تاريخ العرب الا جــزءا بسيطا يعرض بطريقة مشوهة ومزيفــة . وخلال سنوات الدراسة الثانوية الاربع ، يخصص للتاريخ العربي (٣٢) حصة فقط ، مقابل تخصيص (٣٨٤ حصة) للتاريخ اليهودي ، وبينما يجري تفصيل أحداث هذا التاريخ اليهودي — وهي قصيرة المدى زمانا ومكانا وقليلة التأثير — يحذف معظم التاريخ العربي مثل فتح العرب للاندلس والحضارة العربية هناك التي دامت اكثر من ٧٠٠ سنة . وطبيعي ان يبالغ برنامج التعليم في المدارس اليهودية في تدريس التاريخ اليهودي . وينعكس هذا التحيز الصارخ على اسئلة التاريخ في امتحان الدراسة الثانوية العامة ، فبينما تبدو الاسئلة المتعلقة باليهود رحبة متسعة وجادة يبدو مــن خلالها الخط السياسي الرسمي لدولة اسرائيل ، تظهر الاسئلة المتعلقة بالتاريخ العربي وكأنها احجيات تشيع فيها الحركات المبتذلة والمسالك الشائنة والخصومات المتنوعة . وتتجاهل تماما عظماء الرجال في الامة العربية خلال عصورها ، من ذلك مثلا ان الطالب العربي في هذه الامتحانات لا يسأل مطلقا عن النبي (ص) ولا عن الخليفة هارون الرشيد ، ولا عن معاوية او صلاح الدين .

ملاحظات عامة على تعليــم العلوم الانسانيــة والاجتماعية كما تبدو مــن خلال الكتب المقــررة لها(١٥): تتلخص الاهداف الصهيونية التهويدية فيما يلي :

اولا : ايهام الطالب العربي واليهودي بأن فلسطين ارض يهودية منذ أعماق التاريخ القديم ، والعمل على طمس معالم عروبتها بوسائــل أهمهــا :

١ — اختراع اسماء عبرية لجميع اسماء الاماكن والانهار والجبال والاقاليم والخلجان ، مثل (صفات) بدل صفد ، (بيت شمان) بدل بيسان ، (وادي هبسور) بدل وادي غزة ، (جبال يهودا) بدل جبال القدس والخليل ، (بئر شيباع) بدل بئــر السبع الخ(١٦). ٢ — ويترتب على هذا ايهام الطالب العربي واليهودي بأن الوجود اليهودي لم ينقطع عن فلسطين طوال العصور ، فالرومــان والبيزنطيون والفرس والعرب هم اقوام غازية بحيث يقصد اظهار فلسطين وكأن غالبية سكانها مــن اليهود ، وهؤلاء حرروهــا جزئيا من آخــر هذه الغزوات في حرب الاستقلال عام ١٩٤٨. ٣ — تلفيق علاقة تاريخية بين الاقاليم والمدن والنواحــي في فلسطين وبين العبرانيين ، بحيث يتراءى للقارىء ان اليهود هم سكان البلاد الاصليون وانهم يمثلون غالبية السكان ، ويحملون لواء مقاومة الغــزو الاجنبي ابتداء بالحكم الروماني وانتهاء بالحكم العربي والبريطاني . من ذلك مثلا ما ورد في كتاب

« معالم البلاد وجغرافيتها) المقرر للصف الثامن : « ان اعلى جبال اورشليم هو جبل النبي شموئيل ٨٨٥م ، ويظهر هذا الجبل للرائي من بعيد وعلى قمته بناء قديم اقيم فيما يقال على قبر النبي شموئيل اليهودي »(١٧).

ثانيا : تهيئة الطلبة العرب لقبول نوايا اسرائيل التوسعية عن طريق الايحاء لهم بأن هذا التوسع أمر طبيعي ، وحفز همم الطلبة اليهود وتوجيهها نحو التوسع . وحين يتناول المنهـاج جغرافيـة اسرائيل ، يتحدث عن حدود اسرائيل الحالية ، وحدود اسرائيل الطبيعية ، ويعرض لمساحتها وكأنها ارض اسرائيل الكبرى بأقسامها الطبيعية ومناخها الخ ... وتحدد اسرائيل الطبيعية او الكبرى في كتب المواد الاجتماعية على الشكل الاتي(١٨): حدود اسرائيل الطبيعية هي من الشمال نهر القاسمية ، ومن الجنوب وادي العريش حتى خليج ايلات ، ومن الشرق غور الاردن ، ومن الغرب البحر الابيض المتوسط . وجدير بالملاحظة ان تعبير (غور الاردن) يبقى غامضا الى أن يرد تعريفه في كتاب الصف الثامن : « غور الاردن يقسم بلاد اسرائيل الى قسمين ارض اسرائيل الغربيـة وارض اسرائيل الشرقية » .

ثالثـا : الحـط من شأن العـرب اجتماعيـا واقتصاديا ، ونعتهـم بالتخلف والضعف وتثبيط عزائمهم وتخذيل هممهم بالنيل من ثقة العربي بنفسه وبقومه ، وبالايحاء له بأن اسرائيل تعمل على رفع مستوى حياته في المسكن والمشرب والمعاش .

رابعا : الايحاء للطالب بفكرة تفكك المجتمع العربي، وذلك بالتأكيد على الخلافات بين الطوائف الدينية والعرقية المشكلة له ، فثمة خلاف بين الشيعة والسنة ، وبين الدروز والموارنة ، وبين المسلمين والاقباط ، وبين البربر والعرب الخ... فقد جاء في كتاب الجغرافية للصف الخـامس في معرض الحديث عن سورية « لقد تحصن الدروز في قراهم لكثرة أعدائهم مما اضطرهم الى الدفاع عن أنفسهم ضد هجمات الاعداء »(١٩). ويفهم من سياق العبارة ان الاعداء هم العرب ، ويريد المؤلف ان يتقرب من الدروز بقوله انهم كاليهود الاسرائيليين مهددون بعدو مشترك ، هو العرب ، والقصد هو الدس والافتراء واثارة النعرات الدينيـة بين طوائف المسلمين وطوائف المسيحيين . ويظهر ذلك بوضوح وجلاء في كتاب عنوانه (مدنيات اسرائيـل) يستعمل في الصفوف الابتدائية الاربعة من الصف الخامس حتى الثامن ، ويلاحظ فيه القارىء بسرعة مقدار الاسهاب والتفصيل في عرض الانقسامات الطائفية ثم الضرب مرة بعد مرة على وتر ان اسرائيل كانت ملتقى الاديان منذ العصر القديم حيث كان الجميع يعيشون في أمان ووئام وسلام ، وانها ما زالت كذلك . والمهم ان العرب يظهرون في طوايا الكتاب وكأنهم طائفة كغيرها من الطوائف ، بقصد محاولة الايهام بأن الخلاف بين العرب والصهيونيين هو خلاف ديني لا قومي ، ولذلك يتوجب العمل على تذويب الخلافات بين الاديان وبالتالي القضاء على النفرة بين العرب والصهيونيين ، والتسليم بأن اسرائيل هي المكان المثالي لتعايش جميع الطوائف . ويبدو هذا الامر ضروريا وطبيعيا خاصة ان اليهود كانوا أكثر من غيرهم تسامحا مع الطوائف الاخرى ، ففي سياق الحديث عن الطائفة الارثوذكسية يظهر الظلم والحيف الذي يوقعه اليونانيون الارثوذكس على أبناء طائفتهم من العرب ، ويتجلى ذلك في عدم سماح اليونانيين بوصول عربي ارثوذكسي الى منصب البطريرك ، وفي عدم السماح باقامة الصلوات باللغة العربية . اما الدروز ، فيذكر الكتاب نفسه انه لم يعترف بهم كطائفة مستقلة لا في ايام الحكم التركي ولا ايام الانتداب البريطاني ، ولكن اسرائيل اعترفت بهم ، وذلك بتطبيق قانون التجنيد الاجباري بالنسبة للدروز ١٩٥٧(٢٠).

وفي غمار محاولات التقرب من المجموعة العربية ، وتحت باب اختيار مهنة للتلاميـذ ، يبدو التلميذ العربي (احمد) معجبا بالمهندس اليهودي (آلون) الذي كان أعد الخرائط والتصاميم لبناء بيت (احمد). « وليس المهندس (الون) وحده صاحب الفضل اذ المقصود ان الدولة كلها هي مثـل (آلون) وأحسن ، اذ انها تهتم بالسكان وخاصة الاقليات والمحرومين منهم فتحسن احوالهم »(٢١)! وهكذا نجد تحت صورة لآلة زراعية كلمـات : الالات الزراعية الحديثة دخلت القرية العربية . وتحت باب اين تتجه ، اي ما المهنة التي تختارها ، يبرز التركيز على المهن الحرفية واليدوية ، وترد قصة نحواها ان الاستاذ كلم والد احد الطلاب في الصف واقنعه بارسال ابنه الى مدرسة صناعية بدلا من الجامعة لان الاولى تفيده أكثر ولانه يحبها . والهدف من ذلك هو ابقـاء العرب كطبقة تمتهن الاعمال اليدوية بدل الطموح الى ميادين التجارة والسياسة والعلم . ويستحسن الكتاب اختيار

الطالب لمهنة والده او قريبه . وهذه (سامية) اختارت مهنة التعليم مثل اختها كما اختار (سامح) مهنة الزراعة كوالده وكذلك (منير)(٢٢). ولكن هذه السياسة التعليمية الهادفة تقع في التناقض حين تضع سلطات الدولة العقبات والصعوبات الكثيرة في وجه تطوير الزراعة العربية ، فتصادر عشرات الالوف من احسن الاراضي الزراعية العربية ، وتحرم المزارعين العرب من الآلات الحديثة للارتقاء بها . وتعمل على الحيلولة دون تسويق جيد للمنتجات الزراعية العربية ، ونقا لسياسة تعسفية عنصرية تنتقص من قدر مهنة الزراعة وتهبط بقيمتها ، بينما تعمل الحكومة على تطوير الزراعة الاسرائيلية وتوسيعها وتقويتها بالقروض والمساعدات على حساب الزراعة العربية ، فتخفض اسعار المحاصيل العربية بالنسبة الى مثيلاتها من المحاصيل اليهودية ، وتضطر المزارع العربي الى بيع محاصيله الى شركات استغلالية تهدر ثمار جهده وعمله وتذهب بمعظم رزقه . وهكذا فان توجيه الطلبة العرب ليكونوا مزارعين هو بمثابة دفعهم الى العمل على اراض اغتصب اليهود معظمها ، وأبقوا أكثر من نصف السكان القرويين العرب العاملين في الزراعة دونما ارض ، يعيشون اجراء داخل القرية او خارجها .

ولا يفوت واضع مناهج التعليم ان اسرة الطالب العربي لا بد ان تعارض ما تهدف اليه الدولة من هذا التوجيه ، ولذا يصبح التشكيك بالقيم العربية القديمة هدفا في ذاته . وخلق هوة بين الطالب واهله ، لا تقتصر على دفعه للتمسك بالقيم الجديدة (لبلادنا)(٢٣) فحسب ، وانما ايضا لاصلاح اهله وذويه ، والقصد هنا مزدوج للايقاع بين الطالب واهله وانتزاعه عن نطاق سيطرة مفاهيم وقيم البيئة الاسروية التي ترعرع فيها ونشأ عليها ، مع الايحاء للطالب بأن اهله يحملون افكارا قديمة وخاطئة ، فاذا تلقن الطالب في المدرسة افكارا معينة عن الطوائف الدينية وعن الديمقراطية ، وحاول ابوه افهامه معنى القومية ومساوىء الاحتلال وغصب الحقوق رفض الطالب الاقتناع على اساس ان ما تعلم في المدرسة هو الصحيح والافضل(٢٤)!

واخيرا لا آخرا لا بد في مجال الحديث عن خطط اسرائيل تجاه الطلبة العرب في فلسطين المحتلة ، من القول ان خطط التعليم في اسرائيل تهدف الى تحويل القسم الاعظم من الطلبة العرب الى جماعة من الجهلة او انصاف المتعلمين ، والى انقاص الوعي القومي عندهم، وبلبلة افكارهم امام المجتمع اليهودي ، والحق ان نسبة مئوية كبيرة من خريجي المدارس الابتدائية العرب يقرأون ويكتبون اللغة العربية بصعوبة ، وبدلا من ان يتعلم الطلبة نتاج عقول فحول الشعراء والكتاب العرب ، تشحن ذاكرتهم بقطع ادبية مبتذلة لكتاب مغمورين ، هذا الى ان تعليم التوراة الزامي في المدارس الثانوية العربية في حين ان معاني الديانتين الاسلامية والمسيحية لا تدرس ابدا . وكذلك لا تدرس بعض سور القرآن الكريم في المدارس الابتدائية العربية ، ومحرم ايضا تدريس سورة (الممتحنة) في مدارس اليهود لانه ورد فيها آيتان تحضان على الجهاد ضد الذين قاتلوا المسلمين واخرجوهم من ديارهم .

وحين نقرر تدريس مادة (التربية الاسلامية) بعد ست عشرة سنة من قيام اسرائيل ، تركز مناهجها على الجانب الاخلاقي التهذيبي في الاسلام ، وخلا من المواد التي تتعلق بشؤون الحكم او تنظيم المجتمع او الجهاد في سبيل الله ، ضد المعتدين الغاصبين . وتركز على مواضيع الاخلاق والصلاة والمعاملات . وفي موضوع السيرة النبوية يحرص المنهاج على عدم التعرض لعلاقة المسلمين باليهود في بداية الدعوة الاسلامية وموقف اليهود منها ، وهنا يكتفى بذكر الحادثة دون توضيح الاسباب مثل طرد الرسول لبني قريظة او بني النضير. الخ...

تعليم الانسانيات فيمرحلة التعليم العالي والجامعي:

بعد أن أحطنا بأهداف تعليم العلوم الانسانية في مرحلة التعليم العام ، ننتقل الى المرحلة الجامعية. يجري تدريس الانسانيات في جامعات اسرائيلية اربع هي : الجامعة العبرية في القدس ، جامعة تل أبيب ، جامعة بار ايلان ، وجامعة حيفا .

وتعتبر **الجامعة العبرية** في القدس اقدم الجامعات في فلسطين المحتلة ، وتعتبر **الدراسات الانسانية** فيها متقدمة على الجامعات الاخرى التي تأسست بعد قيام الدولة عام ١٩٤٨ . ولقد كان للجامعة العبرية قصب السبق خاصة في ميدان الدراسات اليهودية منذ أول انشائها ، بقصد توثيق العلاقة الروحية التي تربط بين ابناء الجاليات اليهودية في بلدان (المهجر) ، والتي تربط تلك البلدان باسرائيل باعتبارها المركز الوحيد للشعب اليهودي .

وتضم كلية الانسانيات[٢٥] في الجامعة العبرية معهد الدراسات اليهودية ويدرس فيه : التوراة ، التلمود ، الادب العبري ، الفلسفة اليهودية والتصوف ، اللغة العبرية ، التاريخ اليهودي ، اليهودية المعاصرة ، الادب اليديشي . وتضم ايضا معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، ويدرس فيه : الحضارة الاسلامية ، تاريخ البلدان الاسلامية ، اللغة العربية وآدابها ، الدراسات الآسيوية ، الدراسات الافريقية . وتضم الكلية ايضا فرعا للانسانيات بوجه عام، ويشتمل التدريس فيه على مواد : الفلسفة ، الدين المقارن ، التاريخ ، الآثار ، الجغرافية ، اللغة اليونانية وآدابها ، اللغة اللاتينية وآدابها ، تاريخ اليونان والرومان ، دراسات كلاسيكية ، اللغة الفرنسية وآدابها ، اللغة الايطالية وآدابها ، اللغة الاسبانية ودراسات امريكية لاتينية ، دراسات رومانسية (اللغات واللهجات المشتقة عن الرومانية واللاتينية) ، اللغة الانكليزية وآدابها ، دراسات امريكية ، دراسات روسية ، ادب مقارن ، تاريخ الفن ، علم الموسيقى ، لغويات ، علم مصر القديمة ، علم آشور القديمة ، تربية . كما يشتمل التدريس على مواد متداخلة : التوراة والتاريخ اليهودي ، الادب العبري واللغة العبرية ، التاريخ اليهودي وتاريخ الفكر اليهودي .

ولكي ينال الطالب شهادة البكالوريوس في الانسانيات يتوجب عليه ان يدرس ثلاث سنوات يقدم في نهاية كل منها امتحانات في مواد موضوعين رئيسيين يختارهما اما من : آ ـ كلية الانسانيات ، ب ـ كلية العلوم الاجتماعية ، جـ ـ موضوع من كلية الانسانيات وموضوع من كلية العلوم الاجتماعية ، د ـ موضوع من كلية الانسانيات وموضوع متداخل ومتصل بأقسام اخرى . يضاف الى ذلك ان الطلبة في مختلف اقسام الكلية مطالبون بأخذ مواد مساعدة ، مع تركيز على مواد اللغة العبرية . والطلبة من خارج اسرائيل مطالبون باتقان العبرية قبل بدء الدراسة او اثنائها .

وجدير بالذكر انه بعد انشاء دولة اسرائيل برزت الحاجة الى تكوين جهاز من الخبراء في شؤون الشرق الادنى خاصة ، ليعملوا في الخدمات الحكومية ، ليس فقط في ميدان تطوير السياسة الاجتماعية ، والثقافية فحسب وانما لاقامة دورات دراسية متعمقة باللغتين العربية والفارسية ، بغية افساح المجال لامكانات دراسة ادب وثقافة وتاريخ شعوب هذه المنطقة من القارة الاسيوية . وفي نطاق تلبية حاجات التغلغل الاسرائيلي في الدول الجديدة التي استقلت حديثا في آسيا وافريقيا ، جرى توسيع ميدان الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية ، وانعقدت فيها دورات دراسية باللغة الصينية، وادخل الى برامج التدريس مواد التاريخ المعاصر لبلدان جنوب شرق آسيا ، والتطورات الاجتماعية للصين الحديثة . وتقرر كذلك تأسيس برنامج لدورات دراسية اساسية عن الهند والصين واليابان للاحاطة باللغة والادب والتطور الاقتصادي والاجتماعي في كل منها .

جامعة تل ابيب[٢٦]: تأسست عام ١٩٥٤ ، وتضم خمس كليات هي كلية الانسانيات ، كلية العلوم ، كلية الطب ، كلية العلوم الاجتماعية ، كلية الحقوق . وتمتد الدراسة في كلية الانسانيات على ثلاث سنوات يحصل الطالب في نهايتها على شهادة البكالوريوس وتتشابه مواضيع الدراسة والاقسام في كلية الانسانيات في جامعة تل ابيب مع مثيلتها في الجامعة العبرية . وفيما يلي بعض الشروط الواجب توفرها في طالب الدراسة في احد اقسام الكلية التالية :

التلمود ـ يدخله الطلبة الذين تلقوا تربية دينية كافية ، حيث يدرسون موضوعا رئيسيا من الموضوعات التالية : التوراة ، اللغة العبرية ، التاريخ اليهودي ، تاريخ الشرق الاوسط وافريقيا ، الرياضيات . وينصح الطلبة باستشارة رئيس قسم التلمود بخصوص اختيارهم للموضوع الرئيسي الثاني المطلوب لشهادة البكالوريوس .

اللغة العبرية (لغويات) ـ يقبل فيه حملة شهادة الدراسة الثانوية (الماترك او البغروت) مع اعتبار علامات اللغة العبرية . وينصح القسم الطلبة بأن يختاروا الموضوع الرئيسي الثاني من الدراسات اليهودية مثل : التوراة ، الادب العبري ، التلمود، الفلسفة اليهودية ، التاريخ اليهودي ، اللغويات اليهودية الخ.

الادب العبري : تؤخذ بعين الاعتبار علامة الطالب في اللغة العبرية .

التاريخ العبري : يشترط نيل الطالب علامة لا تقل عن (٧٠) في التاريخ بشهادة الدراسة الثانوية ، مع اتقان للانكليزية والمام بالالمانية او الفرنسية .

الفلسفة : لا شروط .

الفلسفة اليهودية : تؤخذ بعين الاعتبار علامة الطالب في الدراسات اليهودية ، وتتطلب طبيعة الموضوع في هذا القسم ان يختار الطالب موضوعه الرئيسي الثاني مما يلي : التوراة ، التلمود ، اللغة العبرية ، الادب العبري ، التاريخ اليهودي، الدراسات الكلاسيكية ، الفلسفة .

دراسات الشرق الاوسط القديمة — يمكن للطالب ان يختار الموضوعين الرئيسيين من هذا القسم ، شريطة ان يبرهن على معرفة بالتاريخ التوراتي ، واتقان اللغة العبرية ، وتؤخذ بعين الاعتبار علاماته في شهادة الدراسة الثانوية . ويختار الطالب موضوعه الرئيسي الثاني مما يلي : التوراة ، التلمود ، اللغة العبرية ، الادب العبري ، التاريخ اليهودي ، الادب (عام) ، الجغرافية ، علم النبات ، علم الحياة ، تاريخ الشرق الاوسط وافريقيا ، احد المواضيع الرئيسية في كلية العلوم الاجتماعية .

الدراسات الكلاسيكية : بفرعيها اليوناني واللاتيني. وينصح الطلبة باختيار موضوعهم الثاني من الاقسام التالية : التلمود ، الادب العبري ، التاريخ اليهودي ، الفلسفة ، الفلسفة اليهودية ، التاريخ (عام) ، الحضارة الفرنسية ، اللغة الانكليزية ، الشعر والادب المقارن ، الفنون المسرحية ، علم الاجتماع ، علم السياسة .

التاريخ (عام) : يقبل الطلبة على اساس معدلهم العام في شهادة الدراسة الثانوية .

تاريخ الشرق الاوسط وافريقيا : يقبل الطلبة على اساس مؤهلاتهم الشخصية ، وينصحون باختيار موضوعهم الثاني من واحد من اقسام التاريخ او الجغرافية او من اقسام كلية العلوم الاجتماعية .

الحضارة الفرنسية : يطلب معرفة مسبقة بالفرنسية ، ويعقد امتحان لهذه الغاية باللغة والانشاء والقواعد مع فحوص شفهية .

اللغة الانكليزية: يشتمل القسم علىشعبتين: شعبة اللغويات وشعبة الادب الانكليزي والامريكي . واختيار برامج الشعبتين يعادل الموضوعين الرئيسيين المطلوب تغطيتهما لنوال البكالوريوس . ومثل هذا البرنامج المركب ينصح به خاصة من سيتخذون تدريس اللغة الانكليزية مهنة لهم .

ويطلب من المرشحين لدخول هذا القسم معرفة مسبقة بالانكليزية ، ويشترط نجاحهم في امتحان دخول القسم .

الشعر والادب المقارن : يطلب من المرشح نجاحه في امتحان دخول القسم ، من معرفة مقبولة بالانكليزية ، ويمكن ان يختار الطالب موضوعه الرئيسي الثاني من الاقسام التالية : الادب العبري ، الحضارة الفرنسية ، اللغة الانكليزية ، الفنون المسرحية ، التوراة ، الفلسفة ، علم النفس ، علم الموسيقى .

فنون المسرح : حدد عدد الطلبة في هذا القسم لعام ١٩٦٨/١٩٦٩ بثمانية وعشرين طالبا ، يؤخذون بأفضلية علاماتهم في شهادة الدراسة الثانوية وفي المقابلة الشخصيةالتي تعقد لمعرفة احاطتهم بشؤون المسرح والدراما ، ولمعرفة قابلياتهم واستعدادهم للعمل ، ويتطلب دخول هذا القسم معرفة متقدمة باللغة الانكليزية .

علم النفس : يتطلب دخوله النجاح في مسابقة الدخول لمعرفة اهلية الطالب ، بالاضافة الى اخذ علاماته في شهادة الدراسة الثانوية بعين الاعتبار. وينصح الطلبة باختيار موضوعهم الرئيسي الثاني من مواد : الاحصاء ، علم الاجتماع ، علم الحيوان (برنامج نوعي يتلاءم مع دراسة علم النفس) ، الفلسفة ، الرياضيات (برنامج خاص) .

علم الموسيقى : يؤخذ الطلبة بناء على افضلية علاماتهم في الشهادة الثانوية ، اضافة الى نجاحهم في المقابلة الشخصية لامتحان معرفته بالهارمونيا وبالاشكال الموسيقية .

الجغرافيا : يؤخذ الطلبة بناء على افضلية علاماتهم في الشهادة الثانوية ، اضافة الى نجاحهم في المقابلة الشخصية . وينصح الطلبة باختيار موضوعهم الرئيسي الثاني من اقسام : التاريخ (عام) ، تاريخ الشرق الاوسط وافريقيا ، دراسات الشرق الاوسط القديمة ، بلدان نامية ، اقتصاد ، علم الاجتماع .

دراسات في اللغات الاجنبية : يطلب في نهاية السنة الاولى ان يبرهن طلبة القسم على سوية أعلى من سويتهم في شهادة الدراسة الثانوية في واحدة من اللغات : الانكليزية ، الفرنسية ، الالمانية .

اللغة الانكليزية : تعقد مسابقة لتحديد سوية الطلبة المرشحين في احدى فئات اربع بحسب توتهم

او ضعفهم. ويسجل الضعاف منهم في دورات صيفية تعقدها الجامعة .

هذا وقد انشيء في جامعة تل ابيب عام ١٩٦٣ قسم خاص بالتاريخ العسكري وذلك للقيام بدراسات في التاريخ العسكري وخاصة ما يتعلق منه بفلسطين. ويشترك في اعمال هذا القسم عدد من كبار ضباط الجيش الاسرائيلي وعدد من اساتذة الجامعة وغيرهم(٢٧). وفي نهاية عام ١٩٦٥ الحق بجامعة تل ابيب مركز رئونن شيلواح الذي تأسس عام ١٩٥٩ لبحث الشؤون الراهنة لبلدان الشرق الاوسط وآسيا وافريقيا ، ويركز على دراسة الاقليات في الوطن العربي ، ويقوم بنشاطاته تحت رعاية الجمعية الشرقية الاسرائيلية التي تصدر مجلة ربعية اسمها هامزراحي هاحاداش — الشرق الجديد . وفي صيف عام ١٩٦٦ تم الاتفاق بين جامعة تل ابيب ورئاسة الاركان الاسرائيلية على ان يدرس ضباط مدرسة الاركان في جامعة تل ابيب للحصول على دراسة جامعية . وينص الاتفاق على ان يستمع ضباط مدرسة الاركان الى محاضرات في مواضيع التاريخ والجغرافية ، على ان يستكملوا دراساتهم في مواعيد اخرى لاحقة لغرض الحصول على شهادة البكالوريوس(٢٨). وفي عام ١٩٦٩ أقامت جامعة تل ابيب معهدا لبحوث الاثار القديمة يعمل في نطاق كلية العلوم الاجتماعية ، ويهدف الى اعداد اجيال من الباحثين وعلماء الاثار الاسرائيليين الذين يحاولون الايهام بوجود علاقة واشجة بين ما يسمى بشعب اسرائيل وارض اسرائيل(٢٩).

جامعة بارايلان : هي الجامعة الاكثر يهودية ، تأسست في رامات غان بين تل ابيب وبتاح تكفا (١٩٥٣) ، وافتتحت رسميا عام ١٩٥٥ . أنشأتها منظمة مزراحي الامريكية (الحركة الصهيونية الدينية) ، وسميت الجامعة باسم رئيس المنظمة السابق مئير بارايلان ، يديرها مجلس امناء مقره في نيويورك وكبار اساتذتها من خريجي الجامعات الامريكية ، وتتميز الجامعة بطابعها الديني وولائها للتقاليد اليهودية ولطريقة الحياة اليهودية ، وتهدف الى خلق جيل من الشبان المتعلمين يجمعون بين تمسكهم بالعقيدة الدينية والموضوعات العلمية والعصرية . وتهدف كذلك الى ادخال النظام الجامعي الامريكي الى اسرائيل ، وتسهيل تبادل الطلبة مع الولايات المتحدة ، وخلق جسر ثقافي بين البلدين . وتتألف جامعة بارايلان من ثلاث كليات هي : ١ — كلية الدراسات الانسانية وتشمل قسم اللاهوت اليهودي (التوراة ، التلمود ، اغادا ، ميدراش) ، التاريخ اليهودي ، الادب العبري ، وقسم اللغات والاداب (اللغة العبرية ، اللغة العربية ، اللغة الانكليزية ، اللغة الفرنسية ، اللغة اليونانية ، اللغة اللاتينية) . ٢ — وكلية العلوم الاجتماعية وتشمل اقسام التاريخ والفلسفة، وعلم الاجتماع ، والاقتصاد ، وعلم النفس ، والتربية ، وعلم السياسة . ٣ — وكلية العلوم بأقسامها .

وهذه الجامعة تسعى لتنمية البحوث والدراسات في جميع ميادين الثقافة اليهودية والثقافة العامة . وتسعى كذلك الى التعريف بالتعاليم اليهودية ، والى تقوية الولاء للتقاليد اليهودية . والجامعة باطلاعها على الاحتياجات الخاصة لدولة اسرائيل ولليهود في « المهجر » تبغي تدريب اجيال من الادباء والعلماء المشبعين بحب اسرائيل والملهمين بشعور من الواجب تجاه الشعب اليهودي . وتسعى ايضا الى اعطاء الفرصة لزعماء الطوائف اليهودية المقبلين في « المهجر » ، كيما يتزودوا بالتعليم العالي او على الاقل بجزء منه في اسرائيل .

وفي نطاق الجامعة تأسس في صيف عام ١٩٧٠ معهد لدراسة تاريخ اليهود الشرقيين بغية اعطاء معلومات مفصلة ومستندات عن تاريخ اليهود في البلدان الاسلامية(٣٠) ومؤخرا افتتح فرع للجامعة في صفد (١٩٦٨/١٠/٢٢) حيث يتلقى الطلبة دروسا في المواد المتعلقة بالعلوم التاريخية والاقتصادية والاجتماعية ، واللغة العبرية وعلم النفس(٣١). وتخصص جامعة بارايلان ربع مجموع مساقات الطالب للعلوم الدينية اليهودية .

جامعة حيفا : تأسست عام ١٩٥٢ واقتصرت على معهد للقانون والاقتصاد ، وفي عام ١٩٥٤ انشىء فرع العلوم الانسانية، وفي ١٩٥٧ انشىء فرع للعلوم الاجتماعية ، وفي عام ١٩٦٧ افتتح فرع للدراسات الاسلامية (تاريخ الاقطار الاسلامية) ، كما افتتح فرع للفلسفة عام ١٩٦٨ . وتتألف الجامعة اليوم من كليتين : كلية الدراسات الانسانية وكلية العلوم الاجتماعية . وتضم هاتان الكليتان خمسة عشر قسما أهمها : التوراة ، اللغة العبرية ، التاريخ اليهودي ، التاريخ العام ، اللغة الفرنسية وآدابها ، اللغة الانكليزية وآدابها ، اللغة العربية

وآدابها ، الجغرافية ، التربية ، علم الاجتماع ، وعلم السياسة . وزاد عدد طلبة الجامعة من ٥٦٥ عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ الى ١٨٢٩ عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، منهم ٤٥٥ طالبا في كلية العلوم الاجتماعية و١٣٧٤ طالبا في كلية العلوم الانسانية ، كما زاد عدد أعضاء هيئة التدريس في الفترة ذاتها من ٩٢ الى ٢١٦ .

مدد الدراسة : يحتاج الطالب الى ثلاث سنوات للحصول على شهادة البكالوريوس من كلية العلوم الانسانية وكلية العلوم الاجتماعية . ويحتاج الطالب الى سنتين اخريين للحصول على شهادة الماجستير ، ويطلب منه كتابة رسالة في موضوع تخصصه . اما الدكتوراه فيحصل عليها الطالب بعد نواله الماجستير ، وليس لها زمن محدد .

ويشترط في جميع كليات الجامعات في فلسطين المحتلة ان يحضر الطالب المحاضرات وحلقات البحث ولا يجوز الانتساب وعدم الحضور مطلقا . ولكن تقدم الجامعة بعض التسهيلات للطلبة الذين يتعذر حضورهم في اوقات الدراسة الصباحية المعتادة ، وذلك بعقد دراسات مسائية لهم كما هو الحال في جامعة حيفا . وفي جامعة تل ابيب يجري تدريس القانون والعلوم الاجتماعية في المساء لمدة ثلاث سنوات، اما في السنة الرابعة فيشترط ان يقضيها الطالب في الدراسة الصباحية المعتادة كبقية الطلبة النظاميين .

البحوث والدراسات العليا (تحليل وتقييم) :

اذا اتفقنا على ان المستوى العلمي الذي يتمتع به اي قسم في اي جامعة انما يقاس بالعدد السنوي للمقالات والبحوث العلمية التي يصدرها العاملون في هذا القسم ، فاننا سنتخذ هذا المقياس اساسا في محاولتنا تقييم الانتاج العلمي في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية الذي جرى تنفيذه في الجامعة العبرية بالقدس . وفي اعتقادنا ان هذا لا يضير تحليلنا وتقييمنا لنشاط البحوث والدراسات، لان الجامعة العبرية لا تعتبر اقدم الجامعات في فلسطين المحتلة واقواها في الدراسات الانسانية والاجتماعية فحسب ، وانما ايضا اغزرها نتاجا وارقاها سبلا في هذا الميدان . وقد توفر لنا مصدر هام بالانكليزية اصدرته الجامعة العبرية عام ١٩٦٦ بعنوان تقرير ابحاث يشمل العامين ١٩٦٤ و١٩٦٥ ويصف في قسمه الاول والاصغر نتاج الباحثين والعلماء في العلوم الانسانية . ويصف في قسمه الثاني والاكبر نتاج الباحثين والعلماء في العلوم الاساسية الاخرى . كما وقع لنا مؤلف عنوانه (العلم والتعليم العالي في اسرائيل)(٣٢) يعتمد المصدر نفسه (تقرير ابحاث) في عرضه وتحليله لبحوث العلوم الاساسية التي قامت في كل من الجامعة العبرية بالقدس ، ومعهد وايزمن في رحوبوت ، ومعهد التخنيون (معهد اسرائيل التكنولوجي) في حيفا ، من حيث النوع والكم ، وفي احصائه لعدد البحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية التي قام بها اربعة اقسام هي : اللغة الانكليزية والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع .

وتبين الجداول التي يحتويها الكتاب ان عضو هيئة التدريس في الجامعات الاسرائيلية ينشر في المتوسط مؤلفا واحدا فقط في العام الواحد . فاذا اخذنا بعين الاعتبار جميع افراد القوة العاملة في هذه الاقسام ، والتي تتألف (بالاضافة الى من هم محاضرون فما فوق) من حملة الدكتوراه ، وطلبة الدكتوراه والماجستير ، نجد (حتى في حالة استثناء طلبة الماجستير من افراد القوة العاملة) ان معدل النشر السنوي لعضو هيئة التدريس يهبط الى اقل من مؤلف واحد في العام الواحد ، الامر الذي لا يعطي انطباعا حسنا عن الاقسام المؤهلة لمنح درجة الدكتوراه .

ويلاحظ من عرض (تقرير ابحاث) ان الاهتمام بالقضايا المحلية كثيرا ما يغلب على الابحاث المتعلقة بالعلوم الانسانية والاجتماعية ، لدرجة تجعل من المتعذر ان يطبق الدارس بشأن هذه العلوم مقاييس موضوعية عالية . وفيما يلي عرض لبعض مشروعات هذه البحوث الانسانية والاجتماعية التي جرى ويجري تنفيذها برعاية مختلف معاهد الجامعة العبرية ، وتحت اشراف عدد من الاساتذة الكبار ، يعاونهم اساتذة مساعدون واحيانا علماء من خارج الجامعة ، وسنعتمد في ما سنورده بهذا الشأن على كتيب بالانكليزية اصدرته الجامعة العبرية عام ١٩٦٩(٣٣).

مشروعات البحوث في معهد الدراسات اليهودية :

١ — مشروع لنشر التوراة بالعبرية بالاستناد الى اقدم المخطوطات التوراتية المكتشفة مثل مخطوطات البحر الميت ، مقتبسات من الادب الحاخامي ، بحيث يشتمل المشروع على مادة لم يسبق استعمالها

في اي نشرة سابقة للتوراة . ٢ ــ مشروع يرمي الى فهرسة تامة للوثائق المتعلقة بالجاليات اليهودية في كل بلد من بلاد « المهجر » ، في كل مدينة وقرية من اوروبا ، منذ بدء الاستيطان اليهودي فيها حتى نهاية العصور الوسطى . ٣ ــ مشروع تنظيم محفوظات الفولكلور اليهودي في كل مظاهره ، في الجامعة العبرية ، وقد تم جمع اكثر من ٨٠٠٠ اقصوصة شعبية ، نشر معظمها ، حول عادات الزواج والدفن ، والطب الشعبي والامثال . ٤ ــ بحث عن التقاليد اللغوية لدى الجماعات اليهودية ، يرمي الى تقصيها عند يهود « المنفى » عن طريق جمع المعلومات المعتمدة على الرواية الشفوية . ٥ ــ تحليل احصائي عن اللغة العبرية الحديثة والادب العبري الحديث ، وعن الشعر العبري في العصور الوسطى .

مشروعات في معهد اليهودية المعاصرة: ١ ــ برنامج البحوث في هذا المعهد يتسع للبحث والتوثيق . وقد انشأ مجموعة من الوثائق الاساسية عن الجماعات اليهودية ومؤسساتها في العالم ، وزاد عليها قسم التاريخ الشفوي من خلال المقابلات التي اجريت مع بعض الشخصيات المختارة ، وذلك بقصد رسم صورة كاملة لحياة اليهود في العصر الحاضر. ٢ ــ مشروع دراسات الجماعات اليهودية في العالم ، ويجري بالتعاون بين المؤرخين وعلماء الاجتماع في الامريكيتين واوربا وفلسطين المحتلة . وقد بدىء به فعلا وعقدت مؤتمرات بشأنه في القدس وبونس آيرس ونيويورك ولندن وبروكسل ، وقد انجلت عن تشكيل هيئات محلية تعمل مع معهد اليهودية المعاصرة في الجامعة العبرية بالقدس . ٣ ــ مشروع الديموغرافيا اليهودية والاحصاء : ويجري بالتعاون مع المؤسسات اليهودية المركزية في شتى انحاء العالم بقصد ترقية جمع المعلومات الاحصائية لتكون في خدمة الهدف النهائي وهو تأسيس مركز عالمي في القدس للبحث الديموغرافي اليهودي . وتركز اهتمامه مبدئيا على انشاء ببليوغرافيا شاملة ومركز توثيق . وقد صدر عن المشروع مجلدان: الديموغرافيا اليهودية واحصاءات ببليوغرافية (١٩٢٠ ــ ١٩٦٠) ، والببليوغرافيا العالمية لاحصاءات الصحة اليهودية . ٤ ــ بحث عن تاريخ الحركة الصهيونية واليشوف (يهود فلسطين) الجديد في اسرائيل: وتتطلب خطط البحث التعاون مع المؤسسات اليهودية في الخارج ليشمل البحث تاريخ الحركة الصهيونية في مختلف بلدان العالم . ويعنى البحث ايضا بموضوع تاريخ الاستيطان اليهودي في فلسطين المحتلة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا . ويجري العمل بالتعاون بين اساتذة التاريخ واساتذة قسم علم الاجتماع ومدرسة الخدمة الاجتماعية . ٥ ــ بحث عن التعليم اليهودي في بلدان «المهجر». ٦ ــ بحث عن علم النفس الاجتماعي لليهود في العصر الحاضر ــ وثمة مشروعان ، في سلسلة البحث : الاول من مواقف الشباب الاسرائيليين من يهوديتهم ومن الجماعات اليهودية في الخارج . والثاني عن الهوية السلالية (الجنسية) والقيم الحضارية لطلبة المدرسة الثانوية في فلسطين المحتلة . ٧ ــ بحث عن تاريخ اوربا في فترة الحكم النازي (١٩٣٣ ــ ١٩٤٥) .

مشروعات معهد الدراسات الاسيوية والافريقية :

١ ــ مشروع قاموس لكلمات الشعر العربي القديم: ويشتمل على فهرسة آثار جميع الشعراء العرب المعروفين منذ ما قبل ظهور الاسلام حتى نهاية العصر الاموي . ٢ ــ طبعة جديدة للقاموس العربي ــ العبري . ٣ ــ الجغرافية التاريخية لفلسطين اثناء الحكم التركي . ٤ ــ سجل بالنقوش والمخطوطات في فلسطين المحتلة بقصد تتبعها وتصويرها وفك رموزها ثم نشرها ، حتى نهاية الحكم التركي (١٩١٨) . ٥ ــ التطورات الاجتماعية والثقافية الحديثة في مصر وتركيا . ويتألف الجزء الاول من المشروع من تهيئة فهرسة منظمة للمراجع عن موضوعات الصحف العربية والتركية حول شتى الموضوعات في هذا الميدان منذ عام ١٩٣٠ وما بعده . ٦ ــ التاريخ الحديث والمعاصر للعرب في فلسطين . ٧ ــ الترجمة من العربية الى العبرية وبالعكس ، ويرمي المشروع الى الاسهام في تسهيل فهم المثقفين العرب واليهود لتراث كل منهم ولقضاياه الحاضرة . ٨ ــ توثيق التجربة الاسرائيلية في افريقيا .

مشروعات عامة اخرى : ١ ــ بحث الجغرافية التاريخية للارض المقدسة تحت حكم الصليبيين ، وهدف المشروع هو جمع المعلومات من مصادر تعود الى القرون الوسطى عن مملكة القدس اللاتينية من وجهة نظر الطوبوغرافية والتاريخ الارضي الاقليمي. وقد نشرت خريطة لفلسطين ايام الصليبيين كبداية استهلال للمشروع . ٢ ــ سجل النقوش

والمخطوطات اليونانية واللاتينيـة في فلسطين — جمعها وتسجيلها ونشرها. ٣ — بحث عن الحفريات الآثارية — وهو جزء من برنامج ينفذه معهد الآثار بالتعاون مع الاجهزة العلمية الاخرى . ويعالـج مختلف الفترات الحضارية الاولى : في ما قبـل التاريخ وفترة الهيكل الثاني ، وفترات رومانيـة وبيزنطية . ٤ — اطلس عن فلسطـين المحتلـة (اسرائيل) . وهو دراسة في جغرافية المـدن بفلسطين المحتلة ودراسة عن مدينة القدس قـام بها قسم الجغرافيا ، وتشكل اساسا لسلسلة من الخرائط الاقليمية والمورفولوجيـة . وقد صـدر الاطلس بالالوان وبالمعلومات الرمزية الكاملة عـن مختلف وجوه الحياة المدنية .

بعض مواضيع الاطروحات المقبولة في الجـامعـة العبرية لنيل الدكتوراه في الانسانيات والعلـوم الاجتماعية والقانون[٣٤] (١٩٦١ — ١٩٦٢) : ١ — الخروج من مصر . ٢ — الزمـان والمكان في التفكـير التوراتـي . ٣ — المظاهـر القانونيـة والايديولوجية لاعادة توزيع الارض في بلاد اليونان القديمة . ٤ — النشاط الاقتصادي للاريستوقراطية الانكليزية اليهودية في التجـارة العالمية في القرن الثامن عشر . ٥ — نقد الارسطوطاليسية لـدى المفكرين اليهود في القرون الوسطى . ٦ — الهاغانا والبالماخ ضد خلفية السياسية الصهيونية في الحرب العالمية الثانية . ٧ — تأثير الهجرة الكثيفة علـى الاجور في اسرائيل (١٩٤٨ — ١٩٥٨) . ٨ — رقابة الدولـة في اتحـاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والجمهورية البولوندية .

التعاون بين علماء الانسانيات الاسرائيليين وبلدان العالم: يشعر اساتذة العلوم الانسانيةوالاجتماعية في المعاهد والجامعات في فلسطين المحتلة انهم لن يحققوا اي نجاح ملحوظ اذا انعزلوا عن العالـم الخارجي ، ولذا فانهم يقيمون صلات شخصيـة ومباشرة بعضهم ببعض داخل فلسطين المحتلـة ، ويتبادلون الزيارات مع الاساتذة والعلماء الاجانب خـارج فلسطين المحتلـة ، ويحضرون المؤتمرات العالميـة التي تدور حـول اختصاصات معينة ، ويتبادلون نتائج البحوث وخططها غالبا قبل قيامهم بنشر هذه النتائج بعام على الاقل . كذلك تقـوم الجامعات والمعاهد باستدعاء الاساتذة الزائرين من الخـارج لالقاء محاضرات عـن احدث بحوثهـم ودراساتهم ، وللمشاركة في التعليم والابحاث ، وقد تمتد اقامتهم حتى العام الواحد . ويسافـر الاساتذة الجامعيون الاسرائيليون مرة واحدة على الاقل في العام ، لحضور المؤتمرات وزيارة مراكز الابحـاث الاجنبية ، كمـا يشاركون في مؤتمرات المستشرقين التي يسهم فيها عدد منهم . ولم يتوفر لنا احصاء عن مؤتمرات وندوات العلوم الانسانية والاجتماعية التي شارك فيها باحثون جـامعيون من فلسطين المحتلـة ، ولكـن عـدد المؤتمرات التي انعقدت في فلسطين المحتلة ما بين ١٩٦٦ — ١٩٦٨ ، هو ٧٣ مؤتمرا . منها ١٠ للصحافـة والسياحة و١ للآثار و٢ للعلوم الاجتماعية .

وغالبا ما يقوم المعهـد او الجامعة باستضافـة المحاضرين الاجانب ، الامر الـذي يدل على ان المساعـدات التي يتلقاها العلمـاء والباحثون في فلسطين المحتلة كافية نوعا وكما . وقد حذر بعض الكتاب الاسرائيليين من الاخطار التي تتهدد دولـة صغيرة كاسرائيل بسبب انعزالها العلمي . هـذه الاخطار التي تكمن في احتمال فقدان روح المنافسة بين العلماء والمعاهد ، وفي احتمال جمود المستويات العلمية ومحافظتها على وضع السكون العادي دون احراز اي تقدم ، الامر الذي يهدد باخماد الروح العلمية لدى العلماء ويذهب بمواهبهم وامكاناتهم . ولذلك تحرص الجامعات والمعاهد علـى توثيق صلاتها مع الدوائر العلمية المناظرة لها في الخارج، بالاطلاع اليومي على آخر تطورات العلوم والابحاث فيها .

تطور الجامعات وبروز بعـض المشاكـل : آمن الصهاينة بأهمية الجامعات ومراكز البحوث في عملية (بناء الدولة) ، ومنذ اوائل القرن الحالي ارتفعت الدعوة لانشاء معهد علمي ينبعث منه « دفع روحي ومادي جديد لكيان الامة المريض » . وبرزت الجامعة العبرية الى الوجود فـي فلسطين حـين قـام وايزمن بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى (١٩١٨) بوضع حجر الاساس للجامعة على جبل المكبر في مدينة القدس ، وكان الحجر عبارة عن اثني عشر حجرا تمثل القبائل اليهودية الاثنتي عشرة التـي يقال انها كانت موجودة في فلسطين . وبدأ الصهاينة يستخدمون سلاح العلم لترسيخ فكرة الوطن القومي اليهودي قبل عام ١٩٤٨ ، وفكرة الدولة اليهودية وحماية مكاسبها ، والتطلع الى تحقيق اهدافهـا المرحلية التوسعية بعد عام ١٩٤٨ ، لذلك حظي التعليم العالي بمكانة مرموقة وادى خدمات كبيرة

في تعميق الفكر اليهودي ، وفي توسيع الدراسات اليهودية ، على ما رأينا .

وقد تحسنت السوية العلمية في الجامعات وتطورت برامجها فاصبحت تمنح درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه في مختلف انواع التخصص ، وتطورت فيها الدراسات والبحوث وعقدت المؤتمرات والندوات لمناقشة نتاجها في داخل فلسطين المحتلة لتدعو اليها المهتمين في شؤون الشرق الاوسط وخاصة من دول اوربا الغربية وامريكا ، فتعقد لهم دراسات متخصصة وتشرح لهم اوضاع المنطقة ومشاكل اسرائيل من الزاوية الصهيونية ، عن طريق الندوات والمحاضرات . ومدت الجامعات كذلك نشاطها الى الدول الاسيوية والافريقية وخصصت المنح لابنائها الطلبة ، اجتذابا لعطفها وكسب تأييدها ، وقد بلغ عدد هؤلاء الوافدين (١٣٠٠) طالب في عام ١٩٦٦/١٩٦٧ ، وبذلك تكون الجامعات قد شاركت كثيرا في خدمة الاهداف الصهيونية . وقد ارتفعت اعداد الاساتذة والطلبة في الجامعات الاسرائيلية ، فبينما كان عدد الاساتذة من رتبة محاضر فما فوق (٢٩٣) للعام الدراسي ١٩٤٨/١٩٤٩ ، اذا به يرتفع الى (٤٤٩٩) في العام الدراسي ١٩٦٨/١٩٦٩ اي بزيادة (١٥) ضعفا . كما ارتفع عدد الطلبة في الفترة نفسها من (١٦٣٥) الى (٢٨٥٢٠) اي بزيادة (١٧) ضعفا . وبلغ عدد طلبة الانسانيات في الجامعة العبرية للعام الدراسي ١٩٦٧/١٩٦٨ (٤١٠٤) مقابل (٣٣١) استاذا من رتبة محاضر فما فوق وذلك من اصل (١١٥٨٦) طالبا هو مجموع عدد طلبة الجامعة العبرية بمختلف كلياتها ، وموزعون على الزراعة (٩٠٩) والعلوم (١٨٦٢) والطب (٨٢١) والحقوق (١٤٠٠) والعلوم الاجتماعية (٢٩٩٠)[٣٥]. ويبين الجدول الاتي عدد الطلبة والهيئة التدريسية في كلية الانسانيات بالجامعة العبرية وجامعة تل ابيب وجامعة بار ايلان للعام الدراسي ١٩٦٧/١٩٦٨[٣٦].

— الجامعة العبرية : هيئتها التدريسية ٣٣١ ، طلبتها ٤١٠٤ ، الماجستير ٦٨ ، الدكتوراه ١٠ .
— جامعة تل ابيب : هيئتها التدريسية ٤٢٠ ، طلبتها ٢٥٠٥ ، الماجستير ١٧ ، الدكتوراه — .
— جامعة بار ايلان : هيئتها التدريسية ٢٠٥ ، طلبتها ١٥٣٧ ، الماجستير ١٨ ، الدكتوراه — .

ويواجه التعليم الجامعي في اسرائيل مشكلة زيادة عدد الطلبة في كليات الانسانيات والعلوم الاجتماعية، وعلى الرغم من اهتمامها بهذين الميدانيين غير انها تسعى جاهدة لتوجيه الطلبة نحو ميادين العلوم الاساسية والتطبيقية وفقا لاحتياجاتها واهدافها . كما يواجه التعليم الجامعي مشكلة التمييز بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ذلك ان عدد اليهود الشرقيين (من اصل آسيوي وافريقي) الذين يتمكنون من اجتياز مرحلة التعليم العام ويصلون الى الجامعة لا يزيد عن عشرة بالمائة من مجموع الطلبة الاسرائيلية . فقد بلغ عدد الشرقيين عام ١٩٦٦/١٩٦٧ (٢٥٠٩) طلاب من اصل (٢٨٥٢٠) طالبا برغم ان الشرقيين لا يقلون عددا عن الغربيين بل يزيدون عليهم باكثر من (١٤٠) الفا حسب المصادر الاحصائية الصهيونية الرسمية لعام ١٩٦٧[٣٧]. ويتصف اليهود الشرقيون بانخفاض مستوى معيشتهم وتدني مستواهم الثقافي والمهني. بعكس الغربيين الذين يسيطرون تماما على كل مرافق الدولة ويتمتعون بأفضل مستويات المعيشة والثقافة . اما العرب فتقدر عددهم المصادر الاحصائية الصهيونية عام ٦٦/٦٧ ٣١٢٢٥ الفا يعيش معظمهم في المنطقة الشمالية ، ونسبة الطلبة العرب في الجامعة العبرية نسبة ضئيلة جدا ، تتراوح بين ١ و ٢ بالمائة من مجموع طلبةالجامعة، برغم انهم حوالي ١١ بالمائة من السكان ومعظمهم يلتحق بكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية والحقوق. ولا يلتحق احد من الطلبة العرب بجامعة بارايلان نظرا لصبغتها الدينية . اما جامعة تل ابيب فليس ثمة دلائل على وجود الطلبة العرب فيها . اما معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) فقد انتسب اليه ثلاثة طلاب عرب في العام الدراسي ١٩٦٤/١٩٦٥ ، في حين ان معهد وايزمن يحظر دخول الطلبة العرب اليه نظرا لتخصصه في البحوث العلمية ذات الصلة بأمن الدولة . كذلك بلغ عدد الطلبة العرب في جامعة حيفا (٩٠) طالبا للعام الدراسي ١٩٦٦/١٩٦٧ .

ويبدأ العام الدراسي في مطلع شهر تشرين الاول وينتهي في شهر تموز ، وينقسم الى ثلاثة فصول كل منها عشرة اسابيع ، وينطبق هذا على الجامعة العبرية وجامعة تل ابيب . اما جامعة بار ايلان فينقسم في العام الدراسي الى فصلين دراسيين كل منهما اربعة شهور .

ويعتمد تعليم الانسانيات على المحاضراتوالندوات،

مع تركيز خاص على البحث والتقصي ، ويتقدم الطلبة لاداء امتحانين اولهما في نهاية الفصل الدراسي الاول والثاني في نهاية الفصل الدراسي الثاني لدى الانتهاء من تعليم مواضيع المساقات .

وثمة فجوة متسعة في الجامعات بين ما تتطلبه دراسة الانسانيات وما ينجزه الطالب الاسرائيلي فعلا . ويرجع احد اسباب هذه الفجوة الى اثقال كاهل الطلبة باختيار مجموعتين كاملتين (موضوعين رئيسيين) من المواد والموضوعات لنيل البكالوريوس . يختار الطلبة مثلا اقتصاد وعلم السياسة ، او علم الاجتماع والتاريخ . ثم انه لا يوجد تنسيق سليم بين مدرسي هذه المواد ، فكل منهم يفرض على الطلبة ما يشاء من المراجع المتصلة بمادته بالاضافة الى كتابة الابحاث وحضور المحاضرات وحلقات البحث ، دون ان يكترث هذا المدرس بطلبات المدرسين الاخرين الذين يلقون على الطلبة اعباء مماثلة . ثم ان معظم الطلبة لا يحضرون جميع المحاضرات المطلوبة ، وكثير منهم يقرأون مذكرات المحاضرات التي اخذها زملاؤهم الحاضرون ، او يقرأون مذكرات الطلبة القدامى . ويشكو بعض الاساتذة — بدورهم — من عدم توفر الكتب الجامعية لموادهم باللغة العبرية — وهي لغة التعليم في الجامعة . ويرون ان الطلبة يكتفون بمذاكراتهم المأخوذة عن المدرس اثناء المحاضرة بسبب قصور النصوص الاصلية العبرية والنصوص الاجنبية المترجمة الى العبرية ، وعدم وفائها بالقصد المطلوب . ويشكو الاساتذة ايضا من ان الطلبة لا يقرأون الا القليل جدا من هذه الكتب . ويورد واحد منهم شكاواه صراحة بقوله : « لدي طلبة تقدموا الامتحان في موادي التي لم يحضروها ولم يجدوا الوقت لقراءة اي واحد من الكتب الموصوفة لهم للرجوع اليها (وهي متوفرة في مكتبة الجامعة) ، وانما اعتمدوا فقط على مطالعة مذكرات المحاضرات التي كتبها زملاؤهم ، وكرروا لي في الامتحان نفس كلماتها دون اية محاولة فهم للتحليل المستقل[٢٨]. ولكن هذا الاستاذ نفسه واسمه ادوين صموئيل (نجل هوربرت صموئيل اول مندوب سام في فلسطين وهو يهودي صهيوني) يفسر ويبرر لجوء الطلبة للغش والتحايل في الامتحان، باثقال كواهلهم بالمواد المختلفة بحيث « يحضر كثير منهم الامتحان دون ان يتهيأوا له ، فيتحتم عليهم ارتكاب الغش »[٢٩]. هذا الى ان ضعف الطلبة الاسرائيليين عموما باللغات الاجنبية وخاصة الانكليزية هو احد اسباب الرسوب في بعض ميادين الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، نظرا لان كثيرا من مراجعها ليست بالعبرية التي هي لغة معظم الطلبة . وفي الوقت نفسه الطلبة الذين لا يتكلمون العبرية من الطلبة الاجانب ، ليس لديهم استعداد ملائم لتعلم اللغة العبرية ، ولذا يفشلون في فهم الجزء الاكبر من المحاضرات بالعبرية .

بعض اهداف تعليم الانسانيات في مرحلة التعليم الجامعي الاسرائيلي : بعد ان عرضنا — جهد المستطاع — لاهم موضوعات الدراسة والبحث في شتى اقسام العلوم الانسانية والاجتماعية ، يهمنا ان نرسم صورة اقرب الى الصحة عن الطريقة التي يجري من خلالها تعليم هذه الموضوعات ذات الاهمية البالغة في بلورة فكر صهيوني موحد ، يحدد الوسائل والغايات ، ويحشد كافة الطاقات لحماية عملية الغصب والعدوان المستمر التي تمارسها الزعامة الصهيونية على ارض فلسطين المحتلة . وكنا نود لهذه الصورة ان تعكس الفلسفة التي تهيمن على عمليات التعليم والدراسة في قاعات المحاضرة وحلقات البحث نظريا وعمليا . ولكن المعلومات التي عثرنا عليها لم تكن وافية بالقصد وهذا امر طبيعي ومفهوم ما دامت تشكل جزءا من سياسة غير معلنة . ولذا لجأنا الى طريقة توجيه الاسئلة الى بعض من درسوا في الجامعة العبرية من الطلبة العرب ، واستطعنا بالاستماع الى اجوبتهم ان نخرج — دون خطأ كبير — بصورة لا نقول انها دقيقة شاملة ، ولكن نقول انها صحيحة تتفق تماما مع المؤشرات الاساسية التي حددناها في مرحلة التعليم العام ، وتتفق ايضا مع طبيعة المواد الدراسية ووجهة موضوعات البحث والاطروحات التي يركز عليها الاساتذة مما مر بنا تفصيلا ، ومع مقتضيات سياسة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الحاكمة والقائمة على التزييف والقهر والعدوان .

بينما كان تعليم العلوم الانسانية في مرحلة التعليم العام يهدف الى تحقيق مبدأ الانصهار والاندماج والتلاحم المطلوب لدمج الطلبة اليهود في فلسطين، فان التعليم في المرحلة الجامعية يخضع الطالب فضلا عن ذلك لعملية اخرى هي اعداده للانخراط في الاطر القيادية للدولة . وبما ان هذه المرحلة تكاد تكون حكرا على اليهود الغربيين ، فان عملية الانصهار والتوحيد ترتطم هنا بعقبة كؤود يزيدها تعقيدا ضآلة

نسبة التزاوج بين اليهود الشرقيين والغربيين ، بقدر ما يزيدها صعوبة مسعى الحركة الصهيونية الدائب للعثور على صيغة ملائمة تقضي على التناقض المحتوم بين تكييف التقاليد اليهودية القديمة لتلائم البرامج السياسية ، وبين اخضاع حاجات اليهودي المعاصر نفسيا واجتماعيا لسلطان الفلسفة الصهيونية غير العملية . او بعبارة اخرى ان المطلب الصهيوني المزدوج في ضرورة الانبعاث اليهودي القديم ، وضرورة المشاركة في اوجه الحياة العصرية ، هو مطلب عزيز المنال ، فلم تستطع الصهيونية استرداد الماضي التراثي اليهودي القديم ، ولا وفرت سبيلا يتسم بالمرونة والسعة لنمو اليهود وتطورهم في اطار الحياة العصرية . واذا استمر هذا التناقض بين (اليهودية) و (الصهيونية) فلا بد ان ينجم عنه انحلال داخلي يؤدي الى تفكك المجتمع وسقوط الدولة .

وبينما يسهم التعليم الجامعي في توحيد الطلبة اليهود وصهرهم في بوتقة المجتمع الموحد استكمالا لمرحلة تعليم العلوم الانسانية والاجتماعية في مرحلة التعليم العام ، تنعكس الآية بالنسبة للطلبة العرب الذين يقبلون على دراسة هذه العلوم في الجامعات ، فتصبح امتدادا منطقيا لاهداف تعليم الانسانيات في مرحلة التعليم العام من حيث حرص الاساتذة — جهد الامكان — على التشكيك بمقدرة العرب على مواجهة اسرائيل حاضرا ومستقبلا ، ومن حيث الدأب على تجسيم النقائص والعيوب التي لا يخلو منها شعب من الشعوب ، ثم تضخيمها وتخصيص العرب بها . ومن حيث مكافحة الوعي القومي العربي الداعي الى وحدة اقطار الامة العربية ، وذلك عن طريق تحليل شرائح المجتمع العربي ، لابراز ما عفى عليه الزمان وما جرفته روح العصر ، من عنعنات وخصومات ، لتبدو صورة المجتمع مشوهة تكتنفها الخلافات الطائفية والعنصرية والعشائرية ، ويغرقها الجهل والتخلف والانقسام والاستغلال . صورة مجتمع عاجز لا يقوى على الوقوف ، بله على عمل شيء ، وتمارس الصهيونية هذا الدس والتزييف والتضليل ضد كل من تشعر انه يقف في وجه باطلها وعدوانها من العرب او غيرهم .

وفيما يلي سنعرض لنموذج حي واقعي كيما يعطينا صورة تقريبية عن اساليب تعليم تاريخ الشرق الاوسط والحضارة العربية اللذين اختارهما الطالب العربي[40] الذي امدنا بهذه الصورة ، على اساس انهما يشكلان الموضوعين الرئيسيين لنوال البكالوريوس من معهد الدراسات الاسيوية والافريقية في الجامعة العبرية .

تبدأ الدراسة في السنة الاولى بمناهج البحث والمحاضرات النظرية في موضوعي التخصص والمواد الاخرى المتممة المطلوبة . اساتذة هذين الموضوعين مطلعون تماما على اللغة العربية ، ومعظمهم من دول اوربا وخاصة من المانيا . ويشرع الطلبة بالبحوث في السنة الثانية ، ويصيب الواحد منهم بحث او بحثان في العام . تبقى دراسة التاريخ ملتزمة المنهج العلمي الموضوعي الى ان تصطدم — اثناء الدروس النظرية والعملية — بمعتقدات الصهيونية ومبادئها ، فتنحرف قليلا وكثيرا عن جادة الموضوعية . فاذا عرض الاستاذ للنبي العربي (ص) وطرده اليهود من المدينة ، زعم ان اليهود لم يتآمروا على النبي ، وانما الكتاب العرب يلفقون هذه الفرية عن قصد . واذا عرض لحركات التحرر العربي احاطها بشباك المقاصد الشخصية المريبة ورماها بالوصولية والعمالة للاستعمار ، واذا تحدث عن فترة الانتداب البريطاني في فلسطين ، ادعى ان الانكليز كانوا دائما معادين ومناهضين لليهود والصهاينة ، وموالين للعرب . واذا تناول الاقطار العربية في النصف الثاني من القرن العشرين ، اسهب في الحديث عن طوائفها المتناحرة المتعادية التي تأبى كل منها ان تنصهر في بوتقة الدولة الواحدة لكيلا تفقد كيانها المستقل ، فالاقباط في مصر ضد المسلمين ، والبربر في المغرب ضد العرب ، والسنة في العراق ضد الشيعة حينا وضد الاكراد حينا اخر . والدروز في لبنان ضد الموارنة ، والزيود في اليمن ضد الشوافع الخ... وذلك طبقا لخطة ما زالت سياسة اسرائيل تتبعها للوقيعة بين الطوائف . فاذا قصدت اشعال نار الفتنة بين المسلمين والمسيحيين العرب ، انزلت بالمسلمين اضطهادا اشد مما تنزل بالمسيحيين[41]. وهذا هو جوهر السياسة المسيطر على تعليم التاريخ العربي عموما ، والتاريخ العربي المعاصر خصوصا . واذا تكلم الاستاذ على الحضارة العربية ، تجاهل الجوانب المضيئة منها وعكف على نبش جزئيات ميكروسكوبية مشبوهة او مدسوسة ، ليتابعها بدقة ويحاول دعمها بمرويات شعوبية اخرى في محاولة لدمغ المجتمع العربي بالانحلال والفساد

والتفكك . من ذلك مثلاً أن موضوع (الزنا) يجري تدريسه على مدى العام الدراسي، ويقتضي اصوله منذ ما قبل الاسلام لدى القبائل العربية حتى ما بعد ظهور الاسلام والاختلاط باهالي البلدان المفتوحة من الاعاجم . كذلك يجري تخصيص ساعتين اسبوعيا ولمدة عام دراسي كامل لدراسة موضوع اللصوص في بغداد ، بينما يتحرى بالتساؤل المشكك عن عدد غير العرب في علم الرياضيات او الطب والفلسفة الخ ... ويلاحظ اهتمام الاساتذة بتقصي اصول الطوائف الاسلامية خاصة ، كيف انشقت وتباعدت ثم تطورت وما هي فرقها ومذاهبها وأين موطن اتباعها حاليا . وهنا يشيد الاستاذ بالحضارة الايرانية التي بزعمه صمدت امام طغيان الحضارة العربية الاسلامية الجديدة واستطاعت ان تحافظ على الصبغة الايرانية القومية ، في حين ان « الحضارة » البربرية انهارت ، وهذا يفسر كراهية الفرس للعرب الذين حاولوا « تهديم حضارة الفرس العريقة » . فاذا وصل الاستاذ الى موضوع صلات ايران بدول الخليج والشرق الاوسط ، اسهب في شرح اصول المودة المستمرة بين ايران واسرائيل « فكلاهما شوكة في جنب العرب » ، ومنذ التاريخ القديم كانت صلات البلدين واشجة ، ان كورش ملك الفرس هو الذي سمح لليهود بالعودة الى اسرائيل واقامة الهيكل الثاني .

ومن ناحية أخرى فالاستاذ يكون موضوعيا دقيقا في سرده وتحليله لامور لا تتصل بالصهيونية او اسرائيل . كأن يتحدث مثلا عن موضوعات التاريخ العالمي الحديث . وبما انه لا يستطيع ان يغفل بعض النواحي المضيئة في التاريخ العربي سياسيا وحضاريا، فانه يلجأ الى تكييفها بحيث ينتقص من تأثيرها المعنوي على نفوس الطلبة العرب واليهود على السواء ، متبعا في ذلك القاعدة المعروفة : ان كل ما يحبه العرب يكرهه الاسرائيليون ! ومع ذلك فهناك بعض الاساتذة الكبار الذين تعلموا خارج فلسطين وخاصة من اليساريين يحاولون التحرر من القيود في معالجة الموضوعات بحرية ونزاهة وجرأة .

وفي قسم علم الاجتماع من كلية العلوم الاجتماعية في الجامعة العبرية(٤٢) — يدرس الطلبة منهج البحث الاجتماعي بواقع محاضرتين اسبوعيا ، اضافة الى علم الببليوغرافيا وطرق التفتيش على المصادر واستعمالها . ويدرسون ايضا مقدمة الى علم الاجتماع بواقع ثلاث محاضرات اسبوعيا ، في كتاب الفه الاستاذ نفسه . وفي السنة الثانية تبدأ الابحاث ، مثل قسم تاريخ الشرق الاوسط وبقية اقسام العلوم الانسانية والاجتماعية ، ويجري تقسيم الطلبة الى فئات متعددة كل منها عشرون طالبا ، ينطلقون لدراسة المجتمع على الطبيعة بارشاد الاستاذ وتوجيهه . يدرسون مثلا القرى العربية في المثلث وما حوله من حيث وضع العائلة القروية ، ووضع العمال العرب الذين يأتون من القرية الى المدينة . هل كان هؤلاء العمال يعملون فلاحين على ارضهم ؟ لماذا تركوا الارض واصبحوا عمالا في المصانع والمؤسسات بالمدن ؟ هل تغيرت مفاهيمهم ؟ هل يسكنون مع عائلاتهم وما هو التغيير الذي جد على حياتهم ؟ ما هي علاقاتهم بعضهم ببعض ؟ ما هي نظرتهم الى الوضع السياسي (الاحتلالي) القائم ، اين يحبون ان يعلموا ابناءهم ، هل يحبون انجاب الاطفال بكثرة كآبائهم؟!

يلاحظ من سلسلة الاسئلة هذه انها موجهة تهدف الى دراسة اوضاع العمال ، لمعرفة مدى ارتباطهم وتعلقهم بالارض التي كانوا يعملون عليها ، لان مخطط الصهيونية هو تهجير السكان العرب من أرضهم عن طريق ترغيب الفلاحين بترك ارضهم والهجرة الى المدن حيث الاجور المرتفعة والحياة المرفهة . وتلجأ الصهيونية الى وسائل متعددة لتحقيق ذلك ، مثل فرض ضرائب مرتفعة على المنتجات الزراعية في القرى العربية ، او اختلاق ازمة ، ثم التلويح باجر مرتفع لعمل مريح في المدن، وهنا يسهل اغراؤهم بالهجرة خارج فلسطين المحتلة ، الى كندا او استراليا مثلا كما جرى بالفعل . وجدير بالذكر ان نتائج السبر الاجتماعي، والاتجاهات السياسية المعارضة التي قد تسفر عنها — كعداء العرب لاسرائيل— يجري تنسيقها وتحليلها وارسالها الى الجهات المختصة في دوائر الامن والجيش ، حيث يعكف المسؤولون على دراستها لمعرفة دلالتها وللافادة منها في ترسيخ الكيان الاسرائيلي ، والاحاطة بسبل معالجة الاوضاع المتدهورة بتوقع حدوثها قبل استفحالها .

ويلاحظ هنا ايضا ان الابحاث ، لا المحاضرات النظرية ، هي التي تستحوذ على حصة الاسد من الدراسة ، ولا بد للطالب من كتابة بحث او بحثين بعد القيام بعملية مسح اجتماعي او خلافه مع غثه ، ثم تجري مناقشة نتائج هذه البحوث في

حلقات جماعية للتأكد من سلامة استنتاجاتها واستقامة معالجتها .

اما الطلبة اليهود فانهم ينتهجون نهج اساتذة الجامعة في معالجة المشاكل والموضوعات الملحة المطروحة عليهم . وآخر ما طالعناه في صدد قيام الجامعة بحل مشاكل المجتمع الاسرائيلي هو ان استاذين اسرائيليين من دائرة العلوم الاجتماعية في جامعة تل ابيب وهما الدكتور رينيه شابيرا ومنشيه حداد ، بحثا ، بدعوة من دائرة التعليم العالي التابعة للجنة التنفيذية للهستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود في اسرائيل) عن الفوارق في درجة التمثيل الطلابي بين مجموعات السكان الاسرائيليين وفقا للدخل والانتماء العرقي ، فقد هال المسؤولين واقع كون ابناء الاثرياء في الجامعات اكبر بكثير من عدد ابناء الفقراء ، كما هالهم ان ابناء اليهود الشرقيين يشكلون نسبة صغيرة (١٢٪) من مجموع طلبة الجامعات المبتدئين علومهم فيها ، و ٣٪ من بين خريجي هذه الجامعات . ولذلك سارعوا الى العمل على تضييق الثغرة بين الطوائف الشرقية والغربية في مرحلة التعليم العالي عن طريق وضع الخطط والدراسات لمعالجة الفجوة المتسعة بدرجة التمثيل الطلابي ، برغم المصاعب الهائلة التي تكتنف تنفيذها . وقد اتضح من البحث الذي اجراه الاستاذان الاسرائيليان : ١ — ان احتمالات التعلم للشبان اليهود الشرقيين في مؤسسات التعليم العالي هي اقل بكثير من احتمالات تعلم الشبان الذين ينتمون الى الطبقات الميسورة. ٢ — ان الثغرة القائمة بدرجة التمثيل الطلابي سوف تستمر بين المجموعات العرقية المختلفة في المستقبل ايضا ، ولكن رغم هذا يجوز توقع الابتداء بعملية تضييق بطيء للثغرة القائمة خلال السنوات القادمة . ٣ — ان لوضع العائلة تأثيرا على احتمالات قبول الطالب في مؤسسات التعليم العالي ، وبقدر ازدياد دخل العائلة تصبح الاحتمالات افضل . مثال على ذلك ان معدل الدخل الشهري للعائلة في اسرائيل يبلغ (٧٨٠) ليرة اسرائيلية . فيجب ان يكون معدل الدخل الشهري لعائلات الطلاب (٩٢٠) ليرة اسرائيلية . اي زيادة نسبة ١٨٪ على دخل العائلة العادية . ٤ — انه بالاضافة الى الوضع المادي ، هنالك تأثير الوضع الثقافي للاهل . فمن الارقام التي وردت في البحث يتضح ان احتمالات دخول الشاب لمؤسسات التعليم العالي هي اكبر بـ (١٣) ضعفا من احتمالات دخول الشاب الذي يفتقر والده الى الثقافة . ٥ — وثمة عامل آخر هو وضع العمل وطبيعته ، فقد تبين ان اعلى تمثيل طلابي في مؤسسات التعليم العالي يتمتع به ابناء المدراء والموظفين — فان نسبة تمثيلهم تزيد (٦) اضعاف على ابناء عمال البناء(٤٢).

ان عملية التعليم انما هي عمل هادف وعمل للتغيير واعادة البناء والتأثير المحدد على العقل والنفس معا ، بغية احداث الاثر المطلوب وتوجيه الحركة والسلوك في مسار معين .

والصهيونية ودولتها اسرائيل ، ادركت خطورة سلاح التعليم في التأثير والتوجيه واستعملته بما يدعم اهدافها وحاجاتها . ولطالما نادت الزعامة الصهيونية في فلسطين المحتلة بان ما تحتاجه هو نوعية الطلبة الجامعيين الذين يتمتعون بمستوى علمي عال لان مستقبل (اسرائيل) متوقف اولا وقبل كل شيء على كفاءة مواطنيها ، وخاصة اولئك الذين يتولون مهام التخطيط والادارة في المجالات العامة وفي الحقل الصناعي . ولا شك في ان (اسرائيل) تقف اليوم في مصاف الدول المتقدمة من حيث نسبة حملة الشهادات الجامعية بين سكانها، وقد اظهر التقدم العلمي الذي احرزته على وجود فجوة في كيان المجتمع الاسرائيلي بين كل من اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، وحسبنا ان نشير الى ان اليهود الشرقيين الذين كانوا يؤلفون ٥٥٪ من مجموع السكان في عام ١٩٦٨ لا يمثلهم سوى نسبة واحد بالمائة (١٪) تقريبا من مجموع اعضاء هيئة التدريس في الجامعات الاسرائيلية وعلى الرغم من ان البحث العلمي في اسرائيل يتميز بالتركيز على العلوم البحتة والتكنولوجية التطبيقية ، فان البحث العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية يسخر لخدمة احتياجات المؤسسة العسكرية ، وتنقاد نشاطاته وموضوعاته لمطالب القطاع العسكري الذي يعتبر المحور الذي تدور حوله مختلف وجوه نشاط المجتمع الغاصب في كل مستوياتها .

ويتميز ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية — كسائر ميادين العلوم في الجامعات والمعاهد العليا — بانتاج علمي متزايد النمو ، ويتجلى بالصلات الوثيقة القائمة بين الباحثين الاسرائيليين والمؤسسات العلمية في الخارج ، كما يتجلى بنشاطه في نشر المقالات والابحاث بمعدل لا يقل عن

مثال واحد في العلم ، وكذلك بنسبة عالية من الاشتراك في المؤتمرات القومية والعالمية التي تنعقد داخل فلسطين المحتلة وخارجها ، الامر الذي يتيح الاتصال المباشر بحركة التقدم العلمي بكل ما يثيره من حماس واندفاع للبحث لدى الاساتذة والعلماء .

وبما ان هذه الجهود العلمية بشتى وجوهها ومستوياتها موجهة اساسا نحو تعميق جذور الكيان الاسرائيلي حاليا وتكريس خططه العدوانية التوسعية مستقبلا ، لذلك يتوجب علينا ان نرد على هذا التحدي باتخاذ التدابير والخطط المعاكسة والمقابلة لابطال خططه والقضاء على تدابيره . وهنا يبرز المقصد الاساسي من هذا البحث ، وهو صوغ المقترحات الكفيلة بحشد الطاقات العلمية التي تتطلبها المواجهة المصيرية المحتومة من اجل البناء والتحرير . وفيما يلي ما نراه من هذه المقترحات التي تنصب على ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية خاصة :

١ — تعليم العلوم الانسانية والاجتماعية بحيث يكون لها مردود فعلي لا على الصعيد النظري الاكاديمي فحسب ، وانما ايضا ، واهم من ذلك، على صعيد المواجهة مع العدو من اجل معرفة افضل لمخططاته ونواياه ونواحي القوة والضعف فيه . وبكلمة : ان نفعل كما يفعل عدونا حين يحلل مجتمعه ومجتمعنا شرائح يعكف على دراستها لتكون في خدمة احتياجاته واهدافه .

٢ — توجيه تعليم العلوم الانسانية والاجتماعية بحيث تزيد من ارتباط الطالب الجامعي بارضه وتضاعف من تعلقه بها وتفانيه للدفاع عنها ، ولتثير في نفسه معاني الكرامة وقيم الثورة والتحرير . فقد ثبت في النكبة الاخيرة ان صلابة الطالب العربي ليست بالقدر الكافي . وكثيرة هي السبل التي يمكن للاساتذة بمعاونة الطلبة ، ان يسلكوها للقيام بدورهم في تبيان الفضائل الفردية والاجتماعية التي يجب ان تتوافر في جماهيرنا لتصمد امام الغزو الصهيوني الاستعماري .

٣ — تنشيط دراسات الوعي القومي والاستناد على أسس متينة من العلم الصحيح من اجل معرفة حقيقة اساسية ، هي ان العرب أمة واحدة على الرغم من تعدد دولها ، وان هذه الامة لا يمكن ان تنال المكانة التي تستحقها ، حتى ولا ان تحافظ على كيانها في عالم اليوم ما دامت اقطارها متفرقة متناحرة ومجزأة ولذا ينبغي التعمق في دراسة الاحوال الراهنة في مختلف اقطار الوطن العربي ، من وجوه السياسة والادارة والاقتصاد والاجتماع والتشريع والادب ، درسا علميا يقوم على مقارنة هذه الاحوال مقارنة دقيقة لاظهار الفروق والمشابهات القائمة بين هذه الاقطار من الوجوه المذكورة وسواها . ثم بحث عوامل هذه الفروق والمشابهات لمعرفة اصولها ، واستكشاف الظروف التي اوجدتها ، واخيرا تحري الوسائل الكفيلة بازالة الفروق والاختلافات وزيادة التقارب والتشابه بين الاقطار العربية . فقد آن لنا ان ندرك حقيقة أولية هي ان مواجهة الغزو الصهيوني الاستعماري الذي يتحدى صميم وجودنا القومي والحضاري ، لا بد ان تتم في نطاق وحدوي ، ولا بد ان يحققه المجتمع العربي الاشتراكي الموحد .

٤ — ان تعليم القضية الفلسطينية — حقائق وتحليلا وتفسيرا واهدافا ووسائل — لا يمكن ان يفي باغراضه في مرحلة التعليم الجامعي والعالي اذا اقتصر على كلية دون اخرى وقسم دون آخر. فاذا كان المطلوب من المجابهة ان تكون شاملة ، فانه يجب على خريجي الجامعة — كل حسب تخصصه — ان يحصلوا ، قبل انتقالهم الى مراكز المسؤولية في المجتمع ، على المعرفة العلمية الكافية باساسيات الحقائق المتصلة بقضية فلسطين ، وخصوصا في الوضع الراهن ، بما للراهن من خطورة في الحاضر ومن آثار خطيرة في المستقبل . وذلك عن طريق جعلها مقررا اجباريا قائما بذاته يتطلب النجاح فيه كغيره من المقررات الاساسية .

---

١ — منير بشور ومصطفى الشيخ يوسف ، **التعليم في اسرائيل** ، منشورات مركز الابحاث م.ت.ف. بيروت ١٩٦٩ ، ص ٤١ . وسنشير اليه باسم بشور فيما يلي .

٢ — **المصدر نفسه** .

٣ — بشور ، ص ٤٤—٤٥ .

٤ — بشور ، ص ٢٠٦ ، مقتبسا عن (منهج الدراسة للمدرسة العربية الابتدائية الرسمية للصفين الخامس والسادس) ، منشورات وزارة المعارف والثقافة للعرب ، ص ٤٧ .

٥ — **المصدر نفسه** .
٦ — **منهج الدراسة للصفين السابع والثامن** ، ص ٢٦٩ ، عن بشور ، ص ٢٠٧ .
٧ — **المصدر السابق** ، ص ٢٠٨ .
٨ — **المصدر السابق** .
٩ — **المصدر السابق** .
١٠ — دولة اسرائيل — وزارة المعارف والثقافة ، ادارة المعارف والثقافة للعرب ، **مناهج الدراسة في المدارس الثانوية** ، ص ١٠٢ .
١١ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٢٤ .
١٢ — **المصدر نفسه** .
١٣ — **المصدر نفسه** .
١٤ — **المصدر نفسه** .
١٥ — انظر بشور ، ص ٢٠٨—٢١٢ .
١٦ — انظر كتاب **بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ —١٩٦٧)** للدكتور انيس صايغ — منشورات مركز الابحاث — بيروت ، ١٩٦٧ .
١٧ — **معالم البلاد وجغرافيتها** (تل ابيب ١٩٦٣) ص ٧٩ — نقلا عن بشور ، ص ٢٠٩ .
١٨ — **معالم البلاد وجغرافيتها** (تل ابيب ١٩٦٣)، ص ٧٩ — نقلا عن المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .
١٩ — عن بشور ، ص ٢١٠ .
٢٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٢١١ .
٢١ — **المصدر نفسه** ، ص ٢١٢ .
٢٢ — **المصدر نفسه** .
٢٣ — **المصدر نفسه** .
٢٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٢١٣ .
٢٥ — **The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem 1969.**
٢٦ — **Tel Aviv University Information 1968-1969.**
٢٧ — **هاآرتس** ١٩٦٣/٩/٢ .
٢٨ — الاذاعة العربية من اسرائيل بتاريخ ١٥/٧/١٩٦٩ .
٢٩ — تعليقات الاذاعة الاسرائيلية ١٩٦٩/٨/١٦ .
٣٠ — صحيفة **الجيروزاليم بوست** ١٩٧٠/٦/٣ .
٣١ — صحيفة **هاتسوفه** ١٩٦٨/١٠/٢٣ .
٣٢ — مؤلف الكتاب باحث عربي هو الدكتور انطوان زحلان ، ونشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ١٩٧٠ .
٣٣ — **The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem 1969.**
٣٤ — عن كتاب عنوانه : ***Abstracts of Theses Approved for the Degree of Doctor Philosophiae Ph. D. & Doctor Juris (J.W.R.D.) in the Hebrew University of Jerusalem During the Academic Year*** **1961-1962, Jerusalem 1964.**
٣٥ — ***Stat. Abst. of Israel*** **1968 No. 19 p. 544.**
٣٦ — ***Ibid.,*** **pp. 544-546.**
٣٧ — ***Stat. Abst. of Israel*** **1967, No. 18.**
٣٨ — مقال لادوين صموئيل في : ***Public Administration in Israel & Abroad*** **Universities in Israel, A Twenty Years Programme, 1964, Jerusalem 1965.**
٣٩ — **المصدر نفسه** .
٤٠ — طرح كاتب البحث أسئلة محددة على الاستاذ عبدالحفيظ محارب الباحث في م.ا. باعتباره خريج هذا القسم سابقا، فتفضل بالاجابة عنها مشكورا .
٤١ — انظر صبري جريس **العرب في اسرائيل** ج ١ ص ١١١ — منشورات مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٧ .
٤٢ — طرح كاتب البحث أسئلة محددة على السيدة حنة جريس باعتبارها خريجة هذا القسم سابقا ، تفضلت بالاجابة عنها مشكورة .
٤٣ — جريدة **دافار** ١٩٧٠/١٢/١ .

نظرة الصهيونية واسرائيل للوثائق : الدكتور نادر العطار

أصبحت الوثائق في هذا العصر عدة الحرب الباردة، والمستودع الكبير الذي يحفظ التاريخ القومي للاجيال القادمة ، ويغذي الجيل الحاضر بأعمق مشاعر الوطنية . وقد عمدت دول العالم الى انشاء مديريات خاصة بالوثائق ، ومستودعات كبرى لها ، وجهاز فني من الموظفين يقوم على شؤونها ، يصونها من عاديات الطبيعة والتأثيرات البيولوجية وطوارىء الاحداث ، وينظم شؤونها ويسهل الاطلاع عليها للجميع ، ويمد العالم ودوائر الدولة الاخرى بما تطلبه من هذا المنهل الذي لا ينضب . ولم يغفل العدو الصهيوني عن هذه الحقيقة ، بل لقد بدأ باستجماع الوثائق وتنظيمها قبل مشروع التقسيم بكثير ، حرصا على كسب الراي العام العالمي ، فلما أقر مشروع التقسيم في منظمة الامم المتحدة ، بادر الى تأسيس مراكز الوثائق الواحد تلو الاخر ، ووضع القواعد اللازمة لتنظيمها وتحقيق غايته منها تحت ستار من تقصي العلم ، وطلب المعرفة .

اعتمد تنظيم الوثائق في فلسطين المحتلة على (قانون الوثائق) ، الذي ناقشه الكنيست خلال عدة سنوات ، وأقره في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٥٥ (رقم ٥٧١٥ للعام ١٩٥٥) ، ثم اتخذت الخطوة الاولى لوضعه موضع التنفيذ في شهر آب (اغسطس) من عام ١٩٥٦ ، فقد شكل المجلس الاعلى للوثائق ، وعين مدير الوثائق ، وكانت وثائق الدولة قد انشئت منذ عام (١٩٤٩) فكان من الضروري ان يسن لها تشريع ينظم عملها ويحدد صلاحياتها ، وكان هناك عدد كبير من الوثائق التاريخية لا سلطة للدولة عليها قبل التقسيم ، فكان على المديرية الجديدة تنظيمها وترتيبها حسب معطيات علم الوثائق الحديث ، لتؤدي الغاية التي أعدت من أجلها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كانت أهم الوثائق المتعلقة بالتاريخ اليهودي في حوزة السلطات المحلية (في المدن والقرى على السواء) والمؤسسات العامة والخاصة ، ولدى اشخاص كانوا قد احتلوا مراكز مرموقة في الحياة العامة لعشرات السنين ، فكان لا بد من حفظ هذه الثروة العلمية في اطار قانون الوثائق بشكل مدروس .

والواقع ان سيطرة الصهيونية على فلسطين المحتلة سبقتها مقدمات كثيرة تمت خلال حياة جيلين او ثلاثة ، دلت على نية مبيتة ضد ارض فلسطين بالذات ، هاجر خلالها عدد كبير من اليهود الى هذا البلد العربي العريق ، واستقروا في مئات القرى والمستعمرات والمدن التي كانت لها أجهزة ادارة مختلفة تكدست فيها كمية ضخمة من الوثائق . ثم ظهرت المنظمة الصهيونية العالمية التي أخذت على عاتقها منذ سنة ١٨٩٧ شؤون الهجرة ، وتوطين المهاجرين اليهود في قلب العالم العربي وتخطيط سياسة معينة لتحقيق ذلك ، فأنشأت لنفسها سنة ١٩١٩ مركزا صغيرا لوثائقها التاريخية في برلين ، نقل سنة ١٩٣٣ الى القدس ووسع حتى اصبح (الوثائق الصهيونية المركزية) — التي سيأتي ذكرها فيما بعد — ، وكانت هناك اجهزة اخرى احتفظت بمجموعات من الوثائق المتعلقة بنشاطاتها، كالاتحاد العام للعمال (وهو امتداد للحركة العمالية المؤسسة سنة ١٩٣٤) الذي انشأ (وثائق الحركة العمالية اليهودية ومتحفها) .

ويعتبر الصهاينة ان وثائق التاريخ اليهودي والمؤسسات اليهودية لا تقتصر على ما يوجد منها داخل فلسطين المحتلة فحسب ، بل ان قسما كبيرا من ذلك كان في يوم من الايام مبعثرا في جميع انحاء العالم ، وان اليهود في فلسطين المحتلة هم جزء من « الشعب اليهودي » في العالم ، وتاريخهم هو التاريخ الطويل للشعب المذكور بشكل عام ، منذ عصر التوراة حتى ايامنا هذه ، ومن هنا كانت الرغبة العامة في ان تتمركز في القدس مختلف الوثائق الاصلية والمصورة[1] التي تلقي الاضواء على التاريخ اليهودي ، وتؤمن اساسا وثائقيا للبحث التاريخي الذي وصل بدوره الى حياة جديدة في فلسطين المحتلة . وقد أدى ذلك الى ايجاد «الوثائق التاريخية اليهودية العامة» التي أسستها الجمعية التاريخية في اسرائيل ، بدأت بداية متواضعة ثم نمت ، خصوصا بعد الحرب العالمية الاولى ، حتى تحولت الى مستودع كبير للوثائق المتعلقة بتاريخ بني اسرائيل . وفي الوقت نفسه ، أنشئت مؤسسة وثائقية اخرى لجمع المواد المطبوعة والمخطوطة عن الحكم النازي لاوربا ، تلك الفترة

التي قتل فيها عدة ملايين من اليهود كانوا يشكلون القسم الاعظم من يهود أوربا ، بالاضافة الى عدد أصغر من الوثائق المتعلقة ببعض الحركات والاشخاص .

لذلك لم تقتبس سلطات العدو التنظيم الوثائقي المتبع في البلاد الاخرى ، حيث كانت كل دولة تمارس سيادتها القومية وتتجمع لديها وحدات وثائقية منسجمة اداريا وعلميا ، ورغم ان دور الوثائق لدى العدو استفادت من تجارب الامم الاخرى في هذا المضمار ، الا انه ترتب عليها ان تشق طريقها على ضوء ظروفها وحاجاتها للتأثير على الحقيقة التاريخية بشكل يجعل الرأي العام العالمي يأخذ بوجهة نظرها رغم وضوح الحق العربي ، ومن هنا كان الخطر الكامن في تنظيم وثائقها بشكل مدروس ، وحاجتنا الى تنظيم علمي يقابله .

ويشكل قانون الوثائق والانظمة الملحقة به الاطار العام الذي نظمت ضمنه جميع الوثائق الموجودة في مختلف دور الوثائق في فلسطين المحتلة . وقد نص القانون على ان يعين المدير من قبل رئيس مجلس الوزراء ، وان يكون هو المرجع الاعلى لادارة الوثائق ، والمسؤول عن مديرية وثائق الدولة التي يقوم عليها مدير اخر يعتبر نائبا عنه ، كذلك اصبحت وثائق ما يسمى بجيش الدفاع الاسرائيلي (الوثائق التاريخية للقوات المسلحة الاسرائيلية التي اسست سنة ١٩٤٨) تشكل قسما من وثائق الدولة ، وتقع بالتالي تحت اشراف المدير العام للوثائق . أما مدير الوثائق العسكرية فتابع لوزارة الدفاع . ويساعد المدير العام مجلس أعلى للوثائق ، وهو هيئة استشارية مزودة بصلاحيات خاصة لاتخاذ القرارات الحاسمة عند الاحتكام اليه ، ويتألف من ممثلين عن مختلف الوزارات ، وعن الوثائق التاريخية والمكتبة الوطنية ومكتبة الجامعة ، بالاضافة الى عدد من الخبراء في التاريخ وعلم الوثائق ، ويجتمع المجلس عادة مرتين في السنة للاستماع الى التقرير السنوي ومناقشته ، والنظر في القواعد والانظمة الجديدة وغير ذلك ، وترتبط به لجان يعينها المدير العام ، منها لجنة التصرف بالوثائق (رئيسها مدير وثائق الدولة أو مدير الوثائق العسكرية) وهي تدرس أمر اتلاف بعض الوثائق المحولة الى المديرية العامة من مختلف المراجع المدنية او العسكرية لعدم الحاجة اليها ، ومنها لجنة التنسيق للوثائق العامة ، ورئيسها المدير العام ، مهمتها تحقيق التعاون بين مختلف الاجهزة القائمة على شؤون وثائقية وذلك بتحديد مدى نشاط هذه الاجهزة والتنسيق فيما بينها ، ومنها لجنة المصطلحات الوثائقية التي تبناها مجمع اللغة العبرية ومهمتها اعداد ثبت كامل للالفاظ المتعلقة بعلم الوثائق باللغة العبرية ، ومنها لجنة حفظ المواد الوثائقية وترميمها ، وهي تدرس امور ترميم الوثائق من حيث موادها ، والمحافظة عليها بشكل يجعلها جاهزة للاستعمال دائما . ويخول قانون الوثائق المدير العام حق مراقبة المحفوظات في جميع مؤسسات الدولة والسلطات المحلية ، وينطبق هذا طبعا على مراكز الوثائق ، والمديريات التي تقوم على سجلات وثائقية والمؤسسات العامة فيما يتعلق بالوثائق فقط واتلافها أو نقلها الى وثائق الدولة لحفظها بشكل سليم ، وقد أولي اتلاف الوثائق أهمية خاصة ، كما اتخذت بعد ذلك خطوة اخرى وهي اخضاع محفوظات وزارات الدولة ومؤسساتها الى تفتيش أصولي ووضعت خطة موحدة لتنظيم هذه المحفوظات بغية تسهيل تفتيشها في المستقبل .

وفيما عدا وثائق الدولة ، اعترفت السلطات المعنية بدور الوثائق التاريخية التالية ، بناء على توصية المدير العام باعتبارها (وثائق عامة) : الوثائق الصهيونية المركزية (القدس) ، الوثائق التاريخية العامة اليهودية (القدس) ، الوثائق المركزية (يد فاشم) بالقدس ، وثائق الحركة العمالية ومتحفها (تل ابيب) ، وثائق حركة الكيبوتس المتحدة (عين حارود) ، وثائق معهد جابوتنسكي في اسرائيل (تل ابيب)، وثائق وايزمن (روحوفوت)، وثائق الصهيونية الدينية (القدس) . وبموجب التعليمات والانظمة الصادرة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٧ ، اخضعت هذه الوثائق الى نوع من اشراف المدير العام ، وألزمت برفع تقرير سنوي مفصل عن نشاطاتها ، والمواد الوثائقية التي تحصل عليها ، والتغييرات الطارئة على اجهزتها ، والقضايا الجديدة باهتمام المدير العام. أما الوثائق الموجودة في حوزة الافراد ، فقد وضعها قانون الوثائق تحت اشراف مدير وثائق الدولة ضمن الصلاحيات التي اعطاه اياها على الوثائق بشكل عام ، سواء الحكومية منها او العامة ، وذلك لضرورة جمع وثائق الحياة الاجتماعية اليهودية عبر العصور ، وعدم الاقتصار على الوثائق

الرسمية التي لم يكن لها مديرية خاصة قبل التقسيم ، وقد أودع الجهاز التنفيذي الصهيوني (الذي خدم كجهاز نصف رسمي) أوراقه في (الوثائق الصهيونية المركزية في القدس) ، ولديها اكبر مستودع للوثائق في فلسطين المحتلة ، كما ان الوثائق العامة للتاريخ اليهودي التي اسستها الجمعية التاريخية الاسرائيلية جمعتوثائقالمجتمعات اليهودية الاوروبية ، الا ان هذين المستودعين لا يمثلان الا قطاعا واحدا من حياة اليهود ، ويفتقران الى الوثائق الخاصة ، كوثائق الاشخاص الذين لعبوا دورا في الحركة الصهيونية ، بل ووثائق ابن الشارع ومراسلاته واوراقه . ويقول المسؤول عن وثائق العدو « يجب عدم استعمال القسر ، بل يمكن بالتعاون ، والاقناع ، الحصول على مثل هذه الوثائق »(٢)، وقد أمكن فعلا جمع الاف الملفات المتعلقة بالمؤسسات الخاصة ، والشخصيات التي كان لها دور بارز في الحياة العامة والحركة الثقافية ، أما الوثائق التي بقيت في حوزة اصحابها فقد خول القانون مجلس الوثائق الاعلى ، ورئيسه (المدير العام للوثائق) بعض الاشراف عليها ، بحيث أوجب على الفرد ان يسجل الوثائق الموجودة في حوزته في السجل الوطني للوثائق دون اعطاء الحق لاي كان بمطالعتها او استخدامها الا اذا سمح هو (اي المالك) بذلك . « ولم تشتر مديرية وثائق الدولة اية مجموعة وثائقية ، بل كان يكفي اقناع المالك بانه لشرف كبير له ولاجداده ان يسلم الوثائق التي بحوزته الى مديريات الوثائق ، لان هذا يحفظ ذكراهم بشكل افضل بكثير من نصب من الحجر»(٣).

كذلك وضعت وثائق المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية تحت مراقبة مدير الوثائق ، على ان تحفظ على حدة وثائق المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي شكلت من قبل الدولة او ساعدت الدولة على تشكيلها ، ولكن يجب ان تسجل في سجل الوثائق الخاصة ، كما يشرف مدير الوثائق أيضا على وثائق الاتحادات التجارية ، وهي هامة جدا باعتبارها قوة ذات تأثير في الدولة تساهم في المشاريع العمرانية والتعاونية وانشاء المصانع الكبيرة ، ولها مديرية خاصة لوثائقها ، وقد عمد السكرتير العام لهذه الاتحادات التجارية ، الى تاليف لجنة خاصة مهمتها تحري حالة الوثائق في مختلف المؤسسات العمالية ، والتنسيق فيما بينها ونقلها الى الوثائق العمالية . تبقى مسألة التأمين على الوثائق ، وترى سلطات العدو انه لا لزوم له « على ماذا نؤمن ونحن نتعامل مع مادة لا يمكن تعويضها ؟»(٤).

والاجراءات المتعلقة بالاتلاف معقدة نوعا ما (حفظا للمصلحة ..!) . فقد عمد واضعو القانون الى تجنب الاتلاف الاعتباطي للوثائق ، وذلكبفرض الرقابة المشددة ، ونشر قوائم الوثائق العامة والخاصة، ولكن التجربة اظهرت ان هذه الاجراءات يمكن ان تبسط ، وأعد مشروع تعديل قانوني بهذا الصدد ، وتتبع مديرية الوثائق لرئاسة الوزارة كما تقدم ، ويحتل مديرها مرتبة مدير عام في الدولة، وتعتبر الوثائق الخاضعة لمراقبته تحت السلطة الادارية للمؤسسات التي انشأتها او تمولها .

وتحتفظ وثائق الدولة بجميع الوثائق التي خلفتها الادارات السابقة لفلسطين ، وخصوصا ملفات الانتداب البريطاني التي لم تتلف أو تنقل عند مغادرة البريطانيين لفلسطين ، وتودع جميع وزاراتالدولة ومكاتب رئيس الدولة ، والمجلس ، والمحاكم ، وثائقها في مديرية الوثائق عندما لا تعود بحاجة اليها في الاعمال الرسمية ، على ان تكون لها قيمة تاريخية تبرر حفظها في مديرية الوثائق بشكل دائم، وجميع المؤسسات المتعلقة بالدفاع الوطني تودع محفوظاتها في وثائق ما يسمى بجيش الدفاع الاسرائيلي التي تعتبر جزءا من وثائق الدولة . وبين الاشياء الهامة التي تم الحصول عليها خلال السنين العشر الواقعة بين ١٩٥١ — ١٩٦١ ، يحسن التنويه بالاشياء التالية بصورة خاصة : ١ — ملفات محاكمة ايخمن (بما في ذلك المستمسكات الوثائقية التي استندت اليها المحكمة) والشريط السينمائي المتعلق باجراءات المحكمة ، بالصوت والصورة ، (أودعت وثائق الدولة) . ٢ — الوثائق الخاصة لحوالي (١٥٠) شخصية ساهمت في الحركة الصهيونية (حصلت عليها الوثائق الصهيونية المركزية) ٣ — القسم الهام من وثائق ٨٠٠ هيئة يهودية طردها النازيون من المانيا والنمسا ، بما فيها تلك التي كانت توجد في فيينا ، و وورمز ، وكونيغسبرغ ، وهامبورغ ، وهالبر شتادت (نقلت الى الوثائق التاريخية اليهودية العامة) .

وقد أخذت حركة الوثائق طابعا نشيطا جدا اثناء امداد مديرياتها بوثائق محاكمة ايخمن ، خصوصا

في « الوثائق الصهيونية المركزية » ووثائق الدولة ودار كاتس نلسون .

وقرر المؤتمر الثاني لجمعية الوثائق الاسرائيلية سنة ١٩٥٩ نشر دليل مفصل عن مجموعات الوثائق المحفوظة في جميع دور الوثائق التاريخية في فلسطين المحتلة ، وبدات هذه الدور العمل في هذا المشروع (خصوصا وثائق الدولة والوثائق الصهيونية المركزية) على اساس اصدار دليل لكل مؤسسة وثائقية ، ثم دمجها فيما بعد في دليل جامع .

وليس هناك وقت محدد خاص لاستعمال الوثائق من قبل الجمهور ، فان القانون يسمح بحرية الدخول الى وثائق الدولة بالشروط التالية : أ — الا تكون الوثائق المطلوبة قد صنفت في عداد المستندات المتعلقة بالامن قبل نقلها الى وثائق الدولة . ب — ان تكون هذه الوثائق قد انتقلت ملكيتها الى وثائق الدولة مع كامل الحق بالتصرف بها ، فاذا كانت الوثائق قد انتقلت اليها فقط لضرورة الحفظ والصيانة ، فان الجهة المالكة تضع الشروط التي تريدها لاستعمالها . وفي الوثائق الصهيونية المركزية يسمح للباحثين بحرية مطالعة الوثائق التي تعود الى ما قبل سنة ١٩٣٠ ويمكن الاطلاع على الوثائق الاحدث ولكن بعد فحص محتوياتها ، وقد تبنت دور الوثائق الاخرى تدبيرا من هذا القبيل ، اما الوثائق الموجودة في قسم الوثائق العسكرية فتغطي فقط فترة ما بعد التقسيم ، الا انها لم توضع بعد في متناول الباحثين .

قال مدير وثائق العدو في أحد المؤتمرات الدولية(٥) : « وكوثائقي مسؤول ، سأحاول التعرض لمسائل التعاون الدولي لتيسير أمر الاطلاع على الوثائق في نقطتين رئيسيتين . ١ — كيف نستطيع المساهمة في اسرة الوثائق وطلابها . ٢ — ماذا نريد ان نتلقى من هذه الاسرة ومن الاونسكو . ان الوثائق لدينا مفتوحة للجميع ، من اجانب ومحليين على السواء ، دون تمييز ، لا نحتفظ لاي باحث بحقوق خاصة ، ولكننا نحيطه علما بالمشاريع الاخرى التي تشبه مشروعه . اما الوقت الذي يتحتم انقضاؤه على الوثائق حتى يمكن الاطلاع عليها ، فهو مبدئيا ٣٠ عاما ، كحد أقصى ، الا انه يمكن الاطلاع على وثائق احدث اذا كانت ضرورات الامن تسمح بذلك ، وقد تمت الموافقة في مناقشات مجلس الوثائق الاعلى على انظمة ميزت بين زمر متعددة من الوثائق للبت في امر الاطلاع عليها . واذا سمح بالاطلاع على الوثائق ، وباعطاء صور عنها (ميكروفيلم) ، فان الحق الادبي لا يعطى مع تلك الصور ، الميكروفيلم مسموح به فقط للبحث العلمي ، اما حق النشر فيتطلب اذنا خاصا كل مرة . هذا وقد قامت « جمعية الوثائق الاسرائيلية » بنشر دليل عن جميع الوثائق ، مع قائمة كاملة بالزمر الوثائقية »(٦) .

وليس هناك احصاء معتمد عن الاقبال على مطالعة الوثائق في فلسطين المحتلة بشكل عام ، الا أن جهاز المراقبة في « الوثائق الصهيونية المركزية » سجل ان معدل الاشخاص الذين يتصدون دور الوثائق للمطالعة يوميا يتراوح بين ١٠ — ١٥ شخصا ، وقد كان عدد رواد الوثائق في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٥٦ — ١٩٦٠ حوالي ١٥٠٠٠ زائر ، استخدموا خلالها ١٣٠٠٠ ملف و ١٥٠٠٠ كتاب و ٥٢٠٠ صورة فوتوغرافية .

وتلعب الوثائق دورا هاما في الحياة الثقافية بفلسطين المحتلة ، فهناك الاحاديث الاذاعية التي يلقيها الوثائقيون ، وهناك المقالات التي تنشر في كل من الصحافتين المهنية والشعبية ، واللجان التي تتابع النشرات الاجنبية .

والواقع ان السلطات الاسرائيلية شعرت بحاجة الى الوثائق المحفوظة في الخارج لاكمال الوثائق التي نقصت من حوزتها ، وهي الوثائق التي نقصت من المجموعات التي كانت تهمها في توجيه الدراسة التاريخية لصالحها ، فتتبع كل ما نشر عنها من الادلة والفهارس حتى الدوريات ، ومنتخبات الوثائق المطبوعة ، والمجموعات الكاملة المطبوعة ، والوثائق المصورة على (الميكروفيلم) ، وقد بدا لها هذا النوع الاخير من صور الوثائق (التي برعت فيها واشنطن) أفضل نوع لتوثيق تاريخ العصر الذي نعيش فيه وتاريخ الجيلين او الثلاثة السابقين ، ذلك ان غزارة الوثائق المتعاظمة تجعل طباعتها ونشرها بشكلها الطبيعي ضربا من المستحيل ، لذلك كان الميكروفيلم رخيصا وكافيا في هذا المضمار . يقول مدير الوثائق في فلسطين المحتلة في احد المؤتمرات الدولية(٧) : « بالنسبة الى ادلة الوثائق ذات الاهمية القصوى في العمل لوضع توائم للوثائق غير الموجودة لدينا والمكملة لوثائقنا وتصوير نسخ ميكروفيلم ، يجدر ابداء الملاحظتين التاليتين :

١٠ — على جميع البلاد التي ليست لغاتها واسعة الانتشار ان تنشر الادلة عن وثائقها باحدى اللغات المنتشرة على نطاق واسع . ٢ — ان أحسن دليل وثائقي ليس ذا فائدة كبرى ، اذا كانت الوثائق الواردة فيه لا يمكن استنساخها او الاطلاع عليها للبحث العلمي ، هناك الكثير من الوثائق الهامة ممنوعة على الباحثين لوقت اطول من اللازم ، لمقتضيات الامن والمصلحة ، فهل لي ان اقترح امكان استعمال هذه الوثائق بحرية اكثر ، دون تدخل الاعتبارات السياسية اكثر من الحد اللازم فعلا ؟ »(٨).

هذا عدا عن المتاحف التاريخية التي تساهممديريات الوثائق في اعدادها والمعارض التي تساعد على تهيئتها ، منها مثلا متحف « هرتسل » الذي يقوم على ما يسميه العدو (بجبل هرتسل) في القدس، والذي افتتح في شهر تموز/يوليو ١٩٦٠ من قبل الوثائق الصهيونية المركزية وأمه حوالي ١٤٠،٠٠٠ زائر في عاميه الاولين ، ثم متحف (ياد فاشم) الذي اسس سنة ١٩٥٦ ، وغيرهما . ومن المعارض الكثيرة التي أقيمت في مختلف دور الوثائق ، معرض الوثائق الذي اقيم سنة ١٩٥٤ كقسم من معرض (غزو الصحراء) ، والمعرض المشترك الذياقامته (الوثائق التاريخية اليهودية العامة) و (الوثائق الصهيونية المركزية) الذي نظم بمناسبة المؤتمر الثاني للدراسات اليهودية (تموز — يوليو/اب — اغسطس ١٩٥٧) ، ومعرض (على طريق الدولة) الذي نظمته الوثائق الصهيونية المركزية في مبنى المؤسسات المحلية (نيسان — ابريل ١٩٥٨) وكثير من المعارض غيرها .

وجميع القائمين على شؤون الوثائق التاريخية في فلسطين المحتلة اعضاء في « جمعية الوثائق الاسرائيلية » التي عقدت ثلاثة مؤتمرات في سني ١٩٥٧ ، و ١٩٥٩ ، و ١٩٦٢ نوقشت فيها شؤون تتعلق بعلم الوثائق وتنظيمها والتعامل بها ، وقد انتخبت الجمعية المدير العام للوثائق رئيسا لها ، وطبعت قواعد الجمعية والمعلومات اللازمة عن أعضائها بالعبرية والانكليزية سنة ١٩٥٧ ، كملحق للتقرير الموضوع عن اعمال المؤتمر الاول . وقد لعبت الوثائق دورا هاما في مؤتمري (الدراسات اليهودية) اللذين انعقدا في سنتي ١٩٥٧ و ١٩٦١ وعقدت جلسة خاصة في المؤتمر الثاني لدراسة الوثائق في فلسطين المحتلة والخارج ، وبناء على اقتراح المدير العام للوثائق قرر المؤتمر اعداد برنامج ضخم لتصوير الوثائق التي يمكن الوصول اليها في الداخل والخارج ، وينص المشروع على ان تصور كل مؤسسة بالميكروفيلم أهم الوثائق الموجودة في حوزتها ، وعلى نفقتها الخاصة ، وتودع نسخة من كل صورة في وثائق البلد صاحب العلاقة ، ونسخة في القدس ، وغاية هذا المشروع حفظ المواد الوثائقية وخلق مركز يهتم بأبحاث التاريخ اليهودي في القدس وفي مختلف البلدان الاخرى . ويولي العدو الناحية التقنية اهمية كبرى خصوصا الابنية الخاصة بالوثائق ، والعنصر البشري المدرب ، وقد اعطيت الدروس الخاصة باعداد الوثائقيين فعلا خلال السنة الدراسية ١٩٦٠ — ١٩٦١ ثم ١٩٦١ — ١٩٦٢ في الجامعة العبرية وذلك بناء على مبادهة من المدير العام للوثائق .

والظاهر ان انتشار الوثائق بهذه السرعة وعلى هذا النطاق الواسع طرح امام العدو مشكلة هامة ، وهي كيفية تدريب الجهاز البشري المناسب لمعالجة هذه الوثائق والتعامل بها . فبين الوثائقيين الموجودين لديه ، كان هناك القليل فقط ممن تلقوا التدريب الكافي ، سواء كان ذلك في الخارج (خصوصا في المانيا ، بجمهورية فايمار) أو في قسم التدريب بالوثائق الصهيونية المركزية . وكان الموضوع المطروح هو : هل يجب ارسال عدد من المثقفين للتعليم في المدارس الاختصاصية والتدرب على الوثائق في اوربا وامريكا ؟ لقد كانت هناك وجهات نظر تعترض هذا الرأي : أ — كان يجب اولا تدريب الموجودين في مختلف دور الوثائق ،الذين يصعب عليهم التغيب عن عملهم مدة طويلة . ب — ان تدريب الوثائقيين في اي بلد خارجي يتم بناء على الظروف الخاصة به ، لا بالنسبة للغةفحسب، بل وبالنسبة لنوع الوثائق الموجودة والتاريخ الاداري للبلد نفسه وغير ذلك من الاعتبارات المحلية . ج — صحيح انه كان هناك الكثير مما كان يمكن اقتباسه من خبرة مؤسسات الوثائق في البلاد الاخرى التي تمتعت بالسيادة لمدة طويلة، ولكن الاخذ بأساليب تلك البلاد وطرقها لم يكن ممكنا دون اعتبار تاريخ اليهود وظروفهم ، وقد سبب اقتباس اساليب الدول الاخرى كما هي ضررا ملحوظا ، نظرا لان نوعها وتقاليدها تختلف بشكل كلي ، لذلك كان من الافضل القيام بتدريب الجهاز

البشري تدريبا محليا يتناسب مع الظروف المحلية الخاصة ، وبعد حصول افراده على المعلومات والخبرات اللازمة ، يمكن ارسال بعض المتفوقين الى الخارج لتلقي المزيد من التدريب ، اذا وجدت ضرورة لذلك .

ولا شك ان نمو الوثائق اختلف عند العدو عنه في اكثر البلاد الاخرى ، فقد اسست مديرية وثائق الدولة لديه بعد سنة واحدة فقط من التقسيم ، وكانت هناك وثائق في فلسطين قبل ذلك ، كما كانت الوثائق الصهيونية المركزية موجودة فعلا ، وكذلك وثائق الحركة العمالية اليهودية والوثائق التاريخية اليهودية العامة اذا اردنا الاقتصار على المهم منها فقط ، وقد تشكلت الزمر الوثائقية لهذه المراكز مما كان اليهود قد جمعوه في مختلف البلدان الخارجية التي سكنوها قبل هجرتهم الى فلسطين العربية ، حيث كانت مؤسساتهم موجودة قبل نقل وثائقهم الى فلسطين ، وتشكلت الوثائق في المدن والمؤسسات بشكل يتناسب مع التقاليد التي جلبها المهاجرون معهم ، او مع تقاليد الحكام المتعاقبين على فلسطين كالاتراك والانكليز ، وادارة البارون روتشيلد في باريس ، والمنظمة الصهيونية . هذه التقاليد كانت عوامل حاسمة في ادارة المؤسسات الحكومية المركزية التي شكلت بعد التقسيم . لذلك لم تكن الدراسة في ظروف بلد واحد بعينه تكفي الطلاب اليهود ، بل كان من اللازم اعطاؤهم اوسع ما يمكن من المعلومات حول تنظيم الوثائق وادارتها في البلاد الاخرى ، لتدريبهم على الطرق التي تتناسب مع الوثائق اليهودية بشكل خاص .

لكل هذه الاسباب ، التفتت وثائق الدولة والجمعية الوثائقية ، الى الجامعة العبرية ، وطلبت منها اعداد دورات خاصة في علم الوثائق ، وترامى الى الظن بادىء ذي بدء انه من الممكن تحقيق ذلك ضمن اطار مدرسة المكتبات التي اسست في الجامعة المذكورة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ ، ولكن الدراسة المتعمقة اثبتت ان الفروق بين علم الوثائق وعلم المكتبات كانت اكبر مما يظن ، لذلك تقرر اعطاء دروس مختصرة في علم الوثائق في اطار مدرسة المكتبات ، لاعطاء طلابها فكرة عن الوثائق والمخطوطات وتدبير امورها في المكتبات . وتقرر اعداد دورات خاصة بالوثائق ، لتأمين التدريب الخاص بالوثائقيين ، وبدأت فعلا اولى تلك الدروس في خريف سنة ١٩٦٠ وكانت مدة الدراسة سنتين (عشر محاضرات تعطى في يوم ونصف من كل اسبوع) لكي يتمكن موظفو الوثائق من الاستماع الى هذه المحاضرات دون ان يكون عليهم ترك وظائفهم ، وكان يشترط في المرشح للدورة المذكورة ان يكون خريج الجامعة العبرية او اية مؤسسة عليا اخرى ، على الا تقل درجة الشهادة التي يحملها عن (البكالوريوس) او ما يعادلها ، وان يعرف اللغات الانكليزية أو الفرنسية او الالمانية كشرط لا بد منه ، وقد تركزت الدراسة على نوع الوثائق الموجودة والوثائق التاريخية بشكل خاص ومدى العلاقة بينهما وبين مؤسسات الادارة العامة ومختلف اجهزة الاعلام ، لذلك احتوت الدورة على دراسة (عملية ونظرية) لاساليب توثيق المستندات ووظيفتها ووضعها تحت تصرف الباحثين .

ومدة الدراسة سنتان ، كما تقدم ، تقسم كل منهما الى ثلاث فترات ، كانت هناك عشر ساعات من الدراسة في يومين ، وبذلك يكون مجمل الساعات ٥٦٠ ساعة في السنين العادية ، وخلال العطلة الطويلة ينصرف الطلاب الى الممارسة العملية . أما مواد الدراسة فتتلخص فيما يلي :

١ — نظريات الوثائق ، الطرق والاساليب التقنية، ٢٢٠ ساعة ، واهم بنودها : أ — النظريات الوثائقية ، تطورها ، الوثائق العامة والوثائق اليهودية ، الوثائق وعلم التاريخ (٧٠ ساعة) . ب — الوثائق المتداولة (المستندات الرسمية ، السجلات ، الخ ...) وظيفتها ، تنظيمها ، طرقها (٣٠ ساعة) . جـ — تنظيم الوثائق التاريخية ، طرقه وتقنيته ، مجموعات الوثائق او نماذج الوثائق ، الاوراق الشخصية ، والمجموعات الخاصة (١٢٠ ساعة) .

٢ — فن المكتبات (٦٥) ساعة ، ويتألف من : أ — اعداد الدولة المكتبية (٣٠) ساعة . ب — اساليب التصنيف (٢٥) ساعة . جـ — اعداد القوائم البيبليوغرافية والفهارس (١٠) ساعات.
٣ — العلوم التاريخية المساعدة (١٣٠) ساعة ، وابرز ما يدرس فيها : أ — علم الوثائق ، وقراءة الخطوط بشكل عام ، والخط العبري بشكل خاص، (٧٠) ساعة . ب — مصادر التاريخ ، (٢٠) ساعة . جـ — طباعة المصادر ، (٣٠) ساعة . د — مقدمة الى علم الانساب ، (١٠ ساعات) .

٤ — الحقوق والادارة ، (٩٠) ساعة. أ — مقدمة

الى دراسة الحقوق ، (٣٠) ساعة . ب ـ تاريخ الادارة بشكل عام ، وفي فلسطين المحتلة بشكل خاص ، (٦٠) ساعة .

ه ـ المعالجة الفنية ، (٤٠) ساعة ، وتتألف مما يلي : أ ـ صيانة المواد الوثائقية وترميمها ، (٢٠) ساعة . ب ـ تصوير الوثائق ، (٢٠) ساعة .

وبالاضافة الى هذه الدراسات المفروضة ، هناك زيارات الى مختلف المؤسسات الوثائقية ، (١٥ ساعة) ، واساتذة هذه المواد اعضاء في الهيئة التدريسية للجامعة العبرية ومدرسة المكتبات وكبار موظفي المؤسسات الوثائقية .

هذه هي أهم المواد التي اعتمد عليها العدو في تخطيطه الوثائقي ، واستطاع فعلا تنفيذه وانشاء عدة مديريات للوثائق نذكر منها باختصار ما يلي : ١ ـ **المديرية العامة للوثائق** ، مركزها القدس ، ولمديرها الاشراف على سائر مديريات الوثائق ، وهو رئيس المجلس الاعلى للوثائق . ٢ ـ **وثائق الدولة ومكتبتها** (القدس) : وهي مفتوحة للمطالعة المجانية (فيما عدا القسم السري) ، لا يمكن اعارة وثائقها الى سائر المؤسسات ، فيها قسم خاص بالميكروفيلم، تحتوي على وثائق عن بعض الوزارات في فلسطين المحتلة ، واخرى عن الانتداب البريطاني في فلسطين . ٣ ـ **الوثائق العسكرية** (تل ابيب): تقتصر المطالعة فيها على افراد وعناصر وزارة الدفاع ، اما المدنيون فيمكن اطلاعهم على وثائقها باذن خاص من المدير ، ولا يمكن ارسال اي من مستنداتها او ميكروفيلم عنها الى الخارج ، رغم وجود قسم خاص للميكروفيلم فيها يستعمل لسد الحاجات الرسمية فقط . ٤ ـ **الوثائق الصهيونية المركزية** (القدس) : والمطالعة فيها مجانية، يمكن الاطلاع على وثائقها التي تعود الى ما قبل سنة ١٩١٨ ، الا الوثائق التي اودعت هناك بشروط خاصة ، أما وثائق ما بعد سنة ١٩١٨ فيحتاج الاطلاع عليها الى اذن خاص ، الاعارة منها مسموحة فقط لمكتبات فلسطين المحتلة ووثائقها ، فيها قسم للميكروفيلم يزود الطالبين من الخارج بصور الوثائق المطلوبة ، يبلغ طول رفوفها ٢٧٥٠ مترا ، واقدم وثائقها تعود الى اواسط القرن التاسع عشر وفيها وثائق من تواريخ متقطعة خصوصا عن بدء الحركة الصهيونية سنة ١٨٨٠ الا انها تأخذ صفة التسلسل والاستمرار منذ سنة ١٨٩٧ ، ولا يزال عدد وثائقها بتزايد مستمر . ٥ ـ **الوثائق التاريخية اليهودية العامة (القدس)**: والمطالعة فيها ايضا مجانية ، وليس هناك تاريخ محدد للوثائق التي يمكن الاطلاع عليها ، لا يسمح باستنساخ او تصوير او نشر أية من وثائقها الا باذن خاص ، ولا تعار تلك الوثائق الا للمؤسسات العلمية في فلسطين المحتلة وضمن شروط معينة . ليس فيها قسم للميكروفيلم ، طول وثائقها ١٠٠٠ متر ، وتعود اقدم وثيقة فيها لسنة ١٣٤٨ ، اما الوثائق المتسلسلة فتبدأ من القرن السابع عشر . تاريخ تأسيسها يعود الى سنة ١٩٤٠ ، وسيأتي ذكرها بشكل منفصل فيما بعد . ٦ ـ **ياد فاشم** (القدس) : فيها وثائق غزيرة عن مقاومة الحكم النازي ، المطالعة مجانية، ولها مصلحةاستعلامات خاصة ، ووثائقها قابلة للاعارة ، وطول رفوفها ٣٠٦ امتار ، اقدم وثائقها تعود الى سنة ١٩٣٣ ، وهي وثائق تاريخية فقط ، معظم محتوياتها من الميكروفيلم لذلك تحتوي الدار على جهاز لقراءة هذا النوع من الصور . ٧ ـ **ارخليون افودا** (وثائق الحركة العمالية اليهودية ومتحفها) : مركزها في تل ابيب والمطالعة فيها مجانية ، تعير وثائقها ضمن فلسطين المحتلة فقط ، ليس فيها قسم للميكروفيلم، اما طول رفوف وثائقها فيبلغ (١٠٠٠) متر . ٨ ـ **وثائق حاييم وايزمن** ، ومركزها دار وايزمن، المطالعة فيها مجانية ، لا يسمح بنشر وثائقها ولو انه من الممكن ارسال صور عنها ، فيها قسم للتصوير وجهاز لتصوير الميكروفيلم ، تحتوي على ٢٠٠٠ ملف ، وتعود اقدم وثائقها الى سنة ١٨٨٥، وهي في ازدياد مستمر . وكانت الغاية من تأسيس الدار اصلا طبع مخطوطات وايزمن ، والكتابة عن حياته، ودراسة تاريخ الحركة الصهيونيةواستعمار فلسطين العربية ، والركائز الاساسية في دولة العدو .

ولعل المجال يضيق في هذه العجالة عن تفصيل نظام كل من هذه المديريات ، ونوع الوثائق التي تمتلكها ، لذلك ستذكر مديريتان منها ، هما : الوثائق الصهيونية المركزية ، والوثائق اليهودية العامة .

اسس الوثائق الصهيونية المركزية جورج هرليتس (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨) في برلين سنة ١٩١٩ ، ثم نقل مركزها الى القدس ايام الانتداب البريطاني سنة

١٩٣٣ ، وحددت مهامها وصلاحياتها فيما يلي « ان الوثائق الصهيونية المركزية في القدس هي الوثائق التاريخية للحركة الصهيونية ، ووثائق المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، ومهمتها ان تجمع على اكمل وجه ممكن وبأي شكل ، وثائق الحركة الصهيونية في جميع البلاد وخلال جميع العصور »(٩).

اما اقسام المؤسسة فهي : ١ ـ وثائق المكاتب الرئيسية التنفيذية للمنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية وفروعها ومؤسساتها ، منذ تأسيس المنظمة الصهيونية من قبل تيودور هرتسل سنة ١٨٩٧، ووثائق الصهيونية في فلسطين ،والاتحادات الصهيونية في مختلف بلاد العالم . ٢ ـ الوثائق اليهودية في فلسطين حتى اقرار مشروع التقسيم من قبل منظمة الامم المتحدة ، بما في ذلك وثائق (المجلس اليهودي) في فلسطين والمؤسسات المحلية ، ويدخل في هذا القطاع القسم الاكبر من وثائق منظمة الاستعمار اليهودي في فلسطين المعرونة باسم « بيكا » ، مجموعات الوثائق الخاصة بجهد يهود فلسطين في الحرب العالمية الثانية ، ووثائق (المهاجرين غير الشرعيين) المنفيين الى قبرص . ٣ ـ الوثائق الشخصية ، اي وثائق ما يقرب من ٢٦٠ شخصا كانوا فعالين في الحركة الصهيونية (بما في ذلك وثائق مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية تيودور هرتسل الذي مات سنة ١٩٠٤) وثلاثة ممن خلفوه في رئاسة المنظمة : دافيد ولفسون الذي مات سنة ١٩١٤ ، وناحوم سوكولوف الذي مات سنة ١٩٣٦ ، وأتو فاربورغ الذي مات سنة ١٩٣٨ ، ووثائق الشبيبة الصهيونية والجمعيات الطلابية في المانيا وهنغاريا وغاليسيا وغير ذلك من المنظمات الصهيونية في روسيا ، ورومانيا ، وبريطانيا .

وبالاضافة الى ذلك ، يوجد في الوثائق الصهيونية المركزية : ١ ـ مكتبة تتألف من ٥٤٠٠٠ مجلد عن تاريخ الصهيونية وفلسطين في العصور الحديثة . ٢ ـ مجموعة تتألف من حوالي ٤٠٠ جريدة ومجلة صهيونية . ٣ ـ مجموعة من المطبوعات غير الدورية . ٤ ـ مجموعة من الصور الفوتوغرافية، بلغ عددها سنة ١٩٦٥ حوالي (٥٠،٠٠٠) صورة . ٥ ـ مجموعة من اشرطة الميكروفيلم ، للوثائق الموجودة خارج فلسطين المحتلة ولاضابير الوثائق الصهيونية المركزية التي تم تصويرها لضرورات أمن العدو . ٦ ـ مجموعة من التسجيلات الصوتية عن الخطابات ، والمناسبات التذكارية ، وغيرها .

ولما كانت الصهيونية حركة دولية لها عملاء في جميع البلاد ، لذلك فان كل زمرة وثائقية تحفظ في الوثائق الصهيونية المركزية تحتوي على معلومات عن البلاد الاخرى ، خصوصا عن دور اليهود فيها ، واهم زمر الوثائق المخصصة للبحث هي تلك التي تورد المعلومات الكافية عن تاريخ البلاد الاخرى ، ويمكن القول بصورة عامة ان دار الوثائق الصهيونية المركزية تضم وثائق هامة عن البلاد التي كانت فيها ـ والتي تقطن فيها حاليا ـ جالية يهودية كبيرة أو التي كانت لها علاقات وثيقة مع المنظمة الصهيونية العالمية كالنمسا حتى سنة ١٩١٨ ، وبولونيا حتى سنة ١٩٣٨ ، وليتوانيا حتى سنة ١٩٣٦، ورومانيا حتى سنة ١٩٣٩،وتشيكوسلوفاكيا حتى سنة ١٩٤٠ ، والمانيا حتى سنة ١٩٣٩ ، ثم فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، والارجنتين وتركيا وبلاد الشرق الاوسط حتى سنة ١٩٣٩ .

وأهم الزمر الوثائقية الموجودة في المركز هي تلك التي تحتوي على معلومات تتعلق ببلاد اخرى غير فلسطين المحتلة ، وهي : ١ ـ وثائق المكاتب المركزية للمنظمة الصهيونية العالمية ، و (منذ ١٩٢٩) الوكالة اليهودية لفلسطين في فيينا (١٨٩٧ ـ ١٩٠٥) ، وكولونيا (١٩٠٥ ـ ١٩١١) ، وبرلين (١٩١١ ـ ١٩٢٠) ، ولندن (١٩١٧ ـ ١٩٥٨) ، ونيويورك (١٩٤٠ ـ ١٩٥٠) ، وتحتوي على تقارير عن وضع اليهود في البلاد المذكورة ، والعلاقاتالسياسية للمنظمة الصهيونية مع مختلف الحكومات المتآمرة مع الصهيونية .

٢ ـ وثائق المكاتب الرئيسية للمؤسسة اليهودية في فيينا (حتى سنة ١٩٠٧) وكولونيا ١٩٠٧ ـ ١٩١٤ ، والقدس ١٩٢٢ ـ ١٩٤٧ ، ومؤسسة فلسطين اليهودية (كيرين هايسود) في لندن ١٩٢٠ ـ ١٩٢٦ ، والقدس ١٩٢٦ ـ ١٩٣٥ ، وتحتوي على تقارير عن وضع اليهود في مختلف بلاد العالم.

٣ ـ وثائق الاقسام التالية للوكالة اليهودية (التنفيذية) : فرع الهجرة (١٩٢١ ـ ١٩٤٨) . وفرع التنظيم (١٩٣٥ ـ ١٩٥٦) . وفرع يهود الشرق الاوسط (١٩٤٨ ـ ١٩٥٢) . ولجنة الاغاثة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨) . وكلها تحتوي على

تقارير عن وضع اليهود في مختلف البلدان خصوصا الشرقية منها وبلاد اوربا الوسطى . والمكتب المركزي لتوطين يهود المانيا في فلسطين ١٩٣٣ — ١٩٥٥ ، ويحتوي على معلومات عن الوضع في المانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها . والفرع السياسي ١٩٢١ — ١٩٤٨ ، ووثائق تحتوي على معلومات عن السياسة البريطانية في الشرق الاوسط، والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلدان الشرق الاوسط ..

٤ — وثائق فروع المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية في مختلف بلاد العالم ، ابرزها : أ — الوكالة الصهيونية في استانبول (١٩٠٩ — ١٩١٧) وتحتوي على معلومات عن السياسة التركية ازاء فلسطين — ب — مكتب الهجرة ، استانبول ١٩٤٠ — ١٩٤٦ ، وتحتوي على معلومات عن الوضع في البلاد التي كانت خاضعة لدول المحور خلال الحرب العالمية الثانية . جـ — مكتب كوبنهاغن (١٩١٥ — ١٩٢٠) : ويحتوي على معلومات عن وضع اليهود في مختلف البلاد الاوربية وسياسة الدول العظمى نحو فلسطين ، وعن مشكلة الاقليات في اوربا الشرقية . د — مكتب باريس (١٩١٨ — ١٩٢٠): ويحتوي على معلومات عن مؤتمر الصلح . هـ — مكتب جنيف (١٩٢٥ — ١٩٤٨) : ويحتوي على معلومات عن عصبة الامم ، خصوصا عن اعمال لجنة الانتدابات الدائمة وتصرف ممثلي مختلف الدول بالنسبة للقضية الفلسطينية، وموقف اليهود في البلاد الخاضعة للمحور خلال الحرب العالمية الثانية .

٥ — وثائق المنظمة الصهيونية في الخارج ، ومجموعات من المستندات عن تاريخ الصهيونية في مختلف البلدان ، وتحتوي ايضا على معلومات عامة عن البلاد المعنية ، خصوصا : النمسا (١٨٩٨ — ١٩١٩) وكندا (١٨٩٨ — ١٩٢٠) وغاليسيا الشرقية (١٩١٨ — ١٩٣٨) والمانيا (١٩١٥ — ١٩٣٧) ورومانيا (١٩٠٨ — ١٩١٩) وروسيا (١٩٠٣ — ١٩١٤) .

٦ — الوثائق الشخصية لكل من : تيودور هرتسل (مات سنة ١٩٠٤) : وفيها معلومات عن التصرف التركي والبريطاني والالماني والروسي حيال الصهيونية وفلسطين ، وعن وضع اليهود في العالم. ودافيد ولفسون (مات سنة ١٩١٤) : وتحتوي على معلومات عن التصرف التركي حيال الصهيونية خصوصا بين سنتي ١٩٠٥ — ١٩١١ . وناحوم سوكولوف (م. سنة ١٩٣٦) : وفيها معلومات عن تصرف البلدان المختلفة حيال الصهيونية ، خصوصا بريطانيا بين سنتي (١٩١٢ — ١٩٣٦) ، وفرنسا بين (١٩١٧ — ١٩٢٨) ، وايطاليا بين (١٩١٧— ١٩٢٧) ، والفاتيكان (١٩١٧) والولايات المتحدة بين (١٩١٢ — ١٩٢٨) ، وعن مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ ، وقضية الاقليات في اوربا الشرقية (١٩١٨ — ١٩٣٥) والوضع العام في روسيا حتى سنة ١٩١٨ ، وبولونيا (١٩١٨ — ١٩٣٥) وماكس نوردو (م. سنة ١٩٢٣) : وتضم معلومات عن الحركة المضادة للسامية (١٨٩٠ — ١٩١٨) وقضايا اليونان ورومانيا ، وروسيا حتى سنة ١٩١٨، وسلوك الحكومتين التركية والفرنسية حيال الصهيونية خصوصا بين سنتي ١٩٠٨ — ١٩١٤ . وزفي البرسون (م. سنة ١٩٥١) : وفيها معلومات عن قضايا الاقليات والوضع اليهودي في اوروبا الشرقية في السنين الواقعة بين سنتي (١٩١٨ — ١٩٤٠) والهجرة من اوروبا الى الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية . وليون موتسكين (م. سنة ١٩٣٣) : وفيها معلومات عن قضية الاقليات ووضع اليهود في اوربا الشرقية بين سنتي ١٩١٨ — ١٩٣٣ والوضع الداخلي في روسيا بين سنتي ١٩٠٥ — ١٩١٤ . وماكس ماندلشتام (م. سنة ١٩١٢) : وفيها معلومات عن اليهود في روسيا (١٨٨٢ — ١٩١٠) . وايزاك رويلف (م. سنة ١٩٠٢) : وفيها معلومات عن اليهود في المانيا وروسيا والهجرة الى امريكا (١٨٦٩ — ١٩٠٢). وفيكتور جاكوبسون (م. سنة ١٩٣٤) . ولايب جاف (م. سنة ١٩٤٨) . واوسيشكين (م. سنة ١٩٤١) . وفيها كلها معلومات عن روسيا وحال اليهود فيها حتى سنة ١٩١٨ . وايزاك غرونباوم: وفيها معلومات عن بولونيا وسياستها والاقليات فيها بين سنتي ١٩١٩ — ١٩٣٣ . وماكس بودنهايمر (م. سنة ١٩٤٠) : وفيها معلومات عن تصرف الالمان حيال الصهيونية ، ومشاكل اليهود في المانيا الشرقية خلال الحرب العالمية الاولى . والفريد كلي (م. سنة ١٩٤٣) : وفيها معلومات عن اليهود في المانيا والقضايا السياسية الالمانية بين (١٩٠٠ — ١٩٣٨) . وايزاك بن زفي (م. سنة ١٩٦٣) . وشلومو بلانسكي (م. سنة ١٩٥٠) . وفيها معلومات عن الحركة العمالية الاشتراكية

الدولية خصوصا سنة ١٩٢٠ . وموسى هيس (م. سنة ١٨٧٥) : وفيها معلومات عن الاشتراكية في القرن التاسع عشر . وهنرييتا سزولد (م. سنة ١٩٤٥) : وفيها معلومات عن المهاجرين الجدد في الولايات المتحدة (١٨٨٧ — ١٩١٠) . واسرائيل زانغويل (م. سنة ١٩٢٦) : وفيها معلومات عن النشاط الادبي في بريطانيا والولايات المتحدة بين سنتي ١٨٩٥ — ١٩٢٥ .

٧ — وثائق المنظمة اليهودية الاقليمية بين (١٩٠٥ — ١٩٢٥) : وفيها معلومات عن الهجرة من اوربا الى الولايات المتحدة ومشاريع الهجرة الى اوستراليا والاستقرار فيها وفي مختلف بلاد افريقيا وامريكا اللاتينية (خصوصا بين ١٩٠٥ — ١٩١٤).
هذا وليس للدار عطلة سنوية ، بل اسبوعية (أيام السبت) والعطل اليهودية ، وتفتح ابوابها في الايام العادية بين الساعتين ٨ — ١٥ وايام الجمعة من ٨ — ١٣ . ويجب على القارىء ان يقنع (بشكل مسبق) دار الوثائق الصهيونية المركزية بجدية عمله ، ويبين بوضوح الموضوع الذي يبحثه . وتحتفظ الدار لنفسها بحق مطالبة القراء بكتب التوصية من مؤسسة علمية معترف بها أو من بحاثة معروف جيدا ، قبل ان يسمح له بالمطالعة ، ويجب ان يعطيها الباحثون نسخة من اي مؤلف ينشر وتكون وثائق الدار قد استخدمت في تأليفه . ويمكن الاطلاع بحرية على الوثائق التي مضى عليها ٣٠سنة فأكثر — كقاعدةعامة — الا اذا أ — وضع المالك الاساسي شروطا خاصة ، ب — اساءت مطالعتها الى سمعة اشخاص معينين او تعلق الامر بالامن العام . أما المستندات التي تعود الى ما قبل سنة ١٩٣٥ ، فان الوثائق الصهيونية المركزية تحتفظ لنفسها بحق فرض الشروط التي يقتضيها الحال قبل السماح بالوصول اليها . هذا وللدار مشغلها الخاص بالميكرو فيلم ، ويمكنها تحضير الصور الضوئية ، بأسعار معتدلة، ولديها مجموعة جيدة من الميكروفيلم(١٠) عن الملفات والوثائق المحفوظة في الخارج (الولايات المتحدة، بريطانيا ، فرنسا ، المانيا ، يوغوسلافيا) يمكن الاطلاع عليها بسهولة الا اذا كان المالك الاصلي قد وضع شروطا خاصة لذلك ، ويمكن تحضير نسخ موجبة عن الميكروفيلم المذكور في حالة وجود الضرورة بسعر الكلفة .

أما الوثائق التاريخية اليهودية العامة فقد أسست سنة ١٩٣٩ بمبادهة فردية ، واصبحت منذ عام ١٩٤٤ تشكل جزءا من « الجمعية التاريخية في اسرائيل » ، ثم اعتبرت وثائق عامة بموجب قانون الوثائق ذي الرقم (٥٧١٥) لعام ١٩٥٥ . وكانت الغاية من تأسيسها جمع وثائق تتعلق بالتاريخ اليهودي من مختلف بلاد العالم التي أقام فيها اليهود في يوم من الايام ، وقد بدأت حملة خاصة، خلال السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية ، هدفها جمع الوثائق اليهودية التي نجت من التلف والحريق في أوربا الوسطى .

ورغم انالوثائق التاريخية اليهودية العامة مؤسسة حديثة جدا ، فان مجموعة وثائقها كبيرة تضم وثائق المجتمعات والمنظمات اليهودية والوثائق الخاصة التي جمعت من مختلف انحاء العالم ، وقد بقي قسم من هذه الوثائق سريا لم يسمح بالاطلاع عليه بعد ولم يرد ذكر له في القوائم التي يراجعها الباحثون .

ولما كانت هذه المجموعة لا تشكل الا قسما صغيرا من مصادر التاريخ اليهودي ، لذلك كان لا بد من بعض النشاط الاضافي التالي لاكمالها : أ — تهيئة قوائم الوثائق المتعلقة بالتاريخ اليهودي في الخارج، من الوثائق الرسمية او الكنسية او البلدية ، ووضع دليل مركزي عام عن المواد الوثائقية في جميع انحاء العالم . ب — أخذ صور ميكرو فيلم عن القسم الاكبر من أهم هذه الوثائق الحيوية ، على أساس القوائم المذكورة ، وقد تم فعلا تصوير ما يقرب من ثلاثة ملايين ميكروفيلم حتى سنة ١٩٦٥ .

وكان اليهود في اكثر البلاد الاوروبية قد اعطوا نوعا من الاستقلال القضائي والمالي ، واضطلعت منظماتهم بالكثير من الاعباء التي كانت تقوم بها قبل ذلك بعض اجهزة الدولة ، لذلك فان الوثائق التاريخية اليهودية العامة تضم كثيرا من الوثائق عن تاريخ اليهود السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بالاضافة الى مستندات من حياتهم الدينية والثقافية ، وحتى سنة ١٩٦٥ كانت اكثر الوثائق باللغة العبرية ، او مكتوبة بالاحرف العبرية — رغم انها بلغة البلد نفسه — وبعض هذه المجتمعات كانت لها اهمية وطنية محلية ، بل وحتى دولية ، ووثائقها تعكس اعمال زعمائها وتدخلاتهم لصالح الحركة اليهودية في الكثير من بلاد العالم .

يتبين مما تقدم ان المواد الوثائقية التي تم جمعها

في هذه المديرية ذات اهمية كبيرة ، وسنقتصر فيما يلي على ذكر بعض الوحدات الوثائقية ذات الاهمية الخاصة ، حسب المصدر الذي وردت منه الوثائق، وطريقة التصنيف المتبعة : ١ — الارجنتين : سوبروتيميس ، وفيها وثائق جمعية حماية المهاجرين اليهود . ٢ — النمسا (فيينا) : وفيها وثائق المجتمع اليهودي هناك . ٣ — تشيكوسلوفاكيا : وفيها وثائق المجتمع اليهودي (مدينة ميكولوف) . ٤ — فرنسا : وثائق المجتمع اليهودي (مدينة متز) . ٥ — دانزيغ : وثائق المجتمع اليهودي هناك . ٦ — المانيا : وفيها وثائق المجتمع اليهودي في ٤٤ مدينة أبرزها : التونا ، بمبرغ ، برلين ، بنغن ، دارمشتات ، فرانكفورت على الماين ، فرنكفورت على الاودر ، وغيرها ، هذا عدا وثائق الوحدة الالمانية الاسرائيلية (برلين) والوحدة المركزية للمعتقدات اليهودية ، واتحاد المقاطعات اليهودية الالمانية (برلين) ، ووحدة المعونة اليهودية الالمانية (برلين) . ٧ — مجموعة وثائق (بوتسنان). ٨ — ليتوانيا : نسخ عن المواثيق المتعلقة بالنصوص القانونية الخاصة باليهود .

هذا عدا الوثائق الخاصة ، وهي الوثائق المتعلقة بتحرير اليهود البروسيين وحقوق اليهود بين القرنين (١٨ — ٢٠) كوثائق لابرسون رئيس القسم الاوسترالي في المؤتمر اليهودي العالمي سنة (١٩٣١ — ١٩٥٣) ، وماجنيس الذي كان رئيس الجالية اليهودية في نيويورك ، وموتسكين وتتعلق وثائقه بالهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي . وقد صنفت هذه الوثائق حسب الترتيب التالي : ١ — الوحدات الجغرافية (لاوربا حسب الحدود السياسية المحددة سنة ١٩١٩) وكل وحدة مقسمة الى : وثائق الهيئات ، وثائق المنظمات والمؤسسات المحلية ، وثائق المنظمات الوطنية ، وثائق فردية او ملفات لا تدخل في نطاق الوثائق المذكورة اعلاه. ٢— وحدات ليست مصنفة حسب التقسيم الجغرافي : الوثائق او المجموعات الفردية ، وثائق المنظمات الدولية . ٣ — المجموعات الخاصة (قصاصات الصحف ، النظم المطبوعة ، التقارير الخ ... صور الكنس ، والمقابر ، والشخصيات وغيرها ، أشجار النسب) . ٤ — عدد من اشرطة الميكروفيلم .

وتستقبل دار الوثائق التاريخية اليهودية العامة الباحثين طيلة ايام الاسبوع بين الساعة ٩ — ١٤ ويوم الجمعة الساعة ٩ — ١٢ ، ويوم السبت هو يوم العطلة الاسبوعية . ويمكن اجراء الابحاث بعد الحصول على اذن من المديرية لمطالعة المستندات اللازمة ، وبعض الوحدات الوثائقية تبقى سرية حسب شروط واهبها . ويمكن اعطاء القراء أشرطة ميكروفيلم او صور ضوئية للوثائق الفردية ولبعض الملفات الكاملة، اما الاطلاع على مجموعة الدار من الميكروفيلم المأخوذة عن الوثائق الموجودة في الخارج فتتبع الشروط الخاصة التي تضعها بلاد المنشأ التي تمتلك الوثائق الاصلية .

والى جانب هذا الاهتمام الكبير بالوثائق داخل فلسطين المحتلة ، هناك حركة وثائقية صهيونية موازية في سائر انحاء العالم ، وخصوصا في اوربا والامريكتين،بل لقد اهتمت الصهيونية بالوثائق قبل التقسيم بكثير ، واعتمدت عليها في استدرار عطف الرأي العام العالمي حتى حصلت على وعد بلفور . والواقع انه لم يكن في المانيا سنة (١٩٠٥) الا مجموعة وثائقية واحدة عن الجالية اليهودية المقيمة في فرانكفورت[١١]،فسارعت الجاليات اليهودية الى استدراك هذا النقص ، وكان عدد كبير من الوثائق المطلوبة قد فقد فعلا ، او ضم الى الوثائق القومية للبلد نفسه ، ونتج عن ذلك ان الوثائق اليهودية اقتصرت على موجودات الكلس التي كانت تملك عددا ضخما من السجلات التي كانت تسمى Pinkas وهي غالبا غنية بالمعلومات التاريخية ، وكذلك سجلات الـ (موحاليم) الهامة لدراسة تطور السكان اليهود . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كانت التقاليد اليهودية في وادي الرين تقضي بأن يكتب على شريط تماشي اسم كل صبي يتراوح عمره بين ٢ — ٣ سنوات ، وتاريخ ميلاده ، فأصبحت هذه الاشرطة الشكل الوحيد للسجل المدني اليهودي المعروف آنئذ ، كما كانت هذه القطع بالذات بالاضافة الى مستندات اخرى (نادرا ما تعود الى ما قبل النصف الاول من القرن التاسع عشر) هي التي شكلت نواة الوثائق اليهودية هناك. ولكن السجلات الوطنية كانت أكثر حظا ، فقد نشر في بولونيا سجل (ها مدينة)[١٢]، كما طبعت الكتب التذكارية المختلفة[١٣]، ولا توجد وثائق خطية ، الا ان الحاخامين الذين مارسوا القضاء ، درجوا على عادة تسجيل قراراتهم بشكل سؤال وجواب ، فأصبحت هذه القرارات المصدر الكبير للتاريخ اليهودي في أوربا ، تذكر من ذلك

١٧٩٥ مجموعة استشارية تحتوي على اكثر من ٢٥٠،٠٠٠ قرار يتعلق بتاريخ اليهود في كل من فرنسا وايطاليا والنمسا وهولاندة وانكلترة واسبانيا وغيرها .

وقد نشرت « لجنة اعادة البناء الثقافي اليهودي الاوروبية»(١٤) سنة ١٩٤٦ قائمة مؤقتة عن «الكنوز الثقافية اليهودية في البلاد المحتلة » ، وهذه القائمة تصف واقع الحال كما كان سنة ١٩٣٨ . ولكن الحرب والملاحقات النازية التي شملت عدة هيئات يهودية ، أفقدت هذه القوائم قيمتها من حيث تمثيلها لواقع الموجودات الوثائقية في اوربا(١٥). وكانت هناك قبل الحرب العالمية الثانية وثائق غزيرة تتعلق باليهود في عدد كبير من المدن الالمانية اهمها في دارمشتات وفرنكفورت وبرلين ، وتحتوي على٣٤٤ من السجلات، وقد دمر قسم كبير من هذه الوثائق اثناء الحرب ، ولو انه يرجح ان قسما كبيرا منها قد حفظ مع الوثائق المحلية . هذا عدا الوثائق التي عني الصهاينة بجمعها في مختلف البلاد الاوربية الاخرى ، كالنمسا حيث حفظت وثائق تتعلق باليهود في (ايزنشتات ، وغورتس ، وفيينا) وكذلك في بروكسل ببلجيكا وبعض المدن المجرية الهامة ، وفي ايطاليا حيث تمكن اليهود من حفظ القسم الاعظم من وثائقهم ، تميز بينها وثائق فيرارا ، وفلورنسا ، وليفورنة ، ومانتو ، وميلانو ، وبادوفا ، وبيزا ، وروما (وثائق الجامعة الاسرائيلية) . وفي تشيكوسلوفاكيا حيث استطاع الكنيس اليهودي(١٦) جمع الوثائق اليهودية التي نجت من نار الحرب في براغ ، وفي بولونيا حيث كان « معهد المعارف اليهودية » الذي أسس سنة ١٩٢٥ ، قد جمع في وقت قصير اكثر من ... ٧٥ مخطوط ووثيقة تتعلق بشؤون اليهود البولونيين ، وقد نقلت هذه الوثائق الى المانيا بعد ذلك ، حيث عثر عليها هناك بعد الحرب ، وهي الان موجودة في مدينة نيويورك ، المقر الجديد لمعهد المعارف اليهودية الذي شكل عدة لجان طافت اوربا بأسرها لجمع الوثائق المتعلقة باليهود ومطاردة الالمان لهم . والجدير بالذكر ان المعهد نفسه يصدر حاليا نشرة خاصة تخدم اغراض الصهيونية .

وفي انكلترا نشرت الصهيونية وثائق الكنيس الموحد (الذي يعود الى سنة ١٦٩٠) والكنيس الغربي (منذ سنة ١٧٥٧) ، اما في البرتغال فان وثائق الجالية اليهودية هناك لم تطبع بعد(١٧). وتوجد في فرنسا كمية لا بأس بها من الوثائق ، نظرا لكثرة عدد اليهود المقيمين فيها ، في ستراسبورغ ، وكولمار ، ومتز (حيث يوجد سجل لم ينشر بعد). وكانت «لجنة التاريخ اليهودي» في الالزاس واللورين تصدر نشرة خاصة بها قبل الحرب ، واستطاعت فعلا جمع كمية كبيرة من الوثائق اليهودية التي ضمت الى « الوثائق الاقليمية لحوض الرين الاسفل » . ولكن المجموعة الضخمة من الوثائق اليهودية هي مجموعة الرابطة الاسرائيلية(١٨) في باريس ، وفيها معلومات عن قرن كامل لعبت خلاله فرنسا دورا بارزا في الشرق الاوسط ، وهي مجموعة ثمينة لمن يهتم بدراسة هذه المنطقة . ولا بد من الاشارة الى مركز هام للوثائق اليهودية اسس بعد الحرب مباشرة ، هو مركز التوثيق اليهودي المعاصر في باريس(١٩) وقد اهتم بدراسة شؤون اليهود تحت الحكم النازي ، واستطاع المركز فعلا جمع كمية كبيرة من الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع والتي تضم جميع وثائق (الغستابو) المتعلقة باليهود في فرنسا (الوثائق الاصلية) وغيرها من وثائق الحرب(٢٠).

الا ان المراكز الضخمة للوثائق التي يجمعها الصهاينة موجودة في الولايات المتحدة الامريكية ، المعقل الكبير للصهيونية ، وسنأخذ مثلا على ذلك مركز الوثائق اليهودية الامريكية في ولاية اوهايو الذي اسس سنة ١٩٤٧ ، ذلك ان اليهودي الامريكي لم يكن قد شهد ، كاليهودي الاوروبي ، جميع اشكال الحكومات ، منذ الامبراطورية الرومانية حتى الجمهورية الديموقراطية ، ولا مراحل تطور الانظمة الاجتماعية والاقتصادية منذ أيام النظام الاقطاعي في القرون الوسطى حتى النظام الرأسمالي في القرن العشرين ، وبالتالي لم يتمرس بتجارب القرون الطويلة ، ولم يكن لديه شيء عن المقررات التي كتبها كبار المؤسسين منذ بدء استقرار اليهود في أوربا ، ولا الطقوس والمراسيم التي كان يسلمها الاب لابنه من جيل الى آخر ، عبر العصور . أضف الى ذلك ، ان اليهود الذين هاجروا الى القارة الامريكية اعتبارا من منتصف القرن السابع عشر ، جاءوا من بلاد مختلفة ، وكانوا بالتالي يحملون معهم تقاليد مختلفة ، فلم يكن واحدهم مرتبطا بالاخر بروابط الدم او اللغة المشتركة او العادات المشتركة كما كانت تريد لهم

الصهيونية ، التي كانت تريد ربطهم بشعور عاطفي من شأنه ضمهم الى الحركة الصهيونيــة في فرنسا والمانيا وبوهيميا والنمسا وبولونيا وليتوانيـا ، تمهيدا للاعتداء على اراضي الغير تحت ستــار من الادعاءات المختلفة . وعدا كل هذا ، فان اليهودي الامريكي لم يجد وسطا فكريا صالحا يحمله علــى التحقيق في ماضيه ، كما فعل كبــار المؤرخين الاوربيين في القرن التاسع عشر الذين حفزوا يهود اوروبا على تحليل تاريخهم وتفسيره بشكل يتلاءم مع غايات الصهيونية واهداف حكمائها فيما بعد .

ثم فطن الاوروبيون الى حقيقة الحركة الصهيونية الاوربية ، وبدأت المحاولات لانشاء مــا يسمى (بالوطن القومي) على حساب سيادة الشعــوب الاخرى وكرامتها ، وصدف أن قامت الثورات التي حولت المفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فاستيقظت نوازع اليهودي الامريكـي وهب لمساعدة اليهودي الاوربي وتأييده ، فلما ازيلت اكثر مراكز التعليم اليهودي في أوربا ، حيث كان الكثيرون من الطلاب اليهود قد تدربوا بشكل خاص ، شعر الصهيونيون في الجالية اليهودية في أمريكا (وهي اكبر الجاليات اليهودية في العالم على الاطلاق) بضرورة التحرك لتسخير الطاقات الامريكية لتحقيق اهداف الصهيونية ، وأصبــح اليهــود الصهيونيون الامريكيون يشعرون ان القدر قد حملهم وزر المهمة التي كان اليهود الاوروبيون قد بدأوها، وخططوا لها بدقة خبيثة .

هذا هو السبب الداخلي الذي جعل الدكتور نلسون غلوك رئيس معهد الوحدة العبرية في ولاية اوهايو، والدكتور يعقوب ماركوس الاختصاصي بالتاريخ في نفس المعهد ، يخططان لتأسيس « الوثائق اليهودية الامريكية » وذلك خلال شتاء سنة ١٩٤٧ . ولم تكن طبعا هذه أول محاولة من هذا النوع فــي الولايات المتحدة الامريكية ، فقد كان بعض ذوي الفكر التاريخي من يهود أمريكا ، والمحامين ، والمصرفيين وغيرهم قد اسسوا الجمعية التاريخية اليهودية الامريكية في نيويورك ، لجمع ونشر المواد المتعلقة بتاريخ امريكا والحث على دراسة التاريخ اليهودي بشكل عام ، وخصوصا بالقدر الذي يظهر العلاقة بينه وبين « التاريخ الامريكي اليهودي » ، أو بأسباب الهجرة من مختلف انحاء العالم الى القارة الامريكية بالنسبة لليهــود . هذه المنظمة نشرت ، في الفترة الممتــدة بين سنتي ١٨٩٢ — ١٩٥٤ ، ثلاثة واربعين مجلداً تحتوي على مقالات كثيرة تتعلق بالتاريخ اليهودي في امريكا ، كما نشرت مواد اصلية كمصادر ، اقتبستها مــن عدة دور وثائق ومكتبات ، ولها مكتبتها الخاصة التي تحتوي على مجموعة كبيرة من الوثائق والمخطوطات ، مرتبة بشكل يصلح للبحث العلمي الموجه .

وعندما تأسست « الوثائق اليهودية الامريكية » كان لدى مؤسسيها فكرة واضحة عن الصعوبات التي ستعترضهم لتأمين الوثائق اليهوديــة بشكل خاص ، ولم يكن من الممكن تقليد الوثائق الامريكية العامة التي كانت موجودة فعلا ، والجمعيــات التاريخية المؤسسة في كل ولاية تقريبا وفي الكثير من المدن على امتداد عشرات السنين الاخيرة ، وهي المؤسسات التي تتعلق وثائقها بالشؤون السياسية والاقتصادية والقانونية ، وبالدساتير ، واعمال الدولة، والشؤون الرسمية، والعلاقات الخارجية، والسياسة الداخلية وما شابه ذلك ، لان اليهود يعتبرون تاريخهم مختلفا بشكل كامل عن التاريخ العام ، مما حمل اصحاب المشروع على انشاء هذه الوثائق اليهودية الامريكية على اسس واساليب تختلف عن تلك التي تتبع في الوثائــق العامة ، وبطريقة تجعل من الممكن جمع المادة الوثائقية بشكل نموذجي وعلمي ، يخدم الباحثين ويحقق الغــاية المتوخاة منها في الوقت نفسه .

ويطرح التاريخ اليهودي في امريكا واوربا معــا مسألتين اساسيتين تعترضان المؤرخ ، أولا : بحث التطور الداخلي « للشعب اليهودي » ، اي تطور مؤسساته ومنظماته الدينية والقانونية والتربوية والثقافية . ثانيا : تأثير القوى الخارجية غــير اليهودية على المصير اليهودي ، اي بعبارة أخرى، تأثير الوسط ، والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية على اليهود ، وبالعكس : تأثير العنصر اليهودي على الوسط الذي يعيش فيه . الا ان للتاريخ اليهودي في امريكا بشكل خاص ، مشكلة ثالثة تتلخص في أن لكل مهاجر يهودي أساسا مختلفا ومفاهيم اجتماعية وسياسية متباينة ، جاء بها معه من بلد المنشأ ، لهذا كان من الواجب تأمين المصادر المتعلقة بهذا الاساس الاصلي ، لفهم عملية اندماج المهاجــر في صلب الحياة الاقتصادية والثقافة الامريكيتين .

ولحل المشكلة الاولى ، بدىء بدراسة وثائق مختلف المنظمات اليهودية والهيئات الدينية في بلاد المنشأ،

وحاول اليهود الامريكيون الحصول على جميع الوثائق المتعلقة بتلك المنظمات والهيئات ، من صكوك ، وسجلات ، ودساتير ، وقوانين ، وتشريعات ، ووقائع ، ودفاتر حسابات ، ودفاتر وصولات ، وصكوك ولادة وزواج ووفيات، وسجلات المقابر ، والمنح التي توهب الى الاديرة وغيرها ، جميع هذه المخطوطات من شأنها تمكين المدارس من تحليل الاحتفالات ، والعادات ، والطقوس ، والصيغ القانونية لجميع المنظمات منذ تأسيسها الاولي ، ومدى تأثير الوسط الامريكي على تطورها، والصعوبات التي تعترضها ، وموجات الهجرة الى أمريكا في القرنين التاسع عشر والعشرين وتأثيرها في صميم الحياة الداخلية للمهاجرين ، وعلاقتهم بأصحاب الديانات الاخرى ، وتأسيس الجاليات الجديدة وتطور القديمة منها .

هكذا وقع العبء على مركز الوثائق اليهودية الامريكية في اوهايو ، الذي حوى المئات من هذه السجلات ، وقد تم ترتيبها وفهرستها ، بحيث أصبحت بطاقات الفهرسة تعطي اسم المؤسسة والمدينة والولاية ورقم المجلد والصفحة والتاريخ والرمز والملف . وهناك بطاقات معترضة تساعد الباحث على أن يجد بسهولة المادة التي يحاول البحث عنها ، وقد جمع المركز ايضا العناوين ، والمحاضرات ، والمخطوطات، والصحف والمذكرات، والمقررات التابعة للشخصيات السهامة لمعرفة نشاطها وخبراتها من خلال مواقعها في الاماكن القيادية ، ومفاهيمها الدينية والروحية، والصعوبات التي اعترضتها ومشاكلها الحيوية ، كالحركات التصحيحية ، والقضايا السياسية والاجتماعية والفلسفية ، وعلاقاتها بالوزراء المسيحيين والجاليات اليهودية في اوربا وآسيا وأفريقيا .

ولما كانت المنظمة اليهودية في الولايات المتحدة ، على عكس منظمات الجاليات اليهودية الاوربية ، لا تمتد الى جميع وجوه الحياة اليهودية ، ولا تعتبر مسؤولة عن تربية أفرادها وتصرفهم الاخلاقي ومفاهيمهم ورفاههم وشؤونهم الصحية ، لذلك كان على المركز ان يؤمن المصادر الوثائقية التي تلقي ضوءا على الحياة الداخلية للمؤسسات اليهودية : كالمؤسسات التربوية ، ودور الايتام ، ودور العجزة ، والمستشفيات ، والنوادي ، والمدارس الدينية ، والمعاهد ، ومكاتب الهجرة ، وما شابه ذلك ، وعلى تنظيم هذه المصادر لتخدم الغرض المبتغى منها ، وتشكل المخطوطات التي تم الحصول عليها أرضية صالحة لمن يريد تحليل التطور الاجتماعي لليهود في أمريكا ، وطراز حياتهم ومستواهم الاخلاقي ، ونموه وتطوره ، وتاريخهم الثقافي والفكري . وانصهارهم في الوسط الذي يعيشون فيه .

ولحل المشكلة الثانية ، اي تأثير الوسط الخارجي غير اليهودي على اليهود ، فقد طلب المركز مساعدة مديرية الوثائق الامريكية العامة ، والوثائق القومية ، ومكتبة الكونغرس في واشنطن ، ومختلف دور الوثائق في الولايات المتحدة ، كمكتبة ولاية نيويورك ، والجمعية التاريخية في بنسلفانيا ، والجمعية التاريخية في فرجينيا ، ومديرية الوثائق والتاريخ في جورجيا ، واللجنة التاريخية في جنوبي كارولينا وغيرها ، واثمرت هذه الجهود فعلا ، ورغم ان كمية الوثائق التي تجمعت لدى المركز بعيدة عن الكمال ، الا أنها كافية لتحديد مساهمة اليهود في الحياة الامريكية منذ اليوم الذي وطأ فيه ٢٣ من مهاجري اليهود القادمين من البرازيل أرض نيو امستردام سنة ١٦٥٤ . ولمتابعة المحاولات اليهودية للحصول على الحقوق المدنية والدينية ، وممارسة التجارة ، والقيام بنشاط كتجار ومالكي سفن تجارية ، وتجار فرو وبضائع هندية ، وتجار اسلحة وعملاء ومستعمرين ، ومشاركتهم في حرب التحرير الامريكية ، وحرب سنة ١٨١٢ ، والحرب المكسيكية ، والحرب الاهلية الامريكية ، والحربين العالميتين الاولى والثانية ، ودورهم كرجال دولة ، وسياسيين في الكونغرس ، وسفراء ، وقناصل ، وولاة ، ومستشارين واصدقاء للرؤساء ، ومكافحين في سبيل اغتصاب فلسطين العربية من اصحابها الشرعيين .

وقد استطاع المركز الحصول على نسخ مصورة ، وأشرطة ميكروفيلم من دار الوثائق العامة ، وعلى مخطوطات ومواد لم تطبع بعد كمجموعات لويس مارشال ، ويعقوب شيف ، وفيليكس ووربورغ ، وقد حصل المركز على تلك المجموعات الوثائقية من أسرهم وورثتهم .

ويقدم المركز للمهتمين بتاريخ الاشخاص كمية كبيرة من المخطوطات التي يروي كاتبوها قصة حياتهم الخاصة ، ومجموعة من اليوميات والمذكرات . ورغم ان عددا منها كتب من قبل اشخاص بسطاء بشكل لا يجعلها ذات قيمة أدبية مرموقة ، الا انها

تصف أحيانا بشكل حي وممتع أصـــل المهاجرين اليهود من الروسيا ، وبولونيا ، وبوهيميـــا ، ومورافيا ، والنمســا ، والالزاس — لوريـــن ، والمانيا ، وبلاد كثيرة أخرى ، واسباب هجرتهم ، وجهودهم للبقاء ، وحياة أسرهم ، ومحاولتهم التكيف مع وسطهم الجديد ، ونجاحهم وفشلهم ، والتغير النفساني لليهود في امريكا خلال عشرات السنين . ويقدم قسم السلالات والاسر في المركز مساعدة قيمة للباحثين في حياة اليهود في امريكا ، وكانت أهم هذه الاسر قد استقرت في الولايات المتحدة سنة ١٨٤٠ ، وكان عالم الانتساب الوثائقي مالكولم شترن هو الذي اهتم بأشجار نسبهم . ولما كان الكثير من المهاجرين ، خصوصا في العهد الاستعماري ، قد جاءوا من جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية الى البلاد التي تسمى الان بالولايات المتحدة ، ولما كان أولئك اليهود على صلة تجارية وثيقة ببقية اليهود الامريكيين في باقي بلاد العالم الجديد ، فقد حصل المركز ايضا على وثائق مـــن تلك البلاد ، بلاد المنشأ ، تشتمل على سجلات ، ويوميات ، ووثائق زواج وولادات ووفيات ، وصور ارسلت اليه من جامايكا ، وكوراساو ، وغويانا الهولاندية وغيرها، كما وصلت اليه مواد وثائق هامة من دور الوثائق في اوربا . ويقول المسؤولون عن المركز : « انهم يعرفون ان جلاء الغموض عن هذه الثروة الوثائقية ليس بالامر السهل ، الا انهم لا يزالون في بداية الطريق !... وان لديهم الكثير من الاراضي الجديدة الواجب اكتشافها » .

---

١ — في جلسة العمل الاولى من المؤتمر الدولي الرابع للوثائق الذي انعقد بين ١٧—٢٠ آب (اغسطس) ١٩٦٠ ، قال الممثل الصهيوني : ان (عليهم) الاعتماد على الميكروفيلم بالنسبة للوثائق الموجودة في الخارج ، وطلب مساعدة المؤتمر للحصول على الصور المطلوبة .

٢ — من كلمة المندوب الصهيوني في مؤتمر الوثائق الدولي ٢٥—٢٩ ايلول ١٩٥٦ ، جلسة العمل الرابعة .

٣ — من اقوال الممثل الصهيوني في نفس المؤتمر ونفس الجلسة .

٤ — من اقوال المندوب الصهيوني في مؤتمر الوثائق الدولي الرابع ١٧—٢٠ آب (اغسطس) ١٩٦٠، جلسة العمل الاولى .

٥ — المؤتمر الدولي الاستثنائي للوثائق (واشنطن ٩—١٢ ايار (مايو) ١٩٦٦) ، جلسة العمل الرابعة .

٦ — Modern Archives, Principles and Techniques.

٧ — المؤتمر الدولي الخامس للوثائق ، بروكسيل ١—٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ .

٨ — هكذا يرسل العدو ممثلين عنه الى جميع المؤتمرات الدولية التي يمكن ان يستفيد منها في الحصول على ما يخدم اغراضه ، تحت ستـــار من المساهمة في نشر المعرفة ، واقتراحات تيسير البحث العلمي .

٩ — من توصيات المؤتمر الصهيوني الرابـــع والعشرين المنعقد في القدس سنة ١٩٥٦ .

١٠ — في المؤتمر الدولي السادس للوثائق الذي انعقد في مدريد بين ٣—١٩٦٨/٩/٧ ، أصر ممثل اسرائيل (في جلسة العمل الاولى للمؤتمر) على ضرورةاعطاء صور ميكروفيلم بسعر الكلفة لجميع الوثائق الموجودة في أي بلد دون استثناء .

١١ — للمزيد من المعلومات انظر :
E. Zivier: *Eine Archivalische Informationsreise*, Breslau, 1905.

١٢ — Pinkas haMedinah, *Dubnov*, edition Berlin 1925, (Pour les années 1623-1761).

١٣ — Saalfeld: *Das Martyrologium des Nurnbergen Memorbuches*, Berlin, 1898.
وهو الكتاب الذي نشرته « اللجنة التاريخية للتاريخ اليهودي في المانيا » .

١٤ — Commission on European Jewish Cultural Reconstruction.

١٥ — *Jewish Social Studies*, New York VIII, 1, 1946 (and) X, 1, 1948.

(*) انظر مجلة الدراسات اليهودية *Revue des études juives* المجلد الاول : ص ٣٠٣—٣١٧ ، والمجلد الثاني : ص ١١٤—١٢٨ .

١٦ — أصبح متحفا دعي سنة ١٩٤٨ بـ « متحف براغ اليهودي » .

١٧ — Cecil Roth: *Magna Bibliotheca Anglo-Judaica*, London, 1937.

١٨ — Alliance Israélite.

١٩ — Centre de Documentation Juive Contemporaire.

٢٠ — *Dix années d'existence du C.D.J.C.* Paris, 1953.

الممارسات السياسية لوصفي التل

ناجي علوش

سقط وصفي التل ، رئيس وزراء الاردن ووزير دفاعه ، قتيلا يوم ٧١/١١/٢٨ ، برصاص مجموعة من أفراد الثورة الفلسطينية . وكان هذا مفاجأة لكثيرين ، حتى من الذين أثلج قلوبهم مصرعه ، كما كان مفاجأة لوصفي التل ذاته ، الذي كان يردد دائما ، حين يجري الحديث عن التنظيمات السرية، وعن التحسب من اقدامها على القتل والاغتيال : « ابشر بطول سلامة يا مربع » . ومما يدل على أنه لم يكن يتوقع ان يلقى مصرعه في هذا الوقت بالذات سفره الى القاهـرة ومشاركته في مؤتمر وزراء الدفاع العرب ، مع انه يعلم بحقيقة موقف مصر الرسمي منه ، كما يعلم ما جنته يداه في الاردن . ولكنه ، مع ذلك ، كان يريد ان يستفيد من المؤتمر في تعزيز مواقعه داخل الاردن ، بانهاء العزلة المضروبة عليه عربيا ، وباخراج الاردن من دوامة العزلة التي يعيشها ، بعد مجازر جرش وعجلون ضد آخر مواقع المقاومة في الاردن . وكانت هذه المكاسب تستحق ان يغامر من اجلها .

ومع هذا فانه لم يكن يرى في الموضوع مغامرة للاسباب التالية : ١ ـ لانه كان يعتقد ان المقاومة الفلسطينية قد انتهت الـى الابد ، وان بقاياها و« قياداتها » أعجز من ان تقوم بعملية من هذا النوع . ولهذا كان يتحدى دائما . ٢ ـ لانه كان يظن ان مثل هذه العملية قد يتم في اي مكان الا في القاهرة ، بسبب احتياطات الامن المتوافرة في القاهرة من جهة ، وبسبب حرص الطرف المعني ، اي المقاومة ، على عدم استثارة القاهرة بعملية من هذا القبيل . ٣ ـ لانه كان لا يفكر بضحاياه بل « بانتصاراته » ، وبالتالي فان كـل حساباته انحصرت في القشرة ، ولم تغص الى الاعماق .

ولان حساباته جاءت كلها مغلوطة فقد سقط صريعا. سقط في الوقت الذي كان يعد نفسه فيه لان يصبح قائدا على الصعيد العربي ، وفي الوقت الذي كان يسعى فيه لتصفية ذيول سنة من المجازر ، باعادة المياه الى مجاريها بين الاردن والدول العربية . ولقد كان « حساب السرايا غير حساب القرايا » في هذه المرة ، كما يقول المثل الشعبي ، وكما هو دائما . وانتهى وصفي وتحطم غروره على صخرة الجماهير الصلبة .

وتمثل قصة سفره الى القاهرة وأهدافه من السفر شخصيته برمتها . وهي صورة عـن رحلة حياته كلها ، انها تكشف طموحـه كما تكشف غـروره واستهتاره ، تكشف طريقته في التفكير واساليبه في العمل .

عوامل تكوين شخصيتـه : ولد وصفي في قرية الصريح سنة ١٩٢٠ . وترعرع وسط الصراع في الاردن ما بين الحركة الوطنية الاردنية والسلطة الهاشمية (١٩٢١ ـ ١٩٤١) . في هذه الفترة وطد الانجليز دعائم الامارة ، أنشأوا لها جيشا ، وفرضوا سيطرتها على البلاد . ولكنهم قاموا من اجل ذلك بضرب الحركة الوطنية ضربات قوية ، ومنها القضاء على انتفاضة العشرين من آب سنة ١٩٢٣ التي قادها سلطان باشا العدوان(١).

وكان مصطفى التل والد وصفي يعيش وسط هذه الدوامة ، فهو يوما ينتقد « العرش الكرتوني » ، ويوما يصبح متصرفا ، ويوما يدخل السجن . وهو خلال هذا كله يتنقل بين الخمارة ومضارب النور . ولمصطفى التل في هذا كله شعر جميل . ولقد عاش وصفي مع ابيه حياته هذه ، ذهب معه الى مضارب النور ، ودخل معه السجن ، وعرف معه ساعات تسنم المناصب .

ولما كان الاب ناقما غاضبا لا ترضيه المناصب العالية ولا تسكت لسانه المكاسب الذاتية عاش هـو

وعائلته حياة عدم استقرار وشقاء . وانتهت حياته دون ان يكون شيئا غير شاعر كبير .

ويبدو ان الابن احس بفاجعة أبيه . لقد خسر الاب لانه أخذ الموقف المعارض للسلطة . فماذا سيفعل ابنه ؟ اختـار ان يذهب للدراسة في الجامعة الاميركية في بيروت ، وكانت الجامعة الاميركية آنذاك لا جامعة ابناء العائلات العربية فحسب ، بل معهد تخريج الحكام والاداريين والسياسيين في الوطن العربي . ولكن وصفي حين تخرج وعاد لم يعط وظيفة بل عمل مدرسا في السلط . وما كان التدريس ليشفي غليل طموحه . ولذلك اختار ان يذهب سنة ١٩٤٢ الى الكلية العسكرية البريطانية في صرفند بفلسطين .

وهذا التغيير بالطبع ليس عفويا ، انه يعبر عن القلق من جهة ، كما يعبر عن الطموح من جهة اخرى . ان التدريس لا يخرج قادة ، ولكن الجيش يخرجهم . خصوصا ان العالم عالم حرب ، وقد اخذ العسكريون يلعبون دورا متزايدا في السياسة . وربما كانت احداث العراق (١٩٣٦ — ١٩٤١) غير بعيدة عن ذهن وصفي .

تخرج وصفي من الكلية العسكرية برتبة ملازم وعمل مع الجيش البريطاني حتى انتهت الحرب ، فنال رتبة رئيس . وفي الجيش عمل في الاستخبارات[٢] ثم عمل ضابط علاقات في لندن[٣]. وعمل خلال السنوات ١٩٤٥ — ١٩٤٨ في المكتب العربي بلندن . وكان هذا المكتب قد انشىء سنة ١٩٤٤ في القدس برئاسة موسى العلمي باسم الدعاية للقضية الفلسطينية ، وقام العراق بتمويله ، من اجل خلق حركة موازية للحركة الوطنية الفلسطينية[٤]. وحين أخذ جيش الانقاذ في التكون سنة ١٩٤٨ انضم وصفي اليه ، وعمل مع قواته في الجليل مديرا للحركات الحربية ، ثم آمرا للواء الرابع . وبعد توقف القتال عاد الى سورية مثل كل قوات جيش الانقاذ ، وهناك اعتقل . وعندما افرج عنه عاد الى الاردن .

عاد وصفي من رحلته هذه خائبا ، لانه لم يظفر بمنصب او موقع . ولكن تجربته اغتنت . والتقت فيها ثقافة الجامعة الاميركية بخبرات الجيش البريطاني والحياة البريطانية ، كما تجمعت فيها حصيلة سنوات من العمل في مكاتب الدعاية لفلسطين ، ومع المخابرات البريطانية ، وفي العمل العسكري في الميدان .

وصفي يصبح من كادر النظام : التقط النظام ابنه « الشقي الضال » ، بعد ان عاد من رحلته خائبا . ويبدو ان المخابرات البريطانية اوصت به ، خاصة بعد ان اصبح الاردن بشكله الجديد — ضم الضفة الغربية — في حاجة الى امثاله من اصحاب الكفاءات .

بدأ وصفي حياته الجديدة بأن عين مسؤولا في دائرة الاحصاء سنة ١٩٤٩ ، وما لبث ان ترك دائرة الاحصاء الى دائرة ضريبة الدخل ، حيث اصبح مساعدا للمدير ، خلال العام ذاته . وظل هناك حتى سنة ١٩٥٥ ، حيث انتقل مديرا للمطبوعات ، وهي أول وظيفة ذات طابع سياسي يشغلها . لم يبق طويلا في هذا المنصب ، اذ انه انتقل في العام ذاته الى وزارة الخارجية، وعين مستشارا للسفارة الاردنية في بون . وظل هناك من سنة ١٩٥٥ الى سنة ١٩٥٧ . ويبدو انه كان مكلفا بمهمات سرية في بون ، لانه لم يكن سفيرا ، ولا قائما بالاعمال ، ولا موظفا ، بل كان مستشارا .

استدعي وصفي من بون سنة ١٩٥٧ ، وعين رئيسا للتشريفات الملكية حيث قضى فيها قرابة عام . وبهذا يكون وصفي قد نجح في ان يكون مقربا جدا من القصر . ولكن القصر عاد فأرسله سنة ١٩٥٨ قائما للاعمال في السفارة الاردنية في طهران، فبقي حتى سنة ١٩٥٩ ، حينما استدعي والمعركة على أشدها بين الحركة الوطنية العربية والرجعية العربية وعين مسؤولا للتوجيه القومي . وقد شغل هذا المنصب خلال سنتين من الصراع الحاد . وما ان اعترف الاردن بالعراق حتى اختير وصفي ليكون اول سفير للاردن في العراق بعد قيام النظام الجمهوري فيه ، ولكن الحكم في العراق لم يلبث ان طالب بتغييره .

ونستطيع ان نلاحظ ان وصفي كان ينتدب منذ سنة ١٩٥٥ لمهمات خاصة . ذلك ان منصب مدير المطبوعات في سنة ١٩٥٥ ، عندما كانت الحركة الوطنية في بداية عنفوانها ، وكانت المشاريع الاستعمارية ، وعلى رأسها حلف بغداد ، تطبق على المنطقة العربية بكلاليبها ، كان منصبا هاما وحساسا . ولم تكن المهمة التي انتدب لها في بون أقل « خطرا » ، لان بون في السنوات ٥٥ — ٥٧ كانت قد بدأت تلعب دورها الامبريالي باشراف

الولايات المتحدة الاميركية ، وخاض وصفي سنة (١٩٥٧ — ١٩٥٨) المعركة الى جانب القصر في صراعه مع الجماهير ومع الحركة الوطنية . وحينما قامت ثورة ١٤ تموز ، واهتز العرش الاردني ، ذهب وصفي الى طهران ليقوم بدوره في التنسيق مع الرجعية الايرانية ضد العراق الجمهوري .

ولكن المعركة اشتدت ما بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٦١ بين الحركة الوطنية العربية ، بقيادة الجمهورية العربية المتحدة وما بين الرجعية العربية . .وكان الاردن في خط القتال الاول . ولهذا استدعي وصفي التل ، ليكون رئيسا للتوجيه القومي . وفي هذه الفترة حدث الانفصال . وما ان بدأ النظام في العراق ينحرف ، حتى اختير وصفي ليلعب دوره في دفعه نحو الهاوية ، وفي رفع نطاق العزلة عن الاردن .

وصفي رئيسا للوزراء (٢٦/١/٦٢ — ٢٦/٣/٦٣) :

اصبح وصفي سنة ١٩٦٢ رئيسا للوزراء ، اول مرة، وكان لا يتجاوز الثانية والاربعين، وكان صغير السن ، بالنسبة للذين كانوا يشغلون منصب رئاسة الوزارة في الاردن ، مثل ابو الهدى وسمير الرفاعي ، وابراهيم هاشم . ولكنه جاء في وقت كانت الظروف العصيبة التي يعيشها النظام تقتضي وجوده ، ذلك ان الرجعية عادت الى وضعها الحرج بعد ثورة اليمن ، وبعد مشاركة الجيش المصري في حمايتها . وكانت المعركة التي اخذت تدور على ارض اليمن بحاجة الى وزارة قوية ، يقودها رجل قادر على دخول حلبة الصراع . واكتشف النظام الاردني وقتها رجله ، وكان وصفي التل ، الذي اعتمد عليه النظام خلال السنوات (٥٥ — ٦٢) في تنفيذ مهمات على مستوى كبير من الخطورة . ولكن المهمة التي اوكلت الى وصفي هذه المرة تختلف جذريا عن كل المهمات السابقة ، وهي اكثر خطورة وتعقيدا وارفع مستوى من كل المهمات السابقة .

لقد كان وصفي من اصلب عناصر النظام عودا وأشدها مكسرا ، واكثرها حيوية وعنفوانا ، واغناها خبرة وتجربة . فهو عسكري « مثقف » ، وهو سياسي صاحب تجربة واسعة ، وهو رجعي « واع » ، اختار مكانه وحدد ولاءه ، وقرر ان يكون في جبهة الرجعية ، المهزومة تاريخيا .
واستهدف مجيء وصفي الى رئاسة الوزارة آنذاك غايتين : الاولى : تجديد السلطة وارساؤها على أسس أسلم وأقوى ، تجعلها قادرة على مواجهة عمليات التغيير في المنطقة ، وعلى لعب دور أكبر في المنطقة العربية . الثانية : ملء الفراغ السياسي الذي نشأ عن الانفصال وعن انحراف قيادة ١٤ تموز .

ولهذا بدأ داخليا بمحاولة اجراء انتخابات ، تكسب السلطة نوعا من الشرعية ، وأخذت اجهزة النظام تطبل وتزمر للانتخابات النزيهة . ولكن القوى الوطنية قاطعت الانتخابات ، وطالبت الجماهير بمقاطعتها ، فانفسدت أول خطط وصفي عليه[٥].
وبدلا من ان ينتزع شرعية جماهيرية للنظام ، قام بعمليات اعتقالات بعد الانتخابات مباشرة ، واتبعها بعمليات اعتقالات أخرى[٦].

وكانت حكومة وصفي المطعمة بالعناصر الشابة قد باشرت بمهمة اصلاح الادارة الحكومية . واستهدفت عملية الاصلاح ما يلي : ١ — جعل دوائر الدولة اكثر كفاية واكثر فعالية ، وذلك لتكون اكثر قدرة على حل مشاكل الناس وتسيير الاعمال . ٢ — زيادة فعالية اجهزة وزارة الداخلية وقوى الامن ووزارة الخارجية ، وهي الاجهزة ذات العلاقة بحفظ الامن داخليا وبالعلاقات مع الخارج. وكانت الغاية من مثل هذه الاجراءات : ١ — استيعاب أكبر قدر من خريجي الجامعات في دوائر السلطة ، وذلك من أجل استقطابهم للسلطة وابعادهم عن الحركة الوطنية . وقد ركز وصفي على ابناء الضفة الشرقية بالذات ، بينما كان الفلسطينيون يهاجرون خارج الاردن للعمل . ٢ — استمالة قطاع واسع من الناس ، بالحديث عن ضرب العناصر الفاسدة في السلطة وتيسير الاجراءات في دوائر الحكومة . ٣ — زيادة قدرة اجهزة الدولة على مواكبة التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أخذت تحدث في الاردن ، وعلى المساهمة في توجيهها .

أما خارجيا ، فقد حاول ان يدعم حكم الانفصال ، وان ينمي العلاقات مع الحكم المنحرف في بغداد . ولكن المفاجأة التي احدثتها ثورة اليمن ، بلبلت مخطط الاردن ، فاضطرت السلطة الاردنية الى ان ترمي بثقلها كله ، سياسيا وعسكريا في المعركة .

وبينما كانت الرجعية العربية تتراجع في اليمن فاجأت حركة الثامن من شباط في العراق والثامن من آذار في سورية حكومة الاردن ، وفشل وصفي التل وحكومته الشابة داخليا ، لان الجماهير اكتشفت

احابيل سياسته فقاطعت الانتخابات . وزادت المعارضة الجماهيرية حدة بعد اشتراك الاردن في حرب اليمن ، حتى ان قائد سلاح الطيران الاردني فر الى مصر ، بكل الخطط التي لديه . كما أن النظام فشل عربيا ، بعد قيام ثورة شباط وثورة اذار(٧).

وذكرت الصحف ، مع بداية سنة ١٩٦٣ ، أن معارضة وصفي التل ، لم تنحصر في الاوساط الجماهيرية فحسب ، بل امتدت الى البرلمان(٨). ويبدو أن وصفي كان يلمس منذ بداية سنة ١٩٦٣ معارضة لوزارته فطرحها على الثقة في اوائل العام، ونالت الثقة بمعارضة ثمانية عشر عضوا ضد أربعين . وحين رد على النواب الذين طالبوا بتنقية الجو العربي اجاب : « لقد مددنا يدنا الى جميع البلاد العربية وعلاقاتنا بها حسنة ، باستثناء مصر » واضاف : لقد طرقنا كل باب محاولين تنقية العلاقات ولكن جهودنا « لم يكتب لها التوفيق لاسباب خارجة عن ارادتنا»(٩).

وتطرق الملك حسين بعد ايام (٦٣/١٠/١٢) الى العلاقة مع سورية ، فذكر انه يهتم بسورية واستقرارها ، وانه لا مطامع له فيها ، الا انه اضاف « ولكن يهمني ان تكون سورية قوية ، لان آبائي واجدادي خدموا حتى تكون سورية عربية ، وحتى تكون سورية حرة بكل معاني الكلمة » .
وألقى وصفي خطابا في مجلس النواب في اليوم ذاته جاء فيه : أ ـ « ان اتفاق الطائف مبني على أساس دراسة قومية عميقة تهدف الى جني ثمار التعاون بين الاردن والسعودية » . ب ـ « أن سيطرة غير الامام على اليمن بعيدة عن المعقول ومستحيلة » . جـ ـ « ان مستوى الحريات الذي أتاحته حكومته غير متوفر في اي بلد عربي اخر » . د ـ « ان سياسة الاردن الاقتصادية اساسها الاقتصاد الحر»(١٠).

وحين حدثت ثورة الرابع عشر من رمضان (٨ شباط) كان تعليق اذاعة عمان : « ان الاردن وهو يؤكد انه غير طامع في اي بلد شقيق ، يؤكد انه على استعداد لمنع اي استغلال في العراق الشقيق وصد الانتهازيين ، مؤديا بذلك واجبه حيال القومية العربية»(١١). ولكن الاردن ، بعد ارفضاض اجتماع مجلس الوزراء اعترف بالنظام الجديد في العراق .
وحين حدثت ثورة الثامن من اذار ارسل وصفي التل يوم ٣/٩ برقية الى صلاح البيطار تتضمن الاعتراف بالنظام الجديد . كما أن وصفي التل عقد مؤتمرا صحافيا في اليوم ذاته قال فيه : « انه يتمنى النجاح للتجربتين الجديدتين في سورية والعراق » . واذيع يوم ٣/١٢ ان الحكومةالاردنية تدرس « الوضع في المنطقة على ضوء الاحداث الاخيرة » .

كان الاردن يشعر بالارتباك ، وبالحصار من جديد، وبدأ وصفي يحاول التراجع ، فاعترف بالنظام الجديد في العراق ، وبالنظام الجديد في سورية ، وتمنى النجاح للتجربتين الجديدتين ، ولم يفته الى ان يشير في مؤتمره الصحفي يوم ٣/٩ « ان جميع العرب » وهو منهم « لم يكن يعجبهم نمط حكم الامام احمد في اليمن ...»(١٢).

وما هي ايام (٣/١٦) حتى كان الملك حسين يعلن في مؤتمر صحافي « ترحيبه بالاتحاد العربي الفدرالي » . واضاف « أن الوحدة العربية محتومة ، وان الاردن يرحب بدخول مثل هذا الاتحاد»(١٣). وكانت مباحثات تجري انذاك بين وفود مصر وسورية والعراق من اجل انشاء اتحاد ثلاثي .

ولكن هذا كله لم يسند حكومة وصفي التل التي كانت الارض تميد من تحتها ، ومن حولها ، ولذلك قدمت استقالتها يوم ٣/٢٧ مشيرة في كتاب الاستقالة الى أن ما جد « من احداث تستدعي النظر في تقدير الموقف العام وقيام حكومة جديدة تضطلعبمسؤوليات هذا التقدير ...»(١٤).

ولذلك ، فبعد قيام ثورة الثامن من اذار بثمانية عشر يوما استقال وصفي التل ، وانتهت فترة وزارته الاولى . ومع انه لم يستطع ان يحقق مهماته الا أنه استطاع ان يدخل التحديث الى السلطة ، وان يستوعب بعض الكوادر الجيدة من ابناء الضفة الشرقية ، وان يوجه ضربة الى الحركة الوطنية .

مرة ثانية وصفي رئيس للوزراء في ٦٥/٢/١٣ .
استقال يوم ٦٥/٢/١٣ بهجت التلهوني رئيس وزراء الاردن وكلف وصفي التل مرة اخرى . لقد عاد التل فلماذا عاد ؟ عاد ليكمل الشوط الذي بدأه سنة ١٩٦٢ . وكانت هنالك من الظروف الجديدة ما يقتضي عودته . واهم هذه الظروف : اولا : تفسخ جبهة القوى القومية ، بالصراع الذي بدأ سنة ١٩٦٣ بين البعث وعبد الناصر ،

وبسقوط حكم البعث في بغداد. ثانيا : بداية نوع من الاستقرار في الوطن العربي ، بعد مؤتمر القمة العربي الاول والاتفاق على انهاء الحرب في اليمن وقيام منظمة التحرير الفلسطينية . ثالثا : قيام منظمة التحرير الفلسطينية والبدء باقامة هيكلها السياسي والعسكري وعلاقاتها الفلسطينية والعربية والدولية . رابعا : بدء النشاط المسلح لقوات العاصفة في الاول من يناير سنة ١٩٦٥ . خامسا : بدء اسرائيل بتحويل مجرى نهر الاردن واتفاق الدول العربية على مشروع تحويل الروافد .

وكان هذا كله يستلزم : ١ — حكما قويا في الداخل، ٢ — نشاطا فعالا على الصعيد العربي . ٣ — علاقات عالمية تؤمن الدعم المستمر والحماية المستمرة .

ولهذا جاء وصفي ، وقد ارتكز كتاب تكليفه على ثلاثة مبادىء : ١ — « القيام باصلاحات جذرية بعيدة المدى في الداخل تستهدف موارد الاردن في كل المجالات ، بحيث تحقق المجتمع المتقدم والرخاء والرفاهية لكافة المواطنين . ٢ — تعميق التضامن العربي على الاسس التي تقررت في مؤتمري القمة الاول والثاني . ٣ — تنمية العلاقات الودية التي تربط الاردن بكافة الدول الصديقة»[١٥].

وفي « مبادىء التكليف الثلاثة » ما يكفي لكشف مهمات وصفي الجديدة .

وانطلق وصفي منذ اعلان وزارته للعمل داخليا وفلسطينيا وعربيا ودوليا . فعلى الصعيد الداخلي حاول ان ينجز ما عجز عنه خلال وزارته الاولى. ويمكن تلخيص نشاطاته في هذا الميدان بما يلي :

١ — قام النظام بمسرحية حرق اضابير الملاحقات السياسية . وقد أعلن وصفي التل عن حرق ٢٠٤٤٨٩ اضبارة امام المواطنين يوم ٣/٩ . تبع ذلك صدور عفو عام عن جميع الجرائم يوم ٤/٤ ، والسماح بدخول اللاجئين السياسيين يوم ٤/٥ واطلاق سراح المساجين يوم ٤/٦ ، واعلن بعد ذلك بأسبوع عن اعادة الجنسية الاردنية لمن أسقطت عنهم[١٦]. قام وصفي التل بهذه المظاهرة، وهو يظن انها ستكسبه عطفا شعبيا واسعا .

٢ — أعلن في ٦٥/٦/٢ عن برنامج السنوات السبع للتنمية الذي يحتاج الى ٢٠٩ ملايين دينار ، منها ٦٠ مليونا للقطاع العام . ولم يمض عام حتى عقد وصفي التل مؤتمرا صحافيا تحدث فيه عن القضايا الاقتصادية . وذكر في بداية مؤتمره ان السنة الاولى من حكمه « كانت من احسن السنوات القياسية والفعالة في كل النواحي » . واضاف : « صحيح انه لم يتم كل شيء وعدنا به ، ولكن كافة المشاريع التي ادرجت في الموازنة ، والتي للحكومة سيطرة تامة على تنفيذها (نفذت) او بدأت بصورة جدية في طريق التنفيذ . واكثرها تم او على وشك التمام » . ولكنه اشار الى ثلاثة استثناءات منها مشروع البوتاس .

ومن المشاريع التي تحدث عنها في مؤتمره مشروع البيت الرخيص ، وذكر ان عطاء البيت الرخيص قد طرح « لدراسته والتوصل الى اسلوب ملائم وأقل كلفة من طرق البناء الحالية » . كما ذكر ان الحكومة ستبدأ خلال مدة قريبة « بالمساعدة في بناء بيوت لذوي الدخل المحدود » . كما تحدث في المؤتمر عن قضية سلم رواتب الموظفين ، واشار الى ان اسباب التأخر في البت فيها راجعة الى عوامل فنية ، منوها الى ان السنة الاولى من حكمه كانت « من السنين الجيدة جدا للموظفين ، فقد اصاب الترفيع عددا كبيرا منهم » . ثم قارن بعد ذلك بين ميزانية السنة السابقة والميزانية الجديدة ، فبين ان الميزانية السابقة « كان التركيز (فيها) على الطرق والخدمات البريدية ، بينما التركيز في الموازنة الحالية على مشاريع المياه والكهرباء » . وأضاف: « أن قضية الخدمات وصلت عندنا حدا يعتز به ، واصبحت على درجة جيدة»[١٧]. وكان قد اعلن قبل ذلك أن بامكان الاردن الاستغناء عن المعونة الاقتصادية ، وعليه فان « القول بأنه في حالة انقطاع المعونة الاجنبية سنصبح كالسمكة بلا ماء هو قول غير صحيح » ، واضاف : « اننا نستطيع ان نستمر ، مع الاعتراف بأن بعض المشاريع الانمائية سيتأخر تنفيذها من جراء ذلك»[١٨]. ثم أكد وصفي التل ان الحكومة الاردنية ماضية في سياسة الاستغناء عن المعونات الاجنبية تدريجا .

٣ — أعلنت وزارة وصفي عن عدد من الاصلاحات، ومنها « نظام يتضمن المعالجة الطبية لعائلات الضباط وافراد القوات المسلحة » و « قانون التأمين الصحي الذي يشمل جميع الموظفين والمستخدمين ، ممن يتقاضون رواتبهم من الموازنة العامة للدولة»[١٩].

٤ — أعلن وصفي التل في مؤتمر صحفي في ٦٥/٦/٦

« ان التدريب العسكري سيكون مادة اساسية في المناهج الدراسية لطلبة الصفوف العليا ، اعدادية وثانوية ، اعتبارا من العام الدراسي القادم » وكان قبل ذلك قد اعلن في ٦٥/٥/١٤ « ان الحكومة الاردنية ستتيح الفرصة لكل المواطنين القادرين على حمل السلاح للتدريب المنظم السريع ، ليصبح كل مواطن جنديا مدربا مستعدا للمعركة»(٢٠).

٥ — كان وصفي يتحدث بثقة على ان قوة الاردن زادت سبعة اضعاف ، وعلى ان بامكان الاردن حماية مشاريع التحويل دون دخول قوات عربية ، وعلى ان قرى الحدود مسلحة الخ ...(٢١).

وكان هذا وغيره يستهدف تضليل المواطنين باقناعهم أن السياسة الداخلية صحيحة ، وانها تستجيب لمصالح المواطنين المعاشية والدفاعية والوطنية .

وحاولت وزارة وصفي ان تلعب على صعيد القضية الفلسطينية دور اكثر خبثا . اذ انها سعت من جهة لاحتواء منظمة التحرير ، بينما كانت تقوم في الوقت عينه بمطاردة قوات العاصفة والسعي لاجهاض منظمة التحرير من الداخل والسيطرة عليها .

ويمكن ايجاز الاساليب التي اتبعتها وزارة وصفي التل بما يلي :

١ — مطاردة دوريات العاصفة وملاحقة المتعاونين معها . وقد اعتقل من جراء ذلك عدد كبير ، كما قتل عدد من المقاتلين . وكانت بيانات قوات العاصفة تشير الى ذلك في حينه(٢٢).

٢ — اتباع خطوات فعالة لسحق ارادة الجماهير، ولمنعها من ان تتنظم ، او تتدرب ، او تتسلح ، وللحيلولة بينها وبين الانتماء لمنظمة التحرير او اقامة علاقات معها . وحين انطلقت الجماهير تطالب بالسلاح وبالتدريب وبالتحصين بعد معركة السموع واجهتها السلطة بحملة قمع شرسة ، وحملة اعتقالات واسعة . هذا في الوقت الذي كانت السلطة تعلن فيه ان الجماهير مسلحة ، وان خطة التدريب والتسليح تسير قدما .

٣ — ابراز الاهتمام بقضية فلسطين والفلسطينيين عموما ، وكل القضايا ذات العلاقة . ولقد قام وصفي بالقاء خطاب في مؤتمر المرأة الفلسطينية (٦٥/٧/١٥) ، كما انه القى خطابا امام حشد من الفلسطينيين (٦٥/١٢/١٢) . ولقد اصدر بلاغا بتاريخ (٦٥/١٠/٣١) حول التوعية بالقضية الفلسطينية جاء فيه : أ — عقد اجتماعات شعبية في كل محافظة ولواء وقضاء . ب — اضافة ساعة عمل لموظفي الدولة كي تكون « حافزا الى المزيد من العزم والتصميم والعمل من اجل فلسطين » . جـ — تخصيص الحصة الاولى في كل مدرسة من اجل التوعية الفلسطينية . د — تزويد وزارة الاعلام للصحافة بالمراجع الموثوقة حول القضية(٢٣).

وقام وصفي فوق ذلك بشجب تصريحات الحبيب بورقيبة(٢٤). كما انه اكثر من الحديث عن مشروع تحويل الروافد ومضي الاردن في تنفيذه . كما انه « لزم » اعمال التحويل الى شركة عربية .

وأبدى وصفي بالاضافة الى ذلك اهتماما باحوال قطاعات من الناس . من ذلك مثلا انه امر بالتعويض على المتضررين نتيجة العدوان على قلقيلية (٦٥/٩/٦) . كما انه اجتمع بمدير وكالة الغوث من اجل بحث قضايا منها مطالب العاملين فيها(٢٥) ووجه للوكالة كتابا يطالب فيه باقامة « وحدات سكنية للفلسطينيين المقيمين في براكيات على سيل عمان ، ودعاها للعمل فورا على بناء هذه الوحدات فيموقع حنيكين»(٢٦).

٤ — محاولة احتواء منظمة التحرير ، بالاتصال المستمر بالشقيري ، واظهار العطف والتأييد لها . ولقد صدر قرار بالموافقة على تخصيص ٢٪ من رواتب الموظفين ، مدنيين وعسكريين ، لمنظمة التحرير في ٦٥/٧/٧ . ولكن كل المحاولات لاحتواء منظمة التحرير فشلت ، لان مؤامرات السلطة في الاردن كانت مكشوفة .

وتحدث وصفي التل اكثر من مرة ، مبينا جوانب الخلاف ، وهي تنحصر كما يرى وصفي ، فيما يلي: أ — استثنت مؤتمرات القمة الاردن من أي نشاط لمنظمة التحرير وكان « بوسعنا آن نقول ليس للمنظمة اي عمل في الاردن سوى الوجود المعنوي. الا اننا قلنا : لا بد ان نجد مجالات لا تصلها الجهود الرسمية لتجنيد المنظمة للعمل ، وبدأنا نقترح المجالات » . ب — لدى الاردن عشرات المعسكرات ولا داعي للازدواجية . جـ — اتفقت الحكومة مع الشقيري على تقوية « الدفاع الموضعي » على الخطوط الامامية ، ولكنه عاد فرفض ، بعد ان ذهبت لجنة مشتركة ودرست الموضوع . د — « نغمات صوت فلسطين لا تخدم الا اسرائيل. وسنعامل من يدعو لها كمعاملتنا لعدو ، لان الحشد

للمعركة يستدعي التصميم ووحدة الصف »(٢٧).

هـ — ان حكومة الاردن على استعداد « لاعتبار المنظمة ذراعا من اذرعتنا على ان يكون مفهوما ان كل مواطن في الاردن في ضفتيه الشرقية والغربية مجند في خطة الحشد ... لا حاجة للازدواجية ... ليس من المصلحة التدخل في شؤون سيادة الدولة في هذا البلد ... ان ميدان المنظمة هو التوعية والحشد للفلسطينيين الذين لا تشملهم خطة الحشد ، وان يكون في المجال السياسي في الخارج ... وان عمل المنظمة في الاردن يجب ان يتقيد بقوانين وانظمة البلد ، وان تنقي المنظمة صفوفها من الحزبيين ...»(٢٨).

ولقد استهدف وصفي من هذا كله ان يحكم السيطرة على الفلسطينيين في الداخل والخارج ، وان يخضعهم لخطته ، من خلال سيطرته على الجهاز الذي وافقت عليه الجامعة العربية . وهو بهذا يقودهم الى التصفية في الوقت الذي يوهمهم فيه بأن منظمتهم — كما يريدها — انما تقودهم على طريق التحرير .

وحاول وصفي على الصعيد العربي ان يتجنب الاخطاء التي وقع فيها خلال وزارته الاولى . ولهذا سعى الى ان يقيم علاقات طيبة مع الجمهورية العربية المتحدة خصوصا ، ومع الدول العربية عموما . ولم يكن غريبا والحالة هذه ان يبدأ عهده بزيارة للقاهرة في ٦٥/٢/١٥ ، اي بعد يومين فقط لتوليه مقاليد الوزارة .ثم ما لبث ان اعلن يوم ٦٥/٥/٢١ أن عهد الخصومات مع الدول العربية قد ولى الى غير رجعة . وعاد وصفي فزار القاهرة رئيسا لوفد رسمي الى اجتماعات الجامعة العربية (٦٥/٥/٢٥) . كما انه قام بزيارة بلاد عربية أخرى .

وطرح وصفي بعد ذلك مشروعا لاحلال السلام في اليمن ، ويتلخص محتوى المشروع في ١ — حفظ كرامة جميع الاطراف المتنازعة ، ٢ — وضع خطة اعمار لليمن ٣ — ان تؤمن لهذه الخطة حماية عربية وتمويل عربي ٤ — ان تشكل قوة سلام عربية صغيرة لحفظ السلام ، وان تنسحب كل القوات غير اليمنية من اليمن بعد انشاء هذه القوة(٢٩).

وعندما جرى توقيع اتفاق السلام في اليمن رحب وصفي التل به (٦٥/٨/٢٤) ، كما ان وصفي بدا حريصا على توسيع السوق العربية المشتركة وضم دول جديدة الى هذه السوق . وقامت الحكومة الاردنية بالغاء الجوازات ما بين الاردن وسورية في ٦٥/٩/٦ ، كما قامت بسحب جواز سفر سعيد رمضان في ٦٥/٩/١٦ .

ولكن الحكم الاردني كان يعلن اشياء ويضمر غيرها. وكان وصفي دائم الاصرار على عدم دخول قوات عربية الى الاردن بحجة ان لا حاجة الى ذلك ، وان كل القوات العربية تحت القيادة العربية ، وسيكون بامكانها نقل ما تشاء من القوات عندما تكون ضرورة لذلك .

ولان خط الحكم الاردني كان يسير في خط مناقض للحركة الوطنية ، وللقوى الوطنية والتقدمية ، ما لبث النظام الاردني ان اصطدم بسورية ومصر ، كما اصطدم بمنظمة التحرير من قبل . وكان خلال هذا الصدام ان كشف حسنين هيكل كيف سلم وصفي التل بعض وثائق القيادة الموحدة الى المخابرات المركزية(٣٠). ولقد كشف العقيد طلال ابو عسلي، والرئيس الركن محمد الخمارشة ، بعد فرارهما الى القاهرة مؤامرات وصفي التل على سورية(٣١).

لقد كشف وصفي التل هذه المرة ايضا . فعلى الصعيد الداخلي لم تستطع « اصلاحاته » الشكلية ان تقنع احدا بصلاحيته للاستمرار . ولا استطاعت سياسة الانفتاح ان تخفي الوجه العميل البشع ، وخاصة بعد ان بدأت حملة الاعتقالات والتشهير ومحاولات بث روح الهزيمة في صفوف الحركة الوطنية والمواطنين . وعلى الصعيد الفلسطيني لم تستطع كل خطاباته ومساعيه الحميدة ان تمنعه من التكشير عن انيابه واعلان نواياه التي قادته الى سحب الاعتراف بالمنظمة (تموز ١٩٦٦) . وعربيا اصطدمت خططه بالقوى الوطنية ، فاضطر لدخول الصراع وكانت نهايته .

وحين انتهى اجل وزارته كان قد استطاع ان يعيد بناء الجيش على اساس وحدات اصغر من ذي قبل ، بهدف تحويله الى جيش ميكانيكي قادر على الحركة .

وصفي التل : خارج الوزارة : بعد ان استقالت وزارة وصفي التل ، حدثت حرب حزيران . ومع الهزيمة أخذ الامل يتجه نحو قوات الثورة : واخذت الجماهير تهرع اليها . وما لبثت معركة الكرامة ان خلقت جو انتعاش جماهيري ، زاد من فزع الاعداء. كان وصفي في هذا الوقت على الرصيف ، يرى

ويسمع ويحلل ويناقش . ولقد راعه ما رأى وما سمع فطلب مقابلة الملك حسين . وتبادلا الرأي فيما يمكن عمله . ويبدو ان وصفي كان يعرف ما يريد ، لانه وزع مذكرة بعد زيارته للملك تحتوي على وجهة نظره . فما الذي جاء في هذه المذكرة ؟

يرى وصفي التل : « ان انهيار الحكم والنظام في الاردن من اول اهداف الاستراتيجية الاسرائيلية ». ولهذا فهو يريد ان يقضي على : « كل ما من شانه اضعاف مجتمع قرطاجة المقاتل المنتج » .

وهذا يتحقق عن طريق ما يلي : ١ — « تعزيز الجبهة الاردنية الى اقصى الحدود الممكنة . قوات عربية اضافية ، اسلحة ومزيد من الاسلحة ، وعلى الاخص المقاومة للدروع وللجو ، استخدام كل المتوفر من القادرين على القتال . مضاعفة خطوط الدفاع ». ٢ — «قيام مقاومة شعبية...». ٣ — يعاد تنظيم الجيش . تبعا لهذه الترتيبات يلجأ من جديد الى اسلوب مجموعات القتال الصغيرة والسريعة المكتفية بنفسها والصالحة للدفاع المتحرك وللهجوم السريع معا » . ٤ — « يصبح العمل الفدائي ركنا من اركان هذه الخطة ، وعلى هذا الاساس يوحد ، وتنشأ قيادة عليا له ، ويزود بالتخطيط والتدريب والمال والرجال والسلاح ، ويوحد جهده من ضمن المجهود العسكري العام ، ويصعد نشاطه مئات المرات ، حتى يصبح نشاطه موجعا للعدو ، وقادرا على التطور الى مرحلة حرب العصابات»(٣٢).

وهنا بيت القصيد ، ذلك ان ما يريده وصفي ، كما هو واضح هنا ، لا يتعدى استيعاب العمل الفدائي، ولكن باسم تزويده بالامكانيات وتوحيده مع الجهد العسكري العام .

وتدل رسالة الملك حسين الى رئيس وزرائه بهجت التلهوني في ٦٨/٩/١٣ على ان الملك كان ينوي تنفيذ ما جاء في مذكرة التل ، لانه ركز في رسالته على قضيتين : الاولى : ان السلطة « ضد الفوضى المدمرة » و « مع التنظيم الهادف المؤدي الى النتائج المؤثرة الملموسة والمطلوبة » . الثانية : ان السلطة عازمة « على تحقيق التنسيق الكامل مع كل العاملين المخلصين للغاية الواحدة والهدف السامي ، ومجابهة كل من لا يؤمن بذلك او يتنكر له»(٣٣).

ومع ذلك فان وصفي لم يأت رئيسا للوزراء . لماذا؟ لان السلطة في الاردن كانت حريصة على علاقاتها بمصر خصوصا وعلاقاتها العربية عموما . ومجيء وصفي يفسد هذه العلاقات .

وظل وصفي يعمل في السر والعلن ، ويدلي بآرائه ونظرياته ، وكان همه الاول الوصول الى السلطة. الا أن الرياح كانت تسير بغير ما يشتهي . ولذلك فانه عند ما تحدث في اربد سنة ١٩٦٩ كان حديثه عاما . ومع انه انتقد الانتهازية وانعدام الجدية وفقدان الذاكرة السياسية الخ الا انه ركز على حقائق اربع وهي : ١ — ان سبب الهزائم المتوالية هو « قصور العقل والخلق عن قيادة المعركة » . ٢ — ان الركن الاساسي في معركة التحرير هو الارادة . ٣ — الايمان بأننا نمتلك « مستلزمات المعركة من حيث العدد والعدة والارض » . ٤ — ان الزمن ليس في مصلحتنا .

ولم يحاول وصفي في ذلك الوقت مناقشة الاوضاع القائمة ، او حتى طرح تصوراته التفصيلية فيما يتعلق بالعلاقة بين السلطة والمقاومة ودور المقاومة في معركة التحرير .

وصفي وعهد المجزرة : تنضي وصفي عام ١٩٧٠ ، وخاصة منذ شباط ١٩٧٠ يحوك المؤامرات ويضع الخطط للعودة الى السلطة . لم تكن العودة سهلة هذه المرة ، اذ ان القضية لم تكن هذه المرة ، كما كانت في الماضي . فالجماهير مسلحة ومستعدة وعودة وصفي تعني معركة شرسة دموية . ولذلك كان لا بد من ان تبدأ المعركة اولا ، فاذا ما بدأت وحقق نصرا من وراء الكواليس اندفع الى رئاسة الوزارة . ولذلك كان عندما بدأت المعركة في القصر، وكان يلعب دورا اساسيا الى جانب الملك في قيادة المعركة . ولقد كتبت اللوموند الاسبوعية تصف دوره في احداث ايلول قائلة : «منذ اكثر من سنة بقليل، في ايلول سنة ١٩٧٠ ، عندما كانت المدفعية الاردنية تقصف بدون رحمة مواقع الفدائيين في عمان كان التل يذرع قصر الملك حسين وهو جذل لحقيقة ان المعركة قد نشبت مع الشيوعيين واليهود . وكان في ملابسه الكاكية وبمسدسه على وركه وبشعره المقصوص ببوضة الفرشاة ، ينشط بشكل محموم حول الملك حسين عندما خدمه باحترام ، بشكل مباشر ، بكفاءة كمستشار وكمنفذ ...»(٣٤).

وبما ان معركة أيلول لم تحقق للنظام النصر الذي أراده ، فقد فرضت عليه ان يختار من بين ادواته

اصلب عناصره وانشطها واكثرها اندفاعا على طريق الجريمة ليواصل ما بدأته المجزرة ، وهكذا جاء وصفي بعد شهر واحد من وقف اطلاق النار (٢٨/١٠/٧٠) .

وكان مجيء وصفي استفزازا للحركة الوطنية في الاردن ، وللمقاومة ، ولكل الرأي العام العربي. كما كان استفزازا لمصر خاصة . ومع هذا فقد غامر الملك بمجيئه ، لانه كان لا يملك خيارا اخر اذا اراد الاستمرار في المعركة .

وهكذا جاء وصفي وكانت مهمته الاساسية في هذه المرحلة هي : ١ ــ سحق المقاومة سحقا تاما وتصفية منجزاتها ، واكمال ما بدأ به في ايلول . ٢ ــ اعداد الاردن لتسوية سياسية ، عن طريق تحطيم معنويات الجماهير وشق صفوف الجماهير الى فلسطيني واردني .

ولقد استخدم من اجل تنفيذ هذا الخطالاستراتيجية والتكتيك التاليين :

اولا : الاعلان المستمر عن ضرورة وجود العمل الفدائي (المقاومة) على ان يكون مكرسا لمحاربة العدو ، وعلى ان تكون العلاقات محددة بينه وبين الدولة على اسس صحيحة . وذلك من أجل تخفيف عداء الجماهير ، وتحييد قطاعات واسعة من التجار والبرجوازية الصغيرة في المدن خاصة ، ولاقناع قواعد الجيش ان العمل ليس موجها ضد العمل الفدائي بل ضد « الفوضى والشغب وضد المندسين الخ » .

ثانيا : الاعلان المستمر عن التمسك باتفاقية القاهرة وعمان والمطالبة المستمرة بتطبيقهما ، والادعاء بأن المقاومة هي الطرف الذي لا يلتزم بهما .

ثالثا : محاولة اقناع مصر خاصة ، والدول العربية عامة بأن الاردن ملتزم بالاتفاقيات ، وحريص على تنفيذها من اجل وحدة الجهد العربي والارادة العربية .

رابعا : اتباع استراتيجية « التضم » في ضرب مواقع المقاومة ، والادعاء ، دائما ، وبعد كل عملية ، بان الهدف هو تنفيذ اتفاقيتي القاهرة وعمان .

خامسا : اظهار الحرص ، امام الجماهير في الداخل ، على ان السلطة تنوي العمل لاعادة الامن والاستقرار والازدهار الاقتصادي ، وبانها متمسكة بالاتفاقيتين المذكورتين وحريصة عليهما .

بدأ وصفي عملياته على اساس هذه الاستراتيجية. فقام اولا بمحاولة اقناع المعنيين بأنه حريص على عودة الازدهار الاقتصادي ، بعد اشهر من « خراب البيوت » . وبث وصفي هذه الاشاعة ، وما عتمت الصحف ان رددتها حتى ان ياسر حجازي كتب : « لو استمرت الحكومة المستقيلة اسبوعا اخر لباع الناس ما يملكون بالمزاد العلني . فالجمود الاقتصادي الذي اصاب مرافق الحياة في هذا البلد دفع قطاعا من المواطنين الى مغادرة الاردن ، بعد ان تداول الناس ما معناه انه لم تعد توجد اعمال او نشاط اقتصادي او حركة تجارية ... »واضاف: « ويبدو أن الحكومة الجديدة وضعت يدها على جراح الناس ، فذكر ان الدولة في سبيل دفع حركة الاقتصاد وقررت ان تفتح عطاءات في هذين اليومين بما قيمته مليون دينار ... »(٢٥).

وقام وصفي ثانيا بمحاولة اقناع الجماهير بانه حريص على عودة الهدوء والاستقرار . ولم يطرح هذا للرأي العام الداخلي فحسب ، بل للرأي العام العربي ايضا . وكان يهمه ان يؤكد ان الحكومة الاردنية « جادة في اعادة هيبة الامن ، وهي تتخذ من هذا الاتجاه كل الاجراءات مع استمرار تقيدها باتفاق القاهرة وعمان ... »(٢٦).

ولكن وصفي في الوقت عينه حرص على ان يبث الرعب في حياة الناس ، وان يفتعل الصدامات ، وان يبعث الشعور لدى الناس بالقلق والخوف من المستقبل .

وكانت الصدامات الاولى في عمان خاصة والمدن عامة نتيجة لمحاولة الجيش العودة الى الشوارع والاحياء ، ونتيجة لاستفزازاته المستمرة لهم . ولم يكتف وصفي بمحاولة اعادة المخافر القديمة ، بل حاول ايضا اقامة مخفر جديد او اكثر في كل حي . ولقد كانت الخطة ان تحتل هذه المخافر الاماكن المسيطرة ، وان يحشد فيها عدد كبير من الجنود ، المسلحين جيدا والمعززين برشاشات الـ ٥٠٠ ومدافع الهاون .

وفي نوفمبر ١٩٧٠ حدث الصدام في جبل النظيف ، حين حاول الجيش اقامة مخفر هناك . وفي اوائل كانون الاول (٦/١٢/٧٠) بدأت الصدامات في جرش وحولها ، من اجل احكام السيطرة على الطريق الاستراتيجية التي تربط عمان بالشمال .

وبعد هذه الصدامات مباشرة طرح موضوع تجميع الاسلحة . ولما لم تثمر الاتصالات قام الجيش في ٧٠/١٢/٢٥ بهجوم على مواقع المقاومة في القطاع الاوسط (السلط) من اجل تعزيز السيطرة على الطريق الاستراتيجي وعزل عمان عن الشمال (اربد — احراش جرش — عجلون) .

وافقت قيادة المقاومة على تجميع الاسلحة ، وكان وصفي حريصا على ان يشعرها بأنه يستهدف من ذلك تطبيق الاتفاقيات من جهة ، وعودة الهدوء والاستقرار من جهة ثانية ، كما كان يشعرها انه لن يتردد في اتخاذ أقسى الاجراءات عند عدم التنفيذ .

وقبل ان تبدأ المقاومة في تنفيذ خطة تجميع الاسلحة، وهي خطة التسليم والانهيار ، بادر وصفي الى احتلال الرصيفة (٧١/١/٨) ، وهي تربط ما بين عمان والزرقاء ، وكانت قد صمدت خلال احداث ايلول ولم تسقط . وما لبث تجميع الاسلحة أن بدأ . وكانت وزارة وصفي في هذه الاثناء قد نالت الثقة (٧١/١/٤) . وتحدث وصفي في جلسة الثقة هذه فأكد « انه تمت اعادة النظام والهدوء والطمأنينة الى كل انحاء مدينة عمان تقريبا باستثناء امكنة معدودة ، يجري تطويق الوضع فيها بكل هدوء وصبر من قبل الحكومة واللجنة العربية العليا للمتابعة » واضاف مهددا : « ان الصبر والهدوء ضروريان في هذه الفترة الحساسة بالذات ، لكن هذا لن يدوم الى ما لا نهاية ... » .

وقال ، لكي يبرر عمليات الضرب اللاحقة ان هناك فئات معينة « لا تمت الى العمل الفدائي بصلة أو الى الوطن بصلة » . وهذه الفئات هي سبب المشاكل والفوضى . واضاف قائلا : « اننا نستطيع في مدة قريبة اجتثاث كل سبب يعكر هدوء المواطنين وصفوهم » . وتطرق في نهاية حديثه الى الوضع الاقتصادي ، ووعد ان تسارع الحكومة الى توفير المناخ الصالح للتطور الاقتصادي والتجاري في البلاد بعد عودة الامن والنظام(٣٧).

وأعرب بعد الاستيلاء على الرصيفة ، عن ان « الحكومة تحرص كل الحرص على العمل الفدائي المنظم، ومد يد العون اليه في كافة المجالات، وعلى كل المستويات التي تضمن المنجزات الايجابية التي تخدم معركة التحرير»(٣٨). وكان الهدف من هذا التصريح التغطية على العمليات السابقة وتخفيف وقع العمليات اللاحقة . ولكنه كان في هذا الوقت قد بدأ يصرح بأنه لن يسمح للفدائيين بالقيام بأعمالهم الا من الارض المحتلة (٧١/١/٢٦)(٣٩).

وواصل وصفي مخططه ، فركز على ضرورة تجميع اسلحة الميليشيا من جهة ، كما أنه واصل عملية التطهير من جهة اخرى . ولقد قام خلال شهر شباط بعمليتين هامتين : اولاهما : مداهمة مخيم سوف قرب جرش على طريق عمان — اربد ٧١/٢/٤ ، وثانيتهما : احتلال حي الهملان (١١—٧١/٢/١٧) بعد معركة دامية(٤٠).

وبهذا كان وصفي قد حقق ما يلي : اولا ، حصر قدرا من اسلحة الميليشيا في مراكز تجميع معروفة. ثانيا ، شكك العناصر بقيادتها . ثالثا ، عزل اربد عن عمان ، واضعف كلا من من اربد وعمان ، بادخال الاف من الجنود اليهما ، وباحتلال المواقع الاستراتيجية فيهما ، وبتطهير مناطق كاملة داخلهما وحولهما . رابعا ، سيطر على طريق عمان — الشمال سيطرة كبيرة ، وان كانت غير تامة . وبعد هذا قام بالهجوم على اربد يوم ٣/٢٦ فسقطت بعد ثلاثة أيام من القتال الضاري .

وهنا بقيت عمان المطوقة . فطرح على قيادة المقاومة ان تخلي عمان من السلاح . وبعد قليل من الاخذ والرد اخليت في منتصف نيسان ، وانتقل المسلحون الى احراش جرش وعجلون .

وكانت هذه الخطوة ذروة انتصارات وصفي التل، لانه اخرج المقاومة راكعة من عمان ، ولذلك فقد صرح : « لقد كانت عمان مفتاح قضية الامن في الاردن ، وكان اختلال الامن والطمأنينة فيها السبب المباشر والوحيد لكل التشنجات ولكل الاجراءات الاستثنائية الناتجة عنها »(٤١). واعتقد وصفي التل ان الموافقة على الخروج من عمان وضعت المقاومة بين يديه ولذلك راح يؤكد ، انه « ليس هنالك من حدود لرعاية العمل الفدائي وتأمين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات لنصرته واتجاهه الاتجاه الصحيح ... »(٤٢).

ومع هذا فما ان عقد أول اجتماع بين السلطة والمقاومة ، بعد اخلاء عمان من الاسلحة ، وبعد التصريح المذكور اعلاه ، حتى طالبت السلطة المقاومة باخلاء مناطق من أحراش جرش وعجلون. كان وصفي يريد ان يستمر في عملية القضم . ورفضت المقاومة ، فأعلنت المنطقة منطقة سياحية

رسميا ، ولم يلبث الملك حسين ان اعلن « ان اتفاقيات القاهرة وعمان والاتفاقيات المنبثقة عنها كانت عبارة عن مراحل ونقاط على الطريق»(٤٣). أصبح الهدف الاخير لحملة وصفي التل احراش جرش وعجلون . فأخذ يمهد للعملية الاخيرة . ولذلك قام بعملية مطاردة واسعة النطاق في المدن، لكل العناصر المناضلة ، واخذ يناوش القوات المرابطة في الاحراش . وفي منتصف تموز أجهز عليها اجهازا تاما(٤٤).

ما بعد جرش وعجلون :

وهنا بدأ وصفي مرحلة جديدة من مخططه . لقد أصبح « سيد » الاردن ، ولكن هنالك الكثير من المشاكل التي تواجهه ، من هذه المشاكل بقايا حركة المقاومة وروح المقاومة لدى الجماهير . ومنها احساس بضرورة منع العزلة عن الاردن عربيا ، ومنها شعوره بضرورة خلق «تنظيم شعبي» يسانده في تثبيت اقدامه وتحقيق مهماته .

ولقد حاول ان يحل المشكلة الاولى بتقوية الجيش وزيادة سيطرته باتباع اساليب القمع الشرسة . ولذلك بدأ بالاضافة الى الاعتقالات والمحاكمات وعمليات الارهاب وشراء الضمائر ، عمليات الاعدام المعروفة . وفي اواخر ايار اقيم عرض عسكري في عمان . أما المشكلة الثانية فحاول ان يحلها عن طريق الاتصالات المستمرة والوفود والرسائل . وحين طرحت الدول العربية موضوع المصالحة تلقفها الاردن الرسمي ، لانه اعتبرها مدخله الى مصالحة مع الدول العربية على حساب المقاومة . وسعى وصفي الى أن يحل المشكلة الثالثة عن طريق خلق الاتحاد الوطني الاردني الذي بدأ الحديث عنه في آب(٤٥)، وما لبث ان أنشيء واعتمد . ولكن وصفي سقط صريعا قبل أن يتمكن من بدء تنفيذ مهمته الحقيقية ، وهي بدء عملية تسوية القضية الفلسطينية ، بعد أن قطع شوطا على طريق تصفيتها .

قائد من قادة الثورات المضادة : كان وصفي التل قائدا من قادة الثورات المضادة . وهو شخصية مماثلة لشخصية نوري السعيد ، مع اختلاف العهدين ، ان نوري قائد الثورة المضادة في عهد الاستعمار، أما وصفي فهو من قادة الثورة المضادة في عصر الامبريالية .

فلقد كان رجعيا ، معاديا عنيدا للشيوعية وللحركات الوطنية ، ولكنه مع ذلك كان مع تحديث الدولة ، ومع اقامة أجهزة سياسية وعسكرية فعالة وكفوءة. وكان مع تطوير الاقتصاد من منظور رأسمالي ، مع زيادة الدخل ، ومع رفع مستوى المعيشة . وهو في ذلك يدافع عن قضية واحدة هي النظام . ولقد كان يعتبر ان هناك عدوين او خطرين هما : الشيوعية والفقر(٤٦). وكان يرى « ان كفاح هذين الخطرين يعتمد اولا على التمسك بمعتقداتنا الدينية والقومية ومعتقدات تراثنا العربي » . ويعتمد ثانيا على « المزيد من الانتاج ، وهو لا يأتي الا مرتكزا على الحرية والابداع الفردي » . وما كان يدفعه الى اعتبار الفقر خطرا ، ليس احساسه بحاجة الفقراء ، بل خوفه ان يصبح الفقراء ثوارا .

وكان وصفي من أجل أن يأتي بحكومة فعالة من وجهة نظره يأتي عادة بحكومة من الشباب ، ويدخل في الوزارة اعضاء جددا ، بعضهم حزبيون سابقون، مثل انيس المعشر وابراهيم حباشنة . وكان هذا يستهدف ايجاد اجهزة حكومية اكثر تنورا ، قادرة على تحقيق بعض النجاحات في مجال تضليل قطاعات من الجماهير .

ولم يكن وصفي يخطط على نطاق الاردن ، بل على نطاق المشرق العربي كله . ولقد اجرى اتصالات مع قيادات وطنية سابقة من أجل اعداد مشروع لسورية والعراق . وكان بعض المقربين اليه يعلنون أن تحرير فلسطين لا يكون عن طريق المقاومة ، بل عن طريق خلق دولة قوية في سورية والعراق. ولهذا بدأ مخططا لزيادة عدد أفراد الجيش الاردني ، لتحويله كله الى جيش ميكانيكي محمول، ولقد قطع شوطا ، بعد ايلول ، على هذه الطريق .

ولكن وصفي التل كان يعلم أنه لن يستطيع المضي في مخططه الا اذا توافر له ما يلي : **اولا :** سقوط المقاومة نهائيا ، ولهذا وسع عمليات المطاردة والتشهير ، داخل الاردن ، وزاد من عمليات التحريض والدس والوقيعة خارج الاردن . وكان يعمل ليل نهار من أجل انهاء الوجود الفدائي في سورية ولبنان بكل ما يستطيع ، لانه كان يشعر بأنه سيبقى مطاردا في الاردن ما دام العمل الفدائي موجودا . كما أنه عمل بكل ما يستطيع لاحداث تفجيرات داخل حركة المقاومة ، وكان يتوقع ان يحدث ذلك في اكتوبر ١٩٧١ **ثانيا :** تحسين

العلاقات مؤقتا مع الدول العربية عامة ، ومع مصر وسورية خاصة ، وذلك من أجل انجاز المهمة الاولى ، وهي تصفية المقاومة الفلسطينية وبناء الجيش وتسليحه واعداد « العملاء » في البلاد العربية المجاورة . **ثالثا** : اعادة المعونة العربية، الموقوفة عن الاردن ، لانه يستطيع بواسطة هذه المعونة ان يحسن الوضع الاقتصادي ، وان يزيد قدرته على تلبية حاجات المخطط الذي يعمل له داخليا وخارجيا .

ومن أجل هذا كله ذهب الى القاهرة . وهناك سقط برصاص الذين قرروا ان تبقى المقاومة الفلسطينية ، رافعة مشعل التحرير .

وبسقوطه سقط قائد من قادة حرب العصابات المضادة ، مؤهل لمحاربة الحركة الوطنية بعنف وشراسة ودهاء ، وقادر على المراوغة والتضليل واستقطاب قطاعات البيروقراطيين والتكنوقراطيين والتجار ، بل العشائر والرجعيين الاقحاح .

ولقد سقط عندما حاول ان يخرج من قمقمه ، وان يرفع عنه طوق الحصار العربي .

---

١ — يراجع :
الزركلي ، خير الدين : **عامان في عمان** ، مكتبة العرب بالفجالة ، ١٩٢٥ .
سعيد ، امين : **الثورة العربية الكبرى** ، المجلد الثالث ، عيسى البابي الحلبي .
صايغ ، انيس : **الهاشميون وقضية فلسطين** ، بيروت ، ١٩٦٦ .
٢ — **الديلي تلغراف** ١٩٧١/٧/٢٩ .
٣ — **التايمز** ١٩٧١/١١/٢٩ .
٤ — علوش ، ناجي: **المقاومة العربية في فلسطين** (١٩١٧—١٩٤٨) .
٥ — **الحرية** ، الاعداد : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، تاريخ ٥ و١٥ و١٩٦٢/١١/٢٦ .
٦ — **الحرية** ، العددان : ١٤٨ ، ١٦٢ ، تاريخ ٦٢/١٢/٣ و ١٩٦٣/٣/١٨ .
٧ — **الحرية** ، العدد ١٦٤ ، ١٩٦٣/٤/١ .
٨ — **الحوادث** ، العدد ٣٢٢ ، ١١ ك٢ ١٩٦٣ .
٩ — **الوقائع العربية** ، كانون الثاني — آذار ١٩٦٣ ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ٦٣/١/١٣ ص ١ .
١٠ — **الوقائع العربية** ، المرجع السابق ، ص ٢ .
١١ — **الوقائع العربية** ، ٢/٩ ، ص ٤ .
١٢ — **الوقائع العربية** ، ٣/٩ ، ص ٥ ، ٣/١٢ ، ص ٥ .
١٣ — **الوقائع العربية** ، ٣/١٦ ، ص ٦ .
١٤ — **الوقائع العربية** ، ٣/٢٧ ، ص ٦ .
١٥ — **الوقائع العربية** ، (كانون الثاني — آذار) ١٩٦٥ ، الجزء ١ ص ٥ .
١٦ — **الوقائع العربية** ، المرجع السابق ، ص ٤٧ ، نيسان — حزيران ، ص ١ و٢ .
١٧ — **الوثائق العربية** ، ١٩٦٦ ، الجامعة الاميركية ، ص ٢٨٥ ، تاريخ ١٩٦٦/٥/٧ .
١٨ — **الوقائع العربية** ، (٢) ص ١٣ و١٧٣ .
١٩ — **المرجع السابق** (٢) ، ١٩٦٥/٥/٣٠ ، ص ١٧٧ و**المرجع السابق** (٣) ١٩٦٥/٨/٢١ ، ص ٣٤٩ .
٢٠ — **المرجع السابق** ، (٢) ص ١٧٥ وص ١٧٨ .
٢١ — **المرجع السابق** (٤) ص ٥٢٩ و**اليوميات الفلسطينية** ، ٦/٢٥ ، ص ١٣٧ و**الوثائق العربية** ١٩٦٦ ، ١٩٦٦/١١/٢١ ، ص ٨١٦ .
٢٢ — **قرار اتهام ضد وصفي التل** ، ملف مركز التخطيط ، ص ٢٣—٢٤ .
٢٣ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ٦٥/٧/١ — ٦٥/١٢/٣١ ، ٦٥/١٠/٢١ ، ص ١٩٩ .
٢٤ — **الوثائق العربية** ١٩٦٦ ، ٦٦/٣/١٠ ، ص ١٥٢ .
٢٥ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/٢٦ ، ص ١٨٩ .
٢٦ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/٢٦ ، ص ٢٢٦ .
٢٧ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/١١ ، ص ١٥٩ .
٢٨ — **الوثائق العربية** ، المرجع السابق ١٩٦٦ ، ٦٦/٧/٤ ، ص ٤١٧—٤١٨ .
٢٩ — **الوقائع العربية** ، المرجع السابق (٢) ، ٦٥/٦/٢١ ، ص ١٨٠ .
٣٠ — هيكل، محمد حسنين : خطط القيادة الموحدة ومن سلمها للرجل التبيح ، **الاهرام** ، السنة

٩٢ ، العدد ٢٩٢٣٢ ، ١٩٦٦/١٢/٢٣ .
٣١ — **قرار اتهام ضد وصفي التل** : المرجع السابق ، ص ٢٤ .
٣٢ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **الوثائق الفلسطينية لسنة ١٩٦٨** ، وثيقة رقم ٥٤٩ ص (٦٢٣–٦٢٧) .
٣٣ — **المرجع السابق** ، وثيقة رقم ٦٠٢ ، ص (٧١١–٧١٩) .
٣٤ — **لوموند** الاسبوعية ١٩٧١/١٢/٤ .
٣٥ — **عمان المساء** ، ١٩٧٠/١١/٢ .
٣٦ — **النهــار** ، ١٩٧٠/١٢/٢١ .
٣٧ — **النهار** ، ١٩٧١/١/٥ .
٣٨ — **الدستور الاردنية** ، ١٩٧١/١/١٢ .
٣٩ — **قرار اتهام ضد وصفي التل** ، صادر عن مركز التخطيط ، ص ٨٩ .
٤٠ — زار وصفي التل وفد من المقاومة ، بعد حادثة الهملان مباشرة، واستنكروا امامه المجزرة التي حدثت ، فقال لهم : ان ما يهمني بالنسبة لما حدث هو عدم تنفيذ الخطة كما رسمت فقط .
٤١ — **الحياة** ، ١٩٧١/٤/١٤ .
٤٢ — **الحياة** ، ١٩٧١/٤/١٤ .
٤٣ — **الجريدة** ، ١٩٧١/٤/٣٠ .
٤٤ — علوش ، ناجي ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٤ ، ص ١٧٩ — ١٨١ .
٤٥ — **الانوار** ، ٨/٢٢ .
٤٦ — **الوثائق العربية** ، الجامعة الامريكية ١٩٦٦، تاريخ ١٩٦٦/٥/٧ ، ص ٢٨٦ .

دراسة قانونية لاثر اتفاقية القاهرة وقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على اتفاقية الهدنة بين لبنان واسرائيل

الدكتور صلاح الدين الدباغ

بمناسبة الحديث الدائر حول اثر اتفاقية القاهرة على اتفاقية الهدنة بين لبنان واسرائيل لجهة ان اتفاقية القاهرة تبطل اتفاقية الهدنة وان تمسك لبنان بها يجعل اسرائيل في حل من اتفاقية الهدنة ، طلبت شؤون فلسطينية من الدكتور صلاح دباغ اعداد مطالعة قانونية تبين العلاقة بين هاتين الاتفاقيتين ، كما تبين مدى تاثير قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على لبنان والتزاماته بالنسبة لاتفاقية الهدنة .

(١)

١ — ان الغاء الهدنة من طرف واحد لا يجوز وفقا لاحكام المادة الاربعين من اتفاقية لاهاي الا اذا اقدم أحد الفرقاء في هذه الاتفاقية على خرقها خرقا خطيرا . ويكون هذا الخرق اذ اقدمت القوات العسكرية او شبه العسكرية لاحد الفرقاء الموقعين على الهدنة على القيام بعمليات عسكرية او عدوانية على اراضي الفريق الاخر .

٢ — وعلى هذا نصت ايضا اتفاقية الهدنة العامة بين لبنان واسرائيل الموقعة في ٢٣ اذار ١٩٤٩ :

المادة الاولى : ٢ — لا يجوز للقوات المسلحة البرية او البحرية او الجوية التابعة لاي من الفريقين القيام بأي عمل عدواني او التخطيط له او التهديد به ضد شعب الفريق الاخر او قواته المسلحة ، مع العلم بأن عبارة « التخطيط » المستعملة في هذا السياق لا تتناول التخطيط المعتاد الذي تجريه القيادات في المنظمات العسكرية عموما .

٣ — يحترم احتراما تاما حق كل من الفريقين في امنه واطمئنانه الى عدم الهجوم عليه من جانب القوات المسلحة التابعة للفريق الاخر .

المادة الثالثة : ٢ — لا يجوز لاية فئة من القوات البرية او الجوية ، العسكرية او شبه العسكرية، التابعة لاي من الفريقين ، بما في ذلك القوات غير النظامية ، ان ترتكب اي عمل حربي او عدائي ضد قوات الفريق الاخر العسكرية او شبه العسكرية، او ضد المدنيين في الاراضي التي يسيطر عليها الفريق الاخر ، ولا يجوز لها لاي غرض كان ان تتخطى او تعبر خط الهدنة المبين في المادة الخامسة من هذا الاتفاق ، او أن تدخل او تعبر المجال الجوي التابع للفريق الاخر او المياه الواقعة ضمن ثلاثة أميال من الخط الساحلي التابع للفريق الاخر .

٣ — لا يجوز توجيه اي عمل حربي او عمل عدائي من اراضي يسيطر عليها احد فريقي هذا الاتفاق ضد الفريق الاخر .

٣ — وقد توافق شراح القانون الدولي العام على أن حق الغاء اتفاقية الهدنة مشروط بما يلي :

١ — ان يكون خرق الهدنة خرقا خطيرا . ٢ — ان تقوم به قوات احد الفريقين العسكرية او شبه العسكرية .

وفي هذا يقول العلامة الفرنسي سبير : « اذا كان يتوجب اذن لالغاء اتفاقية الهدنة بصورة شرعية أن يكون خرق الهدنة ، وفقا لنص اتفاقية لاهاي نفسها ، خطيرا بصورة حقيقية ، فانه ينبغي ايضا أن تعزى الوقائع التي تشكل هذا الخرق بصورة كلية الى الفريق المتحارب الذي ارتكبها . وان ما

يخالف المنطق والانصاف ويؤلب الرأي العام ان يحمل احد الفريقين مسؤولية الخرق المزعوم للهدنة عندما يضطر الى ذلك بفعل القوة القاهرة»[1].

٤ — ان القوات اللبنانية العسكرية او شبه العسكرية لم تقدم على مثل هذه العمليات .

٥ — ان الاعمال التي يقوم بها الافراد اللبنانيون ذات الطابع العسكري او العدواني تجاه اسرائيل لا يمكن ان تؤدي الى خرق الهدنة : « من الممكن ان لا ينجم خرق الهدنة عن فعل الحاكمين او موظفي الدولة (أيا كانوا) ولكن عن فعل بعض الافراد المواطنين الذين يتصرفون بدافع من وطنية في غير محلها وبمبادرتهم الشخصية ، كأن يبادروا الى تحطيم المنشآت او المراكز الاستراتيجية او يخربوا المعدات او وسائل الاتصال . فما هي الاثار التي تترتب على هذه الافعال ؟ انه من غير المعقول القول ان ذلك سيعطي الفريق المحارب المتضرر مستندا لالغاء الهدنة »[2].

٦ — اذا كان الوضع كذلك فمن باب اولي ان يطبق الحكم ذاته على هيئات غير لبنانية ليست للدولة اللبنانية اي سلطة عليها .

٧ — واستطرادا فان بعض شراح القانون الدولي الذين قالوا ان على الدولة الموقعة على اتفاقية هدنة ان تبذل العناية اللازمة لمنع مواطنيها من القيام بأعمال تخالف احكام اتفاقية الهدنة تحت طائلة المسؤولية الدولية ، قد قالوا بذلك لان الافراد لا يعتبرون من اشخاص القانون الدولي وبالتالي لا تترتب عليهم مسؤوليات او حقوق بموجب هذا القانون . فتتحمل بالتالي المسؤوليات والواجبات الملقاة عليهم الدولة التي ينتمون اليها، أما اعمال الفدائيين فهي تخرج عن ذلك النطاق للاسباب التالية : أ — انهم ليسوا لبنانيين . ب — انهم لا يخضعون لسلطة الدولة اللبنانية بل هم شعب اخر له كيان متمايز عن الكيان اللبناني، وهم فريق ثالث بالنسبة الى اتفاقية الهدنة . ج — ان الدولة اللبنانية بذلت ما في وسعها للحيلولة دون تمكينهم من القيام بعملياتهم عبر الحدود اللبنانية هذا مع العلم بأن لبنان لا يعترف بالوجود الصهيوني ولا يقره ويعتبره كيانا منافيا لاحكام القانون الدولي ولا يمكن بأي حال من الاحوال بموجب القانون الدولي ان تجبر دولة ما على الحفاظ على أمن دولة اخرى . د — ان الفدائيين بما يمثلون من مقاومة مشروعة لاحتلال اراضيهم وبما لهم من منظمات عامة أضحت ذات طابع دولي ، يعترف بهم القانون الدولي . فالقانون الدولي يعترف بالمقاومين وينظم اوضاعهم . ودليل ذلك ما نصت عليه اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ المتعلقة بأسرى الحرب في مادتها الرابعة التي اعطت الاسرى من الفدائيين وضع اسرى حرب القوات النظامية .

٨ — يتضح مما سبق ان مسؤولية الاعمال التي يقوم بها الفدائيون لا يمكن بموجب احكام القانون الدولي ان يتحملها لبنان او اي دولة اخرى ينطلقون منها . بل انها تقع عليهم وحدهم دون غيرهم . اما اذا كانت اسرائيل تود تحميل الدول العربية ومنها لبنان مسؤولية اعمالهم فذلك لانها تسعى لان تقيم من الدول العربية حماة لامنها وسلامتها ، ولانها لا ترغب في الاقرار بالوجود الدولي للفدائيين ، لان في ذلك اعترافا ضمنيا بالشعب الفلسطيني .

واستطرادا واستكمالا للجدل القانوني فنحن لو اعتبرنا ان لبنان مسؤول عن اعمال الفدائيين فان حق اسرائيل بالرد مشروط بشروط قاسية بموجب احكام القانون الدولي العام .

ولعل أفضل تعريف وتحديد للحق بالرد قد جرى في قضية Naulilaa التي فصل بها مجلس تحكيمي مؤلف من ثلاثة قضاة سويسريين عام ١٩٢٨ . وتتعلق هذه القضية بمستعمرة افريقيا الغربية البرتغالية حيث قتل البرتغاليون ثلاثة جنود المان على الحدود الفاصلة بين هذه المستعمرة واحدى المستعمرات التي كانت تعود لالمانيا وهي مستعمرة افريقيا الغربية الالمانية . وقد ردت المانيا على ذلك بمهاجمة المستعمرة البرتغالية والقضاء على عدة مراكز وتحصينات برتغالية على الحدود . فرفعت البرتغال القضية الى التحكيم . وامام المجلس التحكيمي تذرعت المانيا بحق الرد فبحث المجلس بهذا الحق مطولا واوضح ضرورة توافر ثلاثة شروط لتحققه هي : أ — اقدام الدولة التي يمارس الرد بحقها على عمليات او أعمال تخالف احكام القانون الدولي العام . ب — وجود محاولات

---

١ Marcel Sibert, "l'Armistice", ***Revue— Générale de Droit International Public,*** **1933, pp. 712-713.**

٢ — **المرجع ذاته ، ص ١٧٢ .**

سلمية غير ناجحة للرجوع عن المخالفة قبل اللجوء الى القوة . ج — كون اعمال الرد متناسبة مع الضرر الحاصل على الدولة الثانية .

وخلص المجلس الى القول بأن الرد الذي مارسته المانيا ضد البرتغال لم يكن مشروعا لتجاوزه حدود التوازن بينه وبين الضرر الناتج عن مقتل ثلاثة جنود المان .

ومن الواضح البين ان هذه الشروط لا تتوافر اطلاقا في الوضع القائم بين لبنان واسرائيل . فلبنان بسماحه للفدائيين بممارسة حقهم المشروع في المقاومة وهو حق كفله لهم القانون الدولي لا يخالف اي مبدأ من مبادىء القانون الدولي . بل لعله يخالف احكام القانون الدولي ان تصدى للفدائيين ومنعهم من ممارسة حقهم في المقاومة ومن ثم التحرير . ثم ان أعمال الرد الاسرائيلية تتجاوز دوما الضرر اللاحق باسرائيل من أعمال الفدائيين (حادث مطار بيروت مثلا) .

ان الشروط التي اشار اليها الحكم في قضية نوليلا اضحت كلاسيكية في القانون الدولي العام لممارسة حق الرد . ولعل عدم توافر هذه الشروط في قضية ساقية سيدي يوسف التي حدثت في شباط ١٩٥٨ بين فرنسا وتونس (حيث هاجمت القوات الفرنسية قرية ساقية سيدي يوسف التونسية بحجة تمركز جيش التحرير الجزائري فيها والذي كان يتسلل عبر الحدود الى الجزائر) لعل عدم توافر شروط ممارسة حق الرد هو الذي حدا بكل من بريطانيا والولايات المتحدة الى عرض مساعيهما الحميدة على كل من تونس وفرنسا حين عرض الموضوع في مجلس الامن الدولي خشية من ادانة فرنسا وهي حليفتهما آنذاك .

(٢)

١ — ان قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني من عام ١٩٦٧ ينص على المبادىء التالية : أ) انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ب) انهاء جميع حالات الحرب والاعتراف بالسيادة الاقليمية لكل دولة في المنطقة المعنية (منطقة الشرق الاوسط) وباستقلالها السياسي وبحقها في الحياة ضمن حدود آمنة ومعترف بها . ج) ضمان حرية المرور في الممرات المائية الموجودة في المنطقة (منطقة الشرق الاوسط) . د) تحقيق تسوية عادلة لمسألة اللاجئين . هـ) ضمان السيادة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة بمختلف الوسائل والطرق بما في ذلك اقامة مناطق منزوعة السلاح . وقد طلب القرار المذكور من الامين العام لمنظمة الامم المتحدة تعيين ممثل خاص للاتصال مع الدول المعنية للوصول الى تسوية مقبولة طبقا للمبادىء المشار اليها اعلاه .

٢ — وبناء على هذا الطلب قام الامين العام بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٧ بتعيين السفير جونار يارنغ كممثل خاص للامم المتحدة لتنفيذ القرار . وقد وجه الامين العام بذلك التاريخ كتابا الى كل من حكومات لبنان والاردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة واسرائيل ليعلمها بهذا التعيين ويطلب اليها تسهيل مهمة الممثل الخاص . وقد استقبلت الحكومة اللبنانية الممثل الخاص السيد يارنغ وتباحثت معه مرارا حول تنفيذ مهمته .

٣ — ان الحكومة اللبنانية غير ملزمة قانونيا باستقبال الدكتور يارنغ لانها غير معنية بقرار مجلس الامن . ونحن سنتكلم هنا فقط عن الاسباب القانونية بصرف النظر عن الاسباب المبدئية والسياسية .

ان مهمة السيد يارنغ قد حددت بالمسمي لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ وهذا القرار ينطوي كما بينا على مبادىء اربعة هي : أ — انسحاب القوات الاسرائيلية ، ب — ضمان حرية المرور في الممرات الدولية ، ج — تسوية قضية اللاجئين ، د — انهاء حالة الحرب .

أ — انسحاب القوات الاسرائيلية : لا علاقة للبنان بمسألة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها بعد الخامس من حزيران . فلبنان لم يشترك في القتال الذي جرى آنذاك ولم تحتل القوات الاسرائيلية ايا من اراضيه .

ب — ضمان حرية المرور في الممرات المائية : لا علاقة للبنان بقضية ضمان حرية المرور في الممرات المائية . فالممرات المعنية هي : خليج العقبة وقناة السويس . وهما لا يمران في الاراضي اللبنانية ومن المؤكد ان المملكة العربية السعودية مثلا ، معنية بذلك اكثر من لبنان لان حرية المرور في خليج العقبة ومضيق تيران تنطوي على المرور بمحاذاة الاراضي السعودية .

ج — **تسوية قضية اللاجئين** : ان قضية اللاجئين تهم بالطبع لبنان . ولكن لبنان تمسك ولا يزال بقرار الجمعية العامة الصادر في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ (القرار رقم ١٩٢ — ٣) والذي نص على حق اللاجئين في العودة الى ديارهم وعلى حق الذين لا يرغبون في العودة بالتعويض عن ممتلكاتهم وعن الخسائر التي اصابتهم. وقد تأكد هذا القرار وتثبت سنويا كل عام بالقرارات التي تصدرها الجمعية العامة لدى بحث قضية اللاجئين الفلسطينيين ، وهذه القرارات هي : القرار رقم ٣٠٢ — ٤ الصادر في ٨ كانون الاول ١٩٤٩ ، والقراران ذوا الرقمين و٣٩٤ — ٥ الصادران في ٢ و١٤ كانون الاول ١٩٥٠ ، والقراران ذوا الرقمين ٥١٢ — ٦ الصادران في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢ ، والقرار ٦١٤ — ٧ الصادر في ٦ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، والقرار رقم ٧٢٠ — ٨ الصادر في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣ والقرار رقم ٨١٨ — ٩ الصادر في ٤ كانون الاول ١٩٥٤ والقرار ٩١٦ — ١٠ الصادر في ٣كانون الاول١٩٥٥ والقرار ١٠١٨ —١١ الصادر في ٢٨ شباط ١٩٥٧ والقرار ١٣١٥ — ١٢ الصادر في ١٢ كانون الاول ١٩٥٨ والقرار رقم ١٤٥٦ — ١٦ الصادر في ٩ كانون الاول ١٩٥٩ والقرار رقم ١٦٠٤ — ١٥ الصادر في ٢١ نيسان ١٩٦١ والقرار رقم ١٧٢٥ — ١٦ الصادر في ٢٠ كانون الاول ١٩٦١ ، والقرار رقم ١٨٥٦ — ١٧ الصادر في ٢٠ كانون الاول ١٩٦٢ ، والقرار رقم ١٩١٢ — ١٨ الصادر في ٣ كانون الاول ١٩٦٣ ، والقرار رقم ٢٠٠٢ — ١٩ الصادر في ١٠ شباط ١٩٦٥ ، والقرار رقم ٢٠٥٢ — ٢٠ الصادر في ١٥ شباط ١٩٦٥ ، والقرار ٢١٥٤ — ٢١ الصادر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

د — **انهاء حالة الحرب** : ان انهاء حالة الحرب التي نص عليها قرار مجلس الامن لا تستلزم اطلاقا استقبال الممثل الخاص للامم المتحدة للتفاوض من اجل ذلك .

فمن ناحية اولى ، ليس لبنان وحده بحالة حرب مع اسرائيل بل ان جميع الدول العربية هي في حالة حرب مع اسرائيل . كذلك فجمهورية مصر العربية وسوريا والاردن والعراق والسعودية واليمن لا زالت في حالة حرب قانونية مع اسرائيل من الخامس عشر من أيار عام ١٩٤٨ وذلك وفقا لبيانها الصادر آنذاك عشية زحف الجيوش العربية على فلسطين . والدول العربية الاخرى التي انضمت الى جامعة الدول العربية بعد ان حازت استقلالها كالسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والكويت وجمهورية جنوب اليمن الشعبية وقطر والبحرين وعمان ودولة اتحاد الامارات العربية قد التزمت ايضا بحالة الحرب هذه التزاما قانونيا تاما . يضاف الى كل ما تقدم ان جيوش بعض الدول العربية كجيش العراق مثلا قد أسهم في عمليات القتال في عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ اكثر بكثير مما أسهم الجيش اللبناني . فحالة الحرب اذن قائمة بين جميع الدول العربية من جهة واسرائيل من جهة اخرى . وليس لبنان معنيا من الناحية القانونية اكثر من غيره من الشقيقات العربيات . وطالما ان الدول العربية الاخرى باستثناء الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا لم تدع لاستقبال المبعوث الخاص فليس من مبرر لدعوة لبنان وحده الى ذلك .

ومن ناحية ثانية ، ان انهاء حالة الحرب لا يستلزم اجراء مفاوضات مباشرة او غير مباشرة ولا يستتبع بالضرورة قيام معاهدة صلح . ذلك ان انتهاء حالة الحرب يتخذ اشكالا ثلاثة هي : ١ — مرور مدة على انتهاء عمليات القتال . ٢ — اعلان تصدره السلطة المختصة بالدول المعنية . ٣ — معاهدة صلح .

ومن الواضح ان انهاء الحرب (كما في البندين الاولين) لا يستتبع اطلاقا ضرورة اجراء محادثات مباشرة او غير مباشرة مع العدو وبالتالي فهو لا يتطلب من لبنان ان يستقبل الممثل الدولي بهذا الشأن . فلبنان ليس مقيدا باتباع اي طريقة من طرق انهاء الحرب طالما ان القانون الدولي يجيز له انهاء حالة الحرب بأي شكل من الاشكال السابقة . وبتعبير اخر ان التزام لبنان بقرار مجلس الامن القاضي بانهاء حالة الحرب لا يستلزم التزام لبنان باجراء معاهدة صلح . وسنوضح فيما يلي بشيء من التفصيل شكلي انهاء الحرب بغير اللجوء الى معاهدة صلح :

١ — **انهاء حالة الحرب نتيجة لانهاء عمليات القتال:** ان الامثلة التاريخية عديدة على انهاء حالة الحرب نتيجة لانهاء عمليات القتال ومنها : انهاء الحرب بين السويد وبولنده عام ١٧١٦ وبين فرنسا واسبانيا عام ١٧٢٠ وبين روسيا وايران عام ١٨٠١ وبين اسبانيا ومستعمراتها القديمة في

اميركا اللاتينية ، فهذه الحرب قد انتهت فعليا بالتوقف عن القتال عام ١٨٢٥ ولم تعقد معاهدة صلح ، ثم استؤنفت العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية كما تم اعتراف اسبانيا بدول اميركا اللاتينية الجديدة ومنها المكسيك والاكوادور وتشيلي وفنزويلا . وكذلك انتهت الحرب على هذه الصورة ما بين فرنسا والمكسيك عام ١٨٦٧ وما بين بروسيا وامارة ليختنشتاين عام ١٨٦٦ .

وقد اعترفت وزارة الخارجية الامريكية اعترافا صريحا بجواز انهاء الحرب نتيجة لتوقف اعمال القتال ودون الحاجة الى معاهدة صلح . فقد كتب ناظر الخارجية الامريكية آنذاك الى وزير اسبانيا المفوض في واشنطن بشأن انتهاء حالة الحرب ما بين اسبانيا والبيرو ما يلي : « من الثابت انه من الممكن اعادة حالة السلم بالتوقف الطويل لعمليات القتال بدون الحاجة الى عقد معاهدة صلح . ان التاريخ مليء بمثل هذه الحالات » .

٢ — **انهاء الحرب باعلان من طرف واحد** : يجوز كذلك ان تنتهي الحرب باعلان تصدره السلطات المختصة في البلد المعني . وهذا الشكل من اشكال انهاء حالة الحرب يناسب تماما حالة الحرب بين لبنان واسرائيل لان لبنان هو الذي اعلن الحرب وذلك بتوقيعه على بيان الدول العربية في ١٥ ايار ١٩٤٨ القاضي بالتدخل في فلسطين .

والامثلة على انهاء حالة الحرب بهذه الطريقة متوافرة في التاريخ وقد ذكرها صراحة القاضي فرانكفورتر في الحكم الذي كتبه في قضية لوديك/ واتكنز(١) حين قال : « يجوز انهاء حالة الحرب بمعاهدة او بقانون او باعلان يصدره رئيس الجمهورية » .

وقد انتهت حالة الحرب على هذا الشكل بين الصين والمانيا بقانون اقره برلمان الصين في ٣ أيلول ١٩١٩ . وكذلك انتهت حالة الحرب بين الولايات المتحدة وحكومة كل من المانيا والنمسا بقانون اصدره الكونغرس الامريكي في ٣ أيلول ١٩١٩ والذي رده رئيس الجمهورية ثم اقر بالرغم من هذه المعارضة في ٢ تموز ١٩٢١ . ومع ان هذا القانون قد اتبع بمعاهدة سلم بين الولايات المتحدة والمانيا الا ان هذه المعاهدة اعتبرت ان تاريخ انتهاء حالة الحرب يعود الى ٢ تموز ١٩٢١ ، وهو تاريخ القانون الصادر عن الكونغرس .

وكذلك في الحرب العالمية الثانية لم تنته حالة الحرب بين الولايات المتحدة والمانيا بموجب معاهدة صلح بل بموجب قرار مشترك صادر عن مجلس الكونغرس الامريكي اقره الرئيس ترومان في ١٩ تشرين الاول عام ١٩٥١ .

---

١ — **مجموعة قرارات المحكمة الاتحادية العليا** (١٩٤٨) ، ص ١٦٠٠ .

رسالة خاصة عن آخر التطورات في قطاع غزة

أ. م.

ان الحالة الاقتصادية آخذة بالتدهور يوما بعد يوم ويرجع ذلك الى : ١ — ارتفاع اسعار المواد الضرورية مثل الطحين والبترول واللحوم وغيرها ، مثلا ارتفع سعر برميل البترول في الاونة الاخيرة من ٢٥ ليرة اسرائيلية الى حوالي ٥٥ ليرة اسرائيلية . ٢ — التصعيد في فرض الضرائب على اختلافها ، فقد واظب العدو على زيادة الضرائب من جهة ، وعلى فرض ضرائب جديدة من جهة ثانية ، فمثلا ارتفع تأمين السيارة من ١٢٥ ليرة الى ٢٥٠ ليرة، وزادت رسوم رخصة السيارة من ٢٠٠ ليرة عام ١٩٧١ الى ٣٩٠ ليرة عام ١٩٧٢ ، وفرضت ضرائب جديدة على المنازل حيث اصبحت جميع غرف المنزل الواحد خاضعة للضريبة بمعدل يتراوح بين ٢٥ — ٣٠ ليرة اسرائيلية عن كل غرفة سنويا . ٣ — انخفاض اسعار الحمضيات الى اكثر من نصف ثمنها الذي كان قبل عدوان ١٩٦٧ ، جنبا الى جنب مع فرض ضريبة على تصدير الحمضيات وارتفاع أجور الايدي العاملة . ٤ — هجرة الايدي العاملة للعمل داخل الارض المحتلة منذ ١٩٤٨ تحت وطأة تدهور الحالة الاقتصادية وزيادة الضرائب وغلاء المعيشة حيث لم يعد العامل رب العائلة يستطيع العيش في اجر عشر ليرات يوميا ، هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى فهنالك الاغراءات المادية لهجر البيارات والحقول والحوانيت والاعمال المهنية والحرفية ، من اجل العمل داخل « اسرائيل » حيث يزيد أجر العامل على ٣٠ ليرة يوميا ، وهو دخل لا تؤمنه بيارة صغيرة لصاحبها بعد دفع الضرائب والاجور الخ ...

اما من الناحية المدنية فيعيش المواطنون في القطاع في قلق وتخلخل حياتي وعدم طمأنينة وذلك بسبب الاجراءات التعسفية التي يمارسها العدو ضدهم يوميا ، فقد اصبح استخدام وسائل التعذيب الوحشي شيئا مستمرا صباحا مساء وقد اخترع العدو اساليب جديدة في ارهاب المواطنين مثلا عندما يشتبه بعلاقة انسان عربي مع افراد المقاومة فانه يلجأ الى قتله وذلك عن طريق استدعائه خارج منزله ورميه بالرصاص ثم يوزع بيانا بعد مقتله بقليل يعلن فيه انه قتل بسبب عدم امتثاله لاوامر الجيش . وقد بدأ تطبيق هذا الاسلوب منذ اوائل شهر تشرين الثاني ١٩٧١ وأصبح الشكل السائد لمعظم حالات القتل التي تحدث في القطاع . مضافا الى ذلك حالات القى العدو فيها قنابل على المدنيين في الشوارع وألصق ذلك بالفدائيين . الى جانب محاولة العدو تقليد سياسة بريطانيا ، بتسليح بعض العشائر واعطاء امتيازات لها ودعمها من اجل اعادة الحياة « لفرق السلام » التي عرفتها فلسطين في اواخر ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ .

ويلجأ العدو ايضا الى مختلف الحيل والاساليب الماكرة لكشف رجال المقاومة او من يتعاون معهم من ابناء الشعب . فمثلا يدفع برجاله الذين يتقنون اللغة العربية للاندماج بالاهالي بعد ان يتخفوا بزي عربي ويستخدموا سيارات عربية ، او يظهروا كرجال المقاومة من اجل ايقاع الناس واكتشاف العناصر المؤيدة والمتعاونة مع المقاومة . ثم تطوق الشوارع والاحياء ويجري تمشيطها بيتا بيتا . ويتبع العدو أسلوب تعذيب السكان نفسيا عن طريق الضغط عليهم ومنعهم من الانتقال الى مناطق اخرى مجاورة . فضلا عن تطبيق نظام منع التجول في المعسكرات من الساعة السادسة والنصف مساء حتى الفجر . ولم يعد منظرا غير مألوف ان يوقف العدو الشباب في اثناء سيرهم في الشوارع ويعتقلهم ثم يوجه لهم مختلف التهم ثم يبدأ بضربهم وتعذيبهم.

ولقد كتب الكثير عن سياسة الترحيل الاجباري وابعاد اهالي رجال المقاومة المعتقلين الى معسكرات

في صحراء سيناء مثل ابو زنيمة، وقصيمة ، ونخل، والطور (وادي موسى) ، والعريش ، ومعسكرات سانت كاترين (جبل موسى) . وقد اقفل معسكر ابو زنيمة الرهيب في أواخر تشرين الثاني ١٩٧١ تحت ضغط الصليب الاحمر الدولي . وكذلك كتب الكثير عن حصار المخيمات وتجويعها وابعاد الشباب الى الاردن وقد استخدم هذا الاسلوب مع مطلع هذه السنة مع مخيمات البريج ، والنصيرات ، والمغازي . اما بالنسبة لابعاد الشباب الى شرقي الاردن فقد ارتفع العدد الى معدل ٢٥ شابا شهريا . ويصاحب الاجراءات آنفة الذكر نشاط متزايد لدوريات جيش العدو خاصة بين اشجار البرتقال للبحث عن رجال المقاومة ، وعندما يشتبه باحدى البيارات فانه يمكث فيها مدة تتراوح بين ٣ — ٦ أيام .

ويحاول العدو الان الاستيلاء على اراض عربية جديدة من المواطنين بحجة انه يريد ان ينشيء عليها مستوطنات ومستعمرات ومن هذه الاراضي على سبيل المثال : ان العدو أمر سكان منطقة حكر الجامع في دير البلح باخلاء مساكنهم في خلال مدة لا تتجاوز ٣ شهور ولكن السكان حتى الان يرفضون هذا ويصرون على عدم مغادرة منازلهم الا اذا هدمت فوق رؤوسهم . كذلك يحاول العدو الان الاستيلاء على الاراضي التي توجد بين خان يونس ورفح والتي تقع بين الاسفلتين وتبلغ مساحة هذه الاراضي عشرة آلاف دونم . وقد اجبر العدو السكان الذين يسكنون بالقرب من احراش خان يونس علىتركها لانه يريد الاستيلاء عليها وهذه الاراضي تمتد من احراش خان يونس متجهة شمالا حتى جنوب دير البلح على شط البحر . ويفكر العدو الان في الاستيلاء على مناطق الشيخ عجلين بالقرب من غزة وذلك لاقامة مستعمرة هناك . وقد قامت سلطات العدو بابلاغ السكان الذين يسكنون جنوب الاسفلت الذي يتجه غربا من عند المحطة الى دير البلح باخلاء منازلهم واراضيهم لانه يريد ان ينشيء مصانع في هذه الاراضي ، وقد رفض السكان حتى الان الامتثال لهذه الاوامر ولكن العدو مصمم على ذلك وتوجه الاناحتجاجات من المواطنين في القطاع على هذه المعاملة السيئة . وقام العدو بترحيل السكان الذين يسكنون من رفح حتى القنطرة جنوبا وهؤلاء يسكنون شرقي الاسفلت وقد بدأ بترحيلهم ابتداء من ٧٢/١/١٥ وأمرهم بالسكنى في مناطق محددة لهم على شط البحر . وقام العدو بترحيل الكثير من العائلات دون ان يوافق لها بأن تحمل معها ارزاقها من حبوب وامتعة . ولم يكشف العدو عن سبب ترحيل هذه العائلات ولكن هناك دلائل تشير الى ان العدو سوف يجعل من هذه المناطق أماكن عسكرية . وقد أنشأ طريقا على شط البحر يبدأ من بيت حانون ويتجه نحو الجنوب حتى وصل الان الى شمال معسكر دير البلح ، وقد ابلغت السلطات الاسرائيلية حوالي مائة وسبعين عائلة باخلاء منازلها لان الطريق سوف تتجه جنوبا . وتقع هذه المنازل في وسط الطريق التي يراد شقها . ويعتقد بأن العدو سوف يبدأ العمل في ترحيل معظم سكان المعسكرات كما فعل في معسكر جباليا الذي اصبح بمعظمه الان شوارع وساحات .

ويحاول العدو باستمرار الضغط على سكان المعسكرات وتقييد حرياتهم وذلك بالقيام بدوريات كثيرة خلال النهار والليل في هذه المعسكرات والقاء القبض على الشباب ووضعهم في السجون لمدة حوالي ١٥ يوما وتعذيبهم خلال هذه الفترة .

ان تدهور الاوضاع في قطاع غزة على هذه الصورة هو الثمن الذي يدفعه هذا القطاع الباسل نتيجة هدوء جبهات القتال العربية ، وعدم تحرك الضفة الغربية ، والضربة التي وجهها الحكم الهاشمي للثورة الفلسطينية في الاردن . وحدث ، ويحدث كل ذلك تحت مظلة مشاريع التسويات الاستسلامية واشتداد التآمر الدولي على القضية الفلسطينية.

شهادات من معركة الكرامة

اعداد المقاتل هادي ابو أسوان

ان الكثير قد كتب خلال السنوات الماضية عن الكرامة ــ منها ما اثبت ــ بالدليل ــ خطأ وقوع العصابات بفخ الدفاع عن موقع ثابت ومنها خطأ محاولة احتلال جيش مهما كان متقدما ، مدينة معبأة ضده ــ كتابات الجانب الاخر ــ منها ما يجب على المقاتل الفدائي من واجبات لا بد من الاهتمام بها ومنها كيف علـى المقاتل أن يتصرف ومنها أخطاء المقاتلين ومنها أخطاء المنظمات الخ ... الا انه في الصفحات التالية لا نجد نصيحة او نقدا بل فقط شهادات . ولم يكن في الحقيقة هدف هذه الشهادات اثبات الجانب الاحداثي العسكري رغم ان الشهادات اختيرت بشكل يبدو معه وكانها تغطية لكافة الجوانب الاحداثية من المعركة . فقد اختير مقاتل من غور فيفا من الجنوب ومقاتل من داخل بلدة الكرامة وآخر تقع قاعدته بين النهر والبلدة او بالاصح قائد المجموعة المتقدمة الاولى بالاضافة لشهادة ضابط كبير في الجيش الاردني ، كطرف بشكل ما في المعركة . ورغم ان كل الشهادات اختيرت بهذا الشكل الا انه في التحليل النهائي فان الهدف هو تغطية الوضع النفسي لمجموعات مقاتلة هي كل الناس . ففي الشهادة الاولى التي أدلى بها ابو العز كان الهدف اثبات الوضع النفسي لمجموعات كان متوقعا ان تكون بعيدة عن المواجهة ثم وجدت نفسها فجأة في البؤرة . وفي الشهادة الثانية التي ادلى بها عبدالاله يتضح الوضع النفسي والعلاقات الداخلية بين مجموعة متفق على انها من الممكن ان لا تكون غير متراس للبلدة المحكومة سلفا بالدمار . اما الشهادة الثالثة ، فهي الكرامة من الداخل ببساطتها وبساطة تجربتها ومصيرها ، فصاحب الشهادة ما زال في القوات . الا ان الاهتمام بالشهادة الرابعة هو كونهـا تعطي وبالدقة صورة الوضع النفسي والعلاقات الداخلية في صفوف جيش عربي موضوع بالطبيعة خارج صفوف الثورة ــ كمؤسسة ــ وكيفية ممارسة افراد في الجيش وفهمهم للقضية وعطائهم لها حسب الظروف العامة المحيطة بهم . الا انه في كل الحالات لم يكن هناك اي اهتمام ولا بأي شكل من الاشكال تحضير بحث اكاديمي سواء عسكريا او تاريخيا عن معركة الكرامة . بل المهمة الاولى التي اعتبرها واجبا وادعو كل المهتمين بالقضية لوضعها في نفس الموضع هي اثبات التراث وتدوينه وليس هذا للتاريخ وحده بل بالضبط لاقامة علاقات حقيقية ، غير تجريدية ، بالثورة . ليست المهمة ان يفهم المواطن الثورة وعدالة القضية بل ان ينتمي اليها ، وذلك بان يحس صداقة حقيقية متينة بالمقاتل ويعرف كيف يفكر وكيف يتصرف وكيف يخطىء ويعالج خطاه وكيف يعيش وكيف يصبح بطلا بعد استشهاده . فتراث الثورات ليس ما يكتب عنها بل مـا يكتب فيها من خلال المعايشة والمشاركة والفعل . ان فقر مسالة الثورة في الوطن العربي لا ينبع من الافتقار للمناطقة ، بل لان هؤلاء المناطقة لا يعيشون ما يقولونه واذا ما اراد ــ أحد ــ للثورة ان تغتني فلا بد له من اغنائها بتجربته . وحيث ان رصد التجربة وتدوينها مفقود ، فان كل النظريات والاجتهادات صحيحة ... وخاطئة . ومن هنا جاء التمزق العميق والمضحك في صفوف الثوريين وهذا ما لا وجود له في صفوف الثوار ــ

المقاتلين . ففي الوقت الذي تتبادل الجبهات في المدن والجرائد الاتهامات يتبادل المقاتلون ارزاقهم واعتدتهم وخبراتهم ، ودون الرجوع لاحد ، ذلك انهم — المقاتلين — يدركون وعلى الطبيعة ان الطلقات الصهيونية لا تميز بين اشكال صفحات وحروف النشرات والمجلات والجرائد ، ولذا فانها تخترقهم سوية وبدون اي تمييز ، ان سمحوا لها . فمن اجل ان يحس المواطن العربي بانه فقد صديقا حميما اذا ما علم باستشهاد مقاتل، ومن اجل تكريس تراث ثوري حقيقي ، نقي وصادق ودقيق ، ومن اجل ان تنتصر قضية العروبة ، من اجل كل هذا ، نقدم هذه الشهادات الحية .

هادي ابو اسوان

(١)
شهادة ابو العز آمر القطاع الجنوبي

السؤال هو : كيف كان الوضع النفسي للمقاتل قبل ورود خبر توقع الهجوم على الكرامة ؟ وكيف اصبح هذا الوضع النفسي بعد وصول الخبر ؟ ما نريد ان نعرفه هو كيف كان الوضع مع توقع هجوم شامل لاسرائيل التي « تملك الجيش الذي لا يقهر » الخ... ؟ باعتبارك مقاتلا عشت تلك الفترة ، ومارست العمل ، أرجو تسجيل كل التفاصيل .

في تلك الفترة كنت آمر القطاع الجنوبي . بعد ان وصلتنا المعلومات عن احتمال هجوم على الكرامة، اذكر اننا عقدنا اجتماعا نوقشت فيه تقريبا كل الاحتمالات التي يمكن ان تواجهنا في حال الاعتداء. وقد حصل الاجتماع المذكور قبل المعركة بيوم حيث كنت موجودا . وكانت قواتنا في قطاع جنوب الاردن عبارة عن قاعدتين ، قاعدة في وادي فدان ، كان عدد مقاتليها حوالي الثلاثين ، وقاعدة اخرى في منطقة غور فينا ، في غور الصافي ، وعدد أعضائها حوالي خمسة وثلاثين مقاتلا . كما كان لنا بعض القوات في الكرامة واعداد اخرى في الشونة .

هل كنت متوجها للاجتماع في الكرامة ام انها مجرد زيارة ؟

كنت مدعوا للاجتماع في الكرامة . طبعا كان العمل لا يزال سريا وهكذا تنقلاتنا . في ذلك الاجتماع طرحت كافة الاحتمالات : كانت وجهة النظر الاولى تقول بأن عددنا ما زال قليلا وخوض معركة مواجهة في عدوان من هذا النوع معناه احتمال القضاء علينا ، خاصة واننا ، كمقاتلي عصابات ، غير مضطرين للمواجهة . اما الفكرة الثانية فهي التي شدد عليها الاخ ابو عمار ونحواها ان الجندي العربي بعد هزيمة حزيران ٦٧ فقد ثقته بنفسه كما فقدها المواطن العربي ايضا ، وضمن هذه الصورة لا بد من الصمود لتحطيم الفكرة السائدة عن جبروت الجندي الاسرائيلي وكفاءته ، ولا بد لتحقيق هذا الهدف من المواجهة ، لا بد من جعل الكرامة « ملحمة بطولية » كما قال الاخ ابو عمار . انما كان السؤال الملح كيف نفعل ذلك ؟ فنحن باعتبارنا أنفسنا طليعة العالم العربي او بؤرة ثورية فيه ، كنا نسعى الى تحقيق أثر معنوي اكثر من شيء مادي . فاذا أردنا مواجهة تقدم الاعداء سنصاب بخسارة مادية ، خاصة اننا لم نكن نتجاوز في تلك الفترة ثلاثمائة فدائي معظمهم كوادر وطلائع ، استشهد اكثر من نصفهم في المعركة . وبعد التداول، تقرر الصمود والمواجهة لتحقيق الهدف وهو تمزيق صورة الجندي الاسرائيلي الذي لا يقهر .

هل طرحت فكرة الانسحاب دون الاشتباك مع الاسرائيليين ؟

عادة في الاجتماعات تطرح كافة وجهات النظر ، والواقع ان فكرة الانسحاب دون اشتباك والضرب من الخلف فقط ، طرحت وهي تنسجم مع منطق حرب العصابات ، لكننا تجاوزنا استراتيجيتنا وخضناها معركة مواجهة لتحقيق الهدف الذي ذكرته ، مع توقع حدوث خسائر والتي ستكون عزيزة علينا فعلا . وكان من المفروض ان اعود الى المنطقة بسبب توقع الهجوم خلال يوم او يومين ، لان الحشود كانت واضحة لوحدات الاستطلاع ، وكانت المعلومات تردنا من الداخل وتصل لكافة المقاتلين. وتم توزيع القوات في الكرامة بشكل مجموعات وفي المزارع المحيطة بها ايضا كما تم توزيع مجموعات ألغام ومضادة للدروع ، على

الرغم من قلتها . كما اذكر انه كان لدينا مدفع دوشكا واحد موجود في تلة فوق الكرامة ، ولم اكن اعرف هذا السلاح يومها ، وكنت اعتقد انه — الدوشكا — يتمكن من حماية المنطقة كلها ! واذكر انهم احتاروا اين يكون مكانه ، البعض يريده في الجبل ، والبعض الاخر في الكرامة، اخيرا وضع المدفع قرب نخلة تحت الطريق في المزارع بين المدينة والنهر .

وصلت في الساعة الثالثة صباحا الى منطقة فيفا في الجنوب . واخبرتهم باحتمال الهجوم علـى الكرامة ، وزيادة في الحيطة ، شددت الحراسة. في الساعة الخامسة صباحا اخبر الحرس آمـر القاعدة واسمه ابو السعيد ان صوت آليات تتقدم نحونا وفعلا كان ذلك . حلقت طائرة استطلاع فوقنا ، فانتشرنا ، كل منا في ناحية ، وأرسلنا مقاتلا الى تلة قريبة لرصد تحركات العدو ، فجاء يؤكد لنا تقدم الدبابات باتجاهنا في الجنوب . ولم نكن سحبنا قواتنا من الجنوب للكرامة وذلك لاحتمال العدوان على الجنوب من جهة ، ولصعوبة التحرك والتنقلات من جهة اخرى ، فلا بد ان نذكر دائما ان السلطات الاردنية كانت تحاربنا ، وانتقالنا كان تهريبا وسيرا على الاقدام . اما في الكرامة ذاتها فقد كنا بين الناس ، وكانت الجماهير تغطيتـــا لنتحرك .

هذا هو السؤال، لم تكن معركة الكرامة قد حصلت بعد ، ولم يكن التيار المؤيد للعمل الفدائي في قوته المعروفة بعد الكرامة ، فكيف كان موقف الناس ، المواطنين العاديين من سكان القرى ؟ هل شكلوا نوعا من الحماية ؟ وكيف ؟

طبعا ، لم نكن نشعر بالحماية الا بوجود المواطنين حولنا . لم نكن نظهر الا داخل المخيم . مثلا ، جاءت قوات البادية عـــدة مرات ، في محاولات لتطويقنا في المنطقة . من كان يحمينا ؟ من كان يخرج في تظاهرات ؟ المدارس والطلبة والبنات لقد كنا موجودين بينهم في المخيم وفي المزارع .

ما هو موقف الفلاح من اصل اردني ؟ كيف كان يتصرف ؟

كان الجميع يقفون موقفا واحدا ، التعاطف مع الفدائيين . حتى الجنود كان لهم نفس الموقف ، لكنهم عند صدور الاوامر لهم بتطويقنا او شيء من هذا القبيل ، كان لا بد لهم من تنفيذها . نعود الى المعركة . عبرت الدبابات الاسرائيلية من منطقة وادي قدان ، حيث كان الاخ نعيم ومجموعته ، على بعد ٣٥ كلم للجنوب ، من منطقة اسمها عين الحصن عند مستعمرة ياحيف والمغيرة مع حصول تقدم فرعي في منطقة تاعوت هاتيكار او عين العروس بالعربية . لم يكن هناك قوات اردنية في المنطقة ، كان للجيش الاردني دورية اسمها الحجاب ، وهي عبارة عن مجنزرة ، لم تكن موجودة في ذلك الحين. كل ما وجد كان مخفر الفحل — بناية عادية فيها اثنا عشر جندي — نسفت طائرة هليوكوبتر معادية المركز في اول المعركة ، وهرب جنوده . لم يكن هناك شيء اسمه مقاومة اردنية بالتحديد .

عندما وصلت الدبابات ، كان لدينا السلاح الفردي وثلاثة الغام متوسطة مع مدفع هـــاون ٨١ دون منصب ، سبق لي وأحضرته من الجيش العراقي وذخيرته عشر قذائف فقط ، ولم يكن المدفع غريبا عنا ، فقد سبق لنا استعماله في عملية ضرب معمل البوتاس قرب البحر الميت . لم يكن في المنطقة ممر اجباري لنضع الالغام المضادة للدبابات فيه ، فوادي عربة منطقة مفتوحة ، لم نعلم ما نفعل بها، لذلك وضعناها حول القاعدة وتركناها ونزلنا من الجبال الى السفوح ، حيث انقسمنا الى ثلاث مجموعات ، عشرة لكل مجموعة . عندما وصلت طائرات الهليوكوبتر ، لم نكن قـــد ابتعدنا عـــن القاعدة اكثر من خمسمائة متر ، فبقينا مختفين . كانت الدبابات فوقنا ، ولم نكن نراها بوضوح بسبب النباتات انما كانت اصواتها واضحة ، ولم يمكن تحديد البعد. اما طائرات الهليوكوبتر وعددها ثمانية فكانت في حركة مستمرة في الجو . زرعنـــا الالغام ، وبدأنا القذف بمدفع الهاون ، وسرعان ما نفذت الذخيرة ، فخبأنا المدفع .

هل كان هناك اصابات مباشرة ؟

كان المدفع بلا منصب ، ولا استطيع الجزم بتحقيق اصابات .

هل اكتفى العدو بتقدم الآليات ام تقدم الجنود ايضا ؟

بالاضافة للآليات ، كان المظليون الذين هبطوا من طائرات الهليوكوبتر يتقدمون ايضا . كنا ثلاثين وكانت القوة المهاجمة لواء مدرعا بالاضافة للجنود في طائرات الهليوكوبتر وناقلات الجنود . بدأنا الضرب بمدفع الهاون ، فكشف العدو مواقعنا ، وانزل مظليين خلفنا في الجبال . طبعا لم نكن نلاحظ ذلك . فالطائرات كثيرة في الجو ، وعندما تهبط

احداها نعتقد انها ذهبت وراء الجبل ، فاذا عادت للظهور اعتقدنا عودتها من هناك . كانت الدبابات تتجه من الجنوب للشمال صوبنا ، والطائرات تنزل المظليين فوقنا ، وهكذا وجدنا انفسنا مطوقين .
ولما كنا توزعنا لثلاث فرق ، فقد انضم الى فريقنا آخران من المواطنين في الجنوب ، حضرا على الجمال ، يحملان بنادق انكليزية ، وأخبرانا عن تقدم الدبابات ، ثم شاركا في المعركة .
بعد التطويق ، صارت الطائرات تنخفض على الارض ، تخرج عند بابها مدفع رشاش ٥٠٠ نراه بشكل واضح ، وتطلق النار علينا ، وكلما توقفت عن الاطلاق ، نحاول التصدي لها . طبعا سلاحنا كان رشاشات « كلاشينكوف » . قدرنا اننا سنتورط بهذا الشكل اذا استمر الوضع على هذا النحو . الطائرات تنزل المظليين خلفنا على سلسلة الجبال، والدبابات أمامنا ، والهليوكوبتر تحوم فوقنا ، رأينا ان لا بد من الصعود قليلا الى الجبال مع علمنا بوجود المظليين .
دارت المعركة على هذا النحو ، لم أكن أعلم شيئا عن الاخرين . فقد غاب عدد منهم ولم اعرف استشهدوا أم لا . في الساعة الرابعة بعد الظهر بقي منا اربعة فقط ، اما الباقون فقد استشهدوا بمن فيهم البدويان . اذكر اننا كنا نصعد من وادي مهاجرين الى جبل في طرفه ، شاهدت طائرة هليوكوبتر ، انزلت جنودا مظليين وقد قبضوا على أحد رفاقنا واسمه ابو نضال وعلى اخر هو واحد من البدويين ، أخذ الاسرائيليون أبا نضال معهم وأطلقوا النار على الاخر فأردوه قتيلا.شكلنا عندها مجموعة اقتحام لمهاجمتهم ، لكن الطائرة حلقت بعيدا. لا أذكر كافة تفاصيل المعركة ، لكننا دخلناها اثنا عشر شخصا في الخامسة صباحا وخرجنا في الرابعة بعد الظهر أربعة اشخاص فقط . وتأكد استشهاد الباقين في اليوم التالي . وانتهت المعركة هكذا . فمثلا رأيت المظليين يهبطون من الطائرة ، ينصبون مدفعي هاون ٦٠ ملم ، ثم ضربوا قذائفهم وتحلقوا بدائرة حول الهليوكوبتر واخذوا يطلقون العيارات من رشاشاتهم دون هدف ، اخيرا عادوا للطائرة ورحلوا . لم يكونوا يتنقلون ولم يحددوا اهدافهم ، بل اطلاق النار كان في جميع الاتجاهات.

السؤال يشمل ثلاث نواح : الوضع النفسي للمقاتلين قبل المعركة عندما ابلغتموهم نية اسرائيل بالتقدم ؟ والوضع اثناء القتال ؟ ثم الاربعة الذين بقوا بعد المعركة ؟ مثلا باعتقادي أن الحماس كان عارما قبل المعركة ، لكن الخوف جاء عندما بدت الدبابات وكثافة الهجوم . هل حصل نوع من الرعب ؟

قضية الخوف قبل المعركة أمر طبيعي جدا حتى للمقاتلين . لكن عندما تبدأ ، ويستعر القتال فلا أحد يشعر بأي شيء حوله ، حتى أنه ينسى نفسه. بعدما هدأت المعركة ليلا ، جلست أتفقد نفسي ، فوجدت أنني مصاب بكدمات وضربات منهكة ، لم أشعرها في وقتها بسبب الانشغال بالقتال . أما الخوف فقد انتهى ، لا يعود المرء يشعر به ... قبل المعركة كل منا يخالجه نوع من هذا الشعور ، انما بعد ذلك سرعان ما يزول عند اطلاق النار .
اما بالنسبة للاربعة الناجين بعد المعركة ، فقد كان الحزن هو الواضح على المفقودين ، مع تخوف من تكرار الهجوم ، وخشية على بقية القطاعات . هذه أول مرة نهاجم بها بعملية اقتحام ونخوضها معركة دفاعية . لم يكن لدينا من قبل اي نوع من الحذر او الحيطة . مثلا طالما كنت احذر احد الرفاق المقاتلين من التدخين ، وكان رده « لليهود حدودهم ، عندما أدخلها سأكون حذرا . أما هنا فلن يأتوا » — وذلك بسبب عدم تصوره دخول اليهود بمعركة محدودة — بعد المعركة اصبح اكثر حرصا وحذرا ، وكانت هذه أولى الملاحظات التي استفدناها وهي زيادة الحرص والحذر لدى المقاتلين .

ما هو انطباعكم عن انفسكم وعن الجيش الاسرائيلي وعن الفدائيين وامكانياتهم ؟

لقد هاجمنا الاسرائيليون بعد الكرامة بعدة ايام في وادي ضانه ، كانوا حوالي ١٣ هليوكوبتر وكنا سبعة مقاتلين ، استشهد منا اثنان . اذكر ان أعصاب الجندي الاسرائيلي عادة تكون مفقودة في القتال . فهو يدفع من الطائرة دفعا ، ثم طريقته في اطلاق النار عشوائيا ، حتى يفرغ الذخيرة دون ان يتحرك من مكانه ويعود للطائرة . لا يعني هذا استخفافا بالجندي الاسرائيلي ، بل هذا واقع وضح سببه هو فكرة الجندي الاسرائيلي ان الفدائي غير متدرب ، سيهرب بمجرد اطلاق النار عليه ، لذلك فقد كان الجندي الاسرائيلي يطلق دون حراك على اساس ان يتراجع الفدائي. هذه الفكرة صرح بها الجنود انفسهم وصرحوا كذلك ان صورة الفدائي غامضة لديهم نظرا لاختلافه عن الجندي العربي الكلاسيكي .

ما هو الارتباط بين هذه المعركة ومعركة الكرامة ،

اقصد من ناحية تقديراتك العسكرية ؟

كان واضحا من هجومهم على شعبتين ان هدفهم هو القضاء على المقاومة الفلسطينية ، يؤكد ذلك ما قيل على لسان زعمائهم موشي ديان واشكول وغيرهم ، ان بامكانهم سحق « المخربين » متى شاؤوا سواء داخل أو خارج الارض المحتلة . فشلوا في ذلك ، وكما قال أحدهم في الكنيست الاسرائيلي بعدها : من اراد دخول عش الدبابير، عليه تحمل لدغها . بل أصيبوا بخسائر لم تكن بحسبانهم .

وعن انعكاسات المعركة . فقد سارت التظاهرات التأييدية في اليوم التالي والثالث في عمان ومدن الاردن الاخرى ، وتدفقت الجماهير تريد الانضمام للعمل الفدائي في الكرامة ، وقد قصفت اسرائيل معسكر الكرامة بمدفعية الهاون ، ولم يكن للناس خبرة في القتال فحاولنا تخبئتهم في الملاجيء لحمايتهم. لقد أعقب المعركة انفتاح كبير للجماهير على العمل الفدائي ، مما اسبغ عليه طابع الشرعية التي لم تمنحنا اياها السلطات الاردنية او الملك حسين ، بل أخذناها بعدما برهنا ان الجندي الاسرائيلي يمكن قهره . فالمواطن ادرك بطولة الفدائي بامكانياته البسيطة على دحر العدو الصهيوني ، ومن ثم بدأ اعتماد هذا الاسلوب كبديل للجيوش او الحروب الكلاسيكية . ويمكن اخيرا اعتبارها مرحلة جديدة للعمل في الاردن .

هل أحس المقاتلون ببعض الاستعلاء ، عندما رأوا الناس تاتيهم بهذا الشكل ؟

ليس هناك استعلاء او اي شيء من هذا القبيل. كان الجميع واعين للدور الذي يقومون به ، لان قرار التصدي اتخذ بناء على رغبة المقاتلين والكوادر . وهذه النتيجة كما سبق وقلت كانت متوقعة . لم يكن الجنود الاسرائيليون يحسبون ان احدا سيجابههم ، فلما حصل الامر ، ارتبكوا وفقدوا خسائر كثيرة باعترافهم ، كنا نرى المستشفيات النقالة والات ومواد الطبابة والجرحى وأشلاء قتلاهم ... نعم لقد تغيرت صورة الجندي الاسرائيلي في ذهن المقاتل ، الذي لم يفاجأ بالنتيجة، ولذلك لم يستعل او يتكبر ، لان الوعي ومعرفة الامور تجعل المرء مقدرا للنتائج ، حاسبا لها ، وعليه فانه يبني تصرفاته وفقا لمعارفه .

عدت الى القاعدة في جنوب الاردن ، وعاد الجميع الى اعمالهم . وقد برزت لنا مشكلة جديدة هي التدريب . كانت الحيرة بين قبولنا او رفضنا . علمتني الخبرة ان قيادة قاعدة أمر ممكن مع التدريب والخبرة ، لكن الانتقال مباشرة لقيادة سرية فأمر بحاجة لجهود كبيرة وخبرات واسعة ، في نفس الوقت هناك اعداد غفيرة تتطوع ، راغبة في الانضمام والمشاركة ، لا يمكن رفضها . واذا قبلنا، فليس لدينا الامكانيات للتجهيز والتدريب .

هل اجتمع الاشخاص ، الذين كانوا في الاجتماع قبل الكرامة ، بعد المعركة ؟ ومن كان حاضرا ؟

لم نعد نستطيع بعد ذلك الاجتماع ببعض بشكل متكامل ، واذكر من الذين حضروا : الاخ أبو عمار، ابو اياد ، أبو اللطف ، أبو صالح ، أبو صبري والحاج اسماعيل ، الشهيد ابو الشريف ،الشهيد أبو أمية . لكننا لم نعقد اجتماعا مثل ذي قبل بسبب الانتقال الفجائي والتوسع في مهام العمل .

هل كان هناك غير فلسطينيين مع القوات في الكرامة ؟

الكل عرب .

السؤال محدد هل تذكر مشاركة غير فلسطينيين في معركة الكرامة ؟

لا أذكر بدقة .

ماذا عن الناحية الثقافية والاجتماعية للمقاتلين عندك في الجنوب ؟

كان هناك حوالي ١٥ جامعيا ضمن ٦٠ مقاتلا في الجنوب أما الباقون فاختلفوا من ثانوي أو اعدادي . اما عن التوزيع المهني فمنهم العمال والمزارعون واصحاب المهن الاخرى ، وللحق كان منهم الاغنياء والفقراء من مختلف الطبقات .

(٢)
شهادة عبد الاله الاثير قائد القاعدة المتقدمة الاولى بين الكرامة والنهر

كنا نركز دائما على مبدأ استراتيجي في حرب العصابات هو مبدأ التراجع عند تقدم العدو القوي. اذا لماذا لم نتراجع في الكرامة، مع سبق ورود معلومات عن قرب قيام العدو بهجوم مركز على المنطقة او عملية احتلال لها. هنا لا بد من العودة الى ما قبل المعركة بعدة اشهر، وتقييم كافة الاوضاع في تلك الفترة.

لقد ركزت الثورة على منطقة الكرامة للاسباب التالية: ١ — وجود تجمع فلسطيني كبير في تلك المنطقة. ٢ — قرب المنطقة من حدود الارض المحتلة. ٣ — وضع المنطقة الاستراتيجي لوجود سلسلة جبال محاذية للكرامة. ٤ — سهولة العمل في الداخل انطلاقا منها.

وأضرب مثالا لذلك، ففي شهر كانون الاول عام ١٩٦٧ كان عدد الدوريات العاملة من المنطقة للداخل دوريتين او ثلاثا، بينما اصبح العدد في مطلع عام ٦٨ اكثر من عشر دوريات يوميا بدأت تجهد العدو.

لا بد من الوقوف امام موضوع النظام الاردني ومحاولاته المتكررة لضرب الثورة. لقد حاول النظام اكثر من مرة اخراج الثورة من الكرامة، ومنع الثوار من دخول الارض المحتلة، كان افراد الجيش والضباط الصغار يؤازرون الفدائيين بافتعال اشتباكات مع العدو في مناطق معينة، يصرفون بها انتباهه عن دورياتنا، التي تدخل من مناطق اخرى. وقد فشلت السلطة الاردنية في الضغط على عناصر الجيش الشريفة بعدم مساعدتنا، فعمدت الى المجابهة العسكرية، واذكر في شهر شباط ١٩٦٨ حضر بعض الضباط الاردنيين، وأبلغونا أن علينا مغادرة منطقة الكرامة والا فانهم سيضربوننا بقوة، وحاولنا صرفهم عن عزمهم سياسيا، الا انهم كانوا صلبين في موقفهم، فبدأنا الاستعداد للمواجهة المحتملة. بعد يومين وصلتنا معلومات مفادها ان الجيش الاردني وقوات البادية، ستقوم باحتلال مراكزنا بالقوة، وان عددا كبيرا من الدبابات وسيارات ناقلة للمشاة مجهزة بالمدافع متجهة لضربنا. لم نكن وقتها قادرين على صدهم عسكريا، لا بد من الاعتراف بذلك، لكننا أتممنا استعداداتنا للمواجهة، بأسلحة خفيفة وقوات قليلة. بدأت القوات الاردنية تحركها في السادسة صباحا، فلما علم الشعب بالامر، خرجت جموعه في مظاهرة هائلة، تضم اكثر من ١٥ ألف نسمة يحملون العصي وبنادق الصيد وغيرها، متوجهين نحو اول مركز تجمع للجيش، وهو مخفر الكرامة. توجهت مع اثنين من الاخوة للمخفر، قبل وصول التظاهرة، حيث قابلت رائدا اردنيا وطلبت منه سحب قواته، بعد ان استحلفته بربه وبعروبته، فكان رده: سترى أننا سنجعل من شوارع الكرامة انهارا من الدم. اثناء الحوار، بدأ صوت المتظاهرين القادمين يتضح، فأعطيته انذارا لمدة خمس دقائق للخروج من المخفر والا فاننا سنبدأ المعركة، عندها سمعته يأمر جنوده: انسحاب بسرعة.. انسحاب. بعد خروجهم من المخفر، تلقيت برقية لاسلكية من القاعدة المتقدمة — قاعدة أبو شريف — تفيد ان سبع آليات وسيارات مطاردة تتقدم بسرعة نحو المركز على بعد كيلو متر واحد منا. للوصول لهم، شارك أحد سكان الكرامة وهو يحمل بندقيته على كتفه، ويقود تراكتورا زراعيا بايصالي. كان المناضلون معبأين للقتال، كل منهم يحمل تنبلة ورشاشا وغيرها لمواجهة الدروع الثقيلة. على الفور ارسلت سائق التراكتور عائدا كي يوجه التظاهرة نحو المركز، كي تصد الجماهير ايضا هذا الهجوم.

كنت أتساءل ماذا نفعل؟ هل ندافع عن انفسنا أم ماذا؟ لماذا لا نبدأ نحن باطلاق النار. كان ابو عمار يوجه البرقيات المتوالية، يطالبنا ألا نبدأ باطلاق النار. وفعلا توجهت التظاهرة نحو المركز، وتراجعت الاليات، وهكذا استطعنا بعاملي الصمود وقوة الجماهير المؤمنة بالثورة، افشال هذه المحاولة دون اسالة نقطة دم. لقد انتصرت ارادة الجماهير على ارادة الحكم والمخابرات للمرة الاولى.

بعد فشلهم في شباط، ومع ازدياد الدوريات وارتفاع فعاليتها، بدأت المخططات الاسرائيلية الاردنية المشتركة محاولات اخرى. كان الهدف الذي رموه من هذه المحاولات هو ابعاد الجماهير عن الساحة، ففي تقديرهم ان ترحيل كامل سكان الكرامة من شأنه اضعاف المقاومة وتسهيل القضاء

عليها . وبدأ الجيش الاسرائيلي ، في منتصف شهر شباط (فبراير) قصف مدينة الكرامة مركزا على التجمعات السكانية . وصمدت الكرامة ، وصمد سكان الكرامة أمام هذا القصف الليلي الرهيب ، يوميا لمدة ساعتين او اكثر ، ولم يبادلهم الاردنيون القصف ، اللهم الا في حالات استثنائية ، يتحجج فيها ضباط الصف ، ان قصف العدو شملهم فاضطروا للرد عليه ، وكثيرا ما كانت قيادتهم تعاقبهم . لكن رغم ذلك ، لم يكتب النجاح لعملية ترحيل السكان ، فبدأ العدو في نيسان (ابريل) مرحلة جديدة ، هي القصف الجوي ، واستمر التركيز على التجمعات الآهلة ، ولا ريب ان معنويات السكان بدأت تتأثر بعد ذلك . على الفور صدر الامر ببناء الملاجيء للاهالي ، فشاركنا جميعا في حفرها مع السكان ، واصبح لكل بيت في الكرامة ملجأ ، لكن القصف الجوي استمر بشدة ونشط عملاء المخابرات الاردنية يبثون روح الانهزام بين الجماهير ، وفعلا كانت سيارات الجيش الاردني وشاحناته تنقل السكان مجانا من منطقة الكرامة ، فاذا بالمنطقة تكاد تكون خالية في منتصف الشهر ذاته .

توقعنا أن أمرا ما سيحدث ، وزاد توقعنا المعلومات التي بدأت تصلنا عن الحشود الاسرائيلية التي جمعت للهجوم على الكرامة . وكان مفاد المعلومات أن الهجوم سيقع في ٢٠ او ٢١ من اذار الحالي ، فعقد اجتماع لكافة المسؤولين العسكريين في المنطقة برئاسة الاخ ابو عمار ، كما حضره عدد من الموجهين السياسيين ، كنت من اوائل المعارضين للبقاء في الكرامة ، خاصة ان غالبية القواعد موجودة في منطقة سهلية مكشوفة لاي عملية قصف او هجوم ، وقد قلت بالحرف الواحد أن بقاءنا في ارض الكرامة بهذا الشكل خطأ عسكري . بعد نقاش طويل حول البقاء في الكرامة او ترك المنطقة واخلاء قواعدنا ليدخلها العدو بسهولة ويحتل الكرامة دون مقاومة وان مثل هذا الامر لو حصل سيكون مادة أساسية لاعداء الثورة ، يستغلونها لاظهار عجز الثورة ، واقناع الجماهير اننا سببنا تركهم منازلهم واراضيهم وفشلنا . اخيرا اتخذ القرار التاريخي الذي اقتنع به الجميع ووافقوا عليه : العمل على أرض الكرامة ومواجهة الهجوم . انطلق كل منا الى قاعدته ليبلغ هذا القرار الى المقاتلين ، الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر القرار القيادي الممثل لرأيهم . كان الجميع شاخصين نحوي ، ولم يستطع بعضهم الانتظار فتساءل هل سنصمد . أجبتهم : « نعم . ان الاخ ابو عمار يقول اننا يجب ان نجعل من الكرامة كرامة للعرب ومقبرة لجيش الاحتلال » .

هتف الجميع ، وصفقوا لسماعهم قرار الصمود ، وتوزعوا في كل ناحية ثم ما لبثوا ان عادوا بكامل اسلحتهم المتوفرة ومعداتهم البسيطة ، وقفوا بانتظام وخرج واحد منهم الى الامام ، ثم بدأوا يقسمون جماعيا بالله وبفلسطين ان يثبتوا ويقاتلوا حتى اخر نقطة من دمهم . بعدها عقدنا اجتماعا عاما ، عرضنا فيه صورة الوضع وكل الاحتمالات ، وانطلق كل مقاتل الى موقعه . (عدد أعضاء القاعدة ٨٠ والاسلحة المتوافرة رشاشات خفيفة وقنابل يدوية و ٦ مدافع آر.بي.جي ٢ ومدفع واحد آر.بي.جي ٧ مع مدفعي هاون ٨٢ ملم بالاضافة لصواريخ ٣،٥ بوصة مصنوعة محليا ومطورة على ضوء خبرات المقاتلين انفسهم) .

الساعات الحاسمة عادة ، في حال ترقب هجوم للعدو ، هي ساعات الفجر والصباح من الثالثة صباحا حتى السابعة ، وهذه هي الفترة التي كنا نتوقع فيها التحرك . لكن لم يحدث اي شيء في ذلك النهار ، فاستفدنا منه في تعزيز استعداداتنا ، وتحصين مواقعنا ، واجرينا اجتماعا اخر ليلة ٣/٢١ واتصلنا بالقيادة التي أكدت الثبات على نفس القرار وافادتنا ان توقع الهجوم سيكون في الرابعة صباحا .

٢١ اذار وبدء المعركة :

حالة الاستنفار تامة ، والجميع موزعون وفقا لمهماتهم ، وتوزعت المهام العسكرية كالتالي :
أ — مجموعة ألغام مهمتها الاشراف على تنفيذ تفجير الآليات والدروع العدوة بالالغام . ولدى هذه المجموعة نوعان من الالغام : الغام ضغط تعمل آليا نتيجة مرور الدروع فوقها والغام كهربائية تعمل بالاشراف الشخصي عليها . ب — مجموعة الصواريخ ومهمتها الضرب فورا بعد تفجر الالغام. جـ — مجموعة آر.بي.جي. لضرب الدروع . د — صف المقاتلين . هـ — مجموعة هاون مهمتها قصف المشاة عند دخولهم المنطقة .

رغم الاستنفار الطويل من الساعة الثالثة صباحا ولمدة تزيد على ٣٦ ساعة ، ورغم الارهاق ، لم يطلب أحد من المقاتلين استراحة او نوما او اشتكى من طول ساعات الانتظار . كنت اتفقد المجموعات كل ساعتين ، وكان الصمود والشجاعة والاستعداد

هي العلامات الواضحة عندهم . كنت اسمع تساؤلا « متى سياتون ! لقد تأخروا . نريد ان نعمل » . استمر الوضع هادئا حتى الخامسة والنصف صباحا ، حين بدأت مدفعية العدو ، تقصف بعنف وشدة مراكزنا . واتجهت انظارنا نحو النهر ، حيث رأينا جسور الميدان تنصب ، وقد كان باستطاعتنا ضربها لو توفرت لدينا المدافع الثقيلة ــ لقد نصبوا جسرين متحركين واستعملوا جسورا عادية اقامها الجيش الاردني سابقا ــ وبدات ارتال العدو وعددها تقريبا ٤٠٠ دبابة ومجنزرة وآلية في العبور والتقدم ، كما اتجهت ١٥ طائرة هليوكوبتر تحميها اسراب الطائرات المقاتلة الى شمال الكرامة وانزلت جنودا مظليين وركزت مدافع هاون في المرتفعات المحاذية لمدينة الكرامة .

بدأ تقدم الآليات نحو قاعدتنا بخط حرب نصفي ، وكانت قذائف العدو الصاروخية الكثيفة على القاعدة تغطي تقدم الآليات . خلف الآليات تجمعت أرتال الدروع نصف المجنزرة وحاملات الجنود ، حاولت مجموعة الهاون ضربها ، لكن سرعة تقدمها حال دون اصابتها بقذائف الهاون ، عندها أمرت هذه المجموعة بالضرب على الارتال المتجمعة خلف النهر . اخيرا وقعت مقدمة دبابات العدو في حقل الغام آلية مما عطل تقدمها ، لكنهم سرعان ما شقوا طريقا ضيقا وغير استراتيجي بواسطة كاسحة الغام . في خلال توقف الاليات كي يتم شق الطريق لها ، ركزت نيرانها المكثفة بعنف على مراكزنا وقواعدنا . هنا كانت الخطة بعد ارغام الاليات على التجمع ان نحكم الطوق حولها ونضرب . فعلا أمرت مجموعة الصواريخ ٣٢٥ ملم فأطلقت أربعة صواريخ أصاب اثنان منها الهدف واخطأ الاخران . في هذه الاثناء اشتد القصف الجوي على القاعدة ، لكنه عاد فتوقف بسبب اقتراب آليات العدو الشديد منا ، ٥٠ مترا من القاعدة . عندها فجرت مجموعة الالغام الكهربائية جميع ألغامها دفعة واحدة ، ومع ذلك استمرت دبابات العدو بالتقدم ، فتقدمت مجموعة آر.بي. جي. للعمل . قررنا وفقا للظروف التراجع للخلف حتى نصل الى بنايات المدينة ذاتها ، وبذلك نتمكن من القتال في الشوارع ، ومجابهة جنود العدو ، الذين سيحاولون تطهير المنطقة منا . بدأنا الزحف بين المزروعات. أذكر انني كنت معستة مقاتلين نزحف، حين شعرت بظمأ شديد ،وبالصدفة وجدنا نبتات بندورة فقطفت حبة منها ثم بدأت اطلق النار على جنود العدو . كما انني كنت قد اشعلت فتيلا ، في مخزن المتفجرات تحت أرض القاعدة ، آخذا في الحسبان الوقت الكافي لابتعادنا عن الخطر ووصول العدو لاحتلال القاعدة . فعلا انفجر المخزن بشكل هائل اعطب عدة آليات للعدو ، ودمر كل ما في القاعدة ، حتى لا يتمكن العدو من الاستفادة منه .

استطعنا الوصول الى المدينة ، وتحركنا بين بناياتها ، عندما جاءنا أمر بتنفيذ مهمة تدمير آليات في أحد الشوارع . كان لا بد من تحديد الاماكن المهمة المشرفة على العدو وهكذا صعدنا الى سطح دكان لتصليح دواليب السيارات ، حيث تراكمت كمية منها ، واختبأنا خلفها نراقب المكان ، فاذا بمقاتل معي يصرخ لقد وجدت الطريقة . هبط بسرعة واجتاز الشارع بواسطة عبارة فرعية ، وانتقل الى الناحية الاخرى ثم ما لبثت ان رأيته على سطح بناية مرتفعة نسبيا في اول الطريق . وباشارة معهودة ألقينا قنابلنا على المجنزرات وحصدنا برشاشاتنا اليدوية الجنود الفارين من الضرب ، وقد اعطبنا اربع آليات في دقائق .

بعد هذه المعركة ، نفذت ذخيرتي ، واشتد الاطلاق علي ، فقررت مغادرة المكان بحثا عن ذخيرة ،وهكذا تنقلت من منزل لاخر بسرعة . في الطريق صادفت احد الاخوان فزودني بمخزن واحد من الذخيرة . كنت قاصدا مكانا اعلم توفر بعض القنابل والذخيرة فيه . اثناء محاولتي القفز من احد الدور أصبت بشظية نتيجة انفجار قنبلة قريبة . كشفتني مجنزرة اسرائيلية أخذت تطلق النيران نحوي وبادلتها ذلك حتى فرغ مخزني . حاولت الهرب بعد استطلاع جانبي الطريق ، قافزا فوق احد اسوار المنازل ، لكي المجنزرة كانت سريعة ، وسمعت صوت الجندي الاسرائيلي يقول بالعربية لا تتحرك . كانت تلك اكثر اللحظات حرجا في حياتي . لقد اعتقلت وكان أول المراكز التي أخذت لها هو مركز البحر الميت ، للجيش الاردني سابقا ، ثم الى المعسكر الحربي في الصرفند ، وهو مركز للتعذيب ، بعدها الى معتقل حربي اخر لا اعرف اسمه ولا موقعه . وقد تولت المخابرات العسكرية الاسرائيلية التحقيق معي في تلك الفترة ، وجل تركيزها على الامور العسكرية . يريدون معلومات عن مراكز الفدائيين في الاغوار ، الاسلحة التي يتزودون بها، الاسماء، الاعداد ، المجموعات التي دخلت الارض المحتلة ،

التركيز على فترة ما قبل الكرامة وكيفية استعداداتنا . نقلت بعد ذلك الى سجن نابلس ، حيث استمر التحقيق ثمانية اشهر تقريبا . وفي ١٩٦٨/١١/٢٢ قدمت لمحكمة عسكرية ، قضت بسجني اربع سنوات مع الطرد من البلاد بتهمة الانتماء الى فتح . نقلت بعد ذلك الى سجن بيت ليد (كفاريونا) حيث مكثت ثلاثة اشهر ، أعدت بعدها الى سجن نابلس ، بسبب نشوب اضطرابات في سجن بيت ليد ، مكثت هناك ثمانية اشهر . نقلت في اوائل ١٩٧٠ الى سجن جديد بناه العدو في منطقة بئر السبع ، لفترة تزيد على سنة ، تنقلت بعدها بين سجن الرملة وسجون صغيرة أخرى .

مع بداية سنة ١٩٧١ عدت الى سجن نابلس ثم نقلت بعد ١٤ يوما بسبب اضطرابات ضد ادارة السجن الى سجن رام الله حيث بقيت ٧ اشهر ، بلغت بعدها في نهاية شهر ت ١ (اكتوبر) انني سأطرد قبل انهاء مدة الحكم بأربعة اشهر . نقلت الى سجن نابلس ، حيث صدر الحكم وحيث يجب ان أبعد من هناك . وفي ٧٢/١٠/٢٨ تسلمني عند جسر اللنبي ثلاثة ضباط من الجيش الاردني ، وأودعوني في سجن السلط ، الذي غادرته بعد ٥ أيام بكفالة مقدارها ٣٠٠ دينار اردني وتعهد بعدم العمل في المنظمات الفدائية . بعد ايام غادرت الاردن الى سوريا ، وعدت الى صفوف الثورة .

(٣)
شهادة المقاتل ناصر جهاد

عندما دخلت الحركة في ١٩٦٨/١/١٥ كنت مجرد طالب صغير عمره ١٧ سنة ، ضائع يحاول الملائمة بين العمل وحياة الطلبة التي احببتها دائما ، الا انه في كل لا يحقق طموحه كانسان بلا ارض ، تدربت لمدة ١٥ يوما على المنوبال والبندقية الانجليزية والسيمونوف والكلاشنكوف وبعدها الحقت بالصحية (مستوصف سابقا) اذ كانت مركز تجمع حتى المعركة اذ كلفت قبلها بايام بالتعاون مع الاخرين لحفر الخنادق في كل مكان في الكرامة وعدد ساعات العمل في الحفر كانت في بعض الحالات يستمر ٢٠ ساعة ، وفي ليلة المعركةحوالي الساعة الثامنة جاءنا الاخ صلاح واخبرنا بان لدى الحركة معلومات موثوقة واكيدة بان العدو الصهيوني سيقوم بهجوم وربما اقتحام للمنطقة وطلب منا الانضباط التام والتشدد بالحراسات واليقظة التامة اثناءها . ولم ينم احد في تلك الليلة وقد حاولت كل اربعة عناصر او خمسة من الدورة الجديدة التي التحقت قبل الكرامة بايام ان تتعلم اي شيء عن السلاح ولو مجرد التهديف والتصويب، منا نحن الاقدم قليلا ، فلم يكن لدى اي مقاتل ان يتفرغ ولو لحظات لغيره .

وفي تلك الليلة ايضا كان العدو يسلط انوارا كشافة قوية نحو البلدة ونواحيها فطلبنا من العناصر الجديدة الدخول الى الخنادق اذا ما وجهت نحوهم الانوار الكشافة . واستمر السهر حتى الخامسة والربع فظهرت في الافق طائرة استطلاع ـاوستر ـ تحوم ثم وصلت خلف الكرامة ثم عادت وبعد دقائق بدأت المدفعية الثقيلة تقصف حوالي الكرامة من كل جانب ، وبالطبع توزعت العناصر كلها على خنادقها المحددة مسبقا ، وهي خنادق ينفذ بعضها على بعض وخلال هذا جاءنا رئيس الحرس في الصحية فوزع على المسلحين وكنت منهم ٤٠ اطلاقة شمايزر اضافة الى ٣٠ اطلاقة معي بالاصل . وبعدها اخذت دائرة القصف تضيق على

البلدة نفسها ثم بعدها سمعنا اصوات الدبابات آتية من شرق الكرامة عن طريق محور الشونة الجنوبية — الكرامة وكذلك جاءت اصوات الدبابات من غربيها عن طريق الجسور وفي هذه الفترة انتبهت الى اصوات انفجارات يبدو انها نتيجة قصف الجيش الاردني للقطعات المتقدمة او شيئا كهذا لاننا في داخل البلدة ولا نرى ما يحدث خارجها. توزعت العناصر الموجودة في الصحية داخل الازقة فدخلت الحسبة اذ هي تقع في انفراج من الارض فهي تقع على الشارع الرئيسي وعلى جانبها شارع فرعي واسع . وكنت مذهولا الا ان الذي كان يخيفني بالضبط هو ما كنت اسمعه من بعض المقاتلين عن نوعية الشمايزر الذي يمكن جدا ان يتعطل ، وقد ارعبني الطيران لكثافته واعتقد اني — انذاك — كنت ما ازال متأثرا بتجربتي الذاتية مع الطيران في نابلس ، اذ كنت ممن تسلم بندقية انجليزية وعشرين اطلاقة كان ذلك اثناء عدوان حزيران وتجمعنا جميعا، المسلحون من ابناء نابلس في حرشها وباليوم الثالث للعدوان حومت فوقنا بعض طائرات الهليوكوبتر الاسرائيلية المطورة كما اعتقد اذ كانت تضربنا بالقنابل والرشاشات الثقيلة وعندما انتهت العشرين اطلاقة — الملكية — انسحبت مع من انسحب من الحرش الى المدينة وفي الطريق استشهد ثلاثة منا نتيجة ضربهم بالرشاشات التي تحملها الهليوكوبتر .

وبعد ساعة لوجودي في الحسبة او نحو ذلك مرت في الشارع الرئيسي مجنزرتان وامامهما سيارة لاندروفر وفوقهم طائرة هليوكوبتر تواكبهم فبقيت محلي هادئا وبعد دقائق مرت مجنزرتان اخريتان في الشارع الفرعي الذي اكمن فيه وكانتا تطلقان نيران رشاشاتهما في كل اتجاه وبعد حوالي ربع ساعة مرت دورية راجلة من حوالي ١٢ — ١٥ جنديا اسرائيليا فرشوا برشاشاتهم مقهى ابو خضر وطبعا يقع المقهى مقابل مكان كموني ، وبكل خوفي ورعبي كمقاتل غر لا تجربة له ولا خبرة صليت صلية طويلة واحدة فاخذ الجميع الارض ، لا ادري ان اصيب بعضهم ام لا ولكن الذي ادريه ان نيراني كانت باتجاههم بالضبط ، فقد كانوا مكشوفين امامي وهم وقوف وبعد نهاية الصلية نفذت بكل ما املك من قوة الى داخل الحسبة ثم الى الباب الاخر الذي ينفذ على زقاق اخر يؤدي للمدرسة فولجت بيتا من البيوت — لاخذ نفسي — وبعد دقائق خرجت وعدت للتجول بدون هدف وجسمي كله ينتفض فوجدت نفسي امام المدرسة حيث شاهدت جنديين متجهين الى المدرسة ولا اعرف لماذا فافرغت رشاشتي حتى توقف الرشاش عن الاطلاق لنفاذ الذخيرة ، ماتوا جرحوا لا ادري وربما لم يصب احد فلم اكن متمالكا لاعصابي لاعرف نتيجة الرماية، الا انه لم يطلق ورائي اي رصاص بعد ان هربت متجها نحو الصحية وقبلها دخلت الى بيت ما ودفنت فيه سلاحي وخرجت بملابسي العادية التي نلبسها كلنا وهي ملابس مدنية بالطبع فقد كان ممنوعا ارتداء الملابس العسكرية انذاك .

وهناك في الصحية وجدت بعض عناصر الدورة الجديدة ومعهم الرائد يوسف وكان هو المسلح الوحيد بين جميع العناصر الجديدة التي لم تكن مسلحة بالاساس فحكيت له عن اهمية اتلاف ما في الصحية من اوراق اذ باعتبارها مركز تجمع فان فيها الكثير من الاوراق والاسماء ، فدخلنا واحرقناها ثم دفناها امام باب الصحية الخارجي وبعدها تركنا الرائد يوسف وبقينا جميعا دون سلاح بعد ان قال الرائد ردا على طلبي ذخيرة منه : (دبر حالك) لانني انا الاخر لا املك غير اطلاقات معدودة . فتركت انا الاخر دار الصحية نحو المزارع تحت الكرامة ولم امش الا حوالي ٥٠٠ متر حتى وجدت نفسي امام مجنزرتين فاطلقتا نارا باتجاهي ثم امروني بالوقوف حيث كنت قد وقفت اصلا . فنزل من احدى المجنزرتين جندي اعتقلني وكان يتكلم عربية ثقيلة ، فطلبت منه ايصالي لضابطه فانا طالب وهذه هويتي .

وفي هذه الاثناء وصلت احدى المجنزرتين الى جانبنا فقال اخر منهم بالعربية ايضا : لا نعرف طالب خذه . فأخذوني في المجنزرة التي مشيت حتى المدرسة اياها وادخلوني اليها فأمرني ضابط اخر ان اقف مع الاسرى الاخرين . وفي اثناء وجودي بالمجنزرة اخذ الجنود هويتي واوراق اخرى شخصية ونقود قليلة فأعطوها للضابط الاخر.وفي هذه الاثناء جاؤونا بشخص مغطى بكيس ومر على الجميع مصدرا بين حين واخر اشارة معينة ثم فرزونا على اساس اشاراته وبعدها اخذونا نحن كطابور باتجاه الغرب وبعد عدة مئات من الامتار كانت هناك عبارة صغيرة وعندها طلبوا منا الانبطاح على وجوهنا دون حركة وكنا حوالي ٥٠ — ٦٠ شخصا وبقينا على هذا الوضع نصف ساعة تقريبا ثم جاءت مجنزرات فأخذونا بها حتى عبروا بنا النهر .

(٤)
شهادة العميد سعد صايل

كنت قائد هندسة الفرقة الاولى في الجيش العربي الاردني والتي كان يقودها اللواء مشهور حديثه . والفرقة الاولى مكونة من اربعة الوية مشاة احدها لواء تدريب وكلها تحت السلاح وكتيبة دبابات . ولواء مدرع — بأمرة الفرقة للعمليات الا انه ليس من ملاكها . واربع كتائب مدفعية ميدان وبطارية مدفعية ثقيلة وكتيبة مدفعية مقاومة طائراتبالاضافة لكتيبة هندسة ميدان ثم خدمات الفرقة في حدود سرية طبية ومشغل ميكانيك وسرية تموين ونقل .. الخ . اما محور عمل هذه الفرقة ومجال عملياتها فهو المنطقة الدفاعية من وادي الزرقاء داخل حتى اخر الحدود الى وادي راجب جنوبا .

ومعركة الكرامة دارت ضمن منطقة عمليات الفرقة التي كانت موزعة على الشكل التالي : لواء في محور السلط — العارضة — جسر داميا . لواء مشاة اخر الى محور وادي شعيب — السلط — الشونة . لواء على محور ناعور — جسر سويمه. لواء احتياطي في التدريب وكان مركزه منطقة ناعور، خلف منطقة اللواء المتواجد في ناعور .

ومعركة الكرامة لم تكن مفاجئة للجيش الاردني : ١ — الحشد الاسرائيلي كان بدون اي نوع من التخفية والتستير ، بل كان واضحا في الاغوار الغربية . ٢ — وردت معلومات من السواقين القادمين من الضفة الغربية وتهديدات بواسطتهم—اسمعها لهم جنود الاحتلال بقصد نقلها لنا — مثل (اننا قادمون .. وسترون) . ٣ — قيادة الفرقة الاولى التقطت ساعة الصفر لعملية العبور وهي ٥٫٣٠ من ١٩٦٨/٣/٢١ وكان الالتقاط في مساء ١٩٦٨/٣/٢٠ .

قبل اسبوع من المعركة طلب من قيادة الفرقة الاولى ارسال سرية ناقلات جنود — محمولة — الى الكرامةوالعمل على اقامة نقاط تفتيش عن الهويات، ونزلت السرية من الفرقة والحقت بقائد لواء الاميرة عالية العميد كاسب صفوك بهدف الانفتاح على الكرامة ومخارجها ومداخلها كنقاط تفتيش وطلب هويات من الخارج والداخل وحتى من المتواجد داخل البلدة .

وكان الامر المعطى والذي اتخذ قراره في اجتماع لقيادة الفرقة بأمر من السلطة العليا يعلل القرار بوجود الفدائيين في الكرامة و— مضايقاتهم للناس ! — واتذكر تماما رأي اللواء قائد الفرقة : اذا رفض الفدائي اعطاء هويته فعلينا عمل مشاكل ، وانا ارفض عمل مشكلة مع الفدائيين الان ، ولا اتحمل المسئولية . وقد كان حاضرا الزعيم الشريف زيد بن شاكر قائد اللواء المدرع الملحق بالفرقة وقد قال نصا : احنا ننزل السرية واللي يجيب الهوية يجيبها واللي يرفض نكسر راسه .

حينها عرفت ان قائد الفرقة غلب على امره وايضا غلب على أمر كاسب صفوك . ونزلت السرية واقامت نقاط تفتيش في الكرامة ، والذي حدث ان الفدائي عندما كان يسأل عن هويته يقدم الكلاشنكوف او اي قطعة سلاح يحملها . وقد تدارك قائد اللواء الامر بمبادرته وبالاتفاق مع قائد الفرقة .

وفي مساء ٣/٢٠ طلب قائد الفرقة منا حسم الامر ، في تلك الليلة كان مقتصرا علي وعلى الشريف زيد بن شاكر وقال نريد الخروج لاجراء جولة في منطقة اللواء بهدف التأكد من ان كافة الترتيبات جاهزة لصد الهجوم الذي تأكدت ساعة الشروع به . وبدأنا الجولة بلواء القادسية الذي كان بمحور العارضة — بقيادة قاسم المعايطة ، وبعد انهائها قال حديثه للمعايطة : بكرة اتصور العجة والدخان سيصعد للسماء لان الحشد الاسرائيلي كان واضحا حجمه .

انتهينا من اللواء وعملنا اللازم بخصوص الالغام واستمرينا الى لواء عالية ، قابلنا قائد اللواء في الكرامة وهناك طلب حديثه الى قائد — المحمولة — سرية الناقلات ، افراغ الكرامة من السيارات وتجميعها في شرق الكرامة ، واعطي الواجب لقائد السرية امامي ، وهو : انك مسئول في الدفاع عن الكرامة والاشتباك من اجل ذلك .

أما الدبابات الموجودة مع قوات الحجاب فقد اعطي الامر لقائد هذه الفئة بتوزيع دباباته الاربع للدفاع عن الكرامة او بالاصح غلق الطريق المؤدي اليها .

وطلب حديثه من صفوك : اذا ممكن ان تنسق مع القائد المحلي للفدائيين واعلامه كافة المعلومات

المتوفرة لدينا وتوقعنا للغد كيوم معركة .
وبعدما وصلنا لواء حطين الذي يقوده الزعيم بهجت المحيسن ، وبحثنا الترتيبات اللازمة على اللواء لصد الهجوم ، وقد قابلنا في مقر لواء حطين ، الزعيم محمود شابسو مدير العمليات العسكرية في الجيش الاردني ، فطلب شابسو منا الانتباه لمحور فرعي بين السويمه — مادبا فأعلمناه بأنه درس ضمن الخطة . وبعدها عدنا لمقر الفرقة في الليل واعطيت الاوامر لكافة وحدات الفرقة بالانذار .

وهنا لا بد من الاشارة الى انني اعرف عن فتح والثورة الفلسطينية لجوءها الى اسلوب حرب العصابات والذي يوجب عدم التقيد بموقع ثابت ولكن ... حدث قبلها بثلاث ليال ان زارني في البيت الاخ ابو المعتصم واخبرني بأن الاسرائيليين في طريقهم لشن عدوان جديد وبعدها قال : وقد جئت لاخذ رأيك ، اذا هاجموا فماذا تعتقد على الفدائيين أن يعملوا ؟ . قلت : بالنسبة لفتح ، والثورة بعدها في بدايتها وضمن الظرف الحالي وحتى الان لم تعرف الجماهير ما يكفي عنكم وان اي احتكاك واسع مع اسرائيل يخدم الثورة ، لذا اعتقد ان يبقى الفدائيون في الكرامة ويقاتلوا مع علمي الاكيد انه ليس من واجب محارب العصابات ان يثبت في موقع ويقاتل فيه ، الا انني اعتقد ان مسألة التجريب والتلاحم مهمة واذا حدث نصر سيكون رد الفعل كبيرا جدا. واذكر اننا اتفقنا على خطة مع طلبي بأن تصل هذه الخطة لقيادة الفدائيين وهي : عدم التجمع في الكرامة والتوزع خارج البيوت واقترحت ان يتقدم البعض نحو النهر لاجراء اشتباك هناك والجزء الاخر يكون خارج الكرامة واذا حدث ووصل العدو للكرامة يشتبك معه الفدائيون بحرب شوارع .
وقد حدث بعدها اجتماع في الكرامة لقادة المنظمات وحدث اختلاف حول مسألة البقاء في الكرامة او الانسحاب منها ، وقد علمت مؤخرا ان المنظمات التي اقرت البقاء هي : فتح وقوات التحرير الشعبية . اما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — قبل انشقاقها — فقد رفضت التخلي عن ستراتيجية حرب العصابات وعليه فقد قررت الانسحاب من الكرامة . وبالنسبة لترتيباتنا بالفرقة فقد اتفقنا على زرع حقول الغلم لمساعدة الفدائيين واعلامهم عن مواقعها . الا اننا لم نعط الوقت الكافي لزراعة تلك الحقول .

كان مقر قيادة الفرقة موجودا في منطقة زي بين الاحراش ، ومقر العمليات — غرفة العمليات — في ثلاث مفر عند النبي يوشع . وفي الساعة ٥،٢٥ — حسب توقيت ساعتي — انفجرت اولى قذائف المدفعية ولم ينتظر احد شيئا فقد كانت لدى الجميع اوامر بالرد فورا . وصلت قيادة عمليات الفرقة فوجدت الجميع بما فيهم قائد الفرقة ، واخذت المعلومات تصلنا من جميع الالوية عن الهجوم . وطبعا المدفعية الاردنية اشتركت من اول لحظة وللتاريخ اقول : لقد أصدر قائد الفرقة أمرا بفتح نيران المدفعية دون انتظار اوامر . ان حركة الهجوم والتفافها دعانا للخروج بتحليلات واضحة بأن العدو يقصد مباشرة بلدة الكرامة لتواجد الفدائيين فيها . واستمرت المعلومات تترى من الكرامة عن سير القتال حتى العاشرة والنصف صباحا اما طيران العدو فلم يشترك قبل الثامنة والنصف لوجود الضباب وبعدها تدخل وفي ١٠،٣٠ انقطع الاتصال مع الكرامة . فأبلغنا قائد الفرقة وطرحت عدة احتمالات وعليه انطرح سؤاحل : هل نقصف الكرامة ام لا ؟ وتم القرار على عدم قصف الكرامة لوجود الفدائيين وبقايا السكان .
الاجراءات : اتصل قائد الفرقة مع قائد لواء عالية واصدر امرا بارسال ضابط وجهاز اتصال فورا لايصال معلومات عن الكرامة . واثناء النقاش قلت : ان السرية المحمولة التي وضعناها تضم ١٤ ناقلة وبكل ناقلة جهاز اتصال ولم تصلنا اي معلومات عن هذه السرية فلماذا ؟ ولماذا لا يتصل بنا قائد السرية ؟ وكان الالحاح ينصب على أن تلك السرية يمكن أن تحسم الموضوع على مشارف الكرامة اذ جاءت معلومات عن انزال مظليين من موقع شمال شرق الكرامة وكان واجب المحمولة التصدي لاي انزال يحدث الا انه لم ترد كما قلت أي معلومات اشتباك مع المظليين وكان معقولا جدا ان تؤدي تلك السرية دورا كبيرا في الموضوع فعلى كل ناقلة رشاشة ٥٠٠ ثقيلة وبكل ناقلة ١٢ جنديا . وكان آمر السرية ضابطا مدنيا اسمه خضير. الضابط الذي انزل مع جهاز اتصال اعتقله العدو وقتله وعندما علم قائد الفرقة بالامر اصدر أمرا اخر بوجوب ايصال المعلومات من الكرامة وبأي وسيلة من الوسائل .

وجاءتنا بعدها المعلومات : القتال الان داخل الكرامة وبالسلاح الابيض . اما خارجها وعلى مشارفها القريبة فالقتال مستمر . اذ أن العدو

هاجم من عدة محاور واخترق من محور واحد او محورين . وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تعرض مقر قيادة الفرقة للقصف الجوي ذلك أن كتيبة دبابات الفرقة والتي كانت موزعة على حجابات الفرقة قد ابطل مفعولها نهائيا — حسب المعلومات الواردة من الالوية — لانها دمرت ، وعلى هذا الاساس تقرر تحريك كل ما تبقى من دبابات وطلبت كتيبة دبابات متواجدة في طبربور بعمان وقد صدر القرار في ١١:٣٠ من ٣/٢١ .

وتحركت سرايا الدبابات الى مناطقها المحددة — عدا طبربور ! — وسرية لمحور العارضة — داميا (لواء الهندسة) وفي طريقها مرت قريبا من مقر قيادة الفرقة — النبي يوشع — وعندما صارت بالقرب من قيادة الفرقة هاجمها الطيران فتوزعت فورا حول مقر الفرقة في البساتين فخرجنا لرؤية الغارات على سرية الدروع الا ان قائد الفرقة طلب من الجميع دخول المغر وبقي هو وضابط اخر في النهاية وفجأة انفجر صاروخ بجانبه الا انه لم يصب وعندما خرجنا وجدناه ملقى عدة امتار عن مكانه منقولا بقوة الانفجار فأدخلناه على الفور وبدأ تركيز الطيران على المغر فأصاب صاروخ او اثنان مقر لاسلكي الفرقة فعزلنا تماما .

كانت هناك ثلاث مغر . المغارة الشمالية مقر عمليات الفرقة والوسطى مقر قيادة اللاسلكي والجنوبية مقر هندسة الفرقة والذي يفصل بين مغارة ومغارة هو الجدار المحفور وانطرح رأي بالخروج من المغر ورأي اخر بالبقاء فيها لان اي خروج معناه ان يعالج الطيران الامر بالرشاشات وطبعا البقاء يعني امكانية استشهاد الجميع ، الا انه تقرر حسم الموضوع بالبقاء واخفاء اي حركة ريثما ينتهي الطيران وبالفعل توقف الطيران .

وجدنا ان هناك اتصالا بين مدفعية الفرقة والالوية ومقر قيادة الجيش ومنها تولت مدفعية الفرقة كافة الاتصالات وعندما اعيدت الكهرباء في الساعة الثالثة بعد الظهر تولت قيادة الفرقة مباشرة الاتصال وكفت مدفعية الفرقة عن الاتصال الرئيسي . واستمرت المعركة حتى الساعة ٣ او ٣:٣٠ بعد الظهر حيث بدأ الاسرائيليون بمعركة انسحاب .

واود ان اذكر ان وحدات هندسة العدو حاولت اقامة جسر بجانب جسر داميا وكذلك بجانب جسر سويمه — ناعور وفي حينه جرى اتصال بقيادة الجيش وكان من الفرقة يتكلم اللواء مشهور حديثه وعلى الطرف الاخر عامر خماش وسمعت حديثه يقول اخشى ان تدخل قوات اخرى رئيسية للمنطقة عن طريق هذه الجسور واخشى ان تكون العملية عملية احتلال مش عملية محدودة خاصة بالاغوار . فأجاب عامر خماش على الخط : لا هذا مش وارد وعليكم متابعة موضوع الجسور . فسألني اللواء مشهور حديثه عن تحليلي لبناء الجسور فقلت : اما أن تكون هذه المحاولة لتعزيز القوات العدوة الداخلة بقصد الاحتلال او أن تكون عملية تمويه وحرب نفسية لاشعارنا بحجم مهول للقوات المتقدمة لاحتلال الضفة الشرقية لنترك الدفاع عن المنطقة . قلت بدأ الانسحاب ٣:٠٠ او ٣:٣٠ بعد الظهر وتمكنوا حتى الساعة ٥:٣٠ — ٦:٠٠ من الانسحاب غربي النهر وقطع التماس ما عدا بعض الجيوب ، الا ان الطيران هو الذي أمن قطع التماس نهائيا الساعة الثامنة ونصف مساء . لم يستعمل العدو جسور الميدان التي حاول اقامتها لعدم انهائها ، فالمدفعية كانت تكرر قصفها وطيران العدو حاول عدة مرات اسكات المدفعية . وفي الساعة ٨:٣٠ — ٩:٠٠ كان اخر قصف للطيران على منطقة عيره .

وفي الليل جاء الملك حسين وناصر بن جميل وزيد بن شاكر ومعهم عديله البليبسي وبعد السلام فورا طرح الشريف ناصر السؤال لقائد الفرقة : ماذا عمل الفدائيون .. بالله ؟ واثناء المعركة وبعدها توفرت لدينا معلومات عن الخسائر بالنسبة للعدو والفدائيين والجنود وهي خسائر منظورة ورغم ان صيغة السؤال استخفافية ، فقد اجاب قائد الفرقة : الفدائيون قاموا بواجبهم خير قيام ، وقاتلوا قتال الابطال في الكرامة وخسروا فيها .

وفي هذه الاثناء دخل ضابط بدوي من لواء الدروع الذي يقوده زيد بن شاكر فقال سمعت اخر السؤال وكل الجواب واقول : ما قاتلوا وما عملوا اي شيء وانا الان قادم من وادي شعيب فوجدتهم هاربين . الا أن الرد كان من قائد لواء عالية على شكل برقية بأن هناك اعدادا من الفدائيين كبيرة قادمة باتجاه الكرامة عن طريق وادي شعيب. الا انني لاحظت اثناء كلام ذلك الضابط البدوي معالم تشف وارتياح من قبل الملك والشريفين وعديلهما .

اتصل الملك بنفسه بقائد لواء عالية وكرر عليه انني الملك واريد أن تخبرني بخسائر الفدائيين بالضبط ولم أسمع الجواب . وبعدها استراح الملك

قليلا في المقر ثم عاد الى عمان ،
لعدم وجود احصائيات لاحظت ان نسبة الفلسطينيين لا تتجاوز ١٥ — ٢٠ ٪ فقط الا أنه كان واضحا ان الجنود يودون الاشتراك فعليا بالقتال ، جميع الجنود .
وفي الليل اعدنا التجول على قيادات الوحدات ولم نتمكن ليلتها من النزول للبلدة — الكرامة — وفي النهار الاخر نزلنا وشهدنا الخسائر وطلب الفدائيون مساعدة الهندسة لكشف الالغام المشركة في جثث الشهداء من المقاتلين ولم اتبين شخصيا العدد بالضبط ، الا انني اذكر انه كان كبيرا .
اما خسائر الجيش فقد كانت : ١٢٨ بين جريح وقتيل . ١٢ دبابة دمرت تدميرا كاملا . ٨ دبابات اعطبت . وخسائر كثيرة في الاليات الاخرى .
وفي اليوم التالي طلب قائد الفرقة عقد اجتماع كامل لقادة الوحدات فتم الاجتماع في الكرامة لرفع تقرير مفصل لقيادة الجيش بالموضوع وقبل الاجتماع سالت قائد الفرقة : اريد معرفة الاجراءات بالضبط التي عملها قائد المجموعة ؟ ان هـذا الضابط لو تدخل لما تم للعدو الانزال وكان ممكنا القضاء على المظليين فور نزولهم وفعلا القائد اثار هذه المسألة في الاجتماع وكان حاضرا الشريف زيد بن شاكر وطرحت بالصدد الامور التالية : ١ — لم يتدخل لصد الهجوم . ٢ — لم يتصل بقيادته علما بأن لديه اجهزة اتصال متعددة . وقد لمس الجميع ان الشريف زيد دافع دفاعا مستميتا عن قائد السرية رغم اننا اكتشفنا بأن قائد السرية كان قد سحب قوته وبدون امر من قيادة الفرقة الى وادي الحصينيات الذي يبعد عن الكرامة جنوبا ٥ كلم وبقي هناك حتى نهاية المعركة ، ولم يتخذ اي اجراء بحق ذلك الضابط وعندما رفع التقرير وضع فيه فقرة عن الفدائيين هي « اما الفدائيون فقد قاموا بواجبهم خير قيام وقاتلوا في بلدة الكرامة حتى مرحلة القتال بالسلاح الابيض وتقديراتنا لشهداء الفدائيين ١٥٠ فدائيا شهيدا وبعد اطلاعنا على ان هؤلاء الناس جميع اصاباتهم في صدورهم من الامام ، وللتاريخ اقول ، قاتلوا قتال الابطال». واعترض على هذه الفقرة الشريف زيد . الا ان قائد الفرقة قال : « انني اكتب للتاريخ ، لا للسياسة وليس من حقي ولا من حق اي انسان ان ينتقص من حق هؤلاء الشهداء . »

موشيه منوحن يروي بعض ذكرياته

فيما يلي ترجمة شبه حرفية لجزء كبير من حديث ادلى به موشيه منوحن ، الكاتب اليهودي المعادي للصهيونية ، عن قصة حياته ، وقد ضمنه ذكرياته عن هجرته الى فلسطين في ١٩٠٤ بعد المذابح التي حصلت في روسية القيصرية والتي حملت يهودا كثيرين على الهجرة الى فلسطين . وقد خص الكاتب شؤون فلسطينية بالترجمة العربية لهذا الحديث الذي ستتولى اذاعات الدول العربية بثه باللغة الانكليزية في برامج موجهة للارض المحتلة .

أصطحبتني أمي في رحلة الذهاب الى فلسطين لتودعني في رعاية جدي ، وقد كنت ثالث طفل في العائلة يبعث به الى فلسطين القديمة ، الى القدس الشريف ، لينشأ هناك ويترعرع . كان ذلك في العام ١٩٠٤ ، في اواخر فترة المذابح ضد اليهود . (ما أغرب توارد سيل الافكار) ، اذ ما زلت اذكر اسم الباخرة الروسية — الكورنيلوس — التي كانت تبحر ما بين مينائي أوديسا ويافا عبر المياه التركية الى ان رست اخيرا في يافا ، ومن هناك الى بيت جدي في القدس ، وهو يهودي ملتزم بأصول الديانة وافر العطف والورع والامانة وشديد الحب للناس. وكان يؤمن بتعاليم الديانة اليهودية التقليدية ، كما كان يغمر قلبه ويعمر روحه ايمان فياض بأن يسود السلام وتعم المحبة جميع البشر ، فيحسب المرء اخوته في الانسانية ، الواحد منهم قدر الاخر . وكم كانت ديانته اليهودية التقليدية تختلف عما يسدعى ديانة يهودية تقليدية وعن من ينتسبون اليها ، على النحو الذي يعظون به هذه الديانة ويمارسونها ، هذه الايام ، في اسرائيل الصهيونية وفي اميركا على حد سواء . فقد كان يؤمن حقا بالتعاليم الاخلاقية الغابرة « أحب اخاك الانسان كما تحب نفسك » ، « لا تقتل! »، « لا تسرق ! »، « لا تشتهي ما لغيرك » ، « لا تفعل بغيرك ما لا تحب ان يفعلوا بك » . وكذلك كان جدي ، وهو يتراءى الان امام ناظري ، يطيل الوقوف عند فكرة التوبة فيتلو على مسامعي تعاليم الديانة اليهودية ومثلها كما عرفها : المكانة التي تحتلها التوبة لا يبلغها حتى أتقى البشر واعدلهم . واني ما زلت أذكر بغبطة — وكنت يومها طفلا ، اذ كان عمري احدى عشرة سنة يوم ان التحقت برعاية جدي — ما زلت اذكر الايام السابقة لـ « يوم كيبور » اي « يوم الكفارة » ، حيث كان يتفقد اصدقاءه الواحد بعد الاخر ، ويمر على جيرانه الواحد تلو الاخر ، هؤلاء الاصدقاء والجيران الذين يظن انه ربما أساء اليهم ، بصورة او بأخرى ، خلال السنة ، فيطلب منهم الصفح عنه للخطايا التي ارتكبها بحقهم لعل الله تعالى يغفرها له. واذكر حتى ان جدي العجوز العزيز سألني الصفح اذ قال « ان اسأت لك في معاملتي سهوا عني فأرجو ان تسامحني » . فقد كنت وجدي صديقين حميمين . وقد أثر بي هذا الانسان المسن التقي اعمق تأثير ، وكان له حتى اليوم اعظم تأثير في حياتي رغم انني لست يهوديا تقليديا — فأنا بعيد عن ذلك غاية البعد — اذ أؤمن فقط بيهودية الانبياء أي التعاليم التي بشر بها انبياء اليهودية فقط وليس مواعظ وارشادات الحواريين والاتباع . وبقدر ما يخصني الامر ، بوسعك ان تحرق ما اضافه الحواريون والاتباع والحكماء الى الديانة وهو يدعى في العبرية «شلحان أروخ » اذ لم يبق فيه الا القليل من التعاليم الاخلاقية الحقة ليتقيد بها المرء . فقد طرأت على اليهودية تطورات وتحورات انبل ، وحلت محل هذه الاضافات كمعيار لسلوك اليهودي .

كصبي في ذلك الحين ، بحثت عن اقراني الصبيان، وكنت اشعر بالضيق احيانا لانني كنت ارتدي القفطان ، وهو رداء طويل ، وكان صبيان المستعمرة ، الذين كانوا اكثر « تحضرا » مني

بزدرونني ويهزأون من ابن القدس هذا الذي يرتدي القفطان . ولكنهم لم يكرهوني ولم يؤذوني ، ولذلك كنت انضم اليهم ، صبي يرافق أقرانه الصبيان ، فكنا نسرح سيرا على الاقدام لزيارة بعض المعابد ، وبعض الاماكن المقدسة ، مقدسة لدى اليهود ، مقدسة لدى المسلمين ، مقدسة لدى المسيحيين . واذكر انه كان هنالك حي للعرب المسيحيين في القدس حيث لم يكن التجوال فيه مأمونا لليهودي، وكنت ابتعد عنه دائما . وكنت في القدس احيانا أذهب لشراء الحاجيات من سوق الجزارين الحلال في الشريعة اليهودية (كشير) ، وما زلت اذكر انه الى اليمين كان يوجد سوق الجزارين هذا ، أما الى اليسار فكان يوجد حي النصارى ، ومرة ، مرة واحدة فقط اخطأت خطأ جسيما ، اذ وجدت نفسي قد عبرت تلبلا الى داخل حي النصارى ، وربما كانت اوجاع القلب التي اعاني منها اليوم ترجع في الاصل الى تلك الواقعة ، وانا أسعى مذعورا للخروج من حي النصارى ، ولكن العرب كانوا ودودين ، مهذبين ، لطفاء وانسانيين .

وخلال الصيف ، كنت اذهب الى « رحوبوت » حيث يوجد الان المعهد الشهير — معهد وايزمن — لآكل العنب ، اذ كان جدي وجدتي يرسلونني الى بيت ابنهم ، عمي هناك ، وكنت آكل من العنب حتى يصيبني الاعياء من كثرة الاكل ، ومن يدري فربما كان مفيدا لي ، وكذلك كنت آكل البطيخ ، فأكتفي بأكل قلبه وأرمي ما عداه . وفي بداية اقامتي في « رحوبوت » ، كان ينقلني احد العرب الى الرملة، الرملة العربية التي لم يعش فيها اي يهودي ، وكان ينقلني الى هناك بالعربة الحنطور واحد من العرب الكثيرين الذين كانوا يعملون في خدمة عمي، وكنت في الرملة انتظر القطار ، خارج المحطة أو داخلها ، وهو قطار كان يصل حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر من يافا فيتوقف في الرملة ليحمل الركاب الى القدس حيث أعود الى بيت جدي . فما من مرة تحرش بي احد او ضايقني ، ولم أر ما يشعرني بالخوف ، ولم اشعر بأنني غريب . وبالمناسبة ، كنت اتكلم اللغة العربية بطلاقة ولذلك كان حريا بي ان أتعلم قراءة اللغة العربية وكتابتها في الجمنازيوم — ولكن هذه قصة اخرى ...

ان المتعة الحقيقية ، المتعة الكاملة ، المتعة المطلقة التي شعرت بها في ايام طفولتي في القدس كانت في ايام عيد الفصح السبعة ، ويدعى بالعبرانية « بيسح » ، ليس في اليوم الاول من ايام عيدالفصح لان ذلك هو يوم مقدس وحرام على اليهودي ان يركب حمارا في ذلك اليوم . ولكن خلال الايام الثلاثة او الاربعة التالية كنا نستأجر من العرب بعض الحمير ونركبها الى الجبال خارج القدس الى مستعمرة موتسا .

ليتني اتذكر اسم ذلك اليهودي الذي كنا نتناول عنده وجبة الافطار المبكر ، فكان يطعمنا فواكهه وشوكولاته ، اذ كان له دكان على الطريق ، وظلت علاقاته بالعرب على احسن ما يرام طوال حياته الى ان حدثت اصطدامات ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و ١٩٤٩ « انني اكاد اتذكر اسمه مستر روزمان او روزين او ما الى ذلك) ، عندما اغتيل . وكان دكانه غير بعيد عن القدس .

وحتى في الايام الاولى ، أخذت تظهر بوادر نزعة حربية وشهوة الى القتال بين اليهود ، فكانت الخطوات الاولية : « لا تعاملوا طبيب أسنان عربي » ، « لا تشتروا من تاجر عربي » ، « لا تشتروا من بقال عربي او من بائع فواكه متجول عربي » ، رغم انه لم يكن هناك عدد كاف من بائعي الفواكه المتجولين اليهود ليسدوا حاجتهم ، فكانوا يضطرون للشراء من البائعين العرب ، ولكن كان هنالك برنامج مستمر من الوعظ الفردي .

في حوزتي الان وثيقة مدهشة قدمتها الى منظمة الامم المتحدة حركة القوة الثالثة في اسرائيل ، وهي منظمة اعضاؤها من اليهود والعرب ، وكانت قد قدمتها الى اللجنة السياسية الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة في شهر نوفمبر ١٩٦١ . وتروي هذه الوثيقة الرائعة قصة ابعاد العرب ، وهذا تعبير ملطف ، والاصح هو طرد العرب بقسوة من بيوتهم وديارهم .

وسوف أتلو على مسامعكم هنا ثلاث فقرات تبين لكم ما حدث بعد موت هرتسل حيث كان قد بدىء شيء من العمل البناء ، ثم ما لبث ان هجر حين أخذت القومية السياسية تتأجج الى ان أدت الى صدور وعد بلفور :

١ — **غزو الارض** : كانت المؤسسات الصهيونية تشتري قطعا من الارض من كبار الملاكين الذين كان معظمهم يعيش خارج فلسطين والذين حصلوا على ملكية الاراضي هذه في ظل الحكم التركي من موظفي الدولة المرتشين ، أما المزارعون المقيمون على

الارض والذين توارثوا فلاحتها ، منذ اجيال ، أبا عن جد ، فكانوا يجبرون على مغادرتها . وكثيرا ما كان يرفض الفلاحون العرب التنازل عن أرضهم وبيوتهم ، فكانوا يعتصمون مع نسائهم وأطفالهم في الارض ويقعدون فيها للحيلولة دون استيلاء « الملاكين » الجدد عليها ، وعندئذ كان الاعضاء الشبان في الكيبوتز الاشتراكي الذي يعتزم انشاؤه في الارض التي جرى استملاكها يسارعون لطرد الخارجين على القانون المعتصمين في الارض وذلك بمعونة رجال الشرطة الانكليز واليهود . واحيانا كانت تسيل دماء الفلاحين قبل ان تتم اعادة استتباب الامن .

٢ — **غزو العمل** : بعد ان يتأمن استملاك الارض، كان العقد الذي يوقع ، بين الملاكين الجدد للارض وهم المؤسسات الصهيونية وبين المزارعين الجدد الذين سيتومون بفلاحة الارض وهم اعضاء الكيبوتز ، يتضمن مادة تمنع تشغيل العرب في تلك الارض سواء بالاستئجار او بالعمل اليومي المأجور . وكان الشعار المعمول به هو : « في الارض اليهودية وفي المشروعات اليهودية لا يستخدم الا اليهود » . واذا حدث ان استخدم احد ملاكي بيارات البرتقال اليهود بعض العمال العرب لانهم أرخص أجرا ، كان قادة الهستدروت ، وهو اتحاد العمال اليهود ، والكتاب والمعلمون يحتشدون عند مدخل مثل هذه البيارة اليهودية التي يستخدم فيها العرب ويكيلون الشتائم على « خونة الصهيونية والامة اليهودية » الى أن يتم استبدال العمال العرب بعمال يهود .

٣ — **غزو الانتاج والتجارة** : تمثلت البوادر الاولى لهذا الغزو في الشعار « على اليهود ان يشتروا المنتوجات اليهودية فقط » . وعندما كان احد بائعي الخضر العرب يأتي الى تل ابيب ليبيع بضاعته كان يتحلق حوله المتعصبون من الصهاينة فيقلبون عربته على الارض ويدوسون على بضاعته من الخضر وسط اعجاب الجمهور الغوغائي بالعمل «القومي». وكان رجال الشرطة اليهود سرعان ما ينسحبون من مكان الحادث ويتوارون عن الانظار حتى يزعموا ، ان سئلوا فيما بعد ، انهم لم يروا شيئا .

في تلك الحقبة من الزمن كان العالم الاوروبي المجنون يستعد للحرب العالمية الاولى بأكثر الطرق دناءة وأحطها انسانية ، اذ كان الشباب جاهزا لتقبل الاتجاهات القومية ولم يكن يدري بما هو افضل منها . اذ كانت القومية السياسية يومها هي ديانة العالم ، والصهيونيون بدورهم تشربوا افكار القومية السياسية تشربا كليا صميما حتى غدت هي ديانتهم — وليس ما كان يلقنه جدي في القدس — الالتزام بالمثل الاخلاقية ، والنظرة الانسانية الشمولية ، والتهذيب ، وحب الاخرين ، والتوبة . وكانت فكرة التوبة هي اعظم الافكار ، وبطبيعة الحال ، كنا نحن الصغار نقتفي خطى الكبار . ولكن من حين الى اخر ، وبينما كان جدي الذي نشأت في بيته يحتضر ببطء ، كنت أتسلل خفية الى « بيت هاعام » الكبير اي بيت الشعب حيث كان يلتئم شمل اليهود الصهيونيين اللادينيين ليستمعوا الى المحاضرات وهناك كان بن غوريون يستنهض همم ومشاعر الناس حول «عمينو» ، و «أرتسينو» و «مولادتينو» اي « أمتنا » ، و « أرضنا » ، و « وطننا مسقط رأسنا » . وبطبيعة الحال ، كانت بلاغة الخطباء تستهوي الناس ، غير ان اليهود الاصليين الحقيقيين الساذجين البريئين لم يحفلوا بالدكتور هرتسل وحركته ، ولكن بعد موته اسس زملاؤه الجمنازيوم العبري في تل ابيب الذي كنت من اوائل طلابه وكانوا يدعونه « جمنازيا هرزلن » وكنت من أول دفعة تخرجت منه في عام ١٩١٣ ، وكنت قد التحقت به في عام ١٩٠٨ ، بعد اربع سنوات او خمس في القدس القديمة حيث درست التلمود ومبادىء الديانة اليهودية الاصيلة .

ومنذ اليوم الاول الذي رأيت فيه حياة اليهود الطفيلية التشرذمية في فلسطين التي تدعى اسرائيل الان ، والتي كانت اشبه ما تكون بحياة المرتزقة اعتزمت السفر الى اميركا حيث اردت ان اذهب لاعتمد على نفسي في معيشتي واصبح انسانا مستقلا ، ولكنني كنت يومها اقل من ستة عشر عاما من العمر فلم يسمح لي بالسفر الى اميركا بمفردي . وفي واقع الامر ، ركبت الباخرة من يافا الى باريس معتزما اكمال الرحلة الى اميركا ولكنهم لم يسمحوا لي ، وكان على السلطات في يافا ان تمنع سفري الى باريس ، ولكنني افترض انهم سمحوا لي لان الرجل الذي اشتريت تذكرة السفر منه تقاضى عمولة مني وجعل المختصين يغضون النظر عن كوني اقل من ستة عشر عاما من العمر، وعندما رجعت الى يافا ، وكنت يومها على مشارف السادسة عشرة من العمر ، كانت الكوليرا تحصد الناس حصدا في يافا ، اذ كانت تتسبب يوميا في

وناة ٤٠ الى ٥٠ شخصا ، ولم يسمح لي بالسفر الى القدس لانه كان هنالك حجر صحي على الطريق ، ولذلك اكرهت على البقاء في يافا . ولكن، من جهة اخرى ، كانت الفترة التي قضيتها من عمري في الجمنازيوم زاخرة بالسعادة ، حيث كنا فيها فتيانا وفتيات ، وكانت هناك المشاوير ودروس الغناء ، وكان صوتي جميلا ، وكان يسمح لي ، وبالاصح ، يطلب مني ان اغني في الجوقة هناك ، رغم انني لم اكن اعرف قراءة النوتة الموسيقية ، وحتى اليوم لا اعرف قراءة النوتة الموسيقية ، ولكنني اصبحت اعرف وافهم الموسيقى من مرافقة ابني في جولاته الحافلة بالموسيقى .

وقد التقيت في يافا برجل يدعى الدكتور شينكين الذي تربطني به ، بصورة او بأخرى ، علاقة عائلية ، وقد تودد لي واخذني في احد الايام الى الجمنازيوم، وقد اكتشفت يومها ، لاول مرة في حياتي ، بأن الصبيان والبنات يتعلمون سويا في مدرسة واحدة. وبين الحصة والاخرى كانت هناك فترة استراحة يستغلها الصبيان والبنات في الركض والقفز والغناء ومغازلة بعضهم بعضا والاستمتاع بالحياة .

ومن جهة اخرى كان لهذا الرجل ، الدكتور شينكين — الذي سأتحدث المزيد عنه فيما بعد ، ولكن هنالك أشياء اخرى كثيرة أهم لاتحدث عنها ، ولذلك لن أورد الا القليل عنه الان — كان له أكبر الفضل في تغيير مجرى حياتي ، اذ اقنعني بالانقطاع عن مدرسة الديانة اليهودية التقليدية (الارثوذكسية) ، وقد اصبح بوسعي ان التحق بالجمنازيوم لان جدي كان قد توفي في هذه الاثناء . وقد قلت للدكتور شينكين ، انني اعرف التلمود ، واعرف العبرية والانبياء ، وكتب التوراة الخمسة ولكنني لا اعرف شيئا من الجغرافيا او اللغة الفرنسية ، كما لا أعرف الحساب وما الى ذلك . لم أعرف ما يؤهلني للالتحاق بالصف الاعلى في الجمنازيوم ، واظن انه كان الصف الرابع ، اذ في كل سنة كانوا يضيفون صفا جديدا الى الجمنازيوم. وقد اقنعوني بالالتحاق بصف اعدادي يؤهلني للالتحاق بالصف الاعلى في الجمنازيوم ، وهو الصف الرابع الذي التحقت به فيما بعد ، حيث درست في الصف الرابع فالخامس فالسادس فالسابع فالثامن ومن ثم تخرجت مع اول دفعة من المتخرجين من الجمنازيوم . هنالك شيء واحد يلخص كل ما كنا نتعلمه في الجمنازيوم ، لقد كان هناك مدرسون جيدون ، ولم تكن هناك كتب دراسية بالعبرية ، ولكننا كنا ندرس التاريخ بالمحاضرات ، وكانوا يدرسوننا عن الانبياء اليهود. وكان احد معلمينا في الجمنازيوم رائعا ، ووسيما جدا ، وقويا جدا ، وكان يشبه كثيرا الدكتور هرتسل وكانا صديقين وزميلين في الدراسة الجامعية . وكان هنالك مدير الجمنازيوم الدكتور هاتمان ، واني أعجب من نفسي لانني ما زلت اذكر أسماءهم . كان هناك حوالي اثني عشر او اكثر من المدرسين الرائعين جدا . اما المدرس الوحيد الذي لم يكن ذا اهمية فكان عربيا لتدريس اللغة العربية بصورة شكلية لذر الرماد في العيون بأننا كنا ، كذلك ، ندرس العربية . وقد استغللت ، بدوري ، عدم أهميته ، ويؤسفني ان اقول بأنني لم أدرس اللغة العربية . ويرجع سبب ذلك الى انني لم أكن اعرف ما يكفي من اللغة الفرنسية ، بينما كان زملائي في الصف يعرفون منها أكثر مما أعرف ، فرغبت في الاستزادة من اللغة الفرنسية، ولذلك افردت معظم اوقات فراغي لدراسة اللغة الفرنسية لالحق بمستوى زملائي وزميلاتي وما كانوا يتحدثون عنه من قراءاتهم الفرنسية، واذكر انه كان هنالك كتيب عنوانه «تريز» او ما الى ذلك . وكان كتيبا فظيعا يصيب النفس بالغثيان ، الا انه كان مدهشا في الوقت ذاته ، وكان علي ان اقرأه باللغة الفرنسية ، ولم اعرف ما يكفي من اللغة الفرنسية يومئذ ، ولذلك انكببت على دراستها .

ان ما ادهشني خلال تلك الفترة هو ما كان يسرب الى اذهاننا من خلال التعليم ، اذ كان هناك بيت شعر معين يحشر مع الدروس ويلقن لنا بمناسبة وبدون مناسبة ، فسواء كنا ندرس عن الانبياء ، او الادب العبري ، او تاريخ الصهيونية ، او اوضاع اليهود في فلسطين كانوا يلقنوننا « عمينو » اي « أمتنا » ، ولكنهم كانوا يترجمونها بكلمة « شعبنا » . وانني الاحظ انهم يفعلون ذلك في الصحف ، فحيثما ترد في الصحف الكلمة العبرية « عمينو » يترجمونها « شعبنا » ليخبئوا ما يضمرون ، وفي واقع الامر ، ليس عندنا في العبرية كلمة مطابقة لكلمة « شعبنا » ، ولكنهم هكذا يترجمونها حيثما وردت ، مع انهم ينبغي ان يترجموها « أمتنا » ، ثم هنالك كلمة « أرتسينو » أي « أرضنا » وديارنا ، فكانوا يعلموننا « عمينو، أرتسينو » ، ثم جاءت كلمة كانت في منتهى الغباء، ولكننا اضطررنا الى بلعها ، وهي كلمة «مولادتينو»

ومعناها « وطننا » أو مسقط رأسنا اي حيث ولدنا . ولا اظن انه كان من بين طلاب الجمنازيوم، او على اقل تقدير بين زملائي التسعة في الصف وكانوا صبيانا وبنات لطيفين ، لا اذكر ان أيا منهم كان قد ولد في فلسطين العربية . اذ كنا ، جميعنا، مهاجرين من روسيا ، وقد هاجرنا الى فلسطين اما هربا من المذابح التي تعرض لها اليهود هناك ، او لتلقي تعاليم الديانة اليهودية او التعليم الصهيوني . وكانوا يرددون على اسماعنا كل يوم، وكلما واتت الفرصة ، وحيثما يفلح المدرس في تسريبها « عمينو ، ارتسينو ، مولادتينو » ، حتى في دروس العلوم كانوا يسربونها ، خلال الدرس، الى مسامعنا . وكانوا يلقنونا « عمينو ، آرتسينو، مولادتينو » في كل حين واي مكان سواء خلال النزهات او في الصفوف او اثناء لقاءاتنا المدرسية نهار السبت حيث كنا ندعى لمناقشة القضايا السياسية . وكانوا يتوخون من هذا الوعظ المتكرر تسميم افكارنا لننقلب الى يهود قوميين . وتذكروا بأن هذا الوعظ والتلقين كان قد بدأ بالنسبة لزملائي في الصف في عام ١٩٠٤ ، وبالنسبة لي ابتداء من العام ١٩٠٨ الى ١٩١٣ حتى اصبح الجمنازيوم بؤرة للافكار القومية السياسية المتطرفة المجنونة . وفي الجمنازيوم لم نكن نمارس العبادات والفروض والشعائر الدينية بأية صورة من الصور ، اذ كانوا لا أدريين او ملحدين اذا شئت ان تدعوهم كذلك ، ولم اشاهد في الجمنازيوم أي حاخام طوال السنوات الخمس التي قضيتها فيه . ولم نمارس أية صلوات طوال هذه السنوات الخمس .فصباح أيام السبت كنا نذهب الى الجمنازيوم اما للاستماع الى محاضرات عن الصهيونية او للغناء ، وبما ان صوتي كان جميلا انضممت الى الجوقة رغم أنني لم أكن أعرف قراءة النوتة الموسيقية .

وقد علمونا في الجمنازيوم بأن نكره العرب ، وان نحتقرهم وفوق هذا كله ان نطردهم من «مولادتينو» وطننا ومسقط رأسنا ، ومن « ارتسينو » ارضنا وديارنا، اذ كانت بلادنا لا بلادهم، وانه كان بوسعنا الاطلاع على التوراة في هذا الصدد . لقد كان في فلسطين العربية في ذلك الوقت ٣٥٠٠٠ يهودي فقط بينما كان هنالك حوالي ٦٠٠،٠٠٠ من العرب المعانين ، الاسوياء ، العقلاء ، المجدين، البريئين، القليلي المعرفة ، ومع ذلك ، كانوا يعلموننا في الجمنازيوم « عمينو » ، « أرتسينو » ، و « مولادتينو » أي ، « أمتنا » ، و « أرضنا » ، و « وطننا » ، وظلوا طوال خمس سنوات يشحنونني بأفكار القومية اليهودية والصهيونية دون جدوى حمدا لله ! حمدا لله ! لانني حافظت على نفسي انسانا متحضرا ينتمي الى العالم وليس الى فئة من فئات القومية السياسية .

طوال الفترة التي عشتها في فلسطين ، في القدس في بادىء الامر ، ثم في يافا وتل ابيب كانت جميعها عربية . لقد كان هنالك عدد قليل من المستعمرات اليهودية ، وعدد اقل منها من المستعمرات التعاونية التي سأذكر دائما باعجاب خاص ، لانني تضيت اسابيع كثيرة في بعض الكيبوتزات في الجليل خلال ايام دراستي في الجمنازيوم . وترد الى خاطري الان ذكرى انني عندما التحقت بالجمنازيوم استأجرنا بيتا من عربي يقع على الطريق بين يافا وكثبان الرمال التي انشئت عليها ، فيما بعد ، مدينة تل ابيب . لقد كان هنالك القليل من اليهود في تل ابيب لا يتجاوز عددهم بضعة الاف ، قليل من التجار والخياطين وصانعي الاحذية واليهود المتدينين الذين كانوا يمضون اوقاتهم في الكنيس يصلون ثلاث مرات في اليوم ، ويعيشون من الاعانات والصدقات التي كانوا يتلقونها من التبرعات التي كانت تجمعها من الخارج بعض الجمعيات ومبعوثو هيئات يهود فلسطين ، او الاعانات التي كان الابناء في الخارج يرسلونها لابائهم المسنين الذين رغبوا في قضاء اواخر ايام حياتهم في « الارض المقدسة » كما كانوا يدعونها .

انني احاول جاهدا ، وبأمانة ، ان اتذكر اي عامل أو شغيل يهودي واحد ، بناء مثلا ، وهو الرجل الذي يصف قطعة طوب فوق اخرى ، ولكن يومئذ لم يكن هناك طوب بل حجارة كانوا يقطعونها من الصخر ثم ينحتونها ثم تبنى الواحدة فوق الاخرى. لم أقابل أبدا بناء من اليهود في فلسطين ، كما لم اشاهد قط عاملا يهوديا يعمل في كروم العنب التي يملكها عمي او سواه ، كما لم تر عيناي يهوديا يفلح الارض — كانوا جميعا من اولئك العرب . فعمي كان يرتدي بذلة ورباط عنق وحذاء جيد التلميع كان يلمعه له احد عماله العرب في الصباح قبل ان يستيقظ من نومه بفترة طويلة . وكان هذا هو طابع الحياة التي كان يعيشها اليهود قبل ان يفد الى فلسطين بن غوريون وصحبه من العمال الفتيان ، وكانوا قليلي العدد نسبيا ،

ولم يكن في فلسطين يهود ذوو شأن سوى ذلك العدد القليل من العمال الفتيان ، وكان يتراوح عددهم في جميع المزارع الجماعية في الجليل بين الفين الى ثلاثة الاف ، اما في الجنوب من الجليل فكانوا قليلين جدا الى درجة لا تستحق الذكر . وكان بوسع العرب ان يبيدونا في مثل لمح البصر لو انهم كانوا يبيتون اية خطة او نية لمثل ذلك . لم تكن هنالك أية جماعة بين العرب — السكان غير اليهود — تخطط او تنظم لمثل هذا الامر ، بل كانت هناك مجرد اعمال فردية .

اقتصرت جماعات اليهود الذين كانوا يفدون الى فلسطين على المتعصبين من الصهيونيين ، والمتعصبين دينيا ، اما جماهير اليهود — جماهير الشعب اليهودي — فلم ترغب في الذهاب الى فلسطين ، بل كانوا يتجهون الى الولايات المتحدة وكندا وافريقيا الجنوبية وامريكا الجنوبية ، وحتى بعد سنوات من اعلان وعد بلفور ، في السنة ١٩٢٩ او ربما ١٩٢٧ او ١٩٢٨ اضطر حاييم وايزمن الى الذهاب الى رومانيا ليحفز اليهود فيها الى الهجرة الى فلسطين ، قائلا لهم : « انظروا ، لقد انتزعنا وعد بلفور من البريطانيين دون الاستناد الى اي أساس واقعي ، والان يظل البريطانيون يسألوننا: أين هم يهودكم ؟ فاذا كان سيتأتى لنا ان نملك أرض اسرائيل « اريتز ازرائيل » ، واذا كنتم تؤمنون بذلك (لم يكونوا يؤمنون بذلك !!) فتعالوا الى فلسطين » . فيومئذ كان تسعة الاف يهودي يهاجرون من فلسطين مقابل كل ستة او سبعة الاف يهودي يفدون اليها . ولم يبدأ العامل اليهودي في الظهور في فلسطين العربية بصورة ملموسة الا ابتداء من العام ١٩٣٣ ، وفي حين كان العرب يتكاثرون بصورة طبيعية ، لم يكن اليهود يتكاثرون، بل يزيدون وفقا لوتيرة الهجرة الى فلسطين بكل ما تمثله من زيادة اصطناعية . وكان اليهود يهاجرون الى امريكا الجنوبية ، البرازيل والارجنتين ، والى استراليا ونيوزيلندا وامريكا وكندا ، وكانوا عازفين عن الذهاب الى فلسطين لانهم كانوا يظنون بأن حالهم ، عندئذ ، سيغدو كحال من يستجير من الرمضاء بالنار . وظل الحال كذلك الى ان أخذ اليهود الالمان يفرون من المانيا ، والعمال اليهود الذين كانوا يعملون في المانيا اخذوا يعملون في فلسطين ، وكانت قلوب هؤلاء مقرحة ومملوءة بالحقد أكثر مائة مرة من الحقد الذي كان لدى يهود « الغيتو » تجاه مضطهديهم في بلدان اوروبا الشرقية ، رومانيا وروسيا وغيرها . وعندئذ بدأ الصراع الحقيقي بين اليهود في فلسطين وعرب فلسطين .

لقد كان اليهودي المنتج الوحيد الذي قابلته خلال الفترة التي قضيتها هناك ابتداء من الفترة التي قضيتها في القدس حيث كنت اتعلم في « اليشيفاه » اي المدرسة الدينية ، صبيا صهيونيا أظن ان اسمه كان « يوشكا » ، وكان ابوه يهوديا ميسور الحال وفد الى فلسطين من امريكا الجنوبية او من جهة اخرى في العالم واشترى قطعة من الارض اكبر من قدرته ، فلم يكن لديه ما يكفي من المال ليغرس كل ما ود ان يغرسه من اشجار البرتقال ، ولم يكن ما معه من نقود يكفي لكي يعيش على مدخراته طوال السنوات الاربع او الخمس التي تحتاجها اشجار البرتقال حتى تثمر ويعيش مما يبيعه منها. وكان يوشكا — ولا ادري ان كان هذا هو اسمه الاول او اسم عائلته — فتى وسيما ، وكان يماثل العرب في مهارته في ركوب الخيل . وفي احدى مهرجانات سباق الخيول السنوية حيث كان غالبية المتسابقين من العرب ولم يشترك فيها الا بضعة يهود وربما كان يوشكا هو اليهودي الوحيد ، وكنا نعبده ، وقد ربح مرة جائزة السباق اذ سبق جميع المتبارين . هذا كان حال يوشكا في الرياضة، اما في الزراعة فلا ادري ان كانت مساعدته لوالده في غرس الاشجار تعزى الى ما عرف عن والده من جد واجتهاد في العمل ، فقد يكون هذا هو سر نشاط يوشكا واجتهاده ، وكذلك قد يكون هنالك غير يوشكا حالات فردية شاذة اخرى ، الا انني لم أر مطلقا اي شخص يهودي رجلا كان ام صبيا يغرس اشجارا ، او يسقي اشجارا ، وعلى اية حال لم يكن هناك كثير من البساتين التي اشرف اليهود على غرسها ، فمعظم البساتين كان يملكها العرب . ان البرتقال المعروف باسم « البرتقال اليافاوي » هو برتقال عربي ، وهو الى اليوم ما زال من احب اصناف البرتقال في اسواق لندن وكذلك في اسواق نيويورك ، حتى في منطقة سانتا كلارا يوجد للبرتقال اليافاوي اسم كبير ، فقد اشتروا اغراس هذا البرتقال من يافا العربية وغرسوها هنا .

ان أفضل انواع اليهود « العاملين » الذين قابلتهم ، وهم النوع الوحيد العامل المعافى

ويتمتعون بشباب فياض كانوا الشومريم ، وقد تابلتهم اول الامر في القدس ومن ثم في يافا ، ونادرا ما كنت اصادفهم انما كنت احتفظ لهم دائما باعجاب ومحبة . والشومريم تعني الحراس ، وكانوا يرتدون عادة اللباس العربي ويعتمرون بالكوفية والعقال ويتسلحون بمسدس يخفونه تحت ردائهم ويركبون الجياد . ووظيفة الشومريم هي حراسة المستعمرات اليهودية من البدو الذين كانوا يغزونها ويستولون على المحاصيل والمواشي ، وقد شهدت، وأنا صبي صغير ، اكثر من واحد من الاشتباكات بين البدو والشومريم اثناء زيارتي لعمي ، حيث تقرع الاجراس في برج روحوبوت ، فيهرع المزارعون راكضين او راكبين الخيل والحمير الى موقع الاشتباك بين البدو الغزاة الذين كان يشح عليهم الماء والطعام في اواسط الصيف فكانوا يهاجمون المستعمرات اليهودية على الاطراف لعلهم يفوزون ببعض ضالتهم من الماء والزاد . وما زلت اذكر جيدا احدى هذه الاشتباكات التي كانت تحدث من حين الى اخر ، حيث يعود بعض الرجال الى المستعمرة من موقع الاشتباك والدماء تسيل من جباههم وانوفهم ووجوههم ، اذ لم يكونوا مجهزين بأية تجهيزات للاسعافات الاولية ، وكانوا يأتون الى المستعمرة لعلهم يجدون طبيبا يداويهم . وكان هؤلاء الشومريم يتجولون ، ليلا ، على ظهور الخيل فرادى او ازواجا او ثلاثات ويطوفون في ارجاء المستعمرات وكانوا فتيانا شجعانا تشع الشجاعة من ملامحهم . وكانوا ماهرين في الرماية ويتكلمون العربية بطلاقة كما كانوا فتيانا مشبوبي العواطف ينافسوننا في مغازلة الفتيات ، لانه ما ان تقع انظار الفتيات على أحد الشومريم مارا في المستعمرة حتى نصبح نحن صفرا . وكان الشومريم هؤلاء يمثلون صورة اليهودي الرومنطيقي وباكورة القوميين الذين اخذوا يتوافدون على فلسطين . وبعد ذلك أخذ هؤلاء القوميون ينظمون انفسهم في مزارع جماعية، اذ لم تكن كلمة كيبوتزات قد استحدثت بعد، وكان بن غوريون احد الذين ساهموا في عملية التنظيم هذه .

لم يكن هناك شعور معاد لليهود لدى العرب سواء كان من البدو أو القرويين أو التجار، وما تطرقت اليه في حديثي انما هو مظهر من مظاهر التخلف في الشرق الاوسط . لم تثر الريب لدى العرب بأن اليهود كانوا قوميين صهيونيين الا بعد اعلان وعد بلفور . وكان الشومريم يتجولون بين المستعمرات فرادى لا كمجموعات ، رغم انهم كانوا منظمين سريا ، وكانوا يحصلون اتاوات لقاء المهمة التي يؤدونها ، فهم من هذه الناحية شأنهم شأن غيرهم من اليهود في فلسطين كانوا يمدون ايديهم طلبا للاعانات والصدقات ، وهذا من الامراض المتفشية في الشرق الاوسط ، لا سيما بين اليهود . وكان لدى الشومريم مبرر مقبول واكثر وجاهة لتلقي الاعانات مما لدى الجماعات الطفيلية الذين كانوا يمضون اوقاتهم جلوسا على مقاعد « اليشيفاه » اي كتاتيب وتكايا الطرق الدينية اليهودية في القدس ، او اولئك المزارعين الذين كانوا يتبخترون دون عمل بحلة كاملة الاناقة من قمصان منشاة الياقات وربطات عنق ، وأحذية لماعة ، ويمضون سحابة نهارهم جلوسا يقرأون الروايات بلغة اليديش او العبرية ويصدرون اوامرهم الى من يعمل في خدمتهم من العرب : افعل كذا ، واعمل كيت ،... ثم يقدمون الفواتير الى البارون روتشيلد والبارون هيرش لتسديدها . لم اصادف في فلسطين اي يهودي عامل ، فكنت اسمعهم يرددون طوال الوقت ، ليلا ونهارا ، اسم البارون روتشيلد والبارون هيرش . وكان موضوع الحديث في بيت عمي دائما هو : « ترى ماذا سيصنع البارون هيرش الان وهو لم يصنع هذا الى الان ولم يصنع ذاك »، مع انه كان عندهم اراض واسعة وكانوا ينتجون منها عنبا وفيرا ويصنعون نبيذا جيدا وينتجون الالاف المؤلفة من البطيخ الذي كانوا يبيعونه للعرب ، كما ان العرب بدورهم كانوا يبيعون لهم من محاصيلهم ، ولكن اليهود كانوا دائما يتوقعون « حلوكاه » هذه هي الكلمة بالضبط « حلوكاه » اي هبات واعانات ومنح مجانية دون مقابل ، فالعالم مدين لهم — فهم شعب الله المختار — كانوا دائما يعودون الى هذه النغمة . ان العالم يشعر بالغثيان والتقزز من الشعوب المختارة ، من الشعوب المفضلة على غيرها ، وكأن هتلر استقى عقيدته من توراتهم ليبرر مطامعه اللعينة واللااخلاقية واللاانسانية في غزو اوروبا ومحاولته غزو العالم بأكمله والسيطرة عليه .

ولنعد مرة اخرى الى الوراء ، الى أيامي في القدس ثم في يافا ، في الجمنازيوم ، ان أمتع الاوقات في السنوات الخمس التي قضيتها في الجمنازيوم هي عندما كنا نؤخذ في ايام السبت — ليس نؤخذ بل نذهب الى البحارة العرب ، حيث يأخذوننا مقابل

مبلغ زهيد عشرة سنتات او عشرين سنتا في رحلة بحرية طويلة في البحر الابيض المتوسط ، خلف الصخور التي لم تكن تسمح لاية باخرة بالاقتراب من الشاطىء اكثر من ميلين او ثلاثة اميال، فكانوا يعبرون بنا بمراكبهم في الممرات الضيقة بين الصخور . وكان هؤلاء العرب الوسيمون ،الاقوياء، الفارعو الطول ، هؤلاء البحارة العرب اليافاويون يحبسون انفاسهم لبرهة وهم يبتسمون قبل ان يلجوا بنا الى منطقة الصخور ، ومن ثم يضبطون حركة تجديفهم بالعد ١ ، ٢ ، ٣ ثم ينطلقون بنا في خط مستقيم الى عرض البحر مسافة ميل الى ان نصل الى البواخر حيث كانوا يوزعون علينا هناك الملبس والفواكه . وكان القبطان يحب كثيرا هؤلاء الفتيان، وكنا جميعا فتيانا يهودا من الجمنازيوم ، وان صديقي العزيز عكيفا غنزبرغ ، اذا ما زال حيا ، يستطيع ان يشهد بصحة ما اقول ، وكنا نعود من رحلتنا البحرية محملين بالهدايا اي اغنى عشرة اضعاف من الناحية المالية من السنتات العشر او الخمسة عشر التي كنا ندفعها للبحارة . لقد احببنا البحارة كثيرا ، فما من مرة اساؤوا الينا .

فلماذا نضطهد وننفي ونستولي على بيوت واراضي الناس الذين كانوا يحسنون معاملتنا كأفراد ، وكانوا طوال السنوات الالف او الالف والخمسماية الاخيرة من التاريخ هم الوحيدون الذين احتضنوا اليهود بين صفوف ابنائهم ورحبوا بهم بين ظهرانيهم عندما كان اليهود يفرون من الاضطهاد من ديار الى اخرى الى ان استقر بهم المقام في الديار العربية في مصر والعراق ولبنان وسوريا وفلسطين الخ ... ولهذا توجه الكثيرون منهم الى فلسطين — طلبا للامان والطمأنينة وللنجاة بأرواحهم من المذابح . وانني لا استطيع مغالبة ما يعصر قلبي من مشاعر الاسى كلما قرأت عن أسر عشرة من رجال فتح ، او عن نسف البيوت لانهم اكتشفوا في الاراضي المحتلة ، او في اسرائيل ذاتها ، بعض العرب الذين ساعدوا فدائيي فتح — المقاتلين من اجل التحرير ، وعندها ينتحب قلبي واتساءل ترى كم دفعوا من النقود رشوة للمخبر الذي خان اخوته العرب ؟ اذ من اساليب الصهيونيين المعتمدة رشوة اي شخص يخدم مصالحهم بدفع البقشيش له .

هنالك شيء لن انساه ابدا ، فاسمح لي ان آخذ من وقتك دقيقة او دقيقتين لاحدثك عن طبيب الاسنان العربي الذي لا اذكر اسمه ، مع انه ينبغي علي ان اذكر اسمه ، ولاحدثك عن خدماته لي كشخص غريب عنه تماما — خدمات عربي الى فتى قومي يهودي ، ولا استطيع ان افهم هذه الخدمات الا في اطار الانسانية الحقيقية والمعايير الاخلاقية .

في ايام طفولتي ، لسبب او لآخر ، لم ازر مطلقا طبيب اسنان الا لغرض نزع بعض أسناني بأصابع اليدين ، وليس بواسطة أية أدوات مطلقا وكان ذلك في روسيا . الآن تذكرت — زخريا هو اسم طبيب الاسنان العربي الذي اود ان احدثكم عنه . كيف تنز اسمه دفعة واحدة في مخيلتي ؟ لا أدري ... عندما كنت في يافا أتعلم في الجمنازيوم كان هنالك سن ناتىء من مقدم فمي كثيرا ما انغرس في شفتي وادماها . وفي هذه الاثناء كنت قد نضجت وبدأت أحلق ذقني لأبدو وسيما ، اذ كانت هنالك فتيات يشاركننا مقاعد الدراسة ، اما ذلك السن الناتىء فلم يحفل به أحد من عائلتي — أمي أو جدي او جدتي — الذين كانوا في غاية اللطف معي ، بيد انهم كانوا يتمتمون احيانا بعض الاحاديث عن ترهات وخزعبلات ومعتقدات ينسبونها الى التراث الحضاري اليهودي وتعاليم الديانة اليهودية التي هي في نظري تعاليم اخلاقية مجيدة وحتى اليوم أجد ان شجاعة الانبياء تفوق حدود تصوري ، بيد انه كان هنالك كثير من المظاهر المتخلفة البالية كهذه التي سأرويها على مسامعكم الان.كنت أخاطب جدتي قائلا : جدتي، ماذا سنصنع بهذا السن البارز من مقدم فمي ؟ » فتقول لي : « اذا نزعنا ذلك السن الناتىء ستدمى عيونك وتنز وتصبح أعمى » . وبهذه الطريقة أقنعوني ، فأنا لا اريد ان أفقد عيني . ولكني بعد ان التحقت بالجمنازيوم اصبحت مسؤولا عن نفسي ، وكان عمري يومها حوالي خمسة عشر عاما . وكلما وددت ان أحلق ذقني بشفرة حقيقية ، وتأملت وجهي في المرآة كان ذلك السن الكبير البشع يطل من مقدم فمي وشفتي مشقوقة تحته والدم يسيل منها . وكان أخي في نيويورك يبعث لي ، عادة ، اربعة دولارات او خمسة في الشهر ، وفي كثير من الاشهر كان لا يرسل لي شيئا لانه كان عاطلا عن العمل في معظم الاحيان . فكنت أتردد على المصرف الصهيوني أو مصرف الاستيطان اليهودي أيا كان اسمه ، لاستفسر عما اذا كان أخي قد بعث لي أية نقود . وقد رأيت في جوار المصرف يافطة مكتوب عليها : « طبيب أسنان — نتكلم الانكليزية » . وحيث انني

كنت قد درست اللغة الانكليزية خلسة اثناء دراستي في « اليشيفاه » اي المدرسة الدينية في القدس راودني الفضول للتحدث باللغة الانكليزية وباللغة العربية بطبيعة الحال ، كذلك كنت تواقا الى حل مشكلة ذلك السن مهما كلفني ذلك من ألم . فدخلت الى عيادة طبيب الاسنان ، وكانت الساعة عندئذ حوالي الثانية او الثالثة بعد الظهر . وكانت غرفة الانتظار تغص بالمراجعين . وكانوا جميعا يقرأون مجلة « المصور » التي هي على غرار مجلة « لايف » في هذه البلاد (اميركا) . وكانت جميع صفحات المجلة دون استثناء حافلة بصور البوارج والمدمرات التي كان يملك الانكليز منها الكثير ، كما كان الفرنسيون يملكون منها الكثير ، وكذلك كان الالمان يطمحون الى امتلاك الكثير منها استعدادا للحرب التي كان قد تم اقناع الجميع بأنها لازمة وضرورية، وآتية لا ريب فيها . وكانت الصور جميلة ، وأمضيت الوقت في تأملها الى ان فرغت غرفة الانتظار من النــــاس حوالي الســــاعة الخامسة والنصف حين تقدم مني شاب في حوالي الخامسة والثلاثين من العمر وسألني : « ما علتك أيها الفتى ؟ » . فقلت له : « أريد ان اسألك عن شيء ، فهل تسمح لي بالدخول الى غرفتك ؟ » ، فقال : « بكل تأكيد ! بكل تأكيد ! » . فقلت له : « ان هذا السن يؤذيني . وكان أهلي يقولون لي ان عيني ستدميان وتعميان اذا ما نزع السن » . فانفجر ضاحكا الى درجة خيل لي معها انه لن يفيق من ضحكه . ثم سألني : « هل أنت يهودي ؟ » فقلت له : « نعم ، وانني أتعلم في الجمنازيوم » . فقال : « آه ! الجمنازيوم ! الجمنازيوم ! حيث يعلمونكم كيف تكرهوننا » . فقلت له : « ينبغي ان أقر انك على حق ايها الطبيب ، ولكنني جئت اليك لخلع سني » . ففحص السن اولا ثم أخذ يفحص جميع اسناني . وكانت الساعة قد بلغت السادسة والنصف عندما فرغ من فحص أسناني حين قال لي أخيرا : « انظر يا صغيري العزيز ، بوسعي ان انزع لك هذا السن في مدة دقيقتين ، ولن اسبب لك حتى ألما من جراء ذلك ، اذ سأحقنه بـــ » . بماذا كانوا يحقنون الاسنان — انها حقنة — لقد نسيت ذلك الان ، ربما تذكرت ذلك فيما بعد . ولكن طبيب الاسنان قال لي : « يا صغيري ! لا غرابة انك صغير البنية نحيفها ، ان اسنانك تنز قيحا وصديدا ، انك تتسمم ببطء . علي ان انزع لك حوالي ١٥ من اسنانك وان احشو حوالي عشرة أخرى . وبعد ذلك ، عليك ان تكثر من شرب الحليب وما الى ذلك . هل لك عائلة لتساعدك في ذلك ؟ » فقلت له : « لا ليس لي احد . اذ قد أتيت لتوي من المصرف حيث كنت آمل ان اجد لي حوالة من أخي بمبلغ ثمانية دولارات او اثني عشر دولارا (لا ادري ان كانت ١٠ دولارات او ١٥) ، ولكن يبدو انه لم يكسب ما يكفيه لمساعدتي . اما أمي فهي في روسيا ، وهي ترسل لي من حين الى آخر ما تستطيع ان تحصل عليه من زوجها لمساعدتي ، ولكنني في وضع لا آكل فيه الا عند الحاجة ، وكثيرا ما اتعرض للجوع ، وانني أعلّم الاطفال الاخرين في الجمنازيوم الذين في صفوف اوطأ من صفي » . وعندئذ قال لي : « انتبه لي ! احضر الى عيادتي يوما بعد آخر حوالي الساعة الرابعة والنصف الى ان افرغ من معالجة أسنانك . سأنزع لك هذا السن الذي يزعجك الآن ، ولكنني سأعالج لك كل اسنانك » .

واختصارا للوقت اقول بايجاز انني بقيت اتردد عليه طوال شهرين الى ان فرغ من معالجة جميــــع اسناني ، ومعظم الحشوات التي في ضروسي الآن هي من صنعه ، وان طبيب اسناني هنا في بلدة لوس سكاتوس مندهش من امرها لانها ما زالت جيدة ، وهي ما زالت صالحة لانها صنعت بمحبة واخلاص وادخرت فيها أجمل المشاعر . واختصارا للوقت أقول بايجاز : ان هذا جميعه يجعلني أشعر بتعاسة مزرية ، ولعل احسان هذا الطبيب الي أكثر من أي شيء آخر ، علاوة على ما لقنني اياه جدي من تعاليم ، جعلني أحاول مساعدة ضحايا القومية اليهودية — هذا الطبيب العربي الذي عندما سألته يوما : « ان معي ثمانية او عشرة دولارات (أيا كان الرقم ، اذ لا اذكر ما اذا كان أخي يبعث لي اربعة دولارات في الشهر او خمسة) الا تود ان تتقاضى شيئا من أجرك ؟ » . فقال لي : « اشتر بها حليبا ، واشتر بها فاكهة ، انني لا اريد ان اقبض اجري منك . ان ضميري يدفع لي لقاء ذلك . وعندما تكبر ، حاول ان تتخلص من هذه الكراهية لنا ، نحن العرب ، وتذكر انه كان هنالك عربي واحد طيب ، وان هنالك الآلاف مثله في يافا والقدس وفي فلسطين » .

هذا الطبيب ربما انه كان ممن طردوا عام ١٩٤٨ ، او ربما يكون قد قتل في تلك السنة — وحتى ان كان من الناجين فلا بد انه قد مات الآن ، لانه كان

يكبرني بحوالي ١٥ سنة او يزيد . اما ابناؤه ، فربما انهم يعيشون الان في احد المخيمات حيث تحولوا الى فدائيين . وهذا أحد الاسباب التي تدعوني الى ان افرغ جل طاقتي وان استغل كل ساعة او لحظة تسنح لي لخدمة القضية بحافز من يهوديتي — اذا كان يحق لي هذا الانتساب ، لانني أعتبر نفسي يهوديا افضل واخلص بكثير من اولئك الذين يدعمون الصهاينة الاسرائيليين القتلة لكي يقتلوا الناس في وجه الوصية التي تقول : « لا تقتل ! » . ان كل ذرة من طاقتي وكل لحظة من وقتي ينبغي ان افرغها لمساعدة ضحايا القومية اليهودية — القومية اليهودية المجنونة المغرقة في بدائيتها ، والبالية الغريبة عن عصرنا الى أبعد حد ، والتي هي أبعد ما تكون عن الديانة اليهودية الاصيلة ، ان جاز لي ان اقول ذلك . ان ما لقنني اياه جدي من تعاليم دينية واخلاقية ظلت تلازمني طوال حياتي . وان ما اورثني اياه جدي من تعاليم يهودية صحيحة ، أصيلة في يهوديتها — تعاليم الديانة اليهودية الاخلاقية والشاملة في انسانيتها جعلتني بعد ان أمضيت عمري أراقب قضايا العدالة والظلم ، وشؤون الحروب العالمية ، وقضية النزاع الكبير بين اليهود في فلسطين او في اسرائيل اليوم وبين عرب فلسطين الذين طردوا من بيوتهم وديارهم ، ان هذا النهج الاخلاقي هو الذي أثر علي ليس فقط في منحى سيرتي الشخصية ، قدر ما وسعني الجهد للالتزام بالمثل الاخلاقية والتمسك بالقيم الانسانية متوخيا الانصاف والتوبة عن الاساءة مثلما كان جدي يتوب عن سيئاته ، وذلك ليس فقط امام الجيل الشاب لكي يصبحوا « يهودا جيدين » ، بل في التصرف في المحيط الاوسع كانسان يمارس انسانيته ، يمارس التهذيب الانساني ويلتزم بالمثل الاخلاقية . هذه هي الامور التي جعلتني اقرر منذ اشتعال الحروب العربية — الاسرائيلية ان أقف الى جانب ضحايا القومية اليهودية التي هي في نظري تعني التخلي عن يهودية الانبياء القديمة — اليهودية الاصيلة ، الاخلاقية ، الانسانية ، واستبدالها بالقومية اليهودية .

لقد استبد اليأس باليهود في أواخر القرن التاسع عشر وأخذ منهم كل مأخذ حتى قلبوا ديانتهم اليهودية القديمة الى قومية سياسية ليجاروا بذلك ما كان يسود انكلتره وفرنسا وايطاليا والمانيا من اتجاهات القومية السياسية الفاسقة المتطلعة الى نهب الشعوب الاخرى ، فاستغلت هذه الاتجاهات شباب تلك البلدان واستخدمتهم طعاما للمدافع للسيطرة على اراضي البلدان الاخرى واستغلال شعوب تلك البلدان ونهب ثرواتها . ومنذ ذلك الزمن أخذت اوروبا تتعلم الدرس عن طريق التجارب القاسية المريرة التي عانت منها الى ان بدأت تلفظ افكار القومية السياسية وتنبذ اتجاهاتها كمنهج للحياة ، وكفاية في ذاتها ، وكمثل أعلى تشربه للنشء ، وقد بدأوا يتعلمون هذا بعد ان دفعوا ثمنا باهظا لقاء هذا الدرس ، وبدلا من ذلك ، أخذت تهل على الدنيا النزعة الانسانية العالمية النظرة ، فانقطعت الديانات عن محاربة ومقت الواحدة الاخرى ، واخذت افكار القومية السياسية تتلاشى لتحل محلها نظرة عالمية تتوخى اقرار العدالة للفرد وتمتعه بحق السعادة في الحياة . وأخذت تشيع في العالم مشاعر الاخوة الانسانية والمساعدة المتبادلة ، وذلك نظرا لادراك الناس مدى لا أخلاقية القومية السياسية وما ألحقته بالانسانية من أذى وضرر .

ولكن بقدر ما يتعلق بي الامر ، فانني اقول ان اليهود اليوم قد وقعوا ضحية القومية السياسية التي ما زالت تبث أفكار القومية السياسية الفاسقة المتطلعة الى السلب والنهب ، والاستيلاء على اراضي الغير ، ان الغزو الاقليمي قد غدا هو الغرض من الحياة وغايتها ، واصبح القضية التي تستحق ان يموت المرء في سبيلها . ان علينا الان ، وفي اسرع وقت ممكن ، ان نبدأ في وضع يدنا على الاصول الاولى للجريمة ، الا وهي مدرسة القومية السياسية اليهودية في التفكير التي نشأت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ونبتت في تربة الاستعمار والامبريالية والنازية الالمانية الفاسقة والمتطلعة الى السلب والنهب ، والتي فرضت قومية سياسية ما زالت اليوم كما كانت في الامس ، وما فتئت تسعى الى ما كانت تصبو اليه في عام ١٨٩٧ الا وهو تأسيس امبراطورية اسرائيل الكبرى على حساب السكان العرب المحليين الابرياء في الشرق الاوسط .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

عاشت حركة المقاومة الفلسطينية في الفترة القصيرة الماضية الممتدة من ١ شباط الى ١٠ اذار ١٩٧٢ في جو من الاحداث المتسارعة ، والتي تستدعي مواقف سياسية دقيقة وواضحة . فقد برزت أولا قضية الانتخابات البلدية ، ثم تلتها مرحلة جديدة من النشاط الفدائي ، بعد فترة من التقاط الانفاس أعقبت الاشتباكات المتواصلة بين المقاومة والنظام الاردني ، ردت عليها اسرائيل باعتداءات عنيفة وواسعة على جنوب لبنان ، وعلى قواعد الفدائيين في سوريا . ثم جاء انشقاق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ليبرز ازمة داخلية جديدة، شغلت حيزا لا بأس به من اهتمام المنظمات الفدائية ، التي حرصت على أن ينحصر هذا الخلاف ضمن افق ديمقراطي ، وان لا يتطور مطلقا الى أي نوع من الاشتباكات ، في ظل الظرف السياسي الصعب الذي تمر به المقاومة ، وحتى يبقى شعار ديمقراطية الحوار محافظا على مكانته. وسنحاول هنا القيام باستعراض ابرز التطورات في هذه القضايا :

الانتخابات البلدية :

اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير يوم الثامن من شباط ١٩٧٢ ودرست موضوع الانتخابات البلدية التي قررت اسرائيل اجراءها في ٢٨ اذار.وأصدرت على اثر ذلك بيانا باسم الناطق الرسمي السيد كمال ناصر اعلن رفض المنظمة للانتخابات البلدية ودعا لمقاومتها بكل الوسائل الممكنة . وجاء في البيان «ان اللجنة التنفيذية اذ تنبه الى خطورة هذه الانتخابات على القضية الفلسطينية والعربية ، تحذر جميع الذين يؤيدونها ، او يشتركون فيها ، من أنها لن تقف مكتوفة الايدي في وجه الصهاينة والاستعماريين العاملين على تصفية القضية الفلسطينية والخونة المتعاونين معهم في تحقيق اغراضهم » . وأضاف البيان يقول « ان الهدف المباشر لاجراء عملية الانتخابات المزعومة هو تحويل التناقض بين الشعب والاحتلال الى نزاع بين فئات الشعب ، بحيث يستعيض الفلسطينيون عن مقاتلة العدو بمقاتلة بعضهم بعضا » .

وقد اتخذت اللجنة التنفيذية في هذا الاجتماع قرارا بتشكيل لجنة سباعية تضع خطة « لبرنامج تنفيذي لتحقيق الاهداف المرحلية للثورة » . وحددت مدة عشرة أيام للجنة حتى تنهي اعمالها .

ثم اجتمعت اللجنة التنفيذية مرة اخرى في دمشق في ١٩ شباط ، وقيل أنها وافقت بالاجماع على تقرير اللجنة السباعية لتوحيد كل قوى الثورة في كافة المجالات (لم تظهر نتائج عملية تؤكد ذلك). واتخذت في هذا الاجتماع الثاني قرارا بعقد دورة استثنائية للمجلس الوطني في ١٦ اذار ، يرافقها عقد مؤتمر شعبي موسع يضم ممثلين عن الفلسطينيين في كافة مناطق تواجدهم . ثم اجل موعد عقد المؤتمر الى ٦ نيسان بعد العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان والتطورات السياسية التي فرضها هذا العدوان .

الاعتداء الاسرائيلي على جنوب لبنان :

في الاشهر الماضية ، نشط العمل الفدائي ، بعد مرحلة استرداد النفس ، من منطقتي جنوب لبنان والجولان . وانسجاما مع المخطط الاسرائيلي القديم الهادف باستمرار ، الى الرد على العمل الفدائي في البلاد العربية ، لخلق حالة متأزمة أمام الحكومات تدفعها للقيام بنفسها بالتضييق على العمل الفدائي اولا ، ثم القضاء عليه ثانيا ، أخذت اسرائيل تتعمد نشر انباء العمليات الفدائية، والخسائر التي نتجت عنها ، تمهيدا لوضع مرحلة جديدة من مخططها موضع التنفيذ .

ففي ٢٤ شباط أعلن ناطق أسرائيلي أن فدائيين عاملين من لبنان قتلوا اثنين من المدنيين الاسرائيليين في الجليل الاعلى خلال الليل بعد ان نسفوا سيارتهم ، وان دواليب سيارات عدة ثقبت بواسطة مسامير نثرت على الطرق . ثم أعلن الناطق الاسرائيلي أن الفدائيين تسللوا من لبنان واصابوا ستة من حراس الحدود بجراح ، توفي منهم اثنان. واصدر الناطق الاسرائيلي تصريحا ثالثا قال فيه ان ٤ جنود اسرائيليين قتلوا بعدما انفجر لغم بسيارتهم قرب الحدود مع لبنان وسوريا .

وعلى أثر هذه الحوادث عقد « ديفيد اليعازر » رئيس الاركان الاسرائيلي مؤتمرا صحفيا قال فيه « اعتقد انه سيتوجب علينا بسبب بدء النشاط المعادي من جديد ان ننشط على الحدود ... وانه يحمل الحكومة اللبنانية مسؤولية الحوادث » . بينما قالت المقاومة ان عملياتنا تتم في العمق ، والتهديدات تهدف الى « اثارة المشاكل للثورة خارج الارض المحتلة وكمبرر لتغطية اهداف اسرائيل التوسعية والعدوانية » .

وقد كانت هذه التصريحات الاسرائيلية مجرد تمهيد اعلامي فقط لقرار متخذ سلفا ، اذ شنت اسرائيل في صباح اليوم التالي (٢٥ شباط) هجوما على جنوب لبنان اشتركت فيه الطائرات والمدرعات والمدفعية وكتائب الكوماندوس المحمولة بالهليكوبتر. وشمل الهجوم القطاعين الاوسط (بنت جبيل) والشرقي (العرقوب) بالاضافة الى منطقة راشيا الوادي في البقاع ووصفت المقاومة الهجوم الاسرائيلي فقالت انه تم على ثلاثة محاور : ١ — محور بنت جبيل — عيناتا : وهاجمته ٣ كتائب مشاة + ٦٣ دبابة + غطاء جوي كثيف . وقد انسحبت اسرائيل عن هذا المحور بعد مقاومة ضارية من قبل الفدائيين . ٢ — محور العرقوب : وهاجمته مجموعات كوماندوس محمولة بالهليكوبتر، كان هدفها دخول قرية الهبارية . وتصدى الفدائيون للقوات المهاجمة في معركة ضارية ، أدت الى فشل الهجوم . ٣ — محور يتطا — دير العشائر : تعرض لقصف جوي كثيف ومتواصل .

وبذلك تكون كافة مواقع الفدائيين في جنوب لبنان قد تعرضت للهجوم الاسرائيلي الذي أسفر عن مقتل ٧ فدائيين واصابة ١٣ منهم بجراح ، بالاضافة الى مقتل مدنيين وجرح مدني واحد ، وتدمير ٢٢ منزلا في قرية عيناتا التي احتلت ثم اخليت . وقد اعلن الناطق الاسرائيلي (كجزء من عملية التمويه) أن القوات الاسرائيلية قد انسحبت تماما دون اي خسائر .

تابع العدو الاسرائيلي عدوانه في اليوم الثاني (٢٦ شباط) فقام بقصف كثيف بالطيران لمنطقة العرقوب استمر خمس ساعات ونصف في فترة الصباح ، وشاركت في القصف المدفعية الثقيلة لمدة ساعتين ونصف قبل الغروب ، واعتبر هذا القصف من اكثف العمليات العسكرية بعد حرب حزيران . وكان القصف يستهدف تغطية شق طريق فوق بلدة كفر حمام . وقد تصدى الفدائيون للجرافات بعمليات ارضية ، وللطيران بالمدفعية المضادة ، واستمرت العمليات حتى العاشرة ليلا . وذكر الناطق الاسرائيلي ان جنديين فقط اصيبا بجراح . وكرر (كجزء من عملية التمويه) ان الجنود الاسرائيليين انسحبوا تماما من لبنان بعد عمليات استمرت ٣٦ ساعة . بينما قال مراقبون في تل ابيب أن اسرائيل لن تكتفي بالهجمات ضد المقاومة ، بل ستلجأ الى « فرض رقابة مشددة دون ان تلجأ الى احتلال فعلي » ، بينما اعلن ناطق باسم المقاومة ان خسائر الفدائيين أصبحت حتى الان ١٢ قتيلا و٢٢ جريحا ، أما فيما يتعلق في الجانب السياسي فقد اعلن بيان للمقاومة ان الاهتمام العربي لا يتلاءم مع مستوى وشراسة الهجوم الاسرائيلي الذي يستهدف : ١ — احتلال مواقع استراتيجية في جنوب لبنان . ٢ — استعداء الجماهير والجيش اللبناني ضد العمل الفدائي . ٣ — استكمال خطة التصفية لقوى الثورة لتمهيد الاجواء لتمرير التسوية السياسية بالشروط الاسرائيلية .

وقال بيان المقاومة ان المعركة في جنوب لبنان هي استمرار لمعركة جرش في الاردن وطالب بانعقاد مجلس الدفاع العربي ، وبتخصيص موازنة ثابتة لدعم الوجود اللبناني .

وفي اليوم الثالث (٢٧ شباط) تابع العدو الاسرائيلي عدوانه ، وتمكن من احتلال خمس قرى في منطقة العرقوب (كفرشوبا — كفرحمام — راشيا الفخار — الهبارية — الفريديس) ، ثم قام العدو بتوسيع نطاق هجومه فأغار بالطائرات على مخيم اللاجئين في النبطية ، بينما انتقدت نشرة « حصاد العاصفة » التي تصدرها فتح موقف الصمت العربي .

في منتصف اليوم الرابع (٢٨ شباط) بدأت القوات الاسرائيلية تنسحب من قرى العرقوب ، حيث انهت انسحابها في الساعة السادسة مساء ، بينما دخل الجيش اللبناني الى المنطقة فور الانسحاب . وقد تم الانسحاب الاسرائيلي على محورين : المحور الاول : طريق توصل من الهبارية الى شبعا ، وهي طريق شقتها اسرائيل أثناء العدوان ، وانسحبت منها باتجاه الاراضي السورية المحتلة (١٢ دبابة + ٤ جرارات) . المحور الثاني : الطريق الرئيسية الممتدة من الهبارية الى كفرشوبا ، وهي الطريق التي دخلت منها القوات الاسرائيلية (٢٤ آلية ودبابة) .

وفي صباح هذا اليوم اجتمع السيد ياسر عرفات مع السفراء العرب في بيروت وطلب منهم تقديم دعم مادي فوري لجنوب لبنان ، والدعوة لعقد مجلس الدفاع العربي حالا ، وتحويل المواجهة مع العدو الاسرائيلي الى مواجهة عربية . بينما أكد مصدر حكومي لبناني ان الجيش اللبناني دخل العرقوب بالتفاهم مع قادة المقاومة . وقد ذكرت فتح (٢٩ شباط) ان دخول الجيش اللبناني الى منطقة العرقوب هو عمل لبناني ولا يشكل عملا عدائيا للمقاومة ، وان اتفاق القاهرة ينص صراحة على سيادة الدولة اللبنانية على كل اراضيها . وتم في هذا اليوم تشييع عشرة فدائيين استشهدوا في المعركة ، وشارك في التشييع حشد جماهيري ضخم ، وقال ناطق باسم المقاومة ان خسائر القتال بلغت ٤٧ قتيلا فدائيا و٦٤ جريحا ، وان خسائر العدو كانت اصابة ١٣٠ ضابطا وجنديا اسرائيليا. وبالرغم من الانسحاب الاسرائيلي فقد بقيت حالة التوتر قائمة ، وبقيت الاشتباكات متصلة . ففي ٢٩ شباط هاجمت المقاومة قوات اسرائيلية في بيادر شبعا وفي منطقة الرويسات الشرقية . وفي ١ اذار قصفت القوات الاسرائيلية معسكرا لتدريب الفدائيين بالقرب من بلدة حام على الحدود اللبنانية — السورية ، بعد أن كان ناطق اسرائيلي قد أعلن ان ١١ شخصا يعملون في الاحراج قرب عكا اصيبوا بجراح بعد ان انفجر لغم بسيارتهم وضعه فدائيون متسللون .

أما في المناطق السورية فقد قال ناطق اسرائيلي أن الفدائيين قاموا بأربع هجمات في ليلة واحدة يوم ٢٩ شباط ، وان عملياتهم بلغت ١٣ هجوما خلال ثلاثة ايام . وكان هذا الاعلان تمهيدا لقيام المدفعية الاسرائيلية بقصف ٤ قرى سورية في ١ آذار ، ولقيام الطائرات الاسرائيلية بالاغارة في نفس اليوم على قواعد للفدائيين في جنوب سوريا ، قتل فيها مواطن سوري وثلاثة فدائيين . وقد ردت سوريا على هذه الغارات بغارات مماثلة استهدفت المستعمرات الاسرائيلية التي بنيت بعد الاحتلال في منطقة الجولان .

وبعد ان حلقت طائرات اسرائيلية فوق منطقة اللاذقية ، أنذرت سوريا اسرائيل ، بأنها سترد بعنف على اي هجوم اسرائيلي .

وقد كان من النتائج الخطيرة للعدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان ، ان انشأت اسرائيل نقاطا للمراقبة في مرتفعات كفرشوبا وكفرحمام والهبارية. وبالاضافة الى ذلك أعلنت اسرائيل انها تعتبر اتفاق الهدنة الذي عقد مع لبنان عام ١٩٤٩ لاغيا، وانها لذلك ترفض البحث في احياء اللجنة ، او زيادة عدد مراقبي الهدنة ، وقد رد لبنان على موقف اسرائيل قائلا ان ذلك يتناقض مع القانون الدولي ، واجتمع وزير الخارجية اللبنانية مع سفراء الدول الكبرى في (٧ اذار) وعرض عليهم طلب لبنان احياء لجنة الهدنة .

وبالرغم من العملية العسكرية الضخمة التي استهدفت اسرائيل من ورائها القضاءعلى المقاومة، جدد الفدائيون نشاطهم من جنوب لبنان ، فقاموا بمهاجمة مستعمرة بار — عام في الجليل . وقد ردت اسرائيل فورا باعتداء جديد على الجنوب ، قصفت فيه الطائرات الاسرائيلية قرية مجدل سلم ومرتفعات حاصبيا وشبعا ، حيث اصيب ٣ مدنيين بجراح ، وتهدمت ٩ منازل وكنيسة (٩ اذار) ، وفي اليوم التالي (١٠ اذار) حلقت الطائرات الاسرائيلية اكثر من مرة فوق قرى الجنوب ، وقالت مصادر اسرائيل ، ان الرد الفوري على اي هجوم فدائي هو السياسة التي ستتبع منذ الان .

وعلى ضوء هذه التطورات يمكن تسجيل الملاحظات البارزة التالية : ١ — استهدف المخطط الاسرائيلي ايجاد جو صدام بين النظام اللبناني والمقاومة الفلسطينية ، عن طريق وضع النظام امام مأزق يتمثل باحتلال أراضيه ، مما يدفعه لمواجهة العمل الفدائي بنفسه . ٢ — صمد الفدائيون في الجنوب بشكل ملحوظ وقاتلوا بشجاعة وكفاءة أثارت احترام سكان القرى اللبنانية ، مما أدى الى خلق جو

من التعاطف بينهما . ٣ — سجل الشارع اللبناني بقيادة الحركة الوطنية مواقف دعم واضحة للمقاومة، تجلت في المظاهرات والاضرابات العديدة التي نفذت ، والتي طالبت بالمحافظة على اتفاق القاهرة وانتقدت الصمت العربي ، ودعت الى تحصين قرى الجنوب وفرض التجنيد الاجباري للدفاع عن الوطن . ٤ — كان التحرك السياسي للمقاومة ضعيفا من جهة الموقف تجاه اتفاق القاهرة ومنتقدا بسبب الزيارات التي قام بها وفد من المقاومة لرجالات الحلف (شمعون — الجميل — اده) اذ رأت فيها الحركة الوطنية اللبنانية اضعافا للتحالف بينها وبين حركة المقاومة ، ودعما للقوى التي كانت تطالب دوما بالغاء اتفاق القاهرة والاستعانة بالبوليس الدولي .

انشقاق الجبهة الشعبية :

في السادس من آذار صدر بيان عن مجموعة من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذرا بانشقاق ما لبث ان أعلن رسميا بعد أربعة أيام (١٠ آذار) . وقد مرت عملية الانشقاق بالتطورات التالية :

اليوم الاول — ٦ آذار : صدر في الصحف تصريح باسم « قيادة اليسار في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ركز على ابراز النقاط التالية :

١. نتيجة انقسام الجبهة الشعبية « الى تيارين احدهما يميني والاخر يساري ... ونتيجة تعذر الاتفاق على حل محدد عقد مؤتمر ليسار الجبهة بين ٤ و٧ شباط حضره الامين العام والعناصر اليسارية في القيادة السياسية للجبهة ... وخرج المؤتمر بقرار (اكثر من ثلثي اعضاء المؤتمر) ، يقضي باستقلال اليسار عن اليمين تنظيميا وايديولوجيا » .

٢. « لكن الذي حصل ان هناك اجتماعا يعقد الان (مؤتمر للجبهة في مخيم البداوي قرب طرابلس برئاسة الدكتور جورج حبش) لا يمثل الواقع العملي لتواجد القوى الثورية داخل الجبهة . ويتم انتقاء اعضاء الاجتماع الان في صورة تنقض قرارات مؤتمر اليسار » .

٣. « ان القيادة المنتخبة لليسار ... تعلن ادانتها لعقد هذا الاجتماع وتعلن مقاطعتها له ، ولا تعترف بشرعيته ، ولن تلتزم بقراراته مطلقا ... » .

اليوم الثاني — ٧ آذار : أصدر الدكتور جورج حبش ردا على بيان « قيادة اليسار » قال فيه : « في ضوء البيان الذي صدر امس عن مجموعة من الرفاق تدعي انها تمثل موقف اليسار في الجبهة الشعبية أجد من واجبي كأمين عام للجبهة توضيح الحقيقة المسؤولة أمام قواعد التنظيم والجماهير :

١ — تعقد الجبهة الان مؤتمرا وطنيا عاما يحضره جميع ممثلي فروع تنظيم الجبهة باستثناء قيادة فرع سوريا ، وعنصرين من القيادة السياسية .

٢ — ان المؤتمر الوطني للجبهة يقف الان بمسؤولية امام كل الموضوعات السياسية والتنظيمية التي تواجه الجبهة .

٣ — سيكون مؤتمر الجبهة حريصا كل الحرص على معالجة كل هذه القضايا بأفق يساري علمي .

٤ — ان كل نتائج المؤتمر ومقرراته ستعرض على قواعد التنظيم والجماهير ... لتكون هي الاساس لحكم القواعد والجماهير على الجبهة من ناحية ، وعلى المجموعة التي صدر عنها البيان من ناحية أخرى .

٥ — ان الجبهة الشعبية مصممة كل التصميم على مواجهة كل الظروف الموضوعية والذاتية الصعبة التي تمر بها حركة المقاومة برؤية علمية بعيدة عن النهج اليميني المتحجر من ناحية ، والانتهازية اليسارية من ناحية اخرى . »

وردت « القيادة اليسارية » على بيان الدكتور جورج حبش فقالت « ان المؤتمر على الرغم من ان تركيبه قد تم بطريقة غير تمثيلية وبأسلوب التعيين ، الا أن ممثلي القطاع العسكري والتنظيم الطالبي والتنظيم السري في الاردن وبعض الفروع التنظيمية في المخيمات الفلسطينية في ساحة لبنان ، الذين كان من المقرر ان يحضروا هذا المؤتمر قد اعلنوا مقاطعتهم له ، واعلنوا تمسكهم بقرارات المؤتمر اليساري . وعلى الرغم من عملية استبدال المندوبين الذين قاطعوا المؤتمر فان كل هذه الفروع لم تتمثل في المؤتمر عكس ما ورد في بيان الامين العام » . وأضاف البيان يقول « ان الحرص على معالجة القضايا السياسية والتنظيمية التي تواجه الجبهة بمسؤولية ... انما يتم فقط بالاستجابة لنداء القواعد والكوادر ... ومن خلال الالتزام بمقررات المؤتمر اليساري الذي دعا اليه الرفيق الامين العام بنفسه ... »

وصدرت في هذا اليوم بيانات تعلن تأييدها « للقيادة اليسارية » تمثل : القطاع العسكري للجبهة الشعبية في لبنان ، اللجنة المركزية للجبهة الشعبية في سوريا ، اللجنة التنظيمية للجبهة الشعبية في الاردن ، مقاتلو قواعد الجبهة في الجولان ، التنظيم الطالبي للجبهة الشعبية في لبنان . بينما صدر بيان واحد عن « حزب العمل الاشتراكي العربي » يعلن تأييده لمؤتمر الجبهة الشعبية المعقود برئاسة الدكتور جورج حبش .

اليوم الثالث — ٨ آذار : حددت منظمة التحرير وبعض المنظمات الفدائية موقفها مما يجري داخل الجبهة الشعبية . فأصدر السيد كمال ناصر الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير بيانا قال فيه ان اللجنة التنفيذية تدرك ان التباين في وجهات النظر من دلائل الديمقراطية ولذلك فان ما يجري في الجبهة الشعبية ليس غريبا وهو شأن من شؤونها الداخلية « وان اللجنة التنفيذية لن تسمح بكل تأكيد ، وتحت اي ظرف من الظروف ، بأن يتخذ الخلاف القائم اي شكل من اشكال العنف » ، وقال ان اللجنة « وقد اطلعت على كل ما صدر عن أحد الفريقين المتحاورين ما زالت في انتظار انتهاء مؤتمر الجبهة قبل اتخاذ اي قرار قد يتطلبه التغير الذي قد يطرأ على الجبهة سواء من الناحية الايديولوجية او من الناحية التنظيمية » .

وعلى صعيد المنظمات الفدائية ، أعلن مصدر مسؤول في حركة فتح « ان الحركة تتابع بقلق ما يجري داخل الجبهة الشعبية ، وانها مستعدة للمساعدة على الخروج من هذه الازمة » .

وأصدرت الجبهة الديمقراطية تصريحين حول ما ورد في صحيفتي المحرر والنهار من انباء حول موقفها من اوضاع الجبهة الشعبية ، فقالت في تصريحها الاول ردا على جريدة المحرر ان « ازمة منظمة الشعبية هي ازمة داخلية اولا واخيرا ... واية محاولة للايحاء بعوامل خارجية مساعدة على تعميق الازمة هي عملية هروب من الواقع وتفسير ساذج ومسطحي لتلك الازمة » . وقالت في تصريحها ردا على جريدة النهار انها « لا تنفي ان يكون للجبهة الديمقراطية علم بوقائع الصراع الدائر حاليا داخل صفوف الجبهة الشعبية ، تماما مثل علم باقي الفصائل ... اما ان يصار الى زج اسمها بالصورة والطريقة التي وردت في النهار فهذا ما نرفضه ونأسف له » .

وقد صدر في هذا اليوم ١١ بيانا اعلنت تأييدها لمؤتمر الجبهة بقيادة الدكتور حبش ، وهي تمثل : اللجنة المركزية للجبهة فرع لبنان ، تنظيم الجبهة في الارض المحتلة ، فرع الجبهة في عدن ، فرع الجبهة في الخليج العربي ، فرع الجبهة في الكويت، التنظيم الخارجي للجبهة الشعبية ، التنظيم السري في الساحة الاردنية ، التنظيم النسائي في مخيم نهر البارد (طرابلس) ، الاتحاد النسائي الفلسطيني فرع الشمال (طرابلس) ، اتحاد طالبات فلسطين في الشمال (طرابلس) ، منظمات حزب العمل العربي الاشتراكي في البقاع .

كما صدرت في هذا اليوم ايضا بيانات اخرى تعلن تأييدها « لقيادة اليسار » وهي : المكتب السياسي لحزب العمل الاشتراكي العربي ، والذي اعلن ايضا ان البيان الذي اذيع بالامس باسم الحزب « كان مدسوسا » ، قيادة اقليم لبنان لحزب العمل الاشتراكي العربي ، والتي استنكرت ايضا « ان يصدر تصريح ينتحل اسم حزبنا » .

اما « قيادة يسار الجبهة الشعبية » فقد اصدرت بيانين جديدين باسمها ، يعلن البيان الاول انه « ليس لها اي علاقة بمجلة الهدف » ، وان بعض الصحف نقلت « ان هناك جهات اجنبية من خارج الجبهة مارست تأثيرا دفع الاتجاه اليساري للانشقاق ، ان حملات الدس الرخيصة امر كنا نتوقعه من جهات مشبوهة يقلقها اي تحرك جذري لمصلحة القوى الثورية » . ويعلن البيان الثاني « القضايا السياسية والنظرية المختلف عليها بين الفريقين والتي قادت الى نشوب هذه الازمة » . وهذه القضايا هي :

الموقف من النظام الرجعي الاردني : « ففي الوقت الذي كان اليسار يؤكد فيه ان الاستعداد لمواجهة النظام العميل والتصدي لمخططاته الهادفة الى تصفية المقاومة ، تستدعي عملية فضح وتعرية منهجه ... والقيام بعملية تعبئة جماهيرية واسعة ... كان اليمين يطرح خطا يمينيا يتجسد في رفض عملية التعرية والفضح ، وبالتالي التعبئة الجماهيرية ، تحت شعار ان هذه السياسة تستفز النظام العميل » .

الموقف من الوحدة الوطنية : « انتهج الجناح اليميني « سياسة تقوم على اساس العصبوية التنظيمية ... مقابل هذا الخط انتهج اليسار

سياسة تقوم على الدعوة لانشاء تحالفات وطيدة ».

الموقف من خطف الطائرات : « لان انتهاج هذا الخط ، فضلا عن معاكسته للالتزام النظـري بالماركسية اللينينية ، فانه جلب مجموعة مـن الاضرار على الثورة الفلسطينية ... ولقد توج اليمين عملياته في خطف الطائرات باختطاف الطائرة الالمانية وانزالها في عدن واخذ مبلغ خمسة ملايين دولار بطريقة مشبوهة » ولقد بين اليسار في اجتماع اللجنة المركزية للجبهة في ١٩٧٠/١١/٥ موقفه من هذه العمليات « ونتائجها السلبية على قضايا النضال الوطني الفلسطينـي ، وطالب بالغـاء المجال الخارجي ، والغاء هذا النمط من العمليات».

الموقف من انظمة البورجوازية الجديدة : حيث طالب اليسار بتغليب « العلاقة مع الجماهير العربية على العلاقة مع الانظمة البورجوازية بصورة لا تنفي او تلغي امكانية اقامة علاقات مع هذه الانظمة » . اما موقف اليمين « الذي كان يغلب العلاقة مع الانظمة على العلاقة مع الجماهير وقواها الوطنية واليسارية المتقدمة ، كان يرى في العلاقة مـع الجماهير العربية علاقات تحملنا مسؤوليات وتبعات تؤدي الى ان نفقد علاقاتنا مع الانظمة » .

الموقف من مبدأ الانقلابات العسكرية : « انتهج الجناح اليميني سياسة انقلابية تجسدت في الاساليب التي اعتمدت وحكمت عملنـا ضمن المؤسسـة العسكرية الاردنية ، حيث جرى التوجه للارتباط بمجموعة من كبار الضباط ... ان هذا النهج ... حل محل الاعتماد على الجماهير المعبأة والمسلحة».

مقابل ذلك اجرى مسؤول في الجبهة الشعبية مقابلة مع جريدة اليوم اللبنانية قال فيها انه ليس هناك من انقسام او انشقاق في الجبهة ، ثلاثة عناصر قيادية ، معرضة للفصل من الجبهة بسبب عـدم قدرتها على التوافق مع معطيات الظروف الحاضرة، ارادوا ان يتساقطوا بشرف مفتعلين هذه الضجة التي ضخمتها القوى المعادية للجبهة وللمقاومـة الفلسطينية . وهؤلاء الثلاثة هم : ابو شهاب ، وابو علي ، وابو الفوز . واضاف المسؤول يقول ان العامل الرئيسي الذي يحرك الازمة هو التغير الجاري في بنية الحركة الوطنية التقدمية ككل ، اننا في مرحلة التحول الذي يعكس نفسه على كل الفصائل الثورية . والعامل الثاني هو انحسار وتراجع حركة المقاومة ، والذي يجعلها وجها لوجه أمام المأزق التاريخي ، وهو الاتصال او عدمـه بحركة التحرر العربية .

اليوم الرابع — ٩ آذار : صدرت بيانات جديدة تعلن كل مجموعة منها تأييد احد الفريقين . خمسة بيانات تؤيد القيادة اليسارية صادرة عن : كوادر الجبهة وقواعدها في صور وصيدا ، قيادة القطاع العسكري للجبهة في جنوب لبنان ، المكتب السياسي المركزي لحزب العمل العربي الاشتراكي ، منظمة حزب العمل في صـور ، عضوات اتحاد المـرأة الفلسطينية في الشمال .

وصدرت ثمانية بيانات تؤيد قيادة الدكتور حبش صادرة عن : منظمة حزب العمل في المتن ، طلاب حزب العمل في بيروت ، منظمة الحزب في الشمال (طرابلس) ، مقاتلو الجبهة في جرش (الاردن) ، مقاتلو الجبهة في المعتقلات الاردنية ، الحـركة الطالبية المساندة للجبهة ، الكوادر اليسارية في معسكرات شاتيلا وتل الزعتر وبرج البراجنة ، كوادر وقواعد اليسار في صيدا وصور وبعلبك .

واصدر « أبو خوله » سكرتير تحرير مجلة «الهدف» بيانا أعلن فيه استقالته من المجلة « لانها تنتهج طريق يمين الجبهة » . لكن بيانا صدر عن مجلة الهدف اوضح انه لم يكن هناك شخص يدعى ابو خوله يعمل سكرتيرا لها . كما اوضح مصدر في « القيادة اليسارية » في حديث صحفـي لجـريدة النهار « اننا لسنا ضد الوحدة الوطنية الصحيحة الجدية التي تقوم على اساس برنامج سياسي ثوري ، ولكننا ضد الوحدة الشكلية التي تخدم سياسة اليمين » .

اليوم الخامس — ١٠ آذار : اعلنت « القيادة اليسارية » الانشقاق عن الجبهة الشعبية رسميا ، وذلك في مؤتمر صحفي عقدته واعلنت فيه تشكيل « الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين » . وقد حضر المؤتمر الصحفي كل من ابو شهاب : « عضو القيادة السياسية للجبهة الشعبية » ، سالم : « المسؤول العسكري لقوات الجبهة »، ابو الفوز: « مسؤول ساحة سوريـا » ، ابو اليسار : « المسؤول العسكري لساحة لبنان » ، ابو رياض: « عضو قيادة منطقة بيروت ». وتلي على الصحفيين بيان سياسي كرر قضايا الخلاف الاساسية التي شرحت في بيان سابق ، واضاف « وضعنا اليمين امام أمرين : امـا الاستسلام لسياسته وبالتالي انتظار المزيد من الهزائم . واما التمرد على هذه

السياسة الامر الذي يتطلب قطع كل العلاقات مع اليمين ... وهو طريق الاستقلال الكامل عن اليمين سياسيا وتنظيميا وايديولوجيا ، والعمل تحت اسم الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين » . بينما وزعت ثلاثة بيانات تؤيد قيادة اليسار : بيان صادر عن معتقلي الجبهة في الاردن بتوقيع غازي الخليلي عضو المجلس الوطني ، وبيان ثان صادر عن قيادة منطقة بيروت ، وبيان ثالث صادر عن « مكتب المعلمين » التابع للجبهة الشعبية في لبنان.

وقد أصدرت الجبهة الشعبية بيانا اعلنت فيه انتهاء مؤتمرها ، وانتخاب جورج حبش امينا عاما بالاجماع .

اليوم السادس — ١١ آذار : أجرى مسؤول في الجبهة الشعبية مقابلة مع جريدة النهار قال فيها « هناك اسباب موضوعية للانشقاق بالاضافة الى العوامل الخارجية . الاسباب الموضوعية تتلخص في شعور الذين اختاروا الانشقاق، وهم قلة صغيرة داخل الجبهة ، بأنهم يريدون ان يبدأوا من جديد ، وان الافضل ان يبدأوا في شكل مستقل ، بدلا من النضال في اطار الجبهة الشعبية . وفي اعتقادنا ان هناك دولة عربية معينة شجعت على الانشقاق ، كما ان هناك تنظيما فدائيا معينا ساعد عليه . رأينا في المنشقين ؟ اننا لا نعتبرهم لا نظريا ولا نضاليا ولا تنظيميا ، يساريين اكثر منا . وكنا نفضل لو انهم بقوا داخل الجبهة الشعبية وعملوا من الداخل من أجل تحويلها الى منظمة اكثر يسارية ، ومن أجل القضاء على بعض الجيوب اليمينية فيها». وحول قضية الطائرات قال « نحن نعتبرها تكتيكا نضاليا لا استراتيجية اساسية » . وحول الموقف من الوحدة الوطنية الفلسطينية قال « نحن نرفض دمج المنظمات الفدائية ، ونطالب بجبهة وطنية تضم كل قوى اليسار في حركة المقاومة ، بما فيها الجبهة الشعبية الديمقراطية والقيادة اليسارية المنشقة » .

اما حزب العمل فقد أصدر ثلاثة بيانات جديدة تعلن تأييدها « للقيادة اليسارية » ، تمثل : منظمة الحزب في منطقة الشوف ، منظمة الحزب في منطقة صور ، ومنظمة الحزب في منطقة البقاع .

اليوم السابع — ١٢ آذار : أصدرت الجبهة الثورية تصريحا مطولا ردت به على المقابلة التي أجرتها جريدة النهار مع مسؤول في الجبهة الشعبية .

اليوم التاسع — ١٤ آذار : عقد الدكتور جورج حبش مؤتمرا صحفيا عرض فيه مقررات مؤتمر الجبهة والموقف من الانشقاق والقضايا التي أثارها فقال ان سياسة الجبهة في المرحلة المقبلة تعتمد على الاسس التالية :

« ١ — اعتبار القضية التنظيمية قضية مركزية : ان المرحلة الجديدة تتطلب تحويل البنية التنظيمية للجبهة الى بنية تنظيمية ثورية ، ايديولوجيا وطبقيا . ان الوضع الجديد لا يمكن مجابهته الا من خلال أداة ثورية ، تستند الى النظرية الماركسية اللينينية وموضوعاتها في التنظيم . ان موضوعة بناء الحزب الماركسي اللينيني هي بالنسبة للثورة الفلسطينية الان موضوعة مركزية. لقد وقف المؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين امام البرنامج التنظيمي بنفس الاهمية التي تناول بها البرنامج السياسي .

٢ — الجبهة الوطنية الفلسطينية العريضة وكذلك الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية. وضمن الاتفاق على برنامج سياسي يحدد موقفا جذريا وواضحا من النظام الرجعي في الاردن ، ومشاريع التصفية والاستسلام وضرورة تعريتها ، ومشروع الدولة الفلسطينية ورفضه بشكل واضح وجازم ، ستكون الجبهة على أتم الاستعداد بل ستعتبر من مهماتها الاساسية اخذ المبادرات لتكوين الجبهة الوطنية الفلسطينية العريضة التي تقود حركة الجماهير في المرحلة القادمة .

٣ — ان الجماهير هي القوة القادرة على اخراج حركة المقاومة من الازمة التي تعيشها ، وان تعبئة هذه الجماهير من خلال النضال السياسي والعسكري هو من اهم توجهاتنا في المرحلة القادمة ، ان الجبهة ستعيد النظر في كافة اساليب عملها لتكون دائما في وسط الجماهير تناضل معهم ومن خلالهم ومن اجل اهدافهم .

٤ — سيبقى خط العنف الثوري هو الخط الاساسي في مواجهة معسكر العدو ، وان ممارستنا للعنف الثوري ستكون تتويجا لنضال شامل تمارسه الجماهير وليس بديلا عنه ، كما ان ممارستنا للعنف ستكون مستفيدة من كل التجارب الماضية والدروس التي افرزتها .

٥ — ان كل مستقبل الثورة الفلسطينية مرهون

بالتحامها بحركة الجماهير العربية كلها وحركة التحرر الوطني العربي . وان الاسهام في بناء الجبهة الوطنية العربية العريضة المعادية للامبريالية سيكون من توجهاتنا الرئيسية في المرحلة القادمة .

٦ — ان تعزيز تحالفاتنا الثورية على الصعيد العالمي، مع كافة الدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطني ، والقوى العمالية على الصعيد العالمي ، هو الذي يمكننا من مواجهة المعسكر الامبريالي العالمي وكافة مخططاته لضرب حركة الشعوب » .

ثم تحدث عن الانشقاق فقال :

« لقد وقف المؤتمر امام النشاط الانقسامي الذي مارسه عضوان من اعضاء القيادة السياسية مع قيادة فرع الجبهة في سورية وعدد محدد من كوادر الجبهة في لبنان . وعلى صعيد تحليل هذه الظاهرة سجل المؤتمر العوامل الذاتية والموضوعية — الداخلية والخارجية — التيتقف وراء الانشقاق.

ان بنية الجبهة التنظيمية في هذه المرحلة وكونها تنظيما يساريا راديكاليا لم تكتمل عملية تحوله الى حزب ماركسي لينيني هو عامل ذاتي اول ما يؤدي الى مثل هذه الظواهر ، يضاف لذلك عامل النزق والنفس القصير والمزايدة التي تتحكم عادة بتصرفات البعض تحت ستار اليسار والماركسية اللينينية كذلك فان الازمة التي تعيشها حركة المقاومة ، ومحاولات ضرب منظمات المقاومة من الداخل التي تقوم بها بعض الدول العربية ، هي عوامل موضوعية اخرى تشابكت مع العوامل الذاتية الداخلية .

هذا باختصار شديد تحليل المؤتمر للانشقاق . لقد أدان المؤتمر النهج الذي اتبعه الفريق المنشق في مواجهة مشكلات الجبهة وتناقضاتها الداخلية . لقد تم هذا الموضوع بطريقة ملتوية تآمرية بعيدة عن الاسلوب والتقاليد اللينينية في الصراع الايديولوجي والتنظيمي .

ان الجبهة كانت وستكون دائما على أتم استعداد للتعاطي مع كافة القضايا النظرية والسياسية والتنظيمية التي تفرزها الممارسة او تفرزها الحيوية النظرية التي تعمل دائما على تشجيعها ، ولكن الجبهة تدين بقوة كل نشاط ملتو يتم — ليس من وراء قيادتها فحسب — بل من وراء كوادر وقواعد التنظيم .

ان قواعد الجبهة وكوادرها في سجون العدو الاسرائيلي والرجعي ، وكذلك قواعد الجبهة وكوادرها في قطاع غزة والضفة الغربية وكافة اجزاء فلسطين المحتلة ، وكذلك قواعد وكوادر الجبهة خارج فلسطين وفي مختلف الساحات ترفض رفضا قاطعا وتدين بشدة مثل هذا الاسلوب . كذلك تقديرنا ان جماهيرنا بالدرجة الاولى وكافة قوى الثورة ستدين كل محاولة انشقاقية لا تقدم لهم سوى اسم تنظيم جديد ومجموعة من الجمل الثورية .

ان يسارية الجبهة المتمثلة ببرامجها ومواقفها السياسية وممارساتها النضالية وبطبيعة قواعدها المسحوقة ، وبالكوادر اليسارية التي نمت كما ونوعا منذ مؤتمر شباط حتى الان ، والمتمثلة كذلك بتحالفاتها الثورية عربيا ودوليا ، اوضح واعمق من ان تتأثر بهذا الحدث .

ان يسار الجبهة سيقوى ويشتد من خلال تخلصه من مجموعة عناصر اضعفت قدرته على معالجة تناقضات الجبهة بنهج يساري علمي مسؤول وكذلك فان فعالية الجبهة بشكل عام ستقوى وتشتد من خلال تخلصها من مجموعة عناصر اثرت لفترة من الوقت على قدرتها للتصدي للتناقض الرئيسي .

على أي حال ، ان الموقف الذي اتخذه المؤتمر من هذه المجموعة هو الطلاق الديمقراطي وعدم زج انفسنا بمهاترات ومشاحنات لا تخدم الا مصلحة العدو ، وفي الوقت الذي ستخوض فيه الجبهة نضالا ايديولوجيا مشروعا ضد هذه الظاهرة الانشقاقية ، ستبقى الجبهة حريصة كل الحرص كي لا يشغلها اي تناقض عن مهمة التصدي لتناقضها مع العدو الامبريالي الصهيوني الرجعي . واننا سنقبل حكم الجماهير والتاريخ . »

وقال حول خطف الطائرات « بما ان عمليات الخطف تعارضت مع تحالفات الجبهة على الصعيدين العربي والعالمي فقد اوقفت هذه العمليات » ونفى ان يكون للجبهة اي علاقة بالطائرة الالمانية التي اختطفت الى عدن . وقال حول دور بعض الدول العربية في الانشقاق «ان بعض الانظمة التي هاجمتنا اكثر من مرة ، والتي ترى في الجبهة حجر عثرة في طريقها ، تنظر الى الانشقاق بارتياح » .

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

عندما انشئت القواعد في جنوب لبنان كان الهدف من انشائها : ضرب طوق مسلح حول الارض المحتلة يبدأ من العقبة في جنوب الاردن ، وينتهي في الناقورة في جنوب لبنان . ولقد انجز ذلك الطوق سنة ١٩٦٩ . وجاء اتفاق القاهرة ليكرسه أمرا واقعا . وكان هذا الطوق يلعب دورا مزدوجا : دور قواعد الارتكاز التي تقوم بامداد الداخل بالرجال والسلاح والمال وكل ما تحتاجه ، ودور القواعد الامامية التي تقوم بالاستطلاع وترسل الدوريات المغيرة وتساهم في صد هجمات العدو وتتحمل في كثير من الاحيان زخم الهجمات كله . وكانت اهمية هذا الطوق وقوته تنبع مما يلي : طول الحدود مع الارض المحتلة ، وملاءمتها في كثير من المناطق للتسلل ونقل الامدادات ، ووجود جيوش عربية (كما في الاردن وسورية خاصة) يشكل وجودها نوعا من القوة ، وتشكل قوة ردع امام هجمات العدو الصغيرة . ولقد قاد اكتمال هذا الطوق الى ان تكون الجبهة كلها مع العدو مشتعلة . فاذا أضفنا الى ذلك ان جبهة مصر كانت مشتعلة سنة ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، وان العدو كان مضطرا لمراقبة حدود طويلة جدا ، مختلفة التضاريس جدا كهذه الحدود ، عرفنا ما معنى ان تقف النار على الجبهة كلها .

وبدأ العدو محاولاته لتفسيخ هذه الجبهة : فكانت مناورة روجرز اولا . واستطاعت مناورة روجرز ان تنجز هدفين : ايقاف القتال على جبهة السويس الهامة ، واحداث شرخ بين مصر والمقاومة . وكان الشرخ حتميا ، لان وقف اطلاق النار المطلوب لم يكن مطلوبا على قناة السويس فقط ، كان مطلوبا للجبهة كلها . والذين جاءوا بمشروع روجرز ، اكدوا هذه الحقيقة في اتصالاتهم الرسمية مع الدول العربية المعنية . واذا كانت مصر مستعدة لقبول هدنة ، تطول او تقصر ، لانها تريد أن تزيد من استعداداتها مثلا ، فما كانت المقاومة الفلسطينية مستعدة لقبول هدنة من هذا القبيل ، لانها تفقد مبررات وجودها. ولذلك كان حتما ان يحدث الشرخ.

ودفعت القوى المعادية ، في ظل هذا الشرخ ، عملاء الاردن الى ضرب هذه الجبهة في حلقتها الوسطى القوية : الاردن . ونجحت المؤامرة .

ولقد قاد نجاحها الى ما يلي : ١ — شلل شبه عام في اجهزة الثورة الفسطينية لمدة عام أيلول ١٩٧٠ — أيلول ١٩٧١ . ٢ — فتور في الحماسة الجماهيرية، بسبب التراجع في الاردن ، وبسبب الشلل الذي خلقته هزيمة الاردن . ٣ — تراكم قوات الثورة الفلسطينية في سورية ولبنان . ٤ — ازدياد حملات الدس والتشكيك بحركة المقاومة ، وتحرك القوى المضادة علنا ، مستفيدة من جو التراجع والهزيمة. وفي هذا الجو كانت المقاومة مضطرة ومرغمة على تقليص حجم نشاطها من سورية ولبنان ، لان زيادة نشاطها ستقود الى ردود فعل اسرائيلية وداخلية خطيرة . وكان هذا « الكسل القسري » غير مبرر جماهيريا ، كما ان العدو الصهيوني وكل القوى المضادة ارادت ان تتبع ضربتها في الاردن بضربات تاضية . واتجه رأس حربتها الى « الوجود الثوري الفلسطيني » في سورية ولبنان .

استخدمت هذه القوى أساليب مختلفة . فعلى الصعيد الاسرائيلي تابعت دولة الاحتلال خطتها المزدوجة : الهجمات المدروسة والعمل على اشعار المواطنين بأن وجود الفدائيين يجلب لهم الموت والدمار . اما الاردن فهو يحاول في دعايته ان يركز على أمرين ، اولهما : ان المنظمات الفدائية ما هي الا منظمات تخريب ، تعج بالمدسوسين واللصوص والمرتزقة ، وتمثل خروجا على القانون والنظام . ثانيهما : انها أعجز من ان تحقق انتصارا واحدا على طريق العودة ، وهي بالتالي مجرد مبرر لمزيد من الاحتلال . وتدور الدعاية اللبنانية المضادة ضمن هذا الاطار .

ولقد حاولت « الانظمة العربية » ومنذ أيلول سنة ١٩٧٠ ان تخضع « العمل الفدائي » وأن تحتويه نهائيا ، فالسياسة الدموية التي اتبعت في الاردن سياسة خطرة باهظة التكاليف ماديا ومعنويا . وهي تكون ضرورية عندما تفشل سياسة الاحتواء . اما اذا كان الاحتواء ممكنا فهو الحل الافضل . ومن أيلول والمحاولات جارية . ما تبغيه هذه السياسة هو تحويل « بقايا المقاومة » الى جزء من الانظمة عمليا ، ينفذ سياستها باسم الشعب الفلسطيني وباسم المقاومة والتحرير . وهذا يعني ان تتحول « بقايا المقاومة » الى اداة قمع ضد الشعب

الفلسطيني وأداة تصفية للقضية .

هذه صورة موجزة عن المخطط العام للتصفية . ويقع موضوع المقاومة ولبنان ضمن اطارها . وكما أرادت المقاومة لبنان جزءا من الحزام المسلح حول دولة الاحتلال ، فان القوى المضادة للثورة في المنطقة تريده حلقة من حلقات التصفية .

ومنذ بداية هذا العام اخذت الامور تتطور بسرعة . ذلك ان القوى المضادة ارادت ان تنهي المعركة مع المقاومة في سورية ولبنان ، لتتمكن الوجاهات المترددة من السير قدما على طريق التسوية في الضفة الغربية وغزة ، وليستطيع الاردن من السير قدما على طريق الصلح المنفرد . ثم ان انهاء المعركة في سورية ولبنان مع المقاومة يؤثر في اتجاه السياسة المصرية ، ويدفعها شيئا فشيئا ، وبشكل حاسم على طريق الاستسلام . وكانت حادثة مخفر النهر هي القشة التي قصمت ظهر البعير. والحادثة ليست غريبة ، ولا منعزلة عن الجو العام. وعنصر الافتعال ثم التضخيم فيها واضح لا لبس فيه . ولا نريد هنا ان نناقش كيف بدأت ، ولماذا بدأت ، لانها قصة معقدة ، ولانه ليس هنالك تحقيق محايد يعتمد عليه . المهم في الموضوع أن التحقيق اثبت ان العناصر المعتقلة من الفدائيين لم تطلق النار ، وان كثيرا من الرصاص الذي أطلق على المخفر كان من أسلحة لا يستخدمها الفدائيون . ومع ذلك فقد حاولت جهات معينة ان تضخم الامر ، وان تجعل منه اعتداء على القانون والنظام الخ . ذلك ان « التصريحات والبيانات الرسمية انطوت على تحريض ضمني للناس ضد المنظمات ، حتى خيل للكثيرين في اليوم الاول للحادث ان الحرب بين الدولة والمنظمات قد قامت وانها لن تنتهي ... الا بمجزرة ، خصوصا وان بيان الرئيس سلام « الفوري » تحدث بغموض عن : مسؤول يجب ان يوضع عند مسؤوليته ايا كان ومهما كان » (الحوادث ، ٧٢/١/٧ ، العدد ٧٩١) . وقد أوحت هذه التصريحات والبيانات بأن الحادث « مدبر » . ان لهجة التحريض وعدم الدقة في رواية التفاصيل واضحة في البيانات الرسمية الاولى (الانوار ٧٢/١/٣) . وما هي الا ايام حتى حدث عدوان على الحدود . كان ذلك في ٧٢/١/١٤ . وكان دافيد اليعازار قد قام بتحريض الجيش اللبناني على القيام بمسؤولياته ، متهما النظام اللبناني بالضعف . كما ان اذاعة العدو بالعبرية حددت يوم ٧٢/١/١٤ اهداف العمليات العسكرية في جنوب لبنان بالتأثير في السياحة ونزوح الاهالي من الجنوب الى بيروت « مما يضعف معنويات الدولة ويؤدي الى قيام خلافات وضغوط على الصعيد السياسي » . وهذا يعني ان العدو كان يستهدف : ١ — تفجير الوضع الداخلي في لبنان ، او وضع لبنان امام الخيار العسير ، فاما ان ينقسم ويقتتل او يضع حدا للوجود الفدائي . ٢ — اعطاء العناصر المعادية مبررا للمطالبة بالغاء اتفاق القاهرة ، وللعمل من اجل الغائه .

وجاءت في هذا الوقت حوادث المتفجرات لتزيد القضية اشتعالا . وفي اليوم الذي أعلنت فيه الصحف عن الاعتداء على كفرا في الجنوب ، وعن تفاصيل الاعتداء على جريدة « لسان الحال » ، اعلنت عن اجتماع في القصر لدرس الوضع على الحدود . وعلى الرغم من « ان اجتماع القصر احيط بكتمان شديد فقد علم ان تدابير مهمة تقررت فيه لمواجهة مختلف الاحتمالات ليس اقلها شأنا بعض التدابير الدبلوماسية ، فضلا عن التوصيات التي أعطيت لقائد الجيش قبل اجتماعه بعرفات » (لسان الحال ٧٢/١/١٥) . وأشارت « لسان الحال » يوم ٧٢/١/١٥ الى أن « الحادث الذي وقع على صيدلية الجميل ، يحمل على الظن ان الاعتداء على « لسان الحال » هو حلقة في سلسلة تهدف الى اثارة الخواطر وتهيئة اللبنانيين لجو معين يصار فيه الى تنفيذ مخطط معين » . ومع ان الجريدة لم تعلن شيئا عن هذا المخطط ، فان صحفا أخرى أعلنت في اليوم ذاته ان هنالك مشروعا لبنانيا لتعديل اتفاقية القاهرة (صدى لبنان ٧٢/١/١٥) . وتشير الجريدة المذكورة الى أن الحكومة اللبنانية قد وضعت التعديل على اتفاق القاهرة «انطلاقا من مبدأ سرية التحرك الفدائي»، وان اسباب وضع هذه التعديلات تعود الى « ان الاحداث الراهنة قد تخطت الظروف التي وضعت فيها الاتفاقية المذكورة » . ووجه دافيد اليعازر في هذا الوقت انذاره الى لبنان قائلا: « ان الجيش الاسرائيلي لن يتردد في تصعيد عملياته اذا تبين له ان ذلك ضروري ، ولن يكتفي بعمليات دفاعية او انتقامية ضد الفدائيين المتواجدين في جنوب لبنان بل سيمارس حق الملاحقة » (صدى لبنان ٧٢/١/١٥) .

وتحرك لبنان الرسمي ، فتقدم شكوى الى مجلس

الامن ، وأرسل الرئيس فرنجيه رسالته الى الملوك والرؤساء العرب ، وقد جاء فيها : « ولبنان الذي ما انفك يوما يساند المقاومة ويؤيدها في كل مجال يتشاور حاليا مع كبار المسؤولين فيهـا من اجل معالجة الموقف والحد من الاعمال التي طالما اعترف هؤلاء المسؤولون انفسهم بعدم جدواها لكنها ما زالت تستمر حتى اليوم » (النهار ٧٢/١/١٨) . وبينما كان واضحا ما يرمي اليه الرئيس في رسالته الى الملوك والرؤساء خرجت بعض الصحف ، وهي تتحدث علنا عما تريده بعض الاوساط في لبنان . وقد تحدثت النهار في افتتاحيتهـا يوم ٧٢/١/١٧ المعنونة « ماذا نفعل ذلك اليوم » وقد جاء فيها : « ما دام الفلسطينيون قد تحولوا عبر المنظمات الفدائية ، الى شبه جيوش منظمة ، بدل ان يظلوا فدائيين بالمعنى الاصيل ، فماذا يمنع حشدهـم كجيش فلسطيني ؟ انهم للهجوم لا للدفاع ؟ كلام . وكلام بات فارغا . الهجوم ليس اطلاق الصواريخ من التلال وسطوح المنازل ولا من المخيمات . عندما يحين وقت الهجوم نهجم جميعا . واذا كان من عمليات فدائية بالفعل ، الى داخل الارض المحتلة، فتلك لن تعلن ، ولن تتم باللباس المرقط ، بل كما تتم عمليات الفيتكونج ، فضلا عن الثورة الجزائرية، ناهيك بما يحدث في غزة الباسلة . « الفدائية » الان مسألة معنويات ؟ نريد المحافظة على وحدة الشعب الفلسطيني ؟ على تصميمه على الحرب ؟ على عدم ذوبانه ؟ ماذا احسن من تحويله كله الى جيش ؟ وجيش نظامي ، منسجـم مع الجيش اللبناني ، خاضع مثله لقواعد الحرب واصولها ، فضلا عن قوانين السيادة وقواعد السلامة الوطنية؟»

وطرحت «الجريدة» الموضوع ذاته في اليوم ذاته ولكن بأسلوب آخر : جاء في الافتتاحية : « ولبنان اليوم يجد نفسه اكثر من اي وقت آخر امام الاختيار ، وهذا الالحاح ، او هذه الحاجة للقرار ليست رضوخا للانذار المذكور بقدر ما هي محطة يتوقف عندها لبنان الرسمي والعمل الفدائي لاجراء جردة حساب لنتائج انطلاق العمل الفدائي في لبنان وردود اسرائيل العسكرية عليه ... وحيث ان الامر قد استتب لاسرائيل من ناحية الامن على حدود سورية ومصر والاردن ، فهي تريد اليوم ان « تؤمـن الاستقرار » لسكان مستعمراتها الشمالية باقتلاع اشواك العمل الفدائي الذي يزعجها . وهنا يطرح السؤال الاساسي : ماذا ينفع لبنان والعمـل الفدائي لو خسر لبنان حدوده الجنوبية او احتل جزء من اراضيه ؟ »

وهذا الطرح لا يعني المطالبة بالغاء اتفاق القاهرة، بل ويعني ايضا الغاء العمل الفدائي وتحويل القوى الفلسطينية المقاتلة الى جزء من الجيوش العربية ، مثل جيش التحرير الفلسطيني . ولعل ما نشرته جريدة العمل (لسان حال الكتائب) في اليوم التالي ٧٢/١/١٨ يلخص مـا ذكرته الصحيفتان تلخيصا أوضح واكثر تعبيرا . فالعمل ترى : « ان المقاومة أمام واحد من أمرين : أو أن تتحول الى «مدرسة» لاعداد فدائيين ، بالمعنى الصحيح ... بضع مئات فقط ، تسربهم الى داخل اسرائيل « ليشلوا مرافقها ومنشآتها » كما جاء في أول بيان للعاصفة مثلا ، او ان تنقلب المقاومة ، وكل من فيها ... بل ينقلب الفلسطينيون جميعا الى جيش نظامي ، يزيد الجيوش العربية قدرة ومنعة ، استعدادا للمعركة الفاصلة . اما ان تبقى المقاومة في هذه الحيرة بين « العمل الفدائي » والعمل العسكري فهي الكارثة بعينها » .

ويلاحظ في هذه المقـالات أيضا محاولات اساءة متعمدة . فالعمل الفدائي ليس الا اطلاق صواريخ، واطلاق صواريخ من فوق أسطحة المنازل ، وهو ليس عملا فدائيا « أصيلا » . والمقاومة مضطرة « الى القيام بعمل مسلح بأي شكل من الاشكال ». ولم تكتف الصحف بذلك ، بل اعلنت احداها يوم ١/١٧ ان اتفاق القاهرة تعرض للخرق تدريجيا ، وان السلطة لم تفعـل شيئا ، وان « الصحف الاجنبية والاذاعات » اخذت تبلغ لبنـان « عن تهديدات اسرائيلية للبنان بسبب خرق ذلك الاتفاق». وتضيف الجريدة المذكورة ما معناه ومع ذلك « فلم نفعل شيئا » (الجريدة ٧٢/١/١٨) . وفجأة بدا كل شيء وكأنه انتهى ... واخذت الدولة مظهرا وديعا ، وطمس موضوع مخفر النهر ، وموضوع المتفجرات ، مع أنه من المفروض ان تكون الدولة قد وضعت يدها علـى مخطط التخريب وأمسكت بالفاعلين .

وفي هذا الوقت بالذات خرجت الصحف السعودية تهاجم حركة المقاومة ، لاول مرة ، ولمدة عشرين يوما . أخذت على المقاومة انها تقع « في مغالطات مكشوفة في موضوع انتساب المنظمات الفدائية الى اليسار » وأنها لا تفرق بين الصديق والعدو : « من امثال الدول الشيوعية كالصين التي يقول

السيد الحسن انها تعطـي الثورة الفلسطينية السلاح والغذاء دون قيد ولا شرط ، او كروسيا التي حج بعض زعماء الثورة الفلسطينية الى قبر لينين فيها وقدموا له باقات الفل والياسمين » . اما الصدامات بين الاردن والمقاومة فقد حدثت « لاسباب تتعلق بالامن الداخلي لهذه الحكومة » ، وبسبب عقلية حركة المقاومة « كان الصدام بين المقاومة وبين بعض الدول العربية ، وحق له ان يكون » (الصياد ٣ــ١٠/٧٢/٢/١) . كما ان جهات اخرى بادرت الى حملة تشهير مماثلة ، صاحبتها حملة حصار وتضييق شاملة .

وكانت المقاومة تحاول في هذا الجو ان تخرج من الطوق المضروب عليها ، وكانت عملياتها في الارض المحتلة ، وفي الجليل بشائر الحركة بعد الشلل . ولكن هذه الحركة النشاز وسط الصمت العربي عسكريا والعودة الى الحديث عن التحرك الديبلوماسي واعادة الحوار مع الولايات المتحدة كانت تثير القوى المضادة في كل مكان ، فلسطينيا وعربيا ودوليا واسرائيليا .

وجاء رد الفعل الاسرائيلي يوم ٧٢/٢/٢٤ على شكل انذار . كان المتحدث دانيد اليعازر نفسه . قال اليعازر : « ان اسرائيل قد تضطر الى القيام بعمليات على طول حدودها مع لبنان » . وأضاف: « ان هذا الهجوم الذي وقع داخل اسرائيل ليس مجرد كمين ، وانه هو نذير بموجة جديدة من الهجمات الفدائية على طول الحدود اللبنانية » . وأشار اليعازر الى اتفاقية القاهرة قائلا : « ان اسرائيل لم توافق على الاتفاق المعقود بين الفدائيين ولبنان الذي يسمح لهم بشن عمليات داخل اسرائيل ، على ألا يكون ذلك من أراض لبنانية » (الاخبار القاهرية ، ٧٢/٢/٢٥) .

وخلال اقل من اربع وعشرين ساعة بدأ الهجوم الاسرائيلي الكبير على جنوب لبنان . حاول العدو في هذا الهجوم ان يحقق الاغراض التالية : ١ ــ سحق القواعد الفدائية الموجودة في الجنوب، واجبار الفدائيين على التراجع بعيدا . واستخدم لذلك طائراته ومدفعيته استخداما كثيفا ، كما استخدم آلياته ومظلاته . ٢ ــ اجبار الدولة في لبنان على اتخاذ موقف في ظل احتلال اسرائيلي ، تلغي فيه اتفاقية القاهرة ، وتتولى هي مهمة تصفية الوجود الفلسطيني في لبنان ، بكل الطرق الممكنة . ٣ ــ وضع سكان الجنوب في موقف يجبرهم على معاداة الثورة الفلسطينية . ٤ ــ التأثير على اتجاه السياسة في لبنان ودفعها الى مواقع جديدة ، تجعلها اكثر انسياقا في مخطط التصفية والاستسلام . وكان العدو يتوقع ، كما تتوقع القوى المضادة كلها ان « يهرب » الفدائيون بسبب كثافة الهجوم وشدته ، لتساوم اسرائيل بعد ذلك على مكاسبها .

وما ان بدأت الاعتداءات حتى بدأ التحرك الرسمي على المستويات المختلفة . ١ ــ داخليا : اجتمع الرئيس فرنجية بزعماء الكتل النيابية ، وتباحث معهم في قضية الهجوم الاسرائيلي على الجنوب. ولم يعرف بالضبط ما دار في هذه الاجتماعات ، ولكن من المؤكد ان النقاش دار فيها حول الاجراءات المطلوبة للخروج من الازمة . ٢ ــ على صعيد العلاقات مع المنظمات الفدائية : اجتمع الرئيس سلام مع الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير، وحضر الاجتماع العماد غانم وبعض المسؤولين وجرى التشاور حول الوضع ، وكان واضحا من الحوار ان السلطة تطرح موضوع تعديل اتفاق القاهرة ، ان لم تقل انها تطرح الغاءه . وكان مما جاء على لسان احد المسؤولين انه طرح موضوع المخيمات ، بينما كان القتال ما زال مشتعلا . ٣ ــ على الصعيد الدولي : جرت اتصالات مع الدول الكبرى الصديقة ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وفرنسا ، وكانت الاتصالات مستمرة . ٤ ــ وعلى الصعيد العربي : اتصل بعض الرؤساء بالرئيس فرنجية هاتفيا ، وارسل بعضهم رسائل وارسل اخرون موفدين ، واصدر بعضهم بيانات التأييد والتضامن .

وبينما حاولت بعض الصحف ، النهار مثلا ، ان تبرز القضية وكأن كل شيء قد انتهى ، كان القتال ما زال مستمرا ، وكانت الجماهير تتفاعل وتتجاوب ، مع ما يجري هنالك على الجبهة . وحين انتهى القتال ، وانسحبت القوات المعتدية ، حاولت صحف القوى المضادة ان تركز على ما يلي: ١ ــ ان الجيش اللبناني عاد الى العرقوب ، وانه عاد ليذود عن تراب الوطن ، وليحافظ على الامن والسلام . ٢ ــ ان انسحاب القوات الاسرائيلية الغازية كان نتيجة تحرك لبنان الديلوماسي ، وان « صداقات لبنان الدولية فعالة جدا » (العمل ٧٢/٢/٢٩) . ٣ ــ ان العلاقات بين لبنان والمقاومة

ليست علاقة مرهونة باتفاقية ، انها قضية « تفاهم وتلاحم » (احاديث سلام الى الصحف) .) — محاولة اظهار انه لم يكن هنالك قتال ضد العدو، فالعمل تسمي المعركة « الويك اند » الاسرائيلي . وحين تصف العمل هذا « الويك انـد » تقول : « الويك اند » كان ثقيلا ومرا ، وبدا العرقـوب بأرضه واجوائه وتلاله ملعبا لدبابـات وطائـرات العدو ... هيليوكبتر تنزل واخرى تطلع ... قنابل من هنا وصواريخ من هناك ... بيوت تتهـاوى وعيون اطفال يعشش فيها الخوف ودخان في كـل مكان ! كانوا قد دخلوا السبت ، دخلوا ومعهـم مؤونة ثلاثة أيام ، فضربوا ، وقصفوا ونسفوا وأكلوا وشربوا وعادوا » . ويروي مندوب العمل سجعان القزي انه صادف لبنانيا في راشيا الفخار فسأله : وانت الست لبنانيا ؟ قال « انـا من هذه الارض التي فيها غرباء اكثـر من أهلهـا . عائلتي رحلت اليوم الى حارة حريك وانا سألحق بها غدا . بيتي لم يعد لي. « الاخوان » يشاركوننا بيوتنا . بالكلاشنكوف . والله العظيم » (العمل ٧٢/٢/٢٩) .

وعاد الحديث في الصحف اياها عن اتفاقية القاهرة التي تخطتها الحوادث بعيدا (الجمهورية٧٢/٣/١). ومع ذلك فان العدوان لم يحقق اهدافه حتى الان للاسباب التالية : لان الصمود الذي ابداه مقاتلو الثورة الفلسطينية قطع الطريق على كل الانتهازيين والعملاء والمرتزقة ، ولان التجـاوب والتفاعـل الجماهيري في لبنان وخارج لبنان الجـم مخطـط التصفية مؤقتا ، ولان حرص لبنان الرسمي ، حتى الان ، على اتباع سياسة الحوار ، وعدم اللجوء الى مناورات التحريض والتهييج والتأزيم الى الحد الذي يقطع حبل الحوار ، جنب لبنان معركة كمعركة الاردن ، وربما كانت اكثر تعقيدا .

واليوم يقف المقاتل الفلسطيني واقفا شامخا معتزا، كما وقف في عمان بعد ايلول . لقد قاتل ، كما لم يقاتل عربي غيره ، وهو لا يملك ما تملك الجيوش العربية عددا وعدة . ولكن المقاتل الفلسطيني ما زال مهددا بالتصفية . لماذا ؟ لان هنالك قـوى كثيرة تعترض على مجرد وجوده . أليس مطالبـا اليوم ان ينهي وجوده العلني ، ان يبعثر قواته ، او يضمها الى الجيوش ، ان يسحب اسلحته من المخيمات والاحياء ، وان يعود الى العمل السري؟ اليست هذه هي نهايته ؟ ومع ذلك فهو مطالب بأن يكتب نهايته . وخطورة هذا الاتجاه ان الكاتـب تلتقي فيه مع بعض الانظمة العربية ، ومع الاتجاه المتخلف داخل حركة المقاومة ، ومـع اليمينيـين المزايدين يساريا . وهؤلاء بالطبع ، الذين يطرحون العـودة الى العمـل السري بديلا للعلنيـة ، انما يقاومون الشرعية التي اكتسبتهـا الثورة : شرعيـة الوجود والتسليـح والتدريب والعمـل والتحرك . هذه الشرعية المسلحة التي اصبحت شوكة في حلوق القوى المضادة ، واصبحت قوة يحسب لها الف حساب .

ويذكرنا الحديث الذي نسمعه اليوم ، بما كنـا نسمعه قبل ايلول وخلاله وبعده في الاردن . وهو يذكرنا بحقيقة هامة تتلخـص في ان المرونة غـير التسليم . واذا كان مطلوبا من المقاومة أن تكون مرنة في هذا الوقت الصعب العسير ، فانه ليس مطلوبا منها ان تتراجع سياسيا كما تراجعت في الاردن بعد ايلول .

ان العلاقة بين لبنان والمقاومة تعيش ضمن اطارها العربي ، وهناك اتجاه عربي رسمي يريد تصفية المقاومة بأي شكل من الاشكال : السحق ،الاحتواء الخ ، فهل يستطيع لبنان ان يحافظ على لغة الحوار في مثـل هذا الجـو ؟ صحيح ان للبنان ظروفـه الخاصة ، ولكن هذه الظروف سيف ذو حدين . فاذا كانت جماهير لبنان قـد اثبتت انها أوعـى وأحرص على لبنان من أن تجره الى معارك داخلية دامية مدمرة ليست لمصلحته ، فليست الفئـات الرجعية فيه بمثل هذا الحرص . ولا احد يطـم متى يخرجها الخوف من « الشيوعية » و «البنادق» والخروج على « النظام » وعدم « استقرار الامن » عن طورها . والمعركـة الان سياسية ، لبنـان الرسمي والفئات الرجعية تريد ان تحصل بالحوار على مبتغاها . ولكن هل سيفيد الحوار ؟ أم أن لبنان يراهن على حدث في داخل المقاومة يحررها من العلنية والجيوش والمكاتب ومن اللباس المرقـط ويعيدها الى السرية ؟

ان اتجاه بيار الجميل داخـل المقاومة وحولهـا موجود ، وهو يعمل من اجل هذه الغاية . وهو يعمل بأساليب مختلفة لشق المنظمات وتفريغهـا واحتوائها ... وعلى هذا الاتجاه ، الذي تدعمه انظمة ، يراهن رسميون في لبنان وغير لبنان .

ن. ع.

بعد قرار الجمعية العامة لهيئة الامم (منتصف كانون الاول ١٩٧١) الذي يدعو الى احياء مهمة يارينغ ويتمنى على اسرائيل الرد ايجابيا على مذكرته المؤرخة في ٨ شباط ١٩٧١ (تعطلت مهمة يارينغ بعد رفض اسرائيل الالتزام بالانسحاب الى حدود مصر الدولية في ردها على مذكرته المذكورة) خيم جو من الوجوم والجمود والشعور العام بالعجز على التطورات الدولية المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي . كان السبب الرئيسي في ذلك رفض اسرائيل الصريح التقيد بقرار الجمعية العامة ووقوف الولايات المتحدة ، كالعادة ، مع اسرائيل وتجاهلها شبه التام للقرار ، بالاضافة الى العجز العربي الرسمي عن اتخاذ اية خطوات حاسمة او جذرية من شأنها ان تحرك هذا الجمود الدولي او ان تعمل على تنفيذ قرار الجمعية العامة الداعي بدوره الى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة .

ضمن هذا الجو جاءت التحركات الامريكية لتشيد لفظيا بمهمة يارينغ وعودته للنشاط الدبلوماسي من جهة ، ولتأخذ في الواقع موقفا سلبيا من المهمة من جهة اخرى ، مع اطلاق التصريحات الهادفة الى التشكيك سلفا بامكانية نجاح مساعي الوسيط الدولي . وعلى سبيل المثال ادلى سيسكو بتصريح في ٦ شباط ذكر فيه « ان الخلافات بين الدول العربية واسرائيل عميقة جدا ومستمرة الى درجة تصعب معها معرفة كيف سينجح الوسيط الدولي في مهمته » . وعلى سبيل تحويل الانظار تماما عن قرار الجمعية العامة وتحضير بديل امريكي جديد يحل محل مهمة يارينغ ، بهدف اعادة السيطرة الامريكية على مساعي السلام في الشرق الاوسط ، اعدت الاوساط الامريكية المختصة خطة جديدة لاجراء مفاوضات غير مباشرة بين مصر واسرائيل من اجل الوصول الى اتفاق جزئي حول اعادة فتح قناة السويس . اي عادت الولايات المتحدة الى احياء الوساطة القديمة بعد ان كانت قد جمدتها قبل مناقشة نزاع الشرق الاوسط في هيئة الامم ، وبعد ان حصلت اسرائيل على طائرات الفانتوم والسكاي هوك وعلى اتفاقية عسكرية تمكنها من انتاج معدات حربية صممت في الولايات المتحدة ، في حين خرج الطرف العربي من الوساطة الامريكية صفر اليدين . ويتلخص المشروع الامريكي الجديد للمحادثات العربية الاسرائيلية بجمع ممثلي كل من الطرفين في فندق واحد في نيويورك حيث يقوم وسيط امريكي (جوزيف سيسكو) بالتنقل بينهما الى ان يتم الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس . وفي اوائل شهر شباط اعلنت اسرائيل موافقتها الرسمية على المشروع الامريكي للمحادثات بعد ان تم التفاهم مع امريكا حول طبيعة الدور الذي سيلعبه الوسيط . اذ ان اسرائيل تريد تقليص دور الوسيط الامريكي الى أقصى حد ممكن، اي تريد منه القيام بدور « ساعي البريد » بين الطرفين المتفاوضين . بينما تنظر الحكومة الامريكية الى دور وسيطها على اسس اكثر ديناميكية بحيث يحق له اخذ زمام المبادرة في تسوية الخلافات التي تطرأ بين الجانبين و« التقريب بين وجهات النظر » عن طريق التقدم بمقترحات امريكية للخروج من الطرق المسدودة التي ستدخلها المحادثات ، بالتأكيد ، اكثر من مرة . وقد تم الاتفاق بين الولايات المتحدة واسرائيل على ان يكون دور الوسيط محدودا قدر الامكان والا يقوم بمبادراته الخاصة وتقديم مقترحاته الا بعد استشارة الوفد الاسرائيلي والعمل على الاتفاق معه بشأنها قدر الامكان . وترددت انباء تقول ان التفاهم الاسرائيلي الامريكي بالنسبة للمحادثات جاء ضمن اطار اتفاق مشترك حول عدم عبور اية قوات مصرية الى الضفة المحتلة من القناة كجزء من التسوية الجزئية . وجدير بالذكر ان اعلان موافقة اسرائيل على صيغة المحادثات هذه قد جاء عشية سفر الرئيس السادات في زيارته الاخيرة الى الاتحاد السوفياتي . ويبدو ان الخطة الامريكية الجديدة لا تتوقع استجابة مصرية سريعة تقبل بالمحادثات بل هي ترمي الى الانتظار حتى يقوم يارينغ بجهوده المعهودة ، وفقا لقرار الجمعية العامة ، وعندما يستنفذ الوسيط كل السبل الممكنة وتنهار مهمته مرة اخرى ستجد مصر نفسها منساقة من جديد الى الطريق الامريكي للتسوية السلمية وستضطر للموافقة عندئذ على المشروع الجاهز للمحادثات . ففي اوائل شباط اعلن وليم روجرز ان بلاده لم تقرر بعد متى وكيف ستعرض على مصر مسألة

استئناف المحادثات غير المباشرة من اجل الوصول الى اتفاق حول القناة . كما قال ان بلاده ما زالت تؤيد مهمة يارينغ ولا ترى سببا يمنع سير المحاولتين (محادثات يارينغ ومحادثات الوسيط الامريكي) جنبا الى جنب وبشكل متواز . ومع ان مصدرا رسميا في القاهرة قد اعلن عن رفض بلاده الدخول في المحادثات الامريكية المقترحة ، الا ان سيسكو عاد ليؤكد من جديد ان امريكا ستجري اتصالات مع مصر لاقناعها بقبول المبادرة وتوقع سيسكو بأن يكون رد مصر فاترا .

ان الجو العام المحيط بمشروع المحادثات الجديد لا يوحي بأن امريكا على عجلة من امرها لاقناع مصر بقبوله او انها تشعر بحاجة ملحة للبدء بالمحادثات بسرعة ، بل على العكس من ذلك يوحي الجو باطمئنان امريكي الى انه بالرغم عن رفض القاهرة الحالي لفكرة المحادثات فان مصر ستجد نفسها مضطرة بعد فترة من الزمن الى العودة للاتصال بأمريكا مجددا من اجل تحريك قضية الشرق الاوسط وعندئذ ستكون الفرصة سانحة لاقناعها بضرورة الموافقة على الدخول في المباحثات تحت الاشراف الامريكي وجدواها . وفي النصف الاول من شهر آذار قدم روجرز تقريره السنوي عن السياسة الخارجية الامريكية حيث ذكر في القسم المتعلق بالشرق الاوسط ان عام ١٩٧٢ سيشهد جهودا مركزة للاستمرار في وقف اطلاق النار وتحقيق التسوية الجزئية كخطوة اولى نحو السلام في المنطقة .

اما التحرك الامريكي الثاني بالنسبة للشرق الاوسط فقد جاء على صورة تصريحات وتحركات ذات طابع هجومي وشرس نسبيا ضد الوجود السوفياتي في المنطقة وفي البحر الابيض المتوسط وضد القوى المحلية التي تعتمد على هذا الوجود في صمودها وقدرتها . ففي ٩ شباط صرح مستشار الرئيس نيكسون للشؤون الخارجية – كيسنغر – ان الوجود السوفياتي العسكري في الشرق الاوسط تجاوز متطلبات الازمة في المنطقة ، كما أشار الى ان مضاعفات هذا الوجود تتجاوز الوضع المحلي ويجب اخذها بعين الاعتبار في اية تسوية يتم الوصول اليها في الشرق الاوسط .

وعبرت رسالة نيكسون الى الكونغرس حول سياسة الولايات المتحدة الخارجية (الاسبوع الثاني من شهر شباط) في قسمها المخصص للشرق الاوسط عن هذا المزاج الامريكي الصدامي والمتشدد حيال الازمة عامة في المنطقة والوجود السوفياتي بالتحديد، وبالتالي حيال كل القوى المعادية للامبريالية ايضا، وقد جاء هذا التطور في الموقف الامريكي على اثر الحرب الهندية – الباكستانية ونتائجها ، والهزيمة التي لحقت بالاستراتيجية الامريكية في تلك المنطقة من العالم . لقد رفع تقرير نيكسون عن النزاع صفته المحلية وجعله مسألة امريكية سوفياتية بالدرجة الاولى بحيث يتحتم على امريكا اتخاذ اجراءات ذات طابع ديناميكي متحرك لتطويق الوجود السوفياتي والتضييق عليه وتعزيز المواقع الامبريالية وقواها في منطقتنا . لذلك نجد ان التقرير يشدد على ما يسميه بالجهود التي بذلها الاتحاد السوفياتي « لاستخدام النزاع العربي الاسرائيلي من اجل استمرار مركزه العسكري في مصر وتوسيعه » . كما اشار الى « استغلال الاتحاد السوفياتي اعتماد مصر على المعدات السوفياتية العسكرية لكسب تسهيلات جوية وبحرية في مصر ... والسعي وراء مغانم سياسية من جانب واحد في المنطقة » . كذلك عبر التقرير عن قلق الولايات المتحدة الشديد من هذا الوضع لان له « مضاعفات شديدة على استقرار توازن القوى محليا واقليميا وفي شرق البحر الابيض المتوسط وعالميا » ، كما بين ان الحلف الاطلسي « لا يستطيع ان يتجاهل المضاعفات المحتملة لهذه الخطوة (من قبل الاتحاد السوفياتي) بالنسبة لاستقرار العلاقات بين الشرق والغرب » .

ويبدو ان الترجمة العملية لهذا التعبير عن القلق الامريكي الامبريالي قد اخذت شكل الاتفاقات الجديدة التي عقدتها الولايات المتحدة مع اليونان بشأن استخدام الاسطول السادس لموانئه . كما افصحت عن نفسها في الاضطرابات التي تمر فيها جزيرة قبرص حاليا حيث يسعى جنرالات اليونان – بدعم امريكي – الى الاطاحة بالمطران مكاريوس (رئيس جمهورية قبرص) الذي يتبع سياسة حيادية نوعا ما بين التكتلات الدولية تستند الى عدم معاداة الشيوعية واقامة علاقات جيدة ووثيقة مع الاتحاد السوفياتي والدول التي تعتبر نفسها منضمة الى معسكر عدم الانحياز . ويظهر ان السياسة الامريكية تريد الرد على الوجود السوفياتي البحري والجوي القوي في المنطقة (على حد تعبير رسالة نيكسون) عن طريق تحويل قبرص الى محطة امريكية امامية

تضاف الى اليونان في مواجهة الشواطىء السورية والمصرية . ومن الضروري ان تقوم كافة القوى المعادية للامبريالية في المنطقة بدعم النظام القائم في قبرص ومساعدته من اجل احباط هذا المخطط الامريكي الامبريالي الجديد ضد المصالح الوطنية والقومية لشعوب المنطقة . وجدير بالذكر ايضا ان الاتحاد السوفياتي قد حذر بصورة رسمية الحكومة العسكرية اليونانية من الاقدام على اية محاولة لاسقاط نظام مكاريوس كما عبر عن اهتمامه بسلامة اوضاع قبرص السياسية وطالب الحكومة اليونانية بعدم التدخل بالشؤون الداخلية للجزيرة ، مما يدل على الاهمية القصوى للتحرك الامريكي المعادي في منطقتنا والهادف الى تحويل قبرص الى قاعدة للحلف الاطلسي . كما كان الاتحاد السوفياتي قد احتج بشدة في السابق لدى الحكومة اليونانية على الاتفاقية التي عقدتها مع الولايات المتحدة من اجل استخدام الاسطول الامريكي للموانىء اليونانية بصورة تخرج عن المعتاد والمألوف في هذه العمليات. كذلك اشار تقرير نيكسون الى حالة الشتات التي ما زال الشعب الفلسطيني يعاني منها من زاوية تأثيرات نضاله السلبية على الحكومات العربية ، وعلى رفع درجة التوتر في المنطقة ، واعتبر التقرير ان استمرار وضع الشعب الفلسطيني على حاله يهدد « الحكومات المستقرة والمعتدلة » في المنطقة، وأكد من جديد التزام امريكا بالمحافظة على « ميزان التسلح » وبذل الجهود للبحث عن « تسوية عربية — اسرائيلية شاملة تحت اشراف يارينغ »بالاضافة الى الجهود الامريكية « الرامية الى مساعدة الفريقين على تحقيق تسوية مؤقتة ايضا » باعتبار انه يمكن احراز التقدم في الحالة الاخيرة بدون طرح كل القضايا المثيرة للنزاع التي تعيق الوصول الى التسوية الشاملة . وقد حملت مصر بشدة على تقرير نيكسون ووصفته بأنه يهدد بتوسيع الازمة بحجة ازدياد المساعدات العسكرية لمصر .

على أثر الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على حدود لبنان والانذارات العلنية والسرية التي وجهتها اسرائيل الى الحكومة اللبنانية والاتصالات الدبلوماسية العربيةوالاجنبية التي أجرتها السلطات في لبنان بعثت الحكومة الامريكية برسالة الى الرئيس فرنجية تعبر عن استمرار اهتمامها بضمان استقلال لبنان وسلامة اراضيه على اساس التأكيدات التي تم تقديمها سابقا الى لبنان بهذا الصدد. وعلى اثر قيام اسرائيل بعدوانها الواسع الاخير على جنوب لبنان واحتلالها لمنطقة العرقوب برهنت امريكا عن مدى اهتمامها باستمرار الوضع القائم في لبنان وعدم تعريضه لاية هزات ، وعن مدى اعتبارها لهذا الوضع كجزء من مصالحها الحيوية في المنطقة ، وذلك عن طريق ممارسة ضغط مباشر على اسرائيل كي تنسحب من قرى العرقوب التي احتلتها (وليس من المرتفعات) في الهجوم . فقد ترددت انباء مؤكدة ان سيسكو قام باتصالات سريعة مع المسؤولين الاسرائيليين وطلب منهم الانسحاب فورا من الاراضي اللبنانية ، وعندما حاولت اسرائيل استمهاله في الجواب كان رده « اريد الان جوابا ايجابيا بالموافقة على الانسحاب من الاراضي اللبنانية بدون تردد او تلكؤ » . وكان رئيس الدائرة السياسية في السفارة الامريكية في بيروت قد حمل تأكيدات الى الحكومة اللبنانية — في اليوم الثاني للاحتلال — بان انسحاب القوات الاسرائيلية سيتم بدون تأخير .

ومن ناحية اخرى ترددت انباء عن مصادر دبلوماسية بريطانية ان الرئيس نيكسون سيعرض على الزعماء السوفيات ، خلال زيارته لموسكو في شهر ايار المقبل ، مشروعا اسرائيليا لاعادة فتح القناة وتخفيف حدة التوتر في المنطقة . ويبدو ان المشروع جاء نتيجة مشاورات امريكية — اسرائيلية ويضم النقاط التالية : ١ — موافقة مصر واسرائيل على اعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، بعد اتفاق الدول الكبرى على هذا الموضوع . ٢ — تراجع القوات المصرية والاسرائيلية عن جانبي القناة الى حد يتم الاتفاق عليه . ٣ — ادارة القناة من قبل مدنيين مصريين يعملون على ضفتي الممر المائي . ٤ — عودة السكان الذين هجروا مدن القناة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الى مدنهم واعادة الحياة الى وضعها الطبيعي هناك .

واوضحت المصادر الديبلوماسية في لندن ان هناك نقاطا اخرى في المشروع تركت للتفاوض فيما بعد ومنها رغبة اسرائيل في ان تعبر سفنها القناة . كما ذكرت انه في الوقت الذي تجري هذه المساعي لاعادة فتح القناة ، يمكن ان تدور المحادثات باشراف الدكتور غونار يارينغ الوسيط الدولي لتحقيق التسوية الشاملة في المنطقة .

أما على صعيد محادثات الدول الاربع الكبرى فلم

يطرأ أي جديد باعتبارها مجمدة منـذ فترة غير قصيرة . كما انه لم تطرأ اية تحولات اساسية على مواقف دول اوروبا الغربية من النزاع العربي الاسرائيلي التي تم التعبير عنها في الدورة الاخيرة لهيئة الامم حيث صوتت كل هذه الدول الى جانب قرار الجمعية العامة المدعوم من قبل مصر . الا انه لا بد مـن الاشارة الى حدثين على الصعيد الاوروبي الغربي : اولا تصريح رئيس وزراء المانيا الغربية ــ وليم برانت ــ الغامض نوعا ما حـول عزمه على القيام بمبادرة شخصية لازالة الجمود المسيطر على ازمـة الشرق الاوسط وقوله بـأن حكومته ستساهم مساهمـة كبيرة في حـل قضية اللاجئين الفلسطينيين . ويصعب علينا في الوقـت الحاضر تقييم أهمية هذا الكلام اذ انه قد يكون مجرد تصريح اخر من التصريحـات التي اعتدنـا سماعها من قبل رؤساء الحكومات في المناسبـات كما انه قد يكون تلميحا الى وجود مشاريع جديدة يجري العمل عليها في الاوساط السياسية الغربية في محاولة لاخراج النزاع العربي ــ الاسرائيلي من المأزق المسيطر عليه في الوقت الحاضر . ثانيـا الانباء التي ترددت في الصحف البريطانية حـول قيام شركة انكليزية ببناء غواصتين لحساب الاسطول الاسرائيلي . ولم تنف المراجع الرسمية البريطانية وجود صفقة من هذا النوع . ولا شك ان عـودة بريطانيا الى تزويد اسرائيل بالسلاح تبين ان مـا كانت قد زعمته الدبلوماسية العربية حول كسب بريطانيا الى جانب الموقف العربي الرسمي وتعزيز روابط التفاهم العربي ــ البريطاني ليس الا وهما وسرابا في التحليل الاخير .

بالنسبة للمعسكر الاشتراكي تركزت التطورات في الفترة الاخيرة حول عدد لا بأس به من الزيارات الرسمية المتبادلة بين بعض الدول العربية والاتحاد السوفياتي مما يشير الى ان التدهور الذي طرأ على العلاقات العربية ــ السوفياتية على أثر الضربة التي وجهت الى الحزب الشيوعي السوداني وعلى أثر الحملات الليبية ضد الشيوعية والسوفيـات قد وصل الى مداه الاقصى وبدأ يحل محله اتجاه جديد نحو تحسين العلاقات واعادتها الى ما كانت عليه في السابق . من العوامل المهمة التي ساعدت في انطلاقة الاتجاه الجديد نشر التقرير السري الذي القاه في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي احد قادة الحزب البارزين حيث وجه نقدا عنيفا الى الحزب الشيوعي السوداني وزعيمه الراحل عبد الخالق محجوب بسبب محاولة الانقلاب الشهيرة ضد نظـام الرئيس النميري . ووصلت محاولات تحسـين العلاقـات العربيـة السوفياتية الى ذروتها في الزيارة التي قام بها وفد ليبي رسمي على مستوى رفيع الى موسكو ، في النصف الثاني من شهر شباط ، برئاسة الرائد عبد السلام جلود عضو مجلـس قيادة الثورة . وتمت الزيارة على اساس دعـوة مـن الحكومة السوفياتية كما أسفرت عن توقيـع اتفاق حـول التعاون الاقتصادي والفني بين البلدين وخاصة في ميادين استكشاف النفط واستخراجه وتكريره وفي تطوير الطاقة الكهربائية وفي فـروع اخرى مـن الاقتصاد الليبي . وليس من شك في ان المحادثات الليبية ــ السوفياتية قد تطرقت الى النزاع القائم في المنطقة والى موضوع التسليح العربي خاصة وان مجموعة مـن الخبراء العسكريـين المصريين رافقوا الوفد الذاهب الى موسكو . كمـا ترددت انباء غير مؤكدة عن عقد صفقة سلاح سوفياتيـة مع ليبيا سيعلن عنها فيما بعد .

كذلك قـام الرئيس السادات بزيـارة الاتحـاد السوفياتي بغية تحقيق « مراجعة شاملة لكـل الحسابات في ضوء الموقف العالمي الراهن وبعدما ركزت الولايات المتحدة كل جهودها في منطقة الشرق الاوسط اثر الجولة التي خسرتها في جنوب شرقي آسيا » على حد تعبير الرئيس السادات نفسه . واسفرت الزيارة عن بيان مشترك كان اهم ما فيه التشديد على موضوع تحقيق السلام في الشـرق الاوسط (في مقابل ما كان قد قيل في القاهرة عـن الحرب وسنة الحسم) . أشاد البيان بالقـرار الاخير للجمعية العامة لهيئة الامم المتعلق بالنزاع العـربي ــ الاسرائيلي ، واكـد عزم الدولتـين الصديقتين على الاستمرار في النضال من اجـل تحقيق تسوية عادلة للنزاع على اساس تنفيذ كل بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ودعا الـى استئناف مهمة يارينغ واتصالاته مع الدول المعنية نظرا لخطورة الوضع القائم في المنطقة ، كما اشار الى ضرورة تعزيز الطاقات الـدفاعية العربية . وجدير بالذكر ان وليم روجرز علـق على زيـارة السادات بقوله ان البيان المشترك الـذي صدر عقبها قد صيغ بعبارات غير عدائية مما يعني ان وجهة النظر العامة التي سادت هي نفس وجهة

النظر التي تتبناها واشنطن بالنسبة للنزاع في المنطقة . ومن الملاحظ ان محادثات السادات في موسكو قد احيطت بقدر كبير من السرية وتضاربت حولها التعليقات والتفسيرات . فمن ناحية اعتبرتها الاوساط العربية (خاصة في مصر) زيارة ناجحة جدا لانها حققت كل الاهداف التي سعى الى تحقيقها الرئيس المصري بينما اعتبرتها الاوساط الدبلوماسية والصحفية الغربية زيارة فاشلة لان الرئيس السادات لم يتمكن من الحصول على ما يريد من القيادة السوفياتية . اذ بينما اعلن السادات في خطاب له امام بعض القطعات العسكرية قبل سفره الى موسكو مباشرة انه سيحدد ساعة الصفر في بدء عملية التحرير بعد عودته من الاتحاد السوفياتي جاء البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة مليئا بالتشديد على مهمة يارينغ وتحقيق السلام في المنطقة وتعزيز طاقات مصر الدفاعية فحسب . وترى هذه الاوساط المطلعة ان الاتحاد السوفياتي اعرب عن معارضته لاية عمليات عسكرية في الشرق الاوسط وطلب من السادات ارجاء اتخاذ اية بادرة بهذا الاتجاه ، وشدد على ضرورة التمسك بالوضع الراهن ما دامت لم تعرف بعد معالم معركة انتخابات الرئاسة في امريكا . بعبارة اخرى اذا كان السادات قد ذهب الى موسكو ليعرض خططه للحرب ويطلب الاسلحة الهجومية التي يحتاج اليها الجيش المصري فانه لم يجد اي تشجيع للسير في هذا الخط من قبل القيادة السوفياتية . وبعد موسكو قام السادات بزيارة بلغراد حيث قابل الرئيس تيتو . وترددت انباء عن مصادر يوغوسلافية ان الرئيس المصري اطلع تيتو على نتائج محادثاته في موسكو واكد له ان مصر ستواصل البحث عن تسوية سلمية بالرغم عن ان صبر الشعب المصري كاد ان ينفذ لان بادرات السلام لم تؤد حتى الان الى اية نتيجة مرضية .

في النصف الثاني من شباط ١٩٧٢ قام وزير الدفاع السوفياتي الماريشال غريشكو بزيارة مصر حيث جاء لاستطلاع الاوضاع العسكرية في الجبهة المصرية بعد ان كان الرئيس السادات قد عرضها بصورة عامة على القيادة السوفياتية اثناء زيارته لموسكو . وذكرت الانباء ان زيارة غريشكو استهدفت (١) الوقوف على المواقع التي ستوضع فيها انواع من الاسلحة المتطورة وصلت الى مصر حديثا . (٢) اختيار مجموعات من الضباط العسكريين للسفر الى الاتحاد السوفياتي والتدرب على اسلحة معينة ذات طابع هجومي . (٣) نوعية الوجود السوفياتي في مصر مستقبلا في ضوء تزايد النشاط الاميركي في البحر المتوسط والتطورات الاخيرة التي انتهت الى ان يكون ميناء بيريه اليوناني قاعدة دائمة للاسطول السادس . وقد صدر بيان مشترك عن زيارة غريشكو اعرب فيه الطرفان عن رضائهما بالتعاون المتزايد بين القوات المسلحة السوفياتية والمصرية ، وانهما تبادلا وجهات النظر في شأن تعزيز وتنمية التعاون بين البلدين من اجل زيادة قدرات مصر القتالية .

اما الزيارة الرابعة فقد قام بها وفد عراقي برئاسة السيد صدام حسين ، نائب رئيس مجلس الثورة، حيث تم الاتفاق بين البلدين ، كما يبدو ، على توقيع معاهدة صداقة وتعاون شبيهة بالمعاهدة المصرية السوفياتية التي تم توقيعها في ايار ١٩٧١. ويكون بذلك العراق البلد العربي الثاني بعد مصر الذي يوقع مثل هذه المعاهدة . وتبين ايضا ان الجانبين العراقي والسوفياتي قد اتفقا على الخطوط العريضة لمضمون المعاهدة وان النقاط التفصيلية ستناقش في محادثات مقبلة . ومن المفترض ان تنظم المعاهدة المساعدات الاقتصادية والعسكرية السوفياتية للعراق وان تؤدي الى تنسيق السياسة العراقية مع الاتحاد السوفياتي في كل ما يتعلق بقضايا الحرب والسلام في المنطقة . وقد اشار البيان المشترك الذي صدر حول الزيارة الى مسألة المعاهدة من خلال فقرة لم يسبق ان تضمنها اي بيان مشترك عربي — سوفياتي سابق حيث جاء فيها : « وعبر الجانبان عن ارتياحهما للصلات الودية بين الحزب الشيوعي السوفياتي وحزب البعث العربي الاشتراكي واعربا عن رغبتهما المتبادلة في تطورها المطرد بما يتفق ومصالح تعزيز علاقات الصداقة والتعاون القائمة بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العراقية ونضالهما المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومن اجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي . ورغبة كل منهما في استمرار تطور علاقات الصداقة والتعاون الشامل بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العراقية اتفق الجانبان على انهما ، في نطاق تبادل الاراء الذي تم بينهما ، سيدرسان ما يمكن اتخاذه من التدابير الاضافية ، في اقرب

وقت ممكن ، لرفع العلاقات القائمة بين البلدين الى مستوى جديد اعلى يتخذ صيغة تعاهدية » . ولم ترد اية اشارة في البيان المشترك الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وذلك تقديرا ، على ما يبدو ، من قبل السوفيات لموقف العراق الرسمي الذي يرفض القرار . بدلا من ذلك جاء في البيان : « يرى الجانبان ان اقرار سلام وطيد وعادل في الشرق الاوسط لا يمكن الوصول اليه من دون تحرير كل الاراضي العربية المحتلة نتيجة عدوان اسرائيل الامبريالي ، ومن دون تأمين الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني. » ومن المحتمل ان يتم توقيع معاهدة الصداقة والتعاون عند زيارة احد الزعماء السوفيات للعراق في نيسان القادم بمناسبة تدشين بدء انتاج النفط في حقل الرميلة الذي ساهم السوفيات في انشائه . وقد ترددت انباء عن امكان قيام سوريا بتوقيع معاهدة مماثلة مع الاتحاد السوفياتي . يبدو واضحا ان سياسة الانظمة العربية حيال النزاع في المنطقة تسير باتجاه التقارب والتوحيد حتى على صعيد المواقف المعلنة ، من خلال المزيد من الارتباط بالاتحاد السوفياتي وعلى اساس الالتفاف حول التفسير المصري — السوفياتي لمعنى الحل السلمي ولقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

كذلك قام وفد حزبي وحكومي سوفياتي برئاسة النائب الاول لرئيس الوزراء (وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي) بزيارة لسوريا بدعوة من قيادة حزب البعث في النصف الثاني من شباط ، ولا يستبعد ان يكون موضوع معاهدة الصداقة والتعاون التي تردد ان سوريا قد توقعها مع الاتحاد السوفياتي قد بحث اثناء زيارة الوفد .

أما بالنسبة لمهمة يارينغ وتحركاته فلم تطرأ اية تطورات هامة حقا عليها ولم تسفر الاتصالات التي اجراها عن اية نتائج واضحة او خطيرة حتى هذه الساعة . وكان اهم ما فعله يارينغ هو التشاور مع الامين العام الجديد لهيئة الامم — فالدهايم — حول عودة مهمته الى الحياة ومن ثم قيامه بزيارة مصر والاردن واسرائيل في النصف الثاني من شباط . وعلى ما يبدو قام يارينغ باستمزاج السلطات المصرية حول رأيها في مقترحات جديدة ينوي ان يستأنف مهمته على اساسها ، وتردد انه اذا وافقت القاهرة على ما في جعبته فانه سيقوم بزيارة اسرائيل . وصرح الدكتور مراد غالب ، وزير خارجية مصر ، بعد اجتماعه بيارينغ ان محادثتهما كانت « استكشافية » وتناولت تطورات العمل السياسي والدبلوماسي بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط . اما زيارة يارينغ لعمان فقد جاءت نتيجة لدعوة رسمية من الحكومة الاردنية وكان لها مغزى خاص اذ ان الوسيط الدولي كان قد امتنع عن زيارة الاردن طوال السنة الاخيرة من عمله مع انه زار كلا من مصر واسرائيل أكثر من مرة . وجاء هذا الامتناع مع تدهور العلاقات المصرية الاردنية وبروز فكرة التسوية الجزئية التي لم تكن السلطات الاردنية مرتاحة لها . وقد تم ابلاغ يارينغ في عمان معارضة الاردن لفكرة التسوية الجزئية واصراره على الحل الشامل للنزاع على اساس تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وشدد يارينغ في تصريحاته على أن مساعيه الحالية ليست الا استمرارا لمهمته التي بدأت عام ١٩٦٧ مما يعني انه غير مهتم بقضية التسوية الجزئية باعتبارها مشروعا امريكيا بحت لا علاقة له به . كما اعلن انه سيحتفظ بمقره الدائم في نيقوسيا . استقبلت السلطات الاسرائيلية الوسيط الدولي استقبالا باردا ومهذبا . وترددت انباء موثوقة ان موقف اسرائيل من زيارة يارينغ قد تقرر بعد مشاورات مع الولايات المتحدة والاتفاق معها على ان التسوية الجزئية وحدها ممكن ان تنجح في اخراج ازمة الشرق الاوسط من المأزق الذي يسيطر عليها . كذلك شددت السلطات الاسرائيلية على ان يارينغ هو الذي طلب زيارة اسرائيل وليس العكس . ان محاولات امريكا واسرائيل تفشيل مهمة يارينغ (التي تريد القاهرة انجاحها على اساس القرار الاخير للجمعية العامة) اصبحت واضحة تماما . وذكرت بعض المصادر المطلعة ان يارينغ قد يعرض على اسرائيل صيغة جديدة للتسوية تستند الى النتائج التي توصلت اليها محادثات الزعماء الاسرائيليين مع بعثة حكماء افريقيا (أي الرؤساء الافريقيين الذي قاموا بمهمة سلام في المنطقة في اواخر السنة الماضية) . كما اوضحت المصادر الاسرائيلية ان الحكومة لن تغير موقفها الاساسي السلبي من مذكرة يارينغ المؤرخة في ٨ شباط ١٩٧١ والتي طلبت من اسرائيل الالتزام بالانسحاب الى حدود مصر الدولية مع فلسطين ايام الانتداب . ويبدو ان التصلب الاسرائيلي في

هذا الموضوع قد اخذ يعطي بعض النتائج اذ ذكرت مصادر هيئة الامم ، في اوائل شهر اذار ، ان يارينغ لا يريد لمهمته ان تحل محل وساطة الولايات المتحدة من اجل تحقيق تسوية جزئية من خلال محادثات مصرية اسرائيلية غير مباشرة (محادثات الفندق في نيويورك) كما انه لن يصر على رد ايجابي من اسرائيل على مذكرته المشار اليها وسيقترح استئناف المحادثات بين الاطراف المعنية وفق ردها على المذكرة التي قدمها في شباط برغم ان رد اسرائيل لم يرض يارينغ ويوثانت كما انه لم يرض الجمعية العمومية للامم المتحدة نفسها كما هو واضح من قرارها الاخير الذي دعا اسرائيل الى تقديم رد ايجابي على المذكرة . وقد صدر بيان مشترك اثناء انتهاء زيارة الوسيط الدولي لاسرائيل جاء فيه ان المحادثات كانت مفيدة وان يارينغ ابلغ السلطات الاسرائيلية خلاصة محادثاته في القاهرة وعمان .

أما على صعيد هيئة الامم فقد كان التطور الهام الوحيد المتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي هو القرار الذي اتخذه مجلس الامن (٢٨ شباط) على أثر عدوان اسرائيل الاخير على جنوب لبنان واحتلالها لمنطقة العرقوب . طلب القرار من اسرائيل ايقاف عملياتها الحربية ضد لبنان وسحب كل قواتها العسكرية من الاراضي اللبنانية فورا . ولكن جدير بالذكر ان مجلس الامن قد عقد اكثر من جلسة ، منذ ابتداء العدوان وبناء على شكوى لبنان ، ولم تسمح امريكا باتخاذ اي قرار ضد اسرائيل الى ان توغلت الاخيرة في المناطق اللبنانية وقامت بعمليات تدمير وقصف واسعة النطاق . بعد ذلك فقط سمحت امريكا للمجلس بتبني القرار المذكور الذي تقدمت به اربع دول اوروبية هي بريطانيا وبلجيكا وفرنسا وايطاليا . وضغطت كل من الولايات المتحدة واسرائيل على المجلس لتضمين مشروع القرار اشارة الى اعمال الفدائيين التي يفترض انها استفزت اسرائيل للقيام بالعدوان الذي قامت به ، الا انه تم حذف هذه الاشارة بسبب معارضة الصين لها (وبعض الدول الاخرى التي لا تتمتع بحق الفيتو) . ويعني ذلك ان مجلس الامن قد رد لاول مرة حجة اسرائيل القائلة بأن هجماتها على الحدود العربية مبررة بحكم كونها دفاعا مشروعا عن النفس ضد هجمات الفدائيين . وعلى أثر اتخاذ القرار اعلن مندوب اسرائيل عن « أسف بلاده العميق » . بينما دعا المندوب الامريكي الى استئناف الاتصالات المباشرة بين لبنان واسرائيل عن طريق لجنة الهدنة المشتركة التي انشأتها الامم المتحدة . اما المندوب السوفياتي فقد قال ان الخطوة التالية يجب ان تكون التنديد باسرائيل وفرض عقوبات عليها والنظر في موضوع طردها من الامم المتحدة .

ص. ج. ع.

(٤) السياسة الاسرائيلية

أ) أمن وخارجية

في نطاق الامن والخارجية كانت ابرز احداث شهر شباط (فبراير) ١٩٧٢ اعلان الحكومة الاسرائيلية عن موافقتها على العودة الى محادثات الحل المرحلي باشراف سيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركي ضمن الصيغة التي اطلقت عليها الصحافة الاجنبية تسمية « محادثات الفندق » . وقد تم الاعلان عن الموافقة في اليوم التالي لتوقيع اتفاق بين اسرائيل والولايات المتحدة يحدد دور هذه في الجهود التي تنوي الاستمرار بها للوصول الى تسوية سياسية في المنطقة . وقد عكس الاتفاق التحول الذي طرأ في نهايات العام الماضي على السياسة الاميركية بالنسبة لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط . وهو تحول اقترب بالموقف الاميركي من الموقف الاسرائيلي حتى كاد يتطابق معه ، ونجم عنه قرار استئناف تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم والسكايهوك والبدء بتنفيذ الاتفاقيات الخاصة بامداد اسرائيل بالمعرفة العلمية والتقنية اللازمة لانتاج انواع معينة من الاسلحة المتطورة وقطع الغيار داخل اسرائيل. وسافر في ذات الشهر الى واشنطن وزير الدفاع الاسرائيلي موشيه دايان حيث اجتمع بليرد وروجرز، وزيري الدفاع والخارجية الاميركيين ، وبحث معهما التفصيلات المتعلقة بصفقات التسليح ، وتصوراته بالنسبة للحل المرحلي ، الذي تجنب الاتفاق المذكور اعلاه الخوض في المسائل الاساسية المتعلقة به . واستقبلت اسرائيل في اواخر الشهر غونار يارينغ ببرود شديد هو بمثابة استمرار للموقف الذي تتخذه اسرائيل من وسيط الامم المتحدة منذ ٨ فبراير من العام الماضي عندما قدم لكل من مصر واسرائيل المذكرة المعروفة التي طلب فيها من مصر التعهد بعقد سلام مع اسرائيل وردت عليها مصر ردا ايجابيا وطلب فيها من اسرائيل التعهد من حيث المبدأ بالانسحاب من كل الاراضي المصرية المحتلة وردت اسرائيل عليها ردا سلبيا . وقد كانت هذه النقطة بالذات ، مسألة الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة في حرب حزيران ، السبب في ازمة مصغرة نشبت في الشهر المستعرضة احداثه بين سنغور رئيس دولة السنغال المناصر لاسرائيل والحكومة الاسرائيلية . وقد نشبت الازمة نتيجة لاكتشاف سنغور التضليل الذي مارسته الحكومة الاسرائيلية عندما زار اسرائيل في العام الماضي موفدا من قبل الرؤساء الافريقيين العشرة على رأس بعثة للتوسط في النزاع العربي ـ الاسرائيلي. وكشفت الصحف الاسرائيلية عن وقوع اتصالات بين الاردن واسرائيل بواسطة أنور نسيبه وزير الدفاع الاردني السابق ، وذكرت هآرتس ان رئيسة وزراء العدو تبنت في نقاشات سياسية دارت على مستوى عال في القيادة الاسرائيلية موقفا ينادي باعطاء الاولوية « لحل » مع الاردن على « حل » مع مصر. وشن الجيش الاسرائيلي في اواخر الشهر اعنف عدوان له على لبنان منذ قيام الدولة الغاصبة في عام ١٩٤٨ . وقد اكتسب العدوان هذه المرة طابعا خطيرا ، ليس فقط بسبب عنفه واتساع مداه ، وانما ايضا بسبب المطالب الاسرائيلية السابقة له، والنوايا المعلنة بعده .

محادثات الفندق : قد يكون من المناسب قبل الحديث عن قرار الحكومة الاسرائيلية بالعودة الى مفاوضات الحل المرحلي ان نتحدث بايجاز عن التطورات التي مر بها هذا الحل . ان أول ما يجب تسجيله بشأن الحل المرحلي هو انه ، رغم كون السادات أول من طرحه رسميا في ٤ شباط ١٩٧١ ، وليد فشل الدبلوماسية الاميركية في زحزحة اسرائيل عن مواقعها فيما يتعلق بالحل الشامل . لقد وجه عبد الناصر في ايار من عام ١٩٧٠ ، وحرب الاستنزاف على اشدها ، نداء الى الرئيس الاميركي نيكسون يطلب منه التدخل للضغط على اسرائيل لتقبل بتسوية شاملة لما يسمى بالنزاع العربي الاسرائيلي. وفيما بدا آنذاك وكأنه استجابة من الرئيس نكسون لنداء عبد الناصر ، قامت الولايات المتحدة بمبادرتها المعروفة باسم مبادرة روجرز ، التي قبلها عبد الناصر رسميا في ٢٣ تموز ١٩٧٠ ، وقبلتها اسرائيل تحت الضغط الاميركي في ٤ اب من ذلك العام . وضمن اطار المبادرة الاميركية تم وقف اطلاق النار « لمدة ثلاثة شهور » واستأنف غونار يارينغ مهمته لتحقيق تسوية شاملة بادئا بمصر واسرائيل . على اي اساس ارتكزت الموافقة المصرية والاسرائيلية على المبادرة الاميركية ؟ ان تفصيلات المفاوضات التي دارت بشأنها بين مصر

والولايات المتحدة من جهة ، وبين اسرائيل والولايات المتحدة من جهة اخرى ، ما زالت سرا من الاسرار المحفوظة في ملفات الدول المعنية . ولكن يمكن القول بشكل عام ، استنادا الى الموقف الاميركي المعلن بالنسبة لاسس تسوية النزاع في الشرق الاوسط والى دراسة دقيقة لتصريحات المسؤولين المختلفين وتطورات المفاوضات ، بان الموافقة المصرية انما ارتكزت في الاساس الى وعد اميركي بالضغط على اسرائيل لتحقيق « صفقة شاملة تتضمن سلاما كليا مقابل انسحاب كلي » مع استعداد مصر للقبول « بتنفيذ بنود الصفقة على مراحل » ، على حد تعبير اشرف غربال كبير دبلوماسيي مصر سابقا في الامم المتحدة في المؤتمر الصحفي المغلق الذي عقده في الاسبوع الثاني من شهر شباط الماضي ، بينما ارتكزت الموافقة الاسرائيلية في الاساس ، كما يبدو ، على وعد اميركي لاسرائيل **بعدم** الضغط عليها للقبول بما لا تريده ، وبالحفاظ على ميزان القوة العسكرية مائلا لصالحها ، وامدادها بالمعونات الاقتصادية الكفيلة ببقاء وضعها الاقتصادي متينا وقادرا على تحمل اعباء المواجهة الباردة او الساخنة مع العرب . ويمكن القول بشكل عام ايضا ان المأزق الذي بدا ان الدبلوماسية الاميركية كانت تعيشه منذ بداية المفاوضات في صيف عام ١٩٧٠ وحتى الشهر الاخير من العام الماضي انما كان نابعا من عجز الولايات المتحدة عن انجاز وعدها لمصر بالضغط الفعال على اسرائيل بسبب الوعد الاخر الذي قطعته لاسرائيل بعدم الضغط عليها ، رغم انها في فترة من الفترات حاولت ممارسة ضغط محدود عن طريق حجبها لطائرات الفانتوم والسكايهوك التي كانت اسرائيل تطلبها مدعية ان ميزان القوى قد بدأ يميل لصالح مصر بسبب زيادة التمركز السوفياتي فيها . وقد كانت أول عثرة وقعت فيها الدبلوماسية الاميركية هو رفض اسرائيل البدء في المحادثات باشراف يارينغ تحت ستار الزعم بان مصر قد حركت قواعد صواريخ سام ٣ الى حافة القنال بعد ساعات معدودة من تنفيذ اتفاقية وقف اطلاق النار . ولكن الدبلوماسية الاميركية تمكنت من التغلب على هذه العثرة عن طريق تزويد اسرائيل بانواع معينة من الاسلحة المتطورة وعن طريق وعدها بكبح السوفيات فيما لو انهار وقف اطلاق النار نتيجة لخطوات مماثلة . ثم جاءت العثرة الثانية الاكبر والاشد خطورة عندما رفضت اسرائيل بشكل فج طلب يارينغ منها في ٨ شباط بالتعهد من حيث المبدأ بالانسحاب من كافة الاراضي المصرية المحتلة في حالة اتمام التسوية الشاملة — وهو طلب قدمه يارينغ ، كما اكدت مختلف المصادر ، بتشجيع من الولايات المتحدة .

وهنا كان على هذه ان تقدم على واحدة من خطوتين : أما ان تبدأ بممارسة ضغط جدي وفعال على اسرائيل لزحزحتها عن هذا الموقف ، أو أن تخطر مصر بتخليها عن المبادرة الخاصة بها . ولكن الدبلوماسية الاميركية بدلا من ان تفعل ذلك لجأت الى المناورة التي عرفت فيما بعد باسم الحل المرحلي . جمدت مفاوضات يارينغ واقنعت مصر بأن السبيل الوحيد للالتفاف حول الرفض الاسرائيلي هو تقديم اقتراح بفتح قناة السويس للملاحة ضمن شروط نظرية وعملية تضمن صيرورة هذه الخطوة **خطوة أولى** على طريق الحل الشامل . واقتنعت مصر ، ووضعت الشروط الكفيلة في نظرها بتحقيق الهدف المنشود . وكانت شروط مصر الاساسية في البداية هي : اولا — ان ينص الاتفاق على كونه مرحلة اولى من مراحل تحقيق الحل الشامل ، أي ان يكون مربوطا نصا بقرار مجلس الامن . ثانيا — ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خط العريش — رأس محمد كخطوة اولى على ان يتم لاحقا انسحاب شامل . ثالثا — ان يكون للقوات المصرية الحق بعبور قناة السويس والتمركز على الضفة الشرقية لها . رابعا — ان يتحدد وقف اطلاق النار في الاتفاق المرحلي بستة شهور يكون لمصر بعدها الحق باستئناف القتال اذا تعثرت المفاوضات . خامسا — ان يكون السماح للسفن الاسرائيلية بالملاحة في قناة السويس مرتبطا بحل مشكلة الفلسطينيين . ومن الواضح ان هذه الشروط ، لو قبلتها اسرائيل كما هي ، او حتى قبلتها بشكل مخفف ، كان يمكن ان تشكل التفافا ممتازا حول الرفض الاسرائيلي لمطلب الانسحاب الكلي من الاراضي المصرية . ولكن المشكلة بالطبع لم تكن في اتقان صياغة الشروط بمقدار ما كانت في اقناع الاسرائيليين بقبولها ، وهذا ما برهنت الاحداث على انه كان مهمة مستحيلة . اذ ان اسرائيل بدلا من ان تقبل الشروط بشكل مخفف كما كان مأمولا ، عمدت الى طرح شروط مضادة يلخصها البيان الذي القته غولدا مئير في الكنيست بتاريخ ٧١/٦/٩ : « في ختام محادثاتنا مع وزير الخارجية الاميركي بشأن الاتفاق على فتح قناة السويس عدت فلخصت موقفنا

بالنسبة للبنود الاساسية : الاتفاق بيننا وبين مصر يكون اتفاقا خاصا ومنفردا وليس مربوطا بمجريات محادثات يارينغ او مجلس الامن او مناقشات الدول الاربع . في اطار هذا الاتفاق تكون اسرائيل مستعدة للنظر في تحريك معين للقوات الاسرائيلية عن خط الماء وفقا للاسس التالية : لا يتجسد القتال — تنظف مصر قناة السويس وتشغلها — لا تعبر قوات مصرية او قوات اخرى الى شرق القناة — تقوم ملاحة حرة تشمل السفن والشحنات الاسرائيلية — تتقرر ترتيبات مراقبة فعالة ومتفق عليها — تؤمن وسائل ردع ضد خرق الاتفاق — تحريك قوات الجيش الاسرائيلي من خط الماء لا يكون مرحلة لانسحاب اخر قبل تحقق السلام — استمرار الاتفاق لا يكون مرهونا بمحادثات يارينغ الا انه لا يتناقض مع استئنافها وتقدمها واهدافها — الخط الجديد الذي تقف خلفه قوات اسرائيل ليس خط الحدود الدائم — خط الحدود الدائم يتقرر في معاهدة سلام تعقد بين مصر واسرائيل » . ومن الواضح ان هذه الشروط لم تكن تتناقض كليا مع شروط مصر فحسب ، وانما كانت ايضا تقطع الطريق على اية فرصة لتحول الحل الجزئي الى حل شامل . وتجاه الطريق المسدود الذي وضعت الشروط الاسرائيلية الحل المرحلي فيه ، نشطت الدبلوماسية الاميركية لمحاولة تخفيف شروط المصريين وزحزحة اسرائيل عن مواقفها المتصلبة ، واستخدمت في مرحلة متأخرة الطائرات الاميركية كوسيلة ضغط على اسرائيل لتليين مواقفها . ويقال بأنه حتى اكتوبر ١٩٧١ كانت الدبلوماسية الاميركية قد نجحت في اقناع المصريين بالتساهل في مسألة عبور قوات مصرية لقناة السويس بحيث وافقوا على مجرد عبور قوة رمزية مسلحة تسليحا خفيفا وبالتساهل في مسألة وقف اطلاق النار بحيث تكون مدته ١٨ شهرا بدلا من ستة شهور وبالتساهل في مدى الانسحاب الاسرائيلي بحيث يكون ٥٧ كيلو مترا او اقل من ذلك بدلا من ان يكون الى خط العريش — رأس محمد ، بينما لم تنجح بالمقابل في انتزاع وعد محدد من الاسرائيليين بالتساهل في اي نقطة من النقاط الاساسية ، سوى استعداد الاسرائيليين للانسحاب الى اكثر من ٨ — ١٠ كم كما ذكروا اولا واستعدادهم للتنازل عن تسيير سفنهم في قناة السويس في البداية . واكثر من ذلك بدأ الاسرائيليون يلحون على تزويدهم بكميات اضافية من طائرات الفانتوم والسكايهوك ، وبدأت الصحف الاسرائيلية توجه انتقادات صريحة للولايات المتحدة بانها خرقت تعهدها لاسرائيل بعدم الربط بين تزويدها بالسلاح وبمجريات المفاوضات لتحقيق الحل المرحلي او الشامل ، وتحدثت بعض الصحف عن شكوك المسؤولين الاسرائيليين بأن الولايات المتحدة تعقد اتفاقيات مع مصر من وراء ظهر اسرائيل . وفي هذا الجو ألقى روجرز في ٤ اكتوبر من العام الماضي خطابا في الجمعية العامة للامم المتحدة طرح فيه مشروعا من ست نقاط لتحريك مفاوضات الحل المرحلي . وكان من جملة ما ورد في نقاط المشروع الست قول روجرز بان الاتفاق حول القناة ليس الا مرحلة نحو تطبيق قرار مجلس الامن وانه ليس غاية في حد ذاته ، وقوله بأن مطلب اسرائيل بوقف اطلاق نار غير محدود مطلب غير واقعي وقوله بان فرص الوصول الى تسوية بشأن عبور القوات المصرية لقناة السويس ليست سلبية ، وهي اقوال ، على علاتها ، تحفظ للحل المرحلي صفته كجسر للعبور الى الحل الشامل . ولذلك كان رد الفعل الاسرائيلي تجاهها عنيفا وسلبيا ، وبدأت حملة صهيونية في اسرائيل والولايات المتحدة ضد روجرز وسيسكو ، والقت غولدا مئير بيانا في الكنيست بتاريخ ٧٢/١٠/٢٦ رفضت فيه نقاط روجرز الست ، وركزت على ضرورة امداد اسرائيل بالطائرات المطلوبة. وفي النصف الثاني من شهر تشرين الاول رمت الولايات المتحدة بسهمها الاخير مقترحة قيام المفاوضات حول الحل المرحلي في فندق واحد على مستوى عال بين مصر واسرائيل تحت اشراف سيسكو . وبينما وافقت مصر على اجراء هذه المفاوضات ، وعينت مراد غالب ليكون ممثلها فيها ، مفترضة انها ستجري على اساس نقاط روجرز الست المطروحة في الجمعية العامة للامم المتحدة ، اعلنت اسرائيل انها لن تقرر موقفها منها الا بعد الحصول على ايضاحات معينة من الولايات المتحدة. وقد اتضح أن الايضاحات كانت تشمل النقاط الثلاث التالية : ١) هل ستحصل اسرائيل في المستقبل القريب على صفقة الفانتوم مما لا يجعلها تبدو ضعيفة عند التفاوض مع مصر ؟ ٢) هل توافق الولايات المتحدة على ألا يكون مشروع روجرز ذو النقاط الست اساسا لهذه المفاوضات ، وعلى ان تجري المفاوضات بين اسرائيل ومصر دون شروط مسبقة ؟ ٣) بشكل عام كيف تتصور الولايات المتحدة دورها في اطار هذه المحادثات ؟. وتلكأت الولايات المتحدة في الاجابة على هذه الاستيضاحات

لان الاجابة بنعم على النقطة الاولى كـان سيعني تخلي الولايات المتحدة عن وسيلة الضغط الوحيدة التي كانت تمارسها ضد اسرائيل ، والاجابة بنعم على النقطة الثانية كان سيعني فقدان الحل المرحلي لمعناه بالنسبة لمصر ، ووقفت الولايات المتحدة حائرة أمام النقطة الثالثة لان الهدف الواضح من ورائها كان تقييد حرية المناورة الاميركية تجاه المصريين . واستمرت الولايات المتحدة في تأخير الفانتوم ، وتجمد الحل المرحلي ، وتأزمت العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وقررت غولدا مئير السفر في اوائل ديسمبر الى واشنطن للاجتماع بنكسون . ويبدو انه في الوقت الذي كانت العلاقات بين اسرائيل ووزارة الخارجية الاميركية تتدهور ، كان البيت الابيض يعيد النظر في سياسة الولايات المتحدة تجاه ازمة الشرق الاوسط ، ويبدو انه مع وصول غولدا مئير الى واشنطن كان البيت الابيض قد اتخذ قراره بعكس سياسات امريكا تجاه الموضوع . وهكذا بعد فترة وجيزة من الزيارة اعلن نيكسون عن قرار الولايات المتحدة باستئناف شحن طائرات الفانتوم والسكايهوك الى اسرائيل ، واعلن روجرز ان الولايات المتحدة — رغم تمسكها بنقاط مشروعه الست — لا ترى انه ينبغي بالضرورة ان تكون اساسا للمحادثات . وكان معنى ذلك أن الولايات المتحدة قررت التخلي عن فكرة الضغط على اسرائيل وتركت امكانية تحول الحل المرحلي الى حل شامل للمصادفات . ورغم الاستنكار المصري لهذه التحولات في السياسة الاميركية ، استمر الاسرائيليون والاميركيون بالتفاوض حول النقطة الثالثة الواردة في استيضاحات اسرائيل ، وهي دور الولايات المتحدة . وفي ٧٢/٢/٢ ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الولايات المتحدة واسرائيل قد اتفقتا اخيرا حول هذه النقطة ، وان الاتفاق سجل — بناء على طلب اسرائيل — في مذكرة مكتوبةوقعها كل من رابينسفير اسرائيل في واشنطن وسيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركي . ويستدل مما اوردته الصحف الاسرائيلية حول الاتفاق ان الولايات المتحدة تعهدت فيه باطلاع اسرائيل مسبقا على كل الاقتراحات التي تنوي تقديمها ، وببذل « اقصى الجهود للوصول معها الى اتفاق بشأنها » قبل عرضها . وفي صدد تقييم الاتفاق يذكر احد معلقي هآرتس الهامين في عدد ٧٢/٢/٤ ان الولايات المتحدة تعهدت فيه بعدم تقديم اقتراحات فيما يتعلق بنقطة عبور قوات مصرية الا اذا حصلت على موافقة اسرائيل المسبقة عليها وهذا في رأيه مكسب لاسرائيل ، وانها تعهدت بترك موضوع علاقة الحل المرحلي بالحل الشامل للطرفين المتفاوضين دون اي تدخل منها فيه وهذا مكسب اخر لاسرائيل ، بينما أصرت بالمقابل على حقها بتقديم اقتراحات بشأن عمق الانسحاب والمراقبة والملاحة الحرة حتى ولو لم تحصل على موافقة اسرائيلية مسبقة عليها ، وان كانت أكدت ان الاقتراحات لن تكون ملزمة . وفيما يتعلق بمدة وقف اطلاق النار ، يقول المعلق ان الموضوع لم يذكر في الانباء المتوفرة عن مضمون الاتفاق ، والارجح انه اتفق على تركه خارجا ، وهذا في رأيه تراجع من طرف اسرائيل . ويلاحظ مما نشرته الصحف الاسرائيلية عن مضمون الاتفاق ان تراجعات الولايات المتحدة الاساسية حصلت في النقطة المتعلقة بارتباط الحل المرحلي بالشامل وفي النقطة المتعلقة بضمان عدم تحول الحل المرحلي الى مجرد حل جزئي حتى ولو نص على ارتباطه بالحل الشامل ، الا وهي نقطة عبور القوات المصرية . ولذلك لم يكن من المستغرب ، عندما عقدت الحكومة الاسرائيلية في اليوم التالي جلسة طارئة لبحث الموضوع ، ان تعلن عن موافقتها على العودة لمفاوضات الحل المرحلي ، وعن استعدادها لارسال مندوبين عنها ليبحثوا مع المصريين في فندق واحد موضوع فتح القناة تحت اشراف سيسكو . لقد وصف الرئيس السادات في مقابلته الاخيرة مع بورشغريف كبير مراسلي النيوزويك (النهار ٢٨ /٧٢/٢) مفاوضات الفندق على هذا الاساس بأنها « حصان ميت » ، وكان محقا تمام الحق في وصفها هكذا . ولكن هل هي فعلا حصان ميت ؟ بالنسبة للاميركيين لا يبدو الامر حتى لحظة كتابة هذه السطور هكذا ، ولا يدري المرء على ماذا يستندون في اعتقادهم . انهم ما زالوا يعلنون انهم سيتوجهون في « الوقت المناسب » لمصر بطلب لتجديد المفاوضات ، ولديهم قناعة يشاركهم فيها الاسرائيليون بأن احتمال استجابة السادات لمسخ المبادرة الاميركية هذا كبير جدا ، باعتبار انه لا يملك — في رأيهم — أي خيار اخر . والسؤال هو : هل فعلا سيقبل السادات لنفسه بأن يكون فارس الاحصنة الميتة ؟

دايان في واشنطن : وفي نهاية الاسبوع الاول من

شهر شباط سافر دايان وزير الدفاع الاسرائيلي الى واشنطن ليجتمع بكل من ليرد وزير الدفاع الاميركي وروجرز وزير الخارجية . وقد كان من المفروض أن تتم زيارة دايان لواشنطن في شهر نوفمبر او ديسمبر من العام الماضي . ولكن الحكومة الاسرائيلية ، على ضوء الازمة التي كانت تمر بها العلاقات الاميركية — الاسرائيلية ، فضلت ارسال غولدا مئير رئيسة الوزراء للاجتماع بنكسون مباشرة . وذكرت الصحف الاسرائيلية وقتها ان المبادرة باقتراح الاجتماع بين وزير الدفاع الاسرائيلي ووزير الدفاع والخارجية الاميركيين انما جاءت من واشنطن ، وان الهدف منها كان الاستماع الى اراء دايان حول أفضل السبل لتحريك الحل المرحلي من الجمود الذي كان واقعا فيه نتيجة لرفض غولدا مئير لنقاط روجرز الست . ورغم ان التطورات التي حصلت فيما بعد قللت من أهمية زيارة دايان لواشنطن ، الا ان روجرز وليرد اصرا على دعوته « نظرا لوزنه الخاص في تقرير سياسات اسرائيل » — على حد تعبير احدى الصحف الاسرائيلية . ان الانباء حول ما دار في الاجتماعات بين دايان وليرد وروجرز قليلة جدا . ولكن من القليل المنشور يتضح ان دايان بحث مع وزير الدفاع في التفصيلات الخاصة بشحنات الاسلحة الى اسرائيل ، وانه كان راضيا عن نتائج المحادثات . فقد صرح بعد اجتماعه بليرد بأنه « راض تماما ... وقد حصلنا تقريبا على كل طلباتنا » ، وطمأن الصحفيين الاسرائيليين الذين استقبلوه في المطار لدى عودته بأن « الفانتوم في الطريق » . أما بالنسبة لمحادثاته مع روجرز ، فتكاد تجمع الصحف الاسرائيلية على أن دايان طرح له تصوراته العامة بالنسبة للتسوية السياسية في الشرق الاوسط ، وبحث معه شروط اسرائيل حول البنود المختلفة المتعلقة بالحل ، رغم انكار دايان بأنه بحث في بنود الحل ، وادعائه بأن ما بحثه انما كان يدخل فقط في اطار التصورات العامة.

ما هي اذن التصورات العامة لدايان بالنسبة للتسوية السياسية ؟ يلخص د. غولان هذه التصورات في معريف ٧٢/٢/٤ كالتالي : ان السلام في مفهوم العرب يتضمن حلا لمسألة حقوق اللاجئين الفلسطينيين وانسحاب اسرائيل من كافة المناطق التي احتلتها بعد حزيران ، ولذلك يبدو بعيدا جدا. الا انه في هذه المرحلة من الممكن الوصول مع المصريين لاتفاقات جزئية حول مسائل عديدة ، اهمها قناة السويس ، التي تشكل المنطقة الاكثر ضغطا على كل من المصريين واسرائيل والفرقاء الاخرين المعنيين بأزمة الشرق الاوسط . ان الجيش الاسرائيلي يحتل الضفة الشرقية لقناة السويس ، وهذا يعطي المصريين الشعور بأننا « نقبض عليهم من حنجرتهم » ولهذا من مصلحتهم الوصول الى اتفاق لفتح قناة السويس ليتخلصوا من هذا الضغط ، كما انه « من مصلحتنا الوصول الى مثل هذا الاتفاق لخلق فترة تهدئة » تبرد فيها المشاعر . ان « فترة تهدئة » يتم خلالها التغلب على مشاعر العداء وتطوير علاقات جوار طبيعية هي حجر الزاوية ، كما يقول غولان ، في تصورات دايان بالنسبة للتسوية . وهي في رأيه اهم من أية صيغة او معاهدات رسمية توقع بين الفريقين . فاذا كان المصريون فعلا معنيين بالسلام ، فان عليهم أن يبرهنوا على ذلك . ويكون برهانهم مقنعا اذا وافقوا خلال فترة التهدئة ، التي ستمتد في رأيه من ١٥ الى ٢٠ سنة ، على فتح القناة وتشغيلها ، وأعادوا الـ ٧٠٠ — ٨٠٠ الف مواطن الذين اجلوا عن مدن القناة اليها ، واصلحوا منشآت البترول التي تعطلت واستخدموها ، وخفضوا قوات الجيش المصري المعبأة لمواجهة اسرائيل . اما اذا لم تفعل مصر ذلك ، فهذا معناه انها غير معنية بالسلام — وهنا الخلاف الحقيقي بين مصر واسرائيل ، وليس الخلاف هو على عمق الانسحاب او عبور القوات المصرية (!) . وتمثل العلاقات القائمة بين العرب في الضفة الغربية والاسرائيليين،والاردن واسرائيل، في رأي دايان ، نموذجا لفترة التهدئة التي يدعو مصر اليها ، فعلى الرغم من عدم وجود سلام رسمي بين الاردن واسرائيل ، وعلى الرغم من احتفاظ المواطنين في الضفة الغربية بجنسيتهم الاردنية ، فان الجسور مفتوحة ، والمواطنون العرب يسافرون من مطار اللد ، ويعمل ٥٠ الف عربي من الضفة في اسرائيل ، ويتكون تدريجيا نمط جديد من الحياة . ان واقعا جديدا قد تم خلقه في الضفة ، سابقا لاي صيغة رسمية ، وعلى المصريين ان يسعوا لخلق واقع مشابه . وعندها فقط يمكن التغلب على عقبات الحل المرحلي ، ويصبح القفز منه الى سلام حقيقي ممكنا . ان تصورات دايان تعكس في الحقيقة اهداف التكتيك الاسرائيلي بالنسبة للتسوية السياسية : تجزئة القضايا ، تفريغ التوتر في مناطق الضغط، جرجرة الامور لتعويد العالم على

الاحتلال الاسرائيلي ، ومن ثم يصبح ممكنا فرض « السلام الاسرائيلي » على المنطقة العربية .

يارينغ في اسرائيل : وبعد بسلسلة من المحادثات عقدها مع سنغور في عاصمة السنغال وكورت فالدهايم في روما والمسؤولين المصريين في القاهرة والاردنيين في عمان توجه غونار يارنغ في ٢٤ شباط لزيارة اسرائيل حيث اجتمع بايغال الون نائب رئيسة الوزراء وابا ايبن وزير الخارجية . ولم يجتمع مع غولدا مئير لانها كانت — كما قيل — في اجازة . وقد استقبل المسؤولون الاسرائيليون يارنغ ببرود شديد ، وتعمدت الصحف الاسرائيلية التقليل من شأن زيارته ، حتى ان احداها (معريف ٧٢/٢/٢٧) نشرت مقالا عنه بمناسبة الزيارة بعنوان « سائح اسمه يارنغ » ، وكأن ما جاء به شأن لا يهم المسؤولين الاسرائيليين من قريب او بعيد . ولربما لم يكن هذا القول بعيدا عن الصواب — اذ ان موقف اسرائيل من جهود يارنغ لتحقيق تسوية شاملة في الوقت الراهن هو ، على افضل الاحتمالات ، اللامبالاة . وتتخذ اسرائيل هذا الموقف في الحقيقة منذ اذار من العام الماضي عندما أصر يارنغ على ان ترد اسرائيل ردا ايجابيا على مذكرته في ٨ شباط التي طلب فيها من اسرائيل أن تتعهد من حيث المبدأ بالانسحاب من كل الاراضي المصرية ، وعندما لم يتلق مثل هذا الرد جمد مهمته في اوائل اذار . ان الانباء التي سبقت زيارة يارنغ لاسرائيل تشير الى ان اسرائيل والولايات المتحدة لم تكونا مرتاحتين لجولته الاخيرة، حيث انهما تفضلان ان يتم التركيز في المرحلة الراهنة على المفاوضات المتعلقة بالحل المرحلي . كما أن الانباء تؤكد ايضا ان ايا من يارنغ او اسرائيل لم يتخل عن موقفه بصدد المذكرة المشار اليها ، فما الذي حمل يارنغ اذن الى اسرائيل ؟ ان مطالعة الصحف العالمية والاسرائيلية لا تقدم في الحقيقة جوابا شافيا على هذا السؤال . فبينما يميل بعض المراقبين الى تفسير جولة يارنغ في اطار ما يمكن ان يسمى بمساعدة المصريين على الدخول في « محادثات الفندق » اما عن طريق اجرائها تحت اشرافه او عن طريق تقديم غطاء لها يتمثل في مفاوضات متوازية بحيث يبدو الامر وكأن البحث يجري في الموضوعين الجزئي والشامل في آن واحد ، يميل البعض الاخر الى ارجاعها بكل بساطة لتفاؤل الامين العام الجديد للامم المتحدة الذي توهم ان اسرائيل وعدت الرؤساء الافريقيين بالانسحاب من كل الاراضي المصرية ، وهو أمر لو كان صحيحا لكان فتح الطريق فعلا امام مهمة يارنغ للانطلاق . ويستند الذين يرجعون جولة يارنغ لتفاؤل الامين العام الجديد للامم المتحدة في اعتقادهم هذا الى توجه يارنغ اولا الى عاصمة السنغال ليبحث مع سنغور ماهية الوعود الاسرائيلية . وسواء أكان التفسير الاول او الثاني هو الصحيح ، فان الذي اتضح في نهاية جولة يارنغ هذه ، هو أن اسرائيل ما زالت مصرة على عدم الانسحاب من كل الاراضي المصرية ، وان اجراء « مفاوضات الفندق » باشراف يارنغ وفقا لاقتراح مصر هو أمر مرفوض من كلا الولايات المتحدة واسرائيل على السواء ، وان اسرائيل مصرة على عدم التعاون مع يارنغ الا اذا تخلى عن مذكرته الموجهة اليها في ٨ شباط . ان الصحف الاسرائيلية لخصت محادثات يارنغ مع المسؤولين الاسرائيليين بكلمتين قصيرتين : « لا جديد » . ولذلك قد لا يكون مغامرة التقدير بأن جولة يارنغ هذه المرة أيضا قد انتهت الى الفشل .

الازمة مع سنغور : واذا كانت جولة يارنغ على الارجح لم تأت بأي جديد على صعيد تجديد مهمته فانها بالتأكيد تسببت في حدوث أزمة بين الحكومة الاسرائيلية وسنغور رئيس جمهورية السنغال المناصر لاسرائيل ورئيس بعثة الرؤساء الافريقيين للتوسط في النزاع العربي — الاسرائيلي . وقد كان سبب الازمة هو مطالبة الرئيس سنغور الحكومة الاسرائيلية بأن « تعيد التصريح » بأنها لا تريد ضم أي جزء من الاراضي المصرية ، ليكون هذا التصريح بمثابة اساس يستطيع يارنغ الذي كان يزور السنغال في ذلك الوقت الاستناد اليه لتجديد مهمته. وبعد ان كان سنغور قد صرح لمراسل وكالة الصحافة الفرنسية في اواخر العام الماضي بأن اسرائيل قدمت تنازلات رئيسية وردت ايجابيا على مذكرة يارنغ ، عاد فصرح في الاسبوع الثاني من شهر شباط الفائت لمراسل لوموند بأن اصدقاء اسرائيل الافريقيين المخلصين لها جنوب الصحراء قد « يكونون مضطرين في مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية القادم للقاء تبعة فشل مهمتهم عليها » . ان سنغور ، عندما كان في ضيافة اسرائيل على رأس بعثة السلام الافريقية ، استمع الى المسؤولين الاسرائيليين يذكرون له أن اسرائيل « لا تريد ضم أي جزء من الاراضي المصرية بل تريد

الحصول على حدود آمنة ومتفق عليها » .

واعتقد سنغور، الذي لم يكن معتادا على بهلوانيات الدبلوماسية الاسرائيلية ، ان معنى هذا الكلام هو أن اسرائيل لا تريد فعلا « ضم اي جزء من الاراضي المصرية » ، ولذلك اعتبر ان نتائج رحلة الرؤساء الافريقيين ، التي استهدفت تحريك مهمة يارنغ ، كانت ايجابية ، ولذلك أحس بالاستياء الشديد عندما رفضت اسرائيل التصريح ثانية بذلك، ولفتت نظره الى الفقرة التالية في الجملة « حدود آمنة ومتفق عليها » . وقد أثار موقف سنغور جدلا في الحكومة الاسرائيلية وفي اوساط المعارضة ، وولد قلقا معينا دفع الحكومة الاسرائيلية لارسال احد دبلوماسييها الكبار ، والتر ايتان ، الى السنغال للتفاهم مع سنغور ، وازالة الاشكال . وقد تركز الجدل في الحكومة حول مدى سلامة استعمال اسرائيل لتعبير « عدم ضم » أي اراض، الذي اعتبره بعض الوزراء تعبيرا غير موفق يمكن ان يوقع الحكومة الاسرائيلية في اشكالات شبيهة باشكال سنغور وطالبوا أبا ايبن وزير الخارجية بالكف عن استخدامه . وشرح ابا ايبن في صدد توضيحه للتعبير ان اسرائيل لا تريد فعلا ان « تضم » اراضي عربية ، وانما تريد « التفاهم » مع العرب على تعديل الحدود ، ومتى تم «التفاهم» بين الطرفين على الموضوع فان الامر لا يعود ضما. وقد اغتنم بيجن زعيم المعارضة اليميني فرصة الجدل في الحكومة ليكتب مقالا طويلا في معريف (١٩٧٢/٢/١٨) بين فيه تهافت منطق ايبن ، ودعا الحكومة الاسرائيلية لان تكون صريحة وتستند في احتفاظها بالمناطق « المحررة » (!) على « حق الشعب اليهودي في وطنه » (!) . اننا لم نستطع العثور في الصحف الاسرائيلية على نبأ يذكر ماذا كانت نتيجة المناقشات في الحكومة الاسرائيلية حول اخر ابتكاراتها الديبلوماسية ، ولكن المرء يتفق مع المعلق السياسي لمعريف (عدد ٧٢/٢/١٤) في أن « لبهلوانيات اللغة في الدبلوماسية حدودها أيضا » .

اجتماعات نسيبه : وكشفت الصحف الاسرائيلية في شهر شباط عن حدوث اجتماعات بين انور نسيبه وزير الدفاع الاردني السابق ، وكل من غولدا مئير ودايان وشلومو هليل وزير البوليس الاسرائيلي . وقد كان رد الفعل الاولي لناطقين رسميين هو نفي حدوث هذه الاجتماعات . ثم عادوا فأكدوا نبأ حدوثها وذكروا انها كانت محادثات شخصية . ثم عادوا ثانية فذكروا انها روتين تستوجبه سياسة الجسور المفتوحة ونمط الحياة في الضفة الغربية . ولكن المراقبين السياسيين ربطوا بين جملة قالتها غولدا مئير « عرضا » في اجتماعها بكتلة المعراخ البرلمانية وبين الاجتماعات المذكورة . اذ ذكرت غولدا مئير ، اثناء حديثها عن أزمة المجلس الحاخامي الاعلى التي هددت كتلة المفدال بسببها بالاستقالة من الحكومة ، انه يجب حل المشكلة مع المفدال لانه لا يجوز التفكير بحكومة تستند (دون المفدال) الى مجرد ٦٤ عضوا في الكنيست ثم اضافت : « ماذا سيحدث مثلا لو ان الملك حسين اراد التفاوض معنا حول اتفاق سلام في السنة القادمة ؟ لذلك يجب ان تكون لنا حكومة ثابتة » . وفسر المراقبون جملة غولدا مئير المفاجئة على انها تلميح لاتصالات وقعت مع الاردن. وانطلق الصحفيون وراء نسيبه والمسؤولين الاخرين يحاولون استجلاء الحقيقة . وقد أكد انور نسيبه في مقابلاته الصحفية والتلفزيونية وقوع الاجتماعات ولكنه نفى أن يكون يقوم بدور الوسيط بين الملك حسين وحكومة اسرائيل مدعيا ان « المشكلات التي تواجه اسرائيل معقدة بحيث لا يستطيع غير الحكام في البلدين معالجتها وايجاد حلول لها » ، بينما اصدر مكتب رئيسة وزراء اسرائيل بيانا يؤكد فيه وقوع الاجتماعات ويعلن انها تناولت « مواضيع عامة » . الا ان المراقبين في اسرائيل ، بناء على المعلومات المتسربة اليهم من اوساط مطلعة ، استمروا في التأكيد بأن محادثات نسيبه لم تكن حول مجرد ترتيبات الحج والسياحة وانتخابات البلدية في الضفة الغربية ، وانما تطرقت ايضا الى موضوع التسوية السياسية . وبتاريخ ٧٢/٢/٢٤ نشرت هآرتس نبأ صغيرا يقول بأن غولدا مئير تبنت في نقاشات سياسية دارت على مستوى عال في القيادة السياسية موقفا ينادي باعطاء الاولوية لحل مع الاردن على حل مع مصر شارحة موقفها بقولها انه من مصلحة اسرائيل اولا : تحقيق حل يؤمن الجبهة الشرقية . ثانيا : زيادة الشعور في مصر بأن الاتفاقيات في الشرق الاوسط ليست مربوطة باولوية او موافقة القاهرة . وقد عادت هآرتس في اليوم التالي فأكدت النبأ رغم نفي اوساط رئيسة الحكومة له . ان الحكومة الاسرائيلية ما زالت حتى لحظة كتابة هذه السطور تحاول احاطة ما جرى ويجري في الاجتماعات

بستار كثيف من الكتمان ، ولكن ما تسرب عنها يكفي للوصول الى الاستنتاج بأن هناك اتفاقا ما ، اخطر من كل الاتفاقيات السابقة يجري طبخه بين الملك حسين وزعماء دولة العدو .

الغارات على لبنان : وفي اواخر شهر شباط سجلت الصحف الاسرائيلية وقوع عمليتين للفدائيين في اسرائيل قتل في الاولى منها مدنيان اسرائيليان وجرح في الثانية ٨ من رجال الشرطة وحرس الحدود . وعلى أثر العملية الاولى عقد دانييد العازار ، رئيس الاركان الاسرائيلي الجديد ، مؤتمرا صحفيا وجه فيه « تحذيرا شديدا » الى لبنان تضمن تهديدا بالقيام « بعملية ما » داخل الاراضي اللبنانية . وكان من جملة ما ذكره رئيس اركان العدو ان اسرائيل « لا تميز بين فدائيين يتسللون من الاراضي اللبنانية الى اسرائيل وفدائيين يطلقون النار من داخل الاراضي اللبنانية». وكان هذا يعني ان حكومة اسرائيل قررت تحميل لبنان مسؤولية اي عمل فدائي تفترض انه انطلق من الاراضي اللبنانية ، ولو كان هذا العمل بعيدا داخل فلسطين المحتلة . وفي ليل ٢٦ شباط ١٩٧٢ شن الجيش الاسرائيلي عدوانا واسعا على العرقوب استخدم فيه المدفعية والدبابات والطائرات والمشاة، وحاول ، لمدة اربعة ايام ، فرض سيطرته على المنطقة. وقد أثار الاحتلال الاسرائيلي للعرقوب قلقا عربيا ودوليا واسعا على ضوء الانذار الذي كانت اسرائيل قد وجهته للبنان في منتصف شهر يناير الماضي وقالت فيه بأنه اذا لم « يتوقف النشاط الارهابي » فان اسرائيل سوف تقيم « اقامة دائمة في المنطقة بشكل او بآخر » . وقد اجتمع مجلس الامن واصدر قرارا يطلب فيه من اسرائيل الانسحاب فورا ، وانسحبت القوات الاسرائيلية بعد أن أقامت نقاط مراقبة معينة في المنطقة . واثناء العدوان ذكرت وكالات الانباء الواردة من تل ابيب في ليل ٧٢/٢/٢٧ بأن الاسرائيليين ينوون اتباع سياسة جديدة تجاه الفدائيين في لبنان فلا يقتصر الرد على هجمات انتقامية بل ان اسرائيل ستفرض رقابة مشددة على المنطقة . وفي اوائل اذار قصفت المدفعية الاسرائيلية عددا من القرى السورية الامامية كما اغارت الطائرات الاسرائيلية على قواعد للفدائيين الفلسطينيين في جنوب سوريا، ورد الطيران السوري على هذه الغارات بضرب مستعمرات اسرائيل في الجولان . وفي ٧٢/٣/٩ عاود الاسرائيليون قصف قرية مجدل سلم بالهاون واغارت الطائرات الحربية على منطقة الكفير ودير مماس في وادي التيم . وعلق المراسل العسكري للاذاعة الاسرائيلية على الغارة الجديدة بقوله انها « تعكس تكتيكا جديدا للقوات الاسرائيلية ، يقضي بالرد على اي هجوم فدائي في اسرع وقت ممكن وعدم الانتظار عندما تقع هجمات فدائية الى ان يصبح الوضع غير محتمل » .

ب) شؤون داخلية

وفي النطاق الداخلي كان أهم حدث في شهر شباط هو طرح سابير وزير المالية لمشروع الميزانية العامة للدولة للسنة المالية القادمة على الكنيست لمناقشته . وعلى صعيد القوى السياسية كانت أبرز الاحداث وفاة موشيه سنيه زعيم الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) ، واستقالة اميل حبيبي عضو الكنيست الشيوعي (راكاح) من منصبه .

مشروع الميزانية : في ٧٢/٢/٢٢ قدم سابير للكنيست مشروع الميزانية العامة لاسرائيل للسنة المالية ١٩٧٢ ــ ٧٣ لمناقشته . وخلافا للسنة الماضية لم يكن في المشروع اية مفاجأة للكنيست او الرأي العام الاسرائيلي ، لان النقاشات العلنية التي دارت بين الوزراء الاقوياء حول الميزانية (وبشكل خاص ميزانية وزارة الدفاع) والتسويات المعلنة بشأنها ، كانت قد عرفت المواطن الاسرائيلي بما ينتظره بشكل عام اقتصاديا في السنة المالية المقبلة ، التي تبدأ في نيسان القادم . وقد بلغ مجموع الميزانية في المشروع المقدم ١٥٠٨٧٠ مليون ليرة اسرائيلية مقابل ١٤٠٨٣٥ للسنة الراهنة . ويتضح من التحليلات التي نشرت في الصحف الاسرائيلية لمعلقين اقتصاديين حول مشروع الميزانية ان صورة العام القادم اقتصاديا بالنسبة لاسرائيل لن تختلف كثيرا عن صورة العام الماضي ، وان المواطن الاسرائيلي سوف يستطيع الاحتفاظ بمستواه المعيشي الراهن ، رغم النفقات الهائلة التي تنفقها الدولة على التسليح . ويعود الفضل في ذلك بشكل اساسي الى المبالغ الضخمة التي تتدفق على اسرائيل من الخارج ، وبشكل خاص من حكومة الولايات المتحدة التي قدمت لاسرائيل في السنتين الماضيتين مبلغ ١٠٠١٥ مليون دولار بشكل قروض ومساعدات ، وستقدم لها ــ كما ألمح سابير في خطاب الميزانية ــ ٥٠٠ مليون دولار أيضا للسنة

القادمة . وقد ذكر سابير ان تقديم الولايات المتحدة هذه المبالغ لاسرائيل دليل على تفهمها ان مــن مصلحتها ان تظل اسرائيل « قوية مــن الناحية العسكرية والاقتصادية على السواء » وانه « يأمل في ان يكون قسم كبير (من المبلغ الموعود) يشكل هبة » . وسوف تساعد المبالغ الاتية من الولايات المتحدة — كما يذكر اريبل فينشتاين في معــريف ٧٢/٢/٢٣ — في تغطية الفــرق بين الاستيراد والتصدير المقدر بـــ ١،٤٣٥ مليار ليرة اسرائيلية ، كما ستؤدي الى زيادة احتياطي اسرائيل مــن العملات الاجنبية بمبلغ ٥٠ مليون دولار بحيث يصل الاحتياطي في نهاية السنة المالية القادمة الى ٦٢٠ مليون دولار . اما بالنسبة للنفقات العسكــرية الاسمية فقد كانت حصتها في الميزانية ٥،٢٣٨ مليار ليرة اسرائيلية ، اي حوالي ٤٠٪ من الميزانية ، مقابل ٥،٨٩٨ مليار ليرة للسنة الراهنة . وقــد أوضح سابير في خطاب الميزانية للكنيست انه على الرغم من كون نفقات الدفاع للسنة القادمة اقل منها للسنة الراهنة ، فان مشتريات الجيش من السلاح والمعدات سوف تكون اكثر بنسبة ٣٠٪ . وسوف تكون الافضلية لسلاح الطيران الذي سوف « يزود في السنتين القادمتين بأسلحة واجهــزة لم نشهد لها مثيلا من قبل من حيث التكاليف والحجم». ويذكر المعلق الاقتصادي لجريدة « الاتحاد » الناطقة بلسان القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ان التخفيض الذي حدث في نفقات الدفاع انما اتى على حساب المجالات التي انتهى العمل فيها ، او قارب على الانتهاء ، مثل التحصينات والذخيرة التــي امتلأت بها مخازن الجيش . وقد سمى المعلــق الاقتصادي « للاتحاد » الميزانية المطروحة « ميزانية الحرب والافتار » ذاكرا انه « في حين تصل حصة وزارة الدفاع الى ٤٠ ٪ من الميزانية المقترحة تخصص حكومة غولدا مئير — دايان — سابــير « العمالية » لوزارة الصحة ٣ ٪ فقط ، والاسكان ٧٪ ، والتربية والتعليم ٧٪ ، والشؤون الاجتماعية ٧٪ ، والمواصلات ٣٪ ، مما يعني ان حصة هذه الوزارات الخمس مجتمعة لا تزيد عن ٢٧٪ » . واما بالنسبة للديون الخارجية لاسرائيل فيذكــر المعلق الاقتصادي لمعريف (٧٢/٢/٢٣) انها سترتفع من ٣،٥٨ مليار دولار في السنة الراهنة الى ٤،٤٢ مليار دولار في السنة القادمة . وننشر فيما يلي الجزء من مشروع الميزانيــة المتعلق بالداخيــل والنفقات :

قسم من باب النفقات

مجموع النفقات	٧٣/٩٧٢	٧٢/٩٧١	٧١/٩٧٠
بملايين الليرات	١٥٨٧٠	١٤٨٣٥	٨٥٠٢
النفقات الوزارية	٨٢٨٢	٨٣٥١	٦٨٥٣
وزارة الدفاع	٥٢٣٨	٥٨٩٨	٤٨٢١
وزارة الصحة	٢٧٠	٢٥١	٢٤٨
وزارة التربية والتعليم	٩٣٤	٧٥٣	٥٨٦
وزارة الشؤون			
الاجتماعية	١٠١	٨١	٦٨
وزارة الاسكان	٢٥	١٩	٥
وزارة المواصلات	٤٢	٢٥	٢٢

قسم من باب الداخيل

مجموع الداخيل	٧٣/٩٧٢	٧٢/٩٧١	٧١/٩٧٠
بملايين الليرات	١٥٨٧٠	١٤٨٣٥	١١٠١٢
من الضرائب، رسوم			
الخدمات والرخص	٩٤٤٢	٨٤٦٨	٥٨٨٠
ضريبة الدخل	٣٤٠٦	٣٠٣٠	٢٣٧٤
سلفيات من بنك			
اسرائيل	٦٥٠	٦٥٠	٦٥٠
سندات تطوير وفائض أغذية			
من الولايات المتحدة	١٣٦٨	١٠٥٧	٦٧٢
قروض اجنبية	١٠٠٨	١٨٠٤	١٥٤٤

موت موشي سنيه : وفي اواخر شباط تلقى الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) ضربة قوية بوفاة زعيمه الابرز والاقوى موشي سنيه . وقد مــات سنيه في وقت كانت فيه الصحافة الاسرائيلية تنشر انباء عن اتصالات دارت بينه وبين مئير يعري زعيم المابام لتشكيل تحالف بين الحزبين يفتح الطريق امام « ماكي » للانضمام الى تجمع المعراخ الحاكم ، ووسط الانتخابات الاولية لمؤتمر الحزب القادم ، وهي انتخابات دلت نتائجها الاولى على انتصار خط سنيه في الحزب على خط خصومه في القيادة . ان كل من مئير يعري وموشي سنيه (قبل موته) قد كذب الانباء المنشورة حول الاتصالات بشأن التحالف مع المابام ، ولكن من شبه المؤكد أن جس نبض على الاقل بينهما بصدد الموضوع قد تم ، ولم يكن مستغربا ان يتم . اذ انه في الحقيقــة ، بعد الانزلاق الحاد لهذا الحزب نحو اليمين والشوفينية

منذ انشقاق مجموعة راكاح عنه في عام ١٩٦٥ ، لم يعد ثمة سبب يحول دون انضمامه الى تجمع الاحزاب العمالية الصهيونية الحاكم . اما بالنسبة لخط موشيه سنيه ، الذي تشير الانباء الى انتصاره داخل الحزب ، فانه يبدو واضحا فيما يمكن أن يسمى بالوصية السياسية له ، التي نشرت معريف تلخيصا لها في عدد ٧٢/٣/٦ . ان سنيه ، في الوصية التي املاها قبل فترة وجيزة من العملية الجراحية التي انتهت بموته ، يعلن انه وان كان « في المعارضة اليسارية للحكومة » الا انه فيما يتعلق بالدفاع فهو «في الجبهة القومية» — ويتهم من لا يستطيع ان يفهم هذا الموقف بقلة الذكاء وعدم استيعاب « الديالكتيك » . وبالتالي فهو ضد تخفيض ميزانية الدفاع لانه يجب توسيع الصناعات الحربية لتنتج اسرائيل محليا كل ما تستطيع انتاجه من السلاح والذخيرة ولانه تجب «اخافة السادات» حتى لا يعود يفكر بالحرب . وهو مع موقف اسرائيل من تجميد مهمة يارينغ ، ويعتقد ان الحكومة الاسرائيلية فعلت كل ما في وسعها لتحقيق السلام. أو بعبارة موجزة — هو مع الحكومة في كل القضايا الاساسية المتعلقة بسياستها الامنية والخارجية . ولا يستغرب من يدرس تاريخ موشيه سنيه السياسي منه هذه المواقف ، ونقدم فيما يلي فقرة موجزة عن حياته ، تعرف قارىء شؤون فلسطينية به ، وتكشف عن جذوره الصهيونية قبل ان أصبح عضوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) :

— ولد موشي سنيه في بولندا عام ١٩٠٩ ونال شهادة الطب من جامعة وارسو في عام ١٩٣٥ .

— خلال دراسته الجامعية مارس نشاطات سياسية في جمعيات الطلاب الصهيونية ، ومن ثم انضم الى الصهيونيين العموميين .

— في الفترة بين ١٩٣١ — ١٩٣٩ كان عضوا ومن ثم رئيسا للجنة المركزية للمنظمة الصهيونية البولندية .

— في عام ١٩٤٠ هاجر الى فلسطين حيث التحق بهيئة اركان الهاغانا ، ثم اصبح رئيسا لها حتى عام ١٩٤٦ .

— في عام ١٩٤٥ اصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية .

— في عام ١٩٤٧ استقال من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ثم انضم الى حزب المابام حيث أصبح عضوا في لجنته المركزية حتى عام ١٩٥٣ .

— من عام ١٩٥٠ حتى ١٩٥٣ كان أحد رئيسي تحرير عل همشمار .

— في عام ١٩٥٣ ، بعد محاكمات براغ ، انسحب من المابام وشكل حزب اليسار الاشتراكي الذي اندمج مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي في عام ١٩٥٤ .

— كان عضوا في الكنيست الاسرائيلي من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٦٩ ، حيث مثل المابام حتى عام ١٩٥٣ ومن ثم الحزب الشيوعي حتى عام ١٩٦٥ .

— في عام ١٩٦٥ حدث الانشقاق في الحزب الشيوعي وتزعم سنيه مع ميكونس المجموعة التي احتفظت باسم الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي). وتحت قيادتهما اتخذ الحزب مواقف مؤيدة للحكومة واعتبر حرب حزيران حربا « دفاعية شرعية » .

— في عام ١٩٦٩ اعيد انتخابه عضوا في الكنيست وظل فيه حتى موته .

استقالة حبيبي : وفي راكاح ، الحزب الشيوعي الاخر في اسرائيل ، حدث تطور قد تكون له دلالة هامة بالنسبة لسير الامور في الحزب ، وهو استقالة اميل حبيبي ، احد عضوي الحزب العربيين في الكنيست ، من منصبه كعضو كنيست . وقد أرجع حبيبي في كتاب الاستقالة رغبته فيها الى حالته الصحية التي لا تسمح له بالقيام بواجبه كعضو في الكنيست . وقد وافقت اللجنة المركزية على طلبه بالاستقالة ، وانتخب بدلا منه عضو الحزب اليهودي ابراهام لفنبراون ، الذي ورد اسمه رابعا في قائمة مرشحي الحزب للكنيست في الانتخابات الماضية . وبذلك اصبحت راكاح ممثلة في الكنيست بعضوين يهوديين هما مئير فلنر ولفنبراون وعضو عربي هو توفيق طوبي ، بعد ان كانت ممثلة بعضوين عربيين هما طوبي وحبيبي وعضو يهودي هو فلنر ، الامر الذي جعل معظم المحللين السياسيين في اسرائيل يرجعون استقالة حبيبي الى رغبة الحزب في زيادة ابراز « البروفيل اليهودي » له — على حد تعبير معلق معريف لشؤون الاحزاب موشيه مايزلس . ان غالبية اعضاء راكاح تتكون كما هو معروف من العرب ، اذ تبلغ نسبتهم في الحزب ٦٥٪ من الاعضاء بينما تبلغ نسبة اليهود ٣٥٪ ، كما انه معروف ايضا

ان ٧٥٪ من الاصوات التي نالتها راكاح في انتخابات الكنيست الاخيرة (اكثر من ٤٠ الف صوت) انما جاءت من الشارع العربي ، بينما جاء ٢٥٪ فقط ، او اقل من ذلك ، من الشارع اليهودي . وتحب راكاح ، مقابل هذا الواقع ، أن تؤكد انها ليست حزبا يمثل بالدرجة الاولى العرب في اسرائيل ، وانما هي حزب يهودي — عربي يمثل الطبقات الكادحة . ورغبة منها في تجسيد هذا التأكيد يتكون المكتب السياسي لراكاح من تسعة اشخاص ، خمسة منهم يهودا ، واربعة منهم عربا ، بينما تتكون اللجنة المركزية من ٢٣ عضوا ، ثلاثة عشر منهم يهودا وعشرة عربا . ويذكر موشيه مايزلس في مقالة له بمعريف ٢٥/٢/٧٢ انه بعد ان كانت راكاح تحرص على ان تكون وفودها المرسلة للخارج مشكلة من عدد متساو من العرب واليهود ، بدأت في الفترة الاخيرة تغلب الطابع اليهودي على وفودها للخارج لتكون هذه اقدر على اقناع الجهات الموفدة اليها بتمثيلها لقطاع الرأي العام اليهودي ايضا ، وليس الرأي العام العربي فقط . ورغم انكار مصادر راكاح عادة لوجود تقصد من الحزب في هذا الاتجاه ، ونفيها لان تكون استقالة حبيبي خطوة منسجمة معه ، الا انه ليس من المستبعد ان يكون الامر كذلك . ويعتقد العارفون باتجاهات الرأي العام العربي واليهودي في اسرائيل ان استقالة حبيبي لن تترك تأثيرا كبيرا على اصوات ناخبي الحزب العرب او اليهود في الانتخابات القادمة ، وانها يمكن ان تفيد الحزب في التخلص من احراجات ناقدية من اليهود ،الذين يدعون ان الحزب يعكس آراء المواطنين العرب في اسرائيل اكثر مما يعكس اراء المواطنين اليهود .

أحمد خليفة

(٥) المناطق المحتلة

تتسم المرحلة الحالية التي تمر بها المناطق المحتلة بتشدد اسرائيل على ترسيخ الاحتلال واستدامته . ففي اعقاب تصريح دايان الذي ادلى به قبيل انتهاء عام ١٩٧١ والذي قال فيه « ينبغي علينا ان نعتبر انفسنا في المناطق المحتلة كحكومة دائمة ، نقوم بالتخطيط والتنفيذ ... » والذي ايدته رئيسته غولدا مئير عند مطلع هذا العام ، عاد ديان ليؤكد مرة أخرى اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة ، في مقابلة تلفزيونية اذيعت هناك « انه حتى في حالة توقيع معاهدة سلام مع الاردن يجب ضمان حق اسرائيل في اقامة قرى يهودية في الضفة الغربية » ، وان الضفة الغربية في نظره « تعتبر جزءا من الوطن اليهودي لا فرق بين تل ابيب والخليل واريحا » ، اما في حالة التوصل الى سلام مع مصر فسيعاد اليها « قسم كبير » من شبه جزيرة سيناء ، وستواصل اسرائيل « الاحتفاظ بشرم الشيخ وبقطاع بري يربط هذه النقطة مع ايلات » ، اما هضبة الجولان والقدس فستبقيان « الى الابد تحت الحكم الاسرائيلي » . ومن خلال هذا الاصرار على تكريس الاحتلال ، أقدمت اسرائيل على فرض الانتخابات البلدية في الضفة الغربية . وقد نجم عن ذلك عدة موضوعات من بينها الوساطة التي قام بها أنور نسيبه وزير الدفاع الاردني الاسبق بين الملك حسين والمسؤولين الاسرائيليين ، واتصالات الملك حسين مع الشخصيات الاسرائيلية في لندن وخليج العقبة . كما اقدمت على احداث تغييرات ادارية في قطاع غزة . الا ان الخطوة الرئيسية التي طبقت ولا تزال تطبق في كافة المناطق المحتلة من اجل تكريس الاحتلال تتمثل في ازالة معالم قديمة واقامة معالم جديدة .

حركة الاستيطان : لم تنجأية منطقة محتلة من المستوطنات الاسرائيلية . وتتركز اعمال الاستيطان في المناطق التي يصر الاسرائيليون على ابقائها « الى الابد » تحت السيطرة الاسرائيلية مثل هضبة الجولان ووادي الاردن ومنطقة غوش عتصيون والقدس والخليل في الضفة الغربية ، وشرم الشيخ والشريط البري الممتد بين شرم الشيخ وايلات والمنطقة الشمالية من سيناء ، وكذلك قطاع غزة . ففي هضبة الجولان التي يجمع كافة المسؤولين الاسرائيليين على ابقائها تحت الحكم الاسرائيلي ، والتي اشيدت فيها حتى الان ١٦ مستوطنة ، هنالك مستوطنتان في طور الاعداد ، ستقامان خلال العام ٧٣/١٩٧٢ تدعى الاولى « نفيه نوف » بالقرب من مستوطنة « مفوحمه » والثانية مستوطنة « فيفا » في منطقة « رمات همجشيميم » . وتختلف المصادر الاسرائيلية في عدد المستوطنات التي لا زالت في طور البناء في الجولان ، فقد ذكرت صحيفة هآرتس (٧٢/٢/١٦) ان المستوطنات الجديدة التي لا زالت في مرحلة البناء في الهضبة تبلغ خمس مستوطنات .

ومن الجدير بالذكر ان وسائل الاعلام الاسرائيلية قد بدأت مؤخرا تتحدث حول ضرورة بناء « مدينة اسرائيلية في الهضبة لكي يصل عدد السكان اليهود هناك في عام ١٩٨٠ ما بين ٣٥ — ٤٠ الف نسمة » واذا تم ذلك فان عملية تهويد الجولان تكون قد انجزت ، اذ سيصل عدد المستوطنين الاسرائيليين اربعة اضعاف عدد السكان العرب . ومن المعروف ان السلطات الاسرائيلية كانت قد اقرت من حيث المبدأ اقامة مدينة في هضبة الجولان ، وفكرت في ان تقوم بترميم مدينة القنيطرة لتحويلها الى مدينة يهودية الا انها عدلت عن الفكرة لقرب القنيطرة من خط وقف اطلاق النار ، واتجهت الانظار بعد ذلك الى نقطة جديدة وسط الهضبة عند تقاطع الطرق التي يجري اعدادها الان لتكون بديلا عن شبكة الطرق القديمة القريبة من خط وقف اطلاق النار . بيد ان عملية تنفيذ القرار بشأن اقامة المدينة لا تزال تتعثر بسبب « المعاني السياسية التي تنطوي على خطوة كهذه وبسبب العبء المالي المترتب على ذلك » (معاريف ٧٢/٢/٢٨) .

وفيما يتعلق بغور الاردن الذي يحتل المكانة الثانية في سلم الافضليات بالنسبة للنشاط الاستيطاني لدى الاسرائيليين ، حيث اقيمت هناك تسع مستوطنات ، معظمها غدت مستوطنات مدنية وتنعم باستقرار امني على خلاف مستوطنات الجولان ، بفضل مجزرتي عمان والاحراش التي قام النظام الاردني بهما ضد المقاومة الفلسطينية ، تقوم السلطات الاسرائيلية الان بالاعداد لثلاث مستوطنات اخرى .

وبالنسبة لشبه جزيرة سيناء ، التي يتركز الاستيطان فيها في شرم الشيخ والمنطقة الممتدة بين شرم الشيخ وايلات ، وشمال سيناء حيث اقيمت ثماني مستوطنات ، فانه لم يطرأ جديد على حركة الاستيطان هناك . اما فيما يتعلق بقطاع غزة الذي استطاع بفضل ثورة جماهيره ان يحمي المنطقة لمدة طويلة من الاطماع الاستيطانية الاسرائيلية ، ويجعلها تقتصر على مستوطنة واحدة هزيلة اشيدت بالقرب من الخط الاخضر تحمل اسم «كفار داروم»، فقد فتح الباب ولو بشكل ضيق في الاونة الاخيرة امام حركة الاستيطان ، على اثر حملات الهدم والتشريد والتهجير التي شرعت بها سلطات الاحتلال ضد الجماهير، وعلى اثر محاولات التصفية الخطيرة التي تقوم بها ضد المقاومة الفلسطينية هناك . ففي اليوم الاخير من شهر فبراير رفعت الانخاب احتفاء بمناسبة بروز مستوطنة « ناحال نتسريم » على الارض على بعد ٦ كم جنوبي مدينة غزة . وقد اشترك في الاحتفال كبار ضباط الجيش وعلى رأسهم قائد المنطقة الجنوبية الزعيم « اريك شارون » الذي قال بأنه يجري الاعداد لاقامة مستوطنات اسرائيلية اخرى في القطاع . ومن المعروف ان هذه المستوطنة الجديدة هي الاولى من بين ثلاث مستوطنات كان قد اعلن انه سيتم انشاؤها في القطاع ، اما المستوطنة الثانية فستقام شمالي خان يونس ، والثالثة ستقام في الشمال من مدينة رفح . ومن الجدير بالذكر ان مستوطنة « ناحال نتسريم » على خلاف معظم المستوطنات الاخرى ، محاطة بالخنادق والحواجز ويقوم افرادها في الوقت الحاضر « بحماية » المنطقة الى ان تتم عملية اقامة « المباني الدائمة » في شهر مايو القادم ليعمل المستوطنون بعد ذلك في الميدان الزراعي .

الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : اهتداء بتصريحي ديان الآنفي الذكر ، ومن اجل تكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليه ، اقدمت السلطات الاسرائيلية على فرض الانتخابات البلدية في الضفة الغربية . يقول الصحفي الاسرائيلي « عمير سبيرا » في مقال له في مجلة « حوتام » (٧٢/٢/١١) «ان فكرة اجراء الانتخابات البلدية قد تجسدت في الفترة التي ذكر فيها ديان ان حكومة اسرائيل ترى نفسها كحكومة دائمة في المناطق المحتلة ... وكان ذلك تعبيرا حادا عن هذا الامر » .

من المقرر ان تجري الانتخابات في الضفة الغربية على مرحلتين ، تشمل المرحلة الاولى التي ستبدأ في ٧٢/٣/٢٨ مدن وقرى المنطقة الشمالية بما في ذلك مدينة اريحا ، اما المرحلة الثانية فتبدأ في ٧٢/٥/٢ في المنطقة الجنوبية التي تشمل كلا من « رام الله والبيرة وبيتونيا وبير زيت وبني زيد وسلواد ودير دبوان وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والخليل وحلحول ودوره ويطه » .

وقبل التطرق الى الاطراف ذات الصلة بالانتخابات، لا بد من الاشارة الى ان هذه الانتخابات التي تقوم سلطات الاحتلال بفرضها على سكان الضفة ، لم تكن لتتم لولا مجزرتي عمان والاحراش اللتين الغتا التواجد العلني للمقاومة الفلسطينية في الضفة الشرقية، وبذلك تمكنت اسرائيل من فرض مخططاتها الرامية لتكريس الاحتلال . وتعترف صحيفة معاريف (٧٢/٢/١٤) بهذا الامر بقولها انه كان بوسع المقاومة الفلسطينية قبل عامين حسم مسألة الانتخابات .

لكي نقف على جوهر الانتخابات التي فرضتها السلطات الاسرائيلية على سكان الضفة الغربية لا بد من الوقوف قليلا حول الاطراف ذات النفوذ في الضفة . ومن أجل توضيح الصورة يمكن تقسيم مرحلة الاحتلال الى فترتين : الفترة الاولى من ١٩٦٧ — ١٩٧٠ والفترة الثانية ١٩٧٠ وحتى الان. في الفترة الاولى كانت تتقاسم النفوذ في الضفة الغربية أربعة اطراف رئيسية : ١ — الطرف الاسرائيلي الذي يرتكز على قوة الاحتلال ويعتمد على الزعامة التقليدية . ٢ — النظام الاردني الذي كان يعتمد على موظفي الحكومة والزعامة التقليدية . ٣ — الزعامة التقليدية في المدن والوجاهة التقليدية في القرى التي تعتمد على السلطتين الاسرائيلية والاردنية . ٤ — المقاومة الفلسطينية والعناصر الوطنية ومن بينها الحزب الشيوعي ، التي تعتمد على جماهير الضفة .

في هذه الفترة كان أهم ما يشغل بال الجانب الاسرائيلي حصر ظل المقاومة في الضفة الغربية ، ومن أجل ذلك اتبعت وسائل عدة من بينها تنمية الزعامة التقليدية في المدن والوجاهة التقليدية في القرى سواء المؤيدة لها او للنظام الاردني ، وابعاد العناصر الوطنية التي تعطف على المقاومة الى الضفة الشرقية ، ومطاردة « المطلوبين » من

عناصر المقاومة البالغ عددهم في عام ١٩٦٨ حوالي خمسة آلاف شخص ، وفتح المعتقلات للوطنيين .
الفترة الثانية : في هذه الفترة غابت المقاومة الفلسطينية عن مساحة الضفة الغربية بسبب مجزرتي عمان والاحراش ، مما أثر تأثيرا كبيرا على معادلة القوى في الضفة الغربية ، التي اصبحت تتمثل في الطرف الاسرائيلي والنظام الاردني والزعامة التقليدية ، والعناصر الوطنية التي يتمثل نشاطها بالسرية وعلى رأسها الحزب الشيوعي الذي يقوم بدور بارز في فضح مخططات سلطات الاحتلال والمتعاونين معها ، وبتوعية الجماهير .
بعد أن حصلت سلطات الاحتلال على « حسر ظل النفوذ الفدائي » اصبح همها حسر ظل النفوذ الاردني ، فأخذت تضغط على الزعامة التقليدية لتسييرها في الخط الذي ترتأيه ، والى جانب ذلك خلقت زعامة جديدة متعاونة معها تحمل اسم « مجموعة السياسيين الشبان في القدس » او « الجيل الجديد » في الضفة الغربية . والحقيقة ان عملية خلق هذه المجموعة تتسم بالذكاء بقدر ما تتسم بالخطورة ، ففي أعقاب مجزرة عمان ووسط النقمة الشعبية على النظام الاردني قامت سلطات الاحتلال بخلق ما يعرف بالجيل الجديد او مجموعة السياسيين الشبان ، ورسمت امام هذا التيار خطا يسير عليه ، يبدو للوهلة الاولى وكأنه على نقيض من المخطط الاسرائيلي ، بيد انه يلتقي في نهاية المطاف بالمخططات الاسرائيلية الرامية الى تكريس الاحتلال . وتتمثل سياسة مجموعة الشباب في أمرين : ١ — التنديد بالنظام الاردني الذي قام « بمجازر وحشية ضد الشعب الفلسطيني » ٢ — الدعوة الى الاعتراف « بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره » .

ان حملة التنديد التي تقوم بها هذه المجموعة لا تقتصر على النظام الاردني ، بل تتخللها تهكمات على شعبنا من ابناء الضفة الشرقية ، وتدعو بشكل ضمني الى فصل وحدة الشعب الفلسطيني والاردني ، كما ان الدعوة الى الاعتراف « بحق تقرير المصير » تشمل اجراء انتخابات في الضفة الغربية. لقد خلقت سلطات الاحتلال هذه « الزعامة الجديدة » كورقة ضغط موجهة ضد النظام الاردني من جهة لحثه على الاسراع في ايجاد تسوية بين اسرائيل والاردن تنال فيها سلطات الاحتلال حصة الاسد ، وضد الزعامة التقليدية من جهة اخرى لحثها على المزيد من التعاون مع سلطات الاحتلال (سنتحدث بشكل مسهب حول الزعامة الشابة في عدد قادم من شؤون فلسطينية) .

لقد كان اول الداعين الى اجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية حمدي كنعان الرئيس السابق لبلدية نابلس ، وتلقفت الدعوة مجموعة الشبان ، التي يقف على رأسها محمد ابو شلباية مؤلف كتاب « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » حيث اخذت هذه المجموعة تروج لفكرة حمدي كنعان ، من خلال صحيفتي « القدس » و« الانباء » . وعند رواج الدعوة اصدرت سلطات الاحتلال تعليمات باجراء الانتخابات البلدية « استجابة لرغبة السكان » ! وفق القانون الاردني لعام ١٩٥٥ . ويسلك حمدي كنعان في تبرير دعوته لاجراء انتخابات نفس المسلك التبريري الخاطىء الذي تسلكه سلطات الاحتلال اذ يقول : « عندما ناديت بالانتخابات انما فعلت ذلك عن قناعة بأن مصلحة الشعب تقتضي تغيير الهيئات الحالية وقد تأيد هذا النداء **بصوت شعبي قوي** صدر بمقالات نشرت على صفحات الجرائد العربية ، وانه لبديهي ان ليس للهيئات الحالية اي مبرر لاستمرارها بعد مضي ٩ سنين على انتخابها ، وكان لا بد من اعطاء الجيل الجديد حقه في المشاركة في الحياة العامة . واقتراحي باجراء الانتخابات لا يعني بأي حال بأنني قصدت ترشيح نفسي » (الانباء ٧٢/٢/١١) .

هنالك ثلاث ملاحظات حول ادعاء حمدي كنعان :
١ — ان **الصوت الشعبي القوي** الذي تحدث عنه، واستغلته سلطات الاحتلال ، ما هو الا صوت ما يعرف بالجيل الجديد الذي خلقته سلطات الاحتلال لمصلحتها هي . ٢ — « الصحف العربية » التي ذكرها هما صحيفتا « القدس » و« الانباء » اللتان تنطقان باسم سلطات الاحتلال وتعملان وفق المخططات الاسرائيلية القريبة والبعيدة المدى .
٣ — ادعاؤه في كل مناسبة يتحدث فيها حول دعوته بأنه لن يرشح نفسه في الانتخابات ، بقصد ابعاد الشبهات من حوله ، ادعاء اقل ما يقال فيه انه لا اساس له من الصحة ، فقد تصدر اسم كنعان قائمة المرشحين للانتخابات في مدينة نابلس .

ومن المعروف ان قانون الانتخابات الاردني لعام ١٩٥٥ ذو طابع رجعي ، فهو يستثني النساء من حق الانتخاب، كما ويستثني أولئك الذين لا يدفعون

ضرائب بلدية ، وفوق ذلك فان مجلس الوزراء الاردني هو الذي يعـين بمقتضى القانون رئيس البلدية من بين المرشحين الفائزين في الانتخابات بناء على توصية وزير الداخلية ، كما ويخول القانون مجلس الوزراء تنحية رئيس البلدية والغاء المجلس البلدي ، واتخاذ قرار بشأن امواله وممتلكاته اذا ما ارتأى وزير الداخلية « ان مصلحة البلد تتطلب ذلك » . وهنالك فقرة في القانون تخول الحكومة تعيين عضوين آخرين الى المجلس ، وبموجب هذه الفقرة تم ضم محمد الجعبري الى مجلس بلدية الخليل في عام ١٩٦٤ ، وعين في نفس اليوم رئيسا للمجلس ليخدم النظام الاردني ، ومن ثم سلطات الاحتلال . ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال لم تقدم حتى الان على تغيير القانون الاردني ، خشية المضاعفات التي تنجم عن خطوة كهذه تتنافى واتفاقية جنيف الدولية ، مع ان اسرائيل قد اتخذت خطوات عدة تتنافى وهذه الاتفاقية مثـل اقامـة المستوطنات . الا ان السيد كنعان يدعو الى ان تقوم اسرائيل بتغيير القانون ! فقد قال كنعان في حديث له مع مجلة « حوتام » الملحق الاسبوعي لصحيفة عل همشمار (٧٢/٢/١١) : « اعتقد انه ينبغي تغيير القانون ، خاصة لتمكـين اشتراك أولئك الذين لا يدفعون ضرائب ، وفيما يتعلـق بالاسلـوب ، اقترحت العـودة الى القانـون الفلسطيني الذي كـان متبعا في عهـد الانتداب البريطاني » .

ان دعوة كنعان الى تغيير القانون الاردني الرجعي ليست نابعة من دوافع تقدمية بقدر ما هي ناجمة عن رغبته في خدمة سلطات الاحتلال ، لكي يتفوق على منافسه الشيخ محمد الجعبري في هذا المجال. فقد أفصح عن رجعيته في نفس العدد مـن مجلة « حوتام » حين قال انه يعارض منح النسـاء حق الانتخاب ويؤيد حصر حق الانتخاب على « المثقفات فقط » ... « لاننا نعرف نساءنا ، فالاكثريـة الساحقة منهن لا يعرفن لمن يدلين بأصواتهن » . والحقيقة ان الاكثرية الساحقة من جماهير الضفة الغربية رجـالا ونساء باستثناء حمدي كنعـان والزعامة التقليدية و« الزعامة الشابة » لا يعرفون لمن يدلون بأصواتهم ، في انتخابات تفرض في ظل الاحتلال ولمرشحين يتعاونون مع العدو ، ليس ذلك عن « جهل » كما يحلو للسيد كنعان ان يتفوه اثناء حديثه مع الصحفيين الاسرائيليين تجـاه المرأة العربية، بل عن وعي الحقائق الموضوعية لانتخابات تجري في ظل الاحتلال ، فانتخابات كهذه بمثابة مبايعة للاحتلال وبالتالي فانهـا ستساعد علـى تكريسه واستدامته واضفاء صفة الشرعية عليه .

وساطة أنور نسيبة : وسط الاستعدادات لاجـراء الانتخابات البلدية في الضفة الغربية بغرض تكريس الاحتلال ، برزت على سطح الاحداث قضية وساطة لايجاد تسوية بين النظام الاردني واسرائيل ، بطلها وزير الدفاع الاردني الاسبق انور نسيبة من سكان القدس وأحد أركان النظـام الاردني في الضفـة الغربية ، فقد كشفت الصحف الاسرائيلية النقاب عن ان انور نسيبة قام بسلسلة من الاجتماعات السرية مع عدد من الشخصيات الاسرائيلية وعلى رأسهم رئيسة الحكومة غولدا مئير ، ووزير الدفاع موشيه ديان ، ووزير الشرطة شلومو هليل ، كما واجتمع في نفس الوقت مع الملك حسين ورئيس وزرائه اللوزي. وقد اتضح للمسؤولين الاسرائيليين من خلال الاجتماعات مع نسيبة « ان هنالك ثمة اتجاه قائم في الاردن لفحص امكانية تسوية مع اسرائيل » (معاريف ٧٢/٢/١٠) .

لم ينكر نسيبة اجراء الاتصالات مع الشخصيات الاسرائيلية ، بيد انه ذكر انها مجرد مجاملة. ولكن وزير الخارجية ابا ايبن ذكر ان هذه اللقاءات لا تقتصر على المجاملة حين قال ردا على استجواب قدمه أحـد الوزراء في جلسة عقدتهـا الحكومة الاسرائيلية « لقد اجرى زعماء اسرائيليون اتصالات مع انور نسيبة ، وقد جرت عشرات اللقاءات معه منذ حرب الايام الستة ، لم تسفر اللقاءات الاخيرة عن تقدم لايجاد تسوية مع الاردن ، الا انها ربما تشير الى مدى العصبية في عمان الناجمة عـن التخوف من تسوية اسرائيلية مصرية لفتح القنال » (هآرتس ٧٢/٢/١٤) .

ومن ناحية أخرى اكدت الدوائـر الاسرائيلية في القدس ان اهمية الاتصالات الاخيرة قد « تجاوزت اطار تبادل الاراء » . وقد وردت تلميحات في تصريحات الزعماء الاسرائيليين بشأن اجراء وساطة بين النظام الاردني والسلطات الاسرائيلية ، من بينها تلميحات ديان اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة الاميركية حـول « صحوة العرب والميـل المتزايد بين صفوفهم لاعتبار اسرائيل واقعا ينبغي الاعتراف به » وكذلك تلميحات غولدا مئير اثناء مناقشة الازمة مع الحزب الوطني المتدين والتي

هددت بخروج الحزب من الحكومة ، حين قالت : « ماذا سيحدث مثلا ، لو ان حسين كان يريد التحدث معنا حول تسوية سلام ... من اجل ذلك نحن بحاجة الى حكومة ثابتة » (معاريف ٢/١٠/ ٧٢) .

ويبدو ان وساطة نسيبة قد قطعت شوطا معينا في طريق التسوية بين السلطتين الاردنية والاسرائيلية، فقد ساعدت في التوصل الى « تسوية عملية » بسيطة تتمثل في تسهيلات وافق الطرفان عليها ومن بينها السماح لباصات كلا الجانبين بالمرور على الجسور في الاتجاهين أي أصبح بامكان الباصات القادمة من القدس والضفة اجتياز الحدود حتى الجمرك الاردني ، كما واصبح بامكان الباصات الاردنية اجتياز الجسر حتى الجمرك الاسرائيلي . وكذلك السماح « للزوار من الدول العربية » بزيارة الضفة الغربية طيلة ايام السنة وليس في فصل الصيف كما كان متبعا من قبل . ومن بين الامور الخطرة التي تم الاتفاق عليها بين السلطتين الاسرائيلية والاردنية السماح للسياح الاجانب بالتنقل بواسطة شركات السفر في القدس في خط مباشر من القدس الى عمان وبالعكس . وقد رحب وزير السياحة الاسرائيلي بهذه الخطوة وتمنى « ان يكون لبنان الدولة العربية الثانية التي تحذو حذو الاردن » !! (الاذاعة العبرية ٧٢/٣/١١) . الا ان اخطر ما تكشفت عنه وساطة نسيبة تتمثل في الحديث عن رفع العلم الاردني فوق المسجد الاقصى، وهذا يعبر تعبيرا حادا عن المهمة التي يقوم بها أنور نسيبة . ان رفع العلم الاردني فوق الاقصى لا يشير الى سيادة النظام الاردني بقدر ما يشير الى التسوية التي تفرض على شعبنا ، والتي يتقاسم فيها الخائن والعدو ارضنا وشعبنا .

لقد اثارت انباء الوساطة التي قام بها انور نسيبه استياء وسخط العناصر الوطنية في الضفة الغربية، واحدثت « ضجة » بين اوساط العناصر الموالية للاحتلال الاسرائيلي ، وخاصة عناصر « ورقة الضغط » التي تستخدمها السلطات الاسرائيلية ضد النظام الاردني لحثه على الاسراع في عقد تسوية منفردة مع اسرائيل. فقد بعثت مجموعة السياسيين الشبان التي يتزعمها محمد ابو شلباية وجميل حمد ببرقية الى رئيسة الوزراء ووزير الدفاع ووزير الشرطة والى قناصل الدول الاجنبية في القدس جاء فيها « ان الاتصالات التي تجري من وراء الكواليس لا تتفق وأماني وحقوق الشعب الفلسطيني الذي عانى الكثير من الويلات والنكبات . ان اية تسوية تتجاهل حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره تعتبر في رأينا تمهيدا لمزيد من الكراهية وتعميق جذور الخلافات بين الشعبين الفلسطيني واليهودي ، لذا فاننا نطالب بوقف هذه المحاولات المستترة التي يغيب الشعب من خلالها ، ونؤكد بأن التوصل الى السلام العادل وتحقيق الاستقرار في المنطقة لن يتحقق الا من خلال ارادة الشعب الفلسطيني الحرة التي لن تبرز الا باعطائه الفرصة لاختيار ممثليه » (الانباء ٢/١٣/ ٧٢) .

ويمكن لنا ان ندرك مدى تأثير « ورقة الضغط » التي تستخدمها السلطات الاسرائيلية ضد النظام الاردني ، في الرسالة المفتوحة التي بعث بها محمد ابو شلباية الى رئيسة الوزراء التي كانت قد اجرت اتصالات مع الملك عبدالله « ... لقد جربت انت ، يا رئيسة الوزراء وجرب اسلافك مثل السيد بن غوريون الاتصالات بالحكام من امثال الملك عبدالله والملك فاروق ، والجميع يعرفون انك نفسك وصلت الى قصور الملك عبدالله وراء النهر ، واجريت معه الاحاديث وعقدت معه الاتفاقيات ، فماذا كانت النتيجة ؟ » (الانباء ٧٢/٢/١٥) .

اتصالات الملك حسين مع الاسرائيليين : في غمرة الحديث عن وساطة نسيبة بين النظام الاردني واسرائيل ، اخذت الصحافة الاسرائيلية تتحدث بعناوين بارزة عن اتصالات أخرى جرت عدة مرات، وجها لوجه ، وبسرية تامة بين الملك حسين وكبار المسؤولين الاسرائيليين ، امثال « يجال آلون وابا ايبن والدكتور يعقوب هرتسوغ ومندوبين اسرائيليين آخرين » . ووفقا للتقارير الصحفية الاسرائيلية التي اعتمدت على المصادر الاجنبية و« مصادر وثيقة الاطلاع » كانت ساحة الاجتماعات السرية في لندن وفي خليج العقبة . في مباحثات لندن السرية التي جرت في خريف عام ١٩٦٨ اقترح على الملك « قبول مشروع الون الداعي الى مرابطة القوات الاسرائيلية على امتداد نهر الاردن ، واجراء تعديلات على حدود معينة ، واعادة بقية المناطق الى حكم الملك حسين ، شريطة ان لا تدخلها قوات اردنية ، مع ضمان حرية الوصول الى الاماكن المقدسة للمسلمين في القدس » .

وحسب ما جاء في الصحافة الاسرائيلية فان الملك

لم يرفض المشروع الاسرائيلي برمته ، بل اقترح « ان تشرف قوات الامم المتحدة على نزع السلاح في الضفة الغربية بدل الجيش الاسرائيلي ، كما وطلب ترتيباتمريحة في القدس » بيد ان المفاوض الاسرائيلي رفض طلب الملك .

لم تنسف « المباحثات السرية » بسبب الخلاف في وجهات النظر ، بل نسفت كما تقول الصحف الاسرائيلية بسبب « تأكيد الملك بأنه لا يستطيع ان يسمح لنفسه بأن يكون الزعيم العربي الاول الذي يدخل في تسويات مع اسرائيل » .

اما سلسلة المباحثات السرية الثانية فانها قد جرت في خليج العقبة بين الملك حسين ويجال الون في عام ١٩٧٠ تطرق الحديث خلالها حول مسألتين : الحل السياسي للازمة ، وقضايا الامن « نشاط المنظمات الفدائية التي تقوم من خلال قواعدها في الاردن بأعمال تخريبية داخل الاراضي الاسرائيلية». لم تقتصر الاتصالات بين الجانبين على لندن والعقبة فقط ، بل تجري في بعض الاحيان مباشرة بين عمان والقدس بواسطة خطوط الاتصال « فعندما قاتلت وحدات الجيش الاسرائيلي الفدائيين في الكرامة ، ودخلت في معركة مع وحدات الجيش الاردني ، اجرى الملك حسين ، اتصالا مع السلطات الاسرائيلية بواسطة السفير الاميركي في عمان واجهزة الاتصال الخاصة به » .

ان اخطر ما كشفت عنه الصحافة الاسرائيلية ، لا يتمثل في الاتصالات السرية التي اجراها الملك حسين مع العدو الاسرائيلي ، والتي يستكملها انور نسيبه فحسب ، بل كذلك في الصمت العربي تجاه هذه الاتصالات . تقول صحيفة معاريف (٧١/٢/١٨) : « تحمل اللقاءات بين اسرائيل والملك حسين طابعا فريدا من نوعه ، ويبدو ان الملك ، حسب ما نشر ، الشخصية العربية الكبيرة التي اجرت اتصالات شخصية سرية متتالية مع اسرائيل ، ولم يوقفها بالرغم من نشرها. وقد ابتلع العالم العربي ذلك » . **والسؤال الذي يطرح نفسه هل سيبقى العالم العربي « يبتلع » بصمت ام سيتقيا بعنف ليخرج من جوفه كل اسباب التخلف والهزائم ؟**

تغييرات ادارية في القطاع : في غمرة الاحداث الجارية في الضفة الغربية لتكريس الاحتلال الاسرائيلي واضفاء الصبغة الشرعية عليه ، وفي اعقاب حملات الهدم والتشريد والتهجير التي قامت بها قوات الاحتلال ضد سكان القطاع في النصف الاخير من شهر تموز في العام الماضي ، وفي جو محاولات التصفية الخطيرة التي تقوم بها قوات الاحتلال ضد ثورة الجماهير هناك ، اقدمت سلطات الاحتلالعند مطلع شهر آذار باحداثتغييرات ادارية في القطاع ، نقل بموجبها قطاع غزة من ادارة قيادة المنطقة الجنوبية التي يتزعمها الزعيم اريك شارون الى قيادة المنطقة الوسطى التي يتزعمها الزعيم رحبعام زئيفي . وبذلك اصبح قطاع غزة والضفة الغربية لاول مرة تحت ادارة قيادة واحدة !

وقد اوعزت المصادر الاسرائيلية اسباب التغييرات الادارية الى عدة أمور من بينها : ١ — الرغبة في تركيز جهد قيادة المنطقة الجنوبية على الجبهة المصرية ، بعد ان كان تركيزها منصبا على جبهة القطاع بسبب وقف اطلاق النار على امتداد القنال . ٢ — العمل على احداث توازن افضل في العمل بين القيادات الاسرائيلية ، ففي الفترة التي سبقت مجزرة ايلول كانت قيادة المنطقة الوسطى منهمكة بالتصدي لهجمات رجال المقاومة الفلسطينية ، اما في الفترة التي اعقبتها فقد غدت قيادة المنطقة الوسطى تنعم بالاستقرار الامني ، ولا يتناسب الجهد الذي تبذله وجهد القيادتين الاخريين ، قيادة المنطقة الجنوبية وقيادة المنطقة الشمالية .

الا ان اخطر ما في الامر ، يتمثل في توقيت هذه التغييرات الادارية ، فبالرغم من انكار المسؤولين الاسرائيليين ان تكون هنالك معان سياسية وراء التغيير ، ذكرت صحيفة معاريف (معاريف ٧٢/٣/١) ان هنالك هدفا آخر من وراء ذلك يكمن « في اتخاذ سياسة موحدةبواسطةقائد واحد تجاه منطقتينيتركز فيهما سكان المناطقالمحتلة»فاذا اخذنا بعين الاعتبار هذه التغييرات التي تجيء مع الاحداث المتلاحقة في الضفة الغربية ، ندرك القصد من ورائها .

عبدالحفيظ محارب

مذكرة تحليلية حول مشروع الملك حسين

خالد الحسن

بتاريخ ١٩٧٢/٣/١٥ ، القى الملك حسين خطابه الذي أعلن فيه مشروعاً أسماه مشروع المملكة العربية المتحدة ، وقد انقسم الخطاب الى شقين، مقدمة تاريخية ، ومشروع « المملكة العربية المتحدة » .

اولا — المقدمة

١ — لقد تضمنت مقدمة المشروع سردا مقلوبا وكاذبا لحقائق تاريخية اصبحت معروفة لدى الكافة من اجهزة رسمية وشعبية ، وحتى لدى المواطن العادي في طول البلاد وعرضها . وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد النقاط التالية :

أ. لقد قال الملك حسين ان انشاء امارة شرقي الاردن كانت انقاذا لارض هذه الامارة من وعد بلفور ، بينما الحقائق والوثائق التاريخية تثبت ، ان انشاء الامارة وتعيين عبد الله اميرا عليها ، كان بعد الموافقة التي ابلغها عبد الله الى تشرشل على السياسة البريطانية والفرنسية والصهيونية في المنطقة اي على قيام دولة اسرائيل .

ب — كما قال ، ان الجيش العربي الاردني انقذ ما عرف بالضفة الغربية من الاحتلال الصهيوني ، والكل يعرف كيف سلم عبد الله منطقة اللد والرملة الى الصهاينة ، وكيف تنازل عن منطقة المثلث في مفاوضات رودس الى الصهاينة وفق مفاوضات مسبقة مباشرة وشخصية مع زعماء الصهاينة اشار الى وقائعها ووثائقها المقدم عبد الله التل في مذكراته المشهورة عن خيانة الملك عبد الله وتواطئه مع الصهاينة والبريطانيين .

ج — كما قال الملك حسين ، بان الجيش الاردني انقذ القدس التي عرفت فيما بعد بالقدس العربية، والكل يعرف ان الجيش لم يتحرك للاشتراك في معركة القدس الا بعد ان قام المرحومان رياض الصلح وجميل مردم بزيارة الامير عبدالله بعد منتصف الليل وهدداه بفضح موقفه علنا اذا لم يتحرك الجيش الاردني الى القدس ثم يأتي المقدم عبد الله التل ، قائد منطقة القدس في تلك الفترة ليفضح التواطؤ الذي كان قائما على القدس ، والطريقة التي تخطى فيها هذا التواطؤ ، عندما استغل الامر الشكلي للامير عبد الله وتمكن بمساعدة القوات الفلسطينية والعربية المتطوعة من انقاذ المدينة القديمة ، وكان بالامكان تحرير القدس كلها لولا صدور اوامر الامير عبد الله بايقاف المعركة والاكتفاء بالقدس القديمة .

د — ثم تحدث الملك حسين عن الاجراءات التي تمت لتوحيد الضفة الغربية مع الضفة الشرقية بينما الجميع يعرف : ١ — ان الزعماء الفلسطينيين الذين زاروا الامير عبد الله في قصره جعلوا شرط الوحدة ان يتعهد الامير بالعمل لتحرير ما احتله الاسرائيليون من فلسطين ، ولكنه رفض اعطاء هذا التعهد فغادروا قصر عبد الله دون ان يبايعوه اميرا عليهم . ٢ — ان ضم الضفة الغربية الى امارة شرق الاردن ، كان تآمرا على القضية الفلسطينية ، الامر الذي دفع الجامعة العربية ، في اجتماع خاص عقد لهذا الموضوع ، الى اصدار قرار بعدم الاعتراف بهذا الضم واعتبار الضفة الغربية وقطاع غزة ، والحمة امانة لدى الدول العربية الثلاث (سوريا ، مصر ، شرقي الاردن) وهذا القرار لا يزال قائما حتى الان .

هـ ـ ثم تحدث الملك حسين عن المساواة في الحقوق والواجبات بين ابن فلسطين وابن شرق الاردن ، والكل يعرف الحقائق التالية : ١ ـ ان ابن فلسطين كان ولا يزال مواطنا من الدرجة الثانية فيما عرف بالملكة الاردنية الهاشمية ، في مجال الوظائف والممارسة الفعلية لتطبيق القانون ، واصبح من التكرار القول بان الممارسة العملية كانت بسيطرة اقلية حول الملك حسين وعائلته ، على اغلبية سكان المملكة الاردنية الهاشمية . ٢ ـ ان الاضطهاد الذي وقع على ابناء فلسطين في هذه المملكة وصل الى حد جر ابناء نابلس وراء الخيول الى الزرقاء وموت العديد منهم على الطريق. ٣ ـ ان التخطيط الصناعي والاقتصادي كان مقصورا على الضفة الشرقية ومنع قيام اي مشروع تزيد تكاليفه عن عشرة الاف دينار في الضفة الغربية .

و ـ اما ما حاول الملك حسين ان يظهره من حرص على القضية الفلسطينية ، وتحرير فلسطين فانه امر يدعو الى السخرية ، ان يصدر هذا الكلام عن مسؤول لا تزال يديه ملطخة بدماء الشعب الفلسطيني ، ليس من خلال مذابح ايلول وجرش وعجلون فحسب ، وانما عبر تاريخ علاقة هذه العائلة بالشعب الفلسطيني وبالنضال الفلسطيني منذ عام ١٩٢١ حتى الان مرورا بمسرحية حرب حزيران التي اعلن فيها حسين نفسه بانه خسر ٢٥ الف جندي ليتبين بعد ذلك ان عدد شهداء هذا الجيش لم يتجاوز العشرات بسبب تخطيط القيادات التي ارادت ابعاده عن القتال .

ز ـ هذا فضلا عن ان الهدف الاساسي من انشاء امارة شرقي الاردن وضم الضفة الغربية اليها ، وتحويلها الى مملكة ، كما اثبتته الوقائع والوثائق والاتصالات الاسرائيلية مع الامير عبد الله منذ ١٩٣٠ ومع الملك حسين قبل وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ كانت تهدف الى : أ ـ اذابة الشخصية الفلسطينية النضالية . ب ـ انهاء وجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني واعطائه اسما اخر . ج ـ الاسهام الفعال في تنفيذ مشاريع امريكا والعدو الصهيوني في توطين الفلسطينيين لانهاء مشكلة الشعب الفلسطيني خارج وطنه . د ـ دفع العناصر المتمردة علنا على هذه السياسة الى مغادرة المملكة الاردنية بوسائل الارهاب المختلفة المشهورة التي مارسها ويمارسها الملك حسين وقبله الملك عبد الله على ابناء فلسطين .

٢ ـ وخلاصة القول حول هذا الموضوع ان علاقة الملك عبد الله والملك حسين وعائلته باسرائيل وبالاستعمار كانت علاقة تنطلق من محور التآمر على القضية الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني في سبيل البقاء ملاكا على عرش ملكي قائم على جماجم ابناء فلسطين ، وفي مملكة يبنيها من المساعدات الاستعمارية السخية التي تعطي له ثمنا لهذا التآمر الذي لا يختلف عليه اثنان في الامة العربية .

٣ ـ ومن هنا فان اي تحرك عملي او لفظي للملك حسين وبطانته لا يمكن ان ينظر اليه الا بمنظار الشك والريبة ، فضلا عن الخيانة والتآمر ، خصوصا اذا كان هذا التحرك يتصل بالشعب الفلسطيني وبالقضية الفلسطينية .

ثانيا ـ مشروع « المملكة العربية المتحدة »

أ ـ لا نريد الخوض في مناقشة تفاصيل مواد المشروع الاثنتي عشرة ، لان مثل هذه المناقشة لا يمكن ان تجري الا اذا توفرت شروط عدة اهمها : ١ ـ ظروف طبيعية اهمها الجو الديمقراطي الحر البعيدة عن ظروف الاحتلال والارهاب . ٢ ـ توفر حسن النية لدى مقدمي المشروع . ٣ ـ توفر الثقة التامة بين الاطراف المعنية .

ب ـ وهذه الشروط غير متوفرة اطلاقا ، ومن هنا كان لا بد من حصر البحث في اهداف هذا المشروع ونتائجه ، ولاجراء بحث هادىء وموضوعي لهذه الاهداف والنتائج كان لا بد من التطرق الى : ١ ـ الظروف والتحركات المتصلة بتوقيت اعلان المشروع . ٢ ـ نتائج المشروع في المجال العربي. ٣ ـ نتائج المشروع في المجال الفلسطيني . ٤ ـ نتائج المشروع على الوحدة الوطنية الاردنية الفلسطينية .

ج ـ الظروف والتحركات المتصلة بتوقيت المشروع:

١ ـ على الساحة الاردنية :

أ ـ بعد كارثة حزيران ١٩٦٧ ، لم يكن بامكان نظام الملك حسين في الاردن ان يستمر في ضرب الثورة الفلسطينية بنفس الاسلوب الذي اتبعه لضربها منذ ١٩٦٥/١/١ ، فقد تفككت ادوات قمع الدولة واصيبت الجماهير الاردنية بذهول من هول

الكارثة ، انقذتهم منها الثورة الفلسطينية ، التي استمرت وحدهـا في كفاحهـا المسلح ضد العدو الصهيوني ، الامر الذي دفع بالجماهير الاردنية الى حماية واحتضان الثورة الفلسطينية جنبا الى جنب مع الجماهير الفلسطينية فشكلت سدا قويا ضد رغبة الملك حسين في ضرب الثورة الفلسطينية (قبل معركة الكرامة) اما بعد معركة الكرامة ، فقد انضم الجيش الاردني الى صفوف الجماهير يحمي الثورة الفلسطينية ويساعدها ويساندها رغم اوامر القادة الكبار لهذا الجيش واوامر الملك نفسه .

ب ـ ولمواجهة هذا الموقف انشأ الملك جهازا خاصا اسمه (الشعبة الخاصة) تقوم بالتنسيق عبر الملك شخصيا مع اجهزة المخابرات الملكية والامريكيـة بما يلي : ١ ـ شق جماهير الضفة الشرقية وجذب اكبر قدر ممكن منها الى جانب الملك ضد الثورة الفلسطينية . ٢ ـ شق الجيش الاردني وجذب اكبر قدر ممكن منه الى جانب الملك ضد الثـورة الفلسطينية ودفعه الى المطالبـة بضرب الثورة . ٣ ـ وعندما نجح في ذلك ، مستغلا اخطاء بعض فصائل المقاومة وقيام اجهزته بممارسة مشينة باسم العمل الفدائي ، خطط لمذبحة ايلول ١٩٧٠ التـي سقط فيها حوالي خمسة الاف شهيد واكثر مـن خمسة عشر الف جريح . ٤ ـ وبذلك حقق انفصالا قائما على الحقد والثأر بين الفلسطينيين والاردنيين زاد في تكثيفه وتوسيع شقته بمذابح جرش الاولى ثم مذابح جرش وعجلون في شهر يوليو/تموز ١٩٧١، ثم في عمليات الارهاب والسجن والاعتقال والتعذيب والقتل غير المعلن واصدار احكام الاعدام العفوية لكل من تعاطف مع الثورة الفلسطينية في الضفـة الشرقية . ٥ ـ كما صاحب ذلك عجز عربي كامل في ردع الملك حسين وبطانته من ممارسة هذه المذابح بالاضافة الى اعلام بذيء وحاقد مارسته اذاعـة عمان ضد الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية، الامر الذي خلق جوا نفسيا فلسطينيا عفويا بالـغ الالم يكاد يصل بهم الى اليأس من الموقف العربي تجاههم ، والى التحول باتجاه تفكير ذاتي لحماية انفسهم وحل مشاكلهم بمعزل عن الجهد العـربي والتعامل العربي .

ج ـ في هذا الجو اخذت اجهزة المخابرات الاردنية والامريكية تطرح فكـرة (الدولـة الفلسطينية) كمخرج يتجاوب مـع الواقـع النفسي الفلسطيني العفوي البالغ الالم ليوهم الفلسطينيين بان هـذه الدولة هي المخرج من واقعهم والملجأ من ظالميهم ، اما اجهزة الاعلام الاردنية العلنية فاخذت تتهـم الفلسطينيين والثورة الفلسطينية بانها تريد الدولة الفلسطينيـة وفصل وحـدة الشعبيـن الاردنـي والفلسطيني ، لخلـق ردة فعـل مضادة تغـذي الاقليمية الفلسطينية وتزيد في اليأس الفلسطيني ، يساعد على ذلك الهجمات الاسرائيلية المتواليـة على قواعد العمل الفدائي في سوريا ولبنـان ، والعجز العربي في مواجهة ذلك كلـه ، بعد ان فرضت ضربة الملك حسين للثـورة الفلسطينيـة الاتجاه الى اعادة بناء ذاتها فظهرت وكأنها ساكنة عن الحركة الثورية ضد العدو الصهيوني هـذه الحركة النضالية المسلحة التي اعتادتها الجماهير في الارض المحتلة قبل مذابح ايلول الاحمر .

د ـ في هذا الجو النفسي الذي استغرق التخطيط له وممارسته ست سنوات كاملة ظهر الملك حسين فجأة بمشروعه ليوهم الفلسطينيين بانه يتجـاوب مع مشاكلهم ورغباتهم العفوية من خلال حكم ذاتي تحت سيطرته وليبرر لعملائه المرتزقين على موائده خيانتهم الجديدة تحت ستـار ما يسمى بالحكـم الذاتي ، وليضع الشعب الفلسطيني في مصيـدة الخيانة كما سيظهر ذلك في جزء اخر من هـذه المذكرة ، تماما كالجلاد الذي يعطي المجلود قليلا من الماء ليتمكن من جلده اكثر واكثر .

هـ ـ وهنا لا يمكن ان نفصل توقيت اعلان المشروع عن الانتخابات البلدية التي يجريها العدو الصهيوني المحتل في الضفة الغربية ـ حيث نلاحظ الحوادث والنتائج التالية :

١ ـ اعلنت سلطات احتلال العدو الصهيوني عن عزمها لاجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية .

٢ ـ باشر الاعلام الاردني موقفا مضادا من هـذه الانتخابات فاحجم عملاء الملـك حسين في الضفة الغربية عن التجاوب مع الانتخابات الى جانـب الموقف الوطني الحقيقي الذي وقفته جماهير الضفة الغربية .

٣ ـ كان هذا الرفض الملكي بدايـة مرحلة مـن المفاوضات بين الملك حسين وبين سلطات الاحتلال الصهيوني مباشرة ثم عن طريق عملاء الملك في الضفة الغربية (انور نسيبه وغيره) انتهت بموافقة الملك حسين على اجراء الانتخابات البلدية في الضفـة الغربية فصمتت وسائل الاعلام الاردنية العلنيـة

عن مهاجمة الانتخابات . هذا وقد كانت مواقف الملك حسين وسلطات الاحتلال اثناء المفاوضات كما يلي : أ — موافقة الملك على التفاوض المباشر مع سلطات العدو الصهيوني لحل قضية الشرق الاوسط على ان يسبق ذلك قيام الجانب الصهيوني بتقديم خارطة تبين الاجزاء التي ستعود من الضفة الغربية عند تنفيذ الحل المزعوم لتسهيل عملية التنفيذ ، وقد قدمت للملك حسين بالفعل خارطة حدد عليها مشروع ايجال الون وقد وافق الملك على هذه الخارطة . ب — وافق الملك على المشروع الاسرائيلي الخاص بالقدس على ان يؤجل اعلان ذلك لوقت اخر . ج — اصرار سلطات الاحتلال الصهيوني على وجود طرف فلسطيني يوافق على مشروع الملك وموقف عربي موافق ايضا على مشروع الملك المبني على مشروع ايجال الون (وهذا يفسر تحرك الملك في الساحة العربية) . د — ان يطرح الملك مشروعه في الوقت المناسب (بعد انتهاء الانتخابات البلدية) والخروج منها بصيغة تمثيلية تمكن من ايجاد الطرف الفلسطيني الذي يقبل بمشروع الملك القائم على اساس مشروع ايجال الون بعد ان يكون قد تم ضرب الثورة الفلسطينية نهائيا .

٤ — قام الملك بطرح مشروعه ليكون البرنامج الانتخابي العلني لعملائه في الانتخابات البلدية وطرحه قبل انتهاء عملية الانتخابات من باب التمويه حتى لا يكون الربط بين المشروع وبين مؤامرة الانتخابات البلدية اكثر وضوحا ومن هنا نستطيع ان نفهم معنى تصريح انور نسيبه (بعد اعلان المشروع) عندما قال بانه لم يفاجأ بالمشروع ولكنه فوجىء بتوقيت اعلانه .

٢ — الساحة الدولية (الولايات المتحدة الاميركية)

١ — منذ مدة ، والرسميون الاميركيون يعلنون ان تحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط لا يتم الا برضاء الفلسطينيين ، وهذا يعني ضرب ارادة النضال الفلسطينية بضرب العمل الفدائي الفلسطيني ، وقيام صيغة فلسطينية تكون طرفا في التسوية (مشاريع فيشر الاميركي ، الذي يمثل مشروع الملك حسين احداها) .

٢ — اشار الرئيس نيكسون في تقريره الى الكونغرس الاميركي الى الشعب الفلسطيني بطريقة جديدة عندما قال :

« ولا يزال الشعب الفلسطيني مشتتا في كل انحاء العالم العربي ، يضغط بكفاحه ، من اجل الحصول على وطن ، وعلى ضمائر وسياسات الحكومات العربية ، مما يزيد التوترات تفاقما داخل الدول العربية ، وبينها (اسرائيل) . ان الحكومات المستقرة والمعتدلة مهددة من قبل حركات هدامة ، بعضها يلقى العون والمساعدة من الخارج » .

وهذا يعني : أ — ان نيكسون يريد ان يؤمن وطنا ما للشعب الفلسطيني . ب — انه يريد ان ينهي حالة الضغط التي يمارسها النضال الفلسطيني على ضمير الامة العربية وحكوماتها . ج — انه بذلك يلغي حالة التوتر في المنطقة ، ويساعد الحكومات المعتدلة على الاستقرار بعد انهاء الحركات الهدامة (الثورة الفلسطينية) التي هي السبب في ذلك كله ، والتي يجب انهاؤها (عن طريق الملك حسين والعدو الصهيوني) .

٣ — ابدى روجرز ارتياحه لنتائج الضرب المتواصل للثورة الفلسطينية .

٤ — اعلن حسين عن مشروعه .

٥ — ارسل الملك حسين وفودا الى الدول العربية لشرح المشروع واخذ الموافقة .

٦ — اعلن الملك حسين عن رحلته القريبة الى الولايات المتحدة حاملا معه كما يأمل : أ — موافقة بعض الدول العربية على المشروع . ب — نجاح مرشحيه في الانتخابات البلدية في الضفة الغربية كضمان لتمثيله للفلسطينيين عبر مشروعه . ج — موافقة العدو الصهيوني على اساس نتائج المفاوضات التي تمت بين الملك حسين وبين سلطات العدو الصهيوني والتي اصبحت مكشوفة بشكل ظاهر لكل عين .

٧ — سيقوم نيكسون بزيارته للاتحاد السوفياتي ، وقد اصبحت المشكلة الفلسطينية مطوقة ومعه مشروع للتنفيذ ، وبذلك تسهل مهمة نيكسون في موسكو ويتم الاتفاق على حل مشكلة الشرق الاوسط بما ينهي القضية الفلسطينية نضاليا ، ووفق الرغبة الاميركية الاسرائيلية ، ويكون خلال ذلك قد تم انجاز الاهداف الاساسية الصهيونية التالية : أ — ضرب الثورة الفلسطينية في الاردن عن طريق الملك حسين (وقد تم) . ب — ضرب الثورة الفلسطينية في لبنان عن طريق الاعتداءات الاسرائيلية ، ولا تزال هذه

المهمة تحت التنفيذ . ج — حل المشكلة الفلسطينية بوطن ما ، وهو مشروع الملك حسين . د — اجهاض الحالة النفسية النضالية للشعب الفلسطيني كنتيجة لكل ذلك او بمعنى اخر تصفية الارادة الشعبية الفلسطينية .

٨ — عشية اعلان الملك حسين لمشروعه : — أ — قال جوزيف سيسكو بان احتمالات السلام في الشرق الاوسط لا تزال بعيدة ولكن في استطاعة المرء ان يتوقع نوعا من التحرك فيما يتعلق بالاردن. ب — وقال روجرز : انه مطلع على تطورات الشرق الاوسط المتعلقة بالملك حسين . وقال : هناك تطورات فورية ستوضح القضية .

٩ — فور اعلان الملك حسين لمشروعه اعلن روجرز بان امريكا لم تفاجأ بالمشروع وانها ستقوم بتقديم رد موزون عليه في الوقت المناسب (قبيل او بعد رحلة نيكسون الى موسكو) .

١٠ — وقال المعلقون السياسيون الاسرائيليون في تل ابيب ان سيسكو — مساعد وزير الخارجية الاميركي — قام هو ايضا بدور اساسي في الاتصالات بين الاردن واسرائيل وفي بلورة الافكار التي اشتمل عليها مشروع الملك . واضافوا : ان هذا المشروع ، من اهدافه ، الضغط على مصر من اجل التوصل الى حل جزئي لفتح قناة السويس .

١١ — اما الدوائر الاميركية ، فقد وصفت مشروع الملك حسين بانه خطوة جريئة نحو السلام (الاميركي طبعا) وقالت رويتر ، ان الرسميين الاميركيين حرصوا كل الحرص على عدم التعليق على المشروع حتى لا تثور الشكوك حول الملك حسين .

١٢ — اما رونالد زيجلر ، المتحدث باسم البيت الابيض الاميركي ، فقد قال ان زيارة الملك حسين القادمة لواشنطن ستشمل محادثات مفصلة حول الخطوة التالية (لاعلان المشروع) .

١٣ — اما النيويورك تايمس الوثيقة الصلة بوزارة الخارجية الاميركية ، فقد قالت « ان مشروع الملك حسين يستحق بالتأكيد الاهتمام به باعتباره امكانية متاحة من اجل التوصل الى السلام في الشرق الاوسط . وقالت ايضا : ان الفلسطينيين بفضل مكانتهم في المملكة العربية المتحدة ، قد يحصلون على صوت قوي في مفاوضات السلام التي لا ترى اسرائيل انها ممكنة الا مع عمان فحسب » .

وقالت ايضا : « ان بعض الزعماء الفلسطينيين المتطرفين (الثورة الفلسطينية) استنكروا مشروع الملك حسين باعتباره مؤامرة تستهدف خنق حركة المقاومة وتصفية القضية الفلسطينية ، وهذه هي في الواقع اكبر ميزة في المشروع لانها تزيل العوائق التي اعترضت طريق السلام لمدة تزيد عن عشرين عاما » .

١٤ — من كل ما سبق ، ومما سيظهر تباعا من المواقف الاميركية والاسرائيلية والبريطانية يتضح تماما التخطيط الاميركي الاسرائيلي في مشروع الملك حسين واهداف هذا المشروع التآمرية لضرب واجهاض وقتل : — ١ — الارادة النضالية العربية من اجل التحرير . ٢ — ارادة الثورة الفلسطينية وارادة الشعب الفلسطيني النضالية المسلحة وتصفية القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني الامر الذي يفرض على كل مواطن ومسؤول رفض مشروع الملك حسين واحباطه ومواجهته بكل قوة.

ثالثا — موقف سلطات العدو الصهيوني

أ — قبل اعلان الملك لمشروعه باسبوع فصلت سلطة الاحتلال الصهيوني غزة عن قيادة شمال سيناء ، وألحقت بالضفة الغربية ، وفي هذا تمهيد للاشارة غير المباشرة التي وردت في مشروع الملك حسين عن غزة .

ب — بعد اعلان المشروع ، ظهرت ردود فعل اسرائيلية رسمية معارضة بعنف من حيث اللفظ ، وبليونة من حيث المضمون لمشروع حسين :

١ — فقد انصب اعتراض جولدا مائير مثلا على ان المشروع لا يمكن تنفيذه ، الا بموافقة (اسرائيل) وبمفاوضات مباشرة معها، وكجزء من خطة السلام. ٢ — اما رئيس لجنة الامن والشؤون الخارجية في الكنيست وعضو حزب المابام فقد اعترض على المشروع لانه ذكر القدس عاصمة للضفة الغربية ، وان لفظ الضفة الغربية اتى شاملا بينما العدو لن يتنازل عن كل اراضي الضفة الغربية . ٣ — اما يوري افنيري ، فقد قال انه يوافق على اي حل على اساس استفتاء الشعب الفلسطيني (انتخابات الضفة الغربية) وقال ايضا بان مشروع الملك حسين هو مشروع ايجال الون، وفي اليوم التالي نشر في صحيفته هاعولام هازيه خارطة توضيحية لمشروع الون . ٤ — اما ايجال الون نفسه ، فقد قدم مشروعه الى الكنيست لاخذ الموافقة عليه معلنا ان

هذا هو انسب وقت لتنفيذ مشروعه ، وبالتالي تتم موافقة العدو الصهيوني على مشروع الملك حسين تحت ستار الرفض التكتيكي الاسرائيلي كما حصل بالنسبة لمشروع روجرز تماما .

ج — فاذا ربطنا ذلك كله باللقاءات الاسرائيلية مع الملك حسين ، وبالموقف الامريكي وبالانتخابات البلدية في الضفة الغربية وموقف الملك حسين منها بعد المفاوضات التي تمت مع العدو الصهيوني بشأنها ، امكننا الوصول الى قناعة لا تقبل الشك بان مشروع الملك حسين هو مشروع اسرائيلي امريكي ينفذه الملك حسين لصالح الوجود الاسرائيلي والاستعمار الامريكي .

د — كما امكننا ان نقول ان ثمنا ما سيدفع الى الملك حسين قد يكون في اعادة فتح ملف مشروع مبتور للهلال الخصيب ، ولكن هذه المرة لصالح قصر الملك حسين في عمان بدلا من قصر الملك فيصل الثاني في بغداد ، خصوصا اذا اردنا ان نفهم سر الكرم الامريكي في تسليح جيش الملك حسين لدرجة ان مدى سلاح الدبابات (م ٦٠) التي سلح بها الجيش الاردني يفوق مدى سلاح الدبابات في العالم العربي وخاصة سوريا والعراق بنسبة ثلاثة اضعاف ، واذا اردنا ان نفهم ايضا المهام التي قام بها الملك عبد الله بضرب كل الحركات المضادة للاستعمار ، البريطاني في العراق والمحاولة التي قام بها الملك حسين لضرب سوريا بعد هزيمة حزيران ، آخذين بعين الاعتبار التطور الذي طرأ على اولويات مهام الجيش الاردني كما نشرته مجلة الجيش الامريكي نقلا عن قيادة الجيش الاردني العليا كما يلي : « قبل عام ١٩٦٧ كانت الاولويات هي اسرائيل (!) سوريا والعراق الامن الداخلي وبعد عام ١٩٦٧ حتى ايلول اصبحت الاولويات هي الامن الداخلي اسرائيل (!) سوريا والعراق ، بعد مذابح ايلول وجرش وعجلون اصبحت الاولويات هي سوريا والعراق ، الامن الداخلي ، اسرائيل (!)

رابعا — نتائج تنفيذ مشروع الملك حسين في المجال العربي .

ان نجاح مشروع الملك حسين ، او حتى عدم تراجع الملك حسين عن مشروعه سيؤدي الى النتائج التالية في المجال العربي :

١ — تشجيع بادرة الانفراد في القضايا القومية المصيرية .

٢ — ضرب الموقف العربي الموحد الذي هو اكثر ما يكون ضرورة للامة العربية في ظروفها الراهنة وهي تواجه الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية في معركة تقرير المصير العربي كله وذلك اذا ما وافقت بعض الدول العربية على مشروع الملك حسين .

٣ — ان قضية فلسطين شعبا ووطنا ، هي القضية المفجرة والموحدة للنضال العربي في صراعه مع الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي .

ان مشروع الملك حسين يهدف الى عزل هذه القضية عن المسرح العربي تمهيدا لاعطائها حقنة الموت وبذلك فان هذا المشروع اذا نجح ، يفرغ وحدة النضال العربي المتفجر من مضمونه الاساسي ، ويثبت الوجود الاسرائيلي في فلسطين ويحول العلاقة المصرية السورية بالوجود الاسرائيلي الى مشكلة حدود محلية تفقد حتى زخمها العالمي في معركة الصراع ضد الاستعمار العالمي ، وبذلك يكون مشروع الملك حسين اذا نجح قد حقق للاستعمار ما فشل في تحقيقه مشروع تمبلر وحلف بغداد ومشروع ايزنهاور ومشروع حلف شرق البحر المتوسط ، وغيره من المؤامرات الاستعمارية على الامة العربية .

٤ — ان عزل القضية الفلسطينية عن المسرح العربي ، مع ترسيخ الوجود الاسرائيلي وتسهيل امتداداته السرطانية في الامة العربية ، من خلال مشروع الملك حسين سيؤدي الى عزل مصر عن النضال العربي ، وفرض سياسات اقليمية متنافرة في الواقع العربي ، وبذلك يتم اجهاض المسيرة التحررية العربية في المرحلة الراهنة على الاقل ، آخذين بعين الاعتبار قيام العدو الصهيوني بمصادرة اراضي رفح لاقامة حزام امني مكمل لمشروع آلون يفصل به فلسطين عن سيناء .

٥ — ان نجاح هذا المشروع يعني بالضرورة انعزال مصر وسوريا والعراق عن الاردن بسبب الموقف الخائن للملك حسين وهذا يعني انهاء اي امل في شيء اسمه الجبهة الشرقية او التعاون العسكري العراقي السوري الاردني .

٦ — وهذا بدوره سيولد صراعا محليا عربيا يحول الجهد العربي عن المعركة الاساسية مع العدو الصهيوني ويفرض واقع الاستسلام العربي على

ارادة النضال والتحرر العربية .

٧ — ان الدول العربية الوطنية التي قبلت بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كانت تقرن موافقتها على هذا القرار بتمسكها بحقوق الشعب الفلسطيني في وطنه وبحقه في تقرير مصيره وبحقه في النضال المستمر حتى التحرير .

ان نجاح مشروع الملك حسين وعدم تصدي الدول العربية له سيؤدي بالطبع الى تخلي هذه الدول ايضا عن التزاماتها تجاه الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية الامر الذي يضع كل من يوافق على هذا المشروع في موقف الخيانة للشعب الفلسطيني والتآمر على حقوقه .

٨ — ان مشروع الملك حسين (اذا نجح) يمثل تنفيذا لمشروع ايجال آلون ، اي تنفيذ قرار مجلس الامن بالمفهوم الاسرائيلي ، اي الاستسلام للارادة الاسرائيلية في المنطقة ، اي خيانة الامة العربية، فضلا عن خيانة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

٩ — ومن هنا ، كان لا بد للدول العربية ان ترفض مشروع الملك حسين وتفرض عليه سحبه او تتخذ الاجراءات اللازمة ضده ، والا فان من يوافق على المشروع ، ومن لا يعمل لافشال المشروع ، يقف الى جانب حسين واسرائيل ضد مصالح الامة العربية والشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية.

١٠ — ان الملك حسين انما يستغل العجز العربي عندما قدم مشروعه ، وعندما يعمل الى انجاح هذا المشروع ، والموقف العربي مطالب باثبات العكس .

خامسا — نتائج تنفيذ المشروع في المجال الفلسطيني

اما نجاح مشروع الملك حسين ، او حتى عدم تراجعه عنه ، سيؤدي الى النتائج التالية بالنسبة للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

١ — ان الملك حسين يحاول بمشروعه تنظيم العلاقة الدستورية بين الشعب الفلسطيني والشعب الاردني في ظل عرشه ، وهو بذلك يقوم بحركة التفاف كبيرة ، حول حقيقة الصراع بين الشعب الفلسطيني والملك حسين ونظامه فيحوله من صراع حول حق الشعب الفلسطيني في النضال المسلح ضد العدو الصهيوني ، الى صراع بين فلسطيني واردني ، والى مناقشة في اوضاع دستورية ، بينما الواقع يتطلب العمل النضالي من اجل التحرير . وهذا يعني الهاء متقصود للشعب الفلسطيني عن قضيته ونضاله ، وتحويل انظاره الى شكل علاقات دستورية لا صلة لها بالمرحلة النضالية .

٢ — ان انشاء قطر فلسطيني له حكومة ، واخر اردني له حكومة ، ثم حكومة مركزية اردنية فلسطينية ، انما يهدف الى ان يشترك الفلسطينيون بشكل رسمي من خلال (حكومتهم !!) بالمفاوضات المباشرة او غير المباشرة مع العدو الصهيوني لتنفيذ قرار مجلس الامن او غيره من القرارات التي تهدف كلها الى الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلي في قضية فلسطين وهذا يعني : — أ — ان يشترك الفلسطينيون رسميا في خيانة وطنية ، يخطط لها الملك حسين ، ويخرج منها بريئا ، لان الفلسطينيين قد وافقوا على التسوية من خلال (حكومتهم !!) . ب — ان الوجود الصهيوني في اسرائيل ، يهدف بوضوح الى الحصول على سلم اسرائيلي مدعوم بشرعية الوجود والبقاء المعترف بهما عربيا وفلسطينيا ، والعدو الصهيوني يدرك ان الشرعية الحقيقية التي تمكنه من الوجود السلمي والبقاء السلمي ، هي الاعتراف الفلسطيني به ، وهذا الاعتراف الفلسطيني بشرعية الوجود والبقاء يتم وفق خطة الملك حسين عن طريق الحكومة المركزية الممثلة للحكومة القطرية الفلسطينية التي خطط لها مشروع الملك حسين .

٣ — ان نجاح هذا المشروع ، الذي يحتاج الى قتل الثورة الفلسطينية والموافقة العربية ، يفرغ كل النضال العربي والفلسطيني منذ عام ١٩٢٠ حتى الان منمضمونه ويحول كل الشهداء والضحايا والتضحيات البشرية والمادية التي بذلت لمحاربة الخطط الاستعمارية للمنطقة والوجود الصهيوني فيها الى كم مهمل ، وكأننا نقدم الضحايا لنمارس الخيانة .

٤ — كما ان نجاح هذا المشروع ، وبالتالي نجاح حسين والعدو الصهيوني في أخذ الاعتراف الفلسطيني بشرعية الوجود الصهيوني ، يفقد الشعب الفلسطيني باجياله الحاضرة واللاحقة حقها الدولي في النضال من اجل تحرير الوطن ، ويصبح مثل هذا النضال اعتداء على شرعية دولة صهيونية اخذت الاعتراف بها دوليا وعربيا ثم فلسطينيا ، اي سقوط الحق العربي الفلسطيني في فلسطين

بارادة فلسطينية واجهاض الثورة الفلسطينية بارادة عربية واداة فلسطينية .

٥ — ان انشاء حكومة قطرية فلسطينية ، هو في الحقيقة انشاء سلطة فلسطينية رسمية تقليدية عميلة في موقف مضاد لسلطة الشعب الفلسطيني الثورية الممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالتالي فان نجاح مشروع الملك حسين يؤدي الى : — أ — ازدواجية التمثيل الفلسطيني . ب — استمرار ممارسة الملك حسين تمثيله لابناء فلسطين في المجتمع الدولي وخيانتهم باسمهم . ج — خلق حالة تناقض بين وجود حكومة قطرية فلسطينية وبين كون (فلسطين) عضوا في جامعة الدول العربية من خلال منظمة التحرير وقرارات الجامعة العربية ومؤتمر القمة العربي الثاني الذي اعتبر منظمة التحرير هي الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني . ان بداية الصراع حول هذا الموضوع ، تعني بداية صراع فلسطيني عميق بضرب ابناء فلسطين بعضهم ببعض من خلال التسلط الملكي فيصرف بذلك ابناء فلسطين عن واجبهم الحقيقي في النضال ضد العدو الصهيوني .

٦ — ان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني امر اقرته : — أ — ارادة الشعب الفلسطيني ونضاله وضحاياه وشهداؤه . ب — قرار هيئة الامم المتحدة في دورتها عام ١٩٧٠ التي اقرت ايضا شرعية نضال هذا الشعب حتى يحقق حقوقه الوطنية . ج — قرارات الجامعة العربية وبروتوكولها الخاص بفلسطين . د — قرارات مؤتمر القمة الاسلامي ووزراء خارجيته وميثاق التضامن الاسلامي الذي ضم (٣٣) دولة . هـ — اعتراف عدد كبير من الدول الصديقة بمنظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني وفي طليعتها الصين .

٧ — ان مشروع الملك حسين هو عدوان صارخ على الشعب الفلسطيني وعلى حق هذا الشعب في تقرير مصيره ، لان تقرير المصير لا يتم بارادة ملكية سامية (!!) وانما يتم على الارض الفلسطينية المحررة التي يمارس عليها شعب فلسطين سيادته بحرية .

ومشروع الملك حسين بالتالي ، هو محاولة واضحة، لسحب الاعتراف الدولي والعربي وغير العربي من الثورة الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني ، هذا الاعتراف الذي حققه شعب فلسطين بنضاله وشهدائه وضحاياه .

٨ — ان مشروع الملك حسين اذا نجح ، سيحول القطر الفلسطيني الى جسر عبور اسرائيلي الى شرق الاردن ومنها الى العالم العربي في المجالات الاقتصادية والسياسية ، ومن هنا ، فان مشروع الملك حسين (اذا نجح) لا يضع الشعب الفلسطيني في موقع الخيانة مع نفسه فحسب ، وانما يجعله اداة لخيانة الامة العربية ، وهذا ما لا يمكن للشعب الفلسطيني ان يرضاه او يقبل به .

٩ — ان الملك حسين بمشروعه ، انما اراد ان يثبت انه المتحدث الرسمي باسم الشعب الفلسطيني باعتباره ملكا لما سمي بالمملكة العربية المتحدة ، التي تحكم بحكومة مركزية ، فيها حكومة اسمها حكومة القطر الفلسطيني .

ان هذا امر مرفوض ، فلا احد يتكلم باسم الشعب الفلسطيني الا قيادته الثورية .

١٠ — ان مشروع الملك حسين يؤدي الى اشتراك الشعب الفلسطيني في قرار مجلس الامن ، كما يؤدي الى استيطان الفلسطينيين في الاماكن المقيمين بها ، وبذلك يسهم الملك حسين في انجاح مشاريع الاستيطان التي ارادتها ويريدها العدو الصهيوني والاستعمار العالمي ، ولكن هذه المرة بمال فلسطيني وارادة فلسطينية .

١١ — ان مشروع الملك حسين يضع الملك حسين في موقع متقدم على (اسرائيل) والاستعمار الاميركي في خيانة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية ويعطي المبررات كلها لتحويل النضال ضد هذا الملك من خلال النضال ضد مشروعه ، في وقت يجب فيه تحويل كل البنادق العربية والفلسطينية الى العدو الصهيوني .

١٢ — ان مشروع الملك حسين ، اذ يعترف شكليا بالشعب الفلسطيني ، لكنه يصادر ارادة هذا الشعب من خلال مشروعه الذي نصب فيه من نفسه ملكا على الشعب الفلسطيني ، خصوصا عندما الح الى ان قطاع غزة سيكون جزءا من المشروع، وان حكومة القطر الفلسطيني ، هي حكومة الفلسطينيين في مشارق الارض ومغاربها .

١٣ — والملك حسين بمشروعه هذا ، ومصادرته

هذه الارادة الفلسطينية ، انما يقوم بحركة اجهاض والتفاف خائنة ، ضد الحق التاريخي للشعب الفلسطيني في وطنه وحقه الوطني في الاستمرار في النضال المسلح من اجل تحرير هذا الوطن .

١٤ — ان طرح الملك حسين لمشروعه في هذا الوقت هو بالاضافة الى الخيانة الكامنة فيه ، انما يهدف الى خلق بلبلة فلسطينية وعربية في مناقشة الموضوع من زاوية دستورية بدلا عن الزاوية النضالية ، مستهدفا بذلك تحويل التفكير الفلسطيني والعربي من دعم الثورة الفلسطينية والتفاعل معها الى جدل بيزنطي دستوري لا علاقة له بالمرحلة النضالية الراهنة .

سادسا — آثار المشروع على الوحدة الفلسطينية الاردنيـــة

لقد مـــارس الملك حسين عمليـــة شق الوحـــدة الفلسطينية الاردنية الجماهيرية (من خلال المذابح التي قام بها ضد الشعب الفلسطيني في الاردن) تحت شعار وحدة الشعبين .

لقد انشأ الملك حسين بمشروعه حكومة فلسطينية واخرى اردنية تحت شعار وحـــدة الشعبين ، في الوقت الذي كانت تهتف فيه الجماهير الفلسطينية المذبوحة في عمان ومخيمات اللاجئين حول عمـــان بهتاف شعب واحد لا شعبين تعبيرا عن ايمانهـــا الصادق بالوحـــدة الحقيقية ، وليـــس بالوحـــدة الانقسامية التي يريدها الملك حسين .

ان مشروع الملك حسين يكرس الانقسام بين الشعبين ويكرس الحقد والكـــراهية ويتناقض مـــع ارادة الجماهير الفلسطينية والاردنية التي تريد تنظيـــم علاقاتها مرحليا وفق الشكل التالي : —

١ — وحدة النضال الى ان يتم التحرير .

٢ — بعد التحرير يتم تحديد العلاقات الدستورية بين ابناء فلسطين وابناء شرقي الاردن وفق الاسس التالية : — أ — وحدة الضفتين على اساس وطني ديمقراطي . ب — عدم المساس بالحقوق الوطنية التاريخيـــة لشعب فلسطين في كـــامل التـــراب الفلسطيني . ج — عدم المساس بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين الخاصة بكفاحه المسلح حتى تحرير كل الوطن الفلسطيني . د — المساواة الحقيقيـــة في الحقوق والواجبات بين مواطني الضفة الشرقية والضفة الغربية على اساس حكم وطني ديمقراطي دستوري . هـ — ان يتم ذلـــك كله ومن خـــلال استفتاء جماهيري حر بمؤسسات ديمقراطية حرة .

من كل هذا نخلص الى أن مشروع الملك حسين ، مشروع تآمـــري تصفوي لا يستهـــدف الشعـــب الفلسطيني وحده ، وانما يستهدف الامة العربية وتطلعاتها فتكون (المملكة العربية المتحدة) قاعدة للاستعمار الاميركي وجسرا للصهيونية مع كـــل ما تمثله من عنصرية وتوسع ، وهذا يحتم على الامة العربية انظمة وجماهير ان تتصدى لهذا المشروع وان تنهي تآمر الملك حسين على الامة العربيـــة والشعب الفلسطيني .

اليوميات الفلسطينية

أول وأضخم وأدق سجل علمي شـــامل

للقضية الفلســـطينية

في تطوراتهـــا واحداثهـــا وأخبارها

مدة ست سنوات كاملة

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧٠/١٢/٣١)

اثنا عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عام

٦٣٠٠ صفحة من القطع الكبير

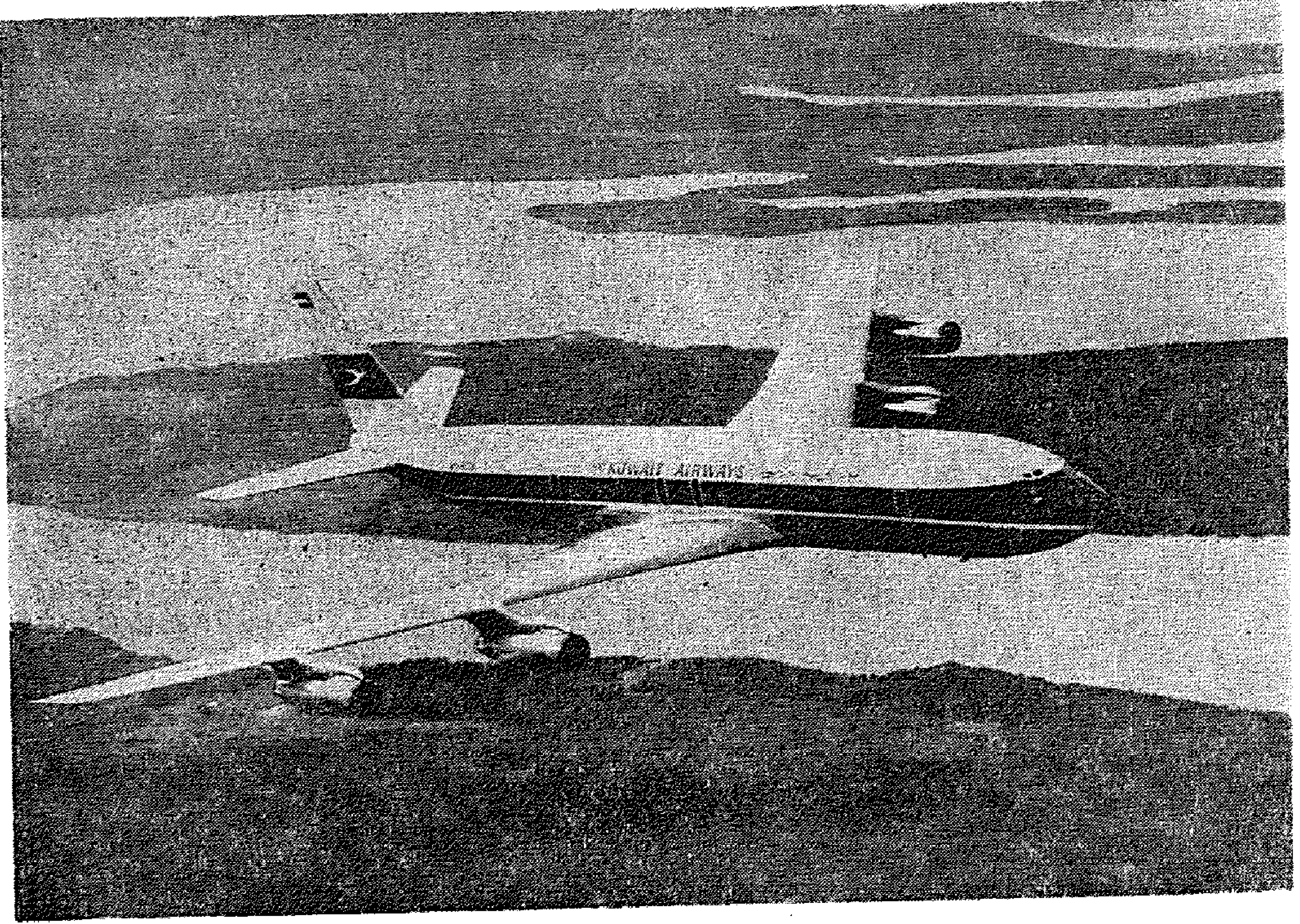
ســـعر المجموعة ١٣٠ ل.ل.

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث في م. ت. ف.

ص. ب ١٦٩١ بيروت ـــ لبنان

الخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالميّة تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة



مكاتب رئيسيّة في كل من :

الكويت — البحرين — الدوحة — دبي — الظهران — عدن — عمان — دمشق — بيروت — القاهـرة طهران — عبدان — اثينـا — جنيف — فرانكفورت — باريس — رومـا — لنـدن — نيويورك — هيوستون شيكاغو — ديترويت — تورونتو .

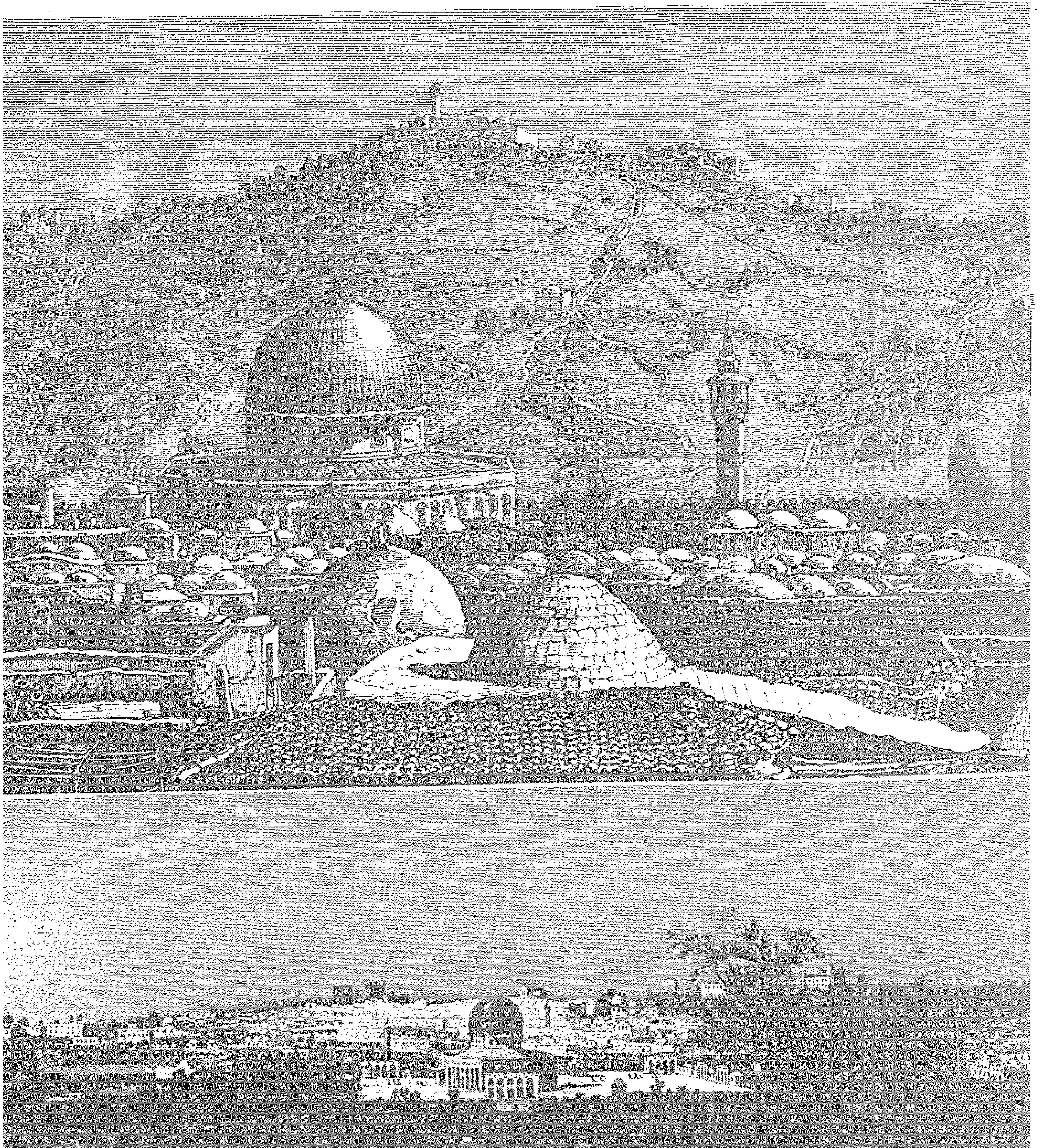
مطبعة الغريب
بيروت

السعر ٢١/٢ ل.ل. في الوطن العربي او ما يعادلها

شؤون فلسطينية

٩

ايار (مايو) ١٩٧٢



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٩ — ايار (مايو) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢/١ ٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورتا الغلاف : الاولى جبل الزيتون من القدس والثانية القدس من جبل الزيتون — القرن التاسع عشر .

المحتويات

١٦٨ **تقارير** : الولايات المتحدة : لماذا تستفيد المصالح الامريكية من استمرار اغلاق القناة ؟ طالب يونس [دارس للدكتوراه في بريطانيه] . الامم المتحدة : اصدقاء العرب والفلسطينيين : مسح لعمليات التصويت في الامم المتحدة ١٩٦٧ — ١٩٧١ ، ج. هـ. جنسن . فنلندا : هيلما جرانكفيست والفولكلور الفلسطيني ، نمر سرحان [الباحث في الفولكلور الفلسطيني]. الدانمرك : دراسة في تجربة اعلامية ، غسان كنفاني [رئيس تحرير صحيفة الهدف] . بريطانيه : صندوق الاستكشافات الفلسطينية ، محمود وادي المراش [دارس للدكتوراه في بريطانيه] . الارض المحتلة : عرض وتحليل للميزانية الاسرائيلية الجديدة ، الدكتور يوسف شبل [المستشار الاقتصادي لمركز الابحاث ، والاستاذ في الجامعة الاميركية في بيروت] . تقرير خاص : المؤتمر الشعبي الفلسطيني في القاهرة ، الدكتور نبيل شعث [مدير عام مركز التخطيط في م. ت. ف.] .

٢١٦ **رسائل** : رسالة من واشنطن : حديث مع الدكتور اسرائيل شهاق . رسالة من لندن : زيارة بيغن صورة من التناقضات الاسرائيلية ، خالد القشطيني [باحث عربي في لندن] . رسالة من أمستردام : خواطر اعلامية ، عقيل هاشم [مدير القسم العربي في الاذاعة الهولندية] . رسالة من لايبزيغ : ماذا قدمت السينما العربية للقضية الفلسطينية ؟ قاسم حول [مخرج سينمائي فلسطيني] . رسالة من بيروت : اقتراح باعادة طبع كتاب ، ثريا انطونيوس [كاتبة واعلامية فلسطينية] . رسالة من ايطاليا : حول المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الايطالي ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . رسالة من دمشق : مهرجان دمشق الاول لسينما الشباب ، هاني حوراني [فنان وناقد أردني] .

٢٣٦ **شهريات : مشروع الملك حسين** : (١) مقدمة ، ناجي علوش . (٢) الاتصالات الاردنية الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ ، عبدالله الصفدي . (٣) المقاومة الفلسطينية والرد على مشروع الملك حسين ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . (٤) ردود الفعل العربية ، ناجي علوش . (٥) مشروع الملك حسين دوليا ، صادق جلال العظم . (٦) رد الفعل الاسرائيلي لمشروع الملك حسين ، احمد خليفة [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . (٧) رد فعل المناطق المحتلة لمشروع الملك حسين ، عبدالحفيظ محارب [الباحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

تبدأ « شؤون فلسطينية » في عددها التاسع هذا تقليدا جديدا ، بان ترفق بالعدد ، لمن شاء ، ملحقا شبه مستقل في موضوع معين . ذلك ان ازدحام المعالجات في العدد الواحد ، وضرورة التقيد بحد معقول من الصفحات ، فرض علينا ان نسعى نحو حل يوفق بين هذين المؤثرين المتناقضين . وقد وجدنا المخرج في فكرة الملحق لبعض الاعداد . فان الملحق يتيح للمواد الطويلة ، والتي مضى عليها وقت وهي بانتظار مجال النشر ، ان تعثر على سبيلها الى القارىء ، دون ان يضطرنا ذلك الى كسر الاعتبارات الفنية والادارية والطباعية والمالية التي تفرض على المجلة الانحباس ضمن حجمها الحالي. وحتى لا يكون الملحق عبئا ماليا ضخما سوف نجعل للملحق سعرا معقولا ليغطي بعض نفقات طباعته .

ونحن نأمل ان تجد فكرة الملحق تجاوبا مع القراء ، واذا حصل ذلك وطلب مشتركو « شؤون فلسطينية » وقراؤها الملحق فاننا سنمضي بهذه التجربة في اعداد مقبلة . هذا وسوف يكون الملحق متوافرا مع باعة المجلة . وبالامكان ايضا طلبه من ادارة شؤون فلسطينية (قسم التوزيع) . ويضاف الى الثمن (وهو ليرة لبنانية واحدة او ما يعادلها) اجرة البريد ، العادي او الجوي ، حسب طلب المشتري .

وملحق العدد التاسع ، الحالي ، خاص بموضوع مخطط المنظمات الفدائية الفلسطينية في مواجهة احداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وكان الاخ بلال الحسن قد كتب دراسة في الموضوع في الصيف الماضي . وفي الخريف لبى الاخوان منير شفيق وعدنان بدر (من فتح والجبهة الشعبية ، على التوالي) طلب « شؤون فلسطينية » وردا على الدراسة . ومنذ شهرين جاءنا رد ثالث من عادل امين (من الجبهة الديمقراطية) و « شؤون فلسطينية » ، بطبيعة الحال ، لا تلزم نفسها باي من الافكار والاحكام الواردة في هذه المقالات ، وهي انما تنشرها لتتيح المجال امام المفكرين والمثقفين الفلسطينيين ، والعرب عموما ، ليتناقشوا على صفحاتها في الامور المثيرة للنقاش بهدوء وبرحابة صدر .

● ورد خطأ مطبعي غير مقصود في عنوان مقال الدكتور منذر عنبتاوي في العدد الماضي، الثامن ، من شؤون فلسطينية . اذ يجب ان يقرأ العنوان هكذا :

بمناسبة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية :

اسرائيل ودبلوماسية « البنج بونج » .

وشؤون فلسطينية تعتذر عن خطأها المطبعي من صاحب المقال ومن القراء .

الابعاد الاميركية ـ الاسرائيلية لمشروع الملك حسين وكيفية احباطه

الدكتور كلوفيس مقصود

ليس مشروع الملك حسين الا الحلقة الاخيرة ، في هذه المرحلة ، من المخطط الاميركي ـ الاسرائيلي لقفل القضية الفلسطينية . وبالتالي فان العمل لاحباط هذا المشروع لا بد وان يتوجه الى السبل الكفيلة بابقاء القضية الفلسطينية مفتوحة . وسنحاول في هذه المقالة تحليل ما تقدم .

نستطيع ان نؤكد ، استنادا الى عدة وثائق تمكنا من الاطلاع عليها ، بأن مشروع الملك حسين الذي يشكل نقطة تحول في مسيرة القضية الفلسطينية قد أعد في مركز الابحاث والدراسات التابع لمجلس الامن القومي في البيت الابيض . وضعت هذه الوثائق الاميركية مجموعة من البدائل والاحتمالات التي يرى المسؤولون الاميركيون انها تخدم الاطار العام لالتزام الولايات المتحدة لا بامن اسرائيل وبكيانها فحسب ، بل وبخدمة اهداف اسرائيل في المنطقة ، وهي الاهداف التي تتجاوز اطار الكيان الحالي للدولة الصهيونية . فالصهيونية لا تسعى الى ايجاد دولة يهودية فقط ، انما تسعى لايجاد دولة يهودية تضم يهود العالم على ان يتحقق هذا الهدف على مراحل . وهكذا فان محور السياسة الاميركية تجاه اسرائيل يقوم على تمكين اسرائيل من القدرة على التحرك المستمر باتجاه تنفيذ وانجاز هذا المخطط الصهيوني شريطة ان لا ينطوي هذا التحرك على استفزاز او استعداء معادلات دولية قائمة . وبالتالي فان ما يبدو ، بين حين وآخر ، على انه تناقض بين السياسة الاميركية في الشرق الاوسط والسياسة الاسرائيلية ، هو في الحقيقة ليس تباينا في الاساس او في الجوهر ، وانما هو تباين مقصود في الشكل يهدف الى تمكين الولايات المتحدة من اتخاذ مواقف مرنة حيث لا يمكن لاسرائيل ان تكون مرنة بالنظر الى فقدان الاتصال بينها وبين العرب بينما هذا الاتصال قائم ، بنسب متفاوتة ، بين الولايات المتحدة والانظمة العربية .

ان ما يدفع الولايات المتحدة الى توظيف قدراتها لخدمة اهداف اسرائيل الحالية والبعيدة المدى ، هو ادراكها بان ذلك يؤمن للولايات المتحدة ثقلا استراتيجيا حيث ان الهدف الاستراتيجي الاميركي في منطقة الشرق الاوسط يقوم على ايجاد محور استقرار في المنطقة يتمثل في الدور الذي تقوم به كل من اسرائيل وايران . وبالتالي فان الاستراتيجية الاميركية في المنطقة ترمي الى تقوية هذه المعادلة الايرانية ـ الاسرائيلية مع احاطتها بأكبر قدر من الغموض لان وضوحها بشكل سافر يلغي اي بعد عربي لهذا المحور مما يسهل على القوى التحررية والثورية خاصة في شبه الجزيرة العربية امكانية الانقضاض على الانظمة القائمة . وقد خصصنا منطقة الجزيرة بالنظر الى تواجد المصالح الاستثمارية الاميركية البترولية الكثيفة فيها مما يجعلها احدى

الاهتمامات الاميركية البارزة ويدخلها في المحور الثنائي دون ان تكون شكلا قائما فيه بحجة ان هذا المحور يهدف الى خدمة المصالح القائمة جميعا بالاضافة الى خدمة اسرائيل والمحور الايراني ــ الاسرائيلي . وحتى تتمكن الولايات المتحدة من تثبيت ركائز هذا المحور الايراني ــ الاسرائيلي الذي يخدم المصالح الاميركية الاستثمارية الاقتصادية ، فانها تسعى الى عزل مصر ، باعتبارها مركز الثقل العربي ، عن ارادة التفاعل العربي العام . وهذا يؤدي الى افراغ الوجود العربي من اداته الضاربة الجديدة .

على ضوء هذه الاهداف الاستراتيجية للمخطط الامبريالي الاميركي في المنطقة ، كان لا بد لاجهزة الابحاث والدراسات في مجلس الامن القومي الاميركي من التوجه لمعالجة المشكلة التي تستقطب على اهتمامات العرب والتزاماتهم ، اي المشكلة الفلسطينية . وكان من اول اهداف هذه الدراسات تحويل قضية التحرير الفلسطينية من كونها قضية تستحوذ على هموم العرب الاساسية وعلى حركيتهم التاريخية والموضوعية والثورية ، الى جعلها مجرد مشكلة عالقة ، اي تقليص قضية فلسطين من كونها قضية الى مجرد مشكلة . ومن اجل تحقيق هذا الهدف ، قامت اجهزة البحوث الاميركية المشار اليها بتجاوز وزارة الخارجية الاميركية لاعتقادها بان وزارة الخارجية باتت متأثرة الى حد كبير بمستوى ومصير العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة ومختلف دول المنطقة وبالتالي فانها اصبحت عاجزة عن استيعاب المعادلات الاستراتيجية المستجدة في العالم فتحولت من كونها مخططة للسياسة العامة الى مجرد اداة منفذة لبعض معالم هذه السياسة . وحتى يتمكن مجلس الامن القومي التابع لرئاسة الجمهورية من وضع صيغة للاستراتيجية الاميركية في العالم وفي الشرق الاوسط بالذات ، لجأ الى تكليف عدد من اساتذة الجامعات الاميركية والباحثين باعداد دراسات مستفيضة والقيام باتصالات مكثفة مع العاملين والمهتمين بالشؤون العربية والاسرائيلية وخاصة مع بعض الشخصيات الفلسطينية . وهكذا تدفقت بعثات التقصي عن الحقائق والتي تظاهرت بانها ذات مهمات اكاديمية بحتة كبعثة البروفسور فيشر من هارفارد وجدعون جوتلوب من كولومبيا وغيرهم ... ولكن ما ان كان هؤلاء يعودون الى بلادهم حتى ينتهجوا اسلوبا جديدا في معالجة المعلومات التي تمكنوا من جمعها والانطباعات التي تكونت لديهم عبر الاتصالات التي أجروها . وكانوا بعد ذلك يعمدون الى تقديم المعلومات الى مجلس الامن القومي والى هنري كيسنغر بالذات الذي تربطه بالعديد من هؤلاء الاساتذة علاقات الزمالة السابقة . وعلى ضوء توجيهات كيسنغر ومجلس الامن القومي ، كانت هذه المعلومات توضع في عقل الكتروني ، ثم يقوم واضعوها بصياغة عدة بدائل وخيارات ضمن اطار الاهداف الاميركية الاستراتيجية الثابتة والمرحلية ، ويدرسون بعد ذلك احتمالات تنفيذ البدائل المتعددة وامكانيات قبولها من مختلف الاطراف .

وتحاول هذه الدراسات ان تبدو موضوعية لكنها في الحقيقة تأخذ مصلحة اسرائيل بشكل اساسي ، اما حقوق الشعب الفلسطيني فتؤخذ بصورة شكلية اذ ليس في هذه البدائل بديل واحد يسلم بقدرة الشعب الفلسطيني على مواصلة التزامه بالتحرير ، انما التركيز فيها محصور على كيفية تركيب الادارة الفلسطينية التي ستدير شؤون الفلسطينيين . وهكذا ، وبعد اسقاط الصيغة الثورية واسقاط احتمالات التحرير ، لا يبقى من البدائل بالنسبة للفلسطينيين غير حقهم في ادارة شؤونهم وليس في تقرير مصيرهم . اذا فان التوجه الاساسي عند هذه المجموعات الدراسية هو في تقليص القضية الى مشكلة مما سيحتم ايجاد وضع تتحول فيه ارادة الفلسطينيين وطموحهم من النضال من اجل تقرير المصير الى السعي من اجل ادارة شؤونهم ، واذا ما تم

مثل هذا التحول وتمكنت السياسة الاميركية ، بشتى انواع الضغط والقهر والقمع والاقناع ، من حرف قطاع هام من الفلسطينيين عن توجههم نحو التحرير الى توجه نحو الادارة ، عندئذ تكون الاستراتيجية الاميركية واستراتيجية المحور الاميركي — الاسرائيلي قد حققتا المرحلة الاولى الاساسية من تصفية القضية الفلسطينية اذ انه لا يفترض في المرحلة الاولى من تنفيذ خطة التصفية ، تصفية المقاومة الفلسطينية بشكل نهائي بل المطلوب في هذه المرحلة قصم ظهر المقاومة تمهيدا لعملية افنائها او تذويبها . لذلك فان التخطيط الاميركي ايد ودعم مجازر ايلول وما بعد ايلول ١٩٧٠ ومجازر تموز ١٩٧١ لان هذه المجازر تساعد على قصم ظهر المقاومة وذوبانها بدل اللجوء الى الافناء الكامل لكن بضمان النتائج ذاتها ودون استفزاز بعض المشاعر عند المحافظين العرب الذين قد يحسون بنوع من الاحراج قد يؤجل استعدادهم لتنفيذ الاجزاء الاخرى من المخطط الاميركي . لقد كان هدف مجازر ايلول وتموز التمهيد للخطة من حيث جعل المقاومة طرفا من الاطراف الفلسطينية وليس قيادة للشعب الفلسطيني . واذا ما حصل ذلك يسهل على الاستراتيجية الاميركية احتواءها وتطويقها والانقضاض عليها . ان تحويل المقاومة الى طرف من الاطراف الفلسطينية ، يضع على المستوى ذاته طموح الشعب الفلسطيني لتقرير مصيره وتحرير وطنه ورغبة البورجوازية الفلسطينية الكبيرة في استقرار معجل ومتسرع ، ويؤدي بالتالي الى انقسام الصف الفلسطيني بدلا من تكثيف الوحدة العضوية التي تضمن للشعب الفلسطيني ان يكون طليعة الاصطدام مع الامبريالية واسرائيل .

يلازم هذه الاستراتيجية الاميركية على المستوى الفلسطيني ، تخطيط اميركي على مستوى عربي بهدف ايجاد بدائل عربية تنطوي على جعل الشعب الفلسطيني طرفا من الاطراف العربية وليس طليعة ثورية مرتبطة ارتباطا عضويا بباقي الشعوب العربية . وقد اعدت هذه البدائل بموازاة البدائل الفلسطينية السابقة ومن قبل مجموعة الدراسات المؤلفة من مستشرقين وعلماء اجتماع وعلماء سياسة . وكلف بعض هؤلاء بتوجيه حرب نفسية داخل البلاد العربية خاصة تلك التي تتواجد فيها قطاعات فلسطينية كبيرة كالاردن وسوريا ولبنان . وتقوم اجهزة الحرب النفسية بغرس وترويج المفارقات والتباينات بين الفلسطينيين من جهة وكل من اللبنانيين والسوريين والاردنيين والشعوب العربية الاخرى كل على حدة . هنا تتوقع الدوائر الاميركية ان ينشأ وضع سياسي هام يجعل الشعب الفلسطيني يحصر اهتمامه بحماية ذاته بدل التصدي للتحدي الاساسي لوجوده ، وان يصب اهتمامه ليس باتجاه عدوه الاساسي ، بل باتجاه الفئات التي كان من المفروض ان تكون مصدر تصاعد قوته وتنشيط مقاومته وثورته . وهكذا فان للحرب النفسية الاميركية هدفين : جعل المقاومة الفلسطينية طرفا من الاطراف الفلسطينية ، وجعل الفلسطينيين طرفا من الاطراف العربية . واذا ما تم لهذه المخططات النجاح كما حصل في الاردن خاصة والى حد اقل في غيره من الدول العربية ، فان اجهزة الحرب النفسية الاميركية تسعى لضمان استمرار مثل هذا الانسلاخ بواسطة اشاعة المفاهيم الاقليمية المحضة للحيلولة دون استنفار المشاعر القومية العربية ، ولافراغ هذه المشاعر من اية فعالية او تأثير اذا ما استنفرت وحتى يتسنى لمخططات البلقنة العنصرية والكيانية في المنطقة العربية ان تدوم ، تقوم اجهزة الحرب النفسية التابعة لادوات التنفيذ الاستراتيجية الاميركية باشاعة جو من القمع والارهاب السياسي والفكري والبوليسي ضد القوى التحررية والتقدمية والاشتراكية والشيوعية وغيرها من القوى الصامدة والتي تمتلك قدرة فعلية او محتملة لاحباط مثل هذه المخططات الاستراتيجية التي تحاول بشتى الوسائل المباشرة او غير المباشرة النفاذ الى صميم الوجود العربي واصابته في المقتل . من هنا

قامت في المنطقة العربية عدة مجابهات كانت تبدو في ظاهرها وكأنها معالجات داخلية بين قوى يمينيةوقوى وطنية ويسارية لكنها في حقيقتها مؤشرات الى ان المخطط الاميركي الاسرائيلي في المنطقة بدأ ينفذ برامجه من خلال عملية الاستشراس اليميني في المنطقة. ولم تكن عمليات القمع في السودان وعمليات الارهاب ضد اليسار الفكري والمتمثل بأكثر اخراجاته لباقة اي مشروع قانون تنظيم الاحزاب اللبنانية ، وبتصفيات اكثر شراسة ضد اليساريين في مناطق اخرى . من شأن كل هذا ان يؤدي الى تجميد فعالية القوى الوطنية غير العقائدية في المنطقة ودفعها الى ان ترمي بثقلها في مواجهة اليسار والثورة . اي ان ذلك سيؤدي الى افتعال مواجهات سابقة لاوانها بين قوى اليسار والقوى التي لها رصيد وطني ولكنها رضخت لمنطق القوى دون ان تكون هي نفسها مستعدة لاستعمال منطق القوة القمعية في المنطقة . ان الهدف السياسي الاستراتيجي من ايجاد شق او شرخ بين القوى الوطنية العامة وقوى اليسار ، هو احكام فكي الكماشة حول اليسار حتى يبقى معزولا اثناء صدامه مع اليمين الشرس عن دوائر الوجدان الوطني في المنطقة العربية ، لان هذه الدوائر الوجدانية القومية والوطنية في كل البلاد العربية كانت ولا تزال تمثل الى حد كبير سياجا جماهيريا وتنظيميا لهذه الفئات المتقدمة في ثوريتها وفي ارادتها للتغيير الجذري في المنطقة .

يتضح من هذه الخلفية ان الاستراتيجية الاميركية في المنطقة تستهدف قفلا نهائيا للقضية الفلسطينية لان استمرار قضية فلسطين من شأنه ان يعرقل كل اهداف الامبريالية الاميركية في المنطقة لان بقاء القضية يعني بقاءها بؤرة استقطاب للاحتمالات والطاقات الثورية والتغييرية في المنطقة ككل . من هنا جاء مشروع الملك حسين كأحد البدائل الاميركية لانهاء القضية الفلسطينية انما برداء ملكي هاشمي . كان حسين في البداية غائبا او شبه غائب عن البدائل التي طرحت والتي كانت تتصور ان دور الملك حسين يجب ان لا يؤخذ بعين الاعتبار حتى لو ظل في الحكم ، وبالتالي فقد كان بعض المجموعات الدراسية الاميركية يعتقد بأن حل القضية الفلسطينية بدون الملك حسين قد يسهل تسويق الصيغة الاميركية لدى قطاعات فلسطينية اضافية . من هنا نبتت فكرة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة . وبالمقابل ، فقد كانت هناك مجموعات تابعة للمخابرات المركزية تقول انه لا يمكن للاستراتيجية الاميركية ان تعطي انطباعا بأنها تتخلى عن حلفائها وعملائها الضالعين في علاقاتهم مع اجهزة تنفيذ الاستراتيجية الاميركية في المنطقة كما حدث في جنوب شرقي آسيا حين تخلت الولايات المتحدة عن بعض عملائها لتنفيذ مشروعات تهمها . وهكذا فقد كانت هذه المجموعات « الدراسية » تؤمن بان لا بد لاي مشروع تصفوي من ان يكون غامضا ومضللا ريثما يترسخ . وبالتالي فان النقاش بين هذه المجموعات حول الملك حسين يستهدف حل مشكلة امام مجلس الامن القومي الاميركي تتحدد فيما اذا كان الملك سيعتمد كاداة لتنفيذ المخطط الاميركي ، ام انه سيكون عبئا عليه لانه فقد تأثيره لدى العرب والفلسطينيين ، ام ان المخططات الاميركية ستحاول فرز قيادات بديلة للملك حسين تتولى مهمة الاستمرار في هذه المخططات وتكون قادرة على الانتقال بالمشكلة الفلسطينية الى حيز التصفية الواقعية دون ان يتولد لديها شعور بانها تقوم بالفعل بعملية تصفية. وقد أدى هذا المنحى الاخير في التفكير الاميركي بمؤيدي الملك حسين في الادارة الاميركية الى التلويح له بخطر بروز قيادات جديدة وبالتالي بضرورة اتخاذه لمبادرات فورية يتمكن بواسطتها من تثبيت مواقعه واظهار ان ليس هناك من قوى قادرة على ان تتحداه وتتحدى اهليته في المحاورة باسم الاردن وباسم الشعب الفلسطيني . وعلى ضوء هذا الاتجاه ، فقد كان مطلوبا من الملك حسين قبل ايلول أن يعمد الى ضرب المقاومة الفلسطينية واجهاض طاقاتها السياسية والنضالية حتى يضمن السيطرة الكاملة على

السلطة بحيث لا يعود للعامل الفلسطيني اي شأن في الميزان الاميركي . ولما احس الملك حسين بأن مركزه مهدد بسبب البديل الذي طرحته بعض المجموعات من الباحثين الاميركيين والقاضي باقامة دولة فلسطينية ، اقــدم على الاسراع في عملية تصفيــة المقاومة الفلسطينية حتى يقطع الطريق على اي حل واقعي يضعه مخططو الاستراتيجية الاميركية يبت بمصير الاردن وفلسطين ويتخطى الملك حسين . وهكذا اعطي الملــك حسين ، في الواقع ، فرصة يثبت فيها كفاءته وفعالية سلطته في تنفيذ وتمرير المشاريع التصفوية دون اية معارضة فلسطينيــة ذات اسنان . مــن هنا كان تصميمــه على الانقضاض الشرس في ايلول ۱۹۷۰ على المقاومة الفلسطينية وعلى مخيمات النازحين الفلسطينيــين .

لكن شراسة الملك حسين ولجوءه الــى القمــع العنيف ، اثــار وجــدان العــرب وحرك الانظمة العربية ، حتى الاكثر ترددا منها ، لتقوم بحملة ضد الملك تدين سلوكه وتعزله سياسيا ودبلوماسيا عن باقي الاقطار العربية . كان هذا الموقف العربي بادانة حسين مدخلا آخر للجماعات الاميركية الداعية لاقامة دولة فلسطينية لان تقول بان ضرب المقاومة بالشكل الذي ضربت فيه بالاردن يزيد من قناعتها بأن الملك حسين عبء على المخطط الاميركي بالنظر الى العزلة التي فرضتها عليه الانظمة العربية ناهيك عن الشعوب العربية . لكن نفوذ هذه الجماعات قد تضاءل بعد ايلــول ۱۹۷۰ ، وبعد التهديد الاميركي الاسرائيلي السافر للتدخل لحماية عرش حسين ، وقوي بالمقابل نفوذ المجموعات التي كانت تقول بضرورة تصفية القضية الفلسطينية على يد الملك حسين باعتباره اداة موثوقا بها فقد اثبتت مجزرة ايلول ان الملك قادر على تنفيــذ المشاريع الاميركية دون وجود اية معارضة ذات اسنان خاصة وان الادانة العربية الجماعية لم تصعد الى حد فرض عقوبات من قبل الانظمة العربية على السلطة الاردنية مما جعل هذه السلطة قادرة على استرجاع نفسها وضمان ديمومة وجودها في الساحة العربية رغم تطويقها بالادانات . وهكذا فان الادانة دون العقوبة ، رجحت الراي الاميركي القائل بأن الملك حسين يجب ان يبقى اداة التنفيذ الرئيسية في المخططات التصفوية للقضية الفلسطينية . هذا الترجيح لا يعني الغاء الصياغات التي تقدم بها اولئك الذين يقولون بان قيام دولة للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة ضمانة اكبر للتصفية النهائية مما لو تمت التصفية على يد الملك. لكن الاعتبارات الاستراتيجية الاخرى على مستوى المنطقة ككل بالاضافة الى ان التقييم الاميركي لنجاح الملك حسين في التمهيد للتصفية ، اي نجاحه من ايلول ۱۹۷۰ حتى تموز ۱۹۷۱ في ضرب المقاومة الفلسطينية ،قد كان لصالح الملك . ومع ذلك فقد استمر النقاش بين هاتين المدرستين ، مدرسة الدولة الفلسطينية ، ومدرسة بقاء الملك حسين ،بهدف الوصول الى قرار حول أيهما أجدى لتنفيذ التصفية وايجاد الوضع الملائم الكفيل بديمومة التصفية . وقد وجه النقاش فيما بعد بحيث يبقى الملك حسين مع الاخذ بعين الاعتبار بعض الملامح والبدائل التي تطرحها صيغة الــدولة الفلسطينية . وهكذا كانت محصلة تفاعل هذه التيارات المختلفة شكلا والمتفقة جوهرا ، هي مشروع المملكة العربية المتحدة التي يفترض ان تقوم على اساس فدرالي ، اي وجود اقليمين تحت سلطة هاشمية واحدة .

يقر مشروع المملكة المتحدة بوجود شخصية فلسطينية داخل اطار القطر الفلسطيني . وهو بذلك يقبل ببعض ما جاء في مقترح الدولة الفلسطينية مع تسليم السلطة للملــك حسين . وبذلك فان المشروع يعطي الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة معادلة لادارة شؤونهم لكنه في الوقت ذاتــه يسلم الملك حسين والجهاز الحــاكم في الاردن مقدرات التقرير الاساسية لمصير الفلسطينيين والاردنيين . وبالتالي فانه يحقق ، في حال مروره ، الاهداف المرحلية للمحور الاميركي الاسرائيلي المتمثلــة بتفريغ الشعب

الفلسطيني من واقعه المتسيس والمناضل وتحـويل اهتماماته الاساسيـة الى ادارة شؤونه المحلية وتثبيت عناصر استقرار لقطاعات معينة منه ، وتفريغ هذا الاقليـم الفلسطيني المقترح من اي احتمال من ان يتحول مستقبلا الى مجتمع التأهب من خلال جعله منطقة مجردة من السلاح وعزل فلسطين والفلسطينيين نهائيا عن تفاعلهم التلقائي وتلاحمهم القومي والمصيري مع الشعـوب العربية بواسطة العازل او الحائـل الهاشمي . وهكذا يكون مشروع الملك منطويا على كل العناصر التي من شأنها ان لا تصفي القضية الفلسطينية فحسب بل ان تمهد ماديا لتمكين الحـركة الصهيونيـة من الانتقال من مرحلة الاعتراف بحقها في الوجود والتحرك الامين من خلال التوسع الجزئي، الى مرحلة التوسع دون اللجوء الى القوة العسكرية وذلك تحت مظلة الشرعية التي يمنحها اياها مشروع الملك . ولعل هذا ما يميز المشروع عن مشاريع التقسيم والدولة الفلسطينية وحتى عن قرار مجلس الامن ٢٤٢ لانه يتميز بالغاء احتمالات الرفـض العربي لا لكيان اسرائيل ووجودها فقط بل ايضا لهيمنتها واحتمالات توسعها . وبهذا المضمار فان مشروع الملك حسين يشكل خطوة تنازلية اكثر بكثير من مشروع التسوية السلمية التي اقرها مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ اذ ان مشروع مجلس الامن اراد انتزاع موافقة عربية على وجود اسرائيل داخل الحدود التي كانت قائمة قبل العدوان ، بينما لا يعترف مشروع الملـك بهذه الدولة وبهذه الحدود فقط ، انما يشكل اعترافا مسبقا بمشروعية المد الصهيوني داخل الاراضي العربية ويقر مشاريع التهويد المحددة داخل الاراضي الفلسطينية الباقية . لذلك يمكن التقرير بان مشروع الملك هو ، من هذه الزاوية ، اخطر من مجرد قيام دولـة اسرائيل لان قيام دولـة اسرائيل افترض استمرارية ونمو الرفض العربي للصهيونية ، وهو اخطر من مشروع التسوية السلمية بموجب قرار مجلس الامـن من حيث انه لا يقر او يعترف بدولـة اسرائيل المحددة بحدود حزيران ١٩٦٧ ، بل ويعترف بالمد الاستراتيجي ثم البشـري للصهيونية في العالم العربي . وهكذا يتضح من جديد ان هذا التسلسل من المخططات الاميركية ومن مخططات المحور الاسرائيلي الاميركي ، يسعى الى قفل نهائي للقضية الفلسطينية . وهذا ما يسعى مشروع الملك لتحقيقه وهذا ما يميزه عـن قرار مجلس الامن من حيث الدرجة وليس النوعية . ان مشروع قرار مجلس الامـن هو ايضا مشروع لقفل نهائي للقضيـة الفلسطينية ، اما مشروع الملك فلا يكتفي بذلك بل هـو طموح متقدم للمخطط الاميركي الاسرائيلي من حيث انه يفتح امام اسرائيل الهيمنـة والتوسع دون ان يكون للعرب ازاءها اي مجال للرفض ودون ان يكون بالامكان القول بان هذا التوسع هو عمل عدواني . اذا ، فان هناك فروقات اساسية بين قرار مجلس الامن ومشروع الملك لكنهما يصبان في المفتاح الذي من شأنه القفل النهائي للقضيـة الفلسطينية . لكن الفروقات تبقى مهمة بالنسبة الى جميع الملتزمين بقضية التحرير ، وهي ان التسوية بموجب مشروع الملك حسين يجب ان تعالج على انها تسوية متقدمة على التسوية بموجب قرار مجلس الامن رغم ان كلا المشروعين يؤديان في نهاية الامر الى قفل القضية الفلسطينية . لكن التباين بين قرار مجلس الامن ومشروع الملك حسين يبقى تباينا هاما وان لم يكن رئيسيا مثل التناقض بين التحرير والتسوية . الا ان هذا التباين الهام ينطوي على احتمالات جديرة بالدراسة السريعة دون أن تكون دراسة متسرعة. ولعل اسرائيل ، ومساندة الولايات المتحدة المطلقة لها في تحدي الارادة الدولية وفي رفض تنفيذ قرار مجلس الامن وفي المراوغة المستمرة في هذا المضمار ، لعل اسرائيل في ذلك كانت تدرك ، من خلال اتصالاتها المباشرة مع السلطة الهاشمية ، ومـن خلال تنسيقها الكامل مع الولايات المتحدة ، بانها ، اذا تمكنت من تأجيل تنفيذ بنود قرار مجلس الامن ، فسيكون باستطاعتها ان تؤمن لنفسها تنازلات عربية اضافيـة وهي

التنازلات التي تضمنها مشروع الملك حسين . وبالتالي فان مشروع الملك حسين يقدم لاسرائيل المبرر لا لتستمر في المراوغة في اعلان موقفها ومدى التزامها بتنفيذ قـــرار مجلس الامن ، بل لتعلن رفضها لهذا القرار لانها حصلت ، بموجب مشروع الملك ، على امكانية لاقرار هدفها الحركي وليس هدفها الوجودي فقط . ان مشروع التسوية السلمية بموجب قرار مجلس الامن يؤمن لاسرائيل اقرارا عربيا بوجودها ، بينما يؤمن مشروع الملك حسين لاسرائيل اقرارا عربيا بحقها في الامتداد والتوسع والتهويد . ان القبول بقرار مجلس الامن هو اعتراف باسرائيل كما كانت قائمة قبل ١٩٦٧ ، بينما يضيف القبول بمشروع الملك حسين الى ذلك اعترافا بالحركة الصهيونية وبأن اسرائيل هي تحقيق جزئي للهدف الصهيوني ، واعترافا بحق اسرائيل في تحقيق التكامل ما بين واقعها ومرماها .

ابقاء القضية مفتوحة

امام هذه المحاولات المستمرة والمتصاعدة احيانا من قبل الولايات المتحدة واسرائيل لقفل القضية الفلسطينية بتقليصها من كونها قضية الى صيرورتها مشكلة عابرة ، امام هذه المحاولات التي توفرت لها الآن فرص اوسع للنجاح بالنظر الى واقع التجزئة بين الدول العربية والى النجاح المادي الذي احرزه النظام الهاشمي في اقصاء المقاومة عن العمل الثوري في الاردن ومن الاردن ، كيف يمكن للشعــب الفلسطيني وللجمــاهير العربية الملتزمة بهدف التحرير رغم كل الصعوبات والنكسات والعراقيل والنكبات ان تبقــي القضية الفلسطينية مفتوحة وبمنأى عن محاولات الاحتواء والتطويــق والتقليص الى مجرد مشكلة لاجئين . لقد ظل هذا السؤال ملازما لنا بصورة خاصة منذ ١٩٦٧ حين صدر قرار مجلس الامن وبدأ التحرك الجدي لقفل القضية الفلسطينية . كان المطلوب ولا يزال ، ابقــاء القضية مفتوحــة على مصراعيها لان لا بديــل لاسرائيل الصهيونية ذات الكيان المتقدم في تركيبه العنصري الفاشستي والاداة الضاربة للمصالح الاميركية الامبريالية في المنطقة والمغذية لترسبات التجزئة والتخلف في الوطن العربي ، لا بديل لذلك الا الالتزام الكامل المستمر المتنامي بالتحرير . ولكن هناك فجوة بين ما يجب ان يكون وبين ما هو كائن ، هناك فجوة لا بد من ردمها على الاصعدة الفلسطينية والعربيــة والدولية .

على الصعيد الفلسطيني

ان المهمة الاولى لمواجهة محاولات قفل القضية الفلسطينية على الصعيد الفلسطيني هي اسقاط اهلية الملك حسين في التحدث باسم الفلسطينيين . لقد حقق المؤتمــر الشعبي الفلسطيني الاخير الذي عقد في القاهرة هذه المهمة الى حد كبير . فقد اعطى هذا المؤتمر الذي تمثلت فيه كافة القطاعات الفلسطينية المتواجدة في الساحة الفلسطينية الدليل القاطع بأن الملك حسين فاقد لاهلية التكلم او النطق باسم اية فئة فلسطينية ، كما انه فاقد لاهلية النطق باسم اية هيئة فلسطينية مع اية جهة اقليمية أو قومية أو دولية. لقد اسقط هذا التواجد الشامل لممثلي الشعب الفلسطيني في المؤتمر الشعبي اهليــة الملك وكانت هذه الخطوة الاولى على طريق ابقاء القضية بمنأى عن محاولات قفلها . لكن اسقاط الاهلية عن الملك وعن مشروعه هذا بالذات لا يلغي امكانية حدوث بعض التعديلات في شكل المشروع في محاولة لامتصاص او تطويق رفضه . وهذه التعديلات متوفرة ، كما اشرنا قبلا ، على شكل مجموعة من البدائل التي اعدتها السلطــات الاميركية والمنظمات الصهيونية والتي تتضمن تنازلات شكلية متعددة لكنها في صلبهــا ومجملها ومقصدها ترسيخ لجوهر التصفية للقضية الفلسطينية . اذا ليس المهم رفض مشروع الملك حسين وانمــا الاهم رفض الملك حسين ، رفض السلطة الهاشميــة ،

ورفض منح الحق لاية جهة عربية بان تساهم بتقرير مصير الشعب الفلسطيني دون موافقته وبمعزل عنـــه .

اما القضية الاخرى التي لا بد من تأكيدها فهي ان المقاومة الفلسطينية ليست طرفا من الاطراف الفلسطينية بل هي قائدة مسيرة الشعـــب الفلسطيني . وبمـــا ان الشعب الفلسطيني يعيش اوضاعا غير طبيعية وغير مستقرة فمنه من يرزح تحت الاحتـــلال مغلوبا على امره ، ومنه من يخضع للقهـــر الهاشمي ، ومنه من يعيش في مخيمـــات النازحين ، ان هذه الاوضاع تجعل الشعب الفلسطيني في موقع المحروم من امكانياته السياسية لتقرير مصيره بنفسه . ولذلك ، وبموجب القوانين التاريخية والقوميـــة والدولية ، فان الشعب الفلسطيني هو في موقع التعبير الثوري عن ارادته . وبالتالي فان الثورة الفلسطينية هي الشرعية الفلسطينية الوحيـــدة . وهذه الشرعية تضـــع المقاومة في موقع القيادة الموجهة لمسيرة الشعب الفلسطيني . ليس امام الشعـــب الفلسطيني مجالا لممارسة الوسائل التقليدية لاختيار ممثليـــه بل لممارسة وتكـــريس الشرعية الثورية والا اسهم الشعب الفلسطيني او اي قطاع منه ، بسبب الارهاق او النفس القصير ، في تصفية قضيته بنفسه . لذلك نؤكد ان لا شرعية لارادة الشعب الفلسطيني الا بارادة الثورة والا بالتزام الشعب الفلسطيني بهذه الثورة . وبعد ذلك ، على المقاومة ان تثبت قدرتها لان الشرعية ليست للمقاومـــة بمقدار ما هي لمقاومـــة فلسطينية . والمقاومة الراهنة تعبير مرحلي عن هذه الشرعية يمكن ان يستمر اذا ما تمكنت المقاومة من تلبية الحاجات القائمة والمستجدة لحركة التحرير الفلسطينية . ان السبيل الذي يمكن المقاومة من ضمان استمراريتها وشرعيتها هو في وحدة فصائـــل المقاومة . ان النتيجة الفورية لهذه الوحدة هي انها تحول دون ان تصبح المقاومة ، كما اشرنا ، طرفا من الاطراف الفلسطينيـــة ، قطاعا من القطاعات الفلسطينية ، حزبا من الاحزاب الفلسطينية . ان الوحدة تحول دون ظهور المقاومة وكأنها منهمكة في مجابهات داخل اطاراتها بدلا من ان تصب جهودها في المجابهات الاساسية المتمثلة في التحديات الوطنية والصهيونية والاستعمارية .

ان الوحدة الوطنية الفلسطينية لا تعني الاندماج ولا التذويب . الوحدة تعني التنسيق الملزم لفصائل المقاومة بوحدة الادوات الوظيفية . هذه الوحدة الوظيفية العضويـــة والملزمة تؤمن التعبير الواحد من جهة كما تؤمن ، من جهة اخـــرى ، استمراريـــة التفاعلات السياسية والعقائدية من حيث صيرورة كـــل قرار سياسي توجيهي تتخـــذه المقاومة محصلة للتفاعل بين مختلف الاجتهادات الفكرية والعقائدية . هنـــا نرى ان لا بد من توضيح المسألة التالية حتى لا نجعل من وحدة فصائل المقاومة مسألة طوبائية . ان ظروف المواجهة التي يخوضها الشعب الفلسطيني ، ان مجرد التصدي للاستعمار والامبريالية والرجعية العربية والصهيونية بشتى اشكالها وتعبيراتها ، يضع المقاومة الفلسطينية موضوعيا وتاريخيا في موقع اليسار الوطني . هـــذا يعني انه لا يمكن للمقاومة ان تكون في مواقع اليمين لانها تؤدي ، بحكم ممارستها لمهامها ومهما كانت التزامات فصائلها المذهبية والاجتماعية ، وظائف يسارية تاريخية . فالمقاومـــة ، كمقاومة ، تعمق مفاهيم التحرر وترسخها ، وبالتالي فانها تسهم في ضرب معاقـــل الامبرياليـــة والصهيونية والرجعية في المنطقة . المقاومة اذا هي اليسار الوطني الشامل ، ونعني بالشمول كافة ابناء الوطن المنضوين تحت اطار المقاومة . وحين تكون المقاومة يسارا وطنيا فلا يمكن ان يكون فيها يمين وظيفي . صحيح ان هناك افرادا انضموا الى المقاومة نتيجة حس وطني فوري او مفهوم فروسي للعمل الفدائي ، او نتيجة قناعة بان العمل الفدائي هو التمرد في سبيل الحق . لكن انصهار هؤلاء الافراد ، رغم كـــل الدوافع المثالية والطوبائية والفروسية ، ورغم ترددهم في انضاج مفهوم الثورة في نفوسهم ،

في بوتقة المقاومة المنظمة واصرارهم على مواصلة النضال الثوري ، يجعلهم يؤدون وظائف يسارية ثورية . وهكذا فعندما نقول بان المقاومة يسار وطني ، فاننا لا نرمي من وراء ذلك الى تمييع معايير اليسار ، كما لا نريد ان نضفي شرف الانتساب الى اليسار على الذين لا يزالون في مواقع فكرية متخلفة عن انضاج المفاهيم الثورية الجذرية . اننا نقول ان كل من هو منضبط بمسيرة التحرير الفلسطينية هو بالضرورة في موقع يساري . ان معركة التحرر الوطني الفلسطيني ليست موقفا واحدا ولا تخوض نضالا بسيطا بل نضالا معقدا متعدد الاشكال ، متنوع المظاهر . وبالتالي فان استمرارية المقاومة رهن بتوفر وعي متطور يستوعب هذا التنوع وهذا التعقيد ، وان استمرار الالتزام بالمقاومة هو تدرج نحو تعميق الوضع اليساري لها .

وبالمقابل ، فان الذين يريدون من وراء قولهم بأن المقاومة حركة للتحرر الوطني اخراج المذهبيين اليساريين الذين يؤمنون بالمضمون الطبقي للنضال الثوري ووصمهم بأنهم شاذون عن مرحلة التحرر الوطني ، انما يفسرون معنى مرحلة التحرر الوطني بمفاهيم متخلفة من حيث انهم لا يدركون نوعية التحديات الامبريالية التي تمثلها اسرائيل اغتصابا وعدوانا واحتلالا واهدافا ، ولا يدركون معنى الامبريالية الحديثة التي لا تمانع في تقديم بعض التنازلات التي تؤدي الى استقلال وسيادة شكليين مقابل تمسكها بالمقومات الفعلية للاستقلال . من هنا فلو سلمنا بأن حركة التحرر الوطني الفلسطيني لا زالت في مراحلها الاولى ، الا ان الاستعمار الذي تواجهه حركة التحرر الوطني ليس في مراحله الاولى بل في اعلى مراحله . يستتبع هذا التقييم ان حركة التحرر الوطني الفلسطيني تتخذ أشكالا طبقية متقدمة عن حركات التحرر الافرو — آسيوية في الاربعينات والخمسينات او ما قبل ذلك . وهكذا عندما نقول ان التيار العام هو يسار وطني ، فانما نعني بذلك بأن اليسار فيه متقدم من حيث حتمية تضمين المفهوم الطبقي في النضال التحرري الوطني الفلسطيني . وما دامت حركة التحرير الفلسطينية ، بطبيعة نضالها ومواقعها وخصومها ، مضطرة الى استقبال افكار يسارية اكثر تقدما ، فان فصائل المقاومة التي هي يسارية مذهبيا الى جانب كونها جزءا من اليسار الوطني ، تبقى الاستثناء المتقدم في هذا اليسار . ان الفصائل اليسارية المذهبية هي حاجة فلسطينية دون ان يعني ذلك بالضرورة القبول بكافة صياغاتها المذهبية . ان هذه الفصائل المذهبية تؤدي وظائف تصحيحية اساسية فهي تبقي المقاومة اجمالا بعيدة عن الجمود او التقوقع السياسي شريطة ان لا تتقوقع الفصائل اليسارية نفسها وتتجمد مذهبيا . ان بامكان هذه الفصائل اليسارية المذهبية أن تمارس نفوذا مذهبيا اذا لم تطرح مذهبيتها من مواقع التزمت العقائدي ، اذ ان التزمت العقائدي عند الفصائل الاصغر يؤدي الى تعصب تنظيمي عند الفصائل الاكبر ، بينما تؤدي المرونة المذهبية الى تغذية نزعات الانفتاح في التيار العام . ان المرونة في ايصال المواقف الصلبة تحول دون الميوعة التي يمكن ان تسببها رواسب معينة في حركة المقاومة . وتتحقق هذه المرونة بالمعادلة الوحدوية بين فصائل المقاومة اذا تخلت فصائل اليسار المذهبي عن الادعاء بأنها هي وحدها يسار المقاومة وبالتالي فان لها حق الوصاية الفكرية لان كل من هو خارج أطارها يميني بالضرورة . ان هذا القول مرفوض علميا وثوريا لان ليس هناك في الواقع الفلسطيني الثوري مكان لليمين .

لكن الوحدة في الوقت الذي ترفض فيه الوصاية الفكرية للفصائل اليسارية المذهبية ، فانها لا تعني وصاية تنظيمية او سياسية تمكن الفصيل الاكبر من اعطاء مدلول آلي للاكثرية . فالثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة بحاجة الى قدرة لاستنباط الحقائق ووضعها في احجامها الحقيقية حتى لا يتغلب الكم على الكيف وحتى لا يتصور الكيف بأنه محتكر للكيف . ليس هناك فرز كامل في المقاومة الفلسطينية بين يسار مذهبي ويسار غير

مذهبي ، وهذا ما يجب أن يدركه اليسار المذهبي الفلسطيني الذي يتصور بأنه هو كل اليسار المذهبي. هناك خارج فصائل المقاومةاليسارية المذهبية اي داخل التيار العام، أي داخل فتح، قطاعات يسارية مذهبية متقدمة على بعض اليسار المذهبي نفسه. لذلك فان معادلة الوحدة العضوية لفصائل المقاومة يجب ان تأخذ بعين الاعتبار استمرارية التلقيح المتبادل ، وعدم وجود استقطاب كامل وواضح ، وعدم الاصرار على الاحتفاظ بكامل الاستقلالية والسيادة التنظيمية لهذه الفصائل . واذا كنا نؤكد على ان الوحدة لا تعني الاندماج وبالتأكيد فانها يجب ان لا تعني التذويب ، فلا بد ، في مرحلة مقبلة ، من حدوث تجاوز للتنظيمات القائمة في الساحة الفلسطينية وتخط لها لان الولاء للثورة ولمقتضياتها في المراحل المقبلة يكتسب أولوية على الولاء للتنظيمات الراهنة . هذه ليست دعوة للتجاوز الفوري للتنظيمات بل بالعكس انها دعوة للتفاعل المستمد من المواقع التنظيمية الراهنة ، الا أن هذا التفاعل يجب أن يرافق بالاقرار بأن ليس هناك نهائية للتنظيمات القائمة ، بل بالعكس فانها مرشحة كلها للانتقال في المراحل المقبلة وعبر تفاعل حي مبدع وجدلي ، الى تنظيم واحد قادر على استيعاب الطاقات الصحية والسليمة التي تقلل من الفرق بين اليسار الوطني واليسار المذهبي . وهكذا اذا انعتقت المذهبية من تزمتها ، وانعتقت الوطنية العامة من مخاوفها من المذهبية ، نستطيع ان نصل الى المخرج الثوري الذي يتمثل في تنظيم موحد نتيجة اقتناع بالوحدة وليس فرضها .

ان السلوك الوحدوي المطلوب في المرحلة الراهنة يتمثل في ما أسميناه التلقيح المتبادل والانفتاح المشترك بين فصائل المقاومة ، وفي وحدة الادوات الوظيفية وبالتالي في التقييم الموحد للمرحلة الراهنة . واذا ما اعتادت فصائل المقاومة على الحالة الوحدوية ، عندئذ تتمكن من ايصال احتمالات وحدوية متقدمة للجماهير فتثبت بذلك استمرارية أهليتها لقيادة مسيرة حركة التحرير . ان الصيغ الوحدوية المتقدمة والعلاقة الجدلية فيما بين فصائل حركة المقاومة تنمي لدى الجماهير الفلسطينيــة ضرورة النفس الطويل لان الجماهير الفلسطينية وكل الجماهير التي تعيش اوضاعا مشابهة لاوضاعها تكون ذات نفس متقطع او قصير . ومن ناحية اخرى فان الوحدة تعطي الجماهير ثقة بأن المقاومة ستكون قادرة على مواصلة القيادة في الظروف الصعبة المقبلة . من هنا فان اخصاب الوحدة العضوية بين فصائل المقاومة وطرحها باستمرار على الجماهير الفلسطينية يحرر المقاومة من كابوس حصر التعامل فيما بينها .

وهذا يستتبع ان تكون اولى مهمات المقاومة الموحدة جعل علاقاتها بالجماهير الفلسطينية اكثر وضوحا والتصاقا . لا يمكن ان تكون علاقة المقاومة بالجماهير علاقة تدبير شؤونها فحسب ، ولا علاقة من يتكلم باسمها ويعبر عن ارادتها دون أن يؤمن عمق مشاركتها . انه وان لم يكن هناك رفض من قبل الجماهير لقيادة المقاومة لان الشرعية الوحيدة هي شرعية الثورة ، فان عدم الرفض هذا وحتى قبول الجماهير بهذه القيادة يجب ان لا يكون مدخلا لاقصاء الجماهير عن المشاركة الاساسية في مسيرة المقاومة . وبالتالي فان على المقاومة الفلسطينية ، بعد تحقيق وحدة فصائل المقاومة وما يستتبع هذه الوحدة من وضع الجماهير في مناخ تفاؤلي ثوري وما ينطوي عليه هذا التفاؤل الثوري من صبر ثوري ومن استعداد للتقشف ومن قدرة على الاستمرار رغم الارهاق والمتاعب ، ومن قدرة على تجاوز الرغبات البورجوازية في حل المشاكل الانية ، رغم كل ذلك يبقى أمام المقاومة ان توجد المؤسسات التي تكفل المشاركة الجماهيرية الواسعة . صحيح ان هناك مؤسسات قائمة الان وهي اللجنة التنفيذية والمجلس الوطنــي ، وفي حالات استثنائية المؤتمر الشعبي ، بالاضافة الى الاتحـادات النقابيــة والمنظمات الشعبيــة الاخرى ، لكن هناك انطباعا عاما لدى الكثير من قطاعات الشعب الفلسطيني بأن هذه المؤسسات رغم ما تفرزه من حيوية في الحــوار ، فانها من ناحية لا تستقطب داخــل

اطاراتها كافة عناصر الجماهير الفلسطينية ، ومن ناحية اخرى فان شكلها لا يزال غالبا على محتواها وجدواها بالاضافة الى ان هذه المؤسسات تتحرك بصورة موسمية وكأنها ليست مؤسسات ثابتة من صلب عمل المقاومة اليومي . وبالتالي فان توحيد فصائل المقاومة لا بد ان يستتبع بتحريك المؤسسات الشعبية وتوسيع رقعتهـا وتمكينها مـن الفعالية الدائمة والمشاركة المستمرة . يقول البعض بأن توسيع رقعـة المشاركة في الوضع الثوري قد يؤدي الى تمييع في مقاييس الالتزام ، لكنني أرى ان توسيع المشاركة سيؤدي الى انتشار الالتزام والانضباط بالعمل الثوري ومقتضياته لدى أوسع القطاعات الجماهيرية ، وليس الى اغراق المقاومة . ان توسيع المشاركة لا يعني طمسا لبلورة الانضباطية الثورية ولا انتقاصا من السلطة الاجرائية لقيادة الثورة كما يتوهم البعض ، لكنه يعني تعميق الاستعداد الجماهيري لتنفيذ ارادة الثـورة من حيث ان المشاركـة المسبقة في التخطيط تجعل الاستعداد اللاحق للتنفيذ اقوى واكثر سهولة . من هنا فان ربط كافة قطاعات الشعب الفلسطيني بدائرة المقاومة الفعلية وبممارساتها اليومية عبر شتى الاطر التثقيفية والسياسية والانضباطية والعملية ، سيؤجج الجماهير الفلسطينية ويستنفرها فتظل متحفزة ومتأهبة . ان ذلك سيحول دون تقاعس اية فئة فلسطينية ودون رضوخها لاي أمر واقع او مستجد ، وسيحول دون انسياب الكسل النضالي وسط الجماهير . ومن ناحية ثانية، فان ربط الجماهير بشكل أكثر عضوية من خلال مؤسسات ثورية يمكن استحداثها ، يجعل المقاومة اكثر فهما لمعاناة الجماهير ، واكثـر تقديرا لظروفها بحيث تصبح توجيهاتها منطلقة من الواقع ومستوعبة للظروف الموضوعية التي تواجهها الجماهير بدل ان تكون عبارة عن قوالب نظرية جافة . ان تعرف المقاومة على مختلف الظروف التي تواجهها قطاعات الشعب الفلسطيني المتواجد في مواقع مختلفة ، تصبح اجتهاداتها النظرية والعملية قابلة للتصديق من قبل الجماهير التي ستدرك ان ظروفها قد اخذت بعين الاعتبار عند صياغة القرار او التوجيه . وحتى لو جاء القرار مغايرا لما يريده قطاع معين من الجماهير ، فان هذا القطاع يصبح اكثر استعدادا لتغليب جماعية القرار على خصوصية واقعه . اذا ؛ فالمطلوب أن تتحول العلاقة بين المقاومة والجماهير من علاقة عفوية الى علاقة متعمدة تكتشف قيادة المقاومة عبرها ابعـاد المعاناة الجماهيرية وتنوع ظروفها، كما تتاح لها فرصة استكشاف كفاءات نضالية جديدة تمكنها من تجديد دورتها الدموية . وبالمقابل فان المشاركة الجماهيرية الناجمـة عن العلاقة الجدلية والانفتاح المتبادل بين المقاومة والجماهير ، تعمق من اصرار الجماهير على الالتصاق بالمقاومة وعلى التوحد والتماثل مع المقاومة بحيث يصبح هذا التماثل ضمانا للوقوف بوجه اية جهة دولية او حتى عربية تحاول العودة الى اغلاق القضية . ان الظروف الحالية الصعبة التي تعيشها القضية الفلسطينية تجعل الحاجة لان يكون هذا التماثل الجماهيري مع المقاومة اكثر وضوحا واكثر استعدادا للمجابهة ، اقوى من اي وقت مضى . من هنا نستكشف كيف ان الوحدة العضوية على مستوى فصائل المقاومة تمهد للوحدة العضوية بين الجماهير والمقاومة .

على الصعيد العربي

اذا تحققت وحدة فصائل المقاومة بشكل نام ومستمر ، واذا أمنا ايضا مؤسسات وظيفية تضمن المشاركة الجماهيرية بشكل نام ومطرد وحقيقي ، عندئذ تبدأ العملية التصحيحية على المستوى العربي ، لان الشعب الفلسطيني لا يعود طرفا من الاطراف العربية بل يصبح الاطار الذي يستقطب طاقات واهتمامات والتزامات الشعوب العربية بالقضية الفلسطينية . ان وحدة فصائل المقاومة والتحام الجماهير مـع المقاومة ورضاءهـا بشرعيتها وقبولها بها وانضباطها بها تنظيميا وعمليا وسياسيا ، كل ذلك سيردم اية ثغرة في الجبهة الفلسطينية يمكن ان تكون مدخلا لاي انفصال عن العلاقة العضوية والجدلية

بين الشعوب العربية والشعب الفلسطيني . واكثر من ذلك فان الشعب الفلسطيني الموحد والمقاوم يصبح مصدرا من مصادر تثوير الجماهير العربية واعادة حيوية الثورة لديها . ان قدرة الجماهير العربية في الانظمة المتخاذلة او المتواطئة او المترددة على المواجهة تعتمد على بقاء الجماهير الفلسطينية في ميدان العمل والممارسة الثورية . هذا هو معنى كون الشعب الفلسطيني طليعة الشعوب العربية المناضلة ضد اسرائيل والامبريالية . لكن هذا يجب ان لا يعني تحميل الشعب الفلسطيني مسؤولية الحركة الثورية العربية ، بل بالعكس ، فان وحدة الشعب الفلسطيني وعلاقاته السليمة والجدلية مع المقاومة تعني تحميل الشعوب العربية مسؤولية الثورة الفلسطينية . يستتبع هذا بالضرورة ان استكمال معالم الوحدة العضوية بين الجماهير الفلسطينية والمقاومة يصبح اكثر فعالية من جراء استكمال فصائل المقاومة لوحدتها العضوية . اذا تحقق هذا المستوى من الوحدة على الصعيد الفلسطيني ، فان المقاومة ستتحول لا الى اداة ذات جدوى من حيث الاصطدام المباشر مع الصهيونية وكيانها فحسب بل الى أداة تفجير للطاقات التصحيحية في الوطن العربي والى تسهيل مهمة وحدة القوى الوطنية والتقدمية والثورية فيها . ان وحدة المقاومة ستضع القضية الفلسطينية وقضية التحرير على رأس سلم أولويات نضال الجماهير العربية بشكل حقيقي وثوري . اما عدم استكمال الوحدة فانه سيبقي هذه الاولوية مبهمة ومعرضة لان تصبح أولوية عاطفية أو أولوية تشنج ومزايدات .

لذلك فان المرحلة الثانية التي تمكن من اعادة فتح القضية الفلسطينية هي في ارساء قواعد ثورية علمية انضباطية صحيحة بين المقاومة الفلسطينية والجماهير العربية . المطلوب من الجماهير ان لا يكون اعلانها بالالتزام بالقضية نهاية المطاف بل نقطة الانطلاق لترجمة الموقف الى ممارسات عملية يومية . ومن ناحية ثانية فان الجماهير العربية يجب ان تدرك مدى وطبيعة العلاقة بين المقاومة والانظمة العربية . ان على الجماهير العربية ، خاصة اذا كانت في حالة تناقض عدائي او ثانوي مع انظمتها ، ان لا تورط المقاومة الفلسطينية في هذه المجابهة وان لا تجعلها ركيزة من ركائزها لان جر المقاومة الى مثل هذا الموقف يعني الى حد كبير اننا جعلنا منها موضوعيا ، بديلا لطاقاتنا الثورية القطرية . هل يعني هذا ، كما يخشى بعض المتزمتين المذهبيين ، ان الثورة الفلسطينية ستقف موقفا حياديا بالنسبة للانظمة خاصة تلك التي هي في حالة مجابهة مع الجماهير ؟ بالطبع لا ! لكن هناك حقيقة لا بد من ان نقولها بمنتهى الوضوح والصراحة وهي ان القوى التقدمية والجماهير العربية مسؤولة بشكل مباشر عن حماية المقاومة الفلسطينية، بينما تشكل المقاومة من حيث ممارساتها على الساحة الفلسطينية ، ومن حيث منطلقاتها العربية ، دفعا لنضالات الجماهير ونضالات قواها التقدمية . كيف نترجم هذه المعادلة بشكل محدد ؟

ان طبيعة المواجهة العربية العامة مع اسرائيل والعوامل الجغراسية واختلاف مدى الالتزام تجاه الثورة الفلسطينية من قبل الانظمة ، كل ذلك يحتم على المقاومة ضرورات التعامل مع الانظمة . ان المقاومة ، في تعاملها مع الانظمة لا تضفي عليها اية شرعية ثورية لكنها في الوقت نفسه لا تسهم في ابراز سلبية هذه الانظمة . ومع ذلك ، وبسبب طبيعة كون الساحة الفلسطينية بؤرة ثورية ، فان تداخلا مع الجماهير العربية يلازم بالضرورة التعامل مع الانظمة العربية . اذا هناك **تعامل مع الانظمة وتداخل مع الجماهير** . يبقى التداخل مع الجماهير موضوعيا مرجحا ومغلبا على التعامل مع الانظمة لان التداخل ناجم عن قناعة بينما التعامل تمليه الضرورة . ان التداخل يمكن الجماهير من ممارسة ضغوط متصاعدة على الانظمة من اجل تلبية الاحتياجات المتزايدة للمقاومة الفلسطينية . وبالتالي فان مقدار تلبية الانظمة للحاجات الضرورية للمقاومة ، يقرر مدى

سلامة تلك الانظمة . وهكذا فان الحكم على الانظمة لجهة تلبيتها لهذه الحاجات التي تحددها المقاومة نفسها ، يعود الى الجماهير داخل البلاد العربية دون ان يكون هناك داع لان تعلن المقاومة الفلسطينية احكامها مباشرة . لكن طبيعة التداخل مع الجماهير تفرض ان يكون حكم الجماهير على الانظمة ، هو حكم المقاومة عليها . ان هذا الاستثناء الثوري للمقاومة الفلسطينية والذي يتيح لها التعامل مع الانظمة العربية ، هو الحلقة الوسيطة بين المرحلة الراهنة ومرحلة انضاج الواقع الثوري البديل للانظمة . قد يبدو هذا التحليل غير منسجم مع التحليل الثوري المحض اذ ان التحليل المحض ثوري لا يجيز التعامل مع الانظمة بل يجيز التعامل مع من نتداخل معهم . لكننا لسنا في الموقع الذي يتطلب منا موقفا ثوريا محضا بل موقفا ثوريا جدليا . ويعني الموقف الثـوري تقييمـا موضوعيا دقيقا لملابسات المرحلة الراهنة التي تجيز الاستثناء غير المغاير ، كما في هذه الحالة ، للتداخل انما هو استثناء بالنسبة لموازين القوى بين القوى الثورية والانظمة في المنطقة العربية لكنه في التحليل النهائي استثناء متمم ورديف للثورة العربية . ان نسبة تعامل المقاومة الفلسطينية مع الانظمة العربية تتحدد بالنسبـة لحجم القـوى التأثيرية والفاعلة للجماهير العربية داخل هذه الانظمة . لذلك فان حركة الجماهـير الثورية في المنطقة العربية مرهونة بمصير المقاومة الفلسطينية لكن لا يجوز ، على ضوء جدول الاولويات الراهن ، ان يكون مصير المقاومة الفلسطينية مرهونا مرحليا بواقع القوى الثورية العربية . ينبع هذا الاستثناء من كون المقاومة الفلسطينية مطالبة بالقيام بمهمات مباشرة لا يمكن للقوى الثورية العربية ان تقوم بها بمقدار ما تستطيع ان تقوم به بعض الانظمة العربية . وهذه المهمات هي افشال المحاولات المتكـررة والمتعددة الاسماء والصيغ والتي ترمي الى امتصاص قدرة الشعب الفلسطيني علـى مواصلة نضاله التحرري . ان المسؤولية المباشرة للمقاومة الفلسطينية بهذا الصدد هي ابقاء حالة الرفض الفلسطيني لكافة المشاريع التي من شأنها احتواء وتطويق العمل الفلسطيني الثوري واضفاء شرعية على وجود اسرائيل وعلى احتمالات توسعها ، وتعبئة القوى العربية المتوفرة لديها لتصب في مساندة قواها الرافضة .

وفي مطلق الاحوال ، لا يمكن للمقاومة الفلسطينية ان تغلب التعامـل ، مهما بلغت مبرراته ، على التداخل . وقد وعت المقاومة الفلسطينية ، كما ظهر في المؤتمر الشعبي الفلسطيني الاخير ، هذه الحقيقة حين دعت الى التوجه لتنسيق العلاقات مع الجبهات العربية المساندة للثورة الملتزمة بها . ان المرحلة المقبلة تقتضي تقليصا في مدى التعامل وتوسيعا في مدى التداخل ، لكن التقليص يجب ان لا يؤدي الى الالغاء ، والتوسيع يجب ان لا يصل الى حد التطابق الكامل لان ليس مهما ان نصل الى التطابق ما دام هناك تميز لواقع الشعب الفلسطيني في اطار المجابهة العربية مع اسرائيل . ان ادراك القوى الثورية العربية واستيعابها لمعنى الاستثناء ومعنى التميز ضروري والا فانها ستولد بتزمتها تيارات انفصالية داخل الساحة الفلسطينية . ان العلاقات الجدلية بين التعامل والتداخل تفرض على القوى الوطنية الثورية والتقدمية ديمومة ترجيح التداخل على التعامل حتى تتمكن في المراحل المقبلة من ان تؤمن التطابق الكامل بين التعامل والتداخل وذلك حين تتسلم القوى الوطنية الثورية الحكم بنفسها . ان الوصول الى هذا التطابق هو في نهاية الامر مفتاح التحرير لانه الضمان لبقاء القضية في مستوى القضية المصيرية. لكن هدف التحرير لا بد وان يمرحل بمعنى ان علينا ، نحن الملتزمين بهدف التحرير ، ان ندرك بأن النضال في سبيل التحرير يتطلب ادراكا لتعقيدات الواقع حتى نتمكن مـن تجاوزه . فادراك الواقع ، حسب المنطق الثوري ، يمكننا من تجاوزه بينما يؤدي ادراك الواقع بموجب المنطق غير الثوري ، الى الرضوخ له . لذلك ليس المهم ان نرفض ، انما الاهم ان نعرف ما نرفض . ان من المهم ان لا نعرف ما نرفض فقط بل ان ندرك مقدار

قوته حتى نتمكن من مواجهته ومن اجتذاب قطاعات شعبية واسعة الى جانبنا . والان ، من أين يستمد الواقع العربي قوته ؟ ان قوة الواقع العربي مستمدة ، في جزء منها ، من ضعف الحركات الثورية التي لم تتمكن من ان تستنفر وتنظم الطاقات الثورية . ذلك يعود الى ان الحركات الثورية نفسها مجزاة . ولذلك فان وحدة فصائل المقاومة الفلسطينية هي اللحمة التي يمكن لها ان تكون أداة توحيد الحركات والقوى الثورية العربية . وفي ظل هذا الواقع المتردي لا نستطيع ان نحمل المقاومة الفلسطينية مهمات ثورية اضافية هي في الواقع من صلب مهمات الحركة الثورية العربية . ان عدم قدرة الحركة الثورية العربية على الوفاء بهذه المهمات يجيز هذه النسبة من التعامل بين المقاومة والانظمة . ومن ضمن معطيات الواقع الراهن ، فان من المهمات الملحة في المرحلة الحالية ان تتوحد القوى الوطنية والثورية ، في البلاد العربية المتاخمة لاسرائيل والتي تتواجد فيها كثافات فلسطينية ، في اطار سياسي جبهوي موحد على ان يكون معيار الانتماء الى هذا الاطار اولوية القضية الفلسطينية على الاهتمامات الاساسية الاخرى . لقد اثبتت تجربة الاردن ان مستوى التداخل مع الجماهير الاردنية كان ادنى مما كانت تقتضيه مرحلة الممارسة الفلسطينية . كذلك الامر بالنسبة للجماهير اللبنانية . ومن ناحية اخرى ، فان هناك معضلات مع احزاب تعمل على تكريس امتدادات تنظيمية لها داخل الاطار الفلسطيني مما يحول دون تمكين المقاومة الفلسطينية من اجراء اي تداخل جماهيري الا من خلال التعامل مع النظام . ان الوحدة المطلوبة يجب ان تصبح تيارا متصاعدا لان تصاعد التيار باستمرار هو الذي يرجح فتح القضية على اقفالها على المستوى العربي ، هو الذي يرجح مسيرة التحرير على سلوك التسوية وثقل الوحدة على واقع التجزئة . ولكن حتى يتصاعد تيار الوحدة ازاء عوامل التردي والتجزئة والانفصال ، لا بد ان يتوجه العمل الوحدوي الى النضال ضد المصالح الاستثمارية الامبريالية الاميركية في المنطقة لان اي سكوت عن هذه المصالح او عدم التصدي لها يعني ان العقوبات العربية الجدية المتاحة لنا غير مهيأة للاستعمال نتيجة ضعف الحركات الثورية التقدمية ، واننا لسنا في وضع يمكننا من المجابهة الحادة مع الامبريالية اذ ليس المهم ان تتوفر للامة العربية أمكانات العقوبات بل الاهم ان تتوفر لديها ارادة استعمال هذه العقوبات . اذا توفرت هذه الارادة تصبح العقوبات مصداقة اي قابلة للتصديق . عندئذ ، فان مجرد الاعلان عن هذه الارادة يعطيها قوة رادعة مثلما يمنحها استعمالها قوة ضاربة . صحيح ان المقاومة الفلسطينية بتصديها لاسرائيل تتصدى للامبريالية الاميركية ، لكن التصدي للمصالح الاستثمارية والبترولية الاميركية في المنطقة هو السلاح الامضى . وبالتالي فان أولى مهمات القوى الثورية والتقدمية العربية هي ان تتبلور ارادة عربية فياستعمال العقوبات المتوفرة . بهذا نتمكن من اعادة فتح القضية على الصعيد العربي. ان اعادة فتح القضية ليس بديلا لعملية التحرير ، انما هي ضمانة لانتقالنا من احتمالات التصفية لاحتمالات التحرير ، اي ان اعادة فتح القضية هي الخطوة الاولى في مسيرة التحريـــر والحلقة الوسيطة بين التصفية والتحرير .

على الصعيد الدولي

بعد كل ذلك على المقاومة الفلسطينية ان تعمق المشروعية الدولية التي بدأت تتسلح بها والتي أمنتها قرارات الامم المتحدة التي اعترفت بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره وحقه في استعمال شتى الاساليب لتأمين هذا الحق . ان العمل من اجل تعميق الشرعية الدولية يضعنا في طريق التعبئة المكثفة للراي العام الدولي وللقوى الدولية المؤثرة في المنطقة . ان دخول الصين الشعبية، الملتزمة بأهداف التحرير التزاما واضحا، الى اطار الشرعية الدولية يقدم للثورة الفلسطينية وللحركات الثورية العربية ولمصالحها المرحلية والبعيدة المدى دعما فعالا على الصعيد الدولي . وحتى نصل الى ذلك ، فان على

الثورة الفلسطينية والطاقات الثورية العربية ان تجعل من نفسها دائرة التقاء بين أطراف المعسكر الاشتراكي الدولي وليس أداة تعميق وتأكيد لانقسامها . ان احدى مهمات الثورة الفلسطينية على الصعيد الدولي هي العمل على ازالة اسباب التناقض في المعسكر الاشتراكي ليس بشكل مباشر بل بأن تصبح هي ذاتها نقطة التقاء طبيعية ومجال تفاعل بين القوى الاشتراكية الدولية المتباينة والتي يتضاءل تباينها في مضمار القضية الفلسطينية والقضايا العربية الاخرى ، اي ان المطلوب من الثورة الفلسطينية ان تكون كالثورة الفيتنامية تماما من حيث انها ابت ان تجعل من ذاتها ترجيحا لاحد الاطراف المتصارعة داخل المعسكر الاشتراكي ، واصرت ان تكون أداة استقبال لتلاف مستمر ونام بين أطراف المعسكر الاشتراكي . ثم ان على الثورة الفلسطينية والحركات الثورية العربية في الوطن العربي ان تتفاعل مع التجارب الثورية الجديدة في العالم الثالث وتدرسها بعناية ، وان تدرك بأن الكثير من البلدان المتعاطفة مع قضيتنا على المستويات الدولية والدبلوماسية ، على استعداد لنقل هذا التعاطف الى مرحلة متقدمة من التأييد الفعلي . وينطبق الشيء ذاته على بعض دول اميركا اللاتينية وغيرها من الدول الافريقية التي أخذ ينكشف لها زيف الادعاءات الصهيونية وحقيقة الدور الامبريالي لاسرائيل .

ان علينا ان ننظم علاقاتنا مع هذه المناخات الدولية المتجاوبة معنا بحيث نحول تجاوبها المعنوي معنا الى مساندة مادية فعلية وحتى لا يتحول تجاوبها المعنوي الذي لا أسنان له مجالا او فرصة لتحييدها من قبل اخصامنا . ان ارساء المقاومة الفلسطينية كقيادة لحركة تحرير فلسطين ، وارساء الشعب الفلسطيني جزءا أساسيا ، متميزا دون ان يكون منفصلا ، عن واقعنا القومي ، وتنظيم العلاقات العضوية بين الجماهير العربية والثورة الفلسطينية ، والتحرك المشترك بين الممارسات الثورية الفلسطينية وبين تبلور الارادة العربية ، وترجمة القدرة على فرض العقوبة على المصالح الامبريالية في المنطقة ، واخيرا المجالات المفتوحة أمامنا لشحن التعبئة الدولية ، كل هذه المعطيات والطاقات يمكن ان تتوجه نحو تغليب المطلوب على المرفوض ، وتغليب فتح القضية على محاولات قفلها ، وتغليب التحرير على التصفية . ان هذا يتطلب من المقاومة الفلسطينية ان تدرك بأن النضال الثوري متعدد الاوجه ، وان وجه النضال يحدد طبيعة الاصطدام مع الكيان الصهيوني والقوى الامبريالية .

واخيرا تبقى الاولوية المطلقة التي تعطي قيادة المقاومة للشعب الفلسطيني شرعيتها للكفاح المسلح . ان التزام الكفاح المسلح هو الذي يعطي المعنى الثوري لواقع الشعب الفلسطيني . ان التخلي عن الكفاح المسلح سيؤدي الى تفتيت الحالة الثورية العربية بشكل عام لان الكفاح المسلح هو الميزة التي تعطي الشعب الفلسطيني الصفة الطليعية في الصدام مع الامبريالية واسرائيل ، وهو الذي يحرك الجماهير العربية باتجاه الثورة المسلحة لتحرير فلسطين ، وهو الضاغط الاساسي لان تصبح القوى العسكرية النظامية في الدول العربية اكثر استعدادا لدخول المعركة واقل استعدادا لممارسة السلطات للقمع والارهاب . ان الكفاح المسلح الفلسطيني هو بالتالي أداة تثقيف سياسي للجماهير العربية ولقواها المسلحة الى جانب كونه أداة ضاربة ضد اسرائيل والرجعية .

تبقى كل هذه الاستنتاجات في الاطار النظري اذا لم تتوجه كل قوى الثورة الى المقتل في المحور الاميركي — الاسرائيلي — الهاشمي ، اي الى النظام الهاشمي القائم . لقد سقط هذا النظام جماهيريا الا انه ، بالاضافة الى ذلك ، بدأ يخرج عن حلقة النظام العربي الواحد ، فلا بد من اسقاطه كليا حتى تعود المقاومة الفلسطينية الى الاردن تمهيدا لجعل الاردن ما هو قدره اي ان يكون مجتمع التأهب للعودة وهانوي التحرير .

الاضرابات في اسرائيل

هاني عبدالله

اجتاحت اسرائيل في السنة الاخيرة موجة من الاضرابات شملت مختلف المرافق الاقتصادية بالاضافة الى قطاع الخدمات . ومن الملاحظ ان معظم هذه الاضرابات وقعت في القطاع الحكومي ، اي قطاع الخدمات ، وفي القطاع الهستدروتي . من الجدير بالذكر هنا ان هذه الاضرابات لم تكن ظاهرة شاذة او جديدة في علاقات العمل في اسرائيل ، بل هي ظاهرة ملازمة لهذه العلاقات ، ونتاج للسياسة الاقتصادية الاسرائيلية ، الخاضعة كليا لاحتياجات الامن ولحالة الحرب القائمة عمليا منذ تأسيس دولة اسرائيل .

واذا استعرضنا احصائيات الجدول رقم ١ التي جرت المقارنة فيها بين تسعة بلدان تعتبر من البلدان المتقدمة صناعيا وبضمنها اسرائيل ، نجد بأن اسرائيل خلال الفترة ٦٨/٦٥ احتلت مكانا في الوسط في اربع السنين المذكورة . والملاحظ هنا انه في السنتين الاخيرتين وهما سنة الحرب والسنة التي تلتها هبطت اسرائيل الى المكان السادس ثم ارتفعت الى الخامس على التوالي . هذا الهبوط ثم الارتفاع ليس صدفة ولكنه يعود الى اسباب ليست اقتصادية فقط . بمعنى ان الهدوء النسبي في علاقات العمل ، يعود الى عوامل سياسية، استغلت جيدا منقبل اجهزة السلطة والاعلام فيالدولة الصهيونية. هذا الاعلام ركز على حساسية الجمهور للوضع الامني بنجاح، الامر الذي جمد تناقضات المجتمع الاسرائيلي بأجمعها الاقتصادية منها والاجتماعية . هذا الجمود لا يمكن اعتباره استقرارا في الوضع الاقتصادي في اسرائيل ، او بشكل أدق استقرارا في علاقات العمل في اسرائيل ، بل هو ناتج عن تحويل الانظار عن المتاعب والاوضاع الداخلية وتركيزها على الخطر الخارجي . ولقد نجحت السياسة الاسرائيلية منذ تأسيس اسرائيل في استغلال هذا الامر أحسن استغلال . وفي هذا المجال تشارك جميع الاحزاب الصهيونية التي تدعو دائما في كل أزمة في علاقات العمل الى التعقل واخضاع المطالب النقابية الى صالح الاهداف القومية والسياسية العامة . كما وانه يجب ان لا ننسى ان في سنة الحرب وما بعدها حدث بعض التحسن في المجال الاقتصادي نتيجة للمساعدات المالية الكبيرة التي تدفقت على اسرائيل من الجاليات اليهودية ومن الولايات المتحدة على وجه

جدول رقم (١)

السنة	عدد الاضرابات	عدد ايام العمل المفقودة	المكان الذي تحتله اسرائيل بالنسبة للبلدان المتقدمة صناعيا بالنسبة لايام العمل المفقودة
١٩٦٥	٢٨٨	٣٢٧،٢٠٠	المكان الرابع ، ايطاليا ، كندا ، الولايات المتحدة ، اسرائيل
١٩٦٦	٢٩٢	٢٤٠،٣٠٠	المكان الرابع ، ايطاليا ، كندا ، الولايات المتحدة ، اسرائيل
١٩٦٧	١٤٢	٩٩،٥٠٠	المكان السادس ، ايطاليا ، كندا، الولايات المتحدة، فرنسا ، بريطانيا، اسرائيل
١٩٦٨	١٠٠	١١٠،٥٠٠	المكان الخامس ، ايطاليا ، كندا ، الولايات المتحدة ، بريطانيا ، اسرائيل

الخصوص . وبالنسبة الى البطالة فقد انخفضت من ١٠٪ كما كانت في ١٩٦٦ الى ٤٪ او ٣٪ وهي نسبة منخفضة جدا ، واسرائيل تعاني من أزمة نقص في اليد العاملة ، لذلك نرى سعي الحكومة لاستقدام تلك الايدي العاملة من قطاع غزة والضفة الغربية .

ان اضرابات السنة الاخيرة كانت حلقة في سلسلة من الاضرابات ونزاعات العمل كما يبين الجدول الاول ، وفي السنتين ٦٩ ـ ٧٠ نستطيع ان نشير الى بعض الاضرابات المركزية التي حدثت فيهما مثل : اضراب عمال البريد وموزعيه وفنييه ، اضراب عمال الصيانة في ميناء اشدود وفي قطاع الخدمات ، اضراب المعلمين الثانويين ، واضراب الممرضات . وكمدخل للسنة الاخيرة لا بد وان نستعرض اتفاقية العمل التي وقعت في اوائل ١٩٧٠ بين الحكومة وممثلي اصحاب العمل والهستدروت ، تلك الاتفاقية التي وضعت الاسس لسياسة الاجور والاسعار والضرائب للسنتين ٧٠ ـ ٧١ . فمن المعلوم بأنه تعقد اتفاقيات عمل كل سنتين على الاغلب ، وبهذا الخصوص فقد كان اصحاب العمل والحكومة يسعون دائما الى جعل اتفاقيات العمل لفترات اطول بينما كانت الهستدروت تسعى الى تقصير الفترة نظرا للتغييرات التي كانت تحدث في حقلي الاسعار والضرائب في فترات متقاربة .

مع قرب انتهاء اتفاقيات العمل الجماعية في اواخر سنة ٦٩ ، بدات سلسلة طويلة من المشاورات والمفاوضات للاتفاق على سياسة اجور جديدة للسنتين القادمتين . ان المتتبع للتصريحات والبيانات التي اعطيت حول الموضوع يخرج بنتيجة بأن موقف الهستدروت لم يكن ثابتا وقاطعا منذ البداية . وكان هذا الموقف وخصوصا موقف اعضاء المكتب التنفيذي للهستدروت يخضع لاعتبارات حزبية ، رغم محاولة سكرتير الهستدروت ، اسحاق بن اهرون ، الظهور احيانا بمظهر المناوىء للسياسة المالية الحكومية ، والمدافع عن حقوق العمال والمستخدمين في كافة المرافق الاقتصادية . ولكن السكرتير العام والمكتب التنفيذي للهستدروت خضعا في النهاية لرأي وزير المالية الاسرائيلي بالنسبة للمفاوضات التي جرت لرسم سياسة الاجور الجديدة . في البداية طالبت الهستدروت برفع الاجور بنسبة ١٠ ـ ١٢ ٪ ثم عادت وتنازلت الى ٦ ـ ٨ ٪ تدفع نقدا واخيرا عادت وتبنت او بالاحرى خضعت لموقف ممثلي اتحاد أصحاب العمل ووزارة المالية ، عندما وقعت على ما سمي فيما بعد بـ « صفقة الرزمة » . لقد خيم على المفاوضات سيف الضرائب الجديدة الذي هدد به وزير المالية في حالة عدم خضوع الهستدروت لسياسة الاجور التي تبناها . والاتفاقية التي وقعت فيما بعد تثبت ان وزير المالية نجح في كبح جماح الهستدروت وانتصر على سكرتيرها العام عندما استطاع ان يقنعه بأن لا خيار أمامه الا التوقيع وقبول « صفقة الرزمة » او مواجهة فرض ضرائب جديدة وعالية تمتص اي ارتفاع في الاجور تطالب به الهستدروت . واخيرا خضع سكرتير الهستدروت لتهديدات وزير المالية واقر المكتب التنفيذي للهستدروت الاتفاق . اما الاطراف التي وقعت الاتفاق فهي : الهستدروت ، الحكومة واصحاب العمل ، ثم الحقت بالاتفاق « مذكرة » وقعت عليها الهستدروت واصحاب العمل ، وفيما يلي نص بعض فقرات اساسية من « صفقة الرزمة » والمذكرة .

١ ـ يحصل العمال في سنة ١٩٧٠ على العلاوات التالية : (أ) تعويض مقابل الغلاء بنسبة ٤ ٪ من الاجر الاساسي القائم ، هذه العلاوة تدفع نقدا وتكون معفية من ضريبة الدخل. (ب) علاوة بنسبة ٤ ٪ من الاجر الاجمالي . هذه العلاوة بعد تخفيض ضريبة الدخل المستحقة قانونيا ، تدفع بسندات دين حكومية مربوطة بمعدل جدول الاسعار للمستهلك، وتخضع لفائدة وتسجل في تعرفة الاجر .

٢ . اما العمال المعفيون من ضريبة الدخل فتدفع لهم هذه العلاوة ايضا نقدا .

٣. اما من جهة اصحاب العمل فهم ملزمون بامتلاك سندات دين حكومية بمبلغ يعادل ٤٪ من أجور عمالهم .

٤. كما اتفق على رفع النسبة المئوية التي تدفع للتأمين الوطني ، لصندوق المساواة للاحتياط . كما ويرفع الحد الاعلى الخاضع لهذه الدفعات ، ويقام صندوق تأمين ضد البطالة . مجموع ارتفاع النسب على هذه الدفعات لا يتعدى ٥،٥٪ من الاجر يدفعها صاحب العمل و٤،١٪ يدفعها العامل .

٥. في العام ١٩٧١ تدفع زيادة على الاجر بنسبة ٢٪ من الاجر الاجمالي اما بسندات دين او نقدا كما يتفق بين الفرقاء المعنيين .

٦. في حالة ارتفاع نسبة معدل جدول الاسعار للمستهلك في سنة ١٩٧٠ حتى ٣٪ وما فوق بالمقارنة بالمعدل في سنة ١٩٦٩ ، يدفع تعويض مقابل الغلاء بموجب الطريقة المنصوص عليها في البند (١) فقرة (أ) المذكورة أعلاه .

٧. يلتزم اصحاب العمل بعدم رفع الاسعار بطريقة مباشرة او غير مباشرة نتيجة لزيادة الاجور ولامتلاك السندات والدفعات المفصلة في البند (٤) المذكور اعلاه .

٨. تلتزم الحكومة بأن ترفع الضرائب المباشرة في سنة ١٩٧٠ ، وبأن لا تلغي المعونات التي تدفعها على المنتوجات الاستهلاكية والخدمات الحيوية . وفي هذا المجال يتفق ممثلو الحكومة ، الهستدروت واصحاب العمل على قائمة بأسماء المنتوجات الاستهلاكية والخدمات غير الحيوية الخاضعة لزيادة الضرائب أو السندات . وفي حال اضطرار الحكومة لزيادة الضرائب غير المباشرة في سنة ١٩٧١ ، تجري الحكومة مشاورات مسبقة مع ممثلي الهستدروت واصحاب العمل .

٩. تعمل الحكومة ، الهستدروت واصحاب العمل معا من اجل منع ارتفاع اسعار المنتوجات الاستهلاكية والخدمات الحيوية .

١٠. ان تنفيذ وفعالية البنود (١) «ب» ، (٣) ، (٥) المذكورة اعلاه في سنة ١٩٧١ خاضع ومشروط باستمرار تنفيذ البنود (٧) و(٨) في نفس السنة .

اما بنود المذكرة التي وقعت بين الهستدروت وبين منظمات اصحاب العمل فهي كما يلي :
(أ) مع توقيع التسوية الشاملة في ٧٠/١/٣١ ، تبدأ المفاوضات حالا بين التنظيمات والنقابات المهنية العامة ، ومجالس العمال وبين اصحاب العمل في المرافق الاقتصادية المختلفة لتجديد اتفاقيات العمل الجماعية للسنتين ٧٠ — ٧١ بموجب التسوية الشاملة المذكورة اعلاه . وتجدد الاتفاقيات خلال شهر ، وفي حالة عدم وجود اتفاق ، ينقل الامر للجنة المركزية المشتركة . وحتى اتخاذ قرار تبقى الاتفاقيات الحالية سارية المفعول .
(ب) التغييرات في الشروط الاجتماعية التي يتفق عليها بين أطراف الاتفاقيات الجماعية في نطاق المفاوضات المذكورة اعلاه ، يعمل بها ابتداء من ٧١/١/١ او اثني عشر شهرا بعد تجديد الاتفاق في سنة ١٩٧٠ .

وقد علق وزير المالية الاسرائيلي ، بنحاس سبير ، على توقيع « صفقة الرزمة » بقوله :
« ان الاستعداد للتوصل لتسوية شاملة ، كان نتيجة لوقوفنا جميعا على خطورة الوضع وعلى الاخطار التي كانت تكمن للاقتصاد لولا اننا استطعنا ايقافها بواسطة التسوية الشاملة »(٢). ثم يستطرد الوزير في معرض تبريره لصفقة الرزمة وللظروف التي سبقتها مشيرا الى ان الاستقرار الذي تمتع به الاقتصاد الاسرائيلي خلال السنين التي تلت الحرب ، والذي نجم عن استقرار مثلث الاسعار — الضرائب — الاجور ، لم يعد بالامكان المحافظة عليه ، نظرا لان احتياجات الامن والهجرة تلزم الحكومة بانفاق مبالغ ضخمة بالعملة الصعبة والمحلية . لقد أضطرت الحكومة في السنة السابقة ان تصدر

مئات الآلاف من الليرات لتمويل نفقات الامن . وهذه الاموال تؤدي الى زيادة الانفاق عند الجميع . ولذلك فقد زاد الاستيراد وانخفض الاحتياطي من العملة الصعبة الى درجة خطيرة ، ولذلك فمن الضروري زيادة واردات الحكومة بدرجة ملحوظة ، لكي يصبح بالامكان ايقاف ارتفاع مستوى المعيشة ، وزيادة التصدير ، ولتحديد وتقليص الاستيراد والعجز في ميزان المدفوعات . امام هذا الوضع كان لا بد من زيادة الضرائب بنسبة كبيرة تمتص تلك الزيادة في الاجور التي تؤدي الى زيادة الانفاق وبالتالي الاستيراد وهكذا ... لقد أوقف الوزير جميع الفرقاء على هذا الوضع وعلى الخطورة الكامنـــة به ، لذلك استجاب اصحاب العمل والهستدروت لمقترحات وزارة المالية وتم توقيع صفقة الرزمة التي من المفروض ان توقف هذا التطور وتضع حدا لحالة عـــدم الاستقرار التي كانت ستصيب الاقتصاد وعلاقات العمل في اسرائيل . اما ماهية هذه التسوية فهي : وضع حد لارتفاع الاسعار ، ارتفاع الاجور بنسبة معقولة وعادلة ، ازدياد او ارتفاع الدفعات للتأمين الوطني ، لصندوق المساواة للاحتياط واقامة صندوق تأمين ضد البطالة ، اما الحكومة فستمتص مبالغ كبيرة بواسطة رفع رسوم الامن على ضريبة الدخل وتحويل قرض الامن الى قرض الزامي بعدما كان قرضا اختياريا .

لقد كانت قضية العجز في ميزان المدفوعات النقطة المركزية التـــي حاول وزير المـــال الاسرائيلي ان يجد علاجا لها ، هذا العجز هو نتيجة مباشرة لازدياد النفقات الامنية خلال السنين الثلاث الاخيرة . سيصل العجز المبرمج في السنة المالية ٧١/٧٠ الى مبلغ ٦٦٠ مليون ليرة من اصل عجز شامل يبلغ مليازي ليرة اسرائيلية . اما تغطية هذا العجز فستكون بوسائل متعددة منها : تقليص ميزانيات الوزارات ومشاريع التطوير بمقدار ٣٤٠ مليون ليرة . ومنها توفير مبلغ مليار ليرة اسرائيلية بواسطة رفع تقديرات الدخل وبواسطة سندات الدين التي نصت عليها « صفقة الرزمة » ، وبواسطة رفع نسبة رسوم الامن على المداخيل ، وبواسطة قرض الامن الالزامي واخيرا زيادة نسبة حصص العمال واصحاب العمل التي تدفع للتأمين القومي .

لقد كانت هناك شكوك جدية في مدى امكانية المحافظة على « صفقة الرزمة » ، وفي مدى استطاعتها تحقيق الاهداف التي وجدت من اجلها . والصفقة كما اثبتت الاحداث التي وقعت على صعيد علاقات العمل بعد توقيعها لم تحقق ولم تضع حدا لارتفاع الاسعار ، وسياسة الاجور التي تبنتها لم تكن في صالح العمال والمستخدمين . فالمتتبع للمفاوضات التي جرت في أواخر سنة ٦٩ وأوائل سنة ٧٠ لتقرير سياسة الاجور للسنتين القادمتين ، يرى بوضوح ان قادة الهستدروت والسكرتير العام على وجه الخصوص خانوا مصالح الطبقة التي من المفروض ان يدافعوا عن مصالحها بتنازلاتهم المتتالية اثناء المفاوضات . فمن مطالبة بزيادة في الاجر بمقدار ١٠٪ كحد ادنى و١٢٪ كحد أعلى الى ٦ — ٨٪ الى الاتفاقية التي اعطت ٤٪ زيادة نقدا و٤٪ بسندات دين حكومية تدفع بعد مضي اربع سنوات او أكثر . لقد حاول الكثيرون من قادة الهستدروت ان يصوروا الصفقة على انها انتصار للطبقة العاملة في اسرائيل من جهة وانها سياسة حكيمة اخذت بعين الاعتبار الوضع الامني والاقتصادي للبلاد وانها تدل على مدى المسؤولية التي يتحلى بها المجتمع الاسرائيلي والطبقة العاملة على وجه الخصوص من جهة ثانية . لقد كانت المعارضة للصفقة من أقصى اليمين واليسار . فاليمين كان يطالب بتجميد الاجور وبخفض قيمة الليرة وزيادة الضرائب كمخرج للوضع الاقتصادي وبالذات لتخفيض العجز في ميزان المدفوعات .

ولكن وزير المالية رفض الاخذ بوجهة نظر الاقتصاديين وخبراء المال هذه ، وقام باعداد صفقة الرزمة كبديل لتخفيض قيمة الليرة ومن اجل تخفيض العجز في ميزان المدفوعات كما بينا أعلاه . اما اليسار في الهستدروت المتمثل في الحـــزب الشيوعي الاسرائيلي

« راكاح » فيرى ان جذور الوضع كامنة في السياسة التوسعية والعدوانية التي تنتهجها الحكومة ، التي تؤدي بالضرورة الى ازدياد مضطرد في نفقات الدفاع والامن ، وهذه النفقات بدورها تؤدي الى انخفاض مستوى المعيشة والى الاضرار بمصالح الطبقة العاملة .

والسؤال الذي طرحه الكثيرون قبل وبعد اقرار « صفقة الرزمة » حول امكانية تنفيذ الصفقة ، وعدم الاخلال ببنودها من اي طرف من الاطراف ثبتت صحته . فخلافات العمل والاضرابات التي تفجرت خلال السنتين الاخيرتين كافية للتدليل على ان الصفقة لم يكن بالامكان تنفيذها نظرا لانها كانت مجحفة بحق العمال والمستخدمين . والجدول التالي يبين التغييرات في قسيمة الاجور .

جدول رقم ٢(٣) عامل متزوج + ٢

الخصميات الاضافية					الدفعات التي يقبضها الاجير			
							ماذا تبقى للاجير	
الدخل الشهري الاجمالي بالليرات	رسم الامن الاضافي بالليرات	زيادة للتأمين القومي بالليرات	قرض الامن الالزامي بالليرات	مجموع الزيادة في الخصميات بالليرات	الزيادة المدفوعة نقدا والمعفية من ضريبة الدخل بالليرات	الزيادة الكلية بسندات الدين بالليرات	نقدا صافي بالليرات	سندات دين قبل خصم الضريبة بالليرات
٤٠٠		٦	٤	١٠	١٣	١٦	٣	١٦
٥٠٠	١	٧	١٠	١٨	١٥	٢٠	-٣	٢٠
٦٠٠	٢	٩	١٥	٢٦	١٨	٢٤	-٨	٢٤
٧٠٠	٣	١٠	٢٢	٣٥	٢١	٢٨	-١٤	٢٨
٨٠٠	٤	١٥	٢٨	٤٧	٢٤	٣٢	-٢٣	٣٢
٩٠٠	٥	١٧	٣٤	٥٦	٢٨	٣٦	-٢٨	٣٦
١٠٠٠	٧	٢٣	٣٩	٦٩	٢٨	٤٠	-٤١	٤٠
١٢٠٠	١١	٣٠	٥٣	٩٤	٢٨	٤٨	-٦٦	٤٨
١٥٠٠	١٨	٤١	٧٤	١٣٣	٢٨	٦٠	-١٠٥	٦٠
٢٠٠٠	٣٠	٤١	١٠٩	٢٠٠	٢٨	٨٠	-١٧٢	٨٠

لقد فشلت صفقة الرزمة في تحقيق اهدافها منذ سنتها الاولى . فالاضرابات لم تتوقف وكذلك ارتفاع الاسعار . فخلال تسعة الاشهر الاولى من ١٩٧٠ زاد عدد الاضرابات عن نفس الفترة من السنة الماضية بـ ٤٠٪ وبلغ عدد المشتركين في الاضرابات ٩٨ الف شخص . اما عدد الايام التي فقدت بسبب الاضرابات فبلغ ١٧٢ الف يوم عمل مقابل ٧٢ الف يوم عمل فقدت في نفس الفترة من السنة الماضية ، اي سنة ٦٩(٤). أهم الاضرابات التي ابرزتها الصحف في تلك السنة كان اضراب المعلمين الثانويين . فالازمة بدأت في اوائل سنة ٧٠ ، حيث أعلن المعلمون عن نزاع عمل وقدموا مطالبهم. في منتصف سنة ٧٠ ابلغوا برفض مطالبهم ، وتجمد الموقف نظرا للعطلة الصيفية ، وفي اثناء تلك العطلة لم تقم الحكومة بعمل أي شيء لتسوية المشكلة وفي أوائل نوفمبر اعلن عن الاضراب . وكانت المفاوضات قد تجددت قبل موعد اعلان الاضراب بثلاثة ايام ، ولم تؤد الى نتيجة ، وادعى الوزير الون بأن الوقت لم يكن كافيا وطلب من المعلمين العودة الى العمل والبدء بالمفاوضات من جديد . وهكذا ففي ١٦ كانون الاول سنة ٧٠ عاد

المعلمون الى العمل وأعطوا الوزارة مهلة ثلاثة أسابيع لتسوية مطالبهم . ولكن الحكومة كانت تماطل وطلبت من المعلمين الانتظار ريثما تبدأ المفاوضات الجديدة حول سياسة الاجور في أوائل سنة ٧١ لتقرير سياسة أجور شاملة وحتى لا يكون امتثالها لمطالب المعلمين بمثابة سابقة لبقية المستخدمين عند بدء المفاوضات في اوائل سنة ٧١ ، وفي النهاية حقق المعلمون بعضا من مطالبهم المتعلقة بزيادة في الاجور ومساواتهم في التدرج المتبع عند الاكاديميين بفضل التأييد الذي لاقوه من آباء الطلاب والمنظمة التي اقيمت خصيصا من آباء الطلاب لمساندة المعلمين في مطالبهم . وكانت مطالب المعلمين بالطبع تتعدى اتفاقية « صفقة الرزمة » .

اما الوضع في جبهة علاقات العمل وخصوصا في القطاع العام فقد كان في بداية عام ١٩٧١ كما يلي : ١) هنالك مفاوضات لم تنته بعد ، مع منظمة الموظفين واتحاد مستخدمي الدولة ، بخصوص التدرج الموحد للموظفين . هذا القطاع يضم ١٥٠ الف مستخدم . هؤلاء الموظفون يطالبون ببعض المنافع التي حصل عليها الاكاديميون مثل دفعات من اجل تشجيع البحث العلمي . ٢) في نطاق التدرج الموحد توجد ايضا مطالب خاصة للموظفين الكبار (٥٠٠٠ — ٧٠٠٠ موظف) اذ يطالب هؤلاء بمساواتهم بالاكاديميين . ٣) اما وضع المعلمين فأشد خطورة ، حيث يهددون بالاضراب . هؤلاء المعلمون يطالبون بزيادة في الاجر تقارب ٥٠ ٪ بالنسبة لسنة ١٩٦٩ ، بشرط ان تكون ذات مفعول رجعي ابتداء من نيسان (ابريل) سنة ١٩٧٠ ، بينما الحكومة مستعدة لزيادة تبلغ ٣٥٪ فقط . ٤) اما الممرضات اللواتي وقع اتفاق معهن ، فهن يهددن بالاضراب ثانية . وقدمن في الآونة الاخيرة مطالب اخرى تتلخص بزيادة في الاجر بمقدار ٧٠ ٪ بالنسبة لعام ١٩٦٩ ويبلغ عدد الممرضات عشرة آلاف ممرضة في القطاع العـــام . ٥) وايضا هنالك ٤٠٠ مـــن مستخدمي التصوير بأشعة « رنتجن » قاموا منذ أشهر باضراب تباطئي . ان مطلبهم يتعدى صفقة الرزمة وهم يهددون بالاضراب الشامـــل . ٦) كما وان المفاوضات مع مستخدمي المختبرات ومع الصيادلة في القطاع العام لم تنته بعد . هؤلاء يبلغ عددهم بين ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ مستخدم .

وهكذا نرى انه مع بداية عام ١٩٧١ كانت هنالك بعض الجيوب في القطاع العام التي لم تسوّ فيها خلافات العمل . والمتتبع للاحداث على هذا الصعيد يرى ان سنة ١٩٧١ تشكل استمرارا لموجة الاضرابات الشاملة والجزئية التي تنتاب اسرائيل منذ سنوات . والارقام التالية التي نشرتها صحيفة الاتحاد استنادا الى التلخيصات التي نشرتها وزارة العمل الاسرائيلية ترينا ما يلي(٥): تدل التلخيصات التي نشرتها وزارة العمل على انه تسجل في النصف الاول من سنة ١٩٧١ ، ٩٠ اضرابا وتوقفا كليا عن العمل مقابل ٨١ اضرابا وتوقفا عن العمل في نفس الفترة من السنة المنصرمة . كما وانه جرى ارتفاع في عدد الاضرابات الجزئية ، ففي الفترة ما بين كانون الثاني وحزيران ١٩٧١ جـــرى ٣٥ اضرابا جزئيا مقابل ٣٠ اضرابا جزئيا في الفترة المقابلة من السنة الماضية وقد تم ٧١٪ من الاضرابات في القطاع الحكومي و٥ ٪ في القطاع الهستدروتي و٢٤ ٪ في القطاع الخاص وبالمتوسط بلغت مدة الاضراب في السنة ١٩٧١ حوالي عشرة ايام مقابل ٣٢٤ يوما في سنة ١٩٧٠ ، ٢٠٣ يوما في سنة ١٩٦٩ و١٠٧ يوما في ١٩٦٨ . اما نتائج الاشهر تموز ، آب وايلول فتشير الى استمرار الاتجاه وارتفاع النسبة . فخلال الاشهر الثلاثة ارتفع عدد الاضرابات نسبيا وبلغ ٤٨ اضرابا عاديا و٣٤ اضرابا جزئيا ، مثل الاضرابات على النمط الايطالي — التوقف عن القيام بساعات عمل اضافية وعقوبات أخرى . كما وان نسبة الاضرابات في القطاع الحكومي ارتفعت ايضا في الاشهر المذكورة حيث وصلت الى ٨٥ ٪ من مجموع الاضرابات .

لقد أجرت وزارة العمل الاسرائيلية تحليلا مقارنا لظاهـــرة الاضرابات في عشرة بلدان

راسمالية صناعية بين السنوات ١٩٦٠ — ١٩٦٩ . ودل التحليل المقارن على ان اسرائيل تحتل مكانا بارزا خصوصا بالنسبة للاضرابات في قطاع الخدمات ، حيث تحتل المرتبة الثانية .

جدول رقم (٣)(٦)

تدريج ظاهرة الاضرابات في عشر دول صناعية في السنوات ٦٠ — ٦٩ وفق فروع الاقتصاد المختارة :

الدولة	مجمل الاقتصاد	الصناعة	الزراعة	الخدمات
ايطاليا	١	١	١	١
الولايات المتحدة	٢	٢	٢	٠
كندا	٣	٣	٣	٣
استراليا	٤	٤	٠	٠
فرنسا	٥	٥	٩	٥
بريطانيا	٦	٦	٤	٧
اليابان	٧	٧	٦	٤
اسرائيل	٨	١٠	٥	٢
نيوزيلندا	٩	٩	٧	٨
فنلندا	١٠	٨	٨	٦

ومع اقتراب انتهاء النصف الاول من سنة ١٩٧١ عمت اسرائيل موجة من الاضرابات لم يسبق لها مثيل في تاريخ اسرائيل بموجب راي جميع الصحف العبرية الصادرة في تلك الفترة . وابرزت صحيفة « يديعوت احرونوت » الصادرة في ٧١/٦/١٧ الوضع تحت العنوان التالي : « موجة جديدة من الاضرابات تهدد الاقتصاد الاسرائيلي ، وقانون تجميد الاضرابات لم يجمد نزاعات العمل » . وقالت الصحيفة في مجمل تعليقها على الوضع ، ان موجة مشاعر الظلم والحرمان التي اجتاحت البلاد في الاسابيع الاخيرة (الاشارة الى مظاهرات واحتجاجات حركة الفهود السود ، والى التململ الاجتماعي بين الطوائف الشرقية من اليهود) تركت مكانها لموجة اخرى من الاضرابات . والذي يثير الاستغراب عند الصحيفة كون المضربين والمهددين بالاضراب هم مجموعات من العمال الذين يتقاضون أجورا عالية نسبيا : مثل اعضاء تعاونيات النقل العام ، مستخدمي شركة الكهرباء ، مديري العمل في الموانيء واطباء المستشفيات الحكومية وغيرهم . ولكن الصحيفة تستدرك وتقول بأن عمال المصانع والمعامل ، ومستخدمي قطاع الخدمات من ذوي الدرجات المنخفضة من ناحية الاجر غير راضين ايضا عن وضعهم وبدأوا في التحرك ايضا. وفي اجتماع مشترك عقد في شمال البلاد ، وضم ممثلين عن عدة مصانع (مثل يشاسبعط ، شتراوس وغيرهم) بالاضافة الى ممثلي وزارة العمل والصحة ابرز العمال تذمرهم من الوضع الاقتصادي ومن الانتهاكات الخطيرة لاجر العمال والمستخدمين وطالبوا لجان العمال والهستدروت بمراقبة الاسعار . اما جواب الحكومة فجاء على لسان وزير المالية الصهيوني اثناء مناقشة الموضوع في الكنيست حيث قال : « آمل ان نستطيع وقف التدهور في مجال الاسعار والاجور الذي اتفقنا عليه ، وانا على ثقة بأن المنطق سيتغلب على الرغبة للحصول بالقوة على فوائد مؤقتة ووهمية »(٧). ومن الجدير بالذكر بأن الحكومة كانت قد سنت قانونا في ١٩٦٩ لتجميد الاضرابات ، وبموجب هذا القانون يتحتم على العمال او المستخدمين الذين ينوون الاضراب ان يعلنوا عن عزمهم على ذلك قبل اسبوعين من بدء التنفيذ ، لكي تكون هنالك مهلة كافية لمعالجة الموضوع ، ولكن هذا القانون لم يتقيد به احد وجميع الاضرابات تقريبا تجاهلته . بالاضافة الى هذا

القانون ، كانت الحكومة قد أقامت ايضا محاكم عمل لوائية للبت في نزاعات العمل ، ومهمة هذه المحاكم البت في قانونية الاضراب وشرعيـــة المطالب التي يرفعها العمال والمستخدمون . والمستعرض لجميع الاضرابات والدعاوى التي أقيمت ضد العمـــال والمستخدمين المضربين يرى ان هذه المحاكم كانت دائمـــا تدين المضربين بتهمة خـــرق اتفاقيات العمل وعدم التقيد بنصوص قانون « تجميد الاضرابات » وتأمرهم بالعودة الى العمل .

أولى بوادر النزاعات العمالية ، كان الاضراب الانذاري الذي أعلنه أعضاء التعاونيات للنقل العام ، شركتا « ايجد » و« دان » كاحتجاج على عدم تلبية مطالبهم لرفع اجـــور السفر حالا بنسبة ٥٠ ــ ٦٠ ٪ ، فشركة « ايجد » طالبت بمبلغ ٥٠ مليـــون ليـــرة اسرائيلية ، وشركة « دان » بمبلغ ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية ، لكي تتمكنا من التخلص من وضعهما المالي الخطير . مع العلم بأن السبب في ازدياد نفقات التعاونيـــات يعود ــ بالاضافة الى اسباب اخرى ــ الى الزيادة في الاجور التي حصل عليهـــا اعضاء التعاونيات .

اما رد الحكومة على هذا الاضراب الانذاري فجاء على لسان نائب وزير المواصلات الاسرائيلي ، جاد يعقوبي حيث قال « مع كل فهمي للضائقة المالية للتعاونيات في قطاع النقل العام ، لا اعتقد بأن الاضراب الانذاري الذي قاموا به كان أمـــرا مشروعا من اية ناحية . لقد جاء هذا الاعلان عن الاضراب مساء اجتمـــاع اللجنة الوزارية للشؤون الاقتصادية للبحث في مطالب التعاونيات ، وهو أمر مضر بمصلحة الجمهور »(٨) .

ولقد استجابت الحكومة لمطالب التعاونيات من ناحية مبدئية ، وعرضت عليهم زيادة بنسبة ١٠ ــ ١٥ ٪ ابتداء من شهر أيلول ــ سبتمبر الماضي . وفي حالة عدم تقبـــل التعاونيات لهذا الامر فلقد اعدت وزارة المواصلات برنامجا للطوارىء ، يسمح بموجبه لسيارات النقل الخاصة ان تقوم بنقل الركاب مقابل اجر . وفي عدد يديعوت احرونوت الصادر في ٧١/٦/١٨ تطالعنا الصحيفة بالعناوين التالية حول الاضرابات ونزاعات العمل : « ضوء أحمر في جبهة الاجور » ، « رقم قياسي في نزاعات العمل والقضية سائرة الى مزيد من التعقيد » ، « الهستدروت يتخذ موقفا مؤيدا من بعض مجموعات العمال ذوات النفوذ بدعوى انها فقدت السيطرة على العمال » ، « التصادم بين الحكومـــة والهستدروت » ، « وزير المالية : زيادة في الاجور ستجر الى زيادة في الضرائب » . ثم تعدد الصحيفة الاضرابات ونزاعات العمل خلال الاسبوع الاخير : ١) اضراب مستخدمي شركة الكهرباء الذين يطالبون بزيادة في الاجور . ٢) اضراب انذاري لتعاونيات النقل العام الذين يطالبون برفع تعريفة السفر . ٣) اضراب عمـــال الادارة والمرافـــق في المستشفيات الحكومية الذين يطالبون بزيادة في الاجور . ٤) اضراب جزئي بدأ به الاطباء العاملون في خدمة الدولة . وقد توقفوا عن معاينة المرضى واستقبالهم الا في الحالات الضرورية . ٥) المعيدون في الجامعات اعلنوا عن مطالب جديدة تتعلق بهم ، ومن المحتمل الاعلان عن نزاع عمل حول الموضوع . ٦) الممرضات يطالبن بتحسين في الاجور عقب اتفاقية العمل التي عقدت مع مستخدمي « رنتجن » وهم يهددون بالاعلان عن نزاع عمل ، ٧) عمال الادارة في الموانىء يهددون باتخاذ اجراءات ضد سلطة الموانىء اذا لم تستجب لمطالبهم . ٨) المرشدون او المدربون في المدارس البحرية ، امتنعوا عن مرافقة الطلاب في السفرات البحرية التدريبية . وهم يطالبون بتحسين اجورهم . ٩) عمال التنظيفات في تل ــ أبيب اضربوا عن العمل ليوم واحد كاحتجاج لعدم تزويدهم بثياب عمل مناسبة . ١٠) جميع عمال ومستخدمي البريد على عتبة الاعلان عن نزاع عمل . في هذه المرحلة تقدم عمال الهندسة في البريد بمطالبهم ، مع العلم بأن اتفاقية العمل معهم قد وقعت منذ شهرين . كما وان سعاة البريد السريع اضربوا ويطالبون بعلاوة مقابل الجهد الذي يبذلونه نتيجة

لتراكم العمل ؛ كما وان مستخدمي السنترال للمكالمات الخارجية يهددون ايضا بالاضراب .

في الحقيقة هذا هو جزء واحد فقط من الصورة، وهو استعراض للاضرابات خلال اسبوع واحد فقط . وهو مقتصر على الإضرابات في قطاع الخدمات ، ولكن هنالك عددا من الاضرابات ما زالت معلقة في المشاريع الصناعية الخاصة ، حيث قدمت لجان العمال في هذه المصانع مطالب لتغيير التدرج للمستخدمين او لرفع الاجور وزيادة العلاوات . ومن الجدير بالذكر ان التدهور في علاقات العمل بارز اكثر في القطاع العام ، خصوصا في مجال الخدمات . وهذا المجال تشرف عليه الوزارات المختلفة ، ومن هنا الحساسية لكل تدهور في علاقات العمل في هذا المجال . ومن هنا تنبع اهمية الدور الذي لعبته الهستدروت في هذه الخلافات ، حيث وضع شعار الهستدروت القديم القائل بأفضلية «المصلحة القومية» على «المصلحة الطبقية» في موضع الاختبار، ولقد اثبتت الهستدروت انها ما زالت امينة لهذا الشعار القديم، حيث كانت ترضخ في النهاية لسياسة الحكومة في مجال الاجور والاسعار والضرائب، رغم بعض المحاولات التي كان يقوم بها قادة الهستدروت للظهور بمظهر المدافعين عن حقوق الطبقة العاملة. من الاضرابات التي اثارت ضجة وحساسية في سنة ١٩٧١، كان اضراب عمال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية ، واضراب موظفي وشرطة الجمارك في ميناء اسدود ومطار اللد ، واضراب عمال الادارة والمرافق في صندوق المرض التابع للهستدروت ، واضراب مستخدمي شركة الكهرباء. ان المهم في هذه الاضرابات — عدا كونها تشكل صداما مباشرا بين جماهير العمال وبين القيادة البيروقراطية العمالية الحاكمة، المتمثلة في حزب العمل الاسرائيلي بشكل خاص وبالتجمع العمالي — المعراخ، المكون من حزب العمل وحزب العمال الموحد، المابام بشكل عام — هو الاسلوب الذي اتبعته «الحكومة العمالية» في معالجة هذه الاضرابات، وما ادت اليه تلك المعالجة من اقرار اقتراح قانون « تسوية نزاعات العمل » الذي اعتبرته الاحزاب البرجوازية بمثابة خطوة على الطريق من اجل سن تشريع شامل ينظم علاقات العمل . ان الاسلوب الذي عالجت به « الحكومة العمالية » اضراب عمال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية يعيد الى الاذهان، طريقة معالجة «الحكومة العمالية» لاضراب عمال ومستخدمي البريد في ١٩٦٩ ، حيث اصدر وزير البريد اوامر تقييد اجبارية تلزم العمال بالتواجد في اماكن عملهم وبتنفيذ التعليمات التي تصدر اليهم من قبل المسؤولين . ومن الجدير بالذكر ان « الحكومة العمالية » آنذاك سنت قانون « تجميد الاضرابات » الذي يلزم العمال بالاعلان مسبقا عن عزمهم على اللجوء الى الاضراب قبل اسبوعين من التنفيذ ، ويظهر ان هذا القانون ومحاكم العمل التي اقيمت فيما بعد للبت في قانونية الاضراب وشرعية المطالب لم يكونا كافيين لردع العمال عن اللجوء الى سلاح الاضراب لنيل حقوقهم ، حيث تدل جميع الوقائع المتعلقة بالاضرابات الاخيرة بأن العمال لم يتقيدوا بقانون « تجميد الاضرابات » .

في منتصف حزيران بدأت سلسلة من الاضرابات احدثت ردود فعل عنيفة عند الحكومة نظرا لحساسية المرافق التي وقع الاضراب فيها . بدأت هذه السلسلة باضراب عمال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية البالغ عددهم ٦٥٠٠ عامل ، وقدم العمال سلسلة من المطالب المتعلقة بزيادة الاجر والعلاوات والمنافع الاخرى ، ولكن الحكومة لم تستجب لمطالبهم ، وطالبتهم بفك الاضراب والعودة الى المفاوضات ، ولما رفض العمال طلب الحكومة قامت الحكومة بعقد جلسة خاصة للنظر في تدهور العلاقات في مجال العمل ، لوضع حد لخرق اتفاقيات العمل . وفي هذه الجلسة التي عقدت في ٧١/٦/١٨ قررت الحكومة بالاجماع وبدون اي تحفظ من وزراء حزب المابام او من سكرتير الهستدروت الطلب من المضربين العودة الى العمل والا اضطرت الى اصدار اوامر اقامة

اجبارية بحقهم*. ولقد خولت الحكومة في نفس الجلسة وزير الصحة المبامي فكتور شمطوف باصدار انظمة لحالة الطوارىء لالزام المضربين بالعودة الى عملهم . هذه الانظمة تحل على العمال كأفراد وكمجموعة ، بمعنى انه في حالة رفض اي عامل لهذه الاوامر ، فهو يعرض نفسه لعقوبة اقصاها سنتين سجن وغرامة مبلغ ٥،٠٠٠ ليرة اسرائيلية . اما رد فعل رئيس نقابة عمال الادارة والمرافق على اصدار القوانين فجاء كما يلي : « في اللحظة التي سنستلم بها اوامر الاقامة الاجبارية ، سنعود الى العمل حالا دون ان تكون هناك اية حاجة لاستعمال القوة »(٩).

لقد كان لاصدار اوامر الاقامة الاجبارية اثره فيكسر باقي الاضرابات مثل اضراب الاطباء، وموظفي شركة الجمارك ومستخدمي شركة الكهرباء . لقد تيقن ممثلو هؤلاء المضربين بأن الحكومة مصممة على كسر الاضرابات بواسطة اوامر الاقامة الاجبارية ، ولذلك قرروا العودة الى العمل مكرهين على اساس بدء المفاوضات من جديد حول مطالبهم . ان الذي يلفت النظر هنا ، بالاضافة الى موقف الحكومة والاجراءات التي اتبعتها لكسر الاضرابات وتوقيع وزير الصحة المبامي على اوامر الاقامة الجبرية ، هو موقف الصحف الصهيونية من الاضرابات الاخيرة . لقد قامت الصحف الصهيونية بحملة اعلامية مركزة مستنكرة لجوء العمال الى الاضراب ، لتحقيق مطالبهم ، ولقد كانت الصحف تشدد على العامل الامني وعلى الضرر الذي من الممكن ان يحدث اذا ما استمر التدهور في علاقات العمل . وكانت بعض الصحف التي كانت تبدي بعض « التفهم » لبعض المطالب العمالية ، تتخذ موقف المعلم من العمال في كيفية حصولهم على حقوقهم ، حيث كانت تؤكد بأنه حتى لو كانت المطالب عادلة ، فان الطريق الى تحقيقها يجب ان يكون بالمفاوضات ، وكانت تلك الصحف توجه اللوم والانتقاد للهستدروت التي لم تستطع السيطرة على اعضائها — على حد تعبير تلك الصحف — مع العلم بأن الهستدروت لم تقف وراء اي اضراب عمالي حتى في المرات التي كانت تعلن فيها بأنها تؤيد مطالب العمال . لقد قامت الصحف الصهيونية بعملية غسل دماغ للجماهير اليهودية للحيلولة دون اي تعاطف على مستوى شعبي مع العمال المضربين ، واستغلت في هذا المجال حساسية الجمهور اليهودي للامن ، فكانت تضخم من النتائج المترتبة على تدهور علاقات العمل ، وكانت تشن حملات شديدة على المضربين وتنعتهم بأنهم مجموعات قليلة خارجة عن الاجماع ، لا مسئولة وتصفهم احيانا « بالمخربين » ولقد اوجدت هذه الحملات رأيا عاما معاديا للعمال المضربين ، حيث انه عندما اضرب عمال المرافق والادارة في المستشفيات قام كثير من الطلاب والطالبات بالتطوع للعمل في المستشفيات شعورا بواجبهم الانساني والقومي تجاه المرضى ، على حد تعبير تلك الصحف ، ولقد شعر العمال المضربون بهذه الروح العدائية التي استطاعت الحكومة والصحف خلقها في اوساط الجماهير واتجهت نقمتهم نحو الهستدروت التي لم تقم بواجبها كاللازم ، حيث كان موقفها موقفا متخاذلا وقد عبر عن هذا الموقف رئيس سكرتارية عمال الادارة والمرافق في المستشفيات عندما قال في معرض تعليقه على اصدار اوامر الاقامة الاجبارية ما يلي : « قررنا قطع كل علاقة مع الحكومة والهستدروت وقررنا ان ننفصل عن اتحاد مستخدمي الدولة . لم تنجح في نضالنا لاننا فقراء وليست لدينا الوسائل المالية والاعلامية الكافية للتصدي لموجة القدح والاساءة التي شنها الطرف الآخر . لقد قررنا ان نحترم الانظمة التي صدرت ونحن نفكر في البدء في النضال بطريقة اخرى »(١٠). ولقد شاركت الحكومة ايضا في تعبئة الجماهير ضد العمال المضربين

* هذه الاوامر تستند الى « **امر انظمة الحكم والقضاء سنة ١٩٤٨** » وهي بدورها تستند الى قانون الطوارىء سنة ١٩٤٥ . هذه الاوامر تصدرها الحكومة عادة ضد المواطنين العرب الفعالين سياسيا لشل نشاطهم وتحديد اقامتهم . وهنا استعملت لاول مرة في مجال الخدمات ، حيث تفرض هذه الاوامر على العامل التواجد في مكان العمل وممارسة عمله كما يطلب منه والا تعرض للعقوبة .

بواسطة التصريحات التي كان يطلقها الوزراء المختصون ، وعلى وجه الخصوص وزير المالية الذي كان يهدد بامتصاص كل زيادة في الاجور يحققها العمال بواسطة الضغط عن طريق زيادة الضرائب المباشرة وغير المباشرة . والمتتبع للاحداث في تلك الفترة يرى بوضوح بأن الاتجاه العام لدى الحكومة اخذ يميل نحو سن تشريع ينظم علاقات العمل وكان يقف وراء هذا الرأي وزير العمل الاسرائيلي يوسف الموجي ، من التصريحات التي ابرزتها الصحف تصريح رئيسة الوزراء حول الاضراب في مطار اللد ، حيث قالت : « ان ما حدث في مطار اللد يعتبر عمل «زعرنة» »(١١)، اما وزير الاسكان والتطوير، زئيف شيرف فقد صرح بما يلي حول نفس الموضوع : « عندما سمعت بأن هناك اضرابا في مطار اللد خجلت لكوني اسرائيليا ووزيرا »(١٢). وبخصوص اضراب عمال الادارة في المستشفيات الحكومية صرح وزير العمل بما يلي : « الاضراب في المستشفيات ، هو بمثابة ارتكاب جريمة قتل »(١٣). هذه التصريحات والخطوات التي اتبعتها الحكومة لكسر الاضرابات كانت خطوة اولى في الطريق الى سن قانون يبيح للحكومة التدخل في نزاعات العمل ، او بشكل ادق سن قانون ينظم علاقات العمل ويضفي طابعا قانونيا لاتفاقيات العمل التي تعقد مع العمال .

وكان وزير العمل يوسف الموجي (حزب العمل) من اكثر المتحمسين لاتخاذ اجراءات شديدة ضد الاضرابات ولسن قانون بهذا الخصوص يمنع الاضرابات في المصالح الحيوية منعا باتا ، ومن وراء الموجي كانت تقف كتلة « رافي » في حزب العمل (جماعة بن غوريون ودايان) . ولكن الحكومة وحزب العمل بالذات كان عليه ان يأخذ بالحسبان عاملين اثنين : موقف حزب العمال الموحد ، المابام ، شريك حزب العمل في التجمع العمالي — المعراخ ، وموقف الهستدروت وممثليه في اللجنة التنفيذية والمكتب التنفيذي فيها ، حيث كانت مواقف كتلة حزب العمل في الهستدروت دقيقة للغاية ، فمن جهة يجب التمشي مع سياسة الحزب ومن جهة اخرى يجب المحافظة على صورة الحزب كحزب « عمالي » . هذا هو الوضع على صعيد التجمع ، اما باقي شركاء التجمع في الحكومة مثل المتدينين القوميين (المفدال) والاحرار المستقلين فقد كانوا ايضا يضغطون في اتجاه سن تشريعات تنظيم علاقات العمل . يضاف الى هؤلاء المعارضة اليمينية الرئيسية المتمثلة في كتلة « جاحال » المكونة من حزبي الحيروت والليبراليين ، وهذه الاحزاب الاخيرة كانت تطالب بنطاق قانوني ينظم علاقات العمل وباقرار قانون « التحكيم الالزامي » في نزاعات العمل. اما المعارضة لاي تدخل حكومي في مجال علاقات العمل فكانت تمثلها الكتل الصغيرة في الكنيست والهستدروت مثل « راكاح » « ماكي » وكتلة « هعولام هزه » . وكان واضحا منذ البداية ان موقف حزب العمل هو المقرر في هذا الموضوع . ومواقف حزب العمل والنظام الصهيوني بشكل عام تخضع مثل أية مواقف اخرى لاعتبارات سياسية داخلية وخارجية ، بالاضافة الى النتائج المترتبة للاعتبارات السياسية هذه على باقي الاصعدة الاقتصادية والاجتماعية وعلى مجال العمل والعمال بشكل خاص . ان فهمنا لمواقف حزب العمل او البيروقراطية العمالية الحاكمة يجب ان ينطلق من فهمنا لطبيعة ومركبات المجتمع الاسرائيلي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقوى السياسية المسيطرة فيه واتجاهات هذه القوى ، على ضوء فهم اشمل للايديولوجية المحركة لهذا المجتمع والنظام، مع الاخذ بعين الاعتبار بأن البيروقراطية العمالية الحاكمة في اسرائيل منذ قيام الدولة وقبلها ، لها الذراع الطولى في رسم وتقرير سياسة واتجاهات النظام والمجتمع الصهيوني . ففي اسرائيل هناك نوع من الشراكة بين البيروقراطية العمالية والطبقة البرجوازية ، حيث تشكل هذه البيروقراطية الشريك الاقوى . وهي بحكم موقعها تسيطر على موارد الحياة للنظام الصهيوني وعبرها تتوزع هذه الموارد . والمتتبع لسياسة البيروقراطية العمالية الحاكمة في مجال العمل والعمال يرى ان هذه السياسة تنطلق من

اخضاع كامل لهذا المجال الى الاعتبارات السياسية والامنية . وفي مجال بحثنا حول الاضرابات وكيفية معالجتها نرى ان الاتجاهات داخل حزب العمل نفسه اخذت تتزايد نحو تدخل الدولة او الحكومة في هذا المجال . وكانت الحكومة ورئيسة الوزراء بالذات رغم شعورها بضرورة سن قوانين تنظم علاقات العمل ، تفضل ان تقوم الهستدروت بتقديم اقتراحات تشريعية حول قانون « تسوية نزاع العمل » انطلاقا من توقعها رفض الهستدروت للقانون الذي أعده وزير العمل والذي تؤيده اغلبية الوزارة ، حيث ان هذا القانون يفرض عقوبات شديدة على المضربين (مثل : السجن ، الغرامات بمبالغ كبيرة والفصل من العمل) لقد أثار هذا الاقتراح خلافات شديدة داخل كتلة التجمع ـ المعراخ في الهستدروت ، وبرزت ثلاث مجموعات داخل كتلة التجمع في الهستدروت : اولا ، المتطرفون ـ هذه المجموعة طالبت بان يتضمن القانون اتخاذ اجراءات شديدة ضد المضربين وبسن قانون يمنع الاضرابات ، وكانت هذه الكتلة تشكل اعضاء كتلة «رافي» سابقا . ثانيا ، مجموعة الوسط التي أيدت ايجاد نطاق تشريعي محدود ، يقوي مركز الهستدروت من ناحية ، ويمنع الحكومة من اتخاذ اجراءات شديدة من ناحية اخرى ، هذه المجموعة تضم سكرتير الهستدروت والقائم باعمال السكرتير ورئيس قسم التنظيم المهني ، وداخل هذه المجموعة تظهر جماعة احدوت هعفودا سابقا ككتلة متماسكة . ثالثا ، مجموعة المعارضين ـ تتألف من اعضاء مبام الثلاثة في المكتب التنفيذي ، واعضاء هذه المجموعة يعارضون بشدة اي تشريع في مجال العمل ، ويرون ضرورة اعادة النظر في شروط العمل والاجور في الخدمات العامة .

ووضح منذ البداية ان المعتدلين يشكلون الاغلبية في كتلة التجمع في الهستدروت ، ثم عقدت جلسة لاقرار التوصيات التي ستتقدم للحكومة بهذا الشأن . في هذه الجلسة اشتركت ادارة كتلة التجمع في الكنيست وممثلو التجمع في المكتب التنفيذي للهستدروت . وفي هذه الجلسة اتخذ قراران ، رغم معارضة « مبام » :

ورد في القرار الاول ما يلي : « في الظروف القائمة لا توجد اية امكانية للسماح لمبام لتقديم اقتراح منفرد لتقديم موعد دفع علاوة الغلاء ، فعلى جميع اعضاء التجمع في الهستدروت ان يظهروا متراصين امام جماهير العمال من اجل توضيح موقف الهستدروت واهمية التسوية التي تمت مع الحكومة (مثل تخفيض اسعار بعض المنتوجات التي ارتفعت اسعارها ، مثل البيض والحليب وغيرها ، واعطاء مخصصات غلاء لمحدودي الدخل وتأمين علاوة غلاء لجميع الاجراء ابتداء من كانون الثاني ـ يناير ١٩٧٢) » . الى جانب هذا القرار صوت جميع ممثلي حزب العمل وعارضه فقط اعضاء مبام الخمسة في الجلسة المشتركة المذكورة . اما القرار الثاني وهو الاهم فقد ايد فيه اعضاء التجمع رغم معارضة المبام ايضا ضرورة اصدار تشريعات تنظم علاقات العمل . وكان المدافع الاول عن هذا القرار سكرتير الهستدروت اسحاق بن اهرون حيث قال « لقد وصلنا الى وضع يحتم تدخل الدولة في بعض المجالات الحيوية ، ولكن المشرع الاساسي هو الهستدروت . ونحن نطالب الحكومة بالدفاع عن طريقنا وماهيتنا . ونحن الذين سنقرر ما هو نزاع العمل ، ومن هنا فهذا القانون سيحمينا من اعمال الشغب في هذا المجال . ونحن نطالب الدولة بحماية ارادة العامل الحرة » . ولقد رد عليه عضو المابام في الجلسة اهرون افرات بما يلي : « لا توجد دولة ديمقراطية لا توجد فيها اضرابات . أن وجود قانون اساسي في هذا الموضوع يعني تعفن النقابات المهنية . ان قبول القانون معناه انهيار سلطة الهستدروت »(١٤). اما القرار الثالث الذي يعطي مفعولا قانونيا لترتيبات اعلان الاضراب كما وردت وتقررت في دستور الهستدروت فقد أقر بالاجماع .

سترفع هذه القرارات الثلاثة الى الحكومة لتبحثها . ولقد الزم مبام بالتصويت مع الاغلبية في الكنيست ، ولكن المبام ما زال يفتش عن مخرج ، وهو سيستغل الحريات

التي نصت عليها وثيقة التجمع حيث اعطي للمبام حق الظهور المنفرد في بعض المجالات وبينها مجال العمل . وعند بحث مشروع القانون في الوزارة الاسرائيلية ، استمر ممثلو حزب المابام في الخط الذي اقرته سكرتارية الحزب وهو معارضة اقتراح القانون ، ولكن الوزارة اقـرت مشروع القانون بأكثرية وزراء حزب العمـل وحزب المتدينين القوميين « المفدال » ومعارضة وزراء المابام وامتناع وزير حزب الاحـرار عن التصويت . لقد اصطدم هذا القانون بعقبات كثيرة ، لا سيما وان بعض وزراء حزب العمل وبالذات ممثلي كتلة « رافي » كانوا يطالبون بأن يتضمن القانون عقوبات رادعة وان يكون اشمل . هذا على صعيد الوزارة، يضاف الى ذلك، الضغوط التي كان يقوم بها اتحاد اصحاب العمل الذين كانوا يطالبون ايضا بضرورة سن قانون اشمل وبضرورة فرض عقوبات رادعة ، كما وان المعارضة الحزبية المتمثلة بالاحزاب اليمينية مثل كتلة « جاحال » والمركز الحر وغيرهما كانت تضغط في سبيل اقرار قانون « التحكيم الالزامي » . ولكن رئيسة الوزراء استطاعت اقناع المتطرفين من حزب العمل بأهمية الالتقاء مع الهستدروت حول بنود القانون ، لكي توفر الحكومة احتمال الصدام معها . ولقد علق شمعون بيرس ودايـان على مشروع القانون بما يلي : « ان اي قـانون لا يؤدي خرقه الى القضاء والسجن ـــ لن يـكون رادعا»(١٥) . وفي الجلسة التي عقدتها الحكومة في ٧١/١٠/٢٠ تم اقرار مشروع قانون « تسوية نزاعات العمـل » بصيغته النهائية وبموجب مشروع القانـون الذي سيقدم للكنيست لاقراره يستطيع وزير العمل تسوية نزاعات العمل في الدوائر الحكومية ، الامر الذي كان في السابق من اختصاص مدير خدمات الدولة . ويسري هذا القانون عـلى العاملين في خدمات الدولة بما في ذلك خدمات الامن والسلطـات المحلية ، والخدمـات الاجتماعية مثل المواصلات والكهرباء والصحة والتعليم والطيران والمياه . فالقانون يعتبر كل اضراب ، اضرابا غير مشروع اذا وقع هذا الاضراب اثناء سريان مفعـول الاتفاقات الجماعية للعمل خصوصا حول الاجور او شروط العمل ، كما وعاد القانون واكد ضرورة الابلاغ عن كل نزاع عمل او نية في الاضراب قبل اسبوعين على الاقل من الشروع في الاضراب. اما ردود الفعل الاولية على مشروع القانون فجاءت من قبل بعض لجان العمال واصحاب العمل . وكلا الطرفين رفضا هذا المشروع لاسباب مختلفة ومتناقضة ، انطلاقـا مـن تناقض مصالح الطرفين . فقد ورد في صحيفة الاتحاد ٧١/١٠/٢٢ ان اكثر من ٢٠٠ نقابة اعلنت عن رفضها لهذا القانون المعادي « للديمقراطية » والذي لا يخدم سوى سياسة نهب الجماهير الكادحة لزيادة التسلح والمغامرات العدوانية . اما اتحاد اصحاب العمل والصناعة فقد احتجوا في رسالة موجهة الى رئيسة الحكومة على « التنازلات » الاخيرة للهستدروت وطالبوا الحكومة بتبني مشروع القانون بصيغته الاولى التي اقترحها وزير العمل .

لقد ركزت الاضواء منذ اشتداد الازمة في علاقات العمل على موقف حزب المابام ، شريك حزب العمل في التجمع العمالي ـــ المعراخ ، واخذت بعض الصحف والمعلقين الذين رأوا منذ البداية ان الاتجاه في حزب العمل يسير نحو اتخاذ اجـراءات شديدة الى حد سن تشريعات في هذا المضمار ، يتساءلون حول امكانية بقاء المابام في الائتلاف الحكومي ، لانه كان واضحا منذ البداية وبناء على تجارب الماضي بأن المابام لن يستطيـع كسب المعركة داخل التجمع وانه امام خيارين اما الرضوخ لحزب العمل واما احـلال ازمة وزارية . ولكن حزب المابام رغم التململات التي كان يبديها محتجا على اسلوب عمل قيادة حزب العمل التي كانت تضع الحزب امام الامر الواقع ، كانت قيادته تقوم بمحـاولات يائسة لاستجداء بعض التنازلات من حزب العمل لكي تستطيع بواسطتها اخمـاد النقمة التي كانت تتأجج في قواعـد هذا الحـزب ضد رضوخ قيادته لحزب العمل . هـذه النقمة والمعارضة بدأت منذ بدأ التفكير في اقامة التجمع العمالي ، وعندما اقرت سياسة الحزب

واقيم التجمع ـــ المراخ خرج بعض الاعضاء في المابام بزعامة « يعقوب رفتين » الذي كـــان من اشد المعارضين لسياسة قيـــادة الحزب بالنسبة لاقـــامة التجمع ـــ المراخ وبالنسبة لمواقف الحزب في عدة قضايا اخرى من بينها الموقف من الاتحاد السوفياتي ، كما وانه خرج من صفوف الحزب بعض الشباب الذي اتجه الى حركـــة اليسار الجديد « سياح » والى المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبن » . والمتتبـــع لسياسة حزب المابام ، وخصوصا بالنسبة للأزمة في علاقات العمل يرى بوضوح ان قيـــادة الحـــزب المتلهفة للبقاء في الحكم استمرارا للشعار القديم الذي كانت ترفعه «النضال من الداخل» كانت تتنازل عن بعض الامور التي كانت تعتبرها مبدأية ، عندما كانت ترى ان الاستمرار في اعتبار تلك الامور مبدأية يحتم عليها استخلاص النتائج المترتبة على ذلـــك ، بمعنى التسبب في احداث ازمة وزارية . ففيما يخص موضوعنا لم يتورع وزير الصحة المبامي، بعد موافقة قيادة حزبه ان يوقع على اوامر الاقامة الاجبارية ضد عمال الادارة والمرافق في المستشفيات الحكومية ، رغم جميع تصريحات قادة الحزب بان عملا كهذا يعتبر تدخلا مباشرا في حرية التنظيم المهني وهو عمل غـــير ديمقراطي . ولكن حزب المابام وقيادتـــه بالذات كانت تجد « فتوى » لكل خط كانت تنتهجه ، رغم اعتبارها ايـــاه مناقضا لاحـــد المفاهيـــم الاساسية للحزب . فبالنسبة لموضوع اضراب عمـــال الادارة والمـــرافق في المستشفيات الحكومية قال وزير الصحة المبامي مبررا توقيعه على اوامر الاقامة الجبرية التي اصدرتها الحكومة بموافقة حزبه ما معناه بانه رغم ان الاضراب هو احدى الوسائل الموجودة في ايـــدي العمال لتحقيـــق مطالبهم ، فهو شخصيـــا لا يوجد عنده « تقديس للوسائل » ، وانه هنالك اوضاع يجب ان لا يسمح بتعديها ، وبالنسبة للاضراب المذكور فهو قد تعدى كل حد لانه هدد حياة المرضى . ثم اضاف مفسرا بانه هناك مطالب تكون عادلة بحد ذاتها ولكن تلبيتها يترتب عليها نتائج تضر بالاطار العام للسياسة المرسومة في ذلك المجـــال . ولكن الحقيقة ان حزب المابام الصهيوني بتنازلاته المتتالية على جميـــع الاصعدة وبالذات على صعيد علاقات العمل ، ذلك الصعيد الذي حرص المابام اثنـــاء المفاوضات لاقامة التجمع ـــ المراخ على ضمان اكبر قدر من الحركة والحرية له فيه ، سائر في اتجاه الانضمام الكامل الى حزب العمل . وهو يحاول التمهيد لهذا باثبات اهمية بقاء الحزب في الائتلاف الحكومي وفي التجمع العمالي ـــ المراخ عن طريق الحصول على بعض التنازلات في مجال علاقات العمل ، ولكن الاحداث الاخيرة في ازمة علاقات العمل وما أدت اليه من تزايد المطالبة داخل حزب العمل بضرورة تدخل الدولة او الحكومة في هذا المجال واقتراح قانون « تسوية نزاعات العمل » الذي اقرته الحكومة والهستدروت بناء على تأييد حزب العمل لهذا الاقتراح اوقـــع المابام في مشكلـــة ، فرغم معارضته في الحكومة والهستدروت فقد اقر اقتراح مشروع القانون وتقرر تقديمه للكنيست لاقراره نهائيا . وهنا اخذ زعماء المابام في عقد الاجتماعات الثنائية مع رئيسة الحكومة لكي تسمح لهم بحرية التصويت في الكنيست ، وعندما وجدوا انهم لن يحصلوا على هذا اقترحوا السماح لاعضاء الحزب في الكنيست بمجرد الامتناع عن التصويت . وهذا يرينا الى اي مدى يحافظ هذا الحزب على ما يدعيه مبادىء اساسية في برنامجه السياسي ، وهو يثبت ما سبق وقلناه بان التلهف على البقاء في الحكم هو المقرر بالنهاية في تحديد المواقف النهائية، وهذا الشيء يمكن قياسه بالنسبة للمواقف الاخرى لهذا الحزب في المجالات الاخرى ولا سيما السياسة الخارجية والامن وقضية السلام وغيرها .

ان ما يهمنا هنا من كشف الوجه الحقيقي لهذا الحزب الصهيوني ، هو تعرية هذا الحزب امام اليسار الاوروبي الذي كان للحـــزب نشاط ملموس بين صفوفه ، ونحن وان كنـــا هنا نعري هـــذا الحزب بالنسبة لقضية تعتبر قضية داخلية ، فانه ليس بالعسير تعرية مواقف حزب المابام في قضايا اخـــرى سياسية وفكرية . ومن الجـــدير بالذكر هنا ان

المقاومة الفلسطينية ، حققت نجاحا في مجال الاعلام ، وخصوصا في اوساط اليسار الاوروبي والشباب والطلاب في الغرب في فترة وجيزة جدا اكثر مما حققته وسائل الاعلام العربية في عقدين من السنين ، حيث نجحت المقاومة في فضح وكشف الدور الحقيقي للصهيونية بشكل عام والدور والوجه الحقيقي لاحزاب العمال الصهيونية بشكل خاص. والمتتبع لما نشر بالصحف العبرية بعد حرب حزيران حول الموضوع ، يستطيع ان يقف على القلق الذي اصاب الدولة الصهيونية ، باحزابها ووسائلها الاعلامية من تزايد الاعلام الفلسطيني وتغلغله في اوساط الشباب والطلاب بوجه خاص .

بعد تناولنا لموقف حزب المابام من القضية التي نحن بصددها ، ساتطرق الى موقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » ، والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبن » . ويعود اختيار هذين التنظيمين لسببين رئيسيين : الاول : رغم التشابه في تحديد السبب المباشر للأزمة في علاقات العمل فالتناقض يبرز في الطريق للخروج من هذا الوضع . اما السبب الثاني : فهو كون الحزب الشيوعي الاسرائيلي «راكاح» في معالجته لقضية علاقات العمل ودفاعه عن العمال وقضاياهم يتشابه الى حد ما مع باقي الفئات المعارضة لسياسة الحكومة في هذا المضمار مثل « ماكي » هعولام هزه وجماعة «رفتين» وغيرهما . فالحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » عند خوضه في قضية علاقات العمل والاجور والاسعار والضرائب ، يربط بين التأزم والتدهور في هذه المجالات وبين السياسة العامة للحكومة فيما يتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي ، ويرى ان المخرج لهذا الوضع يتمثل في انتهاج سياسة سلام حقيقية تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذ قرار مجلس الامن الدولي الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ الذي يدعو الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة والى تسوية النزاع العربي — الاسرائيلي سياسيا ، ويعلن الحزب في توجهه الى العمال بأن الهجوم الشديد على مستوى معيشة الطبقة العاملة وسياسة تحديد الاجور وارتفاع الاسعار والضرائب ما هي الا نتاج مباشر لسياسة الحكومة التوسعية المبنية على المغامرات العسكرية والتنكر لحقوق شعب فلسطين ، تلك السياسة التي تتطلب ازديادا متواصلا في نفقات ميزانية الدفاع وكل ما يتعلق بالتسلح والامن ، الامر الذي ينعكس مباشرة على مستوى حياة الطبقات الكادحة . كما ويقوم الحزب بالتنديد بسياسة الحكومة تجاه اصحاب رؤوس الاموال والمستثمرين من الداخل والخارج تلك السياسة التي تعطي تسهيلات كبيرة ومعونات لهؤلاء المستثمرين بدون حساب ، بينما تقف موقفا متصلبا من العمال ومطالبتهم بزيادة الاجور .

اما المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبن » والاجنحة التي انشقت عنها فيما بعد ، وان كانت تلتقي مع الحزب في تحليل الاسباب المؤدية الى الوضع الاقتصادي والى وضع الطبقة العاملة والفئات المسحوقة بشكل خاص ، فانها تختلف مع الحزب في الرؤيا للخروج من الوضع . فهي الى جانب تأييدها غير المتحفظ لمطالب العمال فانها تقوم بتحريض سياسي تبين فيه اسس المشكلة والنزاع العربي — الاسرائيلي ، الى جانب فضح طبيعة الكيان الصهيوني ومخططاته . وعلى صعيد التوجيه النقابي فقد كانت المنظمة تقوم بتعرية الدور الذي تلعبه الهستدروت وقادتها بالذات في خيانة مصالح الطبقة العاملة ، وتدعو العمال الى اقامة نقابات مستقلة ولهدم الهستدروت . كما وكانت توضح بأن الهستدروت بشكلها الحالي ومبناها التنظيمي القائم ، ما هي الا اداة ووسيلة من وسائل الصهيونية للحفاظ على الكيان الصهيوني ، وهذا هو الواقع فالهستدروت كما يعرفها قادتها هي جزء من النظام Establishment ، وكان وما زال لها دور في بناء هذا الكيان والمحافظة عليه . ففي مقال نشر في صحيفة « دافار » الاسرائيلية وهي الصحيفة الناطقة باسم الهستدروت في ١٩٧١/٢/٢٦ حول ماهية الهستدروت والعلاقة بين الهستدروت والحزب (حزب العمل) يقول كاتب المقال ما معناه : من الضروري

وخصوصا في فترة الائتلاف القومي المحافظة على الهستدروت كقوة مستقلة ليس فقط في نطاق النضال المهني بل في بنائها لمجتمع العمال ، ولكن الهستدروت المستقلة لا يمكن ان تعمل في فراغ وعليها ان تأخذ بعين الاعتبار اثناء ممارستها للنضال المهني او بنائها للمجتمع العمالي وضع الدولة ، خصوصا وان الحكومة تتألف في غالبيتها من ممثلي حركة العمل ، ومن هنا الضرورة في وجود حلقة الوصل ــ الحزب . ويميز كاتب المقال بين نوعين او نموذجين لعمل التنظيمات المهنية ــ النموذج السوفييتي ، حيث النقابات المهنية ليست اداة تنفيذية في يد الحزب الشيوعي فحسب ، بل توجد بواسطة الحزب وتخضع لاشرافه وسياسته . اما النموذج الثاني ، فيسميه النموذج الانجلو ــ سكسوني ، حيث ان النقابات المهنية هناك هي التي اقامت حزب العمال (مثلا في بريطانيا) ، وحيث تتصرف النقابات باستقلالية حتى عندما يكون حزب العمال ، هو الحزب الحاكم . وبعد عرض هذين النموذجين ، يخلص كاتب المقال الى ان كليهما غير مناسب لاسرائيل . فالاقتصاد في اسرائيل هو اقتصاد تعددي Pluralistic ، بمعنى انه الى جانب القطاع الخاص يوجد قطاع عام وقطاع هستدروتي عمالي . ومهمة الهستدروت كما يراها كاتب المقال هي في استمرار توجيه النضال الطبقي مع الاخذ بعين الاعتبار مسؤوليتها تجاه عملية بناء الدولة ، ولذلك فالمسؤولية هي اجتماعية وقومية وسياسية ، حيث تقوم في المجال الاخير بشكل خاص بخدمة السياسة العامة للدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي . لذلك تشدد الهستدروت على وجوب اخذ وضع الدولة بعين الاعتبار اثناء ممارسة النضال الطبقي . وهي في هذا النطاق تشدد على ضرورة التنسيق التام بين الهستدروت والحكومة في الحقول التي لها صلة بالعمال . والهستدروت منذ اقامتها ارتبطت بالمخططات السياسية للحركة الصهيونية وقامت بدور فعال في تنفيذ هذه المخططات ، وهي مستمرة في اداء دورها ضمن النظام ، مشكلة احدى القوى التي يستند عليها النظام الصهيوني . اذا ما استعرضنا تاريخ وفعاليات الهستدروت قبل وبعد قيام دولة اسرائيل ، نرى انها بالفعل خضعت وتخضع للاطار العام للايديولوجية الصهيونية . والهستدروت في تركيبها تعكس القوى السياسية المختلفة في اسرائيل ، ومن ثم فهي تخضع ، الى جانب خضوعها للايديولوجية الصهيونية بشكل عام ، الى الايديولوجيات المختلفة للاحزاب العاملة في اسرائيل ، وهي تتماشى في سياستها ، على جميع الاصعدة، مع سياسة هذه الاحزاب وبالذات التجمع العمالي الحاكم ، حيث يسيطر هذا التجمع على الهستدروت ايضا . لقد استطاع التجمع العمالي ، عبر طريقة الانتخابات للهستدروت المبنية على اساس قوائم حزبية ان يخلق جهازا بيروقراطيا في الهستدروت يرتبط مباشرة بالاحزاب والكتل التي ينتمي اليها اكثر من ارتباطه بالقاعدة العمالية . لهذا اخذت تتشكل لجان عمال في الاونة الاخيرة تمثل العمال والمستخدمين في القطاعات المختلفة ، ولكن هذه اللجان لم تتوحد وتستقل عن اطار الهستدروت ، بل بقيت تمارس الضغوط بشكل منفرد لتحقيق مطالب فئوية . يضاف الى هذا انها لم تستطع ان تتعدى في مطالبها الاطار المطلبي أو ان ترى الصلة المباشرة بين السياسة العامة للحكومة وللاحزاب العمالية الحاكمة وبين اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية . يعود هذا الى استمرارها في اخضاع التناقض الطبقي لصالح التناقض الخارجي . كما وان الطبقة العمالية في اسرائيل تفقد ميزة اساسية تتحلى بها الطبقة العمالية في الدول الراسمالية . هذه الميزة تتجلى في نوع من الاعتزاز بالانتماء الطبقي . اما في اسرائيل فشعور الانتماء هو اثني اكثر منه طبقي. والطبقة العمالية في اسرائيل ليست ذات تقاليد بروليتارية ، نظرا لصغر سنها ونظرا للجهود التي تبذلها الصهيونية على اختلاف احزابها في خلق شعور نفسي عند هذه الطبقة، بحيث ترى انها تنتمي الى « الشعب » او القومية المهيمنة ، وبالتالي فهي ترى نفسها مميزة عن القسم الاخر من السكان ، اي العرب . يضاف الى هذا الطموحات البرجوازية الصغيرة التي تأخذ في التبلور عند افراد هذه الطبقة مع قدومهم الى فلسطين ، حيث

كثيرون منهم يضطرون بحكم الظروف الى تغيير مجال عملهم ، ولذلك فحتى لو عملوا في الصناعة فهم يرون عملهم هذا مرحلة انتقالية في حياتهم ، ويتولد عندهم الطموح الى مزاولة المهن والاعمال الحرة . هذا الاتجاه تزايد كثيرا بعد الاحتلال الاسرائيلي لبقية فلسطين وبعض المناطق الاخرى . يضاف الى هذا عامل آخر أدى الى اضعاف الانتماء الطبقي وهو شعور التعصب والاستعلاء القومي الذي يصبح اكثر عنفا مع قدوم هؤلاء المستوطنين الى فلسطين بغض النظر عن انتماءاتهم الطبقية . هذا الشعور يعود الى جملة اسباب اهمها مركب الشعور بالنقص الذي كانوا يحملونه في البلدان التي قدموا منها . ينقلب هذا الامر الى رد فعل عكسي مع قدومهم الى فلسطين ، حيث ينقلب مركب الشعور بالنقص الى عقدة الاستعلاء القومي . هذه العقدة تغذيها الايديولوجية الصهيونية من جهة والميثولوجيا الدينية من جهة اخرى . وبالتالي فهذا الشعور وهذه الطموحات تؤدي الى اضعاف الشعور بالانتماء الطبقي .

ان السؤال الذي يطرح نفسه تلقائيا بعد محاولة دراسة اية ازمة او « صراع » على كافة المستويات ، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، يتلخص في محاولة رؤية مدى حدة الازمة في المجال المعين ، وهل توجد لها ابعاد سياسية ، او بشكل اخر هل هناك امكانية لتسييس ظاهرة ما او ازمة معينة ، رغم عدم وجود ابعاد سياسية واضحة لها منذ البداية . وفي مجال دراستنا حول ظاهرة الاضرابات العمالية في السنتين الاخيرتين يطرح هذا السؤال نفسه ايضا . لقد بينا في هذه الدراسة ان الاضرابات الاخيرة والازمة في علاقات العمل لم تكن حدثا غير متوقع بل هي استمرار لتأزم مزمن في علاقات العمل في اسرائيل . هذه العلاقات التي خضعت وما زالت تخضع للاعتبارات الامنية ، التي هي بحد ذاتها ستار للاهداف السياسية للنظام الصهيوني . هذه الاهداف ، كان لا بد وان تترك اثارها على مختلف المجالات في المجتمع والنظام الصهيوني ، ومنها مجال العمل و « النضال الطبقي » داخل اسرائيل . حيث أدت هذه الاهداف السياسية الى ازدياد مضطرد في نفقات التسلح الامر الذي أدى الى عجز دائم في ميزان المدفوعات الذي لم تستطع المعونات الاجنبية وحملات التبرعات ان تحدث توازنا فيه . وبالتالي اثر الامر على مثلث الاجور والاسعار والضرائب ، حيث اصيب هذا المثلث بتخلخل مما ادى الى ظهور الازمة في علاقات العمل . لقد كانت الحكومة تحاول دائما ان تحافظ على استقرار هذا المثلث من جهة وعلى زيادة مدخول الخزينة بواسطة الضرائب المباشرة وغير المباشرة من جهة اخرى لتتمكن من تقليص العجز في ميزان المدفوعات ، دون تخفيض ميزانية التسلح التي هي السبب المباشر في زيادة الضرائب . والمتمعن في احداث الاضرابات الاخيرة التي اجتاحت اسرائيل يرى بوضوح ان هذه الاضرابات اقتصرت على كونها مجرد نضالات مطلبية ، تطالب بتقسيم « الكعكة » والاعباء بشكل عادل . وهذه الاضرابات وان لم تتخذ طابعا سياسيا مناوئا للنظام او على الاقل للسياسة الرسمية الحالية فهي على المدى البعيد ، ومع توافر بعض الظروف الموضوعية ، الداخلية والخارجية المرتبطة عضويا بعضها ببعض ، تشكل الى جانب بعض الصراعات الاخرى مثل التمييز الطائفي ثغرة جدية في الكيان الصهيوني . لذلك يجب أن لا نغالي حاليا في ابعاد هذه الاضرابات ، وكأن الانفجار على وشك الوقوع ، كما انه علينا ان لا نغفل تلك الاحداث كليا ، بل علينا مراقبتها وتتبعها ومحاولة تفسيرها بشكل علمي وصحيح ، ومن ثم الاستفادة منها قدر الامكان في دعايتنا الموجهة الى داخل اسرائيل والى الرأي العام العالمي . ان جعل هذه الصراعات اكثر حدية وتسييسها ، بمعنى دفعها الى الصدام مع عدوها الاساسي والحقيقي اي النظام الصهيوني يتطلب تبلور حركة سياسية داخلية ، تأخذ على عاتقها مهمة ادارة الصراع ضد النظام الصهيوني ، وتسعى لاسقاطه ، وهي في سعيها هذا عليها ان تقوم بمحاولة تسييس الجماهير المضطهدة اليهودية والعربية

داخل المجتمع الصهيوني . هذه الحركة تصبح اكثر فاعلية واستقطابا للجماهير داخل المجتمع الصهيوني اذا ما نجح العامل الاساسي في الصراع ، اي الحركة الثورية العربية، وفي طليعتها الكفاح الفلسطيني المسلح في استقطاب الجماهير العربية المضطهدة وذات المصلحة في التغيير على كافة المستويات الى جانبه . هذا الاستقطاب مشروط بمدى قدرة الثورة على تفهم قضايا الجماهير وبمدى نجاحها في طرح الحلول لهذه القضايا ، وهذا بالطبع يحتاج الى عمل دؤوب ومثابر وملتزم . ومن هنا نرى ان كل نجاح تحققه الثورة العربية سواء على المستوى العسكري في الصدام مع ماكينة الحرب الصهيونية او على مستوى معالجة قضايا الجماهير في المنطقة ككل ، وفي كل بلد على حدة ، لا بد وان يساعد القوى المناوئة للصهيونية داخل اسرائيل في عملها وتحريضها لاسقاط النظام الصهيوني وفي تحرير هذه الجماهير من الايديولوجية الصهيونية المسيطرة على فكرها ، وبالتالي ربطها مصلحيا بالثورة العربية على مستوى المنطقة .

---

١ — **معريف** ١٩٧٠/٥/٢٠ ، ص ١٤ .
٢ — **معريف** ١٩٧٠/٢/٢ ، ص ٣ .
٣ — **هآرتس** ١٩٧٠/٢/٢ ، ص ٣ .
٤ — **ماتسبن** ٥٧ ، في يناير ١٩٧١ ، ص ٣ .
٥ — **الاتحاد** ١٩٧١/١٢/٣ .
٦ — **الاتحاد** ١٩٧١/١٢/٣ ، ص ٥ .
٧ — **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/١٧ ، ص ٣ .
٨ — **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/١٧ ، ص ٣ .
٩ — **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/١٨ ، ص ١ .
١٠— **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/٢١ ، ص ٣ .
١١— **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٩/٨ ، ص ٢ .
١٢— **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٩/٨ ، ص ٢ .
١٣— **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٦/١٨ ، ص ٣ .
١٤— **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٩/١٠ ، ص ٤ .
١٥— **يديعوت احرونوت** ١٩٧١/٩/١٣ ، ص ٣ .

نحو جبهة تحرير وطنية فلسطينية ـ أردنية

أ. م. *

في الحين الذي تتصاعد فيه الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية على حركة التحرر الوطني العربي عامة وعلى حركة المقاومة الفلسطينية بشكل خاص ، لتمسك بخناقها وتسد عليها انفاسها تدريجيا ، حتى تجد حركة التحرر العربية والفلسطينية نفسها بعد فترة اما مختنقة منتهية أو مستسلمة مقلوعة الاظافر والاسنان ، تتلاعب بها الاهواء المعادية كما تشاء وتتقاذفها المشاريع والحلول الاستعمارية دون ان تملك تجاهها حولا أو قوة ، في هذا الحين وفي مواجهة هذه الهجمة فان الطريق الوحيد المفتوح امام حركة المقاومة ، الطريق الذي لا بديل عنه هو طريق القتال والكفاح المسلح . وفي خضم الازمة وتفاقمها الذي يشهده كل يوم جديد فان نضالا سياسيا عنيفا لا بد ان يرافق عنف الكفاح المسلح ، يكسب منه ويكسبه قفزات نوعية تنقله ، في مختلف المواقع ، قدما الى الامام . ان النضال السياسي العنيف لا يجد مساره الفاعل الا بالاجابة الثورية على مطالب الجماهير في كل مركز من مراكز مجابهتها مع قوى الاعداء . من هنا ، فان تحديد معسكر الخصم تحديدا علميا واقعيا وكذلك تحديد المعسكر الحليف للثورة ، يعتبر أمرا على درجة كبيرة من الحيوية . وكذلك فان امتلاك اسس المجابهة والصراع ، امتلاكا شديد الوضوح والحسم ، يعتبر السلاح الفاعل في المعركة كلها . ولا بد ان يكون واضحا ان للنضال السياسي تعبيرات تأخذ أشكالها وطبيعتها من واقع قوى الثورة من جهة أولى ، وواقع قوى العدو من جهة ثانية ، اما من الجهة الثالثة فتأخذه من واقع الظروف المحيطة بعملية الصدام كلها .

على الساحة الفلسطينية اصبح واضحا ان اداة حركة المقاومة الفلسطينية الرئيسية لخوض معركتها من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني هي وحدة وطنية فلسطينية نضالية ، تعتمد الكفاح المسلح ضد العدو الامبريالي الصهيوني والرجعي ، مصعدة هذا الكفاح عسكريا وسياسيا ودون هوادة مع كل يوم ودون تردد وفي كل موقع ومجال . وعلى الساحة العربية المحيطة بالثورة الفلسطينية فان قيام جبهة تقدمية عربية ذات برنامج نضالي شامل ومفصل ، يستجيب للمتطلبات الموضوعية لقضية نمو وتصاعد الثورة الوطنية الديموقراطية العربية ، انما هو المدخل الوحيد المتاح للفعل والحركة على طريق التحرير .

لا شك ان الساحة الفلسطينية ـ الاردنية على اساس قراءة خريطة الصراع بمنظار علمي وواقعي ، تعتبر ذات خصوصية ، عناوينها الرئيسية : اشتراك الشعبين في نضال واحد ، ضد عدو مشترك مباشر ، نحو مصير واحد . لذلك فان قيام جبهة التحرير الوطنية الاردنية ـ الفلسطينية ، على اساس برنامج متكامل في نواحيه العسكرية والسياسية والاجتماعية ، هو الرد الثوري الحاسم في وجه النظام الملكي العميل المدعوم

---

* أعدت هذه الدراسة في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .

بقوى الامبريالية واسرائيل. ان النظام العميل في عمان لا يقاتل حركةالمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية الممثلة لجماهير الشعب ، قتالا عسكريا وسياسيا وحسب ، وانما هو معها ايضا في صراع يومي ضد حياتها ووجودها واستمرارها . من هنا فان برنامج جبهة التحرير الوطنية الاردنية ــ الفلسطينية، لا بد ان يفهم منخلال هذا المنظار، اذ انه وهو يجيب على متطلبات النضال العسكري والسياسي ، لا يمكن ان يعفي نفسه من الرد على متطلبات الجماهير اليومية ، والا ظل نضالا ناقصا . ان النضال من اجل المصالح المعيشية واليومية، اقتصادية او نقابية او ثقافية الى جانب انه واجبنا كطليعة تحسآلام الشعب واحتياجاته، فانه وسيلة لتنظيم الجماهير، وتدريبها على النضال، وهو من ناحية ثالثة يعمق التناقض بين الجماهير والنظام ويخلــق قناعة عامـــة بضرورة التخلص منه ، وذلك شرط موضوعي اساسي لنجاح اية ثورة. من الفهم الشامل لطبيعة الصراع ، لا بد ان ينطلق نضال الجبهة الوطنية الفلسطينية ــ الاردنية ، من اجــل الاطاحة بالنظام العميل ، وتهيئة الساحة الاردنية كمنطلق متــين للنضال ضـــد العدو الصهيوني ــ الامبريالي على طريق تحرير كامل التراب الفلسطيني .

اولا : ان منظمة التحرير الفلسطينيـــة مطالبـــة بأن تركز نضالها حول ثلاثة محـــاور استراتيجية رئيسية : ١ ــ مواصلة تعبئة وتنظيم كل طاقات شعبنا داخل الوطــن وخارجه من اجل التحرير واقامة المجتمع والدولة الديمقراطيين . ٢ ــ لحم نضـــال شعبنا بنضال الشعب الاردني الشقيق في جبهة تحرير فلسطينية ــ اردنية تقوم الى جانب مهامها على الساحة الفلسطينية بالنضال لتحرير الاردن من النظام الملكي العميل واقامة حكم وطني ديموقراطي قاعـــدة مؤخرة قويــــة لجبهة النضال على الساحـــة الفلسطينية . ٣ ــ ربط النضال الفلسطيني ، والفلسطيني ــ الاردني بالنضال العربي العام من خلال جبهـــة لكل القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديـــد .

ان الجبهة الوطنية الاردنية ــ الفلسطينية التي تعتبر قضية تشكيلها قضية استراتيجية جوهرية من مهام منظمة التحرير الفلسطينية ستقاتل على الساحتين على النحو التالي :

١ ــ مواصلة النضـــال لتحرير كامـــل تراب الوطن الفلسطينـــي ولاقامة المجتمـــع الديموقراطي الفلسطيني الذي يتوفر فيه حق العمل والحياة الكريمة لكل المواطنين ، وتتوفر فيه الضمانات لمصالح كـــل الفئات الاجتماعيـــة التي شاركت في الثـــورة او ساندتها ، او حتى اكتفت بالعطف عليها دون ان تتعاون مع العدو او تسهل له مهمته في احتلال اراضينا وقمع مواطنينا ، ودون ان تمثل هذه المصالح استغلالا او عدوانا على مصالح الاغلبية الساحقة من الجماهير العاملة ، او تشكل قيدا على تنمية ورفع مستواها المعيشي والحضاري . . . كما تتوفر في هذا المجتمع حرية الرأي ، والتعبير ، والاجتماع ، والتظاهر ، والاضراب ، وتشكيـــل المؤسســـات السياسية والنقابيـــة الوطنية ، وحرية ممارسة العقيدة لكل الاديـــان . . . وبحيث يكـــون هذا المجتمـــع الفلسطيني الديموقراطي رافدا من روافد المجتمع الديموقراطي العربي الشامل .

٢ ــ النضال ضد كل مشروعات التسوية التي تستهدف تصفية قضية شعبنا في تحرير وطنه ، او مسخ هذه القضية بمشروعات الكيانات او الدويلة الفلسطينية التابعة .

٣ ــ تعزيز روابط الوحدة الوطنية بين جماهير مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ وفي الضفة الغربية وقطاع غزة وفي خارج الوطن المحتل .

٤ ــ مقاومة سياسة تفريغ الارض المحتلة من سكانها العرب ، والتصدي بالعنف لبناء المستوطنات وتهويد اجزاء من الوطن المحتل .

٥ ـ تعبئة الجماهير في الضفة وفي القطاع وتسليحها للدفاع عن اراضيها التي يحاول العدو انتزاعها .

٦ ـ العناية بتنظيم الجماهير في مؤسسات نقابية للدفاع عن مصالحها اليومية ، ومساعدة هذه المؤسسات على مقاومة محاولات الهستدروت لاجتذاب العمال العرب لعضويتها ، ومقاومة محاولات بعض الاحزاب الصهيونية لاقامة فروع عربية لها في الارض المحتلة .

٧ ـ رفع اجور العمال الذين يعملون في اراض ومؤسسات عربية لحمايتهم من اغراءات العمل في مشاريع العدو ، وتشجيع وتنمية مشاريع انتاجية وطنية لاستيعاب العمال الذين يستخدمهم العدو ، ومقاومة محاولات العدو للاستيلاء على ، او تحطيم المشاريع الانتاجية الوطنية .

٨ ـ دعم وتنمية المؤسسات الاقتصادية والثقافية الوطنية القائمة حاليا في الوطن المحتل لتثبيت المواطنين في الارض ، ووقف تيار النزوح منها ، ومقاومة الغزو الاقتصادي والثقافي الصهيوني .

٩ ـ العناية باوضاع مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ودعم نضالهم من اجل الحفاظ على هويتهم الوطنية والعربية وتبني قضاياهم ، ومساعدتهم على الالتحام بالنضال التحرري .

١٠ ـ العناية بمصالح جماهير شعبنا العاملة في مختلف انحاء الوطن العربي والعمل على الحصول لهم على حقوق اقتصادية وقانونية متكافئة مع مواطني المجتمعات العربية طالما انهم يوظفون طاقاتهم الانتاجية عملا او فكرا في خدمة تلك المجتمعات . وخاصة فيما يتعلق بحق العمل ، والمكافآت . والتعويضات ، وحرية العمل السياسي والثقافي وحرية السفر والتنقل .

١١ ـ ترقية وتطوير دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني وذلك بالعناية بها اجتماعيا ، وثقافيا ، واقتصاديا ، واشراكها في كل مجال نضالي تستطيع الاسهام فيه .

١٢ ـ العناية باوضاع مواطنينا في المخيمات ، والعمل على ترقيتها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، وتدريبهم على الادارة الذاتية لشؤونهم من خلال لجان شعبية منتخبة تقوم الى جانب اجهزة منظمة التحرير برعاية شؤون المخيمات .

١٣ ـ اعتبار كل متعاون مع العدو ، او مشارك له في جرائمه ضد الشعب والوطن ، او متهاون في حقوق الشعب والوطن هدفا ، بشخصه ، وبممتلكاته ، مالا ، او عقارا ، او ارضا ، من اهداف الثورة .

١٤ ـ تتشكل الجبهة الوطنية المتحدة الفلسطينية من كل فصائل الثورة ، السياسية والعسكرية ، ومن المنظمات الفلسطينية الجماهيرية ، نقابية او ثقافية ، وباب العضوية في تشكيلاتها مفتوح لكل الفئات والشخصيات الوطنية .

ثانيا : برنامج جبهة التحرير الوطنية الفلسطينية ـ الاردنية :

ان السياسات التي ينتهجها نظام الحكم الحالي في عمان لا تهدد وحسب بتسليم الضفة الغربية والقدس رسميا للعدو ، وهي لا تحمل المخاطر لقضية الوجود الوطني الفلسطيني الموحد ، ولقضية التحرير الوطنية الفلسطينية وحسب ، ولكنها بالاضافة الى ذلك تهدد بوضع الضفة الشرقية عمليا تحت الوصاية والحماية الاسرائيلية سياسيا ، واقتصاديا وعسكريا . كما ان تغلغل النفوذ الامبريالي الاميركي ، والالماني

الغربي ، مضافا الى النفوذ البريطاني التقليدي ، وذلك من خلال المعونات المشروطة، وفتح الباب على مصراعيه امام الاستثمارات الاميركية والالمانية الغربية ، كل ذلك يحول شرق الاردن الى مستعمرة اميركية ــ المانية غربية ــ اسرائيلية . والسياسات الداخلية للنظام العميل في عمان القائمة على قمع الجماهير الاردنية ــ الفلسطينية تمكن الزحف الاستعماري الجديد ، الاميركي والالماني الغربي مـن تثبيت اقدامه ، ونهب موارد الاردن ، واستغلال قوة عمل الجماهير ، وتعطيل نمو الاقتصاد الوطني ، كما تؤدي الى الافقار المتزايد للجماهير الاردنية ــ الفلسطينية ، وخلق فئة متنفعة تحول الاردن الى قاعدة مؤخرة للقاعدة الامبريالية ــ الصهيونية في الوطن الفلسطيني المحتل ، ولكي تعمل القاعدتان معا في خدمة المخططات الامبريالية المعاديـة للثورة الوطنيـة العربية . ان هجمة ايلول ، التي كانت تجسيدا دمويا للتآمر الامبريالي ضد حركـة التحرر الوطني العربية ، تؤكد ان هجمة النظام في عمان على المقاومـة الفلسطينية ، كانت بداية هجمة شرسة على الشعب الاردني ، وبداية دور يلعبه الاردن ضد الدول العربيـة الاخـرى .

وبرغم ان المقاومة قد اخرجت من قواعدها في الاردن فان ٤٥٪ من ميزانية الاردن تنفق على اغراض الامن ، اي لتعزيز اجهزة ووسائل قمع الجماهير ، التي سرعان مـا بـدأ النظام يكشر لها عن انيابه ، فلقد حل اتحاد نقابات العمال في الاردن ، وفرض النظام قانون عمل معدل فاشستي يلغي بنصوص صريحة حتى المكاسب الجزئية التي تضمنها القانون السابق ، ويضع الحركة العمالية والنقابية تحت وصاية الدولة واجهزة الامن ، كما زيدت الضرائب على صغار الفلاحين ، وبدأت السلطات في اتخاذ اجراءات تعسفية في تحصيلها ، وفرضت ضرائب جديدة على المعاملات ، كما فرضت ضرائب غير مباشرة في شكل رفع الرسوم الجمركية على كثير من الواردات مما ادى الى ارتفاع جنوني في الاسعار وفي النفقات المعيشية ، وحظرت الاحزاب الوطنية والتقدمية وفرض بدلا منها حزب واحد هو ما يسمى بالاتحـاد الوطني ، السلطـة المطلقـة فيه للملك سياسيا وتنظيميا وفرضت قيود مكارثية على حرية الضمير واصبح ثمن الحصول على وظيفة في جهاز الدولة هو نشر استنكار من طالب الوظيفة في الصحـف لما يسمى بالافكـار والاحزاب الهدامة والتخريبية ، وعطلت الصحف الوطنية والمنابر الثقافية الوطنية . وانهالت اموال الدعم على الصحف العميلة والمأجورة ، وحلت الاتحـادات الوطنيـة للطلاب ، وفرضت بدلا منها اتحادات بوليسيـة ، واتسعت عمليات اتلاف الضمائر بارهاب المواطنين او شرائهم لاشاعة التجسس والعمالة لاجهزة الامن ، كما فتح النظام ابواب سجونه ومعتقلاته للمناضلين الوطنيين من الشعبين . ان اللقاءات والاتفاقات السرية والتي سمح العدو نفسه باعلانها بين الملك ورجـاله وبين العدو والتي كان اهمها لقاء وادي عربة بعد ايلول بين الملـك وييجال آلون نائب رئيسة وزراء العدو يؤكد ان هجمة ايلول على المقاومة كانت ايضا بداية مؤامرة بين الملك وبين العـدو على معركة التحرير العربية .

واذا كان النظام الاردني يعتدي على اقوات المواطنين الاردنيين والفلسطينيين لتعزيز جهاز القمع الموجه ضدها ، فان المعونات الاميركية تنفق على اعادة بناء الجيش الاردني لكي يوجه ضد سوريا والعراق كما اعترفت بذلك مجلة الجيش الاميركية في كانون الثاني ١٩٧٢ . ان هجمة ايلول على المقاومة كانت ايضا بداية دور يلعبه النظام الاردني ضد البلاد العربية المجاورة بهدف فرض السيطرة الامبرياليـة عليها . ان الافقار والقهـر اللذين يعانيهما الشعب الاردني والفلسطيني على ايدي نظام الملك حسين في الضفـة الشرقية هما بنفس درجة الافقار والقهر اللذين يعاني منهما الشعب في الضفة الغربية وبقية الوطن المحتل على ايدي المحتلين الصهيونيين ، حيث الى جانب الارهاب ، تعاني

الضفة الغربية من الغزو الاقتصادي الصهيوني الذي يحطم المشاريع الاقتصادية الوطنية ويدمر الزراعة والتجـارة المحليتين ، وحيث ينتزع المحتلون اراضي الفلاحـين وحيث الاسعار في ارتفاع مستمر . كذلك يمد المحتلون اصابع غزوهم الثقافي الى المؤسسات التعليمية والثقافية في الضفة الغربية . ان الجسـور المفتوحة بين الضفـة الغربية والشرقية تهدد ايضاً بغزو اقتصادي وتجاري لا يمكن ان تصمـد امامها المشروعات الانتاجية والتجارية للمنتجين والتجار المتوسطين ، خاصة اذا اضفنا الى ذلك العبء الذي سيواجهه هؤلاء من جراء الهجمة الاقتصادية الاميركية والالمانية الغربية . ان كثرة الاموال المتداولة في مثل هذه الظروف ليست ابدا وليد رفاه ، وانما هي اعـراض للتضخم النقدي المقرون بارتفاع تكاليف المعيشة وانخفاض المداخيل الفعلية للمواطنين. هذا الى جانب ان مصدر الاموال المتداولة هو قطاع ضيق من المجتمع يرتبط برؤوس الاموال الامبريالية الزاحفة وبالنظام العميل .

ان النضال للاحاطة بالنظام العميل في الاردن اصبح ضرورة ملحة على نفس مستـوى مواصلة النضال ضد الاحتلال الصهيوني . ان المصالح الحيوية المشتركـة للشعبين الاردني والفلسطيني ، وطنية كانت ، او اقتصادية ، او ثقافية وحضارية مضافا الى ذلك ان ٤٠ في المائة من شعبنا الفلسطيني يقيم منذ زمن في شرق الاردن ، ويمثل ٦٠ في المائة من مجموع سكان الضفة الشرقية ، ويسهم اسهاما رئيسيا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيها ، تتطلب تلاحـم ودمج نضـال الشعبـين في جبهـة تحرير وطنية اردنية ـ فلسطينية .

١ ـ ان هذه الجبهة مطالبة بتوجيه نضال الشعبين نحو الاهداف الاستراتيجية التالية : أ) الاطاحة بالنظام العميل في الاردن ، وتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني واقامة دولة اتحادية ديموقراطية على ارض فلسطين والاردن تؤمن صون السيادة الوطنية للشعبين ، وتؤمن التطور الوطني المشترك لهما اقتصاديا واجتماعيا ، وحضاريـا وتعزيز علاقات الاخوة والمساواة بين الشعبين عن طريق الحقوق المتساوية دستوريا وقانونيا ، وثقافيا ، واقتصاديا ، عن طريق وضع مـوارد اي من الاقليمين بشريـا واقتصاديا وحضاريا في خدمة نمو الاقليم الاخر . ب) لحم نضال الشعبين الفلسطيني والاردني بنضال الامة العربية من اجل التحرر وضد المشاريع الامبريالية لفرض حلول واوضاع استسلامية على الوطن العربي ، ولتصفية كل اشكال الوجود الامبريالي ، الاقتصادية ، والعسكرية ، والثقافية ، وكل القوى المرتبطة بها والتي تقوم بـدور الوسيط لتسلل الاستعمار الجديد ولسياساته .

ولكي يتحقق الوجود الفعلي للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية ويتـدعم وينمو فوق الساحة الاردنية ، فان من الواجب البدء فورا بتنشيط كافة اشكال النضال الجماهيري اليومية ، بحيث يؤدي تحرك الجماهير من اجل مطالبهـا اليومية والعامـة الى بروز قياداتها المنظمة وتنظيماتها المعبرة عن مصالح فئاتها المختلفة . هذه القيادات والتنظيمات التي غابت عن معارك الجماهير اليومية طوال السنوات الاخيرة .

كما ان تحقيق الاهداف العامة للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية يتطلب نضالا طويلا وشاقا ، بحيث تتخطى الجماهير من خلال النضال اليومي ، والمعارك الجزئية ، كـل العقبات الاقليمية والاجتماعية المتخلفة ، وتنصهر في نضال مشترك يبرز وجهها القومي المناضل ويفضح النظام الهاشمي الذي يعتمد اساسا على ابقاء العلاقات العشائرية والبدوية ويستثير التعصب الاقليمي كقناع خادع لعمالته للصهيونية والاستعمار .

ان الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية الساعية من اجل الاطاحة بالنظـام الهاشمي العميل في الاردن ، وتحرير فلسطين ، مطالبة بتحريك النضال الشعبي وتوجيهه على

مختلف ميادين الصدام بين السلطة الاردنية وبين الجماهير ، مقدمة شعاراتها المناسبة في المعارك اليومية بحيث تربط على الدوام بين هذه المعارك الجزئية وبين اهدافها العامة وتوجه حرابها ونتائجها لتصب في النضال العام للشعبين .

لهذا فعلى الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية ان تتوجه بالنضال من اجل : ١) تعبئة وتنظيم الجماهير من اجل الاطاحة بالنظام العميل في الاردن بكل وسائل النضال الجماهيرية مسلحة وغير مسلحة . ٢) اشراك ابناء الشعب الاردني في الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني باعتبار ذلك حقا وطنيا وقوميا وباعتبار ذلك ضرورة لحماية شرق الاردن ذاته . ٣) التأكيد على ضرورة حرية الثورة الفلسطينية في العمل في الاردن ومن الاردن واقامة قواعدها على ارضه ، وفضح مؤامرات النظام العميل واضاليله في هذا الشأن ، وتوفير الحماية الجماهيرية للمقاتلين المنطلقين من والى غرب النهر . ٤) مقاومة الاجراءات الارهابية البوليسية والحظر المفروض على الاحزاب الوطنية والتقدمية ، وتشكيل النقابات والاتحادات المهنية والطلابية وتنشيطها ومقاومة كل تدخل للسلطات في نشاطها او الدفاع عن المناضلين المعتقلين والمسجونين والنضال من اجل الافراج عنهم وفضح المحاكمات الصورية وجرائم التعذيب ، ومقاومة وفضح كل القوانين التي تشكل قيدا على حريات الجماهير والنضال ضد قانون عقد العمل المعدل والمطالبة باعادة المكتسبات التي انتزعها العمال طوال السنوات الثلاث الماضية والغاء قرار حل اتحاد نقابات العمال في الاردن . ٥) فضح ومقاومة كل القوانين والاتفاقات التي تسمح بتغلغل رؤوس الاموال الامبريالية وتمكن الاستعمار الجديد في الاردن . ٦) فضح تسرب السيطرة الصهيونية والاستعمارية على الاقتصاد الوطني ، وكشف الآثار المترتبة عليه والربط بينها وبين تبديد موارد الدولة على اجهزة الامن ونهب الاسرة الحاكمة وعملائها لها . ٧) تنشيط نضال ابناء البادية وسعيهم من اجل تنمية وتوسيع الخدمات المقدمة لهم تعليميا وطبيا وثقافيا، وتثبيت توطينهم واسكانهم وتوفير العمل الانتاجي الثابت والمجدي حتى يتحرروا من الاوضاع المفروضة عليهم بهدف استخدامهم لدعم السياسات القمعية ضد قطاعات الشعب الاخرى . ٨) مقاومة الضرائب المبالغ فيها على الفلاحين وتوجيههم للمطالبة بالقروض والتسهيلات من اجل رفع مستوى الانتاج الزراعي وتسهيل عملية تسويق منتجاتهم ومساعدتهم على تشكيل تنظيماتهم التي تدافع عن مصالحهم اليومية وتنظم نضالهم من اجلها . ٩) مقاومة كل زيادة في رسوم المعاملات ، والضرائب غير المباشرة وكافة الاجراءات التي ترفع تكاليف المعيشة ، وتضارب بأقوات الشعب ، ومساعدة المواطنين على تشكيل جمعياتهم التي تتولى الدفاع عن مصالحهم المعيشية اليومية . ١٠) فضح كل القوانين واللوائح التي تبذر روح التفرقة والتمايز بين المواطنين من الشعبين والمطالبة بالغائها . ١١) تثقيف الجماهير بروح القومية العربية وفضح سياسة الاعتماد على المعونات الامبريالية . ١٢) كشف الدور القمعي المعد للجيش الاردني ، وفضح العناصر العميلة والمعادية المعروفة بولائها للاستعمار وتصفيتهم وتوعية الجنود والضباط الصغار بخطر الاعتماد على الدول الامبريالية في تسليح الجيش ، وتعميق الوعي الوطني بينهم وتثقيفهم بروح الاخوة النضالية والمصيرية بين الشعبين الفلسطيني والاردني ، ودفعهم للنضال من اجل تحويل الجيش الاردني الى جيش وطني قادر على المشاركة في معركة التحرير الى جانب قوات الثورة الفلسطينية . ١٣) العمل على ان تسهم الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية اسهاما نشطا في تجميع القوى الوطنية والمعادية للامبريالية في الوطن العربي كله في جبهة نضالية واحدة على تعميق الصلات النضالية بين النضال الوطني الفلسطيني الاردني والقوى الثورية العالمية .

العلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل

اسعد عبد الرحمن

يحاول هذا البحث تقديم دراسة نقدية للازمات الكبرى الثلاث التي عصفت بالعلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل : ازمة تأسيس الجيش الاسرائيلي في العام ١٩٤٨ ، ازمة « قضية لافون » في مراحلها الثلاث على امتداد الفترة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٥ . وأزمة حرب الايام الستة في العام ١٩٦٧. وان البحث السريع لخلفية تلك الازمات في بداية الدراسة كان ضرورة لا بد منها تماما مثلما ان الجزء الاخير من البحث عني بسرد مجموعة من الاستنتاجات التي تساعد على تقديم صورة اجمالية للواقع الذي حكم العلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل . وغني عن القول ان طموح هذه الدراسة لا يتعدى اعتبارها محاولة اولية لفهم ذلك الموضوع الشائك والحساس مع التأكيد على أن موضوعا كهذا هو ـ حتما ودوما ـ بحاجة الى المزيد من الجهد والدراسة في المستقبل .

توطئــة

الظاهرة العسكرية بمعنى ممارسة الجيش(١) دورا مستقلا او شبه مستقل في الحياة السياسية في المجتمعات المختلفة ظاهرة ما فتىء خطها البياني بالصعود . ومع أن الدور السياسي الذي يلعبه الجيش يتفاوت في وضوحه وعلنيته بين بلد وآخر ، الا ان البلدان المختلفة تشترك جميعا في كون الجيش عاملا هاما او رئيسيا اوحد ، حسب الحالة ، في قيادة دفة حياتها السياسية . والتفاوت في درجة تدخل الجيش متدرج بين نقطتين نوعيتين مختلفتين : فهو أما تدخل في الشؤون السياسية للمجتمع على شكل « قوة ضاغطة » أو هو هيمنة شبه كاملة او كاملة على مقدرات البلد وكافة مناحي النشاط والحياة فيه(٢).

والعمل السياسي المستقل من جانب القوات المسلحة ليس ظاهرة متكررة الحدوث فحسب وانما هي ظاهرة قديمة مسرحها رقعة واسعة من المجتمعات التي يتشكل منها عالمنا ، وهي ليست محصورة ، بأي شكل من الاشكال ، بمنطقة واحدة من المناطق . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فان ٣٢ دولة من أصل ٥١ ظهرت في العام ١٩١٧ او قبله كانت مسرحا للانقلابات العسكرية . وقد شهدت ١٣ دولة من أصل ٢٨ ، ظهرت بين الاعوام ١٩١٧ ـ ١٩٥٥ ، سلسلة من الانقلابات العسكرية(٣). كما وتصاعد عدد الانقلابات العسكرية بشكل ملحوظ بعد العام ١٩٥٥ وبخاصة في الدول النامية حديثة الاستقلال ، مما وضع تلك الظاهرة ضمن دائرة الضوء لدى المهتمين(٤). ومنطقة الشرق الاوسط بالذات هي واحدة من مناطق رئيسية اربع كان لها نصيب كبير من مجموع الانقلابات العسكرية منذ بداية القرن الحالي . مما يضفي على الظاهرة العسكرية ، بالنسبة لنا، أهمية خاصة . أما الاسباب الكامنة وراء تلك الظاهرة فمتعددة من جهة ، وخارج نطاق اهتمامنا في هذا البحث من جهة ثانية . غير انه من المفيد الاشارة الى أن سببا واحدا قاصر حتما عن تقديم تفسير مقنع للمسألة وان ثمة سلسلة من الاسباب المعقدة والمتشابكة مسؤولة ، بشكل او بآخر ، عن بروز تلك الظاهرة واستمرارها بحيث يبدو ذلك الاستمرار وكأنه حالة لا مهرب ولا فكاك منها(٥). وانسجاما مع الاهتمام الخاص الذي يولاه موضوع العلاقات المدنية ـ العسكرية في المجتمعات المختلفة(٦) ، واستقصاء لحقيقة الحديث المتصل عن « الديمقراطية » وعن «أولوية وهيمنة القيادة السياسية على المؤسسة العسكرية » في اسرائيل(٧)، من أجل هذا وذاك، كان هذا البحث .

العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل

ان اية محاولة علمية لفهم طبيعة العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل لا بد لها من أن تؤمن لنفسها الماما سريعا بواقع الوجود الصهيوني في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ . على اعتبار ان ما حدث بعد ذلك العام انما يجد جذوره في الفترة التي سبقت كما أن ما تم بناؤه منذ الاعلان عن قيام اسرائيل انما يجد ــ الى حد بعيد ــ ارضيته الصلبة فيما تم ارساؤه من قواعد واسس قبل ذلك الاعلان . فلا البناء السياسي ولا الاجتماعي ولا العسكري بعد العام ١٩٤٨ منفصل عن البناء السياسي والاجتماعي والعسكري بعد ذلك العام. ولولا بعض التغيرات ــ التي ستكون موضع بحث وخاصة في النطاق العسكري ــ لقلنا أن بناء ما قبل ١٩٤٨ ما هو الا امتداد دقيق لما تم قبله . وعلى أية حال ، فان من جملة اهتماماتنا في هذا البحث هو محاولة « وضع الاصبع » على ما يشكل استمرارا لما هو سابق زمنيا من جهة وما يشكل افتراقا عن الماضي من جهة ثانية . هناك ملاحظة وحيدة فقط جديرة بانتباهنا بهذا الصدد : ليس من اختصاص هذا البحث التعمق فيما هو قائم قبل ١٩٤٨ الا بمقدار ما يقتضيه ويتطلبه جهدنا لفهم ما قام منذ ظهور اسرائيل وحتى الان وبتحديد أكثر فان جهدنا سينصرف الى محاولة فهم ذلك الجزء من الماضي ذي العلاقة الوثيقة بالعلاقات المدنية ــ العسكرية في وضعها الراهن . وتبرز في هذا المجال حقيقتان اساسيتان : **اولا** : ان المؤسسات والتقاليد والقيم المدنية بواقعها الراهن في اسرائيل، وخاصة في السنين الاولى من قيامها ، تمثل ــ الى حد بعيد ــ امتدادا عضويا للمؤسسات والتقاليد والقيم السائدة على امتداد فترة نصف القرن قبل ١٩٤٨ . **ثانيا** : ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لم تنبثق من فراغ بل أنها تمثل صورة من صور تطور وتحول الجهد والمؤسسات والتقاليد العسكرية الصهيونية السابقة ، المتواجدة قبل العام ١٩٤٨ ، الى واقع جديد .

المؤسسات المدنية الصهيونية(٨) واذرعها العسكرية

مثلت المؤسسات المدنية الصهيونية التعبير التنظيمي للتيار الصهيوني الذي بدأ يتبلور في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر(٩). وقد قصد ، بالواقع ، ان تكون تلك المؤسسات الاداة التنفيذية للبرنامج الصهيوني الاكثر تبلورا والذي صيغ في المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) واصبح يعرف منذئذ بأسم « برنامج بال » . نص هذا البرنامج على « أن هدف الصهيونية هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام»(١٠). اما الخطوات التي تقرر اتباعها لانجاز ذلك الهدف فقد تحددت على النحو التالي : « ١ ــ تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقا لخطوط مناسبة . ٢ ــ تنظيم اليهود وربطهم جميعا عبر مؤسسات مناسبة على الصعيدين المحلي والعالمي ، كل منها حسب قوانين البلد المعني . ٣ ــ تقوية الحس والوعي القوميين اليهوديين وتعزيزهما . ٤ ــ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول ، حيث يكون ذلك ضروريا ، لتحقيق هدف الصهيونية »(١١).ولانجاز هذا البرنامج اعلن المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) عن تأسيس « المنظمة الصهيونية العالمية » . ومع الزمن نمت المنظمة بأجهزتها الاصلية او المستحدثة، وتحت مختلف الاسماء ، بشكل متشعب ، سواء في فلسطين ذاتها ، او في العديد من بلدان العالم(١٢).

وقد باشرت المنظمة الصهيونية دورها « كحكومة طور التكوين »(١٣) ومارست « شبه سلطة على يهود فلسطين » واصبحت « حكومة داخل الحكومة (المقصود حكومة الانتداب) » منذ العام ١٩١٨(١٤). وعندما أعلن دافيد بن جوريون ، رئيس كل من اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية واللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، قيام اسرائيل في الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨(١٥)، تولى هو نفسه رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع كما تولى حاييم وايزمن (رئيس المنظمة الصهيونية طوال اكثر من عشرين عاما) رئاسة الدولة الجديدة . أما الحكومة المؤقتة فتشكلت من بين اعضاء اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية(١٦). وهكذا نرى الترابط العضوي بين الاجهزة المدنية الصهيونية ، وبالذات السلطة التنفيذية ، وبين الاجهزة الجديدة التي مثلت قمة الهرم التنفيذي والاداري السياسي لاسرائيل . وما يهمنا بهذا المجال هو استخلاص حقيقة اساسية مؤداها ان السلطة السياسية الرئيسية في فلسطين وخارجها قبل ١٩٤٨ بقيت ، هي ذاتها ، الممسكة بزمام الامور مع قيام الدولة. وكل هذا يعني ان السلطة السياسية **التاريخية** (بكل ما يوفره ذلك من امتيازات) بقيت ، هي

نفسها المتحكمة بدفة الامور ولكن ، هذه المرة ، ضمن الاطار السياسي الصهيوني الجديد .

والسؤال الاساسي الذي يطرح نفسه الان : ضمن هذا الاطار السياسي الجديد ، ما هي **القوى** السياسية الحقيقية الرئيسية الفاعلة وما هي مكامن قوتها ؟

اول ما يجب الاشارة اليه هو أن القوى السياسية المشار اليها لم تتأثر بالاطار الدستوري الجديد بقدر ما اثرت هي فيه . فاذا كان ذلك الاطار ، بشكله الجديد ، امرا مستحدثا ، فان حقيقة وجود تلك القوى حقيقة ذات وجود تاريخي طويل له جذوره العميقة في تربة المجتمع الصهيوني الاسرائيلي . واذا ما تركنا جانبا المؤسسات الصهيونية المشار اليها سابقا (المنظمة الصهيونية ، الوكالة اليهودية ... الخ) على اعتبار انها **اطر لقوى** سياسية فاعلة داخلها ، أصبح من الضروري الاشارة اشارة سريعة محددة الى تلك **القوى بالذات** لكي نتمكن من فهم ادوات التقرير الرئيسية في الحياة السياسية الصهيونية وفي الحياة السياسية الاسرائيلية قبل العام ١٩٤٨ وبعده لما لذلك من اثر مباشر على موضوعنا .

الثقل السياسي الاول ، في المجتمع الصهيوني والاسرائيلي ، ومنذ العام ١٩٢٩ كان لحزب الماباي الذي تمتع دوما بنصيب الاسد من أصوات الناخبين في اسرائيل تماما مثلما كان قد تمتع بالنسبة الاعلى من التمثيل في كافة الاجهزة الصهيونية التي سبقت قيام الدولة منذ العام ١٩٣٥[١٧]. وقد احتل بن جوريون موقع القيادة الاول في هذا الحزب على امتداد الجزء الاطول من حياة الحزب السياسية . اما مكامن القوة في حزب الماباي فمتعددة : **اولها** ان برنامجه استطاع، باستمرار ، ان يجذب القاعدة الاوسع من الجمهور الصهيوني وبالتالي امتلك دوما الثقل السياسي التقريري . **وثانيها** ان الحزب اصبح ، بحكم نجاحه السياسي ، مؤسسة ذات جذور تاريخية وتقاليد راسخة ومدرسة للعمل السياسي ومصدرا لقيم ومثل تركت بصماتها على الحياة السياسية في اسرائيل . **وثالثها** قيادته الكفؤة (من زاوية وضع وتنفيذ الاهداف الصهيونية) وبخاصة قيادة وشخصية بن جوريون التي امتلكت ، في وسط الجمهور الصهيوني ، سحرا خاصا[١٨]. (ستكون هذه النقطة الاخيرة موضع بحث لاحق) **ورابعها** ،

وقد يكون أهمها ، كون الماباي قد امتلك دوما الجناح العسكري الاكثر عددا وقوة ، والمقصود بذلك منظمة الهاجاناه .

أما القوة السياسية الاساسية الثانية التي تهمنا[١٩] فهي ما اصطلح على تسميته بتيار التصحيحيين (او التحريفيين) أي تلك المجموعة المتأثرة بفكر وبرنامج وشخصية فلاديمير جابوتنسكي. ونتيجة لخلافات هذه المجموعة مع برامج الماباي وجدناها تقيم لنفسها مؤسساتها الخاصة بها والمنافسة للمؤسسات الصهيونية المختلفة . فالى جانب الهستدروت أنشأ اتباع جابوتنسكي تنظيمهم الخاص الموازي له (١٩٣٤) ، ومقابل « المنظمة الصهيونية العالمية» أقامت هذه المجموعة ما أسمته « بالمنظمة الصهيونية الجديدة » (١٩٣٥)، هذا بالاضافة الى مؤسستهم العسكرية الخاصة (١٩٣٧) ، التي اشتهرت باسم المنظمة القومية العسكرية (الارجون تزفاي لئومي)[٢٠].

وطالما حددنا المنبت السياسي لاكبر تنظيمين عسكريين صهيونيين (الهاجاناه والارجون)[٢١] فان من المفيد التعرض — بشكل سريع — الى هذين التنظيمين بشكل مباشر .

الهاجاناه : من المعروف ان من اوائل صيغ التنظيمات الصهيونية شبه العسكرية في فلسطين هي تلك الصيغة التي جاءت مع مهاجري ١٩٠٥ الذين نزحوا الى فلسطين بعدما تعرضوا للاضطهاد في كل من كيف وكولون . وقد عرفت الصيغة هذه باسم « هاشومر » (أي الحارس وجمعها شومريم)[٢٢]. واستمرت مجموعات (هاشومر) بممارسة دورها في التصدي للمقاومة العربية الفلسطينية الى ان باتت تشعر بالعجز ازاء تزايد تلك المقاومة . عندها وافق الهستدروت على توصية تقدمت بها احدى لجانه المختصة ، وبدأت بالاعداد لانبثاق اول منظمة سرية عسكرية في فلسطين . ونستطيع القول ان يوم الخامس والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٢٥ كان يوم تأسيس الهاجاناه[٢٣].

وبالجهد الخاص الذي اولاه حزب الماباي للهاجاناه وتحت مظلة الحماية والتشجيع البريطانية[٢٤]، نمت الهاجاناه بشكل ملحوظ[٢٥]. ولقد التزمت المنظمة العسكرية الجديدة بمبدأ هفلاجا (ضبط النفس) السائد اجمالا في وسط الجمهور الصهيوني[٢٦] حتى اواخر الثلاثينات حين اتبعت

الهاجاناه تكتيكا هجوميا أستتبع مزيداً من نمو بعض أجهزتها المتخصصة[٢٧]. وما ان جاء يوم الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ حتى كان مجموع عدد قوات الهاجاناه يقارب الـ ١١٥،٨١٠[٢٨]. لهذا كان من الطبيعي ان تمارس الهاجاناه الدور الاكثر حسما في خوض معارك ١٩٤٨ ، وفي تأمين قيام الدولة عسكريا ، وفي التأثير على البناء العسكري الاسرائيلي . ان فهم النقطة الاخيرة هذه يقتضي وقفة سريعة أمام احد أبرز قطعات الهاجاناه المعروفة باسم « البالماخ ».

البالماخ : كانت وجهة نظر ييغال آلون في مطلع الاربعينات[٢٩] تشدد على ضرورة انشاء قوة خاصة تتولى الدفاع عن الوجود الصهيوني في فلسطين على أساس انتقاء أفضل الكفاءات العسكرية الصهيونية لهذا الغرض . ولهذا قررت اللجنة المناط بها مسؤولية الهاجاناه اقامة قوة ضاربة خاصة عرفت باسم البالماخ منذ ايار (مايو) ١٩٤١[٣٠]. وفي هذا المجال يجب ان تذكر ايضا ضغوط « يتسحاق صاديه » ، القائد العسكري في الهاجاناه التي هدفت الى « اقامة نخبة عسكرية يهودية دائمة مستقلة ومحترفة »[٣١]. وقد نجح صاديه هذا في كسب دعم كل من الياهو جولومب ، قائد الهاجاناه ، والدكتور موشيه سنيه ، رئيس اركانها ، الى جانب اقتراحه ، وهكذا انيطت به مسؤولية الاشراف على البالماخ من قبل قيادة الهاجاناه[٣٢].

ومع أن تنظيم البالماخ ضم في صفوفه عددا من الاتجاهات السياسية المختلفة ، الا ان الاغلبية كانت من أعضاء « حركة الكيبوتس المتحدة » المتعاضدة مع « حزب العمل المتحد » . فمن ضمن الـ ٢٨ مستوطنة التي شكلت منبع قوات البالماخ كان « لحركة الكيبوتس المتحدة » ١٧ منها . وطوال حياة البالماخ (١٩٤١ — ١٩٤٧) لم تقل نسبة اعضاء حركة الكيبوتس المتحدة في تنظيم البالماخ عن ٣٠٪ من مجموع الاعضاء[٣٣].

ان أهمية النقطة المشار اليها اعلاه تكمن في : **اولا :** وقوع اول قوة عسكرية صهيونية محترفة ضمن دائرة تأثير حزب سياسي واحد هو حزب العمل المتحد ، خاصة وان هذا الحزب معروف بتبلور افكاره وبرامجه وبانضباطية اعضائه . **ثانيا :** والذي زاد من أهمية ذلك هو ان الحزب لم يكن الحزب الصهيوني **الاقوى** في فلسطين مما ترك آثاره على مسألة توحيد القوى العسكرية الصهيونية في جيش واحد ، كما وخلق حالة من عدم التوازن — كما سنرى لاحقا[٣٤]. **ثالثا :** وتزداد اهمية وخطورة النقطة المشار اليها اعلاه عندما ندرك ان تنظيم البالماخ شكل النواة الحقيقية للجيش الاسرائيلي لاحقا مما هدد ، في فترة من الفترات ، بحدوث حالة انفصام بين القيادة السياسية التي تنتمي الى حزب الماباي وبين أغلبية قيادة البالماخ التي تنتمي الى حزب العمل المتحد المنافس للماباي داخل حركة الصهيونيين — الاشتراكيين[٣٥].

الارجون وشتيرن : أسباب عديدة ، بعضها محدد بشكل دقيق وبعضها الاخر عام الطابع ، أدت ، بشكل مباشر او غير مباشر ، الى انبثاق منظمات عسكرية نتيجة لانشقاق بعض الاجنحة عن المنظمة الام — الهاجاناه : فلا « رابطة المزارعين » ولا « الصهيونيون البرجوازيون » ولا « الصهيونيون التصحيحيون » كانوا راضين عن السيطرة السياسية التي مارسها « اليسار الاشتراكي » الصهيوني على الهاجاناه[٣٦]. ولا سياسة الهفلاجا (ضبط النفس) ، التي شكلت سياسة الهاجاناه ، حازت على رضاء التيارات المتطرفة الداعية الى ضرورة بدء القتال ضد كل من حكومة الانتداب والعرب[٣٧]. ولا التركيب التنظيمي وطبيعة البناء العسكري للهاجاناه أرضت المجموعة المتأثرة بفكر جابوتنسكي الذي كان يدعو الى قيام منظمة عسكرية محترفة تضم عسكريين محترفين وتتمسك تماما بالروحية والتقاليد العسكرية[٣٨].

وفي مطلع العام ١٩٣١ ، وبسبب العوامل المختلفة آنفة الذكر ، قام جناح من الهاجاناه بقيادة افراهام تيهومي بالاستيلاء على مخزن للسلاح في القدس تابع للمنظمة . وقد اتبع تيهومي عمليته تلك بالاعلان عن قيام منظمة عسكرية جديدة مستقلة تعمل تحت اسم « الهاجاناه ب » .

وفي العام ١٩٣٨ التقت «حركة الشباب التصحيحي» المعروفة باسم « بيتار » والتي كانت قد بدأت « بعسكرة » نفسها لمدة خلت ، التقت مع منظمة « الهاجاناه ب » واعلنتا انشاء منظمة جديدة موحدة هي « المنظمة القومية العسكرية » التي اشتهرت ، تحت قيادة ديفيد رازيل ، باسم الارجون . وسرعان ما انتقلت مقاليد القيادة بعد

ذلك ليد افراهام شتيرن في العام ١٩٤٠[٣٩]. وعندما وافقت بعض قيادات الارجون على الهدنة مع حكومة الانتداب اثناء الحرب العالمية الثانية ، وقف شتيرن ضد ذلك وانسحب (ساحبا معه العدد الاكبر من الاعضاء ومستوليا على الكمية الاكثر من الاسلحة) معلنا تشكيل منظمة « المقاتلون من اجل حرية اسرائيل » المعروفة باسم « ليحي » او بعصابة شتيرن[٤٠].

وبوفاة جابوتنسكي ، « الاب الروحي » للمنظمة، عام ١٩٤٠، ومقتل قائدها الاول رازيل عام ١٩٤١، ومقتل شتيرن قائدها الثاني (المنشق عنها) في العام ١٩٤٢ ، اصيبت هذه المؤسسات العسكرية بصدمة كبرى استمرت الى حين استلم قيادة الارجون مناحيم بيجن في العام ١٩٤٣[٤١].

أما النقطتان البارزتان اللتان تجدر ملاحظتهما ونحن بصدد الفروغ من حديثنا عن الارجون فهما : **أولا** : ان الارجون او المنظمات المكونة لها او المنشقة عنها ، كانت منظمات عسكرية ، تخضع لقيادات عسكرية في كافة شؤونها وقراراتها السياسية والعسكرية على حد سواء . وهي بذلك كانت تختلف عن الهاجاناه التي وان كانت خاضعة لتأثير حاسم من قبل حزب الماباي والصهيونيين ــ الاشتراكيين فانها كانت « تتلقى اوامرها من اليشوف (المجموعة اليهودية في فلسطين) وكانت نشاطاتها العسكرية تفرضها دائما القرارات السياسية لليشوف »[٤٢]. اما علاقة الارجون سواء بحركة « بيتار » او « بالتصحيحيين » اجمالا فكانت علاقات عائمة لدرجة ان الارجون كانت فعلا منظمة مستقلة تماما عن التيارات السياسية التي كانت وراءها [٤٣]. ولهذا فانه بالقدر الذي كان فيه للهاجاناه تجربة في التعامل مع سلطات مدنية فان الارجون كانت مفتقدة لمثل هذه التجربة والخبرة . **ثانيا** : ان الارجون اضطرت الى اتخاذ سلسلة من القرارات والمواقف السياسية التي ميزتها لاحقا وعرضتها للعديد من المشاكل . ذلك ان عملياتها العسكرية كانت تجبرها دوما على اتخاذ مواقف سياسية لتبرير نشاطها العسكري وهذا بدوره كان يعود فيتحكم بنشاطها العسكري ذاته[٤٤]. وهكذا وقعت الارجون في المستنقع الذي حذرت الاخرين من مغبة الوقوع فيه !

العلاقات بين المنظمات العسكرية الصهيونية

كان من الطبيعي ان تؤدي الاسباب الاجتماعية والعقائدية والسياسية ذاتها التي كانت وراء انشقاق المؤسسة العسكرية الصهيونية الى سيادة حالة من التوتر الدائم بين المنظمات المنشقة من جهة والمنظمة الام من جهة ثانية . وكان للتباين الفاضح في مواقف المنظمات المختلفة من كل من حكومة الانتداب وعرب فلسطين ، اثناء الحرب العالمية الثانية ، اثره الكبير في رفع حرارة الخلافات الصهيونية وزيادة توتر علاقاتها .

ومنذ أن قامت الارجون بأولى عملياتها الارهابية الكبرى ضد عرب فلسطين في شباط (فبراير) ١٩٣٩ واولى عملياتها الكبرى ضد حكومة الانتداب في ايلول (سبتمبر) من العام ذاته ، وقع التناقض بين التكتيكين الصهيونيين ، تكتيك الهاجاناه الداعي الى « الاعتدال » وتكتيك الارجون ومنظمة ليحي الداعي الى «التطرف»[٤٥]. ولكن قلة العمليات وضعفها[٤٦] في سنوات الحرب الحاسمة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣) أخرت حدوث أية مواجهة حقيقية بين التيارين العسكريين الصهيونيين[٤٧]. ولكن العام ١٩٤٤ جاء ليحمل معه ظروفا جديدة[٤٨] ارتفع معها عدد العمليات الارهابية بشكل ملحوظ مما دفع الهيئات الصهيونية الرسمية للاعراب عن « معارضتها » و« أسفها » و« رعبها » و« غضبها » من العمليات الارهابية[٤٩]. وما أن قامت منظمة شتيرن باغتيال اللورد موين (الوزير البريطاني في منطقة الشرق الاوسط) في القاهرة ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ حتى شعرت الوكالة اليهودية بأن زمام الامور بات على أبواب ان يفلت من يدها فاصدرت اوامرها للهاجاناه لمحاربة كل من الارجون وشتيرن[٥٠]. وكان من نتيجة تعاون بعض قطعات الهاجاناه مع حكومة الانتداب ان سلمت الوكالة اليهودية للاخيرة أسماء ٤٠٠ ارهابي . كما قامت الهاجاناه بسلسلة من أعمال الخطف والاعتقال ضد الارهابيين بالاضافة الى افشائها معلومات لحكومة الانتداب عن عمليات ارهابية محتملة الوقوع . واستمرت الحرب معلنة من قبل بعض[٥١] اجزاء الهاجاناه ضد الارهابيين حتى نهاية العام ١٩٤٥ حين فكت الهاجاناه ارتباطها ببريطانيه[٥٢].

وكان من الطبيعي ان هذا الجزء من تاريخ العلاقات بين المنظمات الصهيونية ولد حالة من انعدام الثقة بينها مما عكس نفسه ، مباشرة ، على مسألة توحيد المنظمات في جيش صهيوني واحد ومما

ادى الى عراقيل واصطدامات سنعرض لها في وقت لاحق[٥٣].

توحيد المنظمات العسكرية الصهيونية في « جيش الدفاع الاسرائيلي »

لا يمكن لاي حديث جدي عن توحيد المنظمات العسكرية الصهيونية وقيام « جيش الدفاع الاسرائيلي » ان يتم بمعزل عن الدور الخاص الذي لعبه دافيد بن جوريون في تحقيق ذلك . ان اهمية بحث دور بن جوريون ، بالذات ، تنبع من كونه أكثر الاشخاص اثرا في حسم تلك المسألة من جهة وكونه افعل الاشخاص الذين تركوا بصمات واضحة على الجيش ومسيرته وعلاقاته بالسلطات المدنية الاسرائيلية من جهة ثانية .

حول دور بن جوريون : يعتقد آموس بيرلماتور ، الخبير في شؤون الجيش والمجتمع الاسرائيليين ، ان الفضل في تحول المنظمات العسكرية الصهيونية من مؤسسات طوعية شبه محترفة ومسيسة[٥٤] الى مؤسسة واحدة غير طوعية ، محترفة ، وغير مسيسة ، عائد بالاساس الى « تصميم ومهارة دافيد بن جوريون » . ايضا فان تبوء بن جوريون لمنصبي رئيس الوزراء ووزير الدفاع منذ العام ١٩٤٧ وحتى العام ١٩٦٣ (باستثناء ١٥ شهرا بين ١٩٥٣ و١٩٥٥) ، ساعده على « ختم طابعه الراسخ على جيش اسرائيل ووزارة الدفاع . واكثر من اي عامل اخر ، صاغت شخصية بن جوريون ورؤياه القومية مجرى العلاقات المدنية — العسكرية في دولة اسرائيل الجديدة »[٥٥]. وقد ساعد في تحقيق ذلك « فردية » بن جوريون « واصراره العنيد على تجاوز الايديولوجيات والسياسات » المختلفة بالاضافة الى « استعداده للمخاطرة » باتخاذ اجراءات ستؤدي حتما الى زيادة عدد خصومه واعدائه[٥٦].

ولكن جهد بن جوريون لتوحيد المنظمات الصهيونية لا يمكن ان يعزل عن الواقع الذي مارس فيه تلك الجهود . فقد سهلت بعض جوانب ذلك الواقع مهمته في حين ان بعضها الاخر عقدها : فبن جوريون ليس شخصية قوية فحسب بل هو رئيس ومؤسس الحزب الصهيوني الاقوى : المباي . وهذا ، بحد ذاته ، عنى ان انرع ذلك الحزب[٥٧] (بحكم سيطرته عليها وليس بحكم استنفراده الكامل بها) كانت بمثابة السلاح في يد بن جوريون لتنفيذ سياسته . أما العقبات التي كانت تنتصب في وجه بن جوريون ووجه برنامجه لتوحيد المنظمات في جيش واحد فيمكن تلخيصها بالانقسامات الحادة (اجتماعيا وسياسيا وعسكريا) داخل المجتمع الصهيوني ذاته : فالفوارق الاجتماعية التي تركت آثارها على الحياة السياسية والعسكرية فوارق حادة . والمنظمات السياسية المنافسة عديدة . والمنظمات العسكرية، بالاضافة الى قواها العسكرية ، كانت قد أصبحت مؤسسات ذات جذور تاريخية عميقة في وسط بعض قطاعات الجمهور الصهيوني مما جعل مسألة تصفيتها مسألة غير سهلة على الاطلاق . ناهيك عن كون العلاقات بين هذه المنظمات وبين المباي او الهاجاناه علاقات شابها ، ليس التناقض فحسب ، بل الصدام الفعلي كما سبق ولاحظنا . أيضا ، يجب ان تضاف الى هذا كله الخلافات المتعددة ، في الايديولوجية والموقف السياسي ، داخل الهاجاناه وغيرها من المؤسسات التي ينتمي بن جوريون وحزبه الى معسكرها[٥٨]. ولكن التراث التاريخي للهاجاناه (تجربتها وانضباطيتها) [٥٩] كان عاملا مساعدا من زاوية التزامها برغبات وقرارات السلطة السياسية فوقها . غير ان انعدام مثل هذه التجربة لدى الارجون ، مثلا ، جعل هذه المنظمة غير قادرة على فهم ضرورة الخضوع للسلطة المدنية وجعلها تتشبث أكثر فأكثر باستقلاليتها . وما أن اقتضت الظروف خضوع الارجون للبناء السياسي الجديد ، الذي انبثق مع قيام اسرائيل ، حتى قاومت ذلك بشكل كاد أن يؤدي الى حرب أهلية !

الازمة الكبرى الاولى : تأسيس الجيش الاسرائيلي

ما أن استلم بن جوريون ، رئيس الوكالة اليهودية، مسؤولياته كمسؤول عن شؤون الدفاع في حزيران يونيو) ١٩٤٧ ، حتى حدد لنفسه مهمتين اساسيتين : **الاولى** : « اعادة تنظيم الهاجاناه لجعلها خاضعة (وخاضعة فقط) لسلطات قومية (أي غير حزبية) » . **والثانية** : « التعبئة السريعة والمكثفة للرجال والمصادر كي يكون بحوزة اليشوف جيش جاهز لمواجهة الغزو العربي المحتمل »[٦٠].

الهدف **الثاني** نجح بن جوريون ، سريعا ، في انجازه اذ حصلت الهاجاناه على اكبر ميزانية في تاريخها ، وكان لذلك آثار بعيدة المدى على صعيد

تركيب وقوة الهاجاناه[61]. اما هدفه **الاول** فقد اقتضى جهودا خاصة بحكم وجود تنظيمات صهيونية عسكرية اخرى منافسة وغير راغبة في الغاء استقلاليتها . هذا من جهة . ومن جهة ثانية عانت الهاجاناه من وجود مراكز قوى متميزة داخلها . واهم هذه القوى كانت البالماخ التي كانت مترددة في الذوبان من ناحية وصاحبة وجهات نظر مغايرة لوجهات نظر الهاجاناه اجمالا ازاء مستقبل وتنظيم ومسؤوليات « جيش الدفاع » من ناحية اخرى . وهكذا نرى ان مسؤولية بن جوريون ازاء مراكز القوى العسكرية الصهيونية كانت مسؤولية مزدوجة : مع الارجون وليحي (شتيرن) اولا ، ومع البالماخ ثانيا :

بدايات الازمة : يقول بن جوريون : « وزعت الحقائب (الحكومية) يوم ٢٨/٤/٤٨ ، وتقرر ان استلم حقيبتي رئيس الحكومة والدفاع ... وكان قبولي لتلك المسؤولية ، كما اوضحت ذلك للحكومة المؤقتة ، على اساس شرطين : آ – يكون الجيش قيد الانشاء خاضعا بكل اقسامه لسلطة الشعب وفقط تحت سلطة وادارة الشعب ، على ان يخضع الجيش ، بعد شهرين ، لسلطة الحكومة المنتخبة . ب – كل من يعمل في الجيش او الهاجاناه يخضع للهيئات المحددة التي تقرها سلطة الشعب و (سلطة الشعب فقط) . ايضا فان كافة اعضاء الهاجاناه والبالماخ والجنود ، دونما أية اهمية للاسم الذي سيسمونه (لاحقا) ، سيخضعون بدرجة متساوية لسلطة واحدة ولسلطة واحدة فقط »[62]. ولكن الاحداث تتابعت ، بعد ذلك بشكل سريع ، وعلى النحو التالي : ● اعلنت الارجون ، في الشهر ذاته ، انها ستحل نفسها حال قيام الدولة[63]. ● اجتمع « مجلس الدولة المؤقت » في تل ابيب في اليوم الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ وانتخب حكومة مؤقتة من ١٣ عضوا واعلن قيام الدولة رسميا[64]. ● اصدرت الحكومة الاسرائيلية المؤقتة في ٢٨ ايار (مايو) ١٩٤٨ الامر رقم ٤ الخاص بانشاء « جيش الدفاع الاسرائيلي » المعروف اختصارا باسم « تساهل » . وقد كان ذلك القرار تكريسا قانونيا اصبحت معه الهاجاناه الذراع المسلح للسلطة الجديدة . وقد نصت اهم بنود الامر على ما يلي : « ١ – بهذا تنشأ قوات الدفاع لاسرائيل المؤلفة من قوات أرضية وجوية وبحرية . ٢ – يكون التجنيد ، في أوقات الطوارىء ، ساريا بالنسبة لكافة تشكيلات وخدمات القوات الدفاعية لاسرائيل ، على ان تقرر الحكومة المؤقتة لاحقا اعمار الذين يسري عليهم قانون التجنيد . ٣ – يقسم كل شخص يخدم في صفوف القوات الدفاعية لاسرائيل ، يمين الولاء لدولة اسرائيل ولدستورها ولسلطاتها الشرعية . ٤ – وعليه يحظر انشاء او الحفاظ على اية قوة مسلحة اخرى خارج اطار القوات الدفاعية لاسرائيل . هذا وقد كلف وزير الدفاع مسؤولية تنفيذ القرار » [65]. ● اصدر بن جوريون ، رئيس الحكومة ووزير الدفاع ، يوم ٣١ ايار (مايو) ١٩٤٨ امرا نص على ما يلي : « بانشاء « القوات الدفاعية لاسرائيل » تتوقف الهاجاناه عن كونها منظمة سرية وتصبح جيشا نظاميا »[66].

وهكذا نرى ان السلطة الجديدة – وخاصة رئيس الحكومة وزير الدفاع – كانت مصممة على ان لا تكون ضمن حدود الدولة الجديدة اية قوة مسلحة عدا قوات «تساهل» . وبالرغم من ان قرار ٢٨ ايار (مايو) منع ، بكلمات حاسمة ، استمرار وجود اي تنظيم مسلح ، الا ان السلطة الجديدة آثرت اتباع تكتيك متساهل لتنفيذ استراتيجيتها . ولهذا قبلت تعهدا وقعه قائد الارجون في ٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨[67] واعلن بموجبه : « ١ – سينخرط اعضاء الارجون في تساهل (قوات اسرائيل الدفاعية) ، وفقا لقوانين التعبئة الصادرة من حكومة اسرائيل وسيقسمون يمين الولاء كما هو متعارف عليه في الجيش . ٢ – ستسلم الاسلحة والمعدات الحربية الخاصة بالارجون الى تساهل وستوضع تحت تصرف قيادته العليا . ٣ – ستتوقف الارجون وقيادتها العليا ، بناء على قرارها المعلن بشكل حر ، عن العمل والاستمرار في التواجد كمنظمة عسكرية داخل دولة اسرائيل وضمن المناطق التي تخضع لسلطة حكومة اسرائيل . ٤ – ستتوقف جميع نشاطات الارجون المنفصلة الخاصة بشراء او الحصول على الاسلحة والمعدات الحربية . كذلك فان جميع الاتصالات (التي اجرتها الارجون بهذا الصدد) ستحول الى تساهل ، لصالح المجهود الحربي »[68]. وبناء على ذلك الاتفاق ، تم انشاء مراكز مؤقتة للارجون لمدة شهر ، تتولى مهمات تحويل الرجال والاسلحة « لتساهل » بشكل منظم. اما منظمة ليحي (شتيرن) فكانت قد اعلنت حل نفسها بشكل رسمي وانضمت لقوات تساهل في وقت

سابق(٦٩). وبالفعل فان حوالي الف ، من اصل ٣ آلاف هم مجموع اعضاء الارجون ، بالاضافة الى مجموعات من منظمة ليحي ، انضموا الى تساهل . اما باقي الاعضاء فقد استمروا خارج الجيش لواحد من الاعتبارين التاليين او لكليهما: ١ — رغبة السلطة واكتفاؤها ، تكتيكيا ، بانتزاع موقف مبدئي من الارجون وليحي تعترفان فيه بالسلطة الجديدة . ولهذا ، وما ان حصلت السلطة على ذلك ، حتى تصرفت بشكل مرن ذي طابع مرحلي ، يحدوها في ذلك كونها راغبة ، ما امكن ، في اضعاف منافسيها دون صدام دموي من جهة ، ورغبتها في عدم بعثرة الجهد العسكري الصهيوني ، خاصة في فترة القتال والصراع مع القوى العربية من جهة ثانية . بل واكثر من ذلك ، وافقت الحكومة الاسرائيلية على فترة انتقال يشكل فيها اعضاء الارجون الذين انضموا الى تساهل « كتائب خاصة منسقة في الوية وجبهات مختلفة »(٧٠). وهكذا نشأ داخل الجيش جيش آخر(٧١). ٢ — ان الاتفاق مع الارجون نص ، في الفقرة الثالثة ، على عدم شمول الاتفاق للمناطق الواقعة خارج اطار السلطة الاسرائيلية الجديدة . وقد استثنى الاتفاق ، بذلك ، منطقة القدس التي كان قرار التقسيم قد اعتبرها منطقة دولية(٧٢).

وهكذا نرى ان الارجون وشتيرن ، بحكم ميزان القوى المختل ضدهما آنذاك ، لجأتا الى تكتيك خاص انتزعتا معه موافقة الدولة على ان تزاول المنظمتان الارهابيتان نشاطهما في منطقة القدس ، في حين ان السلطة الجديدة حصلت على اعتراف مبدئي بسيادتها . وكان من نتيجة ذلك ان ركزت كل من الارجون وشتيرن قواهما في منطقة القدس واستمرتا في اعمالهما الارهابية . ان ذلك الاتفاق يكشف بوضوح ان لعبة التنافس والصراع على السلطة كانت لا زالت على ما هي عليه بالرغم من ان الطرفين (الهاجاناه في جانب والارجون وشتيرن في جانب ثان) قررا ، لاعتبارات تكتيكية ، تأجيل المواجهة بينهما الى وقت آخر .

ولكن تصاعد عمليات الارهاب في منطقة القدس ، وخاصة حادث نسف فندق الملك داوود ، ادى الى الاقتراب من لحظة المواجهة الحاسمة التي جاءت مع ما عرف لاحقا باسم « قضية الالتالينا » . وتتلخص « قضية الالتالينا » هذه بما يلي : وصلت الى شواطىء فلسطين يوم ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ سفينة تابعة للارجون تحمل الاسم «الالتالينا» وهو الاسم الرمزي الذي كان يستعمله جابوتنسكي في كتاباته الادبية . ولقد كان على متن السفينة ٩٠٠ متطوع تابع للارجون بالاضافة الى شحنة من الاسلحة المتنوعة . وقبل وصول السفينة الى شواطىء فلسطين ، جرت مفاوضات بين الارجون والحكومة المؤقتة ، حول نسبة توزيع الاسلحة ، ولكنها لم تؤد الى نتيجة . وبعد مناورات متعددة ، جرى صدامان مسلحان بين الفريقين في « كفار فتكن » حيث حاولت الارجون في البداية انزال حمولة السفينة . ووقع الاصطدام الثاني في تل ابيب حيث قررت الارجون لاحقا انزال الحمولة بعدما فشلت في محاولتها الاولى . وقد بدأ الصدام عندما اصدر بن جوريون اوامره لوحدات من البالماخ لمنع الانزال ، ولو بالقوة ، الا وفقا لما تراه الحكومة . وفي الوقت ذاته ، كان مناحيم بيجن ، زعيم الارجون ، على متن السفينة ، يدير المعركة من الناحية الثانية . وما ان بدأ الصدام بين الطرفين حتى هجر اعضاء الارجون ، الذين « انضموا » سابقا الى تساهل،وحداتهم وثكناتهم وهبوا لمساعدة الارجون . واسفر الصدام عن غرق السفينة بما عليها من اسلحة وبلغ عدد القتلى ٤٠ شخصا وتوتر الجو الى درجة بالغة واصبحت البلاد تقف على شفير حرب اهلية تتمزق بين مؤتمر صحفي يعقده موشيه شاريت ، وزير الخارجية ، من جهة ، ومؤتمر صحفي مضاد يعقده بيجن ، من جهة ثانية . غير ان تجدد القتال ضد العرب وتمالك الاطراف المختلفة لنفسها عاد فجمد الموقف وهكذا انتهت المسألة مؤقتا(٧٣).

تكمن خطورة حادث « الالتالينا » في كونه يحمل عددا من الدلالات الهامة :

اولا : لم يكن الصراع ، في جوهره ، حول سفينة الالتالينا بقدر ما كان ، اساسا ، صراعا بين **سلطتين** تحاول كل منهما فرض نفسها على الاخرى. ولهذا لم يعد الصدام صداما بين تنظيمين عسكريين فحسب ، بل كان ، في ابعاده الحقيقية ، صراعا استهدف الغاء واقع غدا استمراره مستحيلا . فلم يكن ممكنا بعد ، على الاطلاق ، ان يستمر تواجد جيشين متصارعين داخل الاطار السياسي الواحد ، ولذلك انفجر الموقف بين الجيش الرسمي (الهاجاناه اساسا) والجيش الآخر خارجه وداخله (بعض وحدات الارجون وشتيرن) . ان هجر

الوحدات العسكرية الارجونية لتساهل (اثناء حادث الالتالينا) بعد ان كانت قد انضمت اليه، يعبر عن استمرار ازدواجية الولاءات المتنافرة داخل الجيش الواحد. وهذا أمر بالغ الخطورة.

ثانيا: ان موقف الحكومة، وبالذات موقف بن جوريون، يعبر عن تصميم، لا هوادة فيه، في حسم الصراع بالرغم من كل المضاعفات الخطرة الكامنة في مثل ذلك الموقف المتشدد. ان الموقف الحاد المليء باحتمالات الانفجار والذي اصر بن جوريون على اتخاذه تعبير عن نهاية خط الليونة والمرونة في معالجة ذلك الواقع المتدهور.

لقد كان لحادث الالتالينا اثر حاسم في تحديد طبيعة العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل اذ ان الحادث كان المناسبة العملية الهامة الاولى التي تطلبت تحديدا اكثر لتلك العلاقة داخل الاطار السياسي الجديد.

استمرت الارجون وشترن، بعد هذا كله، بممارسة نشاطهما الارهابي في القدس. ومع اغتيال الكونت برنادوت، الوسيط الدولي، في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨، ضربت الحكومة المؤقتة ضربتها الاخيرة(٧٤). وفي جو حملة من المطاردة والاعتقال وجهت الحكومة، يوم ٤٨/٩/٢٠، انذارا تطلب فيه من القوى «الانشقاقية»: «ان تقبل، نصا وروحا، قانون الدولة الخاص بالجيش والتجنيد والسلاح وان تسلم للجيش الاسرائيلي كل الاسلحة التي بحوزتها وان تحل الكتائب الخاصة وان تحيل كافة الافراد الذين يسري عليهم قانون التجنيد الى الجيش الاسرائيلي. وانه في حال عدم تنفيذ طلبات الحكومة هذه، **نصا وروحا**، خلال ٢٤ ساعة، فان الجيش سيستخدم كافة الوسائل التي بحوزته لتنفيذها»(٧٥).

خضعت المنظمات لطلب الحكومة وبهذا انتهت المحاولة الاولى للانشقاق العسكري في الدولة الجديدة. ولكن انتهاء محاولة الانشقاق تلك لم تعن ان جميع «مراكز القوى» قد صفيت. كان التحدي الذي تمثله قيادة البالماخ لا يزال قائما وكان لا بد من ايجاد حل له!

مسألة البالماخ: اذا كانت قضية «الارجون وشترن» قد شكلت رد بن جوريون على المحاولات الانشقاقية، فان قضية «البالماخ» تكتسب اهمية اكبر لكونها شكلت ردة على وجهات نظر اساسية تتعلق بمستقبل الجيش الاسرائيلي من كافة نواحيه وبمستقبل العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل. فاذا كان الرد على القضية الاولى «ردا سلبيا» — اذا صحت التسمية — فان الرد على القضية الثانية كان «ردا ايجابيا» عكس نفسه على طبيعة دور ومستقبل الجيش الاسرائيلي وموقعه في المجتمع.

يعتقد احد اكثر المصادر خبرة في الشؤون المدنية — العسكرية الاسرائيلية ان برنامج بن جوريون الخاص بتحديد تلك العلاقة كان على النحو التالي: «١ — اضفاء الصفتين القومية والترسيمية على الجيش ووضع نهاية لانغماسه في السياسة(٧٦). ٢ — اولوية (وهيمنة) السلطات المدنية في تقرير مسائل الحرب والسلام في اسرائيل. ٣ — (ان يكون) وزير الدفاع الحكم النهائي في النزاعات بين المدنيين والعسكريين. ٤ — الصلاحية المباشرة والدائمة لوزير الدفاع (في الشؤون التي تتعلق) بتماسك الضباط ومعنوياتهم ومستواهم المهني. ٥ — ان تكون سلطة التقرير في المسائل التي تتعلق بالدفاع والسياسة الخارجية ذات الارتباط، سلطة ممركزة الى درجة عالية ومحصورة بمجموعة منسجمة قليلة العدد من المدنيين والعسكريين يختارهم وزير الدفاع ويأتمرون بأمره (أي سلطتهم خاضعة لسلطته)»(٧٧).

ولكن مشروع بن جوريون هذا لم يكن البرنامج الوحيد. فقد كان يوجد ضمن القيادة الاسرائيلية تياران رئيسيان يحمل كل منهما وجهة نظر كاملة فيما يتعلق بمستقبل الجيش الاسرائيلي: مجموعة بن جوريون وتضم شاؤول افيجود، قائد الهاجاناه، وياكوف دوري، اول رئيس لاركان تساهل، وييجال يادين، ثاني رئيس لاركان تساهل. وكانت هذه المجموعة تدعو الى انشاء جيش نظامي محترف ضمن نظام خدمة عسكرية دائمة وشاملة لاوسع القطاعات. ومجموعة قياديي ومنظري البالماخ التي يقودها يتسحاق صاديه، مؤسس البالماخ، وييغال آلون، قائد البالماخ، واسرائيل جاليلي، من مؤسسي البالماخ ورئيس سابق لاركان الهاجاناه ونائب وزير الدفاع في العام ١٩٤٨. وقد كانت هذه المجموعة تدعو الى تشكيل جيش شعبي، على غرار البالماخ، معتمد على وحدات آلية صغيرة ومستند الى نظام المستوطنات الزراعية(٧٨).

دفعت نقطة الافتراق الاستراتيجية النظرية هذه ، بالاضافة الى عوامل اخرى ، العلاقات بين التيارين نحو هاوية الطلاق الحاسم . اما العوامل الاخرى المشار اليها فهي : **اولا** : شخصية بن جوريون مجددا . فكل تطور في هذا المجال لا يمكن ان يعزل عن موقف وشخصية بن جوريون « الملحاحة ، العنيدة ، والاوتوقراطية »(٧٩). وقد تعزز هذا العامل بكل من العاملين الثاني والثالث . **ثانيا** : تزعزع ثقة بن جوريون وخيبة امله بقدرة كل من الحركة الاشتراكية الصهيونية والمباي عن قيادة اسرائيل نحو « التقدم والتحديث » . ولهذا بدأ رهانه على اجهزة الدولة الاخرى وخاصة تساهل(٨٠). **ثالثا** : رغبته في ابعاد «اليسار» عن مواقع التأثير التي استطاع الوصول اليها داخل مؤسسة الجيش(٨١). وهو بذلك يتابع سياسته الخاصة بابعاد وتصفية اي موقع قوة خاص داخل الجيش . ولتحقيق ذلك الهدف كان اسلوب بن جوريون وسلاحه الدائم : النهج الاوتوقراطي والديكتاتوري في تصريف الامور . ولهذا اقام بن جوريون **بناء تنظيميا مركزا للغاية يعنى بشؤون الجيش والامن وتكون خيوطه جميعا في قبضته شخصيا**(٨٢). ومن ناحية ثانية فصل بين صلاحيات رئيس الاركان وصلاحيات رئيس شؤون الحرب التي جعلها حكرا عليه باعتباره وزيرا للدفاع(٨٣).

كان طبيعيا ان تقود هذه الاجراءات الى ازمة حقيقية خاصة حينما حاول بن جوريون استخدام ما جمعه من اسلحة بين يديه لتحقيق اهدافه التي سبق وان اشرنا اليها . اما القشة التي قصمت ظهر التحالف المتوتر بين التيارين الرئيسيين فكانت قرار بن جوريون اعادة تنظيم الجيش ووضعه تحت امرة مجموعة من الضباط الذينخدموا وتدربوا في الجيش البريطاني . وقد اعتبر مخضرمو الهاجاناه والبالماخ ذلك الاجراء تهديدا لهم واعتداء على حقوقهم فردوا على ذلك القرار بان قدم جميع اعضاء هيئة القيادة العامة استقالاتهم . ولكن الحكومة رفضت الاستقالات وشكلت لجنة وزارية لبحث الموضوع . وعندما قدمت اللجنة تقريرها بعد ايام ، كان واضحا ان معظم توصياتها استهدفت تقييد يدي بن جوريون عبر تقليص صلاحياته ومشاركته المسؤولية التي كانت باكملها بين يديه(٨٤). ولكن بن جوريون « الذي لا يسعده التعرض للانتقاد » رد على ذلك بالاستقالة ورهن عودته عنها بموافقة الجميع على ان يمارس دوره ، كما يراه ، بشكل كامل ودون تدخل من احد . وبعد اخذ ورد طويلين انتهت الازمة بقبول اقتراح جديد من بن جوريون يقضي بان نساعده في اعماله « لجنة استشارية » شكلية رغض ، **بصرامة** ، ان يحدد واجباتها وصلاحياتها(٨٥). وهكذا انتصرت صيغة الاوتوقراطية وارادة دعاتها على الصيغ والارادات الاخرى وبدأ زخم الاوتوقراطية لدى بن جوريون يدفعه نحو اجراءات اكثر حسما .

تصفية البالماخ : كان اصرار بن جوريون على ان يكون الآمر الناهي الاوحد في الجيش قد ولد ازمات حتى قبل انتهاء حرب ١٩٤٨ . ففي تلك الفترة توتر الجو بينه وبين اسرائيل جاليلي ، قائد « القيادة القومية » بسبب تشابك اعمال هذه القيادة مع اعمال الاركان العامة مما حدا ببن جوريون الى عزل جاليلي يوم الثالث من ايار (مايو) ١٩٤٨ . وما كادت تمضي ايام ثلاثة على ذلك حتى وصلت بن جوريون رسالة من جميع قادة الجيش يهددون فيها بالاستقالة اذا لم يعد جاليلي الى منصبه . ولكن بن جوريون لم يتنازل عن قراره الاصلي وان خضع لضغط الجيش الى درجة تعيين جاليلي نائبا له لشؤون التعبئة والتجنيد . ومن ضمن ما قاله بن جوريون لقادة الجيش حينذاك : « عندما وافقت على (استلام) حقيبة الدفاع ، كان ذلك وفي ذهني هدف واحد هو ضمان أمن البلاد . وكقائد للقوات المسلحة لن اسمح ، بعد الآن ، بأية احزاب سياسية (داخلها) »(٨٦).

ولكن الاختلافات مع البالماخ استمرت . وكان للدور الخاص الذي لعبته البالماخ في حرب ١٩٤٨ (وخاصة على الجبهة المصرية) اثر واسع في تعزيز سمعة البالماخ واستقلاليتها بحيث اصبحت تشكل تحديا حقيقيا لقيادة بن جوريون . هذا بالاضافة الى تعاطفها الخاص مع جناح من اجنحة « الصهيونيين الاشتراكيين » (جناح هاكيبوتس هاميحاد ـ حزب العمل المتحد) المنافس لجناح بن جوريون . ولهذا ، اصدر ياكوف دوري ، رئيس الاركان العامة لتساهل ، يوم السابع من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٨ ، وبناء على امر من بن جوريون ، امرا لقيادة البالماخ يدعوها فيه الى انهاء القيادة الخاصة بها والاندماج بالاجهزة المقابلة في تساهل . وبالرغم من النداء الذي وجهته قيادة البالماخ بالغاء ذلك القرار اصر بن جوريون على موقفه واصدر امرا ثانيا ونهائيا يوم ٢٩ اكتوبر

(تشرين الاول) يبلغ البالماخ فيه بضرورة الالتزام والتنفيذ قبل السابع من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ . وهكذا كان ... وكانت تلك نهاية الوجود الرسمي للبالماخ(٨٧)!

بهذا يكون بن جوريون قد وضـع نهاية لمختلف « مراكز القوى » في الجيش(٨٨) وخلا له الجو ، نهائيا ، ليضع الصيغة التي وطدت نفوذه ونفوذ الجيش لاحقا . فما هي صيغة بن جوريون ؟

صيغة بن جوريون والعلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل

بعد ان انتهى بن جوريون من التغلب على كل القوى المنافسة له واخراجها ، بشكـل مباشر او غـير مباشر(٨٩)، من دائرة التأثير على الجيش ، اصبحت تلك المؤسسة ، في السنوات الاولى التـي تلت قيام اسرائيل ، وبدون مبالغة ، مجرد « مزرعة » له . واصبح بامكانه ان يفعل فيها ما يحلو لـه ضمن ما يعتقده هو ــ وليس احد غيره ــ افضل الاشكال والوسائل لخدمة الاهداف الصهيونية . تلك الاهداف التي كان هو نفسه احد واضعيهـا واشـد المتحمسين لها وانشط المساهمين فـي تنفيذهـا .

يلاحظ من برنامج بن جوريون ــ الذي سبق الحديث عنه ــ ان ثلاثة من بنوده الخمسة خصصت لتوكيد الطابع الشديد التمركز في تنظيم السلطة داخل كل من مؤسستي الجيش والدفاع . ولكي نستطيع تبين حقيقة العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل ، في تلك الفترة ، يجدر بنا بحث واقع السلطـة والعلاقات بين ثلاثة مستويـات فيها : مستـوى الهيئات التشريعية والتنفيذيـة ، مستوى وزارة الدفاع ، ومستوى القيادة العامة للجيش .

ان القاسم المشترك بين هذه المستويات كان ــ ولا شك ــ بن جوريون ذاته . وفي المستويات الثلاثة كلها كانت كل الخيوط الاساسية تنتهي في قبضتيه القويتين : فقد كان ، بحكـم رصيده التاريخي ، اقوى شخصيات الماباي على الاطلاق . والماباي ، بدوره ، هو اقوى الاحزاب الاسرائيلية واكثرها مقاعد في الجمعية التأسيسية(٩٠) (والكنيسـت لاحقا)(٩١) وبالتالي فانه يتمتع بالرصيد الاقـوى في الهيئات التشريعية . وبن جوريون ، ايضا ، هو زعيم حزب الماباي ورئيس الحكومة وبالتالي فهو على رأس السلطة التنفيذية سواء في مجلس الوزراء او في المؤسسات الاخرى التي تشكل مراكز قوى حقيقية مثل الهستدروت . اما في وزارة الدفاع والجيش فبن جوريون ــ حتى لو رضي ان ينافسه احد في اية هيئة او مؤسسة اخرى ــ فانه لم يكن من ذلك النوع الذي يرضى ــ ولو للحظـات ــ منافسة له فيما يعتبره موضع اهتمامه الخاص ــاي وزارة الدفاع والجيش . اما الصيغة التي وضعها بن جوريون والتي حدد على ضوئها موقعه داخل هاتين المؤسستين فقد املتها وجهات نظره الخاصة و « مصالحه الشخصية »(٩٢) ايضا ، وكانت على النحو التالي : ١ ــ رئيس الوزراء (الذي هـو بن جوريون) هو ذاته وزير الدفاع . ٢ ــ وزير الدفاع (بن جوريون) ضمن الوزارة ــ وفي شؤون الحرب والسلام ــ هو المرجع النهائي . ٣ ــ وزير الدفاع (بن جوريون) هو « قائد الحرب » وبالتالي فان رئيس اركان الجيش لا يملك قدرة على اتخاذ اي قرار سياسي في مسائل الحرب والسلام (على عكس ما كـان عليـه الحـال في الهاجاناه) . ٤ ــ مهمات المدير العام لوزارة الدفاع مهمات محض ادارية تتعلق بامداد وتسليح الجيش وهو ــ اي المدير العام ــ خاضع تماما لسلطة وزير الدفاع ــ بن جوريون . ٥ ــ تعيين كـل مـن رئيس الاركان والمدير العـام لوزارة الدفاع حق مكفول لوزير الدفاع (بن جوريون) او ليس لاحد غيره . ٦ ــ وزير الدفاع (بن جوريون) ، ايضا ، هو المرجع النهائي في جميع التعيينات والترفيعات من منصب رئيس الاركان نزولا حتـى منصـب المقدم(٩٣).

هذه هي الخطوط الرئيسية الرسمية لمعادلة بن جوريون . وهي بمجملها توضح المدى الواسـع والهائل للسلطة التي تجمعت بيديه . ولكي تكتمل الصورة ، لا بد من الاشـارة الى ان عامـل الشخصية والعلاقات غير الرسمية داخل الجهاز السياسي الاسرائيلي اضافت لبن جوريون قـوة توازي القوة التي وفرتها له العوامل والعلاقات الرسمية المشار اليها . وهكذا استوى بن جوريون على عرش الجهاز السياسي باكمله ، بشكل عام ، وتتوج ملكا مطلقا على رأس الحكومة ووزارة الدفاع والجيش ، بشكل خاص .

ان جوهر صيغة بن جوريون ــ سواء كان ذلـك للافضـل ام للاسوأ ، لا فـرق ــ هـو اولا : الاوتوقراطية وثانيا : الاوتوقراطية ... وعاشرا :

الاوتوقراطية . وهذه هي الوقائع والبراهين : **اولا** : الصلاحيات القانونية التي وضعها بن جوريون بين يديه شخصيا ، كافية وحدها للتدليل على ذلك . **ثانيا** : واقع « اللجنة الاستشارية » التي عينها بن جوريون « لتساعده » في شؤون الدفاع ، واقع بقي دوما محكوما لهيمنته وسلطته الفردية . فقد شكل بن جوريون لجنة « تتألف من عضو او اثنين من اعضاء الوزارة المفضلين **عنده** ومن « خبراء الجيش » في المباي (اي الحزب الذي يرأسه بن جوريون) ، ومن عدد من الموظفين البارزين ، ومن رئيس اركان تساهل (الذي يعينه ويقيله بن جوريون) ومن رئيس المخابرات (الذي يعينه ويقيله بن جوريون ايضا) ، بالاضافة الى عدد قليل من الضباط البارزين المختارين (من قبل بن جوريون) والمستشارين **الشخصيين** . ولم يحدث ان التقت هذه المجموعة الا بناء على طلب بن جوريون نفسه ... وكان الرباط المشترك بينهم ولاؤهم الثابت لبن جوريون »(٩٤). **ثالثا** : « كان الجيش ، **رسميا** ، مسؤولا امام حكومة اسرائيل التي هي تحالف مؤلف من المباي والاحزاب الاشتراكية والدينية والليبرالية الصغيرة . وفي **الحقيقة** ، لم يكن لوزراء المباي ولا لوزراء المابام، في الوزارة ، تأثير كبير على الجيش . ونادرا ما استشيرت الاحزاب الصغيرة في التحالف في قضايا الجيش والدفاع »(٩٥). **رابعا** : « كانت لجنة الكنيست الخاصة بالشؤون الدفاعية والخارجية مجموعة سهلة الانقياد وشكلية »(٩٦).

اما النتائج الاساسية لهذه الصيغة البيروقراطية الاوتوقراطية ، فيمكن تلخيصها على النحو التالي :
١ ــ تثبيت هذه الصيغة « البن جوريونية » واستمرارها طوال الفترة الممتدة منذ تأسيس اسرائيل وحتى حزيران من العام ١٩٦٧ (باستثناء فترة الـ ١٥ شهرا التي استقال اثناءها بن جوريون في الاعوام ١٩٥٣ ــ ١٩٥٥) . كذلك فان جانبا اساسيا من تلك الصيغة لا زال يحكم العلاقات المدنية ــ العسكرية منذ حزيران ١٩٦٧ وحتى الآن . ٢ ــ الاعتناء بالجيش على حساب وزارة الدفاع مما ادى الى تغليب سلطة الجيش على سلطة الوزارة(٩٧). وهذا الواقع له معنى واحد هو اضعاف الرقابة المدنية على الجيش(٩٨).
٣ ــ حرمان الجيش من عدد من ضباطه الاكفاء (من الزاوية الصهيونية) الذين اما ابعدوا او لم يبق امامهم الا مغادرة مواقعهم في كل من الجيش ووزارة الدفاع(٩٩). ٤ ــ قيام سلسلة من الولاءات الشخصية على مستوى القمة(١٠٠) شكلت ــ الى حد ما ــ مراكز قوى وتحالفات عشائرية الطابع .

الازمة الكبرى الثانية : قضية لافون

المرحلة الاولى : اشتهرت هذه القضية باسم بنحاس لافون احد ابرز العناصر المتصارعة في واحدة من اكبر الازمات التي مرت بها العلاقات المدنية ــ العسكرية في اسرائيل . ولافون منظّر بارز وخطيب مفوه في كل من المباي والهستدروت واحد ابرز اتباع بن جوريون في فترة من الفترات(١٠١).

كان الصراع قد احتد بين تيارين رئيسيين داخل اسرائيل . التيار الاول يرأسه بن جوريون (ومن ابرز عناصره موشيه ديان ولافون وشمعون بيرس) ويتبنى هذا الاتجاه سياسة عسكرية عنيفة ضد العرب والدول العربية . اما التيار الثاني فيرأسه موشيه شاريت ، وزير الخارجية في مطلع الخمسينات ، وينتقد سياسة العنف والغارات الاستباقية والانتقامية ضد الدول العربية ويطالب بجهود اكثر « للتقارب » مع العرب . وقد وصل الخلاف بين التيارين لدرجة حادة انقسم معها مجلس الوزراء والمباي بين مؤيد ومعارض لهذا الفريق او ذاك(١٠٢). ازاء هذا الوضع ارتأى بن جوريون ان يقدم استقالته على ان يساوم على خططه الاستراتيجي والتكتيكي . وكان ــ باستقالته ــ يراهن على ان غيابه لن يطول على اساس ان التيار المنافس له سيستنفذ سياسته في وقت سريع. ولكن بن جوريون حرص قبل ان يعلن استقالته على زرع قنبلة موقوتة لمنافسه شاريت . لكن تلك القنبلة لم تنفجر كما اراد لها بن جوريون وكان ان اصابته هو بشظاياها اكثر مما اصابت منافسه . فقد زرع بن جوريون ثلاثة من اخلص اتباعه في ارفع المراتب التي تحيط بشاريت غريمه الذي اصبح الرئيس الجديد للوزارة لكي يضمن استمرار سياسته من جهة ولكي يعيق تنفيذ سياسة غريمه من جهة ثانية . فقبل استقالته بيوم واحد ، عين بن جوريون تابعه ديان قائدا اعلى للجيش كما عين بنحاس لافون ، احد اخلص اتباعه آنذاك ، وزيرا للدفاع بالاضافة الى تعيين شمعون بيرس ، احد اكثر المقربين اليه ، مديرا عاما لوزارة

الدفاع[١٠٢].

وبدل ان يطوق « الثلاثي البن جوريوني » رئيس الوزراء وسياسته ، انفجرت الازمة فيما بينهم وشكل ديان وبيرس محورا في حين شكل لافون المحور المناوىء . اما انفجار الازمة فمرده الى رغبة لافون في ان يمارس مسؤولية وزير الدفاع القوى بكل ما يعنيه ذلك من تدخلات يومية في شؤون «تساهل» التي كان بن جوريون قد عود تلميذه ديان على ان يعطيه فيها حرية واسعة . وفي الوقت الذي كان ديان يطالب فيه بفصل تام بين الشؤون المدنية والعسكرية ، بكل ما يعنيه ذلك من اضعاف لسلطة لافون ، كان لافون لا يقل طموحا ورغبة في السلطة عن ديان ، مطالبا بان يلعب هو نفسه الدور ذاته الذي كان يلعبه بن جوريون .

وهكذا — بوعي او بغير وعي — ساهمت تدخلات لافون في زيادة حدة الصراع الخفي على السلطة داخل المؤسستين (الجيش والوزارة) واصبح يقحم نفسه في تفاصيل الغارات العسكرية ضد الدول العربية التي كان ينظمها الجيش الاسرائيلي بكثافة في تلك الفترة . وقد زاد في تأزيم الموقف استفزاز لافون لمؤيدي بن جوريون عبر التغيرات التي احدثها في المؤسستين وهو في معرض زيادة نفوذه . وازاء الضغط المتزايد من لافون لضمان التنسيق اليومي والتفصيلي بين الجيش ووزارة الدفاع هدد قائد الجيش بالاستقالة[١٠٤].

كان التوتر يزداد ، في الوقت ذاته ، بين « الثلاثي البن جوريوني » من جهة ومجلس الوزراء برئاسة شاريت من جهة ثانية . اما سبب ذلك فهو استمرار المؤسسة العسكرية في انتهاج سياسة التصلب والعنف والغارات . ومما زاد الموقف التهابا اصرار لافون على انتهاج سياسة بن جوريون الخاصة بعدم السماح لمجلس الوزراء مشاركته المسؤولية . وجوهر المشكلة اذن هو صيغة العلاقات المدنية — العسكرية الاوتوقراطية التي وضعها بن جوريون ، ومحاولة لافون الوقوف في حذائي بن جوريون ممارسا صلاحياته وكأنه « الرجل العجوز » ذاته . هذا في الوقت الذي لم تكن فيه لا الحكومة ولا محور ديان — بيرس مستعدين لتجاهل حقيقة كون حذائي بن جوريون فضفاضين — في نظرهما — على قدمي لافون .

رافق ذلك الصراع وعمقه فشل ذريع منيت به المخططات التخريبية[١٠٥] الاسرائيلية في كل من مصر وسوريه مما خلق ضجة هائلة وموجة استياء عارم داخل اسرائيل وخارجها . وقد شكل رئيس الوزراء شاريت ، بمؤازرة واضحة من لافون ، لجنة سرية مؤقتة (لجنة اولشان — دوري)[١٠٦] للتحقيق في اسباب الكارثة التي الت بمخططات اسرائيل التخريبية . هنا كانت المفاجأة ! فبدل ان ينجح لافون بالاطاحة برؤوس عدد من كبار الضباط في الجيش والمخابرات ، سارع هؤلاء الى محاولة الاطاحة برأس لافون ذاته . وفي هذا المجال لم يردع بعض رجال المخابرات او الجيش اي رادع ، فزوروا وثائق وادلوا بافادات كاذبة وكل هدفهم النيل من لافون . وقد ساهم بيرس وديان نفساهما في ذلك فادليا بافادات مليئة بشتى الاتهامات ضد لافون مما وضع هذا الاخير في موضع الاتهام والدفاع[١٠٧]. وهكذا وبدلا من ان يقتصر عمل اللجنة على بحث مهماتها المحددة توسعت اعمالها بحيث شملت بحث علاقات الجيش بوزارة الدفاع مما ازم الموقف بين لافون وشاريت من جهة ثانية[١٠٨]. وكانت المفاجأة الجديدة عندما لم تصل اللجنة الى اية نتائج (بحجة الوحدة الوطنية والامن والمحافظة على سمعة ضباط تساهل ومعنويات الجيش)[١٠٩] بالرغم من اقرارها بوجود وثائق مزورة وافادات كاذبة . كما رفض شاريت ، تحت مظلة الحجج ذاتها ، الموافقة على طلب لافون القاضي بطرد كل من بيرس وضباط المخابرات الذين تآمروا عليه[١١٠]. عندئذ طالب لافون اجراء اصلاحات واسعة النطاق في وزارة الدفاع جوهرها الغاء التركة التي خلفها بن جوريون وراءه . اما اهم الاصلاحات التي اقترحها لافون فهي التالية : « تقوية سلطة وسيطرة وزير الدفاع وذلك بدعم (سلطة) الاقسام المدنية في الدفاع ، تحديد قوانين تضبط بدقة صلاحيات وعلاقات كل من وزارة الدفاع والجيش ، تشكيل مجلس امن قومي مؤلف من اعضاء مدنيين وعسكريين يمارسون صلاحيات اعلى سلطة امنية في وقت السلم (بالاضافة الى) انشاء نظام رقابي فوق رأس الجيش والوزارة »[١١١].

وما ان رفض شاريت قبول تلك المقترحات حتى أسقط في يد لافون فاعلن استقالته من وزارة الدفاع . وما هي الا ايام قليلة حتى عاد بن جوريون فاعتلى سدة وزارة الدفاع في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٥٥ في حين بقي شاريت رئيسا للوزراء . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥ عاد بن جوريون

فاستلم رئاسة الحكومة بالاضافة الى منصبه كوزير للدفاع . وهكذا انتهى الصراع وعاد بن جوريون واضع الاساس البيروقراطي ، ولكن عودته كانت الى حين وسرعان ما ادرك الذين اعتقدوا ان المسألة اصبحت منتهية انها انما كانت لا تزال في بدايتها .

المرحلة الثانية : عادت الازمة فاطلت برأسها في العام ١٩٦٠ عندما اتصل لافون ببن جوريون واضعا بين يديه ادلة جديدة طالبا منه تبرئة ساحته(١١٢)، واعادة الاعتبار لسمعته التي نيل منها في نهاية النصف الاول من الخمسينات .

طلب بن جوريون من مساعده التحقق من صحة ادلة لافون ومن صحة افادات ضباط المخابرات ولكنه عاد في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ فابلغ لافون انه غير راغب في نكء « جروح العام ١٩٥٤ » عارضا عليه استعداده (اي بن جوريون) للتحقيق في تحديد هوية الشخص الذي اعطى الاوامر في ذلك « العمل الكارثة » في ذلك العام . وقد كلف بن جوريون حاييم لاسكوف ، قائد الجيش آنذاك ، بالتحقيق في التهم الموجهة الى ضباط المخابرات وشكل لجنة عسكرية تولت تنفيذ ذلك . ولكن لافون احتج على اعادة التحقيق في موضوع يعتقد هو ان لا لزوم للتحقيق فيه بعد كل ما قدمه من براهين جديدة على براءته وطلب من بن جوريون حل اللجنة مصرا على تبرئة ساحته علنا وحالا(١١٣). وبرفض بن جوريون طلب لافون هذا اكتسبت القضية ابعادا جديدة واصبحت موضوعات عمليات التخريب ، واساليب حكم « شلة » وزارة الدفاع ، واسلوب بن جوريون بالذات موضع بحث ونقد ساهم فيه الرأي العام لاول مرة .

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ قدمت لجنة وزارية خاصة شكلت لبحث المسألة تقريرا تضمن ما يلي : ١ — ان لافون « لم يعط امرا » بعمليات التخريب في العام ١٩٥٤ وان العمليات تمت بدون علمه وبدون تفويض منه . ٢ — ان اللجنة عجزت عن تحديد طبيعة العلاقات التي كانت سائدة آنذاك (١٩٥٤) في وزارة الدفاع . ٣ — ان اللجنة قبلت تقرير المدعي العام الذي اوضح ان عددا من الوثائق المقدمة للجنة في العام ١٩٥٤ كانت غير صحيحة(١١٤).

تبنت الحكومة تقرير لجنتها ولكن بن جوريون ، رئيس الوزراء ، اعلن رفضه لذلك وعدم استعداده لقبول اي قرار لا يتخذ من قبل لجنة قضائية(١١٥). اثناء ذلك كان لافون قد دعم قوته نتيجة لانبثاق « لجنة المثقفين » المؤيدة لموقفه . وقد احتجت هذه اللجنة — ضمن ما احتجت عليه — على واقع « عبادة الفرد » وعلى اسلوب «الحرق السياسي» الذي اصبح يشكل « بشكل متزايد تهديدا للديمقراطية الاسرائيلية » .

عندئذ ، وكعادته ، هدد بن جوريون بالاستقالة . ولكن غالبية اعضاء الحزب الذي خسر في الانتخابات الاخيرة اكثر من ٥٪ من الاصوات التي اعتاد كسبها ، لم تسمح بتعريض سمعة الحزب ومستقبله للخطر . ولهذا دعمت « اللجنة التنفيذية للماباي داخل الحكومة » موقف بن جوريون ضد لافون واصدرت « اللجنة المركزية » للماباي قرارا يوم ٥ شباط (فبراير) عزلت بموجبه لافون من منصبه كسكرتير عام للهستدروت(١١٦). وهكذا استقال لافون بعد ان خسر المعركة مجددا .

ومع ذلك لم تكن الازمة الثانية هذه مجرد حادثة عابرة : ١ — فالوحدة داخل الماباي لم تعد كما كانت عليه اذ أصيب الحزب بشروخ واضحة في بنيانه(١١٧). وقد تأثرت وتقلصت زعامة وشعبية بن جوريون ايضا . ولكن بن جوريون — كما يبدو — كان مستعدا لدفع هذا الثمن على ان « يغضب » الجيش بالخضوع لطلبات لافون . ٢ — والاهم من ذلك ان الازمة لم تؤد الى انجاز اية اصلاحات اساسية . فلا تنظيم وزارة الدفاع أصلح ، ولا فعالية رقابة مجلس الوزراء او البرلمان على الجيش « زيدت او متنت » ، ولا جهود انصار توسيع « امبراطورية » وزارة الدفاع اوقفت(١١٨). ٣ — ولعل الاهم من ذلك كله على الاطلاق كان ظهور ونمو تيار متململ ومتحرك رافض للاوضاع الخطرة السائدة . فقد نشأ تيار حمل لواء الدعوة ضد المركزية الشديدة والتبقرط والاسلوب الاجباري الابوي في ادارة الشؤون السياسية والعسكرية وطالب باعادة « الديمقراطية المفقودة » وردم الهوة التي اصبحت تفصل بين اسرائيل الماضي واسرائيل الحاضر ، اسرائيل الاشكنازيم واسرائيل السفارديم(١١٩).

اما التيار الآخر فقد برر سياساته واساليبه على اساس انها الافضل لضمان الفاعلية ضد مشاكل اسرائيل الداخلية والخارجية وانحاز الى وجهة

النظر القائلة بأن مؤسستي الجيش ووزارة الدفاع هما اساس عملية « البناء القومي وغرس المثل الديمقراطية والمدنية » في المجتمع ، وان وزارة الدفاع هي « رائدة » التحديث في اسرائيل ، وان احتياجات العصر تتطلب ان تكون وزارة الدفاع والجيش ، وليس الهستدروت او الماباي ، اساس بناء المجتمع .

المرحلة الثالثة : اذن لم يكن مستغربا ان تكون العلاقات بين كل من الجناح المدني (الماباي والهستدروت) والجناح العسكري (الجيش ووزارة الدفاع) قد بدأت بالتوتر والتردي . وبنوع من التظاهرة السياسية الضاغطة اعلن بن جوريون — كعادته — استقالته . ولكنه هذه المرة ترك يمضي عن المسرح السياسي دون ان يجد من « يرجوه ملحا » العودة عنها ، وهكذا خلف ليفي اشكول زميله بن جوريون بدءا من ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٣([١٢٠]).

تحركت ازمة لافون، للمرة الثالثة، بعد ان اكتسبت ابعادا اوسع . فقد طلب اشكول من لافون العودة الى مجالات الماباي القيادية والى اللجنة التنفيذية اعتبارا من يوم ٢ ايار (مايو) ١٩٦٤ . عندها ، وبعد تسعة ايام فقط ، استقال ديان البن جوريوني من الوزارة احتجاجا . وسرعان ما عاد بن جوريون مطالبا الحكومة بفتح ملف لافون ولكنها رفضت ذلك في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٤([١٢١]). وهكذا عادت حالة التمزق — حول الموضوع ذاته — لتنخر الحزب (الماباي) والهستدروت بل والحركة الاشتراكية — الصهيونية بكاملها . وانتظمت مجموعة بن جوريون في جناح خاص عرف باسم « القوة الجديدة » (بقيادة ديان — بيرس — وابا حوشي زعيم الماباي في حينه) ولكن سرعان ما فشلت هذه المجموعة في كسب مؤتمر الماباي الى جانبها([١٢٢]).

وعندما انتخب حزب الماباي اشكول في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٥ رئيسا للوزارة بدلا من المرشح المنافس بن جوريون عاد الصراع فاشتد بين التيارين المتصارعين داخل الحزب الحاكم . وفي ٢٠ ايار (مايو) ١٩٦٥ استقال بيرس من الوزارة وفي آب (اغسطس) ١٩٦٥ ، وبناء على ضغط من اللجنة التنفيذية للماباي ، اوصت «لجنة العضوية» بفصل بن جوريون من الحزب ولهذا استقال ديان من الوزارة في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ وتبعه بن جوريون فاعلن استقالته من الماباي يوم ١٥ من الشهر ذاته واعلن الثلاثي بن جوريون — ديان — بيرس تشكيل حزبهم الجديد : رافي([١٢٣]).

هذه الاحداث الهامة تثير سلسلة من التساؤلات المشروعة : أين كان موقف الجيش من هذا الصراع؟ ألم يقف الجيش مع بن جوريون مؤسسه واكبر المدافعين عنه ؟ اما ترك موشيه ديان باستقالته آثارا على الجيش وهو احد واضعي اللبنات الاولى في بنائه ؟ ثم ما اثر استقالة بيرس على وزارة الدفاع التي خلق لها وجودا حقيقيا ونماها فغدت في عهده « امبراطورية » قائمة بذاتها ؟ باختصار : اي اثر تركه غياب هذا الهرم من المسؤولين الاسرائيليين (الذي يمثل بن جوريون قمته وكل من ديان وبيرس قاعدتيه الاثنتين) على الجيش ومؤسساته ؟

الجواب على هذا السؤال الكبير له جانبان : **اولهما** : مجموعة من الوقائع والحقائق. **وثانيهما** : التطورات التي كشفت عنها احداث ١٩٦٧ . ولنبدأ بالوقائع والحقائق :

١ — موقف الجيش من صراع اشكول — بن جوريون (ولافون) لم يكن موقفا موحدا . فمع ان قيادة الجيش وعددا من الضباط كانت اميل الى موقف محور بن جوريون — ديان — بيرس ، الا ان الضباط المتعاطفين مع حركتي الكيبوتس القومي والمتحد ، كانوا اميل للفريق الآخر([١٢٤]).

٢ — ان انتصار محور اشكول — جولدا مئير — سابير لم يعن اطلاقا انتصارا لسياسة «الاعتدال» المناقضة لسياسة الجيش ازاء المواجهة مع العرب . هذا ساعد على « اخراج » الازمة ، من وجهة نظر الجيش ، على انها صراع بين افراد ليس الا([١٢٥]).

٣ — والازمة ايضا لم تكن نتيجة لخلافات عقائدية حقيقية . ولا بأس من الاستشهاد بمصدر صهيوني في هذا المجال . يقول المصدر : « في حين كان رافي يدعو الى « ديمقراطية حزبية » كان ينفذ في الوقت ذاته ، سياسة جد مركزية في مؤسسة الدفاع . فبيرس ، رئيس (دائرة الدفاع) ادان اسلوب ومنحى الهستدروت الاحتكاري في الوقت الذي كان يمارس فيه (ما يدعو ضده) في مؤسسات وزارة الدفاع . ايضا تحدى (بيرس) سياسة التوسع التي يمارسها الهستدروت وادان اساليب المحاباة

و « طاعة البنوة » ، (والمصالح) الشخصية ، وفي الوقت ذاتــه كان مستخدمو وزارة الدفــاع يوظفون للاعتبارات ذاتها . وفي حين كــان بيرس يدعو الى قيام خدمة مدنية حرة سياسيا وكفؤة ، كان يتجاهل كون وزارة الدفاع مليئة بموظفين عينوا استنادا لمحاباة سياسية مع انهم غير كفؤين ومــع انهم موظفون فاسدون (١٢٦).

٤ ــ حين حاول الدكتور زيفي داينشتين ، نائــب وزير الدفاع الذي خلف بيرس في مهامه ، ان يجرد وزارة الدفاع من دوائر متعددة ويضعها في يــد الجيش ليجعل عملها « اكثر انسيابا » ــ علــى الطريقة الاميركية ــ قوبل بمعارضة قادها يتسحاق رابين ، رئيس اركان الجيش . فقد رفضت قيادة الجيش ان تتولى مسؤولية « اعمال المساندة تلك (التطويع ، التسليح ، التموين) وارادت ان تشغل وزارة الدفاع بها من ناحية وان تجنب نفسها مزلق التحول الــى مجموعة مـــن « التجار » و « الكتبة » (هكذا ينظر الجيش لموظفي وزارة الدفاع) على اعتبار ان ذلك دون مستوى الجيش وينال من كرامته »(١٢٧).

٥ ــ ولعل اكثر الاسباب والوقائع اهمية ان غياب الثلاثي بن جوريون ــ ديان ــ بيرس ، المدافعون الاوائل عن الجيش لم يعن ، من الناحية العملية ، سيادة فريق آخر له موقف مضاد من الجيش . بل ان عكس ذلك هو الصحيح . فبن جوريون واقطاب محوره تميزوا بخبراتهم العسكرية الذاتية ، مما حد ، في كثير من الاحيان ، مــن قدرة الجيش في التصرف على هواه . وازاء انعدام خبرة اشكول العسكرية (بالمقارنة) بدا الجيش اقوى واصبح اعتماد رئيس الوزراء على « نصائح » رئيــس الاركان اكثر . وهكذا وفي حين كان اشكول ، بحكم كونه وزيرا للمالية ، ضابطا ماليا على الجيش في عهد بن جوريون ، اصبح عهده متميزا بعجزه عن قول « لا » لطلبات رابين والجيش الخاصـــة بالحصول على امــوال اكثر واسلحــة احدث . « وبزوال الايدي القديمة (الممسكة بزمام الامــن والجيش) بن جوريون ، ديان ، وبيرس ، تدعم تأثير رابين في المسائل المتعلقــة بالامــن ، الى حد كبــير »(١٢٨). من ناحية ثانية فان قوة شخصيات بن جوريون ، ديان ، بيرس ، ورصيدهم الشخصي والتاريخي (وخاصة بن جوريون) لم تكن لتوازيه شخصية اشكول الذي اشتهر ، بالمقارنة ، بالضعف والتردد وفقدان القدرة على الحسم . والجيش ، اي جيش ، خاصة اذا ما اصبح مؤسسة قائمة بذاتها وله طموحاته ، فانه يفضل رأسا ضعيفا له على الرأس القوي القادر على الحد من طموحاته . ولهذا يجب ان لا نستغرب عدم استياء الجيــش الاسرائيلي من تطورات الاحداث في العام ١٩٦٤/ ١٩٦٥(١٢٩).

٦ ــ يضاف الى هذا وذاك انه ومع مجيء العام ١٩٦٥ كان الجيش الاسرائيلي قد اصبح **مؤسسة قائمة بذاتها** ولم تعد بحاجة ، كما كانت في الماضي في فترة التأسيس ، الى شخصيات من نــوع بن جوريون . « وفي الواقع ، فان بامكان المرء ان يقول انه ومع الوقت ، فان النهج الذي وضعــه بن جوريون اصبح جزءا من الروتين ذاته لدرجة انه حين حاول هو بنفسه (اي بن جوريون) ان يلجم ذلك النهج ... فشل في وقف (انسياب) تراث النهج الذي وضعه » **فالجيش « اصبح آلة كبيرة وفعالة ذات زخم خاص بها** وتتبع نهجــا مضى على قيامه عقدان من الزمان » (١٣٠).

اما تتمة الاجابة على ذلك السؤال الكبير فانهــا تقود الى السؤال الاساسي والاكبر حول موقــع الجيش الاسرائيلي في السياسة الاسرائيلية . ان ذلك يتطلب دراسة لاحداث ايار وحزيران من العام ١٩٦٧ على غــرار دراستنا لكــل من احــداث ١٩٤٩/١٩٤٨ من جهة ولقضية لافون بمراحلهـــا الثلاث من جهة ثانية .

الازمة الكبرى الثالثة : حرب حزيران ١٩٦٧

قبل الحديث عن ثقل الجيش وراء احداث حزيران ١٩٦٧ وسطوته في دفع الجهاز السياسي نحو اتخاذ قراراتها الحاسمة ، لا بد من الاشارة الى ان ثمة عوامل عديدة تحكمت واثرت ، بشكل او بآخر ، على تلك القرارات ايضا : « فتردد » اشكول من وجهـــة نظر الاسرائيليين (وخاصـــة العسكر) و « اصراره » الدائم علــى البحث عن مخــرج دبلوماسي ، وفشله وقيــادة المباي الحاكم في مواجهة الضغوط التي تعرضا لها ، ورفض كوادر الحزب اقامة حكومة ائتلاف وطني عشية الحرب ، والحملة المركــزة التي قادهــا شمعون بيرس ، السكرتير العام لحزب رافي ، وضغط الراي العام ، كل هذه العوامل شكلت خلفية للدور الذي لعبه الجيش في تلــك الازمة(١٣١). ضمن ذلك المنــاخ

السياسي والعسكري المتوتر ، لعب الجيش ، بالاضافة لقوى اخرى[١٣٢]، دورا بارزا في دفع القيادة السياسية حثيثا باتجاه اتخاذ قرارين رئيسيين هما : بدء الحرب ضد العرب ، وتعيين موشيه ديان ، الخصم المر للسلطة السياسية القائمة ، وزيرا للدفاع .

وبما ان اهتمامنا الاساسي ينصب ، بالذات ، على دور الجيش في اتخاذ ذينك القرارين ، ومع تأكيدنا على اهمية واثر العوامل والقوى والضغوط الاخرى ، نترك الآن المجال للوقائع تتحدث عن نفسها : كانت قيادة الجيش الاسرائيلي في البداية منسجمة مع موقف بعض السياسيين القاضي بمعالجة الموقف دبلوماسيا وسياسيا . وكان السبب المباشر وراء ذلك عدم شعور القادة العسكريين بخطورة الموقف . ولكن ، وما ان طلب الرئيس عبد الناصر سحب قوات الطوارىء الدولية وموافقة اوثانت على ذلك يوم ١٨ ايار (مايو) ١٩٦٧ ، حتى تغير موقف الجيش كليا[١٣٣]. فقد بدأت قيادة الجيش الاسرائيلي تتخذ ترتيباتها العسكرية لمواجهة الموقف . وخلال الايام القليلة التي تلت بدأت القيادة تطالب ببدء العمل العسكري في اسرع وقت . وحين طلب الى ابا ايبان ، وزير الخارجية الاسرائيلية ، السفر الى اوروبه واميركه لاجراء اتصالات سياسية ، لم يخف الجيش استياءه من تلك الرحلة[١٣٤]. ويوم ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٧ قدم الجنرال عيزر وايزمن ، نائب رئيس الاركان ، لليفي اشكول خطة تفصيلية بالهجوم[١٣٥]. وهكذا وقع اشكول ، ضمن ما وقع فيه ، بين مطرقة يتسحاق رابين ، رئيس اركان الجيش وغيره من الداعين الى بدء الحرب حالا ، وسندان ابا ايبان ومؤيديه المطالبين بالتريث قليلا . وما ان عاد ايبان من رحلته حتى توتر الجو بينه ، كممثل للسياسيين، وبين ضباط الجيش وامتلأ الجو بشتى الاتهامات . عادت الحكومة فصوتت (يوم ٢٨ ايار (مايو) ١٩٦٧) باغلبية ١٧ صوتا ضد واحد (موشيه كارمل) لصالح التريث . ولمواجهة الاستياء الذي يمكن لذلك القرار ان يعكسه على الجيش طلب رابين من اشكول ان يقوم هذا الاخير ، **شخصيا** ، **بابلاغ ضباط الجيش بذلك القرار . وهكذا كان .** ففي مساء ذلك اليوم ابلغ اشكول قيادة الجيش بقرار مجلس الوزراء فكان رد فعلهم « عنيفا » : قال الجنرال « وايزمن » ، مدير العمليات ورئيس الاركان بالوكالة ، : « قادتنا يستطيعون ان يلتقوا من اجل مواجهة خطر العرب » . اما الجنرال « ابراهام يوفي » ، احد قادة الجيش في الجبهة الجنوبية ، فقد صاح قائلا : « اذا ما استمررنا في استجداء الحماية من باريس وواشنطن (مشيرا الى موقف السياسيين) فاننا سنضيع ! » اما « آريل شارون » ، القائد المظلي ، فقد وجه كلامه لاشكول مباشرة ، وقال : « ان ترددك سيكلفنا آلافا من الموتى ! »[١٣٦]. وعندما نهض اشكول ليغادر الاجتماع « مهموما ومدهوشا » ، قال رابين لزملائه : « يبدو ان الجيش هو القوة **الوحيدة** التي تستطيع البلاد الاعتماد عليها »[١٣٧].

ويوم الاول من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، دخل الجنرال وايزمن مكتب اشكول فوجد عنده شمعون شابيرو ، وزير العدل الاسرائيلي ، ولكنه لم يتردد في قول ما جاء ليقوله لاشكول الذي كان منهكا بسبب الضغوط الممارسة عليه لتعيين ديان وزيرا للدفاع . قال الجنرال وايزمن الذي كان قد هدد برمي شاراته العسكرية في وجه رابين ، قال لاشكول : « ينتظر اوامرك اقوى جيش منذ مملكة داوود . اصدر اوامرك للجيش بالتحرك وستصبح اكبر منتصر في حرب اسرائيل . اما اذا لم تفعل فستكون مسؤولا عن دمار البلاد . ان سياستك ستقود مباشرة الى ابادة الدولة اليهودية الثالثة .» عندها انهار شابيرو وبدأ بالبكاء[١٣٨]. وبعدها بلحظات ، دخل الجنرال «ييجال يادين» (مستشار رئيس الحكومة للشؤون العسكرية) مكتب اشكول وهو متوتر الاعصاب وقال لرئيس الوزراء : « كان **يجب** ان اراك . ان الحالة **لا** تدع لك **مجالا** للخيار . **يجب** عليك ان تعين ديان وزيرا للدفاع »[١٣٩]. وهذا بالضبط ما حصل . كانت الساعة آنذاك تشير الى الثالثة وخمس دقائق بعد الظهر . وفي تمام الساعة الرابعة والربع ابلغ اشكول ديان ، شخصيا ، بعد ان استدعاه لمكتبه، بانه اصبح ، منذ اللحظة ، وزيرا للدفاع[١٤٠]. اذن « اخيرا استسلمت القيادة المدنية »[١٤١]. ولم تكد تمضي ايام ثلاثة فقط حتى نال الجيش في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ **ما كان يسعى اليه :** الهجوم والحرب ضد العرب !

والآن لنتساءل : ماذا كان يمكن ان يحدث لو لم يتم «ارضاء» الجيش ؟ يقول والتر لاكور ، الكاتب الصهيوني المعروف : « غادر الجنرالات الاجتماع

(اجتماعهم المشار اليه مع اشكول) بقلوب مثقلة وهواجس تنذر بوقوع كارثة . هذا الاستقواء استمر في النمو خلال الايام القليلة التي تلت . حتى انه كان ثمة اشاعات عن **زحف على القدس (العاصمة)** وعن **انقلاب عسكري** ... و (حقا) ليس بامكان احد ان يعرف ماذا كان يمكن ان يكون عليه الحال لو طال الانتظار (قبل اتخاذ القرارات المرضية للجيش) بضعة اسابيع اخرى »(١٤٢). اما الصحفي الفرنسي « جان لارتوجيه » المتعاطف مع اسرائيل فيقول : « ماذا كان سيحدث لو ان حكومة اشكول لم تضع حدا لماطلتها ؟ انقلاب عسكري ؟ اليوم ، هذا الاحتمال ينكر . ولكن بين ٢٠ ايار (مايو) والاول من حزيران (يونيو) وهو التاريخ الذي اصبح فيه موشيه ديان وزيرا للدفاع ... **فان انقلابا كان لا يعتبر ممكنا فحسب بل ومرغوبا فيه** . الانتصار جعل الناس تنسى تلك الايام السوداء ، ولكن اناسا كثيرين لا زالوا يفكرون بما قاله رابين (آنذاك) : في هذه البلاد ، القوة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها هي الجيش »(١٤٣). اما الجنرال « عيزر وايزمن » ، نائب رئيس الاركان الاسرائيلي آنذاك فقد قال : « لا اعتقد ان انقلابا كان سيحدث ، ولكننا **لم نكن في يوم من الايام اقرب الى الانقلاب العسكري مما كنا عليه آنذاك** »(١٤٤).

ولكي لا يقع البحث في شباك الآراء الذاتية القطعية حول « حتمية وقوع انقلاب » أو « حتمية عدم وقوعه » ، ولكي لا تتعامل الدراسة مع احكام مستندة الى لفظة « لو » ، فان البحث لن يخوض في تقرير « ما كان سيحدث » وانما سيكتفي — بما اورده حتى الآن — حول « **بعض**(١٤٥) ما حدث فعلا » . اما تقرير الاحكام القطعية الذاتية في هذه المسألة فتلك قضية للبحث فيها رأي سنقرأه في الصفحات التالية(١٤٦).

خلاصة

ان اي تقييم علمي بهذا الخصوص لا بد له من الاجابة اولا على سؤالين رئيسيين يستطيع بعدها ان يخلص الى سلسلة من الاستنتاجات التي تشكل بمجموعها تقييما عاما للعلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل . اما السؤال الاول فهو : ما هي الصيغة **الرسمية** التي حددت علاقة الجيش الاسرائيلي بالحكومة ؟ اما السؤال الثاني فهو : ما هي الصيغة **الفعلية** التي حكمت موقع الجيش ضمن الاطار السياسي الاسرائيلي ؟ وقبل الاجابة على اي من هذين السؤالين الرئيسيين لا بد من التنويه بان الصيغتين — المشار اليهما اعلاه — (اي الرسمية والفعلية) هما صيغتان متمازجتان من الصعب فصل احداهما عن الاخرى . ضمن هذا التحذير يمكننا الانتقال للاجابة على السؤالين حالا .

من المعروف انه ليس في اسرائيل دستور مكتوب يمكن ان يرشد الى الصيغة الرسمية للعلاقات بين الجيش والحكومة . ايضا فلا « قانون الادارة والقضاء » الصادر في ١٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ولا « القانون الانتقالي » الصادر في ١٦ شباط (فبراير) ١٩٤٩ ، يتضمنان اي اشارة لعلاقة الجيش بالسلطات المدنية . وعلى اية حال فقد اناطت التشريعات الخاصة بالقوات المسلحة اناطت بوزير الدفاع مسؤولية اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ القوانين الخاصة بمؤسسات وشؤون الامن. هذا مع العلم ان من الامور المتعارف عليها ان كل تشريع مقترح من اية وزارة ، ومن ضمنها وزارة الدفاع ، يجب ان ينال موافقة مجلس الوزراء قبل احالته على البرلمان (الكنيست) للبت فيه . والاستثناء **الوحيد** في ذلك هو ميزانية الدفاع التي لا تعرض للمناقشة في البرلمان لاعتبارات امنية مع ان تلك الميزانية تعرض على لجان الشؤون المالية والخارجية في الكنيست للموافقة عليها . ان ذلك ، من الناحية **الشكلية** على الاقل ، يتيح للاحزاب الممثلة في الوزارة امكانية **اسماع** صوتها حول مسائل الدفاع كما وان ذلك يتيح للاحزاب المعارضة امكانية **الاطلاع** ، من خلال لجان الكنيست ، على فحوى الميزانية . « ويعارض (عدد) من الاسرائيليين المطلعين وبشدة اعتبار ذلك (نوعا من) الضوابط المدنية الملائمة (الكافية) للسيطرة على المؤسسة العسكرية »(١٤٧).

والواقع ان نقطة التقاطع فيما هو **رسمي** وما هو **غير رسمي** في العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل تكمن في الدور الذي يمارسه وزير الدفاع ووزير الدفاع بالذات . وهذا ما كرسته تركة بن جوريون على وجه الخصوص اكثر من اي عامل آخر دستوري او قانوني . بل واكثر من ذلك ، فان الارث الذي خلفه بن جوريون ، بهذا الصدد ، ليس بالضرورة منسجما مع او مستندا الى اي من

الحقائق الدستورية أو القانونية — كما سنرى ، فوزير الدفاع في اسرائيل يمارس مسؤولية القائد الاعلى للقوات المسلحة « مع ان منصبه لا يحمل ، بوضوح ، هذا الاسم . ووفقا للقانون فان وزير الدفاع ليس بحاجة لاستمزاج رأي زملائه في مجلس الوزراء او للحصول على موافقة الكنيست قبل ان يتخذ قرارات سياسية رئيسية ، بما في ذلك قرار (هام جدا) مثل تعبئة الاحتياط »[١٤٨]. ان وزير الدفاع مطالب فقط باحاطة « لجنة الشؤون الامنية والمالية في الكنيست » علما بذلك وباسرع وقت ممكن . ومن حق اللجنة البرلمانية التصديق على الاجراء سواء بادخال تعديلات عليه او بدون ذلك ، كما ان من حقها رفضه واحالته على الكنيست للبت فيه . ويعتبر القرار لاغيا بعد ١٤ يوما اذا لم توافق عليه اللجنة او الكنيست . ومن المؤكد ان الكاتب الصهيوني هوريفتز محق في تساؤله : ولكن « الى اي مدى يحتمل ان يغير الكنيست امر وزير الدفاع هذا في حالة وجود حالة يظهر (وهي كلمة مطاطة للغاية) انها تستدعي التعبئة !!!! »[١٤٩]. ان التحفظات هذه ، بالمعنى الحقيقي والعملي ، لا تعدو كونها تحفظات شكلية . ولا بد من الاقرار بان وزير الدفاع في اسرائيل ، واكثر من اي بلد آخر بالتأكيد ، يملك صلاحيات فعلية ، تكاد تكون بلا حدود . ولقد ثبت اثناء البحث ، من الزاوية التقييمية النقدية ، ان تجارب وزراء الدفاع الذين عرفتهم حياة اسرائيل السياسية حتى الآن تكشف ان العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل علاقات من نوع « فريد وخاص »[١٥٠]. وان حلقة الوصول الرئيسية فيها هي ، بالتحديد ، شخصية وزير الدفاع . فحين كان بن جوريون وزير الدفاع لم يمارس دورا اوتوقراطيا في ادارة الشؤون السياسية والعسكرية فحسب ، بل كان قادرا ايضا على زرع صيغته الاوتوقراطية تلك في صدر الحياة السياسية الاسرائيلية بحيث غدا اسلوبه الاوتوقراطي الاسلوب الذي حكم العلاقات المدنية — العسكرية لاحقا .

وبالرغم من الغضب الدائم ازاء « فردية » و «دكتاتورية» ونزعة بن جوريون «غير الديمقراطية» فان احدا لم يستطع ان يغير من الواقع شيئا . وبالرغم من رضوخ بن جوريون ، اثناء بعض العواصف السياسية ، لاقتراحات تقضي بانشاء « لجان استشارية » تساعده في اعماله ، الا ان الوضع ، وبعد تلاشي العاصفة ، كان يعود الى سابق حاله بكل الدكتاتورية والفردية والاوتوقراطية التي كانت سببا في اثارة العاصفة اصلا[١٥١]. ولسنا هنا بحاجة الى تكرار الاسباب التي مكنّت بن جوريون من فرض نفسه وصيغته واسلوبه ، فهذه الاسباب ورد ذكرها بشكل تفصيلي اثناء البحث .

ان الطبيعة « الفريدة والخاصة » للعلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل محكومة دوما بمفاجآت يمكن لها ان توتر تلك العلاقات من جهة ، او ان تدعم موقف وسلطة الجيش من جهة ثانية ، وكل ذلك يعتمد على شخصية وقوة فرد أوحد هو وزير الدفاع : فالجهاز السياسي الاسرائيلي لم يحتمل غياب بن جوريون طوال الفترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٦٣ اكثر من ١٥ شهرا لان وزير الدفاع البديل بنحاس لافون (بالرغم من كونه تلميذا من تلاميذ بن جوريون وبالرغم من كونه صنيعته) لم يكن يملك لا شخصية بن جوريون ولا ثقله السياسي والتاريخي . ايضا فان وجود رئيس قوي للاركان او مدير عام قوي لوزارة الدفاع (مثال موشيه ديان وشمعون بيرس على التوالي) يمكن ان يشكل منبعا اضافيا لتوتير العلاقات الى درجة الانفجار — كما سبق ولاحظنا . ايضا فان وجود رئيس وزراء ووزير دفاع ضعيف ولا يملك خبرة عسكرية (مثال ذلك عهد ليفي اشكول حتى حزيران ١٩٦٧) يؤدي الى تزايد غير مرغوب فيه في سلطة رئيس الاركان وقيادة الجيش اجمالا[١٥٢]. ومرة ثالثة فان وجود رئيس وزراء ضعيف مع وجود وزير دفاع قوي[١٥٣] (مثال ذلك عهد ما بعد حزيران ١٩٦٧ حين كان اشكول رئيسا للوزارة وديان وزيرا للدفاع) يعزز سلطة الجيش . ومرة رابعة فان وجود رئيس وزراء قوي (جولدا مئير) ووزير دفاع قوي (ديان) في ظل منافسة سياسية بينهما يمكن ان يؤدي الى وضع الجيش في موقع يستطيع معه ان يناور ويستفيد من جراء تلك المنافسة . (عهد جولدا مئير منذ وفاة اشكول وحتى الآن مثال واضح على ذلك) .

ان تعامل الدراسة مع الوقائع الملموسة ، بحثا واستقصاء وتحديدا ، يؤكد جملة من الحقائق البارزة : **اولا** : ان عهد بن جوريون (وهو الذي يشكل الجانب الاطول من الحياة السياسية حتى الآن) ولاسباب ذاتية وموضوعية ، كان عهدا

اوتوقراطيا خاصة في قضايـا الجيش والأمن . **ثانيا** : ان الصيغة **الرسمية** للعـلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل صيغة لا تشكل اية ضمانة حقيقية في يد الجهاز السياسي ضد تحالف وزيـر الدفاع مع الجيش . **ثالثا** : ان المسيرة العملية تؤكد على ان تحالفا نشأ بين وزير الدفاع ومؤسسة الجيش جعلت هذا التحالف ، وعلى امتداد الفترة الاطول من حياة اسرائيل السياسية حتى الآن ، قادرا على ممارسة دور مستقل الى درجة بعيدة في اتخاذ جميع القرارات الحاسمة والفرعية ذات العلاقة . **رابعا** : ان ثقل ووزن كـل من وزارة الدفاع والجيش في المجتمع الاسرائيلي يتناميـان يوما بعد يوم ... ولا يستطيع احد ان يقرر سلفا الى اي مدى سيصلان(١٥٤). **خامسا** : انه داخل تحالف وزارة الدفاع مع قيادة الجيش ، فان **قيادة الجيش** ملكت دوما الثقل الاوضح مما اضعـف الرقابة المدنية ـ السياسية ـ الداخلية ضمن التحالف(١٥٥).

باختصار يمكن القول : ان وزارة الدفاع والجيش الاسرائيليين ، بحكم الصيغتين الرسمية والعملية اللتين تحكمانهما ، يتمتعان من زاوية علاقتهمـا بالجهاز السياسي الاسرائيلي بوضع لا يمكن القول معه ان الجهاز السياسي يملك ضبطا كاملا او رقابة حقيقية عليهما أو حتى انه يشكل ضمانة ضـد تصاعد ونمو وزنهما وثقلهما السياسي ـ المستقل خاصة في الظروف الطارئة الحرجة . ولعل غياب الرقابة الحقيقية كان ، اصلا ، سببا رئيسيا من اسباب نمو وتعاظم قوة الجيش وتأثيره السياسي. اما الحديث عن امكانية حدوث انقلاب عسكري في اسرائيل او عدمه او الحديث القطعي والتقريري عن « حتمية هيمنة السلطة السياسية على السلطة العسكرية » او العكس ، فهو حديث لا يمكن الفصل فيه الا باسلوب تعسفي لا مبرر له ، سواء كان الحكم في صالح هذا الاحتمال او ذاك . والجيش، اي جيش ، كي يقوم بانقلاب عسكري يجب ان يكون له حوافزه الذاتية والموضوعية(١٥٦).

اما العوامل التي تساعد على تنامي وتزايد دور الجيش في اسرائيل (ربمـا الى درجة الحكم العسكري الواضح والعلني) فهي : الانقسام في المجتمع الاسرائيلي(١٥٧)، النظام السياسي مـن زاوية تعدد الاحزاب وتصارعها(١٥٨)، الامبراطورية العسكرية ـ الصناعية القائمة فعلا(١٥٩)، تحول الجيش الى مؤسسـة لها جذورها ونهجهـا المستقل (١٦٠)، الاوضاع السياسية والعسكرية في الشرق الاوسط (العـلاقات مع الدول العربيـة بالذات) ودوليا . ومن جهة ثانية ، فان العوامل التي تخفف من احتمالات حدوث انقلاب عسكري تتلخص في : طبيعة الحياة السياسية الاسرائيلية (من زاوية وجود حزب قوي يملك اغلبية جماهيرية وتشريعية)(١٦١)، وجود قوى ضاغطة اخرى مثل الهستدروت لها ثقلها ووزنهـا السياسي(١٦٢)، تداخل الجيش مـع المجتمع من خـلال نشاطاته المختلفة ومن خلال نظام الاحتياط المعمول به(١٦٣)، قدرة الاقتصاد على استيعاب من يترك الجيش او يحال على التقـاعد (وهو في سـن مبكر جـدا نسبيا)(١٦٤)، تطابق الاهداف السياسية ، بشكل عام ، بين الجيش والقيادة السياسية(١٦٥).

وهكذا نرى ان ترجيح كفة على الاخرى ، نظريا ، وفي هذا البحث ، مسألة مستحيلة . وتبقى مسألة تقرير خط تطور العلاقات المدنية ـ العسكرية في اسرائيل ، بهذا الاتجاه او ذاك ، مسألة مـن اختصاص المستقبل ووفقا لتطور القوى المـادية الفاعلة داخل المجتمع الاسرائيلي وخارجه .

---

١ ـ لفظة « الجيش » ـ حيثما وردت في البحث ـ يقصد بها اما مجموع القوات المسلحة او اجزاء منهـا .

٢ ـ Samuel Huntington, *The Soldier and the State* (Cambridge, Mass., Harvard University Press, 1957), Also in : Morris Janowitz, *The Professional Soldier* (New York : The Free Press, 1960), Also in Samuel Huntington (ed.) *Changing Patterns of Military Politics* (New York : Free Press of Glenoe, 1962), Also in : Morris Janowitz and Roger Little, *Sociology and the Military Establishment* (New York: Russel Sage Foundation, 1965).

٣ ـ S. E. Finer, *The Man On Horseback: The Role of the Military in Politics* (New York: Frederick A. Praeger, 1962), pp. 2-3.

أيضا راجع المصادر المذكورة عبر البحث وبخاصة : Kurt Lang, *The Sociology of the Mili-*

tary: A Selected and Annotated Bibliography (Chicago, 1969).

٤ — هذه المناطق هي : الشرق الاوسط ، اميركا اللاتينية ، جنوب شرق آسيا ومنطقة البلقان .

٥ — من المفيد في هذا الاطار ، مطالعة مقالة « لادوارد شيلز » يصنف فيها أسباب الظاهرة ضمن ثلاث دوائر : اجتماعية وثقافية وسياسية:
Edward Shils, "Political Development of the New States," in Johnson (ed.), *The Role of the Military in Underdeveloped Countries* (Princeton: Princeton University Press, 1962).

راجع ايضا :
Lucian W. Pye, "Armies in The Process of Political Modernization," in Johnson, *op. cit.*, and :
Dankwait A. Rostow, "The Military in Middle Eastern Society and Politics," in Sydney Fisher (ed.), *The Military in the Middle East* (Colombus: Ohio State University Press, 1963).

٦ — ربع القائمة التي تحتوي على اكثر من الف دراسة وحصرها "Kurt Kang" كما سبق واشرنا ، يتعلق بالعلاقات المدنية — العسكرية، راجع :
Amos Perlmutter, "The Arab Military Elite," *World Politics*, Vol. XXII, Number 2, January 1970, p. 269.

٧ — راجع مثلا :
Ben Halpern, "The Role of the Military in Israel," in Johnson, *op. cit.*, pp. 318, 344, 350, 353, and 357. Also:
Morroe Berger, *Military Elite and Social Change: Egypt Since Napoleon* (Princeton, N. J. : Princeton Univercity Press, 1969), p. 32.
Amos Perlmutter, *Military and Politics in Isrdel* (London: Frank Cass and Co. Ltd., 1969), p. VIII; Also : Perlmutter, "The Israeli Army in Politics : The Persistence of the Civilian Over the Military," *World Politics*, Vol. XX, July 1968, No. 4, pp. 606-644.

٨ — مع ان مدلولات لفظة « الصهيونية » أوسع من اسرائيل وتشملها ، الا ان المقصود هنا — وعبر هذا الجزء من البحث — هو المؤسسات التي كانت ولا يزال بعضها — حتى الان — قائما منذ العام ١٨٩٧ .

٩ — *The Encyclopedia Americana,* 1693 Edition (New York: American Corporation), XVI, p. 100.

١٠ — Israel Cohen, *A Short History of Zionism* (London : Frederick Muller, 1951), p. 45.

١١ — Nahum Sokolow, *History of Zionism: 1600 - 1918*, Vol. I. (London: Longmans, Green, 1919), p. 269.

١٢ — راجع للكاتب : **المنظمة الصهيونية العالمية: تنظيمها واعمالها (١٨٩٧ — ١٩٤٨)** — (بيروت: مركز الابحاث ، ١٩٦٧) .

١٣ — J. M. N. Jeffries, *Palestine: The Reality* (London: Longmans, Green & Co., 1939), pp. 9-10.

١٤ — *Ibid.*, pp. 309-310.

١٥ — The Zionist Organization and the Jewish Agency for Palestine, *Reports of the Executives Submitted to the Twenty-Third Zionist Congress at Jerusalem, August 1951* (Jerusalem: The Executives, 1951), p. 212.

١٦ — Cohen, *op. cit.*, p. 225.

١٧ — Amos Perlmutter, *Military and Polotics in Israel,* p. 14.

١٨ — ما يعرف وفقا لتصنيفات ماكس فيبر بالقيادة الجذابة التي تمتاز بسحر خاص (حقيقي او وهمي ولكنه راسخ في ذهن ومخيلة الجمهور) بالاضافة الى ما ينتج عن ذلك من اتباع مرتبطين بالشخص وآرائه .

١٩ — بالرغم من وجود عدد من القوى السياسية الفاعلة والمؤثرة في الحياة السياسية قبل وبعد العام ١٩٤٨ ، الا اننا سنقتصر البحث هنا على هاتين القوتين لانهما الاكثر تماسا بموضوع الجيش والسياسة في اسرائيل .

٢٠ — Cohen, *op. cit.*, p. 137.

٢١ — اما منظمة شترن (المقاتلون من اجل حرية اسرائيل) وكذلك فرع تنظيم « البالماخ » في الهاجاناه ، فسيرد ذكرهما عبر البحث .

٢٢ — Arthur Koestler, *Promise and Fulfilment* (London: MacMillan and Co., 1949), p. 39.

٢٣ — Perlmutter, "The Israeli Army in Politics: The Persistence of the Civilian Over the Military," *op. cit.*, p. 612.

٢٤ — Koestler, *op. cit.*, pp. 69-70, 72-73, 85-86.

٢٥ Jean Larteguy, *The Walls of Israel,* tra. Ormonde de Kay (New York: M. Evans and Co., 1969), p. 55.

٢٦ — Perlmutter, "The Israeli Military in Politics: The Persistence of the Civilian Over the Military," *op. cit.*, p. 614; Also in Koestler, *op. cit., p. 72;* Also in Larteguy, *op. cit.*, p. 56.

٢٧ — Yigal Allon, *Shield of David: The Story of Israel's Armed Forces* (Jerusalem: Weidenfeld and Nicolson, 1970), pp. 98-99.

٢٨ — Walid Khalidi (ed.), *From Haven to Conquest* (Beirut: The Institute for Palestine Studies, 1971), pp. 861-63.

٢٩ — يؤكد مصدر آخر ان نشأة البالماخ كانت في العام ١٩٣٩ وليس ١٩٤١ . انظر :
Larteguy, *op. cit.*, p. 57.

٣٠ — Perlmutter, "The Israeli Army in Politics," *op. cit.*, p. 616.

٣١ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 35.

٣٢ — *Ibid*, p. 36.

٣٣ — *Ibid*, p. 39.

٣٤ — في حزيران (يونيو) ١٩٤٢ كانت نسبة القوى المختلفة داخل البالماخ على النحو التالي: حزب العمل المتحد: ٢٥٠ عضوا ، حزب المابام: ٢٠٠ عضو . في حين كان لحزب المباي ، وهو الحزب الاقوى ، ٧٠ عضوا فقط . انظر : المصدر السابق .

٣٥ — لادراك هذه النقطة بشكل اوضح تجدر ملاحظة التالي : في العام ١٩٤٢ كان ٤١٪ من اعضاء البالماخ ينتمون الى حزب العمل المتحد . وقد كان ضمن هؤلاء : قائد البالماخ ذاته ، ونائبه وجميع اعضاء هيئة الاركان العامة باستثناء اثنين . اما اهمية البالماخ في تنظيم الجيش الاسرائيلي فتبرز بوضوح مما يلي : ١ — من اصل ١٢ عضوا شكلوا هيئة الاركان العامة في العام ١٩٤٨ ، كان ثلاثة منهم من البالماخ . ٢ — قائد الجبهة الجنوبية (الاهم بين الجبهات المختلفة) وكذلك القوة العسكرية الصهيونية هناك ، كانت من البالماخ . ٣ — من اصل ٤٥ زعيما في الجيش الاسرائيلي ، آنذاك، كان ٢٠ منهم يعملون في البالماخ . ٤ — كذلك فان ٤٠٪ من الضباط بين رائد ومقدم كانوا من ضباط البالماخ . ٥ — قائد كلية الضباط ونائبه والعديد من الاساتذة — الضباط كانوا من البالماخ . ٦ — منذ ١٩٤٨ احتل ثلاثة من ضباط البالماخ منصب القائد الاعلى للجيش الاسرائيلي. ٧ — كذلك فان قائد الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران كان من ضباط البالماخ سابقا . انظر المصدر السابق ، ص ٣٦ .
ايضا : فان ١١ من اصل ١٨ من ضباط هيئة الاركان العامة ، في حرب حزيران ، كانوا من البالماخ . كما ان قادة الجبهات الرئيسية الثلاث في حرب حزيران كانوا ضباطا سابقين في البالماخ . انظر :
Perlmutter, "Israeli Army in Politics," *op. cit.*, footnote 28, p. 616.

٣٦ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 40.

٣٧ — Koestler, *op. cit.*, p. 72; Also in Perlmutter, "Israeli Army in Politics," *op. cit.*, p. 614.

٣٨ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 41.

٣٩ — *Ibid.*, p. 41; Also in Perlmutter, "Israeli Army in Politics," *op. cit.*, pp. 614-15.

٤٠ — Koestler, *op. cit.*, p. 92; Also in Ben Halpern, "The Role of the Military in Israel," in Johnson (ed.), *op. cit.*, pp. 331-32.

٤١ — Koestler, *op. cit.*, p. 93; Also in Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, pp. 43-44.

٤٢ — *Ibid*, p. 42.

٤٣ — *Ibid.*

٤٤ — *Ibid.*

٤٥ — Koestler, *op. cit.*, p. 91.

٤٦ — حصيلة العمليات لم تتجاوز مقتل ٨ صهيونيين و ٦ عرب و ١١ شرطيا بريطانيا .

٤٧ — *Ibid*, p. 93; Also in Larteguy, *op. cit.*, p. 70.

٤٨ — تولي مناحيم بيجن لقيادة الارجون وتجاوزها لآثار الانشقاقات المتعددة .

٤٩ — تؤكد المصادر الصهيونية والبريطانية ، على حد سواء ، ان الهاجاناه كانت مسؤولة ايضا عن تلك الاعمال بشكل مباشر وغير مباشر . انظر :
Koestler, *op. cit.*, p. 139; Also Larteguy, *op. cit.*, p. 72; Also Perlmutter, *Military*, p. 52.

٥٠ — Koestler, *op. cit.*, p. 94; Also Perlmutter, "Israeli Army in Politics," *op. cit.*, footnote pp. 617-18; Also Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 52.

٥١ — من الامور الثابتة ان عددا من قيادات الهاجاناه و « الكيبوتس المتحد » و « البالماخ » واعضائها ، لم يلتزموا بتعليمات بعض قيادات الهاجاناه والوكالة اليهودية بخصوص التعاون

مع القوات البريطانية ضد المنظمات الارهابية .
انظر :
Perlmutter, Military and Politics in Israel, p. 96-97.

٥٢ — Larteguy, *op. cit.*, pp. 70-71; Also, Koestler, *op. cit.*, pp. 96-97.

٥٣ — من اجل تقرير واف وشامل عن العلاقات والخلافات بين المنظمات في هذه الفترة راجع :
Ben Halpern, "The Role of the Military in Israel," in *op. cit.*, pp. 332-35.

٥٤ — المقصود المعنى السلبي من ظاهرة الـ
. Politicization

٥٥ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 54.

٥٦ — Burt Hirschfeld, *A State is Born* (New York: Julian Messner, 1967), p. 154.

٥٧ — مثل الهستدروت ، الوكالة اليهودية ، المنظمة الصهيونية العالمية ، وخاصة الهاجاناه.

٥٨ — المقصود بذلك التعدد والاختلاف التنظيمي والفكري والسياسي داخل تيار « الصهيونيين — الاشتراكيين » .

٥٩ — لاحظنا سابقا ان الهاجاناه لم تكن دوما ملتزمة التزاما دقيقا بتعليمات الهيئات السياسية المسؤولة فيها . بالذات اثناء ممارسة سياسة « الاعتدال » ازاء كل من بريطانية والعرب ، واثناء « حرب » الوكالة اليهودية مع المنظمات الارهابية الاخرى .

٦٠ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 50.

٦١ — *Ibid.*

٦٢ — David Ben Gurion, "From Vision of the State to War of Independence," (in Hebrew), Introduction to History of War of Independence (in Hebrew), *Prepared by the Historical Studies Section in the Israeli High Command (The Israeli Defence Army, Ma'rachot, 1968)*, p. 54.

٦٣ — *Ibid.*, p. 55.

٦٤ — Koestler, *op. cit.*, p. 170.

٦٥ — Netanel Lorch, *Israel's War of Independence* (New York: G. P. Putman's Sons, 1961), p. 278.

٦٦ — *Ibid.*

٦٧ — ثمة مصدر آخر يشير الى ان التاريخ كان في اليوم الاول من حزيران . انظر :
Ben Gurion, *op. cit.*, p. 55.

٦٨ — *Ibid.*, p. 279; Also in Ben Gurion, *Loc. Cit.*

٦٩ — *Ibid.*

٧٠ — *Ibid.*

٧١ — Larteguy, *op. cit.*, p. 72.

٧٢ — Ben Halpern, *op. cit.*, p. 340.

٧٣ — تجدر الاشارة الى ان موضوع الالتالينا مليء بالروايات الاساسية والفرعية المتناقضة على حد سواء . فرواية بن جوريون تختلف عن رواية مناحيم بيجن . اما باقي المصادر الصهيونية الاخرى فهي اما متحيزة لهذا الفريق او ذاك . وكي يتبين القارىء الروايات المختلفة ، تجدر قراءة الصفحات المحددة في المصادر التالية :
David Ben Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel* (New York: Philosophical Library, 1954), pp. 251-60.
Menachem Begin, *The Revolt: Story of the Irgun* (New York: Henry Schuman, 1951), pp. 154-65.
Koestler, *op. cit.*, pp. 245-254.
Ben Halpern, "The Military in Israel," in Johnson (ed.), *op. cit.*, p. 341.
Larteguy, *op. cit.*, pp. 72-74.
Perlmutter, "Israeli Army in Politics," *op. cit.*, pp. 618-19.
Lorch, *op. cit.*, pp. 302-303.
Hirschfeld, *op. cit.*, p. 127-28.
Perlmutter, *Military & Politics in Israel*, pp. 52-53.

٧٤ — Ben Halpern, *op. cit.*, p. 341.

٧٥ — Ben Gurion, "From the Vision of State to War of Independence," (in Hebrew), *op. cit.*, p. 55.

٧٦ — اضفاء الصفة القومية اي بمعنى تعميمه بحيث يشمل الوطن كله Nationalization ويكون للوطن كله اضفاء الصيغة الترسيمية اي ترسيم الجيش وجعله رسميا Formalization ووضع نهاية لانغماسه في السياسة يقصد منها عملية الـ Depoliticization

٧٧ — Perlmutter, *"Military and Politics in Israel,"* pp. 54-55.

٧٨ — *Ibid.*, p. 60.

٧٩ — *Ibid.*

٨٠ — *Ibid.*, p. 66.

٨١ — *Ibid.*, p. 59.

٨٢ — سنعرض لهذا الموضوع في وقت لاحق .

٨٣ — *Ibid.*, p. 55.

٨٤ — من ضمن اقتراحات اللجنة : تأسيس وزارة حرب مهمتها وضع الاستراتيجية ، تعيين نائبين

عاملين لمساعدة وزير الدفاع (بن جوريون) في اداء مهامه ، وان تكون الصلة بالجيش ورئيس اركانه في الحالات العادية عبر النائبين العاملين وليس مباشرة مع وزير الدفاع (بن جوريون) .

٨٥ — Hirschfeld, *op. cit.*, pp. 128-32.

٨٦ — Larteguy, *op. cit.*, pp. 68-69.

٨٧ — لمزيد من المعلومات حول البالماخ وصراعها مع بن جوريون ، راجع الصفحات المحددة في المصادر التالية :

Naphtali Lau-Lavie, *Moshe Dayan: A Biography* (London: Vallentine, Mitchell, 1968), pp. 45, 97-98.
Joan Comay, *Ben Gurion and the Birth of Israel* (New York: Random House, 1967), p. 119.
Larteguy, *op. cit.*, p. 68.
Perlmutter, "Israeli Army in Politics," in *op. cit.*, p. 620.
Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, pp. 60-61.
Lorch, *op. cit.*, pp. 479-82.

٨٨ — كان ذلك نهاية لمراكز القوى في الجيش وان لم يكن نهاية لهـا في الحياة السياسية الاسرائيلية . فمجموعة الارجون وجدت لنفسها تعبيرا سياسيا والبالماخ كذلك . ولا يزال كلا التعبيرين ذا ثقل في الحياة السياسية الاسرائيلية (تحديدا مجموعتا حيروت والمابام على التوالي) . اما الامر الجديد بالاهتمام ايضا فهو ان البالماخ كافراد وتقاليد بقيت لهم سلطتهم وتأثيراتهم على الجيش الاسرائيلي .

٨٩ — ما ان تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة في رودس في العام ١٩٤٩ حتى استقال عدد من ضباط البالماخ ، وعلى رأسهم ييغال آلون ، من الجيش وذلك استياء من السياسة واسلوب بن جوريون .

٩٠ — راجع ، بالذات ، نتائج انتخابات ٢٥ فبراير ١٩٤٩ في : Koestler, *op. cit.*, p. 293.

٩١ — راجع ايا من الكتب السنوية لحكومة اسرائيل بهذا الخصوص وعلى امتداد الاعوام منذ قيام اسرائيل :
Israel Government Year Book

٩٢ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 57.

٩٣ — *Ibid.*, pp. 54-61.

٩٤ — *Ibid.*, pp. 55-56.

٩٥ — *Ibid.*, p. 57.

٩٦ — *Ibid.*

٩٧ — لذلك اسباب أخرى ايضا تجدر مراجعتها في كتاب :
Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 59.

٩٨ — *Ibid.*, p. 57.

٩٩ — *Ibid.*

١٠٠ — Lau-Lavie, *op. cit.*, pp. 103. and 110.

١٠١ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 85.

١٠٢ — *Ibid.*, p. 84.

١٠٣ — Lau-Lavie, *op. cit.*, p. 118; Also Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 85.

١٠٤ — Lau-Lavie, *op. cit.*, p. 123; Also Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 87.

١٠٥ — Lester G. Seligman, *Leadership in a New Nation* (New York: Atherton Press, 1964), p. 99.

١٠٦ — Lau-Lavie, *op. cit.*, p. 130.

١٠٧ — Ben Halpern, *op. cit.*, p. 354.

١٠٨ — Lau-Lavie, *op. cit.*, pp. 108, 122.

١٠٩ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 88.

١١٠ — Lau-Lavie, *op. cit.*, p. 127.

١١١ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 89.

١١٢ — Seligman, *op. cit.*, pp.99-100; Also in Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 94.

١١٣ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 94.

١١٤ — *Ibid.*, pp. 94-95.

١١٥ — Ben Halpern, *op. cit.*, p. 355.

١١٦ — Seligman, op. cit., p. 100; Also in Ben Halpern, *Loc. cit.*

١١٧ — في اللجنة المركزية للماباي أيد ١٥٩ عضوا بن جوريون في حين ايد لافون ٩٦ مع امتناع خمسة عن التصويت . وفي اللجنة التنفيذية للماباي ايد ٢٨ موقف بن جوريون في حين ايد ١١ موقف لافون .

١١٨ — Perlmutter, *Military and Politics in Israel*, p. 96.

١١٩ — انتظم لافون وانصاره داخل المباي في تيار سمى نفسه « حركة من الجذور » او « حركة من الاساس » .

Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, **p. 47.**

١٢٠ — Lau-Lavie, *op. cit.*, pp. 191-92.

١٢١ — *Ibid.*, p. 99.

١٢٢ — تبدلت المواقع وتغيرت الادوار جذريا هذه المرة : فتيـــار بن جوريون مع فتح الملف وانصار لافون ضده . وافق ٥٨،١٪ على اغلاق الملف في حين طالب ٤١،٩٪ بفتحه مجددا . انظر : Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, **p. 103.**

١٢٣ — Lau-Lavie, *op. cit.*, p. 130.

١٢٤ — Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, **p. 103.**

١٢٥ — *Ibid.*, pp. 104-105.

١٢٦ — *Ibid.*, p. 105.

١٢٧ — *Ibid.*, pp. 105-106.

١٢٨ — *Ibid.*, p. 106.

١٢٩ — *Ibid.*

١٣٠ — *Ibid.*, pp. 106-107.

١٣١ — *Ibid.*, p. 111.

١٣٢ — لعبت قوى اساسية دورا بارزا في اتخاذ القرارين خاصة قرار تعيين ديان وزيرا للدفاع . هذه القوى متفاوتة بين ضغوط مارستها بعض كوادر الحزب الحاكم ، مرورا بالاحزاب الكبيرة الاخرى وانتهاء بالاحزاب المتطرفة ضمن حملـــة قادها حزب بن جوريون : رافي . راجع بهـــذا الصدد ، بالاضافـــة الى كتابـــات Perlmutter المشار اليها عبر البحث ، راجع : Lau-Lavie, *op. cit.*, pp. 202-203.

١٣٣ — Walter Laqueur, ***The Road to War 1967: The Origins of the Arab Israeli Conflict*** (London: Weidenfeld and Nicolson, 1968), p. 112

١٣٤ — *Ibid.*, p. 135.

١٣٥ — *Ibid.*, p. 137.

١٣٦ — Michael Bar-Zohar, ***Embassies in Crisis*** (England Cliffs: Printice Hall, 1970), pp. 143-145.

١٣٧ — Bar-Zohar, *op. cit.*, pp. 145-46.

١٣٨ — Larteguy, *op. cit.*, p. 76; Also in Bar-Zohar, *op. cit.*, pp. 171-72.

١٣٩ — Bar-Zohar, *op. cit.*, p. 172.

١٤٠ — *Ibid.*, pp. 172-73.

١٤١ — Larteguy, *op. cit.*, p. 76.

١٤٢ — Laqueur, *op. cit.*, p. 148.

١٤٣ — Larteguy, *op. cit.*, pp. 76-77.

١٤٤ — *Ibid.*, p. 75.

١٤٥ — نقول « بعض » لانه من المؤكد ان ثمة وقائع واحداثا اخرى وقعت حتما ولكن حساسية الموضوع وباطنية النظام وامكانات البحث وقفت جميعا في وجه الوصول الـــى تلك الوقائـــع والاحداث .

١٤٦ — في هـــذا المجـــال لا بـــد من الاشـــارة الى ان قراءة دقيقة لكتـــاب آموس بيرلماتـــور ***Military and Politics in Israel*** تكشف محاولة مؤسسة من زاوية البحث العلمي الامـــين . فبيرلماتور يحاول بحجب المعلومـــات احيانا ، وبالتلاعب اللفظـــي احيانا اخرى ، وبالتلاعب في تسليط وتركيز الاضواء على بعض الجوانب والحفاظ على الجوانب الاخرى فـــي الظل ، مرة ثالثة ، يحاول الوصول الى نتائج تقريرية مسبقة وذاتية . ونأمل ان نخصص ، في المستقبل ، عرضا خاصا لذلك الكتاب وملاحقة ومطاردة المغالطات التي تغص بها صفحاته .

١٤٧ — J. C. Hurewitz, "The Role of the Military in Society and Government in Israel," in Sydney Fisher (ed.), ***The Military in the Middle East*** (Columbus: Ohio State Press, 1963), p. 100.

١٤٨ — *Ibid.*

١٤٩ — *Ibid.*, p. 101.

١٥٠ — Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, **p. 115.**

١٥١ — لمزيد من التفاصيل حـــول ذلك راجـــع الصفحات المحددة في المصادر التالية :

1 - Ben Halpern, "The Role of the Military in Israel," in Johnson, *op. cit.*, p. 356.
2 - Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, pp. 96-97.
3 - Hurewitz, "The Role of the Military in Society and Government in Israel," *op. cit.*, pp. 89-91.

١٥٢ — Laqueur, *op. cit.*, pp. 115-16; Also in Perlmutter, ***Military & Politics in Israel***, p. 115.

١٥٣ — مقياس القوة والضعف ليس المقصود به قوة او ضعف الشخصية او القوة والضعـــف الذاتيتين الفرديتين فقط . المقياس هو بالمعنى الاوسع المتعلق بمدى تمثيل هذا او ذاك للقوى المتواجدة في المجتمع احزابا او غير احزاب .

١٥٤ — لمزيد من المعلومات حول هذا الموضـــوع راجع الصفحات المحددة في المصادر التالية :

1 - Hirschfeld, *op. cit.*, p. 167.

2 - Perlmutter, "The Israeli Army in Politics," *op. cit.*, pp. 620, 621, 623.
3 - Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, pp. 69-71, and 93.

١٥٥ — Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, p. 114.

١٥٦ — لكي يكون بامكاننا ان نجيب بشكل قطعي او شبه قطعي على مستقبل الجيش الاسرائيلي من زاوية قيامه بانقلاب او عدمه لا بد من القيام بتنقيب واسع ومعقد يساعد في الاقتراب من وضع الاصبع على جملة من « الادوات القياسية » — اذا صح التعبير — التي تقرر بمحصلتها — عادة — قيام الجيش بانقلاب او عدم استعداده او رغبته للقيام بانقلاب . وقد اطنب **Finer** في احدى دراساته الكلاسيكية في وصف الشبكة المعقدة من الاسباب التي تحفز الجيش ، ذاتيا وموضوعيا ، للقيام بالانقلاب او الاسباب التي تلجم الجيش ، ايضا ذاتيا وموضوعيا ، من القيام بأي دور سياسي مستقل وعلني . وفي اعتقادنا ان قراءة دراسة **Finer** مهمة جدا لكل مهتم بالرغم من مضي عشر سنين على نشرها . راجع :

S. E. Finer, ***The Man on Horseback*** (1962).

١٥٧ — Ben Halpern, *op. cit.*, p. 350.

١٥٨ — *Ibid.*

١٥٩ — Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, p. 93.

١٦٠ — *Ibid.*, p. 106.

١٦١ — Ben Hlapern, *op. cit.*, p. 351.

١٦٢ — *Ibid.*

١٦٣ — Perlmutter, ***Military and Politics in Israel***, p. 106.

١٦٤ — *Ibid.*

١٦٥ — *Ibid.*

معركة العرقوب عسكريا

منير شفيق

اذا كانت القوانين العامة في مجال ما من مجالات الطبيعة او المجتمع تستخلص من دراسة جزئيات ذلك المجال ، فهذا يعني ان دراسة الجزئيات في كل ما ، دراسة مدققة صحيحة ، تؤدي الى اكتشاف القوانين ، او السمات العامة لذلك الكل . لذا ، فان اكتشاف السمات ، او القوانين العامة لتكتيك حرب ما ، يمكن الوصول اليها من خلال دراسة معارك تلك الحرب، وقد يكون هنالك معركة واحدة، احيانا، تجتمع فيها السمات الرئيسية للتكتيك العسكري في تلك الحرب . وربما كانت معركة العرقوب الاخيرة ، ٢٥ – ٢٨ شباط ١٩٧٢ ، واحدة من تلك المعارك التي يمكن ، من خلال دراستها ، ان نستنتج السمات الرئيسية لتكتيك الحرب بين الثورة الفلسطينية وبين العدو الصهيوني في هذه المرحلة التي تمتاز بالسمات الرئيسية التالية : ١ – العدو متفوق عسكريا – في وضع الهجوم الاستراتيجي . ٢ – الجيوش العربية لا تشترك في القتال – في وضع لا حرب ولا سلم . ٣ – الثورة الفلسطينية في وضع الدفاع الاستراتيجي ، وتتعرض لحملات ابادة وتصفية من جهات عديدة وقد فقدت كثيرا من مواقعها ، خاصة ، جبهة الاردن ، ولكنها ما زالت تحتفظ بقواعد عسكرية في بعض نقاط التماس مع العدو الصهيوني ، توجه من خلالها هجماتها التكتيكية ، وتواجه فيها حملات هجومية من قبل الجيش الاسرائيلي .

اذا كنا سنحصر انفسنا هنا في دراسة معركة العرقوب الاخيرة ، واستخلاص سمات التكتيك العسكري منها ، فهذا يعني اننا لن نتطرق الى التكتيك الخاص بالنشاط العسكري لتنظيمات الثورة التي تحت الاحتلال ، او النشاط العسكري لقوات تلك القواعد عندما يكون زمام المبادرة بأيديها عندما لا تكون في حالة تعرض لحملة هجومية من قوات العدو . وهنا يجب ان تلاحظ السمات التالية :

١ – مناطق تواجد القواعد العسكرية الفدائية محددة ، وان لم تكن مواقع القواعد ، في اغلب الاحيان ، محددة في تلك المناطق .

٢ – احجام القوات الفدائية ، ومستوى تسلحها وتنظيمها وامدادها في مستوى ارقى – مرحلة اعلى – من مستوى البؤر الغوارية التي في المرحلة الاولى من مراحل حرب الشعب ، فهي في مرحلة تقع وسطا بين تكتيك وحدات الغوار الصغيرة وتكتيك الحرب المتحركة ، اذ لها قيادة مركزية واحدة وتقاتل على مستوى سرايا ، ضمن مرونة في التوزع الى وحدات صغيرة . وهنا لا بد من التفريق بين مرحلة وحدات الغوار الصغيرة شبه المستقلة والتي تمتلك المرونة في التجمع في سرايا وبين مرحلة السرايا التي تمتلك المرونة في التوزع الى وحدات غوارية صغيرة ، لان المرحلة الثانية تشكل قفزة أرقى من الاولى .

٣ – عندما تتعرض لحملات التطويق والتمشيط لا بد لها من استخدام تكتيك القتال

الثابت والمتحرك في آن واحد . لان محدودية مناطق تواجدها وصغرها ، وسرعة حركة العدو في ضرب الطوق لا يسمحان بأخذ صفة الوحدات الغوارية الدائمة الحركة والدائمة الاختفاء ، وانما هي اقرب الى وحـدات الغوار في المناطـق المحررة او شبه المحررة . وبكلمة انها في مرحلة أرقى من مرحلة اضرب واهرب كتكتيك وحيد اذ عليها ان تدافـع مواجهة ايضا . ان قانون الفرار الكامل من وجه العدو حين يهاجم ، له اثر سلبي تماما ضمن الظروف الراهنة للعمل الفدائي وللوضع العربي والشعبي ، ويؤدي تطبيقه حرفيا من قبل القواعد الفدائية ، في هذه المرحلة الى سقوط العمل الفدائي شعبيا ، ولهذا لا بد من المواجهة المحدودة ، وصنع انتصارات ، واجتراح بطولات ، من اجل استنهـاض الجماهير الفلسطينية والعربية واعادة الزخم الى المناخ الثوري وارادة القتال في المنطقة.

٤ ـــ عندما تتقابل قوتان مسلحتان في حرب فان القوة المتفوقة هي التـي تحاول فرض التكتيك العسكري في تلك الحرب ، ولكن القوة الاضعف تستطيـع اكتشاف التكتيـك الانسب ، وأخذ زمام المبادرة التكتيكية مع الاخذ بعين الاعتبار ، تكتيك القوة المتفوقة .

والان لنتناول معركـة العرقوب ، دون الـدخول بالتفاصيل(١)، تمهيدا لملاحظة سمات التكتيك العسكري في هذه المرحلة من الحرب بين قواعد الثورة في مناطق التماس وبين العدو الصهيوني عندما يشن العدو حملة هجومية واسعة ضد تلك القواعد .

● **اليوم الاول** : كانت الساعة تشير الى السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين حينما تعرضت مواقع قواتنا في اعماق المحور في مناطق بكا ـــ دير العشاير ـــ راشيا الوادي ، عيحا ، كفرقوق ، عين عطا الى هجـوم جوي كثيف وعنيف استخدمت فيه الطائرات من طراز سكاي هوك وميراج بشكل كبير وعلى طلعات متلاحقة تحت مظلة من طائرات الفانتوم ، ولما تصدت لها مدفعيتنـا المضادة للطائرات قامت طائرات الفـانتوم بالاشتراك في الهجوم وعلى ارتفاع عال وقـد استمرت الغارة ساعة كاملة تعرضت خـلالها مواقعنا الى الاف الاطنان من القنابل في حين تعرضت منطقة العرقوب حيث الاتجاه الرئيسي لهجوم العدو الى قصف شديد بنيران المدفعيـة دون ان تظهر علامات تدل على ان العدو باشر التقدم . وفي تلك الاثناء كانت بعض نقاط المرور المتواجدة لقواتنا في القطاع الاوسط بعيدا عن العرقوب والمحور تسمع اصوات آليات تتجه باتجاه عيناتا وكون هذه القرية من مسؤولية الجيش اللبناني اتصل احد الضباط الفدائيين من القطاع الاوسط بزميله اللبناني مستوضحا عن الامر فاعلمه ان العدو يقوم بالهجوم على عيناتا ، وهنا دفع الضابط الفدائي بقوته الصغيرة المتـواجدة في المنطقة للتصدي للهجوم . وقد دخل العدو عيناتـا ودمر له ثوارنا رغم صغر حجمهم آليتين في الطـرف الجنوبي من القرية . وقد انسحب العدو في الثامنة والنصف من عيناتا اي ان العملية لم تستغرق اكثـر من ساعتين الامر الذي دل دلالة واضحة على ان قصد العدو من هـذا الهجوم هو تضليل قواتنـا عن محور الهجوم الرئيسي وايهامها في دفع قوات الى ذلك القطاع البعيد ليتسنى له دخول العرقوب والمحور . ولكن خطتنا كانت مبنية على غير هذا الاساس ، وبقيت قواتنا في العرقوب والمحور على ما هي عليه في انتظار الهجوم الرئيسي واصبح واضحا لدينا ان الهجوم على القطاع الاوسط في عيناتا انما هو هجوم تضليلي يقصد به الخدعة وجر قواتنا الى ذلك القطـاع .

وحوالي الساعة العاشرة تقريبا دفع العدو بعدد من الجرافات تحميها الدبابات والمدفعية وبدأ يمهد الطريق من سفح الجبل المشرف باتجاه قرية الهبارية وهنا صدرت الاوامـر لمدفعيتنا بالتعامل مع قوات العـدو ومنعها من استئنافه . عندها بدأت مدفعية العدو ودباباته بقصف مواقعنا في منطقة الهبارية ـــ راشيا الفخار ـــ كفرحمام ، وقد دمرت مدفعيتنا جرافة للعـدو . وفي الساعة الحاديـة عشرة والنصف دفع العدو بقوة مـن

(١) السرد المختصر لوقائع معركة العرقوب من كتاب **حرب الايام الاربعة** اصدار الاعلام المركزي لحركة فتح ، ص ١٠ ـــ ١٢ ، وهو المصدر الرسمي الوحيد حول تفاصيل المعركة ، اما من ناحية مصادر العدو فقد نشرت صحيفة **هاآرتس** ، في ١٩٧٢/٣/٦ ، ان المراسلين العسكريين في الصحافـة الاسرائيلية واتحاد المراسلـين الاجانب في اسرائيل قد تقدموا بشكوى ضد سياسة النشر التي انتهجها جيش الدفاع في العمليات العسكرية في جنوب لبنان .

الكوماندوز الى حرش الهبارية فتصدت لها نيران مدفعيتنا واخذت تمشط بقذائفها كل موقع في الحرش قبل ان تندفع مجموعات من قوات الهبارية للاشتباك معهم بالاسلحة الخفيفة لمدة ساعتين حيث طاردتهم الى خلف المرتفعات الشرقية واستمرت المعركة بنيران المدفعية والدبابات والاسلحة المتوسطة حتى حل الظلام حيث فشلت قوات العدو في تمهيد الطريق لتقدم آلياتها وهنا وبحلول الظلام اصبح الموقف في صالحنا فتحركت مجموعاتنا الى موقع العمل على بدء محور تقدم العدو ودمرت جرافتين ودبابة بعد ان زرعت الجزء الذي مهده العدو بالالغام والصواريخ الموقوتة وطوال الليل كانت نيران المدفعية المعادية تمشط معظم مواقعنا والمناطق المحيطة بها في محاولة لشل تحركاتنا ولمنع المناضلين من ان ينالوا قسطا من الراحة لانهاكهم لليوم التالي . كذلك حاولت بعض الدوريات المعادية التسلل الى مواقعنا على محور الخريبة لجس نبض دفاعاتنا فتصدت لها قواتنا وصدتها على اعقابها ولم تتوقف الاشتباكات بالمدفعية والدوريات طيلة الليل .

● **اليوم الثاني** : مع الضوء الاول لليوم الثاني كانت قوات العدو قد فقدت اول آلية لها وهي عربة مدرعة نصف جنزير ناقلة مشاة كانت تحمل عددا من جنود الهندسة في محاولة لتفتيش الطريق حيث انفجر فيها لغم على بعد كيلو متر من موقع العمل وقد تضى العدو فترة تزيد على ساعتين وهو يحاول رفع الالغام والصواريخ المشتركة تحت وابل من قصف ثوارنا ورغم الجهد الكبير الذي بذله العدو في محاولاته للاستمرار بتمهيد طريق التقدم الا ان مدفعيتنا ومقاومة الدبابات استطاعت منعه بل وشل حركة جرافاته . وفي الساعة الحادية عشرة صباحا كان موقف العدو قد تعسر ، فاضطر لاستخدام الطائرات المقاتلة وباعداد كبيرة في محاولة لتدمير واسكات نيران مدفعيتنا . ورغم زخم الغارات ورغم رمايات المدفعية الثقيلة التي كان يلاحظ نيرانها ضابط ملاحظة جوي من طائرة استكشاف من نوع استر فقد انتهى اليوم الثاني بفشل العدو في تمهيد الطريق الى الهبارية ، وما ان حل الظلام حتى كانت مجموعاتنا المقاتلة تتناوب واجب الاغارة على موقع العمل وخلف خط التقدم وفي مناطق التجمع التي اعدها للهجوم فأربكته واوقعت بقواته خسائر فادحة ، ولكن قصفه المدفعي لم يهدأ طيلة الليل ورغم ذلك كله فقد استطعنا اجراء عملية تبديل لسريتين كاملتين وكنا قادرين دائما على تغيير مواقعنا في الليل فيفاجأ العدو في اليوم التالي بهذا التغيير ، كما اعتمدنا اسلوب اشغال كل مرتفع في المنطقة ولو بعدد يسير يطلق النار لتوزيع جهد المدفعية ولمنع العدو من تحديد المواقع الرئيسية في دفاعات قواتنا .

اما في ساعات الليل فكانت الدوريات انشط من خلايا النحل تضرب العدو في كل مكان بينما توفر نيران المدفعية للصباح حيث يصعب العمل على الدوريات فتقوم المدفعية بواجب لا بأس به تعاونها الاسلحة المتوسطة والكمائن الانتحارية .

انقضى اليوم الثاني وكان واضحا ان العدو فقد الامل نهائيا في امكانية ايصال الطريق للهبارية حيث بدأ يتجه الى المحور المعبد على طريق راشيا الفخار وقد زار دايان الجبهة في ذلك اليوم حيث اجرى بعض التعديلات على الخطة ويعتقد انها تغيير محور الهجوم ووقف الخرق باتجاه الهبارية .

وقضت فرق الهندسة طيلة الليل تحفر وسائل التدمير والالغام والاشراك الخداعية على محور راشيا الفخار — الشهيد صلاح . ان التدميرات والالغام والاشراك وكافة المعوقات الهندسية تعتبر ذات اثر كبير في حروب العصابات لا سيما امام تقدم مدرع في ارض وعرة وعلى ممرات ضيقة .

● **اليوم الثالث** : كانت تحضيرات العدو لليوم الثالث تظهر بوضوح طيلة الليل تحركا آليا يتوافد على منطقة الحشد في معسكر فشكول وحواليه بشكل غير عادي وبالانوار الواضحة بدت ارتال من الاليات تتحرك في كل الاتجاهات وبدأ قصف مدفعي كثيف ومركز لم ينقطع طيلة ساعات الصباح الاولى ومع اشراقة الشمس كانت الطائرات تحلق في الجو وتقصف بشدة كل مواقعنا الامامية والتلال المحيطة بها ، ثم بدأت الدبابات تتقدم على محوري راشيا وكفر حمام بينما قامت قوات من المشاة تعززها المدفعية والدبابات من مواقع ثابتة بمهاجمة الهبارية وبعد ساعتين فقط كانت قوات مشاة العدو قد تراجعت عن الهبارية مدحورة وهنا دفع العدو بأربع عشرة طائرة هليكوبتر تنقل كل منها فصيل كوماندوز (حوالي ٣٠ رجلا) ، وانزلتهم في حرش الهبارية .. كانوا كتيبة كاملة بكل عتادها . واشتدت وطأة الهجوم وتصدى ثوارنا للمظليين والتحموا معهم في معركة بطولية سقط خلالها عدد من الشهداء والجرحى في حين مني العدو بأفدح الخسائر . وكانت نيران المدفعية والطائرات تضرب كل مواقعنا المجاورة للهبارية لشلها ومنعها من التدخل . في تلك الاثناء كانت قوات العدو المدرعة تتقدم

ببطء شديد باتجاه قريتي راشيا الفخار وكفرحمام بينما اصبح الطيران اشد شراسة واعنف قصفا وفي حين تركز القصف على المواقع الامامية الا ان المواقع الخلفية لم يترك لها مجال الراحة حيث تعرضت هي ايضا لغارات جوية ورمايات من المدفعية الثقيلة البعيدة المدى والصواريخ الثقيلة ارض — ارض من عيار ١٣٠ و ٢٤٠ ملم .
كان اليوم الثالث يوم الملحمة ، كان من الصعب على المراقبات الثابتة ان ترى تفاصيل ما يجري في الهبارية وراشيا الفخار وكفرحمام فقد سد الدخان وغبار القصف الاودية وحجب امكانية الرؤيا .

ادرك العدو انه ان لم يفلح في اليوم الثالث بدخول هذه القرى الثلاث على الاقل وهي اول القرى التي يمر عليها في تقدمه فان الامر سيغدو اهانة لغطرسته ومن المسلم به ان العدو يدرك ان بامكانه ان يحتل في النهاية معظم مواقع تواجدنا ولكن حين علم ان المدة اصبحت في تقديره تحسب بالاسابيع لا بالساعات ولا بالايام ناهيك عن اعداد الخسائر التي تعرضت لها قواته ، وهذا سيفرض عليه وضعا لا يستطيع معالجته كما انه ليس في صالحه وقد يقود في التالي الى معركة تتجاوز لبنان مما سيعزز موقف المقاومة بدلا من ان ينهي وجودها ، قرر الهجوم .

كانت الطبيعة مع ثوارنا حيث ضيق الطريق لم يكن يسمح بالتقدم الا برتل منفرد — دبابة تتبع الاخرى — بدلا من تقدمها بشكل خط حرب خارج الطريق . كان التقدم خارج الطريق مستحيلا ، ولهذا كان تقدم العدو بطيئا وضعيفا وكثير الخسائر ، وعندما كانت تتدمر له آلية ، دبابة او ناقلة جنود ، كان يضطر للتأخر مدة غير قصيرة لاخلائها من وجه التقدم .

دهش العدو لبطولة ثوارنا . هاجمنا بالكوماندوز فاتاح بخطته هذه لكافة المقاتلين ان يشتبكوا معه بعكس محور تقدم الدروع حيث من المعلوم ان الذين يشتبكون مع دروع العدو عادة قلة لان توزيع سلاح مقاومة الدروع في كل جيوش العالم لا يكون لجميع المقاتلين ولكن لعدد ينتقى من بينهم .

اما في الهبارية فقد كان كوماندوز العدو صيدا ثمينا لثوارنا بكل اسلحتهم ، لقد عجز العدو ولطيلة ثماني ساعات كاملة من دخول الهبارية ، رغم انه انزل قواته المحمولة جوا على بعد ٥٠٠ متر عنها كان جنود العدو يشاهدون وهم يقفزون من الطائرات العمودية التي تنقلهم على ارتفاع ٤ — ٨ امتار ، وكانت رشاشاتنا المتوسطة ومدفعية الهاون توجه اليهم اثناء الانزال فتوقع فيهم الخسائر ، كانت عملية الاسقاط تتم في نقاط منتشرة وبسرعة فائقة تجنبا لمقاومة ثوارنا حيث تم الاسقاط من طائرات معدة ذوات اربعة ابواب .

وعلى طول امتداد اليوم الثالث ورغم ان الساعات كانت تمر بطيئة ثقيلة في انتظار حلول الظلام كانت تلال الهبارية وراشيا وكفرحمام وصخورها تتعرض للقصف الشديد فتتفتت وتتحول الى شظايا تزيد على شظايا الاف الاطنان من القنابل التي تساقطت فوق ارض المعركة .

كانت معنويات ثوارنا في القمة وكان المواطنون يعبرون عن روح النخوة والحمية التي تجيش في صدور العرب ، كان الكل يريد ان يشارك . الميليشيا حملت اسلحتها واشتركت في المعركة وما استشهاد مختار قرية الهبارية في اليوم الاول الا علامة مضيئة على طريق نضال هذا الشعب . كان الاطفال يغادرون منازلهم في القرى الخلفية وعلى بعد ٣ — ٤ كلم عن ارض المعركة فقط رغم القصف الشديد الذي يتناهى الى اسماعهم ورغم انهم يشاهدون الطيران باعينهم ، كانوا يخرجون الى قواعدنا في الخط الثاني يحملون لها الخبز والماء والفاكهة ، كان الكل معنا ، كنا نقرأ اصالة شعبنا العربي في عيني كل كهل ، في عين كل ام ، في عين كل طفل .

كان التساؤل الحانق يتردد لماذا انتم وحدكم ؟ ثلاثة ايام بلياليها والمعركة على اشدها وانتم — تقاتلون وحدكم دفاعا عن الامة العربية ، فلسطين ليست لكم وحدكم — قالها شيخ جليل جاوز السبعين — لقد عشت في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كنت خياطا في حيفا وكان من لبنان كثيرون في حيفا . شتت معظم اهلنا في فلسطين ، قلنا له يا عم لو لم نكن من الامة العربية لما قاتلنا دفاعا عنها ، نحن من هذه الامة وليس غريبا ان نقاتل ، انظر الى هؤلاء الشباب الذين ترتسم على وجوههم علامات البطولة انهم من ليبيا الحرة .

وانقضى اليوم الثالث او كاد قبل ان تتمكن قوات العدو من دخول قرية راشيا الفخار بالدبابات في حين ظل ثوارنا في كفرحمام يقاتلون حتى حل الظلام فانقسموا قسمين قسم بدل موقعه الى المواقع المعينة له في الخطة، والاخر انتظم في مجموعات صغيرة للاغارة الليلية وهذا كان في راشيا ايضا ، اما في الهبارية فقد تراجعت قوات العدو مدحورة ولم تتمكن من دخولها .

تثبت العدو بمشاته وآلياته وكمائنه في منطقة الشهيد صلاح وراشيا وكترحمام وبـدأت قواتنا تغير عليه في مجموعات صغيرة وتوقع به الخسائر . لقد استمر القتال المتقطع طيلة الليل كما ان وابل المدفعية لم ينقطع عن مواقعنا في الخط الثاني .

● **اليوم الرابع** : منذ بزوغ الضوء الاول لليوم الرابع استأنف العدو تقدمه بالاليات على الطريق العام باتجاه الفرديس . وعلى مدخل الفرديس دارت معركة بين ثوارنا ودروع العدو خسر فيها العدو دبابتين واستمـر القصف والاشتباك في كل مكان من الجبهة وفي الساعة العاشرة صباحا اغار طيران العدو من جديد على مواقعنا الخلفية في طلعات محمومة بعد ان ادرك ان امكانية الاندفاع بالياته اصبحت ميؤوسة . وحـوالي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر كانت قوات العدو تنسحب من المنطقة .

سمات التكتيك العسكري في معركة العرقوب :

يتضح من مراجعة التكتيك العسكري الذي استخدمه العدو وذاك الـذي استخدمته قوات الثورة الفلسطينية ، في معركة العرقوب الاخيرة ، السمات التالية :

١ ــ استخدم العدو سلاحي الطيران والمدفعية بعيدة المدى كسلاحين تكتيكيين يشكلان جزءا اساسيا من الحركة التكتيكية في المعركة استهدفا : أ ــ ضرب مواقع الدفاع بنيران مركزة تمهيدا لحركة الدبابات والاليات . ب ــ تغطية دائرة محيط واسعة لمنـع حركة قوات الاحتياط الدفاعية والهجومية . ج ــ شل قوات الثورة معنويا لاختزال فعاليتهـا ومبادرتها ، ودفعها الى الفرار .

٢ ــ استخدام سلاح الطيران (الهليوكبتر) لانزال قـوات كوماندوز في اية نقطـة في الجبهة ، مع بقاء الاتصال الدائم بها سواء من ناحية الامدادات او مـن ناحية سحبها او تحريكها الى نقاط اخرى . وهنا لا بد من الاشارة الى المقـدرة على انزال قوات آلية بالطريقة نفسها ــ ولو انها لم تستعمـل في معركـة العرقوب الاخيرة ــ حيث يحقق اختراق الخطوط الخلفية من الجو .

٣ ــ استخدام الدبابات وسلاح المشاة الآلي المحمول في عمليـة الاختراق والاحتـلال والتنظيف .

٤ ــ استخدام الجرافات لشق الطرق في اثناء سير المعركة .

ان التمكن من تركيز نيران الطيران والمدفعية بعيدة المدى على نقطة اختـراق او اكثر يتبعها فورا اقتحام بالدبابات والمشاة الالية المحمولة يجعـلان عملية الاقتحام مسألـة محتومة لا مفر منها في حالة غياب تفوق جوي مضاد . وقـد ثبتت صحة هذه التكتيك في الحرب العالمية الثانية وهو الذي اشتهر تحت اسم تكتيك بليتزغريغ الالماني . حيث اصبح خط الدفاع الجبهوي ــ مثلا خط ماجينو ــ ساقطا امامه لا محالة اذ لا مفر من حدوث الاختراق في نقطتين او ثلاث لان تركيز نيران الطيران والمدفعية على تلك النقاط ثم وضع ثقل هائل بالدبابات عليها يحتمان انهيارها واختراقها ، وبالتالي انهيار الخط كله ، بسبب قطع الخطوط الخلفية وعمليات الالتفاف ــ وقد ادى التطور الحـديث في سلاح الطيران الى احداث الاختراق الالي من الجو ــ ولهذا كان التكتيك السوفياتي الذي قابل تكتيك بليتزغريغ بالدفاع العميق ، لا خط الدفاع الجبهوي ، هو الجواب الـذي يفرض على الاختراق الاصطدام بنقاط دفاعية قوية موزعة جيدا في العمق تبقي الدفاع متماسكا حتى بعد نجاح الاختراق وبالتالي تتيح الفرصة لشن هجمات مضادة تأخذ اشكالا متعددة حسب توازن القوى ومدى قوة زخم الهجوم ، قد تبدأ بوحدات صغيرة لمناوشة المهاجمين وارباكهم وقطع طرق مواصلاتهم ، وتنتهـي بالهجوم المضاد الشامل بعـد كسر شوكة الهجوم .

ان تكتيك بليتزغريغ محدود الفعالية : (١) في المناطق الجبلية (٢) وفي الممرات الضيقة (٣) وفي المدن (٤) وفي الارض الضيقة التي لا تتيح فرصة المناورة وراء الخطوط . كما ان الدفاع المتحرك العميق والموزع بحصافة هو الجواب على تكتيك بليتزغريغ بشكله التقليدي ، او بشكله الجديد اي الاختراق الالي من الجو ، او الاثنين معا .

اذا كان تفوق العدو الجوي والارضي لا يجعل من الممكن للثورة الفلسطينية في الظروف الراهنة ان تواجهه بتفوق مقابل يقلب الصورة ، فان هذا لا يعني عدم توفر التكتيك العسكري المناسب الذي يستطيع مواجهته : ١ — اعتماد الدفاع العميق في توزيع القوات . ٢ — اخذ الاحتياطات الدفاعية الواسعة — انتشار ، تحصين ، تمويه ، تحرك . ٣ — زرع محاور هجوم الدبابات والقوات المحمولة بالالغام والشراك التدميرية. ٤ — القتال من مواقع ، والقتال بتكتيك الهجوم الغواري في آن واحد ، ومد الجبهة بدماء جديدة في اثناء القتال ، خاصة ، في الليل .

ان اعتماد الدفاع العميق في توزيع القوات يجعل عمليات الاختراق الارضي او انزال الكوماندوز او المشاة المحمولة من الجو في حالة اصطدام دائم بنقاط دفاعية — هجومية ، مما يتيح لقوات الثورة الصمود طويلا ، وانزال ضربات بالعدو فضلا عن اعاقة تقدمه واضعاف قوة المناورة لديه واطالة امد المعركة . وبالتالي عدم انهيار الجبهة خلال بضع ساعات بسبب تفوق العدو . وهذا بدوره يترك آثاره السياسية سلبيا على العدو وايجابيا على قوات الثورة وعلى الجماهير ، وبالتالي يخدم الجبهة عسكريا لمصلحتنا .

اما اخذ الاحتياطات الدفاعية الواسعة — انتشار ، تحصين ، تمويه ، تحرك — فيختزل اثر نيران الطيران والمدفعية او يخفف قدر الامكان من ذلك الاثر سواء من ناحية المحافظة على قوات الثورة ماديا ومعنويا او من ناحية اصطياد القوات الارضية المعادية دفاعيا وهجوميا .

ان زرع محاور هجوم الدبابات والقوات المحمولة بالالغام والشراك التدميرية سواء قبل المعركة او في اثنائها — في الليل — يشكل عنصرا هاما في اعاقة التقدم ، خاصة ، اذا امكن تغطيتها بنيران ضد سلاح الهندسة .

اما القتال من المواقع والقتال بتكتيك الهجوم الغواري في آن واحد فلا يمكن ممارستهما الا بتوفر البندين الاول والثاني — الدفاع العميق ، والاحتياطات الدفاعية الواسعة — ويبدأ عملهما الاساسي بعد توقف طلعات الطيران والقصف المدفعي ومع بدء الهجوم الارضي لقوات العدو ، وفي الليل . ويتطلب هذا بدوره احكام تمويه المدفعية المضادة للطائرات وابعادها في توزعها عن المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات والاليات ، وعن الوحدات الغوارية الهجومية . لكي يكون بالامكان استيعاب الهجوم التمهيدي الذي تشنه الطائرات والمدافع بعيدة المدى دون تعرض وانكشاف المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات والاليات ، وكذلك الوحدات الغوارية الهجومية لمفاجأة الهجوم الارضي بها بعد توقف القصف وبدء حركة الدبابات ، او مفاجأة الانزال وراء الخطوط . على ان لا تستخدم هذه وتلك دفعة واحدة وانما على وجبات لكي يتم تفادي انكشافها جميعا حرصا من الطلعة الثانية والثالثة للطيران والقصف المدفعي المضاد .

واذا كانت الجيوب العميقة ذات الفوهات الضيقة والموهة في المرتفعات والنقاط الاستراتيجية اساسية في مجال القتال من مواقع ، فان هنالك من الحالات ما يجعل زرع قوات صغيرة جدا مضادة للاليات قريبا من ممرات الدبابات ، بشكل لا يمكن معه اصطيادها الا بقصف مدفعي او جوي ثقيل ، يلعب دورا هاما في ارباك تقدم العدو ، خاصة اذا كان القصف الثقيل على مواقعها يؤدي الى انهيارات في الممرات الجبلية تصبح عائقا طبيعيا في وجه التقدم الالي .

ان الفكرة الجوهرية في التكتيك المضاد لتكتيك العدو هي ضرورة اقامة دفاع مفكر به جيدا لاختزال اثر الطيران والمدفعية بعيدة المدى ، مع اتاحة الفرصة لشن هجمات تكتيكية صغيرة وقتال مواقع محدود بعد دخول الدبابات والمشاة المحمولة او الانزال وراء الخط الامامي . وهذا يقتضي (١) تحريك نقاط الدفاع فور اكتشافها (٢) تزويد الوحدات الدفاعية والهجومية بذخائر وتموين واسعاف تكفي لمدة طويلة وذلك كاحتياط ضد احتمال انقطاع الامدادات والاتصال وتعسر الحركة نتيجة كثافة النيران المعادية والانزال وراء الخطوط (٣) الاشتباك مع العدو من نقاط متناثرة وعلى دفعات .

ولكن من الشروط الاساسية لنجاح مثل هذا التكتيك لا بد من توفر (١) رباطة جأش عالية جدا بسبب كثافة النيران وزخم الهجوم وسرعته (٢) الروح الهجومية المقرونة بحصافة دفاعية وأمنية . (٣) الحصافة في توزيع التصدي والهجمات الغوارية .

ان ادراك السمات الخاصة بتكتيك قواعد الفدائيين في مناطق التماس حين تكون معرضة لهجوم واسع النطاق ، يتطلب ان يكون واضحا كل الوضوح انه غير مطلوب من قوات الثورة ان تصد هجوم العدو وتسحقه — او تمنعه من التقدم — فالعدو ، نتيجة تفوقه في النيران والطيران والدبابات والاليات والعدد ، لا بد من ان يحقق الاختراق وان يحتل ، ولهذا حين يستطيع تحقيق ذلك يجب الا يصاب احد بدهشة ، او يعتبر ان قوات الثورة قد هزمت . ولكن المطلوب من قوات الثورة ان تقوم بالمواجهة المحدودة المتحركة وتوقع في العدو خسائر قدر المستطاع . فاذا تمكنت قوات الثورة في مناطق الهجوم ان تتجنب السحق دون اللجوء الى الفرار من ارض المعركة ، واخذت تتصدى للعدو وتنزل به الخسائر — ابقاء المعركة مستمرة وحية — فهذا يعني انها حققت اقصى ما يمكن ان يطلب منها في هذه المرحلة وضمن الظروف الراهنة . لهذا يجب ان تسقط الحرب النفسية التي توحي بالهزيمة كلما استطاع العدو احتلال موقع او منطقة . لان الجوهر في سمات الوضع المعطى بما في ذلك توازن القوى ، في هذه المرحلة ، هو : (١) القتال الحصيف والفعال والمستمر (٢) استنهاض الجماهير واعادة المناخ الثوري للمنطقة وتكريس التصميم على مواصلة القتال دون توقف (٣) تمريغ هيبة العدو العسكرية تدريجيا . (٤) حماية الثورة المسلحة من السحق والتصفية وخلق شروط التقدم باتجاه تغيير نسب توازن القوى لمصلحتنا .

هنا لا بد من التوقف لمناقشة مسألة على غاية من الاهمية لها علاقة مباشرة بموضوع سمات التكتيك العسكري في هذه المرحلة التي تمر بها الحرب بين الثورة الفلسطينية وبين العدو الصهيوني . وهي : ان وجود القواعد العسكرية للثورة المسلحة على نقاط التماس ، بل وجود الثورة المسلحة من حيث اتى يعرض اجزاء من الارض العربية للاحتلال ، ما دام من غير الممكن صد هجوم العدو ومنعه من ان يدخل بقواته ويحتل . وهو اجراء طالما هدد به العدو ، بل جعله جزءا من استراتيجيته العسكرية والسياسية في اخضاع المنطقة واخماد ارادة القتال فيها .

الحقيقة الاولى التي يجب ادراكها هي ان العدو قادر على الرد بقوة ، وقادر على الاحتلال الجزئي . ولكن الحقيقة الثانية المرافقة لها هي ان فعالية هذه الاستراتيجية متوقفة على موقفنا منها فهي فعالة اذا رضخنا لها واستسلمنا ، مع التذكر ان الرضوخ والاستسلام لمثل هذه الاستراتيجية يشجعان على الاحتلال واستمرار الابتزاز . وهي مدمرة للعدو — اي تحمل نقيضها المدمر — اذا ما قررت الثورة الفلسطينية والجماهير العربية والثورة العربية ، والحكومات المعنية الا تخضع لهذا الابتزاز وصممت على القتال مهما حدث من احتلال جزئي لاراض جديدة . لان اي احتلال جزئي ، في هذه

الحالة ، سوف يسهم في عزلة العدو عالميا ، والاهم ، سوف يجعله مضطرا دائما على التوسع من جديد ، مما يحول استمرار التوسع الى مقتل للعدو : (١) جماهير جديدة مناضلة وراء خطوطه ، (٢) انخراط جماهير عربية اكثر فاكثر في القتال المباشر ضده ، (٣) اتساع جبهته وتوزع قواته وتعاظم التكاليف المادية والبشرية والمعنوية والامنية عليه . (٤) ضرب مصالح حلفائه في المنطقة .

ان الخطورة علينا من مسألة احتلال اراض جديدة تنبع من زاويتين : (١) فقدان اراض جديدة . (٢) التخاذل امام العدو خوفا على اراض اخرى او من اجل استعادة ما احتل مؤخرا . ولكن اذا اسقطنا هذين العاملين وكان الشيء الرئيسي الذي يهمنا هو حربنا ككل ضده ، ونتيجة هذه الحرب في نهاية المطاف . اي استمرارنا في القتال وتكثيفه ودفع قوات متعاظمة ابدا الى ساحة الحرب وتحويل الجماهير الى قوات مقاومة وزيادة اعباء العدو العسكرية والمالية والامنية وبالتالي استنزافه وانهاكه تدريجا . هنا فقط ، يصبح اي توسع جديد تأزيما لوضع العدو وحلفائه . كما تصبح استراتيجية المضي في القتال حتى النهاية من جانبنا تطويرا لقواتنا ووضعنا في الطريق الموصل الى انزال الهزيمة النهائية بالعدو .

ليس صعبا ان يتصور المرء ان استمرار القتال من جانبنا ، بلا تردد او توقف ، ومهما بلغت التضحيات ومهما توسع العدو ، سوف يؤدي الى القضاء على استراتيجية العدو في التوسع واجباره على الانكماش حفاظا على تركيز قواته وتضييق حدوده وتخفيف نقاط الضعف في جبهته الخلفية . ولكن شرط ذلك ان نستمر في القتال والتعبئة المادية والبشرية والمعنوية دون ان يخطر ببالنا التراجع ، لان سياسة القتال ثم التراجع والتوقف تؤدي الى ضياع المزيد من الارض وتحقيق اهداف استراتيجية العدو .

لقد برزت مثل هذه المعضلة في غالبية الحروب الشعبية التي شنت ضد عدو متفوق . واستطاعت قوات الثورة فيها أن تحول تلك المعضلة ، الى معضلة بالنسبة للعدو وليس بالنسبة لها . حيث يجد جيش العدو نفسه — خاصة في حالة وجود مناطق محررة او شبه محررة — مضطرا على التوسع وكسب الارض ، وبالتالي الى انفلاش قواته مما يزيد من نقاط ضعفه . واما الى الانكماش من اجل تركيز قواته وتقليل نقاط الضعف وهذا يؤدي الى كسب الثورة للارض . وتحشيد المزيد من القوات وتنظيمها لضربه . ولقد مورست هاتان الاستراتيجيتان — التوسع لكسب الارض ، او الانكماش للتركيز — من قبل المستعمرين الفرنسيين في فيتنام ١٩٤٦ — ١٩٥٤ ، ولم تجد اي منهما بسبب استمرار القتال تحت استراتيجية مناسبة مضادة في كل حالة . هذا مع العلم ان الوضع عندنا مختلف من بعض النواحي ولكن جوانب الاختلاف هي لمصلحتنا اكثر من الحالة الفيتنامية . فمثلا لنتصور ان العدو احتل جنوب لبنان اي تغيرت حدود المواجهة ، وهب لبنان ليقاتل العدو ، بلا هوادة ، وليضرب مصالح حلفائه في لبنان فماذا يكون العدو قد كسب ؟ هل يستطيع ان يحتل ارضا اخرى ؟ فاذا فعل زادت معضلته ، واذا بقي فيما احتل من ارض عاش حربا لا نهاية لها الا بانزال الهزيمة به .

ان العدو يراهن في هذه الاستراتيجية على شيء واحد وهو تراجعنا وركوعنا اما ما عدا ذلك فستنقلب تلك الاستراتيجية عليه . وهنا لا مجال لنا للاختيار غير الاستمرار في القتال والرد على الاحتلال الجزئي باستنهاض اقطار عربية باسرها الى خوض القتال ضد العدو . والسؤال : ألم تحدث تجربة مماثلة في فيتنام حيث كانت نتيجة توسيع رقعة الاحتلال الامبريالية الامريكية الى لاوس وكمبوديا دخول بلدين جديدين الى المعركة ضد جيوش الولايات المتحدة وحلفائها — وبالتالي ارتداد سهم التوسع الى صدور اصحابه ؟

شهداء الثورة الفلسطينية

باسم سرحان

لقد فرضت مسيرة الثورة الفلسطينية ونضال رجالها المرير والبطولي في ظل ظـروف قاسية جدا ، والوضع الحالي الذي انتهت اليه المقاومة الفلسطينية ، سؤالا أساسيا ما لبث أن تحول الى موضوع بحث اجتماعي ــ سياسي . هذا السؤال هو : من هم الذين قاتلوا من اجل فلسطين ومن أجل الامة العربية ، ومن الذي اغتال طليعتنا النضالية وحطم ثورتنا واوقف اندفاعها مؤقتا ؟

للباحث ثلاث فرضيات حول هذا السؤال :

الفرضية الاولى : تنتمي الغالبية العظمى من المقاتلين الى الطبقات الكادحة المسحوقة ، والى سكان المخيمات بالذات .

الفرضية الثانية : هناك نسبة كبيرة من الشهداء من الشبان الصغار الذين ولدوا بعد عام ١٩٤٨ ، مما يثبت تعلق أجيال ما بعد النكبة بوطنها ، ومما يبطل ايضا فرضية موت قضية الشعب الفلسطيني بمرور الزمن .

الفرضية الثالثة : لقد قتل النظام العميل في الاردن ضعف ما قتلته اسرائيل من مناضلي الثورة الفلسطينية وبالتالي يكون النظام الاردني قد لعب دورا أكبر من دور اسرائيل في تحطيم المقاومة ووقف اندفاعة الثورة .

وهدف البحث الحالي ايجاد الجواب على السؤال الاساسي الذي يمثل موضوع البحث. وقد وجد الباحث ان أفضل وسيلة للاجابة على هذا السؤال المحدد تكون في مراجعة سجلات شهداء الثورة الفلسطينية منذ انطلاقتها في ١٩٦٥/١/١ حتى ١٩٧١/١٠/٣٠ . ويرتكز البحث الحالي على تجميع معلومات اجتماعية ــ اقتصادية وسياسية عن شهداء الثورة . وقد تحددت هذه المعلومات بما يلي : ١) اسم الشهيد ، ٢) تاريخ ولادته ، ٣) حالته الزوجية ، ٤) مهنته قبل الانضمام للثورة ، ٥) مهنة والده ، ٦) مستوى تعليمه، ٧) مستوى تعليم والده ، ٨) مكان ولادته ، ٩) بلده الاصلي ، ١٠) مكان اقامته ، ١١) مدخول عائلته الشهري ، ١٢) مكان الاستشهاد وتاريخه ، ١٣) التنظيم الذي ينتمي اليه ، ١٤) رتبته في التنظيم .

للاسف ، لم تتوفر في سجلات الشهداء كل المعلومات المطلوبة ، لذلك اقتصر بحثنا على المعلومات المتوفرة منها ، وهي : ١) اسم الشهيد ، ٢) تاريخ ولادته ، ٣) حالته الزوجية، ٤) مستوى تعليمه ، ٥) مهنته قبل الانضمام للثورة ، ٦) مكان اقامته ، ٧) مكان استشهاده .

بعض الملاحظات الضرورية : اولا ، تجدر الاشارة قبل البدء بتحليل المعلومات المتوفرة عن الشهداء الى ان هذا البحث لا يتضمن اي معلومات عن شهداء الثورة في غزة نظرا

لظروف خاصة ، مع العلم انه لو توفرت تلك المعلومات لجعلت البحث الحالي اغنى مما هو بكثير .

ثانيا ، يعتمد البحث على السجل الرسمي لشهداء حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) والذي يتضمن شهداء المنظمات الاخرى نظرا لان مؤسسة رعاية أسر الشهداء تدفع مخصصات شهرية لكل شهداء الثورة . ويقتصر هذا السجل على الشهداء الذين تتلقى عائلاتهم مخصصات شهرية من المؤسسة . ويشكل هؤلاء معظم شهداء الثورة . ولا يتضمن السجل عددا من الذين استشهدوا في مجازر الاردن المتتالية ولم يقم احد بابلاغ أسمائهم للمؤسسة وتأكيد استشهادهم . كما أن اسماء الشهداء في الاردن ما زالت ترد الى المؤسسة حتى هذا التاريخ .

ثالثا ، لن تعطى اعداد الشهداء في هذا البحث نظرا لاعتبارات عسكرية بحتة .وسيقتصر البحث على النسب المئوية ، وهي تعطي صورة واضحة تغني عن الارقام .

تحليل المعلومات : المعلومات المطلوبة والمتوفرة عن الشهداء ، تشمل ٨٤،٦ ٪ من شهداء الثورة ، بينما لا تتوفر أية معلومات ، باستثناء الاسماء ، لدى مؤسسة رعاية اسر الشهداء عن ١٥،٤ ٪ من الشهداء لان علاقة المؤسسة بأهل هؤلاء الشهداء علاقة مادية بحتة (ينتمي هؤلاء الشهداء الى منظمات مختلفة ترسل اسماء شهدائها للمؤسسة وتحصل على مخصصات لاعالة عائلاتهم) .

يشكل شهداء فتح ٧٣،١ ٪ من مجموع شهداء الثورة . واذا اخذنا الشهداء الذين تتوفر عنهم المعلومات المطلوبة (٨٤،٦ ٪) لوجدنا ان شهداء فتح يشكلون (٨٦،٣ ٪) منهم، بينما يشكل شهداء المنظمات الاخرى النسبة المتبقية ، (١٣،٧) . ونحن مضطرون لقصر تحليلنا على المجموعة الثانية التي تتوفر عنها المعلومات المطلوبة . سوف نعطي في تحليلنا صورة عن شهداء فتح ، واخرى عن شهداء المنظمات الاخرى ، وثالثة عن شهداء الثورة ككل .

١ — فئات اعمار الشهداء : تتراوح اعمار الشهداء بين العشر سنوات والسبعين عاما، فهناك عدد من الشهداء ولدوا عام ١٩٠١ وعدد آخر ولدوا عام ١٩٦١ . وهذا يدل على ان الفداء والنضال غير مرتبطين بالسن حين يكون الالتزام بالقضية التزاما وثيقا ومصيريا. لكن عبء القتال يقع على الشبان الصغار وعلى الرجال متوسطي العمر . ففي حال شهداء فتح نجد ان اعمار ٧١،٧ ٪ منهم تتراوح بين الخامسة عشرة والثلاثين . ونجد الامر نفسه في حال المنظمات الاخرى ، اذ أن اعمار ٨٠،٨ ٪ من شهدائهم تتراوح بين الخامسة عشرة والثلاثين . أما نسبة شهداء الثورة ككل من هاتين الفئتين من العمر فتبلغ ٧٢،٨ ٪ . فئة العمر الثالثة التي تضم اكبر نسبة من الشهداء هي فئة الثلاثين الى أربعين عاما ، وتبلغ نسبة شهداء الثورة في هذه السن ١٢،٠ ٪ من مجموع الشهداء (انظر الجدول رقم ١) .

بالنسبة للذين ولدوا في الاربعينات ، راعينا تقسيم هذه الفئة حول السنة ١٩٤٩ وليس ١٩٤٨ لكي نضمن ولادة الشخص بعد النكبة . وقد اظهرت سجلات الشهداء ان ٣٥،٧ ٪ من شهداء فتح و٤٢،٦ ٪ من شهداء المنظمات الاخرى ، و٣٣،٨ ٪ من شهداء الثورة ككل ولدوا بعد عام ١٩٤٨ . وهذه الارقام تثبت صحة فرضيتنا الثانية القائلة بأن هناك نسبة كبيرة من الشبان الصغار الذين ولدوا بعد عام ١٩٤٨ بين شهداء الثورة ، وبالتالي عدم صحة الفرضية القائلة بأن مرور الزمن سيزيل القضية الفلسطينية .

الجدول رقم (١)

تاريخ الولادة	فتح٪	المنظمات الاخرى٪	الثورة٪
١٩٠١ — ١٩١٩	١،٤	١،٤	١،٤
١٩٢٠ — ١٩٢٩	٣،٧	١،٤	٣،٤
١٩٣٠ — ١٩٣٩	١٢،٤	٩،٨	١٢،٠
١٩٤٠ — ١٩٤٨	٤٠،٦	٣٩،٢	٤٠،٤
١٩٤٩ — ١٩٦١	٣٢،٥	٤٢،٦	٣٣،٨
غير معـــروف	٩،١	٥،٣	٨،٦
المجموع	٩٩،٧	٩٩،٧	٩٩،٦

٢ ـــ **حالة الشهداء الزوجية*** : نتوقع ان تكون الغالبية العظمـــى من الشهداء من غير المتزوجين لان المسؤولية العائلية تؤثر على قدرة الفرد على الاستقلال بتصرفه وعلى قوة اندفاعه الذاتية ، ولانها تضطره للتفكير بغيره قبل ان يفكر بنفسه . وبالتالي فان اي قرار حاسم يتخذه المتزوج يأخذ بالاعتبار مدى تأثـــير ذلك القرار علـــى الآخـــرين المرتبطين به . اما اتخاذ القرارات الحاسمة والمصيرية بالنسبة للعازب فهي أسهـــل بكثير نظرا لان تأثيرها في النهاية سيقع على فرد واحد .

اظهرت سجلات الشهداء صحة توقعاتنا الى حد كبير ، لكن نسبة الشهداء المتزوجين كانت أعلى مما هو متوقع ، اذ بلغ هؤلاء ثلث الشهداء تقريبا ، في حين كنا نتوقع الا يزيدوا على ١٠ ٪ من مجموع الشهداء . والتفسير الوحيد لذلك هو وجود دوافع وطنية ونفسية قوية جدا عند الشهداء المتزوجين جعلتهم يتركون بيوتهم وزوجاتهم واولادهـــم للالتحاق بالثورة والنضال من أجل الحريـــة والتحرير . (انظر الجدول رقم ٢) .

الجدول رقـــم (٢)

الحالة الزوجية	فتح٪	المنظمات الاخرى٪	الثورة٪
اعزب	٦٣،٢	٥٥،٨	٦٢،٢
متزوج	٢٦،٨	٣٢،٥	٢٧،٦
غير مذكور	٩،٨	١١،٣	١٠،٠
المجموع	٩٩،٨	٩٩،٦	٩٩،٨

٣ ـــ **مستوى تعليم الشهداء** : بما أننا افترضنا كون معظم الشهداء من الطبقات الكادحة والمسحوقة ، فاننا نتوقع كون نسبة كبيرة منهم ذات مستوى تعليمي منخفض لا يتجاوز المرحلة التكميلية (الاعدادية) نظرا لعدم مقدرة اهالي هؤلاء الشهداء على ارسالهم الى مدارس خاصة ، وبالتالي اقتصارهم على تعليم الاونروا المجـــاني والمحدود بالمرحلة التكميليـــة .

اظهرت سجلات الشهداء ان اكبر فئة من شهداء الثورة ذات مستوى تعليمي لا يتعدى المرحلة الابتدائية (٣٤،٢٪) وتليها الفئة ذات التعليم التكميلي (٢٢،٦٪) ثم الفئـــة ذات التعليم الثانوي (١٧،١٪) . كما ظهر ان نسبة الشهداء الجامعيين والاميـــين

* نسبة النساء اللواتي استشهدن قريبة من الصفر .

متساوية تقريبا (٤،٢ ٪ من الجامعيين و٥،٥ من الاميين) . يجب الا نأخذ نسبة الجامعيين بصورة مطلقة ،بالمقارنة مع الفئات التعليمية الاخرى ، لان نسبة الذين حصلوا تعليما جامعيا من مجموع الفلسطينيين اقل من نسبة الذين حصلوا تعليما ابتدائيا او تكميليا او ثانويا . وبما أن توزيع الشعب الفلسطيني حسب مستوى التعليم غير متوفر لدينا ، لا يمكننا الحكم اذا كانت نسبة الجامعيين الذين استشهدوا عالية أو منخفضة ، خاصة بالمقارنة مع الفئات التعليمية الاخرى . (انظر الجدول رقم ٣) .

الجدول رقم (٣)

مستوى تعليم الشهيد	فتح ٪	المنظمات الاخرى ٪	الثورة ٪
أمي	٥،٣	٧،٠	٥،٥
ابتدائي	٣٥،٢	٢٨،٢	٣٤،٢
تكميلي (اعدادي)	٢٢،٢	٢٥،٤	٢٢،٦
ثانوي	١٧،٢	١٥،٩	١٧،١
جامعي	٤،٢	٤،٥	٤،٢
غير معطى	١٥،٦	١٨،٧	١٦،٠
المجموع	٩٩،٧	٩٩،٧	٩٩،٦

٤ — **مهنة الشهيد قبل انضمامه للثورة :** يتبع الافتراض الاساسي للبحث القائل بأن الغالبية العظمى من الشهداء ينتمون الى الطبقات الكادحة والمسحوقة ، افتراض توزع غالبية الشهداء حول مهن بسيطة او متواضعة تأتي في أسفل السلم المهني ، وذلك لان الاوضاع الاجتماعيةوالاقتصادية والتعليميةوالمهنية تكونمترابطةالواحدة بالاخرى بشكل ايجابي . وقد اظهرت سجلات الشهداء صحة فرضيتنا اذ توزع معظم الشهداء حول مهن بسيطة ومتواضعة وذات مستوى منخفض ، ولم يكن هناك تكافؤ في توزيع الشهداء على السلم المهني . وهناك بعض المهن التي لم ترد مطلقا في ميزان الشهداء المهني . أشارت الاحصاءات الى أن اقل من نصف شهداء الثورة بقليل (٤٥،١ ٪) وشهداء فتح (٤٤،٧ ٪) وشهداء المنظمات الاخرى (٤٧،٣ ٪) هم من العمال المهنيين والعمال اللامهنيين (العمال الذين لا يتقنون أية مهنة) ، وان اعلى نسبة من شهداء الثورة هي من العمال اللامهنيين (٢٣،٨ ٪) . اما العمال المهنيون فكانوا اصحاب مهن متواضعة لا تتطلب كفاءة تقنية عالية ، منها : بلاط ، سنكري، طوبرجي ، مواسرجي ، نجار ، خياط، حداد ، دهان ، وميكانيكي . الفئة الثالثة الكبيرة من شهداء الثورة والتي تحتل المرتبة الاولى مع فئة العمال اللامهنيين هي فئة الطلاب . فقد بلغت نسبة شهداء هذه الفئة (٢٣،٥ ٪) من شهداء الثورة ، و(٢٤،١ ٪) من شهداء فتح ، و(١٩،٤ ٪) من شهداء المنظمات الاخرى .

يمكن القول اذن ان العمال والطلاب هم عماد الثورة اذ يشكلون معا اكبر قطاع من شهدائها (٦٨،٨ ٪) . ولم تحدد مهن (١١ ٪) من شهداء الثورة. يبقى لدينا (٢٠ ٪) من الشهداء موزعين على المهن التالية: (٦،٧ ٪) من المزارعين، (٥٥) من العسكريين . (منهم ٢ ٪ من الفدائيين السابقين) ؛ ٤،٤ ٪ من الموظفين (وظائف بسيطة : كاتب ، حاجب ، مراسل) ؛ ١،٦ ٪ من التجار الصغار (صاحب محل نوفوتيه ، صاحب مقهى ، بقال ، صاحب محل تصوير الخ .) ؛ ٠،٨ ٪ من المعلمين ؛ ٠،٥ ٪ من ذوي التخصص العالي (مهندس ، طبيب ، صيدلي ، صحافي) ؛ ٠،٣ ٪ لا مهنة لديهم (كانوا عاطلين

عن العمل باستمرار) . في الواقع ، كنا نتوقع أن تكون نسبة المعلمين أكبر مما هي بعشرة اضعاف على الاقل ، خاصة اذا قيست بنسبة الطلاب . وكنا نتوقع ان تكون نسبة العاطلين عن العمل اكبر مما هي بكثير ، خاصة بعد التهم الكثيرة التي ترددت حول كون الثورة مأوى للعاطلين عن العمل . أما نسبة المزارعين فتبدو معقولة نظرا للانخفاض الهائل في نسبة المزارعين الفلسطينيين بعد ضياع فلسطين . واذا قارنا نسبة المعلمين الذين استشهدوا بنسبة التجار الصغار لوجدنا امرا غير متوقع ، اذ بلغت نسبة التجار الصغار الشهداء ضعف نسبة المعلمين . الامر المتوقع هو ان تكون نسبة المعلمين اضعاف نسبة التجار الصغار ، لان المعلمين يعالجون الامور الفكرية ولان مادتهم تربوية حياتية سياسية ومثالية ، بينما يهتم التجار بعملهم المحدود والبعيد عن الفكر والسياسة . (انظر الجدول رقم ٤) .

الجدول رقم (٤)

المهنة	فتح ٪	المنظمات الاخرى ٪	الثورة ٪
مزارع	٧،١	٤،٢	٦،٧
عامل	٢٣،٤	٢٦،٥	٢٣،٨
مهني	٢١،٣	٢٠،٨	٢١،٣
طالب	٢٤،١	١٩،٤	٢٣،٥
موظف	٤،١	٦،٧	٤،٤
مدرس	٠،٨	١،٠	٠،٨
عسكري (جندي ، ضابط وفدائي)	٥،٥	٥،٣	٥،٥
تخصص عال	٠،٦	٠،٠	٠،٥
تاجر صغير	١،٥	٢،٤	١،٦
لا مهنة له	٠،٤	٠،٣	٠،٣
غير معطى	١٠،٧	١٣،٠	١١،٠
المجموع	٩٩،٥	٩٩،٦	٩٩،٤

٥ ــ مكان الاستشهاد : الفكرة الاساسية من وراء معرفة مكان الاستشهاد هي معرفة نسبة الذين استشهدوا في معارك مع العدو الصهيوني ، ونسبة الذين قتلوا بأيد عربية، في مدن عربية ، وبطريقة الغدر والطعن في الظهر .

لم تثبت الفرضية القائلة بأن النظام العميل في الاردن قتل ضعف ما قتلته اسرائيل من مناضلي الثورة الفلسطينية من ناحية عددية ، لكن يمكن اثبات ان الفدائيين الذين قتلوا على يد العملاء في الاردن يساوي اضعاف الفدائيين الذين قتلوا في معارك مواجهة مع الاسرائيليين من ناحية نسبية زمنية. فقد اظهرت سجلات الشهداء ان النظام الاردني العميل قد اغتال (٣٨،٥ ٪) من شهداء فتح ، و(٧٦،٣ ٪) من شهداء المنظمات الاخرى في قطاع الاردن ، و(٤٣،٧ ٪) من مجموع شهداء الثورة . اما اسرائيل فقد قتلت (٥٤،٧ ٪) من شهداء فتح ، و(١٥،٥ ٪) من شهداء المنظمات الاخرى في قطاع الاردن و(٤٩،٣ ٪) من مجموع شهداء الثورة . فاذا اضفنا الفدائيين الذين قتلوا على أيدي عناصر لبنانية عسكرية ومدنية ، نجد ان (٤٥ ٪) تقريبا من شهدائنا قد اغتيلوا في مدن عربية وبرصاص جيوش عربية ، بينما استشهد في الارض المحتلة (٥٠ ٪) تقريبا من شهدائنا ، ولم يحدد مكان استشهاد (٥ ٪) من شهدائنا ، لكن مكان الولادة ومكان الاقامة يرجحان انهم استشهدوا في الاردن . وهكذا تكون اسرائيل والنظام الاردني

(بشكل رئيسي) قد تقاسما قتل مناضلينا (أنظر الجدول رقم ٥) . هذه هي الصورة العددية . لكن هذه الصورة لا تصف الواقع ولا تظهر الحقيقة اذا لم تربط بالعامل النسبي الزمني . فقد استغرق استشهاد (٥٠ ٪) من مناضلينا في اسرائيل فترة ست سنوات (٦٥/١/١ الى ٧١/١٠/٣٠) تخللتها المئات من عمليات الاستطلاع العسكري وعمليات المواجهة والعمليات القتالية ضد القوات الاسرائيلية ، وتخللها اول نصر عربي على اسرائيل خلال ٢٣ عاما من الصراع ، وذلك في معركة الكرامة عام ١٩٦٨ . اما النصف الاخر من مناضلينا فقد اغتيل في الاردن في فترات زمنية لا تتجاوز في مجموعها الثلاثين يوما . اي ان الاردن استطاع خلال شهر قتل ما عجزت اسرائيل عن قتله خلال ٧٢ شهرا . هذا باستثناء شهدائنا من المدنيين ، وخاصة النساء والاطفال ، وباستثناء الطريقة الوحشية التي اغتيل بها مناضلونا : اطلاق الرصاص في الظهر، الذبح ، السحق بالدبابات والشنق .

نستنتج من هذه الحقائق ان النظام الاردني ، وليس اسرائيل ، هو الذي لعب الدور الرئيسي في تحطيم المقاومة الفلسطينية ووقف اندفاعة الثورة . وهناك دليل حسي على ذلك : لقد سقط اول شهيد للثورة ، احمد موسى ، في اول اسبوع من انطلاقة الثورة (٦٥/١/٧) برصاص الجيش الاردني بعد عودته من عملية في الارض المحتلة. وسقط اول شهيد في قطاع لبنان ، جلال كعوش (٦٥/١٢/٢٦) تحت التعذيب على يد الاستخبارات اللبنانية بعد عودته من عملية في الارض المحتلة .

الجدول رقم (٥)

مكان الاستشهاد	فتح٪	المنظمات الاخرى٪	الثورة٪
الاردن	٣٨،٥	٧٦،٣	٤٣،٧
لبنـــان	١،٣	١،٠	١،١
الارض المحتلة	٥٤،٧	١٥،٥	٤٩،٣
غير معطى	٥،٣	٧،١	٥،٧
المجموع	٩٩،٨	٩٩،٩	٩٩،٨

٦ ــ **استنتاجات عامة** : ١ ــ ليس هناك اي اختلاف في تكويـن ونوعية شهداء فتح وشهداء المنظمات الاخرى ، انما الفارق الوحيد هو في الكمية (عدد الشهداء وعدد المقاتلين) وليس في النوعية او الخلفية الاجتماعية ــ الاقتصادية للمقاتلين . وهذا دليل على وحدة نواة الثورة ووحدة عناصرها المقاتلة . كما ان هذه الحقيقة تلغي ادعاء اية منظمة بأنها تمثل الجماهير الكادحة المسحوقة دون غيرها .

٢ ــ رغم ان الثورة الفلسطينية ثورة وطنية وهدفها قومي (تحرير الارض واستعادتها)، فان طبقة واحدة او فئة واحدة من الشعب الفلسطيني هي التي قاتلت وتقاتل من أجل التحرير ، وهي طبقة العمال الكادحة المسحوقة (٨٢ ٪ من الشهداء مـن سكان المخيمات) . ورغم ان نسبة الطلاب الذين استشهدوا توازي نسبة العمال اللامهنيين، الا ان الغالبية الساحقة من هؤلاء الطلاب هم ابناء عمال وفلاحين ، اي ابناء الطبقة الفقيرة المسحوقة . فاذا كانت الثورة الفلسطينية ثورة وطنية ذات هدف قومي ، واذا كانت كل فئات الشعب الفلسطيني لها مصلحة في التحرير ، فلماذا تقاتل فئة واحدة نيابة عن كل الفئات الاخرى ؟ لماذا يكتفي بعض الفلسطينيين بدفـع الفلوس بينما يقـدم فلسطينيون آخرون دماءهم للحصول على نفس الشيء ؟ واذا كانت الارض « للسواعد التي تحررها » فمن الواضح لمن الحق في الارض بعد التحرير .

٣ ـ بناء على الاستنتاج الثاني ، واذا كانت الثورة ستتحول الى حرب تحرير شعبية ، يجب تعديل الصورة الحالية اما بفرض الخدمة الاجبارية ، او بايجاد نظام تمثيل يكون بموجبه لكل عائلة فلسطينية بعض المناضلين في صفوف الثورة . واذا لم يحدث هذا يجب ان نسمي الاشياء بأسمائها ، فتصبح الثورة الفلسطينية ثورة الطبقة الكادحة على الاستغلال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الصهيوني والعربي الذي تخضع له .

٤ ـ في ضوء استشهاد نصف مناضلي الثورة في مدن عربية وبأيد عربية وفي ظل انظمة عربية رجعية عميلة ، لا يمكن للثورة الاستمرار في محاولة كسب تأييد هذه الانظمة والاعتماد عليها في مجالي المال والسلاح وفي مقاتلة « العدو المشترك » ، لان كما يبدو جليا من وقائع السنين الاربع الماضية لم تعد اسرائيل « العدو المشترك » ، بل ربما اصبحت الثورة الفلسطينية « العدو المشترك » . فاذا لم يتغير الواقع العربي الحالي فان اي كلام عن الوحدة الوطنية العربية وقومية المعركة يكون كالهواء في الطاحون . ولا يبقى من سند للثورة سوى الجماهير العربية الكادحة والمسحوقة .

صدرت الدراستان التاليتان عن مركز الابحاث

لبـــاسم سرحـــان

السعر ل.ل.

— الجالية الاميركية في لبنان والمشكلة الفلسطينية (بالعربية وبالانجليزية) ١

دراسة مبنية على مجموعة من الاسئلة وجهها المؤلف الى مجموعة من الاميركيين المقيمين في لبنان لمعرفة مدى وعيهم بالقضية الفلسطينية . ومصادر استقاء معلوماتهم قبل قدومهم الى لبنان وبعده والتغير في آرائهم من جراء ذلك ، وموقفهم من القضية الفلســـطينية وحلولها المقترحة .

— اطفال الفلسطينيين : جيل التحرير (بالانجليزية) ١

وهي دراسة سوسيولوجية لها هدفان رئيسيان هما : ١ ـ دراسة مدى الوعي الوطني والشخصي المميز للاطفال الفلسطينيين الذين ولدوا خارج فلسطين . ٢ ـ معرفة درجة ارتباط هؤلاء الاطفال بوطنهم الام ومدى استعدادهم للتضحية في سبيله . وتقوم الدراسة على ٥٠ طفلا اختيروا عشوائيا من لبنان والاردن من داخل المخيم ومن خارجه .

لقاء مع مكسيم رودنسون

داود تلحمي

مكسيم رودنسون من مواليد باريس عام ١٩١٥ وهو عالم اجتماعي ومستشرق ومدير دراسات في الكلية العملية للدراسات العليا (السوربون) . ورغم انه مختص بشكل محدد بتدريس لغات الحبشة وجنوب الجزيرة العربية القديمة ، الا انه نظرا لالتزامه السياسي ومنشئه اليهودي الاصل ، سرعان ما انكب على دراسة قضايا الشرق عامة، وقضية فلسطين بالذات ، وهو اليوم من كبار المطلعين على جذورهـا التاريخية وتطوراتها . وله مؤلفات ومقالات عدة معظمها ثمرة أبحاث دقيقة وأحيانا بالغة التحديد (كدراسة من عشرين صفحة حول اللفظ القديم للقاف العربية) ترجم بعضها للانكليزية (ككتابه الاخير حول « اسرائيل والرفض العربي ») ولغات اخرى كالايطالية والعربية (كتاب « الاسلام والرأسمالية » ومقالات متفرقة) . ويساهم كذلك في وضع « موسوعة الاسلام » التي تصدر بالانكليزية والفرنسية . كما اسس ويدير « مجموعة الابحاث والعمل من اجل حل للمسالة الفلسطينية » . وقد وجهت له شؤون فلسطينية اسئلة محددة حول قضية فلسطين والمشكلة اليهودية التي يلم بها بالطبع بحكم ظروف تاريخية على حد تعبيره . اجاب عليها بصراحة ، ورأينا أن ننشرها بصدق كما هي ، رغم ما قد يجد القارىء من اختلاف بين قناعاته ومواقف الاستاذ رودنسون ، ايمانا منا بضرورة الاطلاع على كافة الاراء المطروحة حول قضايانا لتغذية الحوار الدائر في هذه الفترة الصعبة من نضال شعبنا الطويل على طريق التحرير ، ولتعميق فهمنا لمعسكر العدو وبشكل أعم للمشكلة اليهودية وعلاقتها مع الصهيونية واسرائيل . وسنضيف في نهاية الاجابات بعض الملاحظات حول مواقف الاستاذ رودنسون وبعض ما جاء في كلامه .

د. ت.

ما هو موقفك من : الماركسية ، اليهودية ، الصهيونية ؟

الاسهل ان أبدأ باليهودية . فهي دين ، وبما اني لا ديني ـــ مع احترامي لكافة الاديان واليهودية احدها لا اكثر ولا اقل ـــ فلا علاقة خاصة لي بها . لكن ربما لانتماء اسلافي الى هذا الدين اشعر ببعض الاهتمام العاطفي بما يتعلق باليهود بشكل عام ، خاصة وان البعض يطلق عليّ هذا اللقب مهما كان موقفي من الدين . وكان هذا وضع والديّ اللذين قتلهما النازيون من غير ان يكون لهما ـــ منذ طفولتهما ـــ اي انتماء لتنظيم يهودي محض .

فيما يتعلق بالصهيونية يتحتم علي لنفس الاسباب ان أحدد موقفي . فبشكل عام كنا ، والداي وانا ، معادين للصهيونية ، اي اننا لم نرغب في الانتماء لدولة يهودية محض . وأنا أعتبر نفسي فرنسيا ، والشعب الفرنسي هو الشعب الوحيد الذي اعتبر من واجبي الاخلاص له بشكل خاص . فلغتي اللغة الفرنسية وثقافتي أساسا ثقافة فرنسية ، وأنا استطيع الانشاد بالفرنسية بينما لا اعرف اية اغنية عبرية او ايديشية . فأنا اذا معاد

للصهيونية ، الا اني أتساءل أحيانا اذا كان عدائي مطلقا للفكرة التي حملها بعض اليهود بانشاء دولة لهم . في العام الماضي ، دعيت الى مؤتمر قرب شيكاغو عقده بعض الامريكيين من اصل عربي ، وهناك سمعت رجلا متدينا جدا يدعى « فاروقي » يقول في خطابه انه معاد للصهيونية بشكل مبدئي بغض النظر عن احتلالها لفلسطين وان عداءه لن يتغير اذا قامت الدولة اليهودية في القمر . وهنا تدخلت مشيرا الى عدم معارضتي شخصيا لفكرة الدولة اليهودية في القمر — مما أثار ضحك الحاضرين — ولكنني تراجعت بعض الشيء ، لانني ادركت ان انشاء دولة يهودية حتى في القمر يؤثر على وضعي كمواطن من اصل يهودي مندمج في المجتمع الفرنسي . الا انني على استعداد لقبول هذا الوضع الجديد لو جاءت الصهيونية بحل حقيقي لمشكلة مجموعة من اليهود . ولكنها اقامت دولتها — وهذا مأخذي الرئيسي عليها — على حساب العرب عامة والفلسطينيين خاصة . وكل ما عدا ذلك ثانوي وقابل للمناقشة . فلو قررت مثلا مجموعة من الشاذين جنسيا اقامة دولة خاصة لذوي الشذوذ في احدى جزر المحيط الهادىء ، فان الموضوع كذلك قابل للنقاش .

واخيرا بالنسبة للماركسية لقد كنت في الماضي وخلال فترة طويلة عضوا في الحزب الشيوعي ، ولكني ابتعدت عنه ، واعتبر الان نفسي ماركسيا مستقلا . وهذا التعبير بحاجة الى تفسير لا مجال له هنا . حين استعملت نفس التعبير في احدى محاضراتي بالقاهرة منذ عامين ، طرح علي احد الحضور الاذكياء استفسارا حوله (وأعتقد انه ابراهيم سعد الدين) . فامتنعت عن الاجابة في حينه لان الموضوع يحتاج الى تفكير طويل ، وسأرد عليه في كتابي الذي سيصدر قريبا . ببضع كلمات ، استطيع القول ان بعض القوانين الاجتماعية التي اكتشفها ماركس ، على الصعيد العلمي ، تبدو لي الان من المسلمات . وعلى الصعيد الايديولوجي ، فان القيم العليا التي دافعت عنها الماركسية — على الاقل نظريا وليس دائما في التطبيق — هي القيم التي أحاول الاخلاص تجاهها . فالاممية وخدمة الانسانية تبدو لي افضل من القومية في خدمة شعب دون الشعوب الاخرى ، ومن الفكر الديني الذي لا تسمح لي شكوكي العديدة تجاهه الاستعاضة عن المثل العليا الانسانية به .

في مقالاتك ومحاضراتك العديدة ، وخاصة في مقال «الازمنة الحديثة» بعنوان «اسرائيل، واقع استعماري ؟ »» وفي كتابك « اسرائيل والرفض العربي » ، حددت تحليلك ومواقفك في المسالة الفلسطينية ، فهل بالامكان تلخيص هذه المواقف للقارىء على ضوء التطورات الاخيرة في المنطقة العربية وفي اسرائيل نفسها ؟

هذا موضوع واسع . سأكتفي بالخطوط الرئيسية ، لان التحليل الشامل يقتضي خاصة تحليلا دقيقا للوضع الراهن ، وهذا امر شاق ويحتاج لوقت طويل . بشكل عام ، لم تتغير مواقفي حول أسس الصراع : ما زلت اعتبر دولة اسرائيل ظاهرة استعمارية ، وكما اردد دائما ، فان فلسطين كانت عام ۱۸۹۰ بلدا عربيا بقدر ما فرنسا بلد فرنسي . وفي هذه الفترة ، قام هرتزل بتأسيس حركته الداعية الى خلق دولة يهودية في فلسطين ، ولم يكن أمامه لتحقيق هذا الهدف الا اسلوبان : اما قمع السكان والسيطرة عليهم ، او طردهم . ولم يكن هناك أسلوب آخر ممكن ، وهذا ما حدث فعلا . حينذاك ، يقال لي ان الاعتراف بالطبيعة الاستعمارية لاسرائيل يقتضي ازالة الاستعمار وذلك في منطق حركة تحرر الشعوب اليوم . وقد اجبت في مقالي المذكور وفي الكتاب بشكل مطول على هذا الطرح بالقول بأن ازالة الاستعمار تحتمل أكثر من معنى واحد . فالاستعمار يزول ، بشكل عام ، اذا زالت كافة علاقات السيطرة والاضطهاد والاستغلال . وهذا لا يقتضي في حالة الاستعمار الاسكاني ، ان يطرد السكان الجدد ويعادوا الى مناطقهم الاصلية ، أو ان يصبحوا هم بدورهم تحت سيطرة السكان الاصليين . هناك اذا أساليب متعددة

لازالة الاستعمار ــ بالمعنى الذي حددت ــ وانا شخصيا افضل ، بحكم طابعي المسالم ، الاسلوب الذي يقتضي أقل التكاليف في الارواح ، سواء بين المضطهدين (بفتح الهاء) او المضطهدين (بكسر الهاء) . لان المضطهد ليس مضطهدا بشكل مطلق وأزلي ، والانسان قد يجر بحكم ظروف او ايديولوجيات الى ممارسة الاضطهاد ، وكافة شعوب العالم مرت بمراحل مارست فيه اضطهاد الآخرين أو عانت منه .

وباختصار ، اعتقد ان مطاليب الشعب الفلسطيني بحد ذاتها عادلة ومحقة . فهو شعب جرد من أرضه بفعل الحركة الصهيونية ، ومن الطبيعي ان يثور على هذا المصير . وهذا ما كنت أحاول باستمرار اظهاره في محاضراتي قبل ١٩٦٧ ، اذ ان الرأي العام الفرنسي كان جاهلا تماما لجذور التمرد العربي ، وكان يعتقد ان رفض الوجود الاسرائيلي عائد الى التعصب الديني او العنصري وما شابه من غرائز شريرة . وكنت أردد أن رد الفعل الفلسطيني والعربي ليس شاذا ، ولو تعرضت شعوب أخرى لنفس المصير لما اختلفت ردود فعلها . وأنا أكرر اليوم ان المطالب الرئيسية للشعب الفلسطيني ــ ولا اتكلم هنا عن الاشكال الخاصة التي تتجسد فيها ، اي الاستراتيجية والتكتيك ــ هذه المطالب لا يمكن ان تلغى أو تبطل طالما هناك فلسطيني واحد على وجه الارض .

ما رأيك في تحليلات وشعارات منظمات المقاومة الفلسطينيــة ، خاصة فيما يتعلق بالمسالة اليهودية ومصير المجموعة اليهودية في فلسطين ؟

هنا يكمن الاختلاف بين وجهات نظرنا ، واخص بالذكر البرامج التي قدمتها مختلف المنظمات الفلسطينية ، واسمح لنفسي بأن أجدها غير كافية . ولست بصدد الدخول في جدال حول هذا الموضوع مع ممثلي الشعب الفلسطيني ، فأنا اعتقــد ان الشعب الفلسطيني من خلال تجارب شاقة وبطرق اصح كفيل بأن يحدد كل ما تقتضيه معركته . وبالانتظار ، سأحاول ان اشرح النقاط التي اعتبرها غير كافية وغير مقنعة لي .

لا بد من الاعتراف اولا بأن الشعارات الحالية تعتبر تقدما ملموسا على كل الشعارات التي سادت قبل ١٩٦٧ ، ولكنها كما قلت ليست الافضل . وقد حاولت التفكير طويلا في هذا الموضوع ، وخرجت باستنتاج اولي ان هناك مغالطات في اساس هذه البرامج تعود في الغالب لعدة عوامل : منها ضرورة تعبئة الجماهير ، وثم مفهوم شرق اوسطي خاص للطائفة الدينية لا ينطبق على الوضع الاسرائيلي حسب تقديري .

وقد قرأت مؤخرا من جديد تصريحات لقادة فلسطينيين في نفس الاتجاه . فقد نشرت مجلة « القارات الثلاث » الكوبية في عدد اكتوبر مقابلة مع ياسر عرفات حيث يقول : « تعودنا ان نقول ان هناك جنسين Nationalités في اسرائيل ، الجنس العربي والجنس الاسرائيلي . وفي الواقع هناك ثلاثة اجناس : العربي واليهودي الشرقي واليهودي الغربي » . ولا أعلق الان على موضوع اليهود الشرقيين والغربيين ، وانما الاحظ في رد عرفات على سؤال آخر ما يلي : « والحل لهذه المشكلة تقدمه الثورة الفلسطينية التي تهدف الى اقامة دولة فلسطينية حيث يستطيع اليهود والمسلمون والمسيحيون ان يعيشوا بسلام تحت ظل المساواة والحرية » . وقد قرأت كذلك تصريحا ليوسف صايغ يقول فيه ان اليهود ــ اي يهود اسرائيل ــ « شكلوا مجتمعــا Communauté في بلدنا بتدمــير مجتمعنا ، اما نحن فنهدف الى اعادة مجتمعنا الى وطنه دون تدمير مجتمعهم ، وطموحنا اذا هو تواجد المجموعتين على اساس تعايش متناسق » .

وبرأيي ان هناك تناقضا في هذه المواقف ، يظهر خاصة في تصريح ياسر عرفات . فهو يذكر أولا ان هناك جنسين في فلسطين ثم يتكلم عــن تعايش المسلمين والمسيحيين واليهود . والتقسيمات الثلاثة الاخيرة تخص طوائف دينية وليس جنسيات او قوميات . ويبدو لي ان هذا الرأي لا ينطبق على واقع اسرائيل . لقد اعتاد العرب ، وهي عادة

راسخة ومخلصة بدون شك ، أن يعتبروا اليهود طائفة دينية . كان هذا صحيحا في الاساس ، وما زال صحيحا بالنسبة ليهود دول المشرق خاصة والى حد ما بالنسبة ليهود الولايات المتحدة (كنت أرى دائما في تركيب المجتمع الامريكي — لاسباب أجهلها جزئيا لاني لا اعرف الوضع جيدا — تركيبا مشابها للمجتمع اللبناني . فليس الانسان هناك امريكي فقط ، كما اننا هنا فرنسيون فقط ، بل امريكي عن طريق مجموعة قومية أو دينية أو قومية — دينية . فنحن نقرأ احيانا في الصحف اخبارا نستغربها كتحالف الايطاليين والبولونيين ضد اليهود والايرلنديين في أنتخابات بلدية نيويورك مثلا) .

أعود للموضوع الاساسي فأقول ان على العرب ان يحللوا وضع الكيان اليهودي بشكل دقيق ، وليس هذا بالطبع شيئا سهلا . ففي فلسطين التاريخية ، لا يشكل اليهود الاسرائيليون طائفة دينية حسب رأيي . وتحديد هويتهم ليست سهلة : فربما كانوا شعبا جديدا ، أو قومية او مجموعة Ethnie يهودية — اسرائيلية (أو اية تسمية اخرى) ذات ثقافة مميزة . ولا نستطيع ان نجزم من جهة أخرى ان هذه المجموعة ستستمر ابديا كما هي ، فلا مجال للتنبؤ هنا ، ولا يستحيل ان تنفرط كما تشكلت حديثا . ولكننا نتكلم الان عن الحاضر . وواقع الاسرائيليين اليوم ليس دينيا ، فالعديد منهم ليسوا متدينين ويعانون كثيرا من سيطرة العناصر المتزمتة دينيا على المجتمع الاسرائيلي .

واذا اعترفنا بتواجد مجموعتين على أرض فلسطين التاريخية ذات ثقافتين مختلفتين ، فالحل لا يمكن ان يكون في حرية الممارسة الدينية التي تقدمها البرامج الفلسطينية . لنأخذ مثلا وضع قبرص حيث يعيش شعبان (أو قوميتان او مجموعتان ثقافيتان اذا شئت) اليونانيون والاتراك . هم بالطبع ينتمون الى دينين مختلفين ولكن هذا ليس العنصر الحاسم في الخلاف القائم . ومن المؤكد ان اعطاءهم الحرية الدينية لن يحل المشكل على الاطلاق .

فمن البديهي اذا أن تواجد « قوميتين » أو اكثر في بلد واحد يقتضي لتفادي قمع احداها للاخرى تمثيل كل مجموعة قومية على المستوى السياسي كمجموعة مميزة واعطائها أمكانية الدفاع عن مصالحها وأهدافها .

لنأخذ مثلا آخرا : الاتحاد السوفياتي حيث تتواجد أكثر من مائتي قومية او عدد كهذا . لا ادعي على الاطلاق — بل بالعكس — ان مشكلة تعايش هذه القوميات قد حلت نهائيا. ولكن على الاقل ، حاولت الدولة السوفياتية ايجاد حل نظري ، فعددت القوميات والمجموعات الثقافية — وربما ليس على الشكل الامثل — وأوجدت برلمانا خاصا يحمل اسم سوفيات القوميات الى جانب السوفيات الاخر حيث التمثيل نسبي بغض النظر عن القومية والجنس . واكرر ان هذا الحل النظري لم ينه في الغالب كل المشاكل ، ولكنه على الاقل يحاول تحسسها والاجابة عليها . وهذا ما لا أراه في البرامج الفلسطينية .

كلمة اخرى حول بلد آخر : لبنان . أعلم ان العديد من العرب واللبنانيين يحتجون ضد الطائفية والتمثيل النسبي في أجهزة الدولة حسب الطوائف . وأنا أقف معهم مبدئيا ، رغم اني اتساءل اذا لم يكن هذا الوضع انعكاسا للواقع اللبناني ، واذا ما كان الغاؤه فورا سيجري نوعا من الامتيازات لطائفة على اخرى . هذا مع أننا هنا نواجه تعددا في الطوائف الدينية وليس القوميات ، اذ ان اللبنانيين جميعا ذوو ثقافة عربية واحدة ، وهذا بالطبع ليس وضع فلسطين .

لقد حاولت التفكير مليا بموضوع البرامج الفلسطينية وطرحت على نفسي السؤال التالي : ما هو هدف أي برنامج ؟ وقد وضعت حتى الان أربع اجابات لتحديد فائدة البرنامج : **اولا** — يحاول البرنامج ان يكون مخططا لحل مثالي . وفي هذه الحال استنتج

من كل ما ذكرت أعلاه بأن الحلول المطروحة لا تتفق مع هذا المفهوم ، لانها لا تضمن لكافة الاطراف التمثيل الجماعي للدفاع عن مصالحها وأمانيها . **ثانيا** ــ يطرح البرنامج حلولا قابلة للتحقيق . وفي هذا الحال ، تبدو لي الحلول الفلسطينية غير قابلة للتحقيق على الاطلاق على الاقل في الوقت الحاضر ، وربما يتغير الوضع في المستقبل ، ولكن كما قال احد المتعاطفين مع الفلسطينيين جيرار شاليان ان ما سيجري بعد ٢٥ عاما لا يهمني كثيرا فليس علي أن أخطط بتحديد لمستقبل بهذا البعد . وفي الحاضر ، كما يقــول المصريون ، تقف الدبابات الاسرائيلية على بعد كيلومترات من دمشق والقاهرة ، ولن تجد العروض الداعية الى انشاء دولة لا يمثلون فيها بشكل سياسي اي صدى لديهم .
على أي حال ، فقد تتغير الامور ، وهذه مهمة المخططين السياسيين والعسكريين ، الا ان هذا هو الواقع الحالي . **ثالثا** ــ يعتبر البرنامج ملائما بقدر ما يساهم في التعبئة والدعاية . وفي هذا الصدد لا بد مــن الفصل في الاجابة حــول تأثير البرنامــج بين الفلسطينيين والعرب الآخرين ، فالعالم الخارجي (وسأتكلم هنا عن الاوروبيين الذين أعرفهم أكثر من غيرهم من الشعوب) بالنسبة للفلسطينيين يبدو لي انه نجح فعلا في تعبئتهم الى حد بعيد . أما بالنسبة للشعوب العربية الاخرى فالامر يبدو اقل وضوحا .
فبما أن تحقيق هذا البرنامج سيكون ــ حسب اصحابه ــ عبر حرب ثورية شاملــة وشاقة ستأتي بدون شك بخسائر جسيمة في الارواح والممتلكات ، اسمح لنفسي بالشك في استعداد العرب ــ أشقاء الفلسطينيين ــ لمواجهة هذا الاحتمال . أعلم ان هناك من يتهم الانظمة العربية المتاخمة لفلسطين والمتخوفة من هذا الاحتمال ، بأنها بورجوازية صغيرة او رجعية او ما شابه ذلك . لكني اعتقد ان السكان البسطاء في كافــة هذه البلدان ــ بغض النظر عن انظمتهم ــ غير متحمسين لهذه الحــرب . صحيح انهم يتحمسون أحيانا خاصة اذا كان الخطر بعيدا ــ وهذا شيء دارج في العالم العربي الذي لم يعرف الحروب الشاملة التي عرفناها في اوروبا والتي كلفت عشرات الملايين مــن الارواح ــ . وهنا اذكر ما قاله الدكتور لوران غاسبار* حول سكان القدس قبل ايام من اندلاع حرب ١٩٦٧ : كانوا يستمعون بنشوة الى البرامج الحماسية للاذاعات العربية ، وحين اشار عليهم بضرورة الاستعداد وحفر الخنادق ، كانوا ينظرون اليــه بتعجب وكأن الحرب ستجري في قارة أخرى . وحين تقترب الحرب فعلا ، يبدو لي ان الامر يتغير ــ واحداث جنوب لبنان تظهر ذلك ــ ، والاخوة مع الفلسطينيين تتوقف عنــد حدود ارسال سيدات الجمعيات الخيرية الى المخيمات . اما بالنسبة لفعالية البرنامج بالنسبة لاوروبا ، فأعتقد انها تكاد تكون معدومة ، الا بالنسبــة لبعض اليساريين المتطرفين . ذلك اننا من خلال تجارب مباشرة وغير مباشرة ، نما الشك عندنا حول امكانية تعايش المجموعات القومية ، وأمامنا اليوم مثل ايرلندة الشمالية مــن جهة وباكستان من جهة اخرى . فما عدا بعض المجموعات الثورية المشبعة بالايديولوجيات ، فلا أحد تقريبا يؤمن بفعالية هذا البرنامج . فالاوروبي يرى ان الفلسطينيين بطرحهم لهذا البرنامج اما يحاولون خداعنا أو هم مخدوعون انفسهم . **رابعا** ــ البرنامج مفيد من حيث تأثيره السياسي . وهنا ايضا لا بد من الفصل بين الفلسطينيين والعرب والاجانب. بالنسبة للفلسطينيين والعرب فالموضوع يحتاج الى طرح مطول حول مواقف وردود فعل الدول العربية سأتجنب الخوض فيه لتعقيده وعدم استكمال المعلومات لدي . اما فيما يخص الاوروبيين ، فالتأثير السياسي كما ذكرت اعلاه محدود في أوساط ضيقة . فهناك مثلا بعض اليمينيين واللاساميين والانصار العاطفيين ، وقد رأيت منهم في بريطانيا من

---

* لوران غاسبار طبيب المستشفى الفرنسي بالقدس وصديق للشعب الفلسطيني . نشر في دار ماسبرو كتابين: « تاريخ فلسطين » و« فلسطين عام الصفر » .

حفظة تقاليد لورانس عدة سيدات من « المجتمع الراقي » . وهؤلاء في الغالب يؤيدون العرب على اساس ان البرنامج الفلسطيني غير صادق وان اليهود سيطردون في النهاية . وهناك ايضا بعض الاوساط اليسارية المتطرفة التي تقبلت هذا البرنامج كالماويين مثلا .

وهنا أطرح السؤال على الفلسطينيين : هل هذه هي الاوساط التي ترغبون في كسبها ؟ وفي حال كسبها هل يعتقد السياسيون الفلسطينيون انهم راهنوا على الحصان الرابح ، وأن هذه المجموعات ستصل الى الحكم قريبا في أوروبا ؟ وهنا اسمح لنفسي بالشك في احتمال تحقق هذا الامر .

كيف تنظر الى تطورات المسالة اليهودية في العالم (الدول الرأسمالية ، الاتحاد السوفياتي ، فلسطين المحتلة الخ.) خاصة فيما يتعلق باستمرار تواجد اللاسامية من جهة وسيطرة الصهيونية على المجموعات اليهودية من جهة اخرى ؟

هذا أيضا موضوع شاسع وسأكتفي بالخوض في قضايا عامة . لا بد من القول أولا بأن الدور الذي لعبته اللاسامية باتجاه تجميد الكيان اليهودي ، تحول اليوم على الصهيونية. استعملت كلمة كيان ولم استعمل كلمة طائفة ، لان بلدانا عديدة كفرنسا لا ينطبق على وضع يهودها اسم الطائفة . فالطائفة الدينية اليهودية في فرنسا قبل الحرب الاخيرة (قبل ١٩٣٩) كانت اقلية بين من يطلق عليهم بشكل اوسع لقب اليهود . وهذا يعني ان قسما كبيرا من اليهود لم يكن متدينا وكان مقطوع الاوصال مع الطائفة التي نشأ فيها ، رغم ان البعض منهم حافظ على بعض الاثار على درجات متفاوتة . فمنهم من استمر في ممارسة بعض التقاليد اليهودية ــ كالامتناع عن اكل لحم الخنزير مثلا او تعطيل يوم السبت ــ لاسباب عاطفية . وآخرون فقدوا اية صلة باليهودية دينا وتقاليد ومجتمعا ، والبعض تبنى دينا آخر (المسيحية طبعا) ، وغيرهم حتى اتخذ كنية جديدة ليفقد آخر دلالة على انتمائه السابق. وهناك اخيرا من لم يكونوا يعلمون ان لهم أصولا يهودية. ولم يكن هذا الوضع شاذا في اوروبا . وهنا لعبت اللاسامية الدور الرئيسي في لمّ شمل مجموعة كادت تتناثر . ولم تلعب الصهيونية دورا يذكر في ذلك الحين لان اعداد الصهيونيين كانت ضئيلة في الاوساط اليهودية قبل ١٩٣٩ ، وكانوا محاربين من قبل المتدينين والملحدين على حد سواء . ومن كان صهيونيا حقيقيا هاجر الى فلسطين ، ولم يترك أثرا . كان هناك بالطبع بعض العطف على الصهيونية عند عدد من اليهود الا انه لم يتعد ، كما كان الحال بالنسبة للعرب تجاه الفلسطينيين في بعض الاحيان ، القاء بعض قطع النقود في صناديق التبرع عند بعض البقالين اليهود . ولم تكن هناك صورة واضحة للاستعمال المحتمل لهذه التبرعات (فالكثيرون كانوا يعتقدون انها تستهدف شراء الاراضي بشكل شرعي ومحدود) . فالمتبرع لم يتخذ اذا موقفا ملتزما بالصهيونية .

باختصار ، اذا قامت اللاسامية بدور الموقظ للشعور اليهودي عند العديد ممن ابتعدوا عنه . وقد مارس الالمان هذه التفرقة اثناء الاحتلال ولكن بعض السكان الفرنسيين مارسوها أيضا بشكل من الاشكال . فأتى رد فعل « اليهودي رغم انفه » رد فعل القابل لمصيره ، فعاد الى تبني يهوديته والتف فيما بعد حول الصهيونية وهذا موقف مفهوم انسانيا رغم اني والكثيرمن أهلي واصدقائي رفضنا هذا الموقف واخترنا الجنسية الفرنسية وفرنسا موطنا أولا وأخيرا لنا ، ورفضنا الخيار الاسرائيلي . ذلك اني اعتقد انه من الصعب المحافظة علىالازدواجية في الولاء رغم ما يدعيه الصهيونيون.

اصبحت الصهيونية اذا بعد الحرب العالمية هي العنصر الجامع للكيان اليهودي . وتزايد العطف اليهودي على اسرائيل بعد ميلادها . وفي ١٩٦٧ ، ساهمت الدعاية العربية الديماغوجية الى حد كبير في استقطاب اليهود من جديد (وليس اليهود وحدهم) واظهار

وضع يهود اسرائيل بشكل يشابه وضع يهود اوروبا في الحرب العالمية . كان القليل منهم على علم بمدى قوة الجيش الاسرائيلي ومقدرته ليس فقط على الدفاع عن اسرائيل وانما على احتلال اراضي الدول المجاورة . وكان يصعب علينا حينذاك كثيرا ان نحاول طرح الموضوع على حقيقته ، وكانت تهمة النازية سهلة الاستعمال .

فيما يتعلق بأوروبا الشرقية ، فالمسألة مختلفة لاسباب عدة منها استمرار المشاعر اللاسامية في الاوساط الشعبية رغم ما يقوله الحكام الشيوعيون هناك عن تلاشيها . وقد ظهر ذلك خاصة اثناء الاحتلال النازي للاراضي السوفياتية (١٩٤١ — ١٩٤٥) ، حيث حاول النازيون بعث اللاسامية باستعمال الشعارات القديمة التي كانت تظهر الثوريين والشيوعيين بالذات يهودا مقنعين . وقد أدى ذلك فيما بعد الى محاولة الحكام الشيوعيين ابعاد هذه الصورة عن اذهان الشعب ، فعارضوا اظهار اليهود كمجموعة اضطهدت بشكل خاص خلال الحرب وعملوا على الحد من نسب اليهود بين المثقفين وخاصة في اوساط الحكم ، وجر ذلك الى التمييز على حساب اليهود . ويجب ان نشير ايضا الى طبع ستالين نفسه الذي دفعه الى شيء من اللاسامية . ولكـن الصهيونية لعبت دورا رئيسيا في احياء اللاسامية ، لان ازدواج الولاء الذي تتضمنه كان لا بد ان يؤدي الى تأزم أوضاع اليهود ، وخاصة في بلد يشدد على ضرورة الولاء لايديولوجية الدولة . فأحد الاحداث التي اثارت لاسامية ستالين كان الاستقبال الحافل الذي لقيته جولدا مئير (وهي من أصل روسي) من قبل يهود سوفيات حين وصولها الى موسكو كأول سفيرة لاسرائيل في اواخر ١٩٤٨ . من جهة اخرى ، ادت سياسة القوميات في الاتحاد السوفياتي التي كانت جيدة مبدئيا ، في موضوع اليهود الى عكس ما رمت اليه ، وهو منع اندماج اليهود بخلق قومية يهودية — وذلك يتعارض مع تعريف ستالين نفسه للقومية عام ١٩١٣ — مع ان غالبية اليهود السوفيات كانوا في ظروف طبيعية قابلين للاندماج في القوميات التي يتبنون ثقافتها (روسيا ، اوكرانيا الخ ..) . فالاحصائيات الاخيرة تظهر ان ٢٠ بالمئة فقط من اليهود السوفيات يتكلمون اليديش التي تعتبر لغة القومية اليهودية . هذا الوضع الشاذ دفع بعض اليهود الى النظر نحو اسرائيل كبلد مثالي نوعا ما مثل ما ينظر الامريكيون السود الى افريقيا . ذكرت في كتابي « اسرائيل والرفض العربي » حادثة رواها الصهيوني الفرنسي ايلي فيزل ، ففي زيارة له للاتحاد السوفياتي ، طلب منه بعض اليهود المسنين بلهفة ان يقدم لهم شيئا ما من اسرائيل ، فأخرج لهم احدى صحف اسرائيل ، فما كان منهم بعد ان رأوا العناوين التي تشبه عناوين اية صحيفة في العالم الا وصدوه متهمين اياه بالعمـالة للبوليس السيـاسي السوفياتي الذي يختلق صحفا عبرية لاظهـار اسرائيل بصورة بشعة . وهكذا اندفع بعض اليهود السوفيات الى احضان الصهيونية او على الاقل هم ينظرون بعطف الى اسرائيل . كل هذا بالطبع أثار حفيظة السلطات السوفياتية ، وأدى الى الاحداث التي نعرفها اليوم . (الوضع في بولونيا يختلف قليلا حيث ان اللاسامية استعملت كأداة في صراع بين عدة قوى على السلطة) .

وفي الختام أود الاشارة الى نقطة يخطىء العرب مرارا في موضوعها : الا وهي استعمال نعت الصهيونية . فهناك في اوروبا يهود تتفاوت آراؤهم ومواقفهم السياسية ولكنهم في غالب الاحيان متعلقون باستمرار وجود اسرائيل . ويجنح العرب حينذاك الى نعتهم بالصهيونية . وهنا لا بد من التساؤل عن تعريف الصهيوني . فاذا عنى ذلك الاعتراف بوجود اسرائيل (التي هي بلا شك ثمرة الايديولوجية الصهيونية) فلقب الصهيونية يشمل اذا بودغورني وديغول وربما بعض القادة العرب . ونحن بالطبع نستطيـع ان نعطي التعاريف التي نشاء ، ولكن يجب الا نغلق أعيننا أمام الواقع . فهناك في هذه المواقف فروق كبيرة ، وتجاه اسرائيل أو الشعب الاسرائيلي اختـلاف كبير في الآراء ضمن هذا

المفهوم . ونعتهم جميعا بالصهيونية موقف سهل ويحول دون اداء العرب لمهامهم الدعائية بشكل مفيد . فبعض هؤلاء الناس الذين يقرون بوجود اسرائيل لا يمانعون في ظروف اخرى في ادانة بعض ممارسات الحكم الاسرائيلي وحتى في تبني المطالب الفلسطينية . وفي هذا المجال وصلني منذ فترة نص عريضة من بيروت حول الاجراءات الإسرائيلية في غزة وطلب مني التوقيع عليها . والعريضة تحتوي على ادانة تصرفات اسرائيل ـــ وهذا لا يشكل اية مشكلة ـــ ولكنها تنتهي بالمطالبة بطرد اسرائيل من الامم المتحدة ، وانا اشك بان هذه العريضة وجدت تجاوبا كبيرا ، بينما لو اقتصرت على بند الادانة الاول للاقت موافقة اكبر . وباختصار ما ارجوه هو الا يعتبر الفلسطينيون والعرب ان الاشخاص الذين حملوا في فترة ما بعض العواطف تجاه اسرائيل او الشعب الاسرائيلي هم ميؤوس منهم وغير قابلين لتفهم المواقف العربية والفلسطينية بالذات .

ملاحظات :

لا بد قبل التعليق على كلام الاستاذ رودنسون من التأكيد على النقطة التالية : الاستاذ رودنسون يتكلم كصديق للشعوب العربية والشعب الفلسطيني بالذات ، ونحن الذين عرفناه قبل ١٩٦٧ ، وعرفنا الجهد الذي اداه في تلك الفترة لمحاربة سيطرة الصهيونية على الاعلام في فرنسا في ظروف صعبة جعلت منه الهدف الاول لشتائمها ، ورمز « خيانة الشعب اليهودي » و « انفصام التراث » و « كراهية النفس » الخ . تنطلق في حوارنا معه على هذا الاساس، مقدرين له جهوده في اثبات الحقائق التاريخية امام الرأي العام الغربي ، وثباته في محاربة الاعلام الصهيوني . وعلى هذا الاساس ايضا نستأذنه للتعليق على بعض ما جاء في اجاباته ، مع ادراكنا لاهميتها نظرا لتعبيرها عن مواقف قطاع واسع من الرأي العام « الصديق » وليس فقط في الغرب :

١ ـــ لا شك ان الثورة الفلسطينية لم تطرح بعد برنامجا متكاملا ومفصلا بالنسبة لفلسطين الغد ، رغم بعض المحاولات للخوض باسهاب في هذا الموضوع . ولا شك ايضا ان على الثوار ان يطلعوا بشكل علمي ـــ وموضوعي ـــ على طبيعة المجتمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين وعلى مجمل المشكلة اليهودية التي ارتبطت ـــ شئنا او أبينا ـــ بالمشكلة الفلسطينية . الا انه لا بد من التأكيد على امرين وردا بشكل سريع في حديث الاستاذ رودنسون : الاول هو مدى التطور الذي احدثه شعار « فلسطين الديموقراطية » بالنسبة للمفاهيم السائدة سابقا التي كانت تهدف الى التخلص من غالبية المستوطنين اليهود (وما زالت هذه المفاهيم مسيطرة الى حد بعيد وربما لعدم وضوح شعار فلسطين الديموقراطية لدى الجماهير ، وعدم ايمان بعض الكوادر به) . والامر الثاني يتعلق بميزان القوى العسكري الحالي في المنطقة الذي هو والى حد بعيد لصالح اسرائيل ولغير صالح المقاومة وحتى الدول العربية مجتمعة . فأي برنامج استراتيجي مهما بلغ تحديده لن يجد تجاوبا يذكر في اوساط المستوطنين اليهود طالما ان الدبابات الاسرائيلية ـــ كما جاء في كلام الاستاذ رودنسون ـــ تقف وبعجرفة على مسافة كيلو مترات من القاهرة ودمشق . ومبرر وجود اية ثورة هو الاسراع في تغيير موازين القوى . ولا شك ان طبيعة القهر الذي لحق بالشعب الفلسطيني وباجزاء هامة من شعوب مصر وسوريا ولبنان والاردن، ستدفعها للنضال ـــ مهما طال وتعددت صوره ـــ لقلب الموازين الحالية . وفي ظروف متطورة وتحت تأثير وضع عسكري وسياسي اقل ثباتا بالنسبة لاسرائيل ، سيجد طرح الثوار الفلسطينيين صدى اوسع في المجتمع الاستيطاني وعلى المستوى العالمي بشكل عام . كل هذا لا يمنع اطلاقا ضرورة تحديد مواقف مبدئية منذ الان ترتكز على تحليل واف للمجتمع الفلسطيني والمجتمع الاستيطاني اليهودي ولتجارب الشعوب المتقاربة مع الوضع الفلسطيني (وهذه المواقف لن تكون

بالطبع ستاتيكية جامدة بقدر ما ان الوضع نفسه ديناميكي وسريع التطور) . والامر مطروح اخيرا امام اصحاب المسؤولية .

٢ ــ لا شك ان الحرب تجر العديد من الخسائر في الارواح وتحول العديد من الاصحاء الى اشلاء بشرية ، ناهيك عن الخسائر المادية التي تلحقها . وهنا بامكاننا ان نردد مع ماوتسي تونغ ، ان الامر لو توقف علينا ، لما قمنا بالحرب يوما واحدا . والشعب الفلسطيني بالذات شعب مسالم ومنفتح نظرا لتعاقب حضارات عدة وتعايش اجناس وعقائد عدة فوق ارضه على مر القرون . الا ان اي شعب في العالم يواجـه عدوانا وتشريدا كالذي تعرض له لا يمكن الا ان يتمرد ويثور : وهذا هو اليوم حال الشعب الفيتنامي الذي عرف في الماضي بطبعه المسالم والذي يعطي اليوم للعالم دروسا في الثورة ومواجهة الغزو والقهر مهما بلغت التضحيات . وقد اثبت الشعب الفلسطيني في الخمسين سنة الاخيرة انه قادر على التضحية وتحمل عقبات التمرد من اجل استعادة حقه ، والسنوات القليلة الماضية اظهرت مدى استعداده للعطاء رغم تكالب قوى عالمية ومحلية عديدة للقضاء عليه ورغم النكسات المتتالية التي واجهها ويواجهها . كما اثبتت أن اللغة الوحيدة التي تستطيع أن تواجه لغة القمع والغطرسة الصهيونية هي لغة العنف الثوري ، وهي اللغة التي تفهم في انحاء العالم : فالشعب الفلسطيني لم يصبح « حقيقة لا جدال فيها » الا حين عاد وحمل السلاح بعد ١٩٦٥ وخاصة بعد معركة الكرامة . وهو لن يفرض وجوده على عدوه ولن يثبت حقوقه ضده الا بهذه اللغة . وهنا لا بد من التأكيد ثانية ان هذا العدو هو آلة القمع العسكرية السياسية الصهيونية وليس الافراد من المستوطنين كيهود ، الذين قد يتحول جزء كبير منهم في النهاية عن موقفهم العدائي الحالي تجاه الشعب الفلسطيني ومطالبه . ولكن ــ كما جاء في كلام الاستاذ رودنسون ــ اذا استمر القمع الصهيوني ، فان القضية الفلسطينية والتمرد الفلسطيني سيستمران طالما هناك فلسطيني واحد على وجه الارض .

اما بالنسبة للشعوب العربية الاخرى القريبة من المعركة ، فملاحظة الاستاذ رودنسون التي تعكس الواقع الحالي في ظروف وتحت تأثيرات محددة ، تثير أمرين : الاول ــ ان عدم اختبار الاجيال الحالية للحرب لا يعني انها غير قادرة على التمرس من خلال مواجهة الاعتداءات المتتالية وتبعات الرد عليها . والطبيعة العدوانية التوسعية للاحتلال الصهيوني كفيلة بأن تجعل اجزاء اكبر واكبر من الشعوب العربية في ظروف مشابهة لوضع الشعب الفلسطيني (كما هو الحال اليوم لسكان سيناء ومدن قناة السويس من جهة وسكان الجولان والجنوب اللبناني من جهة اخرى) . وهنا ايضا نستطيع ان نطرح مثل الهند الصينية ، فالشعبان اللاوسي والكامبودي ــ وربما شعوب تايلاند ودول اخرى غدا ــ لم تتعرض لاحتلال مباشر بكثافة الاحتلال الامريكي لجنوب فيتنام ولم تمارس كشعب فيتنام حرب مقاومة على امتداد عشرات السنوات ، الا انها تعلمت من خلال النضال ان تواجه العنف القمعي بالعنف الثوري وهي اليوم في مراحل متقدمة على طريق تحرير بلدانها من احتلال امريكا وسيطرة عملائها . والثاني ــ ان مشاركة الشعوب العربية الاخرى ــ رغم تعاطفها التلقائي مع الثورة الفلسطينية ــ سيكون بمقدار ادراكها لارتباط مصيرها وحياتها اليومية بالمعركة . اي اننا لا نستطيع ان نطالب هذه الشعوب ان تشارك في معركة التحرير الفلسطينية غاضة النظر عن القمع والاضطهاد الذي تواجهه في بلدانها سواء من الامبرياليين مباشرة او من عملائهم ومستغلي الشعب بشكل اعم . فالنضال الفلسطيني لن يجد تجاوبا حقيقيا وطويل النفس في العالم العربي الا اذا التقى وتضافر مع كافة النضالات في ارجاء العالم العربي لتحرير الانسان العربي . وربما كانت هذه احدى الدروس الاساسية التي استخلصتها المقاومة من نكسات ما بعد ايلول ١٩٧٠ ، وما تعلمنا اياه كل يوم تجارب الشعوب

الاخرى . فعروبة المعركة الفلسطينية لا تعني انتقال كافة المناضلين العرب الى الساحة الفلسطينية ، وانما انتقال مثل المقاومة الفلسطينية الى انحاء العالم العربي وتكيفهـا حسب ظروف واوضاع كل قطر ، هذا مع العلم بأن المعركة المباشرة ضد الصهيونية لا تقتصر فقط على الشعب الفلسطيني نظرا لما ذكرناه من امتداد العدوان الصهيوني الى اقطار اخرى .

ونحن اذ نأمـل مع الاستاذ رودنسون ان يتحقق كـل ذلـك بأقل التكاليف في الارواح والانشاءات ، الا اننا ندرك تماما ان ذلك يتوقف في النهاية على المضطهد (بكسر الهاء) واستمرار حالة الاضطهاد . وحتى القضاء عليها ، لا حيلة امام الشعوب الا ان تقاومها بكل ما لديها من امكانيات .

٣ ــ ملاحظات الاستاذ رودنسون حول الرأي العام الغربي هامة نظرا لمعرفته وخبرته في هذا المجال . ونحن لا يسعنا الا ان نؤكد على ضرورة السعي لتوسيع حلقة اصدقاء الثورة الفلسطينية وعزل العـدو الصهيوني اكثر واكثر في اوساط حلفائه الطبيعيين ، الامبرياليين والرجعيين بشكل عام . ونحن ، اذ نـدرك أن للثورة الفلسطينية حلفـاء ثمينين في العالم ممثلين في الدول والحركات الثورية (وحركات التحرر الوطنية منها) ، نرى ان لا بد من خوض المعارك ضد الصهيونية في معاقلها (سواء في الدول الغربية او في بعض الدول الشرقية والعالم الثالث) ومحاولة كسب العناصر الديموقراطية القابلة لتفهـم قضايا التحرر وكرامـة الانسان . ولا شك ان قطاعات واسعـة من الشعب الفرنسي والشعوب الغربية بشكـل عام قادرة عـلى فهم مطالب الشعب الفلسطيني وحركة التحرر العربية اذا توفرت لها المعلومات الكافية واذا توفرت وسائل الاعـلام القادرة على نقلها . ونحن اذ نقر الان بالتفـاوت الشاسع بين الامكانيات الصهيونية والامكانيات الفلسطينية والعربية في هذا المجال ، علينا ان نعمل بصبر ونفس طويـل مستعينين باصدقائنا في الغرب على تغيير هذا الوضع ــ وكما نجح قبلنا رفاق النضال الفيتناميون ، فنجاحنا ليس مستحيلا . والشرط الاول ــ كما اثبتت ذلك تجربة السنوات الاخيرة وتجربة الشعب الفيتنامي بالذات ــ هو استمرار النضال الفلسطيني وتصاعد حركة التحرر العربية . ونحن اذ نجدد شكرنـا للاستاذ رودنسون لجهوداته في هذا المجال ، نأمل أن يغني حوارنا تجاربنا المشتركة ويغذي نضالنا لتحقيق اهدافنا في الحرية وكرامة الانسان في العالم اجمع .

الصحافة الاجنبية وقضية فلسطين

جويس قاضي

سارت حركة التحرير الوطني الفلسطيني في مسارات عدة نحو تحقيق أهدافها ، فقد خاض الفدائيون معارك ضد الاسرائيليين في الاراضي السورية واللبنانية والاردنية ، كما اثروا على سير الحياة داخل فلسطين المحتلة (المحتلة منذ ١٩٤٨ او منذ ١٩٦٧)، وكذلك وضع الباحثون والمفكرون العديد من الدراسات التاريخية والقانونية والسياسية وتوصلوا الى استنتاجات مثيرة في كتبهم ومحاضراتهم حول القضية ، أضف الى ذلك ، ان الزعماء الفلسطينيين شاركوا في المؤتمرات والاجتماعات والندوات العالمية الهامة وذلك من اجل افهام العالم ، وخاصة دولة الاحتلال الاسرائيلية ، ان الفلسطينيين قد عقدوا العزم على العودة الى بلادهم . ومع ان الفلسطينيين غير متفقين حول افضل السبل لتحقيق هدفهم المشترك الا انهم يلتقون عند نقطة واحدة ، وهي انه ليس باستطاعتهم الانتصار لوحدهم ، لذا يجب الاتصال بالشعوب الاخرى ، افرادها وتنظيماتها وحركاتها لاقناعهم ، ان لم يكن بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بأنفسهم ، فبأن لهم دورا رئيسيا ؛ بل ومصلحة حيوية في حل أزمة الشرق الاوسط . ومنذ العام ١٩٦٨ ساهمت أجهزة الاعلام المختلفة في التعريف بالشعب الفلسطيني وتوضيح أهدافه للراي العام العالمي ، ولكن المراقبين بدأوا يحسون أن تغطية أنباء القضية بدأت تخف منذ ذلك الوقت . وهنا لا بد للمرء ان يتساءل : لماذا حدث ذلك ؟ ما هي العلاقات الراهنة بين الصحافة الغربية وحركة المقاومة ؟ وما هي اهمية تغطية أنباء الكفاح الفلسطيني في الصحف العالمية ؟ من خلال المقابلات التي أجريتها مع ثلاثة عشر مراسلا غربيا وتسع من الشخصيات العاملة في حقل الاعلام الفلسطيني ظهرت لي الفروقات الهامة في الراي بين جميع هؤلاء حول مسؤولية المراسل ، ودور الصحيفة في تغطية انباء القضية ، والانباء العامة . وبعد عرض المشاكل التي يواجهها المراسلون في تغطية انباء القضية الفلسطينية ، سننتقل الى الحديث عن مقترحاتهم لحل هذه المشاكل . واخيرا سوف نستعرض أهمية اجهزة الاعلام والرأي العام بالنسبة لحركة المقاومة . والمقالة ترتكز على الفرضية القائلة بأن الصحافة العالمية والرأي العام لهما دور هام في مساعدة حركة المقاومة الفلسطينية في كفاحها من اجل العودة الى فلسطين .

لو وجهت للصحفيين سؤالا عن « مسؤولية المراسل الاجنبي » لتلقيت أجوبة مختلفة منهم ، مع انه قد يوجد بعض التشابه في أجوبتهم . وقد رد مراسلو الوكالات الصحفية الغربية بأجوبة مبسطة على هذا السؤال : « أنقل الاخبار كما أراها واعتقد أنها كذلك » و« الحصول على الانباء بسرعة وبدقة » . ومن خلال اجوبتهم شعرت انهم يؤكدون على الحقائق و«الحقيقة»، وليس على التفسير والرأي، وانهيجب أن يتم ذلك بموضوعيةتامة رغم الاعتراف بأنه من الصعب الوصول الى ذلك . وقد ذكـر مراسلو وكالات الانباء التابعة للدول الاشتراكية ان مسؤوليتهم هي في نقل الاخبار واعطاء انطباعاتهم حول ما

تغطيه هذه الأخبار . أما مراسلو الصحف الغربية فقد حددوا مسؤولياتهم على نطاق أوسع وكانت أجوبتهم تشبه الوصف الذي أعطاه ج. ا. جيرارد ، الصحفي المشهور ، الذي يقول : «عندما يكتب الصحفي الاخبار ومن ثم يبعث بها الى صحيفته يكون كالتاجر، وعندما يسجل يكون بمثابة كاتب او كاتب حسابات لأحداث اليوم ، وعندما يفسر كمساهم وكاتب ومحرر تكون الصحافة كالادب ، ان لم تكن أدبا . والصحافة في ارقى مراتبها ليست حرفة او تجارة ، بل مهنة ، مهنة المفسر»(١). وقد اشار معظم مراسلي الصحف ، لا الوكالات ، الغربية ان مسؤوليتهم تتخطى جمع المعلومات ونقلها ، وأوضح احد المراسلين بأنه لضيق المكان ، عليه أن يختار أهم العناصر ، ويقيّمها ويفسرها ومن ثم يحدد علاقتها بالنسبة لغيرها من الانباء . وزاد ، ان عليه ان يلحظ أهم الاتجاهات ويركز عليها ويوضح اهميتها . ولقد وردت أمور اخرى في أجوبة المراسلين ، ولكن بشكل اقل من غيرها . فقد أكد أحد المراسلين ان على الصحفيين أن لا « يكتبوا وفقا لأهواء الجماهير ورغباتهم » وقال آخر بأن عليهم ان يتجنبوا الانفعال وان يحافظوا على توازنهم لكي لا يتهموا بالتحيز لجانب ضد آخر وبالتالي يفقدون فعاليتهم . ويشعر مراسل احدى الصحف المحافظة انه لمن الاهمية بمقدار عدم نقل بعض الاخبار كما هو مهم نقل أخبار اخرى . ولم يكن هناك سوى مراسل واحد أثار مسألة الجانب الفني للكتابة الجيدة التي تعنى بتوضيح الاخبار وجعلها مفهومة عند اناس ليست لديهم معلومات كاملة حول موضوع معين . ولقد ظهر الفرق واضحا بين مراسلي الصحف ومراسلي الوكالات بالنسبة لمسؤولياتهم عندما أجابوا على السؤال التالي : « اذا كان المراسل يشعر ان لدى جمهوره فكرة خاطئة او مقولبة وغير أصيلة عن منطقة معينة او شعب معين ، فهل عليه واجب تصحيحها ؟ » كان جواب معظم مراسلي الوكالات تقريبا بالنفي ، اي انه من الخطأ العمل على بذل مجهود خاص لاظهار أو تصحيح صورة ما . وبالمقابل ، أعرب مراسلو الصحف عن اعتقادهم بأنهم اذا كانوا على اقتناع تام بأن أهواء قرائهم وتحاملاتهم كانت في غير موضعها ، يرون أن من واجبهم محاولة تقديم صورة أكثر دقة .
وفي حين يؤكد بعض الفلسطينيين ان تغطية الصحف الغربية لانباء القضية الفلسطينية ليست موضوعية أبدا، كما انها مفعمة بالافكار المقولبة المعادية للعرب ومكتوبة من وجهة النظر الصهيونية ، يشعر آخرون بأن المراسلين الاجانب ، خوفا من أن يسيئوا الى الحركة وبذلك يفقدون اتصالاتهم بها ، لم يكتبوا بطريقة انتقادية تماما . ولان العرب بشكل عام « مرتبطون ذهنيا بالغرب » بسبب التأثيرات الثقافية والتربوية للاستعمار الغربي ، ويعقدون اهمية كبيرة على الرأي العام الغربي ، اعتقد انه كان من المحتمل ان يقوم الفلسطينيون بتصحيح أخطائهم لو أن الصحفيين دلوهم عليها من قبل . ويختلف الفلسطينيون أيضا بالنسبة لكمية الانباء التي ينقلها المراسلون ، ويقول معظم ممثلي حركة المقاومة ان العمليات الفدائية لم تغطّ بشكل كاف ، كما ان المراسلين لم يوضحوا لقرائهم في الغرب الذين يجهلون القضية دوافع الفدائيين من وراء عملياتهم في اسرائيل . ويشعرون بأن السبب وراء هذه التغطية السطحية هو ان النتيجة التي سيتوصلون لها في النهاية ، بأنه يجب القضاء على الكيان الاسرائيلي قبل تسوية أزمة الشرق الاوسط ، لا ترضي صحفهم . وبالمقابل هناك عدد من الفلسطينيين الذين أعربوا عن رضاهم لتغطية أنباء القضية منذ ١٩٦٨ . وحتى ان هناك قلة يعتقدون انه تم تغطية الحركة صحفيا أكثر مما تستحق ، أولا كنشاط عسكري وثانيا كقوة سياسية صاعدة ، ويعتقدون ان السبب وراء هذه التغطية الواسعة للمقاومة هو عدم وجود أحداث أخرى في المنطقة تستحق التغطية . ويشعرون ان الصحفيين ألفوا قصصا وروايات عن الحركة وبالغوا كثيرا في قوتها ، الامر الذي كان له اسوأ النتائج على الفدائيين الذين صدقوا هذه الاخبار مما اضطرهم الى أن يحاولوا ان يثبتوا دائما انهم في مستوى الآمال التي يعقدها عليهم

العرب والعالم بأسره . وكذلك فان التغطية الهائلة لانباء نشاطات الحركة جعلت فصائل المقاومة ، وهي في أشد الحاجة لتوضيح أهدافها ووسائلها ، تحوّل جهودها الى حقل العلاقات العامة عوضا عن الجوانب الاخرى لنضالها . ويشعر فريق آخر من الفلسطينيين ان المراسلين لم يكونوا شاملين في تحقيقاتهم اذ ركزوا مقالاتهم على فصيل دون الآخرين وكأنه المنظمة الوحيدة التي لها عمليات ، مما أعطى صورة غير صحيحة عن الحركة ، بل وأدى الى ايجاد نوع من الاحتكاك بين الفصائل المتنافسة . وهذا التنافس المتزايد بين فصائل الحركة لكسب ودّ الصحف والجماهير ادى الى تصورات غير واقعية عن قوتها وأعماهم عن الحكم على انفسهم بشكل صحيح ، مما سهل مهمة الجيش الاردني في هجمة أيلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ . ولم تكن الآراء المتباينة بالنسبة لمسؤوليات الصحفيين الاجانب هي وحدها التي تسببت في هذا التباعد في الرأي حول تغطية الصحف لانباء الحركة الفلسطينية ، اذ ان أحد أسباب هذا التباعد هو الاختلاف حول ما هو النبأ.

ما هو النبأ ؟ لماذا تبرز قصة ما بشكل صارخ في الصفحة الاولى للصحيفة في حين تحشر اخرى في احدى زوايا الصفحات الداخلية ، أو حتى ان بعض الحوادث لا يرد عنها أي شيء ؟ في الحقيقة ان ما يحدد ما هو النبأ هو رأي المراسل في ما هو الشيء المهم في العالم ، ومدى قدرته على الحصول على المعلومات ومصلحة الصحيفة في ذلك الوقت والحالة الذهنية للجمهور . وقد نالت القضية الفلسطينية التي تشكل العنصر الرئيسي في الصراع العربي ـــ الاسرائيلي حصة الاسد من حيث التغطية الصحفية خلال الفترة الممتدة من ١٩٦٩ ـــ ١٩٧٠ ، ولكن منذ ذلك الوقت تم تجاهلها عمليا ، وتحولت الانظار بدلا عن ذلك الى قناة السويس . ويعطي المراسلون اسبابا مختلفة جدا لكون القضية الفلسطينية مثار اهتمامهم ، فبعضهم يعزو ذلك الى حركة المقاومة الفلسطينية في حين يرفض آخرون حتى ذكر الشعب الفلسطيني . وفي معظم الحالات كانت ردودهم تعكس مصالح بلادهم وقرائهم . ويعتبر كثير من المراسلين ان حركة المقاومة الفلسطينية كانت تشكل موضوعا صحفيا ناجحا منذ معركة الكرامة في ٢١ آذار ١٩٦٨ حتى هجمة ايلول ١٩٧٠ ، فقد كانت معركة الكرامة التي استغرقت خمس عشرة ساعة بين القوات الاسرائيلية والفدائيين نقطة انعطاف هامة في تاريخ الحركة من الناحيتين العسكرية والسياسية . فسرعان ما انتشرت انباء المعركة بين الفلسطينيين كما ان التلفزيون الاردني أظهر صور الدبابات والاعتدة التي تم الاستيلاء عليها بعد أن خلفها الاسرائيليون وراءهم في الميدان. وحتى ان الملك حسين، الذي أدرك أهمية المعركة، قال في مؤتمرصحفي عقده بعد ثلاثة أيام من المعركة : « كلنا فدائيون » . وبعد اسبوعين فقط اعلنت فتح ان عدد اعضائها ازداد من ٧٠٠ مقاتل الى عدة آلاف . وهكذا فان الكرامة سلطت الاضواء على الفلسطينيين واقنعت المراسلين الاجانب ، وبالتالي قراءهم وحكوماتهم ، بأن الشعب الفلسطيني أصبح يشكل قوة لا يمكن الاستغناء عنها عند بحث أي حل للصراع العربي ـــ الاسرائيلي . وبشكل مماثل ، نرى انه بعيد عدوان ١٩٦٧ أصبحت اسرائيل موضع اهتمام الصحافة أكثر من ذي قبل . فقد اصبح جيشها وشعبها الموضوع الرئيسي للعديد من المقالات والبرامج والريبورتاجات الخاصة لدرجة ان أحد الصحفيين الاميركيين قال بأن « الجمهور قد سئم تبجح وغطرسة داود الصغير المنتصر . » ومن هنا بدأ الصحفيون في الشرق الاوسط يفتشون عن قصة من شأنها اثارة اهتمام قرائهم . واعلن عدد من المراسلين ان الانظمة العربية قد هزمت في ١٩٦٧ ، وان الشرارة الوحيدة والجديدة التي تبعث على الامل في الصراع السياسي في الشرق الاوسط ، وان « الجماعة الوحيدة التي تحدث ضجة » هي الحركة الفلسطينية ، وهكذا ، وبدون أي تصميم مسبق منهم ، نجحوا في القفز الى قلب الانباء . وقد كان الفدائيون في ذلك الوقت يقومون ببعض

الغارات المزعجة ضد اسرائيل ، وكانوا يعتبرون ، كما يقول احد المراسلين الاميركيين ، بمثابة روبن هود عصري ، أي مثل ذلك الفتى الصغير الطيب القلب الذي ينجح في التسلل الى قلب اسرائيل الكبيرة والسيئة والمحتلة والتي كانت تتجاهل الراي العام العالمي بكل وقاحة وتتحدى قرار الامم المتحدة بالانسحاب الى خطوط ما قبل حزيران . وبالنسبة للمراسلين الذين ينتمون لدول ثورية ، فانهم يعتبرون ان الصفات الثورية لحركة التحرير وأسلوب حرب العصابات الذي تتبعه وايديولوجيتها اليسارية هي التي تجعلها موضع اهتمام وبالتالي تستحق التغطية في بلادهم التي تؤيد ليس فقط النضال ضد اسرائيل بل وايضا ضد الولايات المتحدة والامبريالية العالمية . والحركة الفلسطينية ، كأول حركة وطنية في العالم العربي تحاول تعبئة جماهيرها ، قد أعلنت بصراحة على لسان جناحها اليساري ان هذه الصفات هي التي تسببت في ملاحقة النظام الاردني للحركة وادت الى هجمة أيلول ١٩٧٠ . فبالنسبة لهم ، فانهم يعتبرون ان العمليات العسكرية التي يقوم بها الفدائيون أقل أهمية من الوعي القومي الشعبـي المتصاعد الذي مـن شأنه رفع المعنويات العربية وبالتالي تهديد الانظمة العربية ومن ثم تقويضها . وكذلك فان عددا من المراسلين الغربيين ذكروا ان هذه السمات الثورية هي موضع اهتمام قطاعات معينة من الرأي العام الغربي ، ولكن غالبية الشعب تهتم بأنباء حركة المقاومة ، كما يقول أحد المراسلين ، على أساس « انهم يشكلون ابتعادا عما يعتبره المواطن الغربي العادي حياة عادية وانظمة حكومية قائمة . » وهم يعتبرون عمليات المقاومة مثيرة بصرف النظر عما اذا كانت بناءة أو هدامة . وبالاضافة لذلك ، يشعر معظم المراسلين الغربيين ، وبشكل خاص الصحفيون الاميركيون ، ان الحالة في الشرق الاوسط هي موضع اهتمام الصحافة لان الولايات المتحدة ملتزمة عسكريا واقتصاديا ومتورطة مع اسرائيل . وأي حركة تنجح في كسب مزيد من الشعبية والقوة في المنطقة تهدد مصالحها ، لذا فانها تصبح موضع اهتمام الجمهور . وكذلك فان مصالح الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية ، وبشكل خاص النفطية ، تجعل أي نشاط يهدد الوضع الراهن موضع اهتمام الصحف . وذكر المراسلون البريطانيون والاميركيون أيضا ان دعم الاتحاد السوفياتي لمصر وسوريه مما يهدد المصالح العربية في المنطقة هو من العوامل التي تجعل الوضع في المنطقة موضوعا ناجحا من الناحية الصحفية .

وبالاضافة لما تقدم، يعتبر عدد من المراسلين ان الجانب الانساني من القضية الفلسطينية يجعلها موضع اهتمام الصحف . فالبؤس والشقاء الذي يعـاني منه الفلسطينيون المشردون وكفاح الفدائيين اليائس ضد أعداء اقوياء ومن اجل اعادة شعبهم الى وطنه ، كل ذلك خلق نوعا من الاهتمام والعطف ، رغم ان اساليبهـم لا تنسجم مع المقاييس الغربية . ولكن ، كما قال أحد المراسلين الليبراليين ، ليست حالة اللاجئين الفلسطينيين مثيرة للشفقة كالفييتناميين ، كما أن عددهـم وحاجاتهم ليست ماسـة كاللاجئـين الباكستانيين . لذلك نرى انه رغم عدالة قضية اللاجئين ، فان التغطية الصحفية لانباء مخيماتهم هي الان في أدنى درجاتها . وقد أوضح أحد المراسلين الاميركيين ان « حالتهم ساكنة ، وعدا عن مقاومة أهالي غزة للاحتلال الاسرائيلي ولما يتضمنه هذا الاحتلال من عنف وقسوة ومحاولات لاخراجهم من بلادهم ، ليس هناك أية أنباء — لا مشاريع أو تطورات أو نشاطات جديدة — لنقلها عن اللاجئين » .

ومن ابرز النشاطات التي قامت بها الحركة الفلسطينية ونالت قسطا وافرا من التغطية الصحفية الاجنبية كانت خطف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين للطـائرات في أيلول ١٩٧٠ . وقد كان لعمليات الخطف تأثيرات كبيرة على المراسلين ، سواء سلبا او ايجابا. وعلى اي حال، يتفق جميع هؤلاء المراسلين ان هذه العمليات وما نجم عنها من قصص

الرهائن هي التي استحوذت على اهتمام القارىء في العالم الخارجي وجعلته يعلم بوجود الشعب الفلسطيني ويعرف شيئا عن قضيته. ويشعر عدد من المراسلين ان قراءهم، رغم وصفهم لهذه العمليات بالقرصنة وبالبربرية ، تأثروا كثيرا بالنضال اليائس الذي يخوضه الفلسطينيون . وبشكل اكثر اختصارا من المراسلين، اعطى رجال الحركة تقريبا الاسباب ذاتها حول اهتمام الصحافة بالقضية الفلسطينية ومنهـا : « القوة » و« العمليات العسكرية » و« البندقية » ، ويقولون ان مسألة اللاجئين الفلسطينيين ، والاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية والمصالح الغربية هي العناصر التي تكونت منها ازمة الشرق الاوسط منذ العام ١٩٤٨ . ولكن لم يصبح الفلسطينيون مصدرا رئيسيا للانباء الا منذ آذار ١٩٦٨ عندما برهنت حركة التحرير الشعبية الصاعدة انها قوية لدرجة يمكنها ان تستخدم القوة في نضالها . واذا لم يقتنعوا من قبل ، فان هجمة أيلول لم تترك أي مجال للشك في اذهان الفلسطينيين بأن المقاومة النشطة والعمل العسكري هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين وابقائها حية في الصحف .

الحصول على الانباء

ان كمية ونوعية التغطية الصحفية للقضية الفلسطينية تعتمد الى درجة كبيرة على كمية المعلومات المتوافرة للمراسل ونوعيتها . وكما يشير عدد من المراسلين ، فان المعلومات المتعلقة بخلفية القضية وتاريخها متوافرة في مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية وجمعية الخامس من حزيران ولجنة السيدات العربية للاعلام . وقد قال احد الصحفيين : « ان الشرق الاوسط منطقة معقدة ، وهناك حاجة للمعلومات لفهمه ، ولكن اذا ما تسنى للمرء أن يدرس المنطقة ، لا يعود بحاجة كبيرة الى الآخرين — هذا اذا ما اطلع على آخر الانباء . » واصدار الانباء بشكل سريع ومنظم من شأنه أن يفتح الباب واسعا لمزيد من التعاون ولتغطية افضل من جانب الصحف العالمية . وليس هناك سوى قلة من الصحفيين يرون ان هناك اية فروقات بين مواقف المنظمات الفدائية المختلفة من الاعلام أو من الصحفيين الاجانب . فباستثناء بعض التعليقات الجانبية مثل : « فتح بيروقراطية لدرجة لا تمكنك من الحصول على مساعدة كافية » و« الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعتبر اكثر احترافا في طريقتها وللوقت قيمة عندها أكثر من غيرها » ، أو « حتى لو لم تستطع الحصول على أية معلومات من منظمة التحرير الفلسطينية ، على الاقل تشعر أنهم يرحبون بك لو عدت لزيارتهم » ، نرى ان تفضيل الصحفيين لمنظمة على أخرى يعتمد على العلاقات الشخصية التي نجحوا في اقامتها مع عناصر من هذا التنظيم أو ذاك . ويقول أحد المراسلين : « ما يقرر نوعية الاعلام في حركة المقاومة الفلسطينية هم الافراد وليس السياسات التي تضعها المنظمات » . ويقول آخر : « ليس هناك نموذج جماعي موحد . فبعض العناصر وديون في علاقاتهم في حين ان آخرين ليسوا كذلك . » وعادة نرى انه من السهل على المراسلين الاتصال بالمنظمات وبالعناصر ، كما انهم يستقبلون استقبالا وديا رغم ان عددا قليلا من المراسلين الاميركيين يشكون من المحاضرات التي يلقيها على مسامعهم اليساريون عن الماركسية والماوية وعن شجبهم للمساعدات الاميركية لاسرائيل واتهامهم بالتجسس (مع ان مثل هذه الشكاوى لم ترد على لسان اي من الصحفيين اليساريين). وذكر عدد قليل من المراسلين انه لم تصادفهم اية مشكلة في الحصول على المعلومات التي يريدونها من المنظمات الفلسطينية ، ولكن ردودهم على الاسئلة الاخرى التي وجهت لهم تدل على انهم ليس فقط لا يعرفون الكثير عن القضية الفلسطينية ولكنهم ايضا يشعرون انه ليس من المهم بالنسبة لهم معرفة المزيد — اي انهم كانوا بشكل عام جاهلين وغير مهتمين . اما بقية المراسلين ، الشرقيين منهم والغربيين ، فلهم آراء مماثلة حول العقبات التي تعترض طريق المراسل في نقل أخبار

القضية الفلسطينية ، ويشعرون ان جميع المنظمات تعاني من الثغرات نفسها . وأكثر ما يزعج المراسلين الاجانب بالنسبة للعالم العربي هو عدم احترام العرب عموما للوقت وسوء تنظيمهم للامور . فبالنسبة لعدم احترام الوقت احتفظ أحد المراسلين الاميركيين ممن له اهتمامات بالاحصاء بسجلات حول مقدار الوقت الذي يستغرقه المراسل في الحصول على الانباء وكتابة المقالات في كل من نيويورك وباريس والشرق الاوسط حيث كان مجال عمله . وقد قال بأن نقل الاخبار في فرنسه يستغرق ضعفي الوقت في الولايات المتحدة،اما كتابة المقالة في الشرق الاوسط فتستغرق ثمانية اضعاف الوقت الذي يستغرقه في الولايات المتحدة. وقد أعرب عدد من مراسلي الصحف الصغيرة عن استيائهم لما سموه « احتكار » مراسلي الوكالات للانباء المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وقالوا انه لا توجه لهم الدعوات عند ادلاء قادة المقاومة بتصريحات هامة . ووصفوا ذلك بأنه يضعف الانتاجية المطلوبة وذلك لانه ليس فقط لدى مراسلي الصحف حيز أكبر بل ورغبة أكثر في توضيح الحدث واعطاء خلفيته من مراسلي الوكالات . وبسبب ذلك ، عليهم ان يتكلوا على مصادرهم الخاصة أو على الوكالة نفسها للحصول على رواية موجزة لهذا التصريح او ذاك مما يدلي به الناطقون الفلسطينيون . ومع ان مراسلي الوكالات يتمكنون من الحصول على الانباء اليومية اسرع من مراسلي الصحف بسبب توجيه الدعوات لهم عند اصدار اي بيان هام ، فان عدم احترام الوقت وسوء التنظيم يسبب لهم مشاكل أقسى لانهم مرتبطون بمواعيد اكثر تحديدا لتسليم تقاريرهم . فلو حدث ان وصل نبأ متأخرا عن ساعة ما ، لا يمكن توزيعه في اليوم التالي ، بل يستفاد منه فقط عند رسم الخلفية في مقالة تكتب في وقت لاحق ، وحتى يرفض بعض المراسلين نقل أنباء فات أوانها . وبالنسبة للاخطاء الناجمة عن سوء التنظيم فهي عديدة . وقد قال عدد من المراسلين الذين يعتبرهم الفلسطينيون موضوعيين انه لا توجه لهم الدعوات وقت الادلاء ببيانات هامة ، فقط لان اسماءهم تسقط سهوا . وقد حدث هذا لمراسل من دولة يسارية وذلك عندما صدر أول بلاغ عن حادثة السفينة « كورال سي » . وطبعا تعتبر مثل هذه الهفوات ، رغم انها غير مقصودة ، مصدر ازعاج للمراسلين علما بأن عليهم نقل الانباء يوما بيوم . ومن المشاكل الاخرى التي يسببها سوء التنظيم عدم التنسيق بين المكاتب . وعلى سبيل المثال ، حدث ان فريقا سينمائيا اميركيا منح اذنا من مكتب احدى المنظمات في بيروت للذهاب الى الاردن وتصوير شريط سينمائي عن مخيمات الفلسطينيين وقواعد الفدائيين ، ولكن مكتب المنظمة نفسها في عمان رفض السماح لهذا الفريق بالوصول الى قواعد هذه المنظمة ، الامر الذي تسبب ليس فقط في اضاعة وقت منتج الفيلم وتبديد أمواله ، ولكن أيضا في حرمان قطاع مهم من حركة المقاومة من الظهور في شريط سينمائي ممتاز لصالح القضية الفلسطينية . وهناك ايضا بعض المشاكل التي تسببها الحكومات العربية التي ترفض التعاون . فقد حدث أن ألغت الحكومتان السورية واللبنانية الرحلات الى مرتفعات الجولان وجنوب لبنان وغيروا رأيهم واحيانا سياستهم في اللحظة الاخيرة . ومع ان حركة المقاومة لا تلام على ذلك ، فمن شأن مثل سوء التنظيم هذا حرمان القضية الفلسطينية من التغطية الصحفية المطلوبة . وقد ذكر المراسلون انهم عانوا ايضا من عدم وجود سياسات متوافقة تجاه المراسلين الاجانب . ومن المشاكل الخطيرة التي لا تزال عالقة الى اليوم منذ بدء حركة المقاومة هي قطع العلاقات مع الصحافة . فعدم الاتصال بالمراسلين يضطرهم في كثير من الاحيان الى استقاء معلوماتهم من مصادر غير رسمية او بواسطة الاتصالات الشخصية . وحتى ان بعض المراسلين يفضلون الاتصال بالعناصر الفدائية بدلا من رجال الاعلام لانهم أكثر رغبة في الافضاء بالمعلومات المطلوبة . ومع ان المقابلات غير المعدة للنشر تكون أكثر اتزانا وتعطي معلومات أفضل ، لا يعرف الكثيرون ما هي المعلومات التي يجب الاحتفاظ بها ، ونتيجة

لذلك يسيئون لحركة المقاومة نتيجة عدم درايتهم . ويفضل بعض المراسلين المصادر الحيادية غير الرسمية على الناطقين الرسميين لان هؤلاء ، كما يقول المراسلون ، وهم تحدوهم الرغبة لتقديم أفضل صورة ممكنة « غالبا ما يخفقون في تقديم الصورة الصحيحة عن الوضع . » وبعد أن اعترف أحد المراسلين بأن المصادر الرسمية كانت في بعض الاحيان ضنينة في تقديم المعلومات قال بأن الزعم بأن الحصول على الانباء في بيروت صعب المنال أمر مبالغ فيه كثيرا ، وقال بصراحة : « ان العرب يحكون كثيرا » . وعلى اي حال ، فان مراسلي الوكالات لا يعتمدون كثيرا على الاتصالات غير الرسمية وذلك لان مهمتهم هي استقاء اخبارهم من البيانات الرسمية ومن المصادر التي يمكن الاعتماد عليها عادة . ومع ان المراسلين من الدول الاشتراكية لم يكونوا راضين دائما عن مكاتب الاعلام الرسمية فانهم نادرا ما كانوا ينقلون اخبارا من مصادر غير رسمية ، واكدوا بأن الحركة الثورية يجب أن تكون متقدمة في كل مجال من مجالات نضالها ، واعربوا عن اعتقادهم الاكيد بوجوب تحسين اعلام المقاومــة وضبطه . وقد قال احد المراسلين الاشتراكيين ان حركة المقاومة بحاجة الى « أفكار ثورية عصرية حقــا » وذلك لان عناصرها يعتقدون انه يجب الاحتفاظ سرا بكل شيء في الثورة كما انهم لا يفقهون ما هي المعلومات التي يجب الافضاء بها . وعزا مراسل آخر موضوع السرية الى الاشتباه المبالغ به بالجواسيس الامر الذي هزأ منه معظم المراسلين وقالوا انه لامر « سخيف ». ويعرب معظم قادة المقاومة عن اعتقادهم الشديد بأن بعض المراسلين والاشخاص ، الذين يدّعون بأنهم يرمون الى جمع المعلومات لكتابة المقالات او الكتب ، يوجهون اسئلة دقيقة جدا واستراتيجية عن قضايا ليست موضع اهتمام القارىء الاجنبي ، اما كأنباء او كنشاط سياسي . وهم يوجهون أسئلتهم بشكل ملحّ ويطلبون معلومات « خاصة » بطريقة توحي للفلسطينيين بأن هؤلاء لا يريدون جمع معلومات لكتابة مقالة عن فلسطين بل لنقلها الى مؤسسة معادية للفلسطينيين . وبالفعل تأكد ذلك من خلال ما قامت به دانا زوهار ، تلميذة الفلسفة ، الاسرائيلية ، التي نجحت في اجراء مقابلات مع عدد من قادة المقاومة بصفتها تعمل كمراسلة لصحيفة « نيويورك تايمز » . وقد نشرت المعلومات التي حصلت عليها ، مع بعض الاضافات من جانبها ، في مجلة « ليليت » التي يصدرها اتحاد طلبة الجامعة العبرية ، كما انها ألقت محاضرات في الولايات المتحدة تسخر فيها من حركة المقاومة(٢). لذا ، يشعر عدد من الفلسطينيين انهم كانوا كرماء جدا في تقديم المعلومات في الماضي مما ترتب عليه كثير من المساوىء لحركة المقاومــة ، الامر الذي يوجب الان ضبط الاعلام أكثر من السابق . وفعلا اعترف احــد المراسلين ان لبعض الصحفيين صلات بالحكومات ويرسلون تقارير عن المنظمات « ربما ليس عن قضايــا استراتيجية ، ولكن بكل تأكيد عن الافراد والمنظمات . » ويعزو أحد المراسلين التمسك بالسرية الى محاولة تنظيم معين تمويه « منظمة هزيلة وغير نشطة . فلو كانت الحركة قوية ، اي شعبية كما يقولون ، يكون من المفيد الاعلان عــن نشاطاتها . والا فانها ستعرف بأي شكل من الاشكال . وعليهم ان يتقبلوا الاخطار المترتبة على ذلك أو أن يكونوا على استعداد لمنع وقوعها . » وتغيير الناطقين الاعلاميين هو ايضا من الامور المزعجة للمراسلين الذين كثيرا ما يعتمدون على علاقاتهم الشخصية مع هؤلاء الناطقين. وتغيير المراكز لا ينجم عنه فحسب اقامة صلات جديدة ولكنــه يؤدي ايضا الى كسر قنوات الاعلام ، مما يجعل الانباء لا تصل الى جميع الصحف ، الامر الذي يحرم المنظمة من التغطية الصحفية الشاملة . وعدم اصدار اول ايضاح للحدث يفقد المنظمة تقديم اول تفسير للقارىء ، وهذا الاسلوب ، اي توضيح الحدث ، اثبت فعاليته في اقناع القراء خاصة بالنسبة للمواضيع القابلة للنقاش . وذكر بعض المراسلين ان من الصعوبات التي يواجهونها الصعوبة في تلقي ايضاحات أو تفسيرات لحدث ما ، أو تلقي ردود غامضة لا

يمكن الاعتماد عليها ونقلها فقط لعدم تواجد الشخص المسؤول . وقد قال أحد المراسلين الاشتراكيين انه لم يتلق ردودا على ثلاثة أرباع أسئلته تقريبا لان الناطقين امـــا انهم رفضوا التعليق او اجابوا بأنهم لا يعرفون او قالوا بأنهم ليسوا مخولين للاجابة على مثل هذه الاسئلة . وبشكل عام يعتقد المراسلون في مثل هذه الحالات ان الناطقين ليسوا متجاوبين ، ليس لاسباب تتعلق بالسياسة العليا للمنظمة ، ولكن لاسباب تتعلق اما بمرتبته الدنيا في المنظمة او ببعده عن الحدث . ومن الصعوبـــات التي تضر بالتغطية الصحفية هي الصعوبة التي يواجهها المراسلون في اجراء مقابلات مع قادة المقاومة خاصة منذ أيلول ١٩٧٠ . فقد ذكر احد المراسلين أنه انتظر ما يزيد على تسعة اشهر للحصول على مقابلة مع « ابو عمار » . وليس فقط ان المراسلين لا يتمكنون من مقابلة المسؤولين الفدائيين ولكنهم يشعرون ان الاجراءات المتبعة لتحديد موعد هذه المقابلات مع كل ما يتضمن ذلك من تقديم الاسئلة قبل اجراء المقابلة تتجاهل ابسط معاني العمل الصحفي اذ انه بعد مرور اسبوع اذا لم تحدث المقابلة، وهذا ما يحدث مرارا ، فان الاسئلة تصبح غير صالحة ، من الناحية الزمنية على الاقل . وخطورة هذه الشكوى بالنسبة للمقاومة هي في عدم امكان الاتصال بقادة المقاومة . وقد قال احد المراسلين : « بعد اكتوبر ١٩٧٠ ظهر ان هناك تغييرا في السياسة — لم يعد هناك اي شخص يرغب في مناقشة اي موضوع — ويظهر انهم لم يكونوا مرتاحين للوضع ، لذا فرضوا قيودا عامة على الاعلام . » ويشعر آخرون ان سبب ذلك هو ازمة في الزعامة بعد أيلول ، فقد قال أحد المراسلين : « بكل بساطة فقد القادة قدرتهم على القيادة والتوجيه — وبكل بساطة لا يدرون ماذا يريدون ان يفعلوا . » وحتى لو كان الضن بالمعلومات ناجما عن « النزول تحت الارض » كما يقول بعض عناصر المقاومة ، ولو اعتبر المراسلون ذلك نوعا من المراوغة ، فانهم سيتحدثون عنه كذلك . وعلى أي حال ، فان معظم المراسلين متفقون بأن الفلسطينيين أفضل « قليلا » من سائر العرب بالنسبة لموقفهم من الاعلام ، وهم « يهتمون » ، كما يقول الصحفيون الغربيون ، « اكثر من العرب الآخرين بما يقوله الغرب عنهم » ، ولكنهم « ليسوا متقدمين ما فيه الكفاية ليعتبروا ثوريين حقيقيين » كما يقول احد المراسلين الاشتراكيين . واعتبر القسم الاكبر من المراسلين ان المسؤولين في الحكومات العربية « غير متعاونين » و« لا فائدة منهم » خاصة بالنسبة لعدم تقديرهم لقيمة الوقت(٢). وكما يقول احد المراسلين الساخطين ، ان « العرب عمومـــا ليسوا منظمين وغير متعاونين ، كما انهم لا يرغبون في المحافظة على المواعيد ولا يتكلمون الا وفقا للخط الرسمي لانهم يخشون ان يعطوا آراءهم الخاصة . » ويعتقد آخرون انه ليس باستطاعة هؤلاء المسؤولين ان يكونوا اكثر تعاونا بسبب السياسة العليا المفروضة عليهم ، ولكنهم في الاحاديث الخاصة يكونون اكثر تعاونا . وبرغم شكاوى المراسلين التي قدموها من اجل تحسين الوضع ، أظهر الكثيرون منهم اهتمامـــا كبيرا في المنطقة ومشاكلها ، واعرب عدد منهم عن عطفهم وتأييدهم للقضية الفلسطينية ، وحتى ان بعض الغربيين كانوا على اقتناع كالاشتراكيين بأن الحل الوحيد للنزاع في الشرق الاوسط هو في تقويض الكيان الاسرائيلي . وحتى لو كان اهتمام المراسل بالمقاومة الفلسطينية باعتبارها قصة شيقة ، يبقى ذلك هو أوفر صلة عملية بين الحـــركة ومناصريها الممكن ايجادهم في العالم الخارجي . وبمحاولة الفلسطينيين حل المشاكل التي تواجه المراسل وتبعده عن الحركة ، يكونون في الوقت نفسه يخدمون قضيتهم ويكسبون مزيدا مـــن الانصار بتحسين تنظيمهم .

دور الصحيفة في تقديم الانباء

ان ما يساعد المراسل على تحديد نوع الانباء أو المقالات التي يبعث بها الى صحيفته او

مجلته او محطة الاذاعة التي يعمل لحسابها هو نظرته لعمله وفهمه لماهية الخبر وكمية المعلومات المتوافرة . وما يؤثر ايضا على تغطية القضية الفلسطينية هو موقف محرري الصحيفة ومالكيها والدور الذي يلعبونه في تقديم الانباء . وهنا تجدر الاشارة الى ان هناك فرقا بين وسائل الاعلام العامة في الشرق وتلك التي في الغرب .

ويشير كتاب **الدليل السياسي وأطلس العالم** الى أن الصحف في معظم الدول الشيوعية هي في الحقيقة اما ملك الحكومة او الحزب الشيوعي او خاضعة لسيطرتهما(٤). اما الصحافة الغربية فانها تعتبر أقل خضوعا لسيطرة الحكومة. ومع ذلك فان تقديم الاخبار « يتأثر » بعدد من العوامل . وكما يقول البروفسور هاروود ل. شيلدس ، استاذ العلوم السياسية في جامعة برينستون ، لاصحاب الصحف ومالكيها « تأثير عميق على محتوى هذه الصحف » في الافتتاحيات ومعالجة الاخبار وتقديمها(٥). وتعتبر الجماعات الضاغطة من العوامل القوية التي تشوه النبأ الحقيقي عن طريق « الاستخدام الزائد للانباء الزائفة والمختلقة »(٦). وللمعلنين كذلك مصلحة مالية في الانباء . ويقول البروفسور شيلدس ان « الصحف ، اكراما للمعلنين ، تمنع نشر الانباء وتفسح المجـال في أعمدة افتتاحياتها للاعلانات »(٧). ومن الاتجاهات الحديثة التي تؤثر على تقديم الاخبار هو ان « رؤساء التحرير يؤكدون كثيرا على تفسير الانباء لكـي يقدموا لقرائهم فهمـا افضل لخلفيات الانباء »(٨). لذا ، فباستثناء تفسيرات رؤساء التحرير والمخبرين ، ومصلحة المعلنين والجماعات الضاغطة والتأثير العميق للمالكين ، يتمتع القراء الغربيون بصحافة حرة وموضوعية . وقد شعر بكل هذه المؤثرات والضغوطات عدد كبير من الكتاب المناصرين للعرب اذ واجهوا صعوبات لا تحصى في نشر مقالاتهم او رسائلهـم او تعليقاتهم في الصحف او المجلات الغربية الحرة ، وخاصة في الولايات المتحدة(٩) .

والآن كيف يتسنى للمراسلين الاجانب الذين يبغون حقا نقل انباء موضوعية ومنصفة في مقالاتهم عن العالم العربي التعامل مع هذه الصعوبـات الهائلة التي تواجهها المهنة الصحفية ؟ انهم وبكل بساطة يرفضون الاعتراف بوجود هذه المؤثرات او بأنها تؤثر على كتاباتهم . ولم يعترف اي مراسل أجنبي ان صحيفتـه قد رفضت او ادخلت بعـض التعديلات على احدى مقالاته او قدمت اية نصائح فيما يتعلق بما يعتقد او لا يعتقد . وقد كانت جميع الردود على السؤال « هل حدث ان رفضت أية مقالة لك ؟ » بالنفي باستثناء واحد . وقد قال ذلك المراسل ان الصحيفة لم تكـن « مهتمة تماما » بالمقالة . وعندما سئلوا ان ادخلت تعديلات على المقالات اجابوا بالنفي كذلك ، مع بعض التعديلات مثل : « أحيانا يتم اختصارها بسبب عدم وجود حيز كاف » ، أو «احيانا تلغى جملة او اثنتان»، الخ ، ولكنهم اعترفوا جميعا بأن التغييرات كانت على الصعيد الفني فقط . وذكر مراسل احدى مجلات الانباء الاميركية ان مقالاته كانت دائما تصاغ من جديد ، ولكن دون اي تحيز مقصود لجانب على آخر . وفقط صرح صحفي واحد من بلد اشتراكي ان ايضاحاته للانباء كانت تصاغ من جديد اذا ما رأت الوكالة انها كانت خاطئة ، ولكن ٩٠ بالمئة منها كانت تنشر كما هي تماما . ولكن بالنسبة للايحاءات او التوجيه من المستخدمين (بكسر الدال) اعترف معظم المراسلين انهم يتلقون احيانا طلبات للحصول على انباء معينة او كتابة مقالات وفق مقترحات معينة ، ولكنهم جميعا اجابوا بالنفي بالنسبة لكلمة «توجيه» التي يعتبرونها بمثابة تعدّ على استقلالهم ونزاهتهم. ولم يقبل سوى اثنين من المراسلين بمناقشة الموضوع بحرية ، اما الباقون فقد اجابوا بسرعة وبايجاز ، ربما لان التلميح بتدخل الصحيفة كان قريبا جدا من الحقيقة . وأحد هؤلاء ، وهو مراسل لاحدى الصحف البريطانية الليبرالية تحدث بحرية عن رؤساء التحرير « عموما » ، وقال بأنه يشعر ان « رؤساء التحرير ربما يتفحصون بدقة المقالات المؤيدة للعرب وربما يرفضون نشر المقالات

المؤيدة للعرب اكثر من تلك المؤيدة لاسرائيل . » وزاد أن مفهوم رؤساء التحرير الغربيين للرأي الموزون اقرب بكثير لوجهة النظر الاسرائيلية من رأي المراسل الاجنبي العادي في الشرق الاوسط . واقترح بأن افضل طريقة لتكييف الرأي الموزون واحداث تحول تدريجي نحو وجهة النظر العربية هو في ان يقوم المراسلون في الشرق الاوسط بالكتابة « عند اقصى حد يمكن أن يسمح به رئيس التحرير بمناصرة العرب . » وهنا لا بد من اثارة نقطة اخرى حول رأي الصحفي في نزاهة مستخدمه (بكسر الدال) ، وهي انه ليس هناك اي انسان ذي ضمير يمكنه ان يرضى بالعمل لحساب مستخدم لا يراعي اصول المهنة ولا يتبنى مواقفها . وفي الوقت نفسه يتحدد مستقبل أي انسان كمراسل ليس فقط بناء على تقاريره وتفسيراته ، بل ايضا بمقدار التزامه بوجهة نظر رئيس تحرير الصحيفة التي يعمل لحسابها . واذا ما طالب باحداث تغيير سريع في الموقف ، يمكن ان يخاطر بمكتسبات التقارير الموضوعية التي نجح في تحقيقها وذلك اما بطرده من عمله ، او بالتغير نحو الاتجاه المعاكس . وليس لدي اية وسيلة لمعرفة مـــا اذا كان المراسلون حقا يعتقدون ان رؤساء التحرير واصحاب الصحف لا يؤثرون على تقديم الاخبار، لمصالح خاصة ، أو انهم يخافون من الاستشهاد بآرائهم . ولكن ان ندرك انه ليس هناك وجود لما يسمى الاستقلال التام للمراسلين ، بصرف النظر عما اذا كانوا يعترفون بذلك او لا يعترفون ، يشكل عنصرا هاما يجب اخذه بعين الاعتبار عند حكمنا على المراسل من خلال ابرازه للقضية الفلسطينية .

الدولة الديمقراطية : من يؤمن بها ؟

ان الهدف النهائي لحركة التحرير الفلسطينية هو اقامة دولة ديمقراطية غير طائفية في فلسطين . وتتفق فصائل الحركة الرئيسية على هذا الهدف على اساس انه الحـــل الانساني الوحيد العادل للمسألة العربية ـــ اليهودية . وتطبيق هذا الهدف يحتاج الى تقويض الكيان الاسرائيلي الحالي واعادة بناء المجتمع والحكومة في فلسطين على الاسس التي كانت قائمة قبل البدء بتنفيذ البرنامج الصهيوني بالاستيلاء على الاراضي والهجرة الجماعية.واذا استمرت الحركة الفلسطينية فيالاعتماد على الصحافة العالمية لحمل أنباء نضالها الى العالم، في هذه الحالة تكون آراء ومعتقداتالمراسلين الاجانب بالنسبة للدولة الديمقراطية ذات اهمية، خاصة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار القيمة التي يضعها المراسلون على تفسيراتهم للانباء.ومن اكثر الامور المثبطة التيتوصلت اليها هذهالدراسة، ما يتعلق بآراء المراسلينحول الدولة الديمقراطية،فجميعالصحفيينالذين تسنى لي مقابلتهممتفقون على انها تشكل افضل برنامج يمكن العمل من أجله، كما انه اكثر الحلول قبولا في الغرب، ولكن لا يشعر اي منهم ان في الامكان تطبيقه ، والكثيرون منهم لم يتناولوه في كتاباتهم ، وتقريبا ثلث الذين قابلتهم يعتبرونه مجرد مبادرة سياسية لا يقبل بها الزعماء الفلسطينيون حقا . وقد اعرب المراسلون عن اعتقادهم انه لا يمكن الدفاع عن هذا الشعار لانه لم يحظ بتأييد جميع الفرقاء المعنيين ، فهم يشعرون ، اولا ، أن الفلسطينيين منقسمون حوله وان بعض الفلسطينيين الذين ذاقوا المرارة بعد ما يزيد عن العشرين سنة مـــن التشريد لن يقبلوا التعايش بوئام مع المواطنين الذين كانوا اسرائيليين في السابق. وكذلك فان الحكومات العربية ، وبشكل خاص الاردن ، تعارضه لانه يفترض بشكل مسبق وجود حركة فلسطينية شعبية يمكن ان تغري الشعوب العربية الاخرى للاقتداء بها . والاهم من ذلك هو المعارضة القوية التي تبديها الحكومة الاسرائيلية والتي تعتبر ان ذلك ليس سوى برنامج آخر للحصول على البلاد ، والتي باتت ايضا تخشى من التأييد الذي يناله هذا الشعار من قبل اليسار الاسرائيلي . ويشعر معظم المراسلين ان الاسرائيليين لن يتخلوا عن دولتهم اليهودية من اجل اقامة دولة غير طائفية حتى لو كان ذلك يعني

السلام مع الدول العربية الاخرى . وقد اشار عدد من المراسلين الى المرارة التي يشعر بها الجانبان والتي تراكمت بعد عدة حروب منذ ١٩٤٨ واعربوا عن شكهم بامكانية تعايش الشعبين في سلام ، وقالوا ان هذا الحل جاء في وقت متأخر فقد كان يجب ان يقدم في ١٩٤٨ وليس ١٩٦٨ . وقال عدد من المراسلين انهم لم يتناولوا موضوع الدولة الديمقراطية في مقالاتهم لانه لا يزال غامضا ولان دعاته لم يوضحوه بما فيه الكفاية كما لم يقدموه للصحافة بشكل محدد وواضح ، وكذلك فان توقيته والاعلان عنه لم يكونا في الطريقة الصحيحة . وقال قلة منهم انه لم تقدم لهم اية صيغة رسمية ، لذلك اعتبروه غير رسمي . وشعروا ان الموضوع بحاجة ، بشكل خاص ، الى مزيد من التفاصيل حول الطريقة التي يريد الفلسطينيون تنفيذه بها . وقال مراسل بريطاني : « حتى انهم لم يوضحوا كيف سيقوضون الكيان الاسرائيلي ، فكيف سيقيمون دولة ديمقراطية جديدة ؟ » وعند مناقشة مسألة التنفيذ مع مراسل يمثل وكالة انباء تابعة لدولة اشتراكية اثار هذا المراسل مسألة اساليب العنف او السلم التي ستتبع . وقد أعرب عن شعوره أن كلا الاسلوبين غير ممكن التطبيق ، لان العنف يتطلب ان يكون الفلسطينيون او مصر او سوريه قوية لدرجة يستطيعون معها هزيمة اسرائيل وفرض الدولة الديمقراطية (وهذا برأيه يناقض طبيعة الدولة في ازالة علاقة المضطهد (بفتح الهاء) ـ المضطهد (بكسر الهاء) القائمة حاليا) ، او ثورة شاملة داخل اسرائيل وخارجها الامر الذي لا يعتبر واقعيا في المدى القريب . وكذلك فان الاسلوب السلمي ، اي اجراء استفتاء بين الفلسطينيين والاسرائيليين في فلسطين وخارجها تعترضه عقبات كثيرة . واكثر ملاحظة لاذعة حول التطبيق اثارها مراسل شيوعي آخر عندما قال ان الوحدة الوطنية الفلسطينية هي أخطر مشكلة تواجه الحركة الفلسطينية . وزاد « بأنه اذا لم يكن باستطاعتهم توحيد صفوفهم للدفاع عن انفسهم في وجه خصم مشترك كالنظام الاردني ، فكيف بامكانهم الاتفاق على اقامة دولة وادارتها ؟ » .

وقال احد المراسلين الكنديين : في التحليل النهائي ، فان الموقف الثقافي الغربي من التنظيم يدفع المراسلين الى تفضيل أنظمة قائمة فعلا على انظمة جديدة لم تحدد وتنظم بوضوح . ومع ان الدولة الديمقراطية الفلسطينية سوف تكون أفضل سبيل نحو سلام عالمي دائم فان الغرب لا يزال يفضل دولة اسرائيل القائمة فعلا .

مسألة ثقة

ويمثل القسم السابق حول الدولة الديمقراطية أخطر مشكلة قائمة في الوقت الحاضر بين المراسلين الاجانب وحركة المقاومة الفلسطينية ، الا وهي الثقة . فبكل بساطة لا يصدق معظم المراسلين الاجانب الذين قابلتهم كل ما يصدر عن حركة المقاومة من بيانات وتصريحات . وقال عدد منهم انهم اعتادوا على نقل أقوال الطرفين ولكنهم الان يهملونها ما لم يؤيدوا تقاريرهم ببيان او عمل اسرائيليين . ولان معظم المراسلين يشعرون ان واجبهم هو نقل الاخبار وتفسيرها يرفضون ان ينقلوا اخبارا يعتقدون انها غير صحيحة. وقد وصفوا البلاغات العسكرية الصادرة عن المنظمات الفدائية بأنها «مبالغات مذهلة » ، و« ادعاءات متفائلة جدا » و« سخافات » و« خيالات فيها خيط رفيع من الحقيقة » و« غير قابلة للتصديق » ، وكان جميع الصحفيين على اتفاق بأن هذه البلاغات ليست فقط عديمة الفعالية ولكنها ايضا مدمرة بالنسبة لحركة المقاومة اذ تسبب لها ضررا اكثر مما تنفعها . واذا كانت هذه البلاغات تحقق اهدافها على صعيد الجماهير الفلسطينية ، فانها لا تجد سوى آذانا صماء على الصعيد الدولي وذلك لانها نادرا ، ان حدث ذلك ، ما تتخطى حدود بيروت . وأحد الاسباب التي ذكرت مرارا لعدم تصديق هذه البلاغات هو ان الصحف الاسرائيلية لم تورد شيئا عنها ، مع ان قلة من المراسلين

اتهموا اسرائيل باغفال بعض الانباء احيانا . وقد اعطى احد الصحفيين مثالا على ذلك التسلل الاسرائيلي داخل الاراضي الاردنية جنوبي البحر الميت في ٢٠ يناير ١٩٧٠ . ومع ان القوات الاسرائيلية خاضت معركة في الاردن استغرقت ٢٤ ساعة مع القوات الاردنية والسعودية والفدائية بالاسلحة الثقيلة بما في ذلك ٢٠ دبابة ، فان اسرائيل نفت اشتراك القوات الاردنية والسعودية وزعمت انها لم تتكبد اية اصابات مع « اننا كنا نشاهدهم وهم يجرون دباباتهم وضحاياهم عبر الحدود » ، كما قال مراسل اميركي(١٠). وفي محاولة لتقييم البيانات الفلسطينية والاسرائيلية قام احد المراسلين بمقارنة عمليات فتح في احد الاشهر كما نشرتها صحيفة « فتح » مع ما ورد في الصحف الاسرائيلية عن هذه العمليات خلال ذلك الشهر فوجد « فروقات هائلة » في عدد العمليات والاصابات . ولان عدد ضحايا حوادث السيارات في اسرائيل ازداد كثيرا في السنوات القليلة الماضية (اصبح عدد السيارات اربعة اضعاف ما بين ١٩٦١ و١٩٦٩) ، يظن بعض المراقبين ان بعض ضحايا حوادث الحرب (فقط ١٤٧ شخص من كل ١٠٠ الف مواطن) قد شملتهم ارقام حوادث السيارات (١٣٤٢ شخص من كل ١٠٠ الف مواطن في ١٩٦٨)(١١). وعندما ذكرت هذه النظرية لاحد المراسلين ، اعترف بامكانية حجب اسرائيل للمعلومات ، ولكنه قال انه لم يخطر له ذلك ، وزاد : « يرجع الامر كله الى ما يعتقده المرء » ، وانه بسبب صغر حجم اسرائيل، وكون شعبها « ثرثار » وجميع المراسلين الذين يقيمون في اسرائيل غير متعاطفين معها ، من الصعب تغطية جميع خسائر الاسرائيليين . ولكن باعتراف المصادر الاسرائيلية نفسها ، تمارس السلطات الاسرائيلية رقابة مشددة على الانباء التي يرسلها المراسلون الى خارجها . وقالت صحيفة « جروسالم بوست » انه يجب « اعتماد مزيد من الحيطة » في الانباء المتعلقة بالامور العسكرية وان ما يعتبره المراسلون في اسرائيل «أكثر اغاظة ليس سوى قرارات تتخذ على أعلى المستويات لحجب او مراقبة الانباء التي تكون قد انتشرت في الخارج ، أو محاولات لمد الرقابة العسكرية الى القضايا السياسية . ومن الامثلة على ذلك اسقاط الطيارين السوفيات فوق مصر ، وانباء آخر اجتماع عقده ييجال ألون ، نائب رئيسة الوزراء مع الملك حسين ... وضرب الباخرة كورال سي »(١٢). وأحد العوامل الاخرى التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند الحكم على مدى الثقة بالفلسطينيين باعتماد البيانات الاعلامية التي تصدرها اسرائيل هو انه منذ البداية ، كان جزء من الاستراتيجية التي وضعها مؤسسو دولة اسرائيل تجاهل « الشعب الاصلي » واستبعاد عرب فلسطين من مخططاتهم . وقد شاركت دول غربية اخرى ، اما لمساعدة الاسرائيليين عن قصد او لان الدعاوة الصهيونيـــة قد ضللتها ، في جريمة مساعدة الصهيونيين عن طريق تجاهل الشخصية الفلسطينية . فالبريطانيون، في وعد بلفور ، وصفوا الـــ ٩١ بالمئة من اهالي فلسطين ، بأنهم « الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين » . والتقرير المقدم الى مؤتمر السلام من لجنة كينج ــ كرين التي اوفدها الرئيس ويلسن الى فلسطين في ١٩١٩ ، يستخدم تعبيرا مشابها عندما يشير الى معارضة « الاهالي غير اليهود في فلسطين وسوريه ». والاعلان الذي أصدره الكونجرس الاميركي في ١٩٢٢ ويؤيد فيه اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يدل على ان النواب والشيوخ لم ينسوا مواطنيهم عندما أشاروا الى حقوق « المسيحيـــين والطوائف غير اليهودية الاخرى في فلسطين » . وحتى ١٩٦٩ ظل الزعماء الاسرائيليون متمسكين في موقفهم المتجاهل لوجود الشخصية الفلسطينية ، وقد تمثل ذلك في العبارات المشهورة التالية : « أي عرب ؟ ليس لهم بالكاد أي اثر » و« أي فلسطينيين ؟ انهــم لم يوجدوا ابدا » . ولكن اسرائيل اضطرت الى الاعتراف بحركة المقاومة الفلسطينية عندمـــا تصاعدت هجماتها في قلب اسرائيل الى درجة لا تطاق . ومع ان يوسف تكواه ، رئيس وفد اسرائيل لدى الامم المتحدة ، يعترف بوجود الفلسطينيين الا انه ينكر ان لهم شخصية

ذاتية . ففي رسالة احتجاج بعث بها الى رئيس مجلس الامن ، ينحى فيها باللائمة على مصر لوجود «منظمات المقاومة التي هي في الحقيقة من صنع القاهرة ومن توجيهها »(١٣). وحتى ديسمبر ١٩٦٩ استمرت رئيسة الحكومة الاسرائيلية بسياسة التقليل من أهمية الفلسطينيين . وقالت صحيفة «جويش كرونيكل» : (في رد جولدا مئير على أولئك الذين يطالبون بالاعتراف « بالشخصية الفلسطينية » قالت ان هذا «صداع غير ضروري»)(١٤). وقد استمرت الرقابة في اتباع هذه السياسة في الاشهر التي سبقت هجمة أيلول ١٩٧٠ في الاردن . وتقيدا « بتعليمات رئيسة الحكومة بأن على وزراء حكومتها الاحجام عن اعطاء اي تعليق على التطورات في الاردن ... » منعت الرقابة اذاعة مقتطفات من مقابلة على شاشة التلفزيون مع عيزر وايزمن ، قائد السلاح الجوي الاسرائيلي ، ووزير المواصلات الاسرائيلي السابق ، وذلك « بأمر من جولدا مئير ... في الاسبوع الفائت . اما الاجزاء التي قطعت فكانت الردود التي اعطاها وايزمن على الاسئلة المتعلقة بردود الفعل في اسرائيل ازاء سيطرة الارهابيين الفلسطينيين على الحكم في الاردن ، أو تدخل القوات العراقية المرابطة هناك »(١٥). وفي اعقاب الانباء التي تواترت عن الفدائيين الذين عبروا نهر الاردن الى الضفة الغربية في تموز ١٩٧١ هربا من ملاحقة الجيش الاردني ، صدر عن اسرائيل مثل آخر ينزع الثقة عن الحركة الفلسطينية بشكل يجافي الحقائق وابسط مبادىء المنطق . ويجدر الاقتباس هنا بشكل مطول : « الحقيقة هي ، بالطبع ، ان الحركة الارهابية لم تكن ابدا كبيرة او قوية على شكل ابطال الصحـــراء الملثمين الذين خلقهم العالم الغربي في حنينه الـــى بوادي الشرق الاوسط الشاسعة ، وهذه خرافة شعبية جدا في انجلتره والى حد ما في فرنسه والمانيه ، وأقل من ذلك في الولايات المتحدة . ففي حين ظهر ياسر عرفات على غلاف مجلة « تايم » كالزعيم الاول للكفاح في هذا الجزء من العالم ... كان الملك حسين مدركا منذ زمن طويل انه لم يكن في الحقيقة باستطاعة هذه القوات الارهابية ان تشكل اي تهديد عسكري لاسرائيل »(١٦). والتقليل من اهمية الغارات الفدائية في الاراضي التي تحتلها اسرائيل وحتى التجاهل اذا كان ذلك ممكنا يتفق والسياسة الاسرائيلية في اخفاء البينات بأن هذا « الشعب غير الموجود » منظم ونشط سياسيا وعسكريا ويعمل لاستعادة بلاده . ولم تنجح استراتيجية الحكومة فقط في السيطرة على الخوف في اسرائيل ومنع العالم مـــن الاعتقاد انه يجب اشراك الفلسطينيين في اية مفاوضات للتسوية السلمية بل ساهمت ايضا في خلق مشكلة الثقة التي تعاني منها الحركة . والاثبات ان اسرائيل تحجب المعلومات المتعلقـــة بهجمات الفدائيين وموت جنودها لا يعني ، بالطبع ، ان البلاغات العسكرية الفدائية تخلو من المبالغة او حتى الاختلاق ، ولكنه يزيد مـــن احتمال كون الحوادث التي لا تعلن عنهـــا اسرائيل قد حدثت فعلا . اما الثغرات الاخرى الموجودة في بيانات المقاومة والتي تضعف الثقة بها فيمكن تصحيحها عن طريق الحركة نفسها . ويقول عدد مـــن المراسلين ان البلاغات العسكرية نادرا ما تشتمل على اي دليل على العملية ، فانها تخلو من صور المعدات الاسرائيلية او الجنود الاسرائيليين القتلى ، كما انها لا تشير الى عدد الاسرى او القتلى او الجرحى والوقت الذي تمت فيه العملية ، الخ . وقد أعرب أحد المراسلين عن شكه في ان يكون ابو عمار هو الذي قاد المعركة ضد القوات الاسرائيلية في جنوب لبنان في ١٠ آب ١٩٧١ ، لانه لم يتم عقد اي مؤتمر صحفي لشرح الهجوم . وقد أحس بأنه اذا كان القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية هو الذي قاد المعركة بالفعل فان الامر يستحق جهدا اعلاميا اكثر من مجرد بلاغ عسكري . وفي حروب العصابات ، على أي حال ، يعترف معظم المراسلين بأنه من الصعب جدا الحصول على اعداد مضبوطة للقتلى أو على صور أو اية بينات أخرى ، وان عدم التنظيم والتخصص تسببا في عدم الدقة في البيانات الصادرة عن هذه العمليات . ومن الامور التي تجعل المراسلين أقل تصديقا

للبلاغات اللغة المبتذلة التي تكتب بها . فقد استخدمت البيانات التي تصف القتال في الاردن بعض التعابير مثل « قتال يدا بيد » ، والذي وصفه مراسل احدى الوكالات بأنه « سلام بالايدي » ، وقال عن احداث تموز ١٩٧١ ان « اي شخص كان هناك لم يكن يرى سوى عدد قليل من الصواريخ من هنا وهناك » . والتعابير العامة مثل « وقتل وجرح عدد من الاسرائيليين » و« تكبد العدو خسائر فادحة » و« عـــاد جميع الفدائيين الى قواعدهم سالمين » تتكرر باستمرار لدرجة ان مراسل احدى الاذاعات قال « انها تبدو كالدمى الناطقة » . وذكر عدد من المراسلين ان مكاتب المنظمـــة الواحدة في بيروت وسوريه والاردن كثيرا ما كانت تورد حقائق متباينة عن العملية نفسها مما يهز الثقة بما يقوله كل مكتب . ومن العوامل الرئيسية الاخرى في زعزعة الثقةكانت نسبة العملية ذاتها لاكثر من منظمة ربما بسبب التنافس بين المنظمات المختلفة . وحول اعادة الثقة مع الصحافة والرأي العام قدم مراسلان من بلدين ليس بينهما علاقات ديبلوماسية منذ عشر سنوات بسبب اختلاف الآراء السياسية النصيحة ذاتها تقريبا وهي ان « افضل وسيلة للتوجه الى الغرب اعلاميا هي في الحقائق وليس الكلمات » و« تعلقوا بالحقيقة وبالحوادث التي يمكن اثباتها ولها استراتيجية تهدف الى ارغام الطرف الآخـــر على الاعتراف بالحقيقة » .

آراء المراسلين : ما مدى أهميتها ؟

من العوامل الهامة التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند معالجة قضية الصحافة هي ان مواقف المراسل ومعتقداته تلعب دورا حاسما في تقاريره . ودقة البلاغ العسكري أو الامانة في عرض فكرة الدولة الديمقراطية لا تحدد ما اذا كانت الانباء ستتحدث عنها ، اذ ان العنصر الذي يحدد ذلك هو مدى اعتقاد المراسل بأنها صحيحة وممكنة التنفيذ وهامة . لذلك يجب توجيه الجهود لاعادة الثقة ليس فقط نحو عرض افضل للحقائق ولكن أيضا في التعامل مع معتقدات المراسلين ومحاولة استعادة ثقتهم . ويمكن تحقيق ذلك باتباع الطريقتين التاليتين في الوقت نفســـه . المخطط الاول يهدف الى تدمير الثقـــة الاسرائيلية عن طريق جمع المعلومات بأن اسرائيل في الحقيقة تخضع الانباء السياسية والعسكرية للمراقبة وتمنع الصحفيين من التواجد في بعض المناطق التي لا تعتبر حساسة بالنسبة لامن الدولة ، كما حدث ابان معركة الكـــرامة ، وفي ٢٢ آذار ١٩٦٨ نشرت « جروسالم بوست » ثلاث مقالات مطولة عن معركة الكرامة داخل الاردن وكانت كلها تشكل المصدر الذي استقى منه المسؤولون الاسرائيليون معلوماتهم ، كما جرت العادة في الانباء المتعلقة بالعرب . وقد حملت هذه المقالات العناوين التالية : « اسرائيل تقضي على قواعد فتح في الاردن » ، « حرب اليوم الواحد » و« أهداف صريحة تحققت : يقول بارليف » ، وفي زاوية من احدى الصفحات الداخلية هناك خبر صغير بالكاد يلاحظ يحمل العنوان التالي : (يكتبون عن « الحرب ») ويقول : « لقد تم امس نقل ستين صحفيا يمثلون الصحف العالمية ومحطات الاذاعة والتلفزيون الى أريحا ، ومن ثم اعيدوا منها . وقد انطلقت سيارتا الباص اللتان كانتا تحملان هؤلاء الصحفيين ، الاولى من القدس والثانية من تل أبيب ، في وقت متأخر كما وصلتا الى غير المكان المقصود واستمع ركابهما الى تقرير من غير الشخص المسؤول . . . فقد قدم ضابط التعليم في القيادةالوسطى تقريرا بلغتين سرعان ما انتهى،وظهر انه نفسهلم يكن على علم بكل ما يجري كما انه كانمتحفظا بالنسبة للمعلومات التي لديه » . ويقول الكاتب انهم من المنطقة التي اخذوا اليها تمكنوا فقط من رؤية دخان ضئيل على مسافة بعيدة . ومضى يقول : « حاول بعض الصحفيين المحليين ، بمبادرة ذاتية منهم ، الوصول الى مسرح العمليات الحقيقي ، ولكن وحدات الامن أرسلتهم الى المؤخرة » . وبصرف النظر عما اذا كانت مثل هذه الحوادث وقعت

صدفة او عن تصميم مسبق ، فان جمع أمثلة كافية عن تعامل اسرائيل مع الصحفيين والمراقبة يمكننا من صياغة وجهة نظر قوية ضد الثقة باسرائيل . ولكن افضل سبيل لاعادة الثقة بين المقاومة والمراسلين الاجانب ليس فقط في تقديم معلومات صادقة بل ايضا تعيين ناطق مصداق. واختيار الرجل الذي يتمتع بالصفات التي يراها المراسلون انفسهم ضرورية يزيد الثقة بهم وذلكطبقا لدراسات في علم النفس الاجتماعي حول الدعاوة والاقناع : « المهم بالنسبة لمثل هذه المعلومات التي تنقل اجتماعيا هو ان يقيّم الموضوع (أي المراسل) ليس فقط المعلومات التي يبثها المصدر (أي الناطق) بل المصدر نفسه كذلك . والاهم من ذلك ايضا . . . يؤثر تقييم المصدر على تقييم الرسالة المقنعة ومن هنا يؤثر على احتمال تغيير الموقف »(١٧). لذلك فان الصفات التي يتمتع بها الناطق ذات اهمية في تحديد ما اذا كان المراسل سيصدق ما يقوله ، وبالتالي يكتب لمصلحة المعلومات التي تلقاها من الناطق . وقد اشار معظم المراسلين الى أن الناطقين الفلسطينيين يجب ان يكونوا من الشخصيات النافذة التي على اطلاع بالخطط والوسائل والنشاطات التي تقوم بها الحركة ، كما ان عمل الناطق ومركزه في المنظمة يجب ان يكون بمثابة وزيـــر الاعلام . وعليه ان يتمتع بثقة واحترام الآخرين في الحركة ، ومن خلال اتصالاته مع الصحافة الاجنبية يعتاد عليه الرأي العام العالمي مما يجعـــل التغذية الاسترجاعية للمنظمة اكثر دقة . ومن شأن مثل هذه الصفات في الناطق أن تساعد في خلق الثقة وتغيير المواقف في اتجاه المقاومة ، وهناك مبدأ مثبت جداً في علم النفس يقول أن التغيير في الرأي في الاتجاه المرغوب يكون اكثر لو كان المتصل يتمتع بثقة عالية مما لو كان يتمتع بدرجة أدنى من الثقة ، وبعض العوامل التي تحدد مستوى الثقة هي : الاعتبار والتخصص والصدق(١٨). ومن المقترحات الاخرى التي قدمها المراسلون الغربيون ويبررهـــا علم النفس هي ان على الناطق الفلسطيني ان يكون متفهمـــا للغرب وانظمته وشعوبـــه وصحافته . وان الفرد الذي يدرك ان عمل المراسل يتطلب منه البحث عـــن الحقائق والذي لا يشتبه بالجواسيس لدرجة انه لا يفضي حتى بمعلومات عامة يخفف بعضا من المشاكل التي يواجهها المراسل . ويكون بذلك كالانسان الذي يفهم الفعالية والتنظيم واحترام الوقت وغيرها من الامور التي اعتاد عليهـــا الغربيون . ويفضل عدد مـــن المراسلين ، وخاصة مراسلي الاذاعة والتلفزيون الرجل الذي يتقن التحدث بالانجليزية والفرنسية ، فالمستوى الثقافي المتقدم وفهم اللغة من شأنهما ازالة الرهبة التي قد يشعر بها المراسلون عندما تكون الاسلحة أمامهم على المناضد ، وكذلك الاثارات التي يحسون بها عندما يشجب الناطقون اعمال حكوماتهم ، وايضا سوء التفاهم الذي عادة ما يحدث بسبب الاخطاء في الترجمة الناجمة عن اختلاف اللغة . فالدراسات أثبتت ان الناس يقتنعون اكثر بما يقوله انسان يشعرون انه قريب منهم ، خاصة اذا كان في الاساس يعرض آراء يشاركه فيها مستمعوه . لذا فان حركة المقاومة يمكنها خدمة قضيتها بتقديم ناطقين مثقفين ثقافة غربية ، هذا اذا ما أرادوا لاجهزة الاعلام العامـــة في الغرب ان تتحدث عن هذه القضية . واشار المراسلون الاجانب من الدول الثورية الى جهل كبير لدى الثوريين العرب بما يجري في العالم الشيوعي ، فعلى سبيل المثال ، سئل مراسل كوبي ان كان شعب كوبه يتكلم بالفرنسية . واما الاقتراح الثالث الذي قدمه المراسلون فهو أن يكون للناطقين علاقات مع هيئات الاعلام الفلسطينية الاخرى مثـــل جمعية الخامس من حزيران ولجنة السيدات العربيات للاعلام ومع مراكز الابحاث مثل مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية وذلك لكي يتمكنوا مـــن ارشاد المراسلين الذين يهتمون بمعلومات عن خلفيات الانبـــاء لمقالاتهم . وهذا يكون لصالح الحركة وذلك مع ان الاعلام بحد ذاته لا يغير الاتجاهات تقريبا ، فان المعلومات الجديدة والمقبولة من شأنها ان تدعم الآراء التي يتبناها الناس . وهنا لا بد ان نلاحظ ان الاخذ

بهذه المقترحات عند اختيار الناطقين ليس من شانه فحسب تحسين الثقة بحركة المقاومة عن طريق جعل مصدر الاخبار اكثر تصديقا ، بل ايضا ، عن طريق ارضاء رغبات المراسلين ، والدفع في اتجاه اقامة علاقات شخصية افضل مع أهم حلقة اعلامية للمقاومة مع العالم الخارجي بشرقه وغربه . ومن المقترحات الهامة التي قدمها عمليا جميع المراسلين واحد يشير الى ثغرة رئيسية اخرى في حركة المقاومة ، ليس فقط في الاعلام بل ايضا في التنظيم كذلك ، وهو الوحدة . فقد اقترح المراسلون ان تتفق جميع فصائل المقاومة على تعيين ناطق واحد « يمثل جميع المنظمات تمثيلا صحيحا » ، وان يتم انشاء مكتب اعلامي مركزي لاصدار المعلومات وترجمة البيانات وتقديم تقارير موجزة عن الانباء للمراسلين . واوضح احد المراسلين ان انشاء وكالة على نسق ما فعلته الثورة الجزائرية من شأنه ان يساعد المراسلين كثيرا في نقل الانباء عن حركة المقاومة . ومن الفوائد الجلية التي يمكن لحركة المقاومة ان تجنيها من وراء اقامة مكتب مركزي هي تنظيم الاعلام بعناية وتخفيف سوء التفاهم بين المنظمات وتنافسها من اجل الاهتمام الصحفي . وعن طريق تقريب الفروقات بين المنظمات والتركيز على نقاط الالتقاء فيما بينها يمكن ايضا المساعدة في مجابهة بعض الصحفيين المعادين والاسرائيليين الذين يحاولون ابراز الفروقات بين مختلف المنظمات .

وسائل الاعلام العامة والرأي العام

لا اعتقد ان هناك الكثير من الناس الذين يجرؤون على الادعاء بان ليس للراي العام في الدول الراسخة والمتطورة دور هام في اختيار القادة وتحديد السياسة ووضع الاهداف . فالراي العام تمكن من ارغام الملوك على الغاء مراسيمهم والرؤساء على سحب قواتهم من اراضي الدول الاخرى والزعماء الثوريين على مراجعة اعمالهم واساليبهم . وكثيرون هم السياسيون الذين اصبحوا شعبيين فقط لانهم فهموا الرأي العام وجعلوا أنفسهم يظهرون كالزعماء عن طريق السير وفق أهواء الجماهير ورغباتها. وقد عزا احد المحاضرين الاسرائيليين في دائرة العلوم السياسية بجامعة تل ابيب السبب الذي جعل حزب العمال يتسلم القيادة في اسرائيل الى هذا النوع من الانتهازية ، فقد قال : « من اسرار نجاح النخبة المسيطرة في حزب العمال الحاكم هو تفهمهم للآراء المختلفة بين الجماهير وادراكهم ما هي المواضيع التي يمكن طرحها في الساحة السياسية وما هي المواضيع التي يمكن تأجيلها »(١٩). وكثير من الكتب التي تتحدث عن الصحافة تركز على أهمية وسائل الاعلام العامة في خلق راي عام وتوجيهه . فمثلا : الكتاب الذي يدرّس في دائرة الصحافة في الجامعة الاميركية في بيروت يقول : « تستطيع الصحافة وغالبا ما تؤثر على مجرى الاحداث التي ينقلها المراسلون وذلك لانها توجه نظر الرأي العام الى البؤرة واحيانا تخلق هذه البؤرة » . ومن المعروف ان الصحفيين انفسهم يلعبون دورا هائلا في التأثير على الاحداث : « في هذه الايام من الاتصال العام الآني تقريبا يمكن اعتبار مهمة رجال الاعلام العام اكثر من مجرد تسجيل للتاريخ ، انهم يساعدون على صياغته ، ولا شك انها لمسؤولية مثيرة »(٢٠). وفي توضيح بعض المراسلين للسبب الذي لم تعاملهم المقاومة فيه معاملة ودية ، اعربوا عن اعتقادهم ان الفلسطينيين اما انهم لا يدركون قيمة العلاقات العامة الناجحة ، ولا يستطيعون توظيف الدعاوة للحصول على افضل النتائج ، او انهم لا يفقهون ما قد يجنوه عن طريق الاعلام . وقال احد المراسلين الاميركيين : « لقد اثبت العرب دائما انهم أسوأ اعداء لانفسهم في مجال الاعلام » . واشار الصحفيون الى ان عدم وجود سياسة موحدة وعدم الاهتمام بالتنظيم والوقت ، وعدم توافر الناطقين والمسؤولين يدل على ان الفلسطينيين لا يعملون على الاستفادة من رجال الصحافة الاجنبية على افضل وجه . ومع ان الفلسطينيين قد

عبروا عن ادراكهم لقيمة الاعلام بالنسبة للحركة الثورية لمساعدتها في تعبئة الجماهير وحشدها وتقديم حقائق النضال للقواعد وتثقيف الكوادر المعبئة ، يظهر عدم وجود نوع من المتابعة ان لم يكن عدم فهم للوسائل والطرق التي يمكن من خلالها كسب الانصار في الصحف ، وخاصة منذ اكتوبر ١٩٧٠ . وبالامكان الاستخدام بفعالية اكثر بعض المبادىء الرئيسية لفن الاقناع وتغيير المواقف ، ليس في اختيار الناطقين فحسب ولكن في تقديم الانباء كذلك . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، على الشخص الذي يعمل لكسب الانصار ان يعرف : (١) متى يستخدم الخوف والمناشدة العاطفية ومتى يستخدم المناقشات العقلانية ، (٢) متى يقدم الاستنتاجات بصراحة ومتى يترك ذلك للجمهور ، (٣) كيف يستخدم الآراء التي تدعم رأيه سلبا او ايجابا خلال محاولته اقناع الاخرين برأي ما ، (٤) متى عليه ان يعرض وجهتي النظر في موضوع ما ومتى يعرض وجهة نظر واحدة ، (٥) بأي ترتيب يجب عرض وجهة النظر ، (٦) كيف يمكن للشخصية والمستوى الثقافي ان يؤثرا على المستمعين . وهناك اسلوب لكسب الانصار تؤكد عليه منظمات اميركية عدة بما في ذلك الفهود السود والمتظاهرون من اجل السلم والطلبة في الجامعات ، وقد اتبع هذا الاسلوب في السابق ولكنه توقف عمليا بعد اكتوبر ١٩٧٠ ، وهو دعوة الهيئات المختلفة والاشخاص الى زيارة المخيمات والقواعد واجراء مناقشات عامة عوضا عن المقابلات والمؤتمرات الصحفية . ومن شأن هذا الاسلوب ليس فقط زيادة احتمال تغيير الآراء لانه يجعـــل المستمعين مشتركين شخصيا ، ولكن التأثير الدائم للتغيـــير يكون اكبر(٢١) . وعلى أي حال ، هناك سؤال هام لا بد من طرحه وهو : هل حقا باستطاعة الاعلام العام ان يغير الرأي العام ، وهل باستطاعة نقل الاخبـــار المؤيدة لوجهة نظر الفلسطينيين كسب انصار جدد لحركة المقاومة الفلسطينية ، وهل الاشخاص الذين يؤيدون القضية الفلسطينية كلاميا على استعداد للعمل من اجل تحرير فلسطين ؟ ولما كان الكثير من الدراسات يشير الى ان القراء يميلون الى قراءة ما يتفق مع آرائهم ، ما هو التغيير الذي يمكن ان تحدثه المقالات المؤيدة للعرب علما بأن الذي يؤيد الصهيونية يتجاهل المقالات المؤيدة للعرب عند قراءته للصحف الغربية ؟ في الحقيقة ، يمكن رفض الرسالة التي تتحدى معتقدات القارىء وقيمه ، كما يمكـــن اساءة تفسيرها او حتى تشويهها . والاسوأ من ذلك هو ان الشخص الذي تخضع معتقداته حول موضوع ما لضغوط معينة يفضل قراءة الرسائل التي تعزز وجهة نظره ، لذا فان المقالات التي تؤيد العرب بقوة يمكن ان تعطي مفعولا عكسيا(٢٢) . ويعتقد كثيرون من علماء النفس ان رجال الاعلام العام عملوا على تضخيم قضيتهم ، ويقولون : « للصحافة قوة سلبية ــ لدغدغة ، وارهاب ، واثارة ، وتسلية وتحقير وازعاج وحتى ارغام الفرد على الانسلاخ عن مجتمعه او عمله . ولكن بالنسبة للقوة الايجابية التي تدّعيها والتي يحلم بها ملوك الصحافة ــ التسبب في الحروب ، قلب الحكومات ، تغيير مجرى الانتخابات ، ايقاف حرب معينة أو التسبب في قيام ثورة ما ــ فليس هناك بينة ملموسة على نجاحهم في ذلك»(٢٣) . ولسوف يقول كثير من المسؤولين عن الاعلام في الدول العربية أن الدعاوة الصهيونية هي المسؤولة عن وصول اسرائيل الى حيث هي الآن ، وان ضعف العربي في مجال الصحافة هو بمثابة مقتله . ولكن اية نتائج كان باستطاعة الدعاوة الصهيونية ان تحقق بدون القوة السياسية والاقتصادية التي تساندها ؟ وهل كانت النداءات العاطفية المستمرة من اجل اليهود في المانيه تطبع في الصحف لان المقالات كانت تعتمد على الحقائق والبحث الدقيق ومكتوبة بطريقة صحيحة ، أو لان لليهود قضية عادلـــة ؟ ليس هناك أي رئيس تحـــرير على استعداد لفتح صفحات جريدته لمثل هذه المقالات المكررة عن شعب معذب ومضطهد (بفتح الهاء) ما لم يكن هو أو صحيفته على يقين بأن سيكسب او سيخسر بطبعها او عدم طبعها(٢٤) . ومن الاسباب الرئيسية لنجاح الدعاوة الصهيونية هو ملكية الصهيونيين

للصحف وسيطرتهم على الاعلانات . فقد كان النفوذ والقوة والاموال والتهديد بتهم من مثل « معاد للسامية » و« معاد للانسانية » التي كان يملكها الصهيونيون في الدول المختلفة ، وليس فقط النداءات المشبعة بالعواطف والتي كانت تبث عن طريق الاعلام العام ، هي السبب في نجاح الصهيونيين في ارغام وليس اقناع الحكومات النافذة بقبول فكرة ان اليهود يستحقون دولة تقام لهم في فلسطين . والواقع ان عالمي النفس مظفر وكارولين شريف، المتخصصين في حقل تغيير الراي، لا يشجعان الفلسطينيين الذين يحاولون التودد للمراسلين الاجانب على امل تحويل الرأي العام الاجنبي وحكوماتهم لتأييد عودة الفلسطينيين الى بلادهم ، ويقولان : « لقد أجريت محاولات هائلة في البحث التطبيقي للتأكد من فعالية الاعلام العام من قبل اولئك الذين يعملون في مجالات التسويق والاعلان والسياسة ... وكانت النتيجة محيرة تماما لدعاة استخدام الاعلام العام وذلك بسبب حدوث تغيير بسيط في المواقف واقل من ذلك في السلوك العام ... وفي الحقيقة ، تدل بعض النتائج على ان حملات الاعلام العام يمكن حتى ان تؤدي الى عكس النتيجة المتوخاة ... »(٢٥).

لقد استعرضنا بالتفصيل في هذا البحث مواقف المراسلين الاجانب من عملهم ، ومن الانباء ، ومن حركة المقاومة الفلسطينية واهدافها ، ومن مهمة الاعلام . وبايجاز تم ايضا استعراض اهمية مواقف الصحفيين والرأي العام وتأثير الاعلام العام على الراي العام ، والان لا بد من استعراض تأثير الاعلام العام على الحركة الفلسطينية .

ماذا قدم الاعلام للقضية الفلسطينية ؟ هل قرب الرأي العام من الموقف العربي ؟ يشك معظم المراسلين في ذلك . هل اكسبهم انصارا جددا ؟ بدون شك يعلم معظم الناس من هم الفلسطينيون وفي سبيل ماذا يقاتلون ، وحتى ان البعض يؤيدونهم كلاميا ، ولكن ماذا فعلوا من اجل هدف تحرير فلسطين ؟ ويصرخ بعض الفلسطينيين الملتزمين : « نريد من العالم ان يعرف عن الفلسطينيين » ، « لنا الحق في بلادنا » ، « على العالم ان يهتم بنا » . وما ينساه هؤلاء هو انه يجب اشراك غير الفلسطينيين شخصيا قبل ان يبدوا اهتمامهم . وقد اظهر استفتاء اجرته مؤخرا مؤسسة جالوب في الولايات المتحدة ان اغلبية الاميركيين يهتمون بالاقتصاد الاميركي اكثر من الحرب في فيتنام ، تلك الحرب التي كان يعارضها في السابق عدد كبير من الاميركيين بما في ذلك الطلبة والجنود السابقون ودعاة الانسانية والناس الذين تأثرت حياتهم بالحرب . وكذلك فان الاوروبيين يميلون الى الاهتمام بمشاكل دولهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . والمعروف ان اول ما يتذكره الانسان العادي هو حاجاته الضرورية ، وعندما يتم اشباع هذه الحاجات يمكن ان يهتم بمشاكل الاخرين . لذلك من السخف الاعتقاد انه يمكن جعل الاجانب الذين لا يهتمون سوى بمشاكل دولهم وبمشاكلهم الشخصية يهتمون كثيرا بنضال الفلسطينيين ضد الانظمة العربية واسرائيل ، فقط عن طريق تزويدهم بالمعلومات . واذا لم يكونوا متورطين ولا يحسون انهم مرتبطون شخصيا بالوضع لن يبادروا الى القيام بأي عمل ، علما بأن التأييد الناشط وليس العطف السلبي هو ما تحتاجه الحركة الفلسطينية . لقد نثر اسم فلسطين على صفحات الجرائد والمجلات منذ مارس ١٩٦٨ حتى اكتوبر ١٩٧٠، ولكن ما هي النتائج الايجابية التي حصلت عليها الحركة ؟ بالعكس، ليس الحركة الان أكبر بعدا عن اسرائيل من السابق ، ولكن وحدتها لا تبدو وكأنها في تقدم ، وبدأ زعماؤها يحجبون انفسهم عن الصحافة ، وهكذا اصبحت الثقة بالحركة ككل معرضة لخطر شديد . واذا كان هناك اعتقاد بأن للاعلام الموجه للاجانب تأثيرا ما ، هل يوظف هذا الاعلام بأفضل الطرق الممكنة ؟ كم من أولئك العاملين في حقل الاعلام الفلسطيني وضعوا لانفسهم اهدافا بعيدة المدى وقاموا بتقييم تقدمهم حتى الان ؟ هل

مقياس النجاح الوحيد هو عدد النشرات التي تباع أو الاشخاص الذين يستمعون الى المحاضرات التي تدور حول القضية الفلسطينية ؟ اعتقد ان احد اساليب الادارة الذي يطلق عليه اسم « الادارة بالاهداف » يمكن ان يكون ذا فائـــدة للمسؤولين في الاعلام الفلسطيني . ووفقا لهذا الاسلوب يجب اولا تحديد الاهداف ، ومن ثم وضع المخططات لتحقيق هذه الاهداف ، وتأتي بعد ذلك المرحلة الهامة وهي تحديد معالم للتقييم في مراحل مختلفة لقياس مدى نجاح المخططات . واذا لم يتم تحقيق اية مكاسب عن طريق هذه المخططات يجب تغييرها . وما لم تكن النشاطات ذات هدف محدد وتنفذ وفقا لخطة محددة ومن ثم يتم تقييمها لمعرفة مدى فعاليتها تصبح هذه النشاطات دون اتجاه أو قوة كالريشة في مهب الريح . وهناك اسلوب اخر لكسب الانصار اقترحه بعض المراسلين ويتفق مع جملة قالها عضو في مجلس العموم البريطاني في العام ١٩٣٨ وهي : « لا يمكن ان يستمع العالم للعرب الا عن طريق العنف»(٢٦). ومن الطريف ان هؤلاء المراسلين اشاروا على المقاومة ان تغلق جميع مكاتب الاعلام وان تتوقف عن اصــدار البيانات والبلاغات العسكرية للصحافـــة الأجنبية وان تضع بندقية في كــل يد مدربة وتبدأ في « الاعمال بدلا من الاقوال » . والسبب الذي جعلهم يقولون ذلك هو ان شوطا كبيرا قد تحقق في جعل العالم يدرك وجود الفلسطينيين ، كما ان الابحاث والهيئات الاعلامية تعمل على توضيح القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير . لذا على حركة المقاومة ان تركز جهودها على الكفاح المسلح . والمسؤولون في حركة المقاومة الذين يتفقون مع ذلك من حيث المبدأ يعطون فييتنام كمثل عملي . لقد بات العالم يعرف الكثير عن ذلك الشعب الذي يعيش في الشرق الاقصى ويناضل ضد أعتى قوة في العالم. ونتيجة لذلك تشكلت حــركات لتأييدهم في مختلف ارجاء العالم . ولم ينجم هذا التأييد بسبب الكتابات الكثيرة عن شعب فييتنام الشماليـــة على يد رجال العلاقات العامـــة أو سفراء فييتنام . وهناك القليلون الذين يعرفون الشيء الكثير عن المنظمات القائمة في فييتنام والفروقات فيما بينها ، ولم يتنافس زعماؤهم على تصدر صفحات الجرائد العالمية — وفي الحقيقة ، يسمح لعـــدد قليل من الصحفيين بزيارة المنطقة المحررة ، واولئك الذين يسمح لهم غالبا ما يكونون شيوعيين يمكن الثقة بهم . لقد نجح شعب فييتنام الشمالية في تصدر انباء الصحف العالمية وكسب الانصار في العالم لان نضالهم ، وليس مكاتبهم الاعلامية ، هو الذي لفت الانظار . والقطاع الوحيد من الفلسطينيين الذي يشعر العالم باحترام مماثل له هو شعب غزة الذي يقاوم الاحتلال الاسرائيلي باخلاص وشجاعة تجعل انباء هذا القطاع الصغير تصل الــى الصحف العالمية كل يوم تقريبا .

ان التغطية الصحفيـــة المتزايدة تنجم عـــن مزيد من المقاومـــة ، واقامـــة علاقـــات افضل مع المراسلين الاجانب نتيجة لتنظيم واعلام افضل من شأنه ايضا ان يساعد في نشر المعلومات عن حركة المقاومة الفلسطينية . واذا كانت الاموال أو الطاقة البشرية متوافرة ولكن بشكل محدود ، فيجب اعتمادا على التجربة السابقة تحديد افضليات لاية خطط للمستقبل . لماذا تحاول الحركة اقناع المراسلين الاجانب بقدرتها على الحياة في الوقت الذي لا تستطيع فيه التحدث عن أية قوة اظهرتها في وجه النظام العربي الذي كان خصمها الرئيسي خلال العام المنصرم ؟ واخيرا يجب التأكيد بأن الاعلام يجب ان يكون جزءا لا يتجزأ من خطة شاملة لتحرير فلسطين ولكن بناء على اهميته كما تتحدد من خلال ما يقدر له من نجاح أو من خلال قيمته الممكنة وليس من خلال الحكم عليه من بعيد . وقليلون هم الذين يمكن ان ينكروا ان الاعلام يمكن بل ويجب استخدامه بفعالية كأداة لكسب التأييد العام ، ولكنه ازميل وليس مطرقة .

الحواشي :

١ — J. Edward Gerald, *The Social Responsibility of the Press*, East West Center Press, Honolulu, 1966, p. 158.

٢ — « **نيو آوت لوك** » ، « الفدائيون : اسرائيل ليست أمة » ، آذار ١٩٧١ ، المجلد ١٤ ، عـدد ٢ (١٢١) ، ص ٣٦ — ٤٢ .

٣ — كتب روي ايسويان من « الاسوشيتدبرس » مقالا انتقاديا حول الصعوبات التي يواجهها المراسلون الاجانب في تعاملهم مع الحكومات العربية لـ : مجلة **الجمعية الامركية لرؤساء تحرير الصحف** ، آذار ١٩٧٠ .

٤ — والتر هـ. مالوري ، محرر ، هاربر ورو ، نيويورك ١٩٦٧ .

٥ — *Public Opinion: Nature, Formation and Role*, Von Nostrand, Princeton, 1965, p. 171.

٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٧٦ .

٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٧٧ .

٨ — Edwin Emery, Phillip H. Ault, and Warren K. Agee, *Introduction to Mass Communications*, Dodd, Mead, and Co., New York, 1970, p. 121.

٩ — لاحظ روبرت هومان في « مراقبة الصحف في اميركه » ، **العالم الاشتراكي الوطني** ، الصيف ، ١٩٦٧ ، ان نصف التوزيع المشترك للصحف الاميركية ملك لليهود — يبلغ العدد ١٢٤٦ مليـون عدد . ولمزيد من التفاصيل حول الصعوبات التي يواجهها الكتاب العرب ، انظر خالد قشطيني ، « القضية في الصحافة » ، من كتاب : **الحكم غيابيا** ، مركز الابحاث — م. ت. ف ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٦٣ — ٧٧ .

١٠ — انظر **جويش كرونيكل** ، ٢٣ يناير ١٩٧٠ .

١١ — الارقام مأخوذة من الموجز في الاحصاء الصادر عن الامم المتحدة ، الجدول ٤٥ : الموت ومعدلات الموت بسبب ما ، ١٩٦٩ .

١٢ — العدد الاسبوعي من **جروسالم بوست** ، ٢٠ يوليو ١٩٧١ .

١٣ — **انترناشيونال هيرالد تريبيون** ، ١٤ فبراير ١٩٦٩ .

١٤ — **جويش كرونيكل** ، ٢٣ يناير ١٩٧٠ .

١٥ — **جويش كرونيكل** ، ١٩ يونيو ١٩٧٠ .

١٦ — **جروسالم بوست** ، ٢٠ يوليو ١٩٧١ .

١٧ — Theodore M. Newcomb, Ralph H. Turner. and Philip E. Converse. *Social Psychology*, Holt, Rinehart, and Winston, New York, 1965, pp. 99-100.

١٨ — كارلينز (انظر الحاشية ٢١) ، ص ١٠٨ .

١٩ — ألن اريان ، « الاستقرار والتغير في الرأي العام والسياسة في اسرائيل » ، مجلة **الرأي العـام الدورية** ، مجلد ٣٥ ، ربيع ١٩٧١ ، عدد ١ ، ص ٣٤ .

٢٠ — ايمري ، اولت واجي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦ .

٢١ — كتاب ممتاز لغير المتخصصين في علم النفس يشرح بالتفصيل المبادىء المشار اليهـا سابقـا هو : *Persuasion: How Opinions and Attitudes Are Changed*, Marvin Karlins and Herbert I. Abelson, Springer, New York, 1970.

٢٢ — ايمري ، أولت وآجي ، **المصدر السابق** ، ص ٨ .

٢٣ — T. S. Mathews, *The Sugdr Pill*. Simon & Schuster, New York, 1959, p. 166, taken from Harwood L. Childs, *op. cit.*, p. 182.

٢٤ — انظر الفرد م. ليلنتال ، **ثمن اسرائيل** ، ريجنري ، شيكاجو ، ١٩٥٣ . ص ١٢٣ .

٢٥ — Muzafer Sherif, Carolyn Sherif, *Social Psychology*, Harper & Row, New York, 1969, p. 468.

٢٦ — مايكل ايونيدس « الصهيونيون والارض » ، « **من اللجوء الى الغزو** » . وليد الخالدي ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٦٠ .

الادب الاسرائيلي لجيل حرب ١٩٤٨ بين الالتزام الصهيوني والبحث عن الذات

رشاد الشامي

بعد ان أصبحت القومية اليهودية عنصرا حاسما في تحديد ملامح الحياة اليهودية في « الدياسبورا » (الشتات) ، وبعد أن فقدت اللغة العبرية قدسيتها واصبحت لغة الانتاج الادبي شعرا ونثرا ، أصبحت هناك ارهاصات لانتاج عبري شكل بداية فترة الادب العبري الحديث . والمقصود أساسا بالادب العبري هو ذلك الانتاج الذي كتب باللغة العبرية ، أو بحروف عبرية مع أن اللغة التي يكتب بها قد تكون لغة اخرى ، وذلك على غرار انتاج موسى بن ميمون الذي كتب باللغة العربية ولكن بأحرف عبرية — ويدخل ضمن هذا التعريف كذلك الانتاج المكتوب باللغة الارامية، وذلك لصلة القرابة الوثيقة التي تربطها باللغة العبرية . وهناك كذلك ما يسمى بالادب اليهودي ، ويقصد به ذلك الانتاج الذي يكتبه اليهود في شتى أنحاء العالم وبمختلف اللغات ، وعلى هذا الاساس هناك أدب يهودي انجليزي ، وادب يهودي أمريكي ، وأدب يهودي فرنسي ... الخ . أما الادب الاسرائيلي فيقصد به ذلك الانتاج الذي أنتجه الادباء والشعراء في فلسطين سواء كان ذلك خلال فترة الانتداب البريطاني ومرحلة الهجرات اليهودية الى فلسطين، أو بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ . ولكن مع هذا فان الادب العبري الذي أنتج بعد قيام اسرائيل هو المثل الاكمل لما يسمى بالادب الاسرائيلي(١).

كان من السهل دائما عمل تمييز دقيق بين عصر أدبي وآخر بالنسبة لتاريخ الادب العبري عامة وبصورة قاطعة ، حيث يقسم ذلك الادب الى : عصر الادب العبري القديم (عصر تدوين العهد القديم والتلمود والشفا والشروح التي كتبت عليها) ، وعصر الادب العبري الوسيط (العصر الذهبي للادب العبري في اسبانيا حيث اقتفى اثر الثقافة العربية في كل المجالات) ، والعصر الحديث للأدب العبري (مع بداية ظهور القومية اليهودية) ، ثم الادب العبري المعاصر (وهو الادب الذي انتج بعد قيام دولة اسرائيل مع بداية الخمسينات) الا انه من الصعب بوجه عام التمييز بين مرحلة ادبية واخرى تالية لها ، وعلى الاخص بالنسبة لفترة الادب العبري الحديث والمعاصر . ويرجع السبب في ذلك الى أن الخط الفاصل بين هذه المراحل لا يكون واضحا تماما ، ومن السهل تجاوزه بسرعة وسهولة . والواقع انه لو كان هناك مبرر للتمييز ووضع الفواصل ، فان هذا المبرر يقوم على أساس الحاجة الى عمل تصنيف مبدئي للاعمال المختلفة التي تمثل هذه الفترة عبر تطوراتها . وعلى هذا الاساس يمكن تقسيم فترة الادب العبري الحديث والمعاصر الى ثلاث مراحل رئيسية :

---

١ — رشاد الشامي ، **حييم نحمان بياليك ، حياته — اتجاهاته الادبية** ، (رسالة ماجستير في الادب العبري الحديث من جامعة عين شمس ، ١٩٦٦) ، الباب الاول .

المرحلة الاولى ، وهي مرحلة « أدب عصر الاحياء القومي » : وتضم أعمال اولئك الكتاب الذين كانوا اطفالا في القرى اليهودية في « منطقة الاستيطان » اليهودية في روسيا ، وتربوا في كنفها وكنف ثقافتها ، والذين تتركز أعمالهم حول تحلل الحياة الروحية اليهودية « الديا سبورا » ، وتدمير الرمزين اللذين يمثلان الحصون العتيدة لهذه الحياة وهما : «بيت همدراش» (المدراس — الكنيس) و« المعبد » ، مع التطلع الى فلسطين باعتبارها رمزا للخلاص اليهودي ، مما اصطلح على تسميته باسم « المشكلة اليهودية » . ومن أبرز ممثلي هذه المرحلة الشاعرين « حييم نحمـــان بياليك » (١٨٧٣ — ١٩٣٤) ، وشاؤول تشرنحوفسكي (١٨٧٥ — ١٩٤٣) .

المرحلة الثانية ، وهي مرحلة « أدب الهجرة الثانية والثالثة » : وتضم اعمال الكتاب المولودين في الشتات ، والذين رأوا في فلسطين حلا لمشكلتهم . وتعالج اعمالهم فلسطين على اعتبار انها الطريق للخروج من الشتات اليهودي ، وهناك سمة يمكن ادراكها على الفور من خلال الانتاج الادبي لهذه المرحلة او الذي ينتمي اليها ، وهي العلاقة الوثيقة بين الايديولوجية والتعبير الادبي .

ان هذين العنصرين يندمجان معا في الصورة الادبية لمرحلة الهجرتين (١٩٠٤—١٩٣٦) . وهذا بالطبع ليس محض مصادفة لان الهجرة الى فلسطين كانت خطوة اتخذت مـــن خلال موقف ايديولوجي معين ، وكان لا بد وان تكون المعركة الايديولوجية جزءا لا يتجزأ من التجربة الموصوفة في العمل الادبي . ويهتم أدب هذه المرحلة بوصف بدايات الحياة اليهودية في فلسطين مع تعاقب موجات الهجرة اليهودية اليها ، والعقبات التي صادفتها والانجازات التي حققتها والصراعات النفسية والروحية التي خاضتها هذه الجماعة في محاولة التكيف مع الحياة الجديدة . ويظهر الانسان اليهودي في أدب هذه المرحلة في صورة اسطورية مثالية ، وتظهر الى جانبه كذلك عملية التلاحم التاريخي اليهودي بين الشتات وفلسطين بكل ما ينطوي عليه ذلك من محاولة لتجسيد الاحساس العميـــق بالوحدة اليهودية ، بالاضافة الى محاولة التغلب على الغربة النفسية والروحية والسعي للتغلب على محاولة ابعاد الجيل اليهودي عن امكانية تعويض ما ينقصه من وعيـــه اليهودي . ومن ابرز ممثلي هذه المرحلة : يوسف حييم برينر (ولد عـــام ١٨٨١ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٠٩ ، وتوفي عام ١٩٢١ خلال الاضطرابات بين العـــرب واليهود) ، وش. شالوم (ولد عام ١٩١٤ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٢) ، وأوري تسفي جرينبرج (ولد عام ١٨٩٤ بجاليسيا ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٤ ، وما زال حيا وهو من انصار حركة اسرائيل الكبرى) ، وابراهـــام شالونسكي (ولد عام ١٩٠٠ وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢١) ، وأهارون دافيد جوردون (ولد عام ١٨٥٦ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٠٤ ، وتوفي عام ١٩٢١)، ولينة جولدبرج (ولدت عام ١٩١١ ، وهاجرت الى فلسطين عام ١٩٣٦ وتوفيت في يناير ١٩٧٠) ، وناتان الترمان (ولد عام ١٩١٠ بوارسو ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٥ وتوفي في مارس ١٩٧٠) ، وشموئيل يوسف عجنون (١٨٨١ — ١٩٧٠) ، وحييم هزاز (١٨٩٧ — وما زال حيا) .

وتتلاحم مع هذه المرحلة دون فاصل واضح على الاطلاق الانتاجات الادبية الممثلة لما يسمى « بالادب الكيبوتسي » ، وهو الادب الذي يصف محاولات صياغة الحياة اليهودية في اطار تجربة المستعمرات اليهودية الاشتراكية « الكيبوتسيم » . ومن أبرز ممثلي هذا الادب : س. رايشنستاين (ولد في بولندا عام ١٩٠٢ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٠ ، وتوفي عام ١٩٤٢) ، ود. ميلتس (ولد في بولندا عام ١٩٠٠ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٠) ، وهما اللذين يصفان بداية مستعمرة « عين حيرود » . وما زال هذا القطاع الخاص « بالادب الكيبوتسي » كتجربة يهودية مستقلة داخل فلسطين المحتلة مستمرا كمظهر من مظاهر الادب الاسرائيلي المعاصر ، وان كان لم يعد يشكل قطاعا ادبيا ذا اهمية خاصة .

المرحلة الثالثة، وهي مرحلة « أدب السابرا » : وتضم أعمال اولئك الكتاب الذين ولدوا في فلسطين والذين كسروا نظريا روابطهم مع اسلافهم واصبحوا يستخدمون موضوعات مختلفة تماما . وما يميز ادب « السابرا » عموما هو الموضوع . ان « الدياسبورا » بالنسبة لادباء هذه المجموعة أصبحت مجرد حقيقة تاريخية لم تعد تؤثر عليهم تأثيرا مباشرا . وبالتالي فان فلسطين لم تعد بالنسبة لهم هي بلد الهجرة ، بل الوطن بما يعنيه ذلك من وجود علاقة جدلية بين المواطن الاسرائيلي وتلك الارض التي يعيش عليها ويصارع من اجل استمرار بقائه فيها . وهذه المرحلة في حد ذاتها يمكن ان تقسم الى مرحلتين لكل منهما ادبها وممثلوها واتجاهاتها الادبية المميزة ، وهما :

أ ــ مرحلة ادب حرب ١٩٤٨ ، وهي المرحلة التي تجلى فيها تماما الصراع بين التمشي مع مطالب الايديولوجية الصهيونية والالتزام الصهيوني ، اي انتاج ما يسمى بأدب الدعوة او الادب المجند ، وبين البحث عن الذات . وهي المرحلة التي سنتناولها اليوم بالدراسة .

ومن ابرز ممثلي هذه المرحلة : اسحق شنهار (الذي هو بمثابة « أديب الانتقال » بين الجيل الذي وضع لغته في « المنفى » والجيل الفلسطيني) ، ويوناتان راطوش ، واستير راب ، وسميلانسكي يزهار ، وموشي شامير ، وناثان شاحام ، ويجال موسينسون ، وأهارون ميجدن ، وي. هليل وداقيد شحر ، ومردخاي طبيب ، وحييم جوري ، ويهودا عميحي (الحلقة الواصلة بين هذه المرحلة والمرحلة التالية) . ويطلق عليهم الدكتور جرشون شيكد (باحث الادب ورجل الجامعة العبرية في تل ابيب) اسم « جيل في البلاد » (دور بآرتس)(٢) .

ب ــ مرحلة أدب « الموجة الجديدة » (حسب تعبير جرشون شيكد) ، وهي المرحلة التي تميزت بالتعبير عن القلق ومحاولة البحث عن الهوية الاسرائيلية الجديدة من خلال التمرد على مظاهر العزلة والعنف في المجتمع . ويمثلها : ابراهام بن يهوشع ، وأهارون ابلفيلد ، واسحق أورباز ، وعاموس كهنا كرمون ، وعاموس عوز وغيرهم ، وفي خلال هاتين المرحلتين المميزتين لادب « السابرا » برز تيار أدبي فرض وجوده بين تيارات الادب الاسرائيلي المعاصر ، وهو ما يسمى بتيار « أدب النكبة » ، الذي يعبر عن المعاناة اليهودية في مواجهة موجة « معاداة السامية » النازية ، ومعسكرات الاعتقال في « أوشفيتز » وغيرها . ويسعى من خلال تصويره لهذه المرحلة الى استدرار العطف والتباكي على اليهودية الجريحة التي ما زالت تنزف دماء جرحها القديم هذا حتى اليوم .

حرب ١٩٤٨ والتمزق النفسي

من المعروف أن اعلان قيام دولة اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ قد تم بعد أن اكتملت أبشع مؤامرة اغتصاب في القرن العشرين لارض وممتلكات وميراث وتراث الشعب الفلسطيني استنادا الى ايديولوجية لا عقلانية تستند الى زعم بوعد الهي ميتافيزيقي من ناحية، وعلى منطق القوة وتحدي قانون العدل الانساني ، من ناحية اخرى . وخلال فترة وجود هذه الدولة وعلى امتداد سنوات وجودها الاربع والعشرين خاضت على التوالي ثلاث حروب ضد الدول العربية المحيطة بها . وقد جعل هذا المعدل في خوض الحروب ، من الحرب عنصرا رئيسيا في المجتمع الاسرائيلي تصاغ بموجبه كل أوجه الحياة بحيث اصبح « مجتمع اسبارطة المعاصر » ، كذلك فان الحرب أصبحت هي السمة التي تشكل الاتجاه النفسي

---

٢ ــ جرشون شيكد ، **موجة جديدة في الادب العبري** (عبري) ، مكتبة العمال ، تل ابيب ، ١٩٧١ .

العام للانسان الاسرائيلي ، وهو الامر الذي انعكس بدوره وترك بصماته بشكل واضح وملموس على الانتاج الادبي الذي كتب بعد نشوب حرب ١٩٤٨ ، ومرورا بحرب ١٩٥٦ ، وحتى حرب حزيران ١٩٦٧ .

ويرى الاديب الاسرائيلي ، اهارون أمير ، أنه « من المهم اعتبار هذه الحروب الثلاث بمثابة حلقات في سلسلة واحدة متصلة من الصراع العسكري مع البيئة المحيطة باسرائيل من ناحية ، ومن تكوين المجتمع القومي الجديد في حدود أرض اسرائيل الذي تعتبر الحرب الدائمة احد العناصر الحاسمة في بلورته ، من ناحية اخرى »(٣). ونظرا لهذه الحقيقة المريرة الخاصة بتحول الحرب الى سمة رئيسية للمجتمع الاسرائيلي، فان الكتاب والادباء الاسرائيليين قد حاولوا تبريرها واضفاء صفة الشرعية عليها . وهذا التبرير مهما تعددت مداخله وصور مقدماته ينتهي دائما بموقف اللاخيار الذي وضع فيه الانسان اليهودي . وهذا بالطبع منطق مقلوب توضع فيه العربة امام الحصان عن وعي وادراك . فالاديب الاسرائيلي حانوخ برطوف يقول مثلا في معرض تبريره للعدوانية الاسرائيلية : « حينما جاء الى هنا أوائل الطليعيين والاشتراكيين ، وذوو الافكار الاخلاقية الراقية جدا ، وأقاموا المجتمع الكيبوتسي ، اعتقد الجميع انهم بالبنطلونات الكاكي والقمصان الزرقاء سيقدمون الى العالم بشرى المساواة الحقيقية . وماذا حدث ؟ ان شهرتنا قد ذاعت في العالم كأحسن مظليين، وكأحسن طيارين، وليس لنا خيار !»(٤). ويكرس اديب آخر، هو يورام كنيون، وجود الحرب كعنصر رئيسي في المجتمع الاسرائيلي، ويبرره كذلك باللاخيار فيقول : « اننا مرغمون على ان نعتبر ان طريقنا هو الطريق العادل . وليس لدينا خيار الا ان نهتم بالعدل الخاص بنا . انهم لم يرضوا بنا هنا في الشرق الاوسط منذ بداية الاستيطان اليهودي في البلاد »(٥).

وقد اصبح الاحساس بالذنب بمثابة رد فعل طبيعي لمثل هذه العدوانية التي تفجرت داخل الانسان الاسرائيلي ووجهها الى الانسان العربي في فلسطين ، حينما يعبر عن ذلك مرة اخرى حانوخ برطوف بقوله : « ان التغيير هو أننا نعرف كيف نقتل . والمشكلة هي مشكلة وجود يهودي . فاذا حاربت من اجل حياتك ونجحت في التغلب على القاتل وقتلته ــ فانك تذهب الى المنزل وتبكي لانك قتلت انسانا . ولكنك تفعل ما تفعل لانه لا خيار . ولكي نستطيع الوجود فنحن مرغمون على القتال »(٦). ويقول الاديب الاسرائيلي الشاب « ابراهام بن يهوشع » أبرز ممثلي « الموجة الجديدة » في الادب العبري المعاصر ، « ان هذا الاحساس بالذنب هو أحد الاسباب الرئيسية بالفعل للروح العدوانية ، ولعدم الراحة التي تجتاح المجتمع الاسرائيلي»(٧). ويكمل الاديب الاسرائيلي يوعز عفرون الصورة بكلمات اخرى يؤكد بها ما قاله بن يهوشع حول ان الاحساس بالذنب هو السبب الرئيسي للروح العدوانية عند الانسان الاسرائيلي رابطا ذلك مع مبدأ اللاخيار فيقول « ان هذا الاحساس بالذنب قد اختبأ وراء الاحساس بالوجود »(٨). وهكذا ، نرى ان هناك تسليما وادراكا للحقيقة التي يعيشها مجتمع اسرائيل متمثلة في الروح العدوانية بكل ما ينطوي عليه ذلك من انعكاسات وردود فعل على المجتمع ككل وعلى الانسان كفرد بصفة خاصة .

---

٣ ــ أهارون أمير ، من الخوف الى الاقتحام ، **معريف** ١٩٦٩/٥/٢ ، ص ١٣ .

٤ ــ حانوخ برطوف ، المنتصرون والمحاصرون ، **معريف** ١٩٦٩/٥/٩ ، ص ١٣ .

٥ ــ يورام كنيون ، معارك في مرآة الادب ، **معريف** ١٩٦٩/٤/٢٥ ، ص ٢٧ .

٦ ــ حانوخ برطوف ، **المرجع السابق** .

٧ ــ حديث مع ابراهام بن يهوشع ، **هآرتس** ١٩٦٨/٥/٢٤ .

٨ ــ يوعز عفرون ، النقد الداخلي دليل القوة ، **معريف** ١٩٦٩/٥/٢ ، ص ٢١ .

وبالرغم من الانتصار الذي حققه الجيش الصهيوني عـــام ١٩٤٨ وفاجأ به الجميع فانه مما يثير الدهشة ان التفاخر بالنصر لم يكن هو الموضوع الذي استخدم كاطار للانتاج الادبي شعرا ونثرا بعد حرب ١٩٤٨ . لقد كان الموضوع الرئيسي تقريبا ، فيما عدا استثناءات الادب الدعائي الملتزم او المجند ، هو تخبطات المحارب الصهيوني ومعاناته الهائلة لانه قد وضع بواسطة مخططات الصهيونية أمام اختيار صعب ، وهو اما ان يتراجع عن فكرته ويعود من حيث أتى ، واما ان يواصل ويخوض حربا دموية انسانا ضد انسان ، وشعبا ضد شعب . ومعنى هذا، انه بالرغم من ان آلة الحرب الاسرائيلية قد حولت الانسان اليهودي في فلسطين الى أداة عسكرية ، الا ان ذلك الانسان الذي اعتصره ذلك الجهاز الآلي والانضباطي لم يكف الادب عن تصويره كشخصية ذات عالم روحي ونفسي خاص بها . ولذلك فقد أصبح العالم الداخلي ، والفردي ، والحساس لدى الجندي الاسرائيلي بكل صراعاته هو الموضوع الرئيسي لأدب حرب ١٩٤٨ .

ويرى يحيئيل هلفرين ، ان شعر حييم جوري قد عبر بصدق عن ذلك الالم الذي اصاب الجيل اليهودي الشاب في اسرائيل ، وعن البكاء الذي بكته نفوس ابناء هذا الجيل على الرفاق الذين فقدوهم ، وعلى العالم الذي اظلم عليهم ، لدرجة ان كثيريـــن منهم قـــد فقدوا القدرة حتى على البكاء على ما يحدث ، وعلى الثورة ضد الواقع الغريب والمحطم للغاية : « لم يعد هناك بكاء كاف يبكيه الباكون . . » (ع. هليل) . لقد ترك الفتيان والفتيات من اعضاء « البالماخ » والوحدات الاخرى ، خلفهم قبورا لا حصر لها للاصدقاء ، وخاضوا الحياة دون رفاق من ايام الطفولة والصبا تقريبا ، كما لو كانوا قد ولدوا عجائز ومتقدمين في السن . وهل هناك ما يدعو للدهشة لان الشيخوخة حلت بهم في صباهم ؟ او ما يدعو للدهشة لانهم اصابوا بالعدوى كذلك من أتوا من بعدهم فولدوا هم الاخرون عجائز في كل شيء ، وولد الجيل الشاب في اسرائيل عجوزا ؟ : « ورأيت في نهاية الطريق عجوزا تنتحب على حجر ، وعرفت أنها نفسي » (ع. هليل)(٩).

وهكذا واجه الجيل الاسرائيلي بعد حرب ١٩٤٨ محنة التناقض السحيق وظروف العزلة والاغتراب ، والانفصال شبه المطلق عن المجتمع الذي يعيش فيه . وكان من الطبيعي ان يحاول أولئك الكتاب والادباء الذين شبوا وتربوا داخل حركات الشباب الاشتراكي الصهيونية والذين اعتادوا على الخضوع لمتطلبات الادب المجند ، تكييف انفسهم مـــع الظروف الجديدة والمناخ الجديد الذي فرضته حرب ١٩٤٨ . وفيما يلي سنحاول بقدر الامكان تصوير تلك المحنة التي واجهت الادباء الاسرائيليين بعد حرب ١٩٤٨ والتي تجلت في الصراع بين الالتزام الصهيوني أي الاتساق مع دعاوي الادب المجند وبين البحث عن الذات .

وفي البداية يجب ان نشير الى ان السمة الغالبة للادب العبري قبل حرب ١٩٤٨ كانت هي سمة الادب الفكري المجند ، وهو الادب الذي عبر عنه جيل فترة « الهجرة الثانية والثالثة » ، وجيل « البالماخ » . وقد تميز هذا الأدب بالالتزام بالبعد عن ابراز اي نوع من التناقض بين الايديولوجية الصهيونية ، وبين تجربة الفرد في واقع الحياة ، كما تميز كذلك بالسعي نحو خلق المبررات لكل القضايا التي واجهت الصهيونية سواء كان ذلك تبرير رفض الاندماج اليهودي في مجتمعات الشتات اليهودي بالتركيز على موجات العداء للسامية وكراهية اليهود ، او تبرير محاربة الانتداب البريطاني ، واغتصاب فلسطين من العرب ، بالرغم من الوضوح الكامل لحقيقة ان عناصر الايديولوجية الصهيونية التي تلتزم بها هذه المجموعة في خلق نماذجها الروائية وصور ابداعها الفني ليست نابعـــة

---

٩ — يحيئيل هلفرين ، **الثورة اليهودية** (عبري) ، دار نشر عم عوفيد ، تل ابيب ١٩٦١ ، الجزء الثاني ص ٣٦١ .

بصورة مباشرة من التجربة الحية التي يعيشها او يعانيها الفرد الاسرائيلي . ومن هنا فان أدب حرب ١٩٤٨ قد ولد في ظروف صاغته في اطار هذا الادب الفكري المجند ، وهو ما يسمى أدب « النحن » ، ولكنه ما لبث ان اخذ في تلمس طريقه نحو « الأنا » ليعبر عن الفرد وصراعاته وتخبطاته في مواجهة التناقضات التي يعانيها . ولكن هذا الادب ما ان وصل الى « الأنا » حتى عاد كتابه وتساءلوا عن الصلة بينهم وبين « النحن » ، وعن حق الوجود الذي يمكن ان يمنح « للأنا » دون ارتباط بالواقع الاجتماعي ايا كان . وتصارع هذا الادب مع نفسه ، وقام جيل جديد من القصاصين حـاول ان يقطع الرابطة بين « الأنا » والمجتمع ، وجعل « الأنا » في مركز الوجود . وكان منهم من حاول ان يطهر الابطال من أي ارتباطات اجتماعية وسعى الى « الأنا » الخالصة ، وكان منهم من كان عالمهم اكثر توازنا . ولكن بالرغم من هذا الصراع الذي نتج في اعقاب ازمة حرب ١٩٤٨ من اجل التخلي عن « النحن » والسعي نحو « الأنا » ، فان جرشون شيكد يرى ان « أدب التحرير » [الاصطلاح الذي يطلقه الصهيونيون على حرب ١٩٤٨] هو من عدة نواح استمرار للاتجاهات الرئيسية التي ميزت أدب الهجرة الثانية والثالثة . وعلى غرار معظم أدب هذه الهجرات ، كان هذا الادب هو الاخر أدب « ملتزم » . وقد تجلى هذا الالتزام في الانتاجات نفسها وكذلك في الموقف الواعي للادباء من مشاكل الادب والحياة » (ص ١٢) . واذا أردنا ان نتعقب التيارات المختلفة في أدب حرب ١٩٤٨ ، فانه يجدر بنا أن نعود الى الاصول الاولى لهذا الادب . وأول هذه الاصول المعبرة عن احد التيارات الهامة لارهاصات هذا الادب هي أقوال الاديب الاسرائيلي موشي شامير (ولد عام ١٩٢١ في روش بينا) . قصته الاولى « هوسار في الحقول » تدور حول حياة الكيبوتس والبالماخ . كتب العديد من القصص التاريخية مثل : « ملك اللحم والدم » ، ومسرحية « حرب بني أور » و« نعجة الفقير » ، وقد صدر له بعد حرب حزيران ١٩٦٧ كتاب بعنوان « حياة شعب اسماعيل » (١٩٦٩) } في « حقيبة الاصدقاء » التي صدرت عام ١٩٤٦ ، بعنوان « مع ابناء جيلي » . وشامير في مقالته الدراسية هذه يكرر بعض الافكار الايجابية ـــ الماركسية ، التي سادت في فلسطين بتأثير الادب السوفياتي (رجال فانفيلوف !) ونقده (فلخاتوف ، ولوكاتش) بعد الحرب العالمية الثانية . والمظهـر المتطرف لهذا الاتجاه النقدي هو « الواقعية الاشتراكية » على طريقة جيدانوف . وهو لا يحاول فقط أن يحدد نظريات لاهداف وقيم الادب ، ولكنه يرفض كذلك اي انتاج لا يقبل هذا الحكم . والعنصر الرئيسي في أقوال شامير عام ١٩٤٦ يتطرق الى مسألة العلاقة بين الادب وعناصر الواقع . ويتبع شامير طريقة محايدة ـــ بأنه ليست هناك مـــادة وموضوع في الواقع غير جدير بالصياغة الادبية . وشعار « لا يمكننا الانعزال عـــن الحياة » يتكرر بصورة مختلفة في بيان شامير ، وهو كذلك اساس ومبدأ وجهة النظر القائلة بأن الادب يجب ان يستقي موضوعاته من كل أركان الحياة وان يصوغ بواسطتها عالما من الكلمات قريبا بقدر الامكان من العالم خارج الادب . ويبحث شامير موضوعات الادب وغاياته ويطلب من الادباء « السير الى الشعب » : « فلنذهب الى الازقة ، والى منازل الحمالين ، ولندق على الابواب المتداعية » الخ. وخلاصة الامر « ان العالم لم يخلق من اجل مليحي الوجوه ، والحكماء ، والطيبين ـــ بل خلـــق من اجل غاسلات الملابس » . ومثل بيلينسكي او بيساريف في حينهم (أو أ. أ. كوفنر) ، يطالب شمير بفتح كل المجالات أمام الادب وبالوصول الى الاركان المنعزلة جدا من الحياة الانسانية سواء كمستهلك « للحياة » او كمنتج يوجه انتاجه الى جماهير الشعب . ويستطرد شامير فيقول في سياق بيانه : « ان الادب يجب ان يحمل العبء التعليمي لحركة العمال وان يتماثل مع الشعب دون فاصل » « لقد تطورت الحركة الصهيونية ـــ الاشتراكية لسنوات كثيرة في اطار واحد مع الادب والحركة الطليعيـــة في الشعب والبلاد » .

و« الارتباط المخلص بهذه الحركة هو رسالة جيلنا في الادب ». وهو يعني بذلك استمرار الخط العام للادب الفكري المجند، المرتبط « بالنحن » تماما.
ويعلق جرشون شيكد على ما ورد في بيان شامير حول رسالة الادب العبري فيقول: « ان اقوال شامير تحيد عن الدقة من اساسها. ان تماثل الادب العبري مع قيم الحركة الصهيونية ومع حركة العمال يسود ادب فلسطين منذ بدايته في فترة الهجرة الثانية (مثل: قصص مائير فيلكانسكي وشلومو تسيمح، وروايــة موشي سميلانسكي « هداسا ») وحتى كتاب الهجرة لاسحاق دوف بركوفيتش (« أيام المسيح »)، وعلى الاخص لدى بعض أدباء الهجرة الثالثة، الذين يتصارعون على مسألة التماثل (مثل يهودا يعاري، واسحق شنهار، ودافيد ميلتس وغيرهم). ومن ناحية أخرى ليس هناك شك في ان مسألة التماثل مع معايير حركة العمل، التي طرحها شامير هنا بصورة قتالية وساذجة الى حد ما، هي احدى المشاكل الرئيسية في الادب العبري المعاصر. لقد خصصت كتب وقصص من أجل مسألة الاخلاص لهذه القيم وخيانتها، وغيرها من أجل التقدير المتجدد لها في مواجهة الواقع الجديد. وكتابات موشي شامير، وس. يزهار، وحانوخ برطوف، وأهارون ميجد تتصارع مع هذه المسائل بأشكال مختلفة، وتتطرق اليها كتابات أدباء آخرين. وحينما يتوجه أدب الخمسينات الى تيارات جديدة، فانه يعود ويتصارع مع بعض هذه المشاكل بصورة ديالكتية — (« لا من الان ولا من هنا » ليهودا عميحي). وعالم الشعور العميق لدى الابطال يدور حول موضوعات مثل: ارض اسرائيل العاملة، والكيبوتس، والبالماخ، و«حرب التحرير»، ومطالب الساعة. وهذه التشكيلة من القيم تحدد بشكل او بآخر ابطال القصة أيضا، وطــرق رســم الشخصية وطرق البناء الفني. لقد حددت لهذا الادب مجالاته. ويجب فهم هذا الادب اعتبارا من الان وفقا للاطار الذي حدده لنفسه (وفق رغبته او مقدرته). » (ص ١٤ — ص ١٥ — المرجع السابق).

وقد كان النموذج الواضح للمناقشة الدراسية حول هــذا الموضوع هو سلسلــة المقالات: « نحو توضيح مبادىء في المناقشة حول الفن والادب والمجتمع » التي ظهرت على صفحات مجلة « ماسا » (قول) نصف الشهرية عام ١٩٥١ (« ماسا » عدد رقم ٦، ١٧ سبتمبر). ومن المجلات الادبية الرئيسية (غير المرتبطة) للجيل الشاب التي ظهرت بعد حرب ١٩٤٨ مجلة « عين » التي كان يحررها نسيم الوني (اشترك في تحرير العدد الاول: أوري سيلع، وشولاميت هر ايين، وموشي دور، وموشي بن شاؤول وغيرهم) وبدات في الظهور في ٧ يونيو ١٩٥١. واعلان الهوية الخاص بهذه المجلة، حسبما تؤكد ذلك هيئة تحريرها، لا يختلف كثيرا عن الاسس التي حددها شامير عام ١٩٤٦ — ولكن الاقوال اصبحت نضالية أكثر، لان روح العصر تغيرت. وهذه المجلة تنحاز الى حركة العمال. وأهدافها: النضال ضد خليط اللغات، وتحقيق جمع المنافي، وتعليم الشباب على ان « تقليد الغير » يؤدي به الى « الارجاء النسيجة للسطحية والذل ».

وكان الافتراض، هو ان الشحنة الفكرية التي أحضرها الرجال معهم الى الحرب، والتي أخذوها منها، يجب ان تتصارع مع الواقع الجديد، الذي يسوده بالفعل جو التخلص من سنوات التوتر الطبيعي. وكان أسلوب الكتابة الاجتماعي لرجال « حقيبة الاصدقاء » يتناسب مع روح العصر، ولم يكن اولئك الذين تحدثوا باسمها الا بوقا للجماعة كلها. وقد قبل الادباء الذين تجمعوا حول مجلة « عين » هذه القيم، ولكنهم اعتبروا انفسهم بمثابة استثناءات وابطال ابعدوا الى هامش العصر ويريدون العودة لكي يأخذوا مكانهم تحت الشمس. وكانت هذه الجماعة جماعة تحارب ضد التيار، في مواجهة جماعة « الاصدقاء » التي سبحت مع التيار. وبالاضافة الى ذلك فان « الاصدقاء » حققوا في

كتاباتهم الادبية (الشعر هو قضية في حد ذاته) البيان الشاميري ، وان كانوا لم يحققوه برمته فانهم قد اقتربوا منه بعض الشيء . اما رجال « عين » فلم يحققوا ما اعلنوا عنه. لقد ارادوا نظريا ان يجندوا الادب من اجل الصراع الاجتماعي ضد العصر ، اما من الناحية العملية ، فان كتاباتهم كانت انعكاسا لواقعهم . وبيان المجلة ليس هو الوثيقة الوحيدة المعبرة عن نواياها الاجتماعية الطيبة . ففي العدد الثاني ، الصادر في ١٤ يونيو ١٩٥١ ، نشر « نسيم ألوني » مقالا بعنوان « الابراج العاجية والمناديل الحريرية » في الركن الذي يحمل عنوان « جيل وثقافة ما بعد الحرب » . وفي هذا المقال يفضل الوني قيم المجتمع على قيم الفن . وتبريره هو انه لم تكتب في فترة الحرب كتابات فنية هامة ، ولكن الادب كان في ذلك الحين جزءا من الحياة . واليوم (١٩٥١) تغيرت الامور وبصورة خاصة علاقة الادباء بمجتمعهم. وهو يعارض هرب الادباء الى الابراج العاجية: « لقد اتضح للادباء الشبان ، انهم لا يفكرون على الاطلاق . انهم يعيشون حياتهم في المقاهي ، غير مبالين بالعالم الجديد الذي يتشكل حولهم . ان الادب لا يقوم بدوره الرئيسي — وهو التوجه الى الشعب . » وكان نسيم آلوني بذلك يحمل فوق الهضبة لواء الادب المجند . وقصته « هجرة اليشع » (التي نشرت في « عين ») ومسرحيته « اقسى من الملك » ، ما زالتا تعبران عن المطلب التعليمي والمطلب الاجتماعي . والاراء التي أدلى بها آلوني في عام ١٩٥١ هي آراء ذات اهمية خاصة بالنسبة لهذه المناقشة ، وذلك لان تطوره ككاتب مسرحي وكمفكر يشير الى مفترق الطرق الذي مر به الادب العبري المعاصر في الخمسينات والستينات — اي انه اذا تأملنا أقوال نسيم الوني في العدد الخاص عن المسرح الذي أصدرته مجلة « كيشت » (قوس قزح) ، او اذا تذكرنا فقط « ملابس الملك » و« الاميرة الامريكية » ، لادركنا الى أي مدى تغيرت الامور . ان نسيم ألوني لم يعد يعتبر نفسه مجرد مجند ولا يحصر نفسه في كتابة اعمال بسيطة ومفهومة لكل انسان . ولكن كل من يقرأ انتاجه المتأخر يجب الا يتجاهل انتاجه السابق. لقد ظل الاحتجاج الاجتماعي في اساس الامر اتجاها اساسيا جدا في انتاجه ، ولكنه كان يكيف احتجاجه مع مشاكل وطرق التعبير العصريـــة ويعرضه في أرديـــة جديدة . و« تطورات » الوني تفسر التغيير الهائل الذي حدث في موقف الجيل الجديد من الادب وكذلك التغيير في العلاقات بين أدب « حرب ١٩٤٨ » وبين « روح العصر » .

ويتجلى التحول الكبير في الجو العام وفي وجهة نظر الجيل الشاب من مسألة العلاقة التي بين الادب والمجتمع ، في بيان مجلة « لكرات » (نحو ..) التي جمعت حولها بعض الشبان الذين أصبحوا بمثابة المتحدثين بلسان « الاتجاه الجديد » في أدب الخمسينات والستينات . وقد سبقت هذه المجلة مجلات « أوجدان » و« عخشاف » و« يوخاني » . ولكنني لا أخطىء القول اذا قلت انها الاب الروحي لهذه المجلات . وقد صدرت لاول مرة في القدس في عام ١٩٥٢ وكان يطبع منها ٤٠ نسخة من الاستنسل بمثابة « مجلة داخلية لمجموعة الأدباء الشبان » . وكان المشتركون الاوائل فيها هم : يجآل افراتي ، وموشي دور ، وبنيامين هروشوفسكي ، وناثان زخ ، وبيسح ميلين ، وأريه سيفان ، وجرشون شيكد . وبعد فترة انضم اليها يهودا عميحي ، ودافيد ابيدان وغيرهم . وفي البيان كتب المحررون باسم المجموعة :« يبدو لنا أن هذه هي المحاولة الاولى من أجل تجميع مجموعة من رجال القلم ، الذين نضجت باكورات اعمالهم بعد حرب ١٩٤٨ ، اي في نهـــاية الاربعينات . ان واقع هذه الايام ليس هو الواقع المثير للحماس خلال سنوات الحرب التي أثارت مجموعة متعددة الالوان من الكتابات شعرا ونثرا . ان واقعنا كئيب وباهت ومتجهم ، وعلى ضوئه بالذات يفحص مستوى الانتاج الادبي . والتجربة خطيرة جدا . . . لقد زالت البراءة من القلب ، وزالت عقيدة أيام الصبا في انه من الممكن (ان نحتل العالم) بقوتنا الذاتية . وحل محلها الشك والسخرية والحيرة السيئة . اذن فلنأخذ الحذر من

التصريحات المتصدعة ومن الالتزامات التي قد تنتهي بخيبة أمل » (جرشون شيكد ، المرجع السابق ص ١٧) . ولم يكن البيان على هذا النحو تصريحا اجتماعيا ، بل اشارة غامضة الى محاولة فنية جديدة . ومجلة مثل « مبوئوت » (مداخل) (صدرت في ١٧ يونيو ١٩٥٣) لم تكن تجمع ذوي الآراء المتقاربة او المتشابهة بل أصبحت منبرا أدبيا فنيا مفتوحا ، يقبل كل قدرة او محاولة . (كان يحررها يشعياهو بن فورات ومردخاي طبيب) . وقد اخذت ردود الفعل في الظهور في أعقاب هذه الموجة الجديدة من محاولة تحديد الخط العام والملامح الاساسية للادب الاسرائيلي بعد حرب ١٩٤٨ . واحد التصريحات الجديرة بالاهتمام والمحيرة للغاية في هذا الموضوع هي محاضرة س. يزهار أمام مؤتمر الادباء الثامن والعشرين ، والتي نشرت في « ماسا » في عددها الصادر في ١٠ ابريل ١٩٥٨ . ويرجع سبب أهمية التصريح الى المقارنات المذهلة بين الحيرة الروحية المنعكسة فيه وبين ما يتجلى في روايته « أيام تسيكلاج » — التي تشكل ما هو بمثابة خلاصة تاريخية ودراسية للعصر — التي ظهرت في ذلك العام . ان ايمان الاديب ببرنامج القيم الخاص بجيل الحرب وكفره اللاحق بذلك يستخدمان في تداخل في هذه الرواية . وهذه الحيرة الداخلية ، التي ترجع الى موقف الادباء الذين ظهروا في الاربعينات من الواقع الجديد في الخمسينات ، يستدل عليها من حديث الاديب أكثر مما يستدل عليها في روايته ، التي يعرض فيها تفاصيل التشكيل (والتفاصيل مثيرة للدهشة !) الخاصة بوجهة النظر الشاملة ، التي طمست ملامحها . وفي مستهل حديثه يقول يزهار ، انه لا يتحدث باسم جيله ، بل يعبر عن رأيه هو فقط . وهذا التحفظ هو من الامور المميزة الى حد ما ليزهار ، ولكنه تحفظ لا يؤكد نفسه في سياق المحاضرة ، التي يلقيها بالفعل بضمير « الغائب » (وأحيانا بضمير « الغائبين ») ، ولكنه لدى تطرقه الى المسائل المبدئية التي تتناول علاقات الجيل الشاب والواقع الجديد تطل الى حد ليس قليلا لهجة الواعظ . وفي مستهل حديثه يتناول المسائل الهامشية — مثل مسألة احتياجات الادب وصورة جمهور القراء . وهو يؤكد ان جيله هو الجيل الاول الذي يملك جمهورا من القراء لغة الحديث والقراءة عنده متساوية . وفي السياق يطرح اسئلة على غرار أسئلة رجال « لكرات » ، ولكن اذا كان هؤلاء قد قبلوا فقدان القيم على انها مسألة بدهية ولم يتطرقوا مطلقا الى « المشكلة » ، وبدأوا بما عندهم وكأن هذه المسألة ليست قائمة من أساسها ، فان يزهار ابن الجيل الذي تربى على قيم المجتمع لم يكن على هذا النحو ، وكان ملزما بالتصارع مع المسألة . وعلى هذا النحو ، يعتبر يزهار ان اصطلاح « الادب التعليمي » قد أكل عليه الدهر وشرب . وقد اعتبر شامير في « حقيبة الاصدقاء » ان الادب يحقق « بشرى » مجموعة من « القيم مثل الصهيونية والاشتراكية والانسانية » . وواصل الوني هذا الخط في « عين » . ولكن يزهار يؤكد ان كل الافكار الكبيرة قد خيبت الآمال . وعلاوة على ذلك فانه يشك في امكانه « كسب ود ابناء الجيل الشاب ، في العالم وهنا ، نحو فكرة كبيرة وطنية لعقيدة تامة » . اذن فالاستهلال يدل على يأس مطلق من تلك الافكار التي كرس ابناء جيل يزهار انفسهم من اجلها والتي أخصبت انتاجهم . وفي هذا الجزء كذلك من خطبة يزهار لا يدعو للفن من اجل الفن ، بل يؤكد ان لا بد من تغيير الاحصنة بعد أن تعثرت الاحصنة العجوزة . ومعنى هذا ان يزهار يبدي موقفا يقظا في مواجهة القديم ويطالب بالبحث عن حقيقة جديدة . وفي سياق المقال تتغير لهجة الحديث وتتناقض مع ما قاله سابقا . لقد كنا نعتقد انه قد ازاح الحقائق القديمة عن مائدة البحث من اجل شق طرق جديدة ، ولكن يتضح لنا انه قد كرر الحقيقة القديمة بطرق غير مباشرة . وهكذا يتكشف التناقض في عالم يزهار ، ذلك التناقض الموجود سواء في التصريحات « البرنامجية » او في كتاباته الادبية . فهو يحاول من ناحية ان يرفض الافكار القديمة وان يقف على رأس طليعة جديدة حديثة ، ولكنه من ناحية أخرى يحترم

القديم في العالم العملي .

ويبدو ان يزهار لا يتمتع بالطابع الهجائي (الساخـــر) للادب في الخمسينات ، ادب الاحتجاج الاجتماعي (أهارون ميجد ، وحانوخ برطوف ، ودافيد شحر ، وبنيامين تموز)، الذي يقدر الموجود بمعايير المناسب . ويزهار يطالب الادب برد الاعتبار لموضوعات الحياة ويرى ان الادب ليس في حالة منافسة مع الحياة ، لان الحياة أثرى منه ، كما انه لم يخلق لنفسه الادوات الجميلة لمصارعتها . والتفرع الثنائي للادب والحياة ، والخيال والواقع ، هو من الامور المميزة الى حد ما ليزهار . والبيان يشهد ، بالذات ، على مدى ارتباط الرجل بالمهام التاريخية لجيله . ان شعارات « النكبة » و« الصحراء » ، و« جمع المنافي » و« العمل العظيم » هي شعارات مستقاة من القاموس السياسي . وبالرغم من ان يزهار يتخلص تماما من « العقائد » التي خيبت الآمال ، فانه يعود ويؤكد في « عقيدته الذاتية » ان هذه الشعارات ، طالما انها تنطوي على التحقيق ، فانها تبقى كما هي . والتحفظ حسب روح الجيل من « العقائد » والآلهة التي خيبت الامال لا يزيد ولا ينقص من الامر شيئا. وفي حقيقة الامر يقف يزهار في مواجهة العالم المتغير وهو ما زال مزودا بالقيم المحددة لجيله .

«وتتطرق اقوال الادعاء ضد الادب كذلك الى موقفه من الانسان كفرد وكنموذج . انخفايا الانسان قد خفيت عن هذا الادب ، ولم يعد يدرك عالم الانسان النموذجي العادي . ويستمر الادعاء كذلك في اتجاه آخر : ليست لدى هذا الجيل رؤية خاصة به. انه موجود فيما وراء رفض المنفى وتأييد الصهيونية ، ينبش في تراب الاجيال السابقة ولا يجد لنفسه مكانا خاصا به . وهو لا يحمل معه عصرا (مثل جيل بيا ليك) ، بل يقف فارغا في مواجهة الفضاء الخالي ويملأه « بلا شيء على الاطلاق » . انه جيل دون صلة نسب بالآباء ، ولديه أب مادي فقط (أصبح بالتالي أبا روحيا هزيلا) ، ولكن ليس لديه الارث الروحي الذي تمنحه الامة القديمة لابنائها . والطريق للتوبة الدينية موصود هو الآخر في وجه الانسان العلماني المتشكك » (شيكد ص ٢٠) . ويقوم يزهار هنا بعمل اختصار متطرف لكل القيم المحتملة ويحصي المجلات المختلفة التي هجرها الجيل الشاب كلا تلو الاخرى . وهو يعرض نفسه كخبير في تشخيص العلل ، لا يصف الا ما تراه عيونه ويشعر به قلبه. ولكن الوصف ليس تشخيصا فقط . وكذلك فانه لا يعرض الحقائق فقط بل يقدرها . وهذا التشخيص يرتكز على الحنين الى القيم والى عناصر الحياة التي ضاعت . ويزهار يحذر سامعيه من الرومانسية ، ولكنه مع هذا ظل رومانسيا قلبا وقالبا . وفي سياق حديثه يسأل : ماذا بقي له بعد كل هذا ، ويجيب قائلا : « لم يتبق الا صوت الرعب » . ان هذا هو الصوت الوحيد الذي يلائم الواقع . وبعد ان يحدد هذا يواصل قائلا : أنه فيما وراء الرعب توجد نقطتان مضيئتان لا بد من التعليم على هديهما والايمان بهما ، وهما ايمان أهارون دافيد جوردون بالعمل اليدوي ، والترقب الصادق للايمان (شيكد ص ٢١) . ان الارض والاشواق الرومانسية الى الايمان هما المنارتان اللتان يضعهما يزهار لنفسه ولابناء جيله . وهنا نجد اختلافا موضوعيا في اقوال يزهار ، وهو الاختلاف الذي يتضح كما ذكرنا من قبل في روايته (« أيام تسيكلاج ») . فمن ناحية هناك رغبة للتعبير عن الشعور الحديث بالرعب ، ومن ناحية اخرى هناك رغبة في العودة لطرح الموضوعات الرومانسية التي تهتم بالاشواق الى الايمان الخالص والايمان بالعمل في الارض . ويزهار هنا يريد الاقتراب من « روح العصر » ، ويريد ان يفهمها ويصبح لها معبرا وبوقا ، ولكن هذا الاقتراب لا يعبر عن جذور نفسه . وبيان يزهار هذا مليء بالثقوب والتناقضات ، ويبدو فيه كما لو كان غير مخلص لعالمه ، حيث يقف موقفا دفاعيا ضد شيء ما ، يبدو أقوى منه ومن عالمه ، وفي هذه الحرب الدفاعية يفقد يزهار القاعدة الاصلية التي يرتكز عليها انتاجه الادبي .

والبيان الاخر المثير للاهتمام الى حد ما هو محاضرة موشي شامير في المؤتمر التاسع عشر (بعد المؤتمر الذي القى فيه يزهار بيانه) . وعنوانه « الاديب والدولة » . واقواله في هذا البيان تختلف اختلافا مطلقا مع اقوال شامير الشاب في « حقيبة الاصدقاء » . ومن الممكن القول بأن الاديب يثور على آرائه القديمة ، لدرجة ان اقواله تبدو غريبة على أسماعه هو ذاته . وكما حارب في الماضي بحماس متطرف من اجل تماثل الادب مع قيم المجتمع ، فانه يحارب الان بحماس فائق من اجل عدم تماثل الادب مع الدولة . لقد وصل الى راي شامل يقول ان الادب هو خارج الارتباط بالحياة السياسية وحياة الانسان كانسان في المجتمع عامة : « بالنسبة للاديب ليس هناك أمر مضحك ومثير اكثر مـــن الانسان في تكاثره ... ان الادب لا يعرف الجغرافيا ولا التاريخ ... وبالنسبة له كل ما هو اصغر هو حقيقي اكثر ، على عكس الدولة التي بالنسبة لها ما هو حقيقي اكثر هو الاكبر والاشمل » . ويحاول شامير ان يحدد للادب اطارا مطلقا وذاتيا : « انه ليس قطعة من نسيج الحياة الاجتماعية والسياسية والتنظيمية ــ بل هو توسيعها الى خارج هذا النسيج ... » . واقوال شامير هذه تتناقض تماما مع كل ما كتبه منذ ان خاض في عالــم الادب . ان ابطاله (اوري ، اليك ، الكسنــدر يناي ، اوريا الحثـــي ، موشي ورفائيل اورلان) موجودون في مركز العملية التاريخية . ولكن شامير يحاول التأقلم مع « روح العصر » ولذا فقد اختط لنفسه منهجا جديدا يختلف عما ميزه في الماضي . وهذه المحاولة لا تتضح فقط في البيان ، ولكنها تجلت كذلك في انتاجه الادبي بعد ذلك .

والبيان الاخير الذي من الجدير تناوله والاشارة اليه في مجال هذه الدراسة، هو محاضرة أهارون ميجد في مؤتمر الادباء الحادي والعشرين ، في ٣٠ مارس ١٩٦٤ ، والذي ظهر بعنوان « الادب بين الازمنة » . وهذا البيان حسبما يقول عنه جرشون شيكد « يوجه سهامه ضد الزمن . ان الزمن يمر بسرعة الى حد ما ، ويجرف معه تلك الاشياء الثابتة التي تمنح الانسان احساس البيت والوطن : عندما تأتي المجمعات السكنية وتمحو ما بني منذ ثلاثين سنة . ومن الممكن ان يذهب انسان الى القرية التي ولد فيها فلا يعرف فيها منزلا ولا فناء » (شيكد ص ٢٣) . وبالطبع فان لهجة الاقوال هنا هامة بصورة لا تقل عن اهمية مضمونها . ان مقالة ميجد هي مقالة عاطفية بالمفهوم الذي اعطاه شيكد لهذا الاصطلاح : فقدان البراءة والاشواق الى الكمال الذي كان ولم يعد موجودا . والموقف العاطفي يميل الى ثلاثة انواع رئيسية من الادب : الادب الرثائي ، والادب الساخر او الهجـــائي والادب المثالي (اليوتوبيا) . ومن بين الثلاثة يظهر هنا قدر كبير من النضال الهجائي ضد « الزمن » . لقد خان العصر الفكـــرة (البراءة الخالصة) الخاصة باسرائيل ، قبـــل اقامة الدولة . وهذه الخيانـــة تتجلى في التناقض بين الادب والموقف التاريخي . لقد توقف الادب عن فهم الموقف ولا يقوم بالاهتمام به على أي نحو . وميجد يفضل المحلية الاصيلة عن العالمية المقلدة حسب المودة . انه يفضل الكتب الاقل جودة ، والتي تستقي موضوعاتها من الزمان والمكان ، عن الكتب الجيدة المنعزلة عن البيئة المحيطة بها . « هناك شك في ان من سيقرأ هذه الكتب خلال عدة سنوات سيمكنه ان يلم ولو بقدر ضئيل بفكرة عن الواقع في هذا العصر » . وهو يطالب بعلاقات مميزة ومشتركة لكل جيل ادبي ، لقد كانت لادب الاجيال السابقة صفات مميزة مشتركة ، على عكس الادب المعاصر (منذ الخمسينات فصاعدا) الذي تفتت كله وتكيف مـــع مجتمعه المفتت الذي فقد هو الاخر جزءا من ممتلكاته المشتركة . ولا يختلف ميجد عن سابقيه في تحليل الموقف الاجتماعي : انه يعتقد مثل يزهار وشامير ان الموقف الاجتماعي قد تعقد وساء ولكنه ، على عكسهم ، لا يتساهل بل يخرج للصراع ، وهو يرتكز في هذا الصراع على روح « زمن » اخر، ، روح الزمن الذي يحمله الاصدقاء معهم . وميجد لا يصوغ قيما على غرار ما قام به شامير في بيانه . ان هذه القيم تتضح من خـــلال الصدام بين

الماضي المرغوب فيه والحاضر الموجود . وقيمه هي : الطليعية ، والارتباط بالمواقف الاجتماعية ، ووعي الوجود القومي (الوعي الوجودي للمجموع ، على عكس الوجودية التقليدية) وعلى الاخص المبالاة . والموضوع الاخير معناه ان الادب يجب ان يكون « ملتزما » وأن يتصارع مع مشاكل العصر .

وعلى هذا النحو فان ميجد لا يتأقلم مع الموقف الجديد . انه لا يحاول مثل يزهار أن يعبر عن « روح العصر » الحديث من خلال أشواق رومانسية نحو العالم الذي كله خير ، ولا يخلق مثل شامير جهازا دفاعيا يبرر به الموقف القائم والانفصال القائم بين الادب والمجتمع ، بل ينفر من روح العصر دون ان يصوغ بصورة مكتملة موقفه بمثابة ابن الماضي الذي يمتثل للصراع مع الزمن . ومن خلال اقواله لا يمكن ادراك اي مجال حقيقي يكون فيه الادب مجندا ، وما الذي يهمه هنا والان ، سوى نفس ضرورة تجنيد الادب ، والصراع من أجل اصالته ومن اجل العلاقات الميزة المشتركة فيه . ومعيار أقوال الهجاء والرثاء عنده هو الماضي . ان ميجد يعرف جيدا ما سببت له السعادة في الماضي ولماذا يمقت الحاضر ، ولكن يبدو انه لم يتبلور لديه بعد وعي الصدام ومغزاه . الى أين يؤدي هذا ؟ هل هو يشتاق الى نوع من « العودة الى الوراء ؟ » أم يشتاق الى نوع جديد من تواحد الاضداد ؟ لقد ظلت هذه الإسئلة دون اجابة في مقالته وكذلك في انتاجه . ان الاعتراف بالحاح هذه المشكلة هو من الاشياء الرئيسية في انتاجه ، كما هو موجود في الشعور العميق لبعض ادباء جيل حرب ١٩٤٨ . ويبدو ان الحيرة التي اثارها هذا السؤال هي حيرة حقيقية جدا وهي تنمو من الداخل وفق الديالكتيك الداخلي لهذا الجيل من الادباء (ومن هنا اهمية رواية « الحي أبقى من الميت » لفهم ميجد ولفهم الجيل كله) .

وبعد هذا العرض لوجهات نظر اشهر الادباء الممثلين لجيل ادب حرب ١٩٤٨ وهم : موشي شامير ، ونسيم الوني ، وس. يزهار ، وأهارون ميجد ، يمكننا ان نقول ان الوعي الذاتي لدى ادباء حرب ١٩٤٨ يشير الى انهم تكلموا عن « القيم » الاساسية للاستيطان اليهودي في فلسطين : قيم « حركة العمال » ، وحركة الشباب ، والارتباط الاجتماعي بالعصر والوعي بالعلاقة بين الاديب والجمهور . وقد زاد الاتجاه لدى هذه المجموعة نحو الواقعية ـ الطبيعية ـ ووجهات النظر المبدئية هذه تحدد طرق اختيار الموضوعات (الانسان في المجتمع) ، وطرق تشكيل الشخصية (الاتجاه الى الشخصية النموذجية) ، والصفات الادبية الاخرى . وقد كان هؤلاء الادباء في بداية طريقهم في مركز العصر ، ومع مرور الزمن ، وظهور ادباء شبان يختلف الاساس الوجداني والقيمي عندهم عن تلك المجموعة ، أزيح الاوائل الى ركن قصي . ومع تغيير الظروف والموقف حدث تغيير في وعيهم الذاتي . لقد عمتهم الحيرة وانطلقوا الى طريق مغلق . ولكن حيرتهم تختلف عن حيرة الجيل التالي لهم (جيل عميحي وافيلفيلد ويهوشع وعوز) . انهم يتأرجحون بين الاخلاص لماضيهم وبين التكيف الداخلي مع الواقع الجديد . ان يزهار يتحدث عن الرعب الوجودي وعن الجوردونية (نسبة الى أهارون دافيد جوردون) في آن واحد ، وشامير يتحدث عن الانفصال المطلق عن اي واقع اجتماعي وعن الارتباط المعارض به . وميجد يستخدم المبادىء الرثائية والهجائية في تداخل ، من اجل تقدير موقف جيله في مواجهة « الموجة الجديدة » . ويتضح لدى ثلاثتهم نوع معين من العدوانية النقدية المختلطة بالتبريرية او الحزن الصامت . وبالرغم من انه من النادر ان يكون هناك تماثل مطلق بين ما يعلن عنه الاديب في بيان او مقال يعبر فيه عن رأيه تجاه مشاكل الادب وصلاته بالانسان والمجتمع وسائر القضايا ، وبين انتاجه الادبي ، الا ان الوعي الذاتي المعلن من جانب الاديب يساعد كثيرا في فهم عالمه الانتاجي ؟ سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة . وبالطبع فان دراسة مثل هذه البيانات هي بمثابة اساس لفهم

نبض جيل من الاجيال الادبية المميزة في الادب الاسرائيلي المعاصر وهو جيل أدب حرب ١٩٤٨ .

والنتيجة التي يمكن استخلاصها من خلال هذه المجموعة من البيانات المعبرة عن أبرز تيارات أدب جيل ١٩٤٨ في اسرائيل هي ان الحرب وفظائعها قد طبعت طابع الحزن والضياع والقلق في نفس الجيل الاسرائيلي الشاب ، ولم يستطع الخلاص منه . وقد أدى هذا الى ظهور أدب القلق والشكوك الذي لا يصل الى حد التمرد الفعلي ضد أيديولوجية الجيل السابق ، ولكنه يعبر عن العجز الوجودي في التمشي مع مطالبها ، وذلك بتوكيد الهوة بين الايديولوجية والواقع ، ولو حتى من خلال الشعور بالذنب . وهكذا يمكن شرح أهمية حرب ١٩٤٨ في أدب هذا الجيل اليهودي في اسرائيل . ان هذه الحرب تشكل التجربة المستقلة الاولى للحياة التي استطاع الاديب الاسرائيلي عن طريقها ان يختبر نفسه في حياد . لقد اضطر في مواجهة المشكلة الشخصية واحتمال الموت ، وفي مواجهة المشكلة الاخلاقية ، والموقف من العدو المهزوم ، اضطر الى ان يقيم من جديد رابطته « بالمثل العليا » التي شب عليها . وهي المحنة التي واجهها هذا الجيل من ادباء حرب ١٩٤٨ وجعلهم يعانون صراعا نفسيا داميا بين « الالتزام » بالتيار الادبي المجند ، وبين التجاوب مع ضرورة الساعة التي تستلزم البحث عن الذات وتحديد الهوية من جديد . والحقيقة التي يجب اثباتها رغم هذا في نهاية هذه الدراسة ، انه بالرغم من هذا الصراع بين الالتزام بعناصر الادب المجند الصهيوني ومتطلباته وبين التعبير عن الذات لدى هذا الجيل من ادباء اسرائيل ، وبالرغم من ظهور نماذج ادبية تعلن عن تحللها من هذا الالتزام عند اكثر الادباء تمثيلا لهذا الجيل (« أيام تسيكلاج » ليزهار) حيث نجد ان قيمة الوجود الجماعي محل شك ، وحيث تأخذ قضية الانسان كانسان مكانها ، رغم كل هذا فان هؤلاء الادباء بعد فترة متواصلة من البحث والصراع يعودون دائما الى مصدرهم مثل أحصنة القتال المحنكة لدى سماعها صوت النفير . والدليل على ذلك هو ما حدث في حرب حزيران ١٩٦٧ ، حيث عاد المبرزون من ادباء جيل البالماخ وجيل حرب ١٩٤٨ من امثال شامير وجوري والترمان وس. يزهار وعميحي ، فانتصبوا في مواقع العدوان مجندين كما كانوا في البداية بالرغم من كل تمرداتهم السابقة .

افتتاحيات الصحف العربية وحرب فلسطين ١٩٤٨

الدكتور وليم حداد

البحث التالي هو ملخص دراسة جامعية طويلة وضعت باللغة الانكليزية حول آراء عدد كبير من الصحف العربية بالحرب العربية الصهيونية في العام ١٩٤٨ . وهذه الصحف هي : الاخبار (سورية) ألف باء (سورية) الانشاء (سورية) الاهرام (مصرية) الاوريان (لبنانية) الايام (سورية) بردى (سورية) البلد (سورية) بيروت (لبنانية) الحياة (لبنانية) الدفاع (فلسطينية) الديار (لبنانية) الزمان (مصرية) السوري الجديد (سورية) العلم (سورية) فلسطين (فلسطينية) الفيحاء (سورية) القبس (سورية) الكفاح (سورية) اللجور (لبنانية) المصري (مصرية) المنار (سورية) النذير (سورية) النصر (سورية) النضال (سورية) النهار (لبنانية) .

قبيل تبني الامم المتحدة قرار تقسيم فلسطين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، لم يختلف رأي مقالات وافتتاحيات الصحف العربية كثيرا عما يعتقد انه كان الرأي العربي العام من فلسطين . وركز نقاش الصحف العربية عموما ، قبيل ذلك التاريخ حول المناقشات الفكرية ، غير العسكرية في جوهرها ، فيما يتعلق بحقوق العرب ومزاعم اليهود . ودار مثل ذلك الرأي في الافتتاحيات ، كما بدا قبل نوفمبر ١٩٤٧ ، حول المزاعم اليهودية ورفض سعي اليهود الموجودين في اوروبه للمجيء الى فلسطين لان ذلك يقض مضاجع الحياة العربية بشدة « ان السعي من اجل الحصول على هوية قومية اخرى ، لهو من اقل الاهداف السياسية اليهودية التي يمكن الدفاع عنها . ان جميع البلدان التي يعيشون فيها تمنحهم جنسيتها . ألا يكفيهم كونهم من الانكليز او الفرنسيين او الاميركيين او السويسريين او الهولنديين او الدانمركيين ، ليكونوا محترمين بما فيه الكفاية ؟ كيف يمكن ان ينقل يهود شرق أوروبه الى فلسطين بالالاف ومئات الالاف دون ان يزعجوا عرب فلسطين وجيرانهم ؟ وكيف يمكن للسلام ان يتحقق في ظل مغامرة وقحة ومحفوفة بالمخاطر كهذه ؟ »(١). الا ان الجملة الاخيرة في هذه الافتتاحية تبين ، حتى في العام ١٩٤٥ ، انه كان هناك يقظة في الجانب العربي من أن صراعا عسكريا من نوع ما قد يتطور بسبب تدفق اليهود الى فلسطين ، والنتائج « قد تصبح دموية ورهيبة على أشد صورة »(٢).

وبعد أن واجه العرب الحقائق الواضحة في العام ١٩٤٧ وقبله اخذ العرب يضعون في افتتاحياتهم ، بصورة متزايدة ، رأيهم الذي يمكن تقسيمه لعدة خطوط رئيسية : أولا ، شعر العرب بأن الضغط الخارجي الذي كان يفعل فعله في الامم المتحدة فرض على العالم تقسيم فلسطين . وثانيا ، مع هذا الادراك وتحديد اللوم تأكدت للعرب وحدتهم . ثالثا ، كان هناك اتفاق اجماعي تقريبا على رفض تقسيم فلسطين لان ذلك لم يكن عادلا .

وبما أن الصحافة العربية قد اعترفت بوحدة فلسطين وشخصيتها العربية فان المناقشات التي دارت والمقررات التي اتخذت في الامم المتحدة نالت نظرة يكتنفها الكثير من الشك . ومن بين الوفود المرتبطة بفلسطين تعرض وفد الولايات المتحدة لاشد النيران . فقد اعتبر وفد الولايات المتحدة في كافة أرجاء البلاد العربية خاضعا للضغط اليهودي(٣).

الا ان الاساليب التي اتبعتها الافتتاحيات تجاه هذا الضغط كانت تتميز احيانا بالاسف واحيانا اخرى بالنقد اللاذع للقرار الذي نال الدعم الامريكي . وكانت افتتاحيات اخرى تتساءل عما اذا كان بروز الولايات المتحدة كقوة عالمية في القرن العشرين يشكل رصيدا للامم الاخرى . وهناك نقطة اخرى أثارت المرارة في نفوس الصحافيين العرب ، بالاضافة الى دور الولايات المتحدة ، وهي أن دول النصف الغربي من الكرة الارضية الى حد بعيد ، وكذلك دول أوروبه الغربية ، هي التي صوتت ضد مصالح بلد شرقي . « بل كيف تستطيع الولايات المتحدة ان تطمئن الى قرار يتخذ بالضغط او بالرشوة ويرجح الكفة فيه دول مثل الباراغوي والاورغوي وترفضه وتثور عليه دول مثل الباكستان والهندستان وتركيه فضلا عن الدول العربية التي تمثل سبعين مليونا يقيمون في قلب هذا الشرق وعلى شواطىء البحر المتوسط »(٤). « ... رأينا دول الشرق بأسره تتضامن وتقترع ضد التقسيم او تلتزم الحياد ، بينما تألبت دول الغرب ، باستثناء دول شريفات معدودات ، على تأييد الصهيونية . كان تقسيم فلسطين العربية دليلا على اختلاف مقاييس الحق والعدالة بين الشرق والغرب ، اختلاف الروح عن المادة ، وبرهانا على أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا كما قال كبلنغ »(٥).

من الواضح ان الكتاب العرب أفزعهم ما شعروا به من الانتهاكات التي ارتكبت ضد فلسطين . الا ان اهمية هذا الشعور تتضاعف عندما يقارن بشعور الغرب في الفترة نفسها . ولم ينظر الغربي عادة الى المسألة على انه من الحق أم لا أن تعطى فلسطين للمهاجرين اليهود وانما شعر ان المسألة هي حول اللعبة السياسية في الامم المتحدة . اما بالنسبة لبعض الكتاب والدبلوماسيين الغربيين فان ما حدث في الامم المتحدة اثناء التصويت على قرار التقسيم أقلق وأزعج ضمائرهم(٦). وبالنسبة للكاتب العربي فان المعضلة الغربية حول المسألة الادبية في اجبار الامم قسرا على التصويت مع القرار او ضده في الامم المتحدة هي في معظمها أمر لا علاقة له بالموضوع . فتقليص الناحية الادبية او الاخلاقية لتقسيم فلسطين الى مستوى التصويت في الامم المتحدة لم يكن أمرا قابلا للفهم لديه . وقد كانت نظرته اقرب التصاقا بالواقع ورأى فلسطين تتمزق اربا اربا . وهنا جاء دور الناحية الاخلاقية . فلم تكن المسألة ماذا قد تقرر الدول الكبرى ، وانما كيف يحتفظ بفلسطين العربية سليمة والحؤول دون تحولها الى دولة صهيونية . « ان موقف الدول العربية لا يترك مجالا للتأويل . ولسوف يدافعون عن فلسطين ضد الصهيونية بشكل او بآخر . وسوف يقاتلون الدولة الصهيونية بكل الوسائل . ان العرب يعتبرون انفسهم في حالة دفاع مشروعة، ولا يستطيع اي شخص عالم او عادل ان يقول بأنهم ليسوا على حق . ولا أحد يوافق على القول بأن كون اليهود قد استقروا على أرض فلسطين مدة ثلاثين عاما وبأعداد كبيرة سيعني نهاية الضيافة الكريمة في فلسطين عند ممارسة السيادة اليهودية على التراب [الفلسطيني] »(٧).

وهكذا رفض كتاب الافتتاحيات العرب بالاجماع قرار التقسيم بعد ان رفضوا « حق » الامم المتحدة في التصويت على ذلك القرار . ويفكر المرء الان فورا بالجملة المشهورة التي أشار بها ديبلوماسي عربي الى مشروع التقسيم الذي جزأ فلسطين الى سبعة اجزاء محددة : « الموت بألف ضربة » . وقد نبه كتاب الافتتاحيات بصورة تنم عن بعد نظر ممتاز من ان اية محاولة لتطبيق قرار التقسيم قد تؤدي الى حريق هائل شامل في فلسطين ينتقل الى البلدان العربية وقد يمتد في النهاية الى بقية العالم(٨). وبالاضافة الى ذلك كان هناك اعتقاد بأن قيام دولة يهودية في فلسطين يهدد في النهاية وجود البلدان العربية — مصر وسورية ولبنان والاردن — التي لها حدود قريبة من الدولة الجديدة(٩).

وبعد أن صرف كتاب الافتتاحيات العرب النظر عن قرار التقسيم بصفته عملا ارتكبه المفلسون أدبيا وبعد ان وافقوا بالاجماع تقريبا على رفض هذا القرار اخذوا يتجهون الى جانب ثالث وهو التأكيد على الوحدة العربية في وجه عالم معاد والاصرار على معارضة التقسيم بأية وسيلة ضرورية بما في ذلك استخدام القوة . ويستحسن ان نلاحظ ان الرأي العربي في هذه المرحلة من مراحل المسألة الفلسطينية ، أي في تشرين الثاني وكانون الاول من العام ١٩٤٧ ، أظهر وحدة مدهشة على الاقل على صعيد الرأي في الافتتاحيات . ولقد قيل الكثير عن الخلافات التي ساعدت على حصول النتائج المسؤولة التي حلت بالعرب في العام ١٩٤٨ ، ولكن هذه الخلافات لم تظهر بصورة واضحة في الافتتاحيات في بداية الفترة الزمنية التي نحن بصدد دراستها . والحقيقة انه عندما نقارن أشد

الصحف حماسا في تأييد الفلسطينيين ، صحيفة «فلسطين» ، مع اشد الصحف محافظة «الاوريان» نلاحظ ان رأي الافتتاحيات كان متشابها جدا . قالت « الاوريـــان » : « ان تمسكنـــا الشديد باستقلال لبنان وسيادته لم يمنعنا ولن يمنعنا ابدا من ان نمارس ، في المستقبل ، التعاون المثمر الى ابعد حد مع جيراننا او ان نقبل بالدفاع عـــن مصالحهم عند الحاجة »(١٠). وقد تعجب مراقبون كثيرون من ظهور هذه الوحدة النادرة في الرأي في الافتتاحيات العربية عند نهاية العام ١٩٤٧ ، تلك الوحدة التي اخذت تنهار مع اقتراب أيار ١٩٤٨ . ولم تشذ صحيفة عن هذا النوع من الوحدة بالرغم من انه كان يظن ان بعض المسيحيين في لبنـــان كانوا اسهل انقيادا لفكرة تأسيس دولة يهودية في فلسطين ، لانهم ظنوا ، خطأ ، ان تأسيس دولة يهودية في فلسطين سيؤمن الحماية والدعم لهم . لكن هذا الاعتقاد لم يظهر في الصحف التي غطتها هذه الدراسة ، باستثناء البيان الذي نشره رئيس اساقفة بيروت الماروني ، الاسقف اغناطيوس مبارك في الصحف اللبنانية ، ومما قـــاله رئيس الاساقفة : « ان هناك اسبابا رئيسية اجتماعية وانسانية ودينية تقضي بانشاء وطنين للاقليات ، وطن مسيحي في لبنان كما كان دائما ووطن يهودي في فلسطين ... ان لبنان يطالب بالحرية ليهود فلسطين كما يتمنى حريته الخاصة واستقلاله»(١١). ومهما يكن ، فان هذه الحالة الاستثنائية التي مثلها مبارك لم تفسح المجال امام افتتاحيات مماثلة في الصحف العربيـــة المسيحية . وقد حـــافظت الافتتاحيات على خطها السابق وكذلك استمر العزم قائما على مواصلة الحرب في فلسطين حتى بعد انتهاء الانتداب البريطاني .

وبالاضافة الى ان افتتاحيات الصحف كانت معارضة للصهيونية فان كتاب الافتتاحيات العرب قد بدأوا يطالبون اولا بحياد العالـــم وخاصة بريطانيه في فلسطين . وأخذوا يدعون الدول العربية للاتحاد . واخيرا اخذوا يناشدون العرب مقاتلة الصهيونية في فلسطين بالقوة ، في حين ان الحملات الاخيرة ضد الاجانب قد تركزت بشكل خاص على الولايات المتحدة . أما بريطانيه فقد أفردت جانبا لكونها الدولة المنتدبة على فلسطين في هذه المرحلة ، ولان العرب كانوا يعتقدون ان تجريد السكان العرب من السلاح وابقاءه في أيدي الصهاينة هو خروج على الحياد(١٢). ولم يكن في نظر الصحافة ادنى شك حول من سيئتصر ، لو ان القوى العالمية الكبرى تركت الشرق الاوسط بمفرده لان العرب كانوا أشد نظامية ، واخلاصا ، واقوى مـــن أعدائهم(١٣). ان المشكلة الوحيدة التي يمكن ان تعيق الانتصار ، لو ترك العرب يستعملون وسائلهم الخاصة في تلك الحرب القاسية التي لا تعـــرف الرحمة والتي كان العرب سيجرون الصهاينة اليها في البر والبحر والجو(١٤)، لا تكمن في نقص في البطولة من جانب الذين يقاتلون ، ولكن في الافتقار الى الوحدة على الجبهة السياسية . وعندمـــا يحاول الغربي عادة ان يستحضر في ذهنه صور العرب ، فان الصورة الاولى التي تقفز في المقدمة هي افتقارهم الى الوحدة ، والنزاع العنيف بينهم. وهذا المفهوم الغربي حول العرب هو المفهوم نفسه الذي يحمله العرب انفسهم . لقد كان العـــرب يشعرون بشيء من السمو طالمـــا ان ساستهم يقومون بأدوارهم على الوجه الصحيح .

ومع اقتراب العام ١٩٤٨ ظهـــر هناك نوع من الاستياء في الافتتاحيات الصحفية . وحاولت بعض الصحف ، انطلاقا من الخوف من حدوث انشقاق في الرأي على الجبهة العربية ، ترويج الدعاية بقولها ان الروايات التي تتحدث عـــن الخلافات الداخلية مبالغ فيها ومحض مصطنعة . لقد صوروا ما قيل من اشاعات حول افتقار الجبهة العربية للوحدة على انهـــا « افلاس سياسي يلجأ اليـــه اليائس »(١٥). وبالرغم من هذه المحاولة لتغطية الخلافات في القيادة العربية فان الكثير من الصحف العربية شعرت بأن هذه الخلافات هي أكثر مـــن مصطنعة . لقد كان الشعور السائد لدى عدد لا بأس به من الصحف بأن السياسيين العرب كانوا يعملون من اجل الظهور في الصحف ومن اجل ان يكتب عنهم بالخط الاحمر العريض ، وانهم لم يدركوا ان ما حدث في فلسطين كان في الحقيقـــة مسألة حياة او موت . وكان هناك شعور بالخيبة من جراء التواني الذي كان يكتنف(١٦) اعمـــال الساسة العرب ، « في الوقت الذي كان عـــرب فلسطين يحترقون بقنابل اليهود وبيوتهم تدمـــر لا ترى في الشام غير الخطابات والمظاهرات وصور المتطوعين . وفي الوقت نفسه لم ير مـــن وزراء الخارجية العرب المجتمعين في القاهرة سوى صور الاحتفالات والولائم والخطب التي يتوعدون بهـــا الصهاينة ومؤيديهم ، وهـــذا كله لم يعد بشيء

على عرب فلسطين ... »(١٧).

ومع ذلك ، فان الانطبـــاع الذي تتركه الجرائد اليومية عند دراستها ، هو انه بالرغم من مواطن الضعف وخاصة في الجناح السياسي فان الامـــة العربية مجتمعة بامكانها ان تتوقع وتأمل بالانتصار ضد الصهيونيين في فلسطين . وكان هذا الامل يرتكز على التفوق العددي الذي كان يتمتع به العرب ، وعلى الاعتقاد بأن العالم اذا حافظ على حياده ، فان العرب هم المنتصرون في أية معركة عسكرية . وبالرغم من العلامات التي تشير الى ان بعض القطاعات من الشعوب العربية كانت تؤمن بأن الحرب لن تقع ، الا ان هذا كان ينطلق من التفاؤل من جانب العرب لاعتقادهم بأن اليهود في فلسطين سيستسلمون للعرب قبل اعلان القتال وذلك عندما يواجهون بالتفوق العربي الكاسح . وظهرت الى جانب الرأي في الصحف الدعوة للعمل العسكري في فلسطين . وربما كان يدور في خلد بعض كتاب الافتتاحيات انه باقتراب الخامس عشر مـــن أيار ١٩٤٨ سيستسلم اليهود وان العمـــل العسكري العربي لن يكون ضروريا(١٨).

ومع قدوم العام الجديد، بدأ الكتاب العرب ينظرون الى الاسباب التي أدت الى حدوث ازمة ١٥ ايار ١٩٤٨ . ولا يأخذنا العجب هنا ، اذا رأيناهـــم يصورون اسباب المشكلة الفلسطينية على انهـــا ليست من صنع العرب وحدهم(١٩). كان عام ١٩٤٨ عام انتخابات الرئاسة الامريكية وهذه الحقيقة لم تغب عن ذهن كتاب الافتتاحيات العرب . فقد شعر الكثيرون ان الرئيس ترومان ، في محاولة منـــه لاعادة انتخابه ، قد ضحـــى بالمبادىء والاخلاق الانسانية في فلسطين . لقد كان الاعتقاد السائد انه مقابل الاصوات والاموال الامريكية اليهودية كان ترومان راغبا في اعطاء الصهاينة وطنا لهم في فلسطين(٢٠). وهناك بعض التعليقات الافتتاحية التي ركزت لومها على الامم المتحدة ومجلس الامن لتصويته على قرار التقسيم في فلسطـــين(٢١). ورددت بعض الافتتاحيات الاعتقاد « بأنه لو كانت المسألة مسألة حرب بين العرب واليهود فقط فان العرب سيدافعون عن انفسهم وعن ميراثهم . ولكن حربا محلية حول مكان صغير ومحدود تحولت الى حرب صليبية ضد العرب ... بزعامـــة الدول المسيحية الاوربية »(٢٢).

ان الشعور العام لدى كتاب الافتتاحيات ، هو ان الصهيونية تساعدها الدول الغربية (وفي بعض الاحيان العكس) كانت تحاول اقامة نوع من الدولة الاستعمارية في فلسطين. وهذا الاعتقاد ، الطبيعي جدا ، فتح المجال لمقارنة هاجاناه القرن العشرين مع فرسان الصليبيين في القرن العاشر . اذ للمرة الثانية يتعرض الشرق العربي للغزو بجحـــافل الغرب وهناك امكانية ضئيلة في ان تكون النتيجة واحدة كما حدث منذ عشرة قرون خلت(٢٣). نتيجة لهذا الاعتقاد ، الذي يرى في الصهيونية عنصرا مدمرا داخل الشرق الاوسط ، والذي يلمس تأييد اغلبية يهـــود العالم للصهيونيـــة ظهر في بعض الافتتاحيات اتجاه للحذر من يهود « الشتات » الذين حافظوا على ولاءاتهم لليهود الاخرين ممـــا جعلهم ، سواء أكانوا صهاينة ام لا ، يشعرون بالسعادة حالمـــا يرون دولـــة صهيونيـــة فـــي فلسطين(٢٤). ومن الصفات التي اعطيت لليهود الصهيونيين الحقارة والهمجيـــة بسبب الاساليب التي اتبعوها في قتل العرب في فلسطين(٢٥). وترك هذا الشعور آثاره على الاراء التي عرضت في الافتتاحيات حول العرب واليهود . وكان هناك قناعة تامة ، بالرغم من انها كانت محدودة ، بأن اليهود مهما اعلنوا عن رفضهم للصهيونية فان ذلك ليس التعبير الصحيح عما يجول في صدورهم : « حين تنشر بعض الصحف ونحن في مقدمتها برقيات الولاء والتأييد لعروبة فلسطين من قبل بعض اليهود السوريين او جمعياتهـــم الطائفية ورؤسائهـــم الروحيين يتساءل الناس : هل تصدق الحكومة او يصدق أصحاب هذه الصحف اخلاص موقعي هذه البرقيات وصدقهم فيما يقولون ؟ وألا يكون هؤلاء من البلاهة بمكان عظيم اذا صدقوا بأن اي يهودي في الدنيا يسوءه قيام دولة يهودية او يحزن على ما يرتكبه اليهود في فلسطين من وحشية وبربرية في تقتيل النساء والاطفال والغدر بالرجال مـــن العرب والمجاهدين ؟ »(٢٦).

ان الشعور العربي نحو اليهـــود لم يكن سلبيا تماما . وهناك كاتب افتتاحيات لبناني استطاع ان يفرق بين الصهيونية واليهودية ، وبالاضافة الى ذلك كان بامكانه ان يختط معتقدا لبنانيا خالصا خاصة عندما كتب يقول بأن لبنان بلد للاقليات . وقد شعر كسروان لبكي ان مبرر وجود لبنـــان سيزول اذا لم ينل يهود لبنان حريتهم ، ولذلك نراه يحتـــج قائلا « اتركوا يهـــود بيروت فـــي ســـلام »(٢٧). ومع ذلك فان كاتبا مصريا حاول ان

يعالج المشكلة ليس من وجهة نظر وطنية صرفة ولكن من وجهة نظر عربية شاملة : ليس علينا ان نؤكد بأن العرب ، سواء كانوا فلسطينيين ام لا ، لا يخامرهم اي شك او ريبة في اليهود . لقد كان الشرق العربي دائما معروفا بضيافته وكرمه . ان اليهود يشكلون اقلية صغيرة ، فقد عاشوا مع اخوانهم من المسيحيين والمسلمين في سلام ووفاق ، ولم يضطهدوا كما اضطهدوا في اوروبه (١٨).

ان المواضيع التي رأيناها في الفقرات السابقة ليست الا جزءا من رأي الافتتاحيات . ان النسبة العظمى من الافتتاحيات كرست للمسألة الفلسطينية ، وكانت تتركز حول مستقبل فلسطين والدعوة القومية للدفاع عن فلسطين العربية ، ويمكن ان تلخص كما يلي : « رفض التقسيم ، طرد الارهابيين ، وقف الهجرة اليهودية ، حل منظمة الهاغاناه ، انهاء الانتداب البريطاني ، اعلان استقلال فلسطين الفوري ، خلق دولة عربية — يهودية في فلسطين حيث يتساوى جميع السكان في الحقوق والواجبات »(٢٩).

ولكي يتم تنفيذ هذه الخطة في سبيل فلسطين نصح العرب بالدفاع عن فلسطين وهزم الصهيونية . وعندما قارب الانتداب البريطاني على الانتهاء ، اظهر كتاب الافتتاحيات العرب اجماعا في الدعوة الى الحل العسكري . فقد صدرت جريدة (القبس) في ١٦ أيار ١٩٤٨ تحمل عنوانا بارزا تقول فيه ان عهد الكلام والكتابة قد انتهى ، وبدأ عهد الدم والشجاعة . وهذا تعبير عن رأي الافتتاحيات العربية بالضبط .

وهنا يستحسن ان نعرف كيف نظرت الدول الاربع المحيطة بفلسطين الى الصراع الناشب في فلسطين . فعلى العموم ، كان كتاب الافتتاحيات السوريون يتميزون بعاطفيتهم امام قرائهم . فقد حاول السوريون ان يستعيدوا امجاد صلاح الدين في محاولة منهم لجعل الشعب السوري يتهيأ للحرب(٣٠). لقد كانوا متلهفين لبدء المعركة ولا يرغبون في انتظار الانسحاب النهائي للجيوش البريطانية كما كان مقررا في منتصف أيار . وفي الواقع ، ان العديد من الصحف السورية قد أيدت قطع رأس الافعى قبل ان تكبر(٣١). وقد عزز هذا الموقف الاعتقاد بأن القوة كانت ولا زالت وستبقى الى الابد المنطق العملي الوحيد الذي يؤكد حقوقه في هذا العالم(٣٢). لذلك فقد كان على القارىء السوري ، تحت تأثير الافتتاحيات المحلية ، ان يندفع لقتال الصهاينة في فلسطين ويدرك بأن القوة تهزم الحق في هذا العالم . واذا لم يفعل ذلك هو ورفاقه ، ففي المستقبل سيكون كالنساء على وطن لم يستطيعوا ان يحافظوا عليه كالرجال(٣٣). وقد رافق هذا النصح والحض تحذير من صعوبة الطريق والقتال اذ ان العدو قوي ومنظم ومدعوم بقوى خارجية مهمة(٣٤).

اما بالنسبة للبنانيين ، فقد كانت لديهم قناعة بأنهم من الناحية العسكرية اضعف الدول الاربع التي لها حدود مجاورة مع فلسطين . ولذلك ، فان الافتتاحيات في دعوتها لتحرير فلسطين من الصهاينة لم تكن تفتقر للوطنية بقدر ما كانت مدركة وواعية للاخطار التي تهدد لبنان من جراء نشوء دولة اسرائيلية عسكرية قوية على الحدود الجنوبية : « اسرائيل تقف على ابوابنا وتضطرنا ان نأخذ بعين الاعتبار كل مظاهر ونتائج هذا القرب . انها ليست لعبة عندما يحاول بلد صغير ان يصطنع الاخطار لكي يعرف وزنه . ان ترنيمة داود التي ينشدها العبرانيون تتردد في انحاء الشرق كله . ان ثقل اسرائيل وقوتها العظيمة تبدو ثقلا شديدا ومحملا بالاخطار للدول ذات الموارد المحدودة »(٣٥).

وفي مقابل الموقف المحدود والضيق للصحافة اللبنانية كانت افتتاحيات الصحف المصرية ذات نظرة تدل على خبرة ومعرفة بالعالم والناس . لقد رأت ان ما يجري في فلسطين لا يعكس معركة محدودة بين مجموعة من العرب ومجموعة من الصهاينة ، بقدر ما يعكس معركة ذات مستوى ابعد من ذلك . انها صراع بين الامة العربية في ولادتها الجديدة وبين العالم الغربي وبقايا الاستعمار ومخلفاته . وهذا الموقف في بعض جوانبه ناتج عن بعد المسافة النسبية بين القاهرة وتل ابيب اذا ما قورنت بالمسافة التي تفصل الشام وعمان وبيروت عن تل ابيب . ولربما كان السبب المنطقي والممكن لهذه النظرة المصرية والبعيدة لمشكلة فلسطين هي انشغال مصر في حروبها مع قوات الاحتلال البريطاني فيها . والنتيجة الطبيعية لهذا هي دمج اسباب الاحتلال البريطاني لمصر مع الاسباب التي أدت لظهور الصهيونية في فلسطين . لقد دعت الصحافة المصرية لقتال الصهاينة في فلسطين ، ولكنها كانت دعوة باردة وكانت تنظر الى قضية فلسطين على ضوء الاحتلال البريطاني لمصر . لذلك فان الصحافة المصرية رسمت خطا موازيا بين قضية فلسطين

ومصر وشعرت بأن اي قتال يحدث في فلسطين ، بالرغم من اهميته ، ليس اكثر من مقدمة لتجربة اعظم ، وهي قتال الاستعمار في كل مكان . ان القتال الجاري في فلسطين هو الجهاد الاصغر ، ولعل الامة العربية تعود من الميدان اقوى واقدر على الجهاد الاكبر(٣٦).

اما الصحافة الفلسطينية فقد كانت على ارض المعركة . وكان كتاب (الدفاع) و(فلسطين) يدركون جيدا الاخطار المحدقة بهم في فلسطين . ولهذا فقد حضوا قراءهم على الدفاع عن اجزاء فلسطين التي يحتفظ بها اليهود او التي يدعون انها لهم . « ونحن مقتنعون بالنهاية الحسنة في هذا الكفاح الذي نخوضه لحماية وحدة بلادنا ولنيلنا حقوقنا وحرياتنا . ونحن مقتنعون ان خصومنا يخوضون معركة خاسرة ، وان طبيعة الموقف والظرف في غير جانبهم . ونحن مقتنعون ان الحل سيكون في بلادنا ، لا في نيويورك كما تحاول القوى المعادية ، ولا في لندن . وفي نفس الوقت ، نحن مقتنعون بأننا سنواجه ظروفا قاسية، وسنتكبد تضحيات وخسائر ، وان الحالة ستتراوح معنا بين المد والجزر ، الى وقت ما . غير ان العبرة دائما بالنهاية »(٣٧).

لقد قيل مرارا ان سبب نزوح العرب عن فلسطين في اواخر سنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨ يعود الى دعوة الصحافة العربية للسكان لكي يتركوا فلسطين . وكما أشارت الفقرات السابقة ، فان الصحافة العربية كانت تحض الفلسطينيين والشعوب العربية على المشاركة في القتال من اجل فلسطين ، ولم تحض الفلسطينيين على الهروب من فلسطين ابدا. ان هذه الخرافة الصهيونية لا تلبث ان تتبدد اذا درسناها على ضوء الحقائق كما تنعكس في الافتتاحيات العربية . وفيما يختص بهذا الموضوع ، فان من الاهمية بمكان ان نعرف ردة الفعل في الصحافة الفلسطينية نفسها تجاه الحرب الناشبة في فلسطين . ان هناك ، بدون ريب ، شواهد وبراهين قوية تبين ان (الدفاع) و(فلسطين) لم تحثا القراء على ترك بيوتهم ابدا . بل على العكس فان الافتتاحيات الفلسطينية شعرت ان على الفلسطينيين ان يقدموا اعظم التضحيات ويكونوا مثلا للاخرين وانه لن يضحي احد من اجل فلسطين ما لم يضح الفلسطينيون من اجلها اولا(٣٨). ومع ان كتاب الافتتاحيات العرب حاولوا ، وفي بعض الاحيان بذلوا جهودا كبيرا لغرس الشعور بالوحدة بين الشعوب العربية لمواجهة الصهيونيين فان هؤلاء الكتاب لم يتعاموا عن الطبيعة السلبية التي لاحظوها في طريقة العمل والسير في الحرب من أجل فلسطين . وقبل دخول الجيوش العربية النظامية الى فلسطين في ايار ١٩٤٨ ، حاول الصحافيون ان يلفتوا انتباه قرائهم الى الاخطاء العديدة التي ارتكبت . وظهر نقد افتتاحي لطريقة تدريب الجيوش العربية واستخدام المتطوعين ، والافتقار الى التنسيق بين الدول العربية ورغبة السياسيين العرب في الكلام اكثر من العمل وغياب الفلسطينيين عن مسرح الدفاع عن بلادهم وجشع العرب في السعي من اجل تحقيق مصالح محلية وشخصية فوق المصلحة العربية أو على حسابها .

ومع ان انباء المعارك خلال نيسان وايار من عام ١٩٤٨ تركت انطباعا بأن المتطوعين العرب يحققون نجاحا عظيما في فلسطين الا ان الافتتاحيات لم تكن تعكس ذلك التفاؤل الذي كانت تنقله روايات الاخبار . ان الانطباع النهائي الذي ادى اليه فقدان دعم الافتتاحيات لروايات الاخبار تلك هو ان الاخبار كانت محاولة لنشر الاشاعات ورفع المعنويات . وكانت اكبر مجموعتين من المتطوعين العرب الذين كانوا يقاتلون في فلسطين قبل ١٥ ايار هما المجموعة التي كان يقودها عبد القادر الحسيني والمجموعة التي يقودها فوزي القاوقجي. وكان الحسيني يتلقى الاوامر من الهيئة العربية العليا ، اما القاوقجي فقد عينته الجامعة العربية. وقد تألف من هاتين المجموعتين جيش تحرير عرف بـ « جيش الانقاذ » . وكانت قوات عبد القادر الحسيني اكثرها فاعلية وذلك بفضل مقدرة قائدها(٣٩). ولسوء حظ العرب ، استشهد عبد القادر الحسيني في فلسطين في الاسبوع الاول من نيسان ١٩٤٨ . ويتساءل البعض : هل كان بامكان قوات التحرير الفلسطينية ان تؤثر في مجرى حرب ١٩٤٨ لو لم يقتل عبد القادر الحسيني اثناء تأدية واجبه . لقد شكل جيش الانقاذ بسرعة وتهور ، ولم يكن مدربا بشكل جيد وكان يأمل بانتصار ساحق سريع يظهر فيه امام العرب ، وقد اندفع الكثير من السياسيين الى الالتحاق بقوات المتطوعين(٤٠). « وفي مقابل عدو تسلح وتنظم لمدة طويلة فان المجموعة العربية الاولى قد ضمت عناصر غير متكافئة أدخلت المعركة بسرعة ، وبدون التدريب الكافي كما كان ينقصها السلاح

الثقيل »(٤١). وبالاضافة الى ادراك بعض كتاب الافتتاحيات لعدم خبرة قوات المتطوعين الذين دخلوا فلسطين ، كان هناك اعتراف بالنقص لعدم وجود فلسطينيين مسلحين قادرين على الدفاع عن بلادهم. وقد تركز هذا التذمر من الفلسطينيين ، مع أنه كان محدودا ، وبشكل واسع في سورية . وقد الحت عدة صحف وبشيء من السخرية الى انتقال الهيئة العربية العليا من القدس الى الشام في بداية عام ١٩٤٨ ، وابدى العديد من كتاب الافتتاحيات دهشتهم لان القيادة لم تبق في القدس . وقد كررت الصحف السورية على نحو ممل عزمها على النضال لتحرير الفلسطينيين ولكنها كانت تصطدم بعجز القادة الفلسطينيين عن تحرير انفسهم من جهتهم . وقد انتقدت احدى الافتتاحيات القادة الفلسطينيين لانهم كانوا يديرون العمليات ويوجهون المعارك من صالوناتهم الفخمة وهم جالسون على كراسيهم ، يستعملون المناظير المقربة لان ابتعادهم عن جو المعركة لا يمكنهم من النظر بأم عيونهم(٤٢). لقد كان دور الجيوش العربية النظامية ودور السياسيين العرب مهما جدا في تقرير المصير النهائي لفلسطين . وليس غريبا ان نكتشف ، بعد ذلك ، ان رأي الافتتاحيات كان يعود بالفائدة على المشاكل التي نجمت عن اقتراب تدخل الجيوش العربية النظامية ، كما كان يوضع في خدمة الساسة العرب ، وسوف نقول الشيء الكثير بعد قليل عن دور الجيوش النظامية في حرب ربيع ١٩٤٨ . وهنا نكتفي بالقول ان الافتتاحيات التي كانت تعالج دور الجيوش العربية قد اعطت انطباعا بأن الجيوش العربية كانت قوية بما فيه الكفاية لمقاتلة الصهيونيين في فلسطين ، ولم يكن هناك اي شك في قوة هذه الجيوش او ارادتها ، ولكن التساؤلات كانت حول التنسيق بين جيوش البلاد العربية المشتركة . وهنا ايضا ، فان الانطباع العام هو ان تفاصيل التعاون لتحرير فلسطين كانت قد اكتملت وكانت الحكومات متفقة على ذلك تماما(٤٣). وحتى هنا نجد بعض الملاحظات السلبية في بعض الصحف ، وقد وصفت احدى الصحف المسألة بايجاز بليغ : « في خلال ثمان واربعين ساعة ستسدد قائمة حساب الفلسطينيين ، واللبنانيون في جهل تام عن الاستعدادات العربية ... أين نحن ؟ وأين سنصبح غدا ؟ هل تم الاتفاق بين عمان والرياض ؟ وهل تسلم الملك عبد الله السلطة المطلقة للتدخل في الاراضي المقدسة . لقد حط الجيش العربي الآن في فلسطين، ولكن هل سيعمل وحده ضد الهاغاناه ؟ وهل ستمارس السلطة الحكومية والادارية ، بعد ١٥ ايار باسم الملك عبد الله ام باسم الجامعة العربية ؟ ان هذه الاسئلة جميعها التي تشغل بال اللبنانيين الى حد كبير لم تجد لحد الآن جوابا . هل سيدخل جنودنا الى فلسطين ؟ وهل سيقاتلون الهاغاناه في فلسطين ؟ نحن جاهلون كل هذا ؟ »(٤٤).

ولو فهم كتاب الافتتاحيات العرب قبل ايار ١٩٤٨ الموقف العسكري فهما جيدا لكان الموقف السياسي والمطامع الخصوصية للقادة السياسيين قد توضحت وفهمت بشكل أفضل . ان الادراك السياسي المتأخر كان صفة اساسية من صفات كتاب الافتتاحيات . ومع ذلك فان بعد النظر كان واضحا وخاصة في الصحف السورية . ومن الصعب ان نحكم على بعد النظر ذاك ، هل هو بعد نظر بالفعل ام انه افتراض عاطفي حالفه الصواب بطريق الصدفة . وكانت الصحافة السورية تركز اهتمامها بشكل خاص على الملك عبد الله في محاولاته الخفية لضم تلك الاجزاء من فلسطين التي كانت ستصبح طبقا لقرارات الامم المتحدة ، الدولة العربية الفلسطينية . لقد شعرت الصحافة السورية ان نية الاردن المعلنة في ضم فلسطين كانت في الواقع محاولة لالحاق فلسطين ببريطانيه وربطها بغلوب باشا ، الضابط البريطاني في الجيش الاردني(٤٥). ان ارتباط الاردن ببريطانية بمعاهدة وتزويدها الجيش الاردني بالموظفين والضباط ودفع معاشاتهم لم يغب عن ذهن افتتاحيات الصحف السورية . وقد صورت احدى الصحف السورية الخطط الاردنية بأنها « مهنة العبيد ، لان الاردن كان مرتبطا ارتباطا شديدا ببريطانية »(٤٦).

اما الشخصية الاخرى ذات الاهمية في فلسطين فكانت مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني ، الذي كان موضع هجوم حاد ، وقد استاء كثير من الكتاب من قبل من انتقال منظمته من القدس الى الشام . بينما تساءلت بعض الافتتاحيات حول مقدرته القيادية بريبة وحول الطريقة التي كان يصرف بها الاموال التي يقبضها من اجل توزيعها على المقاتلين ضد الصهيونيين . وقد كتبت احدى الصحف في تعليقها على المفتي قائلة انه قبض مبلغ ٢٥٠ الف

جنيه مصري ، صرف منها مئة الف جنيه على منظمته ، ومئة الف جنيه اخرى على الدعاية ، والباقي فقط صرف على شراء مواد حربية(٤٧).

ولم يقتصر النقد على عبد الله والحسيني ، فمع وقوع الهزائم العربيــة في حيفا ويافا والمذابح الصهيونية التي جــرت في دير ياسين بــدأ كتاب الافتتاحيات العرب يوسعون نطاق هجماتهم على القادة السياسيين . وباستطاعة المرء ان يعد مئات من الصحف التي قالت : كفانا كلاما وبلاغــات رسمية(٤٨). لقد كان الانذار واضحا تماما . ان مسؤوليـــة مستقبـل فلسطين تقع على عاتـق السياسيين العرب . فاذا نجحوا نعموا بالمجد واذا فشلوا كانوا هم الذين يتحملون المسؤولية . ولكي ينقذوا انفسهم ، فقد حث كتاب الافتتاحيات العرب القادة السياسيين على أخذ زمام المبادرة فـي ساحة المعركة ، وان يستمعوا الى الرأي العام الذي كان غاضبا بسبب تأجيل موعد الهجوم الى ما بعد ١٥ ايــار وان يدخلوا فلسطين بقواتهـم المسلحة باقصى سرعة ممكنة(٤٩). ومع ذلك ، فانه يبدو ان نداءات التحذير التـي نشرها كتـــاب الافتتاحيات لم تلق اي اهتمام في مقابل البلاغـــات العسكرية التي صدرت لتعلن النصر في المعركة . لقد ترك القارىء يعيش على الانطباع العام بأن النصر بعد الخامس عشر من ايار سيكون تامــا وسريعا . وفي اليوم الذي دخلت فيه الجيــوش العربية فلسطين لخص كسروان لبكي الموقف بدقة حيث كتب يقول : « في منتصف الليل مات الماضي. ليس من الضروري ان نحييه . اخطاء ... اخطاء شنيعة ارتكبت . وبين القــادة العرب ، كثيرون فشلوا في مهمتهم »(٥٠).

وفي مراجعة لآراء الافتتاحيات العربية حتى نهاية الانتداب البريطاني في فلسطين ، يكتشف المــرء نماذج مميزة من الافتتاحيات التي كتبت في الجرائد العربية : قبل عام ١٩٤٧ ، اظهرت المنــاقشات في الصحف نظرة موضوعية وبعيدة بعض الشيء ، وبعد النظر ذاك سمح لهم ان ينظروا الى المشكلة على انها ليست عسكرية فقط . ولكن بانتهاء عام ١٩٤٧ واقتراب ايار ١٩٤٨ ، بدا ان هناك علاقة مباشرة بين اقتراب نهاية الانتداب ونهاية النظرة الموضوعية التي أملتها فترة البرودة والركود في الماضي . وكانت النتيجة تغيرا في راي الافتتاحيات خاصة بعد تبني قرار التقسيم الصادر عن الامـم المتحدة . وقد أثر هذا التغير على ما رآه الكتاب وعلى ما تنبأوا به من نتائج . ولقد اخذوا يلاحظون وجود تأثيرات خارجية خصوصا من جانب الانكليز وصهاينة الولايات المتحدة والامم المتحدة . اما النتائج التي توقعوها لهذه الاسباب فكانت امكانية وقوع العنف في الارض المقدسة . ولم يتهــرب كتاب الافتتاحيات لدى رؤيتهم للمعركة امامهم ، بل اعربوا عن اعتقادهم ان الحرب في فلسطــين قد تقضي الى الابد على احلام الصهاينة وتمكن العرب من الحفــــاظ على الشخصية العربية في فلسطين . لذلك ، فانهم شجعوا على التــدخل العسكري بالقوة وايدوه معتقدين بأن ذلك قد يكون السبيل لاسترجاع الحقوق وشعروا بأن نجاح ذلك وتحقيقه أمر ممكن . الا ان الوحدة في الرأي التي لاحظناها قد حملت في طياتها تيارين خفيين مــن الشقاق . واستمرت الدعوات الى الوحدة فــي الافتتاحيات واستمر الاعتقاد العام بامكانية النصر، وربما يعود ذلك الى التفاؤل الذي اثارته التقارير الرسمية النابعة من الحرب التي لم تعلن بصورة رسميــة .

وبقيت كل دولة تنظر الى القتال الناشب من وجهة نظر محلية محدودة . وشعرت سورية انها كانت تقدم اعظم التضحيات وتطالب بالحاح بضرورة العمل العسكري . وكانت تكن شعورا خاصا غير ودي نحو الاردنيين والفلسطينيين لعجزهم عــن مساعدة انفسهم ، ومع ذلك فانها الحت علــى ضرورة العمل العسكري . وكان اللبنانيون يدركون ضعفهم العسكري ويخافون دخول الحرب بالرغم من تأييدهم لها . اما المصريــون فكانوا متأثرين بالانكليز ونظروا الى قضية فلسطين كجزء مــن القضية الشاملة للوجود البريطاني في الشــرق الاوسط . اما الصحافة الفلسطينية فقد عكست قربها من القتال . والصحف التي ظهرت من اجل النضال ضد الصهاينة ألحت على ضرورة خوض المعركة حتى الموت .

ان هذا التفسخ في الوحدة العربية ظهر ايضا على مستوى آخر غير المستوى القومي . وهكذا ساد اعتقاد بأن المتطوعين العرب ، والجيوش النظامية والقادة السياسيين ، ربما لم يستعدوا لمواجهــة الاحداث التي تقف امامهم . وعندما نشبت الحرب بصورة رسمية كان هناك نوع من الرغبة من جانب الكتاب العرب في التسامح والتناسي لاعتقادهم بأن

الجيوش العربية قد تنتصر . ولكن كان هناك انذار اكيد بأن المسؤولية ستقع على عاتق القادة السياسيين اذا لم ينجح العرب في المعركة .

لم يلعب رأي الافتتاحيات دورا كبيرا خلال حرب فلسطين التي بدأت رسميا في الخامس عشر من أيار عام ١٩٤٨ . وقد خصصت عدة اعمدة للحوادث الجارية في فلسطين وخاصة في حيفا والنقب والقدس لكنها كانت مجرد قسم من اية جريدة معينة . وكانت الصحف تمتلىء باخبار حوادث فلسطين . وكانت الافتتاحيات المتعلقة بفلسطين في ذلك الوقت تشكل اكبر جزء من النشرة اليومية المخصصة لفلسطين . ولكن هذه الحالة تغيرت في نيسان وايار من عام ١٩٤٨ . ومع ذلك يجب ان لا يقلل من شأن دور كتاب الافتتاحيات . لقد حثوا قراءهم على الدفاع وطالبوهم بمزيد من الالتزام الوطني . وزودوهم بافكارهم حول كيفية كسب الحرب التي ستشن ، وحذروهم من النتائج المترتبة عن خسارة العرب . وبالاضافة الى القول بأن فلسطين كانت تقريبا الموضوع الوحيد الذي اتفقت الدول والحكومات العربية في الرأي حوله[٥١] نزيد فنقول ان رأي الافتتاحيات كان ايضا موحدا عندما بدأت الحرب . الا ان مراقبة المطبوعات حددت المواضيع التي يمكن بحثها بحرية وجعلت الصحافة السورية واللبنانية تكتب بعض المقالات التي يصعب استيعابها . واذا استثنينا بعض الحوادث الخاصة ، كالصدمة التي احاطت بسقوط حيفا ، فقد بقيت المقالات تتميز بتفاؤلها بالرغم من فقدان الاصالة في المحتوى . وعندما اصبحت الحوادث اهم من اي تعليق عليها ، أخذت العناوين الرئيسية في الصحف تعكس رأي الافتتاحيات اذ انها كانت تفسر محتوى الرواية التي ستليها .

لقد خصصت صحيفة (فلسطين) بصفتها صحيفة فلسطينية كل عناوينها الرئيسية للحوادث داخل فلسطين . وجريدة « القبس » لكونها تمثل السوريين وربما لانها كانت اكثر الجرائد عاطفية من ناحية ارتباطها بفلسطين كما انها تحتل المرتبة الثانية من حيث نسبة تخصيص عناوينها الرئيسية للقضية الفلسطينية . اما صحيفة « اللوجسور » اللبنانية فكانت اكثر الصحف هدوءا في عناوينها الرئيسية . واما جريدة « الاهرام » المصرية ، اذا ما قورنت بالجرائد الاخرى ، فانها تبدو منفصلة ومبتعدة عن القضية الفلسطينية . ان موقف « الاهرام » يبدو غير عادي ، وخاصة في نيسان ، حيث خصصت عناوينها الرئيسية لمدة خمسة ايام للانتخابات الايطالية . وبالرغم من الشعور العام بالثقة والاعتقاد بأن العرب كانت لهم اليد العليا خلال ايام القتال ، فان الحرب التي استمرت من ١٥ ايار حتى ١١ حزيران ١٩٤٨ لم تنته بالانتصار العسكري لصالح العرب . انهم لم يهزموا ولكنهم لم يكسبوا المعركة . لماذا اصبح النصر السريع وهما ؟ لقد تضمنت الافتتاحيات عدة اجوبة على ذلك . كان الرد السوري العادي هو ان الشعب ، وخاصة الموسرين منه ، لم يضحوا بما فيه الكفاية . « نتعجب ، اين هو شعبنا الغني واين هو كرمه ؟ »[٥٢]. اما السبب الآخر الذي تدم للجواب عن هذه الخيبة فكان : « حقيقة لا مجال لنكرانها ، وهي أن الوحدة القائمة بين اليهود كانت اشد من الوحدة الظاهرة بين العرب (البقية خضعت للمراقبة) »[٥٣]. والسبب الثالث هو ان القتال كان فقط جزءا من الرواية التي بدات تتكشف . لقد كانت الجيوش العربية تسير بعملها بشكل حسن ولكن هناك معركة اخرى كان يجب خوضها وهي المعركة السياسية . وابتدأ الشعور باهمية التعاطف العالمي مع عدالة القضية العربية لضمان النصر العسكري ، لان الوقت الذي كانت فيه الامور تتم بأوامر الوزراء والسياسيين قد ولى ودخلت مرحلة جديدة لا يمكن فيها نكران قوة الرأي العام وتأثيره على الحكومات[٥٤]. واخيرا فان كتاب الافتتاحيات العرب قد عزوا الفشل العربي للقوى العالمية الكبرى ، وخاصة روسية والولايات المتحدة ، ولذلك القوا باللوم عليهما . والذي الهب صدور العرب كان سرعة اعتراف روسية والولايات المتحدة بدولة اسرائيل الجديدة . ومرة اخرى ، فقد نظرت الصحف الى اقتراب موعد انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة على انها السبب الذي دفع الرئيس ترومان على ذلك العمل . « انهم باندفاعهم المتهور في الاعتراف بالدولة اليهودية قد شجعوا الحرب الاسرائيلية بشكل حاسم . ان هذه الدول العظمى قد سعت للحرب ولم تسع للسلام . ولا ريب أن الاسباب التي دفعت بهما لذلك ليست واحدة ، ولكن الحقيقة القاسية قائمة ، وسيسجل التاريخ ضد الولايات المتحدة انها لاسباب دعت اليها السياسة الداخلية ، ولاسباب انتخابية ، مع بعدها حوالي ستة او

سبعة آلاف من الكيلومترات ، انهما الدولة ذات الحضارة المسيحية التي سعت للتضحية عمـــدا بالارض المقدسة »(٥٥).

اذا حاولنا ان نستعيد التعليقات والتحليلات التي قدمها الكتاب العرب للاحداث التي كانت تجري في ذلك الوقت في فلسطين لظهر لنا انها لم تتعمـــق للاصول والجذور . وطبيعي ان الزمن سيكون كفيلا بتوضيح ما حدث . ورغم ذلك ، فانه من المستحسن أن نشير الى ان بعض الاسباب الرئيسية للعمل العربي الهزيل في الحملة العسكرية الفلسطينيـــة الاولى لم يكن موضع تعليق في الصحافة وربما لم يكن معروفا لدى المعلقين . واحد الامثلة هو فقدان الاستعداد الكافي في الجيوش العربية وافتقادهـــا للمقدرة الهجومية(٥٦). وكانت نقاط الضعف فـــي الجيوش العربية واضحة منذ الايام العشرة الاولى من التدخل العربي في ايار(٥٧). ولم يكن هناك اي ذكر في الصحافة ، على الاقل في فترة الحرب ، للفضائح التي كانت ترتكب اثناء تلك الفترة . فمثلا كانت هناك قضية المقدم فؤاد مردم ، قريب رئيس الوزراء السوري ، الذي كان في مهمة شراء اسلحة في ايطالية . وبعـــد ان اشترى السلاح اختطـــف الاسرائيليون سفينته المحملة بالاسلحة بينما كانت متوجهة الى سورية . وفي ايار وحزيران من عام ١٩٤٨ لم يرد ايضا ذكر للاجتماعات السرية التي تمت بين الملك عبد الله وبعض الزعماء الصهاينة . وهذه الاجتماعات وما اعقبها من اجتماعات اخرى ستظهر في فترة لاحقة . لقد كانت الاتصالات السرية بين القائد العسكـــــري العربي اسميا واعدائه مجهولة تماما . الا ان هذا النقص في المعلومات في مجالات معينة لم يمنع كتاب الافتتاحيات مـــن الحكم على الحوادث التي كانت تنكشف . لكـــن حكمهم كان محدودا ومتحيزا بفعل الحقائق الناقصة التي كانت في متناولهم . وفي فترة الحرب كانت الرقابة على المطبوعات عامـــلا آخر منع قيـــام مناقشات اوسع للحـــوادث في الشرق الاوسط .

واستطاع الكونت برنادوت ، وسيط الامم المتحدة ، ان يجري مفاوضات حول هدنة تستمر اسابيع وتبدأ في ١١ حزيران . ولا تزال اسباب قبول العـــرب بالهدنة موضع نقاش حتى اليوم . وقد اثيـــرت الاسئلة حول اسباب قبول الهدنة في عام ١٩٤٨ . وشعر عدة معلقين ان العرب قد قبلوا بالهدنـــة لاظهار نيتهم ورغبتهم في الدخول في مفاوضات : ان قبـــول البلاد العربية بوقـــف القتـــال لا يعني الضعف ، ولكنه يعني ان البلاد العربية تقـــدم فرصة اخرى لمجلس الامن ، وبهذا قدم العرب الدليل على رغبتهم المخلصة في التعاون مـــع الامم المتحدة للوصول الى حل(٥٨). واعتقد كتاب آخرون انه ربما طبق الضغط الغربي على العرب لجعلهم يقبلون بالهدنة . والمقصود هنـــا هو ان كـــون بريطانية مرتبطة بعلاقات خاصة مع مصر والعراق والاردن مارست ضغطا لتحقيق القبول . « ولانهم لم يستطيعوا ان يفعلوا غير ذلك فقد قبل العرب بالهدنة »(٥٩). اما على الصعيد العملي فقد اجمع الكتاب العرب على ادانة الهدنة الاولى . اذ ان الشعور العام ، هو ان العرب كانوا في موقـــع الهجوم وان قبولهم بالهدنة اثر على القوة الدافعة التي كانت تحفزهم على السير نحو النصر النهائي ، مع ان سيرهم كان بطيئا . « مساكين ايها العرب ! ما اطيب قلوبكم »(٦٠). هذا هو الاعتقاد الـــذي ساد صفوف كتاب الافتتاحيات .

وبالاضافة الى ان الهدنة جعلت العرب يفقدون تلك القوة الدافعة فقد رأوا ان الهدنة كانت وسيلة مارسها الاسرائيليون لكي يزيدوا امداداتهم ويكملوا استعداداتهم العسكرية . كان هذا في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية على ابواب تل ابيب(٦١). « كل يوم يمر ، وكل ساعة تنقضي يكسبهمـــا اليهود . ان الدولة اليهودية ستعيش بدءا مـــن الغد ، اسابيعها الاربعة الاولى مـــن السلام . وستضمد جراحها ، وتنظم نفسها بهدف استئناف اعمالها العدائية النهائية . ان هذه الفترة نفسها مفتوحة امام العرب . ولكن العرب كانوا ، ومـــا زالوا حتى اليوم ، في موقف الهجوم . ونأمل ان يحافظوا على هذا لمدة شهر »(٦٢).

وبينما كانت الهدنة تمـــر ، انصرف الاسرائيليون والعرب لمعالجة جراحهم واستعدوا للمعركة القادمة عند انتهاء الهدنة في ٩ تموز . ولكن هذان الخصمان لم يكونا وحدهما في شغل شاغل في فلسطين . فقد كان الكونت برنادوت مشغولا بالسفر بـــين الاطراف المتحاربة . واخيرا اقترح خطة لحل مشكلة فلسطين . وقد تضمنت مقترحاته دمج الجزء العربي الذي حددته خطة التقسيم مع شرق الاردن . وقد دعا ايضا الى ضم القدس بكاملها الى هذه الدولة العربية التي كان يفترض ان تكون تحت سلطـــة الهاشميين . ومن المقترحات التي تضمنها مشروع

برنادوت الهجرة اليهودية غير المحدودة الى دولة اسرائيل لمدة عامين واعطاء العرب منطقة النقب مقابل الجليل(٦٣). ومن المعروف الآن ان الملك عبد الله كان راغبا في عقد صلح مع الاسرائيليين وكان يسعى للصلح بكل الوسائل وبالرغم من رغبة الشعوب العربية وارادتها . اما الحكومات العربية الاخرى فلم تكن راغبة في السماح للملك عبد الله بزيادة حجم بلاده واتساع نفوذه في الشرق الاوسط. وقد كان كتاب الافتتاحيات العرب خارج شرق الاردن صوتا واحدا في رفضهم لمقترحات الكونت برنادوت ، بالرغم من ان الخوف من تفوق شرق الاردن لم يظهر . اما السبب المهم لرفض مقترحات الوسيط الدولي فهو ان القبول بتلك المقترحات ، سيجعل الدول العربية ترتكب اثم الاعتراف بالواقع غير الشرعي للدولة اليهودية التي قامت على الارض العربية . وليس هناك اي مجال للشك بأن الخوف من توسع شرق الاردن ، كان يرافقه عامل آخر ، وربما كان العامل الاهم ، الا وهو الخوف مما يحمله المستقبل للشرق الاوسط لو ان دولة صهيونية قامت هناك ... وليست هناك حكومة تستطيع ان توافق على مقترحات الكونت برنادوت . وكيف يكون الامر غير ذلك طالما ان العرب يعلمون ان قيام دولة يهودية سيكون ضربة مميتة لآمالهم ، وسيشكل خطرا دائما على مستقبلهم القومي(٦٤).

وطالما ادرك العرب ان الصهاينة يستغلون الهدنة لتعزيز وتقوية دولة اسرائيل ، فقد وقف كتاب الافتتاحيات العرب ضد تمديد الهدنة . وقد دعوا العرب لمقاتلة « الصليبيين اليهود »(٦٥). لان « المسألة بسيطة وهي ان فلسطين ارض عربية ويجب ان تكون ملكا لابنائها الشرعيين »(٦٦). وقد اعلن كتاب الافتتاحيات العرب بصراحة عن دعوتهم لاستئناف القتال . لقد حذروا الوسيط والصهاينة من ان العرب سيلتقون مرة اخرى في تل ابيب . ولذلك فقد دعوا الجيوش العربية لمتابعة القتال حتى يتحقق النصر(٦٧).

واستؤنف القتال ، مع نهاية الهدنة الاولى ، في ٩ تموز ١٩٤٨ . وكانت نتائج حرب الايام العشرة هزيمة منكرة للقوات العربية . ففي الشمال استولت القوات الاسرائيلية على الجليل الغربي واجتازت الحدود اللبنانية حيث احتلت ١٤ قرية . وفي القسم الاوسط من فلسطين ، احتلت اللد والرملة ، بالاضافة الى مدن اخرى ووسعت الممر المؤدي من الساحل الى القدس الجديدة . وفي الجنوب توغلت القوات الاسرائيلية الى النقب . وبحلول هذه الهزيمة ، كشف القادة العرب عن رغبتهم في عقد هدنة ثانية . وكانت ردة الفعل تجاه الهدنة الثانية غير واضحة . وكما يمكن ان نتوقع فقد كانت الصحافة السورية في طليعة الصحف التي شجبت هذه الهدنة . اما الكلمة التي انطلقت من كثير من هذه الصحف فهي ان الشعب يريد القتال ، ولا يريد الهدنة(٦٨). وقد شعرت احدى الصحف السورية بأن وقف اطلاق النار يجب ان لا يلتزم به ودعت مجلس الامن الذي كان في مقدمة الداعين الى الهدنة « مجلس الظلم »(٦٩). وابدت صحف اخرى ضرورة القبول بوقف اطلاق النار في فلسطين ، ولذلك تدمت وجهات نظر مختلفة حول نتائج الهدنة . اما بالنسبة للصحف المصرية فقد كانت الهدنة الثانية مجرد خطوة على طريق الصراع الطويل القادم . وفي النهاية استطاع الشعب العربي ان يتوقع الانتصار(٧٠). ومن ناحية اخرى فقد كانت الصحف اللبنانية اكثر تشاؤما : في مساء الثامن عشر من تموز تلاشت احلامنا ... وسمرت فلسطين الحبيبة على الصليب . كان اولئك الذين صلبوا المسيح ارادوا ايضا ان يصلبوا الارض التي ولد فيها(٧١).

وبالرغم من محاولات التبجح التي قام بها الناطقون الرسميون في الدول العربية المختلفة ، فانه كان واضحا ، عندما بدأت الهدنة الثانية ، بأن النصر الذي وعد به الشعب العربي لم يكن له اي اثر . وشعر العرب بالخيبة مرتين خلال شهرين ، عندما وجدوا ان دولة اسرائيل لا تزال قائمة . هذه الحالة دفعت بكتاب الافتتاحيات العرب الى التفكير بما حدث ، ولماذا لم يحققوا النصر . لقد اعطيت اسباب كثيرة لعدم الانتصار . ولقد القوا باللوم على الدول الغربية لمساعدتها اسرائيل . وتعرضت الجامعة العربية لنيران الصحافة واصبح دور شرق الاردن موضع تساؤل . ووجد القادة العرب انفسهم يتعرضون لحملات النقد في الصحف . واصبح دور بريطانية موضع تدقيق خاص في الصحافة العربية . وانصبت اللعنة على الانكليز لان العرب احسوا انهم خدعوا في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ عندما اتفق الانكليز والفرنسيون على تقسيم الشرق الاوسط الى مناطق نفوذ . واحسوا بأن الانكليز قد خدعوا العرب مرة ثانية بمساعدتهم للصهاينة عام ١٩٤٨(٧٢). وفي الوقت نفسه فقد اصبح دور

الولايات المتحدة مصدر تساؤل : في هذه المناسبة نود ان نوجه كلامنا الى بريطانيـــة واميركة . ان العـــرب يعتقدون ان الصهاينـــة لا يستطيعون ان يحققوا بمفردهم اي امل من آمالهم ، ولولا دعـــم القوى العظمى ومساعدتها لما كـــان باستطاعتهم (اي الاسرائيليين) ان يفعلـــوا ما فعلـــوه فـــي فلسطين(٧٣).

كان الانتقاد الذي وجه للدول الاجنبية لدورها في خلق قضية فلسطين قليلا نسبيا . وكان الشعور الذي ساد الافتتاحيات هو : من المستحسن والجيد القول ان اسرائيل قامت على أيدي القوى الاجنبية، ولكن لماذا لم يكن العرب قادرين على تحطيم دولة صغيرة ناشئة وضعيفة ؟ وتعرضت الجامعة العربية لكونها محط انظار الشعوب العربية لحملات عنيفة ونارية . ان كون الجامعة العربية وامينها العام عبدالرحمن عزام قد تصرفا كمانعة صواعق يعود في قسم منه الى ان رئاسة الجامعة العربية فـــي القاهرة ، كانت في الشهور الثلاثة التي سبقت الهزيمة اشبه بمصنع ورق ، فقد توزعت مئات التقارير والبيانات تحمل اخبار الانتصارات العربية العظيمة في المعركة. وعندما عجزت هذه الانتصارات عن الظهور والتحقق على صعيد الواقع ، انصب غضب الكتاب العرب على الذين ضللوهم . كتبت « النهار » تقول : « نجد ان اللجنة السياسية لا تزال تتأرجح ، وهي تهيء المستقبل ، بين اعتماد القوة والاتكال على مبادىء السلم والعدالة : فهي تقول ان وقف القتال ليس الهدنة وان هذه الهدنة — اذا قامت — لن تكـــون سوى مرحلة جديدة في سبيل استخلاص حقوقنا وصون عروبة فلسطين . ثم تعود لتؤكد ان قواتنا ستبقى مرابطة في البلاد المقدسة الى ان « يعود السلام الى ارض السلام . » ! اتعتقد اللجنة السياسية ان هذه « القوات » التي ستبقى مرابطة في فلسطين ستكفل لها الحصول على حقها ، اذا فشلت المفاوضات التي تفسح مجالا لها ؟ واذا كانت هذه القوات كفيلة بذلك ، فلماذا لا تمضي في المعـــركة التي بدأت ، وتحصل على هذه الحقوق بعد ان اقتنعت اللجنة السياسية ان للقوة وحدها القول الفصل ، وان الهدنة خـــداع وتسويف ؟ ام ان اللجنـــة السياسية تقصد من ابقاء هذه الجيوش « تخويف » مجلس الامن والضغط على الوسيط حتى «يعطينا» من الشروط ما يتناسب مع قوتنا ؟ ام هي تريد من الهدنة مجالا جديدا لدعم قواها ورص صفوفها حتى تجلي في السباق المقبل اكثر ما جلت في السباق الماضي ؟ اما نحن ، فاننا نرى ان اللجنة تستسلم الان لـــ «الامر الواقع» وتسعى جهد الطاقة الى انقاذ المظاهر مضللة من يسهل عليها تضليله . فاذا كان لنا ، وللشعوب العربية قاطبة ، ما نقوله لها ، فهو ان سياستها قد فشلت ، وان ما تقوم به لا يخدع احدا بعد اليوم ، اذا كان ثمة من انخدع بالامس ! »(٧٤).

وهذا تعليق غاية في السخرية حول دور الجامعة العربية وامينها العام : « دعنا نعترف ... بأن السخيف في الشرق لا يقتـــل ابدا . ولو كـــان للسخافة ان تقتل ، لكان عبدالرحمن عزام ، الامين العام للجامعة العربية قد مات ١٠٧ مرات . لقد كان عبدالرحمن عزام رجلا ميتا في كل مرة افنى فيها اسرائيل بكثرة الكلام المغرق في عاطفته ، وفي كل مرة كان يعبر عن تفاؤله فيما يختص بتطورات الشأن الفلسطيني في الامم المتحدة . وفي كل مرة كان يعلن للعالم المقررات السرية والقرارات الخفية لمجلس الجامعة وللجنة السياسية ... ولا يبدو ان عبدالرحمن عزام وسادة الجامعة العربية قد تعلموا اي شيء . لم يتعلموا ، على اية حال ، ان النصر في فلسطين لم تقرره العوامل الاجنبية ، بل كان ايضا والى حد بعيـــد يعود الى تفكك سياستهم الخارجية »(٧٥). ان هذا الشعـــور بالمرارة قد ظهر في دعوة بعض الصحف الى الغاء الجامعة العربية . وبما ان الجامعة قد مارست سياسة اكبر من وسائلها ، فان العديد من الصحف شعرت بأن الجامعة يجب ان تدفن حتى لا تعرف الاجيال العربية في المستقبل كم كانت ضعيفة هذه الجامعة(٧٦).

والى حد بعيد لم تكن الحملة الكبرى من التوبيخ في الافتتاحيـــات موجهة للجامعة العربية ولا للنفوذ الاجنبي ، بل تركزت حول مسؤولية القادة العرب عن الكارثة . وقد لام كتاب الافتتاحيات القـــادة العرب لارتكابهم غلطتين اساسيتين . أما الغلطة الاولى فهي ان القادة العرب تجاهلوا الشعب ولم يدركوا ان الحرب لا تكسب اذا كان القائد في واد والشعب في واد آخر ولا يعلم شيئا عما يجري حوله . اذ كان على القادة ان ينالوا الدعـــم الشعبي حتى ينتصروا ، وهذا ما لم يحدث . وثانيا ، اعتقد كتاب الافتتاحيات ان القادة كانوا

غير منظمين وكانوا يفكرون بأهداف محدودة . وشعروا كذلك بأن القادة كانوا يسعون وراء المآرب الشخصية اكثر من سعيهم وراء خير الشعب العربي في فلسطين او خير الشعوب العربية كلها(٧٧).

وقد تضمنت معظم الافتتاحيات القول بأنه لولا فقدان القيادة العسكرية الحقيقية ، ولولا ظهور الخيانة من جانب بعض القادة ، ولولا المساعدات الاجنبية لاسرائيل ، ولو ان الجامعة العربية قامت بدورها المرسوم لها لكان العرب على موعد مع الفوز والنصر بدون شك . ولكن ذلك ، لا يجيب في الحقيقة عن السؤال : لماذا هزم العرب ؟ ويظهر ان كتاب الافتتاحيات العرب قد اصيبوا بالوهم نفسه الذي كان متفشيا في الصين في القرن التاسع عشر . لقد كان الشعور العام في الصين وفي الشرق الاوسط العربي يعتقد بامكانية دمج التكنولوجيا مع الاوهام الشرقية . الا ان الصينيين ادركوا فيما بعد انه لا يجدي ان يكون في متناول المرء آلة حديثة بدون اي مفهوم تكنولوجي . لذلك فان التحديث على صعيد التكنولوجيا فقط ليس كافيا ، بل يجب ان تجدد العقول التي ستدير تلك الالات . ولم يحدث ان كتب كاتب افتتاحيات في اي مكان : ان سبب الانتصار الاسرائيلي يعود الى ان جذور الصهيونية قد نبتت في الحياة الاوروبية الحديثة ، في حين ان القسم الاعظم منا لم يزل بعيدا عن هذه الحياة وليس في مستواها(٧٨). وباغفال هذه النقطة ، ربما فات كتاب الافتتاحيات العرب اعظم سبب لهزيمة العرب في عام ١٩٤٨ . وكذلك فقد فاتتهم فرصة مساعدة شعبهم ليس على فهم اسباب الكارثة فقط ، ولكن حول كيفية جعله يتجنب كارثة اخرى .

ان مرور الزمن لم يستطع دائما ان يحسن المشاعر السلبية لدى كتاب الافتتاحيات العرب . وبقيت الوحدة العربية شيئا محيرا كما كانت من قبل حتى في سنة ١٩٥٠ : « ... انصرفنا ... الى الاسراف في ضرب بعضنا البعض بالكلام »(٧٩). وبقي الشعور قائما بأن القادة العرب لم يفعلوا شيئا « وان العرب قد دخلوا المعركة وهم يبحثون عن مبدأ يعتنقونه فعندما وجدوا ذلك المبدأ ، اختلفوا على تفسيره وعندما اتفقوا على التفسير اختلفوا على التنفيذ ... فحلت الكارثة وضاعت فلسطين ! »(٨٠). لكن دور افتتاحيات الصحف لم يستمر في ذلك الاتجاه السلبي الوحيد . ومع مرور الزمن بدأ الكتاب يلتقطون ما تبقى محاولين قيادة الرأي العام مرة اخرى .

كان هذا الاهتمام المباشر منصبا على مصير الـ ٣٠٠،٠٠٠ لاجيء الذين تركوا فلسطين . ودعا كتاب الافتتاحيات اصحاب الغنى والثروة لمساعدة اخوانهم التعساء . وتساءل عدد من كتاب الافتتاحيات عما اذا كان اللاجئون العرب سيشكلون شتاتا جديدا مكان اليهود المتجمعين في فلسطين(٨١). ولم يبذل كتاب الافتتاحيات الكثير من وقتهم حول قضية اللاجئين لانهم كانوا يأملون ان تسفر المفاوضات التي جرت في اواخر سنة ١٩٤٨ عن عودة اللاجئين الى وطنهم . واذا كانت قضية اللاجئين لم تحظ بالتدقيق والتفحص ، الا ان اعمال الملك عبدالله قد خضعت للتدقيق والتحقيق . فمع مطلع تشرين الاول ١٩٤٨ ، بدأ النقد العدائي ينصب عليه للدور الذي قام به في الحرب عند ادارته قطاع شرق الاردن . ومنذ عام ١٩٤٧ كان النقد موجها الى مطالبته بضم فلسطين ، ذلك انه لا يمكن تشكيل اية حكومة في فلسطين طالما ان الملك يحمل فكرة ضم فلسطين العربية الى شرق الاردن. « لو كان في فلسطين حكومة في منتصف ايار ، فان اقل ما يقال هو ان تعاسة اللاجئين ربما كانت اقل ولربما امكن تجنب الكثير من البؤس . ففي رفض قيام حكومة في فلسطين في تلك اللحظة قام مكان البلد الذي كان بامكانه ان يدافع عن نفسه، كيان محتل ... حدث كل هذا لان النيات لم تكن سليمة . لقد كان يطمع في فلسطين حتى اولئك الذين كانوا يدعون انهم يحافظون عليها »(٨٢).

وقد بدأت الحملات الصحفية في الافتتاحيات على الملك عبدالله في الربع الاخير من عام ١٩٤٨ ، وقد كانت في الواقع انعكاسا للشعور بالغضب من ضم ضفة نهر الاردن الغربية الى مملكة شرق الاردن . فمنذ وقت طويل ، كان هناك شك وارتياب من جهة الدول العربية الاخرى ذات العلاقة المباشرة بالقضية العربية بأن الملك عبدالله كان يرغب في توحيد الشرق الادنى تحت سيادة التاج الهاشمي. وفي الواقع ، بدات الدول العربية ذات الحدود المجاورة لشرق الاردن ، على تشجيع الفلسطينيين في عام ١٩٤٨ على تشكيل حكومة خاصة بهم تكون عاصمتها غزة وذلك لاحباط المحاولة التوسعية التي كان يقوم بها شرق الاردن . فكانت مصر في طليعة

المؤيدين لحكومة عموم فلسطين التي تشكلت في العشرين من ايلول ١٩٤٨ برئاسة احمد حلمي عبدالباقي(٨٣). وقد انتخب المجلس الوطني لحكومة عموم فلسطين ، المنعقد في غزة ، مفتي القدس ، الحاج امين الحسيني ، رئيسا له . ويبدو واضحا ان الحكومة المصرية كانت تحاول عرقلة نية الملك عبدالله المعلن عنها بشأن ضم الاقسام التي كان يديرها في فلسطين . ومع ذلك فان الملك عبدالله لم ينتظر طويلا في قبول التحدي . ففي الاول من كانون الاول ١٩٤٨ حضر حوالي ألفي فلسطيني ، معظمهم من عملاء الملك ، ما عرف بمؤتمر أريحا ، ودعوا الى اتحاد فلسطين مع شرق الاردن . وقد اعترضت مصر وسوريه ولبنان والعراق بسرعة بالحكومة الفلسطينية في غزة وحذرت ملك شرق الاردن من اية محاولة لضم فلسطين. ولاقت مطالب الحكومة اصداء قوية في صحافة الدول ذات العلاقة . وكان لبنان الدولة الاكثر تحفظا في شجب اعمال الملك عبدالله . أما افتتاحيات الصحف السورية والمصرية فقد شنت حملة عنيفة على سياسات الملك الهاشمي . وحذرت الصحافة المصرية من ان اية محاولة لضم فلسطين ستحدث تصدعا شديدا في الجبهة العربية المتماسكة القائمة حتى الان في مواجهة الصهيونيين في فلسطين(٨٤). لقد كان كتاب الافتتاحيات المصريون مصيبين في تقييمهم الى هذا الحد . فقبل ضم فلسطين الى شرق الاردن ، كان العرب ، على الاقل ولو شكليا ، متحدين في معارضتهم للصهيونية . ولكن مع توسع شرق الاردن ظهر فصل جديد في المسألة الفلسطينية . اصبحت المسألة انقساما واسعا في الصفوف العربية . ولذلك اصبح اي تحفظ من جانب كتاب الافتتاحيات في مهاجمة قادة الشعوب العربية تنفيذا قسريا لاوامر حكوماتهم المعنية . وقد رفعت جميع القيود بعد كشف واعلان نوايا الملك عبدالله . واذا كان للمرء ان يحكم من خلال مجموع رأي الافتتاحيات المخصصة لكلا الطرفين (أي دور القادة العرب في الحرب واعمال الملك عبدالله) يجد ان دور القادة العرب لم يكن يثير سخط الكتاب بقدر ما كانت تثيرهم خطط الملك عبدالله من اجل ضم فلسطين . وباستطاعة المرء ان يصل الى هذه النتيجة وهي ان شعوب مصر وسوريا ولبنان كادت تعتبر خسارة فلسطين ووقوعها في يد اسرائيل اقل مرارة من خسارة فلسطين ووقوعها في يد الملك عبدالله . وقد كان تصرف الاردن بداية مرحلة من الاتهامات العنيفة تشنها صحافة احدى الدول ضد قادة الدول الاخرى . وقد لخصت « المنار » السورية ذلك بشكل جيد حيث كتبت تقول : ان ضم عبدالله فلسطين الى شرق الاردن قد زرع بذور الشقاق في الجامعة العربية وفي القضية العربية وذلك من اجل منفعة الافراد ، لا الشعوب(٨٥).

وفي ذلك الوقت بالذات عندما بدأ الخلاف يتطور بشكل عملي حول تكوين حكومة « عموم فلسطين » ظهر التقرير الثاني للكونت برنادوت . وقد أودع الكونت تقريره في الامم المتحدة في ١٦ سبتمبر واغتيل في ١٧ سبتمبر ، ونشر تقريره في ٢٠ سبتمبر ١٩٤٨ . وكان التقرير الثاني في نظر العرب كالتقرير الاول تماما . ولهذا السبب رفضه كتاب الافتتاحيات العرب جميعهم تقريبا لرفضهم اي شكل من اشكال التقسيم . « لم يأت الوسيط بأي شيء جديد وانها الحقيقة لا يمكن نكرانها ، ان حقوق العرب في فلسطين لا يمكن ان تكون هدفا للمساومة »(٨٦). ومع ان العرب رفضوا مقترحات الكونت برنادوت ، الا انهم ابدوا شجبهم العنيف لاغتياله . وقد فسر العرب موته بقولهم انه بسبب مثل هذه النشاطات الارهابية التي يقترفها الصهاينة دخلت الدول الاعضاء في الجامعة العربية فلسطين في ١٥ ايار (٧٨). ومع انقضاء الزمن على تلك الحوادث التي جرت في النصف الاول من عام ١٩٤٨ ، بدأ الكتاب العرب يكونون فكرة حول نتائج القتال . وبدأ يظهر في الافتتاحيات العربية هاجس الصراع الطويل المنتظر . « عشية الخامس عشر من ايار، كانت التصريحات العربية تفسح المجال للاعتقاد بأن جيوشنا في فلسطين سوف تقوم برحلة عسكرية ترفيهية . واليوم لا مجال للسؤال حول تلك الرحلة الترفيهية »(٨٨).

هذه المعركة الطويلة ضد القوى الصهيونية كان بالامكان الاسراع بها الى النصر بخطى اوسع لو توفر للعرب ان يتحدوا فقط . « ان الدرس الاول الذي تعلمناه من فلسطين والذي يجب ان نتذكره دائما ، هو ان في وحدتنا قوة »(٨٩). الا ان آخرين رأوا في الصراع الطويل الامد نصرا للصهيونيين سواء كان العرب متحدين ام متفككين . لقد كانوا يعتقدون بأن كل ثانية عاشتها اسرائيل كانت فترة زمنية عززت فيها نفسها وزادت عددها وعدتها . وكان كتاب الافتتاحيات يطالبون بالعودة

الى المعركة حالا(٩٠). اما بالنسبة لكاتبين لبنانيين من كتاب الافتتاحيات فان الخطر على العرب يكمن في الشخصية الدولية للصهيونية . ان كون اليهود في مختلف انحاء العالم يدعمون اسرائيل قد الهب صدور هذين الكاتبين غيظا . لقد ركزا اهتمامهما على مدينة القدس . لقد كتب كسروان لبكي يقول « ان الدولة اليهودية بدون القدس اشبه بجسم بلا روح »(٩١). وكتب ميشال شيحا مرددا صدى هذا الكلام : « لا صهيونية بدون صهيون ، وبدون القدس لا يمكن لدولة اسرائيل ان تتقدم ابدا »(٩٢). واستمر رأي الافتتاحيات في لهجته التشاؤمية عندما انفجر الصراع في منطقة النقب في الربع الاخير من عام ١٩٤٨ . وقد هزمت مصر على يد الاسرائيليين. وربما يكون عجزها عن مواصلة الحرب قد دفع بها لقبول دعوة وسيط الامم المتحدة بالوكالة ، رالف بانش ، للتفاوض حول الهدنة الاولى في جزيرة رودوس . وصل الوفد المصري في كانون الثاني ١٩٤٩ ، ودفع هذا المسعى المصري بأحد كتاب الافتتاحيات الى الاشارة بأن رحلة المصريين الى رودوس تعتبر نهاية اللعبة بالنسبة للدول العربية. لانهم جميعا سيسيرون في الخط نفسه « ويلعبون لعبة الموت مثلما فعلوا دائما ويقبلون بالعار والامر الواقع »(٩٣).

حذت شرق الاردن حذو مصر وذهبت الى رودوس في شباط ١٩٤٩ . وبدأ لبنان المفاوضات في آذار في حين وقعت اتفاقية هدنة بين سوريه والاسرائيليين في تموز ١٩٤٩ . وحاولت افتتاحيات الصحف المصرية ان تظهر بمظهر المتفهم للاسباب التي دفعت بالعرب الى مائدة المفاوضات : ان الهدنة في فلسطين تعتبر مرحلة مهمة ، لانها تفتح الطريق أمام حل دائم للقضية الفلسطينية ... وبالنسبة لمصر ، فانها تنظر الى موقفها باعتزاز لانها قامت بواجبها ووفت بوعدها وكانت مخلصة للقضية العربية(٩٤). وكانت الصحافة السورية تعارض بصورة متشابهة العمل المصري في الذهاب الى رودوس ، غير ان الانتقاد المناوىء لم يعد مسموحا به في سورية بعد ذهاب الوفد السوري الى رودوس(٩٥).

كان تعليق الافتتاحيات حول مقترحات الكونت برنادوت ومصير القدس ، والاحداث الجارية في رودوس ، يبدو اقل اهمية اذا ما قورن بتعليقها على المسرحية التي يمثلها شرق الاردن من ناحية والدول العربية الأخرى بقيادة مصر من ناحية ثانية. ومن ميزات الافتتاحيات التي كتبت حول مصير ذلك الجزء من فلسطين الذي استولى عليه عبدالله انها كانت مثيرة وصريحة بعكس الافتتاحيات التي كتبت فيما يتعلق بالاحداث السابقة والتي امتازت بالافتقار الى الاثارة وعانت من الكبت . ان خطة الضم التي أعلنها شرق الاردن ، كما بينا اعلاه ، قد وضعت بشكل مناسب كنقطة لتفجير النزاع بين العرب . وبامكان المرء ان يفهم القلق الحقيقي لدى الامة العربيـــة لان شرق الاردن اخضع مصالح الفلسطينيين وحقوقهم لاعتبارات اقليمية ذات علاقة بالسلالة الحاكمة . يضاف الى ذلك خوف العرب من نمو شرق الاردن في ظل ارتباطها ببريطانيه وبالمصالح البريطانية في الشرق .

يجب ان تنظر الى قضية فلسطين في ضوء التنافس الشرق — اردني — العربي . وقد كانت مشاعر الكتاب العرب نحو اللاجئين الفلسطينيين انسانية في قسم منها ولكنهم قدموا معها افكارا سياسية . وبناء على ذلك ، فعندما فشلت المفاوضات حول عودة اللاجئين ، انصب الاهتمام على المأزق الذي هم فيه . ولاسباب سياسية في معظمها ، فقد توصلت شرق الاردن والدول العربية الاخرى على التوالي ، الى رأيين مختلفين حول كيفية ايجاد حل لمسألة اللاجئين .

كانت مصر في معارضتها للضم الاردني لفلسطين ، تعارض بالطبع اية خطة تتعلق باللاجئين من شأنها ان تحقق غاية ذلك الضم ، ولذلك فقد عارضت توطين اللاجئين في شرق الاردن . ولقد قالت مصر ان المطالبة بعودة اللاجئين الى ذلك الجزء مـــن فلسطين الذي عين اصلا من قبل الامم المتحدة ليكون للصهيونيين ، هو مطلب عادل . وبهذه الطريقة رفضت ان تؤيـــد اهداف شرق الاردن برفضها التعاون مع الامم المتحدة في محاولاتها لايجاد تسوية اقتصادية لمشكلة اللاجئين . وقد ظهر هذا الموقف اولا في خريف عام ١٩٤٩ عندما ارسلت الامم المتحدة لجنة اقتصاديـــة لدراسة امكانية ايجاد عمل للاجئين . وقد رأت مصر في هذا خطوة نحو تسوية اقتصادية للمشكلة بينما كانت تنظر الى المشكلة على انها سياسية وعسكرية : يتضح من مهمة لجنة الامم المتحدة انها تحاول ايجاد صلة بين مصير اللاجئين والمشاريع الاقتصادية التي تساعد على توطينهم ، وكأنه قد تقرر ان على

دول الشرق الأوسط توطين اللاجئين . ولكنه من المعروف ان البلاد العربية متمسكة بمبدأ اعادة اللاجئين الى البلد الذي طردوا منه ، واي حل آخر هو غير عادل(٩٧).

وقد نظر شرق الاردن الى المشكلة بمنظار مختلف. وقد كان الملك عبدالله في عامي ١٩٤٩ و١٩٥٠ لا يزال راغبا في ايجاد ارض مشتركة يقيم عليها تسوية مع الاسرائيليين . ولذلك فقد كان نزاعا الى القبول بتسوية لا تسمح للاجئين بالعودة الى ديارهم . وقد رأت صحيفة « فلسطين » التي اصبحت بعد عام ١٩٤٨ في طليعة الصحف المؤيدة للملك عبدالله ان « الحل الحتمي والعملي هو في توطين اللاجئين وحدهم ، لان باستطاعة الاردن ان يقدم لهم المأوى والعمل »(٩٨). ولذلك فقد طالبت الجريدة الامم المتحدة بايجاد تسوية اقتصادية عادلة وذلك بتطوير المشاريع في الاردن حتى يتسنى للاجئين مرة ثانية ان يعتمدوا على انفسهم في كسب عيشهم ، وبذلك يستعيدون كرامتهم(٩٩).

ان توطين اللاجئين كان باستمرار موضوعا تركز حوله النزاع المتصاعد بين العرب وشرق الاردن . وهذا ما يصح ايضا على الخلاف الذي نتج حول مخططات شرق الاردن حول الضم . وفي ٢٧ ديسمبر ١٩٤٩ ، عندما اعلن الملك عبدالله بأنه قد حل البرلمان في شرق الاردن لان انتخابات جديدة سوف تجري في نيسان على ضفتي نهر الاردن ، كان يأتي بشكل واضح على ختام ما بداه في عام ١٩٤٨ وذلك بدعوته الى توحيد ضفتي الاردن .

وقد شغلت الصحف الموالية للملك عبدالله نفسها بالافتتاحيات التي تعرض اسباب الحاجة لضم ذلك الجزء من فلسطين الذي يسيطر عليه العرب . وقالت بأن البلاد العربية باستثناء شرق الاردن قد باعت الفلسطينيين والبلد الوحيد الذي كان قادرا على ان يحفظ للفلسطينيين قدرا من الكرامة كان بلد صاحب الجلالة الهاشمي . ولم يكف البلاد العربية انه لم يكن باستطاعتها استعادة حقوق العرب الفلسطينيين ، بل غسل حكامها ايديهم من المسألة الفلسطينية « وتبعوا شعار ابادة العرب الفلسطينيين كحل للمشكلة الفلسطينية »(١٠٠). ومن ناحية اخرى ، فقد نظرت القوى الشعبية والوطنية في البلاد العربية المعادية لعبدالله الى خطة ضم فلسطين العربية التي كانت على وشك التنفيذ على انها خيانة للقضية العربية . وقد

اعتبر بعض الصحف شرق الأردن وأسرائيل حليفين لانهما اقتسما الارض المقدسة بينهما كصديقين قديمين . وقالت هذه الصحف انه نتيجة لذلك التصرف الماكر فقد اختفت فلسطين(١٠١).

وازدادت الحملة المعادية لعبدالله في نشاطها وحركتها حتى وصلت القمة في ٤ اذار ١٩٥٠ عندما صدر عن صحيفة « اخبار اليوم » المصرية منشور يفضح الاجتماعات السرية بين عبدالله والصهاينة(١٠٢). واستمرت هذه الحملة حتى ١٨ آذار ١٩٥٠ ، عندما اصدرت « اخبار اليوم » نسخا طبق الاصل عن الرسائل التي تبادلها الملك عبدالله مع العدو . وقد اشارت الرسائل بوضوح تام الى محاولات الملك لعقد صلح مع الاسرائيليين. وقد ظهر في صورة احدى الرسائل ان عبدالله كان يخاطب موشيه شرتوك بكلمة « عزيزي » .

وقد تركت الحملة الوطنية ضد ملك شرق الاردن اصداء واسعة في انحاء العالم العربي . وأعادت الكثير من الصحف طبع الادلة التي تدين الملك عبدالله ووسعت نطاق اتهاماتها له . وتمت عدة مقابلات مع المناوئين للملك . وبذلك ازداد الشعور المعادي لعبدالله . وقد ذكر قراء الصحف بما كانت قد قالته الدوائر البريطانية ، قبل الضم بثلاث سنوات ، من انها لا تعارض ضم اجزاء من فلسطين الى شرق الاردن(١٠٣). واكد بعض الصحف ان معاهدة للسلام قد عقدت بين اسرائيل وشرق الاردن وسيعلن عنها في الوقت المناسب(١٠٤). وقد نتج عن هذا الدعوة الى طرد شرق الاردن من الجامعة العربية لانها « خانت الاسلام ، والوحدة العربية ، والقضية العربية »(١٠٥).

ولم تتأخر صحيفة « فلسطين » عن الاجابة . ففي افتتاحية ٩ ايار ١٩٥٠ ، اتهمت وزير الخارجية المصري السابق احمد لطفي السيد بأنه دعا الى السلام بين العرب والصهاينة(١٠٦). وقالت الصحف المؤيدة للملك عبدالله بعبارات صريحة ان الدول العربية قد فقدت حقها في التكلم باسم الفلسطينيين العرب وذلك نتيجة للعمل الحربي الهزيل الذي قاموا به في حرب فلسطين . اما الان فان الامر بيد الفلسطينيين لكي يعبروا عن انفسهم وقد قالوا بأنهم يرغبون في الاتحاد مع شرق الاردن : واذا كانت الجامعة العربية لا تريد ان تفهم بأن الفلسطينيين العرب انفسهم قد طالبوا بالوحدة مع اخوانهم الاردنيين فان هذا يعود الى نوايا الجامعة

السيئة نحو هذا الجزء من العالم العربي والى انها تريد ان تجعله فريسة في يد اسرائيل(١٠٧).

وفشلت الحملة الشعبية التي قادتها مصر ضد شرق الاردن . وتألف البرلمان من الفلسطينيين والشرق اردنيين واجتمع في عمان في نيسان ١٩٥٠. وهناك تمت المصادقة على اتحاد ضفتي نهر الاردن. وكان اسم الدولة المتحدة قد اصبح المملكة الاردنية الهاشمية . وبالرغم من التهديدات المتكررة فان الاردن لم يطرد من الجامعة العربية ووافقت الدول العربية على الحدود الجديدة كنوع من سياسة الامر الواقع . ولم تكد المسألة الاردنية تهدأ حتى دخل الشرق الاوسط شيء أثار الهياج العربي . كان ذلك هو التصريح الذي صدر عن فرنسه وبريطانيه وامريكه وعرف بالبيان الثلاثي في ٢٥ أيار ١٩٥٠ . وأهم ما جاء في هذا البيان الالتزام بضمان سلامة حدود جميع بلدان الشرق الاوسط(١٠٨).

ولم تظهر الافتتاحيات الاردنية رأيها حول مخاطر البيان الثلاثي وسيئاته . وباستطاعة المرء ان يعتبر ان الملك عبدالله لم يكن يضمر العداء تجاه كفالات دولية لحدود دولته التي وسعها حديثا . وبامكان المرء ايضا ان يفترض ان الشعب في الاردن كان ضد الدول الثلاث وتصريحها ، ولكن الشعور الشعبي لم يفسح له المجال للظهور في الصحافة الاردنية . ولقد تركت الصحافة اللبنانية انطباعا ، على الاقل على اثر ظهور البيان ، يستشف منه ان بعض الاوساط اللبنانية الانعزالية لا تضمر العداء ولا تنظر بريبة اذا ما كفلت حدودها الجنوبية ضد ما يعتقد بأنه مخططات اسرائيلية ضد جنوب لبنان . وهذا التأييد اللبناني عززته الحكومة ببيان اصدرته تعلن فيه عن تأييدها للبيان الثلاثي(١٠٩).

وما يمكننا اعتباره موافقة سلبية لبنانية اردنية على البيان هو عكس الموقف في مصر وسورية . فقد عارضت كل منهما محتويات البيان الثلاثي . وقدمت صحف البلدين في افتتاحياتها ثلاثة اسباب للمعارضة . الاول والاهم هو ان البيان يكفل حماية حدود دولة اسرائيل وهذا ما يساعد على ابقاء الوضع القائم . الثاني ان البرلمان كان وسيلة للتدخل في شؤون الشرق الاوسط . والثالث ان البيان كان وسيلة للدول الثلاث لتعزيز نفوذها القديم في البلاد العربية تحت قناع المطالبة بالسلام والاستقرار . والواقع ان الشعور العام الذي ساد الرأي العربي العام والذي عبرت عنه الصحافة العربية في مصر وسوريه كان لا يرى في البيان الثلاثي اكثر من صورة حديثة لوعد بلفور وترسيخ نهائي لحدود اسرائيل ، ومحاولة لتصفية الوجود الفلسطيني بايجاد الذريعة لذلك(١١٠). وامتدت مشاعر الخيبة والمرارة العربية من القوى الغربية الاستعمارية وسياساتها في الشرق الاوسط لتحدد الموقف العربي الشعبي من الحرب الكورية. فقد رأى العرب ان الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين كانوا يهددون السلام في العالم كله وليس في الشرق الاوسط فقط،خدمة لمصالحهم الاستعمارية والامبريالية(١١١). وانتشر رأي آخر لا يقل عنفا عن الرأي السابق بالرغم من انه يقدم اسبابا مختلفة لعجز الامم المتحدة عن المساعدة في الشرق الاوسط، هذا في حين ان المنظمة نفسها بزعامة الولايات المتحدة كانت تقدم المساعدة للكوريين الجنوبيين ضد اعدائهم . وقد ألقي باللوم على الرئيس ترومان وحكومته بسبب عجز المنظمة العالمية عن القيام بعمل فعلي من جانبها في الشرق الاوسط . « ... باستطاعة المرء ان يتكلم عن ضعف الامم المتحدة في فلسطين . اما في كوريا ، فان هذه اللغة لا تستعمل . ولكي نكون منصفين ، يجب ان نشير الى ملاحظة مريرة : في كوريا كانت العدالة والمصلحة في جانب واحد : اما في فلسطين ، فقد لعبت المصلحة ضد العدالة . هذه الاشياء يجب ان تقال لان الحقيقة يجب ان تقال »(١١٢).

واذا كانت الصحافة الاردنية صامتة ازاء تدخل الامم المتحدة في كوريه ، الا انها لم تصمت عند معالجتها لدور الامم المتحدة في حل مشكلة اللاجئين. ففي بداية عام ١٩٥٠ ، أيدت صحيفة « فلسطين » الموالية للملك عبدالله توطين اللاجئين في الاردن . الا ان الموقف تغير في نهاية العام نفسه ، اذ بدأت صحيفتا « فلسطين » و« الدفاع » (ربما تحت تأثير الضغط المعادي لعبدالله او انطلاقا من رغبة عبدالله في تهدئة الشعب الغاضب ، او انطلاقا من رغبته في تأخير ايجاد حل جديد لمشكلة اللاجئين عن طريق الامم المتحدة) المناشدة بعودة اللاجئين الى ديارهم . وقد استبدلت الدعوة لتوطين اللاجئين في الاردن بـ « ان اللاجيء لا يقبل شيئا سوى العودة الى وطنه . وعودته لا يمكن ان تكون موضوع مساومة او بحث »(١١٣). ولتسهيل هذه العودة ، فان الصحافة الاردنية ـ الفلسطينية قد

دعت الى عمل ايجابي من جانب الامم المتحدة وادارة التشغيل والاغاثة فيها .

وكانت مناقشة الصحف الاردنية لقضية اللاجئين تدور في الوقت الذي كانت تجري به مناقشة في الامم المتحدة لمراجعة قرار الامم المتحدة الصادر في ديسمبر ١٩٤٨ ، والقاضي بعودة اللاجئين الى ديارهم(١١٤). وفي اواخر عام ١٩٥٠ بلغ الهجوم الاسرائيلي ذروته في الامم المتحدة وتوج بقرار جديد للامم المتحدة اكدت فيه انه باستطاعة اللاجئين العودة او قبول التعويض ، ومع ذلك ، فان هذا القرار الثاني قد ركز بعض الشيء على التعويض اكثر من العودة(١١٥). اما موقف اسرائيل ، فقد عبر عنه ممثلها في الامم المتحدة ابا ايبان ، بقوله ان اسرائيل لا تلام على نزوح اللاجئين ، وفي الرد على هذا ، كتبت جريدة الدفاع الافتتاحية التالية : « وقد يخيل اليك ايها القارىء ان موقف العرب من قضية اللاجئين سليم وعادل الى درجة يصعب معها على احد من الناس النيل منه . ولكن يبدو ان اوبري ايبان مندوب اليهود لدى هيئة الامم المتحدة رأيا يخالف هذا الرأي . فقد القى بيانا منمقا امام اللجنة السياسية امس ذرف فيه الدموع الحرى على اللاجئين التعساء وزعم ان حكومته واثقة من براءتها امام التاريخ عندما يصدر حكمه على المسؤولين عن كارثة اللاجئين . وقد حاول ايبان ان يجعل من دخول الجيوش العربية الى فلسطين بعد الخامس عشر من ايار «قميص عثمان». ونحن نتساءل هل يصدق ايبان ما صدر عنه امس حتى يوحي للغير بتصديقه ؟ وهل غاب عنه وقد شهد بنفسه ما حدث في فلسطين ، ان مشكلة اللاجئين بلغت ذروتها قبل نهاية الانتداب وقبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين ؟ أنسي ان زهاء نصف مليون عربي ارغموا على الجلاء عن مساكنهم في المناطق التي خضعت لليهود بقوة الحديد والنار ؟ أو هل تذكره بدير ياسين التي كانت من الاسباب الرئيسية لدخول الجيوش العربية فلسطين . ان ايبان يعرف هذه الحقائق حق المعرفة ولكنه يتجاهلها ... ان مأساة اللاجئين تعود الى الخطة الجهنمية المبيتة التي وضعتها الصهيونية العالمية لاستئصال شأفة عرب فلسطين واحلال شعب غريب مكانهم »(١١٦).

ان هذا النمط في الافتتاحيات لم يغير من تبني القرار الداعي الى العودة او التعويض . ولم تكن الصحافة الفلسطينية في الاردن مجمعة على شجب هذا التبديل للقرار السابق ، وبجعل عودة اللاجئين موضع اخذ ورد ، فقد ظن بأن اسرائيل تريد ان تقول بأن العودة مستحيلة وان على اللاجئين ان يقبلوا التعويض مرغمين(١١٧). ان الانطباع الذي تركته الافتتاحيات كان يوحي بأن الامم المتحدة قد اجبرت مرة ثانية على الانحناء امام الضغط الصهيوني . ونتيجة لذلك فان سمعة الامم المتحدة التي انحطت من قبل قد بدت الآن اكثر اغراقا في الانحطاط . وعاد العالم للمرة الثانية يبحث عن مخرج من تلك الورطة دون ان يعطى تعويضا عن الاضرار التي اصابت الفلسطينيين .

لقد عالج الجزء الثاني من هذا المقال ، الى حد بعيد ، القضايا المحلية منذ دخول الجيوش العربية الى فلسطين وحتى اغتيال الملك عبد الله في تموز ١٩٥١ . ويمكن القول ان الصحافة العربية ، بشكل عام ، قد قامت بدور المنفعل او ردة الفعل اكثر من قيامها بدور الفاعل في الاحداث التي احاطت بالمسألة الفلسطينية . وهذا ما يمكن ان ينطبق على صحافة العالم . ان كتاب الافتتاحيات يميلون لرؤية المشاكل التي تظهر سلفا ، ثم يتفاعلون معها ، ويتقدمون الاقتراحات لتحسينها . ونادرا ما نجد افتتاحية تحاول ان تتنبأ بالمشاكل وترغب في ان تخبر قراءها عن الاخطار المحتملة والوسائل التي يجب اتخاذها لمنع هذه الاخطار المحتملة الوقوع . ومع ذلك فان الصحافة العربية لم تبد متخلفة عن الاحداث تماما . وكان رأي بعض الافتتاحيات يتسم بحدة الملاحظة والفهم فلم تكتف بالتعليق على ما قامت به اسرائيل او ما كانت تقوم به ، بل علقت على ما ستقوم به . وحاولت ان ترسم صورة كبيرة واضحة تبين فيها للعرب الاخطار التي تكمن في وجود اسرائيل في قلب وطنهم . وبعض الصحف لم تكتف بالنظر الى الوراء ، بل نظرت الى الامام واكتشفت معنى وجود اسرائيل في الشرق الاوسط . وهذا النمط من المعالجة في الافتتاحيات كان عادة مقتصرا على عدد محدود من الملاحظات السلبية . وكان الاتفاق كاملا بأن دولة اسرائيل هي عنصرية ، طائفية في طبيعتها وان دول العالم تتجه نحو فصل الدين عن الدولة وشجب الدول القائمة على العنصرية . وكانت آراء الافتتاحيات العربية تجمع على ان اسرائيل هي مغامرة استعمارية جديدة في عالم أخذ يتحرر من ربقة الدول الاستعمارية .

وقد اتفق الكتاب على ان ما تلقاه اسرائيل من مساعدات وعطف من البلدان الاخرى ، ربما يكون بسبب المآسي التي حلت بهم في اوروبة تحت حكم هتلر . واخيرا كان هناك اعتقاد عربي شامل في الافتتاحيات بأن اسرائيل تعني التوسع في المستقبل. ولكي يثبتوا صحة ما يقولون اشارت الافتتاحيات الى ان اللاجئين العرب قد طردوا من فلسطين لاسباب دينية عنصرية ، بالرغم من ان دول العالم اعلنت ايمانها بحماية الاقليات ، والتسامح ، والمساواة في الحقوق المدنية ، الا ان اسرائيل ترفض جميع هذه الحقوق ولا تؤمن بها . اما السؤال الذي طرح بعد ذلك فهو ، لماذا سمح لاسرائيل ان تمارس التمييز العنصري والطائفي ، ولماذا اذن تلقى تشجيع الآخرين . وجاء الجواب : لان اليهود قد اجبروا على معاناة الكثير من الآلام ، فان الدول الغربية تشعر بثقل تلك المعاناة وتود تخليص ضميرها وذلك بأن تسمح للاسرائيليين ان يفعلوا ما يشاؤون(١١٨). وكنتيجة طبيعية لهذا الاعتقاد ، فقد نظر الى اسرائيل على انها مستعمرة غربية . وهنا نرى التفسير الكلاسيكي لقيام اسرائيل بواسطة بريطانية . اذ ان بريطانية ساعدت على قيام اسرائيل لكي تجعل منها قوة عظيمة على قناة السويس ، وتحافظ على شريان الحياة الى الهند ومنطقة مراقبة للنفوذ الفرنسي . وفي الواقع ان كتاب الافتتاحيات قد شعروا ان وضع اسرائيل العدواني قد جاء نتيجة للضغط اليهودي الواسع على بريطانية والولايات المتحدة، من اجل تأسيس دولة يهودية غربية في المشرق العربي . ان الاموال والاصوات اليهودية في الولايات المتحدة كانت ذات اثر بعيد ، وكان هناك قناعة تامة بأن الاصوات اليهودية الامريكية وتأثيرها في انتخابات نيويورك وفي انتخابات الرئاسة الامريكية كانت كافية لجعل السياسيين يفعلون كل ما باستطاعتهم من اجل كسب هذه الكتلة من الاصوات ، كما ان ثروة الجالية اليهودية في الولايات المتحدة كان لها التأثير ذاته ان لم يكن اكثر ، وهذا يتضمن بداهة ان باستطاعة الجالية احراز التأييد نتيجة لثروتها(١١٩).

ومما زاد في احساس العرب بالخيبة بسبب التحيز الغربي نحو اسرائيل سرعة الاعتراف الدبلوماسي باسرائيل وسرعة دخولها الى الامم المتحدة . وقد عبرت الافتتاحيات عن مشاعر الصدمة الحقيقية حيال سرعة قبول العالم باسرائيل(١٢٠). « قبل ان يقرر مصير القدس والناصرة ، وقبل ان ينظر في قضية اسبانية وايطالية على سبيل المثال ، فان مجلس الامن قد وافق بالاجماع على دخول اسرائيل منظمة الامم المتحدة . ان بلاد دانتي وتشارلز الخامس يمكنها ان تنتظر حتى تذوي ، اما دولة اسرائيل فلا يمكنها ذلك ، ويبدو ان الدول تصاب بحماس محموم عندما تكون القضية تخص اسرائيل »(١٢١).

واخيرا كان هناك الخوف من التوسع الاسرائيلي وآثاره التي سيتركها على العرب في المستقبل . وقد كتب الكثير من الافتتاحيات حول هذا الموضوع في معظم الجرائد والمجلات العربية ، عبروا فيها عن مخاوفهم من الاهداف الصهيونية التوسعية المرتقبة . وربما كان افضل ما كتب في هذه الافتتاحيات بقلم ميشال شيحا . ومع ذلك فان افتتاحيات ميشال شيحا يجب ان تقرأ بعناية ، لانه لم يكن قادرا او راغبا في التفريق بين الصهيونية واليهودية . وهذه الغلطة كانت معروفة لدى الكثيرين من كتاب الافتتاحيات العرب .

ان الشعور بأن اسرائيل كانت وستكون دولة توسعية قد انطلق من الرأي العلمي الذي قال به كثير من كتاب الافتتاحيات ، وهو انه بقيام اسرائيل ، استطاع اليهود في انحاء العالم ان يكتشفوا وطنا لهم بضربة واحدة . وفي هذا المجال ، ورد في احد التعليقات القول بأنه سيكون باستطاعة الاسرائيليين من الآن وصاعدا ان يحصل كل واحد منهم على وثيقتي سفر وهذا حق شرعي للاسرائيليين وحدهم . ولكن الاهم من هذا هو ان قيام اسرائيل كان في منطقة صغيرة ، ومع ذلك ادعت ان عدد سكانها المحتمل هو ١٥ او ١٦ مليونا من البشر مبعثرين في انحاء العالم(١٢٢). وكان من المعلوم ان هذه الملايين المبعثرة تملك ثروة وعلما اكثر من العرب ، لذلك فمن المعتقد ان الخطوات الاولى التي ستسبق التوسع الجغرافي ستكون توسعا اقتصاديا يتبعه توسع سياسي وعسكري . « ان الدولة اليهودية ، كما تنص عليها خطة التقسيم الصادرة عن الامم المتحدة ، هي رأس جسر ، ونقطة انطلاق ، وبداية ، وقد كتبنا هذا ورددناه نحوا من عشر مرات . ان الاستيلاء على فلسطين بكاملها هو وسيلة للوصول الى مناطق اوسع على ضفة نهر الاردن الاخرى ، والاستيلاء على مناطق في سورية ادعتها لنفسها

بعض الاسباط اليهودية ، واذا سمحت الظروف بعد ذلك ، الاستيلاء على مناطق من المملكة القديمة لاسرائيل ، وفي المدى الابعد الاستيلاء على ميراث ابراهيم »(١٢٣). « ليس عمل اسرائيل ان تصدر الحبوب وشمندر السكر ... لقد خلقت اسرائيل من اجل القوة ، وادارة الاموال وما يدور فـي فلكها ، تمهيدا للثورة النهائية التي تحقق فيهـا سيطرتها وغلبتها »(١٢٤). « ان فناء العـالم لا يعني شيئا بالنسبة لاسرائيل ، اذا كان هذا الفناء يحقق ظهور مملكة داوود المنتصرة . ذلك بالنسبة لاسرائيل ، هو المفهوم الفطري لكل سياسة وهو مفهوم مخيف . ان الافراد البسطاء الذين يظنون ان باستطاعة اسرائيل ان تمثل من خلال هـذا الدور قـوة امان ونظام قـد ضلوا ضـلالا بعيدا »(١٢٥).

وقد شعر كتاب الافتتاحيات ان العـرب سيحلون بشكل ناجع محل اليهود في الشتات الجديد . كان كتاب الافتتاحيات العرب يركزون على الناحيـة القتالية عند دعوتهم الى الاحتكام للسلاح من اجل وضع حد للمظالم(١٢٦). غير ان الحكومات العربية لم تهتم بهذه الدعوة بأي شكل من الاشكال . ومن المحتمل ان السبب في ذلك يعود الى ادراك القادة العرب من جانبهم بأن النصر العسكري لم يكـن ممكنا في ذلك الحين في جو التخاذل الـذي كانت السلطات تحافظ عليه وتعززه .

وباغتيال الملك عبد الله بينما كان يهم بدخـول المسجـد الاقصى في تموز ١٩٥١ ، سقط اول مستسلم عربي رسمي . ولقـد ظن الكثيرون ان اغتيالـه كانـت نتيجـة للحمـلات الصحفية التـي شنت ضـده . وقـد كانـت الفضائـح التـي نشرتهـا « اخبـار اليوم » كـما ذكرنـا مميتة بالنسبة له ، اذ تناقلها الكثيرون وتكلموا عنها بالتفصيل ، وليس مـن المدهش ان تكشف الافتتاحيـات العربيـة خارج الاردن اعمال الملك المعادية لشعبه(١٢٧).

اما رأي الافتتاحيات التي ظهرت في العالم العربي منذ بداية حرب فلسطين فقد كان يختلف بشكـل ملحوظ عن رأيها عند اغتيال عبد الله . ففي بداية عـام ١٩٤٨ ، وبالرغـم من تباشير الصراع في المستقبل ، وقف كتاب الافتتاحيات في وحدة متراصة في وجه الصهاينة . وربما كان هذا امرا طبيعيا جدا لدى اية صحافة ، اذ ان هذا هو ما نسميه الوحدة الوطنية في وجه العدو . اما الفوارق التي حدثت بين الصحف فكانت اما في درجة الاخلاص المتفاني من اجل فلسطين او في المجال المخصص للاحداث الجارية فيها . وليس من المدهش ان نكتشف ان تلك الصحف المرتبطة ارتباطا عاطفيا وجغرافيا وثيقا بفلسطين قد خصصت القسم الاكبر من افتتاحياتها للحديث عنها بالاضافة الى نشر عدد كبير من المواد المكتوبة حول تلك المحنة . وعندما اعلنت الهدنة الاولى ، كانت الصحافة العربية عموما صوتا واحدا في شجبها وادانتها لتلك الهدنة . وبعد الهدنة الثانية بدأت تظهـر بوادر انشقاق طويل في الافتتاحيات ، وهذا الخلاف تركز حول اسباب فشل العـرب في تحقيـق الانتصارات ، وحيث ان اسبابا عديدة قد قدمت في تفسير الهزيمة ، فان الحركـة الناشطة التـي انطلقت قبل الحرب من جو التفاؤل العام الموحد، ما لبثت ان انحرفت الى تشاؤمية ممزقة بعـد الحرب . ولم يتركز التشاؤم حول الهزائم العربية بقدر ما تركز حول اسباب وكيفية حدوث تلـك الهزائم .

---

١ ــ ميشال شيحا في «اللوجور» ١٩٤٥/٤/١٩ .
٢ ــ ميشال شيحا « اللوجور » ١٩٤٥/٨/٢٦ .
٣ ــ انظر ، مشـال « الدفـاع » ١٩٤٧/١١/٢ وجريدة « فلسطين » ١٩٤٧/١١/١٣ .
٤ ــ نجيب الريس ، « القبس » ١٩٤٧/١٢/٣ .
٥ ــ كامل مروه ، « الحياة » ١٩٤٧/١٢/٣ .
٦ ــ واشهر مثـال على ذلـك هو جيمس. ق. فورستال في كتاب «مذكرات فورستال» ص ٣٦٣ حيث يقول « ان الطرق التي استخدمت لاجبار الامم الاخرى في الجمعية العامـة اوشكت ان تصل حد الفضيحة » .
٧ ــ ميشال شيحا ، «اللوجور» ١٩٤٧/١٢/١٨ .
٨ ــ انظر محي الدين النصولي ، « بيـروت » ١٩٤٧/١١/١٥ ، « الحياة » ١٩٤٧/١١/٢٨ ، « المنار » ١٩٤٧/٩/٤ .
٩ ــ « الدفاع » ١٩٤٧/١١/٣٠ .
١٠ ــ كسروان لبكي ، «الاوريان» ١٩٤٧/١٢/٢ .
١١ ــ للمزيد من الاطلاع على النص الكامل للبيان الذي نشره مبارك ، انظر جريدة « الديار » في ١٩٤٧/٩/٢٧ . ونتيجة لهذا البيان الذي نشره

في الصحافة والذي عبر فيه عن شعوره تجاه اقامة الدولة اليهودية في فلسطين فقد حدت رومة والبطريركية المارونية من صلاحيات مبارك وخفضت مرتبته الى راعي ابرشية ثم ابعد من ابرشيته حتى مماته .

١٢ ــ « الدفاع » ١٩٤٧/١٢/٢٨ . ٢٤ و ١٩٤٧/١٢/٢٦ ، «فلسطين» ١٩٤٧/١٢/٢٨ .

١٣ ــ محي الدين النصولي ، « بيروت » ١٩٤٧/١٢/١٠ .

١٤ ــ محي الدين النصولي ، « بيروت » ١٩٤٧/١٢/١٧ .

١٥ ــ « الدفاع » ١٩٤٧/١١/١١ .

١٦ ــ انظر على سبيل المثال محي الدين النصولي في « بيروت » ٩ و ١٩٤٧/١٢/١٢ .

١٧ ــ « القبس » ١٩٤٧/١٢/١٦ .

١٨ ــ جورج كيرك ــ **الشرق الاوسط** ١٩٤٥ ــ ١٩٥٠ ص ٢٧٠ ــ ويؤيد كيرك الاعتقاد القائل بأن بعض العرب بمن فيهم الامين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام قد شعروا بأن الدول العربية لن تقاتل في فلسطين .

١٩ ــ باستطاعة المرء ان يناقش : من يتحمل الخطأ في تسبيب مشكلة فلسطين ؟ ان الغالبية العظمى من العرب قد شعرت بأن الخطأ لم يكن من صنع ايديهم . هل كان العرب مذنبين عندما القوا باللوم على غيرهم ورفعوه عن انفسهم . يعتقد جورج كيرك ان عدم المقدرة على تقبل اللوم والمقدرة على القاء اللوم على اي شيء آخر هو من خصائص العرب « **السياسة العربية المعاصرة** » ص ٢٦ .

٢٠ ــ على سبيل المثال انظر « فلسطين » ١٩٤٨/٢/١١ ، « النصر » ١٩٤٨/٣/١٤ ، محي الدين النصولي « بيروت » ١٩٤٨/٥/٢٧ .

٢١ ــ « الدفاع » ١٩٤٨/١/٣٠ و « فلسطين » ١٩٤٨/٢/٢٤ .

٢٢ ــ « القبس » ١٩٤٨/٥/١٣ .

٢٣ ــ انظر على سبيل المثال ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٤٨/١/١٥ .

٢٤ ــ « فلسطين » ١٩٤٨/١/٦ .

٢٥ ــ ميشال شيحا في «اللوجور» ١٩٤٨/٥/١١ .

٢٦ ــ نجيب الريس في « القبس » ١٩٤٨/٥/٢١ . انظر كذلك غوردن. هـ. توري « **السياسة السورية** » ص ١٠٤ .

٢٧ ــ « الاوريان » ١٩٤٨/١/١٣ . كذلك انظر مقالته الافتتاحية في « الاوريان » ١٩٤٨/٥/١٨ التي يقول فيها عن اليهود اللبنانيين « لقد فعلوا من اجل فلسطين اكثر مما فعل المسلمون والمسيحيون مجتمعين » .

٢٨ ــ « الاهرام » ١٩٤٨/٤/١٥ . ان الصحف المصرية وخاصة الاهرام كانت خالية من اي نوع من التعليق الافتتاحي حول فلسطين من نوفمبر ١٩٤٧ حتى مارس ١٩٤٨ . وربما يعود هذا الى قانون مراقبة المطبوعات ، وعامل آخر يدخل هنا هو انشغال المصريين مع البريطانيين على حساب الحوادث الجارية في فلسطين .

٢٩ ــ كسروان لبكي في «الاوريان» ١٩٤٨/٣/٢٣ .

٣٠ ــ « القبس » ١٩٤٨/٥/٢٠ .

٣١ ــ « العلم » ١٩٤٨/٣/٢٦ .

٣٢ ــ « بردى » ١٩٤٨/٣/١١ .

٣٣ ــ « القبس » ١٩٤٨/٥/٩ .

٣٤ ــ « الفيحاء » ١٩٤٨/٤/٢٢ .

٣٥ ــ ميشال شيحا «اللوجور» ١٩٤٨/٥/٢٨ .

٣٦ ــ فؤاد صروف في «الاهرام» ١٩٤٨/٥/١٨ .

٣٧ ــ « الدفاع » ١٩٤٨/٢/١ .

٣٨ ــ « فلسطين » ١٩٤٧/١١/١٩ . لم نعثر على ادنى شاهد سواء أكان دعوة رسمية او غير رسمية للعرب تحثهم على ترك فلسطين في أية صحيفة عربية .

٣٩ ــ في الواقع ان كلا الفريقين لم يكن له اثر فعال . ومع ذلك فان القاوقجي قد ارتكب خطأ من جانبه وذلك باثارته للآمال المتهورة وتبجحه الشديد بين سكان القرى من الفلسطينيين العرب الذين أخذت معنوياتهم تنهار وذلك لخيبة الامل التي اصابتهم عندما جاءت التجربة العظيمة في مقاومة القوات اليهودية . « السير اليك كركبرايد » «**آنية الشوك**» ١٩٥٨ــ١٩٥٩ .

٤٠ ــ غوردن . هـ . توري « **الدور العسكري في المجتمع والحكومة في سورية ونشوء الجمهورية العربية المتحدة** » ص ٥٧ .

٤١ ــ « الاوريان » ١٩٤٨/٤/٢٦ .

٤٢ ــ « القبس » ١٩٤٨/٤/٢٢ .

٤٣ ــ « الكفاح » ١٩٤٨/٥/٢٣ .

٤٤ ــ كسروان لبكي في «الاوريان» ١٩٤٨/٥/١٣ .

٤٥ ــ « بردى » ١٩٤٨/٤/١١ .

٤٦ ــ « المنار » ١٩٤٨/٤/٩ .

٤٧ ــ « بردى » ١٩٤٨/٥/١٢ . اذا كان هناك علاقة مباشرة بين عدد الجنود الذين كان

باستطاعة الفلسطينيين انفسهم ان يرسلوهم الى المعركة وكمية الاموال المرصودة على هذا الغرض بواسطة المفتي ، فان هذا الزعم الذي يقول به « بردى » يبدو صحيحا . يرى عاقل عابدي في كتابه **« الاردن — دراسة سياسية »** ص ٤٢ ان عدد الجنود الذين كان باستطاعة الفلسطينيين ان يجندوهم كان يربو قليلا على الالفين .

٤٨ — « النضال » ، مقتبسة في « الاوريان » ١٩٤٨/٤/١٥ .

٤٩ — انظر على سبيل المثال كامل مروة في « الحياة » ١٩٤٨/٤/١٧ و« بردى » ٢٤/٤/١٩٤٨ .

٤٩ — انظر على سبيل المثال كامل مروه في « الحياة » ١٩٤٨/٤/١٧ . و« بردى » ٢٤/١٩٤٨/٤ . اما وجهات النظر المعاكسة فقالت ان الانتظار حتى نهاية الانتداب البريطاني لن يعرقل بشكل جدي وفعال الجهود العربية المبذولة في قتال الصهيونية . انظر « الاهرام » ١٩٤٨/٥/١٦ .

٥٠ — « الاوريان » ١٩٤٨/٥/١٥ .

٥١ — جون مارلو **« العلاقات الانكلو — مصرية — ١٨٠٠ — ١٩٥٣ »** ص ٢٣٠ .

٥٢ — نجيب الريس في « القبس » ١٩٤٨/٦/٣ . انظر كذلك (المنار) ١٩٤٨/٧/١٤ تجد دعوة مماثلة للتضحية ومع ذلك فان كسروان لبكي ، كان احد الكتاب الذين شعروا ان شعبه قد ضحى بما فيه الكفاية : « كان لبنان العضو الوحيد من الدول الاعضاء في الجامعة العربية الذي طبق بدون تردد او تحفظ مقاطعة الصناعة الاسرائيلية . وكان لبنان كذلك ، البلد الوحيد الذي عانى من هذه المقاطعة . ان اليهود الذين كانوا يشترون فاكهتنا ويتزلجون في الارز ، قد تخلوا عن كرزنا واوقفوا التزلج . ولم تقدم لنا البلاد العربية تعويضا رمزيا . مصر تشتري التفاح من كاليفورنية، آغات العراق لا يتزلجون، وباشات القاهرة يقضون اجازاتهم على الساحل اللازوردي » . « الاوريان » ١٩٤٨/٤/٢٨ .

٥٣ — كامل مروه في « الحياة » ١٩٤٨/٧/٨ .

٥٤ — « الاهرام » ١٩٤٨/٥/٢٧ . انظر كذلك الصحيفة نفسها في ١٩٤٨/٦/١ .

٥٥ — ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٤٨/٧/٧. انظر كذلك الكاتب نفسه في « اللوجور » ١١/١٩٤٨/٦ .

٥٦ — سير ريدر بولارد ، **الشرق الاوسط** ، ص ١٨٨ .

٥٧ — باتريك سيل . **الصراع على سوريه** ، ص ٣٣ .

٥٨ — « الاهرام » ١٩٤٨/٦/٣ . انظر كذلك محي الدين النصولي في « بيروت » ١٩٤٨/٦/٣ .

٥٩ — كسروان لبكي في « الاوريان » ١١/٦/١٩٤٨ .

٦٠ — « الايام » ١٩٤٨/٦/٢٠ .

٦١ — توجد افتتاحيات نموذجية في « القبس » ١٩٤٨/٦/١٧ : كامل مروه في « الحياة » ، ١٩٤٨/٦/٤ وفؤاد صروف في « الاهرام » ٦/١٩٤٨/٦ .

٦٢ — كسروان لبكي في « الاوريان » ، ١١/٦/١٩٤٨ .

٦٣ — لقد نشر النص الكامل لمقترحات برنادوت في « النيويورك تايمز » ١٩٤٨/٧/٥ وقد ظهرت ترجمة شاملة ودقيقة للمقترحات في جريدة « المصري » ١٩٤٨/٧/١ وذلك قبل ثلاثة ايام من الاعلان الرسمي للوثيقة .

٦٤ — حنا غصن في « الديار » ١٩٤٨/٧/٤ .

٦٥ — نجيب الريس في « القبس » ١٩٤٨/٦/٧ . انظر كذلك فؤاد صروف في « الاهرام » ٢٢/٦/١٩٤٨ .

٦٦ — حنا غصن في « الديار » ، ١٩٤٨/٦/١٢ . انظر كذلك محي‌الدين النصولي في « بيروت » ١٩٤٨/٦/١٦ .

٦٧ — انظر على سبيل المثال « البلد » ، ٧/٧/١٩٤٨ . « الكفاح » ، ١٩٤٨/٧/١٠ . « الايام » ١٩٤٨/٧/١٤ .

٦٨ — « الاخبار » ١٩٤٨/٧/٢٤ . انظر كذلك « البلد » ١٩٤٨/٧/٢٠ .

٦٩ — « الايام » ١٩٤٨/٧/١٨ .

٧٠ — « الاهرام » ١٩٤٨/٧/١٩ .

٧١ — حنا غصن في « الديار » ١٩٤٨/٧/٢٢ . انظر كذلك كامل مروه « الحياة » ١٩/٦/١٩٤٨ .

٧٢ — « الكفاح » ١٩٤٨/٨/٢١ .

٧٣ — « الاهرام » ١٩٤٨/١١/٢٢ .

٧٤ — « النهار » ١٩٤٨/٧/٢٠ .

٧٥ — كسروان لبكي في « الاوريان » ١/١٢/١٩٤٨ . انظر فايز صايغ في كتابه **« الوحدة**

العربية » ص ١٤٤ حيث يعرض وجهة نظر مؤيدة .

٧٦ — « الزمان » ١٩٤٩/١/١٠ وكسروان لبكي ، « الاوريان » ١٩٤٩/١/٩ .

٧٧ — انظر بعض الافتتاحيات النموذجية التي كتبها كامل مروه في « الحياة » ١٩٤٨/٧/٢٠ او جريدة « المنار » ١٩٤٨/٧/٢٩ . انظر كذلك القصيدة التي كتبها محمد الاسمر في « الاهرام » في ١٩٤٨/١٠/١٣ .

٧٨ — قسطنطين زريق، « **معنى النكبة** » ص ٣٤ . للمزيد من البحث عن دور القادة العرب وخيانتهم لقضية فلسطين انظر كتاب موسى العلمي « **عبرة فلسطين** » ص ٢٣ — ٣٠ .

٧٩ — يوسف حنا في « الدفاع » ١٩٥٠/٥/١٥ .

٨٠ — « الدفاع » ١٩٥٠/٤/٢١ .

٨١ — « الاهرام » ١٠/٨/ و١٩٤٨/٩/٩ . انظر كذلك « القبس » ١٩٤٨/١٠/١٩ .

٨٢ — ميشال شيحا في « اللوجور » ١٠/٢٧/ ١٩٤٨ . بالرغم من ان بعض الصحف العربية قد اشارت الى ان اعمال الملك عبدالله في حرب فلسطين لم تكن كما كان متوقعا بالضبط ، فاننا لا نعثر على اية ملاحظات في هذا الوقت حول اجتماعات واتفاقيات الملك مع غولدا مئير وموشيه شرتوك. وقد أعلن عن هذه الاجتماعات في أواخر عام ١٩٤٩ واوائل عام ١٩٥٠ . وبامكاننا ان نعثر على تفاصيل الاجتماعات في المجلد الاول من كتاب عبدالله التل « كارثة فلسطين » وبالامكان ان نجد تحليلا مفصلا لهذه الاجتماعات في كتاب آ. هـ. هـ. عابدي « **الاردن، دراسة سياسية** » صفحة ٢٥ — ٢٨ .

٨٣ — القائمة الكاملة بأسماء اعضاء مجلس الوزراء في حكومة عموم فلسطين واسماء الوزارات موجودة في كتاب عارف العارف « **النكبة** » المجلد الثالث ، ص ٧٠٤ — ٧٠٥ .

٨٤ — « الاهرام » ، ٩ ، ١٠ ، ١٩٤٨/١٢/١٢.

٨٥ — ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ . انظر ايضا « الف باء » ١٩٤٨/٩/٢٩ .

٨٦ — « الفيحاء » ١٩٤٨/٩/١٦ ، « البلد » ١٩٤٨/١٠/٩ . انظر كذلك « الاهرام » ٢٢ و١٩٤٨/٩/٢٣ . وهذه الافتتاحيات تلقي بعض الشك حول عبارة آ. هـ. هـ. عابدي بأن «تقرير برنادوت المنشور بعد وفاته قد لاقى ترحيبا حسنا من العرب عموما » . « **الاردن ، دراسة سياسية** » ص ٤٩ .

٨٧ — « الاوريان » ١٩٤٨/٩/١٨ . « الكفاح » ١٩٤٨/٩/١٨ . « القبس » ١٩٤٨/١١/٢ .

٨٨ — كسروان لبكي في « الاوريان » ١٩٤٨/٩/٨.

٨٩ — « الاهرام » ١٩٤٨/٧/٢٥ .

٩٠ — « البلد » ١٩٤٨/١٠/٣٠ . انظر كذلك « الاهرام » ١٩٤٨/١٠/٢٦ . وقد ادركت الخطر على العرب من جراء قدرة اسرائيل على تقوية نفسها . فقد قالت الافتتاحية ان حلا سريعا ربما كان افضل .

٩١ — « الاوريان » ١٩٤٨/٩/٢١ .

٩٢ — « اللوجور » ١٩٤٨/٩/٤ .

٩٣ — محي‌الدين التصولي في « بيروت » ١/١٧/ ١٩٤٩ .

٩٤ — « الاهرام » ١٩٤٩/٢/٢٥ .

٩٥ — انظر على سبيل المثال « الفيحاء » ٢/٩/ ١٩٤٩ . « بردى » ١٩٤٩/٢/١٩ . و« المنار » ١٩٤٩/٢/٢١ . لقد كان التعليق في افتتاحية الصحيفة الاخيرة مريرا خاصة تجاه الحكومة المصرية . وتعود اسباب ذلك ، في قسم منها ، الى كون « المنار » ناطقة باسم الاخوان المسلمين . وكان زعيم الاخوان ، حسن البنا ، قد اغتيل في ١٩٤٩/٢/١٢ . واعتبرت « المنار » الحكومة المصرية مسؤولة عن ذلك .

٩٦ — ان الخوف من اطماع الملك عبدالله كان موجودا في العراق . فقد وافق عبدالاله الوصي على العرش على الاعتراف بحكومة عموم فلسطين لهذا السبب وقد خاف السعوديون من قيام حكم هاشمي قوي جدا لئلا يعتزم على اعادة السيطرة القديمة للعائلة في الجزيرة العربية . وخافت سوريه من محاولة عبدالله الاستيلاء على الشام كما فعل شقيقه وذلك كجزء من مخطط سوريه الكبرى .

٩٧ — « الاهرام » ١٩٤٩/٩/١٤ .

٩٨ — « فلسطين » ١٩٥٠/١/١٢ .

٩٩ — « فلسطين » ١٩٥٠/١/٢٥ .

١٠٠ — « فلسطين » ١٩٥٠/١/١٥ . انظر كذلك الجريدة نفسها في١٩٥٠/١/١١ .

١٠١ — « السوري الجديد » ١٩٤٩/١٢/٢١ . انظر كذلك الصحيفة نفسها في ١٩٤٩/١٢/٢٥ وكذلك « النصر » ١٩٤٩/١٠/٢١ .

١٠٢ — لقد كتب عن اجتماعات الملك عبدالله مع الصهاينة والتر ايتان « **الاعوام العشرة**

الاولى » ص ٤٢ — ٤٣ ، جون كلوب « **جندي مع العرب** » ص ٢٥٨ ، ص ٣٤٠ — ٣٤١ . جايمس ج. ماكدونالد « **مهمتي في اسرائيل** » ص ١٩٤ . وكتاب عبدالله التل « **كارثة فلسطين** » — المجلد الاول .

١٠٣ — « الاهرام » ١٩٥٠/٥/٩ . هذه الافتتاحية ترتكز دون شك على بيان صادر عن وزير الخارجية البريطاني ارنست بفن . انظر المناقشات البرلمانية في مجلس العموم ، المجلد ٤٥١ ، الاعمدة ٩٩٩ — ١٠٠٠ ، ١٩٤٨/٦/٤ .

١٠٤ — « بردى » ١٩٥٠/٣/١٩ . انظر كذلك « الاهرام » ايار ١٩٥٠ .

١٠٥ — « المصري » ١٩٥٠/٣/١٩ . وتقول العبارة الثانية في الافتتاحية « لقد حان الوقت لفصل هذا العضو المهترىء عن جسم العالم العربي ودفنه ووضع كومة من الروث عليه ».

١٠٦ — انظر بنجامين شوادران « **الاردن دولة التوتر** » ص ٢٧٢ .

١٠٧ — « فلسطين » ١٩٥٠/٥/١٧ . انظر الصحيفة نفسها في ١٩٥٠/٦/٩ .

١٠٨ — نشر البيان الثلاثي في Department of State Bulletin المجلد ٥٢ ، العدد ٥٧٠ ، ص ٨٨٦ .

١٠٩ — نشر في « الاوريان » ١٩٥٠/٥/٢٧ .

١١٠ — بامكاننا ان نجد رأيا مماثلا في « الالف باء » ١٩٥٠/٦/٩ . « الاهرام » ١٩٥٠/٥/٣٠ و« الانشاء » ١٩٥١/٥/١١ .

١١١ — « السوري الجديد » ١٩٥٠/٧/١٤ . لقد كان هناك بعض الابتهاج في الصحافة العربية على اثر تراجع قوات الامم المتحدة في كوريه . وقالت احدى الافتتاحيات ان العناية الالهية قد ثأرت للعرب في كوريه ، ضد من يؤيدون الصهاينة ، « النذير » ١٩٥٠/٨/١ .

١١٢ — ميشال شيحا في « اللوجور » ١٢/٢٧/ ١٩٥٠ . انظر كذلك « القبس » ١٩٥١/٥/٢٧ .

١١٣ — « فلسطين » ١٩٥٠/١١/١٩ .

١١٤ — قرار الامم المتحدة ، عدد ١٩٤ (١١١) ١٩٤٨/١٢/١١ .

١١٥ — قرار الامم المتحدة ، عدد ٣٩٤ ، ١٤/ ١٩٥٠/١٢ .

١١٦ — « الدفاع » ١٩٥٠/١١/١٠ . انظر كذلك الصحيفة نفسها ١٩٥٠/١١/١٢ .

١١٧ — « فلسطين » ٨ و١٩٥٠/١٢/٩ و١/٢٥/ ١٩٥١ .

١١٨ — انظر ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٤٨/١٠/٢٥ . « الدفاع » ١٩٥٠/٤/١٧ و « الاهرام » ١٩٥٠/١٠/٥ .

١١٩ — يمكن العثور على افتتاحيات نموذجية في « اللوجور » لميشال شيحا ١٩٤٩/١/٦ . « الاهرام » ١٩٤٩/٦/١٢ . « الدفاع » ٣٠/ ١٩٥٠/٨ . و« القبس » ١٩٥١/٤/٩ .

١٢٠ — انظر الحاشية رقم ٥٥ .

١٢١ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٣/٦/ ١٩٤٨ . انظر ايضا « الاهرام » ١٩٤٩/٥/١٣.

١٢٢ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٦/١٢/ ١٩٤٨ و١٩٤٩/٣/٢٥ .

١٢٣ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٦/١٢/ ١٩٤٨ و١٩٤٩/٣/٢٥ .

١٢٤ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٩/٤/ ١٩٤٨ .

١٢٥ — ميشال شيحا في « اللوجور » ٧/٢٩/ ١٩٥٠ . انظر كذلك «الاهرام» ١٩٤٩/٣/٢٥ .

١٢٦ — يمكن ان نجد بعض الافتتاحيات النموذجية في « الايام » ١٩٤٨/٧/٢٢ ، ميشال شيحا في « اللوجور » ١٩٤٩/٨/٦ و« الدفاع » ٩/١٧/ ١٩٥٠ .

١٢٧ — من الامثلة على مقالات الادانة ، انظر ما قالته « الاهرام » ١٩٥١/٧/٢٢ .

مراجعات

الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية

ترجمة : لطفي العابد وموسى عنز

(منشورات مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، بيروت ١٩٧٠)

لا شك ان كتاب « الفكرة الصهيونية » هو من أهم المجلدات التي صدرت عن مركز الابحاث منذ فترة لكونه يحتوي على نصوص المختارات الاساسية من الانتاج الفكري للحركة الصهيونية ممتدة منذ بداياتها في منتصف القرن التاسع عشر حتى عصر بن غوريون . ويشكل هذا الكتاب تكملة طبيعية للمجلد الذي صدر عن المركز في السابق تحت عنوان «من الفكر الصهيوني المعاصر» والذي ضم الترجمة العربية للمقالات والدراسات التي نشرها الجانب الاسرائيلي في عدد مجلة « الازمنة الحديثة » الذي خصصه سارتر ، عام ١٩٦٧ ، للنزاع العربي — الاسرائيلي . ويكون المركز قد زود القارىء العربي ، بهذا الانتاج المزدوج ، بمصدرين حيويين واوليين عن ايديولوجية الحركة الصهيونية وتطور فكرها في القديم والحديث، قبل قيام دولة اسرائيل وبعده .

ان كتاب « الفكرة الصهيونية » هو ترجمة للمجلد الذي حرره وجمع نصوصه وقدم لها الباحث الصهيوني آرثر هيرتزبرغ تحت عنوان* The Zionist Idea وقد نشر هذا الكتاب لاول مرة باللغة الانكليزية عام ١٩٥٩ في الولايات المتحدة الاميركية واعيد طبعه اكثر من مرة . ولسبب ما لم يرد اي ذكر او اشارة في الطبعة العربية الى الاصل الانكليزي الذي تمت عنه الترجمة او الى الباحث الذي حرر الكتاب اصلا . ولا بد من الاشارة هنا الى ان الدكتور اسعد رزوق قد اعتمد في تقديمه اصحاب النصوص المنشورة في الكتاب على المعلومات التي قدمها هيرتزبرغ عن هؤلاء المؤلفين في النسخة الانكليزية مع ادخال التعديلات اللازمة مع ما يتناسب وضرورات تقديم هؤلاء الكتاب الى القارىء العربي . بالنسبة للترجمة ، فقد وجدتها ناجحة على العموم وسلسة بما فيه الكفاية عند قراءتها بمعزل عن التفكير بالنص الاصلي ، بالرغم عن نزعة تبرز احيانا في الميل نحو الحرفية في نقل العبارات والجمل . كذلك وجدت ان ترجمة بعض المصطلحات والعبارات والمقاطع تفتقر الى الدقة بشكل واضح خاصة لجهة اسقاط جمل كاملة في بعض الاحيان بدون اي مبرر او عذر (باستثناء تبسيط النص الاصلي مما يجعل ترجمته اسهل) . ولا يتسع المجال هنا الى ضرب الكثير من الامثلة وساكتفي بما يلي :

١ — ترجمة عبارة مارتن بوبر "Bond to the Soil" (ص ٤٥٧ في النص الانكليزي) بالعبارة « التعلق بالتربة » (ص ٣٣٤ في النص العربي). مع ان المعنى القاموسي والحرفي لكلمة soil هو « التربة » الا انه لا يجوز اعتماد ذلك في هذا السياق المشبع بالاجواء السياسية والايديولوجية لان كلمة soil مستعملة هنا بمعناها «الوطني» او « القومي » ويقابلها في المصطلح العربي « الارض » (اي ارض الشعب) او « التراب الوطني » . كذلك يبدو لي ان ترجمة bond « بالتعلق » يضعف من معناها ومن شحنتها العاطفية لان المقصود هنا ، مرة اخرى ، هو رابطة شعب ما بأرضه الوطنية او القومية وليس مجرد « التعلق بالتربة » على طريقة الحنين مثلا .

٢ — وقع خطأ من نوع اكثر فداحة في ترجمة عبارة Luftmenschen (ص ٣٠٧ في النص الانكليزي) الى « اليهودي الحالم » (ص ١٩٤ في النص العربي) . أطلق الالمان هذا التعبير على اليهود

* Hertzberg, Arthur (ed.), *The Zionist Idea*, Harper Torch Books, New York City, 1966.

بمعرض القدح والذم وهذا ما لا يوحي به المقابل العربي المستخـدم : « اليهودي الحالم » . في الواقع لم يحصل ان تم وصف اليهود « بالحالمين » من قبل اعدائهم بل كانوا دوما يوصفون بالصفات المعاكسة تماما مثل الشطارة والخبث والانانيـة والنزعة العملية المفرطة في أخذ الامور الى اخر ذلك مما هو معروف ، وهي كلها صفات لا يوصف بهـا « الحالمون » عـادة . ان المـراد بعبارة Luftmenschen الالمانية هو وصف اليهود بأنهم جماعة تعيش « من الهواء » (Luft) او من لا شيء وعلى لا شيء . ويقاربها في اللغة العربيـة الدارجة جوابنا على السؤال التالي : « كيـف عايش ؟ » « عايش مـن الهواء » ، اي بدون مصادر رزق ثابتة او معروفة الخ ... كذلـك يفيد المصطلـح الالمـاني معاني « الخـواء » ، و « الفـراغ » و « انعدام الجذور » وغيـاب « الارتباط بأية ارضية ثابتة ومتينة » . وكلهـا اوصاف قدحية اطلقت على التجمعات اليهودية من قبل البورجوازيـة الاوروبية وخـاصة في فترات صعود موجات معاداة السامية التي كانت ترافق عادة مراحل الاغـراق في الشوفينية والتعصـب العنصري . ان الدلالة الاعمق لهذا التعبير الالماني في وصف اليهود تكمن في اساسه المادي وهو تركز يهود اوروبا في القرن التاسع عشر في قطاعـات الانتاج الوسيطة والثانوية بدون ان يكون لهم ايـة قاعدة اساسية في القطاعات الاولية من عمليـة الانتاج . وبما ان المصادر الحقيقية والاولية للحياة هي القطاعـات الانتاجية الاولـى (الزراعـة والصناعة مثلا) تبدو الفئـات الاجتماعية غـير المرتبطة بهذه القطاعات وكأنها تعيش من لا شيء او « من الهواء » ، كمـا تبدو عديمة الاصـول والجذور والثبات .

٣ ــ ترجمة تعبير Lumpen - Proletariat (ص ٢٣١ في النص العربي) « بطبقة العمـال الدنيـا » بـدلا من المصطلـح العربي المعتمـد « البروليتاريا الرثة » . ويجب الاشارة هنا الى ان ماركس (واضع هذا التعبير اصلا) قد فـرق بدقة بين البروليتاريا الرثة وبين الطبقة العاملـة (انظـر مثلا « الصراع الطبقـي في فرنسـا » و « البيـان الشيوعي ») واعتبـر الاولى أداة للطبقات الرجعية ومؤامراتها وقد وصفها « بالطبقة الخطرة » في « البيان الشيوعي » ، في حين ان الترجمة التي نحن بصددها تدمج البروليتاريا الرثة في صفوف الطبقة العاملة وتعتبرهـا شريحة من شرائح حاملي لواء الثـورة الاشتراكيـة . وفي موضع اخـر تمت ترجمـة الوصف التالي لانجلز Close Collaborator of Marx (ص ٦٢٩ هامش ٢ من النص الانكليزي) بعبارة «مؤيد لماركس» (ص ٢٤١ هامش ٢ ، النـص العـربي) . ان تحويل انجلز الى مجرد « مؤيد لماركس » فيـه الكثير من التجني على الحقيقة والتاريخ .

٤ ــ تمت ترجمة المقطع التالي من كلام الحاخام كاليشر على النحو التالي :

" Are we inferior to all other peoples, who have no regard for life and fortune (as compared with love of their land and nation ?) Let us take to heart the examples of the Italians, Poles, and Hungarians, who laid down their lives and possessions in the struggle for national independence, while we, the children of Israel, who have the most glorious and holiest of lands as our inheritance, are spiritless and silent." (ص ١١٤) .

« هل نحن اقل شأنا من الشعوب الاخرى التي لا يقاس حبها لبلادها بالعيش او بالثروة ؟ لنقتـد بالايطاليين والبولونيين والمجريين الذين ضحوا بكل ما لديهم للكفاح من اجل الاستقلال بينما نحن بني اسرائيل وارثي اقدس ارض لا نحرك ساكنا » . (ص ١٧) .

نلاحظ اولا ان الجملة الموضوعة داخل قوسين من النص الانكليزي قد سقطت تماما في الترجمةالعربية مع ان المعنى لا يمكن ان يستقيم بدونها . ثانيا ، ان عبارة « التي لا يقاس حبها لبلادها بالعيش او بالثروة » في النص العربي لا تعني شيئا ولا علاقة لها بالاصل الانكليزي الذي يقول « ... هل نحن احط شأنـا من الشعوب الاخرى التي لا تنظـر باهتمام الى الحياة والثروة بالمقارنة الى اهتمامها بحب ارضها وأمتها ؟ » وفيما يلي ترجمة اكثر دقة للمقطع الانكليزي المشار اليه مما يتيح للقارىء فرصة التدقيق والمقارنة : « هل نحن احط شأنا من الشعوب الاخرى التي لا تنظر باهتمام الـى الحياة والثروة بالمقارنة الى اهتمامها بحب ارضها وامتها ؟ لنقتد من قلوبنا بالايطاليين ، والبولنديين والمجريين الذين تنازلوا عن (ضحوا بـ) حياتهم وممتلكاتهم في كفاحهم من اجل استقلالهم الوطني

(القومي) او (في الكفاح من اجل الاستقـلال الوطني) . بينما نحن بنو اسرائيل وارثو اكثـر الاراضي قدسية وروعة نبقى صامتين ودون حراك»

ه — تمت ترجمة هذا النص من كلام موسى هس على النحو التالي :

"With the Jews, more than with other nations, which though oppressed, yet live on their own soil, all political and social progress must necessarily be preceded by national independence. A common native soil is a precondition for introducing healthier relations between capital and labor among the Jews." (ص ١٣٦)

« يتوجب على الاستقلال القومي ان يسبق التقدم السياسي الاجتماعي وخاصة لليهود اكثر منه لاية امة اخرى عاشت ولو محكومة ، ولكن ، ان وجود ارض وطن مشتركة هو شرط أساسي لادخال علاقة صحيحة بين رأس المال والعمل عند اليهـود » . (ص ٤٠) .

نلاحظ اولا ان ترجمة oppressed « بمحكومة » خطأ كبير لانها تعني مضطهدة (بفتح الهاء) وليس مجرد محكومة . ثانيا ، النص العربي ركيك جدا وغير واضح بالاضافة الى كونه غير دقيق في التعبير عن المعنى الاصلي. وفيما يلي نموذج لما اعتقد انه ترجمة اكثر دقة ووضوحا للنص الانكليزي الـذي نحن بصدده : « بالضرورة ، ينبغي ان يسبـق الاستقلال القومي (الوطني) كل تقدم سياسي واجتماعي . وينطبق هذا على اليهود اكثر منه على بقية الامم لانها تعيش على ارضها وان كـانت مضطهدة . ان وجود ارض مشتركة اصلية هـو شرط مسبق لاقامة علاقات افضل بين رأس المـال واليد العاملة فيما بين اليهود » .

بالرغم عن هذه الهفوات والاخطاء يبقى الاطـلاع على هذه النصوص مسألة في غاية الاهمية بالنسبة للقارىء العربي المتتبع ، غير انه يجب التنبيـه الى ضرورة النفاذ الى الواقع المادي الكامن خلف النصوص وهو الحركة السياسية والاجتماعية التي حملت لواء قيادتها البورجوازية اليهودية تحـت اسم الصهيونيـة . يعطينـا كتـاب « الفكـرة الصهيونية » مسحا لايديولوجيـة هذه الحركـة وفكرها بمختلف مدارسـها وتشعباتها وتنوعاتها . على سبيل المثال نجد في نصوص كل من الحاخامين المبكرين كاليشر ويهودا القالـي البدايات الاولى « لعلمنة » بعـض المفاهيم الدينيـة التقليديـة واخراجها عن معناها القديم وحقنها بمعنى جديد يتناسب مع مطامح الطبقة الوسطى الصاعـدة وتطلعاتها نحو الهيمنة القيادية على الحياةاليهودية في اوروبا . لذلك نجد ان يهودا القالي يدعو اليهود (مع انه رجل دين) الى التخلـص من الفكـرة الدينية التقليديـة القائلة بانتظار مجيء المسيح المخلص لبناء الهيكل بمعجزة من عنده ويحثهم على العمل لتخليص انفسهم بانفسهم عن طريق جهدهم الدنيوي وعملهم في هـذه الحياة لتشكيل دولـة لانفسهم ، كما يقترح عليهم انشاء شركة تجارية لتقوم باستعمار فلسطين . كذلك الامر بالنسبـة للفكرة التقليدية القائلة بعودة اليهود الى الارض المقدسـة ، وهي فكرة لم تكـن تعني بالنسبـة لليهودي التقي سوى الذهاب الى فلسطين للتعبد ومجاورة الاماكن المقدسة والخضوع لنظام روحي صارم في العيش وفقا للشرائع المقدسة . الا ان هـذا المعنـى اخـذ يتبـدل في عصر القوميات البورجوازية بحيث اصبح يعني الهجرة الجماعية الى فلسطين لبناء دولـة قومية حديثة شبيهة في تركيبها وتنظيمها بأية دولة قائمة في اوروبا مع غض النظر كليـا عن انتظـار المسيح الخ ... ومن الطبيعي ان تعبر الحركات الاجتماعية الناشئة عن مفاهيمهـا وتطلعاتها بلغـة الايديولوجية الدينية السائدة في اول الامر وقبل ان تتوصل الى صياغة « لغتها » الخاصة بها و « تصوراتها » المميزة .

من النصوص الهامة الواردة في الكتاب ، القسم الاكبر من مؤلف هرتزل المشهور «الدولة اليهودية»، وهذه هي المرة الاولى التي تتم فيها ترجمة اجزاء كبيرة منه الى اللغة العربية . وتكشف لنا قراءة نصوص الصهيونيـة الهرتزليـة تأثـر الحركة بايديولوجية الدعوة القومية الالمانية اكثر من تأثرها بأي شيء اخر بما في ذلك الدين اليهودي نفسه . لقد كـان هـرتزل مشغولا بالحركات القوميـة السياسية الالمانية اكثر بكثـير مما كان منهمكـا بدراسة التوراة او التمود او اي شيء اخر عن الدين اليهودي او حتى عن امكانات بعث الثقافة العبرية القديمـة . ونجد هذا التأثير نابعا مـن تعاليم الايديولوجية القومية الالمانية القائلة بـان كل من هو من « الدم » او النسل الالماني فهـو تابع للامة الالمانية حيثما كان واينما كان ومهمـا كانت الارض التي ولد فيها او السماء التي عاش

تحتها او الدولة التي ينتمي اليها حقوقيا ومدنيا . لذلك ينبغي ان يتجمع الالمان على ارض واحدة لان جوهرهم الداخلي وحقيقتهم الروحية تبقى المانية . وواضح ان الدعوة الصهيونية لتجميع اليهود حيثما كانوا في فلسطين ليست الا نسخة طبق الاصل من هذه النظرية العنصرية ومن فكرة الجامعة الالمانية النابعة منها ، لذلك اعتبرت الصهيونية كل يهودي ، في كل زمان ومكان ، وحيثما نشأ وعاش جزءا منها ، وتابعا لها وينبغي عليه الانضمام الى بقية افراد « شعبه » على « ارض الوطن المقدسة » .

بطبيعة الحال ليست هذه الملاحظات الا اشارات سريعة الى بعض ما يحتويه مجلد « الفكرة الصهيونية » الذي يقع في حوالي ٥٠٠ صفحة هي في منتهى الاهمية لفهم الحركة الصهيونية ونموها وتطورها منذ منتصف القرن الماضي حتى قيام دولة اسرائيل . اي ان مركز الابحاث قد وضع بين يدي كل باحث عربي وكل متتبع لتاريخ صراعنا مع الصهيونية مادة لا يمكن الاستغناء عنها لفهم جانب جوهري من طبيعة هذا الصراع ومحركاته الاساسية .

صادق جلال العظم

Amos Kenan, **Israel, A Wasted Victory.**
(Tel-Aviv, Amikam — Tel-Aviv Publishers, 1970).

يتوجب على جميع الذين تهمهم طبيعة الدولة التي ستقام في فلسطين الحرة في المستقبل قراءة هذا الكتاب لسببين : اولا ، للاراء التي يعرضها المؤلف ، وثانيا ، بسبب المؤلف نفسه . فقد ورد في المقدمة ان كينان كاتب ساخر ومعلق صحفي يكتب عمودا يوميا في صحيفة «يديعوت احرونوت» التي تعتبر من اوسع الصحف الاسرائيليةانتشارا. والكتاب الذي بين ايدينا هو عبارة عن مجموعة لبعض هذه التعليقات . ويقال ان لكينان اراء « يسارية تقدمية » . وربما كان ذلك صحيحا ، ولكنني اعتبر الرجل قوميا اسرائيليا وطنيا ذا نهج وضمير يساريين ، كما انني افضل تعبيره الصريح عن مواقفه على ما يحاول ان يظهره اوري افنيري من تفهم للامور او على ما تحاول ان تظهره جماعة « نيو اوتلوك » من انهم جماعة من المفكرين المتعمقين ، علما بأن افنيري وجماعة «نيو اوتلوك» يحملون تقريبا آراء متشابهة . وهذا ما يفسر مدى اهمية آراء كينان — فهي لا تصل الى عدد كبير من القراء فحسب ، بل يشاطره بها عدد لا يستهان به من الاشخاص رغم ان عددهم اقل بكثير من القراء — وتجدر الاشارة هنا الى ان الكتاب يضم مجموعة من الرسائل اللاذعة من عدد من القراء . وأفضل ما يعرف به العرب والعالم كينان هو استنكاره الشديد لتدمير الجيش الاسرائيلي لقرية بيت نوبا العربية . فقد اضطر الى الهرب من الخدمة العسكرية ليتسنى له كتابة ذلك الاحتجاج الذي تقدم به شخصيا الى السلطات الاسرائيلية المسؤولة . من الطبيعي ان يقال انه كان يحتمي وراء شهرته الواسعة ، ولكن هذا لا يمنع اعتبار ما قام به ضربا من الشجاعة المعنوية .

وبالنسبة لاراء هذا الكاتب الاسرائيلي « الممتاز » حول مستقبل فلسطين واسرائيل نراه يقول : « كما في المسرحية ، هناك جانبان كلاهما على حق ... شاء الحكام ام أبوا هناك شعب فلسطيني عربي ... وهم الذين سنتفاوض

واياهم . وعلينا ان نوضح لهم ما هو حق لهم وما نعتبره حقا لنا . وستظهر الى حيز الوجود دولة، دولة فلسطينية ستوقع معاهدة سلام مع اسرائيل، ومن ثم ستنشىء الدولتان اتحادا فيدراليا فيما بينهما ... وعلى الجميع ان يعلموا انه ليس باستطاعة اية قوة في العالم ان تفرض علينا اي حل فرضا، وان الامر كذلك بالنسبة للفلسطينيين، فكما لا نستطيع فرض حل على الفلسطينيين ، ليس باستطاعتهم هم فرض اي حل علينا بالقوة المجردة ، اذ ان دولة اسرائيل امر واقع لا يمكن تغييره او تبديله . ولن تستطيع القوات النظامية او غير النظامية العربية ان تلقي بنا الى البحر ».

من الواضح ان هذا رفض صريح لفكرة الدولة الديمقراطية ، وهنا يمكن ان يقال ان هناك بين الاسرائيليين من يقبل بهذه الفكرة مما يجعلهم اسرائيليين « أفضل » من اناس مثل كينان ، وهم جماعتا راكاح ومتسبن . ومع ان كينان لم يتعرض في كتاباته لجماعة راكاح الا اننا نعتقد انه يحترمهم اكثر من جماعة متسبن الذين لا يكن لهم سوى الاحتقار ، فهو يقول : « متسبن هي عبارة عن جماعة من النازحين عن البلاد الذين ينشطون في الخارج ومؤخرتهم هنا في اسرائيل ، على عكس الحركات الثورية التي عادة ما تبقى نواتها في قلب المعركة في حين تكتفي بارسال مبعوثين للعمل في الخارج ، والمكان الوحيد لعمل الحركات الثورية الصحيحة هو ساحة المعركة ، اي هنا في اسرائيل ، اما ساحة المعركة بالنسبة لجماعة متسبن فهي مقاهي اوروبة » . بلا شك فقد ردت متسبن على هذه الانتقادات ، ولا تخلو ردودها من شيء من الصحة . ولكن ما يجب ان نعرفه عن راكاح ومتسبن هو عدم وجود وزن سياسي يذكر لهما في اسرائيل — فأغلبية اعضاء راكاح من العرب ، ومتسبن فئة قليلة . وبالمقابل نرى انه بحسب الحساب في اسرائيل لاناس مثل كينان وافنيري وجماعة « نيو اوتلوك » رغم انهم ليسوا كثرة . لذا فعلى الفلسطينيين الاطلاع على تفكيرهم والرد على كل ما يكتبون . وافضل ما يعبر عن محور تفكيرهم هو ما يقوله كينان : « ليس هناك يهودي في اسرائيل يرضى بأقل من السيادة القومية والسياسية ، فنحن أمة جديدة » . لذا على الفلسطينيين ان يحسبوا حسابا لهذا الاعتقاد الراسخ عند اليساريين وغيرهم . وهنا لا بد لي ان اتساءل عما اذا كانت فيليسيا لانجر ، المحامية الشيوعية الاسرائيلية ، التي اشتهرت بمدافعتها عن الفدائيين المعتقلين تؤمن ايمانا عميقا بالدولة اليهودية . ولما كان من الافضل لنا الاستماع الى آراء عدو متحفظ متردد من ان ننخدع بما يشير به علينا صديق عاجز ، يصبح الكتاب ذا قيمة بالنسبة لاي فلسطيني . واود هنا لفت نظر القراء الى مقالة كتبها كينان يشجب فيها ما يسميه « صناعة البطولة » ، والسيل الذي لا ينضب من الكتب الاسرائيلية وغير الاسرائيلية التي تمجد البطولات العسكرية الاسرائيلية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وكذلك الى المقالة المسلية التي يسخر فيها كينان من اليهود الاوروبيين وهم يتقاتلون فيما بينهم حول الصراع العربي — الاسرائيلي . واخيرا تجدر الاشارة الى ان كاتبا له شهرة كينان لم يستطع نشر هذه المختارات على شكل كتاب عادي في اسرائيل ، فكتابه مطبوع بـ « الاوفست » بشكل غير لائق على اوراق بحجم الـ « فولسكاب » .

جـ . هـ . جنسن

Joseph W. Eaton, **Influencing the Youth Culture : A Study of Youth Organizations in Israel.**
(Sage Publications, Beverly Hills, California, 1970).

لعبت في الماضي تنظيمات الشباب دورا مهما في تحقيق الاستيطان الصهيوني . فكانت تهيء الشباب ايديولوجيا وعمليا للاستيطان في فلسطين، وكانت توطد لديهم هناك مقاييس العمل الريادي وتعبئتهم عسكريا للتوسع الاستعماري . وخلال ذلك سعت تلك المنظمات حسب منطلقاتها الاجتماعية الى حث الافراد على تحقيق انماط من الحياة الجماعية تتشابه والتجارب الاشتراكية الطوباوية . ويسعى برنامج بحث ايتون الى معرفة تطور وتأثير هذه المنظمات وغيرها على الاجيال الجديدة خصوصا بعد تحقيق دولة اسرائيل وبعد تبدل نسب فئات اليهود الآتين الى فلسطين قبل وبعد قيام « اسرائيل » . فقد كان معظمهم قبل انشاء الدولة من اليهود الاوروبيين، واصبحوا بعد ذلك من اليهود الشرقيين . حظي برنامج البحث بدعم رئيسي من نظارة التعليم في الولايات المتحدة وساهمت مؤسسة فورد في دعم دراسة خاصة عن الجدناع ، كما ان صندوق جيبورا جوزيفثال الاسرائيلي مول اطروحة نائب مدير البرنامج ميشال شين ، الذي عني بدراسة العينة الميدانية اساس البرنامج . ووضع معهد سيزولد للعلوم المسلكية تحت تصرف البرنامج بعض امكانياته الادارية . ومن جهة اخرى تجاوبت مؤسسات الشباب في اسرائيل مع الدراسة مدركة اهمية نتائجها على مستقبل عملها .

اضافة الى معرفة العلاقة التنظيمية والتخطيطية بين مؤسسات الشباب والمؤسسات الرسمية والحزبية ، يسعى البحث الى معرفة نمط وموقف الاعضاء وكذلك الى معرفة نمط اختيار رواد الشباب وذلك حسب كل مؤسسة شبيبة . لا يشمل البحث جميع انواع مؤسسات الشباب بل فقط تلك المنظمات التابعة لاهم الاحزاب ويشمل ايضا الجدناع بفرعيه العسكري والمدني وكذلك برنامج ما بعد المدرسة واندية الشباب .

يؤكد ايتون منذ البدء ان النمط الرئيسي للمجتمع الاسرائيلي هو المحافظة بعد الثورة ، ويعني بالثورة الحماس للاستيطان الجماعي وانشاء دولة اسرائيل . فلذا تسعى جميع هذه المؤسسات الى اذكاء الشباب بالعقيدة الصهيونية وجعل انجازات الاجيال السابقة تراثا ومثالا يهتدى به . فالمطلوب من الشباب التمسك بالاهداف الصهيونية المجسدة لهم في دولة اسرائيل . بالرغم من اضافة عبء جديد على الشباب المنظم وهو مساعدة القادمين الجدد ، الا ان هذا العبء يقابل بعدم الحماس والتردد . واذا كانت الناحال من جهتها تمثل الارادة في بناء المستعمرات الجديدة والمتقدمة ، الا انها مجال للخدمة العسكرية يرجع معظم المجندين بعدها الى الحياة العادية واما الاخرون فينضمون الى الكيبوتسات الجدد . لقد اصبحت حركات الشباب المنظمة تقليدا اساسيا في الحياة الاسرائيلية ، ترتبط بالعقيدة والانجازات الصهيونية وتستمد اعضاءها خصوصا من شبيبة الكيبوتسات وطلبة المدارس . ويظهر اثار التقاليد او بالاحرى الوراثية في النشاط الشبيبي لدى منظمات الشباب التابعة للاحزاب حيث يجاري الابناء اباءهم في خطهم السياسي الصهيوني ، ونتيجة هذه العصبية جاء انتساب اولاد اليهود الشرقيين ضئيلا، فحسب عينة مدينة حولون ينتسب فقط حوالي ١٥ بالمائة من الشرقيين الى هذه المنظمات ومعظمهم الى المنظمة التابعة لحزب الماباي واكثر الاعضاء من الصغار بالعمر ويترك معظمهم هذه التنظيمات بعد الدراسة الالزامية . وبالرغم من ادعاء حزب المابام وتنظيمه الشبيبي المثالية الاشتراكية وتطبيقه بعض شعاراتها ، نجد ان انتساب اليهود الشرقيين اليه ضئيل جدا يكاد لا يذكر . يعلل ايتون سبب تخلف اليهود الشرقيين من الانتساب الى منظمات الشباب : اولا الى فقر معظمهم وعدم مقدرتهم تحمل تكاليف الريادة ، ثانيا الى تزمت المجتمع الشرقي وعدم افساحه المجال لاولاده خصوصا البنات للعمل مستقلين وثالثا الى فقدان العمل التعاوني لدى الاولاد الشرقيين . ان هذا الشرح بحد ذاته ادانة لتقصير الاحزاب المدعية الاشتراكية والرافعة لواء «الصهيونية» اي وحدة اليهود « وعودتهم الى ارض الميعاد » وتطوير المجتمع اليهودي هناك . وترتفع نسبة الشرقيين في كل من الجدناع والنوادي حيث وصلت حسب عينة حولون نسبة الى الجدناع الى ٣٠ بالمائة

و ٣٦ بالمائة نسبة الى النوادي البلدية وكذلك في النشاط خارج دوام المدرسة . ومع ذلك نجد ان العمل التنظيمي والتدريبي لا يشمل الا عددا ضئيلا من هؤلاء ، فالقسم الاكبر من الشرقيين ملتحق بالقسم المدني من الجدناع حيث مستوى التنظيم والتوعيةوالتدريب منخفض لانخفاض مستوى رواد الشباب ، كما ان معظم الاعضاء من التلامذة الصغار . اما القسم العسكري فيتوجه الى تلامذة الصفوف الثانوية حيث تهبط بشكل قوي نسبة الطلبة الشرقيين في هذه المرحلة الدراسية. وكذلك تتوجه النوادي المتخصصة الملتحقةبالمدارس الى الطلبة الثانويين فتقل اهميتها ايضا نسبة الى الشرقيين .

ومن جهة اخرى نجد ان نسبة الرواد القادة من اصل شرقي ضئيلة وتقل نسبتهم بين مجموع القادة عن نسبة الشرقيين الى مجموع الاعضاء . يتواجد القسم الاكبر منهم لدى الجدناع المدني ولدى منظمة الشباب التابعة للماباي لاتباع هاتين المؤسستين مبدأ توظيف الرواد وتكون هذه الوظيفة عملا محترفا لليهود الشرقيين ذوي الثقافة المتوسطة . وكما ذكر سابقا يفتقر معظمهم ، بالرغم من خضوعهم لدورات خاصة ، الى الكفاءة اللازمة لتحمل عبء رائد شباب . يعترف ايتون بالتقصير الاسرائيلي — الصهيوني في حقل تنظيم وتدريب الشباب اليهودي الشرقي ، ولكنه لا يلوم اسرائيل ملقيا السبب على الاولويات الحالية للمجتمع الاسرائيلي الذي لا يسمح لاعداد اكبر من الشباب الشرقي اكمال دراستهم الثانوية حيث يمكن تنظيمهم وتدريبهم . وهنا يتساءل القارىء اي نموذج خاص يود الباحث اطلاعنا عليه : هل هو مقدرة الصهيونية واسرائيل على توجيه وتطوير امكانيات جميع فئات اليهود الاتين الى ارض « اسرائيل » ، او هل هو نموذج في مقدرة الكفاءة الاوروبية على تطوير امكانياتها ضمن نشاطها الاستيطاني الحاصل في جو معاد تماما لها .وكذلك في جو استغلال للفئات اليهودية الشرقية المخشى من تفوقها العددي. نستنتج من معلومات ايتون ان خطة الصهيونية في «اسرائيل» هي الابقاء وبل تطوير الامكانيات الفردية والجماعية للاشكناز وفي نفس الوقت عدم توفير الامكانيات اللازمة لتطوير شبيبة اليهود الشرقيين الا بالقدر الذي يمنع الصاق تهمة التعصب العرقي بها . ولا يخشى من تمرد هؤلاء لافتقارهم الى المقدرة التنظيمية وارادة العمل الجماعي . يضاف الى ذلك سياسة تشجيع انسلاخ الفئة الجامعية منهم عن مجتمعهم الشرقي، مع العلم ان عدد الجامعيين من الشرقيين ضئيل جدا بسبب النظام الاجتماعي والتعليمي في اسرائيل . كما ادركت المؤسسة العسكرية انه لا ضرر يذكر من ابقاء انخفاض المستوى الثقافي والوعي الجماعي والمقدرة التقنية لدى الشباب الشرقي فاحاطتهم الكاملة من قبل اليهود الغربيين وتدريبهم الطويل تجعلهم اداة طيعة في خدمة الاستراتيجية العسكرية الهجومية .

يتفق ايتون مع الدوائر الرسمية الاسرائيلية من عدم امكانية تطوير التفكير الرائد الحالي ويرى التمسك بالاهداف الصهيونية اساسي للشباب للدفاع عن مكتسبات الماضي والارتباط بهذا الماضي، بل ويجد ان التوسع في استعمار المناطق المحتلة يذكي روح الريادة لدى هؤلاء الشباب ، لكنه يخشى مع عدد كبير من الاسرائيليين من ضم هذا العدد الكبير من العرب لاحتمال تغلبهم الديموغرافي مستقبلا . فليس مبدأ احتلال الارض هو الذي يقلقه بل التفوق السكاني العربي . فليس من العسير الاستنتاج قبوله ضمنيا بمبدأ اجلاء السكان العرب من الاراضي المحتلة وتحقيق اسرائيل الكبرى . وفي اخر بحثه يعتقد الكاتب ان السلم لن يزيد من الجمود النسبي لمؤسسات الشباب بل يرى في هذا السلم امكانية تبديل الاولويات واعطاء جهد اكبر لدمج المجتمع الاسرائيلي وتطوير الشرقيين . وهكذا افساح المجال لمؤسسات الشباب لزيادة نشاطها في هذا المجال، ولكن يطرحنا السؤال هل اعطت التجارب الحالية منطلقا صحيحا لهذا التطوير ؟ والجواب لا ، لقد رفع لواء العرقية — الطبقية لاستغلال الشرقيين والابقاء على سلطة الاوروبيين . وهذا التمسك بالسلطة وما نبع عنه من استغلال سيبقى مسلكا اساسيا . ولقد ذكر ايتون نفسه ان التعليم لا يكفي وحده لتغيير القيم بل يحتاج التغيير الحضاري الى ترسخ اجيال عدة في اجواء المجتمع العصري .

نبيل بدران

Histoire d'Israël (voix et chants).
3 disques microsillon / 33 tours / 30 cm.
Production SERP., Paris.

أصدرت شركة س. ر. ب. لانتاج الاسطوانات في باريس ثلاث اسطوانات ضمن سلسلة تاريخية بعنوان « رجال وأحداث من القرن العشرين » . والاسطوانات الثلاث هذه تروي « تاريخ الشعب اليهودي ونهضة اسرائيل بالاصوات » وتحتوي على « خمسين اغنية وسبعين وثيقة صوتية حقيقية » . وبالاضافة الى الاخراج الجيد والملفت للنظر هناك الاسماء الكبيرة التي تتصدر الغلاف الداخلي لهذه المجموعة الصوتية والتي تغري المرء بالاستماع اليها خاصة اذا كان من المهتمين بالقضية الفلسطينية . ومن اهم هذه الاسماء التي شاركت بصوتها (او بالاحرى جمعت اصواتها) في هذه الاسطوانات : الضابط دريفوس وليفي اشكول وغولدا مائير والبرت اينشتاين وحاييم وايزمان ودافيد بن غوريون والكونت برنادوت والبابا بولس السادس وجمال عبدالناصر (الكولونيل ناصر كما كتب على الغلاف) وجونسون وويلسون واحمد الشقيري والحسين ودايان والجنرال ديغول ، هذا بالاضافة الى عدد كبير من المغنين والفرق الموسيقية ، اليهودية والصهيونية في معظمها . كما ان واضعي هذه الاسطوانات لم ينسوا ضم اصوات بعض الاذاعات العربية (خاصة في الفترة التي سبقت الخامس من حزيران) اليها . ولا تحمل هذه الاسطوانات تاريخ صدورها الا اننا نستطيع ان نحدد هذا التاريخ في الايام التي تلت معركة حزيران ١٩٦٧ مباشرة اي في الفترة التي كانت فيها هستيريا التأييد لاسرائيل في الغرب في اقصى قوتها وزخمها .

كما تعودنا من الكتب « التاريخية » التي يصدرها الاعلام الصهيوني بغزارة والتي تشدد وتلح على ابراز الاضطهاد والظلم والغبن اللاحق بالشعب اليهودي « شعب الله المختار والفريد ومصدر الخير » (وجه رقم ١) فان هذه الاسطوانات لا تشذ عن هذه القاعدة فتصور لنا كيف نشأ هذا الشعب الصغير والمحاصر ، منذ اربعين قرنا ، وسط المصائب والمصاعب والاضطهادات وكيف استعبده الفراعنة ثم تحرر من نيرهم ليؤسس اول دولة يهودية في التاريخ في ظل داوود وسليمان اللذين اتخذا القدس عاصمة لهما . ولكن يبدو ان المؤلفين قد « نسوا » ان يذكروا لنا كيف تأسست هذه الدولة ومن كان يسكن فلسطين قبل مجيئهم وما الى ذلك من « تفاصيل صغيرة » لا يلتفت اليها عادة المؤرخون الجديون او انهم « ينسونها » لا فرق . المهم ان فلسطين قد اصبحت الوطن الاول لشعب الله المختار فكانت لهم دولة وحضارة وكانت لهم التوراة . بعد هذا توالت الضربات فجاء نبوخذ نصر وكان التشتت الاول ثم تلاه التشتت الثاني بعد مجيء المسيح بقليل . وهنا تعاقب المحتلون على فلسطين من « رومان وبيزنطيين وعرب ومماليك واتراك وانكليز ! » (هكذا) . الا ان هذا لم يفتت في عضدهم فظلوا ، رغم منفاهم الذي طال اكثر من ألف وثمانمئة سنة ، محتفظين بقوميتهم و«مصرين» على العودة الى فلسطين .

ويمضي مؤلفو هذه الاسطوانات في سرد تاريخ « اسرائيل » تماما كما نسمعه ونقرأه عند دعاة الصهيونية في درجة عالية من التبسيط والتشويه فيتكلمون عن الاضطهاد العرقي والديني الذي أصاب الشعب اليهودي وكيف أنه لم يستطع ان يندمج في المجتمعات الاوروبية وكيف ان اليهود كانوا منعزلين « على انفسهم ، يتكلمون لغات خاصة بهم لجهلهم بلغات البلاد التي يعيشون فيها». والغريب ان كل هذه الفترة التاريخية الطويلة لم تظفر من الاوجه الستة للاسطوانات الا بوجه واحد . أما الاوجه الخمسة الباقية فهي مكرسة لنشأة الصهيونية وولادة دولة اسرائيل وحرب حزيران وهي موزعة على الشكل التالي :

الوجه رقم ٢ — من بداية الاستيطان الصهيوني اليهودي في فلسطين « المهجورة والموبوءة وغير المزروعة » حتى الحرب العالمية الثانية .

الوجه رقم ٣ — من انتصار الحزب النازي في المانيا وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية (احتلت هذه الفترة الزمنية القصيرة وجها كاملا للتشديد على الاضطهاد الفظيع الذي لحق باليهود في المانيا النازية ، وهذه خطة صهيونية ثابتة يراد بها استدرار العطف العالمي وبشكل خاص الاوروبي).

الوجه رقم ٤ — انشاء دولة اسرائيل .

الوجه رقم ٥ — من الهدنة (١٩٤٩) حتى أيار ١٩٦٧ مرورا بأزمة السويس .

الوجه رقم ٦ — حرب حزيران ١٩٦٧ .

اننا هنا لن نحاول ان نرد او نفند المعلومات التاريخية المبتورة والمشوهة التي ضمتها هذه الاسطوانات . ان هذا العمل يتطلب وقتا طويلا جدا بالاضافة الى ان العديد من المتخصصين قد قاموا بهذا العمل على افضل ما يرام . ما يهمنا نحن الان هو التركيز على ناحيتين : ١ — الوسيلة الاعلامية التي توسلتها الدعاية الصهيونية بغض النظر عن المحتوى المشوه والمزيف الذي قامت هذه الوسيلة بنقله . ٢ — مدى فعالية ونجاح هذه الوسيلة الصوتية وبالتالي قيمة هذا العمل الاعلامي .

تتميز الحضارة الصناعية في الغرب (واسرائيل جزء مكمل له) بطاقاتها الهائلة وخبراتها المتشعبة في « صنع » الاخبار والمعلومات « الموضوعية » وفي خلق رأي عام تسيره كما تشاء أي وفقا لمصالحها المتعددة ، رغم ادعائها التزام الحرية الفكرية والنزاهة والتجرد والتحليل العميق الرصين وما الى ذلك من كلمات كبيرة باتت لا تعني شيئا سوى التكييف الفكري والتشويه الاعلامي والارهاب الايديولوجي غير المباشر . اننا باشارتنا الى هذا الواقع لا نكون قد أتينا بجديد فالسلاح الاعلامي استعمله الجميع بدون استثناء . الا ان الجديد في الامر هو اتساع استعمال هذا السلاح وعدم قدرة الانسان الغربي (بشكل خاص) الافلات من تأثيره واتخاذه ابعادا خطيرة اصبح معها جزءا اساسيا من حياة انسان النصف الثاني من القرن العشرين بالاضافة الى تغلغله الى كافة المستويات الحياتية والشعورية ، وحتى الجسدية ، خاصة وان وسائل الاتصال اصبحت توجه الى كافة الحواس الانسانية من رؤية (قراءة ، صحف ، كتب ، صور مطبوعة ، صور متحركة) او سمع (راديو ، اسطوانات ، اشرطة تسجيل) او وسائل سمعية بصرية (سينما ، تلفزيون) .

اننا نورد هذا لا للغرق في بحر من العموميات والبديهيات بل للاشارة الى ان اسرائيل قد استطاعت ان تستغل هذا الواقع الى ابعد الحدود وهي بلجوئها الى الاسطوانة كوسيلة دعائية واعلامية فانها اختارت التأثير على المستمع بأسهل الطرق وتكون قد اغرته بالانقياد اليها دون ان يبذل اي مجهود حقيقي وبالتالي فان مقاومته للتشويه والتزييف تكون اضعف خاصة وان للموسيقى والاغنية اثرها البالغ في الاجهاز على بقايا المقاومة ، هذا ان كان هناك مقاومة . والامثلة على هذا كثيرة في هذه الاسطوانات فقبل ان يروي لنا مؤلف الاسطوانة قصة مذبحة وارسو يسمعنا لمدة ثلاثين ثانية لعلعة زخات من الرصاص تثير الاعصاب الى حد الغضب والاشمئزاز . وبعد كل رواية عن اضطهاد لاقاه الشعب اليهودي يسمعنا موسيقى حزينة ومؤثرة .

ولكن هل أعطت هذه الوسيلة الاعلامية هنا كل طاقاتها وامكانياتها ؟ بكلمة اخرى : ما هو مدى فعالية هذا « التاريخ الصوتي » لاسرائيل وهل بامكاننا ان نعتبر هذا العمل الدعائي عملا ناجحا؟ للاجابة على هذه الاسئلة لا بد لنا من ايضاح الامور التالية : ان هذه المجموعة من الاسطوانات تتوجه بشكل رئيسي الى الرجل العادي الذي يسهل خداعه بسبب قلة معلوماته وبسبب لجوئه الى اسهل السبل للاطلاع على ما يجري حوله . وهو ، بسبب قلة ميله للبحث والتعمق فهو لا يستمع الى مثل هذه الاسطوانات الا في الاوقات غير العادية او في الازمات الساخنة كالخامس من حزيران مثلا . وفي رأيي ان هذه الاسطوانة لا يمكن ان تنتشر وتشترى بعد ستة اشهر من انتهاء حرب حزيران بسبب طابعها الآني والسطحي . بالاضافة الى هذا ، هناك المؤيد لاسرائيل حتى النهاية والذي يعتبر ان اسرائيل هي دائما على حق وبالتالي المستعد لان يستمع الى هذه الاسطوانة في كل لحظة ليزداد اندفاعا وحماسا في تأييده لاسرائيل . وهناك ايضا البحاثة الذي يريد ان يعرف كل شيء عن الصراع العربي — الصهيوني في الشرق الاوسط وهذا ايضا لن يستمع الى هذه الاسطوانة اكثر من مرة لانه سيكتشف فيها بسرعة الدعاية الصهيونية في منتهى سطحيتها وتبسيطها للامور .

ان كل هذه العوامل تجعل من هذه المجموعة الصوتية عملا غير ناجح على المدى البعيد . الا ان هذا لا يعني الفشل التام خاصة في غياب الاسطوانات العربية التي تروي تاريخ فلسطين الحقيقي .

ماجد نعمة

محمود درويش ، أحبك أو لا أحبك
(دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٢)

ها هو صوت الشاعر محمود درويش يطل علينا من قريب هذه المرة . لا تحول بيننا وبينه حدود شائكة وغامضة بقدر ما تحول بيننا وبينه حدود مفتعلة . ويطل علينا جديدا هذه المرة ايضا . لا نتوهم ان فيما يكتب هواجس ومشاعر ومواقف ، لا تشكل بالنسبة الينا الا طموحا وتوقا ومثالا . بل ها هو يتحدث هذه المرة ، ويكتب في صحف نعرفها وأمام قراء نعرفهم ، في صف واحد مع الشبان من شعراء العربية ، بحيث يدفعنا ذلك جميعه الى ان ننظر اليه بعين تعودت النظر الى الشعر بقدر ما من الحيادية . فلم يعد صوت محمود درويش يتسرب الينا كما تتسرب رائحة الارض ، ولم نعد نتوهمه مطلا من فوهة بندقية ، او من خلال قضبان حديدية صدئة . ولطالما حال ذلك التوهم بين الشاعر وبين الشعر في رأي قرائه ، ولطالما اختلط ، بفعل ذلك الوهم ، الناقد والمحب في شخص القارىء العربي ، حتى نتجت ، مما شاء الخلط ، ركامات هائلة من « الدراسات » و« المقالات » و« الهوامش » حول ما سمي « أدب المقاومة » ، مستعينين فيها ، لا بالرغبة في المكاشفة الابداعية لهذه التسريحة الخاصة من الادب العربي الحديث ، بل بالعاطفة الوطنية والقومية، وكثيرا ما خلخلت هذه العاطفة، صادقها وكاذبها على السواء ، موازين الحقيقة وصور الواقع .

ان مجموعة الشاعر محمود درويش التي صدرت تحت عنوان « أحبك أو لا أحبك » كانت حصيلة الوقت الذي قضاه الشاعر في القاهرة حتى الان . وهذا يعني ان لهذه المجموعة اهمية خاصة في نظر الشاعر ذاته وفي نظر القراء ، لانها تجيب على التساؤلات الكثيرة التي تلت خروج محمود درويش من داخل اسرائيل واختياره القاهرة : هل بقي درويش شاعر مقاومة ؟ هل موقفه هذا ، من الناحية الشعرية ، موقف سليم ، وهل تملك هذه التجربة الجديدة ان تعطيه ما كانت تعطيه حياته النضالية السابقة ؟ وكيف ستكون عليه قصائده الجديدة ؟ ... الخ

ان محمود درويش يملك قدرا كبيرا وواضحا من التوق الى التجديد ، وهو على الدوام يتعجل الشعر ، ويتعجل تجربته من اجل خطوة جديدة ، ولقد ميزه ذلك عن رفاقه من شعراء الارض المحتلة ، حيث استطاع بفترة قصيرة ان يحتل مكانة ممتازة لا بين رفاقه — وهو ليس اكبرهم سنا — بل بين الشعراء العرب ايضا . وهذا القدر من التوق لم يكن لدى درويش خارجيا قشريا بحيث يدفعه من اجل ارضاء رغبة عابرة ان يستعين بلعبة لغوية زخرفية ، او لعبة شكلية لا يطمع منها الا بالادهاش . بل هو على العكس يتسم توقه بالصبر والاناة فلقد شاء لنفسه ان يتكشف الجديد من التجربة الفنية وهو داخل « غنائيته » التي استمرت حتى الان، منذ ان كانت غنائية رومانسية في مجموعاته الاولى ، الى ان تطورت ، بفعل الشاغل الابداعي لدى الشاعر، الى الرؤيا الجديدة ذات السمة الغنائية .

ولعل من أبرز مظاهر هذا التوق الى التغيير لدى محمود درويش انه بعد فترة من خروجه الى القاهرة لم يشأ ان يخرج الى الناس بوجهه القديم الذي اعتادوه وأتقنوه بل شاء ان يخرج بجديد آخر لا يجمعه « بالقديم » من شعره الا خيوط داخلية . فكتب مجموعة من القصائد تحت اسم « المزامير » ونشرها امام الناس . وهي قصائد لم تعتمد التفعيلة وحدة وأساسا موسيقيا . بل كتبها نثرا ، مستفيدا فيها من التوراة حينا ومن بعض شعراء قصيدة النثر في العربية حينا آخر . ولكنه في كلا الحالتين لم يبعثر شخصيته الحقيقية بل حاول جهده الانضباط بحدود هذه الشخصية ، وهي محاولة صعبة دون شك ، فقصيدة النثر لها تراثها المحدود في العربية ، كميا وزمنيا ، كما ان محمود درويش خاط له لفترة نشطة ومنفعلة، جلدا لا يملك بهذه السهولة ان يتخلى عنه او يقفز منه. لهذا السبب تجد ان قصائده « المزامير » النثرية لا تنتسب اليه انتسابا كاملا شأنها شأن قصائده الاخرى ، ولكنها تتوزع بينه وبين مجموعة من المصادر الاخرى ، ولعل ابرزها وضوحا صوت الشاعر السوري محمد الماغوط . فمن منا حين يقرأ هذا المقطع على سبيل المثال لا يستحضر في مخيلته صوت الماغوط :

أعيدي الي تقاطيع اسمي

لاحتكم الى ألياف الشجر
أعيدي الي حروف وجهي
لاحتكم الى العواصف المقبلة
اعيدي الي اسباب فرحي
لاحتكم الى التراجع الذي لا سبب له
لان صوتي يابس كسارية العلم
ويدي فارغة كالنشيد الوطني
ولان ظلي واسع كمهرجان
وقسمات وجهي تتنزه في سيارة الاسعاف
لاني هكذا ،
فانا مواطن في مملكة لم تولد ..

وسيكون دون شك استحضارا مشوهـا ، لان الاستقرار والكثافة في العاطفة والمخيلة معا اللذين نتجا عن تجربة طويلة لدى الماغوط ليس مـن السهل ان يتوفرا في محاولة درويش الجديدة ، وهي محاولة هامة وجريئة . فلقد أراد الشاعر لا ان يتخطى وجهه القديم ، بل ان يخرج منه بخطوة جديدة تشكل اضافة أخرى ومنحى آخر . ولكنه في رأيي ، لم يوفق ، كما أراد لنفسه ، في قصائد النثر التي نشرت تحت عنوان « المزامير » بقدر ما وفق في القصائد الاخرى التي تضمنتهـا المجموعة « أحبك أو لا أحبك » . انه فيها يتفجر داخل غنائيته ، التي لم يتخل عنها وحسنا يفعل ، ويصالح بينها وبين الرؤيـا الشبكية المعقـدة للقصيدة الحديثة . انه لم يتح للغنائية ان تغنى في خضم المباشرة والخطابية ، وضمير المتكلم الواحد، بل هو يعالجها لا لتكون اساسا بل عاملا مساعدا لتقريب هذا التقاطع والتركيب والجدل داخـل القصيدة . ولعل العنوان ذاته يقف شاهدا على مناخ الرؤيا الجديد « أحبك أو لا احبك » حيث يشكل تجاذب هذين الطرفين المتناقضين دائرة ، هي وحدة حية لكل شيء ، وهي تذكرنا بوحدة النقيض هذه في مجموعة الشاعـر عبدالوهاب البياتي « الذي يأتي ولا يأتـي » و« الموت في الحياة » . ولكن محمود درويش ، هذا الشاعر الذي جبل من ارض مستلبة ، ونشأ ونما على التحديق بها ، يملك القدرة على معرفة حدوده والقدرة على تلمس جراحه ، وهو لهذا يدرك الذي يضعه أمام بصيرته حين يكتب . ان فلسطين في شعر درويش هي وحدة كل شيء ، دائرة يتجاذب فيها الموت والحياة ، الحب واللاحب ، الشيء واللاشيء ، الصراخ والسكوت . لان انبعاثهـا يحتاج الى رماد ، وحياتها تحتاج الى موت ، وليست هذه المعادلة الا بديلا موضوعيا للفدائي والارض ، وليس الفدائي والارض الا تجسيدا لهذه المعادلة ، من هنا تتحكم هذه اللعبة السحرية في رؤية محمود درويش « فالفدائيون اسرى توقهم للموت » من اجل احياء الارض ، كما ان الموت تذكرة الدخول الى الوطن ، حين يكون « الكلام خطيئة ، والصمت منفى » .

في قصيدة « عائد الى يافا » التي كتبها الشاعر عن الشهيد الفلسطيني ابو علي اياد ، استعادة مجسدة وحية لتلك المعادلة ، الموت — الحياة او الموت — العودة . وهي قصيدة تقف برأيي الخاص في مقدمة قصائد المجموعة جودة ونضجـا . ان شفافيتها ونموها المتزن يعطيانها حاسة القصيدة الواحدة ، واشير بهذا الى بعض قصائد محمود في المجموعة وعلى راسهـا قصيدة « تتلوك في الوادي » ، حيث يذهب فيها ، شأنه في بعض قصائده السابقة ، مذهب المقاطع الغنائية التي تشبه « التوقيعات » ، بحيث تنفرط القصيدة الى قصائد ، تفصلها حدة غنائيتها واستقلالها، بعضها عن البعض الاخر . وقصيدة « عائد الى يافا » هي الاخرى ، وبشكل ظاهري ، مجزأة الى مقاطع تفرزها فواصل بيضاء او منقطة ، ولكن القارىء انما يجد تلك الفواصل جزءا له دوره داخل بنية القصيدة ، وليس مجرد مساحة لاتاحة فرصة شعرية جديدة . وهي تبدأ بمقدمة أشبه ما تكون بمقدمات الاساطير ، وتختتم بها ، لتشكل دورة تامة ، والمقدمة فنيا مستوحاة من مقدمة « ملحمة كلكامش » البابلية ، في حين تبدو القصيدة من ناحيتها الشكلية متضمنة الاستيحاء العام مـن « ملحمة كلكامش » تلك ، حيث البحث عن الابدية هناك والعودة الى الارض الام هنا .

هو الآن يرحل عنا
ويسكن يافا
ويعرفها حجرا .. حجرا
ولا شيء يشبهه
والاغاني
تقلده ..
تقلد موعده الاخضرا .

في القصيدة يتفجر ذلـك التجاذب بين الرمـاد والانبعاث والموت والحياة ، وان جاء هنا بصورة اكثر تلقائية واكثر مباشرة ، فها هو البطل يرحل

عنا حيا الى موت جديد ليبعث منه ثانية . انه « الآن يخرج منا » ليرحل ، نحن الذين لا نملك — حين يقدم هو دما — الا ان نقدم حبرا ، وحين يقدم شهادة مجسدة لحب الارض الا ان نقدم كلاما،

ونحن بعيدون عنه ،
لنا صورة في جيوب النساء ،
وفي صفحات الجرائد ،
نعلن قصتنا كل يوم ..
لنكسب خصلة ريح وقبلة نار
ونحن بعيدون عنه
نهيب به أن يسير الى حتفه
نحن نكتب عنه بلاغا فصيحا
وشعرا حديثا
ونمضي .. لنطرح أحزاننا في مقاهي الرصيف
ونحتج : ليس لنا في المدينة دار
ونحن بعيدون عنه ،
نعانق قاتله في الجنازة ،
ونسرق من جرحه القطن حتى نلمع
اوسمة الصبر والانتظار ..

هذه التلقائية والمباشرة قد تشكل بركة راكدة في مجرى القصيدة العام ، لانها تلتقي مع تلك الصورة العامة والشائعة في قصائد بعض شعرائنا الذين وجدوا في الهزيمة حجة لتجريح الذات ، ولازمات الضمير ، والذين يتصيدون المناسبة تلو المناسبة ليقولوا عين القول السابق عن هذر الشعراء وثرثرتهم ، وعن أفيون المقاهي ، وحشيش الصحف .. الخ. ولكن محمود درويش لا يستغرق حين ينزلق ، فها هو الفدائي — الانبعاث يمضي الى غايته دون ان يلتفت الى الوراء « ليعرف الحد بين الجريمة حين تصير حقوقا وبين العدالة » و« ليس يصدق شيئا وليس يكذب شيئا » ، انه يمضي للموت — الشهادة ، من اجل الحياة ، ليترك في « حركته » ، « سكون » اللاجئين . فهو بذلك لم يكن لاجئا ، « هي الارض لاجئة في جراحه، وعاد اليها » ، ليعيد اليها تفجرها من جديد .

يقول محمود درويش في معرض اجابته عن بعض الاسئلة ، « ان ما يميز الشعر عن سائر اشكال الوعي الاجتماعي هو ان الذات تشكل محوره ولكنها ليست معزولة عن الاخرين مهما تظاهرت بالاستقلال النسبي » (ص ٣٣٨ من « شيء من الوطن » لمحمود درويش) . وهذه الحقيقة تشكل ابرز مزايا قصيدة درويش وخاصة في مجموعته

الاخيرة ، واذا كان يتمثل فلسطين امرأة يحبها فيخلع عليها شتى الالوان والاشكال ، فهو هنا يضيف الى ذلك تجربة فنية جديدة ، فقد كتب عددا من القصائد يخاطب بها فلسطين — حبيبته ، أو يتقمص حضورها ، او يتحدث عنها، ففي المقطع العاشر من قصائده « المزامير » يتحدث على لسان الفلسطيني — الفدائي ، فيرى ان حالة الاحتضار الطويلة التي عاناها منحته هويته ، وجعلت منه قضية حيث ادخلته البيوت والقلوب والسنابل ، ولكن رعاة الملفات والانقلابات والخطب الغضروفية حسبوه ميتا فمروا ، ولم يلفظوا اسمه : « دفنوا جثتي في الملفات والانقلابات وابتعدوا .. » ولكنه عبر العمر القصير والموت الطويل يفيق فيكتب اسم ارضه على جثته وعلى بندقيته ، ليقول : هذا سبيلي ، وهذا دليلي الى المدن الساحلية « وتحركت ، لكنهم قتلوني » .

وهكذا تتفجر فيه حالة الحصار ، تلك الحالة التي أشار اليها درويش في تلك المقابلة بقوله « اني متشرب حتى النخاع بالاحساس بالحصار، والحصار ليس فكرة ذاتية اخترعتها وليس وهما يأمرني ، انه واقع يعيشه شعبي ، وعندما اكشف نفسيتي المحاصرة اكشف ، في الوقت ذاته نفسية شعبي .»

في قصيدة « مرة أخرى » يتفجر لدى درويش الموضوع ذاته ، فها هم القتلة ينامون تحت جلده ، ويمر العسكري ليواري شفتيه ، وتصبح الحرية عبئا على قلبه .

ولعل جديدا يطرأ على قصائد الشاعر بعد خروجه، نتلمسه في زوايا « المزامير » هنا وهناك ، وفي بعض الاجزاء الخفية من هذه القصيدة او تلك ، قد لا نملك الجرأة ان نسميه أزمة ضمير حادة تلم بمناضل هجر ساحته ورفاقه ، ولكننا ندعوه حصارا جديدا ، هو أشد كثافة ووجعا ، دون شك ، من كل حصار سابق ، لانه حصار داخلي له رصيد هائل في الذاكرة لا ينضب . ففي اللحظة التي تحترف اشجار بلاده الخضرة يحترف هو الذكرى . وأي قسوة في ذلك ، وها هو بين الرماد كلما أطلق رياحه فيه بحثا عن جمرة منسية لا يجد غير وجهه القديم الذي تركه على منديل امه (ص ٢٥) ، حتى ليصرخ بعنف « طوبى للصخرة التي تعشق عبوديتها ولا تختار حرية الريح ! » (ص ٢٢) . وفي قصيدة « أغنية الى الريح الشمالية » مقطع صغير قد يشير بخلاصة ووضوح الى ما ذهبت

اليه ، حيث يجالس ذاكرته فحسب ليتقرى بحنين جارح اصدقاءه هناك ، مع الشجر والسلاسل ومع البوليس والياسمين ، في حين يقف هو هنا دون زند ، وحنجرة ، يحاول ان يكون ولا يستطيع .

.. كان الحديث سدى عن الماضي ،
وكان الاصدقاء
يضعون تاريخ الولادة بين الياف الشجر
ودعتهم ..

فنسيت خاصرتي وحنجرتي وميعاد المطر
وتركت حول زنودهم قيدي
فصرت بدون زند ، واختصمت مع الشجر
والاصدقاء هناك ينتظرون بوليسا
وطوق الياسمين
وانا احاول ان اكون
ولا اكون ..

فوزي كريم

سلمى س. حداد ، **الطلاب في اسرائيل**
(مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، بيروت ١٩٧١) .

ركزت الحركة الصهيونية منذ بدايتها الرسمية في نهاية القرن التاسع عشر على سياسة الدعاية الداخلية ، وكانت تطرق باستمرار على المبادىء التالية : ١) اليهود يشكلون شعبا فريدا ومتميزا، ٢) ان هذا الشعب يجب ان يشكل دولة قومية ، مستقلة وسياسية ، ٣) ان هذه الدولة يجب ان تكون في فلسطين والجوار ، ٤) ان جميع يهود العالم يجب ان يهاجروا الى هذه الدولة ويدعموها بكل الوسائل التي يمتلكونها ، ٥) ان اليهود في العالم لن يستطيعوا العثور على السلام والاستقرار والكرامة الا في دولة يهودية كاملة . ان هذه المقدمة الصغيرة قد تساعد اثناء البحث عن جواب لسؤال كبير طرحته الكاتبة في دراستها ، وهو : « لماذا لم يتمرد الطلاب الاسرائيليون ضد النظام القائم في اسرائيل ، بينما المسرح الطلابي العالمي كان يعيش في حمى العنف على درجات متفاوتة ؟ » ففي وسط صخب الطلاب واضطرابهم العالميين بقيت الجامعات في اسرائيل هادئة لا تحرك ساكنا . وحين كان الطلاب في جميع انحاء العالم ينادون بأبطالهم « راح الطلبة الاسرائيليون يؤكدون على تعلقهم بموشيه دايان والتفافهم حوله » . وعندما رفض طلاب العالم دولهم ومجتمعهم ، « كان الاسرائيليون يدافعون عنها ».

وحين نادى الطلاب في العالم بادخال اصلاحات شاملة في الجامعات ، « كانت مطالب زملائهم الاسرائيليين محصورة بتحسين الاحوال السكنية داخل حرم الجامعات » . فلماذا اذن ، « لم تصل الموجات الصاعقة للتمرد الطلابي الى اسرائيل »؟ فحرم الجامعات في اميركا اللاتينية شهدت تظاهرات عنيفة ضد الديكتاتورية العسكرية، وطالبت الحركة الطلابية في تركيا المشاركة في شؤون الجامعات كما هاجمت ارتباط الحكومة مع الولايات المتحدة الاميركية ، وثار الطلاب في الهند واندونيسيا والفلبين وكوريا الجنوبية ضد الفساد بينما كان طلاب جنوب افريقيا يناضلون ضد التفرقة العنصرية . كما ان التململ الطلابي في ايطاليا يعتبر جزءا من الاضطراب الاجتماعي السائد .

وتنبع شكاوى الطلاب الفرنسيين من ازمة عميقة المدى في الجامعات ، فمتاريس ثورة ايار ١٩٦٨ الطلابية كشفت عمق وحدة التناقض بين الدولة وما تمثله من مصالح ، وبين الشرائح الاجتماعية الدنيا — ومن بينها الطلبة بالطبع — وما تمثله من مصالح ايضا . لقد تطور الصراع في فرنسا الى قضية المطالبة باسقاط النظام القائم وقلب الحكم.

لقد صمم الطلاب في العالم على تحويل الحرم الجامعي الى ميدان للعمل الثوري لكي يتسنى لهم

تقويم الشرور الاجتماعية وايقاف الحروب ، وهم في ذلك يحاولون استعادة الكرامة الانسانية ، مع اعتقادهم الكامل ان ذلك لا يتحقق داخل المجتمع القائم . اما الطلاب العرب ـ لم تنسهم الكاتبة ـ من خلال اللامبالاة المسيطرة عليهم ، « فاليمينيون بينهم لم يتسن لهم بعد الوصول الى عتبة القرن العشرين ، واليساريون هم اما من (المتبرجزين) الذين يفكرون يساريا ويعيشون برجوازيا ، او من الديماغوجيين الذين يخلطون بين الثورة والشعارات الفارغة » .

لماذا اذن ، يساهم الطلاب في تغيير العالم على درجات رفض متفاوتة ، حين يعمل طلاب اسرائيل على تركيز استمرار ودعم المؤسسة الصهيونية ؟ جعلت الكاتبة من هذا السؤال محور دراستها ، وربطت حالة الخمول الطلابية في اسرائيل بعدة عوامل من زوايا ثلاث : « التلقين العقائدي من جانب الدولة وحركات الشبيبة والجيش . فقياس خمول الحركة الطلابية في اسرائيل بحيوية ونضج التحرك الطلابي العالمي ضد الحالات الاجتماعية المختلفة السائدة ، من الخطأ قبوله ، لان الحركة الطلابية الاسرائيلية ليست خاملة على الاطلاق ازاء دعم ودفع المؤسسة الصهيونية وهي تبني المجتمع (العصري) » . ولكن قبل عرض العوامل من زواياها الثلاث ، لا بد ان نشير الى ان دراسة الكاتبة اقتصرت على الطلاب الجامعيين فحسب ، دون التعرض الى المدارس الابتدائية والثانوية والتي يكون « التلقين العقائدي من جانب الدولة » فيها اكثر تركيزا وفعالية ، مما يترك الاثر البالغ في نفوس الطلاب الاسرائيليين اثناء انتقالهم من مرحلة تعليمية الى اخرى . ولهذا السبب ، يقول احد الصحفيين ـ بثقة كاملة ـ « لقد خلفنا وراءنا تمرد ايام الشباب » .

● الطلاب الاجانب من اليهود ، طلاب ما وراء البحار ، هم التلامذة المدللون ، لانهم « لا يأتون لاجل اصلاح المؤسسات الاسرائيلية ، بل في سبيل تعزيزها وتقويتها » . يتلقى طلاب ما وراء البحار « عناية فائقة واهتماما بالغا في اسرائيل » ، وكل يهودي يعرب عن رغبته في الدراسة في اسرائيل « يستطيع الحصول على منحة لهذا الغرض » .

ويتم اجتذاب الطلبة اليهود من الخارج عبر العديد من المشروعات والخطط « التي تضعها اسرائيل بالتعاون مع الوكالة اليهودية وغيرها من الهيئات والمنظمات الصهيونية » . وتقوم مؤسسة العلاقات الثقافية مع الدياسبورا (الشتات) ، بالاضافة الى تصدير الثقافة الاسرائيلية الى الخارج ، « بتمويل اقامة طلاب ما وراء البحار في اسرائيل وتأمين استيعابهم » . لقد نال الطلبة الوافدون مؤخرا حصة نسبية من التمثيل في اتحاد الطلبة الاسرائيليين ، « ولهم افضلية على غيرهم من الطلاب في التسهيلات السكنية، مثلما ان الجامعات تخصص لهم مستشارين ومرشدين لرعاية شؤونهم على حدة » . فالمسؤولون الاسرائيليون يحرصون كل الحرص على عدم اغضابهم او تعكير مزاجهم ، «وتقدم لهم فرص الاستخدام الصيفي في الكيبوتزات والمدن الانمائية ، او يتم توظيفهم كقادة للشبيبة ، بينما يحظى المؤهلون بينهم بوظائف مهنية تتناسب مع كفاءتهم » .

اما بالنسبة للطلبة العرب ، فقد ساء وضع هؤلاء بعد حرب حزيران ، « فلا يجوز لهم التمتع او الاستفادة من التسهيلات الممنوحة لغيرهم » . فالعديد من طلبة الجامعات : « من الجنود الاسرائيليين الى اعضاء الكيبوتز والموشاف والطلاب القادمين من وراء البحار ، يتاح لهم حضور دروس اعدادية خاصة لتمكينهم من الالتحاق بالجامعات » ، والطلبة العرب ، في الواقع ، لا يتمتعون بمثل هذه الامتيازات .

اما فيما يتعلق بالطلاب الاسرائيليين ، فمن المؤكد ان الطلبة القادمين من الكيبوتز او الموشاف المغلقة ، او الذين يتربون تحت انظار وعناية السلطات المسؤولة في دائرة تهجير الشبان والاحداث « لا يمكنهم بحال من الاحوال ان يجلبوا معهم الى الحرم الجامعي بذور الحماس الثوري » المتوافرة لدى باقي طلاب العالم .

● مع تصاعد التململ الطلابي في العالم عمدت المؤسسات الصهيونية الى مضاعفة يقظتها وحذرها في معالجة شؤون الشبيبة ، فاسرائيل هي المحور الرئيسي الذي يدور حوله تلقين الشبيبة وتشريبها بأفكار معينة . « فالامين العام للهستدروت يقترح على الشبيبة الاسرائيلية ثورة دائمة ، قوامها الحفاظ على اهداف المؤسسين لحركة عمال اسرائيل : الهجرة والاستيطان وخلق المجتمع السوي واحياء الشعب اليهودي واقامة اقتصاد عادل » . بما ان الطلاب في الخارج ثاروا ضد الهوة التي تفصل بين الايديولوجية الرسمية والواقع

الموس ، فلماذا لا « يتفاخر الاسرائيليون بالمرونة والمساواة التي تميز نظام حكمهم ، والتغني بالهدوء الذي يخيم على شبيبتهم » . (!) حيث الحديث عن الايديولوجية ودورها في قيام التناقض ، كان على الكاتبة ان تشير الى حقيقة تاريخية والتي تتمثل في ان من احدى ميزات آلة الدعاية الصهيونية ان جعلت ما هو مخالف لروح العصر الليبرالية مقبولا عالميا ، وليس محليا وحسب . فلقد شهد القرن العشرين الليبرالي ولادة دولة من طراز ايديولوجي فريد . ان اسرائيل هي نتاج الايديولوجية اكثر من اي بلد آخر ، وهي من البلدان القليلة التي سبقت فيها الايديولوجية قيام الدولة ، وهي في ذلك تخالف اوضاع الامم الاخرى . ان الدولة التي خلقتهـا الايديولوجية الصهيونية فريدة لانها الوحيدة بين أمم الارض اليهودية مجتمعا ولسانا ودينا .

● « لقد نجحت اسرائيل حتـى الان في طريقة معالجتها لشؤون الشباب والاحداث خصوصا فيما يتعلق بالطلاب الذين سكبتهم في قالب موحد الى حد ما » . فالاهداف التي تسعى اليها السلطات ، وفقا لما نص عليه البرنامج التربوي للدولة ، هي: « تنمية الوعي اليهودي — الاسرائيلي لدى الشبان وغرس المبادىء الصهيونية في نفوسهم ، بالاضافة الى تلقينهم قيم الحضارة اليهودية وحب اسرائيل والولاء للشعب اليهودي » . ولاجل هذه الغاية « تحتل دراسة التاريخ اليهودي مكانة هامة في البرنامج التعليمي ، كما انها تمثل مادة الزامية في الامتحان النهائي لشهادة الكفاءة » . فالشبيبة الاسرائيلية ليست متروكة على علاتها ومحرومة من العناية والالتفات ، « فالتكوين الذي تتلقاه في المدرسة تعززه النشاطات الخارجة عن حجرات الدرس » .

ان حركات الشبيبة الاسرائيلية ترمي الى جعـل الشبان اكثر استجابة مع تعاليم الدولة ، وتنمي فيهم موقفا ايجابيا من « الخدمة العسكرية » . فما ان يبلغ الشبان الاسرائيليون سن الثامنة عشرة « حتى يتقدم الجيش من مجموعهم لاكمال تربيتهم واتمام تثقيفهم » . فالجيش يقوم بدور المفاعل القوي « في عملية صهر الخليط السكاني المتنافر بالبوتقة الاسرائيلية » . وتمتد نشاطاته الى ما وراء حدود صفوفه ، لكي تستأثر بحصة ملموسة من حياة اسرائيل الاقتصادية والسياسية . يبذل الجيش جهودا تتجه صوب الانماء الزراعي ، ولا سيما في مناطق الحدود ، بالاضافة الـى تدريب المهاجرين الجدد والاسهام في ادماجهم الكامل . وتعكف دائرة التربية في الجيش على تنظيم دروس تتراوح « من التعليم الالزامي للعبرية الى الحساب والبيولوجيا والتاريخ والجغرافيا والادب وغيرها من المواضيع التي تهدف في المقام الاول الى رفع المستوى الثقافي لدى المهاجرين الجدد والى تسهيل عمليـة اندماجهـم الكامـل في جسم المجتمـع الاسرائيلي » . ويمارس الجيش تأثيرا تكوينيا بالغ القوة على الشبيبة الاسرائيلية ، « وبما ان الخدمة العسكرية الالزامية في سن الثامنة عشرة لكل من الشبان والشابات ، فباستطاعة الجيش الوصول الى معظم عناصر الشباب في البلاد » . ان التأثير الذي يمارسه الجيش على الشبيبة ليس محصورا بسنتين او ثلاث من سنوات الخدمة العسكرية . « فالجيش يشرف على ادارة وتمويل دروس خاصة في الميكانيكا والمواضيع التقنية داخـل المدارس الثانوية » . وكنتيجة لهذا ، حصلت المؤسسة الصهيونية على تأييد ودعم الطلاب لها ، وكان هؤلاء منذ عام ١٩٤٨ « موجودين فوق كل ميادين المعارك داخل البلاد » . لقد دعي اساتذة وطلاب الكيمياء والفيزياء في الجامعة العبرية الى مساعدة البالماخ والهاغانا والارغون في صنع المتفجرات ، وفي عام ١٩٦٧ ، قبل بضعة اسابيع من العدوان الاسرائيلي « تطوع الطلاب للتبرع بالدم وقيادة الاليات والحلول محل معلمـي المدارس الذيـن استدعوا للخدمة وغير ذلك من مهمات الطوارىء».

● يتعذر على الكاتبة « العثور على تبرير لمشاركة الطلاب في مثل هذه الاعمال المؤدية للعدوان » . فهم لم يفعلوا ذلك دفاعا عن مجتمعهم ، « لان احدا لم يضطهد اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ » ، وليس دفاعا عن دولتهم « اذ لم تكن اسرائيل موجودة حينذاك » . لقد حاربوا للاستيلاء على فلسطين بقوة السلاح ولاقامة الدولة الصهيونية فوق اراضيها . « ان موقفهم ينم عن تضارب كلي في موقف الطلاب الاميركيين الثائرين والذين أشعلوا النيران في حرم جامعاتهم على سبيل المعارضة لتورط بلادهم في كل من الفيتنام وكمبوديا » . وتجد الكاتبة ان « الفرق الاعظم بين الطالب الاسرائيلي وزميله في الخارج هو ان الاول جندي قبل كونه طالبا » ، وهنا تقع الكاتبة في المنزلق الذي اشرنا اليه في محل سابق ، وهو ان دولة اسرائيل كانت

نتاجا لايديولوجية ، اي ان الايديولوجية فيها سبقت قيام الدولة . وفي هذا المجال لا بد من اضافة بضعة ملاحظات علها تساعد في « العثور على تبرير لمشاركة الطلاب في الاعمال العدوانية » التي تقوم بها دولتهم :

١ — ان شعبا يضطهد شعبا آخر ، لا يمكن ان يكون شعبا حرا ، ولذلك ما دامت المؤسسة الصهيونية هي القائمة على راس الدولة ، لا يمكن، بحال من الاحوال، ان يتحول هذا الشعب المضطهد الى شعب حر الا عبر تحطيم وانهيار الصهيونية .

٢ — ان اليهودي المتدين ، المتعصب والمتمسك بالتوراة يمثل حالة فضولية في اسرائيل اكثر مما يمثل ضرورة ، والدولة تهتم بالامــور الدنيوية وبسلطتها . فاسرائيل من اكثر دول العالم تسخيرا للتعليم والعلوملخدمة قوتها العسكرية والسياسية. لقد خصصت الكثير للمؤسسات الجامعية ومعاهد ابحاثها ولنظامها التعليمي ككل ، وينخرط الشباب في اسرائيل في العلوم التكنولوجية والاجتماعيـــة المتعلقة بأسباب قوة الامم المعاصرة مباشرة .

٣ — ان البنيان الخاص للمجتمع الاسرائيلي والبنية الخاصة للطبقة الحاكمة ليست مجرد نتائج طبيعية للديناميكية الداخلية للمجتمع الاسرائيلي ، بل هي نابعة من ديناميكية المشروع الصهيوني الاستعماري ككـل .

٤ — اسرائيل دولة رأسمالية من نوع خاص جدا ، تحكمها شراكة طبقية فريدة من نوعها ، ولم تكن الايديولوجية السائدة في اسرائيل في يوم من الايام ايديولوجية رأسمالية محض ، بل كانت مزيجا من العناصر البرجوازية مع بعض الافكار الرئيسية والموضوعات السائدة في صفوف الحركة العمالية الصهيونية . ان احتمال تفجر صراع مؤقت بين عناصر هذا المزيج ليس ببعيد ، فالبرجوازية في الاستعمار الصهيوني كانت دوما تفضل استخدام اليد العاملة العربية الرخيصة، الا ان البيروقراطية العمالية الصهيونية تقاتل دوما ضد هذا الاتجاه وتطالب بتشغيل اليد العاملة اليهودية فقط. وكانت هزيمة العناصر البرجوازية بداية لنمط جديد في المشاركة في الحكم ، بحيث تلعب البيروقراطية العمالية دور الشريك الاكبر ، والبرجوازية دور الشريك الاصغر. ان هذا الترتيب في الشراكة داخل المؤسسة الحاكمة بقي دون تغيير حقيقي منــذ اربعينات هذا القرن حتى يومنا هذا .

● يهتم ما تبقى من الدراسة بالمواقف الطلابية التي تبلورت وتكونت نتيجة العوامل التي تحدثنا عنها في ما سبق ، وبطبيعة النشاطــات والتنظيمات الطلابية في اسرائيل . ومما لا شك فيه ان تكون مواقف الحركة الطلابية وطبيعـــة هذه المواقف مكرسة في مجموعها لخدمة اغراض واهداف الدولة الاسرائيلية وتنفيذ البرنامج الصهيوني .

الا انه لا بد من الاشارة الى خطأ آخر وقعت فيه الكاتبة اثناء حديثها عــن اليسار الاسرائيلــي (ماتسبن) الذي « يطالب بعودة العرب الــى المناطق المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ » ، والذي يدعو الى اعتماد « الحل الاشتراكي » بحيث تمنح « الاقليتان » الموجودتان في الشرق الاوسط ، اي الاسرائيليون والاكراد ، حق تقرير المصير . وتتابع الكاتبة قولها ان « ماتسبن لا تتحدث عما سيحصل فيما لو اختار الاسرائيليون الوضع الراهن باسم تقرير المصير » ، وانا أقول ان ماتسبن لم تطالب باعطاء الاقليات حق تقرير المصير في ظل المؤسسة الصهيونية الحاكمة ، لان الاسرائيليين لا يمكن ان يصبحوا « ادوات اجتماعية فعالة في العمليـــة الثورية داخل المجتمع الاسرائيلي الا مع تدمـــير المؤسسة الصهيونية في اسرائيل » . وزيادة من ماتسبن في التوضيح ، تقول انه من غير المرجح ان تقوم الشرائح الاجتماعية في اسرائيل « بدور طليعي في الحركة التي ستدمر المؤسسة الحاكمة».

من الواضح اذن ، ان ماتسبن تقول بمنح حق تقرير المصير للاقليات بعد سحق وتحطيم المؤسســـة الصهيونية والمؤسسات الاستعمارية والعميلـــة القائمة على امتداد المنطقة والتي تقدم للمؤسسة الصهيونية مبرر وجودها واستمرارها .

مصطفى كركوتي

تقارير

الولايات المتحدة : لماذا تستفيد المصالح الاميركية من استمرار اغلاق القنـــاة ؟

تنقسم المصالح الاميركية عموما في منطقة الشرق الاوسط الى نوعين : مصالح اقتصادية ومصالح استراتيجية . ويمكن ان تنقسم هذه بدورها لتشتمل على العناوين التالية: ١ ــ مواجهة تغلغل الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية الاخرى. ٢ ــ الحفاظ على استمرار تدفق النفط الى أوروبه الغربية . ٣ ــ حماية خطوط المواصلات البرية والبحـرية والجوية في المنطقة . ٤ ــ الحفاظ على الوضع القائم بين الدول العربية واسرائيل . ٥ ــ مساندة الرجعية العربيـة في صراع القـوى بين الدول العربية[١]. ويمكن كذلك تلخيص هذه العناوين على النحو التالي : ١ ــ الالتزام بتأييد حرية تدفق النفط الى اوروبه الغربية . ٢ ــ الالتزام بالحفاظ على بقاء اسرائيل وضمان تفوقهـا العسكري . ٣ ــ الالتزام بالتصدي لاي تقدم سوفييتي في المنطقة قد يهدد بشكل مباشر او غـير مباشر المصالح الاستراتيجية لحلفاء الولايات المتحدة في المنطقة ومن ثم مصالح الولايات المتحدة ذاتها .

وبقدر ما تتعلق المسألة بامداد اوروبه بالنفط فسوف يتركز الموضوع الرئيسـي حول السؤال الاتي : الى أي مدى تأثرت المصالح البترولية للولايات المتحدة بالعدوان الاسرائيلـي ، وكيف تأثرت هذه المصالح بالفعل ؟ ومن المهم ، قبـل محاولة الاجابة عن هذا السؤال ، ان نذكر بايجاز حجم وطبيعة المصالح النفطية للولايات المتحدة في المنطقة : ان ما يسمى « صناعة النفط الدولية » والذي هو تعبير يستعمل ليغطي حركة النفـط الدولية خارج اميركه الشمالية والعالم الشيوعي ، خاضعة لسيطرة سبع شركات ضخمـة تعرف ، باصطلاح نفطي ، بالكبار الدوليين. وهذه الشركات مسئولة عن انتاج ما يقرب من ٨٠٪ من الانتاج الاجمالي لنفط العالم خـارج الدول الشيوعية واميركه الشمالية . كما انها تمتلك او تسيطر على اكثر من ٧٠٪ من الطاقة الكلية للتكرير ، بالاضافة الى انها تسير ، عبر شحن طويل المدى ، اكثر من ٥٠ ٪ مـن حمولة ناقلات النفط الدوليـة العاملة[٢]. وتوجد مراكز ادارة خمسة من « الكبار الدوليين » السبعة وغالبية ما تمتلكه من اسهم في الولايات المتحدة ، وبيدها جميع الاعمال الادارية الكبرى ونسبة عالية مـن الاعمال الاداريـة الوسيطـة . ان شركـة « ستاندرد اويل اف نيوجيرسي » (المعروفة تجاريا باسم اسو) هي كبرى هذه الكارتلات الدولية تليها شركة ستاندرد اويل اف نيويورك التي يتفرع عنها عدد من الشركات التجارية العاملة حول العالم تحت الاسم التجاري موبيل اويل . وتأتي شركة ستاندرد اويل اف كاليفورنيا في المرتبة الثالثة بين هؤلاء الكبار . اما شركة نفط الخليج التي تقوم ادارتها فـي بتسبرج فلقـد كانت منتجـا رئيسيا لنفط الشرق الاوسط الخام لفترة طويلة من الزمن لقاء فائدة تزيد على ٥٠ ٪ في حقول الكويت وعمليات التكرير والتسويق عبر أوروبه والشرق الاقصى وجنوب شرق آسيه . ويتمثل « الكبير » الاميركي الخامس في شركة تكساكو ذات المصالح الكبرى في البحر الكاريبي واميركه الجنوبية والشرق الاوسط[٣].

---

١ ــ See W. M. Rountree: "The Middle East, Fundamentals of American Policy". *Department of State Bulletin.* June 17, 1957, p. 973-976.

٢ ــ Peter R. Odell: *Oil and World Power*. Penguin Books, 1970, p. 13.

٣ ــ **المصدر السابق** ، ص ١٤ . ان الشركتين الكبيرتين الباقيتين هما : مجموعة رويال دوتش / شل وشركة البترول البريطانية . والاولى عبارة عن مشروع انجليزي ــ هولندي بنسبة ٤٠ : ٦٠ لصالح الهولنديين . اما الشركـة

ان شركات النفط الخمس هذه تسيطر سيطرة محكمة على انتاج وتوزيع وتسويق النفط من البلـدان المنتجة الى اوروبه الغربية ومناطق الاستهلاك الاخرى . ويمتلك الشرق الاوسط النصيب الاكبر من انتاج النفط واحتياطيه في هذه العملية . لانه على الرغم من الاكتشافات الاخرى في العالم فان الشرق الاوسط — بدون الجزائر وليبيه — يظل يحتوي على القسط الاكبر من احتياطي النفط في العالم كما تبين ارقام العام ١٩٦٧ حيث كان يحتوي على ٣٣٫٩ بليون طن من اصل ٥٦٫٨ بليون طن او ٥٩٫٨ بالمئة من نفط العالم في ذلك العام . ويظل في الوقت ذاته المنتج الاكبر للنفط اذ بلغ انتاجه ٤٩٦٫٦ بليون طن في نهاية العام ١٩٦٧ اي ما يساوي ٢٧٫٣ بالمئة من مجموع الانتاج العالمي. (هذا باستثناء الجزائر والانتاج الليبي الذي ينمو بسرعة)[٤]. واذا اضفنا الجزائر وليبيه نجد ان مجموع عائدات الدول العربية من النفط زادت عام ٦٩ على ثلاثة آلاف مليون دولار[٥]. ولقد قدرت استثمارات شركات النفط الاميركية في دول النفط العربية بحوالي ثلاثة بلايين دولار في العام ١٩٦٧ . هذا دون اعتبار الارباح في ذلك العام والتي بلغت بليون دولار[٦]. ان حكومة الولايات المتحدة قد اعتبرت دوما ان من صلب مسئوليتها القومية حماية هذه الاستثمارات الضخمة ومجابهة اي تهديد لها من قبل الحكومات الاجنبية . ولقد عبر المديـر السابق لمكتب المحروقات والطاقة فيوزارة الخارجية الاميركية عن الموقف الرسمي للولايات المتحدة حين قال « ان حكومة الولايات المتحدة مهتمة الى حد كبير في ان تظل شركات النفط الاميركية العاملة في الخارج قادرة على متابعة عملياتها عبر البحار في نطاق علاقات متفق عليها مع معظم الحكومات ، وعلى تقديم خدمات فعالة الـى الجمهور اينما وجدت ، وعلى تحقيق ارباحها الحقة بسبب ما قدمته من رأسمال ومهارة وثراء الـى جـانب عملياتها »[٧]. هناك اذن حقيقة يجب ان تظل ماثلة في الذهن وهي ان القسم الاكبر من مؤسسات صناعة البترول الدولية ونشاطها هو « جزء لا يتجزأ من مصالح الولايات المتحدة المنتشرة في انحاء العالم والتي من خلالها تصبح استثمارات الشركات الاميركية الخاصة الموظفـة في جميع الدول غير الشيوعية تقريبا مرتبطة ومدعومـة بالسياسة الرسمية للولايات المتحدة »[٨]. واذا اضفنا الى ذلك الميزات المتوفرة للنفط العربي فلربما كان بامكاننا ان نكوّن صورة عن الاهمية الفعلية لهذا النفط . ان هذه الميزات تتمثل بما يلي : ١ — موقعه الاستراتيجي الذي يمكنه مـن المساهمة الكبيرة في حركة النفط في العـالم وفي تسويقـه وحاجياته . ٢ — رخص ثمنه اذا قورن بأسعار النفط في الدول الاخرى . (مثلا : ان ثمن البرميل في راس تنورة الذي تبلغ كثافته ٣٤٫٠ هو ١٫٨٠ دولار وتكلف اجور نقله وشحنه الى لندن ٢٫٢٠ دولار بينما يبلغ ثمن البرميل من نوعية مماثلة في فنزويله ٢٫٧٦ دولار وتبلغ تكاليف تأمينه وشحنه الى لندن ٣ دولارات) . ٣ — النوعية الممتازة والاحتياطي الكبير. (قدر وزير النفط في الجمهورية العربية المتحدة ما اكتشف حتى الان من النفط بانه لا يشكل سوى ٥٪ من الاحتياطي الممكن وجوده من النفط العربي). ٤ — يمتاز انتاج النفط العربي بما يلي : النسبة العالية للانتـاج اليومي للبئـر الواحدة[٩]، قلة عمق الابار ، النسبة المئوية العالية في نجاح عمليات التنقيب (٢٥٪ من البلدان العربية مقابل ١ ٪ مـن الولايات المتحدة) . ٥ — الانخفاض النسبي لتكاليف الاستثمار[١٠].

بعد ان تناولنا بايجاز المصالح النفطية الاميركية في الشرق العربي ، فان الخطوة المنطقية التالية

البريطانية ، فهي ملكية بريطانية صرفة تمتلك الدولة ٤٩ ٪ منها ولكن ليس لها سوى اشراف اسمي على سياسة الشركة . (**المصدر السابق** ص ١٤ — ١٥) .

٤ — Curt Gasteyager: *Conflict and Tension in the Mediterranean*. Adelphi Papers No. 51, Sept., 1968. The Institute for Strategic Studies, London, p.8.

٥ — Peter Odell, *op. cit.*, p. 163.

٦ — Don Cordtz: But What Do We Do About the Arabs? In M. D. Khaduri's (editor): *The Arab-Israeli Impasse*. Robert R. Luce, INC. Washington, 1968, p. 126.

٧ — Peter Odell, *op. cit.*, p. 24.

٨ — **المصدر السابق** ، ص ٢٥ .

٩ — « في عام ١٩٦٦ صدّر الشرق الاوسط (بما في ذلك ليبيه والجزائـر ولكن باستثناء ايران) ما يزيد على ٤٠٠٠ مليون برميل من النفط » . **المصدر السابق** ، ص ١٦٣ .

١٠ — *MEED*, 7 March 1969, p. 320.

هي ان نقيم اثر عدوان حزيران على هذه المصالح. ان اهم تطور حصل في فترة ما بعد العدوان كان اغلاق حكومة الجمهورية المتحدة لقناة السويس كنتيجة لاحتلال القوات الاسرائيلية للاراضي العربية . والسؤال الحيوي في هذا المجال هو : الى اي مدى اثر اغلاق القناة ، مع ان العكس هو الصحيح ، على مصالح النفط الاميركية في المنطقة ؟ بدلا من الاجابة على هذا السؤال ربما يكون من الانسب ان ننقل ما ورد في تقرير نشرته « اخبار البترول الاسبوعية » في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ . يقول التقرير « زادت ارباح شركة اسو في الفترة ما بين تموز — ايلول هذا العام (١٩٦٧) بحوالي ١٦ بالمئة عما كانت عليه في العام السابق . وبلغت ارباح اسو في الربع ما قبل الاخير من العام ٣١٥ مليون دولار اي بزيادة تبلغ حوالي ٤٣ مليون دولار عما كانت عليه في الفترة ذاتها من العام السابق . ان الزيادة في ارباح اسو لم تكن بسبب ارتفاع انتاجها داخل الولايات المتحدة ولكن ايضا بسبب زيادة انتاجها في فنزويله الى ٢٥٠ الف برميل يوميا »(١١).

ان ما يحاول التقرير ان يشير اليه هو ان اغلاق قناة السويس قد ادى الى ارتفاع الطلب على النفط الوطني في الولايات المتحدة وعلى النفط الذي ينتج في فنزويله . وحيث ان تكاليف انتاج النفط في كل من اميركه وفنزويله هي اعلى بكثير منها في الشرق العربي (يبلغ الفرق ٧ — ١٠ دولارات للطن)(١٢)، فلقد كان على المستهلكين في اوروبه الغربية ان يتحملوا الفارق الكبير في الاسعار . قال جوروندي روبرتز ، وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانية ، عندما زار ج٠ ع٠ م٠ في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ ، ان « اغلاق القناة خلال الثمانية عشر شهرا الماضية قد كلف اوروبه الغربية ٦٠٠ مليون جنيه استرليني وان خسارة بريطانيه وحدها بلغت ٢٠٠ مليون جنيه »(١٣). وفي غضون ذلك استطاعت الشركات « الوطنية » في الولايات المتحدة ان تزيد ارباحها الصافية بنسبة تتراوح بين ١٧٪ و٢٨٪ والتي تبلغ ضعفي او ثلاثة اضعاف معدل النمو العادي(١٤).

ولاحظت نشرة بلاتس اويلجرام التي تصدر عن صناعة النفط الاميركية في عددها بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩٦٨ ان مكتب المعادن في وزارة الداخلية أعد تقريرا جاء فيه « ان الانتاج الخام للولايات المتحدة في عام ١٩٦٧ ، تحت تأثير ازمة الشرق الاوسط ، اضاف ٥٫٨ بالمئة الى ٣٫٢ بليون برميل بلغت قيمتها ٩٫٢٣٦ بليون دولار بمعدل ٢٫٩٢ دولار للبرميل الواحد ، في مقابل ٢٫٨٨ دولار في العام ١٩٦٦ ، وذلك حسب المراجعة التي اجراها مكتب المعادن في نهاية العام »(١٥). ولكن عندما بدأت عمليات نقل نفط الشرق الاوسط حول رأس الرجاء الصالح تصبح أمرا معتادا حصل انخفاض في الطلب على النفط « الوطني » الاميركي . ولكن زيادة الطلب على « الكبار » الاميركيين استمرت خلال عامي ٦٨ و٦٩ . وهكذا بينما زادت ارباح منتجي النفط « الوطني » الاميركي بنصبة ٣ ٪ في العام ١٩٦٨ نجد ان ارباح « الكبار » الاميركيين ارتفعت بنسبة ١٠ ٪ كما ارتفعت ارباح شركة رويال دوتش شل بنسبة ١٥ ٪(١٦) وفوق ذلك « فان ارباح الخمسة الكبار في الثمانية عشر شهرا الاولى التي تلت حرب الايام الستة ، قفزت من ٤٫٦٠٠ مليون دولار الى ٥٫٥٠٠ مليون دولار ، اي بزيادة تبلغ حوالي ألف مليون دولار »(١٧). ان كل هذا يؤدي كما يبدو الى الاستنتاج القائل بأن عدوان حزيران واغلاق قناة السويس الذي نتج عنه قد ادبا الى ايجاد وضع يعطي فوائد اقتصادية للولايات المتحدة لابقاء الامور على حالها ولكي تمتنع عن الاندفاع بقوة نحو اية تسوية قد تؤدي الى تغيير الوضع الراهن(١٨).

---

١١ — Petroleum Intelligence Weekly, October 30, 1967, Quoted in *Internationdl Affairs*, April 1969, p. 34.

١٢ — **المصدر السابق** ، ص ٣٤ .

١٣ — *The New Middle East*, May 1969, p. 37.

١٤ — *International Affairs, op. cit.*, p. 33.

١٥ — **المصدر السابق** ، ص ٣٣ .

١٦ — **المصدر السابق** ، ص ٣٤ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، راجع ايضا مجلة **ذي نيو ميدل ايست** عدد ايار ١٩٦٩ ، ص ٣٧ .

١٨ — في مقالة بالغة الدلالة بينت صحيفة **الصنداي تايمز** بتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٧٠ ، ان « عمالقة » النفط قد اختاروا سياسة تقوم على استنتاج مؤداه ان قناة السويس لن تفتح في المستقبل القريب .

اما الاعتبار الهام الاخر المرتبط باغلاق قناة السويس فهو اعتبار سياسي. اعتبار يتعلق مباشرة بالستراتيجية الاقليمية للولايات المتحدة وباستراتيجيتها العالمية الشاملة في النهاية في مواجهة الاتحاد السوفييتي . وبكلمات بسيطة فان الامر كله يتركز اساسا حول السؤال فيما اذا كانت اية تسوية سياسية تؤدي الى اعادة فتح قناة السويس ستعزز كذلك المصالح الستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة . ان تفحص اهمية قناة السويس من وجهة النظر الروسية يشكل احدى الوسائل لمناقشة هذا السؤال .

ان سعي السوفييت من اجل الحصول على موانيء في المياه الدافئة ومنافذ على المحيطات يمكن ان يعود الى اواسط الخمسينات ، وان البناء البحري الحاضر يعود الى عام ١٩٦٤ حين اتخذ قرار بتشكيل « وحدة البحر المتوسط » كجزء من اسطول البحر الاسود[١٩]. وتشير التطورات الاخيرة الى ان الاتحاد السوفييتي كان يطور استراتيجية بحرية اكثر ملاءمة لصورته كدولة كبرى . وبحسب ما يقول الادميرال كاساتونوف ، النائب الاول لقائد البحرية فان « اسطولا حديثا يمخر المحيط بصواريخ ذرية يجب ان يكون في مقدوره حل المهام الستراتيجية ذات الطابع الهجومي في الحرب الحديثة »[٢٠]. ان هذا يتضمن رغبة خبراء الستراتيجية البحرية السوفييت لمجابهة الهيمنة البحرية الاميركية في معظم المناطق البحرية وبشكل خاص في البحر المتوسط ، ومن ثم يساهم في ظهور وجود بحري روسي يهدف الى اقامة توازن اقليمي في المناطق الستراتيجية الهامة . وبهذه الطريقة يأمل الروس بأن يوجدوا في مواقع تمكنهم من منع الولايات المتحدة من القيام بأعمال لا تلقى مقاومة ضد دول صديقة للاتحاد السوفييتي . وهناك اعتبار مهم آخر يكمن خلف تطوير الاتحاد السوفييتي الكبير لقوته البحرية يتعلق برغبة السوفييت في تأمين حماية افضل لاسطولهم التجاري النامي . ان حجم الاسطول ونشاطاته في ارجاء العالم لدليل واضح على تصميم السوفييت على تحدي اسواق ومناطق غنية بالثروات الطبيعية لا زالت تحت سيطرة الاحتكارات الغربية ، وبين عامي ١٩٦٤ — ١٩٦٧ زاد الاسطول التجاري السوفييتي اجمالي حمولته من ٦،٩٥٨ الى ١٠،٦١٧ الف طن[٢١]، وكان معروفا في اوائل ١٩٦٨ بأن لدى الاتحاد السوفييتي اسطولا تجاريا ينمو بسرعة قصوى ، قياسا بمعدل نموه الحالي، وهي زيادة يمكن ان تؤدي الى تخطي الولايات المتحدة في مقدار الحمولة في اوائل السبعينات. وبالاضافة لذلك فان الاسطول الروسي الذي يتألف من ٤،٠٠٠ مركب صيد و٢٠٠ سفينة لدراسة المحيطات يعتبر اكبر واحدث اسطول للصيد والبحث العلمي[٢٢].

وهناك اعتبارات اخرى يمكن ان يكون لها علاقة بتزايد الوجود البحري السوفييتي الحديث : ١ — محاولة روسيه اقامة منطقة دفاعية ضد اي هجوم استراتيجي غربي . ٢ — محاولة اقامة تهديد ذري هجومي مقابل للغرب . ٣ — الدعم الايجابي للدبلوماسية الروسية في العالم[٢٣].

كان للحشد السوفييتي البحري في البحر المتوسط علاقة بالحرب العربية — الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧ . ففي الفترة الحرجة التي سبقت اندلاع حالة العداء مباشرة طلبت روسيه السماح بمرور عشر سفن تابعة لها عبر المضائق التركية الى البحر المتوسط وتم لها ذلك . ومنذ ذلك الحين تتزايد عدد السفن الروسية حتى وصل الى ٤٠ سفينة بما في ذلك حاملة طائرات الهليكوبتر موسكافا التي تظهر بين وقت وآخر[٢٤]. ان الوقوف على الاهمية الستراتيجية لهذا الوجود يمكن ان يتم بالنظر الى آثاره على حلف الاطلسي وقيام التوازن الجديد في المنطقة . ان الاسطول

---

١٩ — يعتقد نفيل براون ان نقطة التحول في تفكير السوفييت البحري كانت تلك التجربة المرة التي نتجت عن الازمة الكوبية في عام ١٩٦٢ .
راجع : Neville Brown: The Soviet Naval Challenge, *New Scientist, 24* October, 1968.

٢٠ — Curt Gasteyager, *op. cit.*, p. 3.

٢١ — مأخوذة عن **المصدر السابق** ، ص ٣ عن : *The Times Business News,* 6 August 1968.

٢٢ — *Times Magazine,* February 23, 1968.

٢٣ — Laurence W. Martin: The Changing Military Balance, in J.C. Hurewitz (edit.), *Soviet American rivarly in the Middle East,* Frederick A. Praeger, U. S. A., 1969, p. 63.

٢٤ — **المصدر السابق** ، ص ٦٣ .

السوفييتي ، من زاوية عسكرية صرفة ، هو اضعف من الاسطول الاميركي السادس الذي يعتبر اقوى اسلحة حلف الاطلسي . تتألف القوة العادية للاسطول من خمسين سفينة (من بينها حاملة القوة الضاربة الهجومية : القوة العاملة ٦٠) ، والقوة البرمائية (القوة العاملة ٦١) ، وقوة مشاة البحرية (القوة العاملة ٦٢) ، وقوة الخدمات (القوة العاملة ٦٣) ، وكذلك الغواصات الهجومية والغواصات الصواريخ وحوالي ٢٥ الف رجل و٢٦٠ طائرة(٢٥). وفي حال حدوث صدام مباشر بين دول حلفي الاطلسي ووارسو ، والذي لا يصل الى مرحلة الحرب النووية ، فان الاسطول السوفييتي ، من الناحية العسكرية ، لن يغير كثيرا في الصورة الستراتيجية الشاملة . اما في حال قيام حرب عادية فان الاسطول السوفييتي يمكن ان يهاجم سفن حلف الاطلسي لكن ضمن فرص نجاح محدودة . ان العامل الحاسم سيكون في مثل هذه الحالة حملة تقوم بها القوات الشيوعية التي تتمتع بتفوق بري ضد الجناح الجنوبي وبذلك لن يكون للقوات البحرية لكلا الجانبين اكثر من دور هامشي . وعلى الارجح فان الاسطول السوفييتي سيتعرض للتدمير في هذه العملية(٢٦).

من المهم ان نشير ايضا الى ان اية مقارنة بين الاسطول الروسي في البحر المتوسط مع الاسطول الاميركي السادس تميل بوضوح لصالح الاخير الذي يضم حاملتي طائرات قويتين كل منهما مزودة بمئة طائرة ضاربة . ويتمتع الاسطول الاميركي السادس بميزات اضافية ناجمة عن امتلاكه غواصات بولاريس وعن افتقاد الاسطول السوفييتي لغطاء جوي كاف. ويساوي ذلك في الاهمية ايضا كون الاتحاد السوفييتي لا يملك سيطرة مباشرة على المنافذ الثلاثة — مضائق جبل طارق والدردنيل وقناة السويس(٢٧). وان ما يبدو وثيق الصلة بالموضوع الحالي هو الدور الذي تلعبه قناة السويس في التفكير الستراتيجي الروسي ليس فقط في الشرق الاوسط وانما في منطقة البحر المتوسط بشكل عام.

من الطبيعي ان استراتيجية الاتحاد السوفييتي البعيدة لاحتواء الصين ستجعله يحاول توسيع صداقته الى دول جنوب آسيه والهند بشكل خاص. ولكن الاتحاد السوفييتي لا يستطيع ان يقوم بهذا الدور ما دامت قناة السويس مغلقة . اذ ان اغلاق القناة قد خلق مشاكل جديدة للاتحاد السوفييتي . فايصال السلاح الروسي الى فيتنام الشمالية يجب ان يمر الان حول راس الرجاء الصالح او بواسطة الخط الحديدي عبر سيبيريا . ان معدن الابتايت (للتخصيب) الذي تستورده من فيتنام الشمالية او الصادرات الروسية من البحر الاسود الى الشرق الاقصى يجب ان تمر عبر الطريق ذاتها والتي تعتبر في منتهى البعد . وعلى سبيل المثال تضاعف طول طريق التموين من اوديسا الى فيتنام الشمالية(٢٨). وربما كانت الصعوبات التي تلاقيها روسيه فيما يتعلق بمحاولاتها تدعيم وجودها في المحيط الهندي بالسفن الحربية والمراكب اكثر اهمية . لان هذا الدعم ، اذا اخذنا الامور كما هي ، يجب ان يستخدم طريق راس الرجاء الصالح . ان اعادة فتح القناة سينعش السياسة الروسية شرقي السويس الى حد كبير ويزيد من قدرتها على التحرك . وسيؤمن ذلك تسهيلات لصالح روسيه لتلعب دورا في شبه القارة الهندية وفي الخليج العربي . اما الهدف الاكبر فسيكون في محاولة تشجيع قيام نظام أمن جماعي آسيوي (لابعاد النفوذ الصيني) ، وربما محاولة ايجاد نفوذ معادل للنفوذ الغربي في المنطقة . ولكن لا يمكن النظر الى الخطط الطموحة في فراغ. بل يجب النظر اليها من خلال تنافس الدول الكبرى في المنطقة . وهذا يعني ببساطة ان اي مكسب استراتيجي لاحدى الدول الكبرى يمثل في التحليل الاخير خسارة كاملة للدولة الاخرى . بكلام آخر ان اي مكسب استراتيجي للاتحاد السوفييتي (يساعد على ذلك اعادة فتح القناة) سيؤدي بحسب التعريف ، الى تشويش استراتيجي محلي للولايات المتحدة . وسيؤدي ايضا الى الاستنتاج

٢٥ — *Jane's Fighting Ships 1968 - 69.* London, p. 331.

٢٦ — راجع : لورانس مارتن ، **المصدر السابق** ، ص ٦٤ . وراجع أيضا تصريح دنيس هيلي حول قدرة حلف الاطلسي على تدمير الاسطول السوفييتي في البحر المتوسط خلال دقائق في حال قيام مواجهة مباشرة . **التايمز** ١١ شباط ١٩٦٩. راجع ايضا : التوسع البحري السوفييتي — اكثر تواضعا مما يبدو عليه . **التايمز** ١٣ اكتوبر ١٩٧٠ .

٢٧ — Curt Gasteyger, *op. cit.,* p. 4.

٢٨ — *The Guardian,* 29 September, 1970.

المنطقي القائل بأنه انطلاقا من الوجود الروسي في البحر المتوسط فان استمرار اغلاق قناة السويس يخدم المصالح الستراتيجية للولايات المتحدة(٢٩). ان الاستنتاج الشامل المتعلق بتشابك سياسات الدول الكبرى في منطقة الشرق الاوسط بعد حرب حزيران يشير الى ان المصالح التجارية والستراتيجية للولايات المتحدة قد انتفعت تماما من استمرار اغلاق قناة السويس في حالة « اللاحرب واللاسلم » والتي تظهر اذا تتبعنا الاستنتاج المنطقي لذلك ، ان الولايات المتحدة ، مدفوعة بالعوامل المذكورة سابقا ستكون سعيدة جدا باستمرار الوضع الراهن الجديد (الناشىء عن نتائج حرب حزيران ١٩٦٧) وبقيام حقيقة سياسية جديدة كأمر واقع في النتيجة . ان خط النقاش هذا يمكن ان يدعم بالوقوف على الجو السياسي الذي يحكم علاقات الولايات المتحدة مع الدول العربية .

ويمكن ايجاز ذلك على النحو الاتي : ١ — ان على الولايات المتحدة ان تقوم بتغيير هام في علاقاتها مع اسرائيل قبل ان يكون باستطاعتها تلبية الحد الادنى مما يطلبه بعض القادة العرب الذين لا يزالون يتوهمون امكان حصول هذا التبدل في السياسة الاميركية . وهذا يتطلب ان يكون لدى الاميركيين رغبة في ان يحلوا مكان الروس في تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية وهو أمر لا يبدو محتملا على الاطلاق في المستقبل القريب(٣٠) على الاقل . وهذا يعني ان الولايات المتحدة ستستمر بدعمها لاسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا وستواصل في الوقت ذاته دعمها للانظمة العربية التقليدية . ٢ — ان اكثر المسائل تعقيدا في حسابات السياسة الخارجية الاميركية في منطقة الشرق الاوسط لا بد ان يكون مرتبطا بالوجود الروسي السالف ذكره في المنطقة . والصعوبة هنا تدور حول عدم قدرة الولايات المتحدة ، دون شن حرب مباشرة ، على فعل اي شيء حيال ذلك . ان الروس يقدمون مطلبا معقولا عندما يطلبون سحب الاسطول السادس على اساس ان ذلك الاسطول يعمل في مناطق بعيدة جدا عن اراضي الولايات المتحدة . ومن جهة اخرى فان وجودهم المسلح في مناطق ليست بهذا القرب من حدودهم وليست بهذه الحيوية بالنسبة لامنهم ، ليست غير طبيعية بالقدر الذي يكون به وجود قوات تابعة لدولة كبرى بعيدة(٣١). اما من وجهة نظر الولايات المتحدة فان اية حدود توضع على وجودها في البحر المتوسط ليست مقبولة لانها في النهاية ستعطي انطباعا بأن الولايات المتحدة لم تعد القوة المسيطرة في المنطقة. وهذا يظل صحيحا حتى لو قرر الاتحاد السوفييتي القيام بتنازلات بحرية متبادلة . ففي حالة كهذه سيعني تصرف الولايات المتحدة اعترافا بكونها خاسرا محتملا ، لانه سيعني دفعهما من موقع التفوق الستراتيجي الى منطق التساوي الستراتيجي . ومن هنا فان اي « ترتيب » كهذا سيعني «هزيمة» سياسية ونفسية للولايات المتحدة ولذا فانه لن يكون مقبولا لها ابدا .

ازاء هذه الخلفية تبدو القرارات المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط مقتصرة كما اشرنا سابقا على الحفاظ على الوضع الراهن وهذا يعني ، اذا دفعنا الامور خطوة الى الامام ، دعم تفوق اسرائيل العسكري ضد الدول العربية. وعلى هذه الخلفية ذاتها ايضا يمكن الاستشهاد بمثال واحد بين امثلة عدة هو القرار الذي اتخذه الرئيس جونسون بتزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم(٣٢).

غير ان من المحتمل ايضا ان تسعى الولايات المتحدة الى فرض اتفاقية فتح قناة السويس برغم الاعتبارات الانفة الذكر ، وضمن ترتيب يحفظ اكبر قدر ممكن من الوضع الراهن ، وذلك في سبيل ارضاء الدول الاوروبية واثبات انها صاحبة الكلمة الاولى في حل النزاعات الاقليمية .

طالب يونس

---

٢٩ — في الحرب لا يوجد حتى الان وجود سوفييتي لا يستطيع الحلفاء الغربيون ان يهتموا به ، ومع ذلك فان التوازن في المحيط الهندي والخليج يمكن ان يتغير بسرعة .

٣٠ — See Robert E. Hunter: *The Soviet Dilemma in the Middle East*. Adelphi Papers No. 59. The Institute for Strategic Studies, London, p. 16.

٣١ — See: Laurence W. Martin, *op. cit.*, pp. 73-74.

٣٢ — Arab Report and Record, 1-5 October 1968, p. 316.

الامم المتحدة : أصدقاء العرب والفلسطينيين وأعداؤهم
مسح لعمليات التصويت في الامم المتحدة ١٩٦٧ — ١٩٧١

في العام ١٩٧١ منحت الاسرة الدولية الشعب الفلسطيني « موطنا محليا واسما » وذلك بعد تطواف هذا الشعب لمدة خمس وعشرين سنة في ردهات الامم المتحدة كالشبح الهائم . فقد صنف الفلسطينيون ، وبشكل صحيح ، كـ « نازحين » وليس « لاجئين » كما قرر بأن للنازحين الفلسطينيين حقا ثابتا في تقرير المصير ، الامر الذي لا يمكن ان يتم سوى في فلسطين نفسها . ان هذا لهو اهم عنصر جديد وهام يبرز من خلال اي مسح لعمليات التصويت في الجمعية العامة للامم المتحدة حول مشاكل الشرق الاوسط منذ ١٩٦٧ وحتى ١٩٧١ . وتطور جديد آخر هو انه اصبح بالامكان الان ايجاد تمييز بين القرارات التي تتعلق بشكل محدد بالقضية الفلسطينية ، بجوانبها المختلفة ، والقرارات الاخرى التي تتعلق بشكل مباشر بالمجابهة العربية — الاسرائيلية التي تعتبر اوسع من القضية الفلسطينية . وهذا ما يجعلنا نتحدث ، كما في عنوان هذا البحث ، عن « الفلسطينيين » و« العرب » كلا على حدة .

يظهر التصويت خلال هذه السنوات الخمس ان اصدقاء الفلسطينيين والعرب في الامم المتحدة في تزايد ، مع ان التزايد بالنسبة للقرارات المتعلقة بالفلسطينيين لا يعادل التزايد بالنسبة للقرارات المتعلقة بالعرب ككل . ولا ينعكس هذا الاتجاه الايجابي في التصويت فحسب ولكن ايضا في عدد القرارات التي اتخذت في ١٩٧٠ و١٩٧١ وكذلك في صياغة هذه القرارات .

لقد صوتت الجمعية العامة على ثلاثة قرارات في السنوات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ و١٩٦٩ ، وعلى ستة في ١٩٧٠ ، وعلى ما لا يقل عن سبعة في ١٩٧١ — وهذه الاخيرة كانت حول مواضيع القرارات نفسها التي اتخذت في ١٩٧٠ بينما كان السابع يتعلق بالوضع في غزة . وثلاثة من القرارات الستة تتعلق بالانروا والثلاثة الاخرى بالشعب الفلسطيني ولجنة التحقيق الدولية حول ممارسات اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة والوضع في الشرق الاوسط . وعدد الاصوات المؤيدة للعرب او للفلسطينيين بالنسبة لهذه القرارات في ١٩٧٠ كان بشكل تنازلي ١١٤ ، ١١١ ، ٩٣ ، ٥٧ ، ٥٢ و٤٧ . والتدقيق في صياغتها يساعد في تصنيفها بين مؤيد ومعارض ، وخاصة الاخيرة . وستكشف المقارنة القضايا التي تجعل اسرائيل واصدقاءها يحولون اصواتهم من موافقة شبه اجماعية ، ١١٤ و١١١ مؤيدا ومعارض واحد او معارضين الى موقف سلبي كانت نتيجته ٤٧ مؤيدا و٢٢ معارضا و٥٠ ممتنعا عن التصويت.

وعمليتا التصويت الايجابيتان الكبيرتان كانتا حول القرارات العادية المتعلقة بالانروا والتي تتخذها الجمعية العامة كل سنة ، وهي تتعلق بتمديد مهمة الانروا وبتوجيه نداءات لدعمها ماليا. والقرار الايجابي التالي ، ٩٣ مؤيدا و٥ معارضين ، يلقي ضوءا على اول دليل بالنسبة لما بدأ أصدقاء اسرائيل يمقتونه في هذه القرارات المؤيدة للعرب . وهذا القرار (القرار D تحت عنوان الانروا) يعتبر بمثابة علامة بارزة وذلك لانه ولاول مرة لا يشار الى الفلسطينيين كـ « لاجئين » ولكن كـ « نازحين » ، خمس مرات في ثماني فقرات قصيرة ، بعد ان اتفق في ١٩٦٩ على تسميتهم « نازحين ولاجئين » . ومع ان التسمية الجديدة تطبق فقط على اولئك الذين طردوا في ١٩٦٧ وما بعدها ، الا انها تعتبر خطوة كبيرة الى الامام على اعتبار انه لو اطلقنا على هذه المجموعة اسم « نازحين » بدلا من «لاجئين» ، يصبح من الواضح ان اولئك الذين طردوا في ١٩٤٧ — ١٩٤٨ في ظروف مماثلة هم ايضا « نازحون » وليس « لاجئين » . واذا ما وضعنا هاتين التسميتين جنبا الى جنب نرى ان تعبير « النازحين » يتضمن بشكل تلقائي وجود قوة وراء عملية النزوح ، ألا وهي اسرائيل، لذلك فهي تختلف جذريا عن كلمة « لاجىء » المحايدة والمبتذلة . وقد طلب القرار الى اسرائيل اتخاذ خطوات لاعادة النازحين ، ولكن الافتراض سليم بأن الاصوات المعارضة كانت ضد الصياغة بالقدر الذي كانت فيه ضد التوصية التي تضمنها القرار. اما القرار الذي نال ٥٧ صوتا مع ١٦ معارضا و٣٦ ممتنعا عن التصويت — اي ان عدد الاصوات المعارضة يعادل عدد الاصوات المؤيدة — فكان حول قضية جديدة هي « الوضع في الشرق الاوسط » . وقد كان هذا قرارا عربيا لانه يتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي ككل ، وهذه اول مرة

تفعل الجمعية العامة ذلك منذ جلستها الخاصة في صيف ١٩٦٧ . وهو يدل على ان الامم المتحدة ادركت انه لم يعد بامكانها تجاهل وضع خطير كهذا . ومن وجهة نظر اسرائيل واصدقائهـا الخمسة عشر ، كانت المعارضة حول تأكيد القرار بعدم السماح بالتوسع الاقليمي وبوجوب سحب اسرائيل لقواتها من الاراضي العربية المحتلة ، مع انه قوبل بتأكيد آخر بضرورة عقد سلام قائم على الاعتراف بالسيادة داخل حدود آمنة ومعترف بهـا .

والقرار الذي عارضته اسرائيل بشدة اكثر هو القرار المتعلق بلجنة التحقيـق الدولية حـول ممارسات اسرائيل في الاراضي المحتلة ، والذي حظي بتأييد ٥٢ صوتا ومعارضة ٢٠ وامتناع ٤٣ عن التصويت . وجدير بالملاحظة هنا الاشارة الى ان الامتناع عن التصويت هو بمثابة المعارضة علما بأن العرب يريدون اصواتا مؤيدة حرموا منها نتيجة لهذا الامتناع . ومع ان هذا القرار صيغ بعبارات ملطفة الا انه جوبه بمعارضـة لانه ايد تقرير اللجنـة الذي فيه انتقادات شديدة لاسرائيل . وبالمقارنة مع ذلـك التقريـر التفصيلي المفعـم بالانتقادات لاسرائيل يبدو قرار ١٩٧٠ ليس اكثر من تمرين اكاديمي في علم السياسة . ومع هذا فقد نال القرار(C) المتعلق بالانروا ٤٧ صوتا مقابل ٢٢ معارضا و٥٠ ممتنعا عن التصويت . ولكن لماذا عارضته اسرائيل واصدقاؤها كل هذه المعارضة ؟ لقد حدث ذلك لانه اعترف بمبدأ هام وجديد يتعلق بأصول القضية الفلسطينية . وتؤكد هذه الصيغة الموجزة في خمس فقرات ان « لشعب فلسطين » — وقد تكرر هذا التعبير ثلاث مرات — حقوقا ثابتة معينة ، منها حق تقرير المصير ، حرم منها حتى الان ، ولكن يجب ان تنال « الاحترام الكامل » في المستقبل . والقرارات السابقة التي مهدت لهذا القرار اشارت الى هذه الحقوق ولكنها لم تحدد انها تشمل « حق تقرير المصير » . ومثل هذه الصياغة ترفع المسألة الفلسطينية من مجرد كونها قضية انسانية تتعلق بـ « لاجئين » وتعيد صياغتها ككفاح شعب من اجل حريته . وهذا لا بد من ان يطرح على بساط البحث مسألة عدالة خلق دولة اسرائيل ذاتها . ومن الناحية العربية يعتبر قرار كهذا نال ٤٧ صوتا مقابل ٢٢ ، امرا مشجعا اذ أنه يوجه ضربة الى الاسس المعنوية والقانونية لاسرائيل . وهكـذا فان قرارات ١٩٧٠ تشكل انطلاقة كبرى بالنسبة للفلسطينيين لانها اظهرت انه رغم الدعاوة الاسرائيلية والضغط الاميركي بدأ عدد كبير من الدول ، بعد زمان طويل ، في تفهم طبيعة الشعب الفلسطيني والحيف المأساوي الذي لحق به في الامم المتحدة وعلى يدها . وبالمقابل لم تنجح دورة الجمعية العامة في ١٩٧١ في ايجاد اسس جديدة ، ولكنها كانت ذات اهمية من حيث ان الاراء الجديدة المؤيدة للفلسطينيين والعرب والتي قدمت في العام السابق حظيت بمزيد مـن التأييد . وهكذا فما يمكن تسميته « قرار حق تقرير الفلسطينيين لمصيرهم » نال ستة اصوات مؤيدة اضافية ، اي ٥٣ بدلا من ٤٧ ، ولكن ٢٣ بدلا من ٢٢ معارضا ، مما يدل على ان الاسرائيليين كانوا لا يزالون يعملون ضده . والقرار العربي المتعلق بالوضع في الشرق الاوسط نال ٢٠ صوتا اضافية ، اي ٧٩ بدلا من ٥٧ . والتصويت الاخير هذا يشكل انتصارا مزدوجا لانه نال هذه الاصوات الاضافية مع ان صياغته اكثر شجبا لاسرائيل من قرار ١٩٧٠ . وفي الحقيقة ، بعد ايراد عموميات ١٩٧٠ يتوجه القرار مباشرة الى اسرائيل ويطلب اليها الرد بالايجاب على مبادرة يارينج السلمية ، وهذا ما يمكن اعتباره توبيخا غير مباشر . امـا القرار المتعلق بلجنة التحقيـق فقد نال صوتا اضافيا واحدا . ومن جهة اخرى ، خسر « قرار النازحين » خمسة اصوات ، من ٩٣ — ٨٨ ، ولما كان النص هو نفسه ، نص قرار ١٩٧٠ ، فان هذا الانخفاض كان نتيجة للاتصالات والضغوط الاسرائيلية المستمرة ضده . ولا بد للمـرء ان يلاحظ هنا وجود عدد لا بأس به من الذين يمتنعون من التصويت حول القرارات المتعلقـة بالشرق الاوسط ، ولا يقل هذا العدد ابدا عن ١٠ واحيانا ١٥ ، مما يعبر عن السأم الذي بدأ الكثيرون في الامم المتحدة يشعرون به حيال قضية تبدو وكأنها مزمنة لا نهاية لها ، والسأم ايضا من الخطابات الطويلة لبعض الوفود العربية .

ومع هذا ، فان الزيادة في عدد القرارات يدل على ان الامم المتحدة ككل بدأت تظهر مزيدا ، وليس قلة ، من الاهتمام بقضايا الفلسطينيين ، والنزاع العربي — الاسرائيلي . ومع هذا الازدياد في الاهتمام وبمعرفة هذه القضايـا ازداد التأييد العربي . وقبل استعراض اسباب هذا التطور

الايجابي نرى من الضروري معرفة من هي الدول والقارات التي تؤيد العرب وتلك التي تؤيد اسرائيل . وقد اظهر تحليل تمت به لعمليات التصويت في الامم المتحدة خلال ١٩٦٧ و١٩٦٨ — صدر على شكل كتيب بعنوان « اسرائيل والدول الافروآسيوية » عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية — ما يلي :

الاصوات المؤيدة للعرب

	تاييدا كاملا	تاييدا قويا	المجموع
آسيه	افغانستان ، سيلان ، الهند ، اندونيسيه ، ماليزيه ، باكستان .	بورمه ، قبرص ، اليابان، تايلاند، تركيه	١١
افريقيه	بوروندي ، كونجو (برازافيل) ، غينيه ، مالي ، سنجال ، الصومال .	كميرون ، نيجيريه ، تنزانيه ، فولتا العليا .	١٠
اوروبه	الاتحاد السوفياتي ، يوغسلافيه ، ٧ دول من المعسكر الاشتراكي	اليونان ، رومانيه ، اسبانيه	١٢
اميركه اللاتينية	لا احد	كوبه	١
اميركه الشمالية	لا احد	لا أحد	صفر
			٣٤

الاصوات المؤيدة لاسرائيل

	تاييدا كاملا	تاييدا قويا	المجموع
آسيه	لا احد	لا احد	صفر
افريقيه	لا احد	بتسوانا ، غامبيه ، ليسوتو ، داهومي ، ليبريه ، ملاوي ، مدغشقر ، روانده .	٨
اوروبه	لا احد	لا أحد	صفر
اميركه اللاتينية	لا احد	جمهورية الدومينيك ، الاكوادور ، السلفادور ، نيكاراغوا ، بنما ، براغواي .	٦
اميركه الشمالية	لا احد	الولايات المتحدة	١
			١٥

وبالنسبة للسنوات ١٩٦٩ و١٩٧٠ و١٩٧١ سنحلل خمس عمليات تصويت نالت فيها القرارات المؤيدة للعرب أقل من ٦٠ صوتا ، اي نصف اعضاء الامم المتحدة ، لان هذا العدد من الاصوات القليل نسبيا ، يمثل دولا تؤيد العرب تأييدا ثابتا في حين ان التأييد في عمليات التصويت الكبيرة ، يمكن ان يمثل دولا تؤيد العرب مجرد تأييد شكلي. وسنعتبر ان الدول التي أيدت خمس مرات في الخمس مرات مؤيدة تأييدا « كاملا » والدول التي أيدت ثلاث او اربع مرات في الخمس مرات مؤيدة تأييدا « قويا ».

ولمعرفة اصدقاء اسرائيل يمكن ان نحلل ثماني عمليات تصويت حين صوتت ٢٢ دولة او اقل ضد القرارات المؤيدة للعرب ، ويبلغ عدد هذه الدول ٣٥ ، وسنعتبر ان الدول التي أيدت اسرائيل سبع او ثماني مرات في المرات الثمانية دولا مؤيدة تأييدا « كاملا » او « تأييدا قويا جدا » لاسرائيل ، والدول التي أيدت اسرائيل اربع او خمس او ست مرات في المرات الثمانية دولا مؤيدة تأييدا « قويا » لاسرائيل . وكالسابق ، استثنينا الدول العربية من الجدول .

الاصوات المؤيدة للعرب

	تأييدا كاملا	تأييدا قويا	المجموع
آسيه	**افغانستان** ، **سيلان** ، **قبرص** ، **الهند** ، **اندونيسيه** ، ايران ، **ماليزيه** ، **باكستان** ، **تركيه** .	الصين الوطنية	١٠
افريقيه	**الكونجو (برازافيل)** ، **غينيه** ، **مالي** ، موريتانيه ، **السنجال**، **الصومال**، **تنزانيه**، زامبيـــه .	**بوروندي** ، **نيجيريه** ، اوغندد ، غينيه الاستوائية	١٢
اوروبه	**الاتحاد السوفياتي** ، **اسبانيه**، **يوغسلافيه**، **٧** دول من المعسكر الاشتراكي .	البانيه ، **اليونان** ، **رومانيه**	١٣
اميركه اللاتينية	**كوبـــه** .	**لا** احد	١
اميركه الشمالية	**لا** احد .	**لا** احد	صفر
			٣٦

الاصوات المؤيدة لاسرائيل

	تأييدا كاملا او قويا جدا	تأييدا قويا	المجموع
آسيه	لا احد	لا أحد	صفر
افريقيه	**لا** احد	ملاوي ، ليبريه	٢
اوروبه	**لا** احد	لا أحد	صفر
اميركه اللاتينية	كوستاريكا ، نيكاراغوا	**السلفادور** ، غواتيمالا ، **بنما** ، **جمهورية الدومنيك** ، اورغواي ، **براغواي**	٨
اميركه الشمالية	**لا** احد	كندد ، **الولايات المتحدة**	٢
			١٢

واذا ما قارنا هذا الجدول بجدول ١٩٦٧ — ١٩٦٨، يظهر لنا بأنه في حين ازداد كثيرا عدد المؤيدين جزئيا للعرب ، بقيت الدول التي تؤيدهم عادة كما هي ، رغم زيادة دولتين . وبالمقابل انخفض عدد الدول التي تؤيد اسرائيـــل عادة الـــى ١٢ . وتبقى آسيه واوروبه اكثر قارتين صداقة للعرب ، وافريقيه لا تزال منقسمة واميركه اللاتينية معادية كعادتها . ومن الزاوية الاسرائيلية ، ليس لاسرائيل مؤيدين متحمسين في آسيه او أوروبه ، وافريقيه أقل صداقة ، واميركه اللاتينية كما هي ، ولكن كندد انضمت الى مؤيدي اسرائيل . وفي آسيه ، برزت ايران ولبالغ الدهشة كمؤيدة للعرب في حين تساقطت بورمه واليابان وتايلاند ، وهي الدول التي لم تصوت بالايجاب على اي مـــن القرارات الخمسة . وهناك ايضا تغييرات غير قابلة للتفسير في صفوف أصدقاء اسرائيل ، فكوستاريكا ، التي لم ترد في ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، اصبحت الان اقوى مؤيدة لاسرائيل في الامم المتحدة ، اذ صوتت ثماني مرات في المرات الثماني لصالح اسرائيل ، في حين تراجعت جامايكا التي لم تدل بالايجاب بأي صوت لصالح اسرائيل . والواقع ان الدول التي تظهر بحرف أسود تظهر على هذا الجدول والجدول الذي سبقه، وهي تعطي الرد على السؤال المتعلق بمن هم الاصدقاء الحقيقيون والاعداء الحقيقيون للفلسطينيين والعرب . اما الولايات المتحدة فتبرز على الدوام ضد العرب ، اذ ايدت اسرائيل ما لا يقل عن خمس مرات في المرات الثماني . وفي الحقيقة ، كلما كان عدد الدول المؤيدة لاسرائيل ١٠ او اكثر ، تكون الولايات المتحدة احدى هذه الدول . ويشعر المرء ان الولايات المتحدة لم تصوت سلبا في اكثر

المرات ليس لمحتوى القرارات ولكن لانه سيكون حدثا بارزا اذا ما صوتت مع حفنة قليلة من دول اميركه اللاتينية . وكون اصدقاء اسرائيل باستثناء الولايات المتحدة وكنده من الدويلات الصغيرة هو مبعث ارتياح بالنسبة للفلسطينيين والعرب . ولكن على الفلسطينيين ان يلاحظوا بانه في حين تكون الدول على استعداد للتصويت الى جانب القرارات العربية التي تدعو ، مثلا ، لانسحاب القوات ، فان هذه الدول نفسها اقل استعدادا للتصويت على قرارات بحت فلسطينية تهدف الى هز الاساس الذي تقوم عليه اسرائيل .

واخيرا ، عندما نحاول ان نجد اسباب التغييرات التي طرأت على اشكال التصويت ، علينا ان نوضح التغيير الرئيسي ، وهو الزيادة الكبيرة في عدد الدول التي باتت مستعدة الان لمنح التأييد للقضية الفلسطينية/العربية من وقت لآخر ، وحول قضايا محددة ، مثلا ، الدول العشرون الاضافية التي صوتت الى جانب القرار المتعلق بالوضع في الشرق الاوسط في ١٩٧١ او الدول الثلاث والخمسون التي أيدت حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم . ولما كانت آسيه صديقة على الدوام ، وافريقيه منقسمة بالتساوي ، فان الزيادات الرئيسية لهؤلاء المؤيدين احيانا تأتي من اوروبه الغربية ومن دول اميركه اللاتينية الكبرى مثل الارجنتين والمكسيك وفنزويلا . وبالنسبة لدول اوروبه الغربية ، يعود هذا التغيير الى زيادة تعرفهم بالوضع ، ومعرفة قضية الفلسطينيين وليس القضية العربية عامة هي التي ازدادت ، والفضل في هذا يعود الى الفلسطينيين وليس الى الجهود العربية الرسمية . وتأييد دول اميركه اللاتينية للعرب احيانا غير قابل للتفسير الان سوى انه يعود الى ضعف النفوذ الاميركي في تلك القارة ، وذلك النفوذ مضافا اليه هيمنة رأس المال الصهيوني هو الذي يعود اليه الفضل في المحافظة على ولاء المجموعة الصغيرة من الدول المؤيدة لاسرائيل . ويظهر تأثير هذين العاملين بالنسبة لكنده التي اصبحت الان اكثر تأييدا لاسرائيل من السابق . وليس من قبيل الصدفة ان تكون غالبية المنطقة الانتخابية التي يمثلها ميتشل شارب ، وزير خارجية كنده ، من اليهود ، بشكل يقررون فيه نتيجة الانتخابات .

وما قصدنا تبيانه من كل هذا الاستعراض هو ان الجهود الدعاوية التوضيحية المتواصلة تثمر في النهاية ، مع ان ذلك قد يأتي متأخرا اكثر مما هو متوقع . وقد فعلنا ذلك من خلال استعراضنا للقرارات وصيغة هذه القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة للامم المتحدة في السنوات الخمس الماضية . وقد رأينا ان التأييد للفلسطينيين والعرب آخذ في الازدياد رغم انه يسير ببطء . ولكن من المناسب ايضا ان نذكر ما قاله منذ مدة احد المعلقين الصحفيين في بيروت : ان بضعة انفجارات في تل ابيب والقدس ، حتى ولو لم تؤد الا الى تحطيم زجاج النوافذ ، افضل من اي قرار تتخذه الامم المتحدة .

جودفري جانسن

فنلندا : هيلمـا جرانكفيست والفولكلور الفلسطيني

« ان الدراسة الاثنولوجية للاراضي المقدسة هي دراسة جذابة بالاضافة الى أنها واجب » . بهذه الكلمات قدمت جرانكفيست لكتابها « تقاليد الزواج في قرية فلسطينية » . وتشيع هذه الروح في جميع ابحاثها المنشورة بالانكليزية والتي أتيح لي الاطلاع عليها وهي الولادة والطفولة ، مشاكل الطفولة ، وتقاليد الوفاة والدفن بالاضافة لتقاليد الزواج . ان كل من يقرأ ابحاثها الاربعة هذه — والتي جاءت في خمسة كتب منفصلة — ليحس بالاهمية الخاصة التي منحتها الدكتورة هيلما جرانكفيست لدراسة الحياة الاجتماعية والحياة الشعبية في فلسطين ، كما انه سيحس بأنها عالجت الموضوع بروح من اغرمت واعجبت بحياة الناس وتقصتها بعناية علمية فائقة واعتبرتها واجبا ورسالة تستحق ان تصرف من اجلها السنوات الطوال .

تقول جرانكفيست : « ان العمل الذي تم في هذا المجال عمل ذو قيمة عظيمة . ولكنه يجب علينا ان نعترف ان هناك عملا كبيرا ما زال ينتظر من يقوم به . ولقد سرني كثيرا ان اجد تفهما كبيرا لتلك القيمة والاهمية . لقد كانت مهمتي الحقيقية **علمية** ، فكان علي ان ادرس دراسة موضوعية للثقافة العربية في فلسطين وذلك لاساعد في فهم ثقافة عهد التوراة ومن ثم اصول المسيحية . ان العادات والتقاليد وسائر مناحي الحياة الشعبية في فلسطين تظهر امورا غاية في الجاذبية والاهمية. وقد أظهرت لي قرية ارطاس الفلسطينية — بالقرب من بيت لحم — أنها مكان مناسب للعمل فهي تقع وسط منطقتين فولكلوريتين متمايزتين : منطقة بدوية واخرى قروية . وهناك قررت أن أبدأ دراستي الميدانية » .

في الثاني عشر من شهر آب من عام ١٩٢٥ وصلت جرانكفيست الى القدس وذلك لمواصلة دراستها لموضوع: « المرأة في عهد التوراة » واثناء معالجتها للموضوع اقتنعت جرانكفيست انه لا يمكن الحصول على نتائج كافية بالاعتماد على المراجع الادبية في المكتبات الاوروبية . وكان لها أمل في ان تتاح لها الفرصة في ان تلاحظ الحيـاة وظروف المعيشة اليومية في الاراضي المقدسة نفسها ، فان ذلك سيطرح ضوءا كافيا على العديد مـن المشاكل الحقيقية . وتلك هي الامكانية الوحيدة في التعمق في ذلك الموضوع .

وقد أتيح لجرانكفيست ان تشترك في مساق دراسي باشراف الاستاذ أ. آلت في نفس الخريف الذي وصلت فيه الى القدس من آب لتشرين الاول وذلك في المعهد الالماني الفلسطيني في القدس . وبالرغم من ان موضوع المساق كان بشكل رئيسي يدور حول الاثار فانه كان بالنسبة لجرانكفيست مقدمة معقولة لمعرفة مشاكل البحث في الحياة الثقافية الفلسطينية .

وقد اجتذب باحثتنا الى فلسطين سحر المكان الذي ينعكس في ما قرأته في الكتب الدينية عن المنطقة الجغرافية التي نزلت فيها مما رسم في ذهنهـا صورة جذابة للديانات الشرقية ، وقد ولد ذلك الشغف الزائد الذي ملك عليها حواسها للتعرف على حياة الشعب الفلسطيني . كما انها كانت قد اعجبت بحياة الشرق من خلال قراءتها لكتاب ألف ليلة وليلة . وكان هدفها من ذلك ان تتعرف على حياة الشعب العربي بشكل عام . واستمرت توسع من دائرة اطلاعها في هذا المجال فأخذت تقرأ الكتب والابحاث الفولكلورية والاجتماعية التي اتخذت من دراسة الفولكلور في مصر موضوعا لها مثل كتاب « لاين » عن الحياة المصرية الحديثة وكتاب كال شميدت عن الحياة الشعبية في فلسطين وكتاب ليون هارد باور عن الحياة الشعبية في بلاد الانجيل وكتاب برجشتراسر عن اغاني رمضان في القاهرة. وقد ساعدها على التعمق في موضوعها تخصصها الاصلي الذي توفرت على دراسته في الجامعة وهو التربية وعلم النفس . وسنرى فيما بعد كيف انها استغلت قدراتها في هذا المجال في دراسة مشكلات الطفل النفسيـة . وبعـد ذلك درست علـم الانتروبولوجيا الاجتماعية في كل من برلين وليبزج ولندن وهي تجيد اللغـات الالمانية والفرنسيـة والسويدية والانجليزية بالاضافة الى اللغة الفنلندية لغتها الاصلية. وان من يطلع على كتب جرانكفيست التي تناولت فيهـا دراسة الفولكلور الفلسطيني سيرى كيف أنها استفادت من العديد من المراجع بلغات شتى واثبتت في اواخـر كتبها مقتبسّات باللغات الاصلية لتلك الكتب .

وبين عامي ١٩٢٥ — ١٩٣١ وفدت جرانكفيست الى فلسطين مرتين لفترة تعادل ثلاث سنوات . وقد

حصلت على معونة مالية سخية لتغطية نفقاتها من « الاخوة الدوليـة للجمعية الامريكيـة للنسـاء الجامعيات » . وبعد ان اقامت فترة قصيرة قررت ان تغير موضوع دراستها التي كانت الحصول على مادة مقارنة عن المرأة في العهد القديم فأصبحت دراسة الحياة الشعبية والاجتماعية في فلسطين . وهي تصف دراستها بأنها دراسة للانتروبولوجيا للعرب المسلمين في فلسطين وليس لليهود . ومن أجل ان تكون لديها الفرصة لتقديم التطور التاريخي للقرية العربية الفلسطينية وعائلاتها وعشائرهـا بدأت بموضوع الزواج .

واذا كانت جرانكفيست قد اختارت قرية أرطاس الفلسطينية لتكون هناك في مكان مناسب لدراسة الحياة العربية الفلسطينية فانها حصلت على تقارير من زياراتها للقدس وحيفا ونابلس . وزارت مصر مرتين . وعاشت شهرا في القرى المجاورة لنابلس. كما قامت برحلات للاماكن المجاورة للبدو وعبرت النهر الى شرقي الاردن .

وفي عام ١٩٣٧ وقبل ان تخرج الباحثة بأبحاثها الى العالم سافرت الى انجلترا بقصد الاطلاع على ما طرأ على الدراسات الانتروبولوجية والفولكلورية من تطور . وكان المنهج الوظيفي قد نشأ وازدهر في هذا الوقت على يد العالمين مالينوفسكي ورادكلف براون . وهنا توفرت على دراسة المنهج الوظيفي الذي كان سائدا في ذلك الوقت . ويقضي هـذا المنهج باستخدام اسلوب الملاحظة وطرح الاسئلة الدقيقة لكل مناحي الحياة الاجتماعية ودراسة كل منها بالنسبة للاخر . وأسلوب ذلك هو استجواب الفرد واستكناه الطريقة التي ينتمي بها للمجتمع . وكانت جرانكفيست قد طبقت في دراستها للحياة في فلسطين أسلوب الملاحظـة والاستفسار . وهي تعتبر أسلوب الاستفسار غاية في الاهمية وهي بذلك تقول : « ان الناس المسنين يعرفون الكثير من العادات والتقاليد وعندما يموتون فانهم يأخذون معلوماتهم معهم الى القبر وتختفي المادة التي نحن بحاجة اليها » .

ولما كانت معرفة الظروف التاريخية التي شهدها مكان ما تعد أساسا لدراسـة المجتمـع فان جرانكفيست بدأت تتعرف اولا علـى الاحـداث التاريخية التي عاشتها القرى الفلسطينية من خلال الرواية الشفوية لا من خلال الكتب . واستطاعت الباحثة بذلك ان تجمع مادة وفيرة عن حياة الناس دون الالتجاء الى العمل المكتبي . وقد كانت المادة التي جمعتها عبارة عن ترجمة مباشرة لما قالته النساء لها وذكره الرواة . اما العمل المكتبي فلم يكن يعنيها الا لاظهار المادة المقـارنة والموازية للعمل الذي تعمله . لقد حاولت أن تذكر الدراسات الاخرى التي تناولت نفس الموضـوع ولكنها لم تخلط بينها وبين المادة الاساسية التي جمعتها بنفسها . وبذلك أثبتت هذه الباحثة ان معايشة الشعب واستكناه حياته بطريقة الملاحظـة والاستفسار مسألة منتجة في الدراسة الفولكلورية .

ومن الاشخاص الذين اعتمدت عليهم جرانكفيست كرواة امرأتان من أرطاس هما عليا وحمدية ، ولا بأس من ايراد نبذة عن كليهما لان ذلـك يوضح ظروف جمع مادة الباحثة وبعض ملامح الحيـاة الشعبية الفلسطينية . لقد ولدت عليا بعد وفاة والدها وخطبت اختها لبدوي من عرب التعامرة عمل سبع سنوات كراع لغنم اهلها بدل المهر . وعندما ماتت اختها وحان موعد دفنها نزل البدوي الى القبر ولم يخرج منه الا بعد ان وعدوه بأنهم سيزوجونه عليا بدلا من اختها بالرغم من صغر سنها . وخدم البدوي سبع سنوات اخرى من أجل عليا . وما ان تزوجها حتى بلغ أرذل العمر ومات . وبعد ذلك عملت عليـا خادمة في بيت القنصل الفرنسي في بيت لحم ثم عادت لارطاس حيث زوجوها ثانية لشيخ من قرية صوريف ما لبث ان مات هو أيضا . واصبحت عليا أرملة وعمياء وكانت لديها الفرصة لتسمع وتروي كل شيء . وكانت معروفة بحبها لاغاني القرية ورواياتهـا . اما الراوية الثانية حمدية فكانت ايضا ارملة . وفي أوائل حياتها تزوجت من رجل متزوج مـن امرأة عجوز . ولم تقض معه سوى القليل من الوقت اذ « حردت » عائدة الـى أرطاس مما اضطر والدتها ان تذهب الى الديوان حيث يجلس الرجال وتعلن ان ابنتها حامل لتثبت شرعيـة الطفل . وبعد ان انجبت حمدية طفلها جاء زوجها وأعادها الى بيته . ومات ابنها ، ثم ذهبت هي وزوجها الى شرقي الاردن حيث مات زوجها فعادت هي الى أرطاس .

وكانت عليا وحمدية أفضل مصدرين اعتمدت عليهما جرانكفيست في جمع مادتها . وهي تقول ان نساء القرية كن ينصحنها بالرجوع الـى عليا وحمدية

عندما كانت تستفسرهن عن أمر ما من أمور الحياة في القرية .

وتقول جرانكفيست انها أيضا كانت تقابل رجالا ونساء آخرين في القرية عندما كانت تزور بيوت القرية في المناسبات والاحتفالات او عندما كانت تمر بنبع الماء في القرية حيث تتردد النساء هناك طوال النهار لجلب الماء . « ولكن لم تكن نساء القرية يملكن الوقت الكافي الذي تملكه حمدية وعليا ليتحدثن الي ويروين لي مظاهر الحياة الشعبية في القرية » .

ومن رواة هيلما « الست لويزا بالدنسبرجر » التي كانت تقيم في أرطاس والقدس والذي جاء والدها في بعثة تبشيرية من الالزاس في فرنسا عام ١٨٤٨ . وكذلك المعلمان العربيان الياس حداد وابراهيم عطا والمعلمات العربيات في المدرسة السويدية في القدس . وفي عام ١٩٥٨ حصلت د. جرانكفيست على منحة من مؤسسة ايلين واجنر في استوكهولم لتعاود زيارة الاراضي المقدسة والعودة الى أرطاس في ظروف أخرى وبعد أن ظهر جيل اخر واستضافت البلدة عددا من اللاجئين الفلسطينيين الذين جاؤوا اليها بعد حرب عام ١٩٤٨ . واصبحت البلاد تحمل اسم الاردن بعد اعلان وحدة ضفتي الاردن اثر الحرب العربية الصهيونية . وفي هذه المرة اقامت جرانكفيست فترة قصيرة مدتها أربعة شهور . وفي هذه الزيارة قابلت الباحثة اثنين من الباحثين الفلسطينيين اللذين توفرا على دراسة الحكاية والتقاليد : أحدهما الدكتور توفيق كنعان الذي نشر العديد من المقالات عن المأثورات الشعبية للاراضي المقدسة . وخلال حرب عام ١٩٤٨ اصبح بيته في المنطقة الحرام . وعلى الرغم من فقده لبيته ومكتبته ومجموعته وضعف صحته فانه كان نشيطا ومثابرا على اداء المحاضرات والكتابة عن الفولكلور الفلسطيني . اما الباحث الثاني الذي قابلته جرانكفيست فكان الدكتور عيسى المصو الذي كان عاكفا على اعداد أطروحته عن « الفولكلور الديني لقضاء بيت لحم في الاردن » .

وهكذا تمكنت جرانكفيست من جمع معلومات عن الفولكلور الفلسطيني على بطاقات لا حصر لها . وقد دونت الباحثة مادتها باللغة العربية التي تعلمتها في أثناء اقامتها الطويلة في فلسطين . وفي رسالة من وزارة التربية والتعليم الفنلندية لكاتب هذا المقال مؤرخة في شباط من عام ١٩٧١ جاء ان هناك مادة غير مصنفة وغير منشورة يشتمل عليها الارشيف الفولكلوري الذي جمعته جرانكفيست وان هذه المادة بانتظار من يتصدى لدراستها . وذكرت الرسالة ان الباحثة ستضع مجموعتها من البطاقات في مكتبة عامة لتكون تحت تصرف الباحثين .

ومما يعطي الارشيف الفولكلوري لجرانكفيست أهمية خاصة هو ان الباحثة الفنلندية دونت نصوص الاغاني الشعبية والامثال والتعبيرات الشعبية الاخرى بالعربية على البطاقات وبالحرف اللاتيني والكلمة العربية في مؤلفاتها المطبوعة . ان نشر النص الادبي الشعبي بلغته الاصلية يحافظ على نكهته الحقيقية ومضمونه . في حين ان نشره مترجما بلغة اجنبية يفقده القدرة على تصوير الجو الاصلي الذي نبت فيه . لقد كان ذلك عائدا الى الوقت الكافي الذي صرفته الباحثة في الملاحظة والاستفسار والتدوين . وحول هذا الموضوع نراها تقول : « بالنظر الى الوقت والوسائل التي كانت تحت تصرفي فان دراسة قرى عدة وأناسا كثيرين ستكون مجرد القاء نظرة سريعة على السطح والحصول على مقتطفات مما يمكن ان يتذكره شخص ما . لكن الاقامة الطويلة في قرية واحدة منفردة اضطرت الرواة الى ان يتعمقوا في اعطاء الاجابات التي يعرفونها . كانت المسألة بالنسبة لعملي الميداني عملية تنقيب (Excavation) حقيقية لكل العادات والتقاليد وطرق التفكير في القرية ، واما الرحالة والمبشرون فلم يكن لديهم الوقت ولا الاهتمام للدراسة الدقيقة . كما ان كثيرين ممن كتبوا منهم لم يشيروا للزاوية او المكان الذي اخذوا مادتهم منه » .

تقاليد الزواج

كانت اولى دراسات جرانكفيست التي رأت النور كتابها الذي صدر في جزءين عن تقاليد الزواج بعنوان **« اوضاع الزواج في القرية الفلسطينية »** (**جـ ١ في ١٩٣١ وجـ ٢ في ١٩٣٥** وكلاهما طبع في هلسنكي في فنلندا) . وقد صدرت جرانكفيست الجزء الاول بفصل خصصته عن أسلوب البحث وكيف طبقته في قرية أرطاس . وقارنت عملها الميداني الذي ربطته في مكان وزمان معينين بأعمال من سبقوها ممن كتبوا دراسات فولكلورية عن الاراضي المقدسة والذين لجأوا الى التعميمات . وتقول جرانكفيست : « أما ما أقدمه انا هنا فهو

دراسة مقارنة لكل الزيجات في قرية أرطاس والتي حصلت منذ قرن وبقدر ما تسمح به ذاكرة الرواة ». لقد درست جرانكفيست حياة كل شخص في القرية سواء كان كبيرا او صغيرا وأوردت دراسات احصائية وأرفقتها بالاحداث التي مرت بحياة كل عشيرة وأسرة . وبذلك توفر لديها معين لا ينضب من المعلومات عن الحياة الاجتماعية والشعبية في هذه القرية . ومن البديهي انها لم تكن مضطرة للجوء الى التعميمات غير الدقيقة .

وكرست جرانكفيست الفصل الثاني لتحديد سن الزواج . بدأت بمقدمة عن « الخطبة عند الولادة » والتي تسمى « بعطية الجورة » وأوردت مناسبات خطبت فيها المولودة يوم ولادتها واعتبر ذلك خطبة مقبولة ومعترف بها . ثم استعرضت اسباب الزواج المبكر ولخصتها في انها تعود الى حاجة الناس للعمل اليدوي وبسبب الرغبة في تقليص فترة الخطوبة والتخلص من تكاليفها . كما ان هناك اسبابا خلقية تدفع الناس على تزويج الفتيات في سن مبكر « لان العرظ ما ينحمى بالسيف » و« العروس الزغيرة بتربيها على ايدك » . وتحدثت الباحثة في هذا الفصل عن غياب الحب في الحياة الشعبية ذلك ان العريس يختار عروسه من خلال والدته او قريباته ولا تتاح الفرصة للعروسين لمعرفة بعضهما بعضا قبل الزواج لان ذلك يعتبر مفسدة اي مفسدة . وكثيرون من الازواج لم يلقوا النظرة الاولى على زوجاتهم الا ليلة الدخلة . وغالبا ما يتم الزواج بين ابناء العم . والمثل الشعبي الفلسطيني يقول : « ابن العم بنزّل عن الفرس » أي انه يستطيع الاعتراض على زواج ابنة عمه من الغرباء حتى ولو كانت قد ركبت الفرس في طريقها الى بيت الزوجية . وتقول الاغنية الشعبية مؤكدة هذا المعنى :

يا ابن العم يا شعري ع ظهري
ان اجاك الموت لارده ع عمري
يا ابن العم يا ثوبي علي
ان اجاك الموت لارده بيدي
يا ابن العم يا ثوب الحرير
لحصلا بين جنحاني واطير

وتوضح جرانكفيست اسباب تفضيل ابن العم فتذكر القول الشعبي الفلسطيني المأثور « بنات العم صبارة ع الجفا اما الغريبة بدها تدليل » . هذا فضلا عن ان ابنة العم تحتاج لمهر ونفقات أقل .

وتكرس الباحثة الفصل الثالث والرابع لطرق اختيار العروس وزواج البدل (عندما يزوج شخص ما اخته لشخص ويتزوج هو أخت ذلك الشخص . أو يستبدل ابنته او احدى قريباته بعروس له) ، ومسألة المهر. وهي تدعم هذين الفصلين باحصائيات دقيقة عن كل حالة . ومن أدق وأطرف ما ختمت الباحثة به هذا الجزء تلك الاحصائية الشاملة عن كل فرد في القرية والتي أوردت فيها اسم العشيرة والقرية واذا كان الشخص حيا او ميتا واذا كان قد تزوج بالمهر او البدل او بأي طريقة اخرى مع وصف حالة الزواج من حيث التعدد او عدمه .

وفي الجزء الثاني من كتاب جرانكفيست عن تقاليد الزواج نجد موضوعين رئيسيين: أولاهما احتفالات الزواج وثانيهما الحياة الزواج . ومما يلفت النظر في دراستها لاحتفالات الزواج تلك الدقة المتناهية في وصف كافة الاجراءات التي تواكب الخطبة وليالي الفرح والزفاف مدعومة بنصوص الاغاني الشعبية الفلسطينية والتي أوردتها مترجمة الى الانجليزية ومدونة بالحرف اللاتيني وباللفظ العربي. وبهذا أعطت الباحثة للاحداث سندا فولكلوريا قويا وحفظت لباحثي تقاليد الزواج الفلسطيني رصيدا من المادة الخام يهتدون به في دراسة هذه الظاهرة الشعبية . هذا فضلا عن ان جرانكفيست درست من خلال الطقوس الشعبية الارضية الثقافية التي تعتمد عليها احتفالات الزواج واجراءاته .

وفي هذا الجزء استعرضت الباحثة الحياة الزوجية في الوسط الشعبي مبتدئة من الايام الاولى للزواج ومقيمة موقف الزوجة في بيت زوجها وعلاقتها بأقارب زوجها . ثم تناولت مسألة تعدد الزوجات فأوضحت كيف ان الدين والتقاليد لا تعترض على مسألة التعدد . ويقول المثل الشعبي : الخير عنده تنتين وثلاث [من النساء] . وتحت ظل هذه الظروف المساعدة على تعدد الزوجات فان الرجل لا يعدم ايجاد المبررات للزواج من امرأة اخرى وذلك بأن يتعلل بكبر سن زوجته الاولى وفقدانها لجاذبيتها وعدم انجابها الاطفال او الادعاء بأنها امرأة ناشز تعصي زوجها وفي ذلك يقول المثل الشعبي : « اقهر النسا بالنسا ولا تظربهن بالعصا » .

وفي هذا الجزء خصصت جرانكفيست فصلا لدراسة ظاهرة « الحرد ــ اي قطع المراة للحياة الزوجية والتجاؤها لبيت أبيها » . وفي هذا المجال جاء في

الاقوال المأثورة : « بيت رباني ما راح وخلاني » . و« يا بيي وسع صدر بيتك للزيارة وللحردة ... بيتي واسع وصدري واسع للزيارة وللحردة » . ومما يلفت النظر في موقف « المرأة الحردانة » والتي ترضع طفلا او تحمل طفلا في بطنها هو انها تكون مسؤولة عن سلامة الطفل . واذا حصل وتوفي الطفل فان اهل المرأة الحردانة حسب العرف والتقاليد ملزمون بدفع دية الطفل المتوفى . وهكذا يتضح موقف المجتمع من الزوجة والذي يعتبرها مجرد وعاء يحمل الطفل .

وتتحدث الباحثة ايضا عن المرأة الغريبة ومركزها في بيت زوجها . ويلخص ذلك الموقف القول المأثور : « الغريبة بدها ثوب يجر ، والخايبة تهر وزلة مر » . اي ان المرأة التي تتزوج رجلا غير ابن عمها بحاجة لنفقات عالية ورجل يحسن السيطرة عليها لانها لا تتصرف بوحي من المصلحة العامة للبيت الذي تحل فيه . وبديهي ان مرد ذلك عائد لان الرابطة بين الزوجين لم تكن مبنية على الحب . ويفسر ذلك ارتباط المرأة بأخيها وحبها له اكثر من حبها لزوجها . واما المرأة التي لا اخ ولا أب لها فيطلق عليها المجتمع اسم « قطيمة » اي امرأة بلا اهل يمكن ان يتحكم بها اهل زوجها لعدم وجود من يدافع عنها .

وتعقد جرانكفيست فصلين عن مسألتي الطلاق والترمل . واهم ما يلفت النظر هنا هو اضطرار المرأة التي ان تعلن مسألة حملها من زوجها اذا كانت حاملا امام الملأ وذلك لتثبت بنوة الطفل للزوج الذي طلقها او توفي وتركها . وفي العادة فان ذلك يتم امام الرجال في الديوان . ولا تهمل جرانكفيست كل الامور الاقتصادية التي تتعلق بظروف الطلاق وفقدان الزوج بالوفاة .

الطفولة والحياة الشعبية

لم يغب عن الباحثة ان تتعرف على السلوك النفسي لدى الشعب الفلسطيني ازاء قضيتهم التي كانت قد بدأت في ذلك الوقت تأخذ دورا بارزا على مسرح السياسة العالمي . وتسجل الباحثة مدى اعتزاز الاسر والقبائل بأطفالها . وربما كان هذا شيئا طبيعيا . ولكن اعتزاز الشعب الفلسطيني بأطفاله ليس مصدره العاطفة العائلية فحسب وانما مصدره اعتزاز الشعب بكيانه . فالقبائل والاسر العربية تكون مجتمعا متماسكا يكاد يكون مستقلا عن الحكومات التي كان الشعب ينظر اليها بوصفها قوة معادية غريبة . وفي ظل هذا الاحساس اعتز الشعب الفلسطيني بأولاده بوصفهم امتدادا لكيانه ووجوده .

ودراسة جرانكفيست عن الطفل الفلسطيني جاءت في كتابين منفصلين يمكن ان يعتبر احدهما وكأنه متمم للاخر او انهما جزءان من عمل واحد . اما الكتاب الاول فيحمل اسم « **الميلاد والطفولة بين العرب** » (طبع في هلسنكي ١٩٤٧) . وقد كرست الباحثة الفصل الاول لمرحلة ما قبل الولادة فتناولت بالدراسة المفردات الشعبية الفلسطينية التي تعبر عن معنى الانجاب والولادة ودرست حالة الام والطقوس المصاحبة للحمل .

وفي الفصل الثاني درست الولادة ورصدت كل الاجراءات المتعلقة بها والاقوال المأثورة التي تتردد عند لحظة الولادة . وتحدثت عن الفرحة الغامرة بمجيء المولود الذكر والتجهم والعبوس الذي تقابل به البنت الانثى . ذلك الذي يتناوله القول المأثور على لسان الام لابنائها في مجال ردها على سؤالهم لها بأن تحكي لهم حكاية ، فتقول :

أحكي لكم عن همي وغمي
يوم ولدتني أمي
حطوني ع الصينية
والكل صار يدعي علي

وكرست الباحثة الفصل الثالث للامور المتعلقة لما بعد الولادة . ابتدأت باعلان نبأ الولادة والبشرى ثم انتقلت لمسألة معالجة الام والوليد وطعامهما وأولى الاحتفالات بقطع الحبل السري . وقد أسهبت في التحدث عن المعتقدات المتعلقة بالحبل السري ودفنه واستعمالاته في علاج العاقر وهبة الحياة لاطفال جدد .

وفي الفصل الرابع تتحدث الباحثة عن تربية الطفل . تستعرض هنا وسائل العناية بالطفل وارضاعه وتسجل اغاني المهد التي سمعتها من الرواة في أرطاس . وبالطبع فان هذه الاغاني موجودة في كل مكان بفلسطين وهي مدونة في الكتاب بترجمتها الانجليزية دون تدوين الاصل العربي بالحرف اللاتيني . واذا كان من السهل على الباحث العربي ان يعاود ترميم النص الشعبي الاصيل فان بعض النصوص تستعصي على التحويل . وهنا تكمن

الاهمية الكبرى لاستنساخ المادة الخام التي أعدتها الباحثة بالعربية اثناء اقامتها في فلسطين .

وفي الفصلين الخامس والسادس تدرس الباحثة الالعاب والتربية الشعبية. وقد لاحظت جرانكفيست ان ألعاب الاطفال الذكور تتجه وجهة ذات علاقة بأعمال الذكور الكبار مثل الصيد وتقليد وسائل الانتاج والفروسية ، في حين أن ألعاب الاناث تتجه وجهة تلتصق بدور المرأة والعناية بالبيت . ويميل الاطفال الذكور في العابهم لتقليد قوة الرجل فيشكلون فرقا تتصارع على توال لقب الفريق الاقوى ويتراشقون بالحجارة او يتصارعون بالايدي او يتنافسون في المهارة بالقفز وابراز المقدرة على التخفي بالاستعانة بالحيلة او القدرة على الجري ، ففي لعبة الطمامية استعراض لامكانيات الطفل في التخفي والجري والتفكير معا اذ عندما يختبيء الولد عن ناظري رفيقه ، والذي يفترض فيه ان يكتشف مكانه ، يكون الولد في حلبة صراع وموازنة للامكانيات تقلد فيه الصراع بين الكبار وترصده . وتدور العاب البنات حول بناء بيت من المواد الاولية المتوفرة في البيئة مثل الحجارة والخشب والعيدان والصفائح المهملة وربما من التراب نفسه اذ تعمد البنت الى وضع يدها داخل كومة تراب وتأخذ في ضغطه مكونة ما يشبه الطابون وهي تغني :

يا طابون انهد انهد
لاجيب لك خشب اليد

وتحرص البنت عند بنائها للبيت — اللعبة — ان يهيء فيه اول ما تهيء نموذجا لسرير الطفل . وقد يكون هذا النموذج مجرد علبة فارغة مسطحة. وتصنع البنت في هذه العلبة — المهد — نموذجا تصنعه بنفسها لشكل طفل او طفلة . أما الوجه فيتألف من قطعة عملة صغيرة مستديرة مغطاة بقماش ابيض واما الجسد فهو صليب من الخشب تغطيه قطعة من القماش .

وفي الفصل السابع والاخير من هذا الكتاب نرى جرانكفيست تصف الطهور — الختان — في أرطاس وما يواكبها من استعدادات واحتفالات على مستوى الرجال والنساء . ومن اطرف ما تحمله هذه الاحتفالات في ثناياها أنها تكاد تشبه احتفالات الزواج حتى أن الطفل المختون يزف في موكب حاشد يغني فيه الرجال الاغاني ويلعبون بالعصا والسيف ويرقصون رقصاتهم الشعبية وتسير النساء في آخر الموكب تسجع وتغني وتزغرد .

والكتاب الثاني في دراسة جرانكفيست عن الطفل بعنوان **مشاكل الاطفال بين العرب** ، طبع في هلسنكي ١٩٥٠ ، وهو يبدأ بفصل عن « الاسم » وفي هذا الفصل تحاول الباحثة ان تعمل مسحا شاملا للاسماء في القرية ودلالاتها ولا يفوتها أن تربط بين الاسماء الحالية والاسماء في الكتب المقدسة شأنها في ذلك شأن دراساتها الاخرى .

اما في الفصل الثاني الذي خصصته لوفيات الاطفال والفصل الثالث الذي يحمل عنوان رعاية الطفل فتستعرض فيهما ما جمعته من معلومات عن العناية بصحة الطفل والمعتقدات والممارسات السحرية التي يمارسها الناس للوقاية من المرض ومكافحته. وتسرد لنا وسائل التطبيب الشعبي بالكلمة والحجاب والدواء ولا يفوتها ان تتحدث عن النذور والاحتفالات التي تقام ابتهاجا بشفاء المرضى او حياة الاولاد بعد اليأس منهم .

وفي الفصل الرابع تقيم الطفل وتبرز اهميته بالنسبة للمجتمع وتبين دور المرأة ووجهة نظر المجتمع اليها من خلال مسألة انجاب الاناث . وتختم كتابها بتجميع المواد التي جمعتها من ارطاس والتي لم تندرج تحت الفصول السابقة . وهنا نجد جرانكفيست مشدودة لقرية بعينها وترصد ملامح العناية بالطفل وقيمته دون ان تضحي بأي من الافادات التي حصلت عليها بل تحاول سردها وتثبيتها بأمانة وان كان ذلك يمس تناسق ترتيب مواد الكتاب .

تقاليد الوفـاة

كان آخر الكتب التي أصدرتها جرانكفيست باللغة الانجليزية كتابها الذي تناول تقاليد الوسط الشعبي المسلم في فلسطين عن الوفاة والدفن وهو بعنوان **«الوفاة والدفن عند المسلمين: في العادات والتقاليد العربية»** . وبهذا الكتاب فهي تختتم دراساتها التي تتناول دورة الحياة اليومية الشعبية في قرية أرطاس الفلسطينية . ويجب الاعتراف هنا أنه من أصعب الدراسات الفولكلورية دراسة تقاليد الوفاة والدفن وذلك لحساسية الناس ازاء هذا الموضوع . فهم لا يرغبون في تناول ذكرياتهم

عن الموضوع وكيف الامر اذا طلب اليهم الباحث أن يستعيدوا اغاني الحزن التي تقال بمناسبة الوفاة ؟

ويذكر كاتب هذا المقال انه في اول عهده بتناول هذا الموضوع أجرى حديثا مع راوية وكانت امرأة بدوية مسنة من بئر السبع ، واخذت الراوية تردد أغاني الحزن وما أن ألقت عدة مقاطع حتى انخرطت في بكاء عميق وقالت ان ذلك يذكر بأخيها الذي استشهد في احدى الحروب العربية الاسرائيلية . وحصل نفس الشيء مع الفتاة التي عهد اليها بطباعة مثل هذه المادة اذ اثار ذلك أشجانها وجعلها تبكي بصوت عال مسموع . ولكن الامر مع جرانكفيست ربما كان يختلف ، فالباحثة الفنلندية أقامت فترة طويلة في قرية أرطاس مكنتها من أن ترى الاحداث بنفسها وهي هنا في كتابها عن تقاليد الوفاة — شأنها في ذلك شأن دراستها للزواج والطفولة — تروي لنا احداثا معينة تسمي أصحابها وتصف ما رأته بعينها وتسجل افادات الرواة عند وقوع الحدث .

وتتضمن دراسة جرانكفيست عن تقاليد الوفاة والدفن مقدمة طويلة تتناول عوامل عدة ذات علاقة بالصحة والموت . انها تدرس هنا المرض ومسألة العلاج من وجهة نظر شعبية محضة تستمد مفهومها من معتقدات شعبية متصلة بالدين . ويدور المفهوم الرئيسي حول المعتقد القائل بأن الخير والشر من الله ، وأن الصحة هبة من الله والموت قدر محتوم لا مناص منه . وعندما يقع القدر فان الدواء والطب لا يفيدان في قليل او كثير .

وتوضح جرانكفيست هنا مفهوما للمكان الذي يتوفى فيه الانسان كانت قد تعرضت له عند دراستها لمسألة الطفولة وهو أن المكان الذي سيتوفى فيه الانسان كان قد تقرر في علم الغيب منذ ولادة الانسان . ذلك ان حفنة التراب التي خلق منها الانسان تحضر من مكان الولادة ومن مكان الوفاة . وعندما يتوفى انسان ما في مكان بعيد جدا عن مكان ولادته يقول الناس : « سبحان الله ... اترابانه اخذنه » أي أن هذا الانسان قادته منيته ليموت في المكان الذي أخذت منه تلك الحفنة من التراب التي خلق منها والتي يبدو انها أخذت من ذلك المكان البعيد .

وتتناول الباحثة في التفصيل المسائل المتعلقة بالدفن فتتحدث عن تحضير القبر وملابس الدفن (الكفن) وغسل جسد المتوفي وكل الطقوس المتعلقة بذلك . وهي تذكر تقليدا كان في الماضي مسألة دينية واصبح الان جزءا من التراث الشعبي وهو « اسقاط الصلاة » . ذلك ان هناك احتفالا يقام لاسقاط الصلاة عن الشخص الذي لم يكن ليؤدي الصلوات الخمس في حياته . اذ تجمع اموال أهل المتوفي وحلى النساء وتوضع في كيس وتعطى للشيخ وللجالسين ولكن هؤلاء بعد أن يأخذون النقود يعيدونها لعائلة المتوفي بعد ان يتنازلوا عن حقهم في أخذها .

ثم تتحدث الباحثة عن لحظة الدفن ونزول الملكين واستجوابهم للميت . وتسهب جرانكفيست في الحديث عن حفلات الطعام التي تقام بمناسبة وفاة شخص معين . ويأتي المعزون والمعزيات من القرى المجاورة وهم يقودون حيوانات الذبيح تماما كما يحصل في مناسبات الزواج .

ومن المعتقدات المتعلقة بالوفاة ظهور المتوفي في الاحلام لدى اهله واصدقائه والاعتقاد بسرقة أجساد الموتى وانتقالها من مقبرة الى اخرى حسب الوضعية الدينية للمتوفي . وهناك معتقد شعبي مؤداه ان الاجساد الطاهرة تنقل من مقابرها الى الاراضي المقدسة في الحجاز والعكس بالعكس . وتتناول جرانكفيست بالحديث عن حالات وفاة غير طبيعية مثل الانتحار والقتل العمد ومسائل الثأر .

أما أغاني الحزن فتستأثر باهتمام خاص وكبير من دراسة الباحثة وهي تورد لنا كشفا شاملا وتفصيليا للاغاني الحزينة التي تقال في مناسبة وفيات متنوعة . فهناك أغان خاصة تقال اذا كان المتوفي : أبا او عما او أخا او زوجا او زوجة او جنديا او بطلا او فتاة عذراء او شيخا ... فلكل مقام مقال والاحياء يندبون حظهم ويبكون واقعهم بعد وفاة المتوفي . وبالطبع فان ما يقال يتناسب مع درجة حزن الناس على الشخص المتوفي والفراغ الحاصل في المجتمع بخسارته لشخص معين .

رأي في جهود جرانكفيست

تعتبر أعمال جرانكفيست مصدرا عميق الاثر في أية محاولة لدراسة فولكلور الشعب الفلسطيني .

كما أن الحكم على أهمية دراسات جرانكفيست يظل حكما ناقصا ما دام أن هناك عشرات الالاف من البطاقات التي جمعت الباحثة عليها مادتها والتي ما زالت « غير مصنفة وغير منشورة » . وكذلك فانا لم نطلع على المادة الفولكلورية الفلسطينية التي نشرتها جرانكفيست بالفنلندية والسويدية .

ان ابحاث جرانكفيست تتسم بأنهـا أبحـاث انتروبولوجية ، ومع ذلك فالمادة الفولكلورية وفيرة جدا وان كانت هذه المادة قد جاءت جنبا لجنب مع دراسات يمكن ان توصف بأنها اجتماعية او دينية. وللوهلة الاولى فقد يخيل للدارس ان جرانكفيست تخلط بين الجوانب الفولكلورية من الدين وبـين الدين الرسمي . ولكن هذا الوهم سرعان ما يزول اذا ما نظرنا لتلك الابحاث مـن وجهة النظـر الانتروبولوجية .

ولما كانت جرانكفيست قد جاءت أصلا الى فلسطين لجمع مادة مقارنة عن المراة في عهد التوراة فقد ظلت أبحاثها تدور في فلك المراة في الوسط الشعبي مع خروج طفيف على هذا المبدأ . ولذلك قليـلا ما نجد هناك معلومات عن « فولكلور الرجال » كما أن دراسة جرانكفيست للفنون اليدوية وعينات التراث الشعبي المادية تظل دراسة عرضيةكتبت أصلا لتخدم أبحاثا تتعلق بالولادة والزواج والوفاة وفولكلور المرأة بشكل عام .

ومن جهة اخرى فان دراسة جرانكفيست تخدم قضية الشعب الفلسطيني بصفته شعب طرد من أرضه واضطهد وبذلت جهود مركزة لمحو شخصيته الوطنية . ولكن هذه الخدمة لم تأت بأسلوب مباشر ولكن عن طريق اثبات عراقة تراث الشعب وارتباطه بالارض .

لقد دفعت الامانة العلمية جرانكفيست الى أن تميز بين ما جمعته من أفواه الرواة وما جمعته من مادة مقارنة عن طريق العمل المكتبي . أمـا ما جمعته من أفواه فقد وضعته كما هو وان كان يبدو في بعض الاحيان مختلفا أو متناقضا . ويمكن تبرير ذلك على أن المادة المنقولة عن المصـادر الشفوية تسجل بعض الاختلافات نظرا لتلونهـا بوجهات نظر افراد متبايني الانطباعات . ان كل ذلك يدفع على احترام ذلك العمل العظيم الـذي قامت به الباحثة الفنلندية والتي لم يفتها ان تعزز كتبها بهوامش وفهارس تسهل الوصول الى كل فقرة من فقرات الدراسة بكل سهولة ويسر . كما أنها تركت أمام الباحث الذي يرغب في أن يتصدى لدراسة مثل هذا البحث كشفا ضخما مـن الكتب والمجلات الدورية التي تعينه على فهـم موضوعه . وفي كثير من الحالات فانهـا تدون اقتباسات من تلك الكتب والمجلات بما يبرز وجهـة النظر الرئيسية او الافكـار الاساسيـة لتلـك الموضوعات .

وتبقى الاهمية العظمـى للمـادة التي جمعتهـا جرانكفيست في انها قامت بتدوين مادة فولكلورية في العقد الثالث من هذا القرن وتعود في عمرها الى عدة عقود سابقة ، تلك المادة التي جمعت بصيغتها الخام وبأسلوب علمي يحمي المادة مـن التزييف والعبث وفي وقت لم يكن هناك احد من الباحثين الفولكلوريين أبناء البلاد قـد تصـدى لدراسة التراث الوطني بأسلوب علمي او غـير علمي .

وغدا ، عندما تنشر بالعربية محتويات ذلك الارشيف الذي أعدته جرانكفيست والذي لم يصنف ولـم ينشر بعد ستتضح مدى اهمية ذلك العمل العلمي العظيم الذي وضعت تلك الباحثة الرائدة أسسه في وقت مبكر جدا من عمر البحث الفولكلوري .

نمر سرحان

ان النموذج الاعلامي التالي معروض هنا بصفته تجربة للدراسة ، ولاستخلاص قوانين وقواعد اعلامية في معركتنا المركبة ازاء ما يوصف ، اختصارا ، (وأحيانا تشويها فظا) بأنه « الرأي العام العالمي » . ولعلنا لسنا بحاجة الى اعادة التذكير بأن فهمنا « للرأي العام العالمي » ، ولدور الاعلام الذي على المقاومة الفلسطينية ان تسلكه، هو فهم نابع من تصور سياسي مكتوب ومعلن لطبيعة المعركة التي نخوضها ، وصفتها المحلية والاممية ، وطبيعة القوى المعادية التي تواجهنا ، وبالتالي تقسيم ما يسمى تبسيطا انه « رأي عام عالمي » الى دول متقدمة ودول متخلفة ، والى طبقات ذات مصالح في كل منها ، وفيما بينها . ونتيجة ذلك توجه الاعلام الى القوى المرتبطة مصلحيا بانتصار الثورة . على أن اهمية النموذج التالي هو كونه يدخل الى تفاصيل هذه التعميمات، ويحاول استكشافها بالتجربة ، وبالتالي يضع مقياسا للاجابة على اسئلة من طراز : الى اي مدى يستطيع « حوار الاقناع » ان يصل في الاوساط الليبرالية ، وعلى أي اساس يعتمد تطوره ، وما هي امكانيات نجاحه الجزئي ، على الاقل ، في توضيح التناقضات الثانوية الكامنة في صفوف مثقفي الطبقات الوسطى في اوروبا الغربية ازاء « قضية الشرق الاوسط » .

والنموذج التالي هو « قصة » بسيطة ، وقد جرى اختيارها بالذات بسبب بساطتها : فقد قامت دار نشر دانمركية مستقلة ، بنشر كتاب عن « اطفال اسرائيل » ، في سلسلة دأبت على نشرها عن اطفال العالم . وبما أن الكتاب هذا يشكل نموذجا للتثقيف الصهيوني غير المباشر ، الناتج عن ايمان غير ممتحن بمعطيات الثقافة السائدة ، فقد قامت « لجنة الاعلام المركزية » في ج. ش. ت. ف. بمحاولة لاقناع دار النشر التي اصدرته بسحبه من الاسواق . والقصة التي نحن بصددها هي مجرد تفاصيل هذه المحاولة ، لانها تعكس في الواقع القوانين والقواعد التي تحكم مثل هذه الحالة ، وهي قوانين وقواعد من المهم معرفتها ومعرفة آلية عملها ، ونقاط ضعفها ومقاتلها .

لقد أكدنا على اختيار دار النشر الدانمركية المشار اليها ، والكتاب المشار اليه ، لانهما يمثلان « حالة عادية » — بمعنى : ان دار النشر هذه ليست صهيونية ، ومن المفترض انها لا تخضع لضغط صهيوني مباشر ، وان الدانمرك دولة يعاني مثقفوها وطبقاتها الوسطى اقل من اي دولة اوروبية اخرى من عقدة اللاسامية ، (وهي ضاغط اعلامي ثقيل) وان نشاط دار النشر المشار اليها موجه من قبل وسط ليبرالي ، نحو المدارس التي يفترض ان تكون المواد التي تعتمد عليها ممتحنة من قبل « الرأي العام » الحريص على « نظام تعليمي حر ونظيف » . نحن اذن امام حالة نموذجية ، تمثل ، من جهة ، الحد الادنى من العراقيل التي يتوقع الاعلام الفلسطيني ان يواجهها حين يتوجه الى الرأي العام الاوروبي التقليدي (المتوسط) وتمثل من جهة اخرى الحد الاعلى من النتائج التي على الاعلام الفلسطيني ان يتوقعها من « حوار اقناع » عقلاني مع هذا الرأي العام الاوروبي في مستواه التقليدي (المتوسط) . فما هي الحصيلة ؟ ان دار النشر المسماة : «Laererforeningernes Materialeudvalg» والتي سنرمز اليها في هذا المقال بحرفي (ل. م.) مختصة بنشر كتب للاطفال ، توزع على مكتبات المدارس الابتدائية بصورة خاصة ، وتعتمد كمادة تعليمية . وقد نشرت كتاب « **الاطفال في اسرائيل** »، وهو موجه في الغالب للاطفال الدانمركيين (والسكندنافيين اجمالا) الذين تتراوح اعمارهم بين ثماني وعشر سنوات . وعند اطلاعها على الكتاب ، وجهت لجنة الاعلام المركزية في ج. ش. ت. ف ، الرسالة التالية الى (ل. م.) في أول شباط ١٩٧١ :

« وقعت بين أيدينا نسخة من كتابكم « الاطفال في اسرائيل » ، الذي كتبه « انغار وكيلد فرنكيلد » ونشرتموه عام ١٩٦٤ ، ثم عام ١٩٦٧ ، وفهمنا انه اعيد توزيعه مؤخرا على نطاق واسع في المدارس الابتدائية في الدانمرك وبلدان اسكندنافية اخرى . ان قراءتنا لهذا الكتاب ، المحرض على العنصرية والكراهية ، والذي هو وجه اخر من وجوه فاشية عرقية يجري بعثها في العقول البريئة العزلاء لاطفال بلادكم ، ضد الاطفال العرب ، هي التي

دفعتنا للكتابة لكم ، طالبين منكم سحب الكتاب ، والتخلي عنه ، والكف عن المشاركة في عملية غسل الدماغ البشعة التي تستهدف اطفالكم ، ضد اطفال شعبنا ، وبالتالي شعبنا كله .

ان « الامجاد » التي ساقها مؤلفا كتابكم لاسرائيل مبنية في مجموعها على احتقار لا يصدق للعرب ، والصور التي نشرتموها للاطفال العرب لا يمكن ان توصف الا بأنها اختيار منحاز قام به عقل مريض يجب معاقبته او علاجه ، فهي ليست صورا مزورة فحسب ، بل هي تكريس للوجه المعاصر والكريه للاسامية ، بمعنى التحريض على كراهية العرب .

ان كتابكم ، من وجهة نظر سياسية وتربوية واخلاقية ، هو عار نسألكم العمل على ايقاف فعاليته في عقول اطفال بلادكم ، واذا كان هذا يعني اننا نتهمكم بالمشاركة في حملة الكراهية ، ضد جماهير شعبنا ، فاننا لا نطلب منكم ايقاف هذه الحملة عن طريق سحب الكتاب والتخلي عنه ، فقط ، ولكن ايضا « بالاعتذار علنا » عنه .

ان اسرائيل ، كدولة عدوانية قامت بالقمع المسلح والارهاب ، وعلى جثث الالاف من رجالنا ، وكذلك اطفالنا ، بحاجة الى مثل هذه الحملة من التضليل لتغطية الجريمة التي ارتكبتها ، ولا ريب ان هذه الحقيقة جديرة بلفت نظركم الى الدور الذي تسهمون به في هذه التغطية ، وهو دور ابشع ما فيه أنه موجه للاطفال الدانمركيين ، في عملية غسل دماغ انتهازية ومنحطة .

ويهمنا — قبل ان نوزع هذه الرسالة على نطاق واسع ، وفي كل مكان — ان نسمع وجهة نظركم . وقراركم ، بشأن هذا الكتاب المخجل . »

وكان علينا أن ننتظر حتى منتصف اذار ، لنتلقى من دار النشر (ل.م.) الرسالة التالية : « تلقينا رسالتكم المؤرخة في اول شباط ١٩٧١ ، وقد جرى تحويلها الى لجنتنا الرئيسية لانها تحتوي نقدا صارما واساسيا ضد احد الكتب التي قمنا بنشرها، وقد طلبنا من اللجنة ان تناقش المسألة. وبالطبع ، فنحن مدركون لتوتر الموقف في الشرق الاوسط بين الاسرائيليين والعرب ، ولكننا لا نعتقد بأن ذلك يجب ان يمنعنا من نشر كتب تصف الظروف في تلك المنطقة .

ان الكتاب الذي تنتقدونه هو واحد من سلسلة تحتوي على ١٢ كتابا ، وجميعها تصف حياة طفلين في بلد اجنبي ، وعادة يكون هذان الطفلان شقيقين. وهكذا فاننا حين ننشر كتابا عن الاطفال في اسرائيل فانه من غير الممكن اجتناب كون الطفلين الاسرائيليين يصبحان موضوعا رئيسيا ، ومع ذلك فان المؤلفين قد وضعا نصب اعينهما وصف اوضاع الاطفال العرب في البلاد ، وذلك بالاشارة اليهم عدة مرات .

لقد درسنا الكتاب باعتناء ، ولم نجد انه يحتوي بصورة مباشرة على معلومات خاطئة ، ولكن اذا كان هنالك خطأ ، فاننا نكون شاكرين لو جرى اعلامنا بمثل تلك الاخطاء الحقيقية .

وفي سبيل الحصول على صورة افضل واوسع ، بالنسبة للاوضاع في المنطقة ، فاننا نرحب بأية اشارة الى مؤلف يكون قادرا على كتابة كتاب جديد في السلسلة حول الاطفال العرب في مخيمات اللاجئين . ان كتابا من هذا النوع سيكون مفيدا جدا ، ونحن نرغب جدا في نشر كتاب الاطفال اللاجئين بمناسبة السنة العالمية للاجئين . وبما أننا لا نعرف مثل هذا المؤلف ، فاننا نرغب في الحصول على اقتراح من طرفكم ، وربما تستطيعون تقديم كتاب مترجم ، ومهما يكن فاننا نطلب ان يكون تناول الموضوع في كتاب مثل هذا موضوعيا قدر الامكان . والى جانب هذا ، ونتيجة طلبكم ، فان اللجنة قد قررت القيام بمراجعة نقدية للكتب الـ ١٢ ، وذلك ، من جهة اولى ، لحذف الموضوعات القديمة ، ومن جهة اخرى لحذف المعلومات الخاطئة . وقد اختيرت لجنة فرعية لمراجعة الكتب الـ ١٢ بدقة ، مرة بعد مرة ، واثر ذلك سيتقرر فيما اذا كانت هذه الكتب سيعاد تحريرها ، او تسحب من التداول عند نفاذ النسخ (؟!)

وبالنسبة لهذا الامر ، فانه يسعدنا ان تشيروا الى المقاطع التي تتضمن معلومات خاطئة في كتاب « الاطفال في اسرائيل » ، وكذلك الصور . »

ولم تكن هذه الرسالة غير متوقعة ، فذلك هو الاسلوب التقليدي للتخلص من الحوار المباشر ، ولكن ما لم تشر اليه الرسالة ، هو آن رسالة الجبهة ، التي قرئت في اجتماع اللجنة المشار

اليها ، قد اثارت لدى بعض عناصر اللجنة شعورا بأن التناول العنصري ليس وقفا على كتاب «الاطفال في اسرائيل» ، بل انه يشمل كتبا اخرى في السلسلة ، وهكذا جرى طرح الموضوع من جذوره : جدارة المؤلفين ، وصدقهم ، وكفاءاتهم كمعلمين . ومع ذلك ، فان لجنة الاعلام المركزية في ج. ش. ت. ف ، دفعت بالحوار خطوة الى الامام ، واستجابت لتحدي الرسالة التي بعثت بها دار النشر ، وردت بالرسالة المطولة التالية :

« وصلتنا رسالتكم المؤرخة في ٦ اذار ١٩٧١ ردا على الرسالة التي بعثنا بها لكم في ١ شباط ١٩٧١ حول الكتاب الذي اصدرتموه بعنوان « الاطفال في اسرائيل » ، ونحن اذ نشكركم على هذه الرسالة التي ابديتم بها اهتمامكم بالمسألة ، فاننا نود ان نجيبكم على ما أثرتموه في رسالتكم وذلك بالنقاط التالية :

١ — لقد قلتم انكم لا تعتقدون ان حراجة الموقف في الشرق الاوسط ينبغي ان تمنعكم من اصدار كتب تصف الظروف في المنطقة ، وقد استغربنا جدا هذه الملاحظة لانها خارجة كليا عن الموضوع ، ولم يرد في رسالتنا اشارة يمكن ان يفهم منها ذلك ، ونحن على العكس نعتقد انه **بسبب** حراجة الموقف **لا بد** من نشر كتب تصف الظروف واعتراضنا منصب على **موضوعية** تلك الكتب ، وعلى مدى ما تقدمه من أي خدمة للسلام والحقيقة والعدل ، وكتابكم يفعل العكس .

٢ — يبدو من رسالتكم انكم تتوقعون منا أن نكون على غاية الاكتفاء لان مؤلف كتاب « الاطفال في اسرائيل » مر عدة مرات على **ذكر** الاطفال العرب ووصف حالتهم ، والواقع ان اعتراضنا منصب هنا بالضبط ، اذ ان ذلك الذكر على وجه التحديد يمتلىء بالنظرة العنصرية والاستعلائية ولا يستهدف الا التشويه ، واظهار **تفوق** الطفل الاسرائيلي بمقارنته بالطفل العربي ، ولا شك تعلمون أن هذا النوع من التناول هو بقايا الثقافة الاستعمارية التي ينبغي لدار نشر تتعامل مع عقول الاطفال البريئة العمل على استبعادها .

٣ — قلتم انكم نظرتم في الكتاب **باعتناء** ولكنكم لم تروا انه يحتوي على معلومات خاطئة **مباشرة** (هل يعني ذلك انكم تعترفون بمعلومات خاطئة غير مباشرة ، ان ذلك اشد خطرا ، لانه ينتهي الى تضليل غير واع) ، وطلبتم منا ان نشير الى مثل تلك الاخطاء . سنفعل ذلك بسرور بالرغم من اننا نشعر بالاسف حقا لكونكم لم تلحظوا مثل تلك الاخطاء بعد ان نظرتم في الكتاب **باعتناء** ، ذلك ان مثل تلك الاخطاء اشد وضوحا من ان تحتاج روايتها الى عناية غير عادية ، كما ستلاحظون :

— اولا : لدينا الامثلة التالية : ١ — « فقط منذ ١٦ سنة اصبحت اسرائيل بلد اليهود ، وطوال الوقت الذي امتد قبل ذلك كانت الارض غير مزروعة ، وكانت تتهدد الناس الذين جاؤوا للاستقرار فيها اخطار عديدة » (ص ٤ — ٥) . ٢ — « وعندما كان اليهود بعيدين عن **بلدهم** ، فانهم كانوا لا يسمعون لغتهم الا في الكنيس » (ص ١٠) . ٣ — « وقد كنا نحلم طوال الوقت بأرض خصبة ، وحقول قمح وبيارات برتقال ، ولكن لم يكن ثمة الا الغبار والرمال » (ص ١٤) .

ان هذه المقاطع ، وكثير غيرها (نأمل أن تلاحظوها) تتجنب — بما يعتقد انه براعة فائقة — ذكر اسم فلسطين والفلسطينيين ، ومع اننا لا نعتقد ان هذا التجاهل يخدم « الموضوعية » التي تتحدثون عنها في رسالتكم ، فانه بوسعنا ان نلاحظ ايضا النظرية الاستعمارية التي تقوم عليها الحركة الصهيونية ، والتي تكررها بلا تعب ، ولكن ايضا بتعمد ، بالرغم من انف حقائق التاريخ ، وهي ان فلسطين (التي تسمونها في ص ١٧ « اسرائيل » حتى قبل ان يطلق عليها هذا الاسم في ١٩٤٨ !) كانت ارضا غير مزروعة ، مليئة بالرمل والخطر ، وهي — كما تعلمون — نظرية استخدمها المستعمرون دائما لتبرير استعباد الشعوب الاخرى واضطهادها .

ان هذا تكررونه في ص ١٥ وص ١٦ وص ١٩ وص ٢٢ ، وهو يشكل القاعدة الكاذبة التي على اساسها يجري بذر الفكر الاستعماري الاستعلائي في عقول الناشئة ، حيث يراد لكلمتي تقدم وتخلف ان تعنيا استعبادا وعبودية .

● ثانيا : ولدينا طراز آخر من الامثلة : « ان العرب لا يحبوننا ، ذلك انهم يعتقدون ان الارض التي اخذناها هي ارضهم » (ص ١٥) . « انهم العرب الذين قالوا انهم سيأخذون الارض منا .. قالوا اننا اذا حصلنا على ارضنا فانهم سيهاجموننا ، وفي اليوم التالي عبروا الحدود الجديدة .. ولكننا لحسن الحظ ارغمنا العرب على الخروج ... » (ص ١٧) . « لماذا يوجد عرب في بلادنا ؟... ان كثيرا من العرب الذين عاشوا في اسرائيل (!) قد

هربوا عندما اشتعلت الحرب » (ص ١٧) .

هذه نماذج اخرى من التضليل الذي يشوه التاريخ فحين يجيء الحديث عن حق الفلسطينيين تستخدم كلمات مثل « يعتقدون » و« عبروا الحدود » ، وحين يتحدث الاسرائيليون عن ذلك فالكلمات التي تستخدم هي « ارضنا » و« طردناهم خارج الحدود » و« هربوا » .

يجب على المرء ان يكون غائبا كليا عن العصر كي لا يلحظ الانحياز والتضليل في هذه العبارات ، او على الاقل يجب ان يكون جاهلا كليا للموضوع الذي يكتب عنه ، انكم تقدمون شعبنا الذي عاش على ارض فلسطين آلاف السنين ، وامتزج تاريخه بها ، وأنشأ فيها حضارات وثقافات ، انكم تقدمونه وكأنه مجموعة من العصابات تقتحمه من الخارج . انكم تكتبون تاريخا مذهلا في بعده عن التاريخ !

● ثالثا : ان نظرة الكتاب للعرب ، (بعد ان يحذف اسم الفلسطينيين من كتاب تثقيني للاطفال يبحث جوهريا في قضية فلسطين) هي نظرة عنصرية محضة ، فهي ليست مبنية فقط على وجهة النظر الاستعمارية التقليدية التي تنظر للسكان التقليديين كبشر من المرتبة الثانية ، ولكنها ايضا تضع مقدرتهم على التطور موضع التساؤل ، وتعطي للاستعمار الاسكاني ، وهو أحط اشكال القهر والاستغلال ، طابع الرسالة — **« علينا ان نحاول مساعدة العرب الذين يعيشون هنا ، لانهم لم يتعلموا قدر ما تعلمنا ، واذا كانوا سيساعدوننا في زراعة الارض فعلينا اولا ان نعلمهم كيف يفعلون ذلك »** (ص ١٧) . ويأخذ هذا الاستعلاء المبني على الاستغلال طابع الوقاحة حين يضع القيمة الانسانية للعرب موضع التساؤل : **« ان الكثير من اليهود غير صبورين مع العرب ، وهم يقولون : من غير المفيد تعليم العرب اي شيء ، انهم لا يستطيعون ولا يريدون ان يتعلموا ، ولكن والد موسى لا يعتقد ذلك .. »** (ص ٣٨) وبالطبع فان القهر والاضطهاد والمجتمع العنصري ، بعد ذلك ، يصبح له تفسير طريف : **« ان بعض اليهود والعرب في اسرائيل لا يحبون بعضهم ، الاطفال اليهود والاطفال العرب لا يذهبون الى المدارس ذاتها »** (ص ١٧) ان هذه الحقيقة موجودة في جنوب افريقيا ، ولها في قاموس الموضوعية اسم آخر ، والا فما معنى : **« ان الاطفال العرب يركضون ... وهم قذرون جداً »** (ص ٣٧) وأنه **« في البيت العربي لا تشاهد الزوجة ، فهي تبقى في المطبخ »** (ص ٣٧) وطبعا حين تمر فتاة يهودية في القرية **« تقترب منها طفلة عربية تتلمس ثوبها الجميل النظيف »** (ص ٣٩) .

● رابعا : ولو كان هناك حسن نية لدى المؤلف ، لما اختار عن قصد ، في الصفحات ٢٠ و٢٣ و٢٤ و٢٦ و٣٨ صورا « للعرب » ، وهي كل الصور المنشورة عنهم في الكتاب ، جرى اختيارها بدقة (ولا نعتقد بالصدفة) لتثبيت تلك النظرية الاستعلائية ، فهي ليست صورا قديمة فحسب ، ولكنها مأخوذة كلها من البادية ، حيث لا علاقة للامر بالقضية الفلسطينية ، ولكن اختيارها جرى لعرض صورة مناقضة للصور التي نشرت عن اسرائيل ، والتي — كعادة المستعمرين — تظهر تلك النظافة والصحة والبراءة والطهارة والحضارة المحاطة بالبرابرة وبخطر ارتداد الهمجية !

اننا لا نفهم ، كيف انه ، في وجود طوفانات من الصور التي تمثل جميع أوجه الحياة في البلاد العربية ، اضطر المؤلف في صفحة ٣٨ اختيار صور من كتب ويلفرد تسيغر عن الجزيرة العربية ، لطفلين من جنوب اليمن ، التقطت في وقت غير معروف ، وبوضع مدهش وغير مألوف ، ليوحي وكأنها لطفلين عربيين من فلسطين !

ألا تلاحظون ، حتى هنا ، معنى الانحياز الذي اشرنا اليه ؟

٤ — ثمة تقليد حديث في بلادكم ، يجيز للسلطة سحب الكتب التي توصف بأنها كتب لاسامية ، واننا اذ نعتقد بأن هذا التقليد هو من الدروس المفيدة القليلة التي تعلمها الغرب في مآسي نصف القرن الماضي ، فاننا نأسف كثيرا لان هذا التقليد لم يعترف حتى الان بأن « كراهية العرب » هي شكل جديد من اللاسامية . ولذلك فان المبادرة الشجاعة ، من قبل الافراد والمؤسسات ، لها قيمة طلائعية تستحق الاعجاب ، في هذا الصدد ، اذا ما استطاعوا القيام بها .

لم يكن قصدنا من هذه الرسالة الدخول في مناقشة لكل ما ورد في الكتاب ، اذ ان ذلك يفترض ان يكون واضحا لديكم الان . ان اهتمامنا بهذا الكتاب بالذات هو بالدرجة الاولى لكونه يهاجم عقولا بريئة غير قادرة على الدفاع عن نفسها ،

ولا على اجراء اختبار للمعلومات التي يجري تلقينها لها ، وذلك لاعدادها لتكون معادية للعرب بحكم العادة ، وبمعزل عن الموضوعية .

اننا نتهم كاتبي هذا الكتاب بتعمد تشويه العرب والفلسطينيين ، وتمجيد موجة استعمارية جاءت على بحر من الدم ، وبنيت فوق جماجم جماهيرنا ، وعاشت حتى الان على القهر والاستعباد والاستغلال ، وكانت نتيجتها مئات الالوف من اللاجئين الذين طردوا تحت ارهاب الصهيونية ، والذين لم يذكر كتابكم عنهم حرفا واحدا .

لقد كان من المفروض ان يشرح الكتاب لاطفال بلادكم السبب الذي دفع اليهود للهجرة الى فلسطين ، الا انكم تجاهلتم ذلك ، لان مثل هذا السبب سيلفت نظر اطفالكم مبكرا الى جوهر المشكلة ، ويدين بالتالي طرازا من التفكير الاستعماري المبني على العنصرية والاضطهاد قاد اوروبا الى سلسلة مذابح ضد اليهود ، وما زال يستخدم بجرأة متناهية ، حتى الان ، في حملة الكراهية المضادة — هذه المرة — للعرب .

ان ما يجري هو انكم تسهمون في غسل دماغ اطفالكم الابرياء ، بنفس النوع من الثقافة التي انتجت على مدار التاريخ كل مآسي الانسان سواء أكان هذا الانسان يهوديا او مسيحيا او مسلما ، ان الحقيقة هي انكم تخدمون ، في هذا الكتاب ، حلقة اولى من حلقات النفوذ الفكري الذي تمارسه العقلية الرجعية للحركة الصهيونية ، ليس فقط عن طريق تشويه حقائق التاريخ (وهي احد اعمدة سطوة الاعلام الاسرائيلي) ولكن ايضا عن طريق ترويج الفكر الاستعماري الذي — على همجيته وفاشستيته وقمعه — يعطي نفسه طابع الرسالة ، ويروج منطق احتقار شعوب العالم الثالث .

ان هذا المنطق ينتظم كتابكم من اوله الى آخره ، ولو اعطي هذا الكتاب لشخص عنده الحد الادنى من المعلومات عن قضية فلسطين ، وعن أسلوب الدعاية الصهيوني ، وكان حيادياً بالمعنى العلمي ، لاظهر لكم ببساطة الاعمدة الاربعة التي يقوم عليها كتابكم : ١ — التضليل والتشويه التاريخي . ٢ — التأكيد على التفوق الاسرائيلي . ٣ — زرع فكرة « الانسان من الدرجة الثانية » بما يخص العرب . ٤ — اظهار البنية العسكرية للمجتمع الاسرائيلي بصبغة مجتمع غزو وكأنها مسألة « دفاعية » ناتجة عن ذلك الصدام بين « التقدم » و« البربرية » ! وفي سبيل ذلك فالكتاب لا يستخدم اسلوبا بارعا للتغرير بعقول الاطفال فحسب ، بل يستنجد بالصور لتحقيق ذلك .

اننا نكرر طلبنا منكم ان تسحبوا الكتاب من التداول من بين أيدي اطفالكم ، فالالام التي يسببها مثل هذا الكتاب ، بصورة غير مباشرة ، لاطفال شعبنا وشعبنا برمته، ولقضية العدل والسلام في العالم، يجب ان تحفزكم على سحبه .

٥ — وبالطبع لدينا أسماء مؤسسات عربية يمكنكم الاتصال بها ، وسؤالها عما اذا كانت ترغب في الاسهام بمشروعكم وكتابة كتاب او ترشيح من يكتب كتابا عن الاطفال الفلسطينيين ، ونستطيع ان نضمن لكم موضوعية هذه المصادر (هذا الشرط الذي طلبتموه دون ان تطبقوه على كتابكم «الاطفال في اسرائيل ») ، وبوسعكم طلب المشورة من « مركز الابحاث الفلسطيني » ومن « رابطة ٥ حزيران » او من « لجنة السيدات العربيات للاعلام » في بيروت .

٦ — وبالاضافة لذلك نقترح عليكم تفحص امكانيات نشر كتاب موضوعي عن « الاطفال العرب في اسرائيل » ، او ليكن اختياركم في المرة القادمة طفلين من اليهود الشرقيين في اسرائيل ، لنقل الصورة الموضوعية .

وثمة اسماء كثيرة يمكنكم الاتصال بها لاسداء النصيحة لكم فيما يتعلق بكتب من هذا النوع ، كثير منها — طالما ان الامر يهمكم من هذه الزاوية — أسماء يهودية ، تعرف اليهودية جيدا ، وكذلك تعرف الصهيونية ، واسرائيل ، والجرائم التي ارتكبت بحق شعب فلسطين . وبوسعكم سؤال موشيه منوحين او قراءة مؤلفاته ، وكذلك ألمر برغر ، وعلى الطرف الاخر بوسعكم سؤال مكسيم رودنسون ، او آنيا فرانكوس ، واذا شئتم الذهاب ابعد الى اليسار فهناك ماير فلنر وموشيه ماخوفر وعكيفا اور . على اننا نؤكد لكم ان « الموضوعية » لا تعتنق دينا خاصا ، ولا تحمل جواز سفر معين ، ولكنها تشق طريقها حين يكون وراءها عقل جسور ، وعلمي .

اننا نثق بقدرتكم على الاحتفاظ لمؤسستكم بصفتها التعليمية ، والموضوعية . وننتظر منكم جوابا . »

وهذه المرة تأخر جواب دار « ل. م. » للنشر الى

١٢ تشرين الاول ١٩٧١ ! في البدء قيل ان الرسالة لم تصلهم ، وقد جرى ارسال رسالة اخرى باليد ، وبعد انتظار طويل ، جاء الرد :

« نشكركم كثيرا على رسالتكم غير المؤرخة (!) التي تسلمناها بواسطة (...) ويبدو ان الرسالة الاصلية قد ضاعت ، لاننا لم نتسلمها اطلاقا .

بعد استلامنا رسالتكم الاولى ، قامت لجنة النشر التابعة لاتحاد المعلمين بتأليف لجنة عمل للقيام بدراسة لجميع كتبنا الـ ١٢ ، بما في ذلك « الاطفال في اسرائيل » . لقد درست لجنة العمل هذه رسالتيكم دراسة دقيقة ، وناقشت جميع النقاط التي أثرتموها . وفي ٢٨ ايلول الماضي جرى تقديم النتائج التي توصلت اليها لجنة العمل الى المكتب الرئيسي للجنة النشر ، التي تلقت بدورها نسخة عن رسالتكم . وبعد مناقشة شاملة قرر المكتب انه يجب مراجعة واعادة تحرير كتاب « الاطفال في اسرائيل » فور انتهاء بيع النسخ المطبوعة منه ، وسنقوم الان بابلاغ المؤلفين بضرورة الشروع بالمراجعة ، بعد ان جرى اطلاعهما ، بالطبع ، على اعتراضاتكم . وما زلنا ، بالاضافة لذلك ، نرغب بنشر كتاب آخر عن الاطفال العرب، ونشكركم على المقترحات التي وردت في رسالتكم.»
هذا كل شيء !

الكتاب لن يسحب ولكن سيجري بيعه ، وبعد ذلك سيقوم نفس المؤلفين بمراجعته ليطبع مرة اخرى ، والرسالة التي بعثت بها دار النشر لم تتطرق الى الرد على اية نقطة اثيرت في رسالة النقد التي بعثت بها الجبهة ، ولم يقل ما هو الرأي الذي كان يعارض ، وما هي نقاطه .

اذن هل كانت المسألة اضاعة وقت ليس الا ؟ ليس تماما ، لان تفاعل نتائج ذلك كله كان يمضي قدما على صعيد آخر ، ويبدو ان سبب تأخر جواب دار (ل. م.) للنشر لم يكن بسبب ضياع مزعوم لرسالة الجبهة ، ولكن بسبب انفجار جزئي لمأزق داخل اللجنة التي جرى تكليفها بمراجعة الكتاب ، وهو مأزق لم يكن من الممكن حصاره ، فانطلق الى صحف ومجلات التعليم في الدانمرك ، ومنها — ولو جزئيا — الى الصحف الاخرى !

ان دار (ل. م.) للنشر ، هي دار تأخذ على عاتقها طبع ونشر مواد تعليمية على المؤسسات والمدارس والمراكز التربوية في الدانمرك ، وتتشكل لجنتها الرئيسية من ممثلين عن ١٧ منظمة تعليمية في البلاد ، بالاضافة الى ١٥ شخصا يجري اختيارهم من المستقلين وعلى ضوء كفاءاتهم التربوية . اما التمويل فان المنظمات التربوية الممثلة فيها ، بالاضافة الى وزارة الثقافة ، توفر الرأسمال ، فيما تقوم اللجنة الرئيسية المشكلة من الـ ٣٢ عضوا الذين ذكرناهم ، بانتخاب اربعة اشخاص يشكلون مجلس ادارتها .

وعندما وصلت رسالة الجبهة الشعبية الى مجلس الادارة ، جرى في اجتماع حضره عدد من اللجنة الرئيسية ، انتخاب ما سمي بلجنة عمل لمتابعة دراسة المسألة . ورغم ان لجنة العمل اتخذت قرارات متفقة تماما مع رسالة الجبهة ، وتستند الى نفس الحيثيات التي وردت في رسالة الجبهة ، فان هذه القرارات ، حين وصلت الى اللجنة الرئيسية ، اهملت كليا ، واتخذ ذلك القرار المجتزأ الذي عبرت عنه رسالة رئيس ل. م. الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

ولكن شريط التطورات كان يتخذ سياقا آخر . فلنتابعه :

في ٧ أيار ١٩٧١ ظهر في جريدة « بوليتيكن » مقال قصير كتبته سيدة تدعى آن ماري غليستروب ، تساءلت فيه عن صحة المعلومات الواردة في كتاب « الاطفال في اسرائيل » ، ولكنها ركزت نقدها على هذا الكتاب بالذات : صوره والمعلومات المنحازة التي فيه ، وربما لكونها ناقدة كتب الاطفال في الجريدة المذكورة ، فقد اعتبرت هذا الكتاب بالذات استثناء بين كتب السلسلة التي تصدرها دار « ل. م. » . وبعد يومين ، شجع المقال هذا اثنين من المعلمين على توجيه رسالة الى دار « ل. م. » للنشر ، نقدا فيها الكتاب المذكور نقدا شديدا ، وقد اشارت الرسالة الى ان ما أورده المقال الذي كتبته السيدة غليستروب ليس كافيا .

ولكن ذلك كله لم يكن سوى البداية . ففي مجلة اسمها « المدارس الشعبية » (فولك سكولن) ، وهي مجلة خاصة بالشؤون التربوية، نشرت رسالة مفتوحة من شخصين هما « السا هامريك » و« كريس ميسل » ، كانا عضوين في لجنة العمل التي شكلتها دار (ل. م.) للنشر ، واعضاء في نفس الوقت بلجنتها الرئيسية ، وقد كشفت هذه الرسالة المفتوحة ، التي نشرت بتاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٧١ ، حقيقة ما جرى وراء الكواليس .

قالت الرسالة :

« في شباط ١٩٧١ ، شكلت ادارة (ل. م.) لجنة عمل لمراجعة سلسلة الكتب التي اصدرتها عن اطفال البلاد الاجنبية ، لتقرر فيما اذا كان المطلوب مراجعة او سحب هذه الكتب ، وقد جرى تشكيل هذه اللجنة في اعقاب مناقشة عن الدور الذي تلعبه هذه الكتب اثارتها رسالة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول كتاب « الاطفال في اسرائيل » تلقتها دار (ل. م.) للنشر .

بعد مراجعة كل كتب السلسلة المذكورة ، أوصت لجنة العمل بضرورة سحب كل مجموعة كتب هذه السلسلة من الاسواق فورا ، وان يجري شرح اسباب سحب هذه الكتب على صفحات المجلات التربوية ، وذلك لفتح حوار حول المواد التعليمية المتعلقة بالعلاقات الدولية .

كان ثمة اقتراح لم يحز الا على اصوات الاقلية ، يقترح مواصلة بيع كتاب « ايسلندا » و« الاطفال في غرينلند » بينما تجري مناقشة خاصة لكتاب « الاطفال في اسرائيل » . وقد استندت توصية الاكثرية بسحب الكتب المذكورة كلها، من الاسواق، على ما يلي :

١ — ان نهج الكتب ازاء الشعوب الاخرى غير مرض ، وجرى تأكيد النقاط التالية : النقطة الرئيسية في هذه الكتب تستند الى مواد قديمة ، هنالك مقارنات مباشرة تنطلق من نظرة تقلل من قيمة التقاليد الاخرى علــى اعتبار ان اسلوب حياتنا نحن هو المثالي ، في امكنة كثيرة جرى تأكيد ان البلدان الفقيرة ليس بوسعها الحياة الا بمساعدة البلدان الغنية ، وقد نظر الى برامج الاعانة في هذه الدول الغنية نظرة تفاؤل مطلــق ، هناك تفسيرات سطحية ومضللة للاوضاع المتخلفة في العالم الفقير ، هنالك اهمال مطلق لواقع الفروق الطبقية داخل ذلك العالم المتخلف ، ان « الحياة العصرية » قدمت غالبا وكأنها جيدة في ذاتها ، وقد عني بها دائما الحياة الاوروبية .

٢ — الى جانب ذلك فقد رأت لجنة العمل ، من الناحية التربوية العادية ، عــدة نقاط سلبية في هذه الكتب : الصور وكلام الصور غير مرضية ، هنالك سوء تقدير للقارىء وذلك بتلقينه مباشرة دون ترك الفرصة له نفسه ليقرر موقفه ، ان هذه الكتب مبنية بصورة غير علمية واختيار المعلومات يجعلها غير جديرة بأن تكون مصدرا موثوقا ، هنالك عدة كتب من هذه السلسلة تتضمن معلومات قديمة لا تستند الى اي مصدر احصائي ، وفي حالة وجود ارقام فانها لا تشير الى الزمن الذي كانت فيه هذه الارقام صحيحة .

وفي الاجتماع الذي عقد مع ممثلي دار (ل. م.) للنشر في ٢٨ أيلول ١٩٧١ ، جرى اقرار ما يلي : « ان الكتب من رقم ١ الى رقم ٨ يجب سحبها فورا من التداول » ، اما السبب الذي ذكر فهو كون هذه الكتب اصبحت قديمة . اما الكتب من رقم ٩ الى ١٢ (وهي من غرينلند ، ألاسكا ، ايسلندا واسرائيل) فسوف يستمر بيعها حتى تنفذ ، وعندها تجري مراجعتها او اعادة تحريرها. ونحن ، كأعضاء في لجنة العمل ، نشعر بأن علينا الاحتجاج لكون قرار لجنة العمل بسحب جميع الكتب لم يجر اتباعه ، ونأسف لان ممثلي دار (ل. م.) اصروا على ربط موقفهم فقط بمسألة قدم او حداثة المعلومات الواردة في هذه الكتب وليس بما نراه اكثر اهمية ، وهو النهج التعليمي والانساني ، على اعتبار اننا ندرك بأن هذا النهج يعرقل مستقبل التفاهم الدولي للطلبة . والى جانب ذلك فنحن نشعر بأن امتناع (ل. م.) عن سحب الكتب واخذ اسبابنا في عين الاعتبار ، قد حال دون نشوء حوار واسع النطاق حول مسألة العلاقات العالمية التي ينبغي توجيه طلابنا نحوها وفق الاساليب التربوية . اننا ، نحن الاثنين ، قد جرى انتخابنا كأعضاء في (ل. م.) ، ونحن لا نمثل منظمة او مجموعة معينة ، ولذلك نتصرف بصورة شخصية ، ونرى أنه طالما انه لن يكون بوسعنا الدفاع عن قرار (ل. م.) فاننا نعلن هنا رغبتنا بالانسحاب من اللجنة الرئيسية لدار النشر المذكورة . »

في نفس المجلة ، العدد ٢٤ كانون الاول ١٩٧١ ، نشر مقال يعلق علــى هذه الرسالة المفتوحة ، ويقترح اعتبار هذه الرسالة بالذات مناسبة لبدء حوار علني حول اساليب التثقيف التضليلي في المدارس الدانمركية ، هذه الاساليب التي تستخدم معلومات ومواقف عنصريــة وغير واقعية حــول الشعوب والبلدان الاجنبية . وأعاد المقال اثارة موضوع كتاب « الاطفال في اسرائيل » ، وأعلن ان الكتاب يجب سحبه من الاسواق فورا لانه مهين وعنصري . وتساءل المقال عما كان حدث لو ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لم توجــه رسالة

الى (ل. م.) حول اسلوب التعليم الذي تتبعه، وهي الرسالة التي أدت الى تشكيل لجنة العمل ، وبالتالي اكتشاف الاخطاء الفادحة في تربية الطلاب على العنصرية والخطأ . واشار المقال الى ان لجنة العمل ، في تقريرها عن كتاب « الاطفال في اسرائيل » قد ذكرت تقريبــا نفس النقاط التي سبقتها رسالة ج. ش. ت. ف. الى تأكيدها . وتساءل المقال عن غاية (ل. م.) من تشكيل لجنة عمل اذا لم يكن في نيتها من الاساس اتباع قرارها ؟ وقال المقال انه في مناقشة جرت في ١٤ أيلول ١٩٧١ في برنامج تعليمي في الراديو الدانمركي (التعليم مهمتنا) قال ممثل (ل. م.) مجيبا على سؤال حول امكانية سحب كتاب « الاطفال في اسرائيل » اذا ما رأت اللجنة انه كتاب سيىء ، فأكد ان قرار لجنة العمل هو شرعي ، وان الكتاب سيسحب اذا ما جرى اقرار ذلك ديمقراطيا . وقال المقال ان احدى المشتركات في المناقشة في الراديو قالت : « ها قد مضت ثمانية شهور على اليوم الذي تلقت فيه (ل. م.) الرسالة من ج. ش. ت. ف. ولم يتخذ قرار بعد ، واننــا نتساءل عما اذا كان الوقت نفسه قد مر ، لو كانت الرسالة موجهة من جهة صهيونية » .

وقد جرى فيما بعد طرد هذه السيدة من عملها في الراديو ، بحجة انها هاجمت السوق الاوروبية المشتركة في احد برامجها للاطفال .

وفي عددها الذي صدر في تشرين الاول ١٩٧١ ، نشرت مجلة « المربون الشبان » (يونغ باديغوغر) مقالا جاء فيه ان كتاب « الاطفال في اسرائيل » كتاب منحاز ، خصوصا الفصل الخاص عن الحرب المستند كليا على اخطاء ، وقال : « من الممكن جمع عدد كبير من المفردات ، في هذا الكتاب ، تتسم بالتمييز العنصري ، وتصبح هذه الحقيقة خطيرة جدا لكونها موجهة الى عقول بريئة عزلاء ». ومضى يقول : « الاستنتاج هو ان على (ل. م.) ان تسحب الكتاب من الاسواق فورا ، وان تبعث بالنسخ التي لم تبع بعد الى المحرقة » .
ولكن دار (ل.م.) لم تصل الى نفس الاستنتاج، كما رأينا ، واتخذت قرارا مغايرا .

وفي عددها التالي (كانون الاول ١٩٧١) عادت المجلة ذاتها الى الموضوع ، فشنت هجوما على «ل. م.» بسبب موقفها من هذه القضية ، وقالت : « ان اللجنة الرئيسية لــ (ل. م.) اجتمعت في ٢٢ شباط ١٩٧١ ، وكان على رأس جدول اعمالها رسالة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول كتاب « الاطفال في اسرائيل » الذي وصفته الجبهة بأنه عنصري ضد العرب داخل وخارج اسرائيل ، وقد جرى تشكيل لجنة عمل لدراسة هذه التهمة ». وذكرت المجلة ان قرار لجنة العمل كان سحب جميع الكتب التي اصدرتها دار (ل. م.) من التداول فورا ، ثم عددت الاسباب التي استندت اليها لجنة العمل، مؤكدة على اهمية الحوار العلني المستهدف من وراء هذا العمــل ، في المجلات التربويــة والتعليمية ، لاستخلاص الدروس ، ولمنع كتب اخرى مماثلة . وقالت المجلة انه في جلسة ايلول حضر ١٩ عضوا فقط من اصل ٣٣ ، وصوت ٧ مع و٢ ضد القرار الذي اشير اليه سابقا ، فيما امتنع الاخرون عن التصويت . وقالت المجلة انه « في ١٠ تشرين الاول انسحب العضوان اللذان كانا ضد القرار ، وفي ٨ تشرين الثاني تبين ان جميع الكتب التي اصدرتها دار (ل. م.) ما تزال قيد البيع ، وانها لم تسحب . » وانتهزت المجلة الفرصة لتوجه نقدا شديدا الى اسلوب عمل دار (ل. م.) للنشر ، واقترحت نظامــا جديدا للدار ، طالبت المربين باتباعه بدل النظام الخاطىء القائم والذي يجعل ارتكاب مثل تلك الاخطاء ميسورا . وانتهت المجلة الى قرار : ان « المربين الشبان » لا يجدون اي مبرر لبقائهم ممثلين في اللجنة الرئيسية ، ولذلك فان ممثل منظمة المربين الشبان في (ل. م.) يعلن انسحابه الفوري منها .

وشرعت المجلة نفسها بنشر سلسلة من مقالات النقد ضد بعض الكتب التي اصدرتها الدار ، وان قراءة سريعة لهذه المقالات تظهر بأن الاطفال العرب لم يكونوا وحدهم مادة التمييز العنصري في سلاسل الدار المذكورة ، ولكن اطفال العالم المتخلف كله ! وفي ٦ كانون الثاني ١٩٧٢ ظهر فجأة في مجلة « اكسترا بلادت » ، وهي اكبر صحف الظهيرة في الدانمرك مقال عنوانه العريض : « دار ل. م. للنشر ، تنشر كتبا عنصرية » . واشار المقال في مطلعه الى ان « المعلمين الشبان في الدانمرك يحتجون بشدة هذه الايام على عملية التضليل العنصرية التي تتعرض لها عقول الاطفال العزلاء » وركز المقال على ان المعلمين يطالبون بضرورة سحب

الكتاب ، الذي يتحدث عن اطفال اسرائيل فورا من المكتبات ، وان ادارة ل. م. لم تكترث بهذه المطالب .

وقالت معلمة لكاتب المقال المذكور : « كنت احاول تدريس الاطفال شيئا عن الاطفال اليهود ، حين رأيت في ذلك الكتاب شكلا فاضحا من اشكال العنصرية ضد العرب ، وحملة كراهية ضدهم » . وقالت المعلمة ان امتناع (ل. م.) عن سحب الكتاب ، في رأيها ، يعود الى سببين رئيسيين ، الاول هو سبب اقتصادي، والثاني هو كون احداث الكتاب تتعلق ببلاد بعيدة لا تعني الرأي العام ولا يهتم بها ، من وجهة نظر دار النشر .

وقال معلم آخر لكاتب المقال ان الحملة العنصرية ضد العرب في الكتاب المذكور مثال واحد فقط على العقلية التي يجري فيها تناول شؤون العالم النامي .

وأورد المعلمان نماذج من كتب اطفال مختلفة تدرس في مدارس الدانمرك حول الاطفال الاسرائيليين والعرب ، تحتوي على حملة عنصريةضد العرب ، وقالت المعلمة المشار اليها : « ان واجبي كمربية ان ارفض واقاوم محاولات زرع فكرة ان العرب بشر من الدرجة الثانية » !

وبالرغم من ان صمت (ل. م.) استمر وقتا طويلا ، الا انه فجاة ظهر اول رد للدار في مقال نشر في جريدة « اكتويلت » وهي ناطقة بلسان الاشتراكيين الديمقراطيين ، كان عنوانه : « من الذي يقرر ماذا يجب ان تحتوي الكتب المدرسية الدانمركية ؟ » .

وقال كاتب المقال « ان الجبهة الشعبية طالبت (ل. م.) بضرورة سحب كتاب « الاطفال في اسرائيل » من المدارس الدانمركية لانه عنصري »، وقال ان اللجنة التعليمية البرلمانية قد طرحت على وزير التعليم الدانمركي سؤالا يتعلق بموقف الحكومة الدانمركية من مثل هذه المطالب ، وماذا يجب ان يفعل .

وطالبت اللجنة البرلمانية بمعرفة امكانات وضع حد لكل اشكال الضغوط على (ل. م.) من قبل جماعات او منظمات .

ونشرت المجلة على لسان مسؤول في (ل. م.) « ان ١٦ منظمة تعليمية قد قامت بمراجعة الكتاب المذكور ، وانها بعثت لـ (ل. م.) بآرائها ، ومقترحاتها ، وهي آراء ومقترحات سيجري على ضوئها اعادة تحرير الكتاب » ، ولكنه اكد ان الكتاب ليس عنصريا .

وقالت الجريدة : « انه من الخطر الشديد الانصياع لاراء منظمات اجنبية حول ما يجب ان يكتب في الكتب المدرسية الدانمركية » .

وفي تاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٢ ظهر مقال آخر في مجلة «الاطفال والشباب» التيتصدرها منظمة الفتيان الدانمركية ، وهي من منظمات الدولة الاجتماعية ، كتبته معلمة دانمركية تدعى « ميني جوهانسون »، عنوانه : « الفلسطينيون مضطهدون في الكتب التعليمية الدانمركية » . واعاد المقال طرح الموضوع من اساسه ، واشارت كاتبته الى الكمية غير العادية من الكتب والمجلات التي تهدف ليس فقط الى تبرير السيطرة الصهيونية على فلسطين ، ولكن الى محو اسم « الفلسطينيين » من التاريخ . ووجه المقال نقدا لاسلوب التعليم حين يجيء الى القضية الفلسطينية ، متحدثا باسهاب عن اسطورة « تحويل الصحراء الى جنات » واساطير اخرى من هذا الطراز هدفها بناء قيم مزيفة ومنحرفة عند الاطفال . وكشفت الكاتبة عن كتب اخرى ، موجهة للاطفال وللفتيان في المدارس الدانمركية ، حول اسرائيل ، تدور كلها على نفس المحاور الذي يدور عليها كتاب « الاطفال في اسرائيل » ، وتشترك كلها بمستوى من التضليل والتزوير لا يجوز تجاهله بعد .

ان القضية ما تزال تتطور ، ويبدو ان دار النشر قد اصبحت الان في الزاوية ، وحتى محاولاتها لاثارة المسألة برلمانيا لم تنجح ، لان عددا من اعضاء اللجنة البرلمانية للتعليم اكتشفوا سلفا انه لن يكون بوسعهم الدفاع عن مثل ذلك الكتاب. طبعا اننا ندرك ان معجزة ما لن تحدث ، وان اساليب التعليم المنحازة ، التي تعبر عن مصالح الطبقة السائدة ، لن يجري تغييرها بالاقتناع ، ولكن تجربة من هذا النوع تطرح كمية غير محدودة من الدروس والقواعد التي تخدم في ارساء خطط عمل في المستقبل .

ولن نقوم ها هنا بمحاولة لتلخيص هذه الدروس ، ولكن يهمنا الاشارة ، بالدرجة الاولى ، الى انه حين تتبلور معركة ما على صعيد الاعلام ، فانها

تأخذ على الفور شكل المواجهة بين يمين ويسار في المجتمع الذي تجري فيه ، وتتوزع المهمات والمواقف حسب المصالح على الفور ، وهذا يعني انه لا يمكن ربح معركة اعلامية اذا لم يكن من المخطط لها في الاساس زج العناصر اليسارية في البلد المعني وسطها ، وتركها بصورة كاملة ، تقريبا ، لتحفر مجراها داخل التناقضات القائمة في ذلك المجتمع ، وليس فوقها ، وبمعزل عنها .

ونحن نرى ، على الفور ، ان اية قضية اعلامية عربية (مثلها مثل كل القضايا النضالية) يمكن ان تتبلور بالتدريج كقضية قائمة وحارة وسط المجتمع الاوروبي الذي تثار فيه ومرتبطة بالمسائل التي يعيشها يوميا ، وليست قضية هامشية من المفترض ان يتخذ ازاءها موقفا اخلاقيا لا يتعلق مباشرة بمصالحه ، وقد رأينا كيف ان قضية كتاب « الاطفال في اسرائيل » لم تعد ، فقط ، مسألة موقف من الصهيونية او من العرب ، بل أصبحت جزءا من معركة ضد هيمنة القوى الرجعية وبنيتها الثقافية والتعليمية ، داخل الدانمرك ، وبينها وبين دول العالم النامي .

ولهذا فان معركة من هذا النوع تحتاج الى تفجير بادىء ذي بدء ، ثم تحتاج متابعتها الى ربطها بمصالح وآراء ومواقف القوى اليسارية في المجتمع الذي تثار فيه ، وبأفضل ما فيه من قيم ، ولعل هذه المهمة ليست مهمة لجان دعم القضايا العربية فحسب ، بل تدخل ايضا في صلب مهام القوى التقدمية المرتبطة بمسائل النضال السياسي في مجتمعها .

ان النموذج الاعلامي الذي عرضناه بتفصيل قد يبدو لاول وهلة وكأنه غير مهم وغير اساسي ، يشكل في رأينا مثالا يمكن من استخلاص جملة قواعد وقوانين لا غنى عنها .

غسان كنفاني

تأسس صندوق الاستكشافات الفلسطينية عام ١٨٦٥ ، ولكن سبقته مؤسسات أخرى تعمل لنفس الهدف ، ففي عام ١٨٠١ شكلت في لندن جمعية باسم جمعية فلسطين مهمتها جمع ونشر المعلومات عنجغرافيةالبلاد المقدسةوسكانها ومناخهاوتاريخها. ولم تتمكن هذه الجمعية من عمل شيء يذكر ، سوى نشر ترجمة بالانجليزية لكتاب سيتزن يصف فيه الاراضي المحيطة ببحيرة طبرية ونهر الاردن . وعزي فشل جمعية فلسطين الى خطورة الوضع في البلاد والى كون الوقت غير مناسب للاستكشاف . وفي عام ١٨٣٠ تشكلت الجمعية الجغرافية الملكية فرأت جمعية فلسطين انه لم يبق مبرر لوجودها وسلمت الى الجمعية الجديدة جميع ما لديها من ملفات وكتب واموال . ولكن انشغال الجمعية الملكية الجغرافية بسائر انحاء العالم لم يمكنها من عمل شيء ذي بال في سبيل اكتشاف فلسطين. وظهر في اواخر الثلاثينات حزب سياسي في بريطانيا بأسم « الحزب الديني » كان من أبرز قادته اللورد آشلي (ايرل شافتسبري) ، والهدف الرئيسي لهذا الحزب هو نشر المذهب البروتستانتي الانجليكاني بين اليهود وتجميعهم في فلسطين تمهيدا لعودة السيد المسيح . وفي نفس الفترة وبالذات في عام ١٨٣٨ ، قدم الى فلسطين قس امريكي اسمه ادوارد روبنسون كان قد عين استاذا لادب التوراة في كلية الاتحاد الدينية في نيويورك وبدأ عمله بزيارة لفلسطين استمرت ثلاث سنوات ، ونشر لدى عودته عام ١٨٤٢ كتابا بعنوان « ابحاث توراتية في فلسطين » ومنحته الجمعية الملكية الجغرافية المدالية الملكية الذهبية مكافأة له على هذا المجهود ، وعاد روبنسون مرة اخرى الى فلسطين بعد عشر سنوات وكانت نتيجتها كتابا آخر بعنوان « ابحاث توراتية جديدة في فلسطين » نشر عام ١٨٥٦ ، وكان لهذين الكتابين أثر كبير في اثارة اهتمام الرحالة والمكتشفين والباحثين .

وشهدت البلاد في الاربعينات موجة من المكتشفين والرحالة من نوع اخر : ضباط هدفهم مسح البلاد ورسم الخرائط لها(١)، ففي عام ١٨٤١ قام الملازم سيموندس من سلاح الهندسة في الجيش البريطاني بزيارة فلسطين ومسح المنطقة الممتدة من يافا الى القدس، فالبحر الميت. وفي عام ١٨٤٧ قام الملازم مولنوه من الاسطول البريطاني بالسفر في قارب من بحيرة طبرية حتى البحر الميت ومسح المنطقة ، وتلاه في العام التالي في رحلة مماثلة الملازم لنش من الاسطول الامريكي وعلاوة على مسح النهر والبحر الميت قام بقياس عمق البحر الميت بواسطة الارتداد الصوتي . وفي عام ١٨٥١ — ٥٢ قام الملازم فان دي فيلد من الاسطول الهولندي بزيارة فلسطين وزارها مرة اخرى بعدعشر سنين ورسم لها خارطة وكتب ملاحظات مفصلة .

هذه كلها كانت حوافز خارجية لتشكيل صندوق الاستكشافات الفلسطينية كما يقول مؤسسو الصندوق ، الا ان من الزوار الذين قاموا بدور رئيسي في تأسيسه نائب مطران وستمنستر الذي زار البلاد عام ١٨٥٦ وكتب لدى عودته كتابا بعنوان (سيناء وفلسطين) وزارها مرة اخرى عام ١٨٦٢ مرافقا لولي عهد الملكة فيكتوريا الذي أصبح فيما بعد ملكا بأسم ادوارد السابع(٢). وكان ولي عهد بريطانيا اول سائح غربي يزور مغارة المقبلة الكائنة تحت الحرم الابراهيمي الشريف في الخليل واعتبر البريطانيون هذه الزيارة فاتحة عهد جديد واصبح السياح البريطانيون وغيرهم من الاوروبيين يزورون هذه المغارة وقالت صحيفة التايمز اللندنية ان هذه الزيارة فتحت آفاق البحث في سوريا امام المسيحيين(٣).

كانت البداية ان تبرعت البارونة بورديت كوتس عام ١٨٦٤ بتقديم مبلغ خمسمائة جنيه — وهو مبلغ ضخم في تلك الايام — لاجراء مسح لمدينة القدس بغية تحسين موارد المياه فيها(٤). دفع المبلغ الى مدير المساحة الانجليزي ووقع الاختيار على ضابط من سلاح الهندسة بالجيش البريطاني وهو الرئيس (النقيب) تشارلس ويلسون(٥)

١ — Fifty Years Work in Palestine, P. E. F. London, 1915.

٢ — **المصدر نفسه .**

٣ — The Times 22. 4. 1865

٤ — Fifty Years Work in Palestine

٥ — اصبح فيما بعد رئيس المخابرات البريطانية برتبة جنرال واعطي لقب سير .

فوصل الى البلاد في شهر حزيران عام ١٨٦٤ على رأس فريق من سلاح الهندسة ، واتم مهمته في أيار من العام التالي . وتضمنت هذه المهمة رسم خارطة للقدس بمقياس رسم ١/٢٥٠٠ ، وخرائط منفصلة لقبة الصخرة المشرفة ، وكنيسة القيامة وغيرهما من الاماكن الهامة في المدينة ، وخارطة للمنطقة المحيطة بالقدس بمقياس رسم ١/١٠٠٠٠ وقامت ادارة المساحة الانجليزية بنشر هذه الخرائط الى جانب صور وملاحظات ، فكان لها أثر كبير في الاوساط البريطانية ، وكانت الحافز المباشر لتشكيل الصندوق . ففي الثامن من أيار نشر اعلان في صحيفة التايمز اللندنية(٦) يدعو المهتمين الى حضور اجتماع لتشكيل جمعية تقوم بتوظيف أشخاص أكفاء للقيام بالمهام التالية : ١ — الحفريات الاثرية ، ٢ — دراسة عادات وتقاليد السكان ولغتهم وطقوسهم الدينية بأدق تفاصيلها، ٣ — دراسة طوبوغرافية الارض : الطرق القديمة ومدى مطابقتها للطرق الحديثة نظرا لانها لم تدرس من قبل بالقدر الذي تستحقه من الاهتمام ونظرا لما لها من اهمية بالغة في دراسة التاريخ ، ٤ — الجيولوجيا ، ٥ — العلوم الطبيعية .

وقال الاعلان ان الامير البرت قرين الملكة فيكتوريا وافق على أن يكون راعيا للجمعية وساهم في رأسمال الصندوق ، وعدد الاعلان الاشخاص الذين وافقوا على الانضمام الى لجنة الصندوق وكانوا جميعا من كبار رجال الدين او أعضاء البرلمان أو الدوقات واللوردات ، ومن بينهم ايرل شافتسبري الذي ورد اسمه مرتبطا بالحزب الديني ، وحدد موعد اول اجتماع للجنة في الثاني عشر من أيار ١٨٦٥(٧). وعقد الاجتماع في كنيسة وستمنستر في الثاني والعشرين من شهر حزيران وفي هذا الاجتماع تم تشكيل الجمعية .

تقدم رئيس اساقفة يورك باقتراح ثلاثة مبادىء تسير عليها الجمعية وهي : ١ — ان يكون اي عمل تقوم به على أساس علمي ، ٢ — ان تمتنع كجمعية عن الدخول في أي جدل ، ٣ — الا تكون جمعية دينية ولا تمارس اعمالها على هذا الاساس(٨).

وقد ووفق على هذه المبادىء وتشكلت الجمعية من خمسة واربعين عضوا في البداية برئاسة رئيس أساقفة كنتربري وكان رئيس أساقفة يورك نائبا للرئيس . ووافقت الملكة فيكتوريا على أن تكون هي راعية الجمعية وتبرعت لها بمائة وخمسين جنيها وتعاقب ملوك انجلترا من بعدها على رعاية الجمعية حتى الوقت الحاضر . وساهمت جامعتا اكسفورد وكمبردج في تمويل الجمعية ، وكذلك الجمعية البريطانية ولجنة تحسين سوريا ، والمحفل الماسوني الاكبر، وعدد كبير من الافراد . واتسع نطاق الجمعية فيما بعد فأصبح لها ستة واربعون فرعا في مختلف انحاء بريطانيا .

بدأت الجمعية اعمالها ببعثة استطلاعية قام بها فريق من سلاح الهندسة البريطاني برئاسة الرئيس ويلسون ، وصلت الى بانياس في مطلع كانون الثاني عام ١٨٦٦ واجرت مسحا لمنابع نهر الاردن وجالت معظم انحاء البلاد حيث قامت بمسح مبدئي ، وكلفت هذه الجولة ١٥٥٠ جنيها(٩).

وفي عام ١٨٦٧ وصلت الى القدس بعثة اخرى برئاسة الملازم تشارلز وارين (الذي وصل فيما بعد رتبة جنرال واعطي لقب سير) وكانت مهمتها: ١ — تحديد موقع الهيكل (هيكل سليمان) بالضبط ، ٢ — تحديد السنة التي بنيت فيها قبة الصخرة المشرفة ، ٣ — تحديد موقع كنيسة القيامة وغيرها من المباني الهامة . وعلاوة على الحفريات التي قام بها وارين في القدس زار غزة وعسقلان ومدنا اخرى واجرى مسحا لمنطقة تبلغ مساحتها ثمانمائة ميل مربع بين غزة والقدس .

وتقدمت الى فلسطين بعثة ثالثة عام ١٨٦٩ — ٧٠ توجهت الى صحراء سيناء (لمعرفة الطريق الذي سلكه بنو اسرائيل في هجرتهم من مصر الى فلسطين) وكانت برئاسة الرئيس ويلسون ومساعده الرئيس بالمر وهو أيضا من سلاح الهندسة . ولكن هذه كلها كانت مقدمات لعمل اهم واكبر عرف بأسم (مسح فلسطين الغربية) والمقصود بذلك فلسطين الممتدة من البحر الابيض المتوسط غربا الى نهر الاردن شرقا ، وقد استغرقت هذه العملية ست سنوات من عام ١٨٧١ الى عام ١٨٧٧ ، وكانت مهمتها رسم خارطة لفلسطين

---

٦ — صحيفة التايمز ١٨٦٥/٥/٨ .
٧ — المصدر نفسه .
٨ — Fifty Years Work in Palestine
٩ — المصدر نفسه .

بمقياس رسم مقداره بوصة واحدة لكل ميل ، ورسم خرائط بمقاييس رسم اكبر للاماكن الهامة والمدن الاثرية ، وعمل خرائط ورسوم ورسومات منفصلة للمباني والقبور ، واجراء حفريات في الاماكن الهامة ، وجمع اسماء الاماكن القديمة والخرائب والقرى والتقاط الصور ، وجمع العينات الجيولوجية والاثار ، والعينات الحيوانية والنباتية وعمل رسومات مجسمة وتصوير الاشياء والكتابات الاثرية ... الى غير ذلك .

وصلت البعثة الى يافا في تشرين الثاني عام ١٨٧١(١٠) بقيادة الرئيس ر. و. ستيوارت من سلاح الهندسة الا أنه سرعان ما مرض وعاد الى انجلترا فجاء شخص اخر اسمه تيرويت دريك من دمشق لرئاسة البعثة مؤقتا ، ومن خبراته السابقة انه رافق بالمر في مهمته في صحراء التيه (سيناء). وفي شهر تموز وصل الملازم كلود كوندر ، كذلك من سلاح الهندسة ليترأس البعثة وظل دريك مساعدا له حتى توفي في القدس عام ١٨٧٤ ، وجاء بدلا منه الملازم كيتشنر الذي كان له فيما بعد شأن كبير في مصر وجنوب افريقيا واصبح وزيرا للحربية البريطانية . وفي عام ١٨٧٧ وقعت مشادة عنيفة بين أفراد البعثة وجماعة من مدينة صفد أسفرت عن اصابة كتشنر بجراح كادت تودي بحياته ولكن السلطات العثمانية انتقمت من العرب سكان المدينة وغرمتهم مائة وخمسين جنيها ولكن كتشنر لم يقبل بهذا المبلغ فظلت تزيد الغرامة حتى رضي بها كتشنر وكانت مائتين وسبعين جنيها تبرع بها لصندوق الاستكشافات الفلسطينية(١١).

عادت البعثة الى انجلترا وعكفت على كتابة مؤلفاتها ورسم خرائطها التي نشرت ما بين عامي ١٨٨١ و١٨٨٤ وتضمنت سبعة مجلدات ، منها ثلاثة مجلدات مذكرات ، ويتضمن المجلد الرابع قائمة بأسماء الاماكن ضمت عشرة الاف اسم ، والمجلد الخامس خلاصة الابحاث التي كانت تنشر في مجلة الصندوق التي تصدر مرة كل ثلاثة أشهر(١٢)، والمجلد السادس خلاصة نتائج الحفريات في القدس ، وكان المجلد السابع عن الحيوانات

١٠ — المصدر نفسه .

١١ — The City and the Land, P.E.F., London, 1892.

١٢ — Palestine Exploration Quarterly.

والنباتات في فلسطين .

وكانت الى جانب المجلدات السبعة اربع خرائط : ١ — خارطة لفلسطين وعليها المدن والقرى بأسمائها العربية الحالية ، ٢ — خارطة لفلسطين وعليها المدن والقرى بالاسماء التي وردت في التوراة (العهد القديم) ، ٣ — خارطة لفلسطين وعليها المدن والقرى بالاسماء التي وردت في الانجيل (العهد الجديد) ، ٤ — خارطة لفلسطين تبين مصادر المياه وتوزيعها(١٣).

وفي عام ١٨٨١ قررت لجنة الصندوق اجراء مسح لشرقي الاردن (او فلسطين الشرقية كما جاء في منشورات الصندوق) فرصدت لهذه المهمة ثلاثة الاف جنيه وجهزت بعثة من سلاح الهندسة بقيادة كوندر وبساعده الملازم أ. م. مانتل ، ووصلت البعثة الى بيروت في اذار من ذلك العام وواصلت السفر الى شرقي الاردن حيث كانت الاوضاع غير مستقرة على أثر الحرب بين روسيا وتركيا وبسبب وجود قلاقل واضطرابات في المنطقة . وفي شهر آب تمكنت من وضع ترتيبات مرضية مع الشيخ تبلان العدوان لحمايتها ، ولكن قائمقام السلط منعها من ممارسة عملها ، وفشلت المحاولات التي بذلت في استانبول لاستصدار فرمان جديد يسمح للبعثة بممارسة العمل ، ولم يمض طويل وقت حتى استدعي كوندر للقيام بمهمة اكبر ضابط مخابرات في مصر على اثر ثورة عرابي باشا . ولكن فشل البعثة لم يحل دون مواصلة اللجنة عملها بطريقة اخرى ، ففي عام ١٨٨٥ تعاقدت مع الدكتور جي سكوماشر الذي كان موظفا لدى سكة حديد حيفا — دمشق لرسم خارطة لمنطقتي حوران وعجلون ، وكلفته عام ١٨٨٩ برسم خارطة لشمال منطقة عجلون . واصدرت اللجنة طبعة جديدة من خارطة فلسطين عام ١٨٩٠(١٤).

وفي عام ١٩١٣ سمحت وزارة الحربية للرئيس س. ف. نيوكوم والملازم ف. سي.س — جريج، بمسح النقب والمناطق الجنوبية من فلسطين الى الحدود المصرية ، وقد وقع الاختيار على نيوكوم لانه كان قد سبق له مسح شبه جزيرة سيناء من قناة السويس الى الحدود المصرية التركية (الفلسطينية) وكان على صلة وثيقة بقبائل المنطقة.

١٣ — Fifty Years Work in Palestine

١٤ — المصدر نفسه .

واستدعي المستر سي. ل. وولي والمستر تي. ي. لورنس من جرابلس لدراسة الاثار في المنطقة التي أتمت البعثة مسحها باستثناء ناحية صغيرة عند ميناء العقبة رفضت السلطات العثمانية السماح لها بدخولها ، ولم يكن لذلك المنع تأثير كبير فقد كان كتشنر قد مسح هذه المنطقة عام ١٨٨٠(١٥). وسبق عملية المسح الاخيرة هذه عمليات مسح وحفريات في اماكن محددة كوادي عربة عام (١٨٨٢ — ٨٤) ، وحفريات في تل الحسي (١٨٩٠ — ٩٢) ، والقدس (١٨٩٤ — ٩٧) وتلال زكريا والصافي والجديدة وساندراهانة (١٨٩٨ — ١٩٠٠) وتل الجزاري (١٩٠٢ — ١٩٠٥)وعاودت البعثة الحفر في هذا المكان (١٩٠٧ — ١٩٠٩) وحفرت في عين شمس (١٩١١ — ١٩١٢) .

وعندما ارادت بريطانيا التدخل عسكريا في مصر عام ١٨٨٢ على أثر قيام ثورة عرابي باشا سعت الى ضمان تأييد شيوخ القبائل في سيناء لها او الى ضمان سكوتها على الاقل لتضمن بذلك سلامة قناة السويس وعدم تعرض القوات البريطانية الى هجوم من الخلف . فلم تجد من يقوم بهذه المهمة افضل من البروفسور بالمر — موظف صندوق الاستكشافات الفلسطينية — فوصل الى غزة ومشى من هناك الى قناة السويس حيث عقد اتفاقيات مع مشايخ الطوارة والتياهة وغيرهما من قبائل المنطقة ، وقدم تقريرا بهذا الشأن في مطلع شهر آب عام ١٨٨٢ الى الاميرال السير وليم هيويت ولكنه قتل هو وزميلان بريطانيان له في الثامن من الشهر ذاتهأثناء عودتهم الى غزة ، وانتقمت الحكومة البريطانية لمقتلهم انتقاما قال عنه الكولونيل واتسون امين صندوق الاستكشافات البريطانية آنذاك ان رجال القبائل لن ينسوه أبد الدهر . وقال ان خسارة الصندوق بوفاة بالمر لا تعوض لانه لم يكن يوجد من يعرف العرب والعربية أكثر منه(١٦).

عقدت لجنة الصندوق سلسلة من المحاضرات في صيف عام ١٨٩٢ ونشرت هذه السلسلة في كتاب بعنوان « المدينة والبلاد » وكان ابرز ما فيه محاضرتان احداهما القاها وولتر بيسانت الامين الفخري للصندوق وكان قد شغل منصب الامين الفعلي مدة خمسة وعشرين عاما . والثانية القاها كلود كوندر وكانت بعنوان « مستقبل فلسطين ». تحدث بيسانت عن عمل الجمعية فقال : « كنا نقوم بثورة كاملة في فهم ودراسة التوراة ، كنا نحيي العظام وهي رميم ، كنا نستعيد مجد فلسطين في عهد هيرودوس، كنا نستعيد بلاد داود، كنا نرد الى الخارطة اسماء المدن التي دمرها القائد العظيم يوشع ، لقد اعدنا للقدس مجدها وفخامتها ، لقد اعدنا البلاد (فلسطين) للعالم بالخارطة وبالاسماء والاماكن المذكورة في التوراة . واسمحوا لي أن افاخر بذلك اذا علمتم ان شخصا واحدا (كوندر) قد استعاد من الاسماء القديمة اكثر مما فعله جميع الباحثين والرحالين حتى الان »(١٧). ومضى بيسانت في مفاخرته بمنجزات الصندوق فقال : « عندما وضعت الاسماء في اماكنها اصبح في وسعنا تتبع سير الجيوش في زحفها ... طريق السرية البطريركية .. طريق الغازي .. طريق العدو الهارب ... هنا توجد التلال ، وهناك توجد الوديان ، وهناك الطرق ... الجيش لا يستطيع ان يفر قفزا من فوق الوادي ، لا يستطيع ان يتسلق صخرة عمودية في انحدارها ... وانما هذا هو الطريق الذي كان للقائد الفلاني ان يقود قواته فيه ولا طريق سواه . » هذه الفقرة بالذات لها أهمية كبيرة لا تقف عند حد دراسة التاريخ ، وقد استفاد الجيش البريطاني في غزو فلسطين عام ١٩١٧ وكذلك الجيش الصهيوني عام ١٩٤٨ ثم عام ١٩٥٦ من الطرق القديمة التي كانت قد اندثرت على مر الايام . والقى كلود كوندر — الذي تكرر ذكر اسمه فيما سبق — كلمة بعنوان « مستقبل فلسطين » ولعل في هذه الكلمة دليلا ملموسا على اهداف الصندوق الحقيقية ، فقال : « التاريخ يعيد نفسه ، وهذا يصح بصورة خاصة في الامور المتعلقة بالتجارة والحرب ، لان الطرق في أي بلد تظل على حالها عبر القرون، والتضاريس الطبيعية كالجبال والينابيع والانهار لا تتغير ، والاماكن المشرفة على ميادين القتال ثابتة وان تغيرت الاسلحة والاساليب التي تتبعها الجيوش »(١٨). ومضى كوندر فتحدث عن الهجرة اليهودية الى فلسطين وخاصة مدينة القدس فقال ان عدد اليهود في مدينة القدس عام ١٨٧٣ لم يكن

١٥ — المصدر نفسه .
١٦ — المصدر نفسه .

١٧ — The City and the Land.
١٨ — المصدر نفسه .

يتجاوز بضع مئات اما الان (١٨٩٢) فقد بلــغ عددهم اربعين الفا ، واصبحوا يسيطرون على التجارة في المدينة ولم يعد اليهود اقلية مضطهدة وجبانة . وانما يبدو انهم سادة المدينة . وأشار الى دوره ودور الجمعية التي يعمل لحسابهــا (صندوق الاستكشافات الفلسطينية) في تشجيع هذه التطورات فقال : « اعتقد بأنني استطيع القول دون تبجح انه كان لي (ولاخرين غيري) دور ما في هذه الحركة . ففي اول كتاب نشرته بعنوان (مخيمات في فلسطين) حــاربت الفكرة القائلة ان فلسطين لم تعد قطرا يصلح للسكنى ، وادى ذلك الى عرض محرر صحيفة « ذي جيويش كرونيكل » علي أن اكتب مجموعة من المقــالات عن الاستعمار اليهودي في فلسطين . ويبدو ان هذه المقالات لفتت انتباه لــورنس اوليفانت(١٩) وقدمت له سلسلة من الاقتراحات يبدو انه قبلها كأساس ، ولكنه استعاض عنها عن اقتراحي اقامة مستعمرة في الجليل باقتراح من عنده هو لاقامة مقاطعة يهودية في جبال جلعاد (البلقاء وعجلون) ولكنني لا اعتقد بأن ذلك ممكن ، لان السلطان لن يوافق على اقامة دولة داخل الدولة ، علاوة على أن المنطقة بعيدة وستكون عرضة لهجمــات البدو ، والمواصلات بينها وبين البحر طويلة ورديئة مما يجعلها غير صالحة لان تكون مركزا طبيعيــا لشعب يهودي جديد . واقترح المستر اوليفانت مد خطوط سكة حديدية عبر هذه الجبال لا يمكن لاي مهندس ان يحاول مدها . والخط الوحيد الــذي يرجح ان ينجح هو الخط الذي رسمته في مراسلاتي عام ١٨٧٨ ، ويمتد من قناة السويس الى العاصمة دمشق مرورا بمرج ابن عامر ووادي اليرموك » . وأشاد كوندر باليهود في هذا المضمار فقال : «بينما كان الناس يتكلمون كان اليهود انفسهم يعملون، والاراء التي كانت عندما كتبتها قبل اثني عشر عاما تبدو من شأن المستقبل البعيد اصبحت حقــائق بفعل الاشخاص الذين يهمهم الامر اكثر من غيرهم ... والسكة الحديدية التي اقترحتها قد بدأ العمل فيها والمستعمرات التي اوصيت باقامتها وبزراعة الكرمة والزيتون والحبوب والقطن والفواكه فيها ، قد اخذت تظهر الى حيز الوجود في فلسطين. ويبدو اننا سنرى سكة حديدية في فلسطين في العام القادم الامر الذي من شأنه ان يزيد من عدد السكان وينشط التجارة » .

ولم يغب عن بال كوندر ــ الضابط في ســلاح الهندسة البريطاني ــ الاهمية الاستراتيجية لخط السكة الحديدية فقال : « ان هذا الخط سيزيد من احتمال نشوب معركة كبيرة في مجدو ــ ميدان القتال القديم ــ في حالة نشوب حرب لان السيطرة على خط السكة الحديدية الوحيد في البلاد ستكون الهدف الحتمي الوحيد لاي مخطط استراتيجي ». ولم ينس كذلك الهدف الاستعماري وهو الابعد مدى فقال : « الاعتبار الثاني وهو سلمي الــى حد كبير ، هو ان الخط الحديدي ستتبعه شبكة من الطرق البرية تكون بمثابة روافد له ، وسيفتح جبال جلعاد امام زارعي الكرمة والحبوب(والمقصود هنا اليهود طبعا) . اما السكان القلائل من البدو العرب فسينسحبون الى الجنوب والشرق، وستنمو القرى المتفرقة الصغيرة لتعود مدنا مزدهرة كما كنا نعرف انهــا كانت بين العهديــن المسيحــي والاسلامي »(٢٠).

وأتى كوندر في محاضرته على ذكر الهجرة اليهودية واثرها على التكوين السكاني في فلسطين وهــي نقطة جديرة بالملاحظة قال عندهــا : « حدثت تغيرات كبيرة في التكوين السكاني لفلسطين بزيادة العنصر اليهودي والمسيحي زيادة كبيرة واضمحلال السكان المسلمين الاقوياء ، وزيادة التعرف علــى الحضارة الغربية التي كانت طلائعها في بعــض المناطق فرق المسح التي ترأستها مدة ست سنوات ... في عام ١٨٧٢ لم يكن في فلسطين من ملاك الاراضي الزراعية الاوروبيين غير اثنين فقط ولكن بالتدريج ارغم الفلاحون ــ كما حدث في عهد نحميا ــ على بيع انفسهم عبيدا للمرابين الذين استرهنوا الارض ، او على بيع اراضيهم للمستعمر الالماني واليهودي ، وقد تضرروا بسبب الحرب والقحط الذي تبعها الى حد لا يعرف عنه الانجليز شيئا يذكر . »

وانتقل كوندر في النهاية الى الحديث عن المستقبل الذي يتصوره لفلسطين ، فقال : « ان الذي نتوقع ان نراه في فلسطين ــ اذا كان مستقبلهــا سلميا ــ هو زيادة تدريجية في عــدد السكان

١٩ ــ كاتب ودبلوماسي بريطاني تخلى عن منصبه ليتفرغ للدعاية الصهيونيــة في القرن التاسع عشر .

٢٠ ــ The City and the Land.

المزارعين وانتشار المستعمرات (المستوطنات) المزدهرة . ولن يحول وجود الاتراك دون هذا التقدم ولو أنه قد يحد من سرعته ولن يكون هذا النمو نتيجة مشاريع فردية وانما نتيجة الاتصال المتبادل بين الطبقات المتواضعة من اليهود والمسيحيين[٢١]. اما الفلاحون المسلمون الذين أخذ تطرفهم يخبو تدريجيا فانهم ، بتعرضهم لهذا النفوذ، سيزدادون ذكاء ونشاطا ولكنهم لن يعودوا سادة البلاد . وكلما ازداد رأس المال الاوروبي والمستعمرون الاوروبيون في البلاد ازداد دخولها في دائرة الدول التي تنبثق من جسم الترك(الامبراطورية العثمانية) . وان اية محاولة عنيفة للتدخل في تطور بلد يستطيع اعالة شعب كبير مزدهر تطورا سلميا ، ستؤدي حتما الى حدوث « مشكلة فلسطينية » هائلة ينبغي حلها في كارشيمش (جرابلس بشمال شرق سوريا) ومجدو (اشارة الى المعارك الشهيرة التي وقعت عبر التاريخ في هذين الموقعين) . وفي الوقت ذاته لا تعتمد عودة اليهود على اي عرق سواهم وقد بدأوا يعودون وينوون العودة باعداد اكبر لان معارضة الحكومات لا يمكن ان تعيق مثل هذه الحركة وانما قد تنظمها على نحو يكون فيه صلاحها »[٢٢].

هذه اذن هي الاهداف الحقيقية لصندوق الاستكشافات الفلسطينية على لسان واحد من اكبر وأهم مسؤوليه ولا عجب ان يختتم كوندر محاضرته بالقول : « وختاما اود ان اقول ان نتيجة اي مشروع مهما يكن صغيرا في مظهره لا يمكن حسابها حتى تظهر جلية للعيان . **بدا صندوق الاستكشافات الفلسطينية عمله وهدفه الوحيد القاء ضوء اجد وأدق على التوراة ومع ذلك اصبح اداة فعالة ورئيسية لمساعدة اولئك الذين سيكونون سكان البلاد في المستقبل ، في الحصول على الحقائق الثابتة عن طاقات وامكانيات البلاد . وهكذا قدم خدمة جلي بالعمل السلمي المخلص لتحقيق الازدهار وازالة الفقر من البلاد »** .

كان هذا عام ١٨٩٢ اي قبل خمس سنوات من انعقاد اول مؤتمر للحركة الصهيونية في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، الذي دعا فيه هيرتزل الى قيام دولة يهودية ، وقبل خمسة عشر عاما من استقرار رأي الحركة الصهيونية على اقامة الدولة اليهودية في فلسطين دون غيرها . فهل كانت خدمة صندوق الاستكشافات الفلسطينية للحركة الصهيونية مجرد صدفة ام كانت الهدف الحقيقي له ؟ لعل الجواب يتضح فيما قاله الصهيوني المعروف نورمان بنتويتش في معرض حديثه عن المؤسسات الصهيونية قبل تبلور الحركة الصهيونية اذ قال : « كانت المشاريع الصهيونية الرئيسية تتأسس على شكل شركات بريطانية فتشكلت سكة حديد وادي الفرات لتصل بين حيفا وبغداد ولكنها فشلت، ثم تشكلت شركة سكة حديد حيفا — دمشق وفشلت هي الاخرى . وفي عام ١٨٦٥ تأسس صندوق الاستكشافات الفلسطينية وقام ضباط سلاح الهندسة في الجيش البريطاني بحفريات استكشافية في القدس ورسم خارطة للبلاد ، وهذا النشاط المزدوج كان مثالا لتكامل المصالح التوراتية والسياسية »[٢٣].

والآن وقد اصبحت فلسطين برمتها تحت الاحتلال الصهيوني ما زال صندوق الاستكشافات الفلسطينية قائما في بناية كبيرة اهداها اليه موريسون — شخص عمل به مدة ٥٦ عاما وعنوانه : ٢ هايند ستريت ، لندن ، غرب ٢ . وتقرأ على صدر مجلته التي تصدر الان مرة كل ستة اشهر بدلا من ثلاثة كما كان عليه الامر في الماضي : « صندوق الاستكشافات الفلسطينية : جمعية لدراسة الاثار والطبوغرافية والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية والعادات والتقاليد في البلاد المقدسة دراسة دقيقة ومنظمة لتوضيح التوراة . راعية الصندوق : الملكة اليزابيث الثانية ، الرئيس : رئيس اساقفة كنتربري ، نائب الرئيس : رئيس اساقفة يورك »[٢٤]. نفس المناصب ونفس الالفاظ من عام ١٨٦٥ حتى الوقت الحاضر ... ونفس الاهداف !!!

محمود وادي المراشي

٢١ — المقصود هنا المسيحيون الاوروبيون ، لا المسيحيون العرب .

٢٢ — The City and the Land.

٢٣ — Norman Bentwich, Israel and Her Neighbours, London, 1955.

٢٤ — Palestine Exploration Quarterly, January-June, 1971.

الارض المحتلة : عرض وتحليل للميزانية الاسرائيلية الجديدة

صدرت الميزانية الحكومية في اسرائيل للعام المالي ٧٣/١٩٧٢ في الاول من شهر ابريل (نيسان) بعد مناقشة استمرت اكثر من اربعة اسابيع في لجان الكنيست المختلفة . وتعتبر الميزانية الاسرائيلية التي تصدر في هذا التاريخ من كل عام وثيقة اقتصادية على جانب كبير من الاهمية نظرا لانها تعكس جملة الاهداف الاقتصادية التي ترسمها الحكومة الاسرائيلية على امتداد عام من الزمن . وتكتسب الميزانية الاسرائيلية أهمية مضاعفة نظرا لانها تشكل الاداة الرئيسية،من خلال النفقات والضرائب والقروض ، لتحريك الموارد الاقتصادية التي بحوزتها والتي بحوزة القطاع الخاص بشكل يهدف الى تحقيق الاهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية المرسومة . والى جانب ذلك فان الحكومة الاسرائيلية تمسك بالفعل بالخيوط الرئيسية لعملية توزيع الموارد في الاقتصاد الاسرائيلي من خلال السياسات المالية والنقدية التي تتحكم فيها ومن خلال ايضا بعض المؤسسات في القطاع العام التي تساهم في عملية التوزيع مباشرة . على ضوء هذه المعطيات فان اجراء دراسة تحليلية لعناصر الميزانية يعطي فكرة واضحة عن وضع الاقتصاد الاسرائيلي حاليا وطبيعة اهدافه ومشاكله .

وكان وزير المال الاسرائيلي ، سابير ، قد قدم الميزانية العامة للسنة المالية ٧٣/١٩٧٢ الى الكنيست في الثاني والعشرين من فبراير (شباط) توطئة لبحثها واقرارها . وقد القى كلمة مفصلة حول الملامح الرئيسية للميزانية المقترحة مؤكدا ان الحكومة قد نجحت للمرة الاولى في خفض جزء كبير من نفقاتها خصوصا في قطاع الدفاع والتسلح واوجه الميزانية الاخرى .

غير انه اكد من ناحية اخرى ان نجاح الميزانية يتوقف على تحقيق شروط ثلاثة : ١ — بقاء حالة الهدوء على الجبهات العسكرية . ٢ — ان لا يزيد حجم المهاجرين القادمين الى اسرائيل عن ٦٥،٠٠٠ خلال هذا العام . ٣ — ان تلتزم الحكومة بالاعتمادات المقررة حتى لا تؤدي زيادة الانفاق الى ارتفاع مستوى الاسعار وبالتالي الى مطالبة الهستدروت برفع مستوى الاجور . وقد اكد سابير ان الحكومة قادرة على التحكم في الشرط الثالث أما الشرطان الاول والثاني فان هنالك عوامل عديدة خارجة عن سيطرة الحكومة عليها . وهنالك افتراضات اخرى ارتكزت عليها الميزانية منها ارتفاع انتاجية العامل بنسبة ٣،٥٪ على الاقل حتى تستطيع اسرائيل ان تزيد من قدرة صناعاتها التصديرية . وتنبأ سابير بأن مستوى الاستهلاك العام سينخفض من ٢٤٪ الى ٢٢٪ في حين ان حجم الاستهلاك الشخصي لن يرتفع اكثر من ٣،٥٪ . كما اثنى على نجاح وزارة الدفاع في تخفيض ميزانيتها نتيجة لمطالبة قسم كبير من الرأي العام بهذا التخفيض حتى لا تضطر الحكومة الى زيادة الضرائب اكثر من مستواها الحالي .

بلغ مجموع الميزانية للعام ٧٣/١٩٧٢ حوالي (١٥٨٧٠) مليون ليرة اسرائيلية بالمقارنة الى (١٤٨٧٠) مليون ليرة في العام المالي ٧٢/١٩٧١ اي بزيادة قدرها ٧،٢٪ . اما اذا اخذنا بعين الاعتبار نسبة ارتفاع مستوى الاسعار والزيادة في عدد السكان فانه يمكن القول بأنه لم تكن هنالك زيادة حقيقية . وقد توزع مبلغ الـ ١٥،٨ بليون بين الابواب الرئيسية للميزانية على النحو التالي : النفقات والواردات للاعتمادات العادية ١١٥٢٧ مليونا ، و٣٤٢ للاعتمادات المحولة ، و٤٠٠٠ للاعتمادات الانمائية .

ويلاحظ ان الحكومة قد راعت مبدأ التوازن بالنسبة لجملة الميزانية وبالنسبة لكل باب على حدة . وتوازن الميزانية شرط ضروري لمنع مستوى الاسعار من الارتفاع غير انه ليس كافيا . فالذي يقرر اثر العجز على مستوى الاسعار ليس حجم هذا العجز وانما الطريقة التي سيتم فيها تمويل الفرق بين العائدات والنفقات .

وفيما يلي التصنيف الوظيفي للميزانية : مشاريع اقتصادية ٣٥٠٠ مليون ليرة (٢٢،٢ ٪ للمجموع)، مشاريع اجتماعية ٣٤٠٠ (٢١،٥٪) ، نفقات دفاع وأمن ٥٣٠٠ (٣٣،٥ ٪) ، سداد ديون مستحقة ٣٦٠٠ (٢٢،٨ ٪) المجموع ١٥٨٠٠ مليون ليرة. ولا شك ان اكثر ما يلفت النظر في هذا التصنيف ارتفاع نسبة سداد الديون المستحقة الى مجمل الميزانية . فاذا ما اخذنا بعين الاعتبار المنح والهبات التي تسلمتها اسرائيل في السنوات الخمس الاخيرة لاتضح لنا ان مجموع الاموال التي

تدفقت عليها لا تقل عن ٣٤٤ بليون دولار وهو مـا مكنها من القيام بالتزاماتها العسكرية والانمائية معا . وخلال عام من الزمن ارتفعت الديون بمبلغ ١٢٩٥ مليون ليرة اسرائيلية اي ما يساوي حوالي ٣٠٠ مليون دولار . امـا نفقات الـدفاع والامن والتسلح فقد خفضت بمبلغ ١٢٠٥ ملايين ليرة عما كانت عليـه في السنة المالية ٧٢/١٩٧١ . فقـد كانت الاموال المعتمدة في العام المالي المشار اليه ٦٫٥ بليون ليرة اسرائيلية منها ٣٫٢ بليون انفقت في العملـة الصعبة لاستـيراد الاسلحة الثقيلـة والمعدات الالكترونية المعقدة من الخارج في حـين ان المبلغ المعتمد للسنة المالية ٧٣/١٩٧٢ هـو ٥٫٣ بليون من بينها ٢٫٤ بليون ستنفق بالعملـة الصعبة اي بتوفير قدره ٩٠٠ مليـون ليرة .

وفيما يلي التصنيف الاداري للميزانية معبرا عنـه بنسبة مئوية وهو على النحـو التالي : دفـاع ٣٢٪ ، فوائـد على القروض ٢٢٪ ، معونـات ٨٪ ، اسكان ٧٪ ، تعليم ٧٪ ، شؤون اجتماعية ٧٪ ، صحة ٣٪ ، نقـل ٣٪ ، بلديات ٣٪ ، شرطة ٣٪ ، بنود اخرى ٥٪ ، المجموع ١٠٠٪ . وهذه النسب تؤكد تحول اكثر مـن نصف موارد الخزينة لتمويل الجهد العسكري وسداد الديون وكلاهما كما هو معلوم مرتبط بذيول حرب الخامس من حزيران والوضع السياسي والعسكري الراهن في المنطقة . وعلى الرغم مـن ان اعتمادات الاسكان قد خفضت في الميزانية الحالية بمبلغ ٣٩٠ مليون ليرة بالمقارنة بالميزانية السابقـة فان الحكومة الاسرائيلية قد خططت على اسـاس استقدام ٦٥،٠٠٠ مهاجر جديد على ان تلتزم الحكومة بتمويل اقامة ٤٥،٠٠٠ مهاجر بينمـا ستلتزم الوكالة اليهودية بتوفير السكن لـ ٢٠،٠٠٠ مهاجر ، وقد قررت الوكالة المذكورة اقتراض مبلغ ١٠٠ مليون دولار من الولايات المتحدة على شكل سندات تطرح للجمهور لتمويل المشروع المذكـور. وعلى جانب الواردات فان ضريبة الدخل تشكل المصدر الاساسي للعائدات العادية بنسبة (٢٩٪). ثم تأتي العوائد الجمركية في المرتبة الثانية بنسبة (٢١٪) وضريبة المشتريات في المرتبة الثالثة بنسبة (٩٪) . اما مصادر تمويل المشاريع الانمائية والبالغة ٤٠٠٠ مليون ليرة اسرائيلية فانها موزعة على النحو التالي : قروض من الولايات المتحدة ١٣٦٨ ، قروض خارجية اخرى ١٠٠٨ ، قروض من مؤسسة التأمين الاسرائيلية ٨٢٠ ، قروض من المصارف المحلية ٦٥٠ ، مصادر اخرى ١٢٤ .

لقد صممت الميزانية الاسرائيلية على اساس عدد من المعطيات والاهداف الاقتصادية يمكن تلخيصها بما يلـي : **اولا** : استمـرار الناتج القومـي بالارتفاع . فبعد ان ارتفع بنسبة ٧٫١٪ عام ١٩٧١ فان التنبؤات الحالية تشير الى انه سيرتفع بنسبة ٦٫٦٪ . **ثانيا** : ارتفاع مستوى البطـالة من ٣٫٦٪ من مجموع القوى العاملة الى ٣٫٨٪ نظرا لانخفاض في حجم الناتج القومي المتعلـق باغراض الصناعة الحربية خصوصا بنـاء الاستحكامات العسكرية . وعلى أي حالة فان نسبة ٣٫٨٪ منخفضة وبالتالي يمكن القول بان الاقتصاد الاسرائيلي لا يزال يعمل على مستوى العمالة الكاملة وهي ظاهرة بدأت في اعقاب حرب ١٩٦٧ . **ثالثا** : ارتفاع مستوى الاسعار بنسبة ٥ــ٦٪ بالمقارنة الى ارتفاع كبير وصل الى ١٢٪ خلال ١٩٧٠ — ١٩٧١ . والمعروف انه عندما ارتفعت الاسعار بنسبة كبيرة بادرت الحكومة الى تطبيق ضريبة قدرها ٢٠٪ على الاستيراد لتخفيض حجم الاستهلاك الشخصي . **رابعا** : الاستمرار في زيادة حجم الصادرات الاسرائيلية بنسبة كبيرة بعد نجاح الحكومة في كبح جماح الاسـتهلاك الشخصي . فقد ارتفعت الصادرات في عام ١٩٧١ بمبلغ (٢٠٠) مليون دولار حيث وصلت الى ١٧١٣ مليون دولار خلال العام المشار اليه ، وتأمل الحكومة الاسرائيلية في ان ترتفع هذا العام الى ١٩٤٠ مليون دولار . **خامسا** : نتيجة لتحسن وضع الميزان التجـاري ونظرا لتدفق المسـاعدات من الخارج فقد ارتفع احتياطي اسرائيل من العملات الاجنبية بمبلغ ٢١٥ مليون دولار .

بقي ان نذكر القارىء بأن الميزانية بطبيعتها تقديرية وان نجاح الحكومة الاسرائيلية في مطابقة الارقام المعتمدة والارقام المنفقة فعلا يتوقف علـى نجاح الحكومة في تجنب الوقوع في عجز وعدم مطالبة الهستدروت برفع الاجور نظـرا لارتفاع نفقـات المعيشة ومدى اضطرار السلطات المالية لتحويل العملات الاجنبية الى العملة الاسرائيلية لتمويل حاجياتها المحلية . اما اذا سارت الامور على النحو المتوقع فيبـدو ان الاقتصاد الاسرائيلـي سيعيش سنة مالية مستقرة الا اذا تغير الوضع السياسي والعسكري الراهن .

الدكتور يوسف شبل

تقرير خاص : المؤتمر الشعبي الفلسطيني في القاهرة

شهدت القاهرة في الفترة ما بين السادس والعاشر من نيسان (ابريل) ١٩٧٢ انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي دعت اليه اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وضم ٤٠٠ عضو يمثلون مختلف طبقات الشعب الفلسطيني وفئاته الوطنية وجميع تنظيماته الشعبية والنقابية وفصائله الثورية المسلحة . وقد دعي للمؤتمر ما يقارب السبعمائة عضو منعت اسرائيل والحكم الهاشمي العميل الموجودين منهم في الوطن المحتل وشرق الاردن من الحضور . ولم يمنع ذلك عددا من الشخصيات الفلسطينية الوطنية المدعوة من الاردن من كتابة رسالة موقعة الى المؤتمر يندددون فيها بمشروع الملك حسين — آلون وبالمشروعات الاستسلامية المماثلة ويؤيدون فيها المؤتمر ويشجبون كل محاولات شق الصف الفلسطيني . كما أرسلت مجموعة من الشخصيات الوطنية المدعوة من غزة والضفة الغربية المحتلة للمؤتمر رسائل طلبوا اخفاء توقيعهم عند اعلانها حتى لا تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلي بابعادهم عن الوطن المحتل . وقد اكدت هذه الرسائل ايضا على وحدة الشعب الفلسطيني وحق المقاومة المسلحة الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيله ، كما شجبت المؤامرات الهاشمية — الاسرائيلية — الامريكية والمشاريع المشبوهة . وقد دعي للمؤتمر اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني وعدد من ممثلي التنظيمات الثورية والنقابية والشعبية وممثلين عن الشخصيات الوطنية الفلسطينية في اهم تجمعات النزوح في الوطن العربي وخارجه وعدد من المبعدين عن الوطن المحتل والاردن . وبذلك فان المؤتمر بانعقاده يكون قد حقق انجازا هاما في المرحلة الراهنة من النضال الفلسطيني وهو تأكيد وحدة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال وفي النزوح واجماع اهم طلائع وعناصر هذا الشعب الوطنية على ان المقاومة الفلسطينية واطارها السياسي « منظمة التحرير الفلسطينية » هي الممثل الحقيقي الوحيد لهذا الشعب ، وهي الاطار الذي تلتقي من خلاله طبقات هذا الشعب وكافة فئاته لتقيم الانجازات ولتدرس السلبيات ولتحدد المهام الراهنة ولترسم خطوط العمل السياسية التي تضمن استمرار النضال العسكري والسياسي حتى يتم تحرير كامل التراب الفلسطيني ويمارس الشعب الفلسطيني حقوقه في تقرير مصيره على ارضه المحررة .

وقد قام المؤتمر بتحقيق انجازات اخرى هامة سنتعرض لها فيما بعد عرضا وتقييما ، يزيد من اهميتها انها تمت في ظروف صعبة ودقيقة امتلأت بالتقديرات المتشائمة عن جدوى المؤتمر بل وخطورته في هذه المرحلة . ولذلك فاننا سنبدأ بمناقشة الظروف السياسية التي عقد اثناءها المؤتمر واهداف دعوته وانعقاده والشكوك التي ثارت حوله ، سننتقل بعد ذلك الى خطوات التخطيط للمؤتمر والاجراءات التي سبقت انعقاده ، ثم نتحدث عن المؤتمر والاتجاهات الرئيسية التي برزت فيه والبرامج السياسية والتنظيمية التي طرحت على اعضائه وسير اعماله ومقرراته ، ثم نقوم بمحاولة تقييم انجازاته وسلبياته ومتطلبات العمل بعده .

اسباب الدعوة للمؤتمر : تمر حركة المقاومة الفلسطينية بعد القضاء على الوجود العلني لقواتها في الاردن بمرحلة انحسار اشتدت فيه الهجمة الامبريالية — الاسرائيلية — الهاشمية عليها . وتستهدف هذه الهجمة القضاء على المقاومة عسكريا وسياسيا توطئة لفرض تسويات تهدف الى تصفية القضية الفلسطينية نهائيا وتثبت الاحتلال الاسرائيلي كأمر واقع في الاراضي العربية المحتلة . وبعد ان استتب للعدو الصهيوني تحقيق هدوء كامل على الجبهات العربية المحيطة بفلسطين ، وقهر شعبنا في ارض الاحتلال ولو مؤقتا وتطويق نضاله العسكري ، وللحكم الهاشمي القضاء على الوجود العلني للمقاومة ، انتقل العمل الاسرائيلي — الاردني المشترك من مرحلة اغتصاب الارض الفلسطينية والقضاء على ارادة المقاومة المسلحة عليها الى مرحلة شق الشعب الفلسطيني وتحطيم وحدته والنزاع على من يمثله بهدف القضاء على وجوده الوطني الموحد وعلى شخصيته الوطنية المتكاملة . (وقد كان بعث الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني وابراز ملامح شخصيته الوطنية المتكاملة ضمن ابعادها القومية العربية هما من اعظم منجزات الثورة الفلسطينية) .

وقد اتخذت هذه المحاولات للقضاء على الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني مظاهر متعددة :
١ — التلاعب بحق تقرير المصير وتصويره على انه

يمكن أن يتم بنوع من الاستفتاء عن مصير قطاع غزة او حق سكان الضفة الغربية في تحديد مستقبل الضفة السياسي واختيار نوع من الكيان السياسي التابع او حق اللاجئين في الاختيار بين العودة والتوطين والتعويض (علما بأن حق تقرير المصير هو حق كل شعب في تأسيس دولته الوطنية المستقلة على كامل تراب الوطن) . ٢ — اتجاه الى دمج الفلسطينيين في المجتمعات التي يعيشون فيها واعطائهم وطنا ما لتخف وطأتهم على ضمائر اخوتهم العرب وغيرهم (رسالة نيكسون الى الكونجرس عن « حالة العالم » — شباط ١٩٧٢). ٣ — محاولة الانقضاض على حق تمثيل الشعب الفلسطيني .

وقد تبلورت هذه الاتجاهات في قرار اسرائيل اجراء الانتخابات البلدية في الضفة الغربية المحتلة بغرض اختيار ممثلين عن السكان يقومون بتقرير مصير الضفة في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، وفي مشروع الملك حسين الداعي الى انشاء المملكة العربية المتحدة من قطر فلسطيني وآخر اردني ، وفي ظل احتلال اسرائيلي للقطر الفلسطيني ومن ثم تسليمه بالقدس عاصمة موحدة ومشتركة لاسرائيل وللقطر الفلسطيني .

وباقتراب وجهة نظر حسين من مشروع آلون الداعي الى اقامة اتحاد فيدرالي بين اسرائيل والضفة الغربية والضفة الشرقية للاردن ، وقد دعم مشروع الانتخابات البلدية ومشروع حسين — آلون تقرير نيكسون عن حالة العالم المقدم للكونجرس الامريكي في شباط ١٩٧٢ والذي طالب فيه باعطاء الفلسطينيين الحق في وطن ما بشرط القضاء نهائيا على منظمات المقاومة الفلسطينية . وقد صاحب التحركات السياسية الامريكية — الاسرائيلية — الهاشمية ، تحرك عسكري اسرائيلي عنيف في جنوب لبنان استهدف التصفية الجسدية للمقاومة فيها ، وتحرك اقتصادي — سياسي اسرائيلي داخل الارض المحتلة يستهدف استكمال تهويدها واستيطانها والقضاء على مقومات اقتصادها وثقافتها الوطنية . كما واكبتها أزمة الانظمة العربية المتهافتة على الحلول السياسية والتي باتت تقوم بالتراجع تلو التراجع دونما اي نجاح والتي قامت بمزيد من الضغوط على الثورة لتتخلى عن استراتيجيتها ولتلحقها بما يسمى الاستراتيجية العربية .

في مثل هذه الظروف الخطيرة نبتت فكرة المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، كتجمع اوسع من المجلس الوطني الفلسطيني ينعقد في ظله ومن خلال شرعيته وضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية . وبعد مناقشات عديدة داخل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تلتها اجتماعات بين اللجنة التحضيرية ومراكز الابحاث والتخطيط والدراسات الفلسطينية تبلورت أهداف المؤتمر في ورقة عمل تقدمها مركز التخطيط الفلسطيني — التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية وحددها بما يلي : ١ — افشال مؤامرات شق وحدة صف الشعب والفلسطيني من خلال تقسيمه الى شعبين احدهما تحت الاحتلال والاخر خارجه . ٢ — تكريس الوجود الوطني الموحد للشعب العربي الفلسطيني بأسره والشخصية الوطنية المتكاملة له . ٣ — تأكيد شرعية التمثيل الواحد للشعب الفلسطيني من خلال الثورة الفلسطينية واطارها التنظيمي منظمة التحرير الفلسطينية ، وشجب محاولات الانقضاض على صفة تمثيل الشعب العربي الفلسطيني . ٤ — التأكيد على استمرار الثورة ومواصلة الكفاح المسلح كطريق وحيد للتحرير والتصدي لكل مؤامرات تصفية القضية الفلسطينية وعلى رأسها مشاريع التسوية والدولة الفلسطينية الهزيلة في الضفة والقطاع ، والنضال من أجل تحريك الجماهير الفلسطينية والعربية للمشاركة الفعالة في تصعيد الثورة وحمايتها وضرب مخططات التآمر. ٥ — التأكيد على ان حق تقرير المصير يعني التحرير الكامل واقامة الدولة الوطنية الفلسطينية على كامل تراب الوطن . ٦ — ادانة الانتخابات البلدية والمحلية في الضفة الغربية وفضح التواطؤ الهاشمي — الصهيوني لترتيب نتائج سياسية على تلك الانتخابات ، تستهدف شق وحدة الشعب الفلسطيني واعطاء الاحتلال نوعا من الشرعية وخلق وضع مدني مدجن راضخ للاحتلال تمهيدا لخطوات اخرى تستهدف تصفية القضية الفلسطينية .

ويلاحظ ان التفكير في عقد المؤتمر سبق اعلان مشروع الملك حسين ، وبذلك فان احباط مشروع الملك وادانته أضيف الى قائمة الاهداف فيما بعد . ولما كانت اللجنة التنفيذية للمنظمة قد حددت للمؤتمر موعدا هو ١٦ آذار (مارس) اي قبيل اجراء الانتخابات البلدية فان ورقة العمل المقدمة اقترحت تأجيله الى ١٥ ايار (مايو) ، حتى يمكن

أعداده بشكل جيد وحتى لا يتحول الى مجـرد مظاهره مضادة للرد على الانتخابات البلدية ، فاذا نجحت اسرائيل في اجرائها بالضغط والقهر اصيب المؤتمر بهزيمة ، والشعب الفلسطيني بخيبة أمل كبيرة . (وقد نجحت اسرائيل فعلا في اجـراء الانتخابات ولكن جماهير الضفة الغربية أحبطت كل نتائجها السياسية بالتظاهر ثم بالاصرار على طبيعتها البلدية وباعادة انتخاب المجالس القائمة فعلا) وعند قيام العدو الاسرائيلي بالهجوم على جنوب لبنان قامت اللجنة التنفيذية بتأجيل موعد الانعقاد فعلا من ١٥ مارس الى ٦ ابريل (نيسان) بدلا من الموعد المقترح وهو ١٥ أيار .

وقد قام مركز التخطيط باعداد مذكرة اولية عن المؤتمر وأهدافه ومتطلباته أعقبها بمذكرة تفصيلية عن خطة اعداد المؤتمر وتنظيمه ركز فيها بالاضافة للبرامج الزمنية الاجرائية التفصيلية على ما يلي : ١ — ضرورة تحقيق خطوات عملية لتوحيد فصائل المقاومة قبل المؤتمر . ٢ — ضرورة الاعداد للمؤتمر واختيار اعضائه عن طريق مؤتمرات شعبية اقليمية في أماكن تجمعات الفلسطينيين الرئيسية . ٣ — ضرورة اختيار الاعضاء مـن الوطن المحتل على اساس فئوي واقليمي وتنظيمي لا عـلى اساس « الوجهاء » مع دعوة بعض الشخصيات الوطنية بطبيعة الحال . ٤ — ضرورة اعداد برنامج عمل محدد ومفصل وتقديم أوراق عمل مدروسة للجان المؤتمر لمساعدتها على انجاز اعمالها في الوقت القصير المحدد لها . وقد كلف مركز الابحاث ومركز التخطيط فعلا بتقديم الدراسات واوراق العمل للمؤتمر وقد قاما بذلك فعلا ، كما قدم مركز التخطيط للمؤتمر مشروعا لبرنامج سياسي وتنظيمي سنتناوله فيما بعد . ٥ — ضرورة دعـوة ممثلين للقوى التقدمية والعالمية المشاركـة للثورة الفلسطينية والمساندة لكفاحها .

وقد قامت اللجنة التحضيرية التي اختارتها اللجنة التنفيذية بتنفيذ الاقتراح الاخير ، ولم تتمكن من تنفيذ الاقتراحات الاخرى . ولكن اللجنة التنفيذية للمنظمة اهتمت بقضية الوحدة الوطنية وضرورة وضع برنامج تفصيلي لتحقيقها قبل المؤتمر على الاقل . وقد شكلت اللجنة التنفيذية لجنة فرعية لوضع مثل هذا البرنامج لم تنجح في انهاء مهمتها.

اجتماع قيادات المنظمات : وباقتراب موعد المؤتمر قرر قادة الفصائل الاساسية للثورة (فتح ، الجبهة الشعبية ، الجبهة الديمقراطية ، جبهة التحرير العربية ، الصاعقة) مع الاخ كمال ناصر الناطق الرسمي للمنظمة الاتصال بمركز التخطيط للقيام بمحاولة اخيرة لتحقيق الوحدة الوطنية . وقد اسفر هذا الاتصال عن خمسة اجتماعات طويلة بالمركز نتج عنها برنامجان سياسي وتنظيمي ، تفصيليان ، وافق المجتمعون بالاجماع على خطوطهما الاساسية وأحالوهما الى اللجنـة التنفيذية للمنظمـة في اجتماعها الاخير قبل المؤتمر (السبت اول نيسان ١٩٧٢) . وقد قررت اللجنة التنفيذية في هذا الاجتماع ان تقدم هذه المشروعات مع اوراق العمل الاخرى الى المؤتمر باسمها وان تعتمدها اساسا للمناقشة في لجان المؤتمر واجتماعاته . ونتيجة لذلك قام مركز التخطيط باجراء الصياغة النهائية آخذا كل التعديلات المقترحة في الحسبـان وتدم المشروعات واوراق العمل للمؤتمر . وقد اتضح فيما بعد ان اللجنة التنفيذية لم تناقش هـذا البرنامج بالتفصيل ولذلك فقد تردد اعضاؤها في تبنيها والدفاع عنها خلال جلسات المؤتمر ، وان انتهى المؤتمر باقرارها بصورتها الاجمالية فيما بعد .

والحقيقة ان فصائل المقاومة لم تكن متحمسة كلها لعقد المؤتمر ، وكانت تخشى من محاذير عديدة سنتعرض لها فيما بعد وقد يكون ذلك عاملا هاما في محاولة قادتها توحيد صفوفهم قبل المؤتمر مما أثار اتهامات بالموسمية وعـدم الجدية وبتكرار التجارب المؤسفة السابقة . لقد رمى المؤتمر بثقله كله في اتجاه الضغط على فصائل المقاومة لتحقيق الوحدة ولذلك فان عدم تنفيذها هذه المرة لن يمر دون حساب قاس مـن جانب الجماهير والقوى الصديقة للثورة عربيا وعالميا .

سير أعمال المؤتمـر : دعت اللجنة التحضيرية أعدادا كبيرة من الناس بدأت تتدفق على القاهرة قبل المؤتمر ببضعة أيام لتتجمع في مبنى الجامعة العربية حيث بدأ المؤتمر اعماله بحفل افتتاح كبير بعد ظهر السادس من نيسان (ابريل) دعي اليه حشد كبير من الضيوف العرب والاجانب ومن الوزراء والرسميين المصريين ومـن الفلسطينيين المقيمين بالقاهرة لم يتركوا مكانا لاعضاء المؤتمر الوطني انفسهم وواجه المؤتمر بذلك أولى صعوباته. توج حفل الافتتاح بكلمة الرئيس انور السادات التي اعلن فيها قطع العلاقات بين مصر والاردن

لخروج نظام الحكم الهاشمي فيها عن الصف العربي ، واكد حق المقاومة الفلسطينية المسلحة في التمثيل الشرعي للشعب الفلسطيني كله واعلن تأييد مصر الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني التاريخية والراهنة . ولكن الرئيس السادات حدد الحقوق الراهنة بازالة آثار عدوان ١٩٦٧ والحقوق التاريخية بحق تقرير المصير (دون تحديد ان يتم ذلك على كامل التراب الفلسطيني) وهو بذلك ينطلق من مفهوم قرار مجلس الامن وما تلاه من مبادرات ناقشت حقوق شعب فلسطين . كما انه طالب المقاومة بالتزام الاستراتيجية العربية حتى لا تنعزل ! وان اضاف معترضا - شريطة ان تلتزم القيادة العربية بخط النضال - .

ان الحقوق الراهنة لشعب فلسطين هي حقه في الكفاح المسلح من اجل تحرير ارضه وفي تنظيم صفوفه عسكريا وسياسيا وفي حرية العمل من كافة الحدود العربية ، حق قيادته في تمثيله وفي الدفاع عن حقوقه المشروعة كلها . وكذلك حقه في حياة كريمة في ارضه وفي نزوحه ... الخ وان حقه التاريخي هو أساسا في تقرير مصيره على كامل التراب الفلسطيني وانشاء دولته الديمقراطية العربية الحرة المستقلة عليها . على ان ذلك كله لم يقلل من اهمية كلمة السادات في دعم المقاومة واعطاء دفعة قوية للمؤتمر ، وفي حصار النظام العميل في الاردن وفي حسم قضية التمثيل ووحدة الشعب الفلسطيني وفضح المؤمرات عليه ، وهي كلها أهداف هامة للمؤتمر .

وقد تحدث الاخ ابو عمار ايضا في الجلسة الاولى والاخ خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني والمؤتمر الشعبي والسيد عبدالخالق حسونه امين عام الجامعة العربية . وقد ركز الاخ ابو عمار في وضوح على النقاط التالية : أ - ان الثورة الفلسطينية ترفض اية وصاية او احتواء . ب - ان الثورة لم تكن حدثا عفويا وطارئا وانما هي امتداد لنضال شعبنا من اجل تحرير ارضه . جـ - ان لازمة الثورة جوانبها المتمثلة في العوامل السلبية الكامنة في الانظمة العربية والقوى الخارجية ، ولكن لها جوانبها الذاتية وبشكل خاص في العلاقة مع الجماهير العربية وعدم تنظيم هذه العلاقة تنظيما جيدا ، وطغيان العلاقة مع الانظمة على العلاقة مع الجماهير احيانا . د - ان الجبهة الاردنية ليست ملكا للعائلة الهاشمية ، وسنظل نقاتل لعودة المقاتلين الى الاردن الوطن .

وقد حضر المؤتمر ٣٠ وفدا عربيا وعالميا يمثلون حركات التحرر والاحزاب والمنظمات الصديقة كما أرسلت للمؤتمر مئات البرقيات والرسائل تأييدا له ولاهدافه*. وقد نالت رسالتا جبهة التحرير الوطني في فيتنام الجنوبية ورئيس وزراء فيتنام الشمالية السيد فام فان دونج ورسالة شو ان لاي

كما حضر المؤتمر ممثلو المنظمات التالية : الجبهة الوطنية الاردنية ، جبهة التحرير الجزائرية ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، القوى والاحزاب التقدمية في لبنان ، الاتحاد المغربي للشغل ، الحزب الشيوعي الصيني ، الحزب الشيوعي السوفياتي ، الحزب الشيوعي الالباني ، الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية ، حزب العمال الفيتنامي في فيتنام الشمالية ، الجبهة الوطنية لتحرير لاوس ، حكومة الجبهة الوطنية في كمبوديا ، الحزب الشيوعي البلغاري ، التحالف الاشتراكي اليوغسلافي ، الحزب الشيوعي في كوريا الشمالية ، الحزب الشيوعي الايطالي ، الحزب الشيوعي الفرنسي ، الحزب الشيوعي في المانيا الغربية ، حركة الشبيبة الديغولية ، حركة الفهود السود ، جبهة تحرير زيمبابوي ، جبهة تحرير انغولا ، الحركة الوطنية الاثيوبية ، جبهة تحرير اريتريا ، جبهة التحرير الايرانية ، جبهة تحرير موزامبيق ، جبهة تحرير غينيا بيساو ، جبهة تحرير تشاد ، جبهة التحرير التركية ، جبهة التحرير الايرلندية ، حزب العمل الاشتراكي العربي .

---

* اهم المتحدثين بالمؤتمر : الرائد مختار القروي الممثل الشخصي للعقيد معمر القذافي ، ممثل الرئيس العراقي ، مندوب الكويت ، الرفيق ميركو رئيس الوفد اليوغسلافي ، السيد محمد شريف مسعديه مسؤول التوجيه والفكر في جبهة التحرير الجزائرية ، السيد مهدي مصطفى الهادي وزير شؤون الرئاسة في السودان ، السيد لاندروف ممثل لجنة التضامن الافرو آسيوية في الاتحاد السوفييتي ، السيد احمد عبدالله عضو اللجنة المركزية للجبهة القومية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، السيد احمد كرم داود عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ، السيد ترونغ بنه رئيس وفد جبهة التحرير الوطني ورئيس الحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية فيتنام الجنوبية .

رئيس وزراء الصين اكبر درجة من الترحيب والحماس . وكانت درجة التأييد الذي تضمنته معظم الرسائل والبرقيات والكلمات عالية جدا ، كما اتسمت بالتحديد وبالمنحى العملي ، تمثل قفزة نوعية مقارنة بالمؤتمرات السابقة. فقد بدأت معظم الرسائل بالتأييد العام ثم اعقبته بتأييد محدد وخاص لاهداف المؤتمر .

وبعد ان استمع المؤتمر الى الكلمات الافتتاحية ثم كلمات ورسائل التأييد تحول الى جلسة مغلقة لمناقشة اجراءات العمل وتقسيم اللجان ، وقد تشكلت نتيجة لذلك اربع لجان هي لجنة الوحدة الوطنية ، اللجنة السياسية ، لجنة الجبهة العربية المشاركة ، لجنة الصياغة العامة . وقد أحيلت البرامج والاوراق المقدمة من مركز التخطيط الى هذه اللجان التي ناقشتها واعتمدتها بصورة عامة مع بعض التعديلات واعادتها مرة اخرى مع صيغة البيان العام للمؤتمر الذي أقرها وأحالها بدوره الى اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد بعد المؤتمر فورا لاقرار اعماله واعطائها الصفة الشرعية . (لن نتعرض هنا بصورة تفصيلية للكلمات والمناقشات ، لمزيد من التفاصيل انظر مجلة « فتح » ١٣/٤/١٩٧٢) .

الاتجاهات العامة في المؤتمر

ظهرت في المؤتمر عدة اتجاهات وهي تشكل تيارات اساسية يجب شرحها وتقييمها :

أ ــ **الاتجاه نحو الوحدة الوطنية** : لقد كان هذا اهم الاتجاهات وأوضحها ، فبالرغم من ان الداعين للمؤتمر لم يعطوا الاولوية الاولى لموضوع الوحدة الوطنية ومشروعاتها التفصيلية ، الا انه بدا واضحا منذ اللحظة الاولى لانعقاد المؤتمر ان هذه هي قضيته الاولى الملحة . وقد حاول أعضاء المؤتمر بكل الطرق ان يشكلوا ضغطا على القيادات لكي تتناسى خلافاتها وتنهي ترددها وتحسم أمرها وتحقق أولا وحدة الفصائل (المنظمات) حتى يمكنها بعد ذلك تحقيق وحدة وطنية شاملة للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال وفي بلاد النزوح . وفي الحقيقة ان فصائل المقاومة تستحق القدر الكبير من اللوم وتتحمل مسؤولية بعض الانحرافات التي ظهرت في المؤتمر نتيجة لفقدان ثقة قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية وبالتالي من اعضاء المؤتمر بجديتها في تحقيق وحدتها . فلقد ظهر تيار ينادي بالوحدة الكاملة التامة الاندماجية فورا ، وتيار ينادي بحل التنظيمات التي تقف حجر عثرة أمام الوحدة ، بل وتيار خطير يندد بالتنظيم والتنظيمات (واصحاب التنظيمات) ! ويصل الى ان التنظيمات ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه !! وتيار يعتبر عدم تحقيق الوحدة سببا في كل ما حل بالشعب الفلسطيني وثورته من مصائب .

والوحدة الاندماجية التامة الفورية لا يمكن انجازها، وتفترض وحدة في الفكر والرأي والاتجاه والخط العام والتكتيك والعمل وهي غير متوفرة . كما ان الوحدة ايا كان نوعها تتطلب تغييرا في التنظيم والعلاقات وطريقة اتخاذ القرارات لا يمكن اجراؤها في لحظات . كما ان التنظيمات نشأت بسبب الظروف الموضوعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني ؛ ولو كان الشعب كله متفقا في الرؤية والاهداف والافكار لما نشأت الفصائل ولما استطاعت انظمة عربية معينة تغذيتها وتدعيمها ولنشأت منظمة واحدة فقط منذ البداية . وقبل نشوء منظمات المقاومة كان الشعب ينقسم الى كتل قبلية وعائلية (حسيني ونشاشيبي ، الخ) واقليمية (المقادسة والغزازوة والخلايلة .. الخ) وانتماءات لدول النزوح ومخابراتها ، والى أحزاب وتجمعات سياسية وفئوية (اخوان وشيوعيين وبعثيين وقوميين عرب ... الخ) . كما ان جل المصائب التي حلت بهذا الشعب أتته من الهجمة الاستعمارية الصهيونية الشرسة عليه وعلى وطنه والتي شارك فيها وبقسوة عملاء الاستعمار في المنطقة كالنظام الهاشمي الاردني .

هذا كله صحيح ، ولكنه لا يكفي عذرا لعدم قيام وحدة جبهوية في القيادة ، اندماجية في المؤسسات الثورية الوظيفية يلتقي فيها كافة الاطراف على برنامج حد ادنى ، كل هذا لا يعفي فصائل الثورة وقياداتها من المسئولية الذاتية والتي تترتب عنها اضعاف قدرة المقاومة على تعبئة جماهيرها الفلسطينية والعربية وبالتالي على التصدي بفعالية أكبر للهجمة الامبريالية الشرسة على الشعب الفلسطيني وثورته .

لقد أدى الاتجاه الضاغط لتحقيق الوحدة الوطنية الى انشغال معظم جلسات المؤتمر ولجانه بالحديث عن الشق السياسي والشق التنظيمي التفصيلي لتحقيق الوحدة . كما أدى الى تشكيل لجنة متابعة من المؤتمر لتواصل الضغط حتى تتحقق الوحدة في

فترة ثلاثة الشهور التي حددت لها والتي تنتهي بانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته العادية (في تموز ١٩٧٢) .

والملاحظ في هذه المنجزات انها أكدت دور الجماهير في متابعة تحقيق الوحدة وان قضية الوحدةالوطنية ليست قضية لقاءات فوقية بين القيادات وانما هي مطلب جماهيري ملح لتحقيق وحدة تشمل أوسع قطاعات الجماهير وليس لتحقيق وحدة اداة الثورة فقط ، وان هذه الجماهير بشكل تنظيمي ما ستواصل الاشراف على تنفيذها والضغط من اجل تحقيقها . كذلك فان الموافقة على البرنامج السياسي والتنظيمي اجهضت الاتجاه القائل بأن الوحدة هي قضية هياكل تنظيمية دون محتوى . لقد اصر المؤتمر على تأكيد هذا المحتوى النضالي من خلال اقرار البرنامج السياسي . واخيرا فان اقرار البرنامج السياسي يعنى ان التوجه للوحدة الوطنية الفلسطينية انما هو خطوة هامة من اجل انجاز الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية وهي بدورها خطوة على طريق انجاز جبهة تقدمية عربية . مما يؤدي فعلا الى التحام الثورة الفلسطينية بالجماهير الاردنية والعربية من خلال طلائعها وقواها الثورية .

٢ — **الاتجاه نحو الحل النضالي بدلا من الدبلوماسية والخبطات الاعلامية** : توجه المؤتمر منذ بدايته توجها نضاليا . فالاصرار على البرنامج السياسي — وهو برنامج نضالي ثوري مرحلي لا يقبل الا حرب الشعب استراتيجية ويرفض كافة الحلول الاستسلامية المطروحة في الساحة ولكنه بالاضافة الى ذلك يقدم برنامجا تفصيليا للنضال في المرحلة الراهنة والقادمة كان دليلا على التوجه النضالي للمؤتمر . ولقد كانت هناك محاولات لسد هذا الطريق او استبداله بطرق اخرى لم تنجح اطلاقا . وعلى سبيل المثال ، كان هناك اتجاه يتصور أن المؤتمر لكي يكون قد انجز شيئا ما فلا بد له من اعلان صيغ دستورية جديدة للشعب الفلسطيني او القيام بخبطات اعلامية ودبلوماسية تلفت انظار العالم ، وان المؤتمر بذلك ، وبذلك فقط يكون قد رد على مشروع الملك حسين ، وتصدى للانتخابات البلدية في الضفة الغربية . والحقيقة أن هذه الخبطات الاعلامية والتحركات الدستورية هي تكتيك لم يعد ناجحا في هذه المرحلة اذا لم يتوفر للثورة الخط النضالي الواضح ، والانجازات النضالية المقنعة لجماهيرها هي اولا ثم للعالم ككل . ويذكر الجميع ان الاستاذ أحمد الشقيري — وقد ناضل للحقيقة نضالا باسلا في مؤتمر الخرطوم ضد الاستسلام العربي ومن اجل اللاءات المشهورة — قام بعدها بخبطة اعلان مشروعه لتوحيد الوطن العربي كله من اجل المعركة ثم قام بخبطة اعلان تشكيل مجلس قيادة الثورة في الداخل ، وفي القدس بالذات ، ولم يشكل ذلك ردا على هزيمة حزيران ولم يحرك الجماهير ولم يلفت انظار العالم ، وفي النهاية لم تستجب الجماهير الا لانتصار الكرامة في مارس ١٩٦٨ وللتحرك النضالي المسلح ، ولم ينتبه العالم الا لانجازات ثوارنا على ارض المعركة . وفي عام ١٩٧٢ لم يحرك الجماهير اللبنانية تحرك اعلامي عجائبي او خبطة دبلوماسية مهولة ، وانما حركها استبسال وصمود مناضلينا في العرقوب . ولقد قال الاخ ابو عمار مثل هذا الكلام في الجلسة المغلقة للمؤتمر في يومه الثاني .

هذا لا يعني طبعا الا نقوم بعمل سياسي او حتى دبلوماسي فالمطلوب من الثورة دائما أن تحصل على الحلفاء الاقوياء ، ولو كانوا « حلفاء مؤقتين ، مترددين ، مشروطين ، واقل ما يكونوا قوة وضمانا »* . كما ان ذلك لا يعني التوقف عن النضال السياسي ، ولكن هناك فارقا كبيرا بين النضال السياسي ، وبين الضربات الاعلامية المفرغة من اي محتوى نضالي .

كذلك أجهض المؤتمر محاولات جعله منبرا لمطالبة الانظمة العربية أن تفعل « كذا » او تحجم عن « كيت » ، واصر على البدء بالعامل الذاتي اولا، صحيح انه يظل هناك شيء نطلب من الانظمة العربية تحقيقه ، ولكنه من البديهي ايضا ان الانظمة لا تستجيب لنا الا بقدر قوتنا الذاتية وتلاحمنا مع الجماهير العربية واصرارنا على خط النضال (والامثلة المذكورة اعلاه كافية للتدليل على ذلك) .

ولقد جرت محاولات لتفجير المؤتمر ونسف البرنامج السياسي النضالي المطروح عليه حتى يعود المؤتمر في النهاية فيجد نفسه دون برنامج عمل مما يضطر اعضاءه الى القبول « ببدائل » تنقذ الموقف. ولكن

* انظر الكتاب الرائع عن الثورة الفيائنامية ، تاليف لي ذوان ، وترجمة طاهر عبد الحكيم ، ونشر دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٦ .

هذه المحاولات باءت بالفشل والتزم المؤتمر بالخط النضالي الاساسي .

٣ ـ **اتجاه المستقلين والكفاءات** : ظهر في هذا المؤتمر تيار ينادي بافساح المجال للمستقلين او الكفاءات او المفكرين والمثقفين الفلسطينيين لكي يزداد تمثيلهم في مؤسسات منظمة التحرير القيادية اي المجلس الوطني واللجنة التنفيذية . وهو تيار قديم ، وقد كان سائدا منذ نشأة منظمة التحرير وحتى وصول منظمات المقاومة الى قيادتها في شباط ١٩٦٩ . ولكن الجديد في الامر هو تبني بعض قادة المقاومة له داخل المؤتمر الشعبي . ويجب مناقشة هذا الاتجاه مناقشة موضوعية خالية من أي تشنج او تزمت . فالقول بأن غالبية ابناء الشعب الفلسطيني مستقلون هو قول صحيح اذا قصد به عدم انخراطهم في تنظيمات حزبية او عسكرية والتزامهم التزاما كاملا بها ، فأعضاء التنظيمات المسلحة والتجمعات السياسية المنظمة طليعة قليلة العدد ، وبالقدر الذي تلتزم به هذه القلة بمصالح الجماهير وبالقدر الذي تحمله من التضحيات من اجل تحرير الوطن تحريرا كاملا تعطيها الجماهير ثقتها وتوليها قيادتها .

وطالما أن هذه الطليعة القيادية تفتح الابواب واسعة لكل من اراد أن يعمل من اجل الوطن وحريته ووحدته بغض النظر عن دينه وطبقته وعقيدته ما دام على استعداد للالتزام باستراتيجية التحرير وببرنامج المرحلة وطالما ان الطليعة على صلة دائمة بجماهيرها تحس باحساساتها وتستجيب لمتطلباتها وتشركها في مسيرتها فانه لا خوف من الانفصال بين الطليعة وجماهيرها . وصحيح ان تعدد المنظمات في الساحة الفلسطينية وتطرف ما يطرحه بعضها وغياب الوحدة الوطنية يجعل من الصعب على بعض العناصر الالتحاق والالتزام ، كما ان غياب التنظيم الفعال يجعل من الصعب تعبئة واستيعاب الكثير من العناصر الجيدة التي تريد موقعا تعمل منه فلا تجد وتظل تطرق الابواب ولا من مجيب ، ولكن ذلك لا يعني ان العمل التنظيمي الملتزم مغلق على اصحابه . وفي غالب الاحيان فان طارقي الابواب من الخارج لا يقبلون الا بمواقع قيادية او قريبة من القيادة ، ويعتبرون ان ما دون ذلك لا يليق بمقامهم وبكفاءاتهم وشهاداتهم .

وفي الحقيقة فان التنظيمات النقابية والاتحادات يمكن لها ان تشرك العمال والطلاب والمعلمين والمرأة والكتاب والفنانين والحقوقيين وغيرهم من العاملين بالمهن المختلفة وتنظمهم وتصل بهم الى المؤسسات القيادية للمنظمة . كما يمكن ابتكار اشكال تنظيمية اخرى تمكن قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية من استخدام طرق ديمقراطية لتمثيلها ورفع صوتها في مجالس المنظمة ومؤسساتها ، ولكن ذلك غير ممكن في اماكن تجمع غالبية شعبنا اي في الوطن المحتل وشرق الاردن. وهؤلاء في غيبة التنظيم السري الحديدي القادر لا يمكن تمثيلهم واعطاؤهم دورا حقيقيا في قيادة منظمة التحرير .

من هم اذا المستقلون في منظمة التحرير ؟ ومن يمثلون ؟ من الصعب تقديم اجابة قاطعة على هذا السؤال اذ ليس هناك تجمع واحد ذو فكر واحد يندرج تحته المستقلون والا ما عادوا مستقلين . كذلك من الظلم البين القول بانهم لا فكر لهم ولا عقيدة ولا ايديولوجية ولا برنامج كما قال احد ممثلي التنظيمات بتشنج بالغ وهو يتهمهم بأنهم دعاة الاستسلام والهزيمة !! ولكن يمكن تقسيمهم الى مجموعات متعددة :

١ ـ هناك الشخصيات الوطنية ذات التاريخ النضالي وثوار الامس الذين قدموا لوطنهم الكثير في حياتهم ولكنهم تقدموا في العمر ولم يعد في امكانهم البدء من جديد والقيام بالعمل التنظيمي الدؤوب الملتزم وبعض هؤلاء يملك خبرة طويلة ، ولا شك انه يجب ايجاد صيغة تسمح لعدد منهم ـ وهم قليل على كل حال ـ بالمشاركة في المؤسسات القيادية الفلسطينية لاعطاء النصح والمشورة قدر طاقتهم وتكريما لهم ولكل مناضل من أجل الوطن .

٢ ـ هناك مجموعات من ذوى الثقافة الاكاديمية والتقنية العالية ممن يملكون خبرة خاصة يمكن لهم افادة الثورة منها . والحق ان الطريقة المثلى للاستفادة منهم هو في تعيينهم مستشارين للثورة في مراكز التخطيط والابحاث والدراسات . ويمكن بالطبع لبعضهم ممن يعملون بالتزام واخلاص في هذه المراكز ان يصلوا بطريقة ديمقراطية ومن خلال مؤسساتهم الثورية العلمية هذه الى المجلس الوطني الفلسطيني وغيره من مؤسسات الثورة . ولا يجوز اطلاقا استخدام صيغة المثقفين او المفكرين او الكفاءات لوصفهم كمجموعة متمايزة

وتبرير وصولهم الى المناصب القيادية ، فالثورة بتنظيماتها المسلحة تمتلىء بالكفاءات الثورية الممارسة . أليس خبير المفرقعات في احدى الوحدات العسكرية كفاءة ؟ ومسؤول الاعلام في اي من التنظيمات مفكرا ، ومدير المدرسة الابتدائية ومسؤول الاشبال ومقاتل الميليشيا ، أليسوا كفاءات هامة للثورة ؟ واذا كانت القضية هي قضية شهادات علمية هل يعرف الكثير ان احد قواعد قوات العاصفة في جنوب سوريا تتمتع بسبعة وعشرين مقاتلا يحملون شهادات جامعية عالية وأن احد آمري القطاعات في جنوب لبنان حاصل على شهادة الماجستير في العلوم السياسية وان عديدا من العاملين في التنظيم والاعلام في منظمات المقاومة يحملون شهادات الدكتوراه في موضوعات مختلفة ، وان الذين قاموا بعملية بتاح هاتكفا الرائعة في تموز ١٩٧١ وبعض قادتها الذين استشهدوا بعد العملية كانوا من المهندسين حملة الشهادات الجامعية ؟ وان معظم هؤلاء بحكم رتبهم التنظيمية لا يستطيعون الوصول الى المجلس الوطني او اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ؟ ما الذي يميز الكفاءات الفنية المستقلة عنهم حتى تصر على ان تعمل مع القادة وفي القيادة والا فلا ؟

اننا شعب ناضل الكثير من ابنائه للحصول على ارقى درجات العلم لكي يستطيعوا العيش في نزوحهم عن وطنهم وتحت القهر ، ونحن نواجه عدوا يتسلح بالعلم والتقنية في كل ما يعمله ويقوم به ولذلك فانه من الضروري ان تعبيء الثورة وتستوعب كل ابناء هذا الشعب وان تستفيد حقيقة باشراك كل ذي كفاءة من ابناء الشعب العربي كله لدعم مسيرة الثورة ، ولكن يجب علينا ان نحذر كل الحذر من الصيغ الفوقية وغير الثورية التي يستخدمها بعض اصحاب الكفاءات .

٣ — وهناك مجموعات من المستقلين المقربين لاحد التنظيمات او الاخر يستخدم في لعبة الكوتا وفي غيبة الاسس الديمقراطية في الاختيار والتمثيل ، وهذه صيغة يجب ان تنتهي في ظل البرنامج التنظيمي الجديد الذي يوفر الاسس البديلة لنظام الحصص .

٤ — وهناك مجموعات مريبة من ذوي الارتباطات بأجهزة المخابرات التابعة للانظمة العربية المختلفة، ومن الوجهاء اصحاب المصالح والعلاقات ، وهؤلاء يمكن استخدامهم تحت راية المستقلين وفي مرحلة انحسار ثورية لضرب الثورة وعزل قيادة الثورة المسلحة داخل منظمة التحرير او لسلب شرعية التمثيل الفلسطيني من منظمة التحرير . وتركز هذه المجموعات على اخطاء المقاومة وتجعلها قميص عثمان من اجل قتل ارادة الكفاح المسلح والتشكيك بصحة استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد ومحاربة التنظيم الثوري . ومن هذه الجماعات من يعمل الملك حسين على استخدامه في انشاء القطر الفلسطيني في مملكته المزيفة ، ومنهم من تطمع اسرائيل في استخدامهم ، ومنهم من يروجون للحلول الاستسلامية والاسترزام لهذا النظام أو ذاك ، او يعملون من اجل كيان فلسطيني هزيل ومزيف على جزء من التراب الفلسطيني . وهذه مجموعات يجب اقصاؤها عن العمل الفلسطيني والمؤسسات القيادية لمنظمة التحرير والتصدي لها بكل حزم ثوري .

وقد شهد المؤتمر نماذج من كل هذه المجموعات، وان كانت المجموعة الاخيرة أقلها تمثيلا . والواضح ان اسرائيل والنظام العميل في الاردن لم يتمكنا من تجنيد واحد من تلك العناصر وارساله للمؤتمر لمحاولة افشاله مفضلا منع الجميع من حضوره والمشاركة في اعماله .

ان قرار توسيع المجلس الوطني الذي صدر عن المؤتمر والمجلس يجب تنفيذه من خلال اطار البرنامج التنظيمي المقدم للمؤتمر والمعتمد بخطوطه الرئيسية منه ، ويجب الحذر كل الحذر من الوقوع في فخ المجموعات الاخيرة بدعوى اشراك المستقلين . اي انه يمكن توسيع تمثيل الجماهير الفلسطينية من خلال التنظيمات النقابية والاتحادات المهنية والفنية ومن خلال صيغ التمثيل الديمقراطي للميليشيا وللتجمعات الفلسطينية في البلدان التي يمكن فيها مزاولة العمل العلني ، كذلك يمكن زيادة تمثيل المؤسسات الثورية المتخصصة في البحث والدراسات والتخطيط والتي ترتبط بالثورة واطاراتها التنظيمية ، كما يمكن اضافة بعض الشخصيات الوطنية التاريخية التي يجب تكريمها واشراكها ولكن ذلك يجب ان يتم في أضيق الحدود . واما جماهير شعبنا الواقعة تحت القهر الاسرائيلي والهاشمي فانه الى حين توفير التنظيم الحديدي الثوري بينها ، والى حين ظهور « عميروش » الخليل و«ابو علي اياد» جديد فيجرش

وعجلون و « جيفارا » فلسطين في جبل النار نسيظل « الداخل » أقل تمثيلا من شعبنا في « الخارج » وأقل تأثيرا على القرارات الاساسية للثورة ويبقى على قيادة منظمة التحرير مسئولية خلق الاتصال الدائم بشعبنا « في الداخل » ودعم صموده ودفع نضاله وخلق البؤر التنظيمية الثورية بين صفوفه والاستماع لحاجاته ومشاعره واحساساته .

البرنامج السياسي والتنظيمي

توجه المؤتمر منذ البداية — كما سبق شرحه — للبحث عن الردود على التحديات المصيرية التي تواجه الشعب الفلسطيني وثورته فانطلق من استراتيجية الثورة وعمل على تعميقها وعلى بحث خطط تفصيلية لتطبيقها بكفاءة . ومن هنا كان توجه المؤتمر بكافة لجانه لدراسة البرنامج المطروح للوحدة الوطنية بشقيه التنظيمي والسياسي .

وقد أقر المؤتمر البرنامج السياسي بعد نقاش مكثف وجاد أغنى واوضح بعض نقاطه وادخل تعديلات لها ما يبررها على بعض فقراته ، كما أقر البرنامج التنظيمي بخطوطه العامة ، ورفع البرنامج بشقيه الى المجلس الوطني لاعتماده . ولقد كانت العناية التي اولاها المؤتمر للبرنامج السياسي دليل نضج في فهم الوحدة الوطنية باعتبار ان شرطها الجوهري هو الوحدة الفكرية، وفي تقييم الواقع الموضوعي المحيط بالثورة وتحديد المهام والاحتياجات النضالية التي يتطلبها هذا الواقع ، واسلوب اداء هذه المهام والاستجابة لهذه الاحتياجات بما يدعم المسيرة الاستراتيجية ويدفع في اتجاه تحقيق الهدف الاستراتيجي .

ويتميز البرنامج السياسي بالخصائص التالية : ١ — أكد على صحة استراتيجية الثورة في مواصلة النضال المسلح لتحرير كامل تراب الوطن ولاقامة الدولة الوطنية الديمقراطية الفلسطينية رافضا في المقابل كل مشاريع التسوية السياسية وكل المشاريع والمناورات الهادفة لتصفية قضية التحرر الوطني الفلسطيني . ٢ — أكد على الصلة العضوية والمصيرية بين نضال الشعبين الفلسطيني والاردني ، وعلى ان النضال المشترك لتحرير الشعب الاردني من طغيان النظام العميل هو شرط جوهري لمواصلة النضال المسلح من اجل تحرير فلسطين ، ومن هنا طرح البرنامج كضرورة استراتيجية مهمة تشكيل الجبهة الوطنية الفلسطينية — الاردنية . ٣ — حدد بشكل سليم موقع النضال الوطني الفلسطيني من النضال الوطني العربي بشكل عام وارتباط كل منهما بالاخر نجاحا او فشلا . ومن هنا فقد طرح البرنامج كضرورة مصيرية مهمة تشكيل الجبهة الوطنية العربية المناهضة للصهيونية والامبريالية .
٤ — كما حدد البرنامج نوعية العلاقات التضامنية بين النضال الوطني الفلسطيني — العربي والنضال الثوري العالمي : ضرورة الالتحام والتفاعل الوثيق في اتجاه تنمية وتعزيز وحدة الصفوف الثورية العالمية المناضلة ضد الامبريالية والعنصرية ، بما يتفق ومصلحة النضال الوطني العربي .

ولقد انطلق البرنامج السياسي من ثلاثة منابع رئيسية : أ — المبادىء العامة التي تضمنها الميثاق الوطني الفلسطيني والنظام الاساسي ومقررات المجالس الوطنية المتتالية . ب — الفهم العلمي للعنف الثوري باعتبار انه يعني الجمع بين النضال الجماهيري المسلح وغير المسلح (السياسي) . ج — ان الالام وصنوف الاضطهاد والحرمان التي يتعرض لها شعبنا يوميا يجب ان تكون هموما للطليعة التي تناضل من اجل التحرير الكامل للشعب والوطن . وان النضال مع الجماهير لدفع هذه المظالم ولصد الاضطهاد هو شرط اساسي لكسب ثقة الجماهير ، ولتدريبها على التنظيم وعلى النضال المنظم ، ومن هنا يمكن الارتقاء بهذه النضالات الجزئية الى المستوى الذي تخدم فيه وتنمي وتعمق النضال الاستراتيجي العام وتخلق الظروف الموضوعية والذاتية لتطوير الكفاح المسلح وفقا لمبادىء حرب الشعب .

كذلك فان المناخ النضالي والتنظيمي الذي يتشكل حول القضايا الجزئية هو الذي يوفر أرضا خصبة لتوسيع وتعميق تنظيماتنا السياسية والمسلحة ، كذلك فان هذه النضالات الجزئية هي المجال الذي تكتشف فيه خيرة ابناء شعبنا المناضلين ، وهي البوتقة التي يجري بها اختبار وتعليب هذه العناصر حتى تتشكل تنظيماتنا من مناضلين اقوياء ومتمرسين . لذلك عني البرنامج على الساحتين الفلسطينية والاردنية بتحديد عديد من المهام السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للنضال من حولها بالاضافة الى المهام الاستراتيجية.

ولقد كانت هناك بعض الملاحظات اثناء مناقشة

البرنامج السياسي في المؤتمر حول هذه المهام الجزئية التي تضمنها البرنامج سواء على الساحة الفلسطينية او الاردنية ، وكان جوهر تلك الملاحظات هو انها تجعل من البرنامج السياسي برنامجا اصلاحيا — من خلال النظام القائم — لا برنامجا ثوريا — ان برنامجا ما يمكن وصفه بأنه برنامج اصلاحي اذا ركز على المهام الآنية القصيرة الاجل واغفل المهام الاستراتيجية او لم يوجه حصاد النضال من اجل المهام الآنية نحو انجاز المهام الاستراتيجية ، وهذا ما يجعل البرنامج المقدم يختلف جذريا عن اي برنامج اصلاحي فهو يؤكد على المهام الاستراتيجية وعلى اسلوب تحقيقها وهو الكفاح المسلح الطويل الامد والنضال السياسي الجماهيري باعتبارهما الركنين الاساسيين للعنف الثوري .

ولا بد لنا هنا من التوقف لحظة للمقارنة بين ما يسمى الحلول المرحلية لقضية فلسطين والمتمثلة بشعار « خذ وطالب » وبين الخطوات المرحلية للتحرير . فالمطالبون بدولة فلسطينية على جزء من التراب الفلسطيني من ضمن اطار الحل السلمي بدعوى « الواقعية » يضحون بالهدف الاستراتيجي كله من اجل الحل المرحلي ، وسوف تجر هذه الواقعية الشعب الفلسطيني الى الاعتراف فورا بشرعية اسرائيل والى وضع مقدرات الشعب الفلسطيني كلها تحت تصرفها ، وبالمقارنة فان هدف تثبيت المواطنين في ارض الوطن ووقف النزوح منها والتصدي للتهويد والحفاظ على الثقافة العربية ، حماية المؤسسات الثقافية العربية في الوطن المحتل هي كلها اهداف مرحلية هامة تساهم في الوصول الى الهدف الاستراتيجي، طالما انها تتم كلها في اطار الكفاح المسلح ودون اية مساومات مع العدو ، بل بالنضال الجماهيري ضد مؤامرات العدو واعتداءاته .

ان دعم صمود المواطنين في الوطن المحتل من اجل منع تهويد قطعة ارض صغيرة ومساندة نضالهم من أجل اقامة مدرسة فنية او جامعة تمنع خروج الشباب للخارج هي انجازات هامة ويجب الالتفات اليها في نفس الوقت الذي يستمر فيه الكفاح المسلح ويتعاظم . وهي تختلف جذريا عن الحلول المرحلية او المحاولات الاصلاحية ، لانه اذا رضخ العدو لها كانت كسبا جماهيريا واذا عارضها فان ذلك سيؤدي الى صدام بين المواطنين والعدو يعمق التناقض بين الجماهير والمحتل ويزكي الروح الوطنية ويكشف النقاب عن بعض الاساليب التخديرية التي يتبعها العدو مع مواطنينا . كما سيكون ذلك مادة لتجميع سخط عالمي على العدو.

ويمكن رؤية برنامج النضال على الساحة الاردنية بنفس المنطلق مع اضافة اعتبار اخر خاص وهو ان اجتذاب الجماهير الفلسطينية والاردنية في الضفة الشرقية للنضال المشترك من اجل بعض المطالب الآنية كالغاء قرار حل نقابات العمال او ازالة الضرائب الباهظة او اطلاق سراح المعتقلين السياسيين سيعمق الوحدة بين الشعبين على اساس النضال المشترك من اجل مصالح مشتركة ضد عدو مشترك . مثل هذا النضال المشترك — يحبط محاولات النظام المستمرة لتعميق الانقسام بين الشعبين الاردني والفلسطيني .

تقييم المؤتمر

يمكن القول دون مبالغة — بعد ان استعرضنا اهداف المؤتمر ومنجزاته — ان المؤتمر الشعبي الفلسطيني كان حدثا تاريخيا هاما . فالمؤتمر بانعقاده بعدده الضخم وبتمثيله لقطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني وبتخطيه كل محاولات منعه من الانعقاد او تفجيره من الداخل ، وفي هذه المرحلة الهامة ، يعتبر انجازا في حد ذاته .

ان مشاركة شخصيات فلسطينية عديدة في هذا المؤتمر كالاستاذ احمد الشقيري واعطاءها حجمها الطبيعي بهدوء وأدب هو انجاز . كما ان منع اسرائيل والاردن ابناء شعبنا من المشاركة في المؤتمر يعلن بشكل واضح ان النظام العميل في الاردن والعدو الصهيوني قد فشلا فشلا كاملا في استقطاب أية عناصر ذات وزن للتحدث باسمهما وان التمثيل الحقيقي والوحيد للشعب الفلسطيني تحت القهر والاحتلال وفي النزوح والشتات لا يزال هو منظمة التحرير ومؤسساتها ومؤتمراتها . لقد اعلنت اجهزة اعلام النظام العميل في الاردن بانها ستقيم مؤتمرا فلسطينيا مضادا في عمان يوم الجمعة ٧ نيسان ولكنها منيت بفشل ذريع واحبط مؤتمرها . وقد اضافت الرسالة الموقعة والشجاعة التي خرجت من اعضاء المؤتمر في الاردن الشيء الكثير الى قيمة المؤتمر .

لقد كانت هناك شكوك ومخاوف حول ما يمكن لبعض الناس ان يقولوه او يفعلوه في المؤتمر ،

ولكنه لم يرتفع في المؤتمر صوت واحد ينـــادي بالتفاهم مع النظام الاردني او قبول العمل مــن ضمن اطار الحــل السلمي او الرضوخ لمشيئــة الانظمة او حتى « التعقل » بمفهومه الاستسلامي. ولكن المؤتمر تخطى هــذا كله لكي يقر برنامجــا سياسيا وتنظيميا للوحدة الوطنية كما شكل لجنة متابعة جماهيرية من خلاله لمراقبة خطوات التنفيذ، واغلق المؤتمر الباب في وجــه كــل المحــاولات والمناورات للانقضاض على حق تمثيل الشعــب الفلسطيني حيث اكد في بيانه الختامي بما يلي : أ ــ ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثــل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في التعبــير عن أمانيه وتحديد ارادته وقيادة كفاحه المسلــح ونضاله في جميع الساحات . ب ــ ان اي اجراء او ترتيب او اتفاق في صدد تقرير مصير فلسطين وطنا وشعبا يصدر عن اية جهة اخرى غيرها انما هو خال من الشرعية . جـ ــ انه لا يحق لاية جهة من الجهــات او اي جيــل من اجيال الشعــب الفلسطينــي مهمــا تألبت عليــه الظــروف ان يتنازل عن اي حق من حقوقه الثابتة والطبيعية . وبذلك يكون المؤتمر قد نجح الى درجة كبيرة في تأكيد الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني وفي تحديد استراتيجية ثورته وخططها النضالية فلسطينيا واردنيا وعربيا وعالميا .

ولا بد من اضافة انجاز هام للمؤتمر ، فلقد نجح في استقطاب تأييد هام وعميق للشعب الفلسطيني وثورته من القوى التحررية التقدمية في العالــم ، وفي الاتفاق مع ممثلي القــوى الوطنية والتقدمية العربية التي دعيت اليه لعقد مؤتمر عربي لهذه القوى لتحديــد مهامهــا ازاء الثورة الــوطنية الفلسطينية وازاء النضال العربي عامة .

وختاما ، لا شك انه كانت هناك سلبيات وهنات كثيرة للمؤتمر ، فبالرغم من الخطط التفصيلية التي قدمت له الا ان معظمهــا لم ينفــذ او يؤخذ في الحسبان وأدى ذلك الى مشاكل تنظيمية عديدة وتحمل نتيجتها رئيس المؤتمر ومساعدوه اعبــاء كبيرة . ويبقى ان انجازات المؤتمر تتطلب تنفيذا ومتابعة ، وان هذه الانجازات حتى لو نفذت فانها لا تقدم حلا سحريا لقضايا الشعب الفلسطيني بل ترسم خريطة فقط لنضاله ومرشــدا لاستمــرار كفاحه ضد اعداء اقوياء شرسين ومتربصين ، وفي اطار عربي يمتلىء بحقول الالغام. ولا اجد للتعبير عما اعنيه هنا خيرا مما قاله الاخ ابو عمار في كلمته الاخيرة للمؤتمر : ليس المطلوب منا ان نفجر الالغام التي تعرقل طريقنا ولكــن ان نسترشــد ببرنامج لكي نمر ببندقيتنا بين الالغام في طريــق الكفاح الوعــر الشاق لكي نصــل الى ارضنــا ونحررها تحريرا كاملا .

الدكتور نبيل شعث

رسائل

رسالة من واشنطون : حديث مع الدكتور اسرائيل شهاق

مقتطفات من حديث مع الدكتور اسرائيل شهاق ، رئيس رابطة حقوق الانسان في اسرائيل ، جرى في واشنطن مع احد مراسلي « شؤون فلسطينية » . وقد سبق لجوزيف تقواع ، رئيس وفد اسرائيل الى الامم المتحدة ، ان وصف اسرائيل شهاق بالكلمات التالية « رجل مجنون ، يهودي يعميه الحقد ضد اسرائيل ، يهودي معاد للسامية » !

رابطة حقوق الانسان في اسرائيل : تأسست الرابطة في ١٩٤٥ اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين كنوع من الاحتجاج الذي أراد اليهود التعبير عنه ضد سياسة القمع البريطانية . وظلت تعمل بشكل جدي فقط خلال الفترة الممتدة من ١٩٤٥ — ١٩٤٨ ، اذ تحولت فيما بعد الى اسم دون مسمى ، وتحللت نهائيا في السنتين التاليتين لحرب ١٩٦٧ ، الى ان قام الدكتور مردخاي آري — شاول ، الشاعر والمترجم الاسرائيلي ، بدعوة الشباب الى احياء الرابطة بالانضمام اليها وتحويلها الى اداة للمطالبة بحقوق الانسان . وهكذا اعيدت لها الحياة في العام ١٩٦٩ وبدأت تكافح ضد سياسة القمع التي تطبقها اسرائيل ضد الفلسطينيين ، والجدير بالذكر ان عدد اعضائها الان لا يتجاوز بضع مئات من المثقفين .

الفلسطينيون في ظل الحكم الاسرائيلي : هناك فئتان من الفلسطينيين : أولئك الذين يخضعون للحكم العسكري الاسرائيلي في الاراضي المحتلة حديثا ، والمواطنون العرب الذين ما زالوا يخضعون للحكم الاسرائيلي منذ العام ١٩٤٨ . وليس للفلسطينيين الذين يخضعون للحكم العسكري الشامل اي حق مهما كان في اللجوء الى القانون المدني اذ انهم يعتمدون على السلطات العسكرية في كافة القضايا التي تتعلق بهم . وبالنسبة للوضع في غزة فانه يهز الضمير الانساني من الاعماق نظرا لان السياسة الاسرائيلية الرسمية تهدف الى « تقليل » عدد سكان ذلك القطاع ، فقد أعلن الميجر جنرال دايان انه « يريد ضم ارض غزة وليس سكانها » . وهكذا فان سياسة اسرائيل تقضي بـ « تقليل » عدد السكان ، أو طردهم من القطاع . ورغم ذلك ، لم تنجح الحكومة بشكل فعلي في تنفيذ سياسة الابعاد هذه . وقد بلغت سياسة اضطهاد المدنيين في غزة اقصى درجاتها خاصة بالنسبة لاهالي المشتبه بانتمائهم لحركة المقاومة ، اذ تقوم الحكومة بابعاد افراد عائلات هؤلاء بمن في ذلك الاطفال والشيوخ والنساء الى معسكر الاعتقال في « ابو زنيمه » بصحراء سيناء . اما بالنسبة للضفة الغربية المحتلة للاردن ، فان الوضع فيها لا يختلف عن الوضع في غزة ، مع انه أخف درجة لان المنطقة اكثر انفتاحا أمام الصحفيين والزوار في حين يحيط بغزه أسوار من الاسلاك الشائكة ليس لها سوى بضع مداخل ، كما لا تسمح السلطات العسكرية الاسرائيلية بزيارة القطاع الا لمن تريد ، وهكذا لا يسمح لجميع الصحفيين بزيارة المنطقة ، وحتى انه يتوجب على الاسرائيليين الحصول على تصريح للسماح لهم بالذهاب الى هناك ، بالاضافة الى التأكد من انهم مزودون بالاسلحة الضرورية لحماية ارواحهم . وتعتبر الضفة الغربية اوفر حظا من غزة لان فيها القدس مما يجعلها محط أنظار الكثيرين ، لذلك فان سياسة تقليل السكان هناك تطبق بشكل غير مباشر . فهناك هيئة تعمل على تهجير العرب من فلسطين تدعى شركة يورومان التي تقدم معونات مالية للعرب الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٨ و٣٥ سنة لمساعدتهم في الهجرة الى اوروبه ، وتشمل هذه المعونات مبلغ ٥٠ ليرة اسرائيلية (١٢ دولارا) وتذكرة ذهاب الى أوروبه واجازة عمل في المانيه او سويسره او في غيرهما من الدول الاوروبية بالاضافة الى تسهيلات للاقامة في الفنادق. وقد بدأت الشركة عملها في نيسان (ابريل) ١٩٧١

وعنوانها : ٢٠ شارع هانيفيم ، حيفا ، اسرائيل . ومديرها هو بيجال تريفون ، ولها وكلاء معتمدون في المناطق المحتلة واسرائيل، وبعض هؤلاء من العرب ، ونجحت حتى الان في تسجيل أسماء ٤٠٠٠ شخص (اي توقيع عقود معهم) ، ولكن قلة منهم هاجروا بالفعل ، وبامكان السلطات العسكرية ارغام الاخرين على الهجرة .

الحالة الاقتصادية في الضفة الغربية : شهدت الزراعة في الضفة الغربية تغيرا جذريا ، فالخضار التي تزرع هناك لم تعد تصدر للبيع (في الاسواق العربية كما قبل ١٩٦٧) بل ترسل للتصنيع في اسرائيل ، وهذا ما جعل الزراعة في الضفة مرتبطة بالصناعة الاسرائيلية ، التي تعمد الى تصدير ما تصنعه من خضار عربية الى أوروبه . وحظرت اسرائيل أيضا زراعة الحبوب في الضفة منذ اوائل ١٩٦٨ على اعتبار ان زراعتها مقتصرة على اسرائيل وحدها ، وبذلك اصبح مزارعو الضفة يعتمدون على اسرائيل في هذا المجال . وقد قبل المزارعون العرب بهذه التغييرات مرغمين نظرا لخضوعهم للحكم العسكري ، مما يسلبهم حقوقهم ويضطرهم لقبول كل ما يملى عليهم ، والا فانهم سيعرضون انفسهم لعقوبة لا طائل لها . من هنا يظهر ان جميع ضروريات الحياة ، اللهم الا التنفس ، خاضعة لتصريح من السلطات العسكرية في الاراضي المحتلة للحصول عليها او القيام بها . وعلى الصعيد السياسي ، حظرت هذه السلطات ايضا كافة اشكال النشاط السياسي ، حتى في الانتخابات البلدية منعت المرشحين من القيام بحملات انتخابية او بعقد اجتماعات او القيام بسوى ذلك من النشاطات . وكذلك فان الاحزاب السياسية محظورة ، ولا يسمح أيضا برفع اية شكاو ضد السلطات العسكرية ، ونتيجة لسياسة الكبت هذه بات الناس مرغمين على القيام فقط بما تريدهم السلطات العسكرية ان يقوموا به . وهناك بعض « الصناعات الجزئية » بدأت في النشوء في الضفة ، كما بدأت المصانع الاسرائيلية في فتح فروع لها هناك لتصنيع المنتجات التي تحتاج الى أيد عاملة كثيرة .

مسألة الجنسية الاسرائيلية : كل طفل يولد في اسرائيل من أبوين يهوديين يسجل على بطاقته بأنه مواطن ، واذا لم يكن من أبوين يهوديين تترك خانة الجنسية فارغة . واذا كان أبواه يحملان الجنسية الاسرائيلية يحق له طلبها عندما يبلغ من العمر ما بين ١٨ و٢١ سنة . وقانونيا يمكن منح الجنسية لفئتين من السكان فقط : ١) اليهود بما فيهم المتهودين ، ٢) ابناء الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية ، وما عدا ذلك (٧٠ ألفا) لا يحق لهم الحصول على الجنسية ، وكذلك الامر بالنسبة لاطفالهم ، جيل بعد جيل .

قانون الغائب — الحاضر : يطبق هذا القانون على الناس الموجودين في اسرائيل ولكنهم غائبون عنها قانونيا وذلك بقصد « سرقة » أراضيهم ، ويقع ضمن هذه الفئة كل عربي لا يستطيع ان يثبت انه كان (ولو ليوم واحد) تحت الحكم اليهودي خلال الفترة الممتدة من ١٥ أيار ١٩٤٨ وحتى آذار ١٩٤٩ . والمنطقة المعروفة باسم المثلث الصغير في اسرائيل هي من فئة الغائب — الحاضر ، وهي عبارة عن احياء فقيرة عربية يقطن فيها العمال العرب الذين يعملون في تل أبيب وحيفا .

أنظمة الدفاع للعام ١٩٤٥ : للحاكم العسكري بموجب هذه القوانين البريطانية الحق في كل شيء: نفي اي شخص دون تحديد المدة ، سجن اي شخص دون تحديد المهلة ودون محاكمة ، حظر المطبوعات كيفيا ، فرض الاقامة الجبرية على الاشخاص في قراهم او مدنهم دون تحديد المدة لذلك . وقد طبقت هذه القوانين في الاساس ضد اليهود في الفترة الممتدة من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ ، وكانت موضع انتقاد رجال القانون اليهود ، وقد وصفها شابيرو ، وزير العدل الاسرائيلي ، حاليا ، بأنها « أسوأ من القوانين النازية » . اما اليوم فلا تطبق هذه القوانين سوى على العرب . وقد حاولت اختبار مدى جدية تطبيقها فعمدت الى اصدار بعض النشرات دون تقديمها الى الرقابة ، ورغم ذلك لم اعتقل . فمثل هذه القوانين لا تطبق الا بحق العرب . وهكذا عندما كتب الشاعر الفلسطيني توفيق زياد مجموعة شعرية في نيسان ١٩٧١ دون عرضها على الرقابة وحاول عدد من الشبان العرب توزيعها في الناصرة اعتقلتهم السلطات الاسرائيلية ولكن هذه السلطات نفسها لم تعتقل الشبان اليهود الذين قاموا بتوزيع هذه المجموعة في قاعة المحكمة ، وهذا ما دفع المحكمة الى اسقاط الدعوى . وهكذا نرى ان هناك سيفا مسلطا على رقبة كل عربي في اسرائيل . ومن

الامثلة على قيام السلطات العسكرية بنفي الشباب العربي قصة الشاعر فوزي الاسمر الذي فرضت عليه الاقامة الجبرية في منزل والده في اللد بدلا من منزله هو في تل ابيب . وعندما استفسرت الرابطة عن دواعي ذلك ، رد المسؤولون بأنه « نفي الى محيطه الطبيعي » .

عرب القدس : لم يمنح هؤلاء الجنسية الاسرائيلية على اعتبار ان « القدس ضمت ، وليس اهاليها »، وقصة نعيم الاشهب مثال على ذلك . فقد اعتقل لمدة ١٨ شهرا واودع السجن الانفرادي لمدة ١٨ شهرا اخرى الى ان فقد البصر في احدى عينيه ، ولما احتجت الرابطة على ذلك قيل لها « صحيح انه نزيل السجن ، ولكن الباب مفتوح أمامه اذا ما رغب في مغادرة بلاده » . وبالفعل غادر بلاده مؤخرا الى الاتحاد السوفياتي للعلاج الطبي ، ولكنه ترك عائلته وراءه في القدس .

الاسرائيليون المطلعون : ان الشعب في اسرائيل مطلع على كل هذه الامور وخاصة انظمة الدفاع ، ولكن الكبار في السن منهم يرفضون الاعتراف بهذه الحقيقة في حين بدأ الشباب يرفعون اصوات الاحتجاج خاصة بالنسبة للمواطنين العرب في اسرائيل . ويبرر الاسرائيليون سياسة الكبت هذه بأنها ضرورية للحفاظ على « الطائفة اليهودية » ولجعل اسرائيل دولة يهودية . وعلى اية حال ، بدأ الكثيرون في اعقاب حرب ١٩٦٧ يشعرون ان سياسة الكبت هذه لا يمكنها ان تدوم ، وهكذا فان آلاف الشبان بدأوا يؤيدون رابطة حقوق الانسان .

خدمة الشباب العرب في الجيش الاسرائيلي : من واجب كل يهودي ان يخدم في القوات المسلحة اما الآخرون فكل حسب الفئة التي ينتمي اليها ، فالخدمة بالنسبة للبدو والدروز والشركس اجبارية ، واختيارية بالنسبة للمسيحيين العرب ، ولكنها محظورة بالنسبة للمسلمين العرب .

حول تأييد الفلسطينيين : انني اعترف بحق الفلسطينيين في الحرية وأؤيد هذه الحرية ، كما ان لي الحق في تحديد السبل المناسبة لتحقيق هذه الحرية ، وفي ان انتقد هذه السبل بالطرق السياسية ، والفلسطينيون اليوم هم الشعب العربي الوحيد الذي هو موضع قلق كل اسرائيلي لانه رغم هزيمتهم لا يزالون يقاتلون في حين ان الجيوش العربية الاخرى لن تواصل القتال .

على الفلسطينيين توضيح أهدافهم : يتوجب على الفلسطينيين توضيح اهدافهم والتوجه بذلك الى الشعب في اسرائيل . ويجب ان تصبح هذه الاهداف جزءا من الميثاق الوطني الفلسطيني للعام ١٩٦٨ ، كما يجب ان يرافق ذلك حملة من البيانات والرسائل الموجهة من الفلسطينيين فيالخارج الى الشباب في اسرائيل ، وستقوم الرابطة وغيرها من المنظمات بطبع وتوزيع هذه البيانات وذلك لنزع الفكرة السائدة لدى المواطن الاسرائيلي العادي بأن الفلسطينيين يهدفون الى القاء اليهود في البحر . وانني اتوجه بالرجاء الى جميع الفلسطينيين في الخارج في الكتابة لنا لتوضيح مطالبهم .

حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بأنفسهم : ان رابطة حقوق الانسان ملتزمة باعلان حقوق الانسان الصادر عن الامم المتحدة . وانني شخصيا أؤيد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بأنفسهم ، وادنى ما اريده هو عدم ضم الاراضي المحتلة لاسرائيل ، وان يسمح لاي فلسطيني بالعودة الى أي جزء يريده من « اسرائيل » ، اما اقصى ما اريده فهو خلق دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين ، مع نوع من الحكم الذاتي .

مسألة الغالبية اليهودية في القدس : تعتمد هذه المسألة على الحدود التي تضعها للقدس ، فلو اعتبرنا الحدود الحالية فأن اليهود لم يشكلوا ابدا غالبية السكان في المدينة ، اما اذا اعتبرنا الحدود التي رسمها الانتداب البريطاني فان اليهود كانوا الغالبية بالفعل منذ ١٨٧٠ ، وعلى اية حال ، يجب ان تكون اية وجهة نظر صحيحة كليا ، اي انه اذا كان اليهود هم الاغلبية في القدس فان العرب هم الاغلبية في فلسطين ، علما بأن غالبية يهود القدس من الارثوذكس المناهضين للصهيونية ، فزعيمهم امرام بلو لا يزال حتى اليوم يعلن معارضته للصهيونية ولسياسة الضم لدرجة انه يرفض حتى زيارة « حائط المبكى » لانه يعتبر ان الغزوة الصهيونية قد دنسته .

رسالة من لندن : زيارة بيغن : صورة من التناقضات الاسرائيلية

مناحيم بيغن معروف لدى العرب بمسؤوليته عن دير ياسين ، معروف لدى الانكليز بمسؤوليته عن حادثة فندق الملك داود واعدام جنديين بريطانيين ، معروف لدى الصهاينة بمسؤوليته عن احراج الوكالة اليهودية . وسقط بيغن ضحية لهجوم ثلاثي عند زيارته لندن في كانون الثاني الماضي. وقام بهذه الزيارة « الودية » استجابة لدعوة الفرع البريطاني لحزب حيروت المتطرف (١٥٠٠ عضو في بريطانيا) وافتتاح مؤتمر الفرع الاول . وكان المفروض ان يتكلم في اجتماعين عامين ولكنهما ألغيا بعد التهديد بالقاء قنابل فيهما . واكتفى بيغن بعقد مؤتمر صحفي في فندقه والتحدث في عشاء في مطعم قداسية اليهودي .

جاءت المعارضة البريطانية بأعنف مظاهرها من الفاشيين، جماعة كولن غوردن (الحركة البريطانية) ومنظمة الجبهة القومية . ووزعت كلتا المنظمتين مناشير حيثما ذهب بيغن تطالب بمحاكمته كمجرم حرب ، وهي صيحة رددتها الديلي اكسبرس بقولها « انه لسعيد الحظ ألا يجد نفسه في قفص الاتهام كمجرم حرب بالنظر لسجل اعماله » .

وأجمعت الصحافة البريطانية دون استثناء على مهاجمته واستهجان زيارته — ربما باستثناء النيو ستيتسمان التي حاولت ان تقارنه بغيره من قواد حركات التحرير كمكاريوس وكنياته ، وبالرغم من اعترافها بتاريخه الاسود . ولا بد للانسان ان يشم رائحة الشوفينية الانكليزية في هذه الحملة الصحفية بدليل ان اكثر الصحف تحاملا عليه كانت الصحف الشعبية الرائجة كالديلي اكسبرس وجريدة صن التي حملت كلمات « عد الى بلدك ، يا مستر بيغن ، اننا لا نريد ان نقابلك » . ومن ثم جاءت الحملة البريطانية مركزة على جرائم بيغن بالنسبة للجنود الانكليز . وقلما أشارت الى جرائمه ضد العرب . بيد ان الغارديان اشارت في افتتاحيتها الى دير ياسين وما ادت اليه في تشريد اللاجئين .

اما المعارضة العربية فكان من الطبيعي لها أن تأخذ منحى مشابها فتبكي هي الاخرى على موتاها. وكانت صحيحة في تكتيكها حسب رأيي . ان بيغن من أثمن الكنوز للاعلام العربي . وكلما تكلم اكثر كلما غذى الجانب العربي بمزيد من العتاد . ولم تجلب زيارته الى لندن سرورا لاحد بقدر ما جلبت للممثلين العرب الذين وجدوا خلودهم الى الراحة هو حقا أسلم اجراء نافع . كل ما يراد منهم في مثل هذه المناسبة هو تحريك الهواء بضربة او ضربتين وترك العاصفة تأخذ مجراها . وروي ان السفراء العرب قد فكروا بتقديم طلب الى الحكومة لتسليم بيغن الى الدول العربية لمحاكمته. ووجدت التايمس رياء في هذا الطلب لان رئيس عصابة شترن ، ناثان يالنمور ، المسؤول بالاشتراك عن المذابح قد زار ايضا لندن ولم يثر العرب اي ضجة حوله لانه أصبح يؤيد « فتح » الان . وعلى كل فان الحكومة قد نفت أمام البرلمان استلام اي طلب من الجانب العربي في هذا الشأن .

جاءت المعارضة المركزة من الجانب اليهودي ، اذ رأت الطائفة اليهودية عموما احراجا لها في مجيئه بعد جرائمه ضد مواطنين انكليز ، وهكذا صدر أمر من رئاسة الطائفة بعدم اعارة قاعة اي كنيس لاجتماعاته . ولم تشر المعارضة اليهودية بالطبع لاعماله ضد العرب او ضد الانكليز ، فالهاغانه كانت قد اشتركت بنفسها في نسف فندق الملك داود. الشعارات التي حملها الصهاينة كانت تحمل هذه الكلمات المتسترة « بيغن عدو الصهيونية » و« الصهاينة يعارضون بيغن » . لماذا يعارضونه، هم يعرفون الجواب . ويعرفه ايضا من تتبع تاريخ الحركة .

مناحيم بيغن هو وريث جابوتنسكي وحزب حيروت هو الامتداد الاسرائيلي لحزب التصحيحيين ، او الصهاينة الجدد . وكان جابوتنسكي يؤكد للعالم انه لا توجد هناك خلافات بينه وبين اجنحة الحركة الصهيونية . الخلاف الوحيد هو انه جريء وصريح بينما يخاتل الآخرون . وقد كرر بيغن نفس الموقف في هذه المناسبة عندما اتهم بقية الصهاينة بالجبن. وهذا بالضبط ايضا الاتهام الذي وجهه بن غوريون لجابوتنسكي . انه يسبب احراجا للحركة . وكانت مسألة خضوع التصحيحيين للربط والضبط النقطة الوحيدة التي احتدم حولها الخلاف في المفاوضات التي جرت بين الطرفين في الثلاثينات . وتلون الخلاف طبعا بألوان شخصية وحزبية واشتبك بكثير من الثارات والخصومات الطويلة . والصهاينة هنا كالعرب عندما يحاولون اعطاء الخصومات

الشخصية أبعادا عقائدية . وكثيرا ما انتهت احاديثي مع الصهاينة « اليساريين » في لندن في متاهة تاحلة . لماذا تكرهون بيغن ؟ لانه رجعي . لماذا بيغن رجعي وديان تقدمي ؟ ديان من حزب الماباي . ما الذي يجعل الماباي تقدميا ؟ انه حزب العمال وصاحب مزارع الكبوتز . أوليس لحزب حيروت وحزب المزراحي الديني مزارع كبوتز ايضا ؟ نعم ، ولكنها رجعية ... وهكذا نعود من حيث بدأنا .

وتغلغلت المعارضة اليهودية ضد زيارته لانها جاءت بشكل خاص قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني في القدس بأيام قليلة . وينطوي التحضير للمؤتمر تقليديا على كثير من المهاترات والركض وراء الممثلين والاصوات والتبرعات .

والحقيقة ان جزءا كبيرا من الحملة الشديدة للصحافة البريطانية يعود الى تأثير العناصر الصهيونية نفسها . وهذه حلقة من التغلغل الصهيوني الاعلامي لا بد وان أحزنت بيغن رغم اعتزازه بها . انه ما يسمى في الغرب بالعدالة الشعرية . ولعل من اغرب فصول هذه المسرحية مسألة اختفاء فلم المقابلة التي اجراها كيث كايل مع بيغن . فقد كان من المقرر ان يعرض الفلم في برنامج « ٢٤ ساعة » التلفزيوني . ولكن البرنامج ظل يعتذر عن التأخير حتى انتهى الوقت المحدد . ما الذي حدث ؟ للصهاينة ثارات مع كيث كايل ويتهمونه بمحاباة العرب ، ومن ثم توقعوا منه كشفا مريعا لفضائح السياسة الصهيونية في هذه المقابلة . هل تمكنت اياديهم من الوصول الى ستوديوهات التلفزيون فأحبطت البث ؟ لقد جرت تحقيقات في الموضوع فهم منها ان المسؤولين قد تأكدوا « تماما » ان عدم بث تلك المقابلة وقع لاسباب فنية محضة . وكواحد ممن عمل في ستوديوهات هذه المؤسسة الضخمة أفهم جيدا حقيقة قصص « الاسباب الفنية » التي ترد على ألسنة موظفيها . الفلم محفوظ الان في ارشيفات الاذاعة .

يعطي الاستعراض المار الذكر تركيزا على الدور الذي لعبه قسم من الصهاينة واليهود البريطانيين في احباط زيارة بيغن . وهذه هي النقطة التي يجب ان تسترعي النظر . لقد وصفت صحيفة هآرتز الاسرائيلية الحملة ضد بيغن في انكلترا بكونها مظهرا من مظاهر معاداة السامية ورأى فيها بعض العرب جذوة ما زالت مستعرة في قلوب الانكليز ضد اعمال الصهاينة واسرائيل في الاربعينات ، وعقدوا آمالهم على تأجيجها . واعتقد ان هناك شيئا من الاسراف في هذا التفكير . فقول بيغن نفسه وتعليق النيو ستيتسمان جديران بقسط من الحقيقة . فكم استقبل الانكليز بترحيب وتسامح أعدى أعدائهم السابقين . المصلحة وليس عاطفة الثأر والحقد هي التي تملي على الانكلوسكسون تصرفاتهم . واعمال بيغن ضد الانكليز اختلفت من حيث الدرجة فقط وليس النوعية عن اعمال الجيش الارلندي السري .

وعليه فمن المشكوك فيه ان يلاقي بيغن ما لاقاه من عنت لولا نشاط الجماعات الصهيونية واليهودية . وما تشدقت به التايمس عن رياء الجانب العربي ينطبق على هذه الجماعات ايضا ، فهي كذلك لم تحرك ساكنا ضد زيارة رئيس عصابة شتيرن بالرغم من اشتراكه مع بيغن في الارهاب . وكان الاولى بها ان تفعل ذلك بالنظر لانقلابه ضد السياسة الاسرائيلية . ولكن يالنمور لم ولا يشكل تهديدا لقيادة الماباي .

الحملة اليهودية وليس الحملة الانكليزية هي الدرس الجدير بالدراسة من زيارة بيغن . الانكليز معتادون على الاعمال الارهابية ضد جنودهم . والزمن هنا عامل في صالح اسرائيل ، فكل عام جديد يسدل ستارة اخرى على ذكريات ارهاب بيغن. والفاشيون الانكليز الذين سيتشبثون بها حتى الرمق الاخير من معاداة السامية هم شرذمة ، وشرذمة غير جديرة . بيد ان الواجبات المترتبة على المسؤولين العرب في الاستفادة من مثل هذه المناسبة بالقدر الممكن تبقى قائمة بالطبع .

الدرس الخطير يتناول جوهر ومنبع الحملة التي شنها يهود وصهاينة ضد بيغن . وكما ذكرنا اعلاه ان لهذه الحملة عروقا تمتد الى الثلاثينات . وتفضح هذه العروق التناقضات المتأصلة في الحركة الصهيونية رغم تآلفها . ان من رأي هذا الكاتب ان الانهيار الاخير لاسرائيل سيأتي من داخلها وليس من خارجها . هذا حكم يعتمد على التاريخ اليهودي عبر العصور والتشريح الاجتماعي لاسرائيل والحركة الصهيونية . الانشقاقات الداخلية هي التي أنهت مملكة سليمان وقضت على دولتي اسرائيل ويهودا . وظلت الخلافات والمشاحنات الداخلية تعصف في الشتات اليهودي ، وان بقيت

مخفية عن الاغيار في اكثر الاحيان . وتتناسب هذه الخلافات تناسبا عكسيا مع الضغوط والاخطار الخارجية . وهنا تكمن الحيرة العربية. فان تمادي اسرائيل يضطر العرب الى الضغط العسكري والدبلوماسي والاقتصادي عليها ولكن هذا الضغط يؤدي بعين الوقت الى تلاحم صفوفها وتعاظم شأفتها ، ومن ثم زيادة تماديها .

ان من الخطل تصور الجانب اليهودي من الحملة التي اثيرت ضد بيغن في لندن بداية للانشقاقات الصهيونية . انها فقط علامة لها . ويجب ان نعتبر تجاهلها خطلا من نوع آخر . ولا بد ان نتذكر ان الهاغانه والارغون تزفاي ليومي اوشكتا على الدخول في حرب اهلية بالفعل في عام ١٩٤٨ ، لولا الاحساس بالخطر الاكبر من الجانب العربي . اذا كانت هناك تربة غنية بالتناقضات وخصبة للنزاعات فهي التربة التي ترقص عليها اسرائيل . يهود من الغرب ويهود من آسيا وافريقيا ، يهود من اوربا الشرقية ويهود من اوربا الغربية ، يهود ملونون ويهود بيض . هناك شتى الميول والعقائد والتقاليد والمناحي الاقتصادية المختلفة . وهناك فوق الجميع تخيم الروح الفردية والانانية التي تتصارع باستمرار مع روح البقاء الجماعي المهدد بالخطر الخارجي .

ما الذي يمكن للعرب ان يفعلوه في هذا الميدان ؟ لا شيء . فهم التناقضات الجذرية ومحاولة تعميقها أمر يتطلب دراية وتنسيقا سياسيا هادئا قلما يتوفر لاحد في العالم . خير ما يمكن للعرب ان يفعلوه هنا هو الا يفعلوا شيئا ، ألا يمسوا هذه التناقضات بأصابعهم . ومن هنا سر ارتياحي للموقف السلبي نسبيا الذي وقفته مصادر الاعلام العربي في لندن ازاء زيارة بيغن .

بقي السؤال الآخر : لماذا قرر بيغن الان زيارة الدولة التي حكمت عليه بالاعدام ؟ قبل لافتتاح المؤتمر الاول لفرع حزبه . ولكن لم قرر انصاره عقد مؤتمرهم الاول آنذاك ؟ ربما تمهيدا للمؤتمر الصهيوني العالمي في القدس . ولكن لم مؤتمر هذا العام بالذات ؟ بالطبع ان مرور اكثر من عشرين عاما على جرائم بيغن يجعل الفرصة ممكنة الان احتراما على الاقل لقاعدة تقادم الزمن القانونية . هذا جانب صحيح ، ولكنه جانب فقط . اما الاساس فهو الاساس الذي ادخل بيغن الى الوزارة وجعله شخصية محترمة لا يتردد المستر هيث في مصافحتها .

يقوم حزب حيروت على اساس السياسة التوسعية التي قررها جابوتنسكي ، سياسة اسرائيل الكبرى التي تشمل شرق الاردن وتمتد من الناقورة في لبنان الى القنطرة على ضفة السويس ، كما يقول النشيد الذي ألفه جابوتنسكي نفسه . وكان الناس ينظرون الى هذه السياسة نظرة استنكار ، وكانت المنظمة الصهيونية تنفيها وتشعر بحرج ازاءها . واضطر بيغن ان يتخلى عن بعض اجزائها تكتيكيا بعد دخوله الحياة الحزبية لاسرائيل وطموحه الى الوصول الى الحكم . بيد ان أزمة ١٩٦٧ وحربها وضعت سياسة حيروت التوسعية في نطاق السياسة العملية الواقعية . وترددت الصيحة ان جابوتنسكي كان على حق . اما وقد مرت خمسة اعوام على احتلال الاقاليم العربية وتبلور الحدود الجديدة تدريجيا كحدود فعلية لاسرائيل ، فلم يعد في برنامج حيروت وأراهيص بيغن ما ينم عن شذوذ عن السياسة الاسرائيلية العامة او لا مسؤولية .

زيارة بيغن الى العاصمة البريطانية هي عنوان للثقة التي اصبح يشعر بها بيغن واتباعه ، هي توكيد على ان التوسع الاسرائيلي برنامج معقول ومقبول ، هي مظاهرة لتحذير كل من يفكر بالتراجع في تل ابيب ، هي نقطة انطلاق لتوسيع القواعد الحزبية لبيغن وتعميده بماء التيمس غفرانا له عن ذنوبه تمهيدا لتنصيبه قديسا جديدا لاسرائيل . لقد فشلت هذه الزيارة ولكن بيغن حذر بانه سيرجع ثانية في العام القادم ، وفي العام القادم سوف لا يحجز قاعة بلدية وستمنستر وانما قاعة ألبرت هول التي تزيد على الاولى اضعافا مضاعفة في الاتساع . انها مسألة توسع دون شك .

خالد القشطيني

رسالة من أمستردام : خواطر اعلامية

قلاع الصهيونية في غرب اوروبا واميركا اعتراها في السنوات الخمس الاخيرة الكثير من الصدع والكثير من الاختلال بينما قلاعها في اسيا وافريقيا تهدم معظمها او اوشك. والثابت بهذا الشأن ، ان ظهور المقاومة الفلسطينية على مسرح الاحداث في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٦٧ كان له الاثر الابلغ في كل هذا ، على أساس ان العالم راح يرى الفلسطينيين وغيرهم من العرب يعملون ولا يتشدقون بالكلمات الفارغة الكبيرة فقط ، ثم على أساس ما قامت به المقاومة من الباس جسم الصهيونية وجهه الحقيقي القبيح واحلال هذا الوجه محل الوجه القديم الوديع . وباضافة الجهود الدبلوماسية الموفقة التي بذلتها بعض الحكومات العربية في المحافل الدولية ولدى مختلف الحكومات شرقية وغربية ، يصبح بوسع الانسان تقييم العوامل التي اضعفت الصهيونية عموما في مختلف بقاع العالم . ورغم هذا لا يستطيع المراقب الا الاحساس بالاسف لعدم تمكن العرب حتى الان ، رغم الوزن الكبير لاقطارهم اقتصاديا وسياسيا ، من قهر الصهيونية في عقر دارها وهو غرب اوروبا واميركا . ذلك ان الصهيونية أصبحت في الغرب ، باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، لا تحتمي بمواقع القوة التي كانت تحتمي بها سابقا . فالصهيونية من ناحية ، غالت أشد المغالاة في الخمسين سنة الاخيرة في شهر سلاح « الاضطهاد الاوروبي لليهود » في وجه كل معترض على منطقها وافعالها ومخططاتها ، ومن ناحية اخرى غالت اشد المغالاة في فرض ارادتها على وسائل الاعلام بالترغيب المادي مرة والتهديد والابتزاز السياسي مرات . وعندما اتاحت الظروف لوليد الصهيونية المسمى اسرائيل التفوق عسكريا على الدول العربية المجاورة له ، كشف عن أنياب جائعة حادة لا تختلف عن أنياب المانيا النازية المغموسة بلعاب التفوق والغرور والغزو. ولما كان للبشر عيون ترى ونفوس تنفر من خزي التطاول اللامنتهي على العقل البشري ، فقد مج الناس فعلا او مج معظمهم سماع اسطوانة « اضطهاد اليهود » لان الزمن والواقع افرغاها من محتواها . ولو كان الرسميون الفلسطينيون وغيرهم من اخوانهم العرب ، اعلاميين ودبلوماسيين ، يدركون فعلا ان قلاع الصهيونية في الغرب لم تعد تتمتع بمناعتها القديمة ، لادركوا ايضا أن مواجهة الصهيونية في الغرب ليست على ذلك القدر من الصعوبة . ومن خلال هذا كله ، ليس من الصواب تجاهل تلك العوامل الموضوعية التي جعلت من الانسان الغربي حليفا طبيعيا لليهود واسرائيل منذ الحرب العالمية الاخيرة وظهور اسرائيل . فاليهودي الذي سعى الى اسرائيل هو ابن الغرب ، والثقافة التي كانت سائدة في الغرب قبل الحرب العالمية الاخيرة وما بعدها بقليل ثقافة استعمارية خادعة صورت اسرائيل على انها امتداد للقارة الاوروبية ومنارة غربية تشع نورا وثقافة في الشرق الاوسط . ومع ذلك لو اخذ العرب بسياسة مواجهة الصهيونية في الغرب منذ عام ١٩٦٧ ، مواجهة التحدي المباشر ومواجهة الصدام مع وضوح الرؤية ، لكان حالهم الان مع الصهيونية شيئا اخر . واقصد بوضوح الرؤية ، الوعي بالاوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية المحيطة بمكان ما من التكيف معها . كما ليس من الصواب انكار نشاط الصهيونية في الغرب . فهي هناك تعمل باستمرار ونشاط كبيرين . ولو كان العرب مثلها ، يعملون بجرأة وتحد واصرار ، حتى لو قادهم ذلك الى حافة التصادم معها ، لوصلوا الى نتائج اوفى وافضل في مجال توضيح القضية الفلسطينية . والسبب بسيط ، هو أن صاحب الحق اقوى واصرح واصدق من مستلب حقوقه . انه لا يكذب ولا يبحث عن عطف ولا يبكي ولا يولول ، ولا يستدر الشفقة بدموع التماسيح مثلما تفعل الصهيونية .

هولندا مثل صادق على هذا الرأي . فهي مثل معظم اقطار غرب اوروبا كانت منذ الحرب العالمية الاخيرة وحتى عام ١٩٦٧ لقمة سائغة في فم الصهيونية . لكنها تحررت من هذا الكابوس لحد ما لاسباب معينة ، اهمها بدون شك انطلاق صوت الثورة الفلسطينية الذي أتاح للمثقفين العاملين في بعض أجهزة الاعلام واهمها التلفزيون ، النظر نظرة جديدة الى الثورة الفلسطينية والحق الفلسطيني . فبينما كانت أغلبية الافلام التسجيلية وافلام الريبورتاجات الاخبارية التلفزيونية قبل عام ١٩٦٧ مركزة على اسرائيل من دون اقطار الدنيا قاطبة ، اصبح هذا النوع من الافلام يتطرق

لفلسطين وشعبها والاقطار العربية ونهضاتها بأكثر مما تجنيه اسرائيل من هذا الحقل . لكن نكسة المقاومة فلت في عضد هؤلاء الذين يسندون الثورة الفلسطينية ، سواء منهم الطلبة اليساريون ام المثقفون المنتمون للجنة فلسطين الهولندية ام رجال البرلمان اليساريون ام المثقفون العاملون في محطات التلفزيون . لا بسبب عدم انتصار المقاومة في معركتها ضد الرجعية المحلية ولكن بسبب هذه الانقسامات التيما زالت تعشش في جسم المقاومة. ففي رأي هؤلاء جميعا ان هجمة ايلول على المقاومة كانت سببا كافيا لبدء المقاومة العمل من موضع الاتحاد والتضامن والجهد المشترك . يضاف الى ذلك أن الثورة الفلسطينية كان ينقصها صوت عال في الغرب ، منذ ايلول ، يدافع عنها ويخفف من أثر الدسائس عليها . غير أن ما حدث كان على عكس ذلك تماما . فان الحرب النفسية الشرسة التي شنتها الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية على المقاومة ، تركت جراحا كبيرة في ضمائر انصارها في الغرب ، خاصة وانهم لم يجدوا من الثورة نفسها سعيا او جهدا لتبديد هذا كله بشرح الحقائق وابقاء شعلة الامل متوهجة في النفوس . ثم أن الصهيونية التي تعمل بدون اي وازع من حق أو ضمير ، ما كانت لتترك الامر عند ذلك الحد . لقد وجدت في نكسة المقاومة فرصة لتمريغ سمعتها بكل ما تملكه من قدرات على المخادعة والمناورة . فاعدت الريبورتاجات والمقالات عن المصاعب التي تلقاها المقاومة في لبنان حيث رفض « الشعب » وجودها فوق ارضه ، الامر الذي يبرر لاسرائيل ايضا ان تقوم بغزوات الفتح والاذلال في جنوب لبنان بأسم تطهير الارض هناك من المقاومين بسبب اعتداءاتهم على«الابرياء» الاسرائيليين .

وأغلب الظن ، ان هذا الوضع السائد في هولندا حاليا ، سائد أيضا في معظم اقطار غرب اوروبا . ومع ذلك ظللنا نلمح بوادر كثيرة تشير الى ان الصهيونية لم تفلح في كل ما سعت اليه في السنة الاخيرة من الضحك على كل العقول . فان ثاني اكبر صحيفة يومية في هولندا، وهي«الفولكسكرانت» الكاثوليكية التقدمية ، صدرت في ثالث يوم من أيام الاعتداء الاسرائيلي الاخير على لبنان ، تصدر صفحتها الاولى بهذا العنوان « اسرائيل تحضر لغزوة جديدة على لبنان » . وكان العنوان ملفتا للنظر فعلا ، فان المرء في الغرب يحتاج الى جراة كبيرة لكي يلصق صفة الغزو باسرائيل . وحدث بعد ذلك وعلى مدى ثلاثة اسابيع ، ان أعدت الصهيونية ونفذت في مكان ما من اوروبا الغربية اضخم مشاهد الابتزاز الفكري والسياسي باستغلال العاطفة الانسانية بدون رحمة اتاح لها فرصة اخرى للتذكير بماضي اليهود . اذ فكرت حكومة هولندا المؤلفة حاليا من احزاب يمينية تتمتع بأغلبية ضئيلة جدا في الاصوات ، انها تنظر في امر اطلاق سراح ثلاثة مساجين المان تتراوح اعمارهم بين الستين والسبعين ، حكمت عليهم المحاكم الهولندية بعد تحرير هولندا من الاحتلال النازي بالسجن مدى الحياة ، بتهمة قتل الاف الهولنديين من رجال المقاومة واليهود .والهولنديون يعتبرون هؤلاء الثلاثة مجرمي حرب . ومن الطبيعي ان تثور احزاب اليسار ، مثل حزب العمال والحزب الشيوعي وحزب الديموقراطية ٦٦ وحزب المسالمين ، على الحكومة ، لان هذه الاحزاب هي التي نظمت المقاومة في سني الاحتلال وهي التي فقدت ١٢ الفا من خيرة ابنائها . لكن الذي استغربه الهولنديون ، تلك الضجة العارمة التي صدرت عن الطائفة اليهودية في هولندا ، متذرعة بالحجة القديمة التي فحواها ان اليهود من دون أهل الارض جميعا هم فقط ضحايا النازية . هنا بدت الطائفة اليهودية التي لا تزيد عن ٣٥ الفا ، كأنها كيان منفصل عن الشعب الهولندي . لقد نظم افرادها المظاهرات وتجمعوا امام البرلمان ونصب التحرير ، واقاموا الصلوات الدينية على قوارع الطرق وولولوا أمام البرلمان وعلى صفحات الصحف وارسلوا مئات رسائل التهديد الى السياسيين ونواب البرلمان المنتمين للائتلاف الحكومي . كل ذلك بأسلوب مناف تماما لاخلاق الهولنديين واسلوبهم الهادىء في معالجة القضايا السياسية المهمة . اذ جندوا نساءهم واطفالهم في مظاهرات صاخبة تنادي من خلال البكاء والعويل .. « ماذا تريدون ان تصنعوا بنا من جديد » . كل هذا بينما هم الطائفة المدللة في البلد وبينما اغنياؤهم يسيطرون على جزء كبير من مقادير البلد الاقتصادية وبينما المجال التجاري في العاصمة امستردام كله او معظمه خاضع لهم. لقد كشروا عن أنيابهم بأسلوب لا يعرفه اهل البلد ، فقط لان الحكومة فكرت في اطلاق سراح ثلاثة مساجين ، لاسباب صحية وانسانية ، بعد

ان قضوا في السجون سبعة وعشرين عاما اعتبرها كثيرون من رجال السياسة والقانون كافية للتكفير عن جرائم ، كان نظام بأكمله مسؤولا عنها وليس افرادا بالذات . وبهذا الضغط العنيف جـــدا ، اضطر البرلمان الى بحث المسألة . وبفعل مـــا صاحب كل ذلك من توترات ومؤامرات ومناورات لعب بعض البرلمانيين فيها ولاغراض في نفوسهم لعبتهم حتى اخر الشوط وبأسلوب مفتعل ايضا ، فان الناس خرجوا من أتون هذه المعركة العاطفية المحلية بمشاعر مختلفة لكنها على كل حال مشاعر القرف والاستهجان . لقد عرضت الصهيونية البلد لافدح هزة عاطفية تعتريه في ثلاثين سنة ، بدون سبب يذكر وبدون تعقل وبدون أي منطق . بل أكثر من ذلك ان تهمة اللاسامية اياها ، القيـــت على عاتق وزير العدل الكاثوليكي بدون أي وازع. ووقف هو يرد الصاع صاعين في البرلمان وامام عدسة التلفزيون منددا بهذا الاسلوب المستهجن . واسوأ من ذلك كله ، ان اسرائيل حاولت التدخل فقرر برلمانها ارسال شكوى الى حكومة هولندا ضد احتمال الافراج عن هؤلاء المساجين . لكن الحكومة ومحافل سياسية كثيرة في هولندا لـــم تأبه بذلك واعتبرته تدخلا سافرا في شـــؤون البلد الداخلية . والخلاصة ان كثيرين من أصحـــاب العقول الذين كانوا حتى الان يعطفـــون علـــى اسرائيل ولو قليلا ، اصبحوا يمجون الصهيونية لانهم أحسوا بمناورتها الاخيرة وكأنها تصفعهم على وجوههم صفعات اهانة وتحقير . فان الهولنديين جميعا تعرضوا لارهاب النازية واضطهادهـــا بدون استثناء . وهم يعرفون ان يهود هولندا ، مثل اليهود في أقطار اوربا جميعا ، لم يلعبوا اي دور في عمليات المقاومة . وعلى هذا الاساس ، فان اهمال الدور الذي قام به الهولنديون فـــي مقاومة النازيين ، كلما عزفت اسطوانة الاضطهاد النازي في هولندا ، والتركيز في مقام ذلك كلـــه على الضحايا اليهود فقط ، امر لا يقبله الكثيرون ويرون فيه مسا متعمدا بكبريائهم وكرامتهـــم . ولذلك اثبتت الصهيونية مـــن حيث لا تريد أن الرعايا اليهود في هولندا لا يمتـــون للمواطنـــة الهولندية بأية صلة . وهي في هذا تناقض نفسها بنفسها شأنها في ذلك في قضايا كثيرة من قضاياها . فان الصهيونية كما اكتشفنا في مؤتمرها الاخير الذي عقدته في القدس تصر علـــى هجرة اليهود لاسرائيل من أقطار شرق اوروبا فقط ، لانها لا ترغب من المثقفين والمتمولين في الغـــرب تـــرك قواعدهم ، على أساس ان عدد اليهود في غرب اوروبا محدود اولا ، وعلـــى اساس الابقاء على نفوذ اليهود هناك ثانيا . ولو كان العرب فـــي الغرب في حالة استنفار دائم ليجابهوا حمـــلات الصهيونية المغرضة ، لكانوا شدوا من عـــزم الاصدقاء المحليين الذين يحبون التصدي لهـــا . لو كان للعرب صوت في هولندا في تلك الايـــام ليذكر الناس بهذه الازدواجية في اخلاق الصهيونية وبجرائم الصهيونيين في الاراضي العربية المحتلـــة وباعطاء صور عن بربريتهم وهمجيتهم ، لكانـــوا أفسدوا على الصهيونية ما هدفت اليه وهو اولا واخرا تجديد العطف على اليهود واسرائيل .

ختاما لا بد من القول ان من حظ الصهيونية فـــي الغرب أن العرب ليسوا موجودين دائما هناك ، وان صوت ثورتهم الفلسطينية ليس دائما هناك. ولا انسى في هذا المجال الاشارة الى ان المتفجرات التي وقعت في بعض مصانع المانيا وهولندا فـــي شهر شباط لم تحدث الاثر المرجو منها بالنسبـــة لسمعة الثورة الفلسطينية ، لانها جاءت في فترة من فترات خفوت صوت الثورة الفلسطينية . لقد حاولت حكومات هذه الاقطار ان تنفي المسؤولية عن المقاومة الفلسطينية ، او عن الفئة التي أكـــدت انها قامت بها ، ربما لوقوفها على حقائق اخـــرى وربما من باب ذر الرماد في العيون . وهكذا لـــم تتح الفرصة لاحد لكي يعلم حقيقة ، ان هـــذه المصانع تصنع أسلحة ومعدات حربية لاسرائيل او تصدر غازا طبيعيا لاسرائيل . فاذا لم يتأكد الناس من ذلك ، فان اي تفسير لنشاط الثـــورة الفلسطينية في أقطارهم لن يشفي غليلهم ، حتى وان تحقق ذلك النشاط الحربي الطابع دائما وفي كل الحالات بدون ضحايا . فان من أهم الضمانات لبقاء سمعة الثورة الفلسطينية نقيـــة ، هي عدم تعريض الارواح للمخاطر والموت في أية عمليات حربية يقومون عن طريقها بالهجوم على مصـــالح اسرائيل الاقتصاديةفي الخارج . هذا شرط اساسي، والا فان احدا لن يفرح لهذه الاعمال الا منظموها. أما الضمان الاكبر لبقاء سمعة الثورة الفلسطينية ناصعة نقية ، فهو بقاء صوتها مدويا بالرصـــاص الذي يقذف علـــى جيش اسرائيل ومعسكراتهـــا ومصانعها ، وبالاعلام الناصع العالي الصوت ،

الموجود في الغرب بصورة مستمرة يكذب الصهيونية ويفند دعاواها الباطلة ويقف لها بالمرصاد كلما قامت بتمثيلية جديدة من تمثيلياتها المقززة للنفوس، ليتذكر الناس ان ما يقوم بها الاسرائيليون تجاه الفلسطينيين اقبح وافدح مما قام به النازيون تجاه اليهود .

وما يجب ان لا يغرب عن البال في هذا الصدد ، ضرورة مسايرة التطورات السياسية في الغرب بحيث لا تتوارى عن افق الرؤية حقائق الصراع بين اليمين واليسار . فاليمين الذي ما زال مسيطرا على الحكومات والبرلمانات في معظم اقطار الغرب ، كاد دوره ينتهي ، لانه فقد في العشرين سنة الاخيرة الكثير من سلطاته ونفوذه . وعندما يراقب الانسان نسبة ما يتمتع به اليمين من قوة ونفوذ داخل البرلمانات وبين الجماهير ، يلاحظ ان اليسار سائر بخطوات سريعة نحو احلال قوته ونفوذه محل قوة ونفوذ اليمين . واليمين بعد ذلك كله ، وان لم يتخل علنا عن اسرائيل ، الا انه يحبذ ان تكف عن مطامعها الاقليمية في سبيل سلام موقت او طويل الاجل في الشرق الاوسط ، حفاظا على مصالحه الاقتصادية في تلك المنطقة وهي مصالح هائلة . فاليمين الاوروبي في هذا المضمار يخالف اليمين الاميركي ، في كونه يرى منطقة الشرق الاوسط مجالا حيويا اقتصاديا رئيسيا له يحقق احلامه ومطامحه باستتباب السلام والهدوء فيه ، وليس بتغليب اسرائيل على العرب او العكس . وهذا ما يفسر التحول الذي طرأ على مواقف الحكومات في غرب اوروبا من قضية الشرق الاوسط، وهو تحول اقل ما يقال فيه انه مناف لمطامع اسرائيل الاقليمة والسياسية . اما اليسار الاوروبي ، فقد اعترته في نفس الفترة تغيرات جذرية بحيث لم يعد يسار الوسط المعتدل الذي ساد اوروبا في النصف الاول من هذا القرن والذي كان يموه على اغراضه واهدافه الاستعمارية بالاصلاحات الاجتماعية والشعارات الاشتراكية الفارغة من كل محتوى . انه اليوم ، بغالبيته ، يسار الثورة والتغيير والاشتراكية الاعمق في مضامينها واهدافها . والمستقبل لهذا اليسار ، لان اليمين في الغرب اوصل اقتصاده الى طريق شبه مسدود . ومهما طالت او قصرت فترة الانتقال ، فان التحول قادم وسيلتقي مع الثورة العربية الاجتماعية وهي في اوجها . وما لم تكن ثورة العرب الاجتماعية ثورة اشتراكية اصيلة ، وهي كذلك الى الان لحد بعيد، فان التباعد والشك سيفعلان فعلهما في القاء بذور الشقاق بين جناحي هذه الثورة الاجتماعية والسياسية في اوروبا والشرق العربي . على هذا الاساس ، النشاط الاعلامي العربي في الغرب يجب ان يتركز على الاوساط اليسارية ، على الاخص وان الصهيونية طيلة هذا القرن كانت تعيث فسادا في اوساط اليسارية من دون الاوساط الاخرى . وتصبح مهمة التفاهم مع اليسار على هذا الاساس ، ذات جانبين : الاول شرح اهداف الثورة العربية والفلسطينية له بمحاولات لا تنقطع ، والثاني الكشف نهائيا لدى فئاته المحتارة والمترددة عن وجه الصهيونية الحقيقي ، البعيد جدا عن اية أهداف اشتراكية او انسانية . وهذا الامر بدون شك يخص الثورة الفلسطينية بالدرجة الاولى . فاذا لم توضح للعالم اولا واخرا ، انها ثورة سياسية واجتماعية اشتراكية اصيلة ، اضافة الى كونها ثورة تحريرية ، فانها ستظل في معزل عن التحولات الضخمة التي تسود العالم في هذه الفترة من تاريخه .

عقيل هاشم

رسالة من لايبزيغ : ماذا قدمت السينما العربية للقضية الفلسطينية ؟

في الثامن والعشرين من شباط حتى الثالث من آذار ١٩٧٠ انعقد في (عمان) اجتماع للتسجيليين من السينمائيين العرب(١)، ورفعوا في اجتماعهم توصية الى اتحاد الاذاعات العربية الذي يعمل في نطاق جامعة الدول العربية لانشاء اتحاد للتسجيليين من السينمائيين العرب . وقد وافق الاتحاد عليها وعلى تكوين لجنة مؤقتة من خلال جهازه حتى يخرج الاتحاد الجديد الى حيز الوجود الفعلي ، ومن اهدافه : « تعريف أبناء الامة العربية بعضهم لبعض وتعريف شعوب العالم بواقع الوطن العربي وبامكانياته **وبقضاياه العادلة**. تنسيق وتوزيع وعرض الفيلم التسجيلي داخل البلاد العربية . عقد لقاءات دورية بين العاملين في الفيلم التسجيلي في العالم العربي . اقامة مهرجانات عالية للفيلم التسجيلي العالمي في العواصم العربية . تنسيق اشتراك الافلام التسجيلية العربية في المهرجانات الدولية . دعوة كبار التسجيليين الاجانب لانتاج أفلام عن **قضايا وكفاح** الشعوب العربية . انشاء أرشيف سينمائي للفيلم التسجيلي . انشاء جريدة ومجلة عربية سينمائية مشتركة . تساهم كل دولة من الدول الاعضاء في اتحاد اذاعات الدول العربية بمبلغ (٢٠٠٠) دولار ، تسدد لخزينة الاتحاد للانفاق على المشروعات التي يمكن تحقيقها في المرحلة الراهنة » . وقد صدر نداء عن المجتمعين اوردوا فيه ما يلي : « ان تدور الافلام التسجيلية التي تشترك بها الدول العربية في مهرجان لايبزيغ ١٩٧٠ **حول القضية الفلسطينية** ، والالتزام بتشكيل لجنة مشتركة لاختيار الافلام التي سوف تشترك في هذا المهرجان » .

بعد انتهاء الاجتماعات واتخاذ القرارات عاد كل وفد الى بلده يحمل ملفات في داخلها اوراق مطبوعة (مقرة وموقعة) ، لكنها حتى الوقت الحاضر بقيت مجرد توصيات تتضمن الرغبة والطموح اللذين لا يحققان اي شيء دون تحويلهما الى واقع عملي . فماذا حصل بعد النداء المتعلق بالقضية الفلسطينية ضمن مهرجان لايبزيغ ؟ لقد انعقد المهرجان لعام ١٩٧٠ وعام ١٩٧١ أيضا وهو يخلو أو يكاد من أفلام القضية الفلسطينية . ولنستعرض الافلام التي أسهمت بها الدول العربية في المهرجان رقم (١٤) في لايبزيغ ١٩٧١ .

جمهورية مصر العربية ، قدمت فيلم « الفنون التشكيلية المعاصرة في مصر » من اخراج التسجيلي سعد نديم ، تناول موضوع تفرغ الرسامين والنحاتين في جمهورية مصر العربية . هذه المشاركة ضمن مهرجان يرفع شعار « أفلام العالم من اجل سلام العالم » تبدو اكثر من غريبة في وقت تمر فيه الامة العربية بظرف دقيق وبشكل خاص و (مواجه) جمهورية مصر العربية ، فاضافة الى سذاجة التناول ، تأتي سذاجة الاختيار ضمن المرحلة السياسية العصيبة . وقد تناولت مجلة المصور هذا الموضوع بمقالة عنونتها بعد انتهاء المهرجان مباشرة « لا ترسلوا افلاما لا تعبر عن قضايانا » .

الجمهورية العراقية : فيلم « قبل رفع الستار » وهو مشترك بين (ديفا فيلم) ، ومؤسسة السينما في العراق ، تناول عرضا لبعض نشاطات المسرحيين وعلاقتهم بالناس . الفيلم من اخراج لؤي القاضي ، وفيه دفع ومقارنة (وان لم تكن واضحة تماما) بين طموح الفنان وطبيعة الحياة .

الجمهورية العربية السورية : أسهمت بفيلمين . الاول للتلفزيون وهو « محاولة عن السد » — هذا الفيلم تميز بجرأة في التناول وشكل سينمائي متقن — اخرجه عمر اميرالاي ، طرح فيه محاولة ارواء الارض . وتناول الناس ضمن هذه المحاولة من وجهة نظر واعية — الفيلم الثاني (للسينما) وهو « سوريا النظرة الثانية » فيلم اعلامي بانتاج مشترك بين مؤسسة (ديفا فيلم) ومؤسسة السينما في سوريا .

الجزائر : أسهمت بفيلم « مهرجان افريقيا ٦٩ » وهو وثيقة عن اجتماع فني عقد في الجزائر عام ١٩٦٩ .

لبنان : أسهم وحده بموضوع عن القضية الفلسطينية يحمل اسم « مبعثر في الهواء » من اخراج جاك مادرو . هذا الفيلم لم يكن مسيسا

١ — قرارات التسجيليين العرب في عمان نشرها (أحمد راشد) في مجلة السينما المصرية — العدد ١٦ — ابريل — مايو — ١٩٧٠ .

بشكل واضح سيما بعض مقاطع التعليق ، لكنه استفاد من كتاب « شهادة الاطفال في زمن الحرب » لمنى السعودي في اول الفيلم ، وقد أخذ عليه استعماله أغنية فيروز « نسم علي الهوا » ضمن الموسيقى التصويرية ، فسرق انتباه المشاهدين للصور الفلمية لما تحويه من ايقاع مفرح ، وهنا تكمن خطورة استعمال الموسيقى التصويرية الشائعة او المثيرة ، لان الموسيقى التصويرية كما هـو معروف تستعمل لاسناد الصورة السينمائية وتفجير أبعادها . لا أن تسرق المشاهد اليها .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : اسهمت بفيلم « النهر البارد » الذي تناول مشكلة عدم توفر المياه في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين . الفيلم من اخراج قاسم حول . وقد اخذ عليه طرحه للجانب الانساني الاجتماعي فقط دون عرض للجوانب القتالية التي يخوضها شعب فلسطين(٢) .

ان نظرة فاحصة لطبيعة الموضوعات السينمائية للاقطار العربية المشاركة في المهرجان توضح عدم جدوى المؤتمرات غير الجادة التي يعقدها المهتمون بشؤون السينما العربية لانها لم تكن نابعة عن موقف جدي وعن تخطيط مسبق لسينما تسجيلية عربية تتناول واقع المجتمع العربي وقضاياه المصيرية وبشكل خاص قضية فلسطين .

ان هذه العروض السينمائية جرت في وقت وقعت فيه التشيلي بمجموعة من الاشرطة السينمائية الثورية التي تناولت وضعها السياسي والجبهوي. وعرضت رؤية قادتها وشعبها للفن واستخدامه لصالح المجتمع الجديد .

أما فيتنام الشمالية والجنوبية (الحكومة المؤقتة)(٣) فقد أضفت على المهرجان لونا خاصا من النضال السينمائي ضمن مواصلة الكفاح .

كما وبرز لاول مرة تجمع سينمائي أمريكي يحمل اسم (أي. دي. أف) — الفيلم التسجيلي الامريكي — ليقف بوجه سينما الاحتكار والسينما التجارية في هوليود ، وليسخر قدراته في مناصرة الشعوب التي تكافح من أجل التحرر والتقدم .

كان التجمع ونتاجاته موضع اعجاب مشاهدي المهرجان من جمهور المشاهدين والنقاد والصحفيين والفنانين ، خاصة بفيلمهم « ارضي محتلة » عن غواتيمالا . ولقد أبدى التجمع كل استعداده لتسخير ذات الامكانية عن القضية الفلسطينية ، وأوضحوا ان ذلك رهين برسالة من المعنيين عن السينما في صفوف القضية الفلسطينية .

ضمن هذه التظاهرة السينمائية لا شك يتساءل الحاضرون عن السينما العربية وعدم تناولها لقضايانا الملحة عموما وعن قضية فلسطين بالذات دون أن يجدوا جوابا لذلك . ويبدو ان الدول العربية تهتم كثيرا بالناحية الاعلامية الخاصة بمنجزاتها دون التوغل في واقع الحياة ومناقشة

---

٢ — بعد الملاحظات التي قدمها لي مجموعة من المخرجين في لايبزيغ عن فيلم النهر البارد قررت اضافة مشاهد مع اعادة مونتاج الفيلم لتأكيد الجانب النضالي في القضية .

٣ — لقد أبلغني نائب مدير ستوديو التحرير في فيتنام الجنوبية (الحكومة المؤقتة) ، السينمائي المناضل فام فن بـأن الطائرات الامريكية استهدفت مرة في غاراتها ستوديوهين للسينما عندهم ، وعندما حطمت جزءا منها قاموا ببناء ثلاثة ستوديوهات صغيرة جديدة . وننقل هنا ترجمة لحديث لمجلة المهرجان لاهميته . يقول فام فن : « ... في فيتنام الجنوبية تقود الولايات المتحدة الامريكية حربا بربرية ضد الشعب ككل . وفي هذه الظروف فان عاملي السينما هم جنود . عندما صورنا فيلم — القرية الصغيرة على نهر تزا — عاش المصورون والمخرج بين رفاقنا اعضاء جبهة التحرير وناضلوا معهم . لقد احتاج هذا الفيلم لسنتين من العمل . والرفاق الذين عملوا في فيلم — نضال من أجل التل ٦٥٢ — اضطروا للقتال مع الجنود وجها لوجه مع العدو . ان امكاناتنا التكتيكية تافهة جدا ، فنحن نعمل في المغارات، قرب الانفاق . واحيانا نرسل الافلام الى الجبهة فور الانتهاء من تحميضها لتعرض على المقاتلين بدون صوت . ان الجنود والجماهير مهتمون جدا برؤية الافلام ، والمحافظة على الاشرطة السينمائية غاية في الصعوبة . مثلا نحن لا نملك امكانيات حفظها في جو حـار ورطب . المصورون عندنا يعملون احيانا في مناطق تواجد العدو .. وعلى سبيل المثال ، انه حدث اثناء تصوير فيلم — نضال فوق شوارع سايغون — أن حمل السينمائيون اسلحتهم مع الكاميرات والاجهزة لان عليهم ان يقاتلوا في نفس الوقت الذي يصورون فيه » .

هذا الواقع موضوعيا عبر الفيلم السينمائي . ولان مؤسسات السينما في العالم العربي لم تنتج أفلاما ذات شأن عن القضية الفلسطينية فانها ترسل ما يتوفر لديها في محاولة للاستفادة من اجواء المهرجان اعلاميا . ان وزارات الثقافة والاعلام العربية لو استفادت من قرارات مؤتمر التسجيليين العرب وحولتها الى واقع عملي لحققت الكثير مما يخدم قضايانا الملحة عموما ولاستطاعت ان تسهم بشكل أو بآخر في القضية الفلسطينية . لقد قدم ثلاثة من المخرجين التقدميين في المانيا الغربية فيلما عن القضية يحمل اسم «فلسطين» . هؤلاء السينمائيون هم المت هيلشر ، مانفريد فوس ، وهانز يوكن فيبير . يقع الفيلم في ٣٨ دقيقة من انتاج أفلام منشن (ميونيخ) . تميز هذا الفيلم وامتاز بطرح وجهات نظر عادلة عن القضية الفلسطينية وفهما واضحا لها ، وبرهن على قدرة فائقة في امكان الوصول الى ابعاد الحياة التي يعيشها حاضرا شعب فلسطين والى استقصاء وجهات نظرهم . ولقد علمت بأن صانعي الفيلم قد عاشوا وقتا غير قصير في المخيمات وحققوا عملهم هذا بعد تفحص ودراسة لواقع الحياة ولوجهات نظر قادة الحركة مضافا اليه وجهة نظرهم ضمن التعليق الذي كان يواكب الفيلم . ان عرض مثل هذا الفيلم خلق تراجعا للوفود العربية وحصرهم في بقعة ضوئية ضمن علامات استفهام مخجلة . لماذا لم تقدم السينما العربية موضوعا تعبر عن قضاياها الملحة ؟ لماذا يقع السينمائيون الشباب خارج دائرة الموضوعية ؟ . لماذا لم تتوغل السينما التسجيلية في صلب الواقع ؟. واين يكمن الخطأ ، هل في قدرة السينمائي التسجيلي في العالم العربي ، أم في عدم توفر الفرصة الحقيقية له للتعبير عن طموحاته فكريا وفنيا ؟

لقد قدمت السينما العربية بقطاعيها العام والخاص موضوعات تحدثت فيها عن جوانب غير أساسية من حياة الشعب الفلسطيني وواقعه الموضوعي والذاتي . حاول القطاع الخاص الاستفادة منها تجاريا فأخفق . كما أخفق القطاع العام في شرح جوانب القضية ودفع الناس للالتحام بها مشاركة او مساندة .

في هذا الوقت الذي تجلت فيه سينما جديدة ثورية الاتجاه والفن عبر اشكال تتطور مع قدرة الموضوع على استيعابها ، واستطاعت بطرحها التفنني والفكري الى احداث انحسار في السينما المألوفة والمتداولة منذ العشرينات متمثلة بالسينما الامريكية وتفرعاتها ، نقول ، في هذا الوقت بالذات ينبغي على السينمائيين العرب التوجه نحو الواقع العربي الساخن ، ونحو القضية الفلسطينية بشكل خاص وتفجير طاقاتهم ، لانه ، وعلى ما يبدو ، ان السينما (الرسمية) لا تريد ان تقدم ما ينبغي عليها تقديمه .

قاسم حول

رسالة من بيروت : اقتراح باعادة طبع كتاب

في العام ١٩٥٣ رفعت الدولة في اسرائيل دعوى ضد مالشيل جرينولد بتهمة التشهير بالدكتور رودلف كاستنر ، أحد كبار المسؤولين في الحكومة الاسرائيلية . وبدأت المحاكمة في ١٩٥٤ ، وبعد اربع سنوات من ذلك التاريخ اصدرت المحكمة العليا حكمها على اساس الاستئناف المقدم . والمعروف أن جرينوالد كان كاتبا مسنا ومغمورا وتافها لنشره انباء تطبع على الالة الناسخة وتوزع مجانا ، في حين كان كاستنر الناطق الرسمي باسم وزارة التجارة والصناعة ، ويتمتع بمكانة عالية في حزب الماباي (حزب بن جوريون) ، ومرشحا للكنيست ورئيس تحرير الصحيفة المجرية في اسرائيل . وكان خلال الحرب العالمية الثانية رئيس لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية في المجر . وما قام به في المجر ادى ، بعد مرور عشر سنوات الى المحاكمة التي هزت المؤسسة الصهيونية السياسية في اسرائيل وكشف زيف المزاعم الصهيونية بأن اسرائيل هي ملجأ وأمل يهود العالم . وكما يقول هخت ، في كتاب له عن الموضوع بعنوان **Perfidy** صدر في نيويورك ١٩٦١ ، كشفت المحاكمة الاسس الحقيقية التي تقوم عليها اسرائيل . وصدور مثل هذه الجملة عن صهيوني عامل وعضو في منظمة ارجون لا يعني انها هي أقل جزء يبعث على الدهشة من هذا الكتاب غير المعقول .

وما كشفت المحاكمة النقاب عنه ، مدعما بالمزيد من الوثائق ، يمكن تلخيصه فيما يلي : **اولا** ، لقد جاءت الزمرة الحاكمة في المؤسسة الصهيونية الى السلطة في فلسطين عن طريق العمل في سبيل الاهداف الامبريالية البريطانية . وما ان اصبح زمام السلطة في أيديهم ادركوا ان عليهم المحافظة على علاقاتهم التكافلية مع بريطانية لكي لا تضيع السلطة منهم . **ثانيا** ، لقد ساهمت الحالة المروعة لليهود في الدول الاوروبية التي كانت ترزح تحت نير النازية في اثارة شعور بالعطف مع الصهيونيين في فلسطين بعد الحرب ، وفي أن تكون دافعا لجمع الاموال . ولكنها على الصعيد السياسي كانت بمثابة الصداع للسياسيين الصهيونيين وللمسؤولين في الوكالة اليهودية الذين كانوا مسؤولين ولو نظريا عن انقاذ جميع اخوانهم اليهود الذين يتعرضون للتعذيب . **ثالثا** ، لقد كان زعماء الوكالة اليهودية في اوروبة يعملون لصالح النازيين ، فمن طريق تهدئة مخاوف اخوانهم اليهود كانوا يضمنون أن تسير قطارات الموت الى اوشفيتز بكل هدوء دون ازعاج او انتفاضات غير ضرورية ، فقد كان النازيون يريدون عدم تكرار انتفاضات جيتو وارسو ، وكذلك كانت الوكالة اليهودية ، ولكن لاسباب ليس بامكاني سبر غورها . ومحصلة تعاونهم مع النازيين في المجر كانت موت معظم يهود المجر البالغ عددهم ٨٠٠ الف في اوشفيتز ، ومقابل ذلك سمح النازيون للدكتور كاستنر ان ينقذ عائلته و« يختار » من يريد من وجهاء بلدته (بلغ عددهم ٣٨٠ شخصا) . **رابعا** ، ورغم ذلك ، كان هناك بالفعل عدد من الافراد والمنظمات اليهودية الذين كانوا يعملون باخلاص لانقاذ اليهود مهما كانوا فقراء او مغمورين ، وهؤلاء كانوا يشكلون صداعا اكبر بالنسبة للوكالة اليهودية ، وقد عوملوا على هذا الاساس . فتم تسليم قسم منهم للنازيين ، والاوفر حظا للبريطانيين . واستخدمت الوكالة علاقاتها السياسية واموالها . (ملايين الدولارات التي جمعت في حملات جمع التبرعات من اليهود في كل مكان) لانقاذ اليهود الرازحين تحت نير النازية . ومع هذا فان ايزاك جرينباوم ، رئيس لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية ، يقول في كتابه : « لو طلب الي ان اقدم من اموال النداء اليهودي الموحد لانقاذ اليهود لرفضت ، اكرر ، لرفضت . فمن رأيي ان علينا مجابهة هذه الموجة التي تضع النشاطات الصهيونية في مرتبة ثانوية » — ص ١٤٥ . وفي فلسطين لم تتحدث الصحف الصهيونية عما كان يجري لليهود في اوروبة : « ما كانت تغطيه الصحف بشكل تام هو القضايا المحلية والاضرابات ، وتكاليف المعيشة والخلافات السياسية ، ولكن لم يكن هناك تقريبا اي ذكر للرعب وعمليات الابادة التي كان يتعرض لها اليهود ، ولا لمسألة انقاذهم ... فقد كتبت « دافار » الناطقة بلسان الوكالة اليهودية في افتتاحيتها ما يلي : هناك شيء من الصحة لنفي النازيين لانباء عمليات الابادة ، فلم يقض على عدد من اليهود بالقدر الذي توقعناه . » **خامسا** ، ولما لم يكن ممثل الوكالة اليهودية يشعر أنه ادى قسطه كاملا بتعاونه مع النازيين خلال الحرب ، اتخذ على

عاتقه العمل مباشرة لانقاذ الزعماء النازيين بعد أن وضعت الحرب اوزارها ، وبفضل شهادته الخطية التي اقسم عليها والصادرة باسم الوكالة اليهودية ، اطلق الحلفاء سراح الكولونيل كيرت بيكر ، من ضباط الصاعقة الالمان ، رغم أن بيكر كان خلال الحرب مسؤولا عن «الدائرة الاقتصادية» في الصاعقة التي كانت مهمتها نزع اسنان الذهب من الجماجم ، واذابة الشحم البشري لاستخدامه في صناعة الصابون ، وما شابه ، وفي الوقت الذي صدر فيه هذا الكتاب كان بيكر قد اصبح من رجال الاعمال الموسرين في المانيا الغربية ــ اذ يقوم بالتجارة مع حكومة اسرائيل .

وفي العام ١٩٥٧ عندما اصبح واضحا للجميع ان المحاكمة ستؤدي الى محاكمات اخرى من شأنها فضح جميع خيوط الشبكة السياسية الصهيونية كلفت المخابرات الاسرائيلية احد عملائها باطلاق النار على الدكتور كاستنر عندما كان خارجا من منزله فأردي قتيلا . ثم عمل شركاؤه والذين كانوا يرعون نشاطه على التشويش على الرأي العام بتغطية انباء المحاكمة بغبار « التهديد العربي » .

من كل هذا يظهر ان لهيخت دافعين من وراء نشره هذه القصة المروعة في كتابه آنف الذكر : الاول هو عدم السماح لجهاز الدولة بأن يبلغ مثل هذه الدرجة من القوة ، والثاني النزاع السياسي الدائم مع بن جوريون . ولكن القراء العرب يمكنهم ان يروا سببا ثالثا لقراءة الكتاب والدعوة له ، فهو يكشف بكل وضوح عن جذور الصهيونية من خلال أقوال وتصرفات اكثر ابطالها تمسكا بها .

(وهيخت نفسه هو أحد هؤلاء ، فهو ينظر الى الفلسطينيين كما كان الزعماء الصهيونيون ينظرون الى اليهود الاوروبيين الذين « لا نفع منهم » .) وكلنا نعرف ساديتهم وتعذيبهم لاعضاء عصابتي ارجون وشتيرن مما أوضح كيف ستكون معاملتهم للفلسطينيين فيما بعد ، وكذلك نعرف أساليبهم الدعاوية « الاسود أبيض » ، واكاذيبهم المفضوحة في المحكمة الاسرائيلية ، والضغوط والتهديدات التي كانوا يستخدمونها ضد الشهود الذين لا حول ولا قوة لهم . واذا كان باستطاعتهم استخدام هذه الاساليب ضد اليهود ، الشعب الذي تزعم الصهيونية أنها وجدت لانقاذه ، فكيف الحال سيكون بالنسبة للاميين (غير اليهود) ؟ نحن ندري ذلك ولكن العالم الغربي لا يدري شيئا من هذا القبيل.

والملاحظ ان كتاب بن هيخت اختفى من المكتبات الاميركية بسرعة ولم يطبع من جديد وحتى أن قليلين من خارج المؤسسة الصهيونية قد سمعوا به . لذا ارى من الضروري القيام بخطوة ما لجعله في متناول « صانعي الرأي » في اميركة واوروبة ، ونظرا الى ان النداء اليهودي الموحد والوكالة اليهودية لا يزالان حتى اليوم يجمعان اموالا هائلة تعطى لهما على اعتبار انهما « حماة » اليهود و« ملجأهم » ، أصبح من الضروري لهؤلاء المتبرعين المضللين (بفتح اللام) أن تفسح لهم الفرصة للتعرف ولو على جزء من الحقيقة .

ثريا انطونيوس

رسالة من ميلانو : حول المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الايطالي

عقد الحزب الشيوعي الايطالي مؤتمره الثالث عشر ما بين ٧٢/٣/١٣ و٧٢/٣/١٧ . وقد حضر المؤتمر عدد من ممثلي الاحزاب الشيوعية والحركات العمالية وحركات التحرر الوطني . وكان من بين المدعوين الثورة الفلسطينية ممثلة بحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) .

بدأت الجلسة الاولى في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الاثنين ٧٢/٣/١٣ . وبعد ان تمت قراءة اسماء المشاركين في المؤتمر من اعضاء الحزب اخذت اللجنة المركزية اماكنها على المنصة . وقد رحب مسؤول الحزب في ميلانو بالحاضرين وذكر اسماء بعض الوفود المشاركة في المؤتمر ، ومنها وفدا فيتنام والاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي الفرنسي . كما ان عمدة ميلانو ، وهو اشتراكي مؤيد لاسرائيل ، قد تحدث ذاكرا اهمية اجتماع القوى الديمقراطية لمحاربة الفاشيسة والعنف والطغيان . وتمت بعد ذلك مناقشة جدول الاعمال فاقر بسرعة وبالاجماع . وقام بعد ذلك انريكو بلنجوير ، القائم بأعمال امانة سر اللجنة المركزية فالقى تقرير اللجنة المركزية . وقد لوحظ ان تقرير اللجنة المركزية قد لمس القضايا العالمية لمسا ، بينما ركز على القضايا الداخلية وأهمها : قضية تحالف القوى الديمقراطية ضد الفاشية ، قضية المرأة في ايطاليا ، قضية وحدة النقابات العمالية . كما ان التقرير اشار الى استقلالية الحزب الشيوعي الايطالي مذكرا بموقفه من قضية تشيكوسلوفاكيا .

ولقد خص التقرير الشرق الاوسط بفقرة ربط فيها بين ما يجري في حوض البحر الابيض واشار الى المحاولات التي تقوم بها الدوائر العسكرية اليونانية بالتعاون مع الولايات المتحدة لاسقاط حكومة مكاريوس . كما انه اشار الى العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان قائلا بأنه لا يعزز امكانيات السلام . وتحدث عن المقاومة الفلسطينية في معرض الحديث العابر عن علاقات الحزب الشيوعي الايطالي الوطيدة مع سوريه والعراق والجزائر . وهذا يعني ان التقرير تجنب ان يخوض في اشكالات القضية وان كان لم ينسها . ومرد ذلك بالطبع الى مجموعة من العوامل : منها مراعاة موقف كثير من الاحزاب الشيوعية ومنها قرب موعد الانتخابات في ايطاليا . الا ان ما جاء في التقرير عن القضية الفلسطينية هو ليس كل ما يقال هنا. ذلك ان الحزب نظم مهرجانا جماهيريا في مدينة قريبة من ميلانو ، دعا وفد حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) لالقاء كلمة فيه . ولقد سارت سيارة بمكبرات صوت في المدينة تدعو الناس لسماع ممثل حركة (فتح) . ولقد غصت قاعة السينما بالحاضرين الذين أبدوا حماسة لا يلقاها ممثلو المقاومة في اي بلد عربي . وتأكد هذا التعاطف الحميم عندما اعطي وفد (فتح) حق القاء كلمة تحية في المؤتمر . ولقد تلقاه اعضاء المؤتمر والوفود الاجنبية بعاصفة من التصفيق والترحيب ووقفوا وسط الهتاف والتصفيق تعبيرا عن تأييدهم وتعاطفهم . ولقد علقت صحيفة الحزب الشيوعي الايطالي (الاونيتي) يوم ٣/١٨ على هذا في صفحتها الاولى قائلة : لقد ظهر « التضامن الحاد الاممي لجميع الشيوعيين الطليان ، خاصة جميع المشاركين في المؤتمر مع ممثل حركة فتح » . والحقيقة انه لم يكن مقررا ان يلقي احد من الوفود العربية كلمة في المؤتمر . ولقد افهمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الايطالي كل الوفود المشاركة ان الكلمات ستعطى لعدد محدود من الوفود الاجنبية . ولكن العدد المحدود اخذ يزداد ، حتى زاد عن الحد . وهنا بادرت الوفود العربية الى اشعار الرفاق الايطاليين بأن الوفود العربية ترى من الضروري ان تعطى حق الكلام . واثير هذا علنا في المأدبة التي أقامها بايتا عضو المكتب السياسي وسكرتير الشؤون الخارجية للوفود العربية . ويبدو ان الحزب درس الموضوع وأقره في اليوم ذاته ٣/١٧ . وكان ان طلب من ممثل حركة فتح ان يخاطب المؤتمر بكلمة تحية .

هذا فيما يتعلق بقضيتنا . اما فيما يتعلق بالمؤتمر عموما فانه يكتسي اهمية خاصة لثلاثة اسباب : اولها : لكون الحزب الشيوعي الايطالي يضم مليونا ونصف المليون من الاعضاء ، ويحصل على تسعة ملايين من الاصوات . وهو اقوى الاحزاب الشيوعية ، حاليا ، خارج الدول الاشتراكية . ثانيها : لكون الفاشية اخذت تتحرك في ايطاليا . ومع انها لا تمثل قوة حقيقية الان ، الا ان تحالف القوى الفاشية النامية مع الرأسمالية الايطالية ومع الامبريالية الاميركية يزيد من خطر هذه الشراذم

الرجعية المتعطشة للدم . ومن الجدير بالذكر ان مدينة ميلانو قد شهدت مظاهرة فاشية بمناسبة انعقاد المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الايطالي : كانت تطالب بعودة الملك . ثالثها : لكون الانتخابات النيابية على الابواب ، ولكون الحزب الشيوعي الايطالي يريد دخولها بقوة وعزم من اجل تحقيق مزيد من الانتصارات .

ان الحزب الشيوعي الايطالي قوة اساسية من قوى الحياة السياسية الايطالية . وهو حزب العمال وقطاع واسع من الانتلجنسيا . واهم ما في الامر انه حزب كبير ، ومع ذلك فهو يشهد نموا . فقد سجل التقرير ارقام زيادات كبيرة حصلت في العام الماضي . كما شهد المؤتمر انضمام حزبين الى الحزب الشيوعي الايطالي. والحزب الشيوعي الايطالي يسيطر على مناطق في الشمال عن طريق المجالس المحلية . كما ان له تعاونيات انتاجية واستهلاكية . ويركز الحزب في المرحلة الحالية على خلق جبهة واسعة من القوى الديمقراطية لمواجهة الفاشية . كما انه يركز على وحدة النقابات العمالية ، لانها تفتتت بعد الحرب العالمية الثانية الى ثلاث فئات: نقابات الشيوعيين ونقابات الحزب الاشتراكي ونقابات الديمقراطيين المسيحيين.

ولم يغير المؤتمر شيئا في قيادة الحزب . والتغيير الوحيد الذي حصل هو اختيار لونجو رئيسا للحزب . وذلك لانه مصاب بشلل جزئي ولا يستطيع ممارسة نشاط حزبي يومي ، واختيار بلنجوير سكرتيرا ، وهي الوظيفة التي كان يقوم بها منذ اصيب لونجو بالشلل . ويعتبر بلنجوير صغير السن ، لانه ولد سنة ١٩٢٢ . وهو من اهل سردينيا مثل جرامشي . وكان ابوه عضوا اشتراكيا في البرلمان حتى سنة ١٩٦٨ . وقد انضم بلنجوير للحزب سنة ١٩٤٣ ، وسجن سنة ١٩٤٤ عدة اشهر بسبب تنظيم مظاهرة . وكان معاديا للفاشية . انتخب سنة ١٩٤٥ عضوا في اللجنة المركزية ، خلال المؤتمر الخامس للحزب واختير مسؤولا عن الشبيبة ، حيث ظل كذلك الى سنة ١٩٥٦ . كما انه عمل رئيسا لاتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٥٣ . عين سنة ١٩٥٧ السكرتير الاقليمي في سردينيا . نقل سنة ١٩٥٨ الى المقر الرئيسي عضوا في السكرتارية وسلم دائرة التنظيم في الحزب . وكان من مواقفه انه عارض سنة ١٩٦٤ ، عندما حضر مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي مطالبة سوسلوف بعقد مؤتمر دولي لادانة الصين .

واخيرا لا بد من القول ان قواعد هذا الحزب عموما معباة لمصلحة الثورة الفلسطينية وهي تقوم بنشاطات هامة ، بالتعاون مع الطلبة الفلسطينيين والعرب .

ن. ع.

رسالة من دمشق : مهرجان دمشق الاول لسينما الشباب

بين الثاني والثامن من نيسان الماضي انعقد في دمشق المهرجان الاول لسينما الشباب . والحدث يمثل تظاهرة فنية للشباب السينمائي العربي ، ينتظر ان تتكرر في ذات الموعد من كل عام . وهناك اكثر من سبب يدعو للحرص على متابعة مثل هذا الحشد السينمائي بكثير من العناية والاهتمام ، واكثر من ذلك المشاركة في أعماله ، لانه اكثر النوافذ اطلالا على المستقبل بالنسبة لجهود السينمائيين الفلسطينيين وكل العاملين على صناعة فيلم القضية الفلسطينية . وارغب قبل ان ابدأ في تسجيل ملاحظاتي على المهرجان ، ان القي بعض الاضواء على اهدافه وبرنامجه ومنجزاته كما تبدت من مجريات اعماله .

يهدف المهرجان ـ كما عبر عن ذلك الزميل وليد شميط ـ الى « اتاحة الفرصة امام السينمائيين العرب الشباب للقاء وتبادل الحوار ودراسة واقع السينما العربية التقليدية ، وامكانات تطور السينما على ضوء المتطلبات الاجتماعية والسياسية والفنية التي تواجهها ، بغية ايجاد سينما عربية بديلة قادرة على التعبير بصدق والتزام عن واقع الانسان العربي واهتماماته الحياتية والاجتماعية والسياسية » . وينظم المهرجان مسابقة لافلام المخرجين العرب الشبان ، الروائية والتسجيلية وافلام التحريك ، سواء منها الطويلة او المتوسطة الطول والقصيرة التي انتجت خلال العام السابق للمهرجان ، ويشترط ان تكون ناطقة بالعربية ، وتمنح الجوائز لجنة تحكيم سباعية واحكامها نهائية ، وعادة تدعو هيئة المهرجان مخرجي الافلام المشتركة على نفقتها وتشتري جميع الافلام الفائزة في مسابقة المهرجان .

وقد شاركت في المهرجان تسع دول عربية ، هي : مصر العربية ، سورية ، العراق ، الجزائر ، لبنان ، الاردن ، المغرب ، تونس ، الكويت ، واشتركت المقاومة الفلسطينية بثلاثة افلام ، ورابطة ٥ حزيران بفيلم واحد . وقد بلغ عدد الافلام المشتركة في مسابقة المهرجان ٥٠ فيلما ما بين الروائي والتسجيلي وفيلم التحريك . وعرض ١٩ فيلما عربيا خارج المسابقة ، بالاضافة الى اربعة افلام روائية من امريكا اللاتينية عرضت على هامش المهرجان . وقد غطت العروض ثلاث دور للسينما ، تعاقبت فيها العروض من العاشرة صباحا وحتى الثانية عشرة مساء وقد تخللها مؤتمران صحفيان لمناقشة الاعمال المعروضة ، وكان البرنامج اليومي يختم بلقاء منتصف الليل الذي يبحث في اوضاع السينما في الاقطار العربية وتبحث فيه المشاريع المطروحة ضمن المهرجان .

وقد تميزت مناقشات المهرجان بحيوية وزخم في كثير من الاحيان ، وقد امادت في تقديم نماذج من النقد والتحليل السينمائي في كل قطر من الاقطار العربية. كما كان المهرجان فرصة لتعارف السينمائيين الشباب ، وفي هذا النطاق عقد مؤتمر السينمائيين العرب ، كما القيت اضواء على اوضاع السينما في الاقطار العربية ، واستمع المهرجان الى تجربة جماعة السينما الجديدة في مصر العربية عبر عدد من اعضائها . وقد طرح في المهرجان عدد من المشاريع لعل ابرزها انشاء اتحاد للسينمائيين العرب المقدم من الوفد العراقي ، وانشاء اتحاد للنقاد السينمائيين العرب وقد شكلت لكل منهما لجنة تحضيرية . وقد دعا الوفد العراقي الى المشاركة في مهرجان افلام فلسطين المنتظر قيامه في آذار ١٩٧٣ . وكان من المقرر ان يبحث المهرجان عددا من المسائل الاخرى مثل اوضاع السينما التسجيلية وخاصة مسألة تمويل وتسويق هذه الافلام ، ومناقشة اوضاع الفيلم الفلسطيني ، غير ان ازدحام برنامج المهرجان لم يتح اية فرصة لذلك .

وعلى الرغم من قلة الوثائق المقدمة للمهرجان ، والتي توضح طبيعة الافلام المعروضة ، او تقدم لسينما كل قطر من الاقطار المشتركة ، وهذا نقص ينبغي تلافيه ، فقد اعدت بعض الاقطار ، وخاصة مصر ، وثائق ضافية خاصة بالافلام المعروضة ، كما قدم العراق مشروع لائحة لانشاء اتحاد السينمائيين العرب ، وبعض الاعداد من مجلة المسرح والسينما ، وقدم الوفد المصري وثائق خاصة بتجربة جماعة السينما الجديدة ولائحتها الاساسية ، وبحثا عن « السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية لتوضيح جوانب قضية فلسطين » ونشرة تضمنت « رأي الشباب في السينما المصرية ونظرة الى المستقبل » ونشر تقرير عن السينما الجزائرية . وقد غطت النشرة اليومية

الصادرة عن المهرجان بعض النقص في الوثائق ، وبذل الزملاء وليد شميط وسمير نصري وقاسم حول جهودا لتغطية نشاطات المهرجان، ونشرت مقتطفات من المناقشات ومقابلات مع المخرجين العرب . كما قطع النقـاد السينمائيون الشوط الاول في التمهيد لانشاء اتحادهم بصياغة مشروع لائحة داخلية له وتشكيل لجنة اتصال يكون مقرها بيروت .

اما بالنسبة للعروض السينمائية ضمن مسابقـة المهرجان ، فقد توزعت ضمن حصتين متساويتين تقريبا من الافلام الروائية والتسجيلية وكان هناك فيلم واحد من افلام التحريك القصيرة ، اذ بلغ عدد الافلام الروائية الطويلة ١٢ فيلما ، والروائية المتوسطة ثلاثة ، والافلام الروائية القصيرة تسعة افلام . ولم يكن هناك اي فيلم تسجيلي طويل ، فيما عرض فيلمان تسجيليان متوسطا الطول ، و ٢٣ فيلما تسجيليا قصيرا ، وهي التي كان لها الحصة الكبرى من افلام المهرجان .

وقد اثار عدد من العروض نقاشا واسعا ، وتميز بعضها بالحدة والحماس ، فوجد الفيلم الروائـي الكويتي « بس .. يا بحر » ترحيبا حارا لم يلقه فيلم آخر وكان مفاجأة لكثير مـن السينمائيين ، وواجه الفيلم الروائي اللبناني « سلام بعد الموت » استقبالا سيئا ورفضا كاملا له ، ولقي نفس الشيء الفيلم الروائي المصري « دعوة للحياة » ، فيما اثار فيلم « مئة وجه ليوم واحد » انقساما في المهرجان ما بين رافض ومحبذ ، ولقي الفيلم الروائي المغربي « وشمة » ترحيبا حد مـن حرارته عدم فهـم العامية المغربية . ومن جهة اخرى لقي كل من الفيلم السوري الروائي المتوسط « حتـى الرجل الاخير » والمصري الروائي الطويل « اغنية علـى الممر » استـقبالا طيبا وكان الفيلمان مثار نقاش ومقارنة نظرا لاعتمادهما على نص مسرحي واحد . اما الافلام التسجيلية التي اثارت الانتباه فقد كانت « محاولة عن وادي الفرات » ، « الزيارة » ، « بعيدا عن الوطن » ، « نحن بخير » ، « روافد المسرح » ، « حصان الطين » ، «بورسعيد ٧١» .

وقد منحت لجنة التحكيم ست جوائز حسب لائحة المهرجان ، للافلام الآتية : الجائزة الكبرى وقـد تقاسمها الفيلم الروائي الكويتي « بس يا بحر » والروائي المصري « اغنية على الممر » ، جائزة الفيلم الروائي المتوسط : « طائر القرية » وهـو سوري ، جائزة الفيلم الروائي القصير « اللقاء » وهو سوري ، جائزة الفيلم الوثائقي القصير وقـد تقاسمها « محاولة عن وادي الفرات » وهـو سوري و « حصان الطين » وهو مصري ، جائزة الفيلم الوثائقي المتوسط « بالروح ... بالدم » وهو فلسطيني ، جائزة اللجنة : «الفهد» وهو سوري ، و « وشمة » وهو مغربي ، ومنحت شهادة تقدير لفيلم « بعيدا عن الوطن » وهو من انتاج سوري . وكان النقاد قد اجتمعوا وقرروا منح جائزتين ، ففاز بها الفيلم الطويل « مئة وجه ليوم واحد » والفيلم القصـير « الزيارة » . كما اعلنت حركة « فتح » عن تخصيص جائزتين منحتهما للفيلـم الروائي المتوسط « حتى الرجل الاخير » والفيلم الوثائقي « نحن بخير » .

وبصورة عامة ، فان المهرجان قد شهد نجاحـا ملحوظا ، نسبة لما كان ينتظر منه ، فهو كان فرصة لتعارف السينمائيين الشباب العرب . كما كان ميدانا لبحـث عدد من المشاريـع التي تخص السينمائيين والنقاد على حد سواء . وهو بهـذا المقياس يكون قد كسب نجاحه بجدارة علما بأن فترة التحضير كانت قصيرة جدا . وهذا لا يعفي من ابداء بعض الملاحظات حول جوانب القصور فيه : ١ ــ على الرغم من ان المهرجان كـان مكرسـا لسينما الشباب ، الا ان عددا كبيرا من العروض السينمائية لم تكن تحمل هذا التوجيه ، فكـانت غالبا تقليدية سواء من حيث المعالجة السينمائية او من حيث المضمون ، وبذلك كان معيار «شبابية» السينما هو السن ، وهو معيار واه جدا ، وليس له اساسه الموضوعي . ٢ ــ لم يكن هناك فهـم محدد لمعنى سينما « الشباب » ، فقد ترددت في المؤتمر هذه اللفظة والفاظ اخرى مثل « السينما البديلة » و « السينما السياسية » و « السينما الجديدة » .. الخ ، وهي الفاظ تحتمل كثيرا من الجدال والنقاش . فكما لم نجد معالجة سينمائية متقدمة في العروض المقدمة ، لم يظهر النقاش فهما نظريا ، لمدلول سينما الشباب ، وقد كنت اتمنى لو اتجه المجتمعون في المهرجان لتحديد آفاق سينما الشباب ، خصوصا وان المهرجان مكرس قصرا على نوع معين من السينما . واعتقد ان المجال يبقى مفتوحا لاسهامات نظرية ونقدية حتى موعد المهرجان المقبل ، كي يرسى على اسس علميـة محددة ، كما ان السينمائيين مدعوون لتقـديم دراسات بهذا الصدد للمهرجان في العام القادم .

٣ ـ سبق ان ذكرت ان الوفود في غالبها قد جاءت بدون ان تحمل معها الى المهرجان ، وثائق عن السينما في اقطارها ، كما لم تقدم معلومات عن الافلام المشتركة . ومن جهة اخرى كانت الفترة القصيرة في التحضير للمهرجان مسؤولة عن عدد من التقصيرات الفنية من الجهة المضيفة . وفي هذا الصدد لوحظ انه لم تكن هناك محاضر للنقاشات ، ولم يجر تسجيل التوصيات بشكل منظم ، وقد اقتصرت مهمة تلخيص الآراء على بعض المحررين في النشرة اليومية ، فجاءت التلخيصات غامضة ومجتزئة وفقيرة ولم تستطع ان تؤدي دورها على النحو المرجو .

اما بصدد الاسهام الفلسطيني في المهرجان فلدي بعض الملاحظات التي ارجو ان تجد اهتمام المؤسسات الفلسطينية المعنية .

اولا : كانت المساهمة السينمائية الفلسطينية في المهرجان خاضعة للصدفة وللمبادرة الشخصية وعلى سبيل المثال فان فيلمين من ثلاثة افلام فلسطينية اشتركت في مسابقة المهرجان ، لم يكن مخرجهما على علم بالمهرجان ، وقد دفعته شخصيا للمشاركة في المهرجان ، وكان من الممكن ان لا يشترك لعدم العلم ، وقد فاز الزميل مصطفى ابو علي بجائزة الفيلم التسجيلي المتوسط الطول بفعل المبادرة الشخصية . وهذا يزيدنا قناعة يوما بعد يوم بضرورة الشروع بانشاء تجمع سينمائي فلسطيني تكون له شخصيته المستقلة ويتعامل مع المؤسسات السينمائية العربية والعالمية ويلعب دوره الاعلامي والتثقيفي والسياسي ، (راجع ندوة السينما والقضية الفلسطينية في العدد القادم) . لقد تشكل الوفد السينمائي الفلسطيني بصورة عفوية ولم يكن لديه اية توجيهات او مساهمة فعالة في المهرجان بحكم عفوية هذا التشكيل .

ثانيا : ـ كان من الممكن ان يتسع نطاق اشتراك الافلام الفلسطينية في المهرجان ، وان تأخذ فرصة افضل في العرض ، كما كان يمكن ان تحظى بمناقشة افضل وان يخصص لها جلسة مستقلة ، الامر الذي يؤدي الى نتائج نقدية افضل ، غير ان هذا لم يحدث ، لضيق الاشتراك الفلسطيني في المهرجان ولتأخره .

ثالثا : على الرغم مما مر ، فانه يلاحظ ان المهرجان قد تضمن اكبر حصة من الافلام التي تعالج موضوعا واحدا ، اذ ان القضية الفلسطينية كانت محور عدد ضخم من الافلام الروائية والتسجيلية مختلفة الطول من انتاج مختلف الاقطار العربية . وهي حصة لم تتمتع ، ولا اظن انه ستتمتع بها قضية اخرى . وهذا يعود الى الحاح هذه المسألة في الوقت الراهن وفي المستقبل ، ولكون المهرجان لسينما الشباب المتصلين بقضايا الوطن الراهنة اتصالا سياسيا واعيا ، ان هذا يدفعني للدعوة للحرص على المشاركة في هذا المهرجان ولتوسيع نطاق اتصالنا باعضائه وتقديم التسهيلات لهم في انتاجهم السينمائي .

رابعا : ابدى العديد من السينمائيين الشبان اهتماما مخلصا بتقديم مساهمات عملية ونظرية من اجل القضية الفلسطينية ، وهم بحاجة الى بعض التسهيلات من المؤسسات الفلسطينية وبخاصة مركز الابحاث ، من اجل تزويدهم بالكتب والمواد التاريخية والوثائق المتوفرة كمادة لافلامهم ، او لدراساتهم النظرية .

خامسا : طرحت خلال المهرجان بعض الحاجات التأريخية مثل السينما في فلسطين ، وهو موضوع لم يجد بعد تتبعا ، كما ان السينما الاسرائيلية بحاجة الى دراسة وهي مهمة قائمة تنتظر من ينجزها ، ومركز الابحاث مطالب بتسهيل المصادر وفرص النشر للسينمائيين العرب .

سادسا : تقدمت خلال المهرجان ببعض التوصيات التي تشكل مهمات راهنة تحتاج الى متابعة فلسطينية وعربية ، وسوف اعود مجددا الى طرحها بتوسع في اعداد قادمة ولمتابعتها عبر مؤسسات الثورة الفلسطينية .

واخيرا ارجو ان تكون ملاحظاتنا حول مهرجان دمشق حافزا للتحضير وللمشاركة الاوسع في المهرجانات السينمائية العربية والعالمية ، وخاصة مهرجان قرطاجة ومهرجان لايبزج وهما على الابواب ، ومهرجان افلام فلسطين (آذار ١٩٧٣) الذي يقام في بغداد .

هاني حوراني

شهريات
مشروع الملك حسين

ناجي علوش
عبد الله الصفدي
بلال الحسن
صادق العظم
احمد خليفة
عبد الحفيظ محارب

في الخامس عشر من مارس ١٩٧٢ اعلن حسين ، ملك الاردن ، مشروعا بتحويل المملكة الاردنية الهاشمية الى ما اسماه « المملكة العربية المتحدة » التي تتكون من قطرين ، اردني وفلسطيني . وقد نشرت « شؤون فلسطينية » في الصفحات الاخيرة من العدد الماضي مذكرة تحليلية بينت فيها اخطار هذا المشروع والدوافع التي تجعل الشعب الفلسطيني يرفض المشروع رفضا تاما . وبالاضافة الى المقالة الاولى في هذا العدد من شؤون فلسطينية ، التي تلقي المزيد من الاضواء على المشروع المرفوض ، نخصص باب الشهريات لهذا الشهر للنظر الى المشروع من عدد من الزوايا بحيث نأمل ان يكمل كل منها الصورة المرتسمة في ذهن القارىء من قراءة المعالجات الاخرى . ونحن نعنى في هذا الباب ، بشكل خاص ، بردود الفعل المختلفة. وقد تعمدت رئاسة تحرير « شؤون فلسطينية » ان تقدم هذه الافكار والآراء والمعالجات كما هي (على ما يبدو احيانا ، وفي نواح جزئية ، من تضارب) تاركة لكل باحث من الباحثين الستة الذين يحاولون رسم الصورة الكاملة للمشروع ان يعطي الاجتهاد الذي يراه مناسبا ومقنعا . اما المواضيع الاخرى في تطورات القضية الفلسطينية بين منتصف مارس ومنتصف ابريل ، التي لم تتناولها ابواب الشهريات كعادتها ، فانها ستعالج في شهريات العدد القادم .

(١) مقدمة
ناجي علوش

يبدأ تاريخ النظام الهاشمي في علاقته مع القضية الفلسطينية سنة ١٩٢٢ . ومنذ هذا التاريخ وخط النظام الهاشمي في هذا المجال واضح ومحدد : سحق الحركة الوطنية الفلسطينية وانتزاع ارادة التمثيل من الفلسطينيين . ولقد انتظر النظام الهاشمي حرب سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٩ ليستغلها في مصادرة ارادة الفلسطينيين واحتلال اراضيهم . فخلال هذه الحرب دخل الجيش الاردني ليحارب دفاعا عن فلسطين . واذا به يسلمها كي يحصل على حصة منها ، ولكي تتم المصادرة قام النظام الهاشمي بما يلي : ١ — نظم مؤتمري اريحا وعمان من اجل « انتزاع » شرعية فلسطينية ودولية ، ٢ — قام باحتلال مقر قيادة الجهاد المقدس . ومنذ ذلك الحين وهناك المملكة الاردنية الهاشمية فقط . اما فلسطين فقضية حلال على كل الناس الا على الفلسطينيين الذين اصبحوا اردنيين . ومنذ ذلك الحين والنظام الاردني يعمل كل ما يستطيع ليسحق حتى مشاعر الحنين الى الوطن في صدور الفلسطينيين .

واليوم وبعد ان حاول النظام الهاشمي اسقاط قيادة المقاومة ، كما فعل بقيادة الجهاد المقدس ، يحاول ان ينتزع التمثيل بكل الوسائل . ولكن هنالك فرقا بين الوضع اليوم والوضع سنة ١٩٤٩ ، كان المطلوب سنة ١٩٤٩ ان يلغى وجود شعب فلسطين وان تلغى ارادته ، ولذلك ضمت بقية فلسطين الباقية — ما عدا غزة — الى المملكة الاردنية الهاشمية ، واسبغت الشرعية على الضم من خلال مؤتمرين عقدهما فلسطينيون . كما قام النظام باحتلال مقر قيادة الجهاد المقدس ، وبمحاربة حكومة عموم فلسطين ضمن خط امبريالي—صهيوني استهدف الغاء الشخصية الفلسطينية ، اما اليوم فان المطلوب شيء آخر ، انه مصادرة مقاومة شعب فلسطين ، ذلك ان شعب فلسطين استطاع من خلال المقاومة ان يؤكد وجوده ، وان يجعل مقاتليه ممثليه ، كما انه استطاع ان يحرر ارادته التي سلبه اياها النظام الهاشمي بالتعاون مع بعض الخونة من الفلسطينيين . المطلوب اذن مصادرة هذه الارادة ، كيف ؟ بالالتفاف عليها مرة اخرى . قالوا في الماضي : وحدة الضفتين من اجل حماية البقية الباقية من فلسطين ، وهم يقولون اليوم وحدة الضفتين من اجل عودة الاراضي المحتلة ، ولكنهم يقرون اليوم ان هناك شعبا فلسطينيا . انه موجود لانه يقاتل . فكيف يقودونه الى الاستسلام مرة اخرى ؟ لا سبيل الى ذلك الا بمصادرة ارادته مرة اخرى واستبدال وجوده القتالي بوجود شكلي هزيل ، ولهذا طرح النظام الهاشمي العميل مشروعه . لقد طرح اذن وهو يستهدف : ١ — ايهام الفلسطينيين او قطاع منهم على الاقل بأن هناك بديلا للتحرير ، وللطريق الشاق الطويل ، وهو الحكم الذاتي . ٢ — خلق تناحر في اوساط الفلسطينيين . ٣ — سلب شرعية التمثيل عن المقاومة وابراز « ممثل بديل » من النظام الهاشمي والمتعاونين معه من الفلسطينيين، يدخل ميدان المساومات الدولية . ٤ — ممارسة ضغط على مصر من اجل الاندماج على طريق التسويات .

اذا كانت هذه هي الاهداف فلماذا طرح المشروع الآن وليس قبل هذا التاريخ او بعده ؟ ان الاجابة على هذا السؤال هامة لانها تعطي المشروع ابعاده الحقيقية . واول ما تجب الاشارة اليه هنا هو ان الولايات المتحدة الامريكية التي باتت تواجه هزيمة مؤكدة في فيانتام والهند الصينية تريد ان ترتب أمورها في حوض البحر الابيض المتوسط لئلا تصبح الهزيمة هزائم ، ولئلا تنفجر الاوضاع في الوطن العربي فيفلت زمام الامور من يديها . ونقطة التفجير في المنطقة العربية وحوض البحر الابيض المتوسط هي المنطقة العربية . ولكن الولايات المتحدة تريد « سلاما » يكرس الانتصار الاسرائيلي، ولكنه في الوقت عينه يطفىء الفتيل المشتعل في المنطقة . كيف يتم ذلك ؟ باطفاء شعلة المقاومة وبايجاد حلول خداعة لمشاكل المنطقة . ولهذا لم يكن غريبا ان تتحمس الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة للمشروع الهاشمي . ولم يكتف روجرز بالاعلان يوم ٣/١٥ انه على علم بتطورات الموقف في الشرق الاوسط فيما يتعلق بالملك حسين ، بل أعلن سيسكو « انه يتوقع خطوة هامة للخروج من حالة الركود في العلاقات بين الاردن واسرائيل » وقال سيسكو : « ان هذه الخطوة ستتم خلال

الاسابيع القادمة » (الاخبار القاهرية ٧٢/٣/١٥). واعلنت رويتر بعد يومين « ان بعض المسؤولين الاميركيين وصفوا مشروع حسين بأنه « خطوة تجاه السلام » . واشارت الوكالة الى ان الولايات المتحدة قد احيطت علما بالمشروع مقدما « الا انها كانت حريصة على الا تصدر اية احكام حتى لا تثير شك اية دولة عربية » (الجمهورية ٧٢/٣/١٧). ويؤكد هذا الكلام دور الولايات المتحدة في صياغة المشروع واعلانه . ويكفي ان تقول الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة انها كانت على علم مسبق بالمشروع .

هذا على الصعيد الدولي . اما على الصعيد العربي فالموضوع لا يقل اهمية . ذلك ان مسلسل التنازلات العربية قد توقف ، بعد ان تنبهت مصر الى انها تتنازل « بسخاء » بينما يتشدد العدو ويتعنت . وهنا كان لا بد من وقفة . وانتظرت مصر ان تقدم اسرائيل تنازلات ، او ان تضغط الولايات المتحدة من اجل تنازلات . الا ان هذا وذاك لم يقعا . ولذلك « أحرنت » مصر . ومارست الولايات المتحدة كل ضغوطها لادخال مصر أبعد فأبعد في سرداب التسويات المظلم . وعندما لم تنجح لجأت الى ورقة رابحة في يدها ، هي الورقة الاردنية . لقد ارادت الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني أن تؤخرا استخدام هذه الورقة حتى لا تسقط ، ولكن توقف مسلسل التسوية على قناة السويس وتأخر التسوية الجزئية هناك عن الجدول الزمني المقرر لها اجبر دولة الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة على كشف احد اوراقهما الهامة ، وهي الورقة الهاشمية . وكان الهدف من ذلك ، اما ان تتقدم مصر خطوات اخرى في مسلسل التسوية ، او ان تبقى مكانها فيتقدم النظام الهاشمي على « التقدم ». ويتحرك مسلسل التنازل والتسوية . ويكون من نتيجة ذلك ما يلي : أولا : تنشق البلاد العربية الى مؤيد لمصر ومؤيد للنظام الهاشمي ، بعد ان كانت تبدو موحدة وراء قرارات مؤتمر الخرطوم . وهذا يقود الى استحالة عودة الجبهة الشرقية ، والى تراجع بعض الدول العربية ، وأولها المملكة العربية السعودية عن مساندة مصر ماديا . ثانيا : يستخدم الاتفاق الهاشمي الاسرائيلي من اجل عزل مصر دوليا ، ومن اجل اظهارها امام الرأي العام العالمي بمظهر المتعنت غير الحريص على السلام ، وذلك بمقارنة « التشنج » المصري بالروح الهاشمية « الواقعية والعملية » . ثالثا : يجري الضغط على مصر لاشعارها بأن جبهتها هي الجبهة الوحيدة ، وبأنها وحدها تقف في الميدان ، وبأنه لا أمل لها في هذا الصراع الذي لا يقف معها فيه احد . كما ان اسرائيل تزيد من تعزيز قواتها على القناة وفي سيناء ، وتزيد من العمل لاشعار مصر انها تعمل على امتلاك سيناء الى الابد .

كان المفروض اذن ان يعلن هذا المشروع بعد ان يعلن عن اتفاق جزئي بين مصر ودولة الاحتلال (الاهرام ٧٢/٣/٢٤ — بصراحة — محمد حسنين هيكل) ولكن الامور جرت بما لا تشتهي سفن الولايات المتحدة ودولة الاحتلال . وكان عليهم ان يتحركوا فحركوا عميلهم الاكبر : النظام الهاشمي. وكانت العقدة على الصعيد الفلسطيني اكثر اشكالا من العقدة على الصعيد العربي ، اذ ان المقاومة التي ارادوا لها الموت في أيلول ظلت موجودة وفاعلة الى حد ، وظل ينظر اليها على انها ممثلة الشعب الفلسطيني . واذا كان متوقعا ان يوجه اليها العدوان على لبنان ضربة قاصمة واخيرة ، فان ما حدث في لبنان زادها قوة ورفع مكانتها وأعاد لها بعض الشعبية التي فقدتها . وجاء الفتور الذي قابلت به الجماهير في الضفة الغربية موضوع الانتخابات البلدية صفعة للاحتلال وللنظام الاردني . ولذلك كان لا بد من عمل ، ينزع صفة التمثيل عن المقاومة ، ويقود خطى المترددين على طريق الاستسلام . واذا كان انتزاع صفة التمثيل ليس سهلا ، فلا أقل من ابراز ممثلين جدد يتمتعون ببعض الشرعية كالنجاح في انتخابات بلدية . واذا لم يكن ممكنا تحميس الجماهير في الضفة الغربية لانتخابات بلدية فلماذا لا تربط هذه الانتخابات بمشروع « حكم ذاتي » ، لا ينفصل عن الوطن العربي ، لانه تابع للعرش الهاشمي . ثم ان النظام الهاشمي الذي حرق آخر سفنه الفلسطينية في أيلول وبعد أيلول كان يريد استقطاب بعض الفلسطينيين ، لعله يصبح اكثر قدرة على التحدث باسم الفلسطينيين . لقد طلب من النظام الهاشمي ان يأتي برأس المقاومة اذا أراد ان يعتبر ممثلا للشعب الفلسطيني . وحاول ذلك في أيلول وبعد ايلول ولكنه فشل . لقد أوقع بالمقاومة اصابات عميقة ، فنزف الكثير من دمائها ، وأفقدها الكثير من فعاليتها ، ولكنه لم يستطع ان يأتي برأسها : لا أن يجز هذا الراس ولا أن يستميله .

وهو الآن يحاول بمخطط مزدوج : القمع والتصفية الدموية من جهة ومحاولات الاستمالة والاخضاع من جهة اخرى . واذا كان في الماضي يوجه ضربات مباشرة الى المقاومة ، فانه الان يحاول ان يجعل الصراع فلسطينيا . هكـذا سحقت ثورة سنـة ١٩٣٦ . عندما عجز الانجليز عن سحق الثـورة ساعدوا على خلق طرف فلسطيني يحاربها . والان يريد النظام الهاشمـي ان يحارب الفلسطينيين بالفلسطينيين، وان يزيد من قوته والاعتراف بتمثيله عن طريق هذه « الحرب الداخلية » . ومثل هذه الحرب ليست جديدة على أرض فلسطين ، اذ ان « الامير » عبدالله لعب دورا في شق الصفوف الفلسطينية منذ أصبح أميرا . وكان لعملاء عمان دور كبير في تخريب الحركة الوطنية الفلسطينية عمومـا وضرب ثورة ١٩٣٦ خصوصا . واليوم يحاول الحفيد أن يلعب لعبة جده فهل يستطيع ؟!

تبقى حقيقتان : الاولى : ان هذا المشروع ليس جديدا . انه يعود الى ما بعد أيلول ، وليس صحيحا انه يعود الى ما قبل سنة ١٩٦٧ كما يقول الحسين (صدى لبنان ٧٢/٣/٢٤ — مؤتمر الحسين الصحفي) . فالخط السياسي الهاشمي نحو فلسطين لم يكن حتى ما بعـد أيلول يرى امكانية لبروز اي مظهر من مظاهر الحكم الذاتي الفلسطيني . ولكن معارك أيلول ونتائجها هي التي فرضت تغييرا . فالمقاومة لم تنته في أيلول ، بل خرجت قوية من تلك المعركة الطاحنة . ثم ان معركة أيلول خلقت هوية فلسطينية لا يستطيع أحد ان يتجاهلها . ومن هنا بدأ النظام الهاشمي بعد أيلول لعبته ، في محاولة منه ، ومن انظمة عربية أخرى لخلق تزاوج بين النظام الهاشمي و« المقاومة الشريفة » . قاد هذا الى التراجعات السياسية المعروفة التي قامت بها المقاومـة والتي كانت تستهدف حسم قضية التمثيل بالتزاوج ما بين النظام الهاشمي و« المقاومة الشريفة » . وبدأ الحديث في هذا الوقت من جانب النظام عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بعد التحرير . كما بدأت بعض الاوسـاط في المقاومة تتحدث عـن « فيديرالية » مع الاردن ، تتحدد فيها مساهمة الفلسطينيين في السلطـة والجيش . وكان هذا الخط المنحرف هو الذي عمل على سحب الاسلحة من المدن والقضاء على المواقع الشعبية للثورة لمصلحة هذا التزاوج . الا ان الخط المعارض ساهم في افشال تحقيق التزاوج وان كان قد عجز عن ايقاف موجة التراجع .

وحين قام النظام بهجومه الاخير على قواعد الثورة في جرش وعجلون ، بعد ان أجهز على كل مواقع الثورة في الاردن ، جاءت فكرة مفاوضات جدة . وكان الهدف من هـذه المفاوضات ايضا تحقيق التزاوج . وكان هنالك من يعمل من داخل المقاومة للعودة الى الاردن بأي ثمن . وكان الهدف من ذلك اتمام عملية التزاوج اي اخضاع المقاومة للنظام نهائيا واعلانها الاعتراف بقيادة صاحب الجلالة ، الممثل الشرعي لشعب فلسطـين . ولكن هـذه المؤامرة احبطت ايضا . تقول بعض المصادر ان المشروع كان جاهزا من ستة أشهر . واذا مـا عدنا الى الوثائق اكتشفنا ان هذا يعني انها كانت معدة مع بداية محادثات جدة . وان الغرض من محادثات جدة كان الخروج باتفاق يعلن هذا المشروع الملكي .

الثانية : أن هذا المشروع المعلن لا يستهدف اعلانه تنفيذه . انه مطروح ليكون طعما لا ليطبق. ولسوف يصبح عند التطبيق شيئا آخـر . ان المشروع المطروح سيكون أساسا للمناقشة في النهاية ، بعد ان يحدث آثاره الفلسطينية والعربية والدولية، وسوف يقود الى تنازلات وتنازلات ، وسوف يكرس الاحتلال اخيرا ، ولكنه سيعطي للفلسطينيين في الضفة الغربية بلديـة كبيرة في ظـل الاحتـلال الاسرائيلي والادارة المدنية الاردنية . وبالمقابل سيكرس تحويل القدس ومناطق أخرى الى دولة الاحتلال الصهيوني ، وستصبح الضفة الغربية جسرا ما بين دولة الاحتلال والوطن العربي تمر عليه السلع والافكار والاشخاص والمؤامرات والاموال الخ.

ان مشروع الملـك حسين هو الصيغة العمليـة للتصفية في المرحلة الحالية . وخطورة هذه الصيغة تكمن فيما يلي : اولا : أنها تأتي بعد هـذه الضربات المتلاحقة لحركة المقاومة ، وبعـد أن أوجدت الهجمات الشرسة على المقاومة حالة من اليأس والحيرة والضياع لدى قطاعات من الجماهير الفلسطينية . ثانيا : أنها تأتي وسط اجماع رسمي عربي ، معلن وغير معلن ، على ضرورة قبول قرار مجلس الامن رقـم ٢٤٢ ، وعلى قبـول التسوية . ثالثا : انها تأتي مدعومة من الامبريالية الاميركية ودولـة الاحتلال الصهيوني وقـوى الامبريالية العالمية . ولذلك فهي أخطر المؤامرات وأشدها ضررا ، وعلى هذا الاساس يجب ان ينظر اليها . ومن هذا المنطلق يجب ان تحارب .

(٢) الاتصالات الاردنية الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧
عبدالله الصفدي

ان تتابع الاحداث في الفترة الاخيرة ، وخاصة بعد ان قام النظام الاردني بمعاونة الامبريالية العالمية بالتصفية الشاملة لوجود حركة المقاومة العلني بالاردن في العام الماضي ، يشير الى السير الحثيث من جانب كل من الاردن واسرائيل نحو « تسوية منفردة » بينهما . فكل الدلائل والاجراءات الاخيرة، من السكوت الاردني عن انتخابات الضفة الغربية ، الى اتصالات انور نسيبة ، الوثيق الصلة بالملك ، مع مائير ودايان ، الى الاتفاقات والترتيبات في مجالات السياحة والمرور وتخفيف القيود على السفر ، تشير الى استعداد الطرفين وسعيهما نحو « تسوية منفردة » تستهدف التصفية القومية للقضية الفلسطينية . وقد جاءت خطة الملك الاخيرة لاقامة « المملكة العربية المتحدة » تتويجا لهذه الاتفاقات والاجراءات جميعا ، لتكشف بوضوح حقيقة تفكير النظام الاردني حول طريقة تصفية القضية الفلسطينية ، ولايجاد مخرج يحفظ ماء الوجه بعد ما قام به النظام من مجازر في ايلول ١٩٧٠ ، وتموز ١٩٧١ ، مستهدفا ايضا تصفية حركة المقاومة سياسيا . فالنظام الاردني على وعي تام بالتناقضات التي اوجدها بنفسه حينما اقام حاجزا اقليميا بين الضفتين ، وهو يحاول ايجاد حل لهذه التناقضات عن طريق اقامة « مملكة عربية متحدة » وليس « مملكة اردنية هاشمية » . وهكذا فان هدف النظام من وراء تعميق الاقليمية كان موجها لتصفية حركة المقاومة في الاردن ، ومرة اخرى تستغل هذه الاقليمية لاقرار تسوية تحقق الشروط والرغبات الاسرائيلية .

ان هذه الخطة التصفوية الاخيرة للملك حسين لا يمكن ان تفهم بمعزل عن اتصالات جرت بين النظام الاردني واسرائيل وتم الاتفاق بشأنها ، وهي تبين قبول النظام « بالتسوية المنفردة » المقترحة حاليا ، واستعداد النظام التام لعقد صفقة مع اسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية ، بعد ان قام بتصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الضفة الشرقية لنهر الاردن . كذلك فان هذه الخطة تعطي فكرة واضحة عن النتائج السياسية للاتصالات الاردنية الاسرائيلية والتي لم تظهر بشكل نهائي وعملي حتى الان ، ولكن بوادرها بدأت بالظهور ، وتتيح مجالا اوسع لتوقعات حول هذه النتائج السياسية . من هذا كله تنبع اهمية بحث موضوع الاتصالات الاردنية الاسرائيلية .

من المعروف ان اهداف السياسة الاسرائيلية تنطلق ظاهريا من الاصرار على مبدأ المفاوضات المباشرة مع الدول العربية ، مفضلة عقد محادثات ثنائية كتلك المحادثات التي أدت الى توقيع هدنة ١٩٤٩ . فاسرائيل ترى ان حل النزاع مع العرب يعتمد على : ١ — المفاوضات كمبدأ وليس كنقطة اجرائية لان الاستعداد للتفاوض هو برهان على النية في السلام . ٢ — الاتفاقات(١). وطبيعي ان اعتماد هدف التفاوض المباشر ، جعل اسرائيل تنظر الى الاردن على انه النظام المؤهل لان يكون «منطقيا» اول من يأتي الى مائدة المفاوضات ، « بسبب مشاكله الاكثر الحاحا »(٢)، ونتيجة للدور الذي لعبه النظام الاردني كحارس امن لاسرائيل منذ قيامها حتى اليوم ، بالاضافة الى دور الولايات المتحدة الضاغط لكون كل من الاردن واسرائيل حليفيها . كذلك فان النظام الاردني ، وخاصة بعد ضربه للعمل الفدائي في الاردن ، يسعى الى ايجاد تسوية مع اسرائيل ، وذلك انطلاقا من ان «اسرائيل عامل دائم في حقائق الشرق الاوسط»(٣). فالهدف السياسي للنظام الاردني هو التفاوض مع اسرائيل ، وليست الاجراءات الكثيرة الاخيرة ، والتي سنأتي على ذكرها بالتفصيل ، سوى تعبير مرحلي عن هذه السياسة ، وتكشف بوضوح تشابه اهداف السياستين الاسرائيلية والاردنية . وما الاسباب التي تعطى في بعض الاحيان سوى حجج واهية لتبرير سياسة النظام الاردني هذه . فالنظام

١ — مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، **اليوميات الفلسطينية** ، مجلد ٦ ، ص ٣٨١ (من خطاب لابا ايبان امام المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين) .

٢ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢٦ (من تصريح لابا ايبان) .

٣ — **النهار** ، ٧٢/١/٢٩ (من مقابلة للملك حسين مع مراسل صحيفة «**معاريف**» في روما).

الاردني مثلا يصور نفسه على انه مجبر على اجراء المفاوضات ازاء امكانية التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل ، وانه امام طريق مسدود ليس له من حل سوى التفاوض .

على الرغم من ذلك كله ، فان المرء يتساءل لماذا لم تجر الان المفاوضات النهائية بين الاردن واسرائيل ما دام الطرفان يعملان من اجلها . ان الاجابة عن ذلك تكمن في ان اسرائيل تربط اجراء مثل هذه المفاوضات بتسوية شاملة في المنطقة لا تقتصر على احد الاطراف العربية فحسب . وكما هو ظاهر فان الوقت لم يحن بعد .

يعود تاريخ الاتصالات الاردنية الاسرائيلية الى عهد الملك عبدالله الذي اجرى اتصالات عديدة مباشرة مع بعض الزعماء الاسرائيليين كغولدا مائير وموشي دايان وموشي شاريت . وقد تمت هذه الاتصالات « بنجاح » في العام ١٩٤٩ « في الوقت الذي كان فيه ممثلو البلدين في محادثات رودس بانتظار القرارات التي ستسفر عن تلك الاتصالات والتي نقلت اليهم فيما بعد على شكل اتفاق وقعوه في رودس »(٤) وقد بدأت هذه الاتصالات تأخذ طابعا اكثر تحديدا في ظل المشاكل المزمنة المرتبطة بالقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني بعد هزيمة عام ١٩٦٧ . كما انها ظهرت بشكل مكثف بعد ضرب النظام للعمل الفدائي في الاردن عام ٧٠ — ١٩٧١ . ان النتائج السياسية لهذه الاتصالات لم تظهر متكاملة بعد الى حيز الوجود لكونها لم تستكمل بشكل تفصيلي ونهائي ، ولارتباطها بالتسوية الشاملة بين العرب واسرائيل والتي لم تحرز نجاحا الى الان . اما الاتصالات ذات الطابع غير السياسي فان نتائجها بدأت تأخذ اخيرا شكل الثبات كمقدمة وكخطوات عملية تمهد للحل النهائي .

لقد اتخذت الاتصالات الاردنية الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ اشكالا متعددة وعلى مستويات مختلفة ، حسب اختلاف الظروف التي جرت فيها . فهناك اولا الاتصالات السرية التي جرت على اعلى المستويات بين الملك حسين وبعض المسؤولين الاسرائيليين وبالاخص ايجال آلون وأبا ايبان ، وقد تم في هذه اللقاءات بحث الامور السياسية والتسويات المقترحة . الى جانب ذلك هناك ايضا الجهود الدبلوماسية للولايات المتحدة واتصالات السفير يارنغ . واخيرا هناك الاتصالات التي كانت في غالبها ذات طابع غير سياسي والتي لها انعكاسات ومغزى على الصعيد السياسي وعلى المدى البعيد ، وقد اسفرت هذه الاتصالات عن اتفاقات في مجالات متعددة كما سنرى .

الاتصالات السياسية

يمكننا القول ، استنادا الى مصادر مختلفة وحسب ما نشر في الصحف الاجنبية والاسرائيلية ، انه جرى منذ عام ١٩٦٨ عقد اكثر من عشرة اجتماعات بين الملك حسين وبعض المسؤولين الاسرائيليين . وقد مثل الطرف الاسرائيلي ايجال آلون وفي بعض المرات أبا ايبان بالاضافة الى بعض كبار الموظفين الاسرائيليين . وعقدت هذه الاجتماعات في البداية في لندن ، ثم عقد البعض الآخر منها في وادي عربه وفي العقبة . وعلى الرغم من تأكيد الصحف لحصول هذه الاجتماعات ونشر تفاصيل عما جرى في بعضها ، فقد صدر في جميع الاحوال نفي لحدوث هذه الاجتماعات ، ولم يعلن للجماهير عن اجرائها .

ومما هو جدير بالذكر ان هذه الاجتماعات « نظمت ليس بواسطة احدى الدول الاجنبية وانما عن الطريق السريع والمباشر بين القدس وعمان »(٥). وقد عقدت معظم هذه الاجتماعات « خلال ولاية اشكول » ، واقترح على موشي دايان في تلك الفترة الاجتماع بحسين ، لكنه رفض « هذا الاقتراح مدعيا ببساطة انه يعتقد بأن لا جدوى من الاجتماع مع حسين في الوقت الذي لا يستطيع فيه حسين اجراء مفاوضات مع اسرائيل بصورة منفردة ، وان اسرائيل من جانبها ليس لديها ما تقترحه عليه »(٦).

ان المعلومات التي تسربت حول هذه الاجتماعات بين حسين والمسؤولين الاسرائيليين قليلة . فقد نشرت مجلة « تايم » الاميركية (بتاريخ ١٩٦٩/٤/٤) تفاصيل بعض هذه الاجتماعات ، وذكرت انه تم عقد ثلاثة اجتماعات في الفترة الواقعة بين الخامس والعشرين والتاسع والعشرين من ايلول ١٩٦٨ في لندن بين الملك حسين وايجال آلون وحضر احدها ابا ايبان ، كما عقدت اجتماعات خاصة اخرى في لندن في تشرين الاول وكانون الثاني عام ١٩٦٩ .

---

٤ — **اليوميات الفلسطينية** ، مجلد ١٢ ، ص ٦٢٠ (نقلا عن مجلة « **نوفيل اوبزرفاتور** ») .

٥ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٠/١١/٢٠ .

٦ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٠/١١/٢٠ .

وقد بحثت في هذه الاجتماعات بعض التسويات المقترحة (مشروع آلون) . وبناء على ما ذكرته هذه المجلة فقد وافق الملك حسين على انشاء مستوطنات دفاعية تطل على الضفة الغربية ، كما وافق ايضا على جعل الضفة الغربية منزوعة السلاح . وفي المقابل وافق الاسرائيليون على طلب حسين اعادة اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا بعد حزيران ١٩٦٧ الى اراضيهم . اما بالنسبة لبعض الامور الاخرى فقد رفض حسين وجود ما اقترحه آلون من « حزام امن » على طول الضفة الغربية لنهر الاردن ، كذلك اختلف الطرفان حول « مسألة » القدس . فقد وافق حسين على اعطاء الاسرائيليين طريقا الى حائط المبكى في القسم العربي من القدس في حالة استعادتها وطرح قضية التدويل كبديل آخر . اما الاسرائيليون فقد رفضوا مناقشة هذا الموضوع لانهم يعتبرون ان القدس قد اصبحت « مسألة » منتهية بالنسبة اليهم ، وانه لا يمكن اعادتها بعد ضمها لاسرائيل. وقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمس (بتاريخ ٢٥/٣/١٩٦٩) حول نفس الاجتماعات استنادا الى يوسف خميس (وهو عربي وعضو سابق في الكنيست ، وكان قد حضر احد الاجتماعات) بأن حسين اقترح حين اجتماعه بأبا ايبان اعطاء الاردن ممرا الى البحر المتوسط على ميناء اسرائيلي ، وان تترك القدس تحت السيطرة الاسرائيلية على ان توضع الاماكن الاسلامية المقدسة تحت اشراف الملك حسين . وتضيف الصحيفة بأن هذه البنود كانت قد قدمتها اسرائيل للاردن بالطرق الدبلوماسية ، كما اقترحت فيها انشاء مستوطنات اسرائيلية على طول الضفة الغربية لنهر الاردن .

وبالرغم من النفي الاردني المتواصل لقصة هذه الاتصالات اصلا ، الا ان ما نشرته الصحف جاء مطابقا تماما لما اعلنه الملك حسين مؤخرا في مؤتمره الصحفي المنعقد بتاريخ ٢٣ اذار ١٩٧٢ حيث قال حول قضية القدس « ليس من الضروري تجزئة القدس مرة اخرى ، اما فيما يتعلق بحرية الوصول الى كل الاماكن المقدسة فيمكن ايجاد حل لذلك »(٧).

وفي اجتماع آخر جرى بين حسين وآلون شمال ايلات ، ذكرت مجلة « التايم » الاميركية (بتاريخ ٢٣/١١/١٩٧٠) ، بأن موضوع البحث في هذا الاجتماع تركز حول « السلام » ، وحول استعداد الاردن لعقد محادثات مباشرة او غير مباشرة باشراف السيد يارينغ . وقد اعرب الملك حسين عن اعتقاده بأن الوقت لم يحن بعد لاجراء محادثات منفردة بين الطرفين . وكان من نتائج هذا الاجتماع توقع الطرفين اجراء مفاوضات موسعة تضم ممثلين عن بعض الدول العربية الاخرى . وقد اتفق الطرفان على ضرورة التعاون معا من اجل تصفية العمل الفدائي الذي يشكل مصدر ازعاج لكليهما . وقد وعد آلون الملك بالمساعدة في هذا المجال ، كما اتفقا كذلك على تبادل العلاقات التجارية بين البلدين . وذكرت مجلة « لونوفيل ابزرفاتور » (بتاريخ ٢٩/١١/١٩٧٠) حول نفس الاجتماع ان حسين وآلون اتفقا خلال اجتماعاتهما على ان يقوم ممثلون اسرائيليون واردنيون باجراء مفاوضات مباشرة وسرية بهدف التوصل الى اتفاق سلام بين اسرائيل والاردن بحيث يبقى الاتفاق الذي يتم التوصل اليه بين الطرفين في طي الكتمان طالما ان محادثات السلام في نيويورك ما زالت مستمرة .

الاتصالات والجهود الدبلوماسية

لقد جرت اتصالات دبلوماسية كثيرة في نطاق الامم المتحدة منذ حزيران ١٩٦٧ ، وكما هو معروف فان مهمة يارينغ كانت نتيجة لذلك . ان تلك الاتصالات التي قام بها السفير يارينغ تحتاج الى درس منفصل، ولا يتسع المجال هنا لبحث هذا الموضوع .

بالاضافة الى ذلك « بذلت الولايات المتحدة ايضا جهودا كثيرة لعقد لقاءات بين الملك حسين والزعماء الاسرائيليين »(٨). وترى وجهة النظر الاميركية ، المهتمة بالحفاظ على نظام الملك وتدعيم سلطته ، « بأن على اسرائيل « التنازل » للملك حسين وان عليها ان تجري محادثات معه »(٩). وقد تبلور هذا الموقف عمليا عندما تكهنت الولايات المتحدة في نطاق مشروع روجرز بأن اسرائيل ستنسحب من الضفة الغربية . ونورد قضية قناة الغور مثالا على هذه المحادثات او الاتفاقات التي توصل اليها الاميركيون « عندما حرصوا للحصول على موافقة اسرائيل بأنها لن تقصف او تدمر قناة الغور وان تسمح

---

٧ — **النهار** ، ٢٤/٣/١٩٧٢ .

٨ — **معاريف** ، ٦/١١/١٩٧٠ .

٩ — **المصدر نفسه** .

بترميمها »(١٠). وقد تبدو جهود الولايات المتحدة متوقفة في الوقت الحاضر . لكن التطمينات التي اعطاها روجرز، وزير الخارجية الاميركي ، لعبدالله صلاح ، وزير الخارجية الاردني ، عندما اكد له في نيويورك « ان الاردن في الصورة »(١١)، تدل على ان الاردن لم يكن موضع اغفال ولكن «الدبلوماسية الاميركية تتركز الان في تحقيق اتفاق مصري — اسرائيلي لاعادة فتح قناة السويس »(١٢) وقد جاءت خطة الملك الاخيرة لتكشف موافقة اميركا على بدء تحرك الاردن منفردا ، وعدم انتظار الاتفاق المصري — الاسرائيلي بناء على ضغوط دولية ، حسب قول الملك نفسه في اجتماعه مع الشخصيات الفلسطينية الثلاث عشرة قبل يوم واحد من الاعلان عن مشروعه .

الاتصالات والاجراءات الاخيرة

ان القاء نظرة سريعة على الاجراءات والاتصالات التي تمت بين اسرائيل والاردن منذ هزيمة عام ١٩٦٧ ، والمتعلقة بشؤون الضفة الغربية ، تبين بوضوح التقاء وجهتي النظر الاسرائيلية والاردنية حول ايجاد تسوية سلمية بين البلدين . فبعد حرب حزيران ١٩٦٧ فتحت الجسور بين الضفتين وسمح بنقل منتوجات الضفة الغربية الزراعية ، كما حصل تعاون اسرائيلي — اردني في مجالات متعددة اخرى. ولكن في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٠ ، ومع تعاظم دور العمل الفدائي في الاردن في تلك الفترة ، كان التعاون بين الطرفين محصورا في نطاق ضيق نسبيا اذا ما قورن بالفترة التي تلت ضرب النظام للعمل الفدائي في ايلول ١٩٧٠ .

ان هذه الاجراءات والاتفاقات تهدف الى جعل الوضع « طبيعيا » وعاديا بين البلدين ، وخلق الظروف الموضوعية المؤاتية لتحقيق التسوية النهائية . فاسرائيل تنظر الى كل من هذه الاجراءات « كنموذج لجزء من التسويات السلمية التي تنتظرها في المستقبل »(١٣)، كما تعتقد انها « برهان على امكانية التعايش السلمي ، ونية اسرائيل هي ان تخلق اساسا للحياة المشتركة بين سكانها وسكان الضفة الغربية وعلاقات السلام مع الاردن »(١٤). فسياسة الجسور المفتوحة والعبور الحر بين اسرائيل والاردن تشكل في نظر اسرائيل خطوة نحو فرض التعايش المشترك . كذلك فان الحكومة الاردنية تقوم بهذه الاجراءات والاتصالات لاقتناعها بأنه « يجب بذل كل جهد سلام دائم وعادل في هذا الجزء من العالم ، وان الحرب يجب ان تكون الوسيلة الاخيرة »(١٥).

لقد كانت الاتصالات بشأن الاجراءات الجديدة تتم احيانا عن طريق وفود من الضفة الغربية تزور عمان لبحث الامور والاتفاق على ترتيبات معينة ، وفي احيان اخرى كانت تتم عن طريق مفاوضات بين المسؤولين المباشرين عن المصالح التي يقع الاتفاق ضمن مجالها . وفي كثير من الاحيان كانت تظهر هناك اجراءات جديدة تطبق فورا ، مما يعني ان هناك اتصالات قد جرت ولم يكشف النقاب عنها وبقيت في طي الكتمان ، او ان ذلك هو التطبيق العملي للسياسة التي يعمل الطرفان بموجبها ، والتي لا تستدعي اتصالات جديدة بشأنها . وعلى الرغم من ان معظم هذه الاتصالات قد تميز بطابع غير سياسي ظاهريا ، الا ان بعضها كان ذا طابع سياسي وجرى بواسطة اشخاص من الضفة الغربية يمثلون وجهة النظر الاردنية .

ان استعراضا سريعا لبعض هذه الاجراءات والاتفاقات سيكشف عن المدى الذي وصل اليه الطرفان في جعل الوضع « طبيعيا » ، وعما يأملونه من تثبيت ذلك الوضع في المستقبل من جراء تطبيق هذه الاتفاقات .

— مفاوضات فتح البنوك في الضفة الغربية : ذكرت صحيفة دافار الاسرائيلية (بتاريخ ٢٠/٨/١٩٧١) ان عبدالرحمن الفاهوم ، احد مدراء « البنك العربي » في الضفة الغربية ، سافر الى عمان حاملا معه مشروع اعادة فتح فروع البنك العربي المغلقة منذ شهر حزيران ١٩٦٧ . وفي عددها الصادر بتاريخ ١٥/١٠/١٩٧١ ، ذكرت الصحيفة نفسها ان المفاوضات بدأت بين ممثلي اسرائيل والاردن ، حول فتح البنوك العربية في

١٠ — **معاريف** ، ٦/١١/١٩٧٠ .

١١ — **النهار** ، ٦/١٠/١٩٧١ .

١٢ — **المصدر نفسه** .

١٣ — **دافار** ، ١٢/٦/١٩٧١ ، (من لقاء «لدايان» مع الصحافيين) .

١٤ — **المصدر نفسه** .

١٥ — **النهار** ، ٢٩/١/١٩٧٢ (من مقابلة للملك حسين مع مراسلة صحيفة « **معاريف** » في روما) .

الضفة الغربية ، بوساطة عبدالرحمن القاهوم ، بينما يجري الاتصالات من جانب اسرائيل مراقب البنوك مئير حيت ، الذي يعمل ايضا ضابط قيادة لشئون البنوك في الحكم العسكري ، وكذلك دوب ارنون من ادارة بنك لئومي الاسرائيلي ، الذي اشترك في اتصالات مشابهة في الاعوام ٦٧ ، ١٩٦٨ . واضافت الصحيفة ان لجنة وزارية مؤلفة من الوزراء دايان وسابير وشابيرا تقوم بمراقبة الاتصالات بناء على قرار الحكومة الاسرائيلية ، وان المفاوضات تدور على اساس قرار الحكومة الاسرائيلية للتوصل في المرحلة الاولى الى انهاء اعمال البنوك فيما يتعلق بالديون ودفع الرهائن التي كانت في حوزتهم ، على ان تدرس بعد ذلك امكانية تشغيل بعض الفروع . والمعروف ان جميع البنوك مقفلة بصورة رسمية ، ولكن هناك بعض الفروع التي تعمل بصورة جزئية في الوقت الحاضر.

— **اتصالات انور نسيبه** : قام انور نسيبه ، الذي له ارتباط وثيق بالملك حسين ، في الفترة الاخيرة (كانون الثاني ١٩٧٢) بالاجتماع الى غولدا مائير وموشي دايان وشلومو هليل . وقد تسربت بعض المعلومات عما دار في هذه الاجتماعات ، ونشرتها بعض الصحف الاسرائيلية (هآرتس ودافار) ، وأكدتها مصادر متعددة من الضفة الغربية والاوساط السياسية الاسرائيلية . وتبين هذه المعلومات « ان المواضيع التي جرى بحثها تركزت حول علاقات اسرائيل بالاردن على المدى القريب ، وهي امكانية التعاون الوثيق في المجالات السياحية والمجالات الاقتصادية (والتي ذات اهمية خاصة للضفة الغربية) ، بالاضافة الى مواضيع ذات مدى أبعد ، تبحث في امكانية التفاوض من اجل التوصل الى اتفاق سلام منفرد بين كلا البلدين»(١٦) وببدو ان هذه الاتصالات لم تحرز اي تقدم على المستوى السياسي ، لكن لم تكن مصادفة ان اعلنت غولدا مائير مؤخرا « انه من الممكن ان يتفاوض الملك حسين منفردا مع اسرائيل هذا العام »(١٧)، بالاضافة الى ذلك فان اعتراف انور نسيبه عن « وجود ترتيبات مؤقتة بين الاردن واسرائيل »(١٨) يتضمن المجهودات التي بذلت للتوصل الى اتفاق حول مسألة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية والاتفاق في المجالات السياحية والاقتصادية بين البلدين .

— **الاتفاق حول موضوع الانتخابات البلدية في الضفة الغربية** : أعلن الحاكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية في وقت سابق من العام الماضي ، عن اجراء انتخابات لمجالس البلدية في ٢٣ مدينة وقرية في الضفة الغربية بموجب القانون الاردني ، الذي يسمح للملاكين فقط بحق الانتخاب ، وذلك على مرحلتين ، في أواخر آذار وأوائل أيار من العام الحالي . وتأتي اهمية هذه الانتخابات من « اعتراف » الحكم الاسرائيلي برؤساء البلديات كممثلين للاهالي العرب بعد حزيران ١٩٦٧ . لقد أعلنت الحكومة الاردنية مرة واحدة بواسطة بيان لوزير الاعلام ، عدنان ابو عوده ، انها تعارض بشدة اجراء هذه الانتخابات ، كما انها قامت بمعارضتها لفترة قصيرة من الزمن عن طريق الحملات الاعلامية في الصحف والاذاعة ، ثم ما لبثت ان لزمت الصمت بعد ذلك . وقد تبين فيما بعد انه تم التفاهم مع اسرائيل حول هذه المسألة، بحيث « أن لا تعمل حكومة الاردن ضد اجرائها ، وانما تكتفي بالانتقادات الروتينية ، وان اسرائيل من جهتها لن تعارض في انتخاب مرشحين من اعوان الملك حسين »(١٩). فقد ذكرت صحيفة عال همشمار (بتاريخ ١٩٧١/١١/٢١) بان مبعوثا غادر الضفة الغربية الى عمان للحصول على توجيهات من الحكومة الاردنية والمنظمات الفلسطينية (!) لرؤساء البلديات في الضفة الغربية بشأن اجراء الانتخابات المحلية . ونشرت صحيفة دافار بعد ذلك (بتاريخ ١٩٧٢/١/٢١) ، بأن « حفظي المحيس » من تجار نابلس البارزين وعضو البرلمان الاردني وعضو الغرف التجارية المحلية ، قد زار عمان قبل ثلاثة اسابيع ، ولدى عودته انتشرت في الضفة الغربية اخبار تؤكد ان حكومة الاردن قررت وبصورة سرية ، عدم التدخل مطلقا ضد عملية الانتخابات في الضفة الغربية .

ان السكوت الاردني عن الانتخابات البلدية والاتفاق مع اسرائيل بشأن اجرائها ، يعطي الدلالة الواضحة على استعداد النظام الاردني واسرائيل، للتعاون في تطبيق سياسة « التعايش » و« اعادة الامور الى حالتها الطبيعية » ، ولتكون هذه الانتخابات خطوة اولية على طريق الحكم الذاتي

١٦ — **فاينتشال تايمز** ، ١٩٧٢/٢/١١ .
١٧ — **النهار** ، ١٩٧٢/٢/١١ .
١٨ — **المصدر نفسه** .

١٩ — **دافار** ، ١٩٧٢/٢/٩ .

لاهل الضفة الغربية تحت سيطرة اسرائيل من جهة وسيطرة الاردن من جهة ثانية .

ـ اجراءات عبور السائحين : منذ الاسبوع الاخير في شهر كانون الثاني ١٩٧٢ ، بدىء السماح للسائحين الاجانب بعبور الجسر الى الضفة الشرقية لنهر الاردن . فقد عبر فريق مؤلف من تسعة عشر سائحا امريكيا نهر الاردن من الضفة الغربية المحتلة الى الضفة الشرقية ؛ وذلك للمرة الاولى منذ حرب حزيران ١٩٦٧ . ثم اخذ عدد السائحين يتضخم بالتدريج . وقد كانت الحكومة الاردنية ترفض السماح للسائحين جوا من اسرائيل الى قبرص ومنها الى عمان . وقد جرت الترتيبات لهؤلاء السائحين من خلال وكالات سفرياتهم في اوروبا . ويبدو ان الاتفاق بصدد هذا الاجراء ، تم التوصل اليه عندما اجتمع نسيبه بفولدا ماثير في شهر كانون الثاني من العام الحالي . وهذا الترتيب الذي يسمح للسائحين بالمرور عن طريق « الجسور المفتوحة » بلا تعقيدات ، كما كان متبعا قبل حرب حزيران ، هو حدث آخر صغير على طريق « حسن الجوار » عبر النهر .

ـ اجراءات المرور وتخفيف القيود على السفر : تتضمن اجراءات المرور العمل بلوائح جديدة للمرور بين الاردن واسرائيل عبر الجسور على نهر الاردن . فقد سمح اعتبارا من مطلع شهر شباط (١٩٧٢) لسيارات الركاب الكبيرة بقطع الجسر والوصول الى حاجز الجمارك على ضفتي النهر . وكانت الترتيبات السابقة القائمة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ تقضي بتوقف سيارات الركاب الكبيرة على كل من جانبي الجسر ، حيث كان المسافرون يضطرون الى عبور الجسر مشيا على الاقدام وهم يحملون امتعتهم وان يغيروا الحمالين في منتصف الطريق . « ويأتي هذا الاصلاح استجابة لازدياد عدد المسافرين المطرد . فلقد مررت اسرائيل خطة الزائرين في الصيف بسماحها للعرب من اي بلد بزيارة اقاربهم في اي وقت طول السنة »(٢٠). فخلال اشهر الصيف بلغ عدد الزائرين العرب الذين وصلوا الى اسرائيل ١٠٠،٠٠٠ زائر ، مقارنة بـ ٥٢،٠٠٠ زائر وصلوا في صيف عام ١٩٧٠(٢١). ان ازدياد عدد الزائرين جاء نتيجة للتسهيلات التي تقدمها كل من اسرائيل والاردن في هذا المجال . فاسرائيل بدأت تخفف من القيود التي كانت تفرضها على اعطاء تصاريح للزيارة ابان الاعوام السابقة (قبل ١٩٧١) ، كما انها زادت من مدة التصاريح من شهر الى ثلاثة اشهر . كذلك فان النظام الاردني سهل « الحصول على جوازات المرور التي تعطى لسكان الضفة الغربية واصبحت هذه الجوازات تصلح لمدة اطول ولعدة سفرات »(٢٢).

يعكس اجراء المرور المشترك وتسهيلات السفر هذه ، مضمون سياسة « التعايش » و « اعادة الحياة الطبيعية » التي ينتهجها كل من الاردن واسرائيل ، لتمهيد الطريق امام مشاريع التصفية و « التسوية » . فالتقدير الاسرائيلي الاردني هو ان الاحتكاك المباشر بين الزائرين العرب وسكان الضفة الغربية مع السكان الاسرائيليين، والشعور بعدم وجود اية حواجز فعلية بين الضفتين ، على الرغم من وجود الاحتلال الاسرائيلي ، يجعل عقد صفقة بين النظام الاردني واسرائيل امرا مقبولا لدى الجماهير . وهكذا تصبح هذه الترتيبات والاجراءات ضرورة كمرحلة تمهيدية لعقد الصفقة .

ـ السكوت الاردني عن زيارة الرسميين : قام بعض الرسميين الاردنيين خلال الصيف الماضي بزيارات الى الضفة الغربية ضمن نطاق الزيارات التي يقوم بها الاف الاشخاص من الدول العربية للاجتماع الى اقاربهم . فقد « ذكرت صحيفة معاريف ان الدكتور قاسم الريماوي والسيد علي داوود الرمحي، وهما عضوان في البرلمان الاردني، من بين المواطنين العرب الذين يزورون الضفة الغربية المحتلة من الاردن الان ، واضافت الصحيفة ان رفيق الدجاني نائب مدير الاثار الاردنية للحفريات زار جبل الهيكل يوم الجمعة الماضي بدعوة من مئير بن دوف المسؤول عن الحفريات »(٢٣). وذكرت صحيفة جيروسالم بوست (بتاريخ ١٩٧١/٩/٨) عن وجود وزير اردني سابق من الضفة الغربية ، لم تكشف اسمه ولكنها قالت انه ينتمي الى اكبر عائلات الضفة الغربية، وله صلات وثيقة بالحكومة الاردنية وبعض السفارات العربية في عمان .

من جهة اخرى ، يقوم المسؤولون الاردنيون

---

٢٠ ـ **الغارديان** ، ١٩٧٢/٢/١١ .
٢١ ـ **دافار** ، ١٩٧٢/٨/٢٠ .

٢٢ ـ **الغارديان** ، ١٩٧٢/٢/١١ .
٢٣ ـ **النهار** ، ١٩٧١/٨/٢ .

باستقبال بعض الاشخاص من الضفة الغربية والذين لهم ارتباطات وثيقة بالحكم الاسرائيلي . فقد « استقبل كل من السيدين احمد اللوزي رئيس الوزارة الاردنية وعبدالله صلاح وزير الخارجية اليوم المطران ابلتون رئيس الاساقفة الانغليكاني في القدس . وكان رؤساء الطوائف المسيحية في الضفة الشرقية من الاردن اصدروا في وقت سابق بيانا اعربوا فيه عن استهجانهم لتصريح صحافي نسب الى المطران ابلتون قال فيه انه يعارض تقسيم القدس من جديد وانه يؤيد ما يسمى القدس الكبرى . وكان السيد روحي الخطيب امين القدس المبعد اتهم المطران ابلتون بالارتباط بالصهيونية وذلك في مذكرة قدمها الى الحكومة الاردنية في شهر كانون الثاني الماضي »(٢٤). وليس تغاضي الحكومة الاردنية وسكوتها على زيارة بعض الشخصيات الرسمية « والمقربة » الاردنية للضفة الغربية ، سوى دليل اخر على هدف السياستين الاردنية والاسرائيلية ، سواء وقعت هذه الزيارات والاستقبالات ضمن « سياسة التعايش » « وحسن الجوار » ، او لما لهذه الاستقبالات والزيارات من علاقة بما يكون قد رافقها او تبعها من اجراءات وترتيبات بين البلدين .

ان معظم هذه الاجراءات — التي تقدم ذكرها بالاضافة الى اجراءات اخرى ، كترتيب التعاون في التخطيط لحركة الطيران فوق خليج العقبة(٢٥). وادخال بعض الصحف من الدول العربية الى الضفة الغربية ، قد تمت مؤخرا . كما ان البعض الاخر منها قد ادخلت عليه تحسينات كثيرة لكي تتفق اكثر والاهداف السياسية نتيجة « لتغير الاوضاع » بعد تصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن عام ١٩٧١ . بالاضافة الى ذلك كله ، هناك علاقات التبادل الاقتصادي والتجاري، والتي تعتبر من اهم الترتيبات القائمة بعد حزيران ١٩٦٧ . وقد لعبت هذه العلاقات دورا بارزا في التقدم نحو تحقيق الاهداف السياسية والاتصالات الاردنية الاسرائيلية المباشرة . فقد قامت منذ حزيران ١٩٦٧ وفود «غرف التجارة» و «الوجهاء» بزيارات عديدة للاردن وبعض الدول العربية ، لبحث الامور الاقتصادية والتجارية ، كازالة القيود على صادرات المنتوجات الزراعية ، وكوقف الاجراءات التي قد تفرض من مؤتمرات المقاطعة العربية على صادرات الضفة الغربية الى الضفة الشرقية والدول العربية . وقد كانت هذه الوفود وبعد سماح الحكم الاسرائيلي لها بالزيارة ، تقوم بمقابلة المسؤولين في الحكومة الاردنية لايجاد الحلول للمسائل العالقة .

ان السكوت على التبادل الاقتصادي يؤثر على العلاقة القائمة بين الاردن وسكان الضفة الغربية من جهة ، وهو مدخل لعلاقات اقتصادية بين الاردن واسرائيل من جهة اخرى ، تشكل قاعدة لعلاقات سياسية اصلب .

نرى مما تقدم ، ان هناك اتصالات واجراءات اردنية اسرائيلية جرت على مستويات مختلفة وبأشكال متعددة ، لم تظهر نتائجها السياسية البعيدة المدى بشكل نهائي بعد ، لكن بوادرها اخذت بالظهور عند اعلان الملك حسين خطته التصفوية الجديدة الهادفة الى انشاء « المملكة العربية المتحدة » . ان مشروع الملك يشرح ويفسر هذه الاجراءات وهو نتيجة طبيعية لها ، ولا بد ان تقود في النهاية الى التفاوض المباشر العلني ، فمتى يحين الوقت لذلك ؟ ان كلا من الاردن واسرائيل يريد هذه المفاوضات ، ولكن تحقيقها مرهون بالتطورات الاخرى في المنطقة ، وفي الاوساط الدولية ، بحيث تستعمل هذه المفاوضات اداة للضغط على بقية الدول العربية المتصلة مباشرة بالصراع للقيام بنفس الاجراء . ان خطة الملك التصفوية الجديدة تبين ان صفقة « التسوية المنفردة » هي على طريق التنفيذ ، وهكذا فان المفاوضات قد تبدو اقرب في الوقت الحاضر مما كانت عليه في اي وقت مضى ، ويريد حسين من وراء مشروعه ان يجني نتائجها شرط ان يلقي تبعتها على بعض « الزعماء » و « الشخصيات » في الضفة الغربية ، ليقوموا بأنفسهم بهذه المهمة، مدعين بأنهم يفعلون ذلك باسم الشعب الفلسطيني .

٢٤ — **النهار** ، ١٩٧٢/٢/٦ .

٢٥ — يتضمن هذا الاجراء موافقة الاردن على ان يصغي برج المراقبة في مطار ايلات الى ما يصدر من تعليمات عن برج المراقبة في مطار العقبة ، بدلا من اقتراح اسرائيل القاضي بالتعاون الرسمي في هذا المجال لتفادي اصطدام الطائرات في الجو (نقلا عن **النهار** ، ٢/٢١/ ١٩٧٢) .

(٣) المقاومة الفلسطينية والرد على مشروع الملك حسين

بلال الحسن

قبل ان يعلن الملك حسين عن مشروعه الداعي لانشاء « المملكة العربية المتحدة » كانت كثير من الاوساط السياسية الفلسطينية والعربية ، تشم رائحة حدث سياسي خطير سوف يأتي من الاردن ، عبر المعلومات التي تناقلتها الصحف ، عن اجتماعات سرية جرت وتجري منذ مدة طويلة بين المسؤولين الاسرائيليين والمسؤولين الاردنيين. وقد ازدادت وتيرة هذه المعلومات تسارعا ، حين كشف الستار عن اجتماعات انور نسيبه مع جولدا مائير في القدس ، وكذلك حين اصبح واضحا أن النظام الاردني اعطى الضوء الاخضر لانصاره في الضفة الغربية لان يشتركوا في الانتخابات البلدية ، مقابل وعد من اسرائيل بالعمل على انجاحهم في بعض الدوائر . بل ان بعض الصحف نشرت معلومات عن اتفاق اردني — اسرائيلي حول مستقبل القدس ، وقبول الوجود الاسرائيلي فيها (المحرر ١٤ اذار ١٩٧٢) قبل ان يعلن الملك حسين ذلك رسميا في واشنطن يوم ٣٠ اذار في مقابلته الصحفية مع « النيويورك تايمز » . وحين نشرت مجلة الصباح الاردنية في ١٣ اذار ان العلم الاردني قد رفع فوق المسجد الاقصى في القدس ، كانت تضع بذلك اللمسة الاخيرة فوق ركام المعلومات المتسربة ، ولم يخفف من دقة هذه اللمسة ، أن رسميي البلدية الاسرائيلية نفوا النبأ فورا . ولذلك لم تكن المفاجأة كبيرة حين قالت الصحف يوم ١٣ اذار ان الملك حسين سوف يعقد مؤتمرا صحفيا وصفه الرسميون الاردنيون بأنه « سيكون بالغ الاهمية » . بل ان نشرة المقاومة التي تصدرها الجبهة الديمقراطية كتبت تقول يوم ١٤ اذار « ان اتصالات عديدة كانت قد جرت في وقت سابق من هذا الشهر ومن الشهر المنصرم بين نظام الرجعية الاردنية وبين العدو الاسرائيلي ، وكانت قد ذكرت بعض الانباء المتسربة من الداخل، ان الملك حسين ابلغ مائير سرا موافقته على بقاء القدس تحت الاحتلال الاسرائيلي ، كي تضم بصورة نهائية لاسرائيل ، مقابل رفع العلم الاردني على المسجد الاقصى وقبة الصخرة ، وايجاد وضع يناسب الملك في الضفة الغربية ، وانجاز ترتيبات لاخضاع الضفة الغربية المحتلة لسلطة ملك عمان ، في ظل « استقلال » ذاتي وهمي ، يتسلم فيه عملاء القصر السلطة كاملة » .

الاتصالات والمعلومات : بينما كانت هذه الانباء تطرح في اوساط حركة المقاومة ، كان الملك حسين يجري في عمان اتصالات سياسية واسعة ، ويبلغ السفراء العرب والاجانب مشروعا حول صيغة دستورية جديدة للعلاقة بين ضفتي الاردن . وفي مساء اليوم نفسه استدعى ثلاث عشرة شخصية فلسطينية الى القصر الملكي ، وعرض عليهم المشروع ، مضيفا اليه معلومات اخرى حول طبيعته ومواقف الاطراف العربية والدولية منه . وكانت نشرة « فتح » اليومية ، التي تصدرها حركة فتح اول من نشر معلومات دقيقة حول جوهر المشروع في عددها الصادر صباح ١٥ اذار ، وتبين فيما بعد ان معلوماتها دقيقة مئة بالمئة . وقبل ان تنشر فتح نقاط المشروع ، كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير مجتمعة مساء ١٤ اذار للبحث في هذه التطورات ، وكانت امامها نقاط المشروع من جهة ، ومعلومات حملها رسول خاص من عمان من جهة ثانية ، ونقاش صاخب تلا ذلك حول الموقف المقترح ، وتوقيت هذا الموقف من جهة ثالثة . فما هي تفاصيل هذه القضايا الثلاث ؟ نقاط المشروع اصبحت معروفة وشائعة ، ولا داعي هنا لتكرارها . اما المعلومات التي نقلت الى اللجنة التنفيذية اثناء اجتماعها فتستدعي وقفة خاصة ، فقد وصل من عمان سريعا السيد نجيب الاحمد ، نائب جنين السابق ، والمعتمد السياسي لجيش التحرير الفلسطيني في الاردن ، موفدا من قبل بعض الذين حضروا اجتماع القصر ليبلغ اللجنة التنفيذية تفاصيل ما جرى في ذلك اللقاء ، مبينا ان الملك ابلغ المجتمعين النقاط الاساسية في مشروعه قائلا لهم أنه لا يطرح عليهم هذا المشروع للمناقشة ، بل للابلاغ فقط ، لان تنفيذ هذا المشروع سوف يتم فورا ، وسوف يتم فورا كذلك انشاء المؤسسات واتخاذ الترتيبات العملية التي يقتضيها . وذكر الملك في حديثه معلومات لم ترد في مشروعه الرسمي تقول بانه سيتم انشاء « قنصلية دولية » في مدينة القدس ، وسيرفع علم الدولة الجديدة على الاماكن

الاسلامية المقدسة ، بينما يرفع علم الفاتيكان على الاماكن المسيحية المقدسة . واضاف الملك نقاطا يمكن اعتبارها تبريرا سياسيا للمشروع ، ركز فيها على القول بأن اغلب الدول العربية ، والدول الاربع الكبرى موافقة عليه ، كذلك اغلبية القيادات في الضفتين ، وان سوء الوضع العربي يستدعي تحركا سريعا لايجاد مخرج يتجنب تكريس الاحتلال الاسرائيلي ، تكرارا لتجربة عام ١٩٤٨ ، وقد كانت النية ان لا يطرح هذا المشروع الا بعد انجاز التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل ، ولكن الضغوط الدولية فرضت ان يتم الاعلان عنه في هذا الوقت بالذات .

وبعد أن انتهى السيد نجيب الاحمد من عرض هذه النقاط ، ابلغ العميد مصباح البديري رئيس اركان جيش التحرير الفلسطيني ان الملك حسين يوجه له دعوة رسمية لزيارة الاردن ، وانه سيستقبل اذا ابى الدعوة استقبالا رسميا على غرار ما يستقبل رؤساء اركان الدول*.

المواقف الرسمية : وفور تكامل صورة المعلومات هذه ، بدأ بحث اللجنة التنفيذية في الموقف السياسي المطلوب ازاء ذلك ، وهنا برزت ثلاثة مواقف : ١ — موقف الاعضاء الذين التزموا الصمت الكامل . ٢ — موقف الاعضاء الذين طالبوا بالتريث ، وعدم اصدار موقف سريع ، واعطاء الوقت اللازم للدرس والتفكير ، في محاولة للتهوين من شأن المشروع وقيمته . ٣ — الاعضاء المطالبون بموقف واضح وفوري يصدر عن اللجنة التنفيذية حتى لا يكون التأخر مجالا لاحداث اي بلبلة جماهيرية حول موقف حركة المقاومة من المشروع .

وازاء هذا الخلاف حول الموقف وتوقيته تقرر الاكتفاء ببيان يصدر عن السيد كمال ناصر بصفته الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير . ولكن لوحظ انه صدرت في نفس هذا اليوم ثلاثة مواقف حول المشروع . الموقف الاول صدر على لسان الاخ « ابو يوسف » رئيس اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان وقال فيه ان المشروع « عملية اجهاض لحركة الثورة الفلسطينية ... وضربة لتطلعات الشعب الفلسطيني الذي يرى ان استعادة كامل حقوقه لا تتم الا من خلال عودته الى ارضه ، واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية » . والموقف الثاني صدر في نشرة « فتح » اليومية وجاء فيه ان خطة الملك تعتبر خطوة نحو « تصفية القضية الفلسطينية ... وأن الثورة الفلسطينية وجماهيرها هي التي تملك ، في النضال والممارسة ، حق تقرير مصير الوطن الفلسطيني » . ولم يكن هذان الموقفان بالرغم من وضوحهما الكامل موقفين رسميين ، بينما كان الموقف الثالث الذي صدر عن الجبهة الديمقراطية موقفا رسميا ، اذ قالت في بيان سياسي صادر باسمها ان « السلطات الملكية الهاشمية في عمان تكشف خيانتها السافرة للقضية الفلسطينية ... وان فتح جبهة صدام وصراع عريض على امتداد الارض « الفلسطينية » — العربية ضد الصهيونية والامبريالية وحلفائها من الرجعيين العرب ... هي الطريق لاحباط المؤامرة » . وكان هذا البيان أول بيان سياسي يصدر عن تنظيم فدائي ، ويعلن فيه موقفا واضحا ضد المشروع .

في اليوم التالي (١٥ آذار) عقد الملك حسين مؤتمرا صحفيا اعلن فيه مشروعه ، وجاءت بنوده العملية مطابقة لما ورد قبل ذلك في نشرة فتح اضافة الى ديباجة تاريخية مليئة بالتزوير حول دور الاسرة الهاشمية تجاه القضية الفلسطينية .

وازاء الاعلان الرسمي عن المشروع ، اصدرت اربع منظمات فدائية بيانات سياسية تحدد فيها مواقفها . الجبهة الشعبية اصدرت بيانا قالت فيه « ان المؤامرة الامبريالية الصهيونية التي خطا النظام العميل اليوم خطوته التنفيذية الاولى على طريقها ليست مؤامرة لتصفية قضية فلسطين تصفية نهائية فحسب ، وانما هي المباشرة العملية في نقل الصهيونية من حركة لاستيطان فلسطين واقامة كيان غاصب فوقها ، الى مرحلة صيرورتها امبراطورية امبريالية تهيمن على المنطقة باسرها » وقال بيان الجبهة « ان الوقوف في وجه هذا المخطط ليس مهمة حركة المقاومة الفلسطينية وجماهير شعب فلسطين فحسب ، وانما هو بالاضافة الى ذلك مهمة مجموع القوى الوطنية والتقدمية

* ملاحظة من رئيس التحرير : اوضح العميد البديري والاستاذ كمال ناصر في جريدة النهار ، في ٧٢/٣/١٧ ، ان السيد نجيب الاحمد هو ضابط في جيش التحرير « ولم يرسله الملك حسين او غير الملك » انما ارسله القائد العسكري في الاردن لجيش التحرير الفلسطيني للبحث في أمور مسلكية .

العربية » . اما الجبهة الشعبية الثورية فقد قالت في بيانها « ان اندفاع الملك حسين لتسليم الضفة الغربية لاسرائيل امر لم يكن بمقدور الملك الاقدام عليه لولا المناخ الذي ساد نتيجة لسياسة التراجع والتخاذل التي قادتها انظمة الهزيمة ... وان التصدي لمخططات الصلح مع اسرائيل يستدعي لجابهتها استنفار اوسع القطاعات الجماهيرية ... وافساح المجال امام حركة المقاومة المسلحة للتصدي للعدو الصهيوني ، والكف عن محاصرتها والتضييق عليها » . وذكرت الجبهة الديمقراطية في بيانها « ان الجبهة الديمقراطية ومعها كل ابناء الثورة الشرفاء ، تعلن ادانة ورفض هذه الخيانة الهاشمية ، وتطالب جميع منظمات المقاومة أن ترفض فورا ، وتتخذ موقفا موحدا للمحافظة على الوحدة الوطنية لشعبنا ، واحباط محاولات مزيفة، وضرب الفلسطينيين بالفلسطينيين ، كما تهدف الصفقة الهاشمية الصهيونية الامبريالية ، بابراز فريق فلسطيني يقبل بالتنازل عن جزء من التراب الوطني » . وقالت الصاعقة في بيانها « ان الخطة لا تخرج عن كونها احد اخطر مشاريع تصفية القضية الفلسطينية ، وجر الفلسطينيين والعرب الى الاعتراف باسرائيل والتنازل عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في بلاده » .

وبالمقارنة مع مثل هذه المواقف الواضحة ، تابعت اللجنة التنفيذية صمتها ، واصدر السيد كمال ناصر البيان الذي اتفق عليه في اليوم السابق ، واكتفى البيان بالقول « لا تزال اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير عاكفة على درس الموقف ... باحساس عميق بالمسؤولية ... وتجري اتصالات سريعة وواسعة على المستويين القومي والدولي لاستجلاء كل معالم الصورة المقترحة ، وذلك تمهيدا لتحديد موقفها الكامل » . وقد اثار هذا الموقف المتريث للجنة التنفيذية قلقا واضحا في الاوساط الشعبية الفلسطينية ، عبر عن نفسه في سيل من البرقيات التي وردت الى اللجنة من كافة مخيمات اللاجئين في لبنان ، موقعة من ابناء المخيمات ، ومن قواعد المنظمات الفدائية في المخيمات ، تعلن كلها رفض المشروع ، وتطالب بالرد عليه، ويمكن القول ان اثنتي عشرة برقية على الاقل وصلت الى اللجنة التنفيذية خلال الاربع والعشرين ساعة التي تلت الاعلان الرسمي عن المشروع . كما عبر هذا القلق الجماهيري عن نفسه في ان كافة هذه البرقيات وجهت الى اللجنة التنفيذية بالذات ، وليس الى الراي العام كما جرت العادة .

ومضى يوم اخر . وفي مساء ١٦ اذار وزع السيد كمال ناصر باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بيانا اعلن فيه رفض المشروع بصورة رسمية (نشر البيان صباح ٣/١٧ في كافة الصحف) . ومما جاء فيه « ان الملك حسين بمشروعه — الصفقة ، لم يتحد العرب بكل مؤسساتهم الرسمية والشعبية فحسب ، ولم يخرج عن الاجماع العربي ومقررات الامة العربية منذ خمسين سنة فقط ، بل تجاوز هذا كله ليعمل في المنطقة العربية دور الوسيط لفك عزلة الوحش الاسرائيلي واطلاقه على امتنا وبقية اقطارنا عبر « مملكة عربية » الاسم والسواعد اسرائيلية العقل والارادة . ومن هنا فان الملك حسين بمشروعه هذا ، لا يتحدى شعب فلسطين وحركة المقاومة فحسب ، بل ايضا الامة العربية جمعاء ، ومصير حركة التحرر فوق ترابها » . ومع ان صدور هذا البيان انهى عملية حبس الانفاس الجماهيرية بانتظار صدور موقف رسمي عن منظمة التحرير ، الا ان ملاحظة اساسية أبديت حوله ، وهو انه اكتفى باعلان الرفض دون ان يطرح بالمقابل خطة عمل مضادة لمواجهته .

وفي اليوم الذي صدر فيه هذا البيان اعلنت نشرة « فتح » اليومية ان اللجنة المركزية لحركة فتح عقدت سلسلة من الاجتماعات ، بدأ على اثرها المجلس الثوري للحركة اجتماعات مهمة يدرس فيها موضوعات عديدة على جانب كبير من الاهمية. وبالمقابل تابعت لجنة ثلاثية منبثقة عن اللجنة التنفيذية ومشكلة من (خالد الحسن — زهير محسن — اديب عبد ربه) وضع النقاط الاساسية التي ستتضمنها مذكرة ترفع الى الملك والرؤساء العرب حول مشروع الملك حسين والموقف منه ، بينما سافر السيد ياسر عرفات الى بغداد لاجراء مشاورات حول الوضع مع المسؤولين العراقيين . وحين انتهت اجتماعات المجلس الثوري لحركة فتح (١٧ آذار) اصدرت فتح بيانها السياسي الاول حول المشروع واعلنت فيه رفض المشروع « وادانة اي شخص او طرف فلسطيني يحاول المشاركة فيها من قريب او من بعيد ، واعتباره خارجا عن ارادة الشعب الفلسطيني وخائنا لطموحه القومي ... ولا يحق للملك او اي طرف

اخر ان ينطق باسم هـذا الشعب او يتلاعـب بمصيره او يقرر نيابة عنه . وستقوم الثورة باتخاذ ما يلزم من اجراءات لضمان هذا الحق وتجسيده». وذكرت فتح في بيانها ان المؤتمر الشعبي الـذي سيعقد في القاهرة في ٦ نيسان هو الذي سيحدد طبيعة الاجراءات التي تقتضيها المصلحة الوطنية، وقالت انها ستتقدم الى المؤتمر خطة عمل واضحة ومفصلة .

ولكن ابرز واهم ما جاء في بيان حركة فتح قولهـا ان « اسقاط النظام الملكي في الاردن اصبح الان يفرض نفسه على انه الهدف المرحلي الذي سيعيد الامور الى وضعها الطبيعي ، ويضع العلاقـات بين الشعبين الفلسطيني والاردنـي في اطارهـا الصحيح » . واهمية هذا الموقف تنبع من ان فتح تتبنى علنا للمرة الاولى موقفا يطالب باسقـاط النظام الاردني ، بعد ان عارضت ذلك طويلا حتى بعد معركة ايلول ١٩٧٠ ، مكتفية بصيغة « حكم وطني ديمقراطي » ، ومصرة ان ما عدا ذلك هو من مهام القوى الوطنية الاردنية .

فكرة البديل : ومن المفيد هنا ان نتوقف قليلا عند اجتماع المجلس الثوري لحركة فتح بسبب ما اثير حوله من اقـاويل بصدد فكـرة انشاء حكومـة فلسطينية في المنفى . ذلك انه منذ ان طرح مشروع الملك حسين ، برزت في الاوساط الفلسطينية ، وفي الصحافة العربية بكافة اتجاهاتها ، فكرة «البديل» لمشروع الملك حسين ، وظهرت نغمة قوية تقول بأن « حكومة المنفى » او « الحكومة الثورية المؤقتة » هي البديل المطلوب وذلك مقابل تيار اخر يطالب ببديل نضالي ، لا يكتفي بطرح القضايا المبدأية والاستراتيجية ، بل يقدم اجابات واضحة علـى القضايا الراهنة التي يواجهها النضال الفلسطيني وتعاني منها الجماهير ، سواء في ظل الاحتلال او في ظل ارهاب السلطة الاردنية . ففي ١٥ اذار مثلا نشرت انباء صحفية تقول ان مسؤولين في حركة المقاومة طرحـوا فكرة تشكيـل حكومة في المنفى (النهار) . وفي ١٩ اذار نقلت صحيفة الـرأي العام الكويتية تصريحا نسبته الى مصدر مطلع في حركة فتح قالت فيه « ان المجلس الثوري في فتح ناقش خلال اجتماعاته الاخيرة في بيروت موضـوع اقامة حكومة فلسطينية في المنفى لمواجهة مشروع الملـك حسين ، وان المجلـس الثوري لم يبـت بالموضوع واحاله الى المؤتمـر العام لفتح ...

وقالت هذه المصادر ان عددا من قادة فتح ... قد وافقوا على مشروع اقامـة حكومة في المنفى لاحباط مشروع الملك » ، وحين عقد الملك حسين مؤتمره الصحفي الثاني في ٢٣ اذار لعرض ردود الفعل على مشروعه سئل حول رأيه في « حكومة المنفى » واجاب بانها فكرة في غاية الخطورة ، وتقسم الفلسطينيين . وتكفي هـذه النماذج من الاقوال لتظهر مدى الاتسـاع الذي تم فيه تـداول فكرة انشاء حكومة في المنفى . ولكن السيد ياسر عرفات اعلن في بغداد نفيا قاطعا للانباء الصحفية التي ذكرت ان المجلس الثوري لحركة فتح ناقش موضوع تشكيل حكومة فلسطينية في المنفى ، قائلا ان هذا الموضوع لم يطرح في مناقشات المجلـس اطلاقا . ولكن هذا النفي الواضح لم يقطع اللغط حول الموضوع ، وذلك بسبب عدة حوادث ملفتة للنظر ، اظهرت وجود توتر سياسي ما داخل بعض اوساط حركة المقاومة .

الحادث الاول تم حين ادلى مصـدر مسؤول في منظمة التحرير بتصريـح صحفي تتصل فيه مـن مسؤولية اللجنة التنفيذية عن المذكرة التي قدمها السيد خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية في المنظمة ، الى السفراء العرب في بيروت (١٨ اذار) حول اسباب الرفض لمشروع الملك ، اذ جاء في التصريح المذكور قوله « ان المذكرة التي نشرت امس ليست المذكرة التي رفعتها اللجنـة التنفيذية لمنظمة التحرير الى الملـوك والرؤساء العرب ، حول تحليل مشروع الملك حسين ، بـل هو تحليل للخطة اعده احد قادة فتح » . ويعطي هذا التصريح للمذكرة صفة فردية ، بينما كـان هناك قرار رسمي بأن تضع لجنة ثلاثية منبثقة عن اللجنة التنفيذية نقاط المذكرة التي سترفع الـى الملوك والرؤساء العرب بواسطة السفراء .

والحادث الثاني تم بعد ان نشرت صحيفة الاهرام القاهرية (٢٣ آذار) مقابلة مع السيد خالد الحسن ايضا حدد فيها الاسلوب الذي تراه حركة المقاومة مناسبا لافشال مشروع الملك ، والبديل النضالي الذي تقترحه « المساواة ... على اساس حكـم وطني ديمقراطي دستوري » . وكانت المفاجأة حين ادلى مصدر مسؤول في حركة فتح ببيان حاد اللهجة جاء فيه « ان ما نشرته جريدة الاهرام ... مـن حديث نسبته للاخ خالد الحسن حول مشروع الملك حسين ، لا يمثل موقـف حركة فتح ... وبهـذه

المناسبة نود ان نلفت النظر الى ان مواقف حركة فتح الرسمية يجري الاعــلان عنها عبر الناطــق الرسمي ... وان اية تصريحات خارج هذا الاطار هي تصريحات شخصية غــير ملزمــة للحركة » . ويوحي هذا التصريح وكأن هناك موقفا سياسيــا مختلفا عليه ، دون ان يحدد هويته .

اما الحادث الثالث فقد ابرزته مجلة الطلائع التي تصدرها منظمة الصاعقة في دمشق حين اعادت في عددها الصادر يوم ٣ نيسان نشر مقابلة كانت جريدة المحرر البيروتية قــد اجرتها مع السيد سامــي العطاري امين سر اللجنة التنفيذية ، بعنوان « لا لفكرة انشاء حكومة فلسطينية في المنفى » ، وكتبت مقدمة للمقابلة قالت فيها انها تريد تعميم وجهــة النظر هذه على صفحات المجلة « للاستفادة منها في هذا الوقت الذي نسمع فيه همسا من بعــض الاوساط الفلسطينيــة الداعية لاقامة حكومـــة فلسطينية في المنفى » ، دون ان تحدد المجلـــة الاوساط التي تعنيها .

وعشية انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني فــي القاهرة (٦ نيسان) برز الحادث الرابع حين اصدر اتحاد طلاب فلسطين بيانا بعنوان « لا لحكومــة المنفى » . ومن المعروف ان اتحاد الطلاب تسيطر عليه حركة فتح ، مما طرح تساؤلا حــول سبب اندفاع الطلاب للاعلان عن مثل هذا الموقف .

ان التوتر السياسي الداخلي الــذي تبرزه هــذه المواقف واضح للغاية ، ولكن لم يبرز بصيغــة رسمية اي شيء حول طبيعة هذا التوتر ، يسمح بالحديث عن هويته ، ولكنه توتر تم ، كما هــو واضح ، داخل اطار الاتجاه الاول الذي كــان يناقش موضوع حكومة المنفى كبديل لمشروع الملك . الاتجاه الثاني في مناقشة قضية « البديل » ظهرت بوادره الاولى حين اعلنت حركة فتح انها ستتقدم الى المؤتمر الشعبي «خطة عمل واضحة ومفصلة». ثم دعت الجبهة الديمقراطية في بيان وزعته يــوم ٢٠ آذار الى قيـــام « جبهة تحرير وطنيـــة فلسطينية ــ اردنية موحدة » . وفي اليوم التالي اعلن « ابو يوسف » في كلمة القاها بمناسبة ذكرى معركة الكرامة « ان فتح ستطرح قريبا مشروعا متكاملا للوحدة الوطنية الفلسطينيــة الشاملة ، وتعرضه على العالم العربي » ، ولم يصدر اي توضيح حول طبيعة هذه الخطة الا يوم ٣٠ آذار حين اعلن ان « فتح » انتهت من وضع « مشروع متكامل للوحدة الوطنية الكاملة بين كــل مقاتلي الثورة الوطنية » وان هذه الصيغة « هي اكثــر صيغة وحدوية متقدمة حتى الآن ، وهي تشمــل توحيد فصائل الثورة توحيــدا كاملا في المجــالات السياسية والعسكرية والمالية والاعلامية . وتتضمن هذه الخطة كذلك برنامجا سياسيا يحدد استراتيجية الثورة ومواقفها في المرحلة الراهنة » وان هــذه الخطة عرضت في اجتمــاعات عدة مع القيــادات الاخرى في حركة المقاومة خلال الايام الثلاثـــة الماضيــة ، وان هذه الاجتماعــات مــا زالت مستمرة . وبالمقابل نشرت مجلــة الطلائع التــي تصدرها منظمة الصاعقة في دمشق في عددها الصادر يوم ٣ نيسان نص مشروع « الجبهة الوطنيــة المتحدة » وقالت انه نتيجة لمناقشات مطولة بين فصائل المقاومة « تولى الرفيــق نايف حواتمــه مشكورا اعداد المشروع الذي ننشره بنصه الحرفي، لتقديمه الى اللجنة التنفيذية لمناقشته واقراره قبل انعقاد المجلس الوطني » . وقد لوحظ ان ما ورد في التقارير المقدمة باسم اللجنة التنفيذية الــى المؤتمر الشعبي حول قضايا الوحدة الوطنيـــة السياسية والتنظيمية ، تضمن الشيء الكثير مــن المشروع الــذي نشرته مجلــة الطلائع . وقــد نوقشت قضية الوحــدة الوطنيــة هذه المــرة ، والبرنامج السياسي الفلسطيني والاردني والعربي الذي ستقوم على اساسه ، من منطلق تقديـــم البديل النضالي لمشروع الملك حسين .

رد الفعل الشعبي : الى جانب البحث الرسمــي الفلسطيني في المشروع ، سواء على صعيد منظمة التحرير ، او على صعيد كافة الفصائل الفدائية الاخرى ، كان هناك تحرك شعبي واسع رسم منذ اللحظات الاولى موقفا جماهيريا موحدا .

ففي لبنان : صدرت بيانات شجب المشروع شملت سكان كافة المخيمات الفلسطينية بالاضافة الــى مجموعــة من المظــاهرات والاضرابات والندوات الجماهيرية التي جرت في اكثر من مخيم وعلى امتداد اكثر من اسبوعين من الحيوية السياسية اليومية، وساهمت في هذا النشاط بشكل بارز قواعد المنظمات الفدائية من الميليشيا والكوادر السياسية ، كذلك لعبت الاتحادات الشعبية في كافة المناطق دورا بارزا في تحريك وبلورة عملية الرفض الجماهيري للمشروع . وفي نطاق هذا النشاط عقدت عشــر هيئات فلسطينية اجتماعا موسعا في مركز الابحاث

الفلسطيني يوم ١٨ آذار ، تدارس فيه المجتمعون بحضور مندوبين عن حركة المقاومة واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، مشروع الملك واسلوب الرد عليه ، وصدر عن الاجتماع بيان سياسي نشرنا نصه فيمقدمة العدد الماضي من «شؤون فلسطينية».

وفي ٢١ آذار شاركت فصائل حركة المقاومة الاحزاب التقدمية اللبنانية في تنظيم مظاهرة شعبية ضخمة ضمت اكثر من ٥٠ الف متظاهر ، القى في نهايتها الاخ « ابو يوسف » كلمة قال فيها « ان الثورة تؤكد ان لا مساومة مع النظام العميل ، ولا مهادنة بعد اليوم حتى تنتصر الثورة » .

كذلك عقدت في النادي الثقافي العربي في بيروت ندوة ساهمت بها اربع منظمات فدائية (فتح — الشعبية — الديمقراطية — جبهة التحرير العربية — والاستاذ منح الصلح) ناقشت فيها مشروع الملك ، مركزة على اسلوب الرد عليه، سياسيا وتنظيميا .

وفي سوريا : عاشت المخيمات الفلسطينية نفس حالة النشاط السياسي التي شهدتها مخيمات لبنان، ووزعت فصائل حركة المقاومة بيانا مشتركا اعلنت فيه ان خطة الملك « اعتراف بالكيان الصهيوني التوسعي » . وقامت الاتحادات الشعبية بتنظيم سلسلة من المهرجانات الشعبية في المخيمات والمدارس . وفي ٢٠ آذار انطلقت في دمشق مظاهرات شعبية كبيرة ضد المشروع .

وفي العراق : نظمت فصائل حركة المقاومة والاحزاب الوطنية والتقدمية مظاهرة ضخمة انطلقت في شوارع بغداد الرئيسية يوم ١٦ آذار ، كان شعارها الرئيسي « الثورة مستمرة » ، كذلك جرت مظاهرات احتجاج اخرى في مدينة بعقوبة شارك فيها « الحزب الديمقراطي الكردستاني » .

وفي الكويت : اصدر (١٨) اتحادا وجمعية فلسطينية وكويتية بيانا دعوا فيه الشعب العربي الى مزيد من التضحية « لاحباط المؤامرة التصفوية » ، ثم عقدت هذه الهيئات اجتماعا شعبيا كبيرا في مقر جمعية المعلمين لبحث « وسائل الرد على المشروع » .

وفي القاهرة : اصدرت ستة اتحادات شعبية فلسطينية بيانا يوم ١٦ آذار وصف المشروع بأنه « المشروع التصفوي للقضية الفلسطينية » ، ثم تظاهر الطلبة الفلسطينيون في القاهرة ضد مشروع الملك يوم ١٩ آذار ، وحاولوا اقتحام السفارة الاردنية ، وحين منعتهم الشرطة قدموا مذكرة احتجاج عنيفة اللهجة .

وبالاضافة الى كل هذا النشاط الشعبي كان هناك موقفان أردنيان بارزان ، موقف الحزب الشيوعي الاردني الذي أصدرت لجنته المركزية بيانا جاء فيه « ان طرح المشروع اضاف مصاعب جديدة وسلبيات جديدة الى الوضع المتردي في الاردن ، والى الوضع العربي بمجمله » . وكذلك موقف « اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية الاردنية » حيث أصدرت بيانا تميز بلغة جديدة لم تكن ترد في بيانات اللجنة من قبل، وذلك بدعوتها الى « اقامة **الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية الموحدة** » ، وبدعوتها ايضا الى « تعزيز الروابط النضالية بين ابناء فلسطين والاردن من خلال طرح **برنامج وطني لوحدة الضفتين على اساس وطني بعيد عن روح الاقليمية البغيضة** التي كرسها الحكم الاقليمي الانفصالي في الاردن » . والجديد في هذا الموقف انه يدعو الى جبهة أردنية فلسطينية موحدة ، بينما كان التوجه السابق يركز على نضال اردني « متحالف » مع النضال الفلسطيني .

ان هذه الصورة المختصرة كافية لتبرز مدى الشمول الشعبي الذي عبر عن نفسه بوضوح ، رافضا مشروع الملك وداعيا لمقاومته ، والرد عليه بأساليب نضالية تحفظ للقضية الفلسطينية مكانتها وثوريتها. وتبقى في هذا المجال قضية جديرة بالتسجيل ، تتناول موقف السيد أحمد الشقيري . فحين وصل الى القاهرة السيد بهجت التلهوني موفدا من قبل الملك حسين لشرح المشروع للمسؤولين المصريين ، عقد اجتماع ضم كلا من صبري الخولي وبهجت التلهوني واحمد الشقيري (١٨ آذار) ، واعلن ان الشقيري وضع أمام التلهوني خمسة شروط تبدأ بأن يسحب الملك مشروعه وتنتهي باعادة حركة المقاومة الى الاردن ، وفي اليوم التالي نشرت « الاهرام » صورة للاجتماع الذي تم على صفحتها الاولى . وقد تم تناول هذا الحادث من زاويتين : الزاوية الاولى تلاحظ ان قبول الشقيري الاجتماع مع مندوب الملك يشكل خروجا على الاجماع الفلسطيني برفض المشروع ، ورفض مجرد البحث فيه مع رجال السلطة الاردنية . وتعقيبا على ذلك قال مسؤول في حركة فتح في بيروت « ان السيد الشقيري لا يمثل الا نفسه ، وان الثورة

الفلسطينية وجماهيرها ، في الوقت الذي تسجل ادانتها لاي لقاءات تتم مع مندوبي الملك ، فانها تعلن بأن هؤلاء وحدهم يتحملــون مسؤولية هذه اللقاءات » . والزاوية الثانية ترى ان هــذا الموقف من الشقيري هو محاولة للبروز تمهيدا للعودة الى العمل السياسي ، وان هذه المحاولة تلقى القبول والدعم من القاهــرة . خاصة وان وسائل الاعلام أخذت تنقل في الفترة الاخيرة ، كافة نشاطات السيد الشقيري السياسية . ولكن مجرى الاحداث لم يؤكد هذا الانطباع، وظهر ذلك بوضوح في اجتماعات المؤتمر الشعبي .

(٤) ردود الفعل العربية
ناجي علوش

أحدث مشروع الملك حسين ردود فعل كبيرة في الوطن العربي . وعلى الرغم من ان ردود الفعل ليست بحجم الحدث ولا تشكل ردا فعالا عليه ، الا أنها ردود فعل كبيرة ، بالنسبة لما كان متوقعا ، ذلك ان المنطقة بما يرين عليها من غيوم الاستسلام، وبما تهيأ له من نكسات جديدة ، كان يراد لها ان تقبل البادرة بلا احتجاج ولا استنكار . ومع ذلك حدثت ردود فعل يمكن تصنيفها كما يلي :

١ ــ ردود الفعل الرسمية . وقد اختلفت من بلد الى بلد ، ولكنها تصنف كالاتي :

أ ــ رد الفعل العراقي الذي عبر عنه العراق بالبيان الذي أعلنته بغداد يوم ٣/١٦ والذي جاء فيه : « أولا : شجب ومقاومة الموقف المتخاذل للحكم الاردني العميل وكل المشاريع المتخاذلة والاستسلامية المشابهة . ثانيا : استجابة للمهام العظيمة والخطيرة التي تواجه الامة العربية اليوم ، وتقديرا منا لما يجب ان نلعبه من دور قيادي بتعزيز الصمود ومنع الانهيار وايقاف التداعي ، فقد قررنا ان نتحرك للقاء مع اشقائنا في قطري سوريه ومصر ، وان نطرح عليهم مشروعا وحدويا فوريا يعزز امكانيات الصمود ويطوق التداعي ويجهض التآمر ويلغي كافة المشاريع والحلول الاستسلامية » (الثورة العراقية ٣/١٧/ ٧٢) . ولقد تحرك صدام حسين فعلا الى دمشق والقاهرة من اجل مناقشة المشروع الوحدوي في دمشق والقاهرة ، ولكن لم تعلن نتائج ايجابية . على كل حال ان هذا الاعلان الذي يدرك خطورة المرحلة وخطورة المهمات المطروحة فيها ، اعلان هام . الا ان تنفيذه هو الاهم منه فهل ينفذ ؟ ان هذا يعتمد على مجموعة عوامل داخل العراق وخارجه ولا يبدو ان هذه العوامل ستكون طيعة ، ولكن لا بأس ليكن البيان منطلقا تتبعه خطوات وخطوات مثابرة ومتأنية .

أدان العراق الرسمي اذن المشروع وطالب بتحقيق خطوة وحدوية لمجابهة الموقف ، ولكنه لم يقطع العلاقات مع الاردن ، ولا اغلق الحدود معه وان كان قد رفض استقبال وفد رسمي اردني أرسل لشرح المشروع .

ب ــ رد فعل جمهورية مصر العربية : أعلن الرئيس السادات في افتتاح المؤتمر الشعبي الفلسطيني قطع العلاقات مع الاردن ، واعتبر ذلك مجرد خطوة . قال السادات : « ونحن نرى ان ذلك المشروع الذي قصد منه افراغ القضية الفلسطينية من مضمونها خروج عن الخط العربي لا يمكن قبوله . واذا كنا سنتقبله بمجرد الكلمات فمعنى ذلك ان اشرف أهداف نضالنا معروضة للبيع والشراء ، كما يشاء الاعداء ، او كما تشاء الاهواء . وفيما يتعلق بجمهورية مصر العربية ، فاننا الان نقوم بمشاورات واسعة بغية تحديد مواقف موحدة تجاه هذا الخروج على الخط العربي . وحتى يتم ذلك وتحدد الوسائل والخطى التي يجب ان نتحرك من خلالها فان جمهورية مصر العربية قد قررت قطع كل علاقاتها مع الاردن » (الجمهورية ٧٢/٤/٧) .

ومع ان جمهورية مصر العربية كانت قد استقبلت رسل النظام ، فان قطع العلاقات جاء ضربة للنظام الهاشمي ، لها وزنها وأثرها ، وذلك نتيجة لما لمصر من وزن وأثر في السياسة العربية . وكانت جمهورية مصر العربية قد اعلنت قبل ذلك عن تحرك سياسي واسع يشمل كل الدول العربية . (الجمهورية ٧٢/٣/٢٣) . وقامت وفود مصرية على أعلى المستويات بزيارة اكثر من بلد عربي .

جـ ــ الدول التي رفضت المشروع :

في الجزائر : أعلن ناطق باسم وزارة الخارجية رفض الجزائر للمشروع « جملة وتفصيلا » ووصفه بأنه : « خيانة جديدة لفلسطين » . وأضاف « ان الجزائر ، مثلها مثل الدول العربية الاخرى لديها من الاسباب الموضوعية ما يجعلها تشتبه في المبادرات الصادرة عن عمان . ان مشاورات تجري الان بين الدول العربية وبين المقاومة الفلسطينية من جهة أخرى ، بحثا عن افضل الوسائل لتفشيل هذه المناورة الجديدة الموجهة ضد الشعب الفلسطيني وضد وحدته ... ان مشروع الملك حسين الذي يتعارض مع رأي مجموع الشعوب العربية لم يأخذ في عين الاعتبار لا موقف قيادة الشعب الفلسطيني ، ولا حتى رأي قادة البلدان

العربية » (النهار ١٩٧٢/٣/١٧) . ثم عاد وزير خارجية الجزائر فأكد رفض المشروع بعد اجتماعه بمبعوث الملك حسين (العمل ٧٢/٣/٢٥) .

وفي الكويت : استعرض مجلس الوزراء الكويتي مشروع الملك حسين في جلسته المنعقدة يوم٣/١٦ . ولكنه أرجأ اعلان رأي الكويت في الموضوع حتى تتم معرفة رأي منظمة التحرير ، ثم أرجىء اعلان موقف الحكومة الى ما بعد زيارة المبعوث الاردني. وفي ٣/٢٢ اعلن مجلس الوزراء قراره الذي أعلنه وزير الدولة والذي جاء فيه : « والان وبعد استكمال الحكومة لاتصالاتها واتمام دراستها للمقترحات ، وانطلاقا من موقفها المعروف من هذه القضية المصيرية ، فانها تؤكد ان المنطلق الاول يجب أن يكون تحرير الارض العربية . وعندما تحرر ارض فلسطين التي ترزح تحت نير الاحتلال فان الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق في تقرير مصيره ، ونحن نؤيد ونساند القرار الذي ينبع من الارادة الحرة للفلسطينيين انفسهم ، ومن ثم فاننا لا نوافق على المشروع الذي تقدم به جلالة الملك حسين في بيانه الاخير . ولا نرى جدوى من وضع نظرية لا تأخذ بعين الاعتبار رأي الشعب الفلسطيني ، كما لا تحوز رضى وقناعة الامة العربية » (الرأي العام ٣/٢٣) .

وفي عدن : أدانت حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية مشروع الملك حسين ووصف رئيس وزرائها هذا المشروع بأنه « أتى لينفذ ما ظل الصهاينة يطمحون لتحقيقه والوصول اليه طيلة الاعوام التي تلت النكبة ١٩٤٨ (النداء ٧٢/٣/١٧).

وفي لبنان : صدر بيان عن قصر بعبدا بعد زيارة الوفد الاردني جاء فيه ان الرئيس فرنجية أكد مجددا موقف لبنان « بأن كل حل لقضية فلسطين يجب أن يقوم على انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة وعلى احترام حقوق الشعب الفلسطيني بما فيها حق تقرير المصير » (النهار ٧٢/٣/٢١) .

وفي طرابلس : أعلنت الجمهورية العربية الليبية انها ترفض « استقبال أي موفد رسمي موفد من الملك حسين لشرح مشروعه الرجعي بصدد اقامة ما وصف بمملكة عربية متحدة من ضفتي الاردن » . ومما يذكر ان هذا هو التعليق الرسمي الاول الذي صدر من طرابلس الغرب . (النهار ٧٢/٣/١٨).

وفي دمشق : رفضت سورية المشروع و « كل المشاريع التصفوية » (بيان القيادة القومية لحزب البعث النهار ٣/١٩) . واعلن الرئيس حافظ الاسد في خطاب جماهيري « كان موقفنا من المشروع وتقييمنا له منذ اول لحة انه مشروع منطلق من مخططات امبريالية صهيونية لاقامة كيان فلسطيني خاضع لنفوذ اسرائيل ... اننا لا يمكن ان نعتبر اقدام أي فرد او أية دولة عربية على اقتراح اي حل منفرد والسير فيه الا خروجا على ارادة الامة العربية وتنكرا لاهدافها ، وتحقيقا لخطط العدو ... » (الطلائع ٧٢/٤/١٠) .

وكان رأي **الخرطوم** هو الرأي الشاذ الوحيد من الآراء الرسمية المعلنة . فقد اعترض الرئيس النميري على « العجلة التي قوبل بها المشروع دون ان تتاح لاحد فرصة لالتقاط الانفاس تمكنه من الدراسة الواعية التي تنفذ الى الجوهر ، متعدية الشكل ... » كما حاول الرئيس النميري ان يثبت ان المشروع ينطلق من منطلق محلي « لا يتجاوز حدود الاردن ... » . ودعا الرئيس النميري الى اجتماع قمة عربي لدراسة المشروع (مجلة القوات المسلحة ٧٢/٣/٢٥ ، اللواء ٧٢/٣/٢٦) .

٢ — ردود الفعل الشعبية : قامت في البلاد العربية حملات استنكار تراوحت بين البيانات والمظاهرات ، كما ان الصحف شاركت في حملات الاستنكار هذه .

أ — على صعيد البيانات : في لبنان أصدرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بيانا هاجمت فيه المؤامرة التصفوية التي أعلن عنها الملك ودعت الى تظاهرة تجري الثلاثاء يوم ٣/٢١ (النهار ٧٢/٣/١٨) . وفي بغداد اصدر الحزب الديمقراطي الكردستاني بيانا ندد فيه بالمؤامرة (النداء ١٧/ ٧٢/٣) . وفي الكويت : أصدرت المنظمات والهيئات الشعبية والاتحادات الطلابية عدة بيانات « استنكرت فيها المشروع الملكي واكدت رفض الجماهير العربية له » (النداء ٧٢/٣/١٧). وفي القاهرة : نددت الامانة العامة لاتحاد المحامين العرب بالمشروع . (النداء ٧٢/٣/١٧) . وفي بيروت : صدرت عدة بيانات عن الاتحاد العام لطلبة الاردن ، ومن الاتحاد العام لنقابات العمال في الاردن ، ومن التجمع التقدمي للمرأة العربية ، ومن انصار الجبهة الوطنية الاردنية . (النداء ٧٢/٣/١٧) . وفي القاهرة : اعلن المجلس القومي للسلام في مصر رفضه لمشروع الملك حسين بشأن

انشاء المملكة العربية المتحدة . (النداء ٢١/٣/٧٢) . وفي الرباط : ندد الامين العام لاتحاد نقابات المعلمين في البلدان العربية بمشروع الملك حسين (النداء ٧٢/٣/٢١) .

ب ـ على صعيد المظاهرات : في دمشق : قامت مظاهرات في دمشق وبعض المدن السورية استنكارا لمشروع الملك حسين ورفع المتظاهرون لافتات كتب عليها : « الجماهير العربية ترفض مشروع حسين الانهزامي » و« الامبريالية الاميركية والصهيونية وراء مشروع حسين » و« الفلسطينيون طلائع حرب التحرير » (النداء ١٩٧٢/٣/٢١) . وفي بغداد : اعلن ان مظاهرة حاشدة جرت في بغداد واخرى في بعقوبة . وقد عبرت الجماهير عن استنكارها للمشاريع الاستسلامية . (لسان الحال ، ١٨/٣/٧٢) . وفي بنغازي : شهدت المدينة مسيرة طلابية طافت بشوارع وميادين المدينة معلنة استنكارها الشديد للموقف الذي اتخذه الملك حسين . (الانوار ٧٢/٣/١٨) .

جـ ـ على صعيد الصحف ووسائل الاعلام الاخرى: شاركت الصحافة العربية ووسائل الاعلام الاخرى، في القاهرة والجزائر ودمشق وبغداد وطرابلس خاصة وفي البلاد العربية عامة ، في فضح المشروع التآمري التصفوي . كما ان الصحف في تونس هاجمت المشروع واستنكرته .

د ـ ولا تقل أهمية عن بيانات الاستنكار ومظاهرات السخط والغضب الدراسات والمقالات التي كتبها مفكرون عرب في أماكن مختلفة من الوطن العربي ونود هنا ان نشير الى دراستين لاحمد بهاءالدين نشرهما في الاهرام ٣/١٩ و٧٢/٣/٢٦ ، وكان اهم ما أكده احمد بهاءالدين في الدراسة الاولى (١٩/٣/٧٢) ان المشروع : « قد يكون « قشرة موز » اخرى دسها احد تحت اقدام العرب لمزيد من التنازلات والانشقاقات ، ولتأكيد عزلة الدول العربية عن بعضها البعض » . « لقد بات مسلما به ان الفلسطينيين موجودون ، وان لهم دورا في حسابات اي مرحلة ، والمعركة التي يبدو ان هذا المشروع يريد ان يحسمها هي : من يمثل الفلسطينيين ؟ من يتحدث باسمهم ؟ والى أي مدى ؟ » . « وبغير قيادات واعية واسعة الافق ، ومستعدة لاستيعاب كل اطراف ومشاعر الشعب الفلسطيني ، سوف يواجه الفلسطينيون بالمشروع الجديد مذبحة سياسية بعد مذابحهم العسكرية... »

« وليس مهما هنا الرفض فحسب ، فانه لا يؤتي ثمرة ولا يعرقل شيئا ، خصوصا اذا صدر من مركز الضعف . ولكن المهم هو المبادرة ، وهو البحث عن البديل » .

واحمد بهاءالدين يعود ليؤكد من جديد هذه الحقائق في دراسة اخرى (٣/٢٦) . فالشعب الفلسطيني موجود و« الكل ـ الدول الكبرى ، العرب طبعا ، واخيرا الملك حسين ، وربما اسرائيل يعترفون بأن هنالك شعبا فلسطينيا ، وانه طرف لا بد من ايجاد دور له » . ولكن الصراع يدور بين الذين يريدون : « شعبا فلسطينيا معينا ، يختارون جمهوره ، ويعينون له قياداته ، وبالتالي يوجهونه عبر سلسلة من الاجراءات التي يخلق كل منها أمرا واقعا جديدا ، الى قبول الحل الذي يريدون » . وبين الذين يعترفون « بوجود شعب فلسطين ولكن بشرط ان يضم كل من هو فلسطيني ، وبدون شرط مسبق لهذه « الفلسطينية » يضعه احد ، ويكون له بهذا الوضع حق اختيار قياداته وممثليه الحقيقيين ... وبالتالي اختيار المستقبل الذي يريد » . « ولن يكسب الصراع من يرفض ويسكت ، ولكن سيكسبه الطرف الذي يستطيع ان يبني قيادة فلسطينية شاملة ... وهو الطرف الذي يستطيع ان يعطي هذا الجسد برنامجا حقيقيا للتصرف والعمل ، برنامجا لليوم القريب وبرنامجا لليوم البعيد ، برنامجا لهذه المرحلة وللمراحل المقبلة ». ويزيد على ذلك : « واذا لم تتمكن المقاومة الفلسطينية ، من ان تحقق هذا العمل ـ الذي اعرف صعوباته الضخمة ـ فانها تعرض نفسها وتعرض الشعب الفلسطيني لخطر جسيم . هل يمكن وضع برنامج بديل ؟ اعتقد انه ممكن » .

ولكن ما هو هذا البرنامج ؟ ان للمرحلة الراهنة برنامجا ولكن أليس هو برنامج المحافظة على الذات وتطوير القوى واستمرار القتال وتصعيده في الارض المحتلة وتصعيد حملات اسقاط النظام الاردني ؟ ان طرح القضية على هذا الشكل يوحي بأن هنالك بديلا آخر . كنا نتمنى لو عمل الاستاذ احمد بهاءالدين على جلاء هذه النقطة .

ختاما نستطيع ان نقول ان ردود الفعل العربية هي مجرد ردود افعال منفعلة لا فاعلة ، وان الحدث يقتضي عملا منظما واعيا دؤوبا لمواجهته ، ولكن هذا ما تعودناه من السياسة العربية .

(٥) مشروع الملك حسين دوليا
صادق جلال العظم

من الواضح ان لخطة الملك التصفوية في اقامة المملكة العربية المتحدة ابعادا دولية هامة لم يخفها في مشاوراته ، كما ذكرت مصادر مطلعة ، حيث قال ان مشروعه يتمتع بتأييد الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة وان الاتحاد السوفياتي لم يبد اية معارضة مسبقة له . ويبين هذا الكلام ان ما تقوله الاوساط المعارضة للمشروع حول المصدر الامريكي الرئيسي لفكرة المملكة العربية المتحدة لا يجانب الصواب ابدا . ومن جهة اخرى حاول وزير الخارجية الاردني تبرير المشروع باعطائه بعدا دوليا عن طريق ربطه بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وقوله بان المشروع ليس الا وسيلة لتنفيذ قرار مجلس الامن واثارة اهتمام الاسرة الدولية بالنزاع في الشرق الاوسط بعد الركود الذي هيمن عليه منذ فترة . وبعد الاعلان عن خطة المملكة المتحدة بفترة قصيرة قام الملك حسين بزيارة لواشنطن هدفها اجراء محادثات مع الرئيس نيكسون والحكومة الامريكية حول المشروع اياه وحول المساعدات المالية والعسكرية الامريكية للنظام الملكي في الاردن . ومن الامور التي تدل على اهمية المحادثات في واشنطن قيام مستشار الرئيس نيكسون هنري كيسنغر بقطع اجازته في المكسيك من اجل المشاركة في الاجتماعات مع الملك الذي تباحث ايضا مع وزير الخارجية وليم روجرز ووزير الدفاع ملفين ليرد ومع لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس الامريكي . وصرح الناطق الصحافي باسم البيت الابيض معلقا على زيارة الملك قائلا ان الرئيس نيكسون وعد ببذل كل ما في وسعه من اجل مساعدة الاردن ، كما اعتبر مشروع الملك « محاولة لمساعدة الفلسطينيين على تحديد مستقبلهم بانفسهم مما يشكل خطوة الى الامام نحو توفير الظروف اللازمة للسلام في الشرق الاوسط » . بعبارة اخرى ان هدف هذه الترتيبات الدولية هو تصفية كفاح الشعب الفلسطيني عن طريق التلويح له بكيان من نوع ما يستقر فيه ويكتفي به . وجدير بالذكر انه عشية سفر الملك حسين الى واشنطن اعلن سيسكو بان الوضع في الاردن قد اصبح اليوم افضل بكثير عما كان عليه في عام ١٩٧٠ من ناحية استقرار الامن واستتبابه وان الاردن لا يمكن ان يتخلى عن اليقظة وحالة التأهب بالنسبة لهذا الموضوع . وكي يتمكن الملك من الاستمرار في فرض النوع الامريكي من الامن والاستقرار في الاردن طالب ، اثناء زيارته ، برفع قيمة المساعدات المالية التي يتلقاها من امريكا من حوالي ٤٠ الى ٥٥ مليون دولار وبزيادة المساعدات العسكرية لجيشه .

على هذا الاساس ذكر سيسكو في خطاب له ان بلاده ستقدم مزيدا من الاسلحة للملك لتمكنه من المحافظة على الامن الداخلي في الاردن ولحماية البلاد من اي هجوم خارجي ! كما ترددت انباء مؤكدة تفيد بان امريكا ستزود سلاح الطيران الاردني بطائرات فانتوم (من نوع ف ٥ وهي اقل تعقيدا من طائرات ف ٤ التي تعطى لاسرائيل) . وكان من اهم نتائج زيارة الملك حسين للولايات المتحدة اعلانه الصريح في التخلي عن مدينة القدس نهائيا للاحتلال الاسرائيلي . اعلن الملك هذا الموقف في مقابلة مع « النيويورك تايمز » في اخر شهر اذار وبعبارات تتطابق تماما مع الموقف الامريكي حيال المدينة الذي يرفض ضمها بصورة رسمية من قبل الاسرائيليين ولكن يصر على ابقائها موحدة كي لا تعود الامور الى ما كانت عليه قبل عام ١٩٦٧ . اي انه تم التنازل عن مطلب عربي اساسي في استراتيجية تصفية آثار العدوان ، اذ قبل الملك بادارة اردنية — اسرائيلية مشتركة لمدينة القدس مع بقائها موحدة وعاصمة لدولة اسرائيل . اما الادارة الاردنية فلا يمكن ان تتعدى الاشراف على الاماكن المقدسة الاسلامية في افضل الاحوال . ووفقا لهذا المخطط المتمم لمشروع المملكة العربية المتحدة تحصل اسرائيل على الحدود المفتوحة مع العرب وهو مطلب اساسي من مطالبها للوصول الى تسوية النزاع في المنطقة. كذلك ترك الملك حسين احتمالات عقد صلح منفرد مع اسرائيل مفتوحة ، ولم يستبعد هذه الاحتمالات في احاديثه ومقابلاته مع الصحافة والتلفزيون في امريكا . وترددت انباء صحفية ايضا بان الملك سيزور كلا من باريس ولندن لاجراء محادثات مع كبار المسؤولين في العاصمتين الاوروبيتين . كما

ذكرت هذه الانباء انه قد يزور موسكو لنفس الغرض ، وان الرئيس نيكسون نفسه قد يقوم بزيارة كل من اسرائيل وايران والعربية السعودية بعد انتهاء رحلته الى الاتحاد السوفياتي في ايار .

ومما يلفت الانتباه بهذا الصدد ان التعبير عن التأييد الرسمي في البلدان الغربية لمشروع الملك حسين كان مقتضبا ، وان التعليقات عليه كانت مختصرة جدا . وقد فسرت الاوساط الدبلوماسية الامريكية هذا الوضع بقولها « ان اي تأييد علني للمشروع قد يسيء الى الملك حسين اكثر مما يفيده » . لذلك اكتفى وليم روجرز في تعليقه على المشروع بالقول انه « مطلع على تطورات الشرق الاوسط المتعلقة بالملك حسين ولكنه لا يريد ان يتحدث علنا عن ذلك في الوقت الحاضر » . اما الاوساط البريطانية الرسمية فقد اكتفت ايضا بالقول ان خطة الملك يمكن ان تقلب المعطيات الحالية لازمة الشرق الاوسط خاصة اذا صح الاعتقاد بوجود تفاهم ضمني مع الحكومة الاسرائيلية حول الموضوع . وفي باريس قال الرئيس بومبيدو ان خطة الملك تتضمن اعترافا بالواقع الفلسطيني وانها خطوة نحو التسوية النهائية . وعلى صعيد آخر كشفت الصحافة الفرنسية الاسبوعية (نوفيل اوبسرفاتور والاكسبرس) ، في معرض تعليقها على مشروع الملك ، وثائق تثبت وجود اتفاقات واتصالات سرية بين الحكومة الاردنية واسرائيل تبين ان خطة الملك كانت نتيجة مفاوضات سرية دارت منذ شهرين بين رئيسة وزراء اسرائيل ومبعوث مفوض من الملك حسين — انور نسيبة . كذلك ذكرت هذه الصحافة ان حسين قبل في هذه الاتصالات الشروط التي طرحها ابا ايبان في اجتماع عقده مع الملك نفسه في لندن في ايلول ١٩٦٨ حيث عرض الوزير الاسرائيلي مشروع آلون الذي ينص على تجريد الضفة الغربية من السلاح ، والاحتفاظ بمراكز عسكرية اسرائيلية على طول نهر الاردن ،واجراء تعديلات طفيفة على الحدود ، والاحتفاظ بالقدس كعاصمة لاسرائيل ، مقابل اعادة الضفة الى النظام الاردني . اما الاتحاد السوفياتي فقد اعلن عن موقفه من مشروع الملك في اواخر شهر اذار عن طريق البيان الذي اصدرته لجنة التضامن الافريقي — الاسيوي السوفياتية والذي جاء فيه ان الاتحاد السوفياتي يشارك القوى التقدمية العربية في قلقها حيال مشروع الملك حسين .

واكد البيان على التأييد السوفياتي لحركة التحرر العربية « ومنها حركة المقاومة المعبرة عن مصالح الجماهير الفلسطينية » ، ولنضال الشعوب العربية من اجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي الامبريالي . بعد ذلك مباشرة نددت صحيفة « الازفستيا » الناطقة باسم الحكومة السوفياتية بمشروع الملك واعتبرته محاولة لتفرقة الدول العربية التقدمية واضعافها بينما هي تواصل جهودها لانهاء الاعتداء الاسرائيلي . واضافت ان « مشروع الملك لا يستجيب لامال الشعوب العربية في حل القضية على اساس ديمقراطي وضمن نطاق التسوية السياسية للنزاع » . كما اكدت ان المشروع يحرم الشعب الفلسطيني حق تقرير مصيره بنفسه ولا يتيح الفرصة لحل القضية الفلسطينية بالاتفاق مع كل البلدان العربية ، وبمشاركة فعالة من المقاومة الفلسطينية . ونلاحظ هنا ان هذا الاعتراض على مشروع الملك جاء من خلال المنظور السوفياتي العام للنزاع في الشرق الاوسط وطرق حله . اي انه لا يعترض على المشروع بسبب رميه الى تصفية القضية الفلسطينية نهائيا وتثبيت شرعية الكيان الصهيوني على ارض فلسطين بل لانه يعرقل جهود الدول العربية لتصفية آثار العدوان عن طريق تسوية سياسية تساهم فيها المقاومة مع بقية هذه الدول . اما بالنسبة لموقف الصين الشعبية فقد تم الاعلان عنه بعد مرور ٤٨ ساعة على صدور مشروع الملك وبعبارات قريبة في روحيتها من موقف حركة المقاومة نفسها . اتهمت الصين الملك بالعمل على تصفية القضية الفلسطينية واعتبرت مشروعه مؤامرة لضرب نضال الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية . وشنت وسائل الاعلام في الصين حملة مركزة ضد المشروع كان جزء منها ابراز كل ردود الفعل السلبية ضد خطة الملك وخاصة ردود الفعل الفلسطينية . واظهرت هذه الحملة بوضوح ان المشروع ليس الا نسخة جديدة عن مشروع آلون .

كذلك قام وزير خارجية الصين باستقبال المبعوثين الدبلوماسيين العرب في بكين ليؤكد لهم تأييد بلاده لكفاح الشعب الفلسطيني وللقضية العربية ضد اسرائيل والولايات المتحدة . وفي اواخر اذار قام وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة الصين حيث اجرى محادثات مع المسؤولين شملت مشروع الملك حسين ومخاطره .

(٦) رد الفعل الاسرائيلي لمشروع الملك حسين
احمد خليفة

بات موقف اسرائيل الرسمي مــن مشروع الملك حسين واضحا — الرفض . وقد كان الرفض في البداية مطلقا متشنجا ، ثم جرى تليينه قليلا بشكل ضمني ، في حديث أدلى به ايغال الون ، نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية ، لصحيفة معريف بعد اسبوع تقريبا من القاء الملك حسين لبيانه . وقد عبرت الجهات الرسمية عن رفضها هذا في بيان صدر عن مكتب رئيسة الحكومة في ذات المساء الذي ألقى به الملك خطابه ، وفي البيان الذي أدلت به غولدا مئير رئيسة الحكومة أمام الكنيست في اليوم التالي ، وفي القرارات التي اتخذتها الكنيست في ختام المناقشات التي أعقبت القاء البيان . ولم تكتف الكنيست في قراراتها حول المشروع برفضه ، وانما أدخلت ضمنها فقرة تؤكــد « ان الحقوق التاريخية للشعب اليهودي على ارض اسرائيل غير قابلة للطعن » (!) ، وهي فقرة قابلة للتفسير ، عندما ترد في سياق الرد على مشروع الملك حسين، بأن الكنيست ضد التخلي عن اي جزء من الضفة الغربية في حالة حدوث اتفاق سلام . وتظهر مطالعة الصحف الاسرائيلية ان بعض الفرقاء والوزراء في الحكومة الاسرائيلية لم يكونوا راضين عن الصورة العنيفة التي اتخذها الرفض الاسرائيلي في البيانين الحكوميين المشار اليهما اعلاه — وهي صورة تستدعي التساؤل : لماذا هذا الرفض رغم ان المشروع لم يتطرق لاسرائيل ، ولا يتناقض كلية — كما ذكر الكثيرون من المعلقين الاسرائيليين — مع مشروع ألون الذي تجمع المصادر الاسرائيلية على انه مقبول من غالبية وزراء الحكومة واعضاء الكنيست ، ويمكن ان يكون مقبولا ، كما أظهر استفتاء نشرته يديعوت احرونوت في عدد ٢٩/٣/٧٢، من غالبية المواطنين. اما بالنسبة للمعارضة، فان الجناح اليميني المتطرف منهــا ، الممثل في الكنيست بكتلتي جاحال والمركز الحر ، قد رفض المشروع رفضا جازما ، باعتباره يحمل امكانية « اعادة تقسيم أرض اسرائيل » (!) — اي امكانية اعادة اجزاء معينة من الضفة الغربية الى السيادة الاردنية . وقد وصف بيجن زعيم جاحال في بيان كتلته مشروع الملك حسين بأنه « معلق في الهواء » واشار الى الشك القائم حول وجود اتفاق بــين الاردن واسرائيل وطالب الحكومة بمد صلاحيات القانون الاسرائيلي الى كل المناطق المحتلة . وكرر شموئيل تامير زعيم المركز الحر في بيان كتلته ذات الطلب ، واتهم الحكومة بأنها بسياساتها المترددة تجاه ضم المناطق واستيطانها استيطانا واسعـــا شجعت الملك حسين على « اقتحام الفراغ الناجم » عن مثل هذه السياسات.ورفضت القائمة الرسمية، وهي التجمع الذي شكله بن غوريون قبل اعتزاله الحياة السياسية ، المشروع لانه لا يعرض اي شيء علــى اسرائيــل . وتساءلت كتلة بوعالي اغودات يسرائيــل الدينيــة عمــا اذا كــــان المشروع يستحــق كــل الضجــة ، ورفضتــه لانه لا مجال للتنازل عن اي جــزء من الضفة الغربية . ورفضه الحزب الشيوعــي الاسرائيلي راكاح لانه يكرس وصاية الهاشميين على شعب فلسطين ويحرم الفلسطينيين من حق تقرير المصير ، ولانه يصرف الانتباه عن الاساس الوحيد في رأيه لتحقيق التسوية وهو قرار مجلس الامن ٢٤٢ . وكان الحزبان المعارضان الوحيــدان الممثلان في الكنيست اللذان اعترضا على رفض الحكومــة الاسرائيلية للمشروع هما الحــزب الشيوعــي الاسرائيلي ماكي وكتلة هعولام هزه — قوة جديدة ، فقد ذكر شموئيل ميكونس ، سكرتير ماكــي ، في بيان كتلته ان هناك جوانب ايجابية في مشروع الملك حسين بالنسبة لاسرائيل ، والا لما كان تعرض لمثل هذه الحملة من قبل الدول العربية المتطرفة . وقال بأن الحل لا بد وان ينطلق مــن اعتراف الشعبين الفلسطيني واليهودي بحق تقرير المصير لكل منهما . أما أوري أفنيري ، زعيم هعولام هزه — قوة جديدة ، فقد عرف بيان الملك حسين بأنه « اعتراف تاريخي بقيام أمة فلسطينية من قبل أشد أعدائها عداء لها » وطالب الحكومة بتمكين اجراء استفتاء فوري في الضفة الغربية وقطاع غزة ليقرر الفلسطينيون بأنفسهم فيما اذا كانوا يريدون دولة مستقلة او يريدون الحل الوارد في مشروع الملك . ورفض شلومو كوهن ، المنشق عن كتلة هعولام هزه — قوة جديدة المشروع لانه يتناقض مع تصوره الداعي لانشاء اتحاد فدرالي بين اسرائيل والضفة الغربية . [هآرتس ، دافار ١٧/٣/٧٢] .

هذا حول رد الفعل بشكل عام على مستوى الحكومة والكنيست واحزاب المعارضة الممثلة في الكنيست . أما بالنسبة للقطاع من الرأي العام الاسرائيلي ، الذي عبر عن رد فعله في الصحافة الاسرائيلية ، فانه كان متنوعا ومختلفا ، وان كان المرء يستطيع القول بشكل عام ان غالبية المحللين السياسيين رأوا في المشروع نقاطا ايجابية وامكانية انسجام مع النظرة الاسرائيلية تجاه قضايا حيوية معينة ، وبشكل خاص النظرة الواردة في مشروع ألون . وقد ركز المحللون في كتاباتهم على موضوعين اساسيين : دوافع الملك من وراء طرحه لمشروعه ، وامكانيات الانسجام بينه وبين النظرة الاسرائيلية ونقاط الخلاف القائمة والمحتملة. ويمكن تلخيص الاراء المختلفة الواردة حول الدوافع كما يلي : أ — يرمي الملك حسين من وراء مشروعه الى الخروج من العزلة التي تحيط به وتأكيد انه هو الاولى بحل مشاكل الفلسطينيين . ب — يستهدف اعادة الاردن الى مركز الجهود الدولية الرامية لتحقيق تسوية سياسية ، بعد ان اقتصرت هذه الجهود في الفترة الاخيرة على مصر واسرائيل . ج — يحاول ان يعود فيكسب ولاء قطاعات واسعة من الفلسطينيين . د — يحاول التأثير على انتخابات الضفة الغربية . هـ — يهدف الى عزل حركة المقاومة الفلسطينية وتصفيتها سياسيا بعد أن صفاها عمليا في الاردن. و — تثبيت الكيان الشرق اردني استجابة لضغوطات اقليمية معينة داخل مملكته بهذا الاتجاه . ز — تم التوصل الى اتفاق مع اسرائيل ، ومشروعه يمثل خطوة أولى في تحقيق الاتفاق . اما بالنسبة لامكانيات الانسجام مع النظرة الاسرائيلية فان المفتاح فيها هو اعتراف الملك حسين بالكيان الفلسطيني واحتواء هذا الكيان ضمن « المملكة العربية المتحدة » التي ستكون فيها شؤون الخارجية والمالية والدفاع تحت سلطة الحكومة المركزية — أي الملك . ان عددا كبيرا من المحللين السياسيين أشاروا الى ان أحد الاحتمالات المفتوحة امام الفلسطينيين في مشروع ألون هو الاستقلال الذاتي ضمن اطار فدرالي مع الاردن ، وقد جاء مشروع الملك حسين منسجما مع هذا الاحتمال . كما أشاروا الى ان موقف الغالبية في الحكومة الاسرائيلية هو ضد اقامة دولة فلسطينية مستقلة ولا مجال بين البحر المتوسط والعراق الا لدولتين واحدة عربية والاخرى يهودية . ويحقق مشروع الملك هذا المطلب . وبالنسبة لنقاط الخلاف أشار المحللون الى أن أعقدها مسألة القدس التي أعلن حسين انها ستكون عاصمة للقطر الفلسطيني، واعتبر ألون هذا الاعلان « نكتة أكثر مما هو تحد » ، ومسألة المطالب الاقليمية لاسرائيل ، ويستطيع المرء ان يقول ان غالبية المعلقين السياسيين كانت محبذة لان تتفحص الحكومة ما وراء مشروع الملك . ونسجل فيما يلي اساسيات الموقف الرسمي للحكومة والكنيست ، لننتقل الى السؤال الهام الذي طرحناه في سياق التقدمة — لماذا الرفض الاسرائيلي ؟

طرح الملك حسين مشروعه وسط جو من الشائعات كان يغمر القدس المحتلة بأن ثمة اتفاقا سريا بين الاردن واسرائيل قد تم التوصل اليه بشأن المشروع . وقد كانت هذه الشائعات بلغت ذروتها في الجلسة التي عقدتها الكنيست يوم ٧٢/٣/١٤ لمناقشة بيان عام لآبا ايبن حول السياسة الخارجية لاسرائيل بمناسبة بحث ميزانية وزارته . وكان الذي أطلق الشائعات في القدس المحتلة هو الانباء التي نشرت حول اجتماعات بين مسؤولين اسرائيليين وأردنيين كبار ، والاخبار الواردة من واشنطن والعواصم العربية عن حدوث الاتفاق ، وتصريح سيسكو قبل فترة وجيزة أمام محرري الصحف الاميركية اليهود بأنه يتوقع « حدوث تحرك معين في الموقف الاردني خلال الاسابيع القليلة القادمة » ثم تصريح روجرز وزير الخارجية الاميركي أمام احدى لجان الكونغرس بأنه «يتوقع حدوث تطورات فورية توضح الموقف الاردني » . وقد وردت الانباء حول تصريح روجرز اثناء انعقاد جلسة الكنيست المذكورة ، الامر الذي دفع أبا ايبن لمغادرة الجلسة « للتشاور مع رئيسة الوزراء والحكومة » ، مؤجلا القاء البيان الختامي الذي كان مقررا له ان يلقيه في نهايتها . وقد ضخم هذا النبأ الاخير الوارد من واشنطن ، وانسحاب آبا ايبن المفاجىء من الجلسة ، شكوك المعارضة اليمينية الاكثر تطرفا في الكنيست — جاحال والمركز الحر . وعقدت كل من الكتلتين اجتماعا سريعا تقدمت اثره جاحال لرئاسة الحكومة باقتراح عاجل باجراء نقاش فوري حول « الانباء الواردة من الخارج عن اتفاق اردني — اسرائيلي » كما قدم المركز الحر اقتراحا عاجلا اكثر تحديدا ببحث « الاتفاق السري بين الاردن واسرائيل المتوقع تنفيذه قريبا » . وهكذا رفعت جلسة الكنيست وبين يدي الرئاسة اقتراحان

يعبران عن ريبة شديدة في اوساط المعارضة اليمينية الاكثر تطرفا بأن الحكومة الاسرائيلية على وشك التخلي عن أجزاء من الضفة الغربية للاردن، نتيجة اتفاق سري بين الحكومتين . [معريف ٧٢/٣/١٥] .

والقى الملك حسين في اليوم التالي ٧٢/٣/١٥ خطابه المعروف . وبعد ساعات من القاء الخطاب أصدر مكتب رئيسة الحكومة الاسرائيلية بيانا موجزا برفض المشروع نص على ما يلي : « ان المشروع الذي أعلن عنه الملك حسين لم يحظ بموافقة اسرائيل ولا اساس للزعم ان هذا المشروع هو ثمرة تفاهم بين الاردن واسرائيل . ان اعلان ملك الاردن يتعارض مع قضية السلام ويضع العراقيل في وجه تحقيقه ، وان موقف اسرائيل من السلام مع الاردن لا يزال كما كان وفقا لسياستها . ان حكومة اسرائيل مستعدة للتفاوض حول اتفاقية سلام مع الاردن دون شروط مسبقة وفي كل وقت . وستدلي رئيسة الحكومة غدا ببيان في الكنيست حول المشروع » . [نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية — العدد ٦ سنة ١٩٧٢]. وقد فاجأ اعلان غولدا مئير بأنها ستدلي ببيان حكومي أمام الكنيست الكثير من اعضاء الكنيست والمراقبين السياسيين ، اذ كان ذلك يعني ان غولدا مئير راغبة باجراء نقاش عام وواسع حول المشروع ، وراغبة باستصدار قرارات واضحة من الكنيست بشأنه ، حيث ان اللوائح الداخلية للكنيست تحتم في حالة افتتاح الجلسة ببيان حكومي اجراء نقاش عام حوله ، واتخاذ قرارات في نهايته، بينما لا يتحتم ذلك في حالة افتتاح المعارضة للنقاش . وقد كان السبب في ان هؤلاء قد فوجئوا هو اعتقادهم بأن غولدا مئير كان يمكن ان تكتفي بالاستماع لاسئلة المعارضة وتوضيح موقف الحكومة ضمن التصور التالي الذي نستعيره من أوري أفنيري عضو كتلة هعولام هزه في الكنيست : « تنكر غولدا مئير بشدة ان يكون قد تم اتفاق بين الاردن واسرائيل ، لان اي تصريح آخر يمكن ان يؤذي الملك ويغضب الاميركيين » ثم تضيف انها « تأسف لان الملك لم يذكر اسرائيل في خطابه ، وتدعوه الى الدخول اخيرا في مفاوضات مع اسرائيل . ومن ثم يحال الموضوع بعد نقاش ساعتين او اكثر قليلا الى لجنة الامن والخارجية ، التي تصدر بعد فترة بيانا لا يغلق الباب امام المفاوضات » [هعولام هزه — عدد ٧٢/٣/٢٢ ص ١٢] . ولكن الامور كما اشرنا لم تجر على هذا المنوال .

افتتحت غولدا مئير في ٧٢/٣/١٦ النقاش في الكنيست مدلية ببيان عنيف هاجمت فيه الملك هجوما حادا مليئا بالسخرية ، متهمة اياه بالغطرسة لانه يتحدث عن « مناطق ليست له وليست تحت سيطرته » ولانه « في حمى تحمسه لرؤية ذاته كمحرر مناطق ومؤسس ممالك وصل الى حد تقرير ان القدس ، عاصمة اسرائيل الابدية هي عاصمة فلسطين ». وهزئت من تصوراته لنفسه كـ «حاكم على مناطق اوسع مما كانت تحت سلطته قبل هزيمته في حزيران ١٩٦٧ » . وفي صدد حديثها عن المشروع وصفته بأنه صادر عن طرف واحد ، « لا يرتكز الى مبدأ الاتفاق ، ولا يكشف عن استعداد للمفاوضات » . وفي الفقرة الاخيرة من بيانها هاجمت غولدا مئير الذين « يحاولون خلق انطباع كاذب بتصوير المشروع كما لو انه متفق عليه » ، واعلنت انه « لا يمكن ان يشكل اساسا لاتفاق مع اسرائيل » ودعت الملك حسين للتخلي عن « الحذلقة » والدخول بمفاوضات جدية مع اسرائيل «بجرأة وواقعية». واختتمت غولدا البيان بأن اسرائيل ستظل متمسكة بسياساتها : « ابقاء الوضع الراهن كما تقرر في اتفاقيات وقف اطلاق النار ، والعمل على تعزيز مواقعها وفقا لمتطلبات امنها وتطورها،وهي مستعدة في كل وقت لمفاوضات جدية حول السلام »[دافار ٧٢/٣/١٧] .

واصبح واضحا اثر البيانين الحكوميين ان الحكومة الاسرائيلية ترفض مشروع الملك حسين وانها ما زالت عند مواقفها السابقة لطرح المشروع — مفاوضات بدون شروط مسبقة ، والاحتفاظ بالوضع الراهن مع تعزيز مواقع اسرائيل في المناطق المحتلة لحين الاتفاق . وكان من المعتقد ان بيان غولدا مئير سيكون كافيا لسحب الريح من اشرعة المعارضة اليمينية الاكثر تطرفا . ولكن جاحال ، الكتلة اليمينية المعارضة الاقوى في الكنيست ، اقتنصت الفرصة وطرحت اقتراحا بأن تقر الكنيست في ختام المناقشات كتلخيص للنقاش قرارا مكونا من فقرتين ، الاولى تقضي برفض مشروع الملك حسين رفضا جازما ، والثانية تنص على ان « حقوق الشعب اليهودي على ارض اسرائيل غير قابلة للطعن »(!) ، واعلنت انها ستطلب تصويتا افراديا عليه . واوقع الاقتراح الائتلاف

الحكومي في مأزق ، اذ أن المؤتمر الصهيوني المنعقد في كانون الثاني من العام الحالي كان قد أقر في ختام جلساته فقرة مشابهة بموافقة كافة المشتركين ، بمن فيهم اعضاء احزاب الائتلاف الحكومي الممثلين في المؤتمر . وبالتالي لم يكن من المعقول ان يصوت اعضاء الائتلاف الحكومي في الكنيست ضد فقرة صوتوا معها في المؤتمر الصهيوني ، كما لم يكن ممكنا ان يصوتوا معها ضمن هذا السياق ، لان التصويت معها يمكن ان يستنتج منه ان الحكومة والكنيست تتبنى وجهة نظر المتطرفين ، بانه لا مجال « للتنازل » عن اي جزء من اجزاء الضفة الغربية للاردن في حالة عقد اتفاقية سلام — وهو امر لا تتوفر حوله وحدة فكرية سواء داخل حزب العمل الحاكم ذاته او على صعيد الائتلاف الحكومي . وقد ظهر عمق الخلاف بشكل واضح حول هذا الموضوع في المناقشات الحادة التي دارت في الجلسات الجانبية التي عقدتها قيادة التجمع العمالي اولا ثم كامل كتلة التجمع العمالي والاحزاب المؤتلفة لبحث الموقف من اقتراح جاحال . اذ بينما طالب ممثلو المابام وبعض « حمائم » حزب العمل بتقديم اقتراح مقابل اقتراح جاحال لا يتضمن الفقرة المتعلقة « بحقوق الشعب اليهودي على ارض اسرائيل »(!) باعتبارها يمكن ان تفسر وكأنها تبن لسياسة جاحال « ولا شبر » [أي عدم التخلي عن اي شبر من الضفة الغربية] ، اصر « الصقور » على ادراجها باعتبارها ، على حد قول وزير العدلية يعقوب شمشون شابيرا ، « بديهية لا يجوز المساس بها » . وعندما وقفت غولدا مئير الى جانب « الصقور » بحزم حاول المابام و « حمائم » حزب العمل تخفيف النص باستبدال كلمة «حقوق» بـ « روابط » او كلمة « ارض اسرائيل » بـ « الوطن » — ولكن التعديلات رفضت من قبل الغالبية . واخيرا بعد جدل استمر ثلاث ساعات ونصف وجلسة الكنيست العامة مرفوعة ، وتحت تهديد المفدال المشترك في الحكم بالتصويت مع جاحال ضد الحكومة ، اتفق على تسوية معينة تقضي بان تضاف كلمة « تاريخية » الى النص الاصلي المقترح للفقرة ، بحيث تصبح « ان حقوق الشعب اليهودي التاريخية على ارض اسرائيل غير قابلة للطعن »(!) ، كما اتفق على اضافة فقرات تتضمن « الخطوط الاساسية » التي تقوم عليها سياسات الحكومة والمقرة من قبل جاحال لما كانت شريكة في الحكم ومن قبل الكنيست في مناسبات عديدة . وهكذا اصبح النص الكامل للقرار المقترح من قبل الائتلاف الحكومي هو التالي : « (أ) احيطت الكنيست علما ببيان رئيسة الحكومة في ١٩٧٢/٣/١٦ المتعلق بخطاب الملك حسين في يوم ٧٢/٣/١٥ [وهي الصيغة التي تصادق الكنيست بموجبها عادة على بيان ما] . (ب) ان الكنيست تقرر ان الحقوق التاريخية للشعب اليهودي على أرض اسرائيل غير قابلة للطعن وتدعم عزم الحكومة على الاستمرار في سياساتها وفقا للخطوط الاساسية القائمة عليها ، وهي الخطوط المقررة التالية : ستسعى الحكومة دوما للوصول الى سلام دائم مع جيران اسرائيل مرتكز الى معاهدات يتوصل اليها بمفاوضات مباشرة بين الاطراف المعنية . وتتقرر في هذه المعاهدات حدود متفق عليها ، آمنة ومعترف بها . وتضمن معاهدات السلام تعاون وتساعد متبادل ، وحل كل مشكلة يمكن ان تنشأ ويختلف عليها بالطرق السلمية ، والامتناع عن كل عدوان مباشر او غير مباشر . ان اسرائيل سوف تستمر في ابداء استعدادها لاجراء مفاوضات مباشرة ، دون شروط مسبقة من اي طرف ، مع كل دولة من جيرانها لعقد اتفاق سلام. وبدون اتفاق سلام ، ستستمر اسرائيل في الحفاظ على الوضع الراهن بكليته كما تقرر لدى وقف اطلاق النار ، وتعزز مواقعها آخذة بعين الاعتبار الاحتياجات الحيوية لامنها وتطورها . (ج) ان الكنيست تدعم جهود الحكومة الاسرائيلية للسعي نحو السلام عن طريق مفاوضات مع العرب وفقا لقرارات الكنيست » . وجرى التصويت على اقتراح الائتلاف الحكومي وتم اقراره بغالبية الاصوات [دافار ، معريف ٧٢/٣/١٧] . وعلى الرغم من ان الاقتراح الذي اقر في النهاية كان اقتراح الحكومة ، الا ان بيجن اعتبر القرار المتعلق بحقوق الشعب اليهودي على ارض اسرائيل(!) قرارا تاريخيا ، لانه « لاول مرة في تاريخها » — كما تذكر جريدة الاتحاد ٧٢/٣/٢١ « نتخذ الكنيست قرارا متطرفا بروح افكار جماعة ارض اسرائيل الكاملة وحزب حيروت » . وقد سارع بيجن الى الاعلان في مقابلة اذاعية ليل اتخاذ القرار بان الكنيست بقرارها هذا انما تكون قد تبنت « النظرة التقليدية لحركة حيروت » تجاه الوطن القومي اليهودي . ان المناقشات التي دارت في الكنيست ، والقرارات المتخذة في نهايتها،

قد اظهرت حسب رأي معلق هـآرتس في عـدد ۷۲/۳/۱۹ضعف الحكومة تجاه مناورات المعارضة، وحرص غولدا على عدم اغضاب مجموعة ارض اسرائيل الكاملة داخل حزب العمل الذي تنتمي اليه والمفدال الشريك في الحكم . وهنا نمسك بطرف الخيـط الذي يفسر الـرفض الحكومـي الاسرائيلي لمشروع الملك حسين .

ان مشروع الملك حسين لم يتعرض لاسرائيل ولم يذكر موضوع التفاوض معها ، وانما تحدث عـن منح الفلسطينيين استقلالا ذاتيا ضمن « مملكـة عربية متحدة» في المناطق التي سيتم «تحريرها»(!)، فلماذا اعتبرت غـولدا مئير ان علـى الحكومة الاسرائيلية ان تصدر بيانا برفض المشروع ، وان عليها ان تعيد التأكيد بان سياساتها ستظل مرتكزة الى مواقفها السابقة لطرح المشروع ، وان عليها ان تلجأ لتعزيز هـذا الرفض وتلـك السياسات بقرارات صادرة عن الكنيست ؟ تقول غولدا مئير في بيانها أمام الكنيست انها انمـا ترى ضرورة اتخاذ موقف واضح من مشروع الملك لانه « يمس المصالح الاكثر حيوية بالنسبة لاسرائيل » . ولكن في الامر اكثر من ذلك . وهذا الـ « اكثر مـن ذلك » هو ان غولدا مئير انما تحركت بالشكـل الذي تحركت به لتقطع الطريـق على مجموعـة « الحمائم » داخل الحكومة الاسرائيلية والتجمع العمالي الحاكم من ان تعود فتلتقط مشروع الملك حسين لتثير نقاشـا حـول سياسة الحكومـة الاسرائيلية تجاه السلام مع العرب لدفعها لتبني سياسة اكثر ايجابية تجاه المشاريع المطروحة — وهو نقاش يمكن ان يؤدي ، فيما لو جرى ، الى زعزعة الحكومة الاسرائيلية ، التـي يحفظ لهـا تماسكها ووحدتها حتى الان استمـرار الاوضاع الراهنة فيما يتعلق بالحدود ، وانفساح المجـال امام فريق الصقور المتطرف والاكثر تطرفا لتنفيـذ سياسة الوقائع المفروضة في الضفة الغربيةوغيرها من المناطق المحتلة في حرب حزيران . ان اي قبول ضمني او صريح ، جزئي او كلي ، لمشروع الملك حسين كان سيضع فورا على جدول اعمالالحكومة الاسرائيلية « الخريطة » المتعلقة بحدود اسرائيل مع الاردن . ويستطيع المرء ان يتكهن بنسبة كبيرة من الامان بان هذا الموضوع ، فيما لو طرح ، كان يمكن ان يؤدي لاحداث حالة من الفوضى والتوتر داخل حزب العمل ذاته والتجمع العمالي والائتلاف الحكومي ، وربما ادى الى تفجير الحكومة .

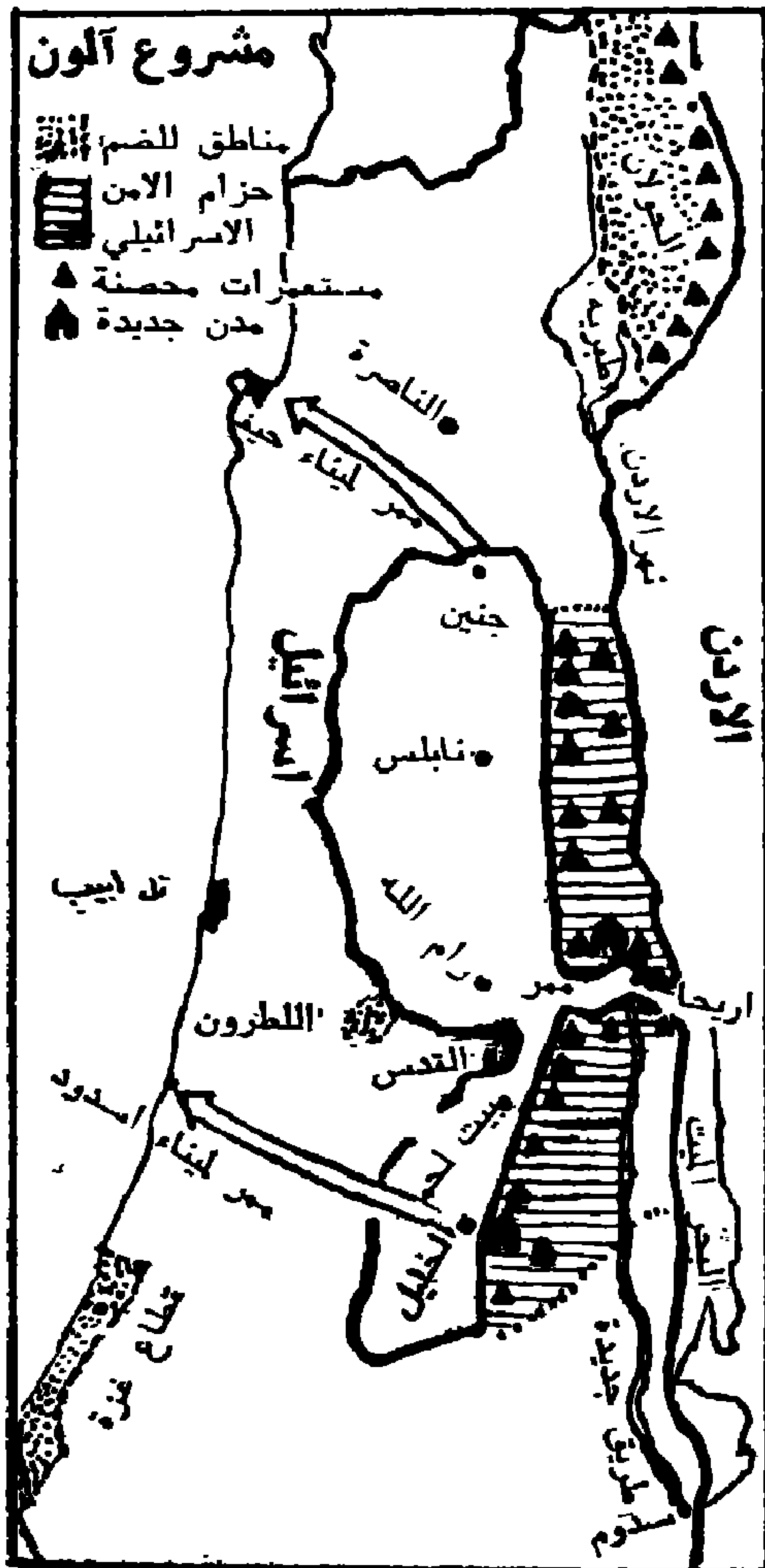
ان يوسف حريف ، المعلق السياسي في معريف ، يلتقط بذكاء في مقالة له في عدد ۷۲/۳/۳۱ بعضا من ملامح الفوضى السائـدة الان ، فيما يتعلـق بنظرة الحكومة الى قضايا اساسية تخص مسألة الحدود وخريطة اسرائيل المستقبلة . وبعـد ان يسجل التناقضات والخلافات بين الوزراء تجـاه عدد من الموضوعات الاساسية المتعلقة بالحـدود والاضافات الاقليمية المطلوبة ، يصل الى الاستنتاج بان الحكومة ما زالت تعيش في حالة من الارتباك وما زالت بحاجة لان تتفق هي اولا فيما بينهـا ، قبل ان يصبح بامكانهـا الاتفاق مـع الاخرين . ويرجع حريف جذور الخلاف بين الوزراء الى اربعة « مشروعات » تتوازع تصورات الوزراء المختلفين تجاه مسألة الحدود والضفة الغربية : ● المشروع الاكثر تطرفا الذي لم تتم صياغته بعد ، والـذي تدعمه اقلية في مجلس الوزراء يقف علـى رأسها يسرائيل غاليلي وريث يتسحق تبنكين احد ابرز زعماء حكومة ارض اسرائيل الكاملة . ان غاليلي يرى ان تضم الضفة الغربية باكملها الى اسرائيل باستثناء التعديلات التي قد تفرضها ظروفسياسية معينة ، ولذلك يرفض مشروع ألون في الوقـت الراهن ويقترب عمليا من مشروع دايان .

● مشروع دايان الذي بلوره قبل سنوات وهو يقرر (۱) ان السلام مع الاردن لا يبدو مرئيا ولذلك على اسرائيل ان تعتبر وجودها في الضفة الغربية وجودا دائما (۲) على اسرائيل ان ترتب اوضاعها وتتمركز بشكل يمكنها بمرور الوقت من « هضم » الضفة الغربية ودمجها في اسرائيل « الصغرى » (۳) وفقا للمعطيات الراهنة ، ليـس في امكان اسرائيـل عمليا تكوين وتعزيز اكثرية ديموغرافية يهودية في الضفة الغربية ولذلك عليها ان تسعى لتحقيق ثلاثة اهداف أ — تأسيس معاقل أمينة ب — استيطان اجزاء حيوية تقطع التواصـل الاقليمي للضفـة وتمكن من ايجـاد صـلات بين المجتمع العـربي واليهودي على اساس مناطقي ج — فرض واقـع تواجـد اسرائيلـي مـدني ذي صفـة دائمـة (٤) الاستيطـان الزراعي لوحده لا يؤمـن هذه الاهداف لان أ — الاستيطان الزراعي يحتاج الى مساحات واسعة نسبية ، وهذا يتطلب بالضرورة الاستيلاء على اراض خصبة من السكان العرب ، الامر الذي سيخلق لديهم مرارة كبيرة ب — ان عدد السكان في المناطق الزراعية ، رغم اتساع المساحة ، سيكون قليلا نسبيا . ج — السكان

العرب متركزون في المرتفعات الجبلية التـي هي ليست مريحة للمزارعين اليهود (٥) لذلك علـى اسرائيل ان تقيم اربـع مـدن اسرائيلية علـى مرتفعات جبلية في المناطق التاليـة : واحدة في منطقة الخليل (غوش عتسيون) وواحدة في منطقة رام الله (بيت ايل) ، وثالثة في منطقة نابلس ، والرابعة بين نابلس وجنين . ووظيفة هذه المدن بتر التواصل الاقليمي العربي في الضفة وخلق تمركز سكاني يهودي ذي وزن فيها ، يضمن هو والمعاقل الامنية أمن السكان اليهود في الضفة . وبعد ان يقدم حريف هذا التلخيص لمشروع دايان ، يذكر ان دراسة خطوات الاستيطان حتى الان تظهر انها كانت تسير بشكل يتطابق مع مشروع ألون ودايان بذات المقدار .

● مشـروع ألـون الـذي تمت بلورتـه فـي تموز من عام ١٩٦٧ ، واقرت الحكومة المشروع بتنفيذ الجزء العملي منه في شباط ١٩٦٩ . ونعتمد في تلخيصه على المقابلة مع الون ذاته التي نشرتها معريف في عدد ٢٤ اذار الماضي . يرتكز مشروع الون فيما يتعلق بخريطة اسرائيل المستقبلة علـى المبادىء التالية (١) الحقوق التاريخيـة للشعب اليهودي على ارض اسرائيـل كـأساس اخلاقي (٢) حدود صالحة للدفاع عنها كأساس جيو — استراتيجـي (٣) دولـة يهوديـة من الناحيـة الديموغرافية وان كانت تعيش داخلها اقلية عربية يجب الحرص على حقوقها كأساس قومي (٤) دولة ديموقراطية من الناحية السياسية ، واشتراكية وحضارية كأساس اجتماعي . ويكون حـد هذه الدولة السياسي من الشرق نهر الاردن والخط المار في منتصف البحر الميت . وتضم الى اسرائيـل مساحة الارض الواقعة بين نهر الاردن والبحـر الميت والمرتفعات الجبلية المقابلة ، لتشكل حزاما امنيا يتراوح عرضه بين ١٤ كيلومترا في الشمال و ٢٤ كيلو مترا في الجنوب بحيث يصل من البحـر الميت الى كريات اربع . وتبلغ مساحة هذا الحزام ثلث مساحة الضفة الغربية ، ويترك في وسطـه ممر يبلغ عرضه حوالي الـ ٤ كيلو مترات ، تقع ضمنه مدينة اريحا (انظر الخارطة) ، ليصل بين المناطق الاهلة بالسكان في الضفة والاردن . امـا بالنسبة للمناطق الاهلة بالسكان العرب فيمكن ان يرتبوا اوضاعهم الـداخلية كمـا يشاؤون سواء بالاشتراك مع الاردن او منفردين . كما ان هناك حاجة لتعديل الحدود في منطقة اللطرون ومنطقـة غوش عتسيون . وتبقى القدس موحدة وعاصمـة لاسرائيل ، ويؤمن وضع خاص للاماكن المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين . ويشكل الحزام الامني لاسرائيل ، الذي تقام فيه ١٨ مستوطنة أمنيـة ومدينتان احداهما مجاورة للخليل والاخرى مشرفة على اريحا ، منطقة غير قابلة للاختراق من قبـل ابة قوى معادية مدرعة حتى ولو كانت في مستوى الكفاءة الاوروبية . كما يشكـل مرتكزا ممتـازا لهجوم مضاد في حالة تعرض اسرائيل لهجمـات عدوة . بينما تشكل سيطرة الجيش الاسرائيلي على صحراء الخليل ضمانا قويا يؤمن القدس من هجمات قوات فدائية .

● المشروع الذي تدعـو اليـه اقليـة تضـم المابام وبعـض « حمائم » حزب العمل . وهـو مشروع غير مبلور ايضا ويكتفي بأقل مما يطلـب الون مقابل « سلام حقيقي » .



كانت هذه هي المشاريع او التصورات الاربع التي تتوازع قناعات الوزراء في الحكومة الاسرائيلية . وقد اوردناها بشيء من التفصيل لتبيان مدى عمق الهوة التي تفصل بين تصورات الوزراء المتطرفين والمعتدلين في الحكومة الاسرائيلية ، وهي هوة ليس من السهل على رئيسة الحكومة الاسرائيلية، المعدودة من بين الصقور المتطرفين ، ردمها . ان هناك اعتقادا خاطئا لدى بعض قطاعات الرأي العام العربي بأن الحكومة الاسرائيلية بأكملها موافقة ، او يمكن ان توافق بسهولة ، علىمشروع ألون كأساس للتسوية . وربما كان هذا الاعتقاد هو الذي دفع بالكثير من المعلقين العرب لاعتبار رفض اسرائيل لمشروع الملك حسين رفضا تكتيكيا، باعتبار انهم فرضوا ايضا ان الملك حسين وافق على مشروع الون . ان الرفض الاسرائيلي ، من ضمن معطيات الظروف الراهنة ، جدي ، املته على الحكومة الاسرائيلية طبيعة تركيبها ، وطبيعة توازنات القوى بين المعتدلين والمتطرفين والاكثر تطرفا فيها ، هذا اذا تركنا جانبا طبيعة التوازنات القائمة في الكنيست ، والرأي العام المتجه اكثر فأكثر نحو التطرف في اسرائيل . ان طبيعة تركيب الحكومة الاسرائيلية لا يجعلها في الظروف الراهنة قادرة على الاستجابة لاية مبادرات جدية تفترض منها « تنازلات » اقليمية في الضفة الغربية، مهما كانت هذه المبادرات متساهلة واستسلامية . ويظهر هذا الامر بوضوح من حدة المناقشات التي دارت داخل قيادة حزب العمل الحاكم ذاته وداخل كتلة الائتلاف الحكومي في الكنيست في الجلسات الجانبية التي اشرنا اليها اعلاه ، كما تظهره ايضا طبيعة القرارات التي اتخذتها الكنيست في صدد رفضها لمشروع الملك حسين ، وهي قرارات ترضي كل الاتجاهات المتناقضة ولا تحمل امكانية اي تحرك عملي في اي اتجاه ، باستثناء التحرك في المناطق على صعيد الاستيطان والدمج الاقتصادي وتعزيز المواقع انسجاما مع « الاحتياجات الحيوية لامن اسرائيل وتطورها » .

ان ايغال الون ، في المقابلة التي نشرتها له معريف بتاريخ ٧٢/٣/٢٤ ، ذكر انه لا يرى تناقضا بين مشروعه ومشروع الملك حسين فيما يتعلق بانشاء كيان فلسطيني وادخاله كشريك في اتحاد فدرالي مع شرق الاردن ، بل على العكس « ربما كان الاطار الفدرالي يسهل حل ما يسمى بالمشكلة الفلسطينية اكثر من اي اطار آخر » . ولكنه يرى تناقضا جوهريا فيما يتعلق بالمسألة الاقليمية ومسألة الحدود والقدس . كما عبر الون في المقابلة عن دهشته لتجاهل الملك حسين لاسرائيل ، التي لا يمكن تنفيذ مشروعه بدون الاتفاق معها . وقد اعتبر المراقبون السياسيون هذا الموقف ، رغم ان الون ذكر في بداية المقابلة بأن عليه « قبل كل شيء ان يوضح بأن آراءه لا تلزم احدا سواه » ، بمثابة تليين للرفض الاسرائيلي السابق . وستوضح التطورات في الاشهر القادمة فيما اذا كان هذا فعلا تليين للموقف الاسرائيلي ، ام مجرد رأي خاص ، مثله مثل الرأي الخاص لبعض الوزراء الاخرين ، الذين يحملون اراء اكثر او اقل تطرفا منه ، ويعبرون عنها تقريبا كل يوم في الصحافة الاسرائيلية ، دون اهتمام بالتناقضات القائمة فيما بينها .

(٧) رد فعل المناطق المحتلة لمشروع الملك حسين

عبد الحفيظ محارب

قبل ان نتطرق الى ردود الفعل على مشروع الملك لا بد من الاشارة الى الخطورة الكامنة فيه بالنسبة للقضية الفلسطينية ، والى الموقف الاسرائيلي منه . ان المشروع يعني قبل كل شيء اذا ما تم ، تحويل الزعامة التقليدية في الضفة الغربية المتعاونة بشكل او باخر مع السلطتين الاسرائيلية والاردنية ، الى حكام « القطر الفلسطيني » المقترح ضمن « المملكة العربية المتحدة » لتقوم هذه الزعامة نيابة عن الملك بعقد اتفاقية سلام مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، تصفى بموجبها القضية الفلسطينية لصالح العدو الاسرائيلي ، بواسطة فئات من ابناء الشعب الفلسطيني . وبذلك يكون مشروع الملك بمثابة الحلقة الاخيرة من فصول التعاون بين السلطتين الاسرائيلية والهاشمية ضد الارض الفلسطينية والانسان الفلسطيني . وفيما يتعلق بالموقف الاسرائيلي فانه اتسم بالرفض للمشروع بسبب الهوة بين اطماع اسرائيل التوسعية ، وتنازلات الملك حسين . فبالرغم من ان المشروع الكلي يفسح المجال امام السلام الذي تريده اسرائيل وتسعى اليه ، الا انها ترفضه ليس من ناحية « المفهوم » بل من ناحية الحدود . وهنالك عقبتان تقفان امام قبول اسرائيلي له ، الاولى : القدس التي تصر اسرائيل على ابقائها موحدة تحت الحكم الاسرائيلي ، والثانية : منطقة الاغوار التي يصر المسؤولون الاسرائيليون على بقائها « كحزام امني » تحت السيطرة الاسرائيلية . وقد تراجع الملك حسين اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة عن المطالبة بالقدس العربية عندما صرح لصحيفة نيويورك تايمز ان في استطاعة الاردن واسرائيل الاشتراك في ادارة مدينة القدس كمدينة مفتوحة «وان في الامكان جعل القدس مدينة مفتوحة في اطار السلام» ويمكن ان تكون عاصمة لاسرائيل وعاصمة للاقليم الفلسطيني من الاردن . وليس هنالك ما يحول دون ذلك » . وبذا ازال الملك العقبة الاولى . وبقيت العقبة الثانية المتمثلة في منطقة الاغوار وصحراء الخليل او الجزء الخاص من مشروع الون بالضفة الغربية . فبموجب مشروع الون تتشكل حدود اسرائيل مع الاردن كالتالي :

(١) ان خط الحدود يجب ان يكون على امتداد نهر الاردن حتى البحر الميت (٢) تضم منطقة الاغوار بالاضافة الى صحراء الخليل بما في ذلك ضاحية « كريات اربع » الواقعة بالقرب من الخليل ، بحجة ان منطقة الاغوار تشكل حزاما امنيا ، وان صحراء الخليل تشكل درعا واقيا لمدينة القدس من احتمال تشكيل « بؤر للفدائيين » تهدد مدينة القدس . ومن الجدير بالذكر ان هذه المناطق تحتل ثلث مساحة الضفة الغربية ، ولم يتطرق مشروع الملك الى هذه النقطة . اما ايغال الون صاحب المشروع الذي يحمل اسمه والذي يحظى بتأييد معظم اعضاء الحكومة الاسرائيلية فقد قال بانه « لا يعترض على مفهوم الملك حسين بالنسبة الى انشاء اتحاد بين ضفتي الاردن » واضاف : « ان اقتراحات الملك لا تتعارض بالضرورة ومفهومه هذا بالنسبة الى تسوية الصراع العربي الاسرائيلي » . ووصف الملك « بأنه اشجع الزعماء في العالم العربي » ويمكن القول ان الموقف الاسرائيلي لا يعارض فكرة الاتحاد الفدرالي التي وردت في مشروع الملك ، بل يرفض الحدود التي اقترحها الملك .

وفيما يتعلق بردود الفعل في الضفة الغربية فانها تقسم الى قسمين : (١) ردود الفعل لدى الزعامة التقليدية (٢) ردود الفعل لدى الجماهير الوطنية . فقد اتسمت ردود الفعل لدى الزعامة التقليدية بالتذبذب بين المعارضة والموافقة المشروطة ، كما وايقظ المشروع لدى بعض هؤلاء الزعماء الاحلام العريضة في التربع على كرسي حاكم « القطر الفلسطيني » . وسنعرض هنا ردود الفعل لدى بعض الزعماء التقليديين في الضفة ! الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل : كان تعليقه في بداية الامر ان الشعب الفلسطيني هو الذي يقرر مصيره بنفسه وان بامكان الملك حسين ان يعلن ما يجول في خاطره ، ودعا الى عقد مؤتمر يضم وجهاء الضفة لدراسة المشروع . معزوز المصري رئيس بلدية نابلس : تهرب من ابداء رأيه بقوله : « لست سياسيا ولا رأي لي في هذا الموضوع . انني افضل ان اعود الى مهنتي كتاجر » . انور نسيبة وزير الدفاع الاردني الاسبق الذي قام

قبيل اعلان المشروع بدور الوسيط بين سلطات الاحتلال والملك حسين : « بالنسبة لي يشكل المشروع استمرارا لسياسة الملك السابقة لتنفيذ قرار مجلس الامن وتحرير الاراضي المحتلة ومنح سكان المناطق حق تقرير مستقبلهم السياسي . لم افاجأ بكلام الملك حسين . ولكن اكثر ما فاجأني توقيته » . محمد ابو شلباية صاحب كتاب « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » والموالي لسلطات الاحتلال : « ان مقترحات حسين جاءت متأخرة جدا ، فالتسوية التي يقترحها كان يجب ان تتم عام ١٩٤٨ ... ان الملك يريد ان يجني الملايين باسم الشعب الفلسطيني » . اما حمدي كنعان رئيس بلدية نابلس سابقا الذي كان اول من دعا الى اجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية، فقد كان ايضا اول من ايد مشروع الملك بدون تحفظ ، فقد اعتبر الخطاب « ايجابيا للغاية ومعبرا عن متطلبات الشعب » . انني راض عن خطاب الملك لانه منح سكان الضفة الغربية الحق في ان يحكموا انفسهم » .

ومن الجدير بالملاحظة ان الشيخ محمد علي الجعبري قد اخذ يغير موقفه من المشروع ويقف كحمدي كنعان موقف المؤيد، على امل ان يحصل على منصب الحاكم للقطر الفلسطيني فقد ايد المشروع بقوله : « لسنا من امناء الملك حسين ولا من اعدائه ولكننا نرى في مشروعه الاخير افضل الحلول التي اقترحت حتى الان لحل مشكلة الشعب الفلسطيني » كما واخذ يتزلف في الاونة الاخيرة للنظام الاردني ، ويشيد بتاريخ الملك عبد الله ! بعد ان كان يكيل الشتائم للنظام الهاشمي. اما على صعيد رجل الشارع فقد اتسمت ردود الفعل بالخيبة وبالمرارة والاستياء كما يستشم من اقوال احد المواطنين : « لقد اثبت الملك حسين في اقواله ان القضية الفلسطينية ومستقبل الضفة الغربية لا يهمانه من قريب او بعيد ، انه يتهرب من مسؤولياته ، فهو يذر الرماد في العيون باعلانه الاتحاد الفدرالي في الوقت الذي امتنع فيه عن مس قضايا الاحتلال وتواجد قوات الجيش الاسرائيلي في المنطقة » . واما على الصعيد الوطني فقد عبر الطلبة عن رفضهم المطلق لمشروع الملك ، حين قامت حوالي ٤٢٠ طالبة ثانوية في مدينة نابلس بالتظاهر في شوارع المدينة ضد المشروع . وقد رفعن لافتات ضد الملك وشعارات ضد مشروعه مثل « ليسقط الحسين » و «فلسطين عربية » وقد تعطلت الدراسة في معظم مدارس المدينة الثانوية والاعدادية والابتدائية وذلك على أثر قيام هذه التظاهرة وتعبيرا عن مشاعر الطلبة ضد مشروع الحسين .

وفي قطاع غزة اختلفت ردود الفعل بعض الشيء عن ردود الفعل في الضفة الغربية ، واتسمت بالرفض الحاسم والمطلق لمشروع الملك ، لدرجة ان رئيس بلدية غزة رشاد الشوا ، المعروف بولائه للاسرة الهاشمية لم يجرأ على التعقيب على خطاب الملك . اما الحاج « هاشم الخوزندار » الموالي لسلطات الاحتلال فكرر امام الصحفيين الاسرائيليين الجملة التي يحلو له ان يتفوه بها : « ان سلطة اسرائيلية افضل من حكم الملك حسين ، واذا كان لا بد من قبول حسين او ديان فانني افضل ديان». وفيما يتعلق بشباب القطاع ومثقفيه فقد اعتبروا المشروع بمثابة « السير من مجزرة الى مجزرة تحت حراب الحسين » .

اما رجل الشارع وخاصة اولئك الذين يرتادون المقاهي فكان تعبيرهم اشد واقسى على صاحب الجلالة ، فقد اتسمت ردود الفعل لدى هؤلاء، كما ذكرها الصحفيون الاسرائيليون « **بالبصق على الارض حين سماعهم خطاب الحسين . وقد فعلوا ذلك بشكل تظاهري** » .

مطبعة الغريب
بيروت

السعر ٢/١ ٢ ل.ل. في الوطن العربي او ما يعادلها